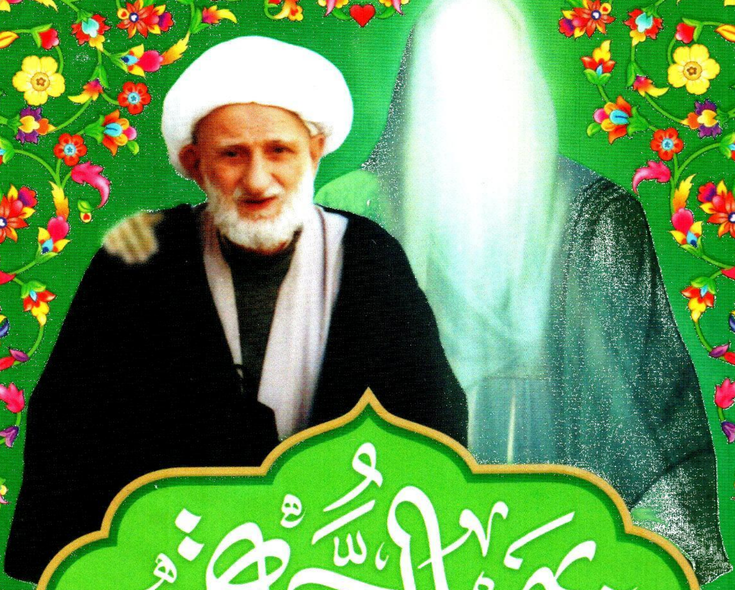


بهجة الحضر

مما أوتي الحكمة

العبد محمد تقي البهجة

إهداء إلى

السَّيِّدةِ فاطِمة

وَأبيها وَبَعلِها وَبَنيها

وَلا سِيَّما خاتَمِهِم بَقِيَّةِ اللهِ الأعظَم

وَإلى: عَزيزَتِها وَوالِدَةِ مُهجَتِها

المَنعوتَةِ فِي الإنجيلِ وَالمَخطوبَةِ مِن رُوحِ اللهِ الأمينِ وَمَن رَغِبَ فِي وَصلَتِها

مُحَمَّدٍ سَيِّدِ المُرسَلينَ صلى الله عليه وآله وسلم وَالمُستَودَعَةِ أسرارَ رَبِّ العالَمين

السَّيِّدةِ نَرجِس

صلّى الله عليهم أجمعين

وَعجّل فرجنا وعد فرجهم بالنصر وظهور الأمر

فِي تَفسِيرِ عَلِيِّ بنِ إبرَاهِيمَ القُمِّيِّ: عَنْ عَلِيِّ بنِ النَّضرِ

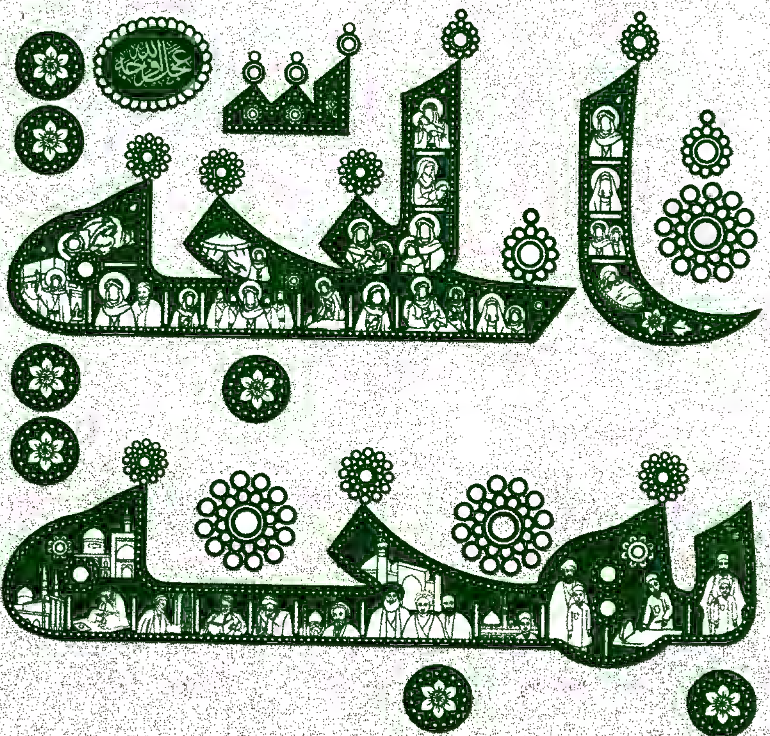
عَنْ أَبِي عَبدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: قُلتُ:

جُعِلتُ فِدَاكَ، قَوْلُه:

«وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ»

قَالَ عليه السلام:

أُوتِيَ مَعْرِفَةَ إِمَامِ زَمَانِه!



ممّا أوتيَ الحِكمةَ العَبدُ محمّد تقي البَهجة

مشفوعًا بالسّيرة العطِرةِ للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

من قَبلِ ولادته إلى ما بعد ظهوره بأسلوبٍ روائيّ

سرشناسه:	اسدی‌راد، محمد، ۱۳۶۵-
عنوان و نام پدیدآور:	بهجة الحجة: مما اوتی‌الحکمه العبد محمدتقی البهجه مشفوعا بالسیره العطره للامام‌المهدی ﷺ من قبل ولادته الی ما بعد ظهوره باسلوب روایی/ اعداد والمشرف‌العام علی لجان التحقیق والتالیف والتعریب محمدایاد الاسدی‌راد؛ تحقیق و تالیف محمدایاد الاسدی‌راد، حامد الساجدی.
مشخصات نشر:	قم: دارالکرامه‌العالمیه، ۱۴۴۴ق.= ۱۴۰۲.
مشخصات ظاهری:	۹۸۴ص.
شابک:	۹۷۸-۶۲۲-۹۳۶۷۴-۰-۷
وضعیت فهرست نویسی:	فیپا
یادداشت:	زبان: عربی.
یادداشت:	کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع:	بهجت، محمدتقی، ۱۲۹۴ - ۱۳۸۸. -- دیدگاه درباره امام زمان
موضوع:	Bahjat, Mohammad Taqi-- Views on Imam Zaman
موضوع:	محمدبن حسن ﷺ، امام دوازدهم، ۲۵۵ق -
موضوع:	Muhammad ibn Hasan, Imam XII
موضوع:	مهدویت - Mahdism
شناسه افزوده:	ساجدی، حامد، ۱۳۷۰ -
رده‌بندی کنگره:	BP۲۲۴/۴
رده‌بندی دیویی:	۲۹۷/۴۶۲
شماره کتابشناسی ملی:	۹۲۷۹۹۳۱

بهجة الحجّة

ممّا أوتيَ الحِكمة العَبد محمّد تَقي البَهجة

إعداد و المشرف العام على لجان التحقيق و التأليف و التعريب:

محمّد أياد الأسدي راد

تحقيق و تأليف:

محمّد أياد الأسدي راد ـ حامد السّاجدي ـ ح.م

لجنة التعريب:

السيّد يوسف صفي الدين ـ الشيخ معين شرارة ـ الشيخ حسن شرارة ـ السيد حسن مطر ـ د.ع

إعادة الصياغة: غ.ق ـ الأسدي راد

النّاشـر: دار الكرامة العالمية

الطبعة: السابعة ـ ١٤٤٥ هـ.ق

مركز حفظ و نشر تراث سماحة آية اللّه العظمى الشيخ البهجة

الموقع الرسميّ: www.albahjat.com

الإيميل: info@albahjat.org

المركز الرّئيسي للتوزيع: +٩٨ ٩١٠٠ ١١١ ٣٣٥

هاتف: +٩٨٢٥ ٣٧٧٣٠٠٣٨

فاكس: +٩٨٢٥ ٣٧٧٣٠٠٦٤

كافّة الحقوق محفوظة و مسجّلة

ردمك: ٩٧٨-٦٢٢-٩٣٦٧٤-٠-٧

الفِهرِسُ الإجمَـالِي *

* الفهرس التفصيلي مذكور في آخر الكتاب.

مِنَ القَلْبِ إلَى القَلْبِ

(حديثٌ مع القارئ العزيز)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1]. الحمد لله الّذي جعلنا من أمّةِ بقيّة الله الّذي هو خيرٌ للمؤمنين، و خصّنا بولايته و ولاية آبائه عليهم السلام، دون الأمم الماضية و القرون السالفة، فطاب خلقنا و طهُرت أنفسنا بهم. و صلّى الله على محمّد و أهل بيته الأطيبين، أهل الخير، و أوّله و أصله، و فرعه و معدنه، و مأواه و منتهاه، و اللعن الدائم على أعدائهم أجمعين. و صلّى الله على سميّ رسوله، و مُحيي سنّته، مهديّ الأمم و جامع الكلم عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

لا يخفى على المؤمن اللبيب أنّ التأويل الأعظم للآية الشريفة الّتي افتُتح بها الكتاب هو بقيّة الله في أرضه الإمام المهديّ من آل محمّد عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فهو الخير المَحض للمؤمنين كافّة، و هو باب الله الّذي منه يؤتى، و مَن أراد الله بدأ به عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فمن أجل بلوغ أسمى أهداف الخلقة، ألا و هي معرفة الله تعالى و نيل أعلى مراتب العبوديّة له سبحانه، كان لِزامًا علينا جميعًا أن نبدأ بمعرفة خليفته و وليّه و السبيل المؤدّي إليه تعالى أي إمام زماننا عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و إلّا ـ و العياذ بالله ـ ضللنا عن ديننا و متنا ميتةً جاهليّة. و لمّا انقلب الظالمون على أعقابهم و آذوا عترة نبيّنا عليهم السلام فشرّدوهم و طردوهم و غصبوا حقوقهم، مسّنا الضرّ و بتنا كالأيتام الحيارى الّذين فُرّقوا عن أبيهم و حُجب عنهم محبوبهم، فكان حقيقًا بنا أن نلتمس آثار

---

(١) سورة هود، الآية ٨٦.

إمامنا و عزيزنا طالبين رضاه بلسمًا لقلوبنا الحَرّى، عسى أن يتقبّلنا قبولًا حسنًا و يكتبنا من محبّيه و التائقين إليه، و نلتمس منه أن يوفي لنا كَيل اللقاء بما عندنا من بضاعةٍ مزجاة.

و ها نحن في ساحته القدسيّة، نقتطف من جنان هذا الكتاب المبارك ثمارًا من شجرةٍ طيّبة لا عطب فيها، قد ذُلّلت قطوفها تذليلًا، و نستقي جرعةً من عينه الصافية الّتي لا كدرة فيها، قد فُجّرت تفجيرًا، و ذلك من خلال أحد أتقى أوليائه و المقرّبين إليه ألا و هو آية الله[1] الوليّ المقدّس الشيخ محمّد تقي البهجة ﰆ[2] الّذي كان بحقٍّ مصداقًا للرواية الشريفة:

«لَوْلَا مَنْ يَبْقَى بَعْدَ غَيْبَةِ قَائِمِكُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ وَ الدَّالِّينَ عَلَيْهِ وَ الذَّابِّينَ عَنْ دِينِهِ بِحُجَجِ اللَّهِ وَ الْمُنْقِذِينَ لِضُعَفَاءِ عِبَادِ اللَّهِ مِنْ شِبَاكِ إِبْلِيسَ وَ مَرَدَتِهِ وَ مِنْ فِخَاخِ النَّوَاصِبِ، لَمَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلَّا ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ، وَ لَكِنَّهُمُ الّذين يُمْسِكُونَ أَزِمَّةَ قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الشِّيعَةِ كَمَا يُمْسِكُ صَاحِبُ السَّفِينَةِ سُكَّانَهَا، أُولَئِكَ هُمُ الْأَفْضَلُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ»[3].

و الّذي أصبح من أتمّ مصاديق «رواة الحديث» و أجلاها، الواردة في هذا التوقيع الشريف:

«أَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَ أَنَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ»[4].

فهو الّذي منذ عرف يمينه من شماله، و الأجدر أن نقول قبل ذلك[5]، سلك طريق رضا إمام

---

(١) اقتداءً بالسلف الصالح من كبار العلماء ـ و لا سيّما سماحة الشيخ البهجة ﰆ ـ الّذين لم يكونوا يرضون بكتابة لقب «آية الله العظمى» ـ مع ما كانت لهم من المكانة العلميّة و المعنويّة ـ لأنّه ورد في حقّ أمير المؤمنين عليّ ﰆ في الزيارة: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا آيَةَ اللَّهِ الْعُظْمَى»، فلهذا لم يُذكر في هذا الكتاب لقب «آية الله العظمى» أو «الإمام» لأحد من الأعلام (قدّس الله أسرارهم)، إلّا ما نُقل عن الآخرين مراعاةً للأمانة في إيراد الكلمات كما هي.

(٢) «البهجة» هو اسم أسرة سماحة الشيخ ﰆ و هو الأصل، و كان ﰆ نفسه يوقّع و يختم به، فهو ليس تعريبًا للقب «بهجت»، بل لأنّ اللغة الفارسيّة ليس فيها «الـ» التعريف و لا التاء المربوطة فهو اشتهر في إيران بـ «بهجت».

(٣) الاحتجاج على أهل اللّجاج، ج١، ص١٨.

(٤) كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٤٨٤.

(٥) كان سماحة الشيخ البهجة ﰆ ينقل عن بعض الأعاظم أنّهم لم يرتكبوا المعصية في حياتهم قطّ، و كان يذكر أسماء هم، منهم زيد بن عليّ ﰆ الّذي قال: «و الله ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، و لا انتهكت محرّمًا منذ عرفت أنّ الله يؤاخذني عليه!»؛ (الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة اللهاميم، ص٥٩٥). كما كان سماحته ﰆ يذكر تحقّق فضيلة عدم ارتكاب المعصية عند بعض العلماء العظام و الصلحاء الكرام، منهم التقيّ الورع آية الله الشيخ محمّد حسين الأصفهانيّ ﰆ (صاحب التفسير)، و السيّد الشبستريّ الّذي كان من الصلحاء الأتقياء، الّذي قال ـ بحضور سماحة السيّد الخوئيّ ﰆ ـ في ساعة احتضاره: «اللهم إنّك تعلم أنّي ما عصيتك في حياتي عالمًا عامدًا قطّ!».

زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و التقرّب إليه أكثر فأكثر، إذ سيّره الله سبحانه في أقرب الطرق للوفود عليه، إلى أن بلغ من حجّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف أقصى مقاصده و نال الدرجات العُلا بقربه، فكان من أوفر العبيد من مولاه عجّل الله تعالى فرجه الشريف حظًّا و أعلاهم عنده منزلًا و أجزلهم من ودّه قسمًا و أفضلهم في معرفته نصيبًا، حتّى قال في حقّه أستاذه العلّام: «لقد ترقّى ترقّياتٍ فوق العادة!»[1]. ثمّ دنا فتدلّى، فكان بحرًا لا ينزف و كنزًا لا ينفد، و كأنّه منهم أهل البيت عليهم السلام[2] حتّى نُقِل أنّ حجّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف وصفه بصفة عظيمة، قائلًا: «**خليفتنا الشيخ البهجة**»[3]. و كيف لا يكون كذلك و قد كان صائنًا لنفسه، حافظًا لدينه، مخالفًا على هواه، مطيعًا لأمر مولاه، فحقيقٌ به أن يصبح أمينًا و مأمونًا على دين الناس، و لا سيّما في طريق القرب الّذي سلكه بتمام وجوده مهاجرًا إلى الله، فكان محياه و مماته لله ربّ العالمين.

و من البديهيّ أن يسعى كلّ منتظِرٍ تائقٍ لتقصّي آثار هذا العالم الربّانيّ الّذي عايَن محبوبه و تشرّف بخدمته طيلة سنوات عمره الشريف. فكان قدس سره مبتهجًا بقربه عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى درجة أن تشعّبت بهجته في صفوف المشتاقين، و بات حجّةً على المنتظرين بأنّ أبواب اللقاء دائمًا مترعةٌ إلّا أنّ مفاتيحها بأيديهم.

لقد سُمّيَ هذا الكتاب «**بهجة الحجّة**» لأنّه أوّلًا احتوى بياناتٍ مهمّةً لشخصيّةٍ عظيمةٍ و بحرٍ زاخرٍ كان يدخل البهجة على قلب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بأعماله و سلوكه. و ثانيًا، رغبةً منّا إلى الله تعالى و إلى بابه عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي منه يُؤتى، بأن يكون هذا الكتاب بإذن الله تعالى سببًا في إبهاج حجّته عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و أُلحقت بعنوانه عبارة «**ممّا أُوتيَ الحكمة**» لِما ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه عندما سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[4]

و كان سماحة الشيخ البهجة قدس سره ـ من دون أن يشير إلى نفسه ـ يقول أحيانًا إنّه يعرف شخصًا بتوفيق من الله لم يرتكب أيّ معصية عن علم و عمد طوال حياته. و قد شهد بعض العلماء الأعلام على عدم ارتكاب الشيخ المقدّس قدس سره المعصية قطّ، و قد ذُكرت هذه الشهادات تحت عنوان «بهجة العبوديّة» في كتاب الناصح. و طبعًا المقصود بهذا الكلام هو عدم ارتكاب الخطيئة لا الخطأ الّذي لم يبرّئ أحد منهم نفسه من الوقوع فيه، إذ إنّ «العصمة عن الخطأ و الخطيئة بنحوٍ مطلق» هي من مختصّات المعصومين عليهم السلام فقط.

(١) إشارة إلى قول آية الله السيّد عليّ القاضي قدس سره في حقّ الشيخ البهجة قدس سره.

(٢) لقد بلغ بعض الأصحاب تلك المرتبة العالية من القرب إلى أهل البيت عليهم السلام، منهم سلمان المحمّديّ الّذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّه: «سلمان منّا أهل البيت».

(٣) لقد ذُكر تفصيل هذه القضيّة في الحديقة الخامسة من هذا الكتاب.

(٤) سورة لقمان، الآية ١٢.

قال ﷺ: أوتيَ معرفة إمام زمانه. و بما أنّ هذا الكتاب يدور حول معرفة إمام زماننا عجّل الله تعالى فرجه الشريف عن لسان الشيخ المقدّس محمّد تقي البهجة قدّس سرّه، أصبح اسم الكتاب «**بهجة الحجّة، ممّا أوتيَ الحكمة العبد محمّد تقي البهجة** قدّس سرّه».

فما بين دفّتَي هذا الكتاب ليست مجرّد صفحات، بل هي سماءٌ من آيات الطهر، قد ترشّح من وابلها بعض قطراتٍ من نور فأنبتت «**حدائق ذات بهجةٍ**»، فيها ما لا عينٌ رأت و لا أذنٌ سمعت. تتألّه في أيٍّ من روضاتها ترتع، و من أيّ عيونها تنهل، و كأنّك تكتشف في ذاتك روحًا تتلذّذ بمحضر سيّدها عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كأنّ اللقاء قد حصل لك فعلًا!

هذا الكتاب ثمرة أكثر من عقد عملٍ متقطّع، و أكثر من خمس سنواتٍ متتالية من الكدح و العمل الدؤوب في التقصّي لآثار سماحة آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه و كلماته، و جمعها و تنزيلها من الأرشيف المرئيّ أو المسموع، مع ما يستلزمه من التتبُّع و التدقيق و المراجعة و الوصول إلى مصادر مهمّةٍ جدًّا تخدم الهدف المنشود. فإنّ المعلومات المخزونة في هذا الكتاب هي عُصارة حياة عالمٍ جليلٍ و عارفٍ زاهدٍ تقيّ، و ما خفي كان أعظم، و ما سطّرناه كان حصيلة أكثر من تسعين سنةً قضاها سماحته قدّس سرّه في تحصيل العلم و الاجتهاد في العمل و تثبيت الإخلاص و استنزال التوفيق الإلهيّ. لذا فإنّ هذا السّفر النفيس يشمل فوائد علميّة جمّة لا تخفى على أهلها، إضافةً إلى فرائد معنويّة وفيرة.

و تجدر الإشارة إلى أنّه و إن كان عبير النرجس الّذي يفوح من بين السطور و الحروف قد عبق من كلمات آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه حول الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و من سلوكه العمليّ في سبيل حضرته، لكن عملًا بأهمّ توصيات سماحته قدّس سرّه في هذا المجال و هي العمل على زيادة المعرفة بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و سيرته و مقاماته، فقد كان الهدف الأسمى من هذا الكتاب أن يكون جامعًا شاملًا حول القضيّة المهدويّة بقدر الإمكان، ليكون خير مرجعٍ لكلّ من يرغب في معرفة إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو يريد أن يحظى بزيادةٍ منها، فذُكِرت فيه سيرة حياته العطرة بنحو جامع، بالإضافة إلى الإجابة عن بعض الأسئلة و الشبهات العقائديّة، كما ذُكرت ـ خاصّةً في الهوامش ـ روايات مهمّة و مطالب معرفيّة و مباحث علمية زادته غنًى و ثراء في المحتوى، و إنّ جامعيّته حول موضوعه جعلت حجمه كبيرًا نسبيًّا، إلّا أنّ هذا قد جعله ريًّا رويًّا هنيئًا سائغًا، و منحه عذوبةً من مائه غير الآسن، إذ إنّ في الارتواء من مضامينه المهدويّة لذّة للشاربين، لا فيها غَوْلٌ و لا هم عنها ينزفون.

إنّ هذا الكتاب بمنزلة البوصلة الّتي تحدّد وجهة سير السالك إلى الله تعالى و المتقرّب إلى خليفته في أرضه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فيأخذ بيده، بتسلسله و نهجه المُحكم، خطوةً بخطوة من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة، و من وحل الضلال إلى صفاء الإيمان. فبداءةً[1] يزيد القارئ الكريم معرفةً و علمًا بإمام زمانه عليه السلام، فيعرّفه إلى نشأته المباركة ثمّ يسير به من مرحلةٍ إلى أخرى من مراحل حياته الشريفة، مستضيئًا بمختلف جوانبها النيّرة. ثمّ ذُكرت شبهات قد يوردها أعداء الدين على ذهن المرء، ليصفّي بالإجابة عنها باطن كلّ طالب حقٍّ من أيّ شكٍّ أو رَيب، و هكذا ينتقل بالقارئ الواعي في مدارج الإيمان ليصل إلى اليقين بحجّة الله في الأرض عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فيسقيه الكتاب من أنهار روضاته جرعة بعد جرعة حتّى يروي ظمأه في التعرّف إلى أخبار الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و يرتقي به منزلًا بعد منزل في معرفة حجّة الله و كيفيّة طاعته و اتّباعه، إضافة إلى بيان بعض الوظائف الملقاة على عاتقه في زمن غَيبة إمامه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كذلك يأخذ بيده لتذوّق ما طاب من مواهب ابن السادة الكرام عليهم السلام و موائده الّتي يبسطها لمحبّيه، حتّى يرشده في نهاية المطاف ـ إنْ منَّ الله عليه فقرّت بالنظر إلى محبوبه عينه و طاب في مجلس الأنس سرّه ـ كيف يتصرّف في محضره الشريف و يعلّمه آداب لقائه و الحديث معه.

و قُسِم ما سُطِر في صفحات هذا الكتاب إلى خمس حدائق ذات بهجة، و بعض تلك الحدائق تتفرّع منها عدّة روضات، و قد ألحقت هذه الحدائق بملحقات. و مع أنّ روح الكتاب واحدة و تدور حول أشرف المواضيع و هو معرفة الإمام المهديّ (صلوات الله عليه) و ولايته، و كلّ ما فيه يستمدّ نوره من المصدر ذاته، إلّا أنّ أسلوب كتابة كلّ حديقةٍ كان متناسبًا مع موضوعها، فطريقة سرد قصّة حياة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مختلفةٌ حتمًا عن نمط الإجابة عن الأسئلة و الشبهات، و هذا أمر طبيعيٌّ بل مطلوب، لأنّه يعطي كلّ موضوع حقّه و يضفي عليه لمسته المميّزة حتّى يفوح من كلّ حديقةٍ أريجها الخاصّ، و يجني القارئ أفضل زادٍ منها، و يأنس برائحتها الفوّاحة المتميّزة بها عن غيرها من الحدائق. و تفصيل المطالب و ما تحتويه الحدائق و الروضات البهيّة كما يلي:

---

(١) إنّ كلمة «بداية» بالياء تُعدّ من الأخطاء الشائعة الّتي علقت باللغة العربيّة منذ زمن ليس بالقريب، و الصحيح أن يقال «بَداءة» بالهمزة. لذا ارتأينا في هذا الكتاب استخدام الكلمة الصحيحة أي بالهمزة. و لكن في بعض المواضع كأسماء الكتب ـ و منها كتاب «البداية و النهاية» ـ فقد احتفظنا بالاسم كما هو، أي مع استخدام كلمة البداية بالياء، و ذلك حفظًا لأمانة النقل.

الحديقة الأولى:

هذه الحديقة أصلها ثابتٌ و فَرعها في السماء و هي تتضمّن روضتين: الروضة الأولى في علّيّين إذ اختصّت بسيّد الأكوان و هو «عين الله الناظرة ﷻ»، أمّا الروضة الثانية فهي من فاضل طينة الأولى فكانت للعبد التقيّ و «قرّة عينٍ للإمام المهديّ ﷻ»، و كذا كلّ مؤمنٍ يسلك سبيل طاعة إمام زمانه ﷺ يصبح قرّةً لعينه. تُقدّم الروضة الأولى للقارئ الكريم باقاتٍ نديّةً تُعرّفه بالإمام الهمام الّذي تتمحور حوله كلمات هذه الأوراق، فلا بدّ للسالك أن يكون عارفًا بمن يُسيّر سفينة نجاته و أين سيكون مرساها، فإنّ مَن مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّة، فلا أقلّ من أن يطّلع العبد على سيرة حياة إمامه ليعرف بمن عليه الارتباط في مسيرته، و لمن يسلّم زمام قلبه. و في هذه الروضة المباركة يُقدّم للقارئ العزيز، و للمرّة الأولى بفضل الله تعالى و بركات وليّه المؤيّد ﷻ، سيرةً شاملةً لجوانب حياة الإمام المهديّ ﷺ من قبل ولادته الميمونة إلى ما بعد ظهوره الشريف. و لخدمة جميع شرائح المجتمع و تحقيق الاستفادة المرجوّة لمختلف الفئات العمريّة، ارتأينا أن تكون سيرة الإمام المهديّ ﷻ بأسلوب قصصي روائيّ، إلّا أنّها بجميع تفاصيلها معتمدةٌ على مئات الروايات المرتبطة بالإمام الحجّة ﷻ الّتي وردت عن أهل بيت العصمة ﷺ، مع أكبر التزامٍ ممكن بنصّ الروايات المتوفّرة. و قد تشرّف بعض المحققين بكتابة هذه السيرة العطِرة، و بذلوا جهدهم في التدقيق بها. و لَهذا من أعظم النعم الإلهيّة الّتي منّ سبحانه بها علينا، فله الحمد حمدَ الشاكرين على توفيقه إيّانا للقيام بهذا العمل المبارك الّذي يُقدّم للقارئ بإذن الله تعالى فكرةً شاملةً و في الوقت نفسه مختصرةً عن إمام زماننا، أرواحُنا لمقدمه الفداء.

و بما أنّ الروضة الأولى قد زهت بسيرة خاتَم الأوصياء و بقيّة الأصفياء ﷻ، فقد أُلحِقت بها الروضة الثانية لعرض قبسٍ من نور المخلصين الّذين أخذت لوعة محبّة الله بمجامع قلوبهم، و قد كُشف الغطاء عن أبصارهم، و قرّت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم. و في هذه الرّوضة حقولٌ من النرجس الفوّاح قد عبقت بسيرة عبد الله و وليّه الشيخ المقدّس محمّد تقي البهجة ﵀ من منظارٍ مهدويّ، لكي يتعرّف القارئ الكريم إلى هذه الشخصيّة الفذّة الّتي نهجت سُبُل السلام فباتت قابَ قوسين أو أدنى من إمام الزمان ﷻ، و ليدرك عظمة مقام هذا العبد الصالح، صاحب السلوك السليم القويم و الفِكْر الموثوق المرموق الّذي وضعناه بين يدي القارئ الكريم، راجين انشراحَ الصدور بتحقيق المعرفة و تعرّضها لنفحات رَوح الرّحمن.

الحديقة الثانية:

بعد تنشُّق عبير سيرة الشيخ البهجة ﷺ العطِرة، و التعرّف إليه من كتب، كان لا بدّ من رسم الطريق المستقيم المؤدّي إلى ساحة الإمام المهديّ ﷺ القدسيّة. فمن المهمّ أن يجد السالك تلك الأسوة الحسنة و القدوة العليا ليقتدي بها في سعيه للارتباط بإمام الزمان ﷺ، و لقد كان الشيخ البهجة ﷺ نِعم الدليل في ليل الغَيبة الألْيَل، إذ حاز قصب السبق في التقرّب إلى إمام زمانه ﷺ. و في هذه الحديقة تُعرَض أُسُس منهجه الفكريّ و العمليّ حول كيفيّة الارتباط بالإمام المهديّ ﷺ و توطيد العلاقة به، ليرتع المحبّ في نهاية المطاف في رياض قربه ﷺ.

الحديقة الثالثة:

بما أنّ العلم أصل كلّ حالٍ سنيّ و منتهى كلّ منزلةٍ رفيعة، و لما ينبغي للمؤمن من اجتهادٍ في زيادة علمه و معرفته، و لِما قد يتعرّض له بعض مَن قلّ علمه في هذا الجانب من أسئلة و شبهات، فقد طُرحت في هذه الحديقة سبعة أسئلةٍ تُعدّ من أهمّ الأسئلة حول قضيّة الإمام المهديّ ﷺ، و قد تمّت الإجابة عنها، مستدلّين برواياتٍ من كتب المخالفين أنفسهم، ليتدفّق من تحت قدمي القارئ زمزم يطهّر رجس الشبهات، و ليزداد المؤمنون نورًا و هدايةً و ثباتًا في إيمانهم و تتمّ الحجّة على المعاندين و ليبهت الّذين كفروا. و لقد راعينا الاختصار في هذه الحديقة قدرَ الإمكان إذ اكتفينا بالضروريّ من الكلام الّذي يفي بالمعنى المطلوب.

الحديقة الرابعة:

أمّا هذه الحديقة الجذّابة فقد حوَت جنّاتٍ ألفافًا، و لك ما طاب فيها من ثمارٍ أينعت و قد حان موعد قطافها، إذ إنّ الحدائق السابقة كانت مقدّمةً ليبلغ القارئ العزيز هذه الحديقة العظيمة و يتنعّم بجمالها. و انبجست من هذه الحديقة اثنتا عشرة عينًا فاخضرّت و أزهرت و تورّدت فيها اثنتا عشرة روضةً من بيانات الشيخ البهجة ﷺ حول الإمام المهديّ ﷺ، لكلٍّ منها موضوعها الّذي تميّز بطعمٍ غير آسنٍ يختلف عن غيرها من العيون.

و لهذه الحديقة أهميّةٌ كبيرة، ذلك أنّ البذور الّتي زُرعت فيها ليست كأيّ بذور، بل هي بذورٌ نورانيّةٌ صاحبها شخصيّة بلغت أسمى منازل معرفة إمام الزمان عجّل الله فرجه الشريف و أقربها إليه، و قد شهد له كلّ من أدرك حياته الشريفة على عمق ارتباطه بالإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف. كما أنّ القلب الحاضن لهذه البذور هو لشخصيّةٍ عملاقةٍ علميًّا و معنويًّا و ذات بُعدين جامعين، إذ إضافةً إلى البعد الروحيّ العالي، هنالك جانبٌ علميٌّ عظيم أهّله لكفالة أيتام آل محمّدٍ عليهم السلام المنقطعين عن إمامهم عجّل الله فرجه الشريف، فبعلمه الراسخ قد أخرج المؤمنين من الحَيرة و قهر الناصبين، و أنار بعلمه و عمله للموالين الصراط المستقيم و أزال أشواك الضلال من أمامهم، مُكلّلًا بالألطاف الإلهيّة و مُسدّدًا بالعنايات المهدويّة، فسماحته قدس سره من كبار فحول العلماء الربانيّين و أعلام الأولياء الإلهيّين و صاحب علمٍ و بصيرةٍ، فكان حريًّا بكلّ كلمةٍ من كلماته أن تكون نورًا يمشي به المؤمنون في ظلمات الغَيبة، فهذه الكلمات تمثّل خارطة الطريق لهم في ارتباطهم و تقرّبهم إلى الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف و في سيرهم و سلوكهم إلى الله عزّ و جلّ. و أمّا ارتواء هذه البذور الّتي سرعان ما غدت أشجارًا مثمرةً، فكان من ماءٍ مَعينٍ يتدفّق من حوض الكوثر عليها، إذ إنّ هذه الكلمات حصيلة عمرٍ مديدٍ وكاملٍ قضاه سماحته قدس سره في خدمة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، متمسّكًا بولايته و متتبّعًا لخطاه، فأحسن ارتباطه به عجّل الله فرجه الشريف حتّى بات مقرّبًا إليه و مُسدَّدًا منه.

تجدر الإشارة إلى نقطةٍ مهمّة، و هي أنّ كلمات آية الله الشيخ البهجة قدس سره الّتي ذُكرت في هذه الحديقة كانت شفهيّةً تُلقى في مجالس الدرس، و المخاطَبين كانوا من طلبة البحث الخارج و هو أعلى مستوى في الدراسات الحوزيّة، فهُم بطبيعة الحال مطّلعون على الروايات و الإشارات، لذا كانت بيانات سماحة الشيخ قدس سره مختصرة جدًّا و لم يكن سماحته قدس سره في مقام الاستدلالات التفصيليّة أو البيانات التوضيحيّة. و حفظًا لأمانة النقل ـ و لا سيّما أنّها كلماتٌ صادرة عن عالمٍ ربانيّ ـ فإنّنا في التدوين لم نُخرج تلك البيانات عن حالتها الشفهيّة. و مع أنّ ذلك قد زادها حلاوةً و سلاسةً على العقول و القلوب، إلّا أنّها قد تكون أحيانًا خارجة عن الأسلوب المعهود للنص المكتوب، و لا سيّما في الروضة الثانية عشرة الّتي هي عبارةٌ عن مجموعةٍ من الأسئلة و أجوبتها. فإنّ معظم أسئلة هذه الروضة يعود لِما كان يطرحه الطلّاب الأفاضل بعد نهاية درس سماحته قدس سره. كما أنّ زمن الأسئلة يرجع إلى المدّة الأخيرة من عمره الشريف حين ناهز التسعين سنة، فلم يكن قادرًا على إطالة الكلام، هذا فضلًا عن أنّ أسلوب سماحة الشيخ قدس سره أساسًا يقوم على مبدأ الاختصار و الإجمال، إذ

كان كلامه مصداقًا لمقولة: «خير الكلام ما قلّ و دلّ». و لهذا فإنّ القارئ الكريم سوف يلاحظ أنّ أجوبة سماحته ﷺ هي بمنزلة إشاراتٍ و تلميحاتٍ لا أنّها أجوبةٌ تفصيليّة، و هذا ما دفعنا في بعض المواضع إلى كتابة هوامش مفصّلة، لأنّ بياناته ﷺ كانت تحتوي على بطون علميّة عميقة جدًّا لا بدّ من تبيانها، كما أنّ بعضها الآخر احتاج إلى شرحٍ لإيضاح مقصوده، مع محاولتنا قدر الإمكان مراعاة الاختصار في كتابة الهوامش العلميّة الدقيقة و البحث التحليليّ العميق، لكن يجب القول إنّ انتفاع القارئ بكلمات سماحة الشيخ ﷺ يكتمل بقراءة الهوامش الموجودة و الشرح المرفق بها[1].

و هناك ملاحظة أخرى تجدر الإشارة إليها، و هي أنّ القارئ الكريم قد يجد تكرارًا لبعض القصص المذكورة في كلمات سماحة الشيخ ﷺ خاصّة أنّها لم تكن صادرة عنه في مجلسٍ واحد. و مع محاولتنا حذف التكرار قدر المستطاع، و لكن سبب ذكر الموضوع نفسه أو القصّة نفسها عدّة مرّات في بعض المواضع يعود أوّلًا إلى أنّ سماحة الشيخ ﷺ كان يتعمّد ذكر بعض القضايا في أكثر من مجلس بسبب أهمّيتها البالغة و ما تحتويه من الفوائد، و قد حاولنا تسليط الضوء على هذه المواضيع المهمّة. و ثانيًا لأنّ بعض الكلمات تكون فيها إشارات و توجيهات إضافيّة فاقتضى التكرار لتتمّ الفائدة.

الحديقة الخامسة:

بعد انشراح الصدور بمعرفة إمام الزمان ﷺ و الإبحار في معرفة عبده و وليّه الشيخ البهجة ﷺ و الحظوة بمعرفة الطريق الّذي سلكه و الحياة الّتي عاشها مع إمامه ﷺ و ما نطق به من جواهر الكلمات، نصل إلى حديقة اللقاءات، حيث معرفة بعض الدرجات الّتي بلغها سماحته ﷺ نتيجة المثابرة على العمل بأقواله و صدق نيّاته و إخلاصه في سعيه. فهذه الحديقة الغنّاء قد تزيّنت بالنرجس و الريحان، و توسّط نجوم سمائها بدرُ التمام، فالتمسنا

---

(١) اتّبعنا في كتابة الهوامش أسلوبًا من الجيّد لفت النظر إليه، أوّلًا: في خصوص الكتب الّتي لها اسمٌ واحد لكنّها تعود لأكثر من عالِم، ككتابَي «الغَيبة» اللذَين يكون أحدهما للشيخ النعمانيّ ﷺ و الآخر للشيخ الطوسيّ ﷺ، فإنّنا بعد ذكر اسم الكتاب حدّدنا مؤلّفه. ثانيًا: لقد ذكرنا الاسم الكامل للكتاب عند أوّل رجوع إليه، ثمّ في المرّات التالية اكتفينا بذكر الاسم المشهور، على سبيل المثال: كتاب «بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمّة الأطهار ﷺ» ذُكر هكذا كاملًا في المرّة الأولى، ثمّ اعتمدنا اسمه المشهور «بحار الأنوار» في سائر المواضع. ثالثًا: في خصوص الروايات المذكورة في متن الكتاب، فإن كانت مطابقة لما هو مذكور في المصدر، اكتفينا بكتابة عنوانه، و إن كان نقلها بالمضمون أو بالاقتباس، أشرنا إلى مراجعة المصدر و استعملنا رمز: (راجع).

نورًا من بعض تلك اللقاءات الّتي وصلت إلينا أخبارها، و كثيرٌ منها ظلّ مكنونًا في طيّ الكتمان، إذ إنّ سماحة الشيخ ﷺ كان كَتومًا جدًّا و لا يتكلّم أبدًا عمّا بلغه من مقامات.

الملحقات:

و هي تتضمّن سبعة مباحث علميّة حول بعض المواضيع الّتي طُرحت في الكتاب، و الّتي تحتاج إلى شرحٍ و بيان. فتصدّى لتوضيحها المحققون الأعزّاء في المركز. و بما أنّ غالبية المستفيدين من هذه الملحقات هم من أهل العلم لتخصصّها، ممّا يحول دون استفادة جميع القُرّاء الكِرام، إرتأينا فصل هذه الملحقات في قسمٍ مستقلّ عن الحدائق.

فلله الحمدُ و له الشكر على عظيم منّه أن هدانا للإيمان و ولاية الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، الثاني عشر من أوصياء خاتم الأنبياء محمّد ﷺ. و نشكر إمام زماننا و لولا نصره و تأييده لما تشرّفنا بإتمام هذا العمل المبارك، و لا ننسى أن نسأل الله تبارك و تعالى أن يرسل الرَوح و الريحان إلى أرواح العلماء الماضين الّذين بسطوا موائد المعرفة بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ألّفوا كتبًا تتضمّن رواياتٍ حول حضرته، ليصل إلى المؤمنين ما يُحيي قلوبهم و يقر أعينهم من بشائر و أخبار حوله، و من هؤلاء العظام نذكر الصدوق[١] و النعمانيّ[٢] و الطوسيّ[٣] و سائر مشايخنا العظام[٤] الّذين جدّوا و اجتهدوا في هذا الطريق العابق بعطر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و المزهر بالإخلاص وصولًا إلى النيليّ النجفيّ[٥] و الحرّ العامليّ[٦] و المجلسيّ[٧] و البحرانيّ[٨]

(١) صاحب كتاب «كمال الدين و تمام النعمة».

(٢) صاحب كتاب «الغَيبة».

(٣) صاحب كتاب «الغَيبة».

(٤) هم كُثُر يتعذّر علينا إحصاؤهم و ذكر أسماء جميعهم في هذه العجالة، لكن الله تعالى قد أحصاهم و أخفى لهم ما تقرّ به أعينهم. فلله درّهم و عليه أجرهم.

(٥) صاحب تأليفات كثيرة، أمّا ما وصل إلينا من آثاره حول الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف فكان ثلاثة كتبٍ هي: «منتخب الأنوار المضيئة في ذكر القائم الحجّة عليه السلام» و «السلطان المفرّج عن أهل الإيمان فيمن رأى صاحب الزمان عليه السلام» و «سرور أهل الإيمان في علامات ظهور صاحب الزمان عليه السلام».

(٦) صاحب كتاب «الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة».

(٧) الّذي جمع في جزء من كتابه «بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمّة الأطهار عليهم السلام» مجموعة من الروايات المتعلّقة بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

(٨) الّذي جمع في جزء من كتابه «عوالم العلوم و المعارف و الأحوال من الآيات و الأخبار و الأقوال» مجموعة من الروايات المتعلّقة بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

و المحدّث النوريّ[1] و اليزديّ الحائريّ[2] و الموسويّ الأصفهانيّ[3] و النهاونديّ[4] و لا سيّما شيخنا المقدّس البهجة ﷺ الّذي أُعدّ هذا الكتاب استنادًا إلى كلماته القيّمة و منهجه العلميّ و العمليّ حول الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و نسأل الله تعالى أن يبارك في هذا الكتاب بحُرمة وليّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، بحيث لا تنحصر استفادة المؤمنين منه في زمن الغَيبة فحسب، بل يجعله نباتًا حسنًا ليُستفاد منه بعد الظهور المبارك أيضًا، ذلك أنّه يتضمّن فوائد و إشارات مهمّة في معرفة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف و طريق السلوك إليه، و الحاجة إلى معرفة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا تنحصر في زمان الغَيبة فحسب، بل حتّى في زمن الحضور يجب على المؤمن أن تكون له معرفة بإمام زمانه عليه السلام و مقاماته. فأبشر أيّها القارئ الكريم، الّذي تلتمس في مطالعتك لهذا الكتاب علمًا و معرفةً بإمام زمانك عليه السلام، ها هي الملائكة تضع أجنحتها لك رضيً بما تصنع، لتحلّق بك، و تزفّك إلى «**حدائق ذات بهجةٍ**» كما تزفّ العروس إلى خدرها، و قِفْ هنيهةً و تذوّق شهدًا أحلى من العسل، ثمّ سِرْ مباركًا و احبر في حدائق «**بهجة الحجّة**» و روضاته، قد صلّى الله عليك و ملائكتُه ليخرجك من ظلمات الغيبة و الحيرة إلى نور القرب و حضرة بقيّة الله الأعظم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و يكحل ناظرَيك بنظرة إلى عين الله الناظرة.

اللهم كما شرّفتنا بهذا التشريف و فضّلتنا بهذه الفضيلة و خصصتنا بهذه النعمة فصلِّ على مولانا و سيّدنا صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف و عجّل فرجه و بلّغه عنّا أفضل التحيّة و السلام و أوصل هديّتنا إليه، و لا تفرّق بيننا و بينه طرفة عينٍ أبدًا، و مُنّ علينا برضاه، و تقبّل عملنا بحقّ مَن بولايته تُقبل الأعمال و تُزكّى الأفعال و تُضاعف الحسنات، و صلِّ على آبائه الأئمّة الهادين و القادة الميامين، صلاةً ناميةً زاكيةً مباركة، يصعد أوّلها و لا ينفد آخرها، و بلّغهم اللهمّ عن جميع المؤمنين و المؤمنات و عن آبائنا و ذرّيّاتنا من الصلوات زنة عرشك و مداد كلماتك و ما أحصاه علمك و أحاط به كتابك. اللهم أرنا وجه وليّك الميمون في حياتنا

---

(١) الّذي ألّف ثلاثة كتب قيّمة مرتبطة بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، هي «النجم الثاقب» و «جنّة المأوى فيمن فاز بلقاء الحجّة عليه السلام» و «كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار».

(٢) صاحب كتاب «إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف».

(٣) الّذي ألّف ثلاثة كتب قيّمة مرتبطة بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، هي «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام» و «وظيفة الأنام في زمن غيبة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف» و «نور الأبصار في فضيلة الانتظار».

(٤) صاحب موسوعة «العبقريّ الحسان في أحوال مولانا صاحب الزمان عليه السلام» الّتي تُعدّ من أكبر ما دُوِّن حول الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ينبغي للمؤمنين مطالعتها و الاستفادة منها.

و بعد المنون، و انفعنا بحبّه و احشرنا في زمرته و تحت لوائه، و أحينا في دولته ناعمين، و بصحبته غانمين، و اجعلنا من خير أنصاره و أعوانه و المسارعين إليه في قضاء حوائجه و الممتثلين لأوامره و السابقين إلى إرادته و المستشهَدين بين يديه، و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

١٥ شعبان المعظم ١٤٤٣ للهجرة

ذكرى ولادة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ
أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ

الحَدِيقَةُ الأُولَى:

كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ

أَصْلُهَا ثَابِتٌ: عَيْنُ اللهِ النَّاظِرَةُ
فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ: قُرَّةٌ لِلعَيْنِ

الروضة الأولى:

«عين اللّه النّاظرة»

قبل الطلوع



العين الإلهيّة

كان الإمام عليّ الهادي عليه السلام جالسًا بوقاره المعهود، تغشاه الطمأنينة و يتلألأ في وجهه النور، و إلى جواره ابنه الحسن الأثير على قلبه. و كان الإمام عليه السلام من عقر داره في سامرّاء المحاصرة بالعتاد و الجنود، يرى البحر و ما يجري فيه، و ينظر إلى ذلك الزورق الّذي يوشِك على أن يرسو في مرفأ بغداد. و مع أنّ البحر لا يُرى من تلك النقطة، لكنّ الأميال و المسافات الطويلة الّتي تفصل مدينة سامرّاء عن البحر لا تحول دون نظر الإمام الثاقب و معرفته بأخبار البرّ و البحر.

كان قد مضى زهاء تسعة عشر عامًا منذ سنة ٢٣٤ للهجرة حينما نفى المتوكّلُ الإمامَ عليه السلام من مدينة جدّه صلى الله عليه وآله و جاء به إلى سامرّاء و أخضعه للإقامة الجبريّة، ليكون قريبًا منه فيراقب

جميع حركاته و سكناته. فقد كانت هذه المدينة كالمعسكر الكبير لدى الخليفة العبّاسيّ، إلّا أنّ توزّع العساكر و الجواسيس كان أكبر في المحلّة الّتي فيها دار الإمام الهادي عليه السلام و أهل بيته و الهاشميّون، حتّى باتت كالثكنة العسكريّة الّتي ينتشر فيها الجنود كانتشار الجراد، فاقترن اسم «العَسكر» بهذه المحلّة تحديدًا، كما أُطلق عليها «درب الحصا». و قد جاءت عقيلته المخلصة السيّدة «حديثة» الملقّبة بسوسن برفقته إلى سامرّاء، وكانت تعيش معه، و هي الّتي كانت تتمتّع بصفات معنويّة و روحيّة فذّة، وكان الإمام عليه السلام يقول عنها إنّها مسلولة من الآفات و الأرجاس و الأنجاس. وكان للإمام أربعة أبناء، أكبرهم «محمّد» الّذي مرض سنة ٢٥٢ للهجرة في مستهلّ سفره إلى أرض الحجاز و قضى نحبه، و «الحسن» الّذي كان يكنّيه بأبي محمّد و الّذي كانت له من بين إخوته محبّة خاصّة في قلب والده وكان يؤثره عليهم لحكمةٍ يعلمها. وكان الابن الأكبر محمّد قبل وفاته نعم الابن لأبيه، فكان بارًّا به و مطيعًا له. كما كان ردءًا لأخيه الحسن و معترفًا بفضله، وكان حبّه له و معرفته به يضاهيان حبّ أبي الفضل العبّاس لأخيه الإمام الحسين عليه السلام و معرفته به. وكان للإمام الهادي عليه السلام ولدان آخران هما حسين و جعفر. وكان جعفر شخصًا غير متّزن، و حتّى عند ولادته لم يكن والده الإمام الهادي عليه السلام فرِحًا بقدومه، لعِلمه بحاله و مآله، و قال بأنّه سوف يضلّ عددًا كبيرًا من الناس في المستقبل!

وكان الإمام عليه السلام في مدينة سامرّاء حِلس بيته و يصعب عليه التواصل العلنيّ مع أحد، و لذلك كان يوكِل أكثر مهامه إلى نوّابه، و لا سيّما منهم عثمان بن سعيد الّذي كان يتردّد إلى بيت الإمام عليه السلام تحت غطاء بائع زيوت. لم يكن للإمام جريرةٌ أو ذنبٌ سوى أنّ لحمه من لحم النبيّ صلى الله عليه وآله و دمه من دمه، و أنّه ابنه و بضعةٌ منه، و أنّه وارث علمه و حكمته الّذي هوَت إليه أفئدة الناس، وكان هذا في حدّ نفسه أكبر تهديد للخليفة العبّاسيّ، لأنّه كان يعلم جيّدًا مكانة الإمام عليه السلام و أنّه أولى منه بالخلافة من جميع الجهات. و مع أنّ الإمام عليه السلام كان يعمل بأعلى درجات التقيّة و لم يقم بأيّ أمرٍ أو حركةٍ ضدّ الخليفة و لم يكن له حتّى أدنى نيّة على مناهضة الحكومة، إذ لم يكن مأذونًا له من قِبل الله تعالى، وكان يعلم أنّ أمر ذلك يكون إلى حفيده القائم من آل محمّد صلى الله عليه وآله الّذي بشّر بقيامه الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام بأجمعهم، إلّا أنّ الخليفة لم يقرّ له قرارٌ حتّى أتى به من الحجاز إلى العراق و إلى هذه المدينة و هذه المنطقة تحديدًا.

و كان المتوكّل يسجن الإمام عليه السلام من وقتٍ إلى آخر، و في إحدى تلك المرّات و مع أنّ أحدًا لم يكن يجرؤ حتّى على ذكر اسم المتوكّل، إلّا أنّ الإمام عليه السلام من داخل سجنه أخبر بهلاكه بعد ثلاثة أيّام. و قد حصل ذلك بالفعل، فقد أجهز عليه نجله المنتصر في اليوم الثالث و تسلّم زمام الخلافة بعده. و أصبحت كلّ الأمور بعد المتوكّل إلى حدٍّ ما بأيدي القادة الأتراك، فكانوا ينصّبون الوزراء و يعزلونهم كيفما أرادوا، فمنحوا الدور بعد المنتصر إلى عمّه المستعين ثمّ إلى المعتزّ في سنة ٢٥٢ للهجرة، و هو أصغر أبناء المتوكّل، ليتبجّح بتفنّنه في ممارسة الظلم و الجور. و كان قد سلك بدوره نهج أبيه المتوكّل و أثار موجة من الاعتقالات، و كان في الغالب يلقي القبض على العلويّين و الشيعة و المعارضين للسلطة العبّاسيّة و يزجّ بهم في السجون و يسومهم ألوان العذاب.

لكن لم يكن الحصار و لا التضييق الشديد ليمنعا الإمام عليه السلام من أداء مهامه الإلهيّة، فكان من قلب سامرّاء ينظر إلى القلوب الطاهرة في كلّ أنحاء العالم و يجذبها إليه. أمّا اليوم، فهو يترقّب وصول ضيفته العزيزة، صاحبة القلب النقيّ، بعد أن رسم لها خطّة الوصول إلى ناحيته بكلّ دقّة و لم يفُتْه أيّ تفصيل، مطمئنّ البال و ساكن الروح، إذ إنّ التقدير الّذي خُطّ بقلم القضاء الإلهيّ لا يشوبه أدنى نقصٍ. هدفه أن يأتي بالطاهرة إلى مدينته، و كان لا بدّ له من إرسال علامةٍ مُطَمئِنة إليها مع شخصٍ أمين. و بعد بضع دقائق، أرسل الإمام عليه السلام كافور في طلب أحدهم، و ها هو ينتظر عودته وافر اليدَين.

الأميرة المغمورة

تلك الفتاة الطاهرة الّتي قد شغفها حبّ ابن الأطايب المطهّرين، و استبصرت طريق الحقّ على يديه لم يعد لها من غايةٍ سواه، فاتّبعت السبيل إليه على وفق الخطّة الّتي أُخبِرت بها. فإنّ الّذي أرشدها إلى هذه المغامرة قد أحاطها علمًا بأدقّ التفاصيل، من هيئة الثياب الّتي عليها ارتداؤها، إلى الطريق الّذي يتعيّن عليها أن تسلكه. و مع أنّها الأميرة المدلّلة، لكنّها تتمنّى أن تغدو جاريةً له، فقد سلّمته القلب منذ أمد.

و قبل مدّة قصيرة بدأت مسيرها إليه، فخرجت من جناحها الخاصّ في القصر بثيابها الملكيّة الفاخرة، و كان الفناء الداخليّ من القصر قد عمّه شيءٌ من الهدوء و الصمت و السكون؛ لأنّ أكثر الجنود قد اجتمعوا خارج القصر. ثمّ شقّت طريقها نحو جناح الخدم،

و اغتنمت فرصة مناسبة لا يراها فيها أحد، فدخلت حجرة الخادمات و سارعت إلى استبدال ثيابها الملكيّة بثيابٍ قديمة كانت قد أعدّتها لهذا الغرض مسبقًا. و مثل عادة بعض النساء، ألقت بالخمار على وجهها كي تخفي هويّتها. ثمّ خرجت من جناح الخدم و توجّهت نحو الباب الرئيس المفضي إلى خارج القصر مخلّفةً صالات القصر و باحاته وراءها واحدة تِلو أخرى. و بفضل الله لم يشكّ فيها أحد؛ لأنّ أكثر الخدم خرجوا من القصر لخدمة جيش الروم، و الآخرون كلٌّ كان منهمكًا و مشغولًا بشأنه؛ فخرجت من القصر و لم يلتفت إليها أحد.

في ذلك الوقت، كان جيش الروم يستعدّ للتوجّه نحو أراضي المسلمين الواقعة في شمال العراق. فمنذ عام ٢٤١ للهجرة كانت هناك مناوشات و حروب محتدمة بين العبّاسيين و الروم، و استمرّ ذلك إلى ما يقارب العشر سنوات، و لا سيّما مع الروم الشرقيّة أي بيزنطة، و كان كلّ واحد من الطرفين يهاجم عدوّه من حينٍ إلى آخر. و بعد وفاة إمبراطور الروم ثيوفيلوس، ترأّس الإمبراطوريّة ابنه ميخائيل الثالث، لكن لصغر سنّه أصبح خاله بارداس نائبًا للإمبراطور و أطلقوا عليه لقب القيصر. و نظرًا لِما كانت تتّصف به المعركة من الأهمّيّة و الحساسية، فقد ارتدى بارداس لأمة الحرب بنفسه، و توجّه إلى مواقع القتال على رأس قادة الجيش. و قبل الانطلاق تفقّد قائد الجيوش جنوده و أجرى الإحصاء الأخير ليتأكّد من حضور الجميع. كما اصطحبوا معهم مجموعةً من النسوة و الجاريات ليقمنَ بمعالجة الجرحى و إعداد الطعام للعساكر طوال مدّة الذهاب و الإياب.

أمّا تلك الأميرة الطاهرة المستترة بثياب الخدم، فقد استطاعت الانضمام إلى جماعة النساء الخادمات خفيةً بعد أن التحقت بركب الجيش من خلال طريقٍ فرعيّ قليل المارّة. و لم تكن تتحدّث إلّا عند الضرورة كي لا يعرفها أحد، و كانت تبذل كلّ ما بوسعها لتسلك سلوك الجاريات و الحديث مثلهنّ، لكنّ نبرتها الروميّة الأصيلة و لهجتها الحضاريّة و سلوكها المؤدّب و الوقور كانت تثير شيئًا من الريبة. و مع أنّها لم تكن قد تجاوزت سنّ الرابعة عشرة، إلّا أنّها كانت تتمتّع بوقارٍ و وعي عجيبَين. و لكي لا ينكشف أمرها كانت تحرص ـ على غِرار سائر الخادمات ـ على امتثال كلّ أمرٍ يصدر عن كبيرات الطاهيات و الممرّضات. و لم يكن أحدٌ ممّن حولها يدرك أنّها حفيدة القيصر الّذي يبعد عنها بضع خطوات و يترأّس هذا الجيش الضخم، و الّذي يخشاه الجميع و يُصدر أوامره و نواهيه

فتُطاع بكلّ خضوع. و عندما كان العساكر و ذوو الرتب يأتون لتفقّد مخيّم النساء، كانت تنسحب جانبًا كي لا يراها أو يتعرّف إليها أحدٌ منهم. و باختصار، فإنّها كانت ـ خلافًا لكلّ شخصٍ مرموقٍ و ذو شأنٍ عظيم ـ تسعى ما أمكنها لإخفاء هويّتها الحقيقيّة.

و فجأة ارتفعت أصوات الطبول و صكّت الأسماع. فوقف كلّ من كان جالسًا، و من كان واقفًا أخذ يعدّ راحلته، و بدأت الرحلة الزاخرة بالأحداث. كان الجدّ يعلم أنّه قد أقدم على سلوك مسارٍ حافلٍ بالمخاطر، فقد سبق لجيش المسلمين أن لقّنه دروسًا لا تُنسى، لكنّه لم يكن يعلم أنّه قد صحب معه هذه المرّة فلذة كبده و أميرته الصغيرة المدلّلة في هذه الرحلة. لم تكن حفيدته الأثيرة على قلبه قد برئت من مرضٍ صعبٍ و عضال إلّا مؤخّرًا، و لم يكن الجدّ يرغب في تعريضها إلى أدنى خطر أو أن تكون مدّة هذا الشفاء و الراحة من المرض قصيرة. فقد كان يحمل في قلبه من الحبّ لها، بحيث إنّه أكرم الكثير من المسلمين الّذين أسرهم بعد حربٍ ضروس، نزولًا عند رغبتها و تلبيةً لطلبها و إدخالًا للسرور على قلبها.

مضى على جيش الروم عدّة أيّام و هو في طريقه إلى الحرب، و كان يعلم إلى حدّ ما الموقع الّذي سيحطّ فيه رحاله، لكنّ مشقّة الطريق وحدها قد استهلكت نصف طاقة الجيش. كانت قافلة العساكر تواصل تقدّمها و لحظة المواجهة تقترب شيئًا فشيئًا. و فجأة أبصرت طلائع الجيش المتقدّمة على سائر الجنود سوادة تراءت من بعيد، و أخذت تكبر بالتدريج؛ فأيقنت أنّها أمام جيشٍ كبيرٍ و في غاية القوّة و المنعة. فعادت هذه الطلائع مسرعةً و رفعت تقريرها إلى بارداس بمكان تجمّع المسلمين و انتشارهم، و العدد التقريبيّ لهم اعتمادًا على ما شاهده الجنود بأعينهم و توصّلوا إلى تقديره بحكم الخبرة و التجربة. فعيّن قيصر الروم موضعًا مناسبًا لتموضع جنوده على عجل، و أقام مخيّمًا للنساء و مجموعة الدعم اللوجستيّ في الخلف، فيما عبّأ الجيش صفوفه و نظّمها. ذُكّرت القوّات بأحدث التكتيكات القتاليّة و الحربيّة، و ألقى قادة الجيش آخر الخطب الحماسيّة الموجزة بهدف إثارة همم المقاتلين و حماسهم. و سرعان ما ارتفعت الأصوات بإطلاق الشعارات المشجّعة، و شيئًا فشيئًا توحّدت الهتافات و تناغمت الأصوات.

كانت هذه الشعارات و الهتافات العسكريّة قد أضفت أجواءً عجيبة على مخيّم النسوة المسعفات و الطاهيات، إذ دفعتهنّ إلى الطمأنينة و التفاؤل. و لكنّهنّ في الوقت نفسه كنّ يعلمن أنّه في حال انكسار جيش الروم و هزيمته، سيكون احتمال وقوعهنّ في الأسر قائمًا،

و عندها ليس معلومًا ما سيؤول إليه مصيرهنّ. و في البين كانت الأميرة الّتي تستر مُحيّاها تعيش شعورًا مختلفًا بالكامل، إذ لم يكن ليُفرحها انتصار جيش الروم، و لم تكن تعيش هاجس الوقوع في الأسر. و مع أنّها تنتمي إلى أسرةٍ أرمنيّة مسيحيّة، و لكنّها كانت ترجو النصر للمسلمين؛ لأنّها تعلم أنّ السيّد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قد بشّر بمجيء نبيّ في آخر الزمان، و لذلك كانت مؤمنة به. و إنّ ثقتها و اعتمادها على ذلك الشخص الّذي دفعها لخوض هذا المسير قد ملأ صدرها بالطمأنينة و التسليم، فلم تجد في نفسها ذرّة خوفٍ و لم يرفّ لها جفن.

طريق الحرّيّة

لقد أنفق الإمبراطور الروميّ الكثير من الوقت و الجهد في وضع خطّة حربٍ مضادّة، لكن يبدو أنّ إرادة الله تعالى كانت تسير في منحى آخر. فقد تبيّن أنّ جيش المسلمين في العدّة و العدد أكبر ممّا كان يحتسب، فكانت عساكر الروم عاجزةً عن السيطرة على مجرى الحرب و الحدّ من قوّة المسلمين، في حين أنّ جيش المسلمين كان يواصل زحفه و تقدّمه و يشقّ صفوف جيش الروم شيئًا فشيئًا. أمّا أعين تلك النسوة المسعفات فكانت ترقب بقلقٍ أيدي الجنود المسلّحة، عسى أن تتمكّن من صدّ هذا السيل الجارف الّذي شارف على الوصول إليهنّ، و لكن يبدو أنّ الأمر قد خرج عن السيطرة. و من بينهنّ تلك الأميرة الوقورة الّتي انتحت جانبًا و اتّخذت لنفسها مجلسًا في زاويةٍ من زوايا الخيمة، فلم تكن تنظر إلى غير يد معبودها الرؤوف الّذي سيهديها عاجلًا إلى طريق الحبيب.

فجأةً، لم ينتبه جيش الروم إلّا و جيش المسلمين قد مزّق صفوف ألويته و فرّق تنظيمه بنحو كامل، فكأنّ الجيش قد انهار و تلاشت كلّ تلك الحماسة و الشعارات الرنّانة السابقة الّتي كان يهتف بها الجنود، فأدرك قيصر الروم أنّ الوضع إذا سار على هذه الوتيرة سوف تكون التضحيات جسيمة. و لذلك فقد ضمّ عقله إلى عقول سائر القادة من كبار جيشه، و أخذ قراره الحاسم بإصدار أمر الانسحاب و التراجع. بدا الأمر و كأنّ جميع المقاتلين من الرومان كانوا ينتظرون صدور هذا الأمر بفارغ الصبر؛ إذ لم يكد يصدر أمر الانسحاب حتّى لاذ الجميع بالفرار. و مع ذلك لم ينجُ البعض منهم من الوقوع في الأسر، فكان سرعان ما يضع الرجل يدَيه فوق رأسه للدلالة على استسلامه، و كان بين هؤلاء الأسرى بعض أصحاب الرّتب

العسكريّة العالية. و لم تكد بعض النسوة من وحدة الإسعاف يحزمن أمتعتهنّ حتّى وجدن أنفسهنّ محاصرات و قد وقعن في الأسر. وكان الخوف قد استولى على وجود الروميّين المحاصرين من كلّ جانب، أمّا الأميرة المغمورة فكانت لا تزال رابطة الجأش، تراقب الأحداث بشغفٍ و كأنّ نجاتها في هزيمة جيشها، فلم ينقص شيءٌ من عنفوانها و تماسكها.

و هنا بدأت عمليّة إحصاء الغنائم، و لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتّى نادى أحد قادة المسلمين على الأسرى من الرومان بالاصطفاف في خطٍّ واحد، فلم يكن أمامهم من خيار سوى الامتثال و الطاعة، فكانوا يتقدّمون إلى الأمام واحدًا تلو آخر. و في تلك الأثناء، كانت القرعة تُجرى بين المقاتلين المسلمين، فعلى من ترسو القرعة تكون الغنيمة المعيّنة من نصيبه. وكان الأمر صعب التحمُّل على الأسرى الرومانيّين فامتلأ الفضاء بضجيجهم و آهاتهم. و في وسط كلّ ذلك الصخب، كانت الأميرة اليافعة لا تزال تعيش حالةً من الهدوء و الطمأنينة العجيبة. و في نهاية المطاف وصل الدور إليها، فتقدّمت إلى الأمام، و لم تكن تنظر إلى أيّ أحد، وكان لها من الوقار و الاستقامة و الصلابة، بحيث اضطرّت جميع الحاضرين إلى غضّ الطرف من تلقاء أنفسهم. كانت رزانتها و هيبتها و وقارها قد هيمنت و تفوّقت على صغر سنّها و ثوبها المترّب و البالي. سُحبت القرعة و هي تعلم علم اليقين أنّ مصيرها لم يكن معقودًا بحبال الحظّ، و أنّ قلم قرعتها سوف يُوَجّه بهدايةٍ من الله سبحانه و تعالى. و هكذا خرجت القرعة باسم شيخٍ كبير، طاهر السمت و نقيّ السريرة.

على مسار النهر

كان الكثير ممّن أصابوا الإماء و العبيد من غنائم الحرب، يفضّلون الحصول على الأموال بدلًا من الاحتفاظ بهم. و لذلك كان السماسرة و النخّاسون يقصدونهم و يشترون منهم الرقيق بأبخس الأثمان، ثمّ يبيعونهم في أسواق النخاسة بأسعار باهظة. و لمّا علم «عمر بن يزيد» بوقوع الكثير من الأسرى في أيدي المسلمين في المعركة الأخيرة، سارع بذكاءٍ ليصل قبل الآخرين إليهم، و تمكّن بواسطة مماكساته من شراء الكثير من الإماء. وكان الشيخ الكبير الّذي صارت تلك الأميرة الأسيرة من نصيبه يفكّر في بيعها. و مع أنّه لم يكن يحصل منها على أيّ معلومةٍ عن نسبها و حسبها مهما أمعن في السؤال وكرّره، لكنّه كان يرى فيها ملامح الشرف و النبل و أصالة المحتِد، و فطِن بذلك إلى أنّ ما بحوزته جوهرة ثمينة و طاهرة، و لذا

أخذ يبحث عن شارٍ لها يكون منصفًا و رحيمًا في الوقت نفسه؛ حتّى يحصل من جهةٍ على سعرٍ يرضيه، و من جهةٍ أخرى لا يجحف ظلمًا في حقّ هذه الفتاة اليافعة النجيبة. و عندما تكلّم مع عمر بن يزيد بشأنها، وجد أنّه لم يكن خبيثًا، و بالإمكان التعامل و التوافق معه. فماكسه على السعر، و بعد أن قبض الثمن، أوكل إليه رعاية الفتاة العفيفة.



كان عمر نخّاسًا حذقًا و يعلم أنّه إذا أراد بيع الإماء بسعرٍ جيّد، تعيّن عليه الذهاب بهنّ إلى سوق بغداد العامرة. و لذا جمعهنّ وتوجّه بهنّ إلى شاطئ نهر دجلة، وهو النهر الّذي ينبع من تركيا، و يمرّ بسامرّاء و بغداد، ليصبّ في الخليج. تحدّث مع أحد الملّاحين و اتفقا على السعر و المقصد، ثمّ حُمِلت الإماء على متن زورقٍ لينطلق بهنّ من شمال العراق نحو بغداد.

و منذ اللحظة الّتي وضعت الأميرة فيها قدمَيها على سطح الزورق أسلمت أمرها لله و جدّدت توكّلها عليه سبحانه، و لم يكن في قلبها الطاهر أيّ قلقٍ على شيءٍ سوى حفظ حرمتها و سترها. ثمّ ما لبثت أن اتّخذت زاويةً خالية على ظهر الزورق لتجلس فيها بسكينة و وقار. و مَثلها كمَثل أمّ موسى عندما ألقت بوليدها في النهر و توكّلت على الله تعالى، فقد سلّمت هذه الفتاة الطاهرة مسيرها و مصيرها إلى هذا النهر المتعرّج، مطمئنّةً إلى أنّ معبودها العطوف مدبّر أمرها و حافظها إلى حين وصولها إلى منزل معشوقها. كان صدرها مليئًا بكلامٍ لا يمكن البوح به، و بتنهيدةٍ خفيّةٍ استغرقت الفتاة مدّةً في أفكارها الملكوتيّة، إلى أن وجدت نفسها في منتصف المسير و لا ترى حتّى مدّ البصر سوى الماء العذب المحيط بها من كلّ جانب. كان هدير النهر المائج يشتدّ كلّما ضاق عرض النهر، و كأنّ قطرات الماء تتسابق فيما بينها لتصل إلى ديار المعشوق قبل غيرها، حتّى كأنّ كلّ شيءٍ حولها يشاركها أحاسيسها.

مرّ الزورق في مسيره بالكثير من المُدن، إذ يشرف النهر على الكثير من المناظر المتنوّعة و الخلّابة، ما بين الحقول و المزارع و البوادي و الجبال إلى البيوت و المناطق العامرة. بَيد

أنّ الفتاة اليافعة كانت ترى نفسها على طول الطريق في حضرة محبوبها، و لم يشغل اهتمامها أو يلفت انتباهها أيّ شيءٍ آخر سواه.

مَهمّةٌ خاصّة!

منذ وقت قصير، كان الإمام الهادي عليه السلام قد أرسل خادمه «كافور» في طلب المؤتمَن على العلامة الّتي سيوصلها إلى ضيفته الكريمة. و كان قد مضى هويٌّ من الليل عندما تناهى إلى سَمع «بِشر» صدى قرع الباب. لم يكن يعلم مَنِ الطارق، و مع ذلك خفقَ قلبُه لا إراديًّا، كأنّه شعر بأهمّيّة الشخص الواقف وراء الباب، فعدا مسرعًا و خطواته تتسابق ليرى مَن الطارق.

لقد أقبل في ذلك الوقت المتأخّر من الليل كي لا يُرى، نظر إلى ما حوله، و قال بصوتٍ خافت:

ـ السلام عليك يا بِشر!

فردّ السلامَ عليه و طلب إليه أن يدخل. كان بِشر منشغلًا بالترحيب و تفقّد الأحوال على مألوف عادته، حين قطع كافور عليه كلامه و قال مباشرةً من دون مقدّمات:

ـ إنّ مولانا الهادي عليه السلام يستدعيك!

قال ذلك ثمّ توارى سريعًا قبل أن يراه رجال الأمن. فهِم بِشر من لحن كلام كافور أنّ لديهم عملًا مهمًّا معه.

ألقى رداءه على كتفيه بسرعة، مُيمّمًا وجهه شطر بيت الإمام عليه السلام الّذي كان قريبًا من بيته، و مع ذلك تراءى له أنّ الطريق هذه المرّة قد طالت. كان يجتاز أزقّة سامرّاء واحدًا تلو آخر و ذهنه مُنصرفٌ عمّا حوله. و إنّها لكارثة حقيقيّة أن تكون في هذه المدينة الّتي يُمارَس فيها أعتى أنواع الظلم على الشيعة، و في محلّة العسكر تحديدًا، ثمّ تكون كما كان بِشر، مشتّت الحواس! فقد كان مستغرقًا في أفكاره، لا يلتفت إلى أعين الجنود و لا ينشغل بها، إذ كانت تراوده الكثير من الأسئلة، لكنّ السؤال الّذي كان يشغل باله أكثر هو أيّ أمرٍ مهمّ يريده الإمام عليه السلام منّي في هذا الوقت من الليل حتّى أَرسل كافور في طلبي؟! لم يكن بِشر كعامّة الناس، إذ كان يعلم يقينًا أنّ الإمام عليه السلام هو حجّة الله على خلقه، و لا يخلو عمله من وجه حكمةٍ بالغة. لقد نال شرف لقاء الإمام عليه السلام مرّاتٍ عديدة، لكنّ هذه المرّة تختلف عن

سابقاتها، فالإمام عليه السلام هو الّذي استدعاه! أيًّا يكن الأمر، ها هي نفحات عطر الجنان من منزل الإمام عليه السلام تتسلّل إلى كيانه و تُنعش بالحياة قلبه الّذي لم يعد مستقرًّا في صدره. كانت يده تطرق الباب و قلبه معها في كلّ طرقةٍ يرتجف. لقد كان شوقه شديدًا و قد عيلَ صبره حتّى حانت لحظة اللقاء أخيرًا. دخل بِشر إلى محضر الإمام عليه السلام فرأى بين يديه يراعًا و دواةً و قرطاسًا، و وجده يحدّث من وراء ستارٍ أخته السيّدة حكيمة و ابنه الحسن. و في تلك الأثناء، مالَ الإمام عليه السلام ببصره إلى بِشر. و ما إنْ وقع نظر الإمام عليه السلام على عينيه، حتّى شعر كأنّ الماء قد صُبّ على النار، فعاد الهدوء أدراجه إلى قلبه إلى أن سكن و اطمأنّ بنحوٍ كامل. لطالما انتابه مثل هذا الشعور سابقًا، و هو الّذي يُدرك أنّ نظرة الإمام عليه السلام الرحيمة هي نظرة الله سبحانه، و أنّه عليه السلام مرآة صافية ينعكس فيها الحنان السماويّ. من النظرة الأولى للإمام عليه السلام انسلخ عن الأشياء و الأمكنة، و انتقل إلى حالةٍ أخرى و فضاءٍ آخر بماهيّةٍ ملكوتيّة. فجأةً تناهى إلى سمعه عذوبة صوتٍ يُثلج الفؤاد. صوت غيث السماء، الغيثُ الّذي روى قلبه الظمآن:

> يا بِشر! إنّك من وُلد الأنصار، و هذه المُوالاة لم تزل فيكم، يرثها خلفٌ عن سلفٍ، و أنتم ثقاتنا أهل البيت، و إنّي مزكّيك و مشرّفك بفضيلةٍ تسبق بها الشيعة في المُوالاة بسرٍّ أُطلعك عليه، و أُنفذك في ابتياع أَمَة!

تفتّح الورد على وجنتَيْ بِشر، و استعدّ بقلبٍ يتوق متلهّفًا لتلقّي أمر الإمام عليه السلام. لقد عيلَ صبره، يريد أن يعرف تكملة القضيّة، مُنصتًا بكلّ جوارحه المسلّمة بالطاعة.

العنوان الدقيق

كان بشر لا يزال في محضر الإمام عليه السلام و هو ينتظر معرفة السرّ الّذي يريد أن يطلعه عليه. تناول الإمام يراعًا و قرّب المصباح إلى القرطاس، ثمّ غمس اليراع في الدواة و شرع على ضوء المصباح في كتابة كتابٍ مُلطّفٍ، و راح يخطّه بخطٍّ روميٍّ و لغةٍ روميّة. كان بِشر ينظر إلى ذلك الخطّ و النقش و هو مستأنس بتفنّن الإمام عليه السلام و ما يبذله من اللطافة و الإتقان في خطّ تلك الحروف الروميّة، كأنّه كان يريد أن يستميل قلب أحدهم. أخذ بِشر يحدّث نفسه بأنْ لا شكّ عندما يكون ظاهر هذه الكلمات منمّقًا و جميلًا فإنّ محتواها حتمًا أكثر جمالًا و جاذبيّة. ثمّ طبع الإمام عليه السلام عليه نقش خاتمه المبارك برقّةٍ تتناغم مع ضوء المصباح. لم

يستغرب بِشر من علم الإمام عليه السلام باللغة الروميّة، لأنّه كان يعلم أنّ علم الإمام عليه السلام من لدن حكيم عليم، و أنّه لا يعلم جميع لغات البَشَر فقط، بل إنّه يعلم لغات جميع المخلوقات، و هذا علمٌ ورثه من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وارث سليمان عليه السلام الّذي كان يعلم منطق الطير و البهائم و السباع. و بعد أن أصبح كلّ شيء جاهزًا، أخرج الإمام عليه السلام شُقّةً صفراء فيها مائتان و عشرون دينارًا، فسلّمها مع الرسالة إلى بِشر و قال له: خُذها و توجّه بها إلى بغداد و احضُر معبر الفرات ضحوةً يوم كذا، فإذا وصلت إلى جانبك زوارق السبايا و ترى الجواري فيها، ستجد طوائف المبتاعين من وكلاء قوّاد بني العبّاس و شرذمة من فتيان العرب، فإذا رأيت ذلك فأشرِف من البعد على المُسمّى عمر بن يزيد النخّاس عامّة نهارك، إلى أن تبرز للمبتاعين جاريةٌ صفتها كذا و كذا لابسة حريرَين صفيقَين، تمتنع من العرض و لمس المعترض و الانقياد لمن يحاول لمسها، و تسمع صرخة روميّة من وراء سترٍ رقيقٍ، فاعلم أنّها تقول: «وا هتك ستراه!».

أصغى بِشرٌ إلى كلام الإمام عليه السلام، و قد باتَ متيقّنًا بأنّ الإمام عليه السلام سيوكلُ إليه مَهمّةً ذات أهمّيّة بالغة، و فهِم أنّه المُنتجَب لهذه المَهمّة دون أهله و آبائه مع كونهم جميعًا من الصالحين، لكنّه لم يطّلع بعد على ماهيّة هذا الدور الموكَل إليه. كان بِشرٌ يعمل في مجال شراء الجواري و العبيد و بيعهم، وكانت هذه التجارة متداولة في تلك الأيّام، وكان يحدث فيها الكثير من الغش و الخداع. و أدناه أن يتمّ الإيقاع بشخصٍ بائسٍ غريب، فيوسعونه ضربًا ثمّ يبيعونه إلى الآخرين بوصفه عبدًا لهم. وكان بِشر وسط هذه المعمعة قد اتّخذ لنفسه مسلكًا نزيهًا وكان قد تعلّم من الإمام عليه السلام الأحكام الشرعيّة و الآداب المتعلّقة بعمله هذا. فلم يكن يبيع أو يشتري من دون إذن الإمام عليه السلام و رضاه، وكان يتجنّب أدنى مَواطن الشبهة، و يدقّق كثيرًا في مراعاة أحكام الحلال و الحرام. لم يدنّس عينيه بنظرات الحرام، بل كان متجنّبًا للإثم وكلّ ما يخالف رضا الرحمن، فكان معروفًا بين الناس ـ و لا سيّما أهل سامرّاء ـ بالعفّة و الأمانة. و لعلّه ظنّ أنّ الإمام عليه السلام يثِق به لاتّصافه بهذه الخِصال، لكنّه لا يعلم بعدُ أهمّيّة العمل المفوَّض إليه. كان غارقًا في أفكاره هذه حين انتشله الإمام عليه السلام منها متابعًا كلامه:

حينئذٍ يقول بعض المبتاعين، الّذي أعجبته عفّة تلك الجارية: عليَّ ثلاثمئة دينارٍ، فقد زادني العفاف فيها رغبة! فتقول له بالعربيّة: لو برزتَ في زِيّ سُليمان بن داود و على شبهِ مُلكه، ما بدت لي فيك رغبة، فأشفقْ على مالِك! في تلك اللحظة يتعجّب البائع من عدم

اكتراث تلك الجارية و شِدّة حيائها، و يشعر بالضيق لأنّه لم يُوَفّق بعدُ لبيعها، فيقول مُحتجًّا و منزعجًا: فما الحيلةُ و لا بدّ من بيعِك! فتُجيبه: و ما العجلة و لا بدّ من اختيار مبتاعٍ يسكن قلبي إليه و إلى وفائه و أمانته! ثمّ تابع الإمام عليه السلام توجيهاته لبِشرٍ قائلًا: فعند ذلك قُم إلى عمر بن يزيد النخّاس و قل له: إنّ معي كتابًا ملطّفًا لبعض الأشراف، كتبه بلغة روميّة و خطّ روميّ، و وصف فيه كرمه و وفاءه و نبله و سخاءه، ناولِها إيّاه لتتأمّل منه أخلاق صاحبه، فإن مالَتْ إليه و رضيته فأنا وكيله في ابتياعها منك.

أصغى بِشرٌ إلى كلام الإمام الهادي عليه السلام، ثمّ قال: سمعًا و طاعةً يا مولاي. هذه و الله مِنّةٌ كبيرةٌ أن تعتقد أنّني أهلٌ لهذا الشرف العظيم.

الرسالة المُبهجة

خرج بِشر من منزل الإمام عليه السلام مستغرقًا في تفكيره، فمن جهةٍ كانت السعادةُ تغمره لأنّهُ سينفّذ طلب مولاه عليه السلام، و من جهةٍ أخرى كان قلقًا و متخوّفًا من أن يعجز عن أَداء هذه المهمّة على أحسن وجه. عقد العزم مُستعينًا بالله تعالى و استعدّ للسفر يستمدّ الإصرار من أعماق قلبه لتنفيذ أوامر الإمام عليه السلام. و أخذ يستظهر كلامه و يستعيده كي لا تفوته منه نأمة. ركّز تفكيره على إنجاز الأمر، و لم يُعِرْ انتباهًا لما يحيط به من أعين الجواسيس الّذين كانت المدينة تزدحم بهم، و شقّ طريقه مسرعًا حتّى وصل إلى بيته، و أخذ يشدّ أمتعته استعدادًا للسفر. اتّجه جنوبًا حتّى وصل إلى بغداد، هذه المدينة الّتي أسّسها المنصور الدوانيقيّ حديثًا، و أصبحت الآن مركزًا تجاريًّا عالميًّا. و صارت السفن و الزوارق تنطلق إليها من مختلف المناطق و الدول القريبة و البعيدة، كالبصرة و الأهواز و عمان و اليمامة و البحرين و آذربيجان و أرمينيا، فتصل إليها من طريق نهر دجلة و تُفرغ حمولتها هناك. وصل بِشر إلى بغداد في الوقت الّذي حدّده له الإمام عليه السلام و اتّجه نحو جسر الفرات فوق نهر دجلة. و عندما

رأى النخيل المحاذي للشطّ، علم أنّه قد وصل إلى غايته. كانت الشمس قد طلعت لتوّها، دون أن يكون هناك أثر لسكون الصباح. إذ كانت السفن المترادفة على مدّ البصر قد ألقت مراسيها في الميناء، وكان التجّار يصيحون على بضاعتهم الثمينة و النادرة و يبيعونها بأسعار زهيدة. نفّذ بِشر توجيهات الإمام عليه السلام بحذافيرها، و لم يُلقِ بالًا إلى البضائع الجميلة و الثمينة، و لم يُعر سمعًا لنداءات التجّار الّتي تغري المتبضّعين أيّما إغراء، وكان منشغلًا وسط الزحام بالبحث عمّن ينشدها الإمام عليه السلام. و قد سار كلّ شيء طبقًا لِما قاله الإمام. وكان بِشر يلتفت يمينًا و شمالًا إذ لفت انتباهه دخول زورق جديد إلى الميناء. و فهِم من وضع المسافرين على متنه أنّه يحمل أسرى الحرب. و لم يكد الزورق يُلقي مراسيه حتّى علت الهتافات الحماسيّة و المنتصرة لأهالي بغداد. فقد جرت العادة في المعارك الّتي تحتدم بين المسلمين و الرومان، خاصّةً في زمن المعتزّ العبّاسيّ الّذي تزامنت خلافته مع أواخر سلطة بارداس، بأن يحمل المسلمون ما وقع تحت أيديهم من الأُسرى في الزوارق و السفن و ينقلوهم بالتدريج إلى بغداد. و لم يكن الوضع على هذا الحال في السابق، إذ لم تكن الغلبة للمسلمين في المعارك الأولى، ففي عهد المتوكّل كان الروم قد أسروا الكثير من المسلمين، و إحدى فِعالهم أسرهم عشرة آلاف مسلمٍ في شمال العراق. لكن في المعارك اللاحقة صارت الانتصارات حليفة المسلمين. على أيّ حال، فما إن رسا الزورق على الرصيف حتّى عمّ جموع الناس حماس عارم، فواحد يكبّر و آخر يلقي شِعرًا حماسيًّا في الثناء على المقاتلين. ثمّ صعد المفتّشون على متنه و أخذوا بتفتيشه؛ فلم يجدوا فيه ما يثير الريبة، و سمحوا للمسافرين بالنزول منه. تقدّم بِشر سريعًا و ظفر بصاحب الإماء. و هناك أرهف سمعه قليلًا، فسمع أنّهم يدعونه عمر بن يزيد، فأدرك أنّه هو الّذي قصده الإمام عليه السلام في توجيهاته. و لم تمضِ سوى لحظات حتّى غصّ المكان بأثرياء التجّار، وكان كلّ واحد منهم يُحدّد سعرًا و يُعلن عن مزايدة. و حضر في الوقت نفسه عددٌ من الشباب كي يتعلّموا قواعد التجارة و يكتنزوا تجربةً في هذا المضمار. وكان بين الأسرى عددٌ من النساء. و قد بحث بِشر بين الأسرى و أبصر تلك الجارية الّتي تحمل تلك الخصائص و الصفات الّتي ذكرها له الإمام عليه السلام. مكث قليلًا لتأخذ الأمور مسارها الطبيعي. بدأت الشمس بالارتفاع شيئًا فشيئًا، و أخذت ترسل أشعّتها مباشرة على هامات الحاضرين. و بدأ عمر بن يزيد يتصبّب عرقًا. وكانت الجارية الّتي وصفها الإمام عليه السلام قد وقفت في ناحية، و قد غطّت وجهها، و نأت

بنفسها عن نظرات المشترين. و قد أدّى هذا السلوك منها إلى قلّة الراغبين بشرائها. و لم يتمكّن عمر من فعل شيء حيال ذلك. و فجأة تقدّم شخصٌ و حدّد سعرًا لشرائها. و رأى بِشر أنّه السعر ذاته الّذي ذكره الإمام عليه السلام؛ فأرهف سمعه و سمع الحوار ذاته الّذي سبق للإمام عليه السلام أن ذكره له يدور بين البائع و المشتري و تلك الجارية. حتّى كان الأمر و كأنّ الإمام عليه السلام قد رأى هذا المشهد بعينيه و رواه له. و كان عمر بن يزيد قد بلغ غاية الإعياء و النصَب، بعد أن قضى ذلك اليوم منذ الصباح الباكر حتّى الظهيرة و هو ينادي حتّى بُحَّت حنجرته، و قد أتعبه و أعجزه أن يرى تمنّع تلك الجارية و عدم رغبتها في أن تُباع، و أخذته الحيرة حيال ذلك. إلى أن حانت أخيرًا اللحظة المُرتقبة، و سلّم بِشر رسالةَ مولاه الهادي عليه السلام، فأخذها البائع باحتدام و انفعالٍ من بِشر و التوتّر بادٍ عليه، كأنّه قد يئس من قبول هذه الجارية، و مع ذلك سلّمها الرسالة مستاءً. اتّضح لبِشرٍ ما تملكه تلك الفتاة من عفّةٍ و طهرٍ و نُبل، و أدرك أنّها ليست من جنس الجواري، و ليس لها من الرقّ إلّا ثيابه الّتي لبِستها. كان النور يشعّ من وجهها على الرّغم من النِّقاب الّذي يستره. أخذتِ الفتاة العفيفةُ الرسالةَ و فتحتها بحياءٍ، و حدّقت فيها. ختّم الصمتُ على الحاضرين، فهم يتوقون إلى معرفة إنْ كان مفتاح هذه الرسالةِ سيفتح قلبَ هذه الجارية، و هل سيتمكّن صاحب الرسالة من إقناعها بالموافقة على طلب الوسيط؟ فجأةً بدأت دموعها تنثال قطرةً قطرةً على وجنتَيْها. ثمّ بكت بكاءً شديدًا؛ نعم، لقد فُتح قفل قلبها الطاهر، لقد فعلت الرسالةُ فعلَها، و رأت الفتاة ـ بقلبها الطاهر ـ في تعاريجِ خطوطها و انحناءاتها رجلًا سماويًّا؛ كأنّها كانت تعرف صاحبها. كانت كمَن وصلته مِن أحبّ الناس إليه رسالةٌ طال انتظاره لها، فأثلجت صدره. قالت مرتاعةً لعمرَ بنِ يزيد: بِعني من صاحب هذا الكتاب! وحَلفت بالمحرّجة المغلّظة و قالت: إن لم تبِعني منه قتلتُ نفسي! لم يجد البائعُ مفرًّا من القبول. اقترب بِشرٌ و بدأ التفاوض. و كالعادة استخدم قدرته على المساومة، ليصِل إلى الثمن الّذي يريده. و البائع الّذي كان يريد أن تتمّ المعاملة كيفما كان، وافق على ما اقترحه بِشر. فكان السعر الّذي اتُّفق عليه يبلغ عدد الدنانير الّتي أعطاه إيّاها الإمام عليه السلام، فدفعها بِشرٌ بتمامها إلى عمر بنِ يزيد الّذي عدّها دينارًا دينارًا مدقّقًا فيها، ثمّ سلّم الجارية لبِشر و تنفَّس الصعداء في الوقت الّذي بانت على محياها علامات البهجة و السرور و الارتياح.

ذوو الحظّ المُدبِر!

كان بِشرٌ حين يسافر إلى بغداد يأوي إلى حجرةٍ متواضعةٍ من أحد أحيائها لأُخذ قسطٍ من الراحة. هذه المرّة أيضًا نزل هناك، و اصطحب معه تلك الجارية إلى ذلك النُّزل ينشد قليلًا من الراحة قبل انطلاقه في طريق العودة إلى سامرّاء. كانت الفتاة مضطربة، فاستغرب بِشرٌ سلوكها. و فجأةً رأى منها أمرًا عجيبًا، إذ لم يقرّ لها القرار حتّى أخرجت كتاب الإمام الهادي عليه السلام من جيبها و هي تلثمه و تُطبقه على جفنها، و تضعه على خدّها، ثمّ تعود و تنظر إليه من جديد، ثمّ تلثمه و تُطبقه على جفنها، و قد كرّرت هذا الفعل عدّة مرّات، ثمّ مسحت الكتاب على وجهها متبرّكةً به. أثار تصرّفها تعجّب بِشر، فما رآه يفوق حدّ الشغف و الهيام. سلوك الجارية يدلّ على إيمانٍ عميق، إيمانٌ استولى على فؤادها. إنّها حقًّا مشغوفةٌ بلقاء صاحبِ الرسالة، كأنّها كانت تعيش معه و له في ذكرياتها قصص و حكايات. لم يستطع بِشرٌ كتم ما يخالجه من الحيرة، راودته أسئلةٌ كثيرةٌ: كلمات الإمام عليه السلام الّتي طُبّقت بحذافيرها، و من بعدها تصرّفات الجارية الّتي تحاكي عهدًا قديمًا! كان بِشرٌ قد عاين من قبل الكثير من كرامات الإمام الهادي عليه السلام، لكنّ الأمر هذه المرّة مختلفٌ تمامًا. ثمّة لغزٌ و سِرٌّ خفيّ. و مع أنّ وقار الجارية قد ضاعف صعوبة الاستفسار، إلّا أنّ بشرًا قد أطلق أخيرًا لقلبه العِنان، و سأل متعجّبًا: تلثُمين كتابًا لا تعرفين صاحبَه؟! أمّا الفتاة فقد كانت تعلم أنّ من يرسله الإمام عليه السلام لإحضارها هو حتمًا ثِقةٌ أمين، لذلك كشفت الغطاء عن بعضِ سرّها لبِشرٍ و قالت:

أيّها العاجز الضعيف المعرفة بمحلّ أولاد الأنبياء، أعِرني سمعك و فرّغ لي قلبك، أنا «مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم» و أمّي من ولد الحواريّين تُنسب إلى وصيّ المسيح شمعون، سوف أنبئك بالعجب!

بِشرٌ الّذي رأى إلى الآن عجائب و غرائب كثيرة، أعدّ نفسه لسماع المزيد، كان يعلم أنّه على وَشْك سماع سرٍّ عظيم. هيبة الأميرة و جلال قدْرها قد خيّما على الأجواء إلى حدٍّ أنّ بشرًا لم يتمكّن من النظر إلى ناحيتَها، تحوّل كيانُه كلُّه أُذُنًا مُنصتة، يتأمّل في ما تقوله إذ تابعت كلامها:

إنّ جدّي قيصر أراد أن يزوّجني من ابن أخيه و أنا من بنات ثلاث عشرة سنة، فجمع في قصره من نسل الحواريّين من القسّيسين و الرهبان ثلاثمائة رجل و من ذوي الأخطار منهم سبعمائة رجل، و جمع من أمراء الأجناد و قادة العسكر و نقباء الجيوش و زعماء القبائل

أربعة آلاف، و أبرز من بهيّ ملكه عرشًا مساغًا من أصناف الجواهر و رفعه فوق أربعين مرقاة. فلمّا صعد ابن أخيه و أحدقت الصلبان و قامت الأساقفة عُكَّفًا و نُشرت أسفار الإنجيل، في هذه اللحظة نفسها و فجأةً من دون أيّ مقدّمات، بدأ القصر يهتزّ و يتزلزل، و تسافلت الصلبان من الأعلى فلصقت بالأرض و تقوّضت أعمدة العرش فانهارت إلى القرار و خرّ الصاعد من العرش مغشيًّا عليه، فتغيّرت ألوان الأساقفة و ارتعدت فرائصهم، فقال كبيرهم لجدّي: أيّها الملك اعفنا من ملاقاة هذه النحوس الدالّة على زوال هذا الدين المسيحيّ و المذهب الملكانيّ!

فتطيّر جدّي من ذلك تطيّرًا شديدًا و قال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة و ارفعوا الصلبان و أحضروا أخا هذا المدبّر المنكوس جدّه لأزوّجه هذه الصبيّة فيدفع نحوسه عنكم بسعوده. أسرع خدم القصر و حشمه لتنفيذ أوامر القيصر، و تعاونوا على نصبِ أعمدةِ العرشِ المُذهَّبِ من جديد، و أعادوا نَظم جواهره، و تعليقَ الصلبان في مواضعها، و استعدّوا مرّةً أخرى لإقامة الاحتفال الملكيّ المهيب. هذه المرّة كان يريد أن يعقِد لي على الأخ الآخر، لكنّ ما حدث في المرّة الأولى حدث ثانيةً و سقط العرشُ و تسافلتِ الصلبان. و من أوّل تصدُّع في القصر ذُهل الناس و اضطربوا، و دبّ الذعرُ فيهم، فراحوا يركضون من هنا و هناك و تفرّقوا فارّين فَزِعين، و حتّى خدّام القصر أخذوا بالهروب. فحزنَ جدّي القيصر ممّا حدث حزنًا شديدًا، و دخل إلى حريمه، و لشدّة الخجل أقفل عليه الأبواب و أرخى الستائر كي لا يراه أحد.

قصّة الشَّغف

تابعت الأميرة حديثها عن رؤيا لا تمحى من ذاكرتها، و كان بِشرٌ يصغي إليها بكلِّ كيانه، فقالت:

و أُريت في تلك الليلة كأنّ المسيح و شمعون و عدّة من الحواريّين قد اجتمعوا في قصر جدّي و نصبوا فيه منبرًا من نور يباري السماء علوًّا و ارتفاعًا في الموضع الّذي كان نصب جدّي فيه عرشه و دخل عليه محمّد ﷺ و ختنه و وصيّه عليه السلام و عدّة من أبنائه. فتقدّم المسيح عليه السلام إليه فاعتنقه فقال له محمّد ﷺ: يا روح الله إنّي جئتك خاطبًا من وصيّك شمعون فتاته مليكة لابني هذا!

صمتت الأميرة قليلًا، ثم توجّهت - و هي مستغرقة في تفكيرها - إلى بِشر، و قالت بنبرة زاخرة بالمعاني:

و أومأ بيده إلى أبي محمّد الحسن عليه السلام، ابن صاحب هذا الكتاب. فنظر المسيح إلى شمعون و قال له: قد أتاك الشرف فصِل رحمك برحم آل محمّد صلى الله عليه وآله، قال: قد فعلت، فصعد ذلك المنبر فخطب محمّد صلى الله عليه وآله و زوّجني من ابنه و شهد المسيح عليه السلام و شهد أبناء محمّد صلى الله عليه وآله و الحواريّون.

استيقظت من نومي، و الرّؤيا الّتي شاهدتها في المنام لا تزال ماثلةً أمام عينيّ، لكنّني لم أستطع قصَّها على جدّي. خِفتُ إنْ حكيت له هذا السرَّ أن يقتلني من شدّة الغضب، إذ كان يكفيه ما ألمّ به جرّاء الّذي حصل! لذلك صمّمتُ أنْ أحفظ هذا السرّ في شغافِ القلب، و أن لا أُفشيه لأحد. حين تمالكتُ نفسي رأيتُ حبّي لأبي محمّد الحسن بن عليّ الهادي عليه السلام قد تملّك كياني، و لقد هويته من صميم قلبي، و صار أبو محمّد عليه السلام كلّ فكري و ذِكري، إلى حدّ أنّني عِفتُ الطعام و الشراب، إلى أن ضعُفَ بدني و ضَمُرَ، و من شدّة الهُزال و النحول مرضتُ مرضًا شديدًا، فقلِقَت أسرتي عليّ قلقًا عظيمًا، و بذلت ما في وسعها لعِلاجي. استدعى جدّي كلّ الأطبّاء الحاذقين في روما و طلب إليهم اجتراح دواءٍ لمرضي لأستعيد صِحّتي. فعل الأطبّاء ما في وسعهم، و الحكماءُ كتبوا لي كلّ وصفةٍ كانت تخطرُ ببالهم. لكنّ أدويتهم و علاجاتهم لم تُشفِ ما ألمّ بي! و لقد كان جدّي يحبّني حبًّا جمًّا، و قد ربّاني و رعاني بعطفه و حنانه و كنتُ مدلّلته و وحيدته؛ كان مستعدًّا أن يبذل روحه ليعيد إليّ الصِّحّة و العافية. لكنّ آماله باءت كلّها بالفشل، و كان يلاحظ في وجهي و جسدي علاماتِ الرحيل. و كان يريد أن لا أفارق الدنيا حاملةً أملًا لم يتحقّق، لذلك نظر إليّ و قال: يا قرّة عيني هل يخطر ببالكِ رغبة في هذه الدنيا فأزوّدكها و أحقّقها لكِ؟ فقلت: يا جدّي أرى أبواب الفرج عليّ مغلقة، فلو كشفتَ العذاب عمّن في سجنك من أسارى المسلمين و فككتَ عنهم الأغلال و تصدّقتَ عليهم و منّيتهم الخلاص، رجوتُ أن يهب المسيح و أمّه عافية! فلمّا فعل ذلك تجلّدتُ في إظهار الصحّة من بدني قليلًا، و تناولتُ يسيرًا من الطعام، فسُرَّ بذلك جدّي و أقبل على إكرام الأسارى و إعزازِهم.

حين سمع بِشر كلامها عرف أنّها ابنة قيصر الروم، و أنّ اسمها «مليكة» و فهم لِمَ ليست هي على ما تكون عليه الجاريات عادةً، و انكشف له سرّ وقارها و عفافها، و علم أنّها موالية و قدّيسة، و أدرك شيئًا فشيئًا أنّ ما فعلته بتلك الرسالة لم يكن عبثًا، و بات إيمانه بعقيدته أكثر صلابةً، كيف لا و قد رأى بأمّ عينَيْه إحاطة الإمام عليه السلام بما يجري في هذه الدنيا من شؤونٍ و مقدَّرات. فكان يقول في نفسه: أيّ عقدٍ يكون أكثر سماويًّا و ملكوتيًّا من هذا الزواج الّذي يكون وسطاؤه اثنين من أنبياء أولي العزم عليهما السلام؟! و أيّ فخرٍ أشرف من أن أكون قد وُفّقتُ للسعي في تنفيذ خطوة واحدة في هذه السبيل؟! فشكرَ اللهَ عزّ و جلّ الّذي أكرمه بحبّ النبيّ صلى الله عليه وآله و أهل بيته عليهم السلام، و لا سيّما حبّه للإمام الهادي عليه السلام و إخلاصه له. و لم تعد الدنيا تَسَعُهُ بسبب هذه المَهمّة الّتي أوكلها إليه الإمام عليه السلام و شرّفه بتنفيذها. و هو لم يُصغِ بأذنَي رأسه فحسب، إنّما فتح أيضًا مسامع قلبه منتظرًا بفارغ الصبر أن يسمع تتمّة القِصّة.

تابعت أميرة الروم كلامها: بعد أربعَ عشرة ليلةً جاءتني الإشارةُ من رؤيا أخرى تُثير العجب. رأيت كأنّ سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام قد زارتني و معها مريم بنت عمران عليها السلام و ألفٌ من وصايف الجنان. نظرَت إليّ السيّدة مريم عليها السلام، و قالت لي: إنّها سيّدة النساء فاطمة عليها السلام، و أمّ زوجك أبي محمّد الحسن عليه السلام. حينها لم أتمالك نفسي، و تعلّقت بأذيالها، و أنا أبكي و أتأوّه بحرقةٍ و ألم، و شكوت إليها، و صرّحت لها بما في صدري، و قلت إنّ أبا محمّد عليه السلام يرفض رؤيتي، و قد أدمى بُعدُه قلبي. حينئذٍ قالت السيّدة فاطمة عليها السلام: إنّ ابني أبا محمّد لا يزورك لأنّك لست على دين الإسلام الحنيف. هذه أختي مريم بنت عمران تبرأ إلى الله من دينك. فإن أردت رضا الله تعالى و رضا المسيح و مريم عليهما السلام، و إن أردت رؤية وجه أبي محمّد الحسن عليه السلام، قولي: أشهدُ أن لا إله إلّا الله و أنّ أبي محمّدًا رسول الله و نبيّه. فنطقتُ مباشرةً و من دون تردُّد بهذه الكلمات المباركة الّتي نفذت في قلبي، و تشهّدتُ من أعماق قلبي و بكلِّ كياني. و كأنّ هاتفًا مكنونًا في ضميري منذ زمن بعيد ينطق بهذه الكلمات و يجذبني إلى منبع التوحيد، و ببركة نظرة أمّ الخيرات عليها السلام الممتلئة بالمحبّة لبّيت دعوة ذلك الهاتف بكلّ اعتقاد، فصار لساني الناطق موافقًا للسان قلبي. حين نطقتُ بالشهادة احتضنتني سيّدة نساء العالمين عليها السلام، و مسحت بيدها الشريفة بأمومةٍ على رأسي. في تلك اللحظة ارتاح قلبي و طاب خاطري و صلح بالي. لقد عانقتني السماء و ضمّ الياسمين النرجس. قالت لي سيّدة النساء عليها السلام: الآن توقّعي زيارة أبي محمّد و إنّني مُنفذتُه إليك.

استيقظت من النوم، و قضيت النهار بأكمله منتظرةً رؤية أبي محمّد عليه السلام و تحقُّق وعد مولاتي فاطمة عليها السلام، لم أكن أعرف رأسي من قدمي، لكنّني كنت على يقين ممّا رأيته و سمعته. كان الانتظار صعبًا و الدقائق تمرّ كأنّها أيّام، لكن صبرًا فبعد بضع ساعاتٍ سأنال لقاء محبوبي و ينتهي ذلك الهجران الموجع. كانت لحظات انتظارٍ لا توصف و أنا غارقة في التفكير بما سأحظى به، كأنّهم سيعطونني الجنّة كلّها دفعة واحدة. الليلة الّتي تلَت كانت ليلةً لا تغيب عن بالي أبدًا، ليلةً أشدّ نورًا و ضياءً من ألف نهار، ليلةً تعادل ليلة القدر، ليلةً أفاض الله بها عليَّ من واسع رحمته. تلك الليلة رأيت أبا محمّد الحسن عليه السلام. رأيت القمر في ليلة تمامه و كماله. و كأنّي أقول له: جفوتني يا حبيبي بعد أن أتلفت نفسي معالجة حُبّك؟! أجاب سيّدي بصوتٍ عذبٍ و إيقاعٍ حنون: ما كان تأخّري عنك إلّا لأنّك لم تكوني على دين الإسلام، فقد أسلمتِ، و أنا زائرُكِ في كلّ ليلةٍ إلى أن يجمع الله شملنا في العيان. فلم يقطع عنّي زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية.

لم تكشف مليكة عن مشاعرها أكثر، لكن كأنّ صدى كلمات الوعد بزيارته لها لا يزال يتردّد في ذهنها و يضاعف لها حلاوة اللقاء. كأنّ لسان حالها يقول إنّ عشقها له لا متناه، و في كلّ مرّة تُشرق شمس أبي محمّد الحسن عليه السلام في قلبها يتضاعف عشقها له آلاف الأضعاف، و أنّ شوقها إلى لقاء الحبيب عيانًا يتجدّد مع كلّ نَفَس، و يشتدّ مع كلّ نبضة قلب. فهل ستطيق نفسها لحظة اللقاء؟ كأنّ الزمن يتوقّف عندما تفكّر في تلك اللحظة...

نحو ديار الحبيب

تلقّى بِشرٌ أجوبة شافية لبعض أسئلته، و أدرك أنّه يُحدّث أحد أصحاب سرّ الإمام عليه السلام، و من له عنده منزلة خاصّة. و علم أنّ مليكة من الصالحات القانتات و المسلِّمات لأمر الله عزّ و جلّ، فهي كانت دائمًا تتوجّه إلى الله تعالى و تطلب إليه الهداية لِما يحبّ و يرضى. و لطالما كان قلبها الصغير متعلّقًا بالله تعالى و تسعى للتقرّب إليه من خلال الالتزام بواجباتها الدينيّة و التحلّي بالأخلاق الفاضلة، و عدم التعلّق بالأمور الدنيويّة على الرغم من البيئة المترفة الّتي كانت تعيش فيها، المليئة بزينة الحياة الدنيا الّتي تدعو إلى الغفلة. طبعًا، في تلك الأيّام لم تكن حالة أولاد قيصر الروم و أمرائها ـ الّذين كانوا منغمسين في دنياهم و غارقين في ملذّاتها ـ بالّتي يُحسدون عليها. ففي عام ٢٤٨ للهجرة، قام باسيليوس المقدونيّ ـ العبد الأرمني الخدوم و النشيط، الّذي تمكن بذكائه و نفوذه في البلاط من

الاقتراب إلى أعلى هرم السلطة و الإمبراطوريّة ـ بقيادة تمرّد ناعم، فاغتال الكثيرَ من الأمراء و المسؤولين في الإمبراطوريّة، حتّى اضطر الكثير من أصحاب المناصب العليا في الإمبراطوريّة إلى الهروب لينفذوا بجلودهم. أمّا الأميرة مليكة فلم تكن تهدف إلى النجاة بنفسها، بل ألقت بنفسها في الضرام بحثًا عن الأثير على قلبها؛ فارتدت ثياب الأسر على الرغم من كونها متمحّضة في الحريّة. و مع أنّها قبل النطق بالشهادتين لم تكن تَدين بدين الإسلام في الظاهر، إلّا أنّها كانت مسلمة بقلبها و فطرتها، و تراقب أعمالها لتكون مرضيّة عند الله تعالى، و إن كان وجودها في قصر القيصر قد حال دون تعرّفها إلى أديانٍ غير دين أجدادها، لكنّها كانت مستعدّة لتقبّل الحقّ من غير تعصّبٍ و انحيازٍ لما يخالفه. و كان بِشر يقول في نفسه إنّ رؤية السيّدة فاطمة عليها السلام في المنام حتمًا قد سبقها آلاف المقدّمات، و الله يعلم أيّ أعمالٍ مخلصة أدّتها حتّى نالت هذا التوفيق الإلهيّ العظيم. و هكذا كانت فطرتها الطاهرة سببًا لوقوع الاختيار الإلهيّ عليها. فمثلها كمَثَل آسية بنت مزاحم، إذ مع أنّها كانت تعيش في قصر القياصرة بين غير المسلمين، إلّا أنّ الله تعالى اصطفاها و هداها إلى طريق الحقّ. هي بقيّة وصيّ النبيّ عيسى عليه السلام و بيُمن نسبها الشريف و بسبب روحها الصافية و قلبها الطاهر تستحقّ هذا الغوث العظيم.

لكن هنا طرأ على ذِهن بِشْرٍ سؤالٌ آخر: الّتي تحظى باهتمام الإمام عليه السلام إلى هذا الحدّ، كيف وقعت أسيرةً في الحرب؟ و بما أنّ بِشرًا لم يتوصّل إلى حدسٍ يُعينه على الإجابة عن سؤاله، كان لا بدّ من أن يوجّه سؤاله إلى الأميرة نفسها مُستفهمًا: كيف وقعتِ في الأسر؟! فأجابته: في إحدى تلك الليالي المضيئة الّتي لا تغيبُ عن البال، جاء أبو محمّد الحسن عليه السلام لرؤيتي، و أخبرني أمرًا مهمًّا، قائلًا: إنّ جدّك سيُسيّر جيشًا إلى قتال المسلمين يوم كذا و كذا ثمّ يتبعهم. و قد عيّن لي زمان الأحداث و مكانها بدقّةٍ، ثمّ قال: عليك باللّحاق بهم متنكّرة في زيّ الخدم مع عدّة من الوصائف من طريق كذا. و في اليوم الّذي أخبرني به بالتحديد، قرع جدّي طبول الحرب و تحرّك نحو بلاد المسلمين، أمّا أنا فذهبت خُفيةً بين الخدم. مضت مدّة و الجيش يتقدّم في الطريق، لكن فجأة رأينا جيوش المسلمين قد وصلت و منعت جيوش الروم عن المسير، و مختصر الكلام أنّ خسائر ماديّة فادحة قد لحقت بجدّي و أنّ جيش المسلمين أسر عددًا كبيرًا من أفراد جيشه و قادته. و مع كلّ ما جرى في تلك اللحظات، إلّا أنّ بالي كان مشغولًا بأمرٍ أعظم، لم أكن أرى السيوف و الرماح، كنت أفكر كيف أنّ ربّي الرؤوف يبدل نيران الحرب و الدم إلى بردٍ و سلامٍ في حديقة الوصال. كنت قد

أعرت الله قلبي و كإبراهيم الخليل عليه السلام لم أكن خائفةً من نيران مناجيق الحرب. و بفضل الله تعالى و نظرة أبي محمّد عليه السلام العطوفة وقعت الأحداث الواحد تلو الآخر إلى أن كان من أمري ما رأيتَه و شاهدتَه. و ما شعر بأنّي ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية أحد سواك، و ذلك بإطلاعي إيّاك عليه. و بعد أن تقاسم المسلمون الغنائم فيما بينهم، سألني الشيخ الّذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأخفيته و قلت: «نرجس». فقال: اسم الجواري!

بشر الّذي كان مستغرقًا في عجائب هذه القضيّة، كان يشعر كأنّ الله قد هزّ أركان عرشٍ بكامله لكي يوصِل هذه الأميرة إلى هذا المكان. و كأنّ هذا الجيش العرمرم الّذي أعدّه قيصر الروم و الكبكبة الّتي أثارها، و تلك الأحداث الّتي تبعت ذلك، لم تكن إلّا حلقات سلسلة ربط الله تعالى بعضها ببعض لكي تصل هذه النجيبة إلى تلك الدار الّتي تستحقّها. أمّا ما زاد تعجّب بِشر فهو تمكُّن أميرة الروم من اللّغة العربيّة. فأظهر لها ذلك قائلًا: العَجَب أنّك روميّةٌ و لسانك عربيّ؟! فردّت: نعم، من ولوع جدّي و حملِهِ إيّاي على تعلّم الآداب أن أوعز إلى امرأة ترجمانة له في التردُّد إليّ و كانت تقصدني صباحًا و مساءً و تفيدني العربيّة حتّى استمرّ لساني عليها و استقام. نعم، فبعد فتوحات المسلمين في أوروبا أصبحت هذه اللّغة ذات قيمة عالية في مغرب الأرض و روّج لها، فكان أهل العلم و الأدب يحرصون على تعلّمها.

و من جوابها تبيّن لبشر أنّ الإمام عليه السلام قد كتب لها الرسالة باللغة الروميّة مع أنّها كانت تُجيد اللغة العربيّة، ليكون ذلك علامة منه عليه السلام و رمزًا لتعلم أنّه تعمّد أن تصل الرسالة إليها بالخطّ الروميّ في ذلك البلد العربيّ، حتّى تطمئنّ إلى أنّها من قِبله، و تثق بحاملها و تأنس بمضمونها كونها بلغتها الأمّ.

في أحضان الرحمة

و مع أنّ أسئلة بِشر لم تكن لتنتهي، لكنّه عندما رأى تعب الأميرة، انصرف عن طرح المزيد من الأسئلة و استراح قليلًا، و سرعان ما استعدّ لإيصال الطاهرة من ذريّة شمعون الوصيّ إلى

محضر الإمام الهادي عليه السلام. كان شديد الحماس لإيصال هذه الأمانة الإلهيّة إلى مولاه عليه السلام، و بذل جهدًا كبيرًا لإنجاز هذه المَهمّة السرّيّة في أسرع وقتٍ و على أحسن وجه، ليعبّر أكثر من السابق عن مودّته للإمام عليه السلام و موالاته له. و كان كلّما تقدّم في مسيره ازداد إدراكه لعفّة السيّدة اليافعة و طهارتها. أمّا هي فلم يكن يشغل تفكيرها سوى المقصد، كانت تفكّر في ماذا تقول عندما تلتقي مولاها و إمام زمانها عليه السلام و كيف تبدي له ولاءها و مودّتها، و تتأمّل كيف لإسلامها جرت ابتسامة الرضا على شفتَي نبيّ الله عيسى عليه السلام. و كانا كلّما اقتربا من سامرّاء، جنح الطقس و المناخ إلى الاعتدال، و كثرت الحدائق و البساتين. و شيئًا فشيئًا أخذت قامات النخيل الباسقة و التيّارات الجارفة لنهر دجلة ترحّب بها. و مع أنّ عمر المدينة لم يكن قد تجاوز الثلاثين عامًا، لكنّها قد أصبحت زاخرة بالقصور و المباني الشاهقة و الرياض و المنتجعات البهيجة، إذ لكونها هي العاصمة آنذاك فقد حظيت باهتمامٍ كبير. لكن لا شيء من هذه الأمور قد شغل اهتمام الوافدة الكريمة، و يبدو أنّها كانت تبحث عن جوهرةٍ أخرى. و بدأ المسافران يقتربان من محلّة درب الحصا، و كلّما تقدّما اتّضحت لهما معالِم بيوتها المتواضعة أكثر فأكثر، لم تكن الجدران الطينيّة لتلك البيوت تشبه الجدران الرخاميّة لقصر جدّ الأميرة، لكنّ هذه المنطقة بالنسبة إلى قلبها أكثر ألفة من أيّ مكانٍ آخر، فكانت تشعر و كأنّها حلّت في موطنها. و كانت كلّما تقدّمت خطوة تداعى أمامها أحد المشاهد و الحوارات الّتي دارت بينها و بين محبوبها. و هكذا قضت طريقها إلى بيت الإمام عليه السلام و هي تسترجع آلاف الذكريات الجميلة.

و أخيرًا بعد طول مسير، أوصل بِشر الأمانة المُصانة إلى بيت الإمام الهادي عليه السلام الفوّاح بعبق الفردوس. كانت مليكة قد هيّأت الكثير من الكلمات لهذه اللحظة، لكن كأنّها كلّها مُحيَت من ذهنها. و ما إن دخلت باحة الدار حتّى قام الإمام عليه السلام بنفسه لاستقبالها و رحّب بها أيّما ترحيب، و أخذ يتفقّد أحوالها بحفاوة.



و بعد شيء من الحوارات التمهيديّة، التفت الإمام إلى مليكة و نظر إليها نَظَر العارف بعظيم إخلاصها و شدّة تفانيها في دين الله الحنيف، ثمّ قال لها: كيف أراكِ الله عزّ الإسلام و ذلّ النصرانيّة و شرف محمّد و أهل بيته عليهم السلام؟! أجابت باحترامٍ و أدبٍ: كيف أصِف لك يا ابن رسول الله ما أنت أعلمُ به منّي؟! فتعجّب بِشر من كلّ هذه المعرفة بمقامات الإمام و البصيرة اللتين كانتا لديها، لم يكن يظنّ أنّ الّتي لم ترَ إمام زمانها و لو مرّة واحدة، و لم تسمع حتّى حديثًا واحدًا منه، بل قد تربّت في بلاد الكفر، أن تحوز على قصب السبق في معرفة أهل البيت عليهم السلام. و بعد جواب مليكة أراد الإمام الّذي كان مطّلعًا على قلبها و طهارتها، و على عبوديّتها الخالصة لله تعالى، و حسن إسلامها، أن يتحفها بهديّةٍ في أوّل لقاء بها، فتوجّه إليها قائلًا: فإنّي أحبّ أن أكرمك، فأيّما أحبّ إليك عشرة آلاف دينار أم بشرى لك فيها بشرف الأبد؟ لم تكن الإجابة عن هذا السؤال محيّرةً أبدًا بالنسبة إلى مليكة الّتي تركت الدنيا و زينتها و تحمّلت العناء و هاجرت إلى الأرض الّتي يسكنها إمام زمانها عليه السلام من أجل السعادة الأبديّة، و لذا أجابت بكلّ سرور: بل بشرى بشرف الأبد! فقال لها الإمام عليه السلام: «أبشري بولدٍ يملك الدنيا شرقًا و غربًا و يملأ الأرض قسطًا و عدلًا كما مُلئت ظلمًا و جورًا!».

كان بِشر يُنصت بكلّ جوارحه إلى هذا الحوار، و لم يكن كلام الإمام عليه السلام مستغربًا لديه، فلطالما سمع بالروايات المبشِّرة بالإمام الثاني عشر من ذريّة الرسول صلى الله عليه وآله و التاسع من ولد الإمام الحسين عليه السلام الّذي سوف يملأ الأرض قسطًا و عدلًا كما ملئت ظلمًا و جورًا. فعلى الرغم من محاولات الحكّام المتعاقبين و مرتزقتهم من بعض رجال الدين و سعيهم الدؤوب لِطمس هذا الخبر و منع نشره بين الناس، لكنّ هذه القضيّة كانت معروفةً جدًّا عند الشيعة و من بديهيّات عقائدهم الراسخة في أعماقهم، و حتّى الكثير من أهل السنة أيضًا و لا سيّما أولئك الّذين يميلون إلى أهل البيت عليهم السلام و يحملون في قلوبهم مودّة لذوي القربى، كانوا قد سمعوا مرارًا من رواتهم و قرؤوا في كتبهم هذه الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «اَلْمَهْدِيُّ مِن عِترَتي مِن وُلدِ فَاطِمَة»، و كذلك قوله صلى الله عليه وآله: «لَوْلَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إلّا يَومٌ لَبَعَثَ اللهُ رَجُلًا مِن أهلِ بَيتِي يَمْلَأُها عَدْلًا كَمَا مُلِئَت جَوْرًا»، و مع أنّ هذا الخبر السار كان معروفًا بالنسبة إلى بِشر، لكنّه عند سماعه هذه المرّة قد غمرته السعادة و أدرك عظمة المسؤوليّة الجسيمة الّتي كانت على عاتقه عندما قال له الإمام عليه السلام: «إنّي مزكّيك و مشرّفك بفضيلةٍ تسبق بها الشيعة في المُوالاة!»، و أنّ الإمام عليه السلام أرسله في تلك المهمّة من أجل أن يصطحب الفتاة الّتي سوف

يولد منها «المهديّ» الّذي بشّر به رسول الله ﷺ و أن يكون في خدمتها على طول السفر. و لذا لم تكن الأرض لتسع بِشر من الفرح، إذ أيّ شرفٍ أعظم من أن يكون خادمًا لأمّ المهديّ عليه السلام و لو لبضع ساعات فقط!

أمّا مليكة الّتي تمسكّت بأذيال الحياء، فقد عجزت عن التفوّه بأكثر من كلمةٍ واحدةٍ، فقالت بصوتٍ خافت: ممّن؟ أجابها الإمام عليه السلام باعتزاز سائلًا: ممّن خطبك رسول الله ﷺ له ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا ـ بالروميّة ـ؟ فأجابت مليكة الّتي لم يغب ذلك المشهد عن بالها لحظة، و قد اشتدّ بها الحياء: من المسيح عليه السلام و وصيّه. فسألها الإمام عليه السلام ثانيةً: ممّن زوّجك المسيح عليه السلام و وصيّه؟ فهمَسَت مُطرقةً إلى الأرض خجلًا: من ابنك أبي محمّد! فسألها الإمام عليه السلام مبتسمًا: هل تعرفينه؟ فقالت و قد تسرّبت مشاعرها المتدفِّقة كالسيل الجارف من صميم قلبها: و هل خَلت ليلةٌ لم يزرني فيها منذ الليلة الّتي أسلمتُ على يَد سيّدة النساء عليها السلام؟!

أجوبة مليكة اللطيفة و المُرهَفة، رسمت الابتسامة على شفتَي الإمام عليه السلام و أدخلت السرور على قلبه الشريف. في تلك اللحظة التقت أنظار بِشر و كافور و تبادلا الكثير من الكلام بلغة الأعين، و ذكرا عندما ذهب كافور في منتصف الليل إلى بيت بِشر و طرق بابه، كانت تلك لحظة ابتداء قصّة طويلة. و كان الاثنان فرحَين جدًّا بمشاركتهما في هذا الأمر الفيّاض باليُمن و البركات، و بأنّهما يخدمان هذه العترة الطاهرة، و كانا يشعران بالصداقة و العلاقة الإلهيّة اللتَين تجمعانهما. عندها نادى الإمام عليه السلام خادمه كافور: يا كافور ادعُ أختي «حكيمة». فرفع كافور نظره عن بِشر و أسرع في طلب السيّدة حكيمة. كانت حكيمة عليها السلام سيّدةً شديدة التقوى و الحنان، تهيم بحبّ أخيها الإمام الهادي عليه السلام و ابنه الحسن عليه السلام، و كانت دائمًا على استعدادٍ لخدمة هذين الرجلين الربّانيّين. و كان زوجها أبو عليّ و هو من أحفاد الإمام زين العابدين، يحثّها دائمًا على الذهاب لمساعدة أسرة أخيها ليحصلا على ثواب خدمة هذه الأسرة الطاهرة. و كانت دارها قريبة، فما لبث أن وصل كافور و قال لها: إنّ مولاي الهادي عليه السلام يدعوكِ. أسرعت السيّدة حكيمة مباشرةً إلى مجلس أخيها الهادي عليه السلام، و كانت قد علمت سابقًا بخبر قدوم هذه الفتاة الطاهرة و عظيم مكانتها و سرّها. و عند وصولها أشار الإمام الهادي عليه السلام إلى أخته الحبيبة قائلًا: «ها هي!». نظرت السيّدة حكيمة إلى الضيفة الكريمة، و بريق نظراتها كان يعبّر عن شدّة محبّتها لها و طول انتظارها لهذه

اللحظة. تقدّمت السيّدة حكيمة، الّتي تربّت في أسرة الرحمة و العطف، مسرعةً نحو ضيفتها، و ضمّتها بكلّ لهفةٍ و شوقٍ إلى صدرها كأنّها تعانق بضعةً من روحها، إنّها تحبّها بقدر محبّتها لابن أخيها، و كانت تعلم أنّها بقيّة وصيّ النبيّ عيسى عليه السلام، كانت سعيدة جدًّا، و احتضنتها مطوّلًا حتّى كأنّها لم تشعر بمرور الوقت. كانت مليكة تشعر بدفء قلبها و يدَيها، حتّى أحسّت أنّها أسعد فتاة في العالم، و هي الآن ترتضي لنفسها اسم «**نرجس**» أكثر من أيّ اسم آخر، فقد أحبّت أن تكون خادمة لهذه العترة الطاهرة و كانت تعلم أنّ هذه الخدمة أعظم و أثمن من آلاف مقامات السلطنة. الآن شعرت بحلاوة الكلمة الّتي قالها لها ذلك الرجل العربيّ المسنّ: «نرجس، اسم الجواري!»، فكأنّها كانت تجيبه في نفسها: إن كانت الخدمة لعترة الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله فلا يوجد أحلى من اسم الخدم و الجواري! و حين رأى الإمام الهادي عليه السلام هذا الأنس بين هاتين السيّدتين سُرّ كثيرًا، ثمّ نظر إلى شقيقته حكيمة عليها السلام و قال لها: يا بنتَ رسول الله صلى الله عليه وآله، خُذيها إلى منزلك و علّميها الفرائض و السنن، فإنّها زوجةُ أبي محمّد و أمّ القائم! و عندما سمعت السيّدة حكيمة عليها السلام الخبر، عمّ السرور كيانها، لأنّها علمت أنّ الموعود الّذي بشّر به آباؤها و من سبقهم من الرسل و الأوصياء عليهم السلام قد دنت ولادته، فالله تعالى قد كشف عن الفتاة الصالحة الّتي ستكون والدته. و هكذا أودع الإمام الهادي عليه السلام أمانة الله لدى أتقى نساء زمانها و أعلمهنّ، إذ هي بنت الإمام الجواد عليه السلام و أخت الإمام الهادي عليه السلام، فنشأت نرجس في بيتٍ مفعمٍ بالعلم و المحبّة لتسجّل فصلًا مشرقًا في تاريخ البشريّة.

اقتران الشمس بالقمر

كان من المقرّر إخفاء أمر وصول نرجس إلى سامرّاء في الوقت الراهن. و حدّ الإمكان لم يتمّ الحديث مع أحدٍ بشأنها. و كانوا يدعونها بمختلف الأسماء كي لا يتمّ التعرّف إليها، و يطلقون عليها أسماء عربيّة للتغطية على أصلها و أرومتها. و كان نزولها في بيت أخت الإمام عليه السلام تمويهًا ليتوهّم الحرّاس و العَسس أنّها أَمَة السيّدة حكيمة، و ليست تلك الّتي يُراد لها أن تصبح زوجة للإمام الحسن العسكريّ عليه السلام.

بقيَت نرجس مدّةً من الزمن لدى السيّدة حكيمة، تتعلّم على يدَيها الأحكام و الآداب الدينيّة. و السيّدة حكيمة تُعاملها بحبٍ و عطفٍ شديدَين، و أغدقَت عليها من كلّ ما

كانت قد تعلّمته و أُودعته في صدرها من آبائها الطاهرين و من أخيها الإمام الهادي عليهم السلام. تلقّت نرجس هذه المعارف بكلّ كيانها، وكانت تستعدّ لمَهمّةٍ أعظم.

تصرّمَت مدّةٌ على هذا المنوال، وصولًا إلى أوائل سنة ٢٥٤ للهجرة، وكانت خلالها أخت الإمام عليه السلام قد ربّت على عينيها نرجس الّتي تعيش أيّام العقد الثاني من عمرها، حتّى صارت في أسمى مراتب الإسلام و أعلى درجات الإيمان، و غدت عالمة من الصالحات القانتات، و بات صدرها خزانةً للأسرار الإلهيّة و مستودعًا للمعارف التوحيديّة. كانت نرجس طوال تلك المدّة تنهل من المعارف الربّانيّة و تتعلّمها رغبةً و شوقًا إلى لقاء الحبيب، و استعدادًا لتكون لائقةً بالزواج من أحد أولياء الله و خلفائه في الأرض، إلى أن أثمرت في النهاية جهودها المخلصة، فنظر الله تعالى إلى قلبها الطاهر و نيّتها الخالصة و أجاب طلبها. مليكة الروم الّتي تقدّم لخطبتها أكثر رجال مملكة الروم مكانةً و شوكة، قد نحّت زينة الحياة الدنيا جانبًا و آثرت عقدًا سماويًّا سعيدًا مع وصيّ رسول الله الحادي عشر عليه السلام. و بعد طول انتظار أزِفت اللحظة الموعودة، تلك اللحظة الّتي اختلط فيها أقصى الشوق و أقصى التهيُّب في قلب نرجس. ها هو الحسن ابن الإمام الهادي عليه السلام ـ الّذي كان في أوّل شبابه و قد أتمّ ما يقارب اثنين و عشرين ربيعًا ـ قد جاء إلى زيارة عمّته، تلك السيّدة الّتي كانت توقّر ابن أخيها جدًّا و تقدّم له كلّ الإجلال و الاحترام و تناديه «سيّدي» مع أنّها عمّته و أكبر سنًّا منه، فهي تعلم أنّه وليّ الله عزّ و جلّ و أنه سيكون الوصيّ الحادي عشر و إمام زمانها بعد أخيها الهادي عليه السلام، و ما إن دخل منزل عمّته حتّى تناثرت من السماء شذرات النور، إذ وقع نظره على نرجس، نظرةً طويلةً حافلةً بالمعاني تُخبر عن معرفةٍ قديمة العهد. و قد مُزج حياء نرجس مع هيبة أبي محمّد الحسن، فصنعَا مزيجًا مضيئًا تلألأ بين الأرض و السماء. لم يصدر من نرجس سوى الصمت المُكلَّل بباقات النرجس الخجولة فخفضت طرفها إلى الأرض. كان قلبها يخفق مسبِّحًا، و كلّ نبضةٍ تضخّ في عروقها الحمد و الشكر لبارئها على ما حباها به من رؤية وليّ الله. لم تطلب عينا نرجس الطاهرتان سوى النظر إلى جمال وجهه، وكأنّ عقلها و قلبها يهتفان أنّها الآن أسعد فتاة في العالم، و عليها أن لا تحيد بعينيها عن مظهر جمال الله، و لكن ما الحيلة إذ إنّ الحياء الأنثويّ و الأدب الربّانيّ حالا دون رغبتها و بات من غير الممكن تحريك جفونها. كان الصمت الّذي يخيّم عليهما يحمل الكثير من الكلام، و سرعان ما خرقت العمّة حجاب الصمت و قالت لابن أخيها: أراك يا سيّدي تنظر إلى هذه الجارية، لعلّك هويتَها فأرسلُها إليك؟ فأجابها الحسن عليه السلام: لا يا عمّة،

ما نظري إليها إلّا نظر تعجّب ممّا لله فيها من إرادته و خيرته! فقالت السيّدة حكيمة: و ما أعجبك؟ أجابها: «سيخرج منها ولدٌ كريمٌ على الله عزّ و جلّ، هو الّذي يملأ الله به الأرض عدلًا و قسطًا كما مُلئت ظلمًا و جورًا!». فقالت السيّدة حكيمة الّتي كانت تدرك جيّدًا أيّ مسؤوليةٍ جسيمةٍ قد أُلقيَت على عاتقها: أَأُفاتحها؟! أجاب أبو محمّد الحسن عليه السلام بكلّ أدبٍ: استأذني في ذلك أبي! أمّا نرجس فقد واصلت سكينتها مغمضة العينَين و هي تستذكر الليالي الجميلة الّتي جاء فيها إمام المحبّة إلى لقائها و جعل من وجودها شخصًا إلهيًّا. كانت عيناها مطبقتين، لكنّ أذُنَيها مفتوحتان و سمعها مرهفٌ. و بعد سماع الجملة الأخيرة تنفّست الصعداء، و حصلت من صوت الحسن عليه السلام على سكينة عجيبة. كان فتى أحلامها رجلًا علويًّا ذائبًا في حبّ الله، و يكون منه ولدٌ سيحقّق أمل الوجود.



كان جواب أبي محمّد هو ما تتمنّى السيّدة حكيمة سماعه، فسارعت لارتداء حلّة الخروج، ثمّ توجّهت نحو بيت الإمام الهادي عليه السلام. عند وصولها، و قبل أن تقرعَ الباب، أعادت ترتيب أفكارها و ما ستقوله. قرعتِ الباب بلهفةٍ و بهجة، و استأذنت في الدخول، ألقَت التحيّة و السلام على إمامها و أخيها الهادي عليه السلام، فطلب إليها الجلوس بجانبه. و بينما كانت تتأهّب لتقول ما عندها، فاجأها الإمام عليه السلام بالقول: أختي حكيمة، فاتحي نرجس بشأن أبي محمّد، و أعدّيها للقائه! السيّدة حكيمة الّتي كانت قد تربّت في بيت النبوّة، لم يكن غريبًا عليها أن يخبرها الإمام عليه السلام بما في قلبها، فابتهجت و قالت: سيّدي، على هذا قصدتُك، أن أستأذنك في ذلك! و هنا خاطب الإمام عليه السلام أخته الجليلة منبّهًا إيّاها إلى ما منحه الله عزّ و جلّ من توفيقٍ و إكرام: يا مباركة، إنّ الله تبارك و تعالى أحبَّ أن يُشرِكك في الأجر و يجعل لك في الخير نصيبًا.

لم تتمالك السيّدة حكيمة عليها السلام نفسها، و قد علمت أنّها مُنحت شرفًا عظيمًا. أمّا السيّدة حديثة عليها السلام، زوجة الإمام الهادي عليه السلام، فقد كانت سعيدةً جدًّا بالخبر و أخذت تحمد الله تعالى، لأنّ ابنها سيتزوّج من خيرة الصالحات، و هي ستحظى بكنّة محبوبةٍ و لائقةٍ ببيت الرسالة. في هذه الأيّام كانت السيّدة حديثة عليها السلام أكثر المُدركين لمشاعر نرجس و أحاسيسها، لأنّها كانت

هي أيضًا قد قدِمت من بلاد الغربة إلى المدينة و شرّفها الله تعالى بالزواج من أحبّ الخلق إليه على الأرض، و قد عاشت قبلها هذا الشعور، شعور من يهب قلبه لوليّ الله، كما ذاقت حلاوة صحبة حجّة الله عليه السلام و مرافقته في مسيرة حياته. و هي أيضًا قد تلقّت من زوجها هذه البشارة الكبيرة بأن سيكون من نسلها و رحمها ولدٌ سيملأ الأرض قسطًا و عدلًا. فقد كانت مسألة تبيين ولادة «المهديّ» و التبشير بها تتصدّر أولى أولويّات أهل البيت عليهم السلام و اهتماماتهم، حتّى إنّ كلّ واحدٍ من الأئمّة الأطهار عليهم السلام كان يبشّر امرأته ـ الّتي اجتباها الله تعالى بفضله لتكون من أمّهات المهديّ ـ و يُخبرها بأنّ قائم آل محمّد عجّل الله فرجه سيكون من نسلها، و كانت هذه البشارة تُعدّ من أعظم المنن الإلهيّة و أكبر النعم الرّبانيّة الّتي تجري على لسان الإمام عليه السلام إليها.

سارعت السيّدة حكيمة في العودة إلى منزلها، و استدعت نرجس و قصّت عليها ما جرى، هنالك تورّدت نرجس و أزهر قلبها بالأمل الموعود، فهي منذ مدّةٍ تنتظر هذه اللحظة. الآن تشعر أنّ رؤاها تتحقّق أمام ناظرَيها الواحدة تلوَ الأخرى، كان السرور يغمرها إلى حدٍّ أنّ حياءها الأنثويّ لم يتمكّن من إخفاء سعادتها، لكنّه ألزمها الصمت، إلّا أنّ وجهها أفشى كلّ ما يجول في خلجات قلبها المتيّم الّذي كان قد خلا من كُلّ شيءٍ سوى محبّة أهل البيت عليهم السلام. لم تكن نرجس تعرف ما عليها فعله، و كيف يجب أن تستعدّ. تُرى ما هي أولى الكلمات الّتي سينطق بها أبو محمّد الحسن، و ما الكلمة الأولى الّتي يجب عليها التلفُّظ بها؟ اللقاء هذه المرّة سيكون في اليقظة، و ليس حُلمًا كما اعتادت. استولى عليها سلطان الحبّ. و قد قامت السيّدة حكيمة مقام والدتها فمنحتها الطمأنينة و قوّة القلب، ثمّ أحضرت ثوبًا جميلًا أبيض كقلب نرجس الطاهر و قدّمته لها، و زيّنت هذه الحوريّة السماويّة بزينة العرائس. فنرجس الّتي حرّرها الإمام الهادي عليه السلام بعد أن حرّرت نفسها من كلّ عبوديّة لغير الله تعالى أحسّت أنّها حرّة طليقة أكثر من أيّ وقتٍ مضى. لم تشعر نرجس إلّا بيَد حكيمة تمسكها بحنانٍ من يدها و تقرّبها بتؤدةٍ من يد الزكيّ الفاضل ابن أخيها العزيز عليه السلام. و أخيرًا انتهى وقت الانتظار، وحانت لحظة الوصال. أجل، إنّ الارتباط السماويّ وجد له تعبيرًا أرضيًّا، و دوّن قلمُ القدر هذا الوصال بأجمل الخطوط، و سارت قافلة الزمن إلى أحلى منازله...



هيّأت السيّدة حكيمة عليها السلام في بيتها عشًّا دافئًا و مفعمًا بالسكينة لهذين العريسين السماويّين. فبدأ حياتهما المشتركة في منزل العمّة. و في هذا المنزل تبادل الزوجان أولى النظرات و أولى الكلمات. بعد مضيّ بضعة أيامٍ، توجّه أبو محمّد عليه السلام برفقة حليلته إلى منزل والده الإمام الهادي عليه السلام، حيث وجدت السيّدة نرجس أفضل أهلٍ لها في الدنيا. كانت تعلم أنّ السيّدة حديثة عليها السلام ـ أمّ زوجها ـ ستكون مثل أمّها، بل أكثر حنانًا و عطفًا عليها منها. و الآن هي تعيش بجوار وليّين من أولياء الله و من ذرّيّة رسوله صلى الله عليه وآله، و هذه السعادة و الكرامة لا يعادلهما شيءٌ آخر في الوجود. لكنّ القدرَ الغاشم سرعان ما سطّر الأيّام الأخيرة من حياة الإمام الهادي عليه السلام، إذ في أواخر شهر جمادى الآخرة من سنة ٢٥٤ للهجرة أقدم الخلفاء العبّاسيّون الّذين يُسابقون في الظلم و الجور منافسيهم الأمويّين، على دسّ السمّ للإمام عليه السلام بنحو سرّيّ كما فعلوا بآبائه المعصومين عليهم السلام، و كان له من العمر زهاء أربعين سنة. و نفذ السمّ في عروق الجسد الطاهر للإمام الهادي عليه السلام، و أقعده الألم أرضًا. و لم تنفع جهود الأطبّاء و مراقبة الأهل و الأقرباء، و رجعت روحه الملكوتيّة إلى موطنها و جوار ربّها. انتشر خبر استشهاد الإمام عليه السلام سريعًا، و ما إن وصل إلى البلاط، و بلغ مسامع رجال الحكومة، بمن في ذلك أبناء المتوكّل و من بينهم الموفّق ـ الّذين كانوا يترقّبون تأثير سمّهم أكثر من غيرهم ـ حتّى سارعوا إلى بيته و حجرته، و عزّوا الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام. و جعل المعتز عساكره في حالة طوارئ و تأهّبٍ و استعدادٍ، تحسّبًا لأيّ ثورة أو تمرّد محتمل. تحلّق كبار بني هاشم و كبار أصحاب المناصب السياسيّة الرفيعة حول الجثمان الطاهر للإمام عليه السلام. و كانت للإمام مكانة عظيمة في القلوب؛ فكان الناس من شتّى الفئات و الطبقات يجلّونه و يحبّونه. فترك الجميع أعمالهم و سارعوا إلى بيت الإمام عليه السلام. و كانت نسوة البيت يبكين و ينتحبن في الداخل. و بعد تغسيل الإمام عليه السلام و تكفينه، أقام الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام الصلاة على جثمان والده في الحجرة قبل وصول الخليفة العباسيّ و مشاركته في التشييع. و كانت الحشود خارج الحجرة مكتظّة، ابتداءً من ساحة الدار و الأزقّة و الشوارع المحيطة وصولًا إلى السوق حيث كانت المتاجر قد أغلقت أبوابها بنحوٍ كامل. و حتّى أوسع شوارع مدينة سامرّاء لم تكن تتّسع لموضع قدم. و كان منسوب الخوف لدى العباسيّين يرتفع مع ازدياد الجموع، و صاروا يتشدّدون في إجراءاتهم الأمنيّة. كان الجميع يترقّبون خروج الجثمان الطاهر للإمام عليه السلام كي يشاركوا في تشييعه. و فجأة بصر الجميع بانفتاح باب من صدر

الرواق، حيث خرج عليهم الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام حافي القدمين، مكشوف الرأس، محلّل الأزرار، مشقوق الجيب، و وجهه مكروب، و معه خادم أسود. فقام الجميع احترامًا للإمام عليه السلام. كان في سيرته و صورته شبيهًا بأبيه، فساد صمتٌ مطبقٌ على الجميع و كانوا قد استغرقوا بالنظر إلى وجهه المبارك. لم يكن يُسمع سوى صوت سعالٍ و حمحمة متقطّعة على فترات متباعدة تصدر من هنا و هناك. جلس الإمام عليه السلام للحظات بين بابَي الرواق، ثمّ قام و أخرج الجثمان الطاهر لوالده و معه عددٌ من الرجال. كان التابوت ينتقل فوق أيدي الحشود و سواعدهم. و كان كلّ شخص يسعى جهده كي يتشرّف بملامسة الجسد الطاهر للإمام الهادي عليه السلام بأطراف أنامله، أو ملامسة طرف من التابوت في الحدّ الأدنى. كانت حرارة الجوّ قد مزجت بين قطرات العرق المتصبّب من الأجسام و بين دموع الباكين. و قد أوشك ازدحام الجموع أن يُلحِق ضررًا بالإمام الحسن العسكريّ عليه السلام. شُيّع التابوت إلى شارعٍ قبالة منزل موسى بن بغا ـ القائد التركيّ لجيش بني العبّاس ـ كي يُصلّي عليه المعتمد بالنيابة عن أخيه المعتز، ثمّ عادوا بالتابوت إلى البيت ثانيةً كي يُدفَن هناك.

وصل خبر استشهاد الإمام العاشر الهادي عليه السلام إلى المدن القريبة و البعيدة، من بغداد و الكوفة إلى الريّ و قمّ، و خلفه في الإمامة ابنه الحسن عليه السلام. و قد سبق للإمام الهادي عليه السلام ـ الّذي جاهد في سبيل الله غريبًا في مدينة سامرّاء ـ أن عرّف الشيعة قبل استشهاده بولده الحسن و حتّى حفيده المهديّ الّذي لم يكن قد وُلد بعد. و لذلك فقد تعرّف الشيعة إلى الإمام اللاحق سريعًا و هو الّذي اشتهر بـ «العسكريّ» نسبةً إلى محلّة العسكر الّتي كان يقيم فيها تحت الإقامة الجبريّة كما كان حال أبيه عليه السلام. و هو أطهر الناس و أعلمهم و أتقاهم و أورعهم، و يُذعِن بذلك الموافِق و المخالف. و قد استولى الحزن على قلب الإمام الحادي عشر الحسن العسكريّ عليه السلام و قلب أمّه السيّدة حديثة عليها السلام الّتي كانت في تلك الأيّام تشعر بالوحدة أكثر من أيّ وقتٍ مضى. لم تكن قد تجاوزت بعدُ غصّة فقدان ابنها الأكبر محمّد، حتّى بات عليها الآن أن تتجرّع مصيبةً أمرّ و أدهى، فهذه الأمّ قد ودّعت قبل سنتين ابنها محمّدًا و أسكنته تحت الثرى بدموعٍ حرّى، و اليوم دوران الدهر يسلب منها زوجها و حبيبها أيضًا، لم تكن لتنسى محبّته، و كانت تذكر باستمرارٍ تمجيده لها الّذي كان يأخذ بمجامع قلبها. فمع أنّها قبل الزواج كانت تُعرف بأنّها جارية، لكنّ الإمام عليه السلام كان يحترمها كثيرًا و يمنحها العزّة و يثني عليها و يشيد بمكانتها و يبيّن للآخرين سموّ منزلتها و كرامتها عند الله. فكان فعل الإمام عليه السلام من فعل الله تعالى الّذي شرّفها بأن تكون زوجة إمام و أمّ إمام أيضًا.

ها هي الآن ذكريات محبّة الإمام عليه السلام لها و رأفته بها تتداعى في ذهنها و تُسعّر نار فراقه في قلبها أكثر.

أمّا السيّدة نرجس عليها السلام فكانت تتقاسم الأحزان و الغموم مع زوجها و والدته عليها السلام. و ما كان يعزّي الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام و أهله حينها إلّا المولود الّذي قد بَشّره به والده قبل استشهاده، ذلك الموعود الّذي سيعوّض أهل البيت عليهم السلام و شيعتهم عن كلّ الظلم الّذي لحق بهم، و يضعهم في المكانة الّتي وهبها الله تعالى لهم بحكمته و فضله، لتحكم العدالة العلويّة العالم، و يتذوّق المؤمنون طعم رضا الله سبحانه و قربه. و بهذا فإنّ تشوُّق السيّدة حديثة و الأمل الّذي يحدوها إلى رؤية حفيدها و سلواها، جعلاها تتجاوز أيّام المحنة الأليمة. و كانت تشكر الله عزّ و جلّ و تحمده أنّ نسل زوجها الطاهر المطهَّر سيمتدّ بواسطة ابنها المعصوم و كنّتها الصالحة و الطاهرة. أمّا السيّدة نرجس عليها السلام الّتي لم يغب عن بالها حُسن خلق إمامها و أبي زوجها الهادي عليه السلام و محبّته لها ـ الأمر الّذي كان يضاعف غصّتها ـ فكانت دائمًا تذكر رسالته الّتي حملها بِشر إليها. و كانت قد خبّأت هذه الرسالة في مكانٍ خفيٍّ و احتفظت بها ذكرى من أبي زوجها، و كان خطّ الإمام عليه السلام لا يزال يُبهر بالنور عينيها، كانت عبارات الرسالة منقوشةً على صفحة قلبها البيضاء، و لم تكن لتنسى كيف أنّه بهذه الرسالة المُفعمة بجماله، الممزوجة بفنّ كماله، قد استقبلها أكرم استقبال، و دلّلها كأميرةٍ و خطف قلبها حتّى قبل اللقاء، لقد كان نور الله تعالى ظاهرًا في تلك الرسالة، و لذا كانت بلسمًا يطيّب خاطرها و برودةً تُهدّئ غليل صدرها، فكانت مرارًا تفتح الرسالة و تضمّها إلى صدرها و تدنيها من قلبها و تقرأها و تردّد كلمات نصّها الجميل و تذكر تلك الأيّام السعيدة، في حين كانت عَيْناها لا تكفّان عن سقي وردات خدّيها.

القهقهات المضطربة

لقد أصبح الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام الإمامَ الناطق للشيعة و حلّ محلّ والده الإمام الهادي عليه السلام. و قد سعى العبّاسيون من وراء اغتيال أبيه إلى إبعاد الشيعة عن التحلّق حول أهل البيت عليهم السلام، و لكن النتائج كانت معكوسة تمامًا؛ إذ أخذ الإمام العسكريّ عليه السلام على عاتقه هداية الشيعة كافة، و كان يعمل على فتق الأمور و رتقها من داخل بيته. و كان الإمام عليه السلام يعيش في البيت نفسه الّذي كان يسكنه والده، و تحت ضغوطات الحكومة و مراقبات

عيونها بسبب التهمة نفسها الّتي دفعتهم إلى إحضار والده عليه السلام إلى سامرّاء، أي لكونه من ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله و من أئمّة الهدى الّذين تميل إليهم قلوب العباد، بل اشتدّت عليه الرقابة أكثر، لأنّ جريمته عندهم كانت أعظم؛ إذ لم يكن لديهم أيّ شكٍّ في أنّه سيكون والد الإمام الثاني عشر الّذي سيقلع الظلم و الجور من جذورهما و يهدم حكوماتهم الباطلة. فقد كان الملوك العبّاسيّون قد سمعوا منذ زمنٍ بعيدٍ همساتٍ و نبوءاتٍ عن قدوم هذا المولود. فالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله و الأئمّة المعصومون عليهم السلام قد بشّروا واحدًا تلو آخر بأنّه سيولد من ولد فاطمة عليها السلام مَن يملأ الأرض قِسطًا و عدلًا بعدما مُلئت ظلمًا و جورًا و هو الوصيّ الثاني عشر، نبوءة كانت تُعدّ بشارة للبشريّة كافّة لكنّها في الوقت نفسه تعدّ إنذارًا و خطرًا جسيمًا على المتربّعين على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان الخلفاء العبّاسيّون يعلمون أنّ زمان ولادة هذا الإمام قد أزِف، فهم كانوا يعلمون جيّدًا بالعدد الثابت الّذي حدّده النبيّ صلى الله عليه وآله للأئمّة الأطهار، و لم يكن صعبًا عليهم عدّ الأئمّة السابقين على الأصابع أو في الأذهان، ليتيقّنوا أنّ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام هو الإمام الحادي عشر و من صلبه سيكون الإمام الثاني عشر لا محال، و إن كانوا قد أمروا بعض فقهاء السوء و رواة الحديث التابعين للبلاط الحاكم بإخفاء هذا الأمر عن عامّة الناس و محوه من الآثار. لكنّ ذلك لم يكن لينفعهم وكان صدى قهقهاتهم المُلوكيّة يرتجف، و لم تتمكّن مجالس اللهو و الشراب من القضاء على الرعب الّذي تملّكهم و تغلغل في نفوسهم، وكلّما اقترب الزمان الموعود، ازداد القمع و التضييق و البلاء على أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله. لذا كانوا يتشدّدون في مراقبة جميع حركات الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام و في مراقبة أهل بيته أيضًا، لعلّهم يظفرون بأيّ خبرٍ عن جنينٍ في بطن أمّه أو مولودٍ جديد من نسله ليقتلوه و يقضوا عليه و يستولوا على الحكم إلى الأبد كما يزعمون! ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾.

و هكذا كانت القيود تُفرض على الإمام بنحوٍ أشدّ ممّا كانت تُفرض على والده عليه السلام. وكان اللقاء به يستدعي التعرّض إلى الكثير من الصعوبات. و لهذا السبب كان الإمام يُحيل الناس في الغالب إلى عثمان بن سعيد الّذي كان بحسب الظاهر بائعًا للسمن، إلّا أنّه في الواقع كان من أفضل تلاميذ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، و موضع ثقته و ثقة أبيه الإمام الهادي عليه السلام، وكان يتولّى منصب النائب الخاصّ لهما، فهو قد أوقف نفسه و حتّى أسرته و لا سيّما نجله محمّد على خدمة أهل البيت عليهم السلام بكلّ تفانٍ و إخلاص. و مع أنّ

الإمام كان مُراقَبًا بالكامل حتّى و هو في داخل بيته، لكنّ هذا التشدّد لم يكن ليكفي المعتزّ العبّاسيّ، بل كان يجلب الإمام العسكريّ عليه‌السلام مرارًا إلى السجن بحججٍ واهية، و أحيانًا كان يلقي القبض على أخيه جعفر بتهمة شرب الخمر و يستدعي معه الإمام العسكريّ عليه‌السلام تشويهًا لسمعته. و بطبيعة الحال فإنّ ذلك كلّه كان يأتي بتدبيرٍ من القادة الأتراك من أمثال صالح بن وصيف، الّذي كان هو الممسك الحقيقيّ بمقاليد الأمور في عهد المعتزّ. و كان السجن في قلعةٍ باسم الجوسق الأحمر، و قد بُنيت للمقتدر العباسيّ حفيد المتوكّل، و هو من أرهب سجون العبّاسيّين، و كان يُعرف بسجن الحسيس أي سجن المقتولين. و فيه يُحبَس السجناء السياسيّون و المتّهمون بقتل رجال الدولة. و كان يكفي أن يتمّ اغتيال أحد القادة في جهاز السلطة، حتّى يغصّ ذلك السجن بالشيعة و العلويّين اعتباطًا على الظنّ و التهمة.

و عندما كان الإمام عليه‌السلام يُحبَس في ذلك السجن، كانت معنويات سائر المحبوسين ترتفع و ينسون آلامهم و أوجاعهم و جراحهم، و يصبح السجن جنّة بالنسبة إليهم. و قد خطّط المعتزّ و غيره من الخلفاء العبّاسيّين لاغتيال الإمام أكثر من مرّة، لكنّ تلك الخطط لم تكن تنتهي إلى ما يرجون بفضل الله تعالى. فكانوا يعيّنون أسوأ السجّانين و أشدّهم قسوة، لكن لم يكن يمضي إلّا اليسير من الوقت حتّى يصبح هؤلاء السجّانون أنفسهم الّذين كانوا من أشدّ أعداء الإمام عليه‌السلام، من مريديه و محبّيه. فقد كان السجّانون يرون أنّ الإمام عليه‌السلام يظلّ نهاره صائمًا و يبيت ليله قائمًا، مستأنسًا بذكر ربّه و مناجاته، و أنّه رحيم بالجميع، فكانوا يصبحون من الموالين المخلصين له. و في نهاية المطاف كانوا يأتون إليه معتذرين و يسألون المغفرة و يطلبون الدعاء. و من بين هؤلاء الّذين تغيّروا على هذه الشاكلة، يُذكَر عليّ نجل أوتامش، الّذي كان والده قائدًا تركيًّا، و قد كان له دورٌ في قتل المتوكّل، و كان وزير المستعين. و كان الأمر يصل إلى الحدّ الّذي يستدعي فيه صالح بن وصيف و كبار القادة السجّانين ليستجوبَهم، فكانوا يقولون في الجواب: ماذا نصنع بشخصٍ ذائبٍ بكلّ وجوده في ذات الله؟ عندما ينظر إلينا تهتزّ مشاعرنا و نفقد السيطرة على أنفسنا. بل و كان منهم من يذهب إلى أبعد من ذلك ليصبح بنفسه من العبّاد و أهل الخضوع و الدعاء و المناجاة. و بالنتيجة كانت أحوال السجن تنقلب رأسًا على عقب حتّى يرى العبّاسيّون و قادة الترك أنّ عملهم قد أعطى نتيجةً عكسيّة، فكانوا يخلون سبيل الإمام عليه‌السلام.

و لم تدم خلافة المعتزّ لأكثر من ثلاثة أعوام، إذ إنّ صالح بن وصيف ـ الّذي شارك مع والده في التخطيط لقتل المتوكّل ـ ساءت علاقته بالمعتزّ، و أنزله من العرش هو الآخر في أواخر شهر رجب من عام ٢٥٥ للهجرة، و عرّضه لأبشع أنواع العذاب، حتّى منع عليه الطعام و الشراب، ثمّ أدخله سردابًا و جصّص عليه حتّى هلك، و أقام بعده ابن عمّه المهتدي على كرسيّ الخلافة. و خلال هذه المنعطفات و التداعيات و الهرج و المرج و الفوضى الّتي كانت سائدة بين بيادق الحكم، كان الّذي يخشاه أصحاب البلاط يوشِك على التحقّق.

و مع كلّ تلك الضغوطات و التضييقات، و في تلك المدّة العصيبة على أهل بيت النبوّة، كانت السيّدة حكيمة تتمكّن بفضلِ الله من التردّد باستمرار إلى بيت الإمام العسكريّ عليه السلام لتطمئنّ عليه، و كذلك لتقتبس من علمه و حكمته، و لا سيّما بعد أن أصبح ابنُ أخيها الحسن العسكريّ عليه السلام هو إمامها و مولاها. فكانت العمّة الحنون تذهب متى شاءت و رغبت، بموعدٍ و من دون موعدٍ، لرؤية الذخر الّذي خلّفه أخوها عليه السلام بعده. فكان جماله يأخذ بمجامع فؤادها، و سماع صوته يزيد نبضات قلبها. لقد حظيَت العمّة بما لم يحظَ به غيرها إذ فُتح لها باب اللقاء متى شاءت في الوقت الّذي قلمّا كان يجرؤ أحد على لقاء الإمام عليه السلام؛ لأن مثل هذا اللقاء تترتّب عليه تبعات قاسية، من الطرد و المراقبة إلى النفي و الحبس. إلّا أنّ العمّة الشجاعة و المِقدامة كانت تؤثِر لقاء الإمام على أيّ شيء آخر، و كانت على استعداد دائم لخدمة ابن أخيها عليه السلام.

و حينما كانت تصل إلى منزل الإمام عليه السلام، تستقبلها العروس الجديدة العهد عند الباب، تتناول منها خفّها، و تقبّل يدَيها. كانت لا تزال بالنسبة إليها المعلّمة الّتي لقّنتها المعارف الدينيّة، و الأُمّ الحنون الّتي بذلت ما في وسعها لإسعادها. أمّا السيّدة حكيمة عليها السلام فقد كانت تُكرِمها كثيرًا، و تقبّل رأسها، مردّدةً أجمل عبارات الدعاء لها و لزوجها. لكن كان لها دعاءٌ خاصٌّ يردّده لسانُها باستمرارٍ: اللهمّ ارزق ابن أخي ولدًا! كانت قد سمعت بشارة أخيها، و كانت تعلم أنّ الإمام الثاني عشر و القائم من آل محمّد صلى الله عليه و آله الّذي سرق الخوف من ولادته النوم من أعيُن الحكّام العبّاسيّين، سيكون من صلب الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام. لعلّها كانت تلتمس بدعائها دورًا في تعجيل قدوم هذا المولود إلى الدنيا، و أيّ فخرٍ أرفع من هذا؟! حتّى و إن أسهم دعاؤها الخالِص بتعجيل ولادة الإمام الثاني عشر من أوصياء رسول الله محمّد صلى الله عليه و آله و لو لحظة واحدة، فإنّ في هذا كرامة كبيرة ستكون من نصيبها. ثم

دخلت السيّدة حكيمة إلى الدار و سلّمت على أهله بابتسامتها المعهودة، و في كلّ مرة كانت العمّة و السيّدة حديثة تلتقيان فيها بالسيّدة نرجس كانتا تلاحظان ازدياد بهاء وجهها. فكان نور وجهها يزداد يومًا بعد يوم بحيث حتّى الجواري كُنّ يرَينه لكنّهنّ لم يكنّ يعرفن سببه.

بشائر اليوم الموعود

إنّه شهر شعبان من سنة ٢٥٥ للهجرة، و القمر بدرٌ يشعّ بنوره على الكواكب الزاهرات، و السيّدة حكيمة عليها السلام تتأمّل فيه مُسبّحةً الخالق على عظيم ما أبدع و صوّر، و تتساءل في نفسها متى سيهلّ البدر المنير؟ هل ستكحّل ناظرايَ برؤيته؟ أسفر الصبح و هي لا تزال تغوص في أفكارها، فلم يغمض لها جفن. أضاف انتظارها لرؤية جمال وجه حفيد أخيها و ريحانته، الّذي بشّر بولادته آباؤها جيلًا بعد جيلٍ، معنًى إلى حياتها و رَوحًا يُنعش وجودها بالأمل. كانت من ناحيةٍ تعرف أنّ الحكّام الظالمين إن شمّوا أقلّ رائحةٍ من هذا الخبر، ستتحوّل البشارة الكُبرى إلى نائبةٍ سوداء. لذلك اختلط عندها الأملُ بالخوف. كان اليوم الرابع عشر من الشهر، وكانت كما أيّامها السابقة صائمةً، تلهج بذكر الله و الدعاء. و هي منشغلة بأعمالها المنزليّة. فجأة سمعت صوت قرع الباب، سارعت لفتحه مضطربةً و إذا بها ترى مبعوث الإمام العسكريّ عليه السلام الّذي بادرها بالقول: مولاي يدعوك إلى منزله! حين سمعت اسمَ الإمام عليه السلام، استردّت الروح، و لم تعد الأرض تسَعُها من شدّة السرور، ذلك أنّها كانت دائمًا تذهب من تلقاء نفسها إلى لقاء ابن أخيها، لكن هذه المرّة هو الّذي يستدعيها، حتمًا هنالك خبرٌ مهمّ. بدأ قلبها يهتف بالخير و يتفاءل به، كانت تشعر أنّ هناك حدثًا سعيدًا؛ ارتدت حلّة الخروج و تسارعت خطواتها لطيّ طريق الوصول إلى بيت الإمام عليه السلام. حين كحّلت ناظرَيها برؤية ابن أخيها، كان أوّل ما نطقت به كدأبها في كلّ مرّةٍ تراه: رزقَك الله ولدًا يكون قرّة عينك و دفء حياتك. فبشّرها الإمام عليه السلام قائلًا: سرعان ما سيأتي المولود المبارك! ما من خبرٍ كان سيُفرحها مثل هذا الخبر. في هذه الأثناء دخلت السيّدة نرجس عليها السلام، و كعادتها استقبلت عمّتها الجليلة باحترامٍ شديد، ثمّ انحنت لتساعدها في خلع خفَّيها قائلةً بأدبٍ: يا مولاتي ناوليني خفّك. لكنّ السيّدة حكيمة هذه المرّة وضعت يدها على عزيزتها نرجس و ربّتت كتفيها و أوقفتها. ابتسمت لها ابتسامةً ذات معنًى عميق،

ثمّ خاطبتها بمودّةٍ و محبّةٍ: بل أنتِ سيّدتي و مولاتي، و الله لا أدفع إليكِ خُفّي لتخلعيه، و لا لتخدُميني، بل أنا أخدُمُك على بصري! نرجس الآن هي والدة الإمام الثاني عشر، و العمّة الحنون لا ترى فخرًا أعظم من خدمتها. أخجلَ كلامُ السيّدة حكيمة السيّدةَ نرجس، و ارتبكت فلم تعرف كيف تشكرها، أمّا الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام الّذي كان حاضرًا و سمع كلام عمّته الكريمة، فقال مبتسمًا: جزاكِ الله خيرًا يا عمّة.

بقيَت السيّدة حكيمة عليها السلام حتّى العصر إلى جانب ابن أخيها، و لمّا شارفت الشمس على المغيب، همّت بالعودة إلى منزلها، فطلبت إلى الجارية أن تناولها ثيابها لتنصرف. لكن إلى أين تذهب و هذه الليلة ليست كأيّ ليلة! ألن تبقى لتشهد آية سطوع الشمس في ظلمة الليل و قد حضر جميع الأنبياء و المرسلين عليهم السلام و معهم آلافٌ مؤلّفة من الملائكة الّتي تنزل من السماوات السبع إلى هذا البيت المبارك؟! لم تكن السيّدة حكيمة تعرف موعد الليلة المرتقبة، فابن أخيها لم يُنبئها سوى بأنّ مولوده المبارك سرعانَ ما سيسطع نوره بين السماء و الأرض، و لم تحتمل أنّ الإمام عليه السلام كان يقصد هذه الليلة بالذات. و هنا استوقفها الإمام العسكريّ عليه السلام الّذي توجّه إليها قائلًا: يا عمّتاه، اجعلي إفطاركِ معنا، و بيتي الليلة عندنا، فإنّ الله عزّ و جلّ سيسرّكِ بولادة وليّه و حجّته على خلقه، خليفتي من بعدي، و سيولد الليلة المولود الكريم على الله عزّ و جلّ، الّذي يُحيي الله عزّ و جلّ به الأرض بعد موتها. إنّه لما يدعو للحزن أن وصل قمعُ الحكّام إلى حدٍّ أنّ حجّة الله و خليفته عليه السلام اضطرّ فيه إلى عدم الإفصاح عن موعد الولادة لأيّ فردٍ من أسرته إلى هذه اللحظة. و كان أمر خفاء الولادة معروفًا لدى الشيعة، فقد أخبر أهل البيت عليهم السلام من قبلُ أنّ ولادة الإمام الثاني عشر سوف تكون مخفيّة، لذا لم يكن الأمر بالغريب على السيّدة حكيمة عليها السلام، لكن ما أثار تعجُّبها أنّه لم يكن باديًا على حبيبتها نرجس أيّ أثرٍ للحمل، فهي كانت تعتقد أنّ السيّدة نرجس عليها السلام هي والدة المولود الكريم، إذ إنّها سمعت من أخيها الهادي عليه السلام في أول يوم التقى بها أنّها هي الّتي ستكون والدة القائم. فقالت في نفسها أيُعقل أن تكون امرأة أخرى هي والدة المولود المبارك؟ فسألت ابن أخيها العسكري عليه السلام بتردّدٍ و حيرة: ممّن يولدُ هذا المولود العظيم و لستُ أرى بنرجس شيئًا من أثر الحمل؟! أجابها الإمام عليه السلام بطمأنينة و سكينة: من نرجس يا عمّة، لا من غيرها! و السيّدة حكيمة الّتي كانت تُكِنّ لنرجس محبّة خاصّة في قلبها، ضاعفت هذه الكلمة فرحها و استغرابها معًا. مع ذلك اتّجهت بكامل كيانها نحو زوجة ابن

أخيها، و تفحّصتها، فلم تجد أثرًا للحمل. عادت نحو الإمام عليه السلام و قالت بدهشةٍ: جعلني الله فداك، ما بها أثر! هناك ابتسم الإمام العسكريّ عليه السلام و قال: هو ما أقول لك. نعم إنّ أمّهات أوصياء الله يختلفن عن غيرهنّ من الأمّهات، و حَملهنّ مختلفٌ أيضًا!

اللؤلؤ في الصدف

أيقنت السيّدة حكيمة عليها السلام حينئذٍ أنّ عناية الله عزّ و جلّ تكتنف هذا المولود و ولادته، فسألت إمامها عليه السلام بحماسٍ قائلةً: يا سيّدي قد أخبرتني أنّه يولد في هذه الليلة، ففي أيّ وقتٍ منها؟ أجابها الإمام عليه السلام: في طلوع الفجر يولد الكريم على الله إن شاء الله. إذا كان وقت الفجر يظهر لكِ بها الحَبَل، لأنّ مَثلها مثل أمّ موسى عليها السلام لم يظهر بها الحَبَل و لم يعلم بها أحدٌ إلى وقت ولادتها، لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحبالى في طلب موسى و هذا نظير موسى عليه السلام.

بعد ذلك ذهبت العمّة الحنون إلى عزيزتها نرجس لتعبّر لها عن حبّها و سعادتها، فقالت لها: أنا فداكِ و جميع العالَمين! فأنكرت السيّدة نرجس عليها السلام قولها، إذ إنّها سيّدة من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله و كانت تعدّها بمنزلة أمّها، وكانت ترى دائمًا أنّ تكريمها و خدمتها أمرٌ واجبٌ عليها. لكنّها تساءلت متعجّبةً في قَرارة نفسها: ما الّذي يدفع سيّدةً من أهلِ بيت النبوّة و الرسالة، و ابنة إمامٍ و أخت إمامٍ و عمّة إمامٍ أن تفديني بنفسها، و تكون مستعدّةً لأن تضع الدنيا و ما فيها تحت قدميّ، و تفضّلني على الجميع؟! و هنا نظرت نرجس عليها السلام إلى حكيمة عليها السلام و قالت لها بتواضعٍ: ما هذا يا عمّة؟! ردّت حكيمة عليها السلام بهدوئها المعهود: لا تُنكري ما فعلت، فإنّ الله سيهب لكِ في هذه الليلة غلامًا سيّدًا في الدنيا و الآخرة، و هو فرج المؤمنين. عندما سمعت نرجس عليها السلام هذا الكلام تملّكها حياؤها الّذي كان حليفها و التزمت الصمت. كانت قد سمعت من الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام يقول لها: ستحملين ذكرًا و اسمه محمّد، و هو القائم من بعدي. كم كانت ترغب في أن تشكر الله تعالى حقّ شكره وكما يليق بجلاله على هذه النعمة السابغة، فقد كانت تعلم أنّ كلّ ما مرّ عليها من الروم إلى بغداد فسامرّاء كان تدبيرًا إلهيًّا من أجل ولادة هذا المولود المبارك.

امتثلت السيّدة حكيمة عليها السلام أمرَ الإمام عليه السلام، و بقيت في منزله، و بعد تناولها الإفطار و أخذها قسطًا من الراحة، قصدت حجرة حبيبتها نرجس و نامت قريبًا منها، و أخذت

تراقبها. لم تُغمض عينيها عن حليلة ابنِ أخيها. كانت هذه المراقبة ذريعةً لينظر قلبها الظامئ إلى العروس السماويّة، فتنتعش روحها و تصفو. و نرجس الّتي كانت مطمئنّةً و مؤمنةً برعاية زوجها، قد أغمضت جفونها باطمئنانٍ و نامت. كان التأمُّل في وجه السيّدة نرجس عليها السلام المغمضة العينين مع ما فيه من جمال البراءة و السكينة له نكهةٌ أخرى، فكانت رؤية الطمأنينة المرتسمة على وجهها أكثر ما يسعد العمّة الحنون. إلّا أنّ كلام ابن أخيها عليه السلام لم يغب عن بالها و لو لحظة، فكانت تقول في نفسها ما المقدَّر الّذي سيحدث؟ أيّ ليلةٍ سعيدةٍ هي هذه الليلة؟ هل سيكرمني الله برؤية القائم من آلِ محمّد الّذي بشّر بولادته آبائي؟ فهي كانت قد سمعت من ثلاثة أئمّةٍ معصومين وصف الإمام القائم، الّذي سيملأ الأرض قسطًا و عدلًا، و الّذي سيحيي الأرض بعد موتها. فكأنّها كانت تحدّث نفسها قائلةً: جميعنا أهل البيت نرغب في رؤيته و نعزم على نصرته، فهو سيطهّر الأرض من دنس الظالمين. و هو أشبه الناس خَلقًا و خُلقًا برسول الله صلى الله عليه وآله، و هو الكوكب الدُّرّيّ الّذي رآه جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة المعراج. واصلَت السيّدة حكيمة عليها السلام التفكير بمقام الموعود المنتظر، فما انتبهت إلّا و قد حان وقت السَّحَر، فألقَت بناظريْها إلى نرجس عليها السلام لكي تتفقّدها، سبحان الله! كانت نائمةً و لا تتقلّب من جنبٍ إلى جنب، و ليس بها أيّ أثرٍ من الحمل!

التطلّع نحو السماء

كانت السيّدة حكيمة عليها السلام تستيقظ كلّ ليلةٍ وقت السحر، تناجي ربّها، و تصلّي صلاة الليل. لكنّها هذه الليلة بكّرت في القيام لأداء النافلة، لأنّها كانت تعلم أنّه عند طلوع الفجر سوف يحدث أمرٌ عظيم. فصلّت ركعات النافلة الثماني و عقّبتها بركعتَي الشفع، ثمّ شرعت في صلاة الوتر، طالت صلاة الوتر كالعادة، فكانت في قنوتها تخاطب معبودها الفرد الأحد بعبارات التسبيح و التقديس طالِبةً من الله عزّ و جلّ الصِّحّة و السلامة لهذه الأمّ و مولودها. ثمّ ما لبثت أن نهضت السيّدة نرجس و استعدّت لقيام الليل و التهجُّد. و بينما كانت السيّدتان في هذه الأجواء من الانقطاع و العبوديّة، وقع فجأةً في قلب السيّدة حكيمة أنّ الفجر قد بزغ، و ينبغي لها الآن أن تُشدّد من مراقبة عزيزتها نرجس عليها السلام. أنهت صلاتها، ثمّ خرجت من حجرة نرجس عليها السلام إلى الفِناء، و نظرت نحو السماء. فرأت أنّ تباشير الفجر الأولى قد بدَت، فقالت في نفسها: ها قدْ طلع الفجر لكِنْ...! و بينما هي غارقةٌ في أفكارها

هذه، سمعت فجأةً صوتًا: لم يطلع الفجر يا عمَّة! نظرت حولها و إذا بابن أخيها الحسن عليه السلام يخاطبها من تحت الظُّلَّة، و يقول لها بطمأنينة: لا تشُكّي، و كأنّكِ بالأمر الساعةَ قد رأيتِه إن شاء الله! عادت العمّة متيقّنة و مطمئنّة إلى حجرة نرجس و فتحت القرآن، و أخذت تتلو سورة «السجدة» المباركة، هذه السورة الّتي تعدل قراءتُها إحياءَ ليلة القدر كما ورد عن النبيّ صلى الله عليه و آله. نعم إنّ هذه الليلة لا تعادلها إلّا ليلة القدر. تلَت بعد ذلك بخشوعٍ سورة «يس» ريحانة القرآن العطِرَة و قلبه، و قد قُدّر في تلك الليلة أن تتفتّح ريحانة النرجس و قلب الحياة النابض.

الجارة المحظوظة

كانت في أحد المنازل القريبة امرأة عجوز، و كانت من العامّة أي الّذين لا يعتقدون بإمامة الأئمّة الاثني عشر من عترة النبيّ صلى الله عليه و آله لكنّهم يعلمون عظيم شأنهم و يُظهرون مودّتهم لهم، و هكذا حال أبناء العامّة في مدينة سامرّاء إذ كانوا يحبّون الإمام العسكريّ عليه السلام و يحترمونه كثيرًا، لأنّهم كانوا يرون علمه و حكمته و يلمسون تقواه و ورعه و قداسته و يعاشرون حُسن سيرته، فضلًا عن أنّه من أهل بيت الرسول صلى الله عليه و آله و ذوي القربى الّذين حبّهم في الكتاب فرضٌ، فلا عجب أنّهم يحبّونه و يذعنون بمودّته الّتي لا ينكرها إلّا الشقيّ و لا يفقدها إلّا الناصبيّ.

و في تلك الليلة رأت هذه العجوز رجلًا حسن الوجه، نظيف الثياب، طيّب الرائحة، قد ملأ عطرُ وجوده الأرجاء، يقول لها: يجيئك الساعةَ من يدعوكِ في الجيران، فلا تمتنعي من الذهاب معه و لا تخافي! قامت من فراشها فزعةً، لا تعلم إن كان ما رأته في المنام أم اليقظة. و بدأت التساؤلات تتوالى: مَن هذا الّذي خاطَبني؟ هل دخل أحدٌ منزلي؟ ماذا يريد منّي ذلك الرجل في منتصف هذا الليل البهيم؟ إن طرق أحدهم باب داري في هذه الليلة الظلماء، أَأفتح له؟ هل أذهب معه؟ و لعلّه الآن داخل المنزل؟! و على الرغم من الطمأنينة الّتي أدخلها صوت الرجل و هيئته إلى قلبها، لكنّ يديها كانتا ترتجفان رهبة من هيبته. كانت تنام هي و ابنتها بالقرب من الدهليز، فمنذ زمنٍ لا يعيش أحدٌ في هذا المنزل سواهما، بخلاف السنين الماضية حين كان هذا البيت الصغير عامرًا بأهله غُدوًّا و رواحًا، ثمّ سرعان ما بدأ يغادره أهلُه واحدًا تِلو آخر بعد أن كبُر أبناؤه، آخرهم كان أحمد

الّذي ذهب منذ سنتين إلى مدينة قزوين الإيرانيّة، و لم يبقَ مع العجوز سوى ابنتها هذه تؤنس وحشتها، فضاعف خلوّ الدار و وحدتهما اضطرابها و فزعها. و لذا نادَت ابنتها و هي ترتعد خوفًا، فأيقظتها و سألتها بصوتٍ خافتٍ و وجِل: هل شعرتِ بأحدٍ دخلَ البيت؟ أجابتها ابنتها ببرودٍ و لا مبالاةٍ: لا! و عادت إلى نومها، إذ إنّها غافلةٌ تمامًا عن حال أمّها بسبب ما يعتريها من النعاس. و لأنّ جوابها هذا لم يُقنِع الأمّ، فقد أجالت العجوز النظر في ما حولها. و لمّا ترَ شيئًا، هدّأت روعها بذكر الله و قراءة بعض آيات القرآن الكريم، إلى أن اطمأنّت و نامت.

لم يطُل اطمئنانها إذ قطع نومها مرّة ثانية ذلك الرجل الحسن الهيئة، يقول لها الكلمات السابقة نفسها، فهبّت من نومها و أيقظت ابنتها، لكن هذه المرّة و هي خائفة، ذُهلت البنت، و أدركت حال أمّها. قالت لها محاولةً تهدئتها: لم يدخل أحدٌ البيتَ، فاذكري الله و لا تفزعي! عاودتِ الأمّ قراءة بعض آيات القرآن و توكّلت على الله تعالى، ثمّ نامت. لكنّها من جديدٍ رأت ذلك الرجل و هو يقول لها: يا فلانة قد جاءك من يدعوكِ و يقرع الباب، فاذهبي معه! فاستيقظت على صوت قرع الباب. و كانت الرؤيا الأخيرة الّتي رأتها قد أنزلت عليها السكينة و أثلجت فؤادها، فتوجّهت نحو الباب و تستّرت خلفه، ثمّ سألت: من هذا؟ فأتاها الجواب من خلف الباب: افتحي و لا تخافي! علمت المرأةُ أنّه هو نفسه الّذي أخبروها بقدومه في المنام، و لذا نزعت جلباب الخوف عن نفسها و فتحت الباب. رأت خادمًا بثوبٍ نظيف و كان معه إزار، و من غير مقدّماتٍ قال لها بكلّ حيطةٍ و حذر: إنّ أحدَ جيرانك يحتاج إليك لعملٍ مهمّ، تعالي معي إلى هذا المنزل! و أشار إلى البيت المقابل لدارها. كانت العجوز تعرف ذلك البيت و تعلم أنّ ساكنيه من أهل بيت النبوّة عليهم السلام، و كثيرًا ما كان يصلها من خيراتهم و بركاتهم و إحسانهم، فأبدت استعدادها، و حينئذٍ لفّ الخادم رأسها بالملاءة، ثمّ ترصّد المكان جيدًا، و نظر يمينًا و شمالًا، و لمّا اطمأنّ إلى خلوّ المكان من عَسَسِ الحكومة و جواسيسها، أسرع بها نحو بيت الإمام عليه السلام و هي تبعته مطمئنّةً. كان يخالجها نوعٌ من السرور إذ إنّ الله تعالى قد منَّ عليها و دعاها إلى خدمة أهل بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله المكرّمين.

و كان الإمام عليه السلام قد أرسل خادمه لاصطحاب الجارة العجوز حتّى تُعاوِن العمّة على شؤون الولادة، و قد أخّر في طلبها حتّى نهايات وقت السحر و قبيل الولادة الميمونة، و ذلك احترازًا من لفت نظر الجواسيس و منعًا من وصول الخبر إلى مسامع السلطة.

طلوع الشمس



الفجر الصادق

كانت السيّدة حكيمة ترتّل آياتٍ من الذكر الحكيم في حين كانت السيّدة نرجس قائمةً في محرابها، مُقبلة على الله تعالى بكلّ وجودها. ها هو طلوع الفجر يقترب رويدًا رويدًا، و ها هي سامرّاء تُقبل بوجهها لاستقبال انبثاق نور الشمس الّتي تتحرّق شوقًا للإشراق على الأكوان بأطيب خبرٍ في العالم، و لترسل بشراها إلى السماء و الأرض، فيشقّ نورها حُجُب الظلام. السماء تتنفّس بترتيل سورة الفجر: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾، و نرجس متجاوبةً مع السماء تقرأ: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾، و حكيمة ترتّل: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾، و ترصد أنفاس نرجسها الحبيبة لحظةً بلحظة، و كانت أفواج الملائكة تهبط و تشهد قرآن ذلك الفجر الجديد. فجأةً نهضت أمُّ النورِ مضطربة، و توجّهت نحو باب الحجرة. لحِقت بها السيّدة حكيمة بسرعة، و بحرارة عطفها صبَّت في قلب حبيبتها السكينة و هي تدعو الله عزّ و جلّ أنْ يحفظ العزيزة نرجس، ثمّ التفتت إليها و قالت لها: بأبي أنتِ و أمّي هل تشعرين بشيء؟ أجابت نرجس و وجهها يعبّر عن حالتها: نعم يا عمّة إنّي لَأجدُ أمرًا شديدًا! واسَتها العمّة و أغدقت عليها بعطفها و حنانها، ثمّ احتضنتها برأفةٍ و قالت لها: لا خوف عليكِ إن شاء الله، اجمعي نفسك و اجمعي قلبك فهو ما قلتُ لك. ثمّ أخذت السيّدة حكيمة وسادة و وضعتها في وسط الحجرة، و أجلست عليه أمّ الشمس المنيرة. و جلست هي قبالتها لتحظى باستقبال هذا المولود المبارك، و في تلك الأثناء وصلت الجارة العجوز إلى المنزل، أزاحت الستار و دخلت الحجرة لمساعدة السيّدة حكيمة. نادى الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام عمّته من خارج الحجرة: «عمّتي، اقرئي سورة القدر على مسامع نرجس». فكأنّ هذه السورة مألوفةٌ للمولود، و قراءتها ترغّبه بالمجيء إلى هذه الدنيا. أخذت العمّة الجليلة تقرأ سورة القدر

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ ﴾
و تعيد تلاوتها و هي تراقب حال نرجس، إلى أن تلفّظتْ شفتا أسعد الأمّهات، بصعوبةٍ و حياءٍ ممزوجٍ بالألم: ظهر الأمرُ الّذي أخبرك به مولاي!

أمسكت نرجس يدَي العمّة، و استمدّت السكينة من وجودها بقربها. أنّت بألم، ثمّ تشهّدت... و هنا تهلّلت العجوز ثمّ أخذت الطفل على كفّها و نادت مستبشرةً: وُلِد الطفل، وُلد الطفل، ما أجمله من صبيّ! لم أرَ في حياتي أبهى منه! و هبّت لتنقل البشرى إلى الإمام عليه السلام، و أخرجت رأسها من طرف الستار فقيل لها أنْ لا ترفع صوتها. و قد عمَّ السرور أهل البيت، حتّى الأركان و الزوايا كلّها قد تعطّرت ببُشرى ولادته، لكنّه سرورٌ مُضمرٌ في الأفئدة، تجلّى بابتساماتٍ خفيّة، إذ لا إمكانيّة لإظهاره خَشية أن يصل صوت السعادة من أفواههم إلى مسامع الطغاة المتربّصين.

الرعاية الإلهيّة

وُلِد الطفل المبارك على نحوٍ كانت فيه يداه و رجلاه و جبهته الشريفة ساجدةً على الأرض كآبائه المعصومين عليهم السلام، و على ساعده الأيمن مكتوبٌ هذه الآية الكريمة: ﴿ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾. و بشغفٍ رفعته العمّة و وضعته في حضنها، و أينما نظرت لم تكن ترى سوى النور. و كانت لا تزال تردّد ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ و هي تحمل بين يديها المولود و تعرّفه إلى الدنيا، لكن فجأةً تغيّر حالها و جمد الدم في عروقها، مذهولةً بما يجري من كراماتٍ، إذ رأت الطفل النورانيّ قد حرّك لسانه، و سلّم عليها، و بدأ بتلاوة سورة القدر، سبحان الله العزيز! كيف لطفلٍ حديث الولادة أن ينطق؟!



في تلك اللحظات كان الإمام العسكريّ عليه السلام خارج الحجرة، لكنّه مُطّلعٌ على حال عمّته، فقال بصوتٍ مسموعٍ: لا تعجبي من أمرِ الله عزّ و جلّ، إنّ الله تبارك و تعالى يُنطِقُنا

بالحكمة صغارًا، و يجعلنا حجّة في أرضه كبارًا! نعم، إنّ شَبَه هذا الصبيّ بكليم الله موسى عليه السلام يعادل شبهه بروح الله عيسى عليه السلام، و قد أنطقه الله في المهد، و سيأتي ذلك اليوم الموعود الّذي يأتمّ فيه عيسى عليه السلام بمولود هذه الليلة الشريفة. و ليس عجبًا في أهل بيتٍ تُرتّل فيه الرؤوسُ المرفوعةُ على الرماح آيات القرآن، أن تردّد ألسنة الرُّضّع من أبنائه آيات الذكر الحكيم.

لقد كان النور ساطعًا من فوق رأس المولود إلى أعنان السماء، و قد انعكس نوره على وجه والدته الّذي كان يتلألأ كنجمةٍ خجولةٍ شاكرةٍ لنعمة الله عزّ و جلّ. و هو النور نفسه الّذي أحاط بها تسعة أشهر وكان يزداد يومًا بعد يوم. و لم يُرَ بأمّه أثر النفاس، فكان مولده شبيهًا بمولد جدّه أمير المؤمنين عليه السلام في بيت الله الحرام ـ الّذي يجب أن يكون بعيدًا عن كلّ خبث و دنس ـ حين جاء إلى هذه الدنيا طاهرًا مُطهّرًا.

كانت السيّدة حكيمة عليها السلام تتأمّل المولودَ المبارك بابتهاجٍ و حبور، و إذا بالإمام الحسن العسكريّ عليه السلام يناديها: يا عمّة هلمّي فأتيني بابني! ضمّت العمّة الجليلة الوردة الحديثةَ التفتّح بيدَيها، و قمّطته ثمّ قدّمته بين يدَي الإمام عليه السلام. فتناوله الإمام عليه السلام و مسح على عينَيه ففتحهما، و أقعده على راحته اليسرى و جعل راحته اليمنى على ظهره، فاستوى المولود جالسًا، ثمّ أدخل لسانه في فيه و أمَرَّ يده على ظهره و سمعه و مفاصله، و مسح بيده على رأسه، و قال عليه السلام له: يا بُنيّ انطق بقدرة الله! فاستعاذ المولود الكريم من الشيطان الرجيم و استفتح قائلًا: « ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ أشهد أن لا إله إلّا الله و أشهد أنّ محمّدًا رسول الله و أنّ عليًّا أمير المؤمنين وليّ الله». كان صوته أرخم من نغمة داود، و إنّ نبرته لتذكّر بصوت الوحي.



تجمّع أهل الدار و تحلّقوا حول المولود، و الابتسامات ترتسم على شفاههم، فهو الطفل الّذي ولد من سلالة وصيَّين إلهيّين، و قد شبك يَدَي أبيه و أمّه نبيّان من أولي العزم، حبيب

الله ﷺ و روح الله ﷺ، حتّى يولد آخر الذخائر الإلهيّة. و مَن يوازي السيّدة حديثة ﷺ ـ زوجة الإمام الهادي ﷺ ـ شرفًا و فخرًا و قد أصبحت اليوم جدّة لهذا المولود الكريم، و سوف يناديها: يا جدّتي!

كان البيت مُفعمًا بالنور على العكس من أزقّة المدينة المظلمة، و خلافًا لقلوب أهل سامرّاء الذابلة و الطافحة باليأس و القنوط، كانت قلوب أهل هذا البيت زاخرة بالأمل. و في تلك الأجواء، تقدّم الخدم و المَوالي، و من بينهم كلٌّ من كافور و نسيم خادمَي الإمام العسكريّ ﷺ وكذلك مارية، مهلّلين مُتشوّقين إلى رؤية وجه بدر التمام، و شاركتهم هذه الفرحة الغامرة جارية أبي عليّ الخَيزُرانيّ أيضًا، الّتي قدّمها صاحبها ـ و هو من أصحاب الإمام ﷺ و مُريديه ـ هديّةً له، فنالت التوفيق الإلهيّ إذ تشرّفت برؤية وجه المولود النيّر و الكرامات الّتي رافقت ولادته، فقد رأت نورًا ساطعًا قد ظهر منه و بلغ أفق السماء، و رأت طيورًا بيضًا تهبط من السماء و تمسح أجنحتها على رأسه و وجهه و سائر جسده ثمّ تطير. و قد أخبر الإمام العسكريّ ﷺ لاحقًا أنّ هذه الطيور هي ملائكة السماء، و أنّها نزلت لتتبرّك به، و أنّها أنصاره إذا خرج! و خلاصةُ الأمر أنْ كان ما شاءه الله، إذ بعيدًا عن أعين الظَّلَمَة، نوَّر الله عزّ و جلّ أعيُن مجموعةٍ صغيرةٍ برؤية وجه المولود الكريم ليُتمّ الحجّة على الخلق.

و هكذا كان جميع أفراد الدار مجتمعين، باستثناء شخصٍ واحدٍ لم يكن بين الحضور! فإنّ إحدى الإماء الّتي كانت لا تزال في مقتبل عمرها، كانت قد غادرت منزل الإمام ﷺ و شدّت رحال السفر كسيرة القلب متوجّهةً إلى مصر لتُعين أختها الحامل، فلم توفّق لرؤية الوجه الدرّيّ لابن الإمام العسكريّ ﷺ عند ولادته، لكنّ إخلاصها في خدمة أهل بيت الإمام ﷺ سوف يكون سببًا في نزول أفضل مصلحتها و توفيقها لِما هو أعظم من الرؤية، و قد حظيَت قبل مغادرتها ببشارة أزاحت عن قلبها سحابة الحزن الّتي خيّمت على صدرها بسبب الفراق، إذ أخبرها الإمام ﷺ بأنّها سوف ترى ابنه في آخر عمرها، و قال لها: «تكونين له كما كنت لي!».

و في أثناء حضور الجميع، أكّد الإمام العسكريّ ﷺ لهم أن لا يُذيعوا خبر ولادة ابنه الموعود. و في غضون ذلك، أشار المولود بسبّابته نحو السماء، ثمّ عطس و قال: «الحمدُ لله ربِّ العالمين و صلّى الله على محمّد و آله عبدًا داخرًا غير مستنكفٍ و لا مُستكبر». فأدهش بكلامه جميع الحاضرين، و كأنّ الله تعالى أراد أن يُبيّن لهم أنّ هذا المولود هو وليُّه و حجّتُه،

و أنّه يختلف عن غيره من المواليد، و الله سبحانه لا يعجزه أمرٌ و هو القادر على ما يشاء، فإذا شاء الله سبحانه، تكلّم المولود في مهده بفصاحة المتكلّمين. و بعد هذا الإعجاز الربّانيّ، شاهد المجتمعون كيف أنّ الرضيع سكت عن الكلام و عاد إلى حالته الطبيعيّة كأيّ مولودٍ آخر، لقد حُجِب عنهم رؤية وجهه السّماويّ، و برز وجهه الأرضيّ. ثمّ كحّلوا المولود في جوٍّ مُفعِمٍ بالأنس و السرور و السعادة. فكان النور يغمر الفضاء، و أهل الدار يعيشون حالة فريدة من نوعها لن يُكرّرها الزمان، فجميع حواسهم و ما يختلج صدورهم من البهجة تشهد اختلاف أجواء هذا اليوم و ميزته عن غيره من الأيّام، فالنور الّذي رأوه اليوم، لم يكن يضاهيه أيّ ضياء و سناء. وكان الخدم منبهرين برؤية الكرامات الإلهيّة العديدة. وكانت الأسماع الربّانيّة تسمع صوت الملائكة و هي تطوف حول الوليد. و قد عمّت الفرحة جميع الأنبياء و في مقدّمهم النبيّ محمّد المصطفى ﷺ، وكان النبيّ عيسى عليه السلام مفعمًا بالشوق لأنّه سوف يعود في يومٍ ما إلى الأرض لنصرة هذا المولود، و سوف يقتدي به في الصلاة.

أمّا السيّدة نرجس عليها السلام فكانت تستريح في حجرتها، لم يكن ألَمُها الجسديّ قد زال بعد، و لا قدرة لها على النهوض، لكن ما حال قلبها؟ ذلك القلب الطاهر المتلهّف إلى رؤية فلذة كبدها و مولودها الحبيب. و قد أدرك الإمام عليه السلام حالها و مشاعر أمومتها، فقال لعمّته: يا عمّة ردّيه إلى أمّه كي تقرّ عينها و لا تحزن، و لتعلمَ أنّ وعدَ الله حقّ، و لكنّ أكثر الناس لا يعلمون، ثمّ ائتيني به! وكأنّ الإمام عليه السلام أراد أن يشير إلى قصّة أمِّ موسى عليهما السلام، منبّهًا إلى أنّ ابنَه سيبقى بمشيئة الله تعالى كنبيّه موسى عليه السلام في مأمنٍ من خطر الأعداء. فحملت السيّدة حكيمة عليها السلام الطفل الرضيع و دخلت به على أمّه بسعادةٍ.



لم يكن شعور السيّدة نرجس عليها السلام ليوصف حين وقع نظرها على مولودها، كادت تطيرُ من الفرح، ضمّته إلى صدرها، و نبضات قلبها تتناغم مع نبضات قلبه الصغير، لكنّ هذا لم يطفئ نار شوقها إليه و لهفتها عليه، فقد كانت تنظر إليه بقلبٍ ممتلئ حنانًا، و كلّما نظرت

أكثر ازدادت تعطُّشًا إلى رؤية وجهه البدريّ. و بعد أن ارتشفت شيئًا من مَعين رؤيته. أعادت العمّة هذا البُرعم الزاهر إلى أبيه، فضمّه الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام و قال: أستودعك الله الّذي استودعته أمّ موسى، كنْ في دعةِ الله و ستره و كنفه و جواره. و فجأةً غاب المولود عن نظر العمّة، فسألت ابن أخيها: يا سيّدي أين مولانا؟ فأجابها: أخذه مَن هو أحقّ به منك. هذا روح القدس الموكَل بالأئمّة عليهم السلام يوفّقهم و يسدّدهم و يربّيهم بالعلم. و حين سمعتِ الأمّ كلام الأب الرؤوف، انهمرت دموعها على خدّيها، فهي كانت تعلم أنّ دعاء زوجها و كلماته لأخته يشيران إلى غياب طفلها بسبب الأخطار المحدقة به. ربما عليها أن تكون كأمّ موسى و تذوق مرارة فراق ابنها، فاختلج فؤادها خوفٌ، و كانت تقول في نفسها: ربما يريد الإمام عليه السلام إبعاد المولود عنّي مدّةً من أجل الحفاظ على سلامته. و لم يكن سهلًا عليها أن تتخيّل فراق ابنها و لو لحظة واحدة. فحاول الإمام العسكريّ عليه السلام أن يواسيها و يُطمئِن قلبها، فقال لها: اسكني، فإنّ الرضاع محرّمٌ عليه إلّا منك و سيُعادُ إليك كما رُدَّ موسى إلى أُمّه، و ذلك قوله عزّ و جلّ: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾.

ختمٌ على الفم

بعد أن أنهت المرأة العجوز مهمّتها كان لا بدّ من تأمين طريق عودتها بخير، لذا راقب خادم الإمام عليه السلام أطراف المنزل جيّدًا، فوجد جواسيس السلطة يغطّون في غفلتهم، فكأنّهم ذهبوا ليغمضوا أعينهم عند جدار لعبة الغمّيضة قبل البدء بالبحث، لكنّ خادم الإمام العسكريّ عليه السلام كان يُتقِن جيّدًا فنّ التخفّي و التنقُّل في لعبة عيون الحكومة الظالمة تلك! أمّا العجوز فقد لاح على وجهها الرعب و الفزع، لكنّها على أيّ حالٍ تبعته بعد أن غطّاها بملاءة، و حين أصبحا على مقرُبةٍ من منزلها، أخرج الخادم من جيبه كيسًا و دفعه إليها، و قال لها إنّ هذه هديّة أبي محمّد إليك، ثمّ طلب إليها أن لا تذكر شيئًا ممّا رأته في منزل الإمام عليه السلام أمام أحد، لكن أين قلب العجوز الصغير من سرّ هذه الليلة الكبير!

دخلت المرأة ذات الفطرة السليمة إلى منزلها، و أسرعت إلى فراشها و البسمة تعلو شفتيها، فوجدت أنّ ابنتها لا تزال تغطّ في نومها العميق، أيقظتها و سألتها: هل علمتِ بخروجي و عودتي؟ فردّت الفتاة ببلادةٍ و تثاقُلٍ و هي بالكاد تفتح عينَيْها: لا! ثمّ عادت لتغطّ في نومها، إذ كانت تُفضّل معاودة النوم على أيّ شيءٍ آخر. و قد حالف الحظّ تلك

العجوز، فالفتاة كانت مستغرقةً في النوم، إلى حدٍّ أنّها نسيت بعد ذلك كلّ ما جرى في تلك الليلة. و بينما هي على هذه الحال، فتحت العجوز الكيس فوجدت فيه عشرة دراهم. لم تكن تتوقّع غير هذا الإحسان من أهل ذلك البيت الأكرمين. و كانت السعادة تغمرها لِما حظيَت به من دَوْرٍ في ولادة أحد أبناء أهل بيت النبيّ ﷺ، و كانت فخورةً بأنّها شاركت بإدخال السرور عليهم، و في الوقت نفسه رأتِ الدراهم دليلًا على تقديرهم لها و رضاهم عن عملها، فتضاعف حبُّها لآل بيت النبيّ ﷺ. ثمّ شدّتِ العزم على تنفيذ الطلب بكتمان سرّ تلك الليلة المباركة، لكن كان هذا أصعب عملٍ عليها في حياتها!

كُحْلُ الأبصار

كان لأحد الجيران طفلٌ صغير، و كان مريضًا إلى حدّ أنّ بكاءه و ضجيجه مزّقا قلوب أهل الدار، من دون أن ينفع شيءٌ من الأدوية و العلاجات في تخفيف مرضه. و كان لأهل الدار اعتقادٌ بمقام الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، فلم يجدوا أمامهم من سبيل سوى طرق باب بيته. فأمرت سيّدة الدار جاريتها أن تذهب إلى بيت الإمام عليه السلام و تطلب إلى أهله النجدة و المساعدة و أن يعطوها شيئًا لعلاج طفلها المريض و شفائه. فذهبت الجارية مُسرعةً، و عندما وصلت إلى منزل الإمام عليه السلام اتّفق وجود السيّدة حكيمة عليها السلام هناك، فطرحت الجارية طلبها عليها. و كانت هذه السيّدة الحنون تعلم جيّدًا ماذا ينبغي لها أن تعطيهم، فقالت للخدم أن يأتوها بميل الكحل الّذي كحّلوا به ابن الإمام عليه السلام بالأمس، فأخذته منهم و سلّمته للجارية الّتي عادت بكلّ سرورٍ لتعطيه سيّدتَها. فمرّرت سيّدة الدار ميل الكحل على عينَي طفلها فشُفي بإذن الله تعالى و أدخل بذلك السرور على قلوب جميع أهل الدار و سُكّانه. و هكذا أظهر الله تعالى آية جديدة و جليّة، ليعلم أهل الإيمان عظمة هذا المولود و تكون أمنيتهم أن يكحلوا أبصارهم برؤيته.

نداءٌ في قلب الصمت

كان العبّاسيّون يعلمون جيّدًا أنّ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام هو إمام الشيعة الحادي عشر، و أنّ من وُلده سيكون الإمام القائم الّذي يقضّ اسمُه مضاجعَهم. و كان قدوم السيّدة نرجس عليها السلام إلى منزل الإمام الهادي عليه السلام و احتمال تزويجها من ابنه قد جعلا ظنَّهم يقينًا،

فكان ـ بلا شكٍّ ـ أدنى نأمةٍ يسمعونها عن حَمل هذه السيّدة الكريمة عليها السلام سيُفقدهم صوابَهم، و يزيد من جرائمهم، فكيف إذا علموا أنّ الموعود قد وُلد و أصبح قرّة عينٍ لوالده و سيكون شوكةً في أعيُن الظالمين! فقد كان المُهتدي العبّاسيّ ـ ابن أخ المتوكّل ـ أكثر وحشيّةً و قساوةً من المعتزّ، وكان قد جعل قتل الشيعة و إبادتهم عن آخرهم على رأس أولويّاته. فذاق الإمام عليه السلام في زمانه أيضًا طعم السجن كما ذاقه في زمن الخليفة السابق. و لم يكن المُهتدي العبّاسيّ قد تجاوز بعدُ أوّل أيّام خلافته حتّى أقسم على قتل الإمام عليه السلام، و قد عقد العزم على ذلك، بَيد أنّ الاضطرابات و الاختلافات السياسيّة كانت تؤجّل تنفيذ هذا القرار. حتّى إنّ البعض قد سمع قوله إنّه سوف يفني ذريّة أهل البيت عليهم السلام عن آخرهم. وكان هذا الكلام يخلق جوًّا من التوتّر و الاضطراب في أوساط الشيعة، لكن الإمام عليه السلام كان يعلم أنّه قبل أن يبادر إلى تنفيذ قراره هذا، ستأخذ برقبته الدماء الّتي سفكها ظلمًا و سيلقى حتفه، و لهذا كان يُطمئن الشيعة أنّه لن ينال مبتغاه. و في يومٍ من الأيّام، أعرب أحد الشيعة عن تلك المخاوف في رسالةٍ كتبها إلى الإمام عليه السلام. فأرسل إليه الإمام عليه السلام في الجواب أن يعدّ من ذلك اليوم إلى خمسة أيّام، و أنّه سوف يُقتل في اليوم السادس بمنتهى الذّل و الهوان. و قد حصل ذلك بالفعل، إذ بسبب التعذيب و الضرائب الماليّة الباهظة الّتي كان يفرضها هو و قائده الأعلى صالح بن وصيف على القيادات التركيّة العليا في البلاط، لم يمضِ سوى ستّة أيّام على نبوءة الإمام عليه السلام حتّى أجهز الأتراك من أصحاب النفوذ في جهاز الحكم من أمثال موسى بن بغا، على صالح بن وصيف. و إمعانًا في إذلال المهتدي، علّقوا رأس صالح على بابه، ثمّ ألقوا القبض عليه و أوسعوه ضربًا حتّى زهقت روحه. و بعد خلافته الّتي لم تدم لأكثر من سنة، تربّع على عرش الخلافة في شهر رجب سنة ٢٥٦ للهجرة المعتمد العبّاسيّ، الابن الأكبر للمتوكّل الّذي كان يعمل باحتياطٍ أكثر، لكنّه مع هذا لم يتخلَّ عن سجن الإمام عليه السلام و وضعه تحت الضغط و المراقبة. وكان من بين أفعاله أنّه أودع الإمام عليه السلام مدّةً في بيت نحرير الخادم ليُمعن في تعذيبه و إيذائه؛ فقد كان رجلًا قاسي الفؤاد و من المقرّبين إلى الخليفة. وكانت زوجته تنصحه و تقول له: اتقِ الله إنّك لا تعرف من أتيت به إلى بيتك، فإنّه لا يصدر عنه غير الصلاح و العبادة! بَيد أنّ قلب نحرير كان قد قُدّ من الصخر، وكان قد أغلق أذنيه عن سماع أيّ نصيحة، وكان يقول: و الله لأرمينّه للسباع!

و لهذه الأسباب كان الإمامُ عليه السلام نفسُه قد عقد العزم على كتمان خبر الولادة و إخفائه عن الأعداء. لكن من ناحيةٍ أخرى كان لا بدّ من وصول هذا الخبر إلى مسامع شيعةِ أهل

البيت عليهم السلام، ليعرفوا إمامهم الثاني عشر، فلا يموتون ميتةً جاهليّة، كما يجب أن تتمّ الحجّة على الآخرين أيضًا. و لا بدّ من منع طمس هذه الصفحة من التاريخ، فهذه سنّة ثابتة لله تعالى بأن يضع حججه البالغة أمام الباحثين عن الحقيقة. لذلك كان الإمام عليه السلام يغتنم الأوقات الّتي يكون فيها خارج السجن كي يُبلغ هذا الخبر ـ إلى شيعته، فكان يبعث إليهم رسائله أو يستدعيهم واحدًا بعد آخر حتّى لا يلفت نظر المترقّبين إلى عدد القادمين إلى منزله و المغادرين منه، فيثير بذلك التساؤلات و الشكوك. و من هنا كان الإمام عليه السلام يأخذ العهد ممّن يسمعون الخبر، فضلًا عن شهوده، بكتمان السرّ و إخفائه عن مسامع الأعداء، حفاظًا على حياة المولود المبارك و على حياتهم هم أيضًا من خطر الأعداء المُحدق بهم من كلّ جانب. و كان هذا الخبر و شيوعه بحدّ ذاتهما يشكّلان خطرًا على الّذين يسيطرون على الحكم ظلمًا و عدوانًا، لذلك كان الشهود إمّا لا ينقلون الخبر، و إمّا ينقلونه بحيث لا تظهر بصماتهم، و من دون ذكر أسماء سائر الشهود حفاظًا على حياتهم.

لقد هيّأ الإمام العسكريّ عليه السلام الظروف على نحوٍ يحفظ حياة فلذة كبده، و في الوقت عينه يحفظ حياة شيعته و محبّيه، و أن ينفذ هذا الخبر إلى أوساط شيعة أهل البيت عليهم السلام من بين الأعداء كنفوذ الماء العذب إلى النبات من بين الصخور بهدوءٍ و خفاء. و بهذا النحو تواتر الخبر من فمٍ إلى فمٍ و من صدرٍ إلى صدرٍ كنداءٍ في قلب الصمت. نعم، لقد بدأ الكوكب الدرّي الثاني عشر يشعّ بنوره على جميع الأرجاء منذ بزوغه، و هو الّذي سيتوسّط السماء و يزيل بنوره كلّ ظلمة.

انتشار النور

دعا الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام عددًا من الموالين له للتبرّك برؤية وجه آخر شموس الولاية الساطعة. و من بينهم كان الحسن بن الحسين العلويّ، الّذي وفّقه الله تعالى لدخول منزل الإمام عليه السلام و رؤية مولوده المبارك، و تهنئته به. و لم يكتفِ الإمام عليه السلام بهذه المشاهدات العينيّة، بل كتب رسائل إلى أصحابه و وكلائه في المدن المختلفة، يبشّرهم بولادة ابنه، كي يكونوا على معرفةٍ بالإمام الّذي سيخلفه و بواجبهم تجاهه، و منهم أحمد بن إسحاق القمّيّ، الّذي كان يعيش في بلاد فارس، و هو من وجهاء أهل قمّ و مشايخهم. و قد كانت لهذا المُوالي الجليل علاقاتٌ وثيقةٌ بالإمامَين الهادي و العسكريّ عليهما السلام. و حين وصلته الرسالة،

كان الشوق يملأ قلبه للاطلاع على ما فيها، ففتحها ليتأكّد قبل كلّ شيءٍ من الخطّ إن كان مألوفًا له. نعم! إنّه الخطّ نفسه الّذي يراسله به الإمام العسكري عليه السلام دائمًا. وكان قد سبق له في أحد لقاءاته أن أخذ مخطوطةً من الإمام عليه السلام مباشرة، لكي يقارن بها بقيّة المكاتيب، و تكون هناك علامة بينه و بين الإمام عليه السلام. و قبل أن يقرأ مضمون الكتاب، تداعت إلى ذهنه ذكريات ذلك اللقاء، عندما كان الإمام يكتب له تلك المخطوطة بخطّه الشريف، كان أحمد يريد أن يطلب إلى الإمام عليه السلام أن يهبه يراعه، و لكنّه قبل أن ينطق بحرف عمد الإمام عليه السلام من تلقاء نفسه إلى تجفيف اليراع من الحبر بمنديله و أعطاه إيّاه. و قبل أن يستغرق في الذكريات عاد أحمد إلى الواقع و ركّز انتباهه على نصّ الكتاب. وكعادته بدأ يقرأ الرسالة بتمعّنٍ ليفهم أوامر سيّده فهمًا صحيحًا و يعمل بها، وكان نصّ الرسالة ما يلي:

«وُلِدَ لَنَا مَوْلُودٌ، فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ مَسْتُورًا وَعَنْ جَمِيعِ النَّاسِ مَكْتُومًا، فَإِنَّا لَمْ نُظْهِرْ عَلَيْهِ إِلَّا الْأَقْرَبَ لِقَرَابَتِهِ وَالوَلِيَّ لِوَلَايَتِهِ، أَحْبَبْنَا إِعْلَامَكَ لِيَسُرَّكَ اللهُ لَهُ مِثْلَ مَا سَرَّنَا بِهِ، وَالسَّلَامُ».

ضمّ أحمد الرسالة إلى صدره و تنفّس الصعداء، وكانت السعادة تغمره لأنّ الإمام عليه السلام عدّه من جُملة أوليائه، فقبّل الرسالة، ثمّ طواها فورًا و أخفاها، وكتم الخبر في خزانة صدره، فلربما فتح قفلها يومًا ليفضي بما يكنزه فيها من الأسرار و يهدي بها الموالين.

أمّا في منزل الإمام عليه السلام، فلم تخمد نفوس ساكنيه، بل ظلّت تضجّ بالحركة و النشاط، حتّى الخدم و الجواري أخذوا يتذرّعون بمختلف الذرائع ليدخلوا حجرة المولود المبارك و يكتحلوا بالنظر إلى وجهه البهيّ من جديدٍ، و الطفل أيضًا من جهته لم يحرمهم بركاته و استقبلهم بنظراته و ابتساماته البريئة. وكان نسيم أحد هؤلاء الخدم، فدخل ليُلقي نظرةً على المولود، فعطس نسيم فجأةً، فبادره الرضيع ناطقًا بقُدرة الله تعالى كما حدث في الليلة الأولى من ولادته و قال: «يرحمك الله»، كادت دموع نسيم تنهال على خدّيه من شدّة السرور، فهل هناك من فخرٍ أعظم من أن يدعو له حجّة الله و وليّه بالرحمة؟! لعلّ الطفل اختصّه بهذه الكرامة تقديرًا له على جهوده و خدماته، إذ إنّ نسيم كان قد وقف حياته على خدمة أهل البيت عليهم السلام. ثمّ نطق الطفل ثانيةً و قال: «ألا أبشّرك في العطاس؟» ردّ نسيم بتشوّقٍ و لهفة: بلى، فقال حجّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف و هو لا يزال في المهد صبيًّا: «هو أمانٌ من الموتِ ثلاثة أيّام». كان نسيم في ما بعد يقصّ تلك الحادثة على أصحاب الأئمّة عليهم السلام و شيعتهم، ليشدّ من عزيمتهم و يثبّت يقينهم و يقوّي معرفتهم بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لتزداد محبّته في قلوبهم يومًا بعد يوم.

و في مكانٍ آخر تنتشر الهمسات:

ـ البشارة!

ـ ماذا حدث يا عزيزي حمزة؟

ـ وُلد البارحة مولودٌ لأبي محمّد عليه السلام و أمر بكتمانه.

ـ و ما اسمه؟

ـ اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله.

هو حوار دار بين اثنين من أصحاب الإمام العسكريّ عليه السلام هما حمزة بن أبي الفتح و حسن بن المنذر. فبعد أن زفّ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام سرًّا خبر الولادة الميمونة إلى شيعته المقرّبين، بدأت تنتشر الحوارات الثنائية الشبيهة بالحوار الّذي دار قبل قليل، و تزدحم الهمسات في زوايا بيوت الموالين و أزقّة أحيائهم.

شذا العشق الفوّاح

في هذه الأيّام كان الصهر التقيّ أبو عليّ أشدّ اهتمامًا بذهاب امرأته إلى بيت ابن أخيها و الاستفسار عن أحوالهم، و كانت السيّدة حكيمة في كلّ مرّةٍ عندما تعود إلى بيتها تقصّ على أبي عليّ العجائب الّتي رأتها في بيت النور و الرسالة، فكانت تشارك زوجها التجارب الجميلة و اللطيفة الّتي تُرافق مصاحبة وليّ الله عليه السلام. و كان هذان الزوجان من ذوي المعرفة الإلهيّة و يعدّان ابن الإمام أعزّ من أبنائهما، بل قد ربّياهم على خدمة عترة الإمام عليهم السلام. و في اليوم الثالث، لم تعد العمّة حكيمة عليها السلام تتحمّل الفراق، فقد حنّت إلى رؤية المولود الكريم و عيل صبرها، و كيف لا يتأجّج القلب بنيران الأشواق و صورته لم تفارق مخيّلتها؟! فقصدت منزل ابن أخيها متلهّفةً لتطمئنّ على حال أهله و تروي ظمأ الحنين. مرّت بداءةً على حجرة السيّدة نرجس عليها السلام، فإذا بها جالسة و عليها أثوابٌ صفرٌ قد عصّبت رأسها، حين رأت العمّةُ الأمّ على هذه الحال اقتربت منها و ألقت عليها السلام و اطمأنّت على صحّتها و أحوالها، و غمرتها بعطفها و محبّتها، ثمّ التفتت إلى جانب الحجرة و إذا بمهدٍ عليه أثوابٌ خضر، فعدلت إلى المهد و رفعت عنه الأثواب، فإذا هي بالمولود نائمٌ على قفاه غيرُ محزومٍ و لا مقموطٍ، ففتح عينَيه و جعل يضحك، فتبادلت الأمّ و العمّة النظرات و الابتسامات، و كان الطفل يناغي عمّته و يناجيها بإصبعه. رفعت السيّدة حكيمة عليها السلام الطفل و احتضنته،

ثمّ أدنَت تلك الوجنتين الموردتين إلى شفتَيها لتقبّلهما، فتنسّمت منه رائحةً عطرةً فاح أريجها في الأرجاء، لم تشمّ أطيَب منها قطّ، إذ كانت مُفعمة بعبيرٍ سماويّ، تعبق برياحين الجنان. ظلّت السيّدة حكيمة عليها السلام تستشعر شذا تلك الرائحة طيلة أيّام حياتها، و هي تكرّر و تجزم مرارًا أنّها لم تشمّ مثل هذا الطيب أو تسمع بمواصفاته مطلقًا. و كيف لا يكون هكذا و هو ابن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، و لا عجب أن تستمدّ كلّ الرياحين عطرها منه.

لقد استولى الطفل بنظراته الحانية و ابتسامته الآسرة على كيان العمّة. و بعد أن تنعّمت السيّدة حكيمة برؤية الطفل، حملته إلى أبيه عليه السلام الّذي ذكّرها مجدّدًا بضرورة كتمان أمر ولادة قرّة عينه عن غير المؤهّلين، ثمّ أضاف عليه السلام: يا عمّة في كنف الله و حرزه و ستره و عينه حتّى يأذن اللهُ له، فإذا غيّب الله شخصي و توفّاني و رأيتِ شيعتي قد اختلفوا فأخبري الثقات منهم، و ليكنْ عندك و عندهم مكتومًا. عندما سمعت السيّدة حكيمة عليها السلام هذا الخبر انقلب حالها، فهي لم تكن تتصوّر أن يمرّ عليها يومٌ لا تكون فيه ثمرة أخيها بجوارها، لكنّها سيطرت على ما اعترى مشاعرها من اضطرابٍ لإيمانها بابن أخيها و إمامها، و عاهدته أنّها ستنفّذ وصيّته، ثمّ استأذنته في المغادرة، فقال لها الإمام عليه السلام: أكثري يا عمّة من المجيء إلينا! فوافقت العمّة بكلّ سرورٍ و الفرح يغمر روحها و قلبها ثمّ انصرفت.

و في اليوم نفسه، دعا الإمام العسكريّ عليه السلام عددًا من خاصّة أصحابه إلى منزله، و قال لهم و هو يشير إلى المولود: هذا صاحبُكم من بعدي و خليفتي عليكم، و هو القائم الّذي تمتدُّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض ظلمًا و جورًا خرج فملأها قسطًا و عدلًا. كما حضر هذا الاجتماع أبو غانم، أحد خَدم الإمام العسكريّ عليه السلام، و رواه لأصدقائه.

شَهدُ الإمامة

كان الثاني و العشرون من شهر شعبان من سنة ٢٥٥ للهجرة هو اليومَ السابع من ولادة ابن الإمام العسكريّ عليهما السلام، فوجّه أبو عليٍ امرأته السيّدة حكيمة عليها السلام إلى بيت ابن أخيها لتزورهم و تعينهم فيما يحتاجون إليه، فسارعت العمّة الحنون بشوقٍ وافر إلى لقاء ابن أخيها. و عند رؤية السيّدة حكيمة رُسمت البسمة على شفتي الإمام العسكريّ عليه السلام، فسلّمت عليه و سألته عن أحواله، كما استفسرت عن أخبار الكنّة العزيزة و أحوالها. لكنّ العمّة كانت متعطّشة إلى رؤية المولود الكريم و لم تقدر على إخفاء شوقها، فأمر الإمام عليه السلام بإحضار ابنه.

و لمّا أتوا بالرضيع كان عليه ثوبٌ أصفر اللون، فحمله الإمام عليه السلام بيدَيه الشريفتين، ثمّ وضع فمه المبارك على فم الرضيع. و كانت السيّدة حكيمة عليها السلام تراقب هذا المشهد بدقّةٍ، فرأته قد أدلى لسانه في فِيه، كأنّه يغذّيه لبنًا أو عسلًا! نعم، يجب أن يُغذّى لحمُ الطفل و دمه بشهد الإمامة المصفَّى ليرثَ عِلمَ آبائه عليهم السلام و حكمتَهم.

قرابين الولادة!

كان اليوم السابع من الولادة المباركة يومًا خاصًّا و مميّزًا. و كما أنّ هناك مستحبّات تُقام للمولود في يومه الأوّل و قد أدّاها الإمام العسكريّ عليه السلام يوم ولادة ابنه ـ عملًا بسنّة جدّه صلى الله عليه وآله ـ إذ على سبيل المثال رفع الأذان و الإقامة في أذنَيْ مولوده، و أودعه حصن الله الحصين، فكذلك هناك بعض الأعمال المستحبّة الّتي أكّد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أداءها في اليوم السابع من الولادة، منها حلق شعر المولود و التصدُّق بوزنه ذهبًا أو فضّة و ختان الصبيّ. و مع أنّ مولود الإمام العسكريّ عليه السلام قد وُلِد مختونًا، و منذ لحظة ولادته كان نظيفًا طاهرًا مُطهّرًا مفروغًا منه، إلّا أنّهم مرّروا بنحوٍ شكليّ الموسى عليه لإصابة السنّة و اتباع الحنيفيّة.

و من المستحبّات المؤكّدة الّتي من الأفضل أن تؤدّى في اليوم السابع من الولادة هي العقيقة، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد عقَّ في اليوم السابع من ولادة كلٍّ من الإمامَين الحسن و الحسين عليهما السلام، فكان لا بدّ للإمام العسكريّ عليه السلام من إجراء سُنّة العقيقة. و مع أنّ الإمام عليه السلام كان يعيش في ظروفٍ صعبة، و يجب عليه مراعاة أعلى مراتب التقيّة، لكنّه لم يكتفِ بعقيقةٍ أو اثنتين، بل عَقَّ عنه بعددٍ كبيرٍ من الأكباش. لكنّه لم يُنجز هذا العمل بنفسه، بل بواسطة أصحابه و محبّيه، و في أماكن مختلفةٍ كي لا يلفت أنظار جواسيس النظام الحاكم و عملائه. و إنّ كثرة العقائق المتوالية، كانت للدلالة على عظمة هذا المولود الكريم، و ما يحمله من خيرٍ و بركة، كما كانت وسيلةً لنشر هذا الخبر بين شيعة أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله و محبّيهم، و لحفظ المولود آمنًا في خضمّ الأخطار المُحدِقة به.

و للأهداف نفسها، كتب الإمام العسكريّ عليه السلام رسالةً يستدعي فيها وكيله الخاصّ أبا عَمرو عثمان بن سعيد، الّذي كان يتردّد إلى بيت الإمام عليه السلام على أنّه بائع زيت و يراسله سرًّا بسبب شدّة التضييق و الرقابة. و ما إن تسلّم أبو عمرو رسالة الإمام عليه السلام حتّى أسرع إلى لقائه. كان يعلم أنّ طلب الإمام في مثل هذه الأوقات العصيبة ينطوي حتمًا على أمرٍ بالغ الأهمّيّة.

و عندما وصل إلى محضره أمره الإمام عليه السلام قائلًا: اشترِ عشرة آلاف رطلٍ خبزًا، و عشرة آلاف رطلٍ لحمًا و فرّقها على بني هاشم و عقّ عنه بكذا وكذا شاة. وكان عثمان بن سعيد يعلم أنّ جميع أوامر الإمام عليه السلام على درجة عالية من الأهميّة و الحكمة، لكنّ هذا الأمر كان له استثناء و خصوصيّة في نفسه، إذ هو لم يكن فقط قد عقّ بكذا شاة عن ابن الإمام عليه السلام، بل عقّ بالروح فداءً له، لحمه بلحمه، و دمه بدمه، و نفسه وقاءً لابن مولاه عليه السلام. و من يدري لعلّه في القريب العاجل سينال شرفًا عظيمًا و يكون من خواصّ المقرّبين إلى هذا المولود المبارك الّذي سيصبح من أئمّة زمانه.

و استكمالًا لهدف الإمام العسكريّ عليه السلام بإيصال خبر الولادة الميمونة إلى أكبر عدد ممكن من شيعته و محبّيه بكلّ حيطة و حذر، استدعى أحد خدام أبيه الهاديّ عليه السلام، و هو حمزة بن نصير، و أمره أن يبتاع كلّ يومٍ مع اللحم قصب مخّ. وكذلك في أحد الأيّام، وصل رسول الإمام العسكريّ عليه السلام و معه أربعة أكباش و رسالة إلى دار إبراهيم بن إدريس، أحد أصحاب الإمامَين العسكريّين عليهما السلام، ففتح إبراهيم الرسالة فورًا وكان فيها:

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ عُقَّ هَذِهِ عَنِ ابْنِي محمّد المهديّ وَ كُلْ هَنَّأَكَ وَأَطْعِمْ مَنْ وَجَدْتَ مِنْ شِيعَتِنَا».

كان الإمام عليه السلام يراسل أصحابه و مواليه المنتشرين في مختلف المدن و البلاد و يرسل إليهم الأضاحي لتكون عقيقةً عن فلذة كبده و وَلدِه. وكان للحم هذه الأضاحي طعم العشق و الإيمان، و لو كانت هذه الأكباش ناطقةً لافتخرت على أقرانها! إذ إنّها عُقَّت من أجل تبليغ رسالة الإمام عليه السلام الخالدة، حتّى ذلك الكبش السماويّ الّذي افتُدي به إسماعيل عليه السلام كان ليغبطها!

المكافأة الكبرى

بلغ الطفلُ الثانية من عمره، و قد صبّت أمّه عُصارة وجودها قطرةً قطرةً في كيانه، وكان لا يُزيل تعب جسدها سوى النظر إلى جسمه الصغير و هو ينمو، حتّى انطلق لسان الطفل بصورته الظاهريّة، و تضاعفت عذوبته. أمّا والده الإمام العسكريّ عليه السلام فقد كان في هذه الأيّام يغتنم كلّ فرصةٍ لإنجاز مهمّته الإلهيّة، و يعرّف خليفته إلى شيعة أهل البيت عليهم السلام في المدن القريبة و النائية.

و ذات يومٍ، قصد رجلٌ من بلاد فارس سامرّاء رغبة في لقاء الإمام العسكريّ عليه السلام على الرغم من كلّ التحدّيات و الصعوبات الّتي واجهها في أثناء سفره، فاجتاز أحياء المدينة واحدًا تلوَ آخر إلى أن وصل إلى منزل إمامه عليه السلام. حدّق بالباب و بالجدران، فكأنّه ينظر إلى باب الجنّة و جدرانها. لزِمَ الباب، من غير أن يطرقه، ربما كان يشعر بالخجل، أو لعلّه كان ينتظر هاتفًا يناديه: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾، و كأنّه كان يرى بعينَيْ قلبه أنّ الجنّة الحقيقيّة هنا. و كان ما أراده، فمن دون أن يطرق الباب، جاء الإمام عليه السلام لاستقباله، و دعاه إلى الدخول، فهو مُوالٍ مُخلص و قادمٌ من مكانٍ بعيدٍ و يستحقّ بذلك التكريم. فدخل الرجل الفارسيّ، و سلّم على الإمام عليه السلام بحرارةٍ و شوق، فردّ الإمام عليه السلام التحيّة بأحسن منها و بادله عبارات الترحيب و الاطمئنان على الأحوال، و سرعان ما طلب إليه أن يجلس و يستريح. بعد جلوسه سأله الإمام عليه السلام عن حال أسرته و أقاربه، و كان الرجل يجيب بلهفةٍ و حماس، ثمّ سأله الإمام عليه السلام: ما الّذي أقدمك؟ قال: رغبةً في خدمتك! كان الرجل الطيّب يريد أن يقوم بخدمة الإمام عليه السلام مدّة، ليسجّل اسمه في لائحة أسماء خدّام الأئمّة الأطهار عليهم السلام، تلك اللائحة الّتي تتضمّن أسماءً مجيدةً كـ «قنبر» و «فضّة»، اللذَيْن مجرّد السماع بهما يجعل دموع شيعةِ أهل البيت عليهم السلام تنهمر، غبطةً و رجاءً للالتحاق بصفّهما و نيل مجدهما. لبّى الإمام عليه السلام طلَب الرجل الفارسيّ و أذِن له أن يلزم داره.

استقرّ في المنزل مع غيره من الخدم، يُنجز ما يوكَل إليه من الأعمال؛ إلى أن فُوّض إليه بعد مدّة شراء حوائج المنزل، لذلك كان يقصد السوق يوميًّا و يشتري المطلوب؛ حتّى أصبح كفردٍ من أهل الدار، و بات يدخله من دون حاجةٍ إلى إذنٍ فيقصد الجناح الخاصّ بالعاملين من الرجال. و حتّى حين يكون الإمام عليه السلام في البهو، كان الرجل الفارسيّ يدخله من دون أن يحتاج إلى الإذن، لكنّه بطبيعة الحال لم يكن يحشر أنفه فيما لا يعنيه، و لم يكن يفكّر إلّا في خدمة مولاه عليه السلام و كسب رضاه، و لا يتدخّل في أيّ شيءٍ آخر. و على الرغم من كثرة حركته في ذلك البيت، إلّا أنّه لم يكن يعلم شيئًا عن مولود الإمام عليهما السلام، إذ من جانبٍ فإنّ أهل المنزل قد جعلوا كتمان أمره على رأس أولويّاتهم، فلم يكونوا يُظهرون الطفل أمام أحدٍ من غير أمرٍ من الإمام عليه السلام أو إشارته، و من جانبٍ آخر فقد كان عمله في القسم الخارجيّ من المنزل.

و في أحد الأيّام أحضر الفارسيُّ مستلزمات المنزل كالمعتاد، و هَمّ بدخول جناح الرجال، و إذا به يسمع حركةً في البيت جعلته يشعر بوجود أحدٍ هنالك، أراد أن يدخل، لكنّه

فجأةً سمع صوت الإمام عليه السلام يقول: مكانَك لا تبرح! تهيّب الفارسيّ و تجمّد في مكانه، لم يجسر على الدخول و لا على الخروج، ثمّ خرجت جاريةٌ و معها شيءٌ مُغطّى. لم يعرف ما هو، لكن الإمام عليه السلام ناداه و طلب إليه الدخول. و بعد أن صار الرجل في محضره، نادى الجارية فرجعت، ثمّ طلب إليها أن تكشف عمّا تحتضنه، فرأى الفارسيّ غلامًا أبيض، حسن الوجه. و في اللحظة الأولى نفسها، أخذت جاذبيّة المولود بالرجل المخلص إلى درجة أنّه لم يتمالك نفسه و من دون أخذ الإذن و بغير إرادته توجّه نحو المولود، و رفع قميصه ليلاعبه، و كشف عن بطنه فإذا شعرٌ نابتٌ من لَبّته إلى سرّته أخضر ليس بأسود. و بينما كان الرجل مأخوذًا و مبهورًا بالطفل و يغمره الفرح و السرور، قال له الإمام العسكريّ عليه السلام: «هذا صاحبكم!». لكن لم تطُل فرحة الرجل، إذ إنّ الإمام عليه السلام أمر الجارية بأخذ الطفل. و بهذا أصبح الفارسيّ فعلًا واحدًا من أهل الدار، و قد أطلعه الإمام عليه السلام على السرّ لعلمه بقابليّته و قدرته على تحمُّل معرفة هذا الخبر. لقد نال الرجل أجر خدمته! و لم يكن يتصوّر للحظةٍ أنّ يكون بدل أجرته مكافأةً عظيمة كهذه. ثمّ بعد تلك الحظوة، ظلّ يردّد بحرقةٍ و حسرة: ما رأيته بعد ذلك قطّ! لقد كانت هذه الرؤية اليتيمة كافيةً ليظلّ صاديًا متلهّفًا إلى رؤيته...

خاتم التأييد

كان أحمد بن إسحاق شيخًا جليلًا، يحترمه أهل قمّ احترامًا كبيرًا، كان من قبلُ قد حظيَ بشرف لقاء الإمام العسكريّ عليه السلام أكثر من مرّة، لكن بعد ذلك حال دون لقائه ضعف الجسد و المرض. و قد سبق له في أحد لقاءاته بالإمام عليه السلام أن وجّه إليه سؤالًا، لينتفع به في مثل هذه الظروف. إذ كان قد سأله: يا سيّدي، أنا أغيب و أشهد و لا يتهيّأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كلّ وقت، فقول من نقبل و أمر من نمتثل؟ و كان من قبلُ قد وجّه هذا السؤال نفسه إلى إمامه الهادي عليه السلام أيضًا قبل استشهاده، و كِلا الإمامين قد أرشداه إلى شخصٍ واحد، هو أبو عَمرو عثمان بن سعيد، و كلاهما قالا إنّ أبا عمرو محطّ ثقتنا و المؤتمن على سرّنا و كلامه عنّا يقوله و رسائله منّا تكون. و قد صدر مثل هذا القول عن الإمام العسكريّ عليه السلام في حقّ محمّد نجل عثمان أيضًا، فكان هذا الشبل من ذاك الأسد! و كان عثمان بن سعيد الوكيل المطلق للإمام العسكريّ عليه السلام و أكثر شخصٍ يوكِل الإمام عليه السلام إليه مهامه الخاصّة و السرّيّة في ظلّ تلك الظروف العصيبة و الرقابات المشدّدة، و كان من خاصّة أصحاب والده الإمام الهاديّ عليه السلام أيضًا. و هكذا بفضل إرشاد الإمام عليه السلام لأحمد و توجيهه إيّاه إلى أحد أصحاب

سرّه، استطاع المحافظة على ارتباطه القلبيّ و علاقته بمولاه عليه السلام حتّى لو كان بعيدًا عنه فراسخَ و أميالًا، و لم تكن المسافات لتنقص شيئًا من محبّته لمولاه عليه السلام، فكان كأويس القرنيّ أينما كان كأنّه في ديار الحبيب. و كان الإمام عليه السلام حاضرًا في قلب أحمد على الدوام، و عندما يحتاج إلى أن يسأل إمامَه عن أمرٍ ما أو يريد تقديم هديّة له عليه السلام أو تسليمه أموالًا و لا يكون قادرًا على الذهاب بنفسه إلى محضره عليه السلام، كان يحقّق ما يريد عن طريق عثمان بن سعيد.

و في أحد لقاءات أحمد الأخيرة بالإمام العسكريّ عليه السلام، سمع منه كلمةً أخرى في حقّ أبي عمرو عثمان بن سعيد لم يكن قد سمعها من الإمام الهادي عليه السلام، فقد قال الإمام العسكريّ عليه السلام: «هَذَا أَبُو عَمْرٍو الثِّقَةُ الْأَمِينُ ثِقَةُ الْمَاضِي وَثِقَتِي فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ»، و مع أنّ هذه الكلمة قد أكّدت من جهةٍ عظم منزلة أبي عمرو، لكنّها من جهةٍ أخرى ولّدت القلق في نفس أحمد من أن يكون رحيل الإمام عليه السلام قد بات وشيكًا.

و لذا كان دائم التفكير بإمامه و متشوّقًا للحضور بين يديه عليه السلام، لعلّه يتنعّم برؤيته قبل فوات الأوان. و كانت الرسالة الّتي وصله فيها خبر ولادة ابن الإمام العسكريّ عليه السلام، قد زادت من شوقه إلى زيارة الإمام عليه السلام و مولوده أكثر من أيّ وقت مضى. و لمّا لم تكن الرسالة تتضمّن إن كان هذا المولود هو خليفة الإمام العسكريّ عليه السلام و الإمام من بعده أم لا، فقد زاد انشغال بال أحمد بهذا الأمر و أراد الاستفهام عنه. إذ إن وفّقه الله لرؤية ابن الإمام العسكريّ عليهما السلام، يكون قد أدرك أربعة أئمّةٍ أطهار عليهم السلام. و لم يكن ليروي ظمأه إلى رؤية الإمام و مولوده عليهما السلام سوى الارتشاف من ماء عين الحياة عليه السلام، فنسي مرضه و ضعفه الجسديّ و عزم على زيارته، و قام من مكانه وكأنّه ليس بمريض! إذ إنّ الشوق الّذي كان يرافق تهيُّؤَه إلى السفر قد حطّ عنه كلّ ضعفٍ و وهنٍ في بدنه، فكان مفعمًا بالنشاط و القوّة. و زبدة الكلام أنّه حَزَمَ حقيبته و يمّم وجهه شطر مدينة سامرّاء.

مَثلُه مَثَلُ الخضر و ذي القرنين عليهما السلام

وصل أحمد إلى سامرّاء، و أخيرًا ها هو على أعتاب مدينة مولاه. و عندما وقع نظره على بيت الإمام عليه السلام تسارعت نبضات قلبه، فدخله و الهيبة تغمر كيانه. و بعد إلقاء التحيّة و السلام، أخذ يُحادثه، و قبل أن يسأل أحمدُ الإمامَ العسكريّ عليه السلام بشأن خليفته و الإمام من بعده، ابتدأه الإمام عليه السلام بالقول: يا أحمد بن إسحاق، إنّ الله تبارك و تعالى لم يُخلِ الأرض منذ خلق

آدم عليه السلام، و لا يُخليها إلى أن تقوم الساعة من حجّة لله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، و به يُنزّل الغيث، و به يُخرج بركات الأرض! فقرّر أحمد أن يغتنم الفرصة و يضرب الحديدة حاميةً، فقال: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن الإمام و الخليفة بعدك؟ و هنا نهض الإمام من مكانه و توجّه نحو الحجرة المجاورة، في الوقت الّذي ينظر إليه أحمد متعجّبًا، إذ لم يكن يعلم ماذا يريد أن يصنع مولاه. فدخل الإمام عليه السلام الحجرة و سرعان ما خرج منها و على عاتقه غلامٌ من أبناء ثلاث سنين كأنّ وجهه البدر في ليلة تمامه و كماله، ثمّ قال الإمام عليه السلام: يا أحمد بن إسحاق، لولا كرامتك على الله عزّ و جلّ و على حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنّه سميُّ رسول الله صلى الله عليه وآله و كنيُّه، الّذي يملأ الأرض قسطًا و عدلًا كما مُلئت جورًا و ظلمًا. يا أحمد بن إسحاق، مَثَلُهُ في هذه الأمّة مَثَل الخضر عليه السلام، و مَثَلُهُ مَثَلُ ذي القرنين، و الله ليغيبنَّ غَيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلّا من ثبّته الله عزّ و جلّ على القول بإمامته و وفّقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه. لقد تلقّى أحمد جواب سؤاله، لكنّه خوفًا من أن يساوره أدنى شكّ، قال: يا مولاي فهل من علامةٍ يطمئنّ إليها قلبي؟ فنطق الغلام عليه السلام بلسانٍ عربيّ فصيح، فقال: «أنا بقيّة الله في أرضه، و المُنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثرًا بعد عَيْنٍ يا أحمد بن إسحاق!». حين سمع أحمد هذا الكلام الّذي يسرُّ القلب، اطمأنّ قلبه و غادر منزل الإمام عليه السلام مبتهجًا مسرورًا. و بقيَ طيلة النهار يُفكّر في كلام الإمام و ابنه عليهما السلام، و يكرّر على عقله و قلبه عباراتهما: إنّه يحمل اسم النبيّ صلى الله عليه وآله و كنيته، يملأ الأرض عدلًا... مَثَلُه كمثل الخضر و ذي القرنين... فجأةً انقطع حبلُ أفكاره: مَثَل الخضر عليه السلام؟ مثل ذي القرنين عليه السلام؟ بماذا يتميّزان؟ و ما هو الرابط المُشترك؟

لذلك عاد في اليوم الثاني إلى زيارة الإمام عليه السلام، و قال له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، لقد عظُم سروري بما مننت به عليّ، فما السُنّة الجارية فيه من الخضر و ذي القرنين؟ فقال الإمام عليه السلام: طول الغَيبة يا أحمد! سأله أحمد مُتعجّبًا: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله و إنّ غَيبته لَتطول؟! أجابه الإمام عليه السلام: إي و ربّي، حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به، و لا يبقى إلّا من أخذ الله عزّ و جلّ عهده لِولايتنا، و كتب في قلبه الإيمان و أيّده بروحٍ منه، يا أحمد بن إسحاق: هذا أمرٌ من أمرِ الله، و سرٌّ من سرِّ الله، و غَيبٌ من غَيبِ الله، فخذ ما آتيتك و اكتمه و كُن من الشاكرين تكن معنا غدًا في علّيّين. ثمّ ودّع أحمد إمامه بحسرةٍ و حزن، لكنّه خلّف قلبه في ذلك البيت، القلب الّذي سيُرجعُه إليه عمّا قريب...

كان إبراهيم بن محمّد النيسابوريّ قد هاجر من وطنه نيسابور منذ زمنٍ بعيد، و استوطن مدينة الكوفة، مهد دراسة الحديث الشيعيّ، بغية الاستماع إلى كلمات الأئمّة المعصومين عليهم السلام. و قد سبق له أن نهل مدّةً من الزمن من علوم علماء بغداد. لكنّه بعد ذلك اختار مدينة سامرّاء للسكن، فقد كان يُؤثِر محضر الحبيب و رؤيته على سماع مواصفاته و فضائله عن بُعد. و لكن هل يمكن للمرء أن يتجوّل في مدينة العسكر، أي سامرّاء، دون أن يتعرّض له الجُند و الشرطة بالسؤال و التحقيق؟! إنّ تجارة العشق هنا قد يدفع العاشق رأسه ثمنًا لها. و من يروم لقاء الإمام عليه السلام عليه أن يتوقّع التعرُّض لجميع أنواع الأذى و المصاعب.

و منذ مدّةٍ كاد الهوى أن يسلب حياة إبراهيم النيسابوريّ. فقد كان أحد قادة سامرّاء في ذلك الوقت و هو عمرو بن عوف ـ و هو من ألدّ أعداء أهل البيت عليهم السلام ـ شديد التعطّش إلى سفك دماء الشيعة، و لا يقرّ له في يومه قرار و لا تغيب شمس نهاره حتّى يقتل شيعيًّا. و كان في الآونة الأخيرة يضيّق الخناق على إبراهيم تحديدًا، و قد تعرّض له بالأذى و الإزعاج مرارًا، و الشواهد كلُّها تشير إلى أنّه يدبّر مكيدةً لاغتياله. و لذا صار المشفقون على إبراهيم ينبّهونه إلى اقتراب الخطر منه، حتّى ملأ الخوف جوانحه؛ فعقد العزم أخيرًا على التواري عن الأنظار مدّةً من الزمن. كان فراق زوجته و أطفاله و رفاق دربه يصعب عليه، و لكنّه صبر و احتسب أجره عند الله، فودّعهم ثمّ انطلق متخفّيًا للخروج من سامرّاء. إلّا أنّ قلبه لم يُطاوعه على الخروج من المدينة من دون لقاء الإمام العسكريّ عليه السلام للمرّة الأخيرة. فإنّ جميع هذه المخاطر تحيق به بجريرة حبّه و مودّته لإمامه. فحدّث نفسه قائلًا: ليكن ما يكون؛ فلا طعم للحياة إذا لم تكن مقرونةً بلقائه. امتطى ظهر الخطر و شقّ طريقه نحو محلّة العسكر، و قد اصفرّ وجهه من شدّة الخوف و راح قلبه يخفق بشدّة، أمّا أطرافه فكانت ترتجف لمجرّد تصوّر الوجه القبيح و المَقيت لعمرو بن عوف. و ظلّ على هذه الحال إلى أن وجد نفسه أمام بيت إمامه، و كانت نيّته مجرّد توديعه ثمّ التواري سريعًا عن الأنظار، و في تلك اللحظات إذ يقف أمام بيت إمام المؤمنين و الشيعة، تسلل الاضطراب و الخوف إلى داخل أوداجه و استحوذا عليه من كلّ جانب، و ما إن فتح الخادم الباب حتّى سارع بالدخول قبل أن يراه أحد، ثمّ أرشده الخادم إلى حجرة الاستقبال. فدخل إبراهيم الحجرة و وجد أنّ الإمام عليه السلام

كان قد سبقه إليها و ينتظره. لم يكن علم الإمام المُسبَق بقدومه مستغربًا لدى إبراهيم، لكنّ الّذي أثار دهشته هو وجود غلامٍ جالسٍ إلى جوار الإمام عليه السلام.



كان وجه الغلام يشعّ نورًا وكأنّه فلقة القمر المكتمل، فانبهر إبراهيم بنور وجهه، حتّى إنّه نسي بنحوٍ كامل خوفه و هروبه من خطر الاغتيال، وكلّ شيء من هذا القبيل. و إذا بالغلام يقول له: «يا إبراهيم لا تهرب، فإنّ الله سيكفيك شرّه!». فذُهِلَ إبراهيم و هو لا يدري من يكون هذا الغلام الصغير؟ وكيف علم بمكنون صدره كما لو كان إمامًا مطّلعًا على الغيب. وكان كلام الغلام قد قلّب فؤاد إبراهيم و غيّر حاله؛ فتوجّه إلى الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام يسأله: يا سيّدي يا ابن رسول الله، من هذا و قد أخبَرَني بما كان في ضميري؟ فأجابه الإمام بنبرة المفتخر و بصوتٍ ثابت: هو ابني و خليفتي من بعدي و هو الّذي يغيب غيبةً طويلةً و يظهر بعد امتلاء الأرض جورًا و ظلمًا فيملأها قسطًا و عدلًا. و لمّا كان إبراهيم يتساءل في نفسه عن خليفة الإمام العسكريّ عليه السلام، فقد اعترته فرحةٌ إذ ظفر بما كان يبحث عنه، فقال: ما اسمه يا سيّدي؟ فقال الإمام عليه السلام: هو سميُّ رسول الله صلى الله عليه وآله و كَنِيُّهُ و لا يحلّ لأحدٍ أن يسمّيه أو يُكنّيه بكنيته إلى أن يُظهِر الله دولته و سلطنته، فاكتم يا إبراهيم ما رأيت و سمعت منّا اليوم إلّا عن أهله.

لم يُصدّق إبراهيم أنّه قد حظي بمثل هذا الشرف الكبير، و أنّه قد تشرّف برؤية قائم آل محمّد بعينَيه. فكان يخاطب نفسه: انظر ما الّذي جئت من أجله، و بأيّ كنزٍ ظفرت؟ كيف كان حالي، و بماذا رجعت؟ و هكذا في لحظةٍ واحدةٍ انقلب أشدّ أيّامه ظلمةً و عناءً إلى أكثر لحظات عمره نورًا و سعادة. فكان كما لو أُخرج من قعر الجحيم و شقائها ليجد نفسه في رياض الجنة و نعيمها. و باختصار، فقد كان يومه هذا مختلفًا عن جميع أيّام عمره، وكان شعوره عند خروجه من بيت الإمام عليه السلام لا يوصَف، فكان يُكثر من الصلاة و التسليم على هذين الإمامَين و على آبائهما الطاهرين. و بعد أن خرج من بيت الإمام عليه السلام ألقى نظرة على الزقاق، و قد أحسّ بوجود حارسين واقفين إلى جانبيه، يدفعان عنه بسهام الغيب كلّ من أراد

به سوءًا. لم يكن قد شعر يومًا بمثل هذه السكينة و هذه الطمأنينة و هو يطأ سكك محلّة العسكر بخطوات واثقة و ثابتة، مرفوع الرأس و مستقيم البدن. فلم يكن يخشى أحدًا من الشرطة أو رجال الأمن المُتخفّين. ثمّ عاد إلى بيته و أسرته مستيقنًا بكلام نجل الإمام ليشاركهم فرحته. و بينما كانت زوجته و أولاده يعدّون أنفسهم لفراق طويل و مؤلم، إذ بهم يُرزَقون وصالًا غير متوقّع و لا منقطع. و لم يمضِ وقتٌ طويل حتّى جاء عمّه عليّ إلى لقائه و زفّ إليه البُشرى بهلاك عمرو. لم يكن أحد يعلم بتفاصيل الواقعة و لم يتّضح لماذا سقط عمرو بن عوف من عين المعتمد العبّاسيّ، و حلّ عليه غضبه و نقمته، لكن أيًا كان الأمر، فقد قيل إنّ المعتمد أمر أخاه الموفّق بقتل هذا القائد الحاقد، و قيل إنّه قتله شرّ قتلة و بضّع جسده قطعة قطعة. و بهذا فإنّ الّذي كان قد سلب إبراهيم حلاوة الليل و النهار، لم يعد بمقدوره رؤية ليلٍ و لا نهار.

نحو بحرِ العلم

كان سعد بن عبد الله فتًى صالحًا قد وقف أجمل أيّام عمره على جمع دُرَر كلمات أهل البيت عليهم السلام. إنّه من أهل قمّ، لكنّ استقراره فيها لم يكن دائمًا، فهو لم يكن يتحمّل البعد عن أهل البيت عليهم السلام أو عن سماع كلماتهم و تدوينها. فكان يسافر إلى مُختلف بقاع الأرض لسماع أحاديثهم عليهم السلام، كما كان متسلّطًا على أحاديث العامّة أيضًا. و كان يكتب كتبًا لنصرة مذهب أهل البيت عليهم السلام و يناظر المخالفين، و كانت تُطرح عليه في أثناء الحوارات أسئلةٌ جمّة، فكان يدوّن ما يشكل عليه منها، ليجد أجوبته في الوقت المناسب. و ذات مرّةٍ، جرى بينه و بين أحد المخالفين المتعصّبين نقاشٌ جدليّ، طُرِحت فيه مسائل و إشكاليّاتٌ مُهمّة. و بما أنّه لم يتوصّل إلى إجاباتٍ شافيةٍ عن تلك المسائل، اختار أصعبها فدوّنها في طامورٍ طويل، حتّى امتلأ الطامور، و زادت الأسئلة المدوّنة فيه على أربعين، ثمّ قال في نفسه: سأذهب إلى عالِم مدينتنا أحمد بن إسحاق، فهو من أصحاب الإمام العسكريّ عليه السلام القدماء و قد استقى من بحر علمه، و ربما يتمكّن من مساعدتي.

بحث سعد عن أحمد في أرجاء قُمّ لكن من دون جدوى؛ ثمّ علم أنّ أحمد قد حزم متاعه، و هو في طريقه إلى سامرّاء. صحيحٌ أنّ أحمد قد عاد حديثًا من سامرّاء، لكن براءة الوجه السماويّ لمولود الإمام العسكريّ عليهما السلام كانت لها جاذبيّة المغناطيس إذ جذبت أحمد للعودة مجدّدًا إلى سامرّاء! و لم يكن قد طوى منازل كثيرة من الطريق حين عزم سعد على اللحاق به، و صار يسابق الريح ليصل إلى أحمد، فسار بأسرع ما يمكنه قاطعًا منازل السفر واحدًا تلو

آخر. وكان عند وصوله إلى كلّ محطّةٍ يتصفّح الوجوه ليراه. و عندما يطمئنّ إلى عدم وجود أحمد هناك، كان يواصل سيره حثيثًا إلى المنزل التالي. إلى أن وجده بعد مشقّة السفر و عناء الطريق، فأقبل سعد نحوه من الخلف و ضرب بيده على كتفه دون أن يقول شيئًا. و لأنّ ذكريات أحمد مع رجال الشرطة لم تكن بالذكريات السعيدة، فقد وجِل قلبه للحظةٍ مخافة أن يكون الّذي ضربه على كتفه أحدهم. فاستدار، و ما إن وقع بصره عليه حتّى انفجرا ضاحكَيْن. رحّب كلٌّ منهما بالآخر و تصافحا و تبادلا السؤال عن الأحوال. و أدرك أحمد أنّ سعدًا يريده لأمرٍ مهمّ، و لولا ذلك لَما قطع كلّ هذه المسافة من أجل لقائه. و بعد أن تجاوزا المزاح و المطايبات الودّيّة، اتّخذ أحمد موقفًا أكثر جدّيّة، و قال له: بخيرٍ لحاقك بي؟! أجابه سعد بنحو مُجمَل: الشوق ثمّ العادة في الأسئلة! قال أحمد: قد تكافَيْنا على هذه الخُطّة الواحدة، فقد برح بي العزم إلى لقاء مولانا أبي محمّد عليه السلام، و أنا أريد أن أسأله عن معضلات في التأويل و مشكلات في التنزيل، فدونَكَها الصحبة المباركة، فإنّها تقف بك على ضفّة بحرٍ لا تنقضي عجائبه و لا تفنى غرائبه و هو إمامنا. لم يتوقّع سعد أنّه سوف يسمع مثل هذا الجواب. وكانت هذه الكلمات كافية لتؤجّج شعلة العشق و الهيام في جوانحه. ربما لم يكن يجرؤ سابقًا على لقاء الإمام عليه السلام بمفرده، و لكن بمقدوره الآن بواسطة أحمد أن يُحقّق أمنيته القديمة. فوافق سعد من صميم فؤاده و من دون أدنى تردّد، ثمّ سارا معًا نحو بحر العلم الزاخر...

ينبوع العلم الأصيل

كان على عاتق أحمد بن إسحاق جرابٌ ثقيل قد أرهقه حمله، فكان يئنّ و يقول في نفسه: لعلّها هذه المرّة الأخيرة الّتي أرى فيها إمامي. كان في ذلك الجراب ستُّونَ و مئةُ صُرَّةٍ من الدنانير و الدراهم و على كُلّ صرّةٍ منها ختْمُ صاحبها. إنّها أموال الخمس و الزكاة الّتي أرسلها الشيعة بواسطة أحمد إلى الإمام عليه السلام. وكان يرتدي كساءً طبريًّا فضفاضًا يغطّي به الجراب، لئلّا يُلاحظ أحدٌ ما يحمله على ظهره، إذ إنّ إرسال الخمس و الزكاة إلى الإمام عليه السلام كان يُعدّ نوعًا من التحدّي للحكّام الظالمين و الاستخفاف بهم، و تعبيرًا عن عدم الإيمان بكفاءتهم و شرعيّتهم، لذلك كان هذا العمل مخالفًا للقانون الحكوميّ، و يُنفَّذ سرًّا و بالخفاء. و لذا لم يكن خوفه عندما ضربه سعد على كتفه اعتباطًا. و على طول المسير لم يتركا ذكرًا أو آية يحفظانها عن ظهر قلب إلّا و قرآها، رجاء الاحتماء من أعين الجواسيس. قَطَعَا ما يقرب من تسعمئة كيلومتر من الطريق بخوفٍ و اضطراب. وكانا كلّما اقتربا من

سامرّاء ازداد عدد القوّات الأمنيّة و الاستخباريّة، و غدا الحذر و الاحتراس أوجب. فكانا يسعيان إلى التظاهر بالهدوء و رباطة الجأش كي لا يشكّ فيهما أحد.

على كلّ حالٍ، ترافق أحمد و سعد في هذه الرحلة الطويلة و المليئة بالأخطار، إلى أن وصلا إلى منزل إمامهما عليه السلام في سامرّاء. و بحمد الله لم يشكّ أحدٌ في أمرهما على طول الطريق و لم يواجههما أيّ عوائق أو عقبات. و بمجرّد رؤيتهما بيت الإمام عليه السلام نسيا تعب السفر. فنظر أحدهما إلى الآخر ثمّ طرقا الباب، ففتح الخادم، و طلبا الإذن بالدخول، و كان الإمام في أغلب اللقاءات في تلك المدّة يتكلّم مع أصحابه من خلف الستار، و لم يكن يعطي إذن اللقاء به إلّا في حالات نادرة، لكنّهما عندما دخلا وجدا الإمام العسكريّ عليه السلام جالسًا في الحجرة أمام أعينهم من غير ستار، و قد أنعشت رؤيته قلبيهما، كما اشتملت هذه المرّة على فارقٍ عجيب أيضًا، إذ إنّ الشمس كانت تحتضن القمر! فقد كان يجلس على فخذ الإمام عليه السلام الأيمن غلامٌ بهيّ الطلعة، زاهر الجمال، يجذب الأفئدة، و على رأسه فرْقٌ بين وَفرَتين كأنّه ألفٌ بين واوَين من الشعر الأسودِ الجعدِ، كأنّ أمّه قد تفنّنت في تسريح شعره، و ما لبث أن حيّاهما الإمام عليه السلام و أشار إليهما بالجلوس. و كان بين يدَي الإمام عليه السلام رُمّانةٌ ذهبيّةٌ تلمع بدائعُ نقوشها وسَطَ غرائب الفُصوص المُركّبةِ عليها، كان قد أهداها إليه بعضُ رؤساء أهل البصرة، و بين الوالد و الولد حبٌّ عميقٌ لا يوصف، بحيث لو كان يعقوب و ولده يوسف موجودَين لطفقا يغبطانهما على هذه العلاقة الفريدة. و كان كلّما أراد الوالد أن يخطّ بالقلم شيئًا على البياض، قبض الغلام على أصابعه، و كأنّه كان يريد أن يوصل رسالة إلى أحمد و سعد، فكان الإمام عليه السلام يُدحرجُ الرمّانة بين يديه و يشغله بردّها كي لا يصدّه عن كتابة ما أراد. و في أثناء ذهاب الطفل و إيابه يكتب كلّ ما يريده كاملًا، ثمّ يعود الطفل من جديد ليأخذ إصبع والده و يتكرّر هذا المشهد اللطيف.



كان أحمد و سعد ينظران إلى سيّدهما و طفله بشغفٍ ملؤه السرور و البهجة، و هما ينتظران أن يُنهي الإمام عليه السلام الكتابة. بعدها، وضع أحمد حِمله أمام الإمام عليه السلام على الأرض.

و كان لهذا الفعل معنًى معروف، لذا نظر الإمام عليه السلام إلى ثمرة مهجته و قال له: يا بُنيّ فضّ الخاتَم عن هدايا شيعتِك و مواليك! كان الطفل حسب الظاهر حتّى تلك اللحظة مشغولًا بجلب الرمانة إلى والده، لكنّه فجأةً، حين خاطبه والده، تجلّت على وجهه ملامح الهَيبة و الوقار و بانَ وجهه النورانيّ السماويّ، فقال: يا مولاي أيجوز أن أمدّ يدًا طاهرةً إلى هدايا نجسةٍ و أموالٍ رجسةٍ قد شيب أحلُّها بأحرَمها؟! تعجّب سعد و أحمد و وضعا أيديهما على فميهما و كرّرا على ذهنيهما ما سمعاه، و قالا في نفسيهما: أقائلُ هذه الكلمات طفلٌ حدث السنّ أم هي روحٌ عظيمةٌ قد توارت بجسم طفل؟ نعم، لم يشأ الغلام أن يمدّ يده إلى مال الحرام، فضلًا عن أن يستفيد منه، و قد كتب الله أن يكون اجتثاث جذور الظلم على يديه الطاهرتين، و لا يقوى على هذا الأمر غيره، فلا ارتباط له بالظلم و لا الظلم يجرؤ على الدنوّ منه، لذلك قال الإمام العسكريّ عليه السلام لأحمد: استخرج ما في الجراب ليميّز بين الحلال و الحرام! فأخرج أحمد الصرَر الصغيرة، ثمّ أشار الغلام إلى الصرّة الأولى و قال: هذه لفلان بن فلانٍ من محلّة كذا بقمّ، تشتمل على اثنين و ستّين دينارًا، فيها من ثمن حجيرةٍ باعها صاحبُها، كانت إرثًا له عن أبيه خمسة و أربعين دينارًا، و من أثمان تسعة أثوابٍ أربعةَ عشرَ دينارًا، و فيها من أجرة حوانيت ثلاثة دنانير. و عقّب الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام على قول ابنه: صدَقتَ يا بُنيّ، دُلّ الرجل على الحرام منها! و هنا نظر الطفل إلى أحمد و قال: في هذه العين دينارٌ بسكّة الريّ تأريخه في سنة كذا، قد ذهب نصف نقشه عنه، و ثلاثة قطاع قراضة بالوزن دانق و نصف دانق، في هذه الصرّة، الحرام هذا القدر، فإنّ صاحب هذه الصرّة في سنة كذا في شهر كذا كان له عند نسّاجٍ ـ و هو من جملة جيرانه ـ من الغزل منٌّ و ربع، فأتى على ذلك زمانٌ كثير، فسرقه سارقٌ من عنده، فأخبره النسَّاج بذلك، فما صدّقه، و أخذ الغرامة بغزلٍ أدقّ منه مبلغ منٍّ و نصف، ثمّ أمر حتّى نسج منه ثوب، و هذا الدينار و القراضة من ثمنه! فحلّ أحمد عقد الصرّة و كان فيها خَتم صاحبها و مقدار الدنانير، فوجد الاسم و المقدار كما أخبر الغلام! ثمّ تفحّص الدنانير الموجودة فيها، و وجد الدينار و القراضة اللّذيْن ذكر الغلام أوصافهما، و وضعهما جانبًا. بعد ذلك أخرج صرّةً أخرى، فقال الغلام من دون تردّد: هذه لفلان بن فلان من محلّة كذا بقمّ تشتمل على خمسين دينارًا و لا ينبغي لنا أن ندني أيدينا إليها! سأله أحمد عن السبب مُستفهمًا، فقال عليه السلام: هذه الدنانير من ثمن الحنطة، و كانت هذه الحنطة بينه و بين حرّاثٍ له، فأخذ نصيبه بكيلٍ كاملٍ و أعطى الحرّاث نصيبه بكيلٍ ناقص! فقال الإمام العسكريّ عليه السلام: صدقتَ يا بُنيّ!

بعد ذلك نظر الإمام عليه السلام إلى أحمد و قال: يا ابن إسحاق، احمل هذه الصُّرر و بلّغ أصحابها، أو أوصِ بتبليغها إلى أصحابها، فإنّه لا حاجة بنا إليها، ثمّ قال: جِئ إليّ بثوب تلك العجوز! كان أحمد لا يزال غارقًا فيما سمعه و رآه بأمّ عينه من كرامات الغلام، و لمّا سمع أمر الإمام عليه السلام التفت إلى نفسه و ذكر ثوب العجوز. فهو في أثناء رحلة السفر كان قد وضع ثوبًا في خُرج سعد، و قد نسيَ سعد أن يحمله معه إلى الداخل، وكان هذا الثوب لامرأةٍ عجوزٍ أوصت أحمد أن يسلِّمه إلى الإمام العسكريّ عليه السلام، فخرج أحمد ليجيء بذلك إلى مَوْلاه عليه السلام.
و في تلك الأثناء نظر الإمام عليه السلام إلى سعدٍ و سأله: ما جاء بك يا سعد؟! كان سعد منبهرًا بعجائب الأب و الابن السماويّين في هذا البيت، و لذلك ظلّ ساكتًا حتّى تلك اللحظة، و قد نسي السبب الّذي قطع من أجله كلّ هذه المسافة. و لذا استغرق الأمر عدّة ثوانٍ حتّى ثاب إلى رشده و أخذ يبحث لنفسه عن جواب. و لأنّه كان خجولًا إلى حدّ ما، فقد كان يدقّق في اختيار كلماته كي لا يتجاوز حدود الأدب. فقال بإيجازٍ: شوّقني أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا. عندها أراد الإمام عليه السلام أن يحثّه على الكلام، و يذيبَ جليدَ صمته، فقال له: و المسائل الّتي أردت أن تسأل عنها؟ فتذكّر سعد مسائله و أجاب خجِلًا: على حالها يا مولاي! و هنا أومأ الإمام عليه السلام إلى ولده و قال: سلْ قرّة عيني عمّا بدا لك منها! فاغتنم سعد الفرصة ليسأل عمّا يختلج في ذهنه. و ما رآه قبل قليل جعله يوقِن أنّ روحًا ملكوتيّة قد حلّت في هذا الجسم الطفوليّ و أنّه جالس على ساحل بحر علمٍ لا ينفد. فبدأ بطرح أسئلته واحدًا تلو آخر حتّى ينهل جرعة جرعة من هذا البحر العذب الفيّاض بالعلوم و المعارف، و الطفل يجيبه عنها أجوبة حكيمة من غير إبطاءٍ أو تردّد. و لم يكن أحد يعرف قيمة أجوبة هذه الأسئلة بقدر ما يعرفها سعد، لأنّه كان قد طرح أسئلته على أساتذته و أصحابه و طرق كلّ الأبواب ليحصل على جوابٍ شاف، لكنّه لم يسمع مثل هذه الأجوبة المُحكمة و المُتقنة، فكان متعجّبًا كيف أنّ طفلًا صغيرًا يجيب عن أسئلةٍ قد عجز عنها كبار العلماء، لذلك أدرك أنّه ينهل العلم من منبعه الإلهيّ، و تيقّن أنّ هذا الطفل ليس كغيره من الأطفال بل هو حجّة من حجج الله، فكان يشكر الله كثيرًا أن وفّقه للقائه. و كانت نظرات الطفل تنفذ إلى عمق وجود سعد، و كلماته تُنقش في ذهنه و قلبه.

طالت مدّة طرح سعد لأسئلته، حتّى اقترب وقت الصلاة و بات عليه المغادرة، لكنّ أحمد الّذي خرج لإحضار الثوب لم يرجع بعد و لم يصل منه أيّ خبر. فاستأذن سعد و خرج باحثًا عن أحمد، في حين استعدّ الإمام عليه السلام و ابنه للصلاة. و لمّا خرج سعد، رأى أحمد

يُقبل نحوه مضطربًا باكيًا، فسأله سعد مستغربًا: ما أبطأك و أبكاك؟ أجابه أحمد: قد فقدت الثوب الّذي سألني مولاي إحضاره، و كان يحدّث نفسه: لعلّ لصًّا قد سرقه و الآن أنا ضامن ثوب تلك العجوز و اشتغلت بأمانتها ذمّتي. قال له سعد: لا عليك، ادخل إلى الإمام، و أخبره بالأمر! أيّ سبيل أفضل من هذا؟ فالإمام حتمًا سيجد حلًّا لهذه المعضلة. فدخل أحمد في حين بقي سعد خارجًا ينتظر عودة صاحبه. و عندما عاد أحمد كانت البسمةُ تعلو شفتيه، و لسانه يردّد الصلاة على محمّد و آله ﷺ. تعجّب سعد و استفهم منه عن سبب تبدّل حاله، فقال أحمد مبتهجًا: وجدتُ الثوب مبسوطًا تحت قدمَي مولانا يُصلّي عليه! فغبطا تلك المرأة العجوز لِما حظيت به من السعادة العُظمى، و شكرا الله جلّ جلاله و غادرا. و قد بقيا بضعة أيّامٍ في سامرّاء، و كانا في كلّ يومٍ يذهبان إلى لقاء الإمام العسكريّ عليه السلام، لكنّهما لم يحظيا برؤية الطفل مرّةً ثانيةً و ظلّت ذكرى اليوم الأوّل محفورةً في قلبَيهما و تتألّق في ذاكرتيهما. بعدها عاد الرفيقان إلى بلدهما، و أخذا يرويان قصّة تلك الأيّام القليلة و عجائبها على الموالين الثقات من شيعة أهل البيت عليهم السلام.

قمرٌ خلف الستار

كان الإمام المهديّ عليه السلام قد بلغ سنّ الرابعة، و كان حلو اللسان جميل البيان و في الوقت نفسه كان مخزن أسرار أبيه عليه السلام.



في أحد الأروقة تفاقمت حدّة الاختلاف في وجهات النظر و الآراء، و تشبّث كلُّ فريقٍ بعقيدته، فئةٌ لم تَعرف الإمام عليه السلام حقّ معرفته إنّما حسبته إنسانًا كغيره من الناس لكنّه مفترض الطاعة و يجب الاقتداء به، و فئةٌ أخرى غالَت في منزلة الإمام عليه السلام، فكان أتباعها يُؤلّهونه و يؤمنون بأنّ له دورًا ربوبيًّا و إلهيًّا ذاتيًّا و مستقلًّا، و لم تكن أيٌّ من الفئتين تتنازل عن رأيها بل كانت تعدّه عين الصواب. أمّا كامل بن إبراهيم الّذي كان يُحاور الفريقين و يُناظرهما، فقد خطّأ كِلا الفريقين و كان له رأيٌ ثالث. فقد كان يعتقد أنّ الإمام عليه السلام معصومٌ

و علمه إلهيّ، و الله تعالى قد نصّبه خليفةً في الأرض، لكنّه ليس بإله، و كلّ ما لدى الإمام عليه السلام هو من عند الله تعالى و بإذنه. لكنّه لم يستطع إقناع الفئتين بخطأ رأييهما، و لذا عزم على الذهاب إلى لقاء الإمام العسكريّ عليه السلام، ليقطع بقوله نزاع القوم حول العقيدة الحقّة، بعد أن كان كِلا الفريقين قد قرّر مُسبقًا الاقتناع بجواب الإمام عليه السلام، لذا لم يكن كامل بن إبراهيم قد تحرّك بعد حتّى كانت أبصار الجميع شاخصةً إلى طريق عودته و هم ينتظرون بفارغ الصبر الجواب الحاسم.

حضّر كامل، الّذي كان مطمئنًّا إلى صحّة عقيدته سؤالين في ذهنه، الأوّل: هل يدخل الجنّة إلّا من عرف معرفتي و قال بمقالتي؟! و كان مقصوده أن يعلم هل أتباع الفئة الأولى الّذين لا يعرفون الإمام عليه السلام حقّ معرفته سيُحرمون الثواب الأخرويّ و نعيم الجنّة؟ أمّا السؤال الثاني فكان: هل كلام أهل التفويض صحيح؟! و هم جماعة يعتقدون بما تقوله الفئة الثانية بأنّ الله عزّ و جلّ أوكل أمر تدبير الخلق بنحوٍ مطلقٍ و تامٍّ إلى الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

و أخيرًا وصل كامل إلى محضر الإمام عليه السلام و باله مشغولٌ في ذَيْنك السؤالين، لكنّ المشهد الّذي رآه عند لقائه بالإمام عليه السلام كان مغايرًا لتوقّعاته، فهذا الإمام الّذي يُفترَض أن يكون مظهر الزهد و التقوى، رآه يلبس الناعم من الثياب. و مع أنّ هذا الثوب لم يكن غالي الثمن و كان بعيدًا غاية البعد عن ثياب المرفّهين، لكنّ كامل كان يتوقّع أنّ الإمام عليه السلام يرتدي دائمًا ثيابًا خشنة، فقال في نفسه: وليّ الله و حجّته يلبس الناعم من الثياب و يأمرنا نحن بمواساة الإخوان و ينهانا عن لبس مثله؟! و بينما كانت هذه الأفكار تراوده و قلبه يفور كالبركان، و مع أنّه لم ينطق بأيّ كلمة إلّا أنّ الإمام عليه السلام كان يعلم ما يُساوره من اعتراض، فابتسم الإمام عليه السلام و حسر عن ذراعيه، فإذا مسحٌ أسود خشنٌ على جلده! ثمّ قال الإمام عليه السلام: يا كامل! هذا لله و هذا لكم! أطرق كامل خجلًا ممّا اختلج في نفسه من الأفكار و الهواجس، كأنّه كان قد نسيَ كُليًّا أنّ من السنن و المستحبّات الشرعيّة أن يُلاقي المؤمن إخوته المؤمنين بالحَسَنِ من الثياب، و أن يتعطّر لهم. و كان جواب الإمام العسكريّ عليه السلام هو نفسه جواب جدّه الإمام الصادق عليه السلام على إشكال سفيان الثوريّ، إذ قال عليه السلام: «يا ثوريّ! لبسنا هذا لله و هذا لكم، فما كان لله أخفيناه و ما كان لكم أبديناه!». و بعد جواب الإمام العسكريّ عليه السلام، توجّه كامل إلى إحدى زوايا الحجرة و جلس فيها، و كان بالقرب من مكان جلوسه بابٌ عليه سترٌ مُرخى. و يا له من مكانٍ قد جلس فيه، و ما أدراه أيّ خبرٍ هو خلف الستار!

كان كامل قد قطع طريقًا طويلة من أجل طرح سؤاله العقائديّ و شاء الله تعالى أن ينال عبده أجر المشقّة الّتي تحمّلها، إذ فجأةً هبّت ريحٌ حرّكت الستار فكشفت طرف الستر. و كان خفق الريح قد أحدث حركة صاخبة في الستارة، فكأنّ الستارة نفسها في صخبها لاحت شوقًا إلى لقاء الحبيب. نعم، كانت هذه الريح جندًا من جنود الله تعالى و مهمّتها أن تُريه المهديّ من آل محمّد ﷺ، فقد رأى كامل في تلك الجهة طفلًا، يبلغ ما يقارب الرابعة من العمر، شَعَر كامل بأنّ فلقةً من القمر على الأرض. فجأةً، نطق الطفل و قال: «يا كامل بن إبراهيم!». و لم يقلّل صغر سنّ الغلام من هيبة الصوت، فاقشعرّ بدنُ كامل، و أجاب لا إراديًّا: لبّيك يا سيّدي! لكن كيف عرف أنّه سيّده و مولاه؟! كأنّ قلبه قد سبق فكره في معرفة الإمام عليه السلام، حتّى كأنّه أُلهِم بجوابه هذا. ثمّ تابع الغلام كلامه قائلًا: جئتَ إلى وليّ الله و حُجّته و بابِه تسأله: هل يدخل الجنّة إلّا من عرف معرفتك و قال بمقالتك! تعجّب كامل لأنّ الغلام نطق بالسؤال نفسه و الكلمات نفسها الّتي ادّخرها في ذهنه من قبل، و بُهت كامل بنحوٍ كامل، و حدّث نفسه متسائلًا عن هويّة هذا الغلام البهيّ المجبول بالجلال و العظمة و الهيبة الّتي لم يُرَ مثيلها عند كبار العظماء، و كيف يكون مطّلعًا على ما يجول في خاطره من أفكار، حتّى كأنّه ساكنُ ذهنه و يشاهد كل خاطرة تخطر على باله، فلملم أفكاره و أجاب بحيطة و حذر شديدين: إي و الله! فقال ابن الإمام عليهما السلام الّذي كان حديث السنّ: إذًا و الله يقِلّ داخلها، و الله ليدخلها قومٌ يقال لهم الحقّيّة! فسأله كامل: سيّدي و مَن هم؟ أجابه الغلام عليه السلام: قومٌ من حبّهم لعليّ يحلِفون بحقّه، و لا يدرون ما حقّه و فضله! ثمّ سكت الطفل لحظات، أمّا كامل الّذي فَقَدَ الجرأة على النطق، فقد نسيَ سؤاله الثاني كلّيًّا. و كان الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام في هذه المحاورة يتأمّل في ابنه و خليفته، و كان سعيدًا بنطقه و سكوته. فجأةً، نطق ابن الإمام عليهما السلام ثانيةً و خاطب كامل و قال: و جئتَ تسأله عن مقالةِ المُفوّضة، كذبوا، بل قلوبنا أوعيةٌ لمشيئة الله، فإذا شاء شئنا، و الله يقول: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

كانت هذه آخر الكلمات الّتي منّ الله تعالى على كامل بسماعها عن لسان الغلام، إذ بعدها هدأت الريحُ و رجع الستار إلى حالته الأولى فأخفى وجه الطفل النورانيّ عن نظر كامل الّذي كان يتحسّر رغبةً في متابعة الحديث مع هذا الغلام من آل بيت الرسول ﷺ. و مع أنّ الستار كان في متناول يد كامل، و أنّ إزاحته للكشف عما وراءه أسهل عملٍ يمكنه فعله، إلّا أنّه صار بالنسبة إليه أصعب أمر. فهيبةُ المجلس سمّرت يده! كان كامل في حالة ذهولٍ و ذهنه مُنصرفًا إلى التفكير في أمر الغلام، إلى أن نظر الإمام العسكريّ عليه السلام إليه

مبتسمًا، فانتبه كامل، ثمّ قال له الإمام عليه السلام الّذي كان محيطًا بالوضع الأمنيّ في سامرّاء: يا كامل! ما جلوسك و قد أنبأك بحاجتك الحجّة من بعدي؟! وجد كامل أنّه قد بلغ مراده، بل إنّ الله زاده من فضله إذ عرّفه الحجّة من بعد إمام زمانه. و لأنّه لم يبقَ عنده أيّ سؤال، وقف مُسلّمًا و غادر مُستأذنًا.

غبارُ العشق

اجتمع عدّة من أصحاب الإمام العسكريّ عليه السلام و أوليائه في بيته، و كانت قلوبهم تطير من الفرح لكونهم في محضر الإمام عليه السلام، و إذا ببدرٍ خادم الإمام العسكريّ عليه السلام يدخل و يقول: يا مولاي، بالباب قوم شعثٌ غُبْرٌ. و كأنّ الإمام عليه السلام قد فرح بقدومهم فتوجّه نحو أصحابه و قال: «هؤلاء نفرٌ من شيعتنا باليمن». لقد أتَوا من أقصى جنوب الجزيرة العربيّة إلى سامرّاء في شمال العراق، فقطعوا على حبّ أهل البيت عليهم السلام ما يُقارب الألفَي كيلومتر، و قد دام سفرهم قرابة الشهر، لكنّ تعب السفر و تراب المسير و غباره، كلّ ذلك لم يُنقص شيئًا من جمال سيمائهم الجذّاب، السيماء المُشرق بحبّ الإمام عليه السلام و الشغف به. و بشوقٍ طلب الإمام عليه السلام إلى خادمه أن يرشدهم إلى الداخل. فدخل اليمنيّون، و بعد إلقاء التحيّة و السلام بدؤوا يتجاذبون أطراف الحديث مع الإمام عليه السلام و أصحابه الملتفّين حوله، حتّى ساد المجلس جوٌّ من الدفء و الألفة، و كان الجميع مُستأنسين و راجين أن يطول المجلس. و مع أنّه اللقاء الأول بينهم، لكن كأنّ هؤلاء الأصحاب يعرف بعضُهم بعضًا منذ زمنٍ بعيد و هم اليوم يسترجعون ذكرياتهم القديمة. نعم، اجتماعهم على المودّة في قُربى النبيّ صلى الله عليه وآله قد خلق فيهم أُنسًا عجيبًا و عقد بين قلوبهم أواصر المحبّة.

كان اليمنيّون قد جلبوا معهم أموالًا و أرادوا تسليمها إلى الإمام عليه السلام و كان من السهل أن يتسلّمها الإمام عليه السلام بنفسه، لكنّه فاجأ الجميع إذ أرسل خادمه في طلب وكيله الخاصّ أبي عَمرو عثمان بن سعيدٍ، الّذي كان ينوب عن إمامه عليه السلام في الكثير من المهام، و الّذي قد أرجع الإمام عليه السلام إليه أحمد بن إسحاق لطرح أسئلته عليه. و كان أبو عَمرو يسكن قريبًا، فما لبث أن وصل إلى محضر الإمام عليه السلام، فتوجّه الإمام عليه السلام إليه و قال له: امضِ يا عثمان فإنّك الوكيل و الثقة المأمون على مال الله، و اقبض من شيعتنا هؤلاء ما حملوه من المال! و في الوقت الّذي كان أبو عمرو مشغولًا بتسلّم الأموال، انشغل بال الحاضرين بتصرّف الإمام عليه السلام.

لكنّهم سرعان ما أدركوا أنّ الإمام عليه السلام أراد بهذا الفعل أن يبيّن لهم منزلة عثمان الخاصّة لديه و مقامه الّذي كان يتحلّى به. و في النهاية أظهر الأصحاب فهمهم لما قام به الإمام عليه السلام و قالوا له: يا سيّدنا، وَ الله إنّ عثمان لَمِن خيار شيعتك و لقد زدتنا علمًا بموضعه من خدمتك، و إنّه وكيلك و ثقتك على مال الله. و هنا أيّد الإمام عليه السلام كلامهم، فقال كلمةً تحمل معانيَ عميقة و مهمّة: «نعم، و اشهدوا على أنّ عثمان بن سعيدٍ العمريّ وكيلي و أنّ ابنه محمّدًا وكيل ابني مهديّكم!». و كأنّ الإمام عليه السلام أراد إظهار مقامه و وثاقته من جهة، و من جهة أخرى أراد بذكر الوكالة في زمن ابنه أن يُهيّئ الشيعة لأمر الغيبة الّتي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وآله و الأئمة عليهم السلام من بعده. و في الوقت نفسه بيّن منزلة محمّد بن عثمان و أكّد وثاقته، كما مهّد لهم أرضيّة نيابته عن إمام زمانهم اللاحق. فقد كان الإمام عليه السلام يعلم جيّدًا أنّ الطريق ستكون وعرة أمام شيعته، و لذا تدارك الأمر بإنارة مصابيح يهتدون بها في الظلمات و يُميّزون بواسطتها بين الطريق و الحُفَر. و قد رسخت كلمة الإمام عليه السلام في أذهان الحاضرين حتّى تُعينهم في يومٍ ما على الاهتداء إلى الحقّ و إيجاد الحقيقة و تكون حجّة لأعمال الشيعة في زمنٍ لم يكن ببعيد...

ظاهرٌ و مستور

ها قد مرّت أربع سنوات على ولادة ابن الإمام العسكريّ عليهما السلام و قد مضى أكثر من نصف العام ٢٥٩ للهجرة، و مع ذلك لم يكن يعقوب بن منقوش ـ و هو أحد أصحاب الإمامَين الهادي و العسكريّ عليهما السلام ـ يعلم مَن سيكون خليفة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام و الحجّة من بعده، إذ بسبب بقاء هذا الحدث مكتومًا، لم يصِل إليه أيّ خبر، مع ذلك فهو يعلم بأنّ طبيعة الأمور تقتضي أن يكون الإمام اللاحق هو ابن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام. و في تلك الظروف، قرّر أن يقابل الإمام عليه السلام شخصيًّا، ليعرف منه تكليفَه الشرعيّ. فتوجّه لمقابلة إمام زمانه الحسن العسكريّ عليه السلام، واضعًا نصب عينَيه سؤاله الّذي حيّره طوال تلك المدّة.

عند دخوله على الإمام عليه السلام وجده جالسًا على دكّةٍ مبنيّة، و عن يمينه حجرةٌ على بابها سترٌ مُسبَل. و بعد إلقاء التحيّة و السلام، جلس يعقوب مقابل الإمام عليه السلام، ثم ترك المجاملات جانبًا و شرع في طرح سؤاله بإيجاز: يا سيّدي، مَن صاحبُ هذا الأمر؟ فقال له الإمام عليه السلام الّذي كان يعلم مسبقًا سبب قدومه: ارفع الستر! فتوجّه يعقوب نحو الستار و وقف في

المكان نفسه الّذي جلس فيه كامل بن إبراهيم قبل مدّة، لكن هذه المرّة يدَي يعقوب ستفعلان ما فعلته الريح لكامل. نعم، هو ذلك الستر نفسه الّذي بإزاحته مرّةً واحدةً قلّب قلْب كامل بنحوٍ كامل، و هذا نفسه ما ينتظر يعقوب الّذي مدّ يده و رفع الستر، فإذا به يرى طفلًا، وجهه أبيض ناصعٌ كبياض الثلج، و لعينيه بريق اللآلئ، كانت يداه كأيدي الرجال، و ركبتاه بارزتين، في خدّه الأيمن خال، و من رأسه تنساب خصلات شعرٍ كالحرير الخالص. و بينما كان يعقوب يتأمّل يوسف آل محمّد عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ، تقدّم الطفل باتّجاه والده، فاحتضنه أبوه و أجلسه على فخذه؛ و من ثمّ نظر الإمام العسكريّ عليه السلام إلى يعقوب و قال له مُشيرًا إلى ابنه: «هذا صاحبُكم!». و في تلك اللحظة نفسها نظر إلى قرّة عينه و قال له: «يا بنيّ ادخل إلى الوقت المعلوم!». فقام الطفل و دخل الحجرة. و كان يعلم أنّ الله قد أوكل إليه مهمّة خاصّة، كما يعلم متى عليه أن يسدل ستار الغَيبة و متى يزيحه.

كان يعقوب يُحدّق في الغلام، مأخوذًا به، لا يميل بنظره عنه، و منصرفًا ببصره عمّن سواه، و هو يقول بلسان الحال لم تكد تأتي حتّى ارتحلت؟! أخذتَ فؤادي و لا أعلم أين ذهبت به! كان يقرأ في سرّه أبياتًا من الغزل، فقاطعه الإمام العسكريّ عليه السلام قائلًا له: يا يعقوب، انظر مَن في البيت؟ فهبّ يعقوب فرحًا لأنّه سيكحل ناظرَيه مرّة أخرى بالنظر إلى سيماء هذا الطفل الجذّاب، فتوجّه بسرعةٍ نحو الحجرة و أزاح الستار و دخل، لكنّه لم يرَ أحدًا! دقّق مرّة أخرى فلم يجد طريقًا للخروج، و لم يرَ غير الستار المعلّق في الحجرة! و هكذا علّمَ الطفلُ يعقوبَ أنّ شأنه مختلف عن شؤون الآخرين، و أنّه ما دام لا يريد اللقاء و لا يجد فيه مصلحة، فحتّى لو أُزيحت كلّ الأستار المُسدلة لا يمكن لأحدٍ أن يراه، كما أفهمه في الوقت نفسه أنّه ما من حائطٍ أو جدارٍ يمكنه أن يحبسه. فلا بدّ أن تحضر القلوب الغائبة في درس العشق حتّى يجد أصحابها أنفسهم في محضره عليه السلام. و كانت هذه الخطوة و أمثالها الّتي كان الإمام العسكريّ عليه السلام يقوم بها إكمالًا لمسيرة آبائه الطاهرين عليهم السلام بإخبار الشيعة عن غيبة الإمام الثاني عشر، لتأكيد تهيئتهم لهذا الأمر العظيم أكثر فأكثر.

ثمانون عينًا و ثمانون أذنًا

كان الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام في ريعان شبابه، لكنّه كان يعلم أنّ الرحيل وشيك، و أنّ عمره الشريف مبتورٌ بِسُمّ أعدائه الطاغين، الّذين يخطّطون لقتله حقدًا و حسدًا من عند

أنفسهم كما فعلوا بآبائه الشهداء الطيّبين عليهم السلام، فمع أنّ الإمام عليه السلام يعيش تحت الإقامة الجبريّة في داره المحاصرة بالجواسيس، إلّا أنّ العبّاسيّين لم يتحمّلوا حتّى هذا المقدار من تجلّي نور الإمامة. و من هنا أراد الإمام عليه السلام المطّلع على مصيره أن يتمّ الحجّة على شيعته و رفع الشبهات الّتي قد يتعرّضون لها، و لذلك جَمَع عليه السلام في منزله عددًا من أصحابه الأجلّاء، الّذين يتمتّعون بالمصداقيّة لدى الرأي العام، و يُعدّ كلامهم لدى الناس حجّة و سندًا، و قد اتّفق أن كانوا قد طلبوا من قبل إذن اللقاء. و لذا فإنّ الإمام العسكريّ عليه السلام الّذي نادرًا ما كان يأذن لأحد بلقائه أو كان يسدل ستارًا بينه و بينهم ـ و كلّ ذلك بسبب الظروف الأمنيّة و الحفاظ على أرواح الشيعة أنفسهم، و كذلك لتهيأهم لزمن الغيبة الّذي سبق أن أخبرهم عنه إمام بعد إمام ـ أذن هذه المرّة للجميع بلقائه. و قبل دخولهم، تشاوروا فيما بينهم و اتّفقت كلمتهم على أن يكون السؤال الأهمّ الّذي يجب أن يطرحوه على الإمام عليه السلام هو السؤال حول الإمام و الحجّة من بعده. و كان أحد المجتمعين في دار الإمام العسكريّ عليه السلام، وكيله الخاصّ و صاحبه المقرّب عثمان بن سعيد الّذي كان الإمام عليه السلام يُرجع الناس إليه. و كان برفقة عثمان ابنه محمّد المُكنّى بأبي جعفر، و كان محمّد كوالده نائب الإمام العسكريّ عليه السلام و صاحبه الخاصّ. كما كان من بين الحاضرين في ذلك المجلس محمّد بن معاوية بن حكيم، الّذي يُعد والده أحد المحدّثين الثقات لدى الشيعة، و قد وفّقه الله لرواية أحاديث ثلاثةٍ من الأئمّة الأطهار عليهم السلام، و اليوم يتشرّف الابن بنقل الحديث عن الإمام العسكريّ عليه السلام ليسير بثباتٍ على خُطى أبيه. و من الّذين تشرّفوا بالحضور في هذا المجلس محمّد و حسن، ابنا أيّوب بن نوح الّذي كان أحد الأتقياء من ممثّلي الإمامَين الهادي و العسكريّ عليهما السلام، و الآن ينتهج ابناه منهجه و يشاركان في هذا المجلس.

لقد جمع الإمام عليه السلام هؤلاء و عددًا آخر من أصحابه الكبار الّذين كان كلّ واحد منهم أشهر من الآخر، و وصل مجموعهم إلى الأربعين رجلًا. و لمّا كان عثمان بن سعيد من ناحيةٍ من كبار الحاضرين سنًّا، و كان متقدّمًا عليهم في الدراية و الأدب، و من ناحيةٍ أخرى كان نائب الإمام عليه السلام، و أقرب الناس إليه، فقد نهض ممثّلًا عن الحاضرين، و قال بكلّ تواضع: يا ابن رسول الله، أريد أن أسألك عن أمرٍ أنت أعلم به منّي! و لكن قبل أن يتمكّن من بيان سؤاله، قال له الإمام: «اجلس يا عثمان!». فرام أحد الحاضرين من المتسرّعين أن يترك هذا الاجتماع بعد أن غلب على ظنّه أنّه لن يحصل على ضالّته هناك، و لكنّ العبارة الحازمة

و المتينة الّتي صدرت عن الإمام عليه السلام بعد ذلك، سمّرته في مكانه: «لا يخرجنّ أحدا!». فعاد إلى مكانه، و لم يجرؤ أحد بعد ذلك على مبارحة مكانه. وكان الجميع يترقّب ما هو الخطاب المهمّ الّذي سوف ينقله الإمام عليه السلام لهم. تصرّمت لحظات في صمت مطبق، حتّى نادى الإمام على عثمان بصوتٍ مرتفع. فقام عثمان من مكانه كأنّه جنديٌّ مستعدٌّ لتلبية الأمر و خدمة الإمام عليه السلام. فقال له الإمام عليه السلام: «أخبركم بما جئتم؟!» فقال الجميع مبتهجًا: نعم، يا ابن رسول الله! فقال: «جئتم تسألوني عن الحجّة من بعدي!». فقال الجميع مرّة أخرى بكلّ فخر لمولاهم و سيّدهم: «نعم!». ثمّ علت الهمهمة بعد ذلك بين جميع الحاضرين، و زاد فضولهم. و لم تمضِ سوى لحظات حتّى رأى الجميع دخول نجل الإمام عليهما السلام إلى صالة الضيوف. وكان وجه الابن أشبه ما يكون بأبيه، فكلّت الألسن عن الكلام و بدلًا عنه صارت الأبصار شاخصة و الآذان مُنصتة، ثمّ قال الإمام العسكريّ عليه السلام بحضور ثمانين عينًا و ثمانين أُذُنًا: «هذا إمامكم من بعدي، و خليفتي عليكم، أطيعوه و لا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، أَمَا إنّكم لا ترونه بعد يومكم هذا!». و يا له من موقفٍ قد صوّر في أذهان الحاضرين مشهد يوم الغدير، لكن أيّ غديرٍ غريبٍ هو اليوم، إذ لا يوجد مع حجّة الله عليه السلام سوى أربعين حاجًّا.

و لم يكن هذا كلّ ما تضمّنه ذلك المجلس، فما اختُتم به كان نقطة تحوّل في حياة عثمان بن سعيد، إذ إنّه حاز على وسامٍ لم يحصل عليه أحد من أصحاب الإمام عليه السلام. فقد تابع الإمام عليه السلام كلامه و قال في تتمّته: «فاقبلوا من عثمان ما يقوله و انتهوا إلى أمره و اقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم و الأمر إليه!». نعم، لم يكن أبو عَمرو مجرّد وكيلٍ للإمام عجّل الله فرجه، إنّما نائبه المطلق. و إنّ الحاضرين الّذين كانوا يعرفون سابقًا عثمان و مقامه و أنّه هو الوسيط بينهم و بين الإمام عليه السلام لم يستغربوا أن يُقدَّم له هذا الوسام، في حين أنّ المتصدّين للحكم لم يكونوا ليتوقعوا قطّ أنّ رجلًا سمّانًا ـ في الظاهر ـ يكون فقيهًا و مقدّسًا و من أصحاب سرّ الإمام عليه السلام و يكون هو الوسيط بينه و بين شيعته، فحقيقٌ أن يُقال بأنّ الله تعالى يخفي أولياءه في عباده. و بعد هذا الاجتماع، أودع الحاضرون كلام الإمام عليه السلام في أذهانهم، و قبلوا بكلّ وجودهم بالخطّة و المسار اللّذين اختطّهما لهم. وكان لهذه الجلسة صدًى في أوساط الشيعة، حتّى إنّها اشتهرت و أصبحت فيما بعد منارةً لهم للنجاة من الفتن، و لو حدث شكّ لدى شخصٍ لسارعوا إلى تذكيره بهذا الاجتماع و لأتمّوا الحجّة عليه.

كان الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام يعرف أنّ الحيرة سرعان ما ستستولي على الناس، و إتمام الحجّة على هذا النحو المتيسّر يُمكن أن يُنقذ الناس من الحيرة في أوقات الفتن و الأحداث المصيريّة. و لأنّ الإمام عليه السلام لم يتمكّن ـ بسبب ما كان يواجهه من تضييق و تشديد من قِبَل السلطة الحاكمة ـ من عرْض ابنه على الشيعة فردًا فردًا أو الإعلان عنه جِهارًا، لذلك فإنّه كان يُعوّل على أن يكون لشيعته و محبّيه ما يكفي من البصيرة و العقلانيّة و الفطانة، الّتي تلزمهم ـ على أساس الأخبار الصحيحة و الموثوقة و المتواترة الّتي وصلتهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله و الأئمّة المعصومين عليهم السلام ـ أن يعرفوا إمامهم اللاحق، و الّذي يجب أن يؤمنوا بوجوده حتّى و إن لم يروه بأعينهم، كما آمنوا بالنبيّ صلى الله عليه وآله الّذي لم يروه. و كان أتباع الإمام عليه السلام و شيعته عند حُسن ظنّ إمامهم العسكريّ عليه السلام الّذي تأكّد من ذلك بنفسه عندما جاء أحد أصحابه إلى لقائه يومًا، و كان قد سمع بولادة ابن الإمام عليه السلام، لكنّه لم يرَه بأُمّ عينَيْه، فسأله الإمام عليه السلام: ما كان حالكم فيما كان فيه الناس من الشكّ و الارتياب؟ فأجاب بكلّ اعتزاز: يا سيّدي، لمّا ورد الكتاب بخبر مولد سيّدنا، لم يبقَ منا رجلٌ و لا امرأةٌ و لا غلامٌ بلغ الفهم إلّا قال بالحق. نعم، لقد زاوج الشيعة بين العقل و الإيمان فنجوا من الفتن. و كان الإمام عليه السلام سعيدًا بحال شيعته و تيقّن أنّه أنجز مَهمّته الإلهيّة على أحسن الوجوه، فسبّح بحمد ربّه قائلًا: أحمد الله على ذلك، ثمّ نظر إلى الرجل صاحب البصيرة هذا و قال له: أمَا علمتُم أنّ الأرض لا تخلو من حجّة!

نعم إنّها سنّة إلهيّة، ومن يعرف سُنن الله و يؤمن بها، لا تزعزعه أعاصير الشبهات، و لا تنتابه الشكوك.

قصّة هاجر و إسماعيل

مع حلول الخامس عشر من شهر شعبان في سنة ٢٥٩ للهجرة، دخل ابن الإمام العسكريّ و قرّة عينه عليهما السلام في السنة الخامسة من عمره. ثمّ بدأ شهر رمضان لذلك العام، و بانقضائه كان الطفل الكريم قد جلس خمس ليالي قدرٍ إلى جانب والده عليه السلام و شهِد نزول الملائكة عليه. و مضت الأيّام و اقترب موسم الحجّ، و كان الإمام العسكريّ عليه السلام منذ صغره يعيش تحت وطأة الإقامة الجبريّة في سامرّاء، و كان مضيّقًا عليه حتّى في تأدية مناسك الحجّ، فلم يستطع إلى الحجّ علنًا سبيلًا، إلّا أنّه حتمًا ذهب من غير الطرق المألوفة لعموم النّاس، و دون أن يشعر بحضوره غير الخواصّ. لكنّ الأمر مختلفٌ هذا العام، فقد كان يعلم أنّ عمره لا يدوم إلى موسم الحجّ القادم، و سرعان ما سيتحقّق

رجاؤه بلقاء ربّه، و ربما لهذا السبب أرسل أمّه السيّدة حديثة عليها السلام إلى الحجّ لتنوب عنه في ميقات العاشقين و طواف الوالهين، إذ كانت امرأةً شديدة التقى، عابدة، و من أهل المناجاة و الأسرار.

كان الإمام العسكريّ عليه السلام قد أفهم أمّه بنحوٍ غير مباشر، كنايةً و تلميحًا، أنّ مصيبةً عظيمةً ستحصل قريبًا، فقال لها: تُصيبني في سنة ستّين و مائتين حَزازةٌ أخاف أن أُنكب فيها نكبةً، فإنْ سلِمتُ منها فإلى سنة سبعين. و لم يكن بكاء الأمّ و نشيجُها بعد سماع هذه العبارة، يعبّران إلّا عن جزءٍ ضئيلٍ من الغمّ و الحزن اللذين غَمَرا قلبها؛ فابنُها لم يكن قد بلغ الثلاثين من عمره و لا يزال في ريعان شبابه، و هذا ما ضاعف حرقة قلبها. و مع أنّ السيّدة حديثة عليها السلام قد ذاقت مرارة فقد الولد و لوعته بموت ابنها الأكبر محمّد، لكنّ شأن الحسن عليه السلام مختلفٌ! فقد كان آخذًا بمجامع قلب أمّه، و بفقده لا يبقى لقلبها من باقية. و كان بكاء الوالدة يقطّع قلب الإمام عليه السلام الرؤوف، فأراد أن يخفّف عنها قليلًا من آلام هذه المصيبة، فاقترب منها بعطفٍ و حنان و ذكّرها بحتميّة التقدير الإلهيّ، و أوصاها أن تُسلّم الأمر لله عزّ و جلّ، و أن ترضى بما كتبه الله عليهم، فنطق بما هدّأ من رَوْعها: لا بدّ لي من وقوع أمر الله، فلا تجزعي! و كان الإمام عليه السلام يعلم مدى حبّ أمّه له و علاقتها العاطفيّة به، خصوصًا بعد استشهاد والده الإمام الهادي عليه السلام، إذ لم يبقَ لها سواه، لذلك حضّرها نفسيًّا لتحمُّل المصيبة الفادحة القادمة، و لربما كان إرسالها إلى الحجّ نوعًا من التخفيف عنها، و سبيلًا لإبعادها قليلًا عن التفكير بهذا الخبر المؤلم، أو ربما كان يريد أن يهيّئها في هذا السفر المعنويّ لترقّي مدارج التسليم، فتستعدّ بعد التضحية في صحراء مِنى، لتضحيةٍ أعظم قادمة، أو لعلّ الإمام عليه السلام كان قد أوكل إليها مهمّة سرّيّة خاصّة.

و حين عادت السيّدة حديثة عليها السلام من حجّ بيت الله الحرام إلى سامرّاء، كان شهر ذي الحجّة قد اكتمل، و لاح في الأفق هلال محرّم الحرام من سنة ٢٦٠ للهجرة، فأحيا بطلعته ذكرى أمّ المصائب زينب عليها السلام، الّتي فاق صبرها الجبال ثباتًا، فتأسّت السيّدة حديثة عليها السلام بها و أودعت قلبها «ما رأيتُ إلّا جميلًا» و لسانها يردّد «اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان». و كانت كلّ لحظةٍ من هذه السنة تعادل دهرًا بالنسبة إلى السيّدة حديثة، و أيّامها تمرّ عليها كأنّها ليالٍ مظلمة. ففي كلّ يومٍ تتساءل قلقةً أفي هذا اليوم ستقع الرزيّة العظيمة الّتي أخبرني بها ولدي؟ و كان حفيدها المهديّ عليه السلام يشاطرها علمها بأنّ فاجعة عظيمة سوف تقع و تودي

بحياة أعزّ الناس إليهم، فمع حداثة سنّه لكنّه كان الإمام الصامت، و قد شهِد في ليلة القدر عظيم الرزيّة و مقدّرات تلك السنة الحزينة.

انقضى الشهر بعد طول عناءٍ و جاء شهر صَفَر، فشعرت الأمّ الحنون أنّه يحمل إليها رسالةً مؤلمةً مُرّة. و كان كلّ شيء حولها، حتّى أبواب المنزل و جدرانه، يذكّرها بما مرّ عليها من مصائب، فتتداعى في ذهنها الذكريات المريرة. فأحياء سامرّاء و محالّها ليس لديها ما تُخبر عنه سوى ما شهدَته من ظلمٍ صُبّ على أهل البيت عليهم السلام، لذلك فقدت سكينتها و طمأنينتها و ضاقت عليها الأرض في سامرّاء أكثر من ذي قبل، فخرجت من المدينة و لاذت من هذه الغربة و هذا الضيق إلى البراري المحيطة، فهي لم تكن تريد أن تشهد ذبول زهرة فؤادها عليه السلام، لكنّها من ملاذها ذاك كانت تستطلعُ الأخبار يوميًّا. و في أحد الأيّام وصل إلى مسامع السيّدة حديثة عليها السلام أنّ المعتمد العبّاسيّ قد ألقى القبض على ابنها الحسن العسكريّ عليه السلام و أخيه جعفر، فخلق هذا الخبر جوًّا متوترًا في بيت السيّدة. و لم يكن قلقها الشديد نابعًا من إلقاء القبض على جعفر، لأنّها اعتادت سماع الأخبار السيّئة عنه، فكثيرًا ما كانت أفعاله الشنيعة تُثير المتاعب، إذ كان في داره يشرب الخمر و يلبس الثياب المزيّنة الّتي تُصنع عادةً للنساء، و يقيم حفلات اللهو و الطرب، و تُضرَب له فيها العيدان. و كان يبذل العطاء على الحاضرين في هذه الحفلات، فينثر عليهم الدراهم و الدنانير كي يحفظوا سرّه و يكتموا أمره. لكن هل يؤتمَن الخائن على سرٍّ؟ فكان هؤلاء الأوباش بمجرّد أن تسنح لهم فرصةٌ لنيل رضا الخليفة أو للحصول على شيء من أمواله يشون بجعفر، فيأمر الخليفة بإحضاره إلى السجن. بيد أنّ ما أثار حفيظة السيّدة حديثة عليها السلام أنّ رجال البلاط من النواصب كانوا قد ألقوا القبض اعتباطًا على ابنها المعصوم عليه السلام أيضًا. لكن كما المرّات السابقة لم يرَ السجّانون ـ الّذين كان يرأسهم هذه المرّة عليّ بن جرين ـ من الإمام عليه السلام إلّا الصيام و القيام و المناجاة و الخلق العظيم الّذي ورثه من جدّه صلى الله عليه وآله.

و كان المعتمد يتابع باستمرار أخباره، و في يومٍ من الأيّام سأل مدير السجن عن وضعه، فأخبره بحاله قائلًا: إنّه يصوم النهار و يصلّي الليل. و عندما رأى الخليفة الوضع على هذا النحو أمره أن يُخلي سبيله، أو ربما كانت في نفسه حاجة و قد قضاها، إذ دسّ للإمام عليه السلام السمّ فلم يعد هناك داعٍ لبقائه مسجونًا بل الأفضل إخلاء سبيله كي لا يقضي نحبه في سجنه! فذهب مدير السجن عليّ بن جرين ليُخبر الإمام عليه السلام أنّهم سيخلون سبيله، لكنّه قبل أن

يدخل إلى السجن وجد حمارًا مسرجًا عند الباب. ثمّ دخل على الإمام عليه السلام فوجده جالسًا و قد لبس خفّه و طيلسانه. و كأنّه كان يعلم قبله خبر الإفراج عنه! فلمّا رآه الإمام عليه السلام نهض، فأخبره مدير السجن بأمر إخلاء سبيله، فركب الإمام عليه السلام على الحمار المسرج، لكنّه لمّا استوى عليه لم ينطلق، فاستغرب مدير السجن و سأله: ما وقوفك يا سيّدي؟! فقال الإمام عليه السلام: حتّى يخرج جعفر! فقالوا: لكنّ الخليفة أمر بإطلاقك دونه. فقال له: ترجع إليه فتقول له: خرجنا من دار واحدة جميعًا، فإذا رجعتُ و ليس هو معي كان في ذلك ما لا يخفى عليك! فأوصل مدير السجن الرسالة إلى الخليفة ثمّ عاد و قال للإمام عليه السلام: إنّ الخليفة يقول: قد أطلقت جعفرًا لك، لأنّي حبسته بجنايته على نفسه و عليك، و ما يتكلّم به! و كان المعتمد العبّاسيّ يعرف جيّدًا عواقب عمله و لهذا غيّر قراره. و بهذا نجّى الإمام عليه السلام أخاه مع علمه بأنّه لن يُقدّر له هذا الأمر و كيف سيردّ جميله عليه السلام عمّا قريب! و كان انتظار السيّدة حديثة عليها السلام لخبر الإفراج هذا من أصعب ما يكون حتّى كأنّه قد أنقص من عمرها عشرات السنين. و عند خروج الإمام عليه السلام من السجن، لقي بعض أصحابه، فأعطى أحدهم ورقةً و كان مكتوبًا عليها:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

الخبر المُفجع

في النصف الثاني من شهر صفر لعام ٢٦٠ للهجرة، قَدِم أبو الأديان، أحد شيعة الإمام العسكريّ عليه السلام، إلى زيارة مولاه. و كان من مهام أبي الأديان أن يحمل رسائل الإمام عليه السلام إلى أشخاص متعدّدين في مدن مختلفة. في ذلك اليوم، لم تكن حال الإمام عليه السلام على ما يرام، و لكن لم يكن يبدو عليه ما يدعو إلى القلق، و قد كتب كعادته الرسائل و سلّمها إلى أبي الأديان، و قال له: تمضي بها إلى المدائن. ثمّ قال الإمام عليه السلام عبارةً أصابت أبا الأديان في الصميم: «فإنّك ستغيب خمسة عشر يومًا فتدخل إلى سرّ من رأى يوم الخامس عشر، و تسمع الواعية في داري، و تجدني على المغتسل!». لا أحد غير الله يعلم ماذا فعلت هذه العبارة بقلب أبي الأديان، فهو لم يتوقّع سماع هذه الكلمات من إمامه الّذي لا يزال في عزّ شبابه، فنزل هذا الخبر المُفجع كالصاعقة على قلبه، و شعر أنّ سنده و ركنه و ركن الشيعة جميعًا سينهار. فليت الموت يعدم حياة المرء قبل أن يُمسي في موقفٍ يَسمع فيه إمام زمانه ينعى نفسه. و لم يكن أبو الأديان يعرف ماذا عليه أن يفعل بعد استشهاد الإمام العسكريّ عليه السلام،

و كيف يحفظ دينه مع عدم معرفته بالإمام اللّاحق. كان خجِلًا من طرح الأسئلة، لكنّه تعلّم من أهل البيت عليهم السلام أنفسهم أن لا حياء في التفقُّه في الدين، فاستجمع شتات أفكاره و سأل: يا سيّدي، فإذا كان ذلك فَمَن؟ فأجاب الإمام عليه السلام الّذي كان يعلم مسبقًا بأنّه سوف يطرح هذا السؤال: مَن طالبَك بجوابات كُتُبي فهو القائم بعدي! و كان أبو الأديان ضنينًا بدينه، لا يريد أن يبقى لديه أدنى شكّ أو تردّد، لذلك قال: زدني؟ و كان يريد بذلك علامةً أخرى، فأجابه الإمام عليه السلام: مَن يصلّي عليَّ فهو القائم بعدي! حِرصُ أبي الأديان جعله يتجرّأ و يطلب علامةً ثالثة، فقال: زدني؟ لم يتوانَ الإمام عليه السلام عن إجابته فقال: مَن أخبر بما في الهِميان فهو القائم من بعدي! لكنّ العلامة الأخيرة كانت بالنسبة إلى أبي الأديان مبهمةً، إذ قبل ذلك لم يجرِ الحديث مطلقًا عن هميانٍ أو خُرجٍ، تُرى عن أيّ هميانٍ يتحدّث الإمام عليه السلام؟ كان حبّ الاستطلاع لدى أبي الأديان يفرض عليه أن يطرح هذا السؤال، لكنّ هَيبةَ الإمام استولت عليه هذه المرّة، فعقدت لسانه. و هنا توقّف أبو الأديان عن طرح الأسئلة، ثمّ حمل الرسائل و مضى نحو المدائن منفِّذًا أمر الإمام عليه السلام.

قرنا العنزة

و أخيرًا ببركة دعوات الأمّ الحنون بدفع البلاء، انقضى شهر صفر بحلوه و مُرّه، و لعلّ شهر ربيع الأوّل أراد أن يأخذ دور شهر صفر و يحمل خبر المصيبة عنه! فها قد حلّ شهر ربيع الأوّل من سنة ٢٦٠ للهجرة، و ارتسمت ابتسامة هلاله في أفق السماء، لكن سرعان ما ظهر نَصْله المسنون و ابتدأت أيّام الحزن به، فمنذ اليوم الأوّل مَرِضَ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام مرضًا شديدًا. و علم بهذا الخبر العيون و الجواسيس المزروعون حول دار الإمام عليه السلام، فوصل الخبر إلى وزير المعتمد العباسيّ عبيد الله بن يحيى بن خاقان، فذهب على جناح السرعة إلى دار الخلافة، و استدعى خمسة رجالٍ من جهاز الأمن التابع للخليفة، كان أحدهم نحرير الخادم نفسه الّذي استضاف الإمام عليه السلام في بيته مدّةً من الزمن، و لكن بأسلوبه المتوحّش! و أمرَهم عبيد الله أن يراقبوا بيت الإمام العسكريّ عليه السلام، و يرسلوا إليه تقريرًا عن حاله ساعةً بساعة. كأنّه كان ينتظر خبرًا يشغل باله و حدثًا يترقّب وقوعه! و على ما يبدو كان يعرف أكثر من غيره أنّ هذا المرض ليس مرضًا سهل العلاج و أنّه سيؤدّي إلى قتل الإمام عليه السلام على الرغم من أنّه لا يزال في عزّ شبابه! نعم، كان يعرف أنّ السمّ قد فعل فِعله، و أنّ جسد الإمام عليه السلام لن يتحمّل أكثر من بضعة أيّام. و لذلك عليه الاستعجال باتّخاذ بعض

الإجراءات! فهو لا يملك الوقت الكافي لعرض مسرحيّته المضلِّلة. و بكلّ خُبثٍ استدعى عبيد الله الأطبّاء و أمرهم بمعاينة الإمام عليه السلام و مراقبة حالته الصحّية صباحًا و مساءً، حتّى إنّه بعد بضعة أيّام، و بعد أن ساءت حال الإمام عليه السلام، ارتدى قناع الحزن و حضر بنفسه لعيادته و قال للأطبّاء: لا تبرحوا مكانكم و لا تتنحّوا عن جنبه! هذا الحجم من الشفقة و الأسى، الّذي أظهره الوزير العبّاسيّ أمام سرير الّذي جلبوه عَنْوةً من المدينة إلى سامرّاء و فرضوا عليه الإقامة الجبريّة و طوّقوا حياته بقيودٍ شديدة، و من قبلُ قتلوا آباءه عليهم السلام، كان يُذكّر الشيعة بالمأمون اللامأمون وكيف كان يلطم وجهه و يبكي و ينوح بعدما دسّ السمّ للإمام الرضا عليه السلام! و طبعًا إنّ تجربة الانتفاضات الّتي جرت بعد استشهاد الإمام الرضا عليه السلام، جعلت الخلفاء العبّاسيّين أشدّ دهاءً و احترافًا في إخفاء جرائمهم. و بهذا الهدف طلب عبيد الله إلى ابن أبي الشوارب قاضي القضاة في المدينة أنْ يُسمّي له عشرة أشخاصٍ من بطانته الخاصّة، و أمرَهم أن يرابطوا ليل نهار عند منزل الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، ليكونوا شهودًا على موت الإمام ميتةً طبيعيّة! أمّا المعتمد فمع جميع حيله و تظاهره بصلاحِه، لكنّه لم يكن مُعتمَدَ الناس، و لم يصدّقوا الأيمان المغلِظة الّتي أقسم بها، فمتى كذبت العنزة فإنّ قرنَيْها لا يكذبان!

آخر أبيات الغزل

مضت أيّامٌ سبعةٌ من الشهر و لا يزال النصلُ مسنونًا و دمويًّا، وكان أطبّاء الحكومة خلال هذه الأيّام يأتون من حين إلى آخر، يجرون بعض الفحوصات ثم يصوّب بعضهم إلى بعض نظراتٍ ذات مغزى. و لم يكن واضحًا ما إذا كانوا يأتون للعلاج أم للتأكّد من نجاعة السمّ و تأثيره! و ربما كانوا من عَسَسِ السلطة و قد تنكّروا بثياب الأطبّاء ليبحثوا عن شاهد أو أثر لوارث الإمام و وصيّه. و ها هي شمس اليوم الثامن ترسل خيوطها إلى الأرض بخجل، كأنّها اليوم مُجبرةٌ على الطلوع! و من أوّل الصباح كان الزحام حول البيت شديدًا، و قد كثر التردّد إليه، وكان أصحاب الإمام عليه السلام مُطّلعين بنحوٍ أو بآخر على وضعه المُحزن، و كانوا يسألون عنه باستمرار؛ فكانوا يتحلّقون حول كلّ خارجٍ من البيت ليسألوه عن حال الإمام عليه السلام.

في هذه الأيّام كانت السيّدة نرجس عليها السلام تدور كالفراشة حول فِراش زوجها، و لا تبتعد عنه لحظةً واحدة، و كانت تُعينه و تقضي حوائجه، و تبذل كلّ ما في وسعها لتخفّف عنه آلامه و يستعيد عافيته و يعود إليها في أحسن حال، لكن ما تمنّته لم يتحقّق، إذ كانت حالُه تسوء

يومًا بعد يوم. و كانت السيّدة نرجس عليها السلام تنظر إليه و القلب يتفطر، حرقةً و لوعةً لمُصاب زوجها و سيّدها، فهي الّتي أمضت إلى جانبه أحلى لحظات عمرها و تنعّمت برفقته بحياة ملؤها الحبّ و السكينة، و فيّاضة بالحالات المعنويّة و الروحيّة، فكانت قصّة حبّهما فريدة من نوعها في تاريخ البشريّة. و ذهابه الآن يُعدّ نقطة النهاية بالنسبة إليها، و أُفول وجه الخير للدنيا عن سماء حياتها، بل كيف تحتمل العيش في الدنيا من دون الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام؟ فهو الإمام و الوليّ قبل أن يكون الزوج و الحبيب. و هل تنسى ما جرى معها منذ بضع سنوات و كيف أضناها البعد عن الإمام عليه السلام قبل أن تراه حتّى أقعدها المرض عاجزةً؟ بل كأنّ ما حصل قد كان بالأمس، يوم تركت القصر و مقام ابنة الملك على حبّ الإمام عليه السلام، و ساقتها مشيئة الله تعالى من الروم إلى بيتٍ في سامرّاء يقبع تحت حصار جنود الحكومة و جواسيسها و رقابتهم. لكنّ مليكة قصر قيصر كانت ترى نفسها في هذه الإقامة الجبريّة أكثر سعادة من أيّ ملكة، لأنّها بين يدي إمام زمانها عليه السلام، فكيف بها الآن و قد هامت الروح به و تعلّقت بأذيال وصاله حتّى باتت مستعدّةً لبذل مهجتها دونه و يسلم محبوبها، لكنْ وا أسفاه! القدَر لا يُفاوَض، فلم يكن أمامها إلّا الدعاء، و به سلّمت أمرها إلى الله و رضيَت بقضائه. كانت ترى عزيز قلبها و هو يذوب مثل الشمع، و عمود بيتها و هو ينهار. و كان أملها الوحيد بعد زوجها الحبيب، في ولدها و فلذة كبدها و ذُخر أبيه و المكلّف بأعظم مهمّةٍ إلهيّة. و قد كانت تشعر باطمئنانٍ و أنسٍ كبيرين عندما تضمّ المهديّ عليه السلام إلى صدرها، فأيّ شعورٍ أجمل من أن تكون أمًّا للكوكب الإلهيّ الدرّيّ و تمسح بيدها على رأس هذا الغلام الّذي سوف يمسح بيده الشريفة على رؤوس العِباد جميعًا.

في مساء ذلك اليوم، حضر أبو سهل النوبختيّ، أحد أصحاب الإمام العسكريّ عليه السلام و وجهاء الشيعة، لعيادة المسموم عليه السلام. و كان الإمام عليه السلام - على الرغم من مرضه الشديد - مصرًّا على كتابة رسائله الأخيرة إلى شيعته في شتّى المدن، و مع أنّ السمّ كان يقطّع كبده قطعًا قطعًا، لكنّه كان بكامل وعيه. فكتب رسائل كان بعضها إلى أهل المدينة و بني هاشم و أقاربه و بني عمومته ليرسلها مع أبي سهلٍ. و لعلّ الإمام عليه السلام في رسائله هذه قد عرّفهم بالإمام بعده، و أتمّ عليهم الحجّة. و في تلك الليلة كان عقيد، أحد العاملين في دار الإمام عليه السلام و هو من أصول سودانيّة، حاضرًا بين يدَي مولاه عليه السلام، و قد نال شرف خدمة العترة الطاهرة عليهم السلام سنوات، و كان من أتراب الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام و كبرا معًا. و لمّا اشتدّ المرض على الإمام عليه السلام و ساءت أحواله و بان على وجهه ما يُقاسيه من آلام و جروح داخليّة،

طلب إلى عقيد أن يُذيب له مقدارًا من العلك الروميّ في الماء، وكان هذا الشراب يُستخدم في تلك الأيّام علاجًا لِلَأْم جراح أعضاء البدن الداخليّة، فالسمّ العبّاسيّ كان قد فتّت الجسد الطاهر من الداخل. و بعد أن أعدّ عقيد الدواء كما أمر مولاه، جاءت به السيّدة نرجس عليها السلام في قدح و قدّمته بحنانٍ إلى الإمام عليه السلام، فلمّا تناول القدح منها أمسكه بيدَيه المرتعشتَين، و أراد أن يشرب منه، فقرّبه من فمه المبارك، لكنّ ارتجاف يدَيه حال دون بلوغ مُراده، إذ اصطكّت أسنانه عليه السلام. وكان قلب السيّدة نرجس عليها السلام يرتجف مع كلّ رجفةٍ ليد الإمام عليه السلام، و الدواء الّذي ينسكب من القدح كان يسكب معه دموع هذه السيّدة الوفيّة، و مع كلّ ضربةٍ للقدح بأسنان الإمام عليه السلام كانت تموت و تحيا. فوضع الإمام الشراب الّذي لم يتجرّعه جانبًا، وكان لا بدّ من أحدٍ يسقيه الدواء، وكأنّه أراد أن يشرب آخر جرعة ماء من يد ابنه و خليفته. و في تلك اللحظات لم يكن الأطبّاء و رجال الأمن التابعين للحكومة موجودين في الحجرة، فنظر إلى عقيدٍ و قال له: ادخل البيت فإنّك ترى صبيًّا ساجدًا فأتني به. و حين سمعت السيّدة نرجس عليها السلام هذا الكلام كادت تبكي من شدّة الفرح، فقلبها قد تفطّر و تريد أن ترى ولدها. ففي هذه الأيّام الأخيرة، غادر الصبيّ المنزل دَرْءًا للأخطار المحيطة من كلّ جانب، وكان يعود في الخفاء أحيانًا من أجل لقاء أبيه و أمّه عليهما السلام. فهو لا يمكنه أن يقطن في مكانٍ يرومون قتله فيه. وكان من الممكن في كلّ لحظةٍ أن يدخل شخصٌ غريب، لكن الّذي كان يُطمئن قلب السيّدة نرجس عليها السلام و يربط عليه هو كلام الإمام عليه السلام الّذي حتمًا قد درس الوضع من جميع الجهات. و في آخر مرّةٍ خرج فيها الصبيّ من المنزل، سمعه أهل الدار يقول:

«اللّهم إنّك تعلم أنّها أحبّ البقاع إليّ لَولا الطرد!».

هذه الكلمات أحرقت قلب السيّدة نرجس عليها السلام و أشعلتِ النار في أحشائها، لذا فإنّها بمجرّد سماع أمر الإمام عليه السلام لعقيد أسرعت الأمّ الوالهة خلفه باتّجاه الحجرة، لكن عقيد الّذي كان أقرب منها إلى باب الحجرة قد دخل إليها قبلها. نظر في الأرجاء بحثًا عن الصبيّ، إلى أن رآه ساجدًا موجّهًا سبّابته نحو السماء، فألقى عقيد عليه التحيّة و السلام. كان الصبيّ يُصلّي، و حين سمع السلام ردَّه ثمّ اختصر صلاته، و لمّا أنهاها قال له عقيد: إنّ سيّدي يأمرك بالخروج إليه. تقدّمت السيّدة نرجس عليها السلام و أمسكت يد ابنها بحبّ، و أخذته إلى أبيه، كانت يداه صغيرتين، لكنّهما كيدَيْ أبيه تُشعِران نرجس عليها السلام بالسعادة و الطمأنينة.

و لمّا دخل الطفل ألقى السلام على أبيه، الّذي نظر إليه بعينَيْه المُتعبتَيْن من أَلَم المرض، كان وجه ابنه يشعّ كالكوكب الدرّي، و في شعره قطط، و أسنانه مُفلّجة. و حين رأى الإمام العسكريّ عليه السلام قرّة عينه جرت دموعه على وجنتيه، لأنّه كان يرى ازدهار السوق الّذي يباع فيه يوسفه عليه السلام، و ندرة من يعرف قدر الدرّ و قيمته. و كان الإمام العسكريّ عليه السلام في تلك اللحظات حزينًا جدًّا، فقد كان يعلم أنّ ابنه هذا سوف يغيب مئات السنين، و قرونًا طويلة، و أنّ مصيبته ستكون أطول و ربما أشدّ من مُصيبة سيّد الشهداء عليه السلام، لأنّ مصائب سيّد الشهداء وقعت في بضع ساعات من النهار، و لكنّ ابنه هذا سوف يغيب زمنًا طويلًا متجرّعًا مصائب الغَيبة. كان من جانبٍ حريصًا على حياة ابنه، و من جانبٍ آخر قلقًا من تضييع الخلق لآخر فُرَصِهم، فكان البُعد علاج الأمر، لعلّ ظمأ الخلق يُعرّفهم قَدْر الماء! فنظر الإمام عليه السلام إلى فلذة كبده و أوصاه:

«لا تُوَطِن من الأرض إلّا أخفاها و أقصاها إسرارًا لأمرك و تحصينًا لمحلّك لمكايد أهلِ الضّلال و المردة من أحداثِ الأممِ الضّوالِّ، حتّى يَحُلّ الْأَمرُ و يَنجَلي الهَلَع!».

أجل، قد أوصاه باتّخاذ البراري و الجبال موطنًا، كأنّ مناجاة البئر قد استُبدلت بصحبة الجبال و الفلوات! قد يكون الناس أكثر غربةً من جميع الكائنات، و لكن الأكثر غربةً من جميع الناس هو المهديّ عليه السلام، فأيّ شرفٍ و أيّ فخرٍ يكونان للصحاري و البراري القاحلة!

ثمّ زاد أنين الإمام العسكريّ عليه السلام من أَلَم كبده، فكفكف دموعه و خاطب ابنه: «يا سيّد أهل بيته، اسقِني الماء فإنّي ذاهبٌ إلى ربّي!». أمسك الصبيّ القدح بيدَيه، و حمله إلى شفتَي أبيه ليشرب منه بهدوء، و بفضل الله تحسّنت حال الإمام عليه السلام قليلًا بعد أن شرب منه، و قال: «هيّئوني للصلاة!»، فألقوا في حجره منديلًا، و وضّأه الصبيّ عليه السلام واحدة واحدة و مسح على رأسه و قدميه، و هو يتذكّر المصائب و المشقّات الّتي تحمّلها والده طوال تلك السنين الخمس من أجل الحفاظ عليه، كما يتذكّر السجون الّتي زجّوا والده فيها بجريمة أنّه والد قائم آل محمّد عجّل الله فرجه. ثمّ صلّى الإمام العسكريّ عليه السلام صلاة الفجر و هو يصارع المرض، فكأنّ هذه الصلاة كانت وداعًا لأهل الدنيا. و بعد الانتهاء من صلاته، نظر عليه السلام إلى ابنه، و قال:

«أبشر يا بنيّ، فأنت صاحب الزمان، و أنت المهديّ، و أنت حجّة الله على أرضه، و أنت ولدي و وصيّي، و أنا وَلَدْتُك، وأنت محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن

جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وَلَدَكَ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت خاتم الأئمّة الطاهرين، وبشّر بك رسول الله صلى الله عليه وآله وسمّاك وكنّاك، وبذلك عَهِدَ إليّ أبي عن آبائك الطاهرين صلّى الله على أهل البيت رَبُّنا إنّه حميدٌ مجيد».



وكانت هذه الكلمات آخر ما خرج من شفتَيه المباركتين اللتين ما تلفّظتا إلّا بأمرٍ من الله عزّ و جلّ و رضاه. و قبل هذا كان عليه السلام قد سلّم قرّة عينه ودائع الإمامة الّتي تشتمل على أمانات و موروثات رسول الله صلى الله عليه وآله وكتب خاصّة، و الّتي سلّمها الرسول صلى الله عليه وآله إلى الإمام عليّ عليه السلام و من بعده كلّ إمام سلّمها إلى الإمام اللاحق. هذه الودائع مخفيّة عن عامّة الناس، و تُعدّ من مختصّات الإمامة، و هي بمنزلة تابوت بني إسرائيل. و في تلك اللحظات لم يكن الإمام عليه السلام يشيح ببصره طرفة عينٍ عن قرّة عَينه، إنّه يرى سني الغيبة و الغربة في ولده و في حلقه شجا، و ملائكة السماء أيضًا يبكون كأهل الدار. صحيحٌ أنّه إمامٌ و عالِمٌ بالمقدّرات الإلهيّة و هو مسلِّمٌ لقضاء الله تسليمًا تامًّا، لكنّه في النهاية يبقى الوالد الّذي جبل الله تعالى فيه مشاعر الأبوّة و ما يتدفّق منها من العطف و الحنان، كما أنّ مهديّه ليس طفلًا عاديًّا، فحقيقٌ به أن يكون كلّ وجوده ممتلئًا بمحبّة هذا الطفل الإلهيّ المعصوم. و قد حبست الشفقة الأبويّة غصّةً في حلقه، فحدّق بعينَيه الحزينتَين في عينَي طفله و بصعوبةٍ كان يمسك جفنَيه، لم يكن ليرتوي من النظر إلى بهجة قلبه، و المهديّ أيضًا كان فعلًا جميلًا و جذّابًا و أهلًا للنظر إليه. كانت هذه آخر نظرات الأبوّة الّتي ألقاها على ابنه و ها هو الآن يراه بروحه، حتّى كأنّ الملائكة الّذين وفدوا لاستقبال الإمام عليه السلام بالرَوح و الريحان قد ضجّوا إلى الله تعالى بالبكاء شفقةً بوحدة المهديّ عليه السلام و غربته. و قد استأنس الإمام العسكريّ عليه السلام بقدوم جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله و حضور آبائه الطاهرين عليهم السلام في استقباله ليرتاح ممّا لقيه من ظلم الأمّة و جَورها. فقد ارتحل الإمام الحادي عشر عليه السلام بعد أن أنجز مهامه بالتمام و الكمال و ها هو في مقعد صِدقٍ مطمئنّ البال في جوار الله عزّ و جلّ مع آبائه الأطهار عليهم السلام. لكن ما كان حال أهله الّذين تركهم لِهَمّ الدنيا و غمّها و ما يعترضهم فيها من الأخطار...

الشمس خلف السحاب



بقيّة الله

كان آخر نورٍ أخرجه الله إلى الدنيا، إذ خلقه الله و آباءه فجعلهم أنوارًا بعرشه محدقين، فكان ينير بوجوده المبارك سبع سماواتٍ هو كوكب درّيّ فيها و قرّة عين لأهلها، و قد جاء من الملكوت الأعلى إلى الدنيا الدنيّة ليأخذ بأيدي الناس و يعرج بهم إلى سدرة المنتهى. وكانت جميع تفاصيل قدومه إلى دار الدنيا خاصّة و مميّزة، و فيها لمسةٌ إلهيّةٌ عظيمة، فمنذ أن كان جنينًا في بطن أمّه السيّدة نرجس عليها السلام كان يسمع صوتها و دعواتها و تلاواتها لآيات الذكر الحكيم، و كأنّه ورِث هذا عن جدّته فاطمة الزهراء عليها السلام. و في اليوم الّذي أشرق نوره في الدنيا كان القرآن أوّل ما نطق به لسانه، فكأنّه قد حُنِّك بالقرآن، فكانت كلماته و أحاديثه منذ صغره تُبهر عقول المستمعين. فتلك البشارة الّتي أعطاها نسيمًا بعد العطسة و أنّها نجاة من الموت لثلاثة أيّام، قد كانت دليلًا على أنّ وجوده المبارك هو بشارة للناس كافّة بالسعادة و الأمان، فضلًا عن أنّها تحمل في طيّاتها أنّ الله وهب للناس مَن بمعرفته ينجون من موت الجاهليّة. و تكلُّمه في المهد كان يثير تعجُّب الجميع، و الأجوبة الّتي عرضها على أحمد بن إسحاق و سعد بن عبد الله كانت تُظهر امتلاء صدره بالحكمة. و منذ صغر سنّه قد أعطاه الله تعالى نورًا في عينيه بحيث يرى الدنيا و ما وراءها، و لا يخفى عليه شيء منها، و عند تمييزه بين الحلال و الحرام من محتويات كيس أحمد كان قد استخدم عينيه الإلهيّتين. و كانت إجاباته عن أسئلة كامل بن إبراهيم و إبراهيم بن محمّد خير دليلٍ على أنّه مطّلعٌ على بواطن القلوب و الضمائر. و مع أنّها مجرّد خمس سنواتٍ منذ حلوله ضيفًا على هذه البسيطة لكن كأنّه قد قضى سنين طويلة في مجلس درس العالِم المُطلق تبارك و تعالى.



و لكن اليوم ليس كغيره من الأيّام السابقة، فبالأمس كان مأمومًا و اليوم أصبح هو الإمام، و بالأمس كان لا ينطق إلّا بإذن إمام زمانه و اليوم هو القرآن الناطق و إمام الزمان. فهو من اليوم سيّد العالمين، قد تُوِّج بتاج الإمامة و الولاية، و بيده زمام الأمور، و عليه تُعرض أعمال الخلائق من الجنّة و الناس أجمعين، و يكون شرق العالم و غربه ماثلَيْن أمامه و واضحَيْن له وضوح الشمس في رابعة النهار، و الدنيا بما فيها تَمثُل له كفلقة الجوز يقلّبها من أطرافها كيفما شاء، و لا يعزب عنه منها شيء. و من اليوم تطوف الملائكة عليه بأخبار السماء و أهلها، و الشمس تستأذنه في الإشراق، و الريح بأمره تجري و تهبّ، و الله تعالى من علياء قُدسه يناجي قلبه الطاهر. لكن وا أسفاه إذ صُمّت الآذان عن سماع هذا القرآن الناطق و الحقّ الصادح، فإنْ مِن شيءٍ إلّا يستمع إليه و يطيع أمره، إلّا بني آدم الّذين قد ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون و كساها الصدأ!

مصيبةٌ فوق مصيبة

لقد أصبح ذلك القلب الرؤوف على الرغم من صغره بيتًا للأحزان. صحيحٌ أنّه فَقَدَ أباه، لكنّه بات أبًا لآلاف المحزونين. و ما من أملٍ لهؤلاء اليتامى سوى يديه الصغيرتين، فكان لزامًا على شيعة أبيه أن يركبوا سفينة نجاةٍ هو رُبّانها، و أن يبثّوا شكواهم و حزنهم لأبٍ هو اليوم أصغر آباء العالم، إلّا أنّ صدره يتّسع نُدَب جميع محبّيه و أنينهم...

كان يراقب شيعته و يحنّ عليهم، و في الوقت نفسه كانت عينُه على أهل بيته المتحلّقين حول الجثمان الطاهر، فكان يرعاهم بدعائه و إرشاداته و تصرّفاته، و كذا حال السيّدة حكيمة عليها السلام إذ إنّها أيضًا صاحبة المصاب و العزاء، و كانت قلقةً جدًّا على السيّدة نرجس عليها السلام، فلطالما احتضنتها في الأوقات السعيدة حتّى كأنّها و إيّاها روحٌ واحدة، فقد كانت لها أمًّا و أختًا، و وقفت إلى جانبها منذ اللحظة الّتي تزوّجت فيها و إلى حين حملها و بعد أن وضعت مولودها. هذه المرّة، أيضًا، ضمّتها إلى صدرها، لكن اليوم كان لاحتضانها

لها معنًى آخر، يبيّن أنّ ألَمَهما واحد، و أنّها هي المواسية لها و جبل الصبر الّذي يمكنها الركون إليه. تعانقتا، و قد امتزجت دموعهما. أمّا الآن فقد حان وقت المَهمّة الصعبة، يجب أن يصل الخبر إلى السيّدة حديثة عليها السلام الّتي كانت خارج المدينة، و عدم إطلاعها على المصيبة لن يخفّف من شدّة حرقة قلبها و أنينها، لكن مَن ستكون له القدرة على إخبارها؟ و في نهاية المطاف أرسلوا من يحمل الخبرَ إلى أمّ الإمام العسكريّ عليها السلام.

حتّى خدم البيت لم يكونوا أقلّ غصّة من أهل الدار عليهم السلام، من كافور و نسيم و بدر إلى مارية و عقيد، فهُم الّذين بخدمة هذه العترة الطاهرة عليهم السلام قد بلغوا مقام السادة في الدنيا قبل الآخرة. و لم ينسوا لحظةً كيف كان الإمام عليه السلام يتعامل معهم كأفراد أسرته، و يأكل معهم الطعام و يشاركهم الحديث و يقدّم لهم كلّ الاحترام. فكان هذا يزيد غمّهم و لوعتهم و يحرق قلوبهم.

و سرعان ما وصل خبر وفاة الإمام عليه السلام إلى البَلاط قبل أيّ مكان آخر؛ فأرسل المعتمدُ العبّاسيّ مباشرةً جماعةً إلى منزل الإمام عليه السلام لتفتيشه، بحثوا في جميع أرجاء المنزل، حجرةً حجرةً و زاويةً زاويةً، و قلبوا ما فيه رأسًا على عقب، و صادروا المُقتنيات و الأموال، فقد كانوا يبحثون عن ابن الإمام عليهما السلام، الّذي بشّر بقيامه و ظهوره جميع الأئمّة الأطهار عليهم السلام جيلًا بعد جيل، لكنّهم لم يعثروا على أيّ طفلٍ في المنزل، فظنّوا أنّ الموعود لا يزال جنينًا في بطن أمّه، و لم يولد بعد. فأحضروا النساء ليكتشفوا أيّهنّ تكون حاملًا، و أمروا بفحص كلّ النساء و الجواري في المنزل، لكنّهم وجدوا أنّ الحمل لا يظهر على أيٍّ منهنّ. فجأةً، شكّوا في أمرِ إحدى الجواري بناءً على تشخيص امرأةٍ كانت ترافقهم، فأُمر الجنود بحبسها في إحدى الحجر، و وكلوا لحراستها عددًا من النساء كما وضعوا على الباب الخارجيّ حرّاسًا من الرجال تحت إمرة نحرير الخادم لمنع تلك المسكينة من الفرار. و هكذا كان بنو العبّاس مشغولين بالبحث عن ابن الإمام العسكريّ عليه السلام بطرف من الجنون، لأنّهم كانوا على يقين أنّ الإمام الّذي يملأ الأرض عدلًا و قسطًا بعدما ملئت ظلمًا و جورًا، و الّذي سيهدم عروش الملوك الظالمين، هو الإمام الثاني عشر، و ابن هذا الإمام الشهيد الّذي قد دسّوا السمّ له.

أمّا أهل الدار فكانوا من ناحيةٍ يُقيمون عزاء شهيدهم، و من ناحيةٍ أخرى مُجبَرين على تحمُّل إجراءات رجال الحكومة و مضايقاتهم. فكأنّ الثعالب المخاتلة و الذئاب المفترسة قد أحاطت بهم، و هي تملأ الفضاء بالعواء. و عندما أراد أهل بيت الإمام العسكريّ عليه السلام برفقة عثمان بن سعيد أن يشرعوا في تغسيل جثمان الإمام الطاهر و تجهيزه، فجأةً ظهر ابن

الإمام عليه السلام. نعم، هو حاضرٌ في المكان الّذي ينبغي له أن يحضر فيه. ففي اللحظات الأخيرة من عمر والده المكرَّم، أي قبل ساعاتٍ فقط، هو كان يوضّئه، و الآن ها هو يسكب الماء على جثمان أبيه الطاهر و يُغسّله بيديه الصغيرتين. و عندما كان يصبّ الماء كان غدر الدنيا يتجسّد في عينيه، و لسان حاله مصداقًا لأبيات جدّه الحسين عليه السلام الّتي ألقاها في ليلة عاشوراء، ليلة غربته و وحدته إذ قال:

يا دَهرُ أُفٍّ لَكَ مِن خَليلِ — كَم لَكَ في الإشراقِ وَ الأَصيلِ
مِن طَالبٍ وَ صاحِبٍ قَتيلِ — وَ الدَّهرُ لا يَقنَعُ بِالبَديلِ
وَ الأَمرُ في ذاكَ إلى الجَليلِ — وَ كُلُّ حَيٍّ سالِكُ السَّبيلِ

لم يكن الماء هو الّذي يُطهّر جسم الإمام عليه السلام، بل الماء كان متعطِّشًا إلى الطهارة الّتي يلتمسها من جسد الإمام عليه السلام الّذي لم يصدر منه سوى العبوديّة الخالصة لله تعالى و العبادة. كان آباؤه المعصومون عليهم السلام جميعهم قد غُسّلوا على أيدي أبنائهم المعصومين عليهم السلام، حتّى الإمامين الرضا و الجواد عليهما السلام، اللذين لم يكونا إلى جوار أبوَيهما، لكنّهما بإعجازٍ غيبيّ إلهيّ وصلا إلى محضرهما و قاما بواجب تجهيزهما. و كذلك الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف عمل بهذه السُّنّة الإلهيّة و جهّز جثمان والده، و قد كان قلبه ممتلئًا من آهات الألم و شجا المُصيبة. و إذ لم يكن من المقرّر أن يعرف الجميع بأنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو الّذي غسّل والده و جهّزه لمواراته الثرى، فقد نال عثمان بن سعيد وسامًا آخر بظهوره يحمل مسؤوليّة تغسيل جثمان أبي محمّد العسكريّ عليه السلام أمام الملأ، و شرف وضع الحنوط على مواضع السجود من جسم الإمام عليه السلام المطهَّر، الّتي تُعدّ أشرف المواضع و أكثرها بركة. و من خلال هذه القضيّة فقد عرف مَن كان حاضرًا في ذلك اليوم من الشيعة مقام أبي عمرو الخاصّ، و ازدادوا يقينًا بارتباطه الوثيق بأهل بيت العصمة عليهم السلام. و في ذلك الوقت كان سادة البلاط خائفين مرعوبين ممّا يهدّد حكومتهم و مناصبهم، فانشغلوا بالبحث عن ابن الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و قد أعاد هذا المشهد الذاكرة إلى ما جرى يوم كان أمير المؤمنين عليه السلام منشغلًا بتجهيز رسول الله صلّى الله عليه و آله و دفنه، في حين قصّر البعض في المشاركة بهذا العمل العظيم الّذي يُعدّ من أفضل الأعمال عند الله تعالى و أكثرها ثوابًا، فتركوا جثمان نبيّهم صلّى الله عليه و آله الطاهر الّذي كان لا يزال بلا تكفين و لا غسل، و انهمكوا في أمرٍ يظنّون أنّه أفضل لهم و فيه خيرهم، إذ كانوا يتقاسمون بينهم الخلافة!

على أيّ حال، انتشر خبرُ وفاة الإمام العسكريّ عليه السلام في جميع أرجاء المدينة. و مع أنّ الكثير من أهل سامرّاء لم يكونوا من شيعة أهل البيت عليهم السلام، لكنّ الجميع شعروا بالحزن و الأسى على فَقْد الإمام عليه السلام، فما من شخصٍ رآه إلّا وكان يعلم أنّه من أهل الخير و الرحمة، و لم ينطق إلّا بالحكمة و الهداية. أكان مُمكنًا أن يراه أحد و لا يُعجَب به؟ سيماؤه كانت كيمياء القلوب و إكسيرًا يبدّل حقد السجّانين إلى محبّةٍ و عشق، و بغيابه عن سامرّاء كانت سرّ مَن رأى أولى أن يُقال لها ساء مَن رأى. فكانت كلّ المدينة في حداد، و قد أُقفلت الحوانيت، و تعطّلت الأسواق، وكانت أصداء النواح و البكاء تتردّد في كلّ مكان، و لا أحد يعلم ما يجب عليه فعله. فترى أحدهم يجلس جلسة حزينٍ و آخر يشقّ طريقه إلى محلّة العسكر و قد أعانه البعض على الوقوف و هو يجرّ قدمَيه متعكّزًا، و ذاك شخصٌ يضرب رأسه منتحبًا، و آخر شارد الذهن ينظر إلى أبواب البيت محدّقًا، و عندما تلتقي أعينهم تطلق العنان لدموعها فتسيل على الخدود. و كلّ واحدٍ منهم يحتضن أخاه في الإيمان ثمّ يضجّان بالبكاء و العويل. و حتّى الجدران لو استطاعت لأظهرت دموعها و شقّت ثيابها! فما أشبه سامرّاء اليوم بصحراء يوم المحشر. و الله يعلم أيّ نحيبٍ و نواحٍ انتشرا في مكّة و المدينة و الكوفة و قمّ و البصرة و سائر المدن الّتي يقطنها محبّو النبيّ صلى الله عليه وآله و أهل بيته عليهم السلام عندما وصل إليها خبر استشهاد الإمام العسكريّ عليه السلام. فإخبار إسحاق و سعد بن عبد الله و سائر موالي الإمام عليه السلام باستشهاده كان أصعب حتّى من إخبارهم بفقد آبائهم، تُرى كم كان مؤلمًا حال تلك العجوز الّتي أرسلت ثوبها بكلّ حبٍّ و شوقٍ إلى الإمام عندما سمعت بخبر استشهاده عليه السلام، أو أيّ مناحة حصلت في قلوب مسافري أهل اليمن، أو أولئك الثمانين أذنًا و عينًا الّذين تحلّقوا حول الإمام قبل مدّة. اليوم تفيض أعيُنهم جميعًا و تنهمر دموعهم لتشكّل عيونًا مع آلاف الأعيُن الأخرى.

كانت صرخة واويلاه ترتفع من كلّ ركنٍ في أرجاء سامرّاء، وكان لمنزل الإمام عليه السلام النصيب الأكبر منها، و قد حضر للمشاركة في العزاء بنو هاشم و وجهاء المدينة و عامّة الناس، و التحق رجال البَلاط بركبِ المعزِّين حفاظًا على مكانتهم بين الناس، وكان على أهل الإمام عليهم السلام أن يشاهدوا أمامهم قتلتَه ويسمعوا منهم عبارات العزاء، لكن دون أن ينبسوا بحرف! فكان حضور كلّ واحدٍ من بني العبّاس يزيد الأسى و الأذى على أهل المصيبة، و ينكأ بذلك جراحهم، و يُراكم في قلوبهم مصيبةً فوق مصيبة.

لم يكن جعفر أخو الإمام العسكريّ عليه السلام مدركًا لمقام أخيه، بل كان يحسده و يتمنّى موته، بل لو تهيّأ له قتله لفعل، كما فعل قابيل بهابيل! فكأنّه فرح لمّا سمع خبر وفاة أخيه إذ كان يرى أنّه أصبح سيّد هذه الأسرة، فأسرع بالذهاب إلى دار الإمام عليه السلام و وقف بقرب الباب على هيئة صاحب التعزية، فصار الشيعة يأتون إليه واحدًا تلو آخر و يقدّمون له واجب العزاء. و في هذه الأثناء، عاد مبعوث الإمام عليه السلام أبو الأديان بعد خمسة عشر يومًا من السفر الّذي قضاه مشغول البال، و هو يُفكّر في هويّة الشخص الّذي سيكون خليفة الإمام عليه السلام و تنطبق عليه العلامات الّتي أخبره عنها. و كان في سفره قد سلّم أهلَ المدائن رسائلهم و تسلّم منهم الأجوبة. و حين رأى أبو الأديان جعفرًا قرب الباب و الشيعة ملتفّين حوله، تسمّر في مكانه، إذ لم يستوعب هل تؤول الإمامة إلى شخصٍ مثل جعفر فتتحوّل سفينة النجاة إلى سفينة هلاكٍ و ضياع؟ فقد كان يعرف جعفرًا من قبل، و يعلم أنّه يشرب الخمر، و يلعب الميسرَ و يمارس العزف، فقال أبو الأديان في نفسه: إن يكن هذا هو الإمام فقد بطلت الإمامة! فمع كونه ابنًا لإمام و أخًا لإمام، إلّا أنّه لم يحصل على نصيبٍ من شذا وجودهما. و لم يكن هذا عجيبًا بالنسبة إلى أبي الأديان، فقد قرأ في القرآن الكريم أنّ ابن نوح عليه السلام بدَوره لم يركب في سفينة النجاة الّتي صنعها أبوه، و كان مصيره الغرق في طوفان غروره و ضلاله. و هذا جعفر لا يختلف عنه كثيرًا، فمع أنّ أباه و أخاه هما سفينة النجاة إلّا أنّه رفض هدايتهما، و رمى بنفسه من شاهقٍ إلى أودية الشقاء. و أمام هذا الواقع الصادم، لم ينسَ أبو الأديان العلامات الّتي كان الإمام العسكريّ عليه السلام قد ذكرها له، لذا اقترب واثقًا بكلام إمامه عليه السلام و قدّم كالآخرين واجب التعزية إلى جعفر، و وقف إلى جانبه منتظرًا الأمارات و العلامات، و صار يفكّر في العلامة الأولى: مَن طالبَك بجوابات كُتُبي فهو القائم بعدي! لكنّ جعفرًا لم يطرح عليه أيّ سؤال، فقد كان يهيم في وادٍ آخر و لم يكن في باله شيءٌ من هذا القبيل أصلًا!

على أيّ حال، كان الجميع بانتظار إقامة الصلاة. و كان من المقرّر أن يأتيَ أبو عيسى، ابن المتوكّل، بصفته ممثّل الخليفة ليقيم الصلاة. و كأنّ دسّ السمّ للشخص ثمّ الصلاة عليه كانا تقليدًا اعتاده العبّاسيّون منذ زمن بعيد! فالمعتمد، سابقًا، من جانبٍ كان قد أمر بدسّ السُّم للإمام الهادي عليه السلام، و من جانب آخر صلّى عليه أيضًا. لكنّ الأصحاب و لا سيّما بني هاشم لم ينتظروا وصول أبي عيسى، بل أرادوا أن يتولّى هذا الأمر أحدُ أبناء هذه العترة الطاهرة.

و كان عقيد يبحث عن أحدٍ يتولّى إقامة الصلاة، بعد أن وفّقه الله تعالى ـ هو أيضًا ـ للمشاركة في تجهيز الإمام عليه السلام و تكفينه، و كان قد أمضى سني عمره في خدمة أهل هذا البيت و بقي إلى جانب الإمام عليه السلام حتّى في لحظاته الأخيرة. و عندما رأى أنّ الشيعة تحلّقوا حول جعفر، ظنّ أنّه صار ربّ البيت و أنّ الأمر آلَ إليه، لذلك تقدّم نحوه و قال له إنّ الجثمان المبارك مُهيّأ للصلاة عليه. و لم يكن أمام جعفر الّذي كان متعطشًا إلى نيل الوجاهة و المكانة أفضل من هذه الفرصة الّتي عليه أن ينتهزها حتّى يتمكّن من إثبات عظمته الوهميّة لشيعة أخيه عليه السلام و أوليائه، و أنّه خليفته من بعده. فقد كان الإمام العسكريّ عليه السلام هو الّذي صلّى على جثمان أبيه الطاهر، و الآن ستكون صلاة جعفر على أخيه عليه السلام علامة و دليلًا على خلافته. فاستغلّ جعفر الفرصة، و قبل أن ينطق أحدٌ من أهل البيت بكلمةٍ واحدة، أسرع إلى الداخل و وقف أمام جثمان أخيه، باتجاه القبلة، و وقف المعزّون من الشيعة وراءه، و قد ازدحم المكان. أمّا أبو الأديان الّذي كان يلفّه الاستغراب، فقد كاد أن يقبل أنّه خليفة أخيه عليه السلام. لكن فجأةً في الوقت الّذي كان فيه المجتمعون يستعدّون للصلاة، و قبل أن يبدأ جعفر بالتكبير، خرج غلامٌ من إحدى الحجر، عليه رداءٌ قد وضعه على رأسه. جسمه جسم طفلٍ لكنّ هيبته سمّرت الجميع في أماكنهم، فبمجرّد خروجه عليهم سخّر قلوبهم، و من هيبته هدأت الأصوات و لم يتجرّأ أحدٌ أن يسأله مَن يكون، بل وقف الجميع مباشرةً من غير اختيارٍ احترامًا له، و قد أخذت محبّته بمجامع قلوبهم. و انجذبت أنظار الجميع إليه كأنّه المغناطيس، و إن وقع نظره على أحد لم يكن هذا الأخير يستطيع بعدُ أن يرفع نظره إليه، و هل يتحمّل المرء النظر إلى عين الشمس مباشرةً؟!

و تقدّم الغلامُ نحو جعفر، و شدّ رداءه بيدَيه الصغيرتين، ثمّ قال له: «تأخّر يا عمّ، فأنا أحقّ بالصلاة على أبي!». انخطف وجه جعفر ثمّ اصفرّ، و تنحّى لا إراديًّا، قد نُكِثَ غزلُه، و الصمت المخيّم على المكان قد زاد من غيظه و حسده، و كأنّه نسي أنّ من صارع الحقّ صرعه! فتقدّم الطفل ليقيم الصلاة على أبيه، و الناس على عجلٍ و ارتباكٍ ساووا الصفوف للصلاة، التكبيرة الّتي نطق بها الإمام الصغير السنّ عليه السلام، بدت كأنّها قد نودي بها من أعنان السماء، كلُّ من في الحجرة صدحوا معًا بالتكبير، من جديد شعر الناس أنّهم يقفون خلف رجلٍ إلهيّ، إنّه شعورٌ معروفٌ لديهم، كانوا قد تذوّقوه مع الإمام العسكريّ عليه السلام أيضًا. و ها هو المحكّ قد أظهر الآن الفرق بين الذهب الخالص و الذهب المزيّف! فهذا الطفل هو وارث الأنبياء عليهم السلام و مذكّرهم بالنبيّ يحيى عليه السلام الّذي بُعث بالرسالة في سني طفولته. و الآن لم

يكن المهديّ عليه السلام إمام المصلّين على والده فحسب، بل كان إمام العالمين الثاني عشر، و الله يعلم كم من الملائكة و الجنّ كانوا يقفون صفوفًا خلفه في الصلاة. و الله عزّ و جلّ الّذي كرّم النبيّ عيسى عليه السلام في مهده و جعله في يوم من الأيّام آيةً من آياته، فاليوم أيضًا يريد أن يجعل طفلًا ذا خمس سنين أعظم آية في الأرض. و حين انتهت الصلاة، تقدّم أبو الأديان نحو الغلام عليه السلام، فقد عاين عنده إحدى العلامات، و الآن ينتظر تحقّق الثانية. و في هذه الأثناء نظر الغلام إلى أبي الأديان، و قال: «يا بصريّ، هاتِ جوابات الكتب الّتي معك!»؛ فأعطاه أبو الأديان الأجوبة، و قال في نفسه: لقد تحقّقت علامتان من أصل ثلاث، و بقيت قضيّة الهميان، لكنّ الغلام سار بين الناس و توجّه إلى حجرةٍ غير الّتي جاء منها.

الخزيُ مجدّدًا

كان جعفر في هذا الوقت قد لجمَ لسانه، و انتحى في إحدى الزوايا، من دون أن يقول شيئًا. و حين غادر الغلام عجّل الله فرجه الشريف المكان، استعاد جعفر قدرته على النطق، و أراد أن يُبرز نفسه و يستعيد ماء وجهه، كأنّه أكثر سكرًا من أن يفيق من الغفلة و يذكر أنّه في أحد الأيّام قد أُفرج عنه بعد توسّط الإمام العسكريّ عليه السلام، أمّا أبو الأديان فقد اتّجه من جديدٍ نحو جعفر، و أخذ يراقبه، و أخذ المتحلّقون حوله يسألونه عن هُويّة الغلام عجّل الله فرجه الشريف. كانت سيماء الولد أشبه بوالده و صوته يُذكّر الناس بصوت عمّه حسين، في حين كان جعفر من قبل ينكر وجود ابنٍ لأخيه عليه السلام، ليوهِم الناس أنّه هو خليفتُه! وكان من بين الّذين تجمّعوا حول جعفرٍ حاجز، و هو أحد وكلاء الإمام العسكريّ عليه السلام، وكان قد سمع من قبلُ خبر ولادة ابنه عجّل الله فرجه الشريف، لكنّه أراد أن يُفحِم جعفر، فخاطبه بلهجةٍ توحي أنّه من أنصاره قائلًا: يا سيّدي من الصبيّ؟! لم يتلكّأ جعفر و أجاب بجزم: و الله ما رأيته قطّ و لا عرفتُه!! كان جعفر بصدد متابعة كلامه و جلسته الحامية، حين وصل عددٌ من شيعة قمّ، و لم يكن قد وصلهم بعدُ خبر استشهاد الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، و قد أحضروا معهم الرسائل و الأموال كدأبهم. و عند وصولهم إلى دار الإمام عليه السلام، رأوا الوضع هناك غير مألوف، فذلك المنزل الّذي اعتادوا دخوله خلسة، اليوم يجدون الناس مجتمعين فيه، تُرى ما السبب؟ و لماذا هذا الاضطراب البادي على الوجوه؟ فاقتربوا من أحد الحاضرين و سألوه عن الخبر، و إذا به يجيبهم بوفاة الإمام العسكريّ عليه السلام. نزل الخبر كالصاعقة على قلوبهم، و بانَ الحزن و الأسى على وجوههم، حتّى أصبحوا كالتائهين يردّدون: إلى مَن نذهب بعدك يا مولانا؟ فسألوا: مَن صاحب المجلس، نريد أن

نعزّيه؟ فدلّهم الحضور على جعفر، و كان جعفر واقفًا إلى جانب الباب يُمثّل دَور الرجل الوقور و يتصنّع الهيبة. فتوجّه القمّيّون نحوه، و كان جعفر يراقبهم بطرف عينَيه و يرى أنّهم يقصدونه، فتبختر فرحًا في نفسه لأنّه كان يعلم أنّهم يحملون أموالًا كثيرة يمكن له أن ينهب الكثير منها. فوقفوا إلى جواره و سلّموا عليه و عزّوه بمصابه، لكنّ الشيعة القمّيّين كانوا أذكى من أن يقبلوا إمامة أحدٍ من دون أن يروا منه علامةً إلهيّة، فقالوا لجعفر: إنّ معنا كتبًا و مالًا، فتقول ممّن الكتب و كم المال! فوقف جعفر بعد أن كان جالسًا و نفض أثوابه متشنّجًا، و قال بغضبٍ: «يريدون منّا أن نعلم الغَيب»!! نعم، كيف له أن يعلم بما اختصّ الله به أولياءه؟ أمّا القمّيّون فتبادلوا النظرات و الابتسامات الساخرة و تيقّنوا أنّ إمامهم شخصٌ آخر، و هنا حصل ما لم يكن في حسبان جعفر، ففي تلك اللحظة نفسها خرج خادمٌ من الحجرة الّتي دخلها الطفلُ، و توجّه نحو القُمّيّين، و قال لهم: معكم كتب فلانٍ و فلان، و هميانٌ فيه ألف دينار، عشرةُ دنانير منها مطلّسة[1]. فشعر القُمّيّون ـ عندما وجدوا هذه الكلمات عين الواقع ـ بالطُّمأنينة و اليقين إذ هذا ما اعتادوا عليه من مولاهم المسموم الشهيد عليه السلام، فأعطوا الخادم الرسائل و المال، و قالوا: إنّ الّذي وجّه بك لأخذ ذلك هو الإمام. حينئذٍ ارتاح بالُ أبي الأديان، فقد تحقّقت العلامات الثلاث، و لم يعد لديه من سبيلٍ إلى التردّد و الشكّ. ثمّ إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي أصبح حجّة على الناس منذ صغر سنّه كالنبيّ عيسى عليه السلام أرسل إلى القمّيّين أن لا يرسلوا أموالهم بعد اليوم إلى سامرّاء، و أنّه سيعيّن وكلاء عنه في بغداد يتسلّمون منهم الحقوق الشرعيّة و يبلّغونهم توقيعاته. و ربما لهذا السبب لم يخرج بنفسه من الحجرة، حتّى يدرّبهم على زمن البعد المُفعم بالشوق. كما كان الإمامان الهادي و العسكريّ عليهما السلام للسبب نفسه قد قلّلا عدد اللقاءات و أسدلا ستارًا يحول دون رؤيتهما.

صلاة حقيقيّة و صلاة صوريّة

مرّت بضع دقائق، و الناس لا يزالون في عجبٍ من الصلاة الّتي أقامها الصبيُّ، و لم تكن همساتهم قد خفتت بعد، يسأل أحدهم الآخر: هل رأيتَ ذاك الصبيّ؟ أرأيت كيف تنحّى جعفر و لم ينبس ببنت شفة؟ يا لها من صلاة! جعلتنا نتذكّر صلاة الإمام العسكريّ عليه السلام! لكن أين ذهب الصبيّ؟ و في هذه الأجواء وصل أبو عيسى، ابن المتوكّل، يرافقه أصحاب

(١) أي ممحوٌّ نقشها.

المناصب السياسيّة و العسكريّة العالية، وكانوا يريدون الصلاة على جثمان الإمام عليه السلام. و لم يكن من عادة أبي عيسى أن يؤمّ الصلاة على أيّ شخصٍ كان، بل كان يصلّي فقط على شخصيّات مرموقة و ذات شأنٍ كبير، و على سبيل المثال كان هو الّذي صلّى قبل سنتين على يارجوخ، الحاكم التركيّ الكبير للبصرة و البحرين و اليمامة. في البداءة بلّغ رسالة التعزية من الخليفة لأهل الدار، ثمّ اقترب من جثمان الإمام الطاهر وكشف الغطاء عن وجه الإمام عليه السلام، ثمّ جمع عددًا من بني هاشم و بني العبّاس و قادة الجيش و القضاة و الوجهاء، و قرّبهم من الإمام عليه السلام و أشهدهم قائلًا بكلّ وقاحة: هذا الحسن بن عليّ بن محمّد ابن الرضا، مات حتف أنفه على فراشه! بعد ذلك سمّى أطبّاء الحكومة و رجال أمن الدولة الّذين كانوا موجودين طيلة الأسبوع الماضي في دار الإمام عليه السلام، و قال إنّهم جميعًا يشهدون أنّه مات ميتةً طبيعيّة، و عاد من جديدٍ و غطّى وجه الإمام عليه السلام. و قد قام بهذا العمل متوهّمًا أنّه بذلك يبرّئ العبّاسيّين و قادة الترك مِن قتل الإمام عليه السلام و يخرجهم من دائرة الاتّهام. لكن أنّى له ذلك، فقد كان واضحًا للشيعة، من دون أدنى ريبٍ، أنّ ما فعله ليس إلّا مسرحيّةً سخيفة، إذ هل من الصدفة أن يصاب بهذا المرض الشديد و المفاجئ بعد خروجه من السجن مباشرةً؟ حتّى الأقلّ فطنةً كانوا يقولون في أنفسهم: أساسًا من أين كان أولئك يعرفون أنّ الإمام عليه السلام سيتوفّى بهذا المرض الّذي أصيب به و هو في عنفوان الشباب، كي يأخذوا خطوات مسبقة و يتحضّروا منذ اللحظة الأولى الّتي ظهر فيها المرض، و يجلبوا الأطبّاء إليه، ثمّ يُشهدوهم؟! يبدو أنّ هذه الأمراض المميتة متوارثة عند أهل البيت عليهم السلام!! نعم هو إرثٌ في هذه العترة الطاهرة بأن يُسمَّمَ أبناؤها و يستشهدوا و هم في ريعان شبابهم، و العبّاسيّون يعلمون جيّدًا أنّ هذا الميراث قد وصل إلى الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام أيضًا! فهم يُتقنون جيّدًا أحكام الإرث!

أخيرًا، أقام أبو عيسى صلاته الصُّوَريّة، حيث كان التابوت المبارك في منتصف الحجرة. و بعد انتهاء الصلاة، ودّع المحبّون و الأقارب الجثمان الطاهر المبارك، و ألقوا على وجهه النظرات الأخيرة. و انعقد حول التابوت مأتمٌ و عزاء، هذا يشمّه و ذاك يلمسه، و هذه تضمّه و تلك تُقبّله. كانت أيادي المحبّين متداخلة في امتدادها إلى الجثمان المطهّر، وكان الجميع يرغبون في الحصول على آخر زادٍ منه عليه السلام. وكان لا يُسمع سوى البكاء و لا تُرى سوى الدموع، فيا ليت البكاء يُعيد مَيتًا! لكن هيهات، فما يكتبه قلم الأقدار يستحيل محوُه. و لم يسمح رجال الشرطة للمحبّين بالبقاء طويلًا حول الإمام عليه السلام، فلم يجدوا بُدًّا من

مُفارقته. رفع أهل المنزل التابوتَ، و حملوه إلى إحدى الحجر. فما أسرع لحاقه بأبيه عليه السلام، إذ لم يكن قد مرّ أكثر من ستّ سنوات على شهادة الأب عليه السلام حتّى رحل الابن إلى جواره. فبادر أهل الدار يعاونهم عثمان بن سعيد إلى دفن الإمام العسكريّ عليه السلام في الحجرةِ نفسها الّتي دُفن فيها والده الإمام الهادي عليه السلام، بقلوبٍ تعتصر ألمًا و أعيُنٍ تفيض من الدمع حزنًا، و وُوريَ الجثمان الشريف الثرى. لكن السيّدة نرجس عليها السلام كانت أكثرهم ألمًا و افتجاعًا، فقد كانت ترى أنّهم يُلحدون قلبها و روحها و يهيلون عليهما التراب...

المُنقّبون غير الأكفَاء

تستأذنه أشعة النور، لتطرق باب أيّ عين...

بدأ الناس يغادرون المكان شيئًا فشيئًا و يعودون إلى منازلهم، و تضاءل عددُ المتحلّقين حول بيت الإمام عليه السلام. أمّا أهل الحُكم فقد أصابهم توجُّس شديدٌ لمّا وصل إلى أسماعهم ما تناقلته الأفواه عن غلامٍ صغير السنّ قد أقام الصلاة على جثمان الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، و جنّ جنونُ جعفرٍ لشعوره بالذلّ و الحقارة، فتوجّه للتّو نحو مبعوثي البلاط و أخبرهم بما حصل، فأمر المعتمدُ العبّاسيّ بمُداهمة بيت الإمام عليه السلام و البيوت المجاورة له و شنِّ حملةِ تفتيشٍ سريعةٍ و مفاجئةٍ، صودرت فيها مقتنيات المنزل و حُجِر على أهله التصرُّف بها. كما اعتُقِل في هذه الحملة عددٌ من أصحاب الإمام العسكريّ عليه السلام و أنصاره، لكنّهم لم يتمكّنوا من العثور على أيّ دليلٍ أو علامةٍ على وجود ابن الإمام عليه السلام، ذلك أنّ التقيّة كانت قد أصبحت عُرفًا يُجيد إتقانَه شيعةُ أهل البيت عليهم السلام.

و بعد أن كانوا سابقًا قد اعتقلوا جاريةً بتهمة حملها و حبسوها في حجرةٍ تحت مراقباتهم، وقع الدور الآن على السيّدة نرجس عليها السلام، و كانوا قد ارتابوا بها كثيرًا؛ إذ مع أنّ وجودها في البيت كان بصفتها جارية، لكنّها كانت تحظى من أهل الدار باحترامٍ خاصّ، حتّى كأنّها سيّدتهم و مولاتهم. و قد ذهب بهم الظنّ إلى كونها هي زوجة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، و أُمّ ذلك الغلام الّذي تحدّث عنه جعفر و الآخرون. و بعد أن وجدوها اعتُقِلت بكلّ وحشيّة، و أخذ رجال السلطة يستجوبونها و يسألونها عن مكان الغلام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و وجوههم تشتاط غضبًا يقابله اطمئنانٌ و هدوءٌ من قِبل السيّدة نرجس عليها السلام الّتي أنكرت أن يكون لها ولدٌ، و ادّعت بكلامٍ فيه تَورية أنّها حاملٌ لتصرفَهم عن البحث عن الغلام و تزيغ أبصار

الجواسيس عن فلذة كبدها عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و بلغت بهذا الالتفاف مرادها، إذ ضعف ظنّهم بوجود ولد في الدار و اقتادوها إلى قصر المعتمد العبّاسيّ، و هنالك قامت نساء المعتمد العبّاسيّ و جواريه، تعينهنّ نساء و جواري أخيه الموفّق ـ الّذي كان متسلّمًا زمام الأمور في حكومة أخيه ـ باستجوابها و تفحّصها، بعد ذلك نُقِلت إلى منزل القاضي ابن أبي الشوارب الّذي تولّت نساؤه تفقُّد حالها آنًا بعد آن. استمرّ الوضع على هذه الحال، و مليكة الروم تذوق اليوم طعم الأسر مرّةً أخرى في سبيل عشقها السماويّ، و ستبقى تنتظر رسالة حبيبها المبهجة، لكن هذه المرّة سيرسل الله تعالى إليها رسالة مكتوبة بأحرف النور و مختومةً بوسام العبوديّة. و تلك الجارية الّتي حُبست في حجرةٍ، تعرّضت للمواقف نفسها و أُخضعت للمراقبة. لم تكن السيّدة نرجس عليها السلام قلقةً من الموقف الّذي تعرّضت له و الوضع الّذي فُرض عليها، بل جُلّ تفكيرها و قلقها كانا ينصبّان ناحية ابنها عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي قد يُلقي رجال الحكومة القبض عليه في أيّ لحظة، لكن الّذي كان يُطمئنها هو وعد زوجها الإمام العسكريّ عليه السلام لها بأنّ الله تعالى سيحفظ هذا الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ كما حفظ الإمام السجّاد عليه السلام في يوم عاشوراء ـ إلى أن يظهر في اليوم الموعود، و يقلع الجور من جذوره.

أمّا جعفرٌ فقد أُريقَ ماء وجهه و شعر بالإهانة العُظمى حين أُقيمت الصلاة على الإمام العسكريّ عليه السلام بإمامة طفلٍ كذّب ادّعاءه، و كان يأمل أن لا يشيع أمر ذلك المشهد، و ما رافقه من أحداثٍ في أوساط الشيعة، فبقِيَ مصرًّا على أنّه خليفة الإمام العسكريّ عليه السلام. و وصلت به وقاحته إلى حدّ ادّعائه أنّ مُلكيّة المنزل و مقتنياته قد آلت إليه؛ لكنّ أهل الدار لم يوافقوا على دعواه، فاتّخذ ذلك ذريعةً لمهاجمة المنزل، فأرسل أحد خدّامه متسلّحًا بفأس، حطّم بها الباب، و اقتحم المنزل، لكنّه تفاجأ برؤية غلامٍ واقفٍ أمامه كالجبل الشامخ يخاطبه قائلًا: «ما تصنع في داري؟!». في تلك اللحظات، كان الذهول باديًا على وجه مولى جعفر، ذلك لأنّ هذا الأخير كان قد نفى أنّ لأخيه ذرّيّة، مؤكّدًا حقّه بمُلكيّة هذا البيت، فأدرك حينئذٍ أنّ جعفرًا قد ورّطه في هذه القضيّة، و لم يشأ أنْ يكون شريكًا له في فعلتِه هذه؛ لذلك قال بارتباكٍ للغلام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «إنّ جعفرًا يدّعي أنّ والدك حين فارق الحياة، لم يخلّف ولدًا، أمّا إن كان هذا البيتُ بيتَك، فأنا أخرج منه!». قال ذلك و غادر المكان فورًا.

بعد ذلك هاجم جعفر الدار، راكبًا فرسه، و برفقته بعض أفراد شلّته، ففرّ عددٌ من العبيد و الخدم خوفًا و تواروا عن الأنظار. و كان من بينهم تلك الجاريةُ الّتي كان قد أهداها سابقًا

أبو عليّ الخَيزُرانيّ إلى الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام و الّتي شهِدت مولد الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، إذ إنّها سارعت في الهروب و احتمَت بدار أبي عليّ الخَيزُرانيّ. ثمّ أطلق جعفر كلّ ما بوسعه من صخبٍ و جعجعة، و فتّش زبانيته أنحاء الدار كلّها، و بعثروا محتوياتها و حطّموها و أتلفوها. و كانت هناك صناديق ثقيلة جدًّا يصعب حملها أو تحريكها. و دون أن يبحث جعفر في محتوياتها، ظنّ أنّها تحتوي على أشياء قيّمة جدًّا، و قد طمع بها إلى حدّ كبير. و لكنّه حيث لم يقوَ على حملها فقد وضع عليها الأقفال، ليعود إلى حملها في الغد. أمّا صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، الّذي كان لا يزال في الخامسة من عمره الشريف، فقد كان داخل المنزل، و كانت السيّدة حكيمة عليها السلام و خدم البيت يعلمون بوجوده المبارك، و هذا ما جعلهم في قلقٍ و خوفٍ أكثر من غيرهم. فجعفرٌ مصِرٌّ على العثور عليه و لن يتوانى عن اعتقاله و كشف أمره للعبّاسيّين، ليُثبت حسنَ ولائه للسلطات، و ليمهّد طريق خلافته بعد أخيه عليه السلام. كان الخوف و القلق مخيّميْن على أهل الدار، باستثناء الإمام المهديّ عليه السلام، فهو طود الطمأنينة و الوقار. فجأةً رأوا أنّ هذا الجبل الشامخ عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد قام من مقامه و خرج من الحجرة، و من غير أيّ قلقٍ أو اضطراب عَبَر من بين زبانية جعفر بكلّ سكونٍ و ارتياح، ثمّ خرج من الدار. غارت قلوب أهل الدار في صدورهم خوفًا عليه، و لا سيّما السيّدة العطوفة حكيمة عليها السلام الّتي كانت تزهد بنفسها من أجل حماية هذه الدرّة اليتيمة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ففي أيّ لحظةٍ كان من الممكن أن يرى أحد الزبانية الغلامَ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يثير مشكلةً، لكنّه بمشيئة الله عزّ و جلّ مرَّ كالظلّ الخفيّ من دون أن يراه جعفر أو أحد أفراد عصابته، كأنّ يدًا خفيّةً أطبقت أجفانهم، و كأنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو الّذي يحدّد مَن يراه و من لا يراه!

شجاعة فريدة

في صبيحة اليوم التالي جاء جعفر مجدّدًا، فهو لم يكن ليتخلّى عن مثل تلك الغنيمة! كانت الصناديق مكانها و الأقفال الّتي وضعها عليه لم تُمسّ. لكن ما إن فتح الأقفال حتّى وجد الصناديق خالية، و لم يبقَ فيها سوى القليل. فعمد إلى صفّ الخدم، و أخذ يضربهم و يستجوبهم قائلًا: أقرّوا، أين ذهبتم بمحتويات الصناديق؟! و كان جوابهم واحدًا لا يزيدون عليه: لم نرَ غير أنّهم يحملون ما في الصناديق على ظهور الإبل و يأخذونها، و سُلبنا حينها القدرة على الكلام أو الحركة حتّى رحلت الإبل، ثمّ عادت الأقفال إلى الصناديق كما كانت

قبل ذلك! إلّا أنّه لم يكن ليصدّق قولهم فواصل ضربهم و توبيخهم. ربما كانت الصناديق تحتوي على ودائع الإمامة و التراث الإلهيّ الّذي لا ينبغي أن يمسّه غير أهله، بَيد أنّ جعفرًا كان ينظر إلى الأمر من زاويةٍ مادّيّة، فكان يسعى جاهدًا و يتوق للحصول على هذه الممتلكات. و لمّا أصرّ الخدم على تكرار قول الشيء ذاته، أدرك أنّه قد خسر ما كان يمنّي نفسه في الحصول عليه. فأخذ يندب حظّه و يضرب رأسه بكِلتا يدَيه.

ظلّ جعفر متشبّثًا برأيه، راكبًا رأسه، حتّى إنّه عدّ نفسه وارث أخيه عليه السلام و كسابق عهده أنكر وجود ابنٍ له، فنشب الشجار بينه و بين أهل الدار لهذا السبب؛ لقد كان ظالمًا و غير منصفٍ، لذلك عميَ بصره عن رؤية الحقيقة و قلبُه عن تصديق الحقّ الجليّ. فلم يكن مهديّ الأمّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف شبيهًا برسول الله صلى الله عليه وآله في الاسم و الكنية فقط، بل كان له أيضًا عمٌّ يشبه بصفاته أبا لهبٍ. و في أثناء الشجار و التلاسن أظهر الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه لعمّه، و لم يُعرف من أين جاء الغلام؛ حدّق ابنُ الإمام العسكريّ عليهما السلام في وجه جعفر، و لكن هذه المرّة من غير أن يناديه بالعمّ قال له: «يا جعفر، ما لك تعرَّضُ في حقوقي؟». فبُهِت جعفر و لم يُحِر جوابًا. و بعدما أفاق من سكرة صدمته وجد أنّ الغلام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد غادر المكان. و معنى ذلك أنّ جعفرًا قد رأى ابنَ أخيه مرّتين على الأقلّ و أُلقيَت عليه الحجّة البالغة، و هو يوقن في سرّه كذِب ادّعائه و بطلان افترائه. ثمّ بعد هذا الموقف، أراد جعفر أن يرفع من شأنه، و كما يُقال إنّ البغاث بأرضنا يستنسر! فأبعدَ متوتّرًا المحيطين به مفسحًا طريقه ليقبض على الغلام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لكنّه لم يعثُر عليه. فمع امتثال الحقّ أمام عينَيه إلّا أنّه جحد به و لم يتراجع عن غيّه، بل كرّر ادّعاءه بأنّ ملكيّة منزل أخيه و ما تبقّى فيه قد آلت إليه. كان يعرف أنّ أهل بيت الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، لا يمكنهم نقضَ دعواه أمام المحكمة، و الاعتراف بوجود ابن للإمام العسكريّ عليه السلام، لأنّ القاضي حينئذٍ سيطلب مثول الغلام أمامه، و سيقول لهم: أحضروه لتثبتوا صحّة ما تقولون.

و في خضمّ الصراع وصلت السيّدة حديثة عليها السلام إلى سامرّاء، لتقف بكلّ ما تملك من قوّة و عزم من أجل الدفاع عن حقّ حفيدها الّذي أخذ بمجامع قلبها. فهو بخَلقه و خُلقه يذكّر الجدّة بحَسَنها الأثير على قلبها، و بصوته يذكّرها بحُسين نجلها الآخر. و لذا لم يكن مقدمُها ليُسعد جعفرًا، فهذا معناه فقدانه الميراث. و الأسوأ من ذلك بالنسبة إليه ما أعلنته السيّدة حديثة من أنّها هي الوصيّة على ميراث ابنها، فهي من ناحيةٍ تحفظُ جزءًا من حقوق حفيدها

ابن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، و من ناحيةٍ أخرى يضعُف لدى أهل السلطة الظنّ بوجود ابنٍ للإمام العسكريّ عليه السلام، فيخفّ التضييق على أهل الدار، و يُدحض ادّعاء جعفرٍ أنّه خليفة أخيه و وصيُّه. و طبعًا لم يوافق جعفر على ما ادّعته الجدّة الكريمة عليها السلام، لكنّها هي أيضًا لم تتراجع عن دعواها، و أصرّت عليها بشجاعة، إلى أن وصل الأمر في نهاية المطاف إلى المحكمة. و هناك أطْلَعَتِ السيّدة حديثة عليها السلام القاضي على ما لديها من المستندات و الوثائق الخطّيّة و الشفويّة الّتي تُثبت أنّها هي الوصيّة الشرعيّة على الميراث. وكان الإمام العسكريّ عليه السلام يعلم بما سيحدث بعد استشهاده، فدبّر الأمر بأن جعل أمّه الوصيّة على الميراث. و بناءً على قرار المحكمة، قُسّم الميراث بين كلّ من السيّدة حديثة عليها السلام و جعفر، وكان ذلك خذلانًا جديدًا لجعفر، و تكذيبًا لما ادّعاه.

صفقةٌ خاسرةٌ

وجد جعفر نفسه مُجبرًا على التخلّي عن جزءٍ من أموال أخيه، لكنّه أصرّ على الادّعاء أنّه الإمام من بعده. و مع أنّ أياديَ خفيّة ابتداءً من المستشارين السياسيّين العبّاسيّين وصولًا إلى النواصب الحاقدين كانت تروّج لإمامته بنحو مباشرٍ و غير مباشر، إلّا أنّ معظم الشيعة كانوا قد سمعوا بأنّ للإمام العسكريّ عليه السلام ولدًا، و لذلك لم يُعيروا اهتمامًا لكلام جعفرٍ. كما أنّهم لم يكونوا قد نسوا الأمور المحرّمة الّتي سبق له أن اقترفها و جعلت منه أضحوكة للرائح و الغادي. فصاروا ينبذونه أكثر ممّا مضى، و قاطعوه حتّى على مستوى السلام و إلقاء التحيّة. و كانوا يقولون: لم يعد هناك من موضعٍ للتقيّة معه؛ فإن نحن ألقينا السلام عليه، و ماشيناه و جالسناه، ربما رآنا بعض الساذجين على ذلك، فنكون قد تسبّبنا بضلالهم، و حملنا أوزارهم. أمّا جعفر فلم يكن يتنازل عن مكره و حيله، و كان دائمًا ما يستهزئ بمعتقد الشيعة حول وجود ولدٍ للإمام العسكريّ عليه السلام، إلى درجة أنّه أحيانًا يهدّدهم و يتوعّدهم، و يضغط عليهم، ليتخلّوا عن هذه العقيدة. لكنّه لم يجْنِ أيّ فائدةٍ من كلّ ذلك الرقص على الحبال و التخبّط الّذي أوقع نفسه فيه؛ فالإمامة ليست رداءً حتّى يتمكّنوا من حياكته له حسب مقاسه، و لا مكانَ له في قلوب الشيعة الموالين ليحلّ فيه. و قد ضاعف كلّ ذلك من ضراوة جشعه، فمارس أقصى أنواع الضغط و التضييق على أهل بيت الإمام العسكريّ عليه السلام، ليكونوا في صفّه، بدءًا من الإهانة وصولًا إلى التجسّس عليهم، و أسرهم

لاحقًا، فقد كان بين الفَينة و الفَينة يَشي بهم إلى البلاط العبّاسيّ، ليقوم هؤلاء باستدعائهم، و هذا بحدّ ذاته نوعٌ من الضغط و التضييق. و كان الإمام المهديّ عليه السلام يرى المصائب الّتي تنزل على أهل بيته، لكنّه كان كجدّه أمير المؤمنين عليه السلام مأمورًا بالصبر. و لمّا لم يتمكّن جعفر بهذه الأساليب من إيجاد مصداقيّة له في أوساط أصحاب الإمام العسكريّ عليه السلام و شيعته، فقد خطرت على باله فكرة تحقيق هدفه بواسطة السلطة العبّاسيّة، إذ إنّهم أهل خبرةٍ في صناعة القادة أو القضاء عليهم. فذهب إلى وزير المعتمد العبّاسيّ عُبيد الله بن خاقان، ليتوسّط له لدى سيّده، و قدّم مبلغًا كبيرًا من المال كرشوةٍ، و استعمل كلّ حيلة أو وسيلة ممكنة لكسب رضا السلطة الحاكمة و تمهيدًا الأرضيّة زعامته للشيعة. و قد وصل به الأمر إلى اقتراح تعهّدٍ ينصّ على دفع مبلغٍ من المال و قدره عشرون ألف دينارٍ سنويًّا إذا ما أعانوه على أمره و حظي بواسطتهم بالمنزلة الّتي كانت لأبيه و أخيه عليهما السلام. و مع أنّ العبّاسيّين كانوا يرون أنّ عددًا من الشيعة الساذجين يميلون إلى جعفر، و هذه فرصةٌ مناسبةٌ لبثّ الفرقة بينهم، إلّا أنّهم لم يرغبوا في دعمه بطريقة رسميّة لأنّ موقفهم من التشيّع أساسًا كان سلبيًّا منذ البداءة، و كذلك لأنّ دعمهم لجعفر كان في نظر الشيعة دليلًا على بطلان ادّعائه الإمامة أكثر من كونه إقرارًا بحقّانيّته. إذ كلّما سعى جعفرٌ أكثر للارتباط بالسلطة اتّضح بطلان ادّعائه أكثر للشيعة، و هذا ما لم يكن ليُسرّ السلطة العبّاسيّة مُطلقًا. و حين ألحّ جعفر في طلبه، أجابه عُبيد الله بن خاقان بحدّةٍ قائلًا: يا أحمق! إنّ السلطان جرّد سيفه و سوطه في الّذين زعموا أنّ أباك و أخاك أئمّة ليردّهم عن ذلك فلم يقدر عليه و لم يتهيّأ له صرفهم عن هذا القول فيهما، و جهد أن يزيل أباك و أخاك عن تلك المرتبة فلم يتمكّن من ذلك. بل ازدادت في كلّ يوم محبّتهما في قلوب الشيعة و كثُر عدد أصحابهما، لأنّ الناس عاينوا منهما العلم و الحلم و السماحة و مكارم الأخلاق. و تابع قائلًا: فإن كنتَ عند شيعة أبيك و أخيك إمامًا فلا حاجة بك إلى السلطان يرتّبك مراتبهم و لا غير السلطان، و إن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا! كأنّ عبيد الله كان يعلم أكثر من جعفر عُمق الارتباط بين الإمام عليه السلام و شيعته، و كأنّه في زنزانته عايَن عن قرب أنّ عشق الشيعة لإمامهم هو من سنخٍ آخر. يا للهوان و الذُلّ اللذيْن صُبّا صبًّا على رأس جعفرٍ بسبب خطاب عُبيد الله له، و قد زاده احتقارًا و دناءةً حينما أمر حرسه بطرده من القصر و منعه من الدخول إليه ثانية، و لم يكن هذا بمستغرب، فمن خانَ هان!

كان الشيعة حتّى ذلك اليوم يتجرّعون كلّ أنواع المصائب و الابتلاءات، لكنّهم في المقابل كانوا يرون في إمام زمانهم العماد و الركن الوثيق الّذي يلجؤون إليه، وكان الاعتقاد بالإمام عليه السلام يجري في أنفسهم مجرى الدم في العروق، و بإيمانهم به و تسليمهم له كانوا يمنحون وجودهم الحياة. و حتّى عندما يكون إمامهم في السجن أو تحت الإقامة الجبريّة، أو تفصلهم عنه المسافات الطويلة، كانوا يشعرون بالطمأنينة بمجرّد معرفتهم بمكانه، وكان بمقدور الواحد منهم تحمّل المشاق و العناء من أجل مقابلته. فكانوا يستطيعون أن يسمعوا صوته و يروا ابتسامته و يسألوا عن رأيه و يعرفوا اعتراضه، و باختصارٍ كان بإمكانهم أن يعرضوا عليه عقائدهم و أعمالهم. لكنْ في هذه المرحلة لا ريحٌ تزيل الستار لكامل، ولا يدٌ ليعقوب تصل إلى الستار، و قد بات على موالي أهل البيت عليهم السلام أن يخوض مرحلة جديدة مختلفة عن سابقاتها، فهو لا يعلم حتّى مكان إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أو لعلّه لم يرَه و لو مرّة واحدة، حتّى دبّت الحيرة في قلوب الشيعة، وكثُرت التساؤلات عن الإمام اللاحق. وكان خفاء ولادة ابن الإمام العسكريّ عليه السلام يُحفّز بروز هذه القضيّة أكثر. حتمًا إنّهم سمعوا سابقًا ما رُوي عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام حول غَيبة الإمام الثاني عشر عجّل الله تعالى فرجه الشريف عن الأنظار، و لم ينسوا كلام الإمام الرضا عليه السلام حين أخبرهم أنّ الشيعة سوف يفقدون الثالث من ولده أي الإمام العسكريّ عليه السلام، و عندها سوف يبكي عليه أهل السماء و أهل الأرض، و أنّ الإمام الثاني عشر سيخرج من مدينة أهله خائفًا مترقّبًا كنبيّ الله موسى عليه السلام، وكم من حرّى مؤمنة، وكم من مؤمنٍ متأسّفٍ حرّان عند فقدان الماء المَعين. وكان الأئمّة عليهم السلام قد أخبروا عن وقوع فتنةٍ شديدةٍ عمياء، يهلك فيها الكثيرون، و تشيب منها الرؤوس، لكنّ هنالك فرقًا شاسعًا بين سماع الأمر و بين معاينته، فكما يقول المثل ليس الخبر كالمعاينة! وكان على الشيعة أن يدركوا بلحومهم و دمائهم هذه الإخبارات. كما حذّر الأئمّة عليهم السلام أنّ البعض نتيجة هذه الفتنة يُنكرون وجود إمامٍ بعد الإمام العسكريّ عليه السلام، و يقولون إنّه لم يُخلف ولدًا، و يقول الآخر إنّ ابنه قد فارق الحياة، و ستكثُر الأقوال المختلفة ممّا يوقِع الناس في متاهات الشكّ و الحيرة إلّا من حفظه الله. و ها هم يشاهدون تحقّق ما سمعوه و دوّنوه في أوراقهم و قراطيسهم من أحاديث، واحدًا بعد آخر. و قلّما ضلّ الطريق مَن كان مِن أهل سماع الحديث و نقله، لكنّ الكوارث و الفتن تجرف بتيّاراتها حشود الناس، يميلون معها كيفما مالت، فتشوّش أفكارهم و تزعزع عقائدهم.

كان الخواصّ من أصحاب الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، الّذين قد سمعوا خبر ولادة ابنه، أو رأوا المولود المبارك بأمّ أعينهم، يرون أنّ من واجبهم في هذه الآونة أكثر من أيّ وقتٍ مضى، نشر هذا الخبر في أوساط الشيعة، و إخفاءه عن غير أهله. كما أخذ المهتمّون بدينهم يسألون و يستفسرون ليهتدوا إلى القول الحقّ، و مَن يكون أولى ببيان الحقّ و إرشاد الناس من أهل بيت الإمام العسكريّ عليه السلام. لكنّ محمّدًا و هو الأخ الأكبر للإمام العسكريّ عليه السلام و الّذي كان قد استقى جميع معارفه من أبيه الهادي و أخيه العسكريّ عليهما السلام، كان قد رحل إلى دار الخلود مصطحبًا معه تلك المعارف. و أخوه الآخر الحسين الّذي كان مشهورًا بالزهد و التقوى بين الخواصّ و العوامّ، كان الوصول إليه صعبًا جدًّا بسبب الرقابة الحكوميّة المشدّدة و لم يكن لدى معظمهم خبرٌ عنه. و في النتيجة لم يبقَ من بين إخوة الإمام عليه السلام سوى جعفر الّذي كان فسقُه مشهودًا و ظاهرًا للعيان، ممّا جعل الثقة به و الاعتماد عليه أمرًا لا يقبله العقل. و في هذه الظروف تألّق اسم سيّدةٍ من أهل هذا البيت، و هي السيّدة حكيمة عليها السلام الّتي تلقّت علوم أهل بيت الوحي و معارفهم عن ثلاثةٍ من الأئمّة المعصومين هم محمّد الجواد و عليّ الهاديّ و الحسن العسكريّ عليهم السلام، كما اتّسمت سيرتها بالتقوى و الورع، فكانت اسمًا على مسمّى و حكيمة بحقّ.

و من الّذين قصدوها طلبًا للحقّ رجلٌ يدعى أحمد بن إبراهيم، الّذي رام سماع أجوبة عن أسئلته من هذه السيّدة العالمة و الكريمة و العفيفة. فدخل دارها مستأذنًا، و وجّه إليها الكلام من وراء ستار. طلب إليها بداءة أن تُعيد على مسامعه أصول دينه، فذكرت السيّدة حكيمة أسماء الأئمّة المعصومين عليهم السلام واحدًا تلو آخر، إلى أن وصلت إلى اسم الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بصفته ابن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام. و أحمد الّذي كان ينتظر سماع هذه العبارة تحديدًا، سأل مباشرةً عن مكان الإمام عليه السلام، فأجابته بأنّه مخفيٌّ عن الأعيُن. ها هو أحمد قد بات يعرف إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لكنّه لا يعرف كيفيّة التواصل معه، ليستضيء بهديه و إرشاده، فسألها: حين يكون مكان الإمام مخفيًّا، إلى مَن يرجع الشيعة و مَن يسألون؟ أجابته السيّدة حكيمة عليها السلام فورًا: يرجعون إلى السيّدة حديثة عليها السلام جدّة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. كان من الصعب على أحمد تقبُّل هذا الأمر، فهو حتّى هذا اليوم لم يسمع بأن يكون وصيّ الإمام امرأةً، و هذا ما جعله يتردّد و يقول متعجّبًا، و بلهجةٍ توحي بالرفض: الوصيّة إلى امرأة؟! اقتدى بمن في وصيّته إلى امرأة؟! حين نطق بهذا الكلام، لم يتوقّع مطلقًا أنّه سيسمع جوابًا مُقنعًا إلى هذا الحدّ، فقد قالت السيّدة حكيمة عليها السلام: اقتداءً بالحسين بن عليّ عليهما السلام! إذ إنّ

الحسين عليه السلام أوصى إلى أخته زينب عليها السلام في الظاهر و كان ما يخرج عن عليّ بن الحسين عليهما السلام من علمٍ يُنسب إلى زينب عليها السلام ، سترًا على عليّ بن الحسين عليهما السلام و حفظًا لحياته و إبقاءً لإمامته المخفيّة. ثمّ روت حكيمة أهل البيت عليهم السلام لأحمد حديثًا، يسهّل عليه فهم الأمر، فقالت له: أنتم قومٌ أهلُ حديثٍ و روايةٍ للأخبار، أمَا سمعتم الحديث المتواتر أنّ تاسع الأئمّة من نسل الحسين عليه السلام ، يُقسّم ميراثه و هو على قيدِ الحياة؟! نعم، لقد ذكّر هذا الحديث أحمد بأنّ هذا الزمن شبيه بالزمن الّذي أعقب استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ، إذ إنّه عصرُ التشدّد في التقيّة، و عصرُ الفتن و الاضطراب، لذلك يجب أن يبقى أمرُ إمامة المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف مخفيًّا، و حتّى أصلُ وجوده و ولادته. و أيّ غربةٍ أعظم من هذا!

فيضُ الحضور

إنّه يستضيف في كلّ صباحٍ و مساءٍ أولئك الّذين هم كالسيّدة حكيمة.
يفدونه بأرواحهم...

كانت السيّدة حكيمة عليها السلام معروفةً لدى الجميع بحكمتها و درايتها و تقواها، و كانت في ذلك العصر المكتظّ بالفتن المرجعَ الثقة لتساؤلات الشيعة. كما كانت تحفظ جيّدًا وصيّة ابن أخيها الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام لها، الّتي طلب منها فيها حين ترى خلافًا قد دبّ بين الناس، أن تخبرَ أهل الثقة بكلّ ما رأته بأمّ عينَيها في ما يتعلّق بولادة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ، و أن تطلب إليهم كتمان هذا السرّ عن غير أهله.

و ما أكثر أولئك الّذين كانوا يأتون إليها ليسألوها عن ولادة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و من هؤلاء محمّد بن عبد الله المطهّري، الّذي كان قد وصل إليه خبر فضائل هذه السيّدة و علومها. و في تلك الأوضاع المتوتّرة جاء إليها حائرًا، و أخبرها عن الجدل و النزاع الحاصلَيْن بين الناس، و الاختلاف في وجهات النظر و الآراء الشائعة بينهم، راجيًا أن تُطلعه على حقيقة الأمر. كان الرجل الباحث عن الحقيقة يقف منتظرًا الإجابة، و قد رأته السيّدة حكيمة من أهل الثقة و جديرًا بسماع الحقيقة، فطلبت إليه أن يجلس، لقد كانت مدركةً أنّ الكلام سيطول. فبدأت كلامها بأن ألقت على مسامعه بعض الأحاديث و المعارف، الّتي كان الأئمّة عليهم السلام قد علّموها أصحابهم، و أردفت قائلةً: إنّ الله تبارك و تعالى لا يُخلي الأرض من حجّة ناطقة أو صامتة، و لم يجعلها في أخوَين بعد الحسن و الحسين، تفضيلًا للحسن

و الحسين عليهما السلام و تنزيهًا لهما أن يكون في الأرض عديلُهما، إلّا أنّ الله تبارك و تعالى خصّ وُلد الحسين بالفضل على وُلد الحسن، كما خصّ وُلد هارون على ولد موسى - و إن كان موسى حجّة على هارون - و الفضل لوُلد الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة. و لا بدّ للأمّة من حيرةٍ يرتاب فيها المبطلون و يخلص فيها المحقّون، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾. و إنّ الحيرة لا بدّ واقعة بعد مضيّ أبي محمّد الحسن العسكريّ عليه السلام.

كان المطهّري قد سمع هذه الروايات، لكنّه كان يبحث عن دليلٍ أكثر إحكامًا، وكان يريد من السيّدة حكيمة عليها السلام أن تصرّح بذِكر ابن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام. فسأل بنقاء سريرةٍ و من دون مواربة: سيّدتي، هل للإمام الحسن العسكريّ عليه السلام ولدٌ؟ ارتضت السيّدة حكيمة عليها السلام صراحة لهجته، فقالت: إذا لم يكن للحسن العسكريّ عليه السلام عقب فمن الحجّة من بعده؟ و قد أخبرتك أنّ الإمامة لا تكون لأخوَين بعد الحسن و الحسين عليهما السلام!

لم يكن المطهّري ليكفّ عمّا بدأ به، حتّى يطمئنّ قلبه و ليجلوَ عنه كلّ غموض و إبهام، فقال: سيّدتي، إن كان له ولد، فحدّثيني عن ولادته و غَيبته. وافقت السيّدة حكيمة عليها السلام على طلب المطهّري، و قصّت عليه كلّ الحوادث المتعلّقة بالولادة المباركة، و تابعت حديثها وصولًا إلى الأيّام الأخيرة من حياة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، و قالت: في تلك الأيّام الأخيرة أجلسني أخي الحسن عليه السلام مقابل ابنه و قال لي: إنّه ابن نرجس و هو خليفتي من بعدي، و عن قليلٍ تفقدونني فاسمعي له و أطيعي. و بعد أيّام قليلةٍ فارق الإمام عليه السلام الحياة، و دبّت الفِرقة بين الناس كما ترى، أُقسم بالله العليّ العظيم، بأنّني أرى المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف صباحًا و مساءً، و هو يعطيني أجوبة المسائل الّتي يطرحها الشيعة. أحيانًا، حين أَهُمُّ لأطرح عليه سؤالًا ما، يُجيبني قبل أن أسأله، و أحيانًا يخطر ببالي سؤالٌ ما، فأسمع منه الجواب قبل أن أنبس ببنت شفة، و قد أخبرني البارحة بقدومك إليّ و أمرني أن أخبرك بالحقّ. ثمّ ذكرت السيّدة حكيمة عليها السلام بعض شؤون المطهّري الشخصيّة، و كان المطهّري يعرف أنّ هذه الأمور لا يعلمها إلّا الله تعالى، و أنّ هذه المعرفة لا تحصل إلّا من خلال الجلوس بين يدَي الّذي تحدّثت عنه السيّدة حكيمة عليها السلام. فأدرك أنّ كلامها لم يكن إلّا عين الصدق و الحقّ، و أنّ الله عزّ وجل قد أطلعها بواسطة حجّته على ما لم يُطلع عليه أحدًا من خلقه. و لقد تفضّل الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف على السيّدة حديثة و السيّدة حكيمة عليهما السلام بعنايته الخاصّة و جعل من خلال هاتين السيّدتين الكريمتَين طريقًا إلى بثّ الطمأنينة في قلوب الشيعة، مؤكّدًا لهم

أنّهم ليسوا بلا وليّ أو أبٍ حنونٍ قريبٍ منهم بل إنّه مطّلع على أحوالهم في كلّ آن. فلا تزال الأنهار تتّصل بالبحار، و لا تزال السواقي تجري بين الأزقّة، و لا تزال النخيل تجود برطبها إذا هُزّت جذوعها...

يكاد زيتها يُضيء



وقف بجانب عربته ينتظر الزبائن كدأبه المعهود، من دون أن تُعرَف طبيعة مهمّته في هذا اليوم. هو زيّاتٌ، يملك قِرَبًا مصنوعةً من الجلد، يملؤها بالزيت الصّافي ثمّ يحملها و يتجوّل بها في أنحاء المدينة، ليسترزق من بيع هذا الزيت. و لا يزال الشيعة عندما يرونه يتذكّرون حين جعله الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام نائبًا لابنه بحضور أربعين شخصًا من كبار الشيعة، إذ قال لهم في حقّه: «فاقبلوا من عثمان ما يقوله و انتهوا إلى أمره و اقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم و الأمر إليه!». و البعض منهم حينما يمرّون بجانبه يتذكّرون رطل اللحم الّذي قدّمه إليهم بمناسبة ولادة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كأنّ طعم ذلك اللحم السماويّ لا يزال في أفواههم. أمّا نسبه فيعود إلى عشيرة بني أسد، وكفى بها فخرًا أنّ من أبنائها حبيبَ بن مظاهر ناصر الإمام الحسين عليه السلام. نعم هو أيضًا، حبيب إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ناصره. إنّه عثمان بن سعيد الّذي يكنّى بأبي عَمرو، وكان المقرّبون منه ينادونه بالعَمْريّ. منذ أن كان في الحادية و العشرين من عمره وقف حياته على خدمة الإمام الهادي عليه السلام، و بعد شهادته عليه السلام صار الوليّ المُخلص للإمام العسكريّ عليه السلام و وليجته، فكان عليه السلام يوكِل إليه مهامَّ كثيرة، و هو نفسه الّذي أرجع الإمام عليه السلام إليه أحمد بن إسحاق ليجيبه عن أسئلته عندما لا يتسنّى له الوصول إلى محضره عليه السلام، و هو مَن تشرّف بتغسيل الإمام عليه السلام و تكفينه في الظاهر سترًا و حفاظًا على الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف. وكان يكابد الآلام ليسير على نهج إمامه قولًا و عملًا؛ و لم يضيّعِ اللهُ سعيَه، بل وفّقه إلى المزيد من مراتب القرب. كان العَمْريّ عاشقًا للإمام عليه السلام، إلى درجة أن اتّخذ بيتًا له في سامرّاء في مكانٍ قريبٍ من بيت الإمام عليه السلام؛ فهو يريد اتّباع

خُطاه في كلّ شيء، حتّى لقبه تفوح منه رائحة إمامه، فكان بعضهم يلقّبونه بالعسكريّ. و إلى أيّ مكانٍ ارتحل بجسمه، تبقى روحه حاضرةً في محلّة العسكر و لا تفارقها.

و قد رأى الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف الّذي كان في الخامسة من عمره أنّ أبا عَمرو عثمان بن سعيد العَمري قد نجح في امتحانات صعبة، فاختاره مقرّبًا و عزيزًا من بين آلافٍ مؤلّفةٍ من الشيعة الموجودين في مختلف البقاع، وكأنّ الإمام عجّل الله فرجه الشريف وجده ذهبًا أكثر خلوصًا من غيره، و أنّ لزيت هذا المُوالي القدرة على إشعال مصابيح بيوت الآلاف من المؤمنين في ظلمات الغَيبة. و عندما رأى الإمام عجّل الله فرجه الشريف فيه استعدادًا لتحمّل هذا الثقل و هذه الأمانة الإلهيّة، نصّبه وسيطًا بينه و بين شيعته، حتّى يعلموا أنّه مع عدم توفّر الماء يجب عليهم التيمّم، و إن كانت الأعيُن لا تقوى على النظر إلى الشمس مباشرةً، فلا بدّ من النظر إليها من خلال واسطة.

كان أبو عَمرو رجلًا حاذقًا و ذكيًّا، و في أثناء تجوّله بعربته كان بمجرّد رؤيته للزبون يدرك إن كان من جماعته أم لا. و مع أنّه كان يتمتّع بعلاقة وثيقة بالإمام عليه السلام و لديه مكانة رفيعة عنده، إلّا أنّه كان يلتزم أسلوب التقيّة و يرعاها حقّ رعايتها، كي لا يُثير الشكوك من حوله، و لا سيّما مع انتشار جواسيس السلطة. و من يصادفه في الأحياء و الطرقات لا يرى فيه إلّا شخصيّة تاجر زيتٍ ليس له همٌّ سوى البحث عن لقمة عيشه هنا و هناك؛ و حين يريد إيصال رسالةٍ من بعض الشيعة إلى الإمام عليه السلام، أو تسليم الحقوق الشرعيّة الّتي جعلوها في عهدته، كان يضعها في أوعية الزيت و يحملها إلى منزله عليه السلام.

و بالقدر الّذي كان فيه عثمان بن سعيد مجهولًا عند الحاكمين، فقد كان معروفًا لدى الشيعة و شائعًا اسمه في أوساطهم، إذ إنّ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام كان مرارًا و تكرارًا يُظهر أمام أصحابه و مُجالسيه بالقول و الفعل ما لأبي عَمرو لديه من منزلةٍ رفيعة. وكان الحاضرون في تلك المجالس، ينقلون بعد مغادرتهم ما رأوه و سمعوه من الإمام عليه السلام لسائر الموالين في المدن المختلفة. وكانت قد ثبتت في أذهان الشيعة في مرحلة مبكّرة كلمة الإمام الهاديّ عليه السلام في حقّ أبي عمرو، و هم الآن يدركون بنحوٍ أفضل أهمّيّة هذه الكلمة و قدرها، و حكمة كلّ ذلك التأكيد الّذي احتوته و علّته، و يثنون على فراسة الإمام عندما قال: «أبوعمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقوله وما أدّاه إليكم فعنّي يؤدّيه»، وكذلك كلمات الإمام العسكريّ عليه السلام: «ثقة الماضي وثقتي في المَحيا والممات»، «إنّ عثمان بن سعيد العمريّ

وكيلي، وإنّ ابنه محمّدًا وكيل ابني مهديّكم»؛ الآن و قد استُشهد الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، يسترجع أنصاره هذه الكلمات في أذهانهم، و يردّدونها في مجالسهم، و يشعرون أنّ هنالك من يثقون به و يعتمدون عليه، و أنّهم لم يُترَكوا مهمَلين من غير هادٍ. و من قبلُ كان الأئمّة المعصومون عليهم السلام، كلٌّ بدوره، قد نبّهوا شيعتهم إلى أنّ العلاقة بالإمام عليه السلام قد تكون أحيانًا من خلال الواسطة. فكان الأئمّة عليهم السلام يعيّنون لأنفسهم وكلاء في المدن المختلفة، و يزكّون فقهاء معيّنين ليكونوا ركنًا وثيقًا للشيعة، يلوذون بهم و يرجعون إليهم. لقد وضع الأئمّة عليهم السلام منذ سنين طويلةٍ الأُسس لنظام النيابة و الوكالة، و لكنّ الإمامَين الهادي و العسكريّ عليهما السلام عملا على نموّ هذا النظام و توسيعه بنحوٍ أكبر، إلى أن أصبحت جذور نظام النيابة و الوكالة عميقةً و ممتدّة في المجتمع الشيعي. و يعود هذا الأمر إلى الظروف الخاصّة الّتي كان يعيشها هذان الإمامان عليهما السلام، إذ لم يكن من المتاح دائمًا التواصل المباشر مع شيعتهما، لأنّهما كانا في حصارٍ تامّ. و كان وكلاء الإمامَين عليهما السلام موجودين في مدنٍ مختلفةٍ كالكوفة، البصرة، بغداد، قمّ، واسط، الأهواز، همدان، سجستان، الريّ، الحجاز، اليمن، مصر و المدائن. و من خلال تدابير الأئمّة الأطهار عليهم السلام فقد أصبح الشيعة في هذه الظروف مستعدّين إلى حدٍّ ما لغَيبة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف عنهم، كما بات ارتباطهم بنوّاب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و وكلائه أمرًا مُستساغًا و مُتداولًا.

اجتماع الأحبّة

يا لها من غربة! حتّى ذكر اسمه على الألسن محذورٌ!

الحِميريّ رجلٌ من أهل قمّ، يُعرف بـ«أبي العبّاس» و هو من رواة الحديث، و يعمل على جمع المرويّ من كلام الأئمّة الأطهار عليهم السلام، كما كان يؤلّف في ذلك الكتب. و كان الحميريّ قد سمع من الشيعة أخبارًا كثيرةً مأثورةً عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام حول ولادة الإمام الثاني عشر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لكنّه كان يبحث عن دليلٍ أقوى ليطمئنّ قلبه. و لمّا كانت تربطه صداقةٌ قديمةٌ مع أحمد بن إسحاق، و كان يذهب إليه ليعرض عليه تساؤلاته، فقد سمع منه حكاياتٍ مهمّة، إذ سبق لهذا الأخير أن قال له: إنّ كلًّا من الإمامين الهادي و العسكريّ عليهما السلام قد وثّق عثمان بن سعيد، حتّى إنّ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، قال: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقتي في المَحيا و الممات، فما قاله لكم فعنّي يقوله، و ما أدّى إليكم فعنّي

يؤدّي». كان أحمد قد قال ذلك لأبي العبّاس، و لكنّه لم يذكر له قصّة لقائه بابن الإمام الحسن العسكريّ عليهما السلام بنحوٍ صريح. لعلّه كان يخشى أن يكون في ذِكر أمثال هذه الأمور نقضٌ للعهد الّذي أخذه منه الإمام عليه السلام بالكتمان.

و كان أحمد بن إسحاق يحمل في قلبه محبّة خاصّة لأبي عمرو، و لذا فقد انتقل من قمّ إلى بغداد بعدما هاجر إليها أبو عمرو الّذي لم يبقَ له مكانٌ في مدينة سامرّاء منذ أن أصبح نائبًا للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في سنة ٢٦٠ للهجرة. و لعلّ هجرته هذه قد حصلت بأمرٍ من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و حتّى من حيث الظاهر، فقد كان انتقاله إلى المدينة حيث مركز التجارة الدوليّة أمرًا منطقيًّا لتاجر زيتٍ يفكّر في تطوير عمله. و على أيّ حال فإنّ أحمد بن إسحاق أصبح مساعدًا له في الكثير من الأمور.

في تلك الأيّام كانت بغداد تُعرف بـ«مدينة السلام»، وكان شمال هذه المدينة يحتضن ضريحَي إمامَين معصومَين من ذرّيّة رسول الله صلّى الله عليه و آله هما موسى الكاظم و حفيده محمّد الجواد عليهما السلام، فكان الشيعة يتردّدون إلى زيارتهما من مختلف الأصقاع، لأداء حقّ ذوي القربى و تنقية الروح من دنس الحياة الدنيا. و في أحد الأيّام، عزم الحميريّ بدوره على السفر إلى بغداد راغبًا في التشرّف بزيارة الإمامَين الكاظمين عليهما السلام، و في الوقت نفسه تائقًا إلى تجديد اللقاء بصديقه القديم أحمد. و لمّا وصل الحميريّ إلى دار صديقه كان عثمان بن سعيد العَمريّ عنده. و بعد إلقاء السلام، نظر أبو العبّاس الحميريّ إلى أحمد نظرةً ملؤها التساؤل عمّا إذا كان هذا هو الرجل العظيم الّذي حدّثه عنه سابقًا. و لمّا تيقّن أنّه هو، كان لسان حاله: يا لقدري السعيد أن أرى صاحب الإمام عليه السلام. و بينما كان أحمد ينظر إلى الحميريّ، أشار بطرف عينيه إلى عثمان بن سعيد، ملمّحًا له بإمكانيّة طرح أسئلته عليه الآن. وكأنّه قد سبق أن دار الحديث بينهما حول ابن الإمام الحسن العسكريّ عليهما السلام و خليفته، وكان أحمد يشير إلى ذلك.

فاستوى الحميري جالسًا، و حبس أنفاسه، ثمّ توجّه إلى عثمان بن سعيد و قال له متلعثمًا بكلماته بعد شيءٍ من التردّد: يا أبا عَمرو، إنّي أريد أن أسألك عن شيء، و ما أنا بشاكٍّ فيما أريد أن أسألك عنه، فإنّ اعتقادي و ديني أنّ الأرض لا تخلو من حجّة، إلّا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يومًا، فإذا كان ذلك رُفعت الحجّة و أُغلق باب التوبة، فلم يكُ ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيرًا، فأولئك شرار من خلق الله عزّ و جلّ،

و هم الّذين تقوم عليهم القيامة. كان الحميريّ يُشير بهذه الكلمات إلى الأحاديث و الروايات الّتي وصلت إليه عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام. لم يكن يريد لنفسه أن يبدو كمن يشكّك في هذه الأحاديث، و من هنا فإنّه لجأ إلى هذه الطريقة الذكيّة في طرح سؤاله فاستطرد قائلًا: إنّما أريد أن يزداد يقيني، كما كان من النبيّ إبراهيم الخليل عليه السلام، على ما حكاه عنه الله تعالى في القرآن الكريم، إذ يقول: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾. لقد ذكر لي أحمد ما قاله الإمام الهادي عليه السلام في حقّك: «إنّ أبا عمرو ثقتي... فاسمع له و أطع»، كما نقل لي صدور الكلام نفسه عن الإمام العسكريّ عليه السلام في حقّك و في حقّ نجلك أيضًا. و الآن إذ ورد مثل هذا الثناء في حقّك عن إمامَين عظيمَين، فإنّه لا يبقى مجال للشكّ في صدق كلامك، و عندي سؤالٌ أطرحه عليك.

إنّ من شأن كلّ من يستمع إلى هذا الثناء و التبجيل أن يعتريه العُجب و يأخذه الغرور، و يظهر التكبّر و الخيلاء على ملامح وجهه، و لكن ردّة فعل أبي عمرو كانت مختلفةً تمامًا؛ فكلّما أثنى عليه الحميريّ ازداد تواضعًا و خشوعًا و كان يطأطئ رأسه إلى الأرض شيئًا فشيئًا، حتّى كأنّه لم يكن يرى لنفسه أيّ فضلٍ، بل يلتمس لها المذلّة أمام بارئها، و كان يرى كلّ ذلك تفضّلًا و نعمةً من الله تعالى. و هذا ليس بعجيبٍ ممّن نهل مكارم الأخلاق من أئمّته الأطهار عليهم السلام و تأدّب بها حتّى استقرّت في نفسه. و إذ كان الحميريّ يستطرد في كلامه، ثنى أبو عمرو ركبتيه و هوى إلى السجود و أخذ يجهش بالبكاء خَشية أن يورثه هذا الكلام عُجبًا بالنفس و لو لحظة واحدة. فكان يظنّ بنفسه الظنون و يرجو رحمة الله عزّ و جلّ. و قد تعلّق رجاؤه بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن لا يتركه فريسةً لأهواء نفسه طرفة عين، حتّى يتمكّن من أداء مَهمّته بإخلاصٍ تامٍّ و القيام بأعباء هذه الأمانة و المسؤوليّة الثقيلة على أفضل وجه يرضاه الله تعالى.

رفع أبو عمرو رأسه من السجود، و قال للحميريّ: سَلْ حاجتك؛ في هذه اللحظات القليلة رأى الحميريّ كيف يكون العبد ذائبًا في معرفة الله و محبّته و كان يشتمّ رائحة الإمام عليه السلام من نظرات أبي عمر و حركاته و كلماته، فازداد يقينه في طرح سؤاله، فبادر قائلًا: أقسمت عليك بحقّ الله، و بحقّ الإمامَين العظيمَين عليهما السلام اللذَين قالا فيك هذا الكلام، هل رأيت ابن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام و خليفته؟ فأجاب أبو عَمرو باطمئنانٍ و سكينة: أجل و الله، فقد رأيته ممتلئًا حَسن الصورة! فقال أبو العبّاس: عندي سؤالٌ آخر: ما اسمه؟ فردّ

أبو عَمرو: لقد نُهيتم عن البحث و السؤال عن اسمه. و لا أقول هذا من عندي فليس لي أن أحلّل و لا أحرّم، و إنّما أقول ذلك بأمرٍ من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه. يظنّ السلطان أنّ الإمام العسكريّ عليه السلام قد مضى و لم يخلّف بعده ولدًا، و لذلك فقد قُسِّمَت تركته بين الوارثين، و أخذ من ميراثه من ليس له حقٌّ فيه، و قد تذرّع الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالصبر في هذه القضيّة. و بالإضافة إلى هذا كلّه توزّعت أسرة الإمام العسكريّ عليه السلام إلى هنا و هناك، و لا أحد يملك الجرأة على التواصل معهم أو أن يرسل إليهم شيئًا. فلَكَ أن تعتبر بذلك لو أنّ شخصًا أفشى اسم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و بلغ ذلك مسامع الحكّام الظلمة و الدولة الجائرة، فإنّهم سوف يجهدون في البحث عنه، و يشدّدون الضغط و الحصار على أسرة الإمام عليه السلام أكثر من ذي قبل، و سوف يُبالغون في إيذائهم؛ فاتّقوا الله و أمسكوا عن ذلك.

نعم، إنّه لزمانٌ عجيب! فقد كان الإعلان عن اسم الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يُشكّل خطرًا على أهل بيته عليهم السلام و على شيعته أيضًا. و من هنا فقد أوصى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بعدم السؤال عن اسمه من أجل الحفاظ على أرواح شيعته و مُحبّيه. و كان أهل بيته يعيشون في أقسى أنواع الغربة في الحياة، و هم لا يزالون تحت مراقبة الحكومة الجائرة، و حتّى إنّهم بصعوبةٍ كانوا يتواصلون مع الشيعة من أجل متابعة أمورهم اليوميّة. و برؤية هذه الضغوط الّتي تقع على أمّه و جدّته و عمّته (عليهنّ السلام) كان قلبه يتفطّر ألمًا و يقطر دمًا. و إذ ورث من النبيّ موسى بن عمران عليه السلام خفاء ولادته، الآن يرث منه أيضًا ضرورة العيش بعيدًا عن أعين الظالمين و غير المؤهّلين.

و منذ ذلك اليوم لم يترك الحميريّ أبا عَمرو، بل كان ملازمًا له بُغية الاستفادة من أحاديثه و تدوينها. و كان يعرف جيّدًا قيمة الجوهرة الّتي حصل عليها و يحاول قدر الإمكان الاستفادة منها، و قد تمكّن بعون الله سبحانه من تأليف كتبٍ في أحاديث الإمام العسكريّ عليه السلام و توقيعات الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. ثمّ بعد مدّةٍ انتقل إلى الكوفة حيث حظيت كتبه هذه بإعجاب المحدِّثين و العلماء هناك، و قام العديد منهم باستنساخ كتبه و مؤلّفاته.

العقد الّذي لا يُفسَخ

لقد أخذ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يُعلّم الشيعة بالتدريج كيف يحافظون على تديُّنهم و ولايتهم في هذه الظروف الجديدة، و كيف يتأقلمون مع الأوضاع المستجدّة، و كيف يوصلون

أنفسهم إلى سفينة النجاة في هذا البحر الهائج. و أدرك الشيعة أنّ عليهم من الآن فصاعدًا توجيه معظم أسئلتهم الشرعيّة إلى الفقهاء، أو الرجوع إلى الأحاديث الّتي سمعوها و نقلوها عن الأئمّة السابقين عليهم السلام. و كانوا يعلمون أنّهم بهذه الطريقة يرسمون ابتسامة الرضا على شفتَي الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و إن كانوا محرومين من رؤيته، فهذا هو السبيل المتاح لتأخذ حياتهم صبغته عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تتعطّر برائحته الفوّاحة. لكنّهم في بعض الموارد كانوا يشتاقون إلى سماع أحاديثه، و يتعطّشون إلى نظراته، و أحيانًا كانوا يريدون الحصول على أجوبة أسئلتهم منه مباشرةً حتّى تطيب أنفسهم و تطمئنّ قلوبهم، و أن يكون ختم تأييد الإمام عليه السلام تحت أعمالهم. فكانوا يجمعون بعض أسئلتهم و يكتبونها في رقعةٍ يُوقّع عليها كبار الشيعة، ثمّ يحاولون بشتّى الطرق إيصالها إلى النائب الخاصّ للإمام، عثمان بن سعيد. و كان الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يُبلغ نائبه أجوبة هذه الأسئلة، ثمّ يخرج عثمان بن سعيد إلى الشيعة بإجاباتٍ تحمل توقيع الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و في بعض الأحيان كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يبادر إلى تزويد نائبه بتوقيعاتٍ تحتوي على بعض التعاليم و الإرشادات ابتداءً من دون أن يكون هناك سؤالٌ من شيعته. و عندما كان النائب الأوّل يقرأ تلك التوقيعات الّتي احتضنت كلمات الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لم يكن يلحظ أيّ أثر لروح الطفولة في عباراتها، فكلّ الظواهر الطفوليّة كانت قد اضمحلّت في هيبته و نفوذ كلماته. كما كان الشيعة أيضًا يشعرون و كأنّها صادرة عن رجل كبيرٍ حكيم. فكان نِعم المصداق للّذي يتكلّم بإذن ربّه في المهد صبيًّا. و في أثناء عمليّة تبادل الرسائل، كان الشيعة يتّخذون أقصى درجات الحيطة و الحذر، و يلتزمون بإجراءات أمنيّة مشدّدة، و يتواصلون بأسماء مستعارة و بعبارات فيها كناية و تورية، فكانوا مثلًا عند تسلُّم رسالة أو تسليمها يقولون إنّها من «صاحب الأمر» أو «صاحب الدار»، و إن كان هناك أموال في البين كانوا يقولون أوصلوا هذا المال إلى «الغريم»، و يقصدون به الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف!

و كان الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يُعلّم الشيعة في بعض توقيعاته أدعيةً خاصّةً بعصر الغَيبة، مفعمة بالمشاعر و ذات مغزى و معانٍ عميقة، تعينهم على تثبيت قلوبهم و ربطها على الدوام بحضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و استشعار حضوره في كلّ آنٍ و على كلّ حالٍ، و تمكين اليقين في قلوبهم بحضوره فيهم و إشرافه عليهم مهما طال الزمان. هذه التدابير الّتي قام بها الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في عصر الغَيبة الصغرى، كانت سبيلًا لمحافظة الشيعة على تواصلهم القلبيّ مع إمام زمانهم، في مرحلةٍ لم يعُد من المُتاح لهم الارتباط الظاهريّ معه عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

بعد مرور قرابة السنتين على استشهاد الإمام العسكريّ عليه السلام قلّ تضييق العبّاسيّين، إذ إنّهم لم يعثروا على خبرٍ عن ولدٍ، و لم يجدوا أثر حملٍ على السيّدة نرجس عليها السلام و لا على سائر النساء اللواتي كانوا يشكّون فيهنّ، و لهذا أطلقوا سراحهنّ. و كذلك تغيّرت فجأةً مجريات الأمور و حصل بمشيئة الله سيلٌ من الأحداث الّتي أدّت إلى أن يحيط الخطر بالعبّاسيّين من كلّ حدبٍ و صوب، فرُدّ كيدهم إلى نحورهم و انشغلوا بأنفسهم عن قضيّة البحث عن الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و خفّ بذلك الضغط على عترة الإمام العسكريّ عليه السلام. ففي سنة ٢٦٣ للهجرة هلك عُبيد الله بن خاقان، وزير المعتمد، فاستراح الناس من شرّه، لكنّ موته سبّب فجوة عميقة في البلاط العبّاسيّ حتّى باتوا يشعرون باندثار حكمهم. كما أنّ يعقوب بن ليث الصفّار الّذي كان قد تمرّد على السلطة العبّاسيّة منذ سنة ٢٤٧ للهجرة في إقليم سيستان شرق إيران، و صار كالشوكة في العين، ها هو الآن بعد خمس عشرة سنة يستعدّ لشنّ هجومٍ عنيفٍ على مركز الحكومة. و لم تكن هذه المشكلة الوحيدة الّتي يواجهها العباسيّون، فمنذ سنة ٢٥٥ للهجرة ثار على السلطة الظالمة رجلٌ في إحدى نواحي الرّيّ، يُدعى عليّ بن محمّد الورزنينيّ، و التفّ الناس حوله مؤيّدين و ناصرين، و لا سيّما الزّنج؛ فسيطر تدريجًا على البصرة و الأهواز، و استولى على مناطق واسعة من الدولة العبّاسيّة. كما أغار على واسط، و بدأت قوّته تتضاعف يومًا بعد يوم، و سلطته تزداد ثباتًا و بروزًا، إلى أن شيّد لنفسه قصرًا، و بلغ عدد أفراد جيشه حسب التقديرات ثلاثمئة ألف. و استطاع أن يُلحق الهزائم المتكرّرة بالجيوش الّتي كانت السلطة العبّاسيّة ترسلها لمحاربته؛ فعمّت الاضطرابات و الفوضى أطراف الدّولة من خراسان و مرو و أذربيجان إلى المدينة المنوّرة و مصر، ممّا دفع بقادة الجيش و كبار الشخصيات العبّاسيّة إلى مغادرة سامرّاء للمشاركة في قمع المتمرّدين و إعادة الأمن إلى الدولة. و باختصار، فقد انشغلوا جدًّا بهذه الأحداث المفاجئة و المتتالية. و لذا فإنّ أمّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و جدّته و عمّته قد شعرنَ ببعض الراحة خلال هذه المدّة.

أمّا جعفر فمع كلّ ذلك الضجيج الّذي أثاره قبل سنتين إلّا أنّه لم يحصل على ما كان يطمع به من الميراث. إذ من ناحيةٍ كانت الصناديق الّتي وجدها في بيت أبيه و كان قد تركها لثقلها ثمّ عاد في اليوم التالي لنهبها، قد اختفت محتوياتها بنحوٍ غامض. و من ناحيةٍ أخرى

كان ما بقي من التركة قد قُسّم بينه و بين الجدّة. فلم يكن ما حصل عليه جعفر من الميراث كثيرًا. أضف إلى ذلك أنّه كان كثير العيال، إذ كان عدد ذرّيّته لا يقلّ عن أربعة و عشرين ولدًا ما بين صغيرٍ و كبير، عدا عمّا كان تحت يده من الإماء و الخدم و الغلمان. و لم يكن حاذقًا بحيث يستطيع إدارة تجارةٍ يجني بها الكثير من الأرباح. لذا فإنّه سرعان ما أنفق و بدّد ما حصل عليه ـ بالقوّة و الجَور ـ من الإرث، ثمّ أخذ يعضّ أصابع الندم و يندب حظّه. و مع أنّ أمّه السيّدة حديثة عليها السلام لم تنسَ ظلمه و سوء أدبه، لكنّها لم تكن تستطيع أن ترى ولدها على مثل هذه الحالة؛ إذ من جهةٍ كانت تعلم أنّ القرآن الكريم و السنّة النبويّة يحثّان المؤمنين على مقابلة السوء بالإحسان، و من جهةٍ أخرى يبقى ابنها الّذي كبر في حجرها. فكانت من حينٍ إلى آخر تبعث إليه بالطحين و اللحم و الشعير و العشب و الثياب، لينفقها على من يُعيله من الذراري و العبيد، و ما يكلأه من الأنعام.

نجمٌ جديدٌ

نذر أبو عمرو عثمان بن سعيد ـ النائب الأوّل للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ حياته لخدمة أهل البيت عليهم السلام. و لم يرَ الشيعة منه سوى الورع و التقوى من دون أيّ أثرٍ لحبّ الجاه و طلب الشهرة و متاع الدنيا. حتّى كانوا بمجرّد رؤيته يذكرون أئمّتهم الهاديّ و العسكريّ و المهديّ عليهم السلام و يشمّون منه روائحهم الزكيّة. إلى أن توفّاه الله طيّبًا سنة ٢٦٥ للهجرة و طُويَ كتابُ حياته و أُرسل إلى مكتبة البرزخ، ليغدو كتابًا قيّمًا و مؤنسًا تقرؤه ملائكة السماء! لكن بموته ثُلِم في مجتمع المؤمنين ثلمة لا يسدّها شيء، فخيّم الحزن على الشيعة كافّة، بَيد أنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف لم يترك شيعته و لم يهملهم قطّ بل مدّ إليهم يد الرحمة مرّةً أخرى و مسح بها على رؤوسهم بلطفه و عنايته الخاصّة، و ملأ الموقع الخالي لأبي عمرو بنجمٍ ساطعٍ جديد، ليستمرّ ارتباط الشيعة مع واسطة الفيض الإلهيّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في هذه المرحلة العصيبة. و قد تولّى تجهيز عثمان بن سعيد ابنه محمّد المكنّى بأبي جعفر، فغسّل جثمانه الطاهر و كفّنه و الدموع تجري من آماقه، ثمّ وسّده الثرى في غرب بغداد إلى جوار محراب مسجدٍ من مساجدها. و منذ ذلك الحين كلّما قصد الشيعة زيارة الإمامَين الكاظمَين عليهما السلام، مرّوا بقبر النائب الأوّل للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و قاموا بواجب زيارته. و كأنّ هناك جاذبيّة خاصّة تجذبهم إليه.



وكان محمّد بن عثمان في زمن الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) أحد وكلائه الثقات، حتّى إنّه (عليه السلام) في إحدى المرّات التفت إلى أصحابه المجتمعين حوله، و أشهدهم على أنّه سيكون وكيل ابنه المهديّ (عليه السلام). وكان أحمد بن إسحاق قد سمع الكلمات نفسها الّتي قالها الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) عن وثاقة أبي عمرو، في حقّ نجله محمّد أيضًا. وكان في مدّة سفارة أبيه عثمان، أحد وكلائه المعروفين بشدّة أمانتهم و صدقهم. و في تلك المدّة الزمنيّة نفسها، أوصى الإمام المهديّ (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) الشيعة في توقيعاته الشريفة بالرجوع إليه، فمهّد بذلك لهم أرضيّة نيابته. فقد كان الإمام (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) يرى الجواهر النادرة الكامنة في وجوده وكان يريد إظهارها، لذا فقد أمر أبا عمرو قبل وفاته أن يوصي إلى ابنه الصالح و يعيّنه مكانه. و لكن الّذي أكّد جميع هذه الأمور هو ما حصل عندما كان محمّد عائدًا لتوّه من تشييع والده، فقد أخرج الإمام المهديّ (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) إليه توقيعًا عزّاه في بوفاة والده و أحلّه فيه محلّه في مهام السفارة و النيابة:

«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، تَسْلِيمًا لِأَمْرِهِ وَرِضَاءً بِقَضَائِهِ، عَاشَ أَبُوكَ سَعِيدًا وَمَاتَ حَمِيدًا، فَرَحِمَهُ اللَّهُ وَأَلْحَقَهُ بِأَوْلِيَائِهِ وَمَوَالِيهِ، فَلَمْ يَزَلْ مُجْتَهِدًا فِي أَمْرِهِمْ سَاعِيًا فِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَيْهِمْ نَضَّرَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَأَقَالَهُ عَثْرَتَهُ، أَجْزَلَ اللَّهُ لَكَ الثَّوَابَ وَأَحْسَنَ لَكَ الْعَزَاءَ، رُزِئْتَ وَرُزِئْنَا وَأَوْحَشَكَ فِرَاقُهُ وَأَوْحَشَنَا، فَسَرَّهُ اللَّهُ فِي مُنْقَلَبِهِ، وَكَانَ مِنْ كَمَالِ سَعَادَتِهِ أَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدًا مِثْلَكَ يَخْلُفُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَيَقُومُ مَقَامَهُ بِأَمْرِهِ وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ، وَأَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَإِنَّ الْأَنْفُسَ طَيِّبَةٌ بِمَكَانِكَ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيكَ وَعِنْدَكَ أَعَانَكَ اللَّهُ وَقَوَّاكَ وَعَضَدَكَ وَوَفَّقَكَ، وَكَانَ اللَّهُ لَكَ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا وَكَافِيًا وَمُعِينًا».

يُعبّر هذا الكتاب بوضوحٍ عن عظمة هذه المصيبة على قلب الإمام المهديّ (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) الّذي لا يزال في العاشرة من عمره. و هو الّذي كان يعيش في غربة، ها هو الآن يفقد من جديد أحد أصحابه الأوفياء و أوليائه المطيعين، حتّى أمسى أكثر غربة. فكأنّ الموت يحنُّ إلى الصلحاء و الأتقياء، فيقصدهم بلهفةٍ لينقلهم إلى دارٍ ملؤها الرَّوح و الريحان و جنّة نعيمٍ بجوار الرسول

الكريم ﷺ. وكأنّ ديدن الأيّام قام على أن يشاهد الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف رحيل أصحابه المخلصين الأبرار، كما شاهد الإمام عليّ عليه السلام رحيل أصحابه من هذه الدنيا من أمثال: عمّار بن ياسر و مالك الأشتر، وكما شاهد الإمام الحسين عليه السلام بأمّ عينَيه استشهاد خيرة أصحابه و أنصاره. لكنّ مصاب إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان و لا يزال مستمرًّا على امتداد التاريخ و لا يمكن إلّا لصدره الرحب أن يسع كلّ هذه الهموم و الأحزان. و قد أدرك محمّد أنّ اللوعة الّتي أصابت صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف أشدّ وقعًا على قلبه الشريف من لوعته بمصاب أبيه. و مع أنّ الكثيرين جاؤوا يعزّون محمّدًا بأبيه، لكن لم يكن لأيٍّ منهم ذلك التأثير الّذي أحدثه هذا التوقيع في مواساته و التخفيف من أليم مصابه.

و الآن أصبح أبو جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد السفير و النائب الثاني للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و قد كان هذا توفيقًا إلهيًّا قد خصّه الله تعالى به من بين الكثير من الأخيار و الأبرار؛ إذ كان من أكثر الناس ورعًا و أتقاهم و أحرصهم في كتمان الأسرار و التزام التقيّة و الصدق و التواضع. و قد رأى بعض الشيعة كتاب تنصيب محمّد، و من بينهم الحميريّ الّذي وجده بالخطّ ذاته الّذي يعرفه عن الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فهو قد أمضى قرابة خمس سنوات إلى جوار النائب الأوّل، وكان يُكاتب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يقرأ توقيعاته. و لذلك فقد أعدّ الحميريّ نفسه لخدمة النائب الجديد محمّد بن عثمان، و سدّ بذلك الفراغ الّذي أحدثه غياب أحمد بن إسحاق إذ سبق له أن توفّي قبل ذلك بعامين. و منذ ذلك الحين أخذ الشيعة يحمّلونه رسائلهم، ليحصلوا على الأجوبة بواسطته من الناحية المقدّسة للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. وكانت الإجابات تخرج بالخطّ ذاته الّذي كانت تخرج به في أجوبة الرقاع الّتي يحملها والده النائب الأوّل أبو عمرو.

بُردةٌ من الجنّة

هو غائبٌ و لكنه ليس بغافل، بل قريبٌ من قلبك، و هو أرأف من الأب العطوف و يهتمّ بك من قبل ولادتك إلى...

يريد الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف اليوم أن يرسل هديّةً إلى أحد شيعته المخلصين، لا صاحبها كان يتوقّع أن يُتحَف بهذه الهديّة، و لا الآخرون كانوا يتصوّرون أن يتشرّف أحدٌ ما بالحصول عليها!

منذ أن تولّى أبو جعفر محمّد بن عثمان مسؤوليّته بوصفه النائب الثاني للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، زاد تبجيل جعفر ـ حفيد متيل القمّي ـ له و باتت نظراته إليه حافلةً بالتقدير و الاحترام، فقد كان يُعدّه أبًا روحيًّا له، و كان محمّد بن عثمان بالنسبة إليه «أبو» جعفر حقًّا، إذ تطابقت كنيته مع الارتباط الروحيّ بينهما. و كان جعفر يسير على خطى أبيه الروحيّ و يتبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه، فكان يستفيد من علمه و حكمته و ينهل من أخلاقه الحسنة، و كان على أُهبة الاستعداد لخدمته و امتثال أوامره. و كان محمّد بن عثمان قد ألقى عدّة مرّات على عاتق جعفر مسؤوليّات كبيرة، فكان الأخير يقوم بها على أحسن وجه، و بذلك فقد زادت ثقة محمّد به. و كأنّ جعفر كان يعدّ نفسه لتحمّل مهامّ أكبر. و في أحد الأيّام طلبه أبو جعفرٍ في مَهمّة، فسارع جعفر لتلبية النداء و هو يفكّر طوال الطريق بطبيعة هذه المَهمّة الّتي سيوكلها إليه هذه المرّة. و عند مثوله بين يدَي النائب الثاني أبي جعفرٍ، و كانت قد تملّكته الحماسة لخدمة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و نائبه، أخرج له أبو جعفر ثويباتٍ معلّمة و صُرّة فيها دراهم! و أمَره بالذهاب إلى مدينة واسط الّتي تقع في جنوب شرق بغداد على امتداد نهر دجلة، إذ قال له: يحتاج أنْ تصير بنفسك إلى واسط في هذا الوقت، و تدفع ما دفعتُ إليك إلى أوّل رجلٍ يلقاك عند صعودك من المركب إلى الشطّ بواسط!

و كان جعفر يكنّ في قلبه محبّة خاصّة لأبي جعفر، و لذا لبّى طلبه، لكن مع ذلك فقد داخله غمٌّ فيه شيء من عدم الرضا، و كان يقول في نفسه: مثلي يُرسل في هذا الأمر، و يحمل هذا الشيء القليل؟ يبدو أنّ أبا جعفرٍ لا يُقيم لي وزنًا، و يراني على هذا المستوى من المَهام الّتي هي من سَقطِ المتاع! كانت هذه الهواجس تتكرّر في باله و تجعله أكثر كآبة.

على أيّ حال، طوى جعفر طريق السفر لأداء المَهمّة على أكمل وجه، ففي النهاية إنّ هذا الأمر صادرٌ عن نائب الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و لمّا بلغ المُلتقى، سأل أوّل رجلٍ التقى به عن الحسن بن محمّد بن قطاة الصيدلانيّ وكيل الوقف بواسط. فقال له في غاية الاستغراب: أنا الصيدلانيّ! فتعجّب جعفر من أن يكون أوّل شخصٍ يلقاه هو نفسه وكيل الوقف في مدينة واسط! أمّا الصيدلانيّ فظنّ أنّ بينهما معرفة سابقة فطلب إلى جعفر أن يعرّف بنفسه، و عندما أخبره جعفر بأنّه ابن محمّد بن متيل، عرفه الصيدلانيّ و رحّب به بحرارة و تعانقا. وجد جعفر الظروف ملائمة فقال له: إنّ أبا جعفر محمّد بن عثمان يقرأ عليك السلام، و دفع إليّ هذه الثويبات و هذه الصرّة لأدفعها إليك. في الظاهر لم يقل جعفر شيئًا مهمًّا، لكنّ

الصيدلانيّ تعجّب جدًّا و بانت ملامح الصدمة على وجهه، إذ رأى أمامه ما كان يبحث عنه تمامًا؛ فقال بحالٍ منقلب: الحمد لله، فإنّ صاحبي محمّد بن عبد الله الحائريّ قد مات، و قد خرجت لأصلح كفنه؛ فحلّ الثياب فإذا هي ما يحتاج إليه من حبرٍ و ثيابٍ و كافور، و في الصُّرة كِرى الحمّالين و الحفّار. احمرَّ وجه جعفرٍ خجلًا بعد أن أدرك أهمّيّة هذه المَهمّة الحسّاسة. بعد ذلك قام هو و الصيدلانيّ بتشييع أخيهما في الدين، و بقيا متلازمين إلى حين الفراغ من مواراته في الثرى. لقد كان الشيعة في تلك المرحلة يعيشون حالةً من الضِيق و الفقر المُدقِع بسبب جَور الحكّام؛ بحيث كانوا يقعون في حيرةٍ من أمرهم ـ أحيانًا ـ في إعداد أدنى متطلّبات الحياة. و إنّ غَيبة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف لم تكن تعني الغفلة عن أوضاع الشيعة و الجهل بها، بل إنّه الأحنّ عليهم من الأب العطوف، إذ كان يتفقّد أحوال شيعته و محبّيه في مختلف الأصقاع و المدن، و يراقبهم و يهتمّ بهم و يسعى في قضاء حوائجهم، و لذلك فقد أمر نائبه الثاني أن يُرسل إلى أحد الشيعة ـ الّذي كان يعيش في مدينة تبعد مئات الفراسخ ـ كفنًا و نفقة تجهيزه و دفنه. فمع أنّ هذه الدنيا فانية و لا قيمة لها إلّا أنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يرضى أن يخرج محبّوه منها إلّا بعزّةٍ و كرامة، فهو لا ينسى وفاءهم و لا يترك أيديهم أبدًا. فطوبى لهذا الشيعيّ الّذي عاش في الدنيا فقيرًا، لكنّه لم يتخلّ عن عقيدته قطّ، و ها هو الآن يُكفّن بثوبٍ أرسله إليه إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و هذا شرفٌ يتمنّاه الكثيرون من أثرياء العالم و لو كلّفهم أن يفتدوا بملء الأرض ذهبًا من أجل الحصول على مثله. و ها هو الرجل قد توسّد قبره و استقرّ في رمسه بهذا الثوب الأخرويّ الّذي أهداه إليه إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و هل يحتاج منكر و نكير إلى وثيقةٍ و مستندٍ أقوى من هذا في الدلالة على إخلاص هذا العبد الصالح لله عزّ وجل؟! لقد كان هذا الثوب المعطّر برائحة يوسف هذه الأمّة أحبّ إليه من أيّ ثوبٍ آخر و إن كان من ثياب الجنّة. لقد تحمّل ضيق العيش في الحياة الدنيا بأيّامها القليلة، ليصبح من أغنى أصحاب الجنّة. أجل، إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يعلم كيف يهتمّ بمُطيعيه.

و بعد انتهاء مراسم الدفن، ودّع جعفرٌ الصيدلانيّ عائدًا إلى دياره، و قد ازداد تعلّقًا بالنائب الثاني أبي جعفر و تعظيمًا له، و إنّ الأرض لم تَسع جعفرًا من شدّة السرور، فكان يحمد الله و يُثني عليه إذ على يدَيه تحقّقت إحدى مَهام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و لعلّه لو لم يدُس بقدميه على غروره لما نال مثل هذا التوفيق!

إنّه ينتقي من الرُّطَب أكثرها حلاوة و أشدّها إيناعًا، و من العسل أجوده، فهو يعلم أيّ نحلة تتغذّى من الرحيق الأجود و تحمل في جوفها العسل الأصفى و الأحلى، و تصنع الشهد الأطيب.

لقد كان الشيعة يثقون بالنائب الثاني أبي جعفر محمّد بن عثمان، كثقتهم بأعيُنهم. فقد سبق لهم أن رأوا منه العجائب و الكرامات، و قد أيقنوا بأنّ منشأ هذه الكرامات لا يمكن أن يكون له من سرٍّ سوى ارتباطه بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و قد كان لمحمّد بن عليّ الأسود الكثير من الذكريات عن أبي جعفر، و قد لمس مكارم أخلاقه و عظيم كراماته من خلال تردّده إليه و محادثته. فقد كان محمّد وكيلًا على موقوفات صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كان معروفًا بين الشيعة في المدن المجاورة، فكان كلّ من له نذر أو حاجة أو من يريد أن يقف شيئًا على الناحية المقدّسة، يقصده و يطلب إليه إيصال أمانته إلى محمّد بن عثمان. و ذات مرّة بعد أن كثُرت النذورات و الأمانات من ثيابٍ و أقمشةٍ عند محمّد بن عليّ، تعيّن عليه أن يعدّ العدّة للسفر حتّى يوصل الأمانات إلى صاحبها. و بينما كان على وَشْك السفر إلى بغداد و إذا بامرأةٍ قد أقبلت نحوه و هي تحمل ثوبًا، وكان مرادها واضحًا وكان يبدو عليها أنّها صاحبة حاجة، و قد نذرت ثوبًا لصاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فقالت له: احمل هذا الثوب إلى محمّد بن عثمان العَمريّ؛ فأخذه منها و وضعه في حمله، و أعطاها وعدًا بإيصاله إليه. و بهذا الوعد الوثيق الّذي قطعه، شعرت هذه المرأة المؤمنة كأنّها سلّمت الثوب مباشرةً إلى يد الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه. لكن لا أحد مطّلعٌ على قلبها الواله كاطّلاع الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لا أحد غيره الضامن وصول الثوب إلى يده المباركة.

ثمّ انطلق محمّد إلى بغداد حيث وافى هناك النائب الثاني أبا جعفر، الّذي أمره بتسليم كلّ ما عنده إلى محمّد بن العبّاس القمّيّ. فأخذ وكيل الوقف يبحث عن صاحبه القمّيّ، و عندما التقى به سلّمه الأمانات كلّها. و لمّا كان عائدًا إلى مدينته، اعترض طريقه رسولٌ من قِبَل النائب الثاني محمّد بن عثمان، و قال له: سلّم ثوب المرأة أيضًا إلى محمّد بن العبّاس القمّيّ! لم يلتفت وكيل الوقف بادئ الأمر إلى معنى كلام الرسول و ما الّذي يقصده من ثوب المرأة، و من هي المرأة الّتي يتحدّث عنها؟! و ظلّ على هذه الحالة من الاستفهام و الاستغراب لبضع لحظاتٍ حتّى تذكّر أمر تلك المرأة الّتي أعطته الثوب قبل انطلاقه في

السفر. فهو عندما كان يجهّز أغراض سفره جعل ثوب تلك المرأة في مكانٍ منعزل و لذا نسي أمره. فسارع ليأتي به لكنّه لم يجده؛ إذ نسيَ أين وضعه، ثمّ بحث ثانيةً لكن من دون جدوى! و كلّما جدّ في البحث ازداد قلقه. قلبُ تلك المرأة الطاهر و الوعد الوثيق الّذي قطعه لها جعلا محمّد بن عليّ يذوب خجلًا، و لم يجد حيلة إلّا بالذهاب إلى النائب الثاني. و فعلًا ذهب إليه و شرح له القضيّة. و كان محمّد بن عثمان يستمع إليه بهدوء و انتظره حتّى يكمل كلامه ثمّ قال له بكلّ اطمئنانٍ: لا تقلق، ابحث عنه مرّةً أخرى فإنّك ستجده. و كأنّ النائب الثاني كان يعلم أمورًا! و مع أنّ الأمل لدى محمّد بن عليّ كان ضعيفًا بل يكاد يكون منعدمًا، لكنّه من شدّة احترامه لأبي جعفر و لكلامه، قرّر أن يبحث من جديد و إن لم يكن يحتمل العثور عليه؛ لأنّه كان يعلم أنّ أبا جعفر لا ينطق من غير حكمة، و بالفعل بحث في كلّ شبرٍ من موضع إقامته، و أفرغ كلّ ما في حمله و هميانه و بعثر جميع أدواته إلى أن وجده أخيرًا، فزال اضطرابه و رفع يديه إلى السماء يلهج بالدعاء للنائب الثاني و بالحمد لله سبحانه، ثمّ سلّم الثوب إلى محمّد بن العبّاس.

كان محمّد بن عليّ يقصّ مرارًا و تكرارًا هذه القضيّة على أصحابه، و يقول متعجّبًا: لم يكُن مع أبي جعفر محمّد بن عثمان العمريّ نسخةٌ أو قائمةٌ بما أحمل إليه من الأموال، و مع ذلك فإنّه كان يعلم حتّى بالثوب الّذي أعطتنيه تلك المرأة. بَيد أنّ محمّد بن عليّ الأسود لم يكن هو الوحيد الّذي رأى هذه الكرامات و العجائب من محمّد بن عثمان، فقد كانت هناك قضيّة أخرى قد حصلت مع رجل عراقيّ كان قد أرسل ما عليه من الحقوق الشرعيّة إلى النائب الثاني أبي جعفر. فصدر الأمر من الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى محمّد بن عثمان أن أرجع الأموال إلى الرجل، و قُل له: أخرج حقّ وُلد عمّك منها، و هي أربعمئة درهم! فبحث محمّد بن عثمان بجميع الطرق و بشتى الوسائل الممكنة عن ذلك الرجل العراقيّ حتّى عثر عليه و أرجع إليه المال؛ فبقيَ الرجل مبهوتًا متعجّبًا، لا يعلم أين تكمُن المشكلة، فقد سبق له أن نظر في حساب ماله و قام بتسجيله في موضع. ثمّ أعاد الحساب لعلّه قد نسيَ شيئًا أو أسقطه سهوًا؛ فأخذ يدقّق جيّدًا فيما كان بينه و بين وُلد عمّه من معاملات، فجأةً تذكّر أنّ في يده ضيعةً لهم، و كان قد ردّ عليهم بعضها و زوى عنهم بعضها الآخر، و لمّا أعاد الحساب الخاصّ بهذا البعض الّذي زواه عنهم، وجد أنّ الّذي بقيَ لهم من ذلك المال هو بالضبط أربعمئة درهم، كما قال الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فأخرج سهم وُلد عمّه من الحقوق، و أعطى أبا جعفر الباقي، فقبله منه. ثمّ عاد بعدها إلى بلدته راسخ العقيدة و الإيمان. و كان الشيعة

يسمعون من حينٍ إلى آخر بكرامةٍ تظهر على يد النائب الثاني أبي جعفر محمّد بن عثمان، و يتّضح لهم أكثر فأكثر أنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أعلم حيث يضع سفارته و من يختار نائبًا و ممثّلًا له بين المؤمنين. فيعيّن أكثرهم إيمانًا و إخلاصًا و تقوى، و يودِع فيهم هذه الخصائص الواضحة و العلامات اللاحبة كي يرجع إليهم الشيعة عن يقينٍ كاملٍ بمصداقيّتهم، و يتّضح لهم الفرق الكبير بين النائب الحقيقيّ و من هو منتحلٌ صفة النيابة كذبًا و افتراء!

الحرقة الّتي تجدّد!

عانت السيّدات الثلاث حديثة و حكيمة و نرجس (عليهنّ السلام) في هذه السنين آلامًا و محنًا كثيرة، و تحمّلن الأذى الّذي لحق بهنّ من زبانية الحكم. و كانت تجاعيد وجوههنّ تحكي قصّة سنواتٍ من المصائب و المعاناة الّتي تعرّضن لها. و قد رأى الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف كلّ تلك الأحداث القاسية و كان ذلك يؤلمه بشدّة. ابتداءً من سَجن السيّدة نرجس عليها السلام لشكوك الظالمين بأنّها قد تكون والدة القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أخذ الجدّة إلى المحاكم، وصولًا إلى المراقبات المشدّدة و التضييقات على العمّة، فضلًا عن الأذى الّذي كان يسبّبه جعفر لهنّ، و ما مارسه أصحاب النفوذ و السلطة من الضغوط و التهديدات الّتي كنّ يتعرّضن لها.

لم يدُم بقاء الجدّة في هذه الدنيا - بعد رحيل زوجها و نجلها عليهما السلام - لأكثر من عقدٍ من الزمن. فقد أخذت أمارات المرض تظهر عليها شيئًا فشيئًا، حتّى بدت كأنّها تعلم بدنو أجلها، فأظهرت رغبتها بأن تُدفن في مدينة سامراء إلى جوار قبر أحبّتها: الإمام الهادي، و الإمام الحسن العسكريّ عليهما السلام، و أكّدت على ذلك في وصيّتها. خيّم الحزن على أسرتها، ابتداءً من زوجة نجلها السيّدة نرجس - و هي تفقد أفضل أمّ زوج في العالم - إلى السيّدة حكيمة الّتي كانت أحنّ عليها من أختها. باستثناء جعفر الّذي كان في غاية الجفاء، و كأنّ الّتي تحتضر ليست أمّه! و يا ليته لم يبالِ فحسب، بل بعد وفاة السيّدة حديثة عليها السلام و عندما أراد المشيّعون دفنها في بيتها إلى جانب زوجها و ابنها، تدخّل جعفر من جديد، و كرّر ادّعاءاته الباطلة. فلم يراعِ حرمة الأم، متناسيًا أنّه لم يُعِنه و ينقذه في السنوات الأخيرة من الفقر المدقع غير عطف أمّه عليه. فكان يتظاهر بالصمم، و هو يقول: إنّ هذا بيتي، و لا يحقّ لأحدٍ أن يدفن السيّدة حديثة عليها السلام في هذا البيت! لكن ما لم يكن في حُسبانه أنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف سوف يتدخّل هذه المرّة أيضًا، كما فعل في المرّات السابقة، لإلقاء الحجّة على عمّه، و إكرامًا لجدّته الطاهرة عليها السلام، فدخل البيت و واجه جعفر بقوله: «يا جَعفَرُ أدارُك هي؟!». فوجئ

الجميع، و تسمّروا في أماكنهم، و كأنّ على رؤوسهم الطير! و مضت لحظات قبل أن يستردّوا أنفاسهم. و عندما استعادوا وَعيهم أخذوا ينظرون حولهم، فلم يجدوا أثرًا للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. لم يدرك أحدٌ ما فعلَته هذه الكلمات الموجزة بجعفر، فما كان منه إلّا أنْ صمتَ و كفّ عن النزاع و الجدال، وكأنّه لم يكن يتبختر قبل لحظات!

ثمّ مات جعفر بعد ذلك بمدّة وجيزة في عام ٢٧١ للهجرة. و في حينها لم يكن له من العمر سوى خمس و أربعين سنة. و هذا ليس بمستغرب، إذ إنّ قطع صلة الأرحام تُقصّر في الأعمار و الآجال. و بئس ما قدّمت يداه إذ جمع في وجوده حُزمةً من الأمثال القرآنيّة؛ فقد كان بمنزلة ابن نوح بالنسبة إلى أبيه الهادي عليه السلام، و بالنسبة إلى أخيه المعصوم عليه السلام بمنزلة قابيل، وكان كأبي لهب بالنسبة إلى ابن أخيه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و خلافًا لِما كان عليه جعفر من الشحّ و الأنانيّة فقد عمد أهل البيت إلى دفنه بجوار أفراد الأسرة فضلًا و كرمًا. بَيد أنّ الحادثة الّتي أحزنت الإمام المهديّ الشاب عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد وقعت بعد ذلك بثلاثة أعوام، و ذلك عندما تجدّد حزنه بوفاة السيّدة حكيمة عليها السلام، فراح يبكيها بكاء المفجوع، و على لحدها ينثر الدمع المسفوح. لقد غاب بفقدها ملامح الجواد التقيّ عليه السلام، و خُلق الهادي النقيّ عليه السلام، و صبر الزكيّ العسكريّ عليه السلام، و زادت بذلك غُربة ابن أخيها المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف...

عمليّات فاشلة



إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي هو في ريعان شبابه، لم يكن يستقرّ في مكانٍ واحد بسبب الظروف الأمنيّة الصعبة. فتارةً يكون في مكّة المكرّمة و المدينة المنوّرة، و تارةً في بغداد، و أخرى في سامرّاء. إذ إنّ إقامته في مكانٍ واحدٍ قد تتسبّب في اكتشاف تواصله مع خُلّص أصحابه. و لكن هذه المرّة كان الأمر مختلفًا. و كأنّه يريد أن يلقّن أصحاب السلطة درسًا إلهيًّا. و لذلك فقد توجّه تلقاء مسقط رأسه، و زار والده و جدّه و جدّته و عمّته عليهم السلام الّذين قضوا نحوبهم، دون أن يبالغ في التخفّي بحيث لا يراه أحد.

أمّا من ناحية السلطة، فبعد أن تمكّن المعتمد العبّاسيّ من القضاء على تمرّد يعقوب الصفّار سنة ٢٦٥ للهجرة، أخذ يواجه خروج الزنكيّة بقوّة و تركيز أكبر. و في نهاية المطاف أخذ قراره سنة ٢٧٠ للهجرة بالهجوم الشامل عليهم بقيادة الموفّق شخصيًّا، شقيق المعتمد العبّاسيّ. فأُخمِدت بذلك الأصوات المخالفة، و عاد الاقتدار ثانيةً إلى الدولة العبّاسيّة. و قام المعتمد في أواخر حكمه بإعادة عاصمته من سامرّاء إلى بغداد. فصارت بغداد مركزًا للحكومة مع كونها مركزًا لحضور وكلاء إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و نوّابه. و هذا يعني اجتماع النار و الحطب في موضعٍ واحد!

و بعد موت المعتمد سنة ٢٧٩ للهجرة بايع العبّاسيّون المعتضد، نجل أخيه الموفّق، لأنّ الأخير كان يتولّى إدارة جميع الأمور، و عاد الهدوء النسبيّ إلى العاصمة. فعادت حليمة الحكّام إلى عادتها القديمة، و استأنفوا البحث الدقيق عن نجل الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام. و هم الآن يبحثون عن فتى لا يتجاوز عمره الخامسة و العشرين سنة. و تنفيذًا لهذه المهمّة فقد زادوا من عدد الجواسيس المحيطين بأطراف بيت الإمام عليه السلام، و كانوا يُكثرون من مداهمته و تفتيشه. و كانت التقارير الّتي أرسلها العسس و الجواسيس، تُفيد بأنّ البيت لم يكن خاليًا من السكّان. كما كانت تصل أخبارٌ من هنا و هناك تفيد بأنّ الشيعة يتبادلون بعض الأموال بينهم، حتّى يوصلوها إلى شخصٍ معيّن. و تتبُّع هذه الأخبار بيّن أنّهم يذكرون ذلك الشخص باسم «صاحب الدار» أو «صاحب الأمر» أو «الغريم» أو «الرجل»، و بعد أن سمع المعتضد التقارير، خلص إلى نتيجة مفادها أنّ نجل الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام يعيش في ذلك البيت مع خادم له.

و كان للخليفة غلام اسمه رشيق، و هو الآن من قادة حربه الأشاوس، و قد أبدى شجاعةً و مقدرةً كبيرتين في الحرب ضدّ الزنكيّة، و أصبح العضد الأيمن للمعتضد العبّاسيّ. و في أحد الأيّام استدعاه الخليفة مع شخصين آخرين، و جهّز كلّ واحدٍ منهم بفرس و أمرهم بالانطلاق معًا إلى سامرّاء على جناح السرعة، و أن لا يصحبوا معهم أحدًا، و لا يأخذوا معهم حملًا زائدًا، ليصلوا في أقرب وقت ممكن إلى سامرّاء، و بعدها إلى محلّة العسكر. و قد زوّدهم المعتضد العبّاسيّ بالعنوان الدقيق الّذي يقع فيه زقاق الإمام عليه السلام و بيته، ثمّ قال لهم: عندما تصلون إلى البيت ستجدون على بابه غلامًا أسود. اقتحموا البيت عنوة، و اقتلوا كلّ رجل تجدونه هناك، ثمّ ائتوني برأسه. سارع هؤلاء الثلاثة إلى تنفيذ ما أمرهم به الخليفة،

فقطعوا المسافة ما بين بغداد و سامرّاء في أقصر وقت ممكن، و عثروا على البيت المنشود. و في الدهليز ظفروا بخادم أسود البشرة و كان منشغلًا بالحياكة، فسألوه عن الدار و من فيها، فلم يكترث بهم و أجابهم بكلمةٍ واحدةٍ مختصرةٍ دون أن يلتفت إليهم أو يتوقّف عن العمل: «صاحبها!»؛ و عندما أرادوا اقتحام البيت عنوة، لم يجدوا من الخادم أيّ ردّة فعل فهو لم يُكلّف نفسه حتّى عناء النظر إليهم. ربما لأنّه كان على يقين من أنّ صاحب البيت ﷺ لم يكن من تلك الأغصان الّتي يهزّها الريح، و أنّ الله سبحانه و تعالى هو الّذي يتكفّل بحفظه و رعايته.

عندما دخلوا باحة البيت كانت هيبة الدار و عظمتها أوّل ما خطف أبصارهم. ثمّ بدأوا البحث، و كانوا كلّما اقتربوا من السرداب أصبح الجوّ أكثر برودة و نقاءً. و في أثناء بحثهم وجدوا حجرةً ترتبط بالسرداب عبر ممرٍّ ضيّقٍ و منحدر. و يبدو أنّها دار سرّيّة، فقد كان مسدَلًا على بابها ستارٌ لم يروا قطّ أنبل منه، و كان مظهره يوحي بأنّه لم تَمَسّه يد شخصٍ بعد، و أنّه ليس في الدار أحد. ففكّروا في العودة لكنّ الفضول دعاهم إلى رفع الستار، فكانت المفاجأة، إذ رأوا كأنّ بحرًا فيها! و كان سطح الماء أدنى من السقف بمسافة مترين تقريبًا، و قد امتدّ الغمر إلى بعض أجزاء المجاز أيضًا. و لكي يطمئنّوا إلى خُلوّ الدار و أنّهم قد أنجزوا المهمّة الملقاة على عواتقهم على النحو الأتمّ، فقد مدّوا رؤوسهم من جهة الممرّ، و نظروا إلى داخل الحجرة. و على عكس ما كانوا يتوقّعون، فقد وجدوا في أقصاها ما كانوا يبحثون عنه، و لكن بصورةٍ لم تكن لتخطر على بالهم أبدًا، إنّه لعَجَبٌ عُجاب! لقد رأوا حصيرةً مفروشةً على سطح الماء، و عليها رجلٌ قائمٌ يصلّي. نظر بعضهم إلى بعضٍ بدهشةٍ و حيرة، أَهو وهمٌ أم حقٌّ مبين؟! ثمّ أعادوا النظر إلى داخل السرداب ثانيةً. فتيقّنوا أنّ ما رأوه هو عَين الحقيقة و الواقع. و كان الرجل من أحسن الناس هيئةً، و جماله يخطف القلوب و الأبصار، فانجذبوا إليه، أمّا هو فلم يلتفت إليهم و لا إلى ضجيجهم.

أراد أحمد و هو أحد هؤلاء الثلاثة، أن يحوز قصب السبق في الوصول إلى موضع الإمام ﷺ، فتقدّم واثقًا بنفسه، لكنّه ما إن وضع قدمَيه في الماء، و لم يكن قد شرع في السباحة بعد، حتّى غرق فجأةً في الماء، فاستولى عليه فزعٌ عظيم، و أخذ يصارع الماء بكلّ ما أوتي من قوّة، و كلّما حاول إخراج رأسه ليتنفّس، عاد إلى القعر مُجدّدًا، فكان عاجزًا حتّى عن طلب النجدة! و عندما رأى رشيق أنّ أحمد على وشك الموت غرقًا، ناداه بهلعٍ و أسرع

بمدّ يده إليه لإنقاذه، ثمّ أمسك به و أخرجه. فتمدّد أحمد على الأرض متأثّرًا بكمّ الماء الّذي دخل إلى جوفه، و هو لا يستطيع التحرّك و لا حتّى جمع أنفاسه، وكأنّ تلك الثواني القليلة من بقائه تحت الماء كانت كفيلة باستهلاك طاقته. و قد تصوّر رفيقهما أنّ ما حلّ بأحمد ما هو إلّا بسبب اضطرابه و شدّة خوفه. فأراد هو الآخر أن يجرّب حظّه، فتقدّم و هو يعلم أنّ الماء قد يبتلعه فأخذ جانب الحذر. و لكنّ هذا لم يُجدِ نفعًا، إذ ما لبث أن اقترب حتّى أصابه مثل الّذي حلّ بأحمد؛ فسارع رشيق إلى استنقاذه هو الآخر وكان في الرمق الأخير. فاستولى على الثلاثة فزعٌ شديد، وكانت ثيابهم قد تبلّلت بشدّةٍ حتّى إنّ كلّ غرزة فيها تقطر ماء؛ فأخذوا يضربون الأرض بأرجلهم، و ينفضون أيديهم و يعصرون أطراف أرديتهم، فصار الماء يسقط عنهم كما سقطت سمعتهم، و مع أنّ في جعبة رشيق الكثير من تجارب الحروب السابقة، لكنّه لم يشهد مثل الخوف و الفزع اللذَين يعيشهما اليوم. فمن جهةٍ هالَه منظر الرجل الّذي يصلّي قائمًا على حصيرة عائمة فوق الماء، و من جهةٍ أخرى أذعره عدم تمكُّن هؤلاء الصناديد حتّى من العَوْم في مثل هذا الماء القليل. و بما أنّ رشيقًا كان أعقل من رفيقَيه، فقد انحنى برأسه، و قال للرجل المصلّي: «المعذرة إلى الله و إليك، فو الله ما علمت كيف الخبر و لا إلى من أجيء، و أنا تائبٌ إلى الله!». بَيد أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ظلّ مستمرًّا في صلاته، و لم يلتفت إلى شيء ممّا قالوا. و بذلك أفهمهم أنّ إرادة الله قامت على حفظه، و أنّهم لا يستطيعون فعل شيء حيال هذه الإرادة الإلهيّة. و ليس بعجيبٍ أن يتمنّى النّبيّ عيسى عليه السلام - الّذي كان يمشي على وجه الماء - الائتمام في صلاته بالّذي يصلّي على الماء!

و بعد أن استولى الهول على هؤلاء الثلاثة بسبب ما رأوه بأمّهات أعينهم، انصرفوا يائسين من امتثال أمر السلطان، و أسرعوا في العودة من سامرّاء إلى بغداد. و قضوا طريقهم يتباحثون في الجواب الّذي سيقدّمونه إلى المعتضد العبّاسيّ الّذي كان قد أمر حرّاس القصر بأن يسمحوا لهم بالدخول عليه في أيّ وقتٍ كان و أن يفسحوا الطريق لهم فور عودتهم. و مضى شطرٌ من الليل و لا يزال الخليفة ينتظرهم على أحرّ من الجمر، و هو مزهوٌّ بقدرته و في سكرته يَعْمَه، يأمل عودتهم بالرأس مقطوعًا، و لكنّ الثلاثة وصلوا خالي الوفاض، و اتّجهوا مباشرةً إلى المعتضد العبّاسيّ و شرحوا له حقيقة الأمر كما رأوه. فتنغّصت على الخليفة ليلة قصفه و مجونه، و خرج من حالة الاسترخاء و بدأ يصبّ اللعنات و الشتائم عليهم، فتعيّن عليهم بعد كلّ البلاء الّذي حلّ بهم، سماع هذه اللعنات و الشتائم بأفواه مغلقة. وكانت أوداج الخليفة منتفخة و حدقتاه توشكان على الخروج من محجريهما من شدّة

الغضب، فكان رشيق المضطرب يسعى جاهدًا للحفاظ على يقظة حواسه، كي لا يتفوّه بشيء يثير غضب الخليفة أكثر. و بعد أن أفاق المعتضد من سكرته و ثاب إلى رشده، أخذ يفكّر في عواقب هذه الحادثة. و عندما أدرك أنّ هذه الواقعة لن تجلب له سوى الفضيحة؛ سألهم: ويحكم، لقيكم أحد قبلي و جرى منكم إلى أحدٍ سبب أو قول؟ فأجاب الثلاثة بالنفي القاطع. فأخذ عليهم المعتضد عهودًا و أيمانًا مغلّظة أن لا يُظهروا هذا الأمر لأحد. ثمّ هدّدهم قائلًا: إن بلغ هذا الخبر أحدًا غيركم فلست ابن أبي إن لم أضرب أعناقكم! و لذلك فما جسر أحدٌ منهم أن يُحدّث بهذا الأمر إلّا بعد هلاك المعتضد.

و منذ ذلك اليوم استحوذ الانشغال و التفكير على ذهن الخليفة العبّاسيّ. و مع أنّ نفسه استيقنت بكلّ تلك العلامات، إلّا أنّه جحد بها. و بدلًا من أن ينصرف عن نيّته الخبيثة، زاد إصراره على محاولة اغتيال الإمام ، و أرسل هذه المرّة عددًا أكبر من قوّاته لمحاصرة البيت و قتل الإمام مهما كلّف الثمن. فتوجّه قائدٌ على رأس عدد من الجنود إلى ذلك البيت نفسه، و عندما دخلوه سمعوا من السرداب صوت الإمام المهديّ و هو يقرأ القرآن. فأمر القائد جنده بمحاصرة البيت سريعًا، بحيث لا يبقى مَنفذٌ صالح للهروب منه، لا من الأرض و لا من فوق السطح. و بينما كان القائد ينتظر اكتمال وصول الجنود، نهض الإمام المهديّ من مكانه و خرج على مرأى من الجميع و هو بكامل هدوئه و سكينته، و مرّ من أمام القائد، فظنّ الجنود أنّ قائدهم سوف يُصدر الأمر لهم بإلقاء القبض عليه، و لكنّه لم يفعل. و بعد أن خرج الإمام من حلقة الحصار و غاب عن الأنظار، أمر القائد جنوده أن ينزلوا إلى السرداب و يلقوا القبض على الإمام هناك! فقالوا له: لقد مرّ الآن من أمامك و لم تفعل شيئًا! فردّ أنّه لم يره، ثمّ زجرهم قائلًا: و لِمَ تركتموه؟ فأجابوه: إنّا حسبنا أنّك تراه! ثمّ أخذوا يبحثون عنه في كلّ مكان، و لكنّهم لم يعثروا له على أثر؛ فأيقنوا مرّةً أخرى أنّ هناك قوّة غيبيّة تتولّى حفظ الإمام المنتظر، و لكنّهم مع ذلك استكبروا و أسدلوا ستار الغشاوة على أعينهم!

أفجع مصيبة

كان الإمام المهديّ يعاين تقدُّم عُمر والدته الكريمة وكيف أنّ الشَّيب يغزو رأسها الشريف على الرغم من عدم تقدُّمها في العمر. وكيف لا يأخذ منها الهمّ مأخذًا بعد ما عاينته من ظلم الطغاة و جورهم! فهي الّتي غادرت وطنها و جاءت إلى سامرّاء في هوى

الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، قد فقدت زوجها و روحها العسكريّ عليه السلام بمؤامرةٍ من السلطة الحاكمة، ثمّ تعرّضت للاعتقال و غيرها من المصائب لشكوك الظالمين بأنّها قد تكون والدة القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف. لكنّ كلّ ذلك كان يهون عليها بنظرةٍ واحدةٍ إلى ابنها و ثمرة وجودها و الذكرى الباقية من زوجها، إذ إنّ أملها الآن معقودٌ عليه وحده، لكنّها لا تستطيع رؤيته و احتضانه علنًا. صحيحٌ أنّ الإمام العسكريّ عليه السلام كان قد وعدها أنّها سترى ابنها كما رأت أمُّ موسى ثمرة فؤادها، لكنّها كانت ترغب في أن يبقى إلى جانبها دائمًا، تقتات من جمال وجهه و ترتوي من عذب صوته. لكن سرعان ما غدر الزمان و فرّق بين الأمّ و ولدها، و ها هو الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الآن يذوق في وداع أمّه الحنون لوعةً أحرّ و أشدّ إيلامًا من أيّ مصيبة مضت، ففقد الأمّ أعمق جرحًا من المصائب كلّها. تلك الأمّ الّتي لم يكن أحدٌ من أهلها إلى جانبها لحظة وفاتها، لكنّ الله عوّضها عن ذلك بأن وهبها ابنًا، لا يساوي العالمُ كلُّه مقدارَ شعرةٍ واحدةٍ من شعره، و إنّ كلّ لحظة أمضتها السيّدة نرجس عليها السلام إلى جانب ابنها المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، كانت بالنسبة إليها أهنأ من الخلود في الجنّة. فإنّ السيّدة الّتي لم تستجب إلّا لرسالة إمام زمانها و لم ترضَ بأيّ ثمنٍ دون خدمته، الآن قد تسلّمت رسالة الله المبشّرة: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾.

لم تغب عن بال الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف التضحيات و العطاءات الّتي قدّمتها أمّه عليها السلام، و كيف صرفت كلّ لحظةٍ من لحظات عمرها للمحافظة على إيمان الشيعة و ولائهم. و كذا كان عجّل الله تعالى فرجه الشريف يتذكّر المحبّة الصادقة الّتي كانت أمّه عليها السلام تفيض بها عليه، فيبكي لمُصابها، و يدعو الله عزّ و جلّ أن يجعلها في أعلى درجات القرب الإلهيّ، و كانت هذه الدعوات أعظم أجرٍ يقدّمه لها مقابل خدماتها و تضحياتها من أجل الدين و المذهب. فهنيئًا لها دعوات أحبّ الخلق إلى الله تعالى. و كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرى أنّها جديرة بكلّ أنواع التكريم و التعظيم، لكنّ حسرته أنّه لم يكن قادرًا على المشاركة علنًا في تشييعها و دفنها. صحيحٌ أنّه غير مأذونٍ له بإظهار نفسه للعموم، إلّا أنّه حتمًا صلّى عليها كما صلّى على والده العسكريّ عليه السلام و دفنَها و ألحَدها في قبرها. لكن كيف سيكون حاله بفقدان أمّه و هو الّذي يفيض قلبه عطفًا على الناس كافّة؟ الله يعلم أيّ حزنٍ عميقٍ قد أصاب قلبه الرؤوف بفقدها! لقد ضمّ التراب حبيبة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أخفاها عن الأنظار، لكن ما من ترابٍ يمكنه أن يفصلَ وجودها القدسيّ عن روح الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف في غربته، و ما من لَحدٍ يمكنه ستر ألمه الروحيّ. فكانت تلك الرزايا وحدها كافيةً لتملأ قلب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالحزن الشديد.

و لقد دُفنت السيّدة نرجس عليها السلام في بيتها بجوار مرقدَي الإمامين الهادي و العسكريّ عليهما السلام، و سرعان ما التحقت روحها الطاهرة بروح زوجها من جديد. فطوبى لها السير على دربٍ قد نثره لها حبيبها العسكريّ عليه السلام بوردات الاشتياق و الهيام، بعد أن سلكت سابقًا درب الأسر و الأشواك، هذا قلب زوجها النورانيّ لها موطنًا و هي الّتي من أجله هجرت الأوطان و تركت في محبّته الأحباب و الخلّان، يضمّد جراح الزمان و يمسح بكمّيه دموع الفراق و لوعة الأحزان، يقدّم أميرة الروم أميرة من بين أمراء الجنان، فبعد الآن لافراق و لاانقطاع، بل وصالٌ أبديٌّ في ظلّ عرش الرحمن، يراقبان معًا ولدهما المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف دون قلق أو حرمان. فشرّف الله مقامها من بين الخيرات الحسان و طيّب الله روحها بمجالسة الأخريات من سيّدات أهل البيت عليهم السلام في الجنّة، و يا لسعادتها بلقاء سيّدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء عليها السلام، الّتي ستحضنها و إلى جانبها ستصطفُّ الحور العين لاستقبالها و الترحيب بها، و هو شرفٌ يغبطها عليه الرجال و النساء على مدى الأجيال الماضية و اللاحقة.

و هكذا احتضن هذا البيت الكريم ضريحًا آخر إلى جوار تلك المراقد الشريفة و ازداد رَوحًا و ريحانًا، و إذ إنّه كان في قلب معسكر الخليفة و محلّ انتشار العيون و الجواسيس و رجال الأمن، فقد كان الشيعة و الموالون يقصدون زيارتهم سرًّا، و كان في ذلك البيت شبّاكٌ مُطلٌّ على الشارع، فكان المنفس الوحيد الّذي يتمكّن الشيعة عَبره من زيارة أهل البيت عليهم السلام. و كانت هذه الغربة توجع قلب الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تغرس فيه أشواك الألم و التأوّه.

فَضُّ خاتَم الصمت الثلاثينيّ عُمرًا

لقد بلغ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في سنة ٢٨٦ للهجرة عامه الثلاثين، و هو يروم الآن الكشف عن بعض أسرار حياته...

و في هذه السنة توجّه بِشر بن سليمان برفقة ابن أخيه إلى مدينة الكاظميّة الواقعة في شمال بغداد، لزيارة الإمامَين الكاظم و الجواد عليهما السلام. و كان يُطلَق على تلك البقعة قديمًا عنوان مقابر قريش، و قد دُفن فيها بعض المعروفين من الأسرة العبّاسيّة. و لكن منذ أن دفنوا فيها الإمامين الهُمامين الكاظم و الجواد عليهما السلام، اشتهرت باسم الكاظميّة. و لا بدّ أنّ بِشرًا مرّ أيضًا على مرقد النائب الأوّل رضي الله عنه لزيارته، فهو يعلم مكانته عند أهل البيت عليهم السلام و لا سيّما

الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و مع أنّ مرقده يقع في حارةٍ غالبيّة سكّانها من العامّة و يندر وجود أحدٍ فيها يعرف صاحب المرقد، إلّا أنّ أهالي تلك الحارة قد دأبوا على زيارته و التبرّك بضريحه الشريف. و ربما توجّه بِشر بعد ذلك إلى البيت الّذي اعتاد الاستراحة فيه حين سفره إلى بغداد، و هو البيت نفسه الّذي أخذ إليه السيّدة نرجس عليها السلام قبل ثلاثين سنة. فكانت جميع مواطن المدينة تُعيد إليه الكثير من الذكريات و الخواطر، ابتداءً من الحضور عند معبر الفرات، و انتظاره سفينة الأسارى، وصولًا إلى المسير الّذي رافق فيه السيّدة نرجس عليها السلام و تعاملها الخاصّ مع رسالة الأثير على قلبها. كانت جميع العبارات الّتي خرجت من صميم قلب السيّدة قد نُقشت في ذهن بشر الّذي كان في ذلك الوقت مُفعمًا بالحيويّة و زاخرًا بالنشاط، و هو ينجز المهام الّتي يوكلها الإمام الهادي عليه السلام إليه. أمّا الآن في هذه الزيارة فقد اشتعل رأسه شيبًا، و ارتخى حاجباه على عينيه، و انحنى ظهره، و تغضّن وجهه و ارتسمت عليه خطوط عميقة و ظهرت مشاقّ الحياة في تجاعيد وجهه. و مع ذلك كلّه كان يتمنّى لو كان بإمكانه أن يرى الإمام الهادي عليه السلام ثانية، ليقدّم له خدمة و ينجز له مهمّة، و كان مستعدًا للذهاب إلى أبعد أصقاع الأرض تحقيقًا لهذه الرغبة. و ظلّ في الكاظميّة عدّة أيّام أكثر فيها من التردّد إلى المرقدين الشريفين، و في إحدى المرّات وقف إلى جوار الضريحين المباركين لوالد الإمام الرضا و نجله عليهما السلام، و بعد الفراغ من الدعاء و التضرّع، استمدّ من روحانيّة المكان قوّةً و حيويّةً جديدتين؛ ثمّ توجّه إلى ابن أخيه، ليقول له أمرًا مهمًّا.

و في تلك الأثناء وصل محمّد بن بحر الشيبانيّ و هو أحد سكّان نرماشير من ضواحي كرمان، و كان محبًّا لأهل البيت عليهم السلام و متعطشًا إلى اكتساب علومهم و معارفهم. و يجوب البلدان في طلب هذه العلوم و المعارف، و يستعين بجميع الأساتذة و المدرّسين. و كان قد انطلق قبل بضعة أيّام في رحلة روحانيّة ابتدأها من كربلاء حيث جلى صفحة روحه بكفكفة العبرات على سيّد الشهداء عليه السلام. و كان يدرك جيّدًا قيمة الأمن و الطمأنينة اللذين يخيّمان اليوم على زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام. فقد تعرّض مزار هذا الإمام المظلوم طوال القرنين المنصرمين إلى الكثير من أعمال الهدم و التجريف و أُعيد بناؤه مرارًا و تكرارًا. و كانت المرّة الأخيرة الّتي هُدِمَ فيها القبر الشريف قد وقعت قبل خمسين سنة، حين أمر المتوكّل العبّاسيّ بفتح ماء الفرات على القبر بغية غمره و إغراقه، و عمد إلى تسويته بالتراب، ثمّ قام بحرث الأرض و زراعتها كي يخفي أثر القبر. و اللافت أنّ المتوكّل كان يعلم

أنّ أحدًا من العمّال المسلمين لن يقبل المشاركة في تخريب هذه البقعة المباركة، لأنّ جميع المسلمين حتّى من هم ليسوا من الشيعة يعترفون بقداسة مرقد سيّد الشهداء عليه السلام و حرمته و أنّه سبط النبيّ صلى الله عليه وآله و ريحانته. و لهذا قصد اليهود الّذين هم أشدّ الناس عداوة للمسلمين و لمقدّساتهم. و في النهاية قام رجل يهوديّ يُقال له الديزج، بهذا الفعل الشنيع بكلّ صلفٍ و وقاحة. لكن العجيب أنّهم عندما سلّطوا ماء النهر على المرقد الشريف للإمام الحسين عليه السلام، توقّف الماء عنده و حار حوله، و بقيت بقعة القبر جافّة لم يمسسها الماء. لكنّ الخليفة لم يكتفِ بذلك، بل هدّم البيوت المحيطة به أيضًا، و وضع العسس و الشرطة ليمنعوا الزائرين من الوصول إلى الضريح الطاهر. فكان الّذي يذهب إلى زيارة العتبات المقدّسة في حينها يتعرّض إلى السجن و التعذيب. كما أصدر المتوكّل في بعض المرّات أمرًا يقضي بقطع اليد اليمنى لمن أراد زيارة الإمام الحسين عليه السلام! بيد أنّ الشيعة الوالهين كانوا على استعداد لتقديم أقصى التضحيات، و تحمّل أنواع التعذيب، و تقديم الغالي و النفيس من أجل زيارة حبيب قلوبهم. و لذلك فإنّ سياسة المتوكّل لم تفلح في منع الشيعة من زيارة إمامهم، و عليه لم يجد نجله المنتصر بُدًّا من تغيير سياسة والده؛ فأمر بإعادة بناء مرقد الإمام عليه السلام و إضافة منارة إلى العمارة. كما سبق لأحد زعماء المذاهب قبل ذلك بأربعة أعوام أن أقام قبّةً كبيرةً على الحرم، الأمر الّذي أسعد الشيعة كثيرًا.

و كان محمّد بن بحر بعد أن نال قسطه من الزيارة في كربلاء المقدّسة، قد توجّه إلى الكاظميّة حيث حمل النسيم إلى مشامّه شذا تربتها المغمورة بالرحمة المحفوفة بحدائق الغفران، و أشعره بانقلابٍ معنويّ و روحيّ في وجوده. فأكبّ عليها بعبراتٍ متقاطرةٍ و زفرات متتابعة، و قد حجب الدمع طرفه عن النظر. و لمّا رقأت العبرة و انقطع النحيب فتح بصره و ألقى نظرة على ما حوله، فإذا به يرى بِشرًا، لكنّه لم يكن يعرفه، فكان بالنسبة إليه شيخًا قد انحنى صلبه، و تقوّس منكباه، و ثفنت جبهته و راحتاه، و كان يتحدّث إلى شخصٍ في مقتبل العمر. و ربما وفّقه الله سبحانه و تعالى ـ بسبب إخلاصه و هيامه ـ ليعيش يومًا روحانيًّا من خلال ما جرى على لسان ذلك الشيخ، فقد سمعه يقول:

يا ابن أخي، لقد نال عمّك شرفًا بما حمله السيّدان من غوامض الغيوب و شرائف العلوم الّتي لم يحمل مثلها إلّا سلمان، و قد أشرف عمّك على استكمال المدّة و انقضاء العمر، و ليس يجد في أهل الولاية رجلًا يفضي إليه بسرّه.

فقال محمّد في سرّه: يا نفس لا يزال العناء و المشقّة ينالان منك بإتعابي الخفّ و الحافر في طلب العلم، و قد قرع سمعي من هذا الشّيخ لفظٌ يدلّ على علمٍ جسيم و أثرٍ عظيم. فسارع إلى التوجّه نحو الشيخ و ألقى عليه التحيّة و السلام ثمّ دخل في صلب الموضوع مباشرةً، قائلًا: أيّها الشيخ و مَن السيدان؟ فأجابه: النجمان المغيّبان في الثرى بسرّ من رأى! ما إن قال الشيخ ذلك، حتّى أحسّ محمّد أنّه أمام صندوق يحتوي على كنز لا ينفد و لكي يفتح هذا الصندوق أظهر مودّته لهذين الإمامين عليهما السلام، و قال: إنّي أقسم بالموالاة و شرف محلّ هذين السيّدين من الإمامة و الوراثة إنّي خاطب علمهما و طالب آثارهما، و باذل من نفسي الأيمان المؤكّدة على حفظ أسرارهما. كان الشيخ يعلم أنّ إفشاء الأسرار لغير أهلها يترتّب عليه من التبعات السلبيّة ما لا يقلّ عن كتمان الحقيقة عن أهلها. و لكي يطمئنّ إلى أنّ محمّدًا من تلاميذ مدرسة أهل البيت عليهم السلام، قال له: إن كنت صادقًا فيما تقول فأحضِر ما صحبك من الآثار عن نقلة أخبارهم! و في حينها كان محمّد يحمل معه بعض الروايات الّتي استنسخها من مختلف الكتب؛ فعرضها على الشيخ. و إذ إنّ الشيخ من الخبراء في هذا الفنّ، فقد أخذ يتفحّص جميع الروايات الّتي عُرضت عليه بدقّة كاملة، إلى أن أيقن أنّ محمّدًا حقًّا من الضليعين في هذا الفنّ. فاطمأنّ إليه و كسر حاجز الحذر و التردّد. ثمّ بادر إلى التعريف بنفسه قائلًا: أنا بِشر بن سليمان النخّاس من ولد أبي أيّوب الأنصاريّ، و قد تشرّفت بصحبة هذين الإمامين الهمامين عليهما السلام، كما تشرّفت بجوارهما في سامرّاء. فزاد اشتياق محمّد إلى سماع كلمات بِشر، و طلب إليه أن يتكرّم عليه ببعض ما سمعه و رآه من هذين الإمامين عليهما السلام خلال مصاحبته لهما. و هنا كان أن تحدّث بِشر للمرّة الأولى عن الرسالة المباركة الّتي أرسله بها الإمام الهادي عليه السلام من سامرّاء إلى بغداد، و الدرّة اليتيمة الّتي رافقته من بغداد إلى سامراء، و هي الحكاية الّتي كانت زاخرة بالغرائب و العجائب. و لم يكن محمّد بالشخص الّذي يسمع مثل هذه الحكاية و لا يعمل على تدوينها، و يرويها إلى من هو أهل لها.

و هكذا بان في تلك السنة الفريدة و المميّزة بعض الأخبار من حياة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و ربما من حينها تحسّنت الأمور تدريجًا و صار بالإمكان الكشف عن بعضها. و من تلك الأخبار، ما أخفته العجوز جارة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام الّتي دُعيت إلى بيت الإمام عليه السلام لتساعد في ولادة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فهي لم تتحدّث حتّى ذلك العام عن شيء من

العجائب و الغرائب الّتي رأتها، و ظلّت وفيّة بالعهد الّذي قطعته للإمام عليه السلام على نفسها. فأمضت ثلاثين سنةً مُحافظةً على السرِّ كأنّها لم ترَ شيئًا، و ختمت على شفتَيها. إلى أن عاد أحمد من السفر، و هو الابن الّذي ربّته تلك العجوز و بذلت ماء عينَيْها لتراه أمامها شابًّا يشعر بالمسؤوليّة، لكن مع الأسف كان أحمد هذا متأثّرًا بالإعلام المزيّف للسلطة الحاكمة، فلم تكن علاقته بأهل البيت عليهم السلام حسنة، و لا يأبى إظهار عدائه لهم، فكانت العجوز لا تنفكّ عن محاولة هدايته، أو على الأقلّ أن ترقّق قلبَه، لكنّها سرعان ما تتذكّر وعدَها للإمام العسكريّ عليه السلام، فلا تنبس ببنت شَفة. بعد بضعة أيّامٍ قضاها أحمد في المنزل، أراد أن يسافرَ مرّة أخرى، و لكنّ المرأة الّتي كرهت تجربة الوحدة من جديدٍ، قالت له بحسرة: كيف تستعجل الانصراف و قد غِبت زمانًا، فأقم عندنا لنفرح بمكانك! فأراد أحمد الّذي كان يعرف عقيدة العجوز، أن يُناكفَها، فأجابها بسخرية: أريد أن أصير إلى كربلاء!! إذ في ذلك الوقت كان الناس يذهبون إلى كربلاء في أيّام عرفة و في النصف من شعبان.

و حين رأت العجوز جهله و تشبّثه برأيه، احترق قلبُها من أجله، فهي لا تريد لهذا الّذي ربّته و رعته سنوات، أن يشقى بعناده، و لم يعد بإمكانها السيطرة على ما يعتلج من نيرانٍ في قلبها، فانكسر الخاتَم نصفين و توهّجت ألسنة النيران، حتّى فقدت السيطرة على لسانها، و أفصحت عن سرّها و قالت: يا بُنَيّ أعيذك بالله أن تستهين بما ذكرت، أو تقوله على وجه الهزء، فإنّي أحدّثك بما رأيته بعينيّ بعد خروجك من عندنا بسنتين! ثمّ شرعت المرأة تروي ما رأته من عجائبَ في ليلة ولادة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، كأنّها نسيت كلّيًّا أهمّيّة السرّ الّذي تحمله، و غفلت عمّا تقوله و إلى مَن! و مع وثوق أحمد من صدق كلامها و طيب قلبها، لكن و بسبب قساوة قلبه لم يترك كلامها فيه أدنى تأثير، لكنّه كان يعلم إلى أيّ حدٍّ كان هذا الكلام يُفرِح الشيعة و يسعدهم. و كان من بين رفاقه رجلٌ شيعيّ الهوى اسمه حنظلة، فصار أحمد كلّما التقى به استفزّه بقوله: لك عندي خبرٌ تفرح به، و لا أخبرك به! لم يولِ حنظلة اهتمامًا بكلام أحمد، إلى أن أمسك يومًا بتلابيبه في خَلوةٍ لهما، و أصرّ عليه أن يوضّح له الأمر، فأفشى له أحمد ما أمّنته عليه والدته، و بدوره حنظلة أخذ يروي القصّة بمناسبةٍ و من غير مناسبةٍ على مسامع أصدقائه من شيعة أهل البيت عليهم السلام، أو يستدعيهم إلى لقاء رفيقه غير المُوالي لأهل البيت عليهم السلام ليرويها بنفسه لهم. و كان ما يُثلج صدورهم أكثر أنّ راوي تلك الواقعة هو من المخالفين و أنّه مع ذلك ينقلها بتفاصيلها ممّا يؤكّد

للجميع حصولها فعلًا. و هنا ظهرت حكمةٌ مكنونةٌ شاءها الله خلف إفشاء هذا السرّ، فمن كان يظنّ أو يتخيّل أنّ استدعاء تلك المرأة العجوز إلى منزل الإمام عليه السلام في تلك الليلة السعيدة، سيترك بعد ثلاثين عامًا مثل هذا الأثر؟ إذ هي ليست بشارة للمحبّين فحسب، بل حجّة على المُخالفين أيضًا.

القرار المصيريّ

كتب إسحاق بن يعقوب أسئلته في رقعةٍ إلى إمامه، و ربما لم يكن يعلم أنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو الّذي ألقى في ذهنه هذه الأسئلة و فكرة كتابة الرقعة. طواها ثمّ مضى بها إلى بغداد كي يلتقي بمحمّد بن عثمان النائب الثاني للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فقد كانت له معرفةٌ جيّدةٌ بمحمّد بن عثمان، و له في قلبه محبّةٌ خاصّة. و قد ضمّن رسالته مختلف الأسئلة، بدءًا من الأحكام الشرعيّة ثمّ المسائل الاعتقاديّة وصولًا إلى الاستفسار عن الحوادث الواقعة في المجتمع.

و بقي في بغداد منتظرًا و لم يبارح مكانه حتّى يحصل على جواب رقعته. و أخيرًا، خرج الجواب من ناحية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في كتابٍ طويلٍ يتضمّن الأجوبة عن جميع المسائل. و كان الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد علّم الشيعة في هذا التوقيع و أمثاله الكثير من المسائل الاعتقاديّة الأساسيّة و المصيريّة، و بيّن لهم مسار حركتهم في عصر الغَيبة. و ممّا قاله الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في هذا التوقيع إنّ أمر الظهور بيد الله و أنّ الّذين يوقّتونه كاذبون. و كان قد سأله إسحاق عن سبب وقوع الغَيبة؛ فجاء الجواب بالقول: «و أمّا علی ما وقع من الغَيبة، فإنّ الله ـ عزّ و جلّ ـ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾». و مع ذلك ذكر له الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بعض أسباب الغَيبة، بالقول استطرادًا:

«إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْ آبَائِي إِلَّا وَ قَدْ وَقَعَتْ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ لِطَاغِيَةِ زَمَانِهِ، وَإِنِّي أَخْرُجُ حِينَ أَخْرُجُ وَ لَا بَيْعَةَ لِأَحَدٍ مِنَ الطَّوَاغِيتِ فِي عُنُقِي، وَأَمَّا وَجْهُ الِانْتِفَاعِ بِي فِي غَيْبَتِي فَكَالانْتِفَاعِ بِالشَّمْسِ إِذَا غَيَّبَتْهَا عَنِ الْأَبْصَارِ السَّحَابُ، وَإِنِّي لَأَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا أَنَّ النُّجُومَ أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، فَأَغْلِقُوا بَابَ السُّؤَالِ عَمَّا لَا يَعْنِيكُمْ، وَلَا تَتَكَلَّفُوا عِلْمَ مَا قَدْ كُفِيتُمْ، وَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُمْ».

وكان إسحاق بن يعقوب قد سأل أيضًا عن الأحداث الّتي يُمكن أن تقع في المستقبل، وكيف يجب على الشيعة أن يواجهوها. وكان توقيع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بجميع ما فيه يوضّح الأمور لإسحاق، و لكن الكلمة الجوهريّة و الأكثر أهميّة كانت قوله عجّل الله تعالى فرجه الشريف:

«أَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا، فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ، وَأَنَا حجّة اللهِ عَلَيْهِمْ».

لقد سبق لإسحاق بن يعقوب أن سمع بأهمّيّة حفظ أحاديث أهل البيت عليهم السلام و جمعِها، و لكنّه هذه المرّة اكتسب رؤيةً أعمق في خصوص هذه المسألة. و من ناحيةٍ أخرى فإنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أشار إلى أنّ وقت الظهور لا يكون معلومًا للناس، وكما يُفهم من بعض الأحاديث أنّ زمن الغَيبة قد يمتدّ سنواتٍ طويلة. ففهم إسحاق أنّ الّذي يمكنه أن يكون مفتاح حلّ قضايا الشيعة في زمن الغَيبة الطويل، هو الأحاديث المأثورة عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام. نعم، إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف على طول هذا الزمان يهدي شيعته و محبّيه بلسان آبائه الكرام عليهم السلام، و يوصل مراده في بطون أحاديثهم الشريفة، و إنّ محبّيه و المشتاقين إليه من خلال قراءة هذه الأحاديث النورانيّة للأئمّة الأطهار عليهم السلام يرون أنفسهم في محضره عجّل الله تعالى فرجه الشريف و على مائدة نصائحه و إرشاداته، فعندما يقرأ الشخص بهذه النيّة كتابًا روائيًّا فإنّ مهديّ الأمم و جامع الكلم عجّل الله تعالى فرجه الشريف يوصل كلمات قلبه إلى قلبه.

الضربة الأمنيّة المستبقة

في العقد التاسع من القرن الثالث حصلت قضيّةٌ عجيبةٌ أخرى، إذ فجأةً و دون سابق إنذار، أمر الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف جميع وكلائه بواسطة نائبه محمّد بن عثمان أن لا يتسلّموا شيئًا من أحدٍ أبدًا و أن يتجاهلوا ذلك و يمتنعوا عنه و يتركوه حتّى إشعارٍ آخر. كان الأمر غريبًا بحسب الظاهر، لكنّ الوكلاء بسبب معرفتهم بعصمة إمامهم و يقينهم بوجود حكمة خلف هذا الأمر، خضعوا له و نفّذوه وكسبوا بذلك أجر تسليمهم.

كان المعتضد العبّاسيّ قد خطّط لعمليّتين فاشلتين من أجل اعتقال الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و ذاق نتيجتهما طعم التجربة المريرة، و لذا فقد نزع من بالِه فكرة الإيقاع بإمام الشيعة و جعلها خطًّا أحمر يُمنع الاقتراب منه. و لكنّه لم ينسَ التقارير الأمنيّة الّتي وصلت إليه، وكانت تفيد بأنّ شبكة من الوكلاء يجمعون أموالًا من الشيعة و يوصلونها إلى

شخصٍ محدّد، و كان سلوكهم هذا يدلّ على أنّهم لا يعترفون بالخليفة، و لا يُشتمّ منه سوى رائحة المؤامرة. فكان الخليفة يقول في نفسه إذا لم نتمكّن من إلقاء القبض على إمام الشيعة، فلا أقلّ من أن نفني شيعته عن آخرهم! و أخذ وزير المعتضد، عبيد الله بن سليمان، على عاتقه مهمّة تتبُّع القضيّة، و لم يمضِ وقت طويل حتّى وضعوا بين يديه أسماء الوكلاء فردًا فردًا. فأخبر عبيد الله الخليفة بعزمه على إلقاء القبض عليهم دفعةً واحدة، حتّى لا يبقى لهم مجال للهروب. لكنّ الخليفة قال إنّ لديه خطّة أفضل، إذ لعلّ الجواسيس و مُرسلي التقارير كانوا مخطئين، و بالقبض على هذا العدد الكبير من الشيعة تحصل بلبلة جديدة و ضجّة كبيرة بلا سبب. فاقترح أن يبعثوا إلى هؤلاء الوكلاء عددًا من الأشخاص على أنّهم شيعة، فيستخدمون أسلوبهم و أحاديثهم المختلطة بالألغاز، و يقولون إنّ لديهم أموالًا يريدون إيصالها إلى صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و على وفق تخطيط الخليفة، تلبّس أشخاصٌ بجلباب التشيّع و ذهبوا إلى الوكلاء و قالوا لهم: لدينا أموالٌ نريد أن نوصلها إلى الإمام، لكنّ الوكلاء الّذين كانوا قد تسلّموا أمر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف من قبل، كان ردّهم: نحن أساسًا لا نفهم ما تقولون! و هكذا أنقذ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أرواح شيعته و محبّيه من فتن الأعداء و دسائسهم، و ذهب تخطيط المعتضد كالهباء المنثور!

يُعزُّ مَن يشاء

في سنة ٣٠٥ للهجرة كان الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد بلغ خمسين سنة. و في هذه المرحلة سوف يُجاوِز بالشيعة منعطفًا تاريخيًّا جديدًا.

اشتعل رأس النائب الثاني أبي جعفرٍ محمّد بن عثمان شيبًا، و أصبح مُحيّاه يشعّ نورًا أكثر من ذي قبل، مع ذلك كان يبدو في الظاهر أنّه لا يزال على قوّة شبابه. كانت همهماتٌ تتردّد بين أصحابه و تتصاعد من هنا و هناك، فقد رأوا أنّه أحضر لوحًا خشبيًّا، و كتب عليه آياتٍ من القرآن و أسماءَ جميع الأئمّة المعصومين عليهم السلام. و الأغرب من ذلك أنّه حفر لنفسه قبرًا و وضع فيه هذا اللوح الخشبيّ. و كان كلّ يومٍ يدخل القبر، و يقرأ جزءًا من القرآن، ثمّ يخرج منه. و كان فعله هذا يُثير حوله الاستفهامات و التساؤلات، فكان يُجيب عنه: حدثٌ لا يمكن البوح به، لكلّ شخصٍ قضاؤه و قَدَره! لكنّ هذه الكلمات لم تُقنع أحدًا، و فهم الجميع أنّ هناك أمرًا آخرَ. ربما أخبره الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بأمرٍ ما. زاره محمّد بن عليّ

الأسود و آخرون، و سألوه عن حقيقة الأمر، وكلّ ما فعله أبو جعفر للهروب من الإجابة كان عديم الجدوى و لم يكن ليقنع أصدقاءه، فوجد أنّه لا مناصَ من بيان الحقيقة، فقال لهم إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أمرني أن أجمع أمري، و أستعدّ للسفر إلى دار البقاء، حتّى إنّه حدّد لي سنة وفاتي بالشهر و اليوم. حين كشف أبو جعفرٍ عن سرّه و صرّح لهم عن موعد وفاته تبيّن أنّه لم يبقَ وقتٌ طويلٌ ليحلّ ذلك اليوم. كانوا جميعًا يأنسون به، فهو نائب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف منذ نصف قرنٍ تقريبًا. و هم لا يستطيعون مجرّد تخيُّل فقده، فكيف يتحمّلونه واقعًا؟ و كان الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الأشفق عليه و الأكثر رحمة به إذ بإخباره عن موعد وفاته، دفعه للاستعداد لهذا الحدث العظيم أكثر فأكثر، و مهّد كذلك أرضيّة خلافته و تعيين النائب من بعده.

و في شهر جمادي الأولى من تلك السنة، مرض أبو جعفرٍ فجأة و لزم الفراش، ففهم كبار الشيعة أنّه يقضي أيّامه الأخيرة، لكنّهم لم يكونوا يعرفون ماذا عليهم أن يفعلوا من بعده؛ إلى من يرجعون بعده و يوجّهون أسئلتهم، و إلى مَن يُسلّمون الحقوق الشرعيّة. كانوا يعرفون أنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يهملهم و لا يتركهم سدًى، و سيريهم من جديدٍ طريق العبوديّة لله عزّ و جلّ. و لذا قرّروا أن يزوروا أبا جعفر لعيادته و كذلك ليسألوه عمّا عليهم فعله. و كانوا جميعًا يحتملون أنّه سيختار جعفرًا، حفيد متيلٍ القمّيّ، خليفةً له، فهو الّذي كان الأشدّ ارتباطًا بالنائب الثاني، و يزوره في بيته أكثر من الآخرين. أخيرًا جاء بعض علماء الشيعة و فيهم أبو عليّ الإسكافيّ و أبو سهل النوبختيّ و آخرون، و تحلّقوا حول فراش محمّد بن عثمان و قالوا له: إذا أصابك مكروهٌ لا سمح الله، من الّذي سيخلفك؟ قال لهم النائب الثاني: إنْ حدث عليّ حدثُ الموت فالأمر إلى «أبي القاسم الحُسين بنِ رَوْحِ النوبَخْتيّ»، فقد أُمرت أن أجعله في موضعي بعدي، القائم مقامي، و السفير بينكم و بين صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الوكيل له، و الثقة الأمين، فارجعوا إليه في أموركم و عوّلوا عليه.

تعجّب الجميع، فالصداقة القويّة و العلاقة الحميمة اللتان كانتا تربطان محمّد بن عثمان بجعفر حفيد متيل القمّيّ أقوى من علاقته بالآخرين جميعًا. إنّما كان كلام أبي جعفر بحدّ ذاته دليلًا على أنّ هذا الاختيار لم يكن بإرادته هو، بل بأمرٍ من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسِه. لم يمضِ وقتٌ إلّا و حضر حفيد متيل القمّيّ لعيادة النائب الثاني، لم يكن الأصحاب يعرفون ماذا سيكون ردّ فعله حين يسمع هذا الخبر. أفسح الحاضرون له الطريق كعادتهم ليتصدّر المجلس، فجلس حفيدُ متيلٍ عند رأس محمّد بن عثمان، و بدأ يلاطفه. نظر إليه

النائب الثاني و قال: إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد أمرني أن أعيّن أبا القاسم الحسين بن رَوْح وصيًّا لي. خيّم الصمت على الحاضرين، و هم يترقّبون ما سيفعله أبي جعفر، فكانت الأنظار مسلّطةً على بريق عينيه و تحرّكات جفونه و الآذان تنتظر سماع صوته، لكنْ بدا جليًّا أن لا وجود لذرّةٍ من التكبّر في نفس حفيد متيلٍ و أخلاقه، كأنّه قد تعلّم جيّدًا من قضيّة وصول الكفن إلى الصيدلانيّ أنّ العبوديّة لله لا يجتمع معها التفكير في المنصب و المقام، فكان أمر صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالنسبة إليه أهمَّ من أيّ شيءٍ آخر، فنهض مسرعًا، و أمسك بيد الحسين بن رَوْح، و أجلسه مكانه، و جلس هو عند قدمَي محمّد بن عثمان.

كان للنائب الثاني في بغداد وحدها عشرةُ وكلاء، يثق بهم كلّ الثقة؛ أحدهم أبو القاسم الحسين بن رَوْح. و كان محمّد بن عثمان شديد الحبّ له، و كانت علاقته به علاقةً حميمة، يحكي له أموره و همومه الشخصيّة، و يكشف له الأسرار الّتي لا تُقال لغيره. و كانت للحسين بن رَوْح منزلةٌ رفيعةٌ في أوساط كبار الشخصيّات الشيعيّة، و ذكرُ فضائله على كلّ لسان. و قد نظر الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى قلب الحسين بن رَوْح، فوجد فيه جوهرةً لا مثيل لصفائها، و لا يجد بمستوى تشعشعها لدى غيره. و باختياره دلّل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف على أنّ هنالك فرقًا كبيرًا بين الاصطفاء الإلهيّ و بين ما يختاره البشر، و العزّة الحقيقيّة هي العزّة الّتي يمنحها الله عزّ و جلّ للمرء. الآن قد تُوّج الحسينُ بنُ رَوْح بتاجٍ وهبه له اللهُ عزّ و جلّ، التاج الّذي كان كلُّ كبار الشيعة يرون فيه الفخر الأعظم. و بهذا ذكّرهم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مرّةً أخرى، أنّ عليهم أن يكونوا مطيعين لأوامر الله، و يرجّحوها على آرائهم الشخصيّة. و لم تتصرّم مدّة طويلة حتّى صدر توقيعٌ شريفٌ في تأييد الحسين بن روح.

كان لدى النائب الثاني كُتبٌ، قد دوّن فيها الأحاديث الّتي سمعها من الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام و ابنه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كذلك الأحاديث الّتي وصلته بواسطة أبيه عثمان بن سعيد عن هذين الإمامَين المعصومين عليهما السلام، فسلّمها كلّها للحسين بن رَوْح. ثمّ لازم محمّد بن عثمان فراش المرض لعدّة أيّام، و كانت حاله تسوء يومًا بعد يوم، إلى أن أغمض عينيه و رحل إلى دار البقاء، فآلم خبرُ وفاته الجميع، و قد رأى الّذين وصلهم الخبر بموعد وفاته أنّه قد فارق الحياة في الموعد نفسه الّذي كان قد أخبرهم به قبل مدّة. و قد قام الأصحاب بما عليهم من واجب التجهيز و التشييع و واروه الثرى إلى جانب أبيه في الناحية الغربيّة من بغداد. ثمّ سلّم «ذكاء» خادم أبي جعفر ـ عملًا بوصيّته ـ عكازةً و صندوقًا صغيرًا

مع مفتاحه إلى الحسين بن رَوح. و ها هو الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يفقد صاحبًا آخر من أعزّ أصحابه و أشدّهم وفاءً. لكنّ هذا الغمّ ليس الأخير، فالعمر الطويل و إن كان نعمةً إلهيّة، لكن من تبعاته أن يذوق الإنسان حرقة فقد الأحبّة الواحد تلوَ الآخر. و إنّ رؤية هذه الرزايا الأليمة تنكئ جرح الغيبة في قلب الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و تزيد من شجا الأيّام و غربتها، و هو يُكابد وحيدًا تلك الآلام...

دعاءٌ يصنع التاريخ

إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يهتمّ بالشيعة جميعًا، و هو لهم كأبٍ حنون، يقضي حوائجهم، و يرشدهم في قضايا حياتهم اليوميّة. و الّذين يقفون حياتهم على خدمة أهل البيت عليهم السلام و يلجؤون إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بإيمان راسخ، يكون لهم نصيب أكبر من عنايته و محبّته.

و منهم عليّ بن بابويه الّذي هو من كبار شخصيّات مدينة قمّ و مشايخها، و يحترمه عامّة الناس و العلماء. و في السنة نفسها الّتي أصبح أبو القاسم الحسين بن رَوح فيها النائب الثالث للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، غادر عليّ بن بابوبه قمّ و رحل إلى العراق و صار ملازمًا له، و لكنّه بعد مدّةٍ رجع إلى دياره في قمّ لإنجاز بعض شؤونه. ها قد مضت سنوات على زواجه من ابنة عمّه، و لم يرزق بعد ذرّيّة، و قد بلغ قرابة أربعين سنة، و أصبح شديد القلق بالنسبة إلى المستقبل. و عندما كان في العراق، كان من شدّة انجذابه إلى النائب الثالث و تفانيه في خدمته، قد نسي ما لديه من هموم الدنيا و غمومها، و ظلّ غارقًا في نور حضور نائب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لكن ما إن عاد إلى قمّ حتّى عادت هواجسه القديمة. وكدأبه الدائم رأى أنّ الحلّ هو التوسُّل بإمامه و مولاه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و لذلك كتب إلى محمّد بن الأسود و طلب إليه أن يوصِل رسالة مكتوبة من قِبله إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرجو فيها من سيّده و مولاه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن يدعو له بأن يُرزق ذرّيّةً فقهاء. لعلّه عندما أرسل طلبه لم يكن يعلم أيّ غرسٍ طيّبٍ و مثمرٍ هو يزرع، لكنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف حتمًا كان يعلم إلى أيّ مصيرٍ جميل يهديه و إلى أيّ مستقبلٍ زاهرٍ يقوده. و كان محمّد بن الأسود يعلم أنّ من قضى لأخيه المؤمن حاجة، كان كمن عبد الله دهره و لذا سارع في كتابة طلب عليّ بن بابويه. و لمّا وجد الفرصة مناسبةً لعرض حاجته هو أيضًا، فقد ضرب الحديد و هو حامٍ، و أضاف إلى الرسالة حاجته بأن يُرزق صبيًّا. ثمّ أوصل الرسالة إلى النائب الثالث الحسين

بن رَوْح. لم يطل انتظار الجواب، و وصلت رسالة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى عليّ بن بابويه، و قد جاء فيها: «إنّك لا تُرزَق من هذه، وستملك جارية ديلميّة وتُرزَق منها ولدَيْن فقيهَيْن». أمّا جواب رسالة محمّد الأسود فكان مختلفًا: «لَيْسَ إِلَى هذا سَبيل!».

المتأسّي بأبي طالب عليه السلام



إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي تجاوز الخمسين سنة، قد علّم الحسين بن رَوح وظائفه و مهامه، فصار يسير بهَدي إمامه نحو الأهداف المستقبليّة خطوة خطوة...

لم يكن أفراد حاشية البلاط العبّاسيّ حتّى الآن قد نسوا التقارير الّتي كانت تُرفع في عصر المعتضد العبّاسيّ، و الّتي تؤكّد أنّ الشيعة كانوا يرسلون أموالهم إلى شخصٍ معيّن عبر شبكةٍ من الوكلاء. لكنّ خليفة هذا الوقت، المقتدر العبّاسيّ، الّذي تسلّم زمام الخلافة منذ سنة ٢٩٦ للهجرة عندما كان غلامًا يافعًا، لم يكن اسمًا على مسمّى، فقد كان أكثر ما يفتقده هو الاقتدار. و في الأساس فإنّ أبا الحسن عليّ بن محمّد بن فرات ـ رئيس ديوان الخراج، و هو ما يُطلَق عليه وزير الماليّة ـ كان قد مهّد الأرضيّة لخلافته، بسبب هذا الضعف و عدم امتلاكه حُسنَ الرأي و التدبير. فكان أهل السلطة يديرونه كيفما شاؤوا. و عانى محبّو أهل البيت عليهم السلام في تلك المدّة أشدّ الضغوط و القمع، لكن من خلال تدبير الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إجراءاته قلّ التضييق شيئًا فشيئًا و أخذ التشيّع ينتشر يومًا بعد يومٍ في العراق و الحجاز و إيران و أفريقيا. و في هذه الظروف كان الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يختار للنيابة أشخاصًا شديدي الالتزام بالتقيّة. وكان النائب الثالث أبو القاسم الحسين بن رَوْح قد تعلّم جيّدًا على يديه نهج التقيّة، وكان الجميع يعرفونه حكيمًا في كلامه، و ذا درايةٍ في قراراته، فكانت كلّ صفاته في كفّةٍ، و تعقّله و فراسته و فطانته في كفّةٍ أخرى. و قد استطاع

بأساليبه المَوزونة في تدبير الأمور أن يجعل نظرةَ المجتمع و السلطة السياسيّة إلى الشيعة أفضل و أحسن ممّا كانت عليه. إلى أن أصبحت نبتة التشيّع الضعيفةُ و الرقيقةُ، شجرةً عميقةَ الجذور، خصوصًا في بغداد الّتي كانت منذ تأسيسها محلّ تجمّع الشيعة، و لا سيّما حيّ الكرخ، و تعود جذور التشيّع هناك إلى زمن تنصيب سلمان الفارسيّ واليًا على المدائن أي منذ ما يقرب من مئتين و ستين سنة. و هكذا أصبح التشيّع من أكثر المذاهب انتشارًا في عاصمة العبّاسيّين، حتّى إنّ بعض أصحاب المناصب في الحكومة كانوا من الشيعة، أو يميلون إلى التشيّع، و منهم أبو الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات الّذي تسلّم منصب الوزارة للمرّة الثانية في سنة ٣٠٤ للهجرة، كما كان بعض النوبختيّين من أقارب الحسين بن روح من أصحاب النفوذ في الحكومة، و لذا فقد خفّ إحساس الموالين بالقسوة و الضغط في هذه المرحلة.

و لم يكن ما ناله شيعة أهل البيت عليهم السلام و محبّوهم من قوّةٍ و شعبيّةٍ ليُثلج صدور النواصب المتعصّبين، وكان أكثر ما يزعجهم هو عدم تعرّض الحُكام للحسين بن رَوْح، لأنّهم كانوا يعلمون أنّه رافضيّ ـ على حدّ تعبيرهم ـ و يقولون إنّ رجالَ الدولة قد غرّهم ظاهرُه، و يظنّون أنّه منهم و على عقيدتهم! وكان لسان الحنابلة هو الأكثر لذعًا و بخًّا للسمّ من بين النواصب، و شاء القدر أن تكون أعدادهم أكثر ازديادًا في بغداد حيث يعيش النائب الثالث، لكونها مسقط رأس أحمد بن حنبل. و لم يكن الحنابلة يخاصمون الشيعة فقط، بل كانوا يدخلون في نزاعٍ مع كلّ من يخالفهم في آرائهم. و حيثما حلوا حلّ النزاع و العراك! و لم يكن أفراد البلاط يشعرون بالرضا من فتن الحنابلة و إثاراتهم للمشكلات، و لا سيّما أنّهم كانوا في بعض الأحيان يقتحمون بيوت الساسة و القادة بحجّة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر؛ حتّى إذا وجدوا أواني الخمور و أدوات العزف و الطرب بادروا إلى تحطيمها أو مصادرتها. و لكن كان لديهم أمرٌ واحدٌ يشفع لهم عند جهاز السلطة و الخلافة و يجعلهم يحظون بالدعم المباشر أو غير المباشر منهم، و هو العقيدة المتجذّرة في نفوس الحنابلة، ألا و هي قولهم بوجوب إطاعة أمر الّذي يتولّى خلافة المسلمين مهما بلغ من الفسق و الفجور! وكانوا يقولون بأنّ الحاكم حتّى إذا أمر رعيّته بالشرك و عدم طاعة الله، فإنّه و إن لم تجب طاعته في ذلك، و لكن لا يجوز الخروج عليه أو نقض البيعة له. و عليه لا يمكن أن يكون هناك ما يخدم الحكّام أفضل من هذا الاعتقاد! و لذلك فإنّ العبّاسيّين كانوا يدعمون الحنابلة، و لا

يتشدّدون عليهم إلّا إذا بلغ بهم الأمر حدّ إثارة الشغب و الفوضى و تجاوز الخطوط الحمراء. و قد أضحت بغداد ـ المدينة الفسيفساء ـ في هذه الأيّام حلبة للصراعات و النزاعات العرقيّة و المذهبيّة. و في ظلّ هذه الظروف كان الحسين بن روح يعمل بأمر إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف كلّ ما بوسعه في ظلّ التقيّة و المداراة على التقليل من النزاعات و الحروب المذهبيّة.

و كان من عادة أهل السُنّة أن يجتمعوا دَوريًّا في منزل «ابن يسار» يتحاورون في الأمور الدينيّة و العلميّة. و ابنُ يسارٍ كان ذا منزلةٍ رفيعةٍ لدى المقتدر العبّاسيّ؛ و كان أبو القاسم الحسين بن رَوْح يسعى لأن يكون على صلةٍ بهم، كي لا يلتفتوا إلى تشيّعه، و لذلك كان يشارك في مجالسهم الّتي تُعقد في ذلك المنزل. لكن البعض منهم كانوا يشكّون فيه، فاجتمع هؤلاء و اتّفقوا على حيلة يكتشفون بها أمره، فقرّروا إجراء مناظرةٍ بينهم في إحدى المرّات الّتي يحضر فيها الحسين بن رَوْح المجلس، ليَروْا ردّ فعله، و أيّ موقفٍ سيتّخذ.

ذهب أبو القاسم الحسين بن روح كالعادة إلى منزل ابن يسار، و أهل السُّنّة مجتمعون، و من ثمّ بدأ النقاش، فزعم أحدهم أنّ أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله، ثمّ عمر، ثمّ عثمان ثمّ عليّ عليه السلام، و قال آخر: بل عليٌّ أفضل من عمر، فزاد الكلام بينهما و تطوّر الجدال المُصطنع، و صار كلّ واحدٍ منهما يقدّم الأدلّة و البراهين على ادّعائه. كانوا يبتغون من وراء هذا الجدل أن يبدي أبو القاسم رأيه، لكنّه كان أذكى من أن ينخدع بهذه الحيلة، و كان يعلم أنّهم لا يبتغون وراء ذلك إجراء حوار علميّ على أساس الروايات و ما سجّله التاريخ، بل يبتغون الفتنة الطائفيّة، فنطق بما يمليه عليه واجب التقيّة و قال: إنّ الّذي اجتمعت عليه الصحابة هو تقديم الصدّيق، ثمّ بعده الفاروق، ثمّ بعده عثمان ذو النورَين، ثم عليٌّ الوصيُّ، و أصحابُ الحديث على ذلك، و هو الصحيح عندنا. كادت أعيُن الحاضرين تخرج من محاجرها، فمعظمهم كانوا يعتقدون أنّ أبا القاسم على تواصلٍ مع أهل السُّنّة، لكنّهم ما كانوا يظنّون أنّ هذه هي عقيدته، و لا سيما أنّه نطق بلهجةٍ فيها من الحزم ما جعل الجميع يشعرون أنّ هذا الكلام نابعٌ من صميم قلبه، فأثنوا عليه و بجّلوه، و دعوا له بالتوفيق مردّدين كلّ ما يحفظونه من أدعية. و الّذين كانوا من قبل معروفين باستغابته و إساءة الظنّ به، عليهم الآن أن يطأطئوا رؤوسهم، و يتحمّلوا الغمز و اللمز بما جنت أيديهم.

و كان وسط الجمع اثنان من الشيعة جاءا بصحبة أبي القاسم. كانا يعرفان أنّ ما قاله الحسين بن رَوْح ليس مصدره العقيدة، و أنّه لم يقصد ما يوحي به المعنى الظاهريّ لكلامه.

و عندما شاهدا التغيّر و التهليل اللذَين سيطرا على الجموع، نظر أحدهما إلى رفيقه و غمزه، و كي لا ينفجر من الضحك، صار يدسّ كُمّ ردائه في فمه و يمنع نفسه و يصبّرها، لكنّ كلّ مساعيه باءت بالفشل، و لم يتمكّن من إخماد ضحكته. و لمّا رأى أنّ الأمر قد أفلت من يده قرّر أن يغادر المجلس كي لا يسوء الوضع. حين وقف و همّ بالمغادرة رآه الحُسين بن رَوْح و عَرفه. ثمّ ذهب الرجل إلى بيته، حيث أطلق ضحكاته المكبوتة و أخلى وِفاضه. كان طعم ضحكاته لا يزال تحت لسانه حين سمع صوت قرع الباب، فالحُسين بن رَوْح بعد أن انفضّ المجلس خرج ليقبل إليه مباشرة. و ما إن فتح الباب حتّى قال له النائب الثالث: يا عبدَ الله، أيّدك الله، لِمَ ضحكت و أردت أن تهتف بي؟ أتظنّ أنّ ما قلته غير صحيح؟ ردّ الرجل: نعم هذا ما أفكّر فيه. قال الحسين بن رَوْح: اتّقِ الله أيّها الشيخ، فإنّي لا أجعلك في حلٍّ إن تستعظم هذا القول منّي. قال الرجل: يا سيّدي رجلٌ يرى بأنّه صاحب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و وكيله، يقول هذا الكلام، لا يُتعجّب منه، و لا يُضحك من قوله هذا؟! فتابع الحسين بن روح كلامه بجدّيّة، و قال له لإتمام الحجّة عليه: و حياتك لئن عدت لأهجرنّك! و من ثمّ ألقى التحيّة و غادر.

كان أبو القاسم يراعي أعلى درجات التقيّة و حتّى الحرّاس و الخدم في منزله كانوا متنبّهين إلى أنّ عليهم أن لا ينبسوا بما يجرح مشاعر أبناء المذاهب و الطوائف الأخرى. و كانوا يعرفون أنّ الحسين بن رَوْح إن سمع كلامهم سيطردهم و يحرمهم العمل في داره. فأحيانًا كان يدخل داره بعضُ المخالفين المتعصّبين لإجراء حديثٍ ما، و هم في قرارة أنفسهم يبغضونه لتشيّعه، لكنّه كان يُحسن معاملتهم و يقول كلامًا يُناسب توجّهاتهم و ميولهم، فكانوا يخرجون من منزله و هم يعظّمونه و يمدحونه. و كان الحسين بن روح يضطر إلى العمل بالتقيّة في أغلب الموارد، حفاظًا على أرواح الشيعة و روحه أيضًا، و قد تعلّم هذا الأمر من القرآن: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً﴾ و من أهل البيت عليهم السلام. إذ إنّ النواصب التكفيريّين في زمانه و لمجرّد كون الشخص شيعيًّا، و حتّى لو لم يصدر منه أيّ شيء، كانوا يسمّونه رافضيًّا و يستبيحون قتله. إضافةً إلى أنّ البعض كانوا يحسدون الحسين بن رَوح، أو يبغضون بعض الشيعة، فكانوا يُشيعون بأنّهم روافض حتّى يسهّلوا طريق قتلهم. و بالتالي كانت ظروف الشيعة صعبةً جدًّا، حتّى إنّ المخالفين كانوا قد تشرّبوا تعاليم دينيّة باطلة و خاطئة، و كانوا يظنّون أنّ عليهم قتل كلّ فردٍ شيعيٍّ. فلم يكن في قلب الحكّام أيّ رحمةٍ تجاه هذه الفئة الّتي لا ذنب لها عندهم سوى حبّهم لأهل بيت النبيّ صلى الله عليه و آله، مع أنّ القرآن

الكريم قد أمر بذلك ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾. نعم، لقد كان الحسين بن رَوْح و بأمر صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف يمارس أقصى درجات التقيّة، فأحسنَ كبراءُ القوم الظنّ به، و مهّد بذلك الظروف الملائمة لنموّ التشيّع و ازدهاره. حتّى إنّ أبا سهل النوبختيّ، الّذي كان من كبار علماء الشيعة، كان يقول إنّ الحسين بن رَوْح يلتزم التقيّة و الكتمان إلى حدّ أنّه حتّى و إن كان الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف تحت عباءته، و قطعوه إربًا إربًا، لن يكشف عنه. و لربما قد اختاره الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بسبب شدّة التزامه بالتقيّة، لأنّه بذلك قد حافظ على أرواح سائر الشيعة قبل أن يحافظ على روحه و نفسه، في حين أنّ أولئك الّذين كانوا لا يُراعون التقيّة، قبل أن تتعرّض حياتهم للخطر سلّموا غيرهم من الشيعة إلى نصال النواصب الحاقدين. و هكذا كان صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد وجّه إلى نوّابه مثل الّذي وجّهه أمير المؤمنين عليه السلام إلى سلمان المحمّديّ و غيره من الصحابة الميامين فيما يخصّ التقيّة، وكان أصحاب الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الخاصّون قد تعلّموا جيّدًا حديث أهل البيت عليهم السلام، القائل إنّ التقيّة هي تسعة أعشار الدين، و أحبُّ الأعمال إلى الله، وكما فعل أبو طالب عليه السلام الّذي كتم إيمانه في عصر الجاهليّة و الوثنيّة حفظًا لروح رسول الله صلّى الله عليه وآله، وكذلك أصحاب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذين يعيشون في جاهليّة عصرهم، فإنّهم يكتمون إيمانهم عن غير المؤهّلين أو الجهلة الّذين يبتغون الفتنة الطائفية.

كيس مثقوب!

لم تكن الأرض لتسع عليّ بن بابويه بعد أن حصل على ذلك الجواب المُبهِج من إمامه الّذي جاء فيه إنّه يُرزَق ولدَيْن فقيهَيْن من جاريةٍ ديلميّة. و بالفعل لم يمضِ وقت طويل حتّى صدقت نبوءة إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و امتلك جارية ديلميّة. و بفضل دعاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف وُلد نجله الأوّل سنة ٣٠٦ للهجرة، و سمّاه محمّدًا. و لم يكن لأحدٍ أن يدرك مدى سعادته الراهنة...

و في ذلك العام وقعت أحداث أخرى، إذ لم يمضِ على نيابة الحسين بن رَوح سوى عام واحد حتّى تغيّرت الأوضاع. فقد تعرّض أبو الحسن بن فرات ـ بسبب مصادرته لأموال عمّال الوزير السابق و سوء معاملته لهم ـ لعداوة رجال البلاط، و اتّهمه الخليفة بالخيانة، فعزله و أمر بإلقاء القبض عليه. ثمّ استوزر حامد بن عبّاس بدلًا منه. لكنّ حامدًا على عكس الوزير السابق، كان عدوًّا شرسًا للشيعة وكان يقمع بوحشيّة الحركات المخالفة لجهاز الخلافة، ولا يُبدي أيّ وجه خير تجاه كلّ ما له صبغة و رائحة مهدويّتان. و لذا فمنذ تسلّمه للوزارة

عاش النائب الثالث متخفّيًا. وكأنّ الزمن لا يأخذ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فقط إلى الغَيبة، بل يأخذ حتّى نائبه أيضًا! و إن كانت هذه فعالهم مع نائب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فماذا سيصنعون معه نفسه عجّل الله تعالى فرجه الشريف إن وصلت أيديهم إليه و أيّ جنايةٍ سيرتكبون في حقّه؟! على أيّ حال ففي ظلّ هذه الظروف القاسية، كان صعبًا على الناس الوصول إلى الحسين بن رَوح، و كان لوكلائه دورٌ أكبر، إذ كانت معظم الأمور تجري عن طريقهم.

وكان محمّد بن عليّ بن أبي العَزاقِر أحد هؤلاء الوكلاء، وكان معروفًا بالشلمغانيّ نسبةً إلى قريته شلمغان الّتي تقع في ضواحي مدينة واسط. و قد اشتهر في أوساط الناس بأنّه من الفقهاء، وكان يشارك أحيانًا في الجلسات الخاصّة الّتي يعقدها الحسين بن رَوْح، و لذا عُرف كأحد المقرّبين إلى هذا الأخير، فنال حظوةً و احترامًا بين الناس؛ و لثقتهم به كانوا يحمّلونه رسائلهم إلى النائب الثالث. وكان يُعدّ من أهل العلم حتّى إنّه ألّف كتبًا كثيرةً في مواضيع مختلفة، عن التوحيد و إرادة الله، و قضيّة البَداء، و عن نظم القرآن و العصمة و الإمامة و الحجّ و العمرة و المسائل الأخلاقيّة. وكانت كتبه تُنشر و تُوزّع على الناس. و لم يعثر العلماء في كتبه على ملاحظات ذات أهمّيّةٍ و لذا فإنّهم لم يتحرّجوا من النقل عنه. و الأهمّ من بين كتبه، كتابه التكليف الّذي راجعه الحسين بن رَوْح بنفسه، كما أرسله إلى علماء قمّ ليزيد من اطمئنانه. و باستثناء عددٍ قليلٍ من الملاحظات اليسيرة، كان الكتاب إجمالًا خاليًا من الإشكال. و سرعان ما اشتهر هذا الكتاب في أوساط النّاس فتداولوه و تدارسوه.

و أسهم تواري الحسين بن روح عن الأنظار في تهيئة كلّ الظروف لمصلحة الشلمغانيّ، و فتح هذا الوضع الباب أمامه على مصراعَيه، و لم يمضِ الكثير من الوقت حتّى احتلّ الشلمغانيّ مكانةً مهمّةً بين عموم الناس، و ذاع صيته، و بات يشعر بأنّه شخص مهمّ و يُحسب له الحساب، وكان الناس يأخذون بكلّ كلمةٍ يقولها، و لا سيّما حين ينسبها إلى الحُسين بن رَوْح. لكن الآن عليه أن يوجّه انتباهه أكثر و يزيد تركيزه حتّى لا يُمسي قلبه مسرحًا لوساوس الشيطان!

حين تصبح النار بردًا و سلامًا

إنّ صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف يحافظ على حلقة الاتّصال بشيعته، و لا يسمح لحبل الشمل أن ينقطع و لو بلغت الصعاب و المخاطر مبلغها. و مع أنّ الوصول إلى النائب الخاصّ صعب

جدًّا في هذه الأيّام، لكنّ هناك عددًا من الوكلاء الّذين يمكنهم الاتّصال بالحسين بن روح في مخبئه، و يكونون من حلقات الاتّصال بين الناس و إمامهم.

في حدود سنة ٣٠٣ للهجرة كان أبو غالب الزراريّ يقطن في الكوفة، وكان لا يزال حينئذ حدث السنّ لم يتجاوز العشرين من عمره. و قد تزوّج امرأةً من بني هلال المعروفين بالخزّازين، وكان شديد الحبّ لامرأته، لكن في إحدى المرّات دبّ الخلاف بينهما ثمّ تطوّر إلى شجار، فانزعجت امرأة أبي غالب الزراريّ منه و غادرت المنزل غاضبةً عليه متوجّهةً إلى بيت أبيها. وكان كلّ ما يفعله أبو غالبٍ ليُخمد غضبها يذهب سدًى، و تزداد نيران غضبها اضطرامًا. حتّى نفد صبره و بدأ يشعر أنّ امرأته تتذرّع كلّ يومٍ بحجّةٍ جديدةٍ لتُضرم نار الخلاف، و تيقّن أنّه لن يتوصّل إلى حلّ، و فقد زمام السيطرة على حياته الّتي لم يتذوّق منها سوى المرارة و البغضاء و سوء الخلق. و الأسوأ من ذلك أنّ أسرة زوجته كانت تزيد في تشنيج الوضع و تأزيم الموقف تحت ذريعة توفير الحماية لابنتها و رفع شأنها. و بعد ذلك بمدّة خفّت حدّة غضب أسرة زوجته، و سمحت له بالمجيء إلى بيتها، و لكنّها لم تسمح له بأخذ زوجته إلى بيته. و قد ذهبت جميع جهود أبي غالب ـ في إقناع أهل زوجته بالسماح له باصطحابها ـ أدراج الرياح. إلى أن عيل صبر أبي غالب، فقصد إخوة زوجته مرّة أخرى مغاضبًا و احتدّ النقاش و الخصام بينهم، وكان هذا كافيًا لاشتعال فتيل خلاف كبير آخر بينهم، فعادت جميع الأمور إلى المربّع الأول. ثمّ بعد ذلك بزمنٍ يسير اتّضح أنّه في المدّة الّتي تحسّنت العلاقات بينهم نسبيًّا، قد حملت زوجته منه. بيد أنّ أهلها بعد النزاع الأخير لم يكونوا يسمحون له بدخول بيتهم قطّ، بل لم يسمحوا له حتّى برؤية ابنته بعد ولادتها. و لم يطل عمر ابنته في هذه الدنيا، حيث فارقت الحياة بعد ذلك بقليل، فكان ما يحزّ في قلب أبي غالب أكثر من أيّ شيء آخر أنّه لم يتمكّن من رؤية ابنته قطّ، فلم يحضر ولادتها، و لم يشهد حتّى دفنها. فضاقت الدنيا عليه و اسودّت في عينيه و خيّمت على صدره سحابة سوداء من شدّة الحزن و الألم.

و لا يخفى على الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف مشكلات الشيعة فردًا فردًا، و هو يدعو لكلّ واحد منهم، و إنّ آلامهم و أوجاعهم تؤلمه هو أيضًا، و يمرض لأمراضهم، و يحزن لمصائبهم. و هو يعلم جيّدًا أشجان قلوبهم، و يشاركهم في أحزانهم، فيحلّ معضلاتهم بإشفاقٍ و عطف، حيث تقتضي المصلحة ذلك. و عندما يجد الشيعة الأبواب قد سُدّت في وجوههم و قد وصلوا إلى طريقٍ مسدود، فإنّهم يرون أنّ الحلّ الوحيد يكون بالتوسّل بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

و في حدود سنة ٣٠٧ للهجرة، بعد تفاقم الأمور بينه و بين زوجته، ذهب أبو غالب الزراريّ إلى بغداد، برفقة أحد أصحابه ـ و اسمه أبو جعفر الزجوزجيّ، و كان في الواقع وكيل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الكوفة ـ إلى زيارة الإمامين الجوادين عليهما السلام، ليزيل عن روحه هذه الأكدار، و يزيح عن صدره تلك الأحزان المتراكمة. و هناك قام صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف بإرشاده إلى سبيل الحلّ على لسان صديقه القديم؛ فقد اقترح عليه الزجوزجي قائلًا: ما رأيك أن نذهب إلى أحد وكلاء نائب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟ لديّ حاجة أريد أن يكتبها لي في رقعةٍ لتصل إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف من خلال نائبه الحسين بن رَوح. و قد لقي هذا الاقتراح قبول أبي غالب. و في تلك المدّة كان الحسين بن رَوح لا يزال متخفّيًا، و لم يكن حتّى لوكيله في الكوفة أن يتّصل به مباشرة، لكن في خضمّ تلك الأوضاع كان هناك نفر في بغداد يتسلّمون الرسائل و الأسئلة، و يوصلونها إلى النائب الثالث، و كان الشلمغانيّ أحدهم. و لذلك فقد قرّر الزجوزجيّ و الزراريّ أن يذهبا إليه. و عندما وصلا وجدا عددًا من الشيعة متحلّقين حوله، فألقيا التحيّة و السلام ثمّ جلسا. فالتفت الشلمغانيّ إلى حضورهما و نظر إلى الزجوزجيّ الّذي كان على معرفةٍ سابقة به، ثمّ قال له: لم تُعرّف بالفتى الّذي يرافقك؟ فأجابه الزجوزجيّ: إنّه ينتسب إلى أسرة زرارة بن أعين المعروف، تلميذ الإمام الصادق عليه السلام. فحوّل نظره إلى أبي غالب الزراريّ و قال: أهلًا و سهلًا، أخبرنا وجه قرابتك من زرارة؟ قال: سيّدي أنا من أبناء بكير أخي زرارة. فقال: حقًّا إنّهم أسرةٌ كبيرةٌ و جليلة القدر بين الشيعة. كان الزجوزجيّ يريد أن يكتب حاجته بأسرع ما يمكن، فاغتنم انتهاء الحديث، و خشية أن يبدأ بموضوعٍ جديد فيتأخّر مطلبه، قال دون تريّثٍ: سيّدي أريد أن تكتب رسالةً فيها دعاء لي. فردّ عليه بتلبية طلبه مباشرةً، و أحضر ورقةً كتب فيها ما أملاه عليه الزجوزجيّ. و لم تكن لدى أبي غالب الزراريّ حتّى تلك اللحظة نيّةُ طلب دعاءٍ له، لكنّه فجأةً قال في قرارة نفسه: أنا أيضًا، أكتب طلبًا ألتمسُ فيه دعاءً بحلّ خلافاتي مع امرأتي. لم يكن يرغب في إفشاء الأمر، لذلك أطرق و قال بصوتٍ مرتبك: أطال الله بقاء سيّدنا، أنا أيضًا أسأل حاجة. فأجابه: و ما هي؟ فقال أبو غالب بصورةٍ عامّةٍ و مُجملة: الدّعاء لي بالفرج من أمرٍ قد أهمّني!

تناول الوكيل الورقة السابقة، و كتب في آخرها: «و الزراريّ يسأل الدعاء في أمرٍ قد أهمّه». ثمّ طوى الورقة و وضعها بين الرسائل المكتوبة. و كان كلٌّ من الزجوزجيّ و الزراريّ يعلمان أنّ الجواب لن يخرج إليهما إلّا بعد بضعة أيّام. و لذلك فقد اغتنما الفرصة و توجّها إلى سامراء لزيارة الإمامين الهادي و العسكريّ عليهما السلام و ذويهما. ثمّ عادا بعد أيّام إلى بغداد ثانية قاصدين

معرفة جواب رسالتيهما، و لكنّهما وجدا أنّ الجواب لم يخرج إليهما بعد، الأمر الّذي أقلق أبا غالب جدًّا؛ إذ كان قد علّق الكثير من الآمال على تلك الرسالة، و لذلك فقد حزن كثيرًا لأنّه لم يحصل بعد على جوابٍ عن تلك الرسالة، لكنّ صديقه عدّ ذلك علامة فألٍ، و دليلًا على حصول الجواب من ناحية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و قال: إنّ الأجوبة الّتي تخرج عن الحسين بن رَوْح تصل أسرع من الأجوبة الصادرة عن الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه. و بقي كلاهما في بغداد، و بعد مرور بضعة أيّام ذهب الزجوزجيّ إلى أبي غالب و قال له: ألا نذهب فنسأل عن أجوبة حوائجنا؟ فمضيا كالمرّة السابقة إلى الوكيل و دخلا عليه. و حين جلسا عنده أخرج هذا الأخير قرطاسًا فيه مطالب عديدة و مسائل كثيرة قد أُجيب في تضاعيفها، ثمّ فتحه. و بدأ يقرأ الأسماء بالترتيب واحدًا تلو آخر إلى أن عثر أوّلًا على جواب سؤال الزجوزجيّ فقرأه عليه. ثمّ واصل البحث عن اسم أبي غالب حتّى وجده أخيرًا. فالتفت إليه، و قرأ له جواب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و كان نصُّه: «أمّا الزراريّ وحال الزوج والزوجة، فأصلح الله ذات بينهما». صُعق أبو غالب و تسمّر في مكانه، و تشوّش ذهنُه و ظهرت علامات اضطرابه الداخليّ على وجهه، و لم يكن يستطيع السيطرة على مشاعره من شدّة التعجّب، حتّى إنّ مَن لا يعرف ما القضيّة يظنّه قد تلقّى خبرًا سيّئًا. و لكي يطمئنّ قلبه أراد رؤية الجواب بنفسه، فأخذ القرطاس فوجد هذه العبارة مكتوبة بخطٍّ صغير و دقيق جدًّا. قيل له: إذا أردت أن تستنسخه فلا بأس في ذلك. بعد ذلك ودّع الزجوزجيّ الوكيل، و دعا أبا غالب و اصطحبه إلى الخارج، ثمّ قال له: لِمَ أنت على هذه الحال و قد وصلك هذا الجواب الحسن؟ قال: عجبت منه! سأله الزجوزجيّ عن السبب، فقال: لأنّه سرٌّ لم يعلمه إلّا الله تعالى و غيري، فقد أخبرني به! فقال الزجوزجيّ مبتسمًا: أتشكّ في أمر الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟!

أخيرًا عاد أبو غالب إلى الكوفة، و ذهب إلى بيته. وكانت امرأته لا تزال غاضبةً في بيت أبيها، فأخذَ يُفكّر في طريقةٍ للمصالحة، و إذا بالباب يُطرق. فتح الباب، و لم يصدّق ما رأته عيناه، لقد جاءت من تلقاء نفسها، المرأة السيّئة الخلق الّتي لا يُحلّي مرارة أخلاقها ألف رطلٍ من العسل، تأتي الآن تنشد الصلح! هذا أمرٌ لم تفعله من قبل. فما الّذي حدث في نفس هذه المرأة و ليّن قلبها، و أيّ نَفَسٍ رحمانيّ قرأ على نار صدرها لتكون ﴿بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا﴾؟! و حين التقت أعينهما، ابتسما ابتسامة العشّاق، بدا أنّهما قد نسيا كلّ شيءٍ و بدءا حياتهما من جديد. تبادلا كلمات الاعتذار عمّا سبق من أخطاء و تلاطفا، ثمّ حضر نسباؤه أيضًا و اعتذروا إليه. و لم يقع بين الزوجين أيّ خلافٍ بعد ذلك إلى آخر العمر، و لم يتبادلا أيّ

كلامٍ جارحٍ ببركة دعاء الإمام المهديّ عجّل الله فرجه. و مع أنّ أبا غالب تعمّد التشدُّد في التعامل مع امرأته في بعض المواقف اختبارًا لها، و قد اعترف بأن تحامله عليها ما كانت لتتحمُّله أيّ امرأةٍ، إلّا أنّها لم تكن تُبدي أيّ ردة فعل سلبيّة. كما لم يحصل أيّ مشاحنات بينه و بين أهلها. نعم، إنّ دعاء الإمام عجّل الله فرجه يطيح بجبل الخلافات و يطفئ الضغائن، و يجعل من النار بردًا و سلامًا و جنّة نعيم. فالإمام المهديّ عجّل الله فرجه الّذي هو عينُ الله الناظرة، بنظرته الرحيمة الّتي هي كالكيمياء، يجعل من نحاس الإنسان ذهبًا، و هو و إن كان غائبًا عن الأنظار، لكنّه يعلم أصغر جُزَيْءٍ من تفاصيل حياة شيعته، و يحلّ مشكلاتهم، تمامًا كما كان الوضع في أثناء حضور الأئمّة عليهم السلام، إذ من يراجعهم بخلوص نيّة، يتلقّى منهم أحسن جواب. و ما أكثر الخلافات الأسريّة الّتي حُلّت بقرع باب بيت الإمام عجّل الله فرجه و الإفضاء إليه بالمراد. فلم تكن الغَيبة إلّا حفظًا لنفسه الشريفة عجّل الله فرجه، لا إخلالًا بمواهبه إلى شيعته و اهتمامه بهم؛ بدءًا من البلايا الاجتماعيّة على أنواعها وصولًا إلى أصغر المشكلات الشخصيّة كالخلافات الزوجيّة، كلّها تُحلّ بالاستمداد منه، و الشرط الوحيد اللازم هو الصدق و خلوص النيّة.

«الكافي» كافٍ للشيعة كافة

لم يكن محمّد هو الابن الوحيد الّذي رُزِقَه عليّ بن بابويه. فلم يمضِ وقت طويل حتّى ولد ابنه الثاني؛ فسمّاه حسينًا. كان عليّ بن بابويه يؤمن بدعاء إمامه الّذي لا يُردّ، و لذلك فقد عقد الكثير من الآمال على ولدَيه هذين. و كانت شهرة محمّد بن يعقوب الكلينيّ قد بلغت سمع عليّ بن بابويه أيضًا، و كان يتوق إلى أن يصبح ولداه مثله فحلَين و أسطونَيْن في علم الحديث و في الترويج لمدرسة أهل البيت عليهم السلام و تعاليمهم.

و محمّد بن يعقوب هو أحد أبناء قرية كُلين من ضواحي مدينة الرّي، و كانت ولادته معاصرة لبداءة إمامة صاحب الزمان عجّل الله فرجه تقريبًا، و قد سمع نصّ التوقيع الشريف في جواب الإمام عجّل الله فرجه لإسحاق بن يعقوب و بذلك فطن إلى وظيفته الأساسيّة في عصر الغَيبة. و كان قول الإمام عجّل الله فرجه: «وأمّا الحوادثُ الواقعةُ فارجعُوا فيهَا إلى رُواةِ حديثِنَا، فإنّهم حُجّتِي عليكُم وأنا حُجّةُ اللهِ عليهم» قد أثّر في محمّد بشدّة. و مع أنّه كان لا يزال فتى، لكنّه عقد عزمه على إنفاق عمره الباقي في حفظ أحاديث أهل البيت عليهم السلام و تدوينها. فأخذ العلم و الحديث في بداءة حياته من علماء الريّ، ثمّ يمّم وجهه نحو كلّ مدينةٍ يعيش فيها علماء الشيعة و إلى

كلّ حاضرةٍ يسكنها كبار المحدِّثين؛ فكان يقصدهم و يشدّ الرحال إليهم، و يستنسخ ما في حَوزتهم من الأحاديث. وكانت أكثر استفادته من علماء قمّ و الكوفة، حتّى استقرّ به المقام في نهاية المطاف في بغداد و اتّخذ منها مسكنًا له، ليستفيد من كبار العلماء هناك، إلى أن أصبح في زمن النائب الثالث ببركة التوقيع الشريف للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إطاعته لأمره، من أكبر رواة الحديث في التاريخ. وكان محمّد قد أنفق عشرين سنة من عمره في تأليف كتابه «**الكافي**»، وكان بحقّ كتابًا كافيًا للشيعة كافّة، و سيبقى مستَنَدًا متينًا للشيعة في مختلف المسائل العقائديّة و الفقهيّة على مدى سنواتٍ متمادية و قرون متطاولة. و من يقرأ روايات الكافي يشعر وكأنّه جالسٌ في رحاب أهل البيت عليهم السلام و يستمع إلى أحاديثهم من أفواههم المطهَّرة.

هكذا بيّن الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الطريق الّتي يجب على الشيعة أن يسلكوها في غَيبته، فإنّهم لا يعلمون عدد السنين الّتي ستستمرّ فيها غَيبة إمامهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و ما هي الأحداث و الفتن الّتي سوف تقع خلال هذه المدّة العصيبة. لقد كان صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف يعلم أنّ الشيعة سيواجهون بعد ذلك حوادث و مسائل جديدة، و عليهم أن يتسلّحوا في مواجهتها بسلاحٍ علميٍ يتناسب مع حجمها؛ ليحافظوا على دينهم، و لا يبتعدوا عن تعاليم أهل البيت عليهم السلام عِدل القرآن الكريم و مفسّريه. وكان عجّل الله تعالى فرجه الشريف يهيّئهم بالتدريج كي يتمكّنوا من مواصلة الارتباط به على الرغم من غَيبته و احتجابه عنهم، فعلّمهم أنّ الرجوع إلى كلماته وكلمات آبائه الطاهرين عليهم السلام أحد أهمّ الطرق للارتباط به في زمن غيبته، كما أنّ الارتباط برواة الأحاديث ـ الّذين أفنوا أعمارهم في طاعة الله عزّ و جلّ و مخالفة الهوى و الفهم الصحيح لروايات أهل البيت عليهم السلام، و الّذين أصبح الصدق و التقوى جزءًا من وجودهم، و لم يغرقوا في حبّ الدنيا ـ هو بمنزلة الارتباط بكلام أهل البيت عليهم السلام. و هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد كنّن حديث قلبه في أحاديث آبائه عليهم السلام ليبرّد قلوب شيعته المحبّين، فالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ليس وحده من يحبّ أولياءه و يتوق إليهم، إنّما قلوب شيعته أيضًا تخفق شوقًا إلى رؤيته و لقائه. فبات سماع حديث قلبه أمرًا ممكن التحقّق للشيعة كافّة، في أيّ زمانٍ و مكان، من خلال الرجوع إلى تلك الروايات و الأحاديث الشريفة، و به تتحقّق مرتبة من مراتب الحضور بين يدَي الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في حياة المؤمنين. و هكذا كان الشيعة يتوصّلون شيئًا فشيئًا إلى فهمٍ أعمق لحضور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي لا يمنعه حجاب و لا ستار، و معرفة سبل تحقيقه، إلى أن يتمكّنوا بالتدريج من التشرّف بالحضور الحقيقيّ أيضًا.

بين الفَيْنة و الأخرى كانت تظهر فتنةٌ جديدةٌ، إذ يظهر أشخاصٌ يشرئبّون بأعناقهم و يقولون إنّهم نوّاب الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، و يستغلّون هذا الادّعاء من أجل الترويج لمعتقداتهم الباطلة بين النّاس، و حتّى يأخذوا أموالهم. كان الإمام المهديّ عجّل الله فرجه من خلال توقيعاته المتكرّرة و الأوامر و التعليمات الّتي يوجّهها إلى نوّابه طيلة المدّة الزمنيّة للغَيبة الصغرى، يتصدّى لهذه الفتن، و يدفع شرّ الذئاب الكاسرة الّتي تجعل الدين فريسةً لها أو طُعمًا لنيل غاياتها. و إحدى هذه الفتن كانت فتنة الشلمغانيّ، و هي فتنةٌ ليست كفتنة أبي طاهر بن بلال و لا فتنة أحمد بن هلال الكرخيّ، فهما لا تمثّلان شيئًا يُذكر بالنسبة إليها.

ففي بداءة السنوات الخمس الّتي تقلّد فيها حامد بن عبّاس منصب الوزارة، كان الحسين بن روح يعيش متخفّيًا، ثمّ ذاق بعد ذلك طعم سجن المقتدر مدّةً من الزمن. و لم يكن اختلاق الذرائع لإلقاء القبض عليه بالأمر المتعذّر جدًّا، و كان من بينها اتّهامه بجمع الحقوق الشرعيّة من الشيعة و عدم تسليمها إلى ديوان الحكم، أو اتّهامه بالتواصل مع القرامطة المتمرّدين، و هم فئة فوضويّة و مثيرة للقلاقل يدّعون أنّهم من الإسماعيليّة، و منذ عام ٢٨٦ للهجرة أسّسوا لأنفسهم دولة قويّة في البحرين. و في مدّة اختفاء النائب الثالث أو سجنه، كان الشلمغانيّ قد امتلك جميع الفرص ليفعل ما يشاء. و في نهاية المطاف حدث ما لا ينبغي أن يحصل؛ ففي البداءة كان قد أتقن دوره و مهامه بوصفه واحدًا من الوسائط بين الوكلاء و النائب الثالث، و اكتسب بذلك ثقة الناس. ثمّ ما لبث أن استحوذت عليه الوساوس الشيطانيّة؛ و صار يقول في قرارة نفسه ما الّذي ينقصني عن الحُسين بن رَوْح؟ لماذا يجب أن يكون هو نائب الإمام عجّل الله فرجه و أنا لا؟ لِمَ لا أكون أنا قائدًا دينيًّا و فكريًّا؟ و كالخلّ الّذي يُصبّ فوق العسل كان الحسدُ آفةً شوّهت إيمانه، و دفعه حبّ الرئاسة و الشهرة إلى السقوط الأخلاقيّ فكان كالجعفيل الّذي أصاب نُسغَ شجرة علمه فأيبستها. و مع أنّه قد ألّف كتابًا موضوعه التسليم لله عزّ و جلّ، لكن لم يكن يعلم أنّ التسليم ليس باللسان و الادّعاء، بل يحتاج إلى الإخلاص و مجاهدة النفس. أخذ الحسد يتملّكه شيئًا فشيئًا، فصار يحدّث نفسه: في هذا الوقت الّذي تكون فيه يَدُ الحسين بن روح مكبّلة، هذه أفضل فرصة لي كي أعرّف بنفسي! و باتت له معتقداته و آراؤه الخاصّة، و صنع لنفسه دينًا، و ظهر الانحراف في آرائه و طريقة تفكيره.

و كان آل بسطام من مريديه أكثر من الآخرين؛ و الشلمغانيّ بدوره كان يردّد أمامهم كلامه الّذي ينضح كفرًا، ثمّ يؤكّد لهم أنّه أخذه عن النائب الثالث أبي القاسم! و لثقتهم العمياء به كانوا يصدّقون كلامه.

كان يذيع على الملأ كلّ ما يخطر على باله من ترّهات، و يختمها بقوله إنّها أسرارٌ إلهيّة، عليّ عهدٌ أن لا أُفشي هذه الأسرار، و أن أكتمَها، لكنّني أصرّح بها لا إراديًّا، و لهذا السبب ربما فقدت مكانتي الأولى و طُردت، لأنّ هذه الحقائق عظيمةٌ و ثقيلة، لا يتحمّلها سوى الملائكة المقرّبين و الأنبياء المرسلين و المؤمنين الممتَحنين! و بهذه الخزعبلات كان يزداد إيمان البسطاميّين و بعض الساذجين من الشيعة به يومًا بعد يوم. أمّا أولئك الّذين جعلوا كلام الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف دستورًا لحياتهم، فكانوا يدركون أنّ كلام الشلمغانيّ لا يوافق تعاليم أهل البيت عليهم السلام حتمًا، و يجب أن يُضرَب به عرض الحائط، فقد كان الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد أكّد للناس في توقيعاته الشريفة، أن يرجعوا في المسائل و الحوادث المستجدّة إلى رواة الحديث، و إلى ذوي الخبرة في فهم أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

انتهاء الأزمة

منذ عام ٣١١ للهجرة، تسلّم أبو الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات منصب الوزارة للمرّة الثالثة، و لكنّه انتهج هذه المرّة سياسة القمع و القسوة الشديدَين، فقام بتعذيب معارضيه و القضاء عليهم، و أطلق العنان لولده مُحسن في إيذائهم. و الأمر الّذي زاد من سوء الأوضاع أنّ مُحسن قد نصّب الشلمغانيّ في ديوان إدارته، بعد أن عمل هذا الأخير على التقرّب منه، و كانت غاية مُحسن من ذلك ستر أعماله الإجراميّة و التغطية على فساده الاقتصاديّ و الرشى الّتي كان يحصل عليها. ثمّ صار أتباع الشلمغانيّ يتسلّلون إلى الحكم يومًا بعد يوم بعد أن فتحت لهم السلطة أبوابها، لِمَا رأت من المصالح في ارتفاع شأن الشلمغانيّ و إحداث شرخ في صفوف الشيعة. و خلال هذه المدّة، كان الحسين بن روح مسجونًا في إحدى حُجر قصر المقتدر، و كان من الممكن لبعض الأفراد التواصل معه بنحوٍ محدود و في أزمنة خاصّة. و كما أنّ السامريّ استغلّ غياب نبيّ الله موسى عليه السلام ليفتن القوم و يحرفهم عن الحق، فإنّ الشلمغانيّ استغلّ مقامه من جهة و سجن النائب الثالث من جهة ثانية ليفتن الشيعة و يحرفهم عن عقائدهم.

و من الفتن الّتي أحدثها الشلمغانيّ ما عاينته «أمّ كلثوم»، الابنة الكبرى للنائب الثاني محمّد بن عثمان، و كانت عالمةً فاضلةً محدّثة. فقد زارت في أحد الأيّام امرأة بسطاميّة، فاستقبلتها المرأة بالترحاب، و أبدت لها الكثير من الاحترام. فجأةً لاحظت أمّ كلثوم أنّ ما قابلتها به المرأة من إجلالٍ و تقديرٍ قد تجاوز الحدّ، فقد انحنت تقبّل قدمَيها. استنكرت أمّ كلثوم فعلها هذا و قالت لها: مهلًا، ماذا تفعلين؟! فإنّ هذا أمرٌ عظيم! ثمّ جلست و أبعدت المرأة عنها بيدَيها. في هذه اللحظة انهمرت دموع البسطاميّة، كأنّما فقدت وعيها، و أُزيل الختم عن فَمها، و قالت: كيف لا أفعل ذلك، و أنتِ مولاتي فاطمة الزهراء عليها السلام ؟! نزلت هذه الكلمات كالصاعقة على قلب أمّ كلثوم و عقلها، و قالت: ما هذا الكلام؟! قالت المرأة البسطاميّة: إنّ الشلمغانيّ قد كشف لنا السرّ الإلهيّ! قالت أمّ كلثوم و الدهشة قد خطفت أنفاسها: أيّ سرّ؟ قالت: لقد أخذ علينا عهدًا و ميثاقًا بكتمانه، و أخاف إن أنا أذعته على الملأ أن يعاقبني الله. و هنا شعرت أمّ كلثوم أنّ من واجبها معرفة ما قاله الشلمغانيّ للبسطاميّين، كي تُطلع عليه النائب الثالث إن لزم الأمر. لذلك طمأنتها أنّها لن تُخبر أحدًا بما ستسمعه منها، مُستثنيةً في ذهنها النائب الثالث الحُسين بن رَوْح من دون أن تصرّح بذلك كنوعٍ من التورية الواجبة في هذا الموقف. فكشفت البسطاميّة أخيرًا السرّ و قالت: لقد قال لنا الشلمغانيّ إنّ روح رسول الله صلى الله عليه وآله قد انتقلت إلى أبيك محمّد بن عثمان، و روح أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام انتقلت إلى بدن الشيخ أبي القاسم الحسين بن رَوْح، و روح السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام انتقلت إليك! فكيف لا أعظّمك يا سيّدتي و أكرّمك؟!

بذلت أمّ كلثوم جهدًا كبيرًا لإقناعها بخطأ ما تعتقد به و بخطورته و ضرورة الإعراض عنه، لكنّ جهودها باءت بالفشل. إذ كلّما قالت لها إنّ هذا كذبٌ، و يجب أن تمحوَه من ذهنها، ردّت عليها المرأة البسطاميّة بالقول: أنا أعلم أنّ ما أفشيت به سرٌّ عظيمٌ؛ كان الشلمغانيّ قد أخذ علينا الميثاق في أن نكتمه و لا نبوح به، فليرحمني الله، و ينجني من عذابه. و يا سيّدتي لولا إصرارك عليّ، لما كشفته لك و لا لأحدٍ غيرك.

احتارت أمّ كلثوم أتبكي على جهل هذه المرأة المركّب و ضلالها و سخف كلامها، أم تغضب ممّا فعله الشلمغانيّ بعقول هؤلاء الهمج الرعاع. و لمّا رأت أنّ المرأة البسطاميّة لن تعود إلى الصراط المستقيم، غادرت منزلها، و هَرَعت إلى النائب الثالث و قصّت عليه ما جرى. و كان أبو القاسم يثق بها و يصدّق كلامها، فتجهّم وجهه و قال: يا بنيّة إيّاك أن تمضي

إلى هذه المرأة بعدما جرى منها، و لا تقبلي لها رقعة إن كاتبتك، و لا رسولًا إن أنفذته إليك، و لا تَلقيها بعد قولها، فهذا كفر بالله تعالى و إلحاد، قد أحكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم، ليجعله طريقًا إلى أن يقول لهم إنّ الله تعالى اتّحد به و حلّ فيه، كما يقول النصارى في المسيح عليه السلام!.

و من أفعال الشلمغاني الشنيعة، أنّه أخذ ينسب ما يقوله إلى نائب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف الحسين بن روح. و كانت نصائح أصدقائه القدامى عديمة الجدوى، إذ ركِبه العناد و انسلخ من آيات ربّه و أخلد إلى الأرض. و لم يمضِ وقتٌ حتّى تسرّب كلامه إلى آل نوبخت، و وصل الخبر إلى الحسين بن رَوْح. فغضب أبو القاسم غضبًا شديدًا، و كي لا تعمّ الفتنة و تنتشر بين عامّة الناس، كتب رسائل إلى آل نوبخت فردًا فردًا لعن فيها الشلمغانيّ، و أعلن أنّه يتبرّأ منه و من كلّ من يتّبعه أو يصدّق كلامه أو يكلّمه.

كما أرسل إلى البسطاميّين رسائل مشابهة، لكنّ هؤلاء قالوا في قرارة أنفسهم: إنّ هذا اللعن و التبرّؤ سببهما أنّ الشلمغانيّ قد أفشى الأسرار الإلهيّة. و عندما أخبروه برسالة اللعن شرع في البكاء، ثمّ قال: إنّ كلام أبي القاسم له معنًى باطنيٌّ عميق، إنّ حقيقة اللعن هي الإبعاد، و قوله: لعنة الله عليّ، معناه أنّ الله عزّ و جلّ أبعدني عن عذاب الآخرة. الآن أدركت علوّ منزلتي أكثر!! و ما لبث و هو على هذه الحال من البكاء و العويل، أنْ مرغ خدَّيه على التراب و قال: «عليكم بالكتمان لهذا الأمر!». تُرى ما سيكون حاله يوم القيامة حين يرميه الله عزّ و جلّ في نار جهنّم؟ لا بدّ أنّه سيقول لخزنتها لا تقولوا إنّ هذه نار غضب الله، بل هي نار عشقه يحرقنا بها!

و مع أنّ النائب الثالث قد راسل العديد من الأشخاص و بيّن براءته من الشلمغانيّ، و لكنّه حتّى الآن لم يكن قد أعلن ذلك لعامّة الناس، لأنّ عمّال السلطة و من بينهم نجل الوزير كانوا يدافعون عن الشلمغانيّ، و إنّ التصريح الرسميّ من قِبل الحسين بن روح في هذا الشأن و هو في سجنهم، يعني الحكم عليه بالإعدام. بل ربما كانت علاقات الشلمغانيّ و سياساته هي الّتي أدّت إلى إلقاء القبض على النائب الثالث و حبسه. و الأهمّ أنّ الحسين بن روح لم يكن يفكّر في شيءٍ سوى تلبية إرادة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لم يكن حتّى تلك اللحظة مأمورًا بإعلان البراءة من الشلمغانيّ بنحو رسميّ.

و كان الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يشهد جهالة قومٍ لم يُدركوا بعد أوضح حدود الشريعة و العقائد الدينيّة و أكثرها بداهة، و لم يتعلّموا أنّ أيّ ادّعاءٍ أو زعمٍ يجب أن يُعرف صدقه من

زيفه بفحصه من خلال وضعه على محكِّ القواعد و الأصول الّتي وضّحتْها أحاديث أهل البيت عليهم السلام. فكان البعض أشبهَ بطفلٍ تعلّم المشيَ على قدميه حديثًا، لكنّه لا ينفكّ محتاجًا في كلّ لحظةٍ إلى يد والدِه تمسكه كي لا يقع أرضًا. و ها هو إمام العصر عجّل الله فرجه قد أخذ بيد شيعته هذه المرّة أيضًا ليُنجيهم من مضلّات الفتن، فكتب في ذي الحجّة من سنة ٣١٢ للهجرة توقيعًا مهمًّا إلى الحسين بن رَوح، و أوصله إليه بنحو غيبيّ. فعندما عبّر النائب الثالث عن قلقه، قائلًا: أنا الآن تحت أيدي هؤلاء و الخطر يهدّدني في كلّ لحظة، أمره الإمام عجّل الله فرجه بإظهار التوقيع بدون خشية و طمأنه إلى أنّه سيكون في أمان. و كان الإسكافيّ أوّل شخصٍ يتلقّى الرقعة من النائب الثالث الحسين بن رَوْح، و حين نظر فيها، لاحظ أنّ حبرها لم يكن قد جفّ بعد. و مع أنّه كان يشعر بحضور الإمام عجّل الله فرجه التامّ و الكامل في هذا التوقيع الشريف، لكنّه لم يستوعب كيف تراسل مع نائبه، ثمّ قرأ التوقيع المبارك و قد ورد فيه:

«عَرِّفْ ـ أَطَالَ اللّٰهُ بَقَاكَ وَعَرَّفَكَ اللّٰهُ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَخَتَمَ بِهِ عَمَلَكَ ـ مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ وَتَسْكُنُ إِلَى نِيَّتِهِ مِنْ إِخْوَانِنَا ـ أَدَامَ اللّٰهُ سَعَادَتَهُمْ ـ بِأَنَّ محمّد بْنَ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفَ بِالشَّلْمَغَانِيِّ، عَجَّلَ اللّٰهُ لَهُ النِّقِمَةَ وَلَا أَمْهَلَهُ، قَدِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَفَارَقَهُ، وَأَلْحَدَ فِي دِينِ اللّٰهِ، وَادَّعَى مَا كَفَرَ مَعَهُ بِالْخَالِقِ جَلَّ وَتَعَالَى، وَافْتَرَى كَذِبًا وَزُورًا، وَقَالَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا عَظِيمًا، كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِاللّٰهِ وَضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا وَخَسِرُوا خُسْرَانًا مُبِينًا، وَإِنَّا بَرِئْنَا إِلَى اللّٰهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ وآله ـ صَلَوَاتُ اللّٰهِ وَسَلَامُهُ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِم ـ مِنْهُ، وَلَعَنَّاهُ عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللّٰهِ تَتْرَى، فِي الظَّاهِرِ مِنَّا وَالْبَاطِنِ وَالسِّرِّ وَالْجَهْرِ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ شَايَعَهُ وَبَلَغَهُ هَذَا الْقَوْلُ مِنَّا فَأَقَامَ عَلَى تَوَلِّيهِ بَعْدَهُ. أَعْلِمْهُمْ ـ تَوَلَّاكَ اللّٰهُ ـ أَنَّنَا فِي التَّوَقِّي وَالْمُحَاذَرَةِ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِمَّنْ تَقَدَّمَهُ مِنْ نُظَرَائِهِ مِنَ السَّرِيعِيِّ وَالنُّمَيْرِيِّ وَالْهِلَالِيِّ وَالْبِلَالِيِّ وَغَيْرِهِمْ، وَعَادَةُ اللّٰهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَعَ ذَلِكَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ عِنْدَنَا جَمِيلَةٌ وَبِهِ نَثِقُ وَإِيَّاهُ نَسْتَعِينُ، وَهُوَ حَسْبُنَا فِي كُلِّ أُمُورِنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

ثمّ راح الإسكافيّ يزور زعماء الشيعة و كبارهم و يلتقيهم فردًا فردًا، و لم يترك منهم أحدًا إلّا و سلّمه هذا التوقيع المبارك ليستنسخه. و بعد ذلك أُرسلت نسخٌ إلى المدن الأخرى، و اتّضح الأمر للشيعة في كلّ البلاد الإسلاميّة. و بعد مدّة وجيزة، تحقّق وعد إمام العصر عجّل الله فرجه للحسين بن رَوح بأنّه سيكون في مأمن، فأُطلِق سراحه خلافًا لكلّ التوقعات، إذ اتّضح بطلان الادّعاء القائل بوجود علاقةٍ و صلةٍ تربط الحسين بن روح بالقرامطة، و لعلّ هذا الفرج قد

جرى على أيدي النوبختيّين لِما كان لهم من مكانة و منزلة في الدولة. كما أنّ عناصر الشلمغانيّ المتسلّلين إلى دار الخلافة لم يتمكّنوا من إقناع الخليفة بالإبقاء على الحسين بن روح في السجن، لِما كان يحمِله الخليفة من سوء ظنٍّ تجاه وزيره و بطانته. و كأنّ كلّ الأحداث سارت في مسارٍ واحدٍ لتنجز إرادة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

هروب المدّعي

انتشرت نسخٌ عديدةٌ من توقيع الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بسرعة البرق و بات الشيعة بأسرهم يعلمون فحواها، و صار الشلمغانيّ متّهمًا أينما حضر، و في أيّ مجلسٍ حلّ. لكنّ المشكلة الّتي واجهها الشيعة حينها، أنّ بيوتهم كانت مليئةً بالكتب الحديثيّة الّتي ألّفها الشلمغانيّ، إلّا أنّه كان قد كتبها قبل انحرافه و إعلانه عن تلك الأفكار الضالّة و المعتقدات الخرافيّة. فاحتار الشيعة في أمرهم، ماذا يجب أن يفعلوا بها، هل يحرقونها بالنار أم يستفيدون منها؟! و لا مجيب لسؤالهم و قاطع لحيرتهم إلّا نائب حجّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فطرحوا السؤال على الحسين بن رَوْح، فأجابهم بعون الله تعالى جوابًا حكيمًا مستندًا إلى سيرة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، فقال: أقول فيها ما قاله العسكريّ عليه السلام في كتب بني فضّال، إذ قالوا له: ما نصنع بكتبهم و بيوتنا منها ملاء؟ فأجاب عليه السلام: «خُذوا ما رَووا و ذَروا ما رأوا»، و المقصود أن يأخذ الناس بالأحاديث المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام و يتركوا ما أبداه مؤلّفوها من آراء و تعليقات.

لقد صدر توقيع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الوقت المناسب لاستنقاذ الأمّة من الجهالة و حيرة الضلالة، و فضح المعتدين الظالمين، و لا سيّما أنّه في تلك السنين، لم يكن عدد أولئك الّذين ادّعوا كذبًا أنّهم نوّاب صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف قليلًا، و قد لعنهم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بأسمائهم في التوقيعات الّتي صدرت عنه. و لم تكن تلك التوقيعات مختصّةً بدفع فتن تلك المرحلة وحدها، بل كانت ترياقًا لدفع الفتن القادمة أيضًا، لأنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان يرى أنّ الكثيرين من أمثال الشلمغانيّ سيظهرون في المستقبل، و سيدّعون كذبًا أنّهم نوّابه عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو من المنسوبين إليه، و يجعلون عِلمَهم وسيلةً للحصول على الدنيا، و سيَضِلّون و يُضِلّون غيرهم حسدًا للعلماء الربّانيّين المقرّبين من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لكن في حينها لن يَصدر في حقّهم توقيعٌ، بل يجب على الشيعة أن يجعلوا السلوك و الأخلاق معيارًا بدلًا من الأشخاص، إذ من الآن فصاعدًا قد جعل الإمام المهديّ عليه السلام مصدر الحكم و ميزان الفصل بين الحقّ و الباطل يكمن في مراجعة الروايات الشريفة و مشافهتها و استنطاقها.

أمّا مصير الشلمغانيّ فقد آل إلى أسوأ حالٍ بعد أن قام المقتدر بالله الّذي لا يقدر على شيءٍ سوى تغيير الوزراء كلّ سنة و نصف كحدٍّ أقصى، بعزل أبي الحسن بن الفرات من منصبه للمرّة الثالثة بتهمة الارتباط بالقرامطة و دعم الشيعة، و قضى على أمل عودته إلى الحكم بعد أن أمر بإلقاء القبض عليه و على نجله مُحسن، و ضرب عنقيهما! ثم نصّب مكانه محمّد بن عبد الله الخاقاني الّذي سبق له أيضًا أن تسلّم منصب الوزارة قبل مدّة. وكان الخاقاني ـ خلافًا لابن الفرات ـ داعمًا للحنابلة المثيرين للشغب، و مبغضًا للشيعة. وكان لهذا البغض بطبيعة الحال حسنة واحدة تمثّلت بطرد الشلمغانيّ و أتباعه من مرافق الحكم و السلطة. و بعد مدّة وجيزة، تعرّف الوزير إلى عقيدة الشلمغانيّ الفاسدة بنحوٍ أعمق، فأصدر قرارًا بإلقاء القبض عليه و إعدامه. بيد أنّ الشلمغاني قد تمكّن من الهروب، ثمّ لجأ إلى أمير الموصل ناصر الدولة الحمدانيّ.

الأمان الإلهيّ

شارف الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف على بلوغه عامه الستين في العقد الثاني من القرن الهجري الرابع، لقد تجاوز مرحلة الكهولة و لا يزال الشيعة لم يمهّدوا الأرضيّة لظهوره.

و مع تقاعسهم هذا، إلّا أنّ الإمام العطوف عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يزال يبذل عطاءه إلى كلّ من يشاء بغير حساب، و من الّذين أدركتهم عناية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الخاصّة عليّ بن بابويه، الّذي حصل على كلّ ما يمتلكه ببركة دعاء إمامه. و بدوره عليّ بن بابويه قد أغدق من هذه العناية الخاصّة على أبنائه الّذين لا يزالون في طور الطفولة. فأحسن تأديبهم و تربيتهم من هذه المرحلة المبكّرة، و أخذ يزقّهم من علوم أهل البيت عليهم السلام و يعلّمهم إيّاها بلغة يُمكن للأطفال فهمها. وكان عليّ لا يزال على صِلة بأبي القاسم الحسين بن روح، و يطرح أسئلته على إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف بواسطته، و يحصل منه على الإجابات.

كان عليّ بن بابويه قد نذر الذهاب إلى الحجّ، و قد اقترن موسم أداء نذره بتمرّد القرامطة. إذ كان الحاكم القرمطيّ أبو طاهر الجنابيّ في سنة ٣١١ للهجرة قد شنّ هجومًا على مدينة البصرة مستعينًا بجيشه المستميت، و تجاوز الحصن المحيط بها و قتل من كان فيها. ثمّ منذ عام ٣١٣ للهجرة صار يهاجم الناس في مكّة و القرى المحيطة بها و أحدث الكثير من الرعب و الفزع بين صفوف الآمنين. و الأخطر من ذلك كلّه أنّهم كانوا يغيرون على قوافل

الحجيج، كما عمدوا إلى تخريب الكعبة و لم يجعلوا أيّ حرمةٍ لبيت الله الحرام، حتّى إنّهم سرقوا الحجر الأسود في سنة ٣١٧ للهجرة. و هكذا أحاط الخطر الجسيم بقوافل الحجيج العراقيّين، إذ كان عليهم اجتياز المنطقة الّتي يسيطر عليها القرامطة.

فأثارت هذه الظروف القلق في نفس عليّ بن بابويه و حارَ في أمره، ما هو تكليفه الشرعيّ؟ أَيَفي بنَذْره أم لا؟ لذلك كتب رسالةً إلى الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يسأله فيها عن شدّ الرحال و الذهاب إلى الحجّ، ثمّ سلّمها إلى أبي القاسم، فجاءه الجواب: لا تذهب! لكنّ قلبه لم يهدأ، و شكّ في أنّه لم يصغ سؤاله كما يجب، فأعاد مراسلة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بواسطة نائبه، و أكمل هذه المرّة سؤاله بقوله: عليّ نَذْرٌ واجب، أيجوز أن أقعدَ و لا أفيَ بنَذْري؟ بعد مدّةٍ أحضر له أبو القاسم جواب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف وكان مضمونه: إنْ كان لا بدّ من ذهابك إلى الحجّ، فاذهب في القافلة الأخيرة! بهذا الكلام اطمأنّ بال عليّ بن بابويه إلى أنّه لا خطر يهدّد القافلة الأخيرة، فانتظر آخر القوافل المتوجّهة إلى الحجّ و التحق بها. و بالفعل فإنّ القوافل كلّها قد تعرّضت لهجوم القرامطة و قُتِل الكثيرون، إلّا القافلة الّتي ذهب فيها عليّ بن بابويه، فقد رافقتها السلامة بفضل الله و إرشاد الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و بهذا أصبح عليّ يدين بحياته إلى إمامه المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

عقوبة الله

بعد مقتل المقتدر العبّاسيّ في عام ٣٢٠ للهجرة، حلّ محلّه على كرسيّ الخلافة أخوه غير الشقيق أبو منصور القاهر، فعمد ما أمكنه إلى التضييق على أسرة المقتدر. و قد نال الوزارة في عهده، كما في عهد أخيه السابق، الفنّان الشيرازيّ ابن مقلة، مُبدع خطوط الثلث و النسخ و الريحانيّ. و قد عزم هذا الأخير على تطهير البلاط ممّن تبقّى من أصحاب الشلمغانيّ الّذين تمكّنوا من الإفلات من حملات الإقصاء في عهد الخاقانيّ، و لكنّه لم يحقّق نجاحًا في ذلك الأمر.

و في حدود عام ٣٢١ للهجرة أُخمدَت فتنة القرامطة إلى حدّ ما، فعاد الهدوء نسبيًّا إلى بغداد، و عادت المياه إلى مجاريها، فتوجّه الشلمغانيّ ثانيةً من الموصل إلى بغداد. و عندما أعلن عن دعوته في بغداد، أظهر أصحابه الولاء له و أخذوا ينصرونه علنًا بعد أن كانوا يكتمون عقيدتهم قبل ذلك، و لم يكن انتماء أنصاره مقتصرًا على أفراد الحاشية فحسب، بل امتدّ إلى الطبقة المثقّفة و المتعلّمة. وكان الشلمغانيّ كسابق عادته كثير الادّعاءات و جانحًا

في الخيال، حتّى إنّه أرسل إلى الحسين بن رَوح رسالةً يُخبره فيها أنّه هو النائب لإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أنّ الإمام قد أمره بإظهار علمه. و أضاف قائلًا: إن لم تقبل ذلك منّي فتعالَ نبتهل؛ فإن لم تنزل عليك نارٌ من السماء و تحرقك، كنتَ صادقًا فيما تقوله. و لأنّ أبا القاسم الحسين بن رَوح كان يعلم أنّه جاء بالحظر الرطب و كعادته يلقي ترّهة، و أنّه حتمًا لن يحضر لو وقعت المباهلة فعلًا، فإنّه لم يُعِره اهتمامًا و اكتفى في جوابه بإخبارٍ غيبيّ مختصر كاتبًا: «أيّنا تقدّم صاحبه فهو المخصوم!». و معنى كلامه أنّ الّذي يموت منهما قبل الآخر يكون على باطل، فأدرك الشيعة أنّ الشلمغانيّ سيموت قريبًا و تُستأصل شأفته.

و بعدما انتقلت الخلافة إلى أبناء المقتدر سنة ٣٢٢ للهجرة، عمد الراضي بالله نجل المقتدر إلى استيزار ابن مقلة للمرّة الثالثة. فوجد الوزير الشيرازيّ أنّ الفرصة أصبحت مؤاتية لإتمام ما لم يتمكّن من إنجازه في المراحل السابقة. و لمّا كان الشلمغانيّ و أتباعه في نظره مُرتدّين و كفّارًا و مُغالين، راح ابن مقلة يعتقل كلّ من يميل إلى نهج الشلمغانيّ دون أدنى تحفُّظ. و في الوقت ذاته أمر باقتحامٍ مفاجئ لبيت الشلمغانيّ، فألقوا القبض عليه و فتّشوا بيته؛ فوجدوا عنده رسائل أصحابه و أتباعه. و بعد الاطّلاع عليها أدركوا صحّة ما كان يُشاع حوله؛ إذ كان أنصاره يقولون بأُلوهيّته، و يصفونه بصفاتٍ لا تصحّ نسبتها إلى البشر، و لكنّه أنكر ذلك في أثناء التحقيق معه. و لتحديد أصحاب تلك الرسائل من أتباع الشلمغانيّ، قام ابن مقلة بعرضها على الخبراء في الخطّ. و بعد التعرّف إليهم، كان يأمر بجلبهم للمواجهة مع الشلمغانيّ و يطلب إليهم البراءة منه و صفعه على وجهه. و كانوا يقومون بذلك بكلّ مهانة و ينزلون بإلههم المزعوم أفظع أنواع المذلّة حفاظًا على أنفسهم من الموت، و لم يمتنع منهم غير ابن أبي عون ـ و كان أديبًا و عالمًا في الهيئة و النجوم ـ إذ رفض البراءة من الشلمغانيّ. و كانت أطرافه ترتجف، و بدلًا من صفعه أخذ يُقبّل وجهه و رأسه، و يقول له: سيّدي و مولاي و معبودي و رازقي! و هنالك قطع ابن مقلة الشكّ باليقين و باتت الدعوة الّتي نشرها الشلمغانيّ بين أصحابه واضحة للعيان. فأسرع لعقد اجتماعٍ مع فقهاء أهل السنّة و القضاة و الجلّادين، و أفتوا بإهدار دميهما. و في شهر ذي القعدة من عام ٣٢٢ للهجرة نُفّذ الحُكم في الشلمغانيّ و ابن أبي عون إذ أثخنوهما جَلدًا، ثمّ ضربوا عنقيهما، و أحرقوا جسديهما. و بذلك فإنّ نار حسده للنائب الحقيقيّ للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الحسين بن رَوْح هي الّتي أحرقت روحه و جسده قبل أيّ شيء، و قد استجاب الله دعوة وليّه الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف عليه إذ عجّل له العذاب في الدنيا قبل الآخرة.

لقد تجاوز الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الآن الخامسة و الستين من عمره الشريف، و قد دامت أنفاسه في هذه الدنيا أكثر من الأئمّة السابقين، حتّى حمل لقب «شيخ الأئمّة» بدلًا من جدّه الإمام الصادق عليه السلام. ربما لم يكن ليصل إلى هذا العمر أبدًا لولا أنّه غائب، و لكان استشهد و هو في ريعان شبابه كالمتأخّرين من الأئمّة عليهم السلام. أسفًا على هذا الزمن الّذي منع الناس من منبع الحقيقة الجاري، لكن كأنّه لا تزال هناك ساقية في متناول الأيدي...

كان الشيعة يتوافدون إلى الحسين بن رَوْح، ليطرحوا عليه أسئلتهم العقائديّة و يسمعون منه أجوبته الحكيمة. و في إحدى المرّات تلقّى أحد أبناء الشيعة الأجوبة من أبي القاسم عن أسئلةٍ كثيرةٍ كان قد طرحها عليه. و عندما خرج السائل من عنده، استوقفه سؤالٌ جديد قد طرأ على ذهنه و هو أكثر أهمّيّةً من جميع أسئلته السابقة، وكان سؤاله: هل هذه الأجوبة الّتي قالها الحسين بن رَوح هي من عند نفسه أم تلقّاها من الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟! و في اليوم التالي عاد الرجل إلى مجلس النائب الثالث، لكن قبل أن يطرح سؤاله أو ينطق بحرفٍ واحد، قال الحسين بن رَوْح عبارةً جعلته يشعر بوخزةٍ في قلبه:

«لأن أخرّ من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكانٍ سحيق، أحبّ إليّ من أن أقول في دين الله عزّ و جلّ برأيي أو من عند نفسي، بل ذلك عن الأصل و مسموعٌ عن الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف!».

أجل، ما للمتّصل بالنبع الزلال و للآراء الشخصيّة؟! و لهذا السبب كان الناس يؤمنون أنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو الّذي يرشدهم إلى حلّ المسائل المختلفة.

الرائد الإلهيّ

قُرابة العام ٣٢٤ للهجرة، أصدر إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف أمرًا عاجلًا إلى نائبه الثالث؛ ليأمر جميع الشيعة ـ بواسطة الوكلاء ـ بعدم التوجّه إلى زيارة الكاظميّة وكربلاء المقدّسة. لم يعلم أيّ واحدٍ منهم سبب هذه الأوامر، و لكنّهم كعادتهم كانوا يعلمون أنّ ذلك لا يكون إلّا لمصلحة و حكمة في علم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

وكان الخليفة المغرور، يخشى جانب الشيعة كما هو شأن آبائه، وكان لذلك يُخطّط في كلّ يوم من أجل تحجيمهم و تغييب تأثيرهم. بيد أنّ إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد عمل على إفشال خطّته كما سبق له أن أبطل خطّة المعتضد العبّاسيّ. و في ذلك الوقت كان الشيعة يتناقلون على الألسُن أمر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و معظم من وصله أخذه على محمل الجدّ. وكان هناك من لم يكن قد وصله هذا الأمر بعد، منهم الفضل بن جعفر بن الفرات الّذي كان يُخفي تشيّعه حتّى أصبح واسع النفوذ في البلاط و ترقّى إلى مقام الوزارة تقريبًا. فبعد بضعة أشهرٍ من صدور أمر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و إذا بالفضل يتخيّل أنّه يحمل خبرًا ساخنًا؛ و أوّل من تبادر إلى ذهنه أقاربه، لذلك استدعى أحد كبار الشيعة و قال له: اذهب بسرعةٍ إلى أسرة الفرات و من يقرب منها، و قل لهم أن يتوقّفوا عن زيارة الإمامين الكاظمين عليهما السلام؛ لأنّ الخليفة قد أمر جنوده أن يكمنوا هناك، و يعتقلوا كلّ من يذهب إلى زيارتهما عليهما السلام!

و بعد مدّة رفع عمّال الدولة إلى الخليفة تقريرًا مفاده أنّ عدد الزائرين لهذين المرقدين الشريفين قليلٌ جدًّا، فأحجم الخليفة عن المُضي قُدمًا في ما كان بصدد تنفيذه. و بذلك أدرك الشيعة، مرّةً أخرى، مدى رعاية الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف لهم و قربه منهم، و تبيّن لهم بوضوحٍ أنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يسهر على حياتهم كالأب الحنون، فيحميهم بتدبيره و يدفع عنهم الأخطار الجسيمة.

السبيكة الغريبة

إنّ إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف لم يترك تقوى العبد المخلص و إيثاره في ماله دون جواب؛ فقد أعاد إليه سبيكته الذهبيّة، و أظهر له علامتين مهمّتين...

كان محمّد بن الحسن يعمل في الصيرفة، و هو رجلٌ خوزستانيّ الأصل، قد شاءت الأقدار أن يُقيم في بلخ. و في عام ٣٢٥ للهجرة، عقد محمّد العزم على الذهاب إلى حجّ بيت الله الحرام، و أن يسلك لذلك مسارًا يبلغ طوله ثلاثة آلاف كيلومتر من شمال شرق أفغانستان ـ خراسان القديمة ـ إلى جنوب غرب شبه الجزيرة العربيّة. و هي مسافة لا يمكن تحمّلها إلّا إذا كان الدافع في المسير هو الشوق إلى زيارة بيت الله الحرام، و لقاء نائب صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و لمّا علم شيعةُ بلخ بشدّ رحال ابن بلدتهم إلى الحجّ، توجّهوا إليه و سلّموه ما لديهم من ذهبٍ و فضّة، ليوصلها إلى النائب الثالث أبي القاسم الحسين بن

رَوْح. فأصبح حملها مُربِكًا له لكثرتها، لذلك صَهَرَ كلًّا من الذهب و الفضّة ليصنع منها سبائك، و فَصَل الصافي منها عن المغشوش، ثمّ جعل الصافي قوالبَ متساوية الأحجام ليسهل حَملُها.

خرج في سفره من بلخ وصولًا إلى منطقة سرخس حيث شعر بالتعب بسبب طول المسافة، فنصب خيمته في ذلك المكان ليستريح قليلًا، وكانت أرض تلك المنطقة رمليّة. و في أثناء استراحته فتح حِمله، و فصل الذهب عن الفِضّة، و عدّها ثمّ أعاد جمعها و ربطها بعد أن اطمأنّ باله، ثمّ عاود سَيره. طوى منازل السفر منزلًا بعد آخر إلى أن وصل إلى همدان. و بما أنّ الأموال الّتي في حوزته أمانات الناس، فقد كان حريصًا عليها، و لذا أعاد فتح الحِمل من جديد و عدّ السبائك الرقيقة. لكن هذه المرّة وجد أنّها قد نقصت واحدة! فاضطرب وكرّر العدّ أكثر من مرّة، و النتيجةُ نفسُها لم تتغيّر. وكان وزن السبيكة المفقودة قرابة مئة مثقال. فتّش حِمله كلّه من دون فائدة. وكما يُقال وقع فيما كان يحذره و يخشاه! لم يشأ الصرّاف التقيّ أن يبيع آخرته بالذهب و الفضّة، لذلك قرّر أن يصنع من ماله الخاصّ سبيكةً بوزن المفقودة، و يضعها مكانها.

وصل إلى بغداد بعد رحلة طويلةٍ مُضنية، و توجّه مباشرةً إلى الحُسين بن رَوْح ليسلّمه المال، ألقى النائب الثالث نظرةً على الذهب و الفضّة، ثمّ مدّ يده و أخرج من بينها سبيكة. كانت هي نفسها تلك الّتي أضافها الصرّاف من ماله الخاصّ. قدّمها أبو القاسم للصرّاف و قال: هذه السبيكة ليست لنا، و سبيكتنا ضيّعتها بسَرْخس حيث ضربت خيمتك في الرّمل، فارجع إلى مكانك، و انزل حيث نزلت، و اطلب السبيكة هناك تحت الرّمل، فإنّك ستجدها، و ستعود إلى هاهنا و لا تراني!

كان الصرّاف بحُكم عمله ماهرًا في الرياضيّات و العمليّات الحسابيّة، لكنّه كيفما جَمَعَ و طرَح لم يستنتج من أين علم الحسين بن رَوْح ما أخبره به! وكأنّ الدروس الّتي تُلقى في مدرسة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، تختلف عن دروس هذه الدنيا، إنّه يدرّس تلاميذه كتاب الحقيقة.

نجمٌ آخر

اقترن النصف الثاني من مدّة نيابة أبي القاسم بالفرج، فقد مات حامد بن عبّاس بعد خمس سنوات قضاها في منصب الوزارة، و بموته عادت مكانة آل الفرات إلى السلطة و ازدادت

نفوذ النوبختيّين في الحكومة، و قد أدّى هذا الأمر إلى أن يتنفّس الحسين بن روح الحرّية من جديد و يخرج من حياة السرّ و الخفاء. كان جمع الأموال بالنسبة إليه أسهل عليه من شرب الماء، و ذلك بسبب المبالغ الطائلة من الحقوق الشرعيّة الّتي كانت تصل إلى يده من مختلف أنحاء البلاد الإسلاميّة، و كذلك بسبب التودّد الّذي كان يظهره له بعض رجال الحكومة. لكنّه بدلًا من جمع الأموال لبيوت الدنيا و زخارفها كان يُعدّ العدّة و المواد اللازمة لبناء داره الأبديّ. فقد كان مثالًا للزهد و التقوى، و ما بعد السفارة و النيابة ظلّ كما قبلها، و لم يحصل أيّ تغيير في نمط حياته، و بيته المتواضع الصغير الّذي بقي يعيش فيه منذ أيّام محمّد بن عثمان، دليلٌ واضحٌ على أنّ زخارف الحياة الدنيا بأسرها حقيرةٌ في نظره. أجل، لقد أفرغ قلبه من كلّ لونٍ من ألوان العلائق الفانية للوصول إلى الحقيقة الباقية، و لم يزغ قلبه طرفة عينٍ عن الهدف الأسمى، و لم يطعَم نهر الدنيا الّذي ابتُلي به، فاستحقّ الارتواء من يد إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف جرعةً لا ظمأ بعدها أبدًا.

و في سنة ٣٢٦ للهجرة، كأنّ الحسين بن رَوْح تلقّى من الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أنّ اليوم الّذي سيغادر فيه دار الفناء بات قريبًا، لذلك عيّن بأمر صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف أبا الحسن عليّ بن محمّد السّمريّ خليفةً له، و أبلغ هذا الأمر إلى كبار الشخصيّات الشيعيّة. سلّم أبو القاسم كلّ كتبه الحديثيّة، و من ضمنها الأحاديث الّتي سمعها من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه، إلى عليّ بن محمّد السّمريّ. كان الحسين بن روح قد استمرّ قرابة إحدى و عشرين سنةً سفيرًا للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يبلّغ الشيعةَ أوامره و رسائله، مُحْيِيًا وجودَه في قلوبهم. فلا تعلم نفس ما أخفي له من قرّة عين و أيّ قصر مشيد ينتظره في دار الخلود. استعدّ أبو القاسم لتسليم الأمانة إلى بارئها، فعرجت روحه الطاهرة بعد أن خلعت رداء الجسد، تمامًا كما يُخلع الثوب، لترجع إلى ربّها راضية مرضيّة. كان أهل الجنّة ينتظرونه بفارغ الصبر، و قد استعدّوا بشوقٍ و لهفةٍ لاستقبال ضيفهم الجديد، و عمّت الفرحة و البركة عالَمَهم بقدومه عليهم. أمّا أهل الدنيا فقد عمَّ الغمّ و الحزن قلوبَهم و ديارَهم إذ فقدوا فقيهًا تقيًّا، كان مرآة صافية تعكس لهم نور الشمس. و بعد مرور ثلاثة أيّام على وفاته في الخامس عشر من شهر شعبان من سنة ٣٢٦ للهجرة، دُفن رحمه الله في سوق العطّارين في بغداد، لكن من الآن فصاعدًا سيفوح شذا عطر وجوده مُنعشًا أهل الآخرة، و الحسرة تبقى في نفوس أهل الدنيا.

لم يكن خبر وفاته قد انتشر بعد عندما عاد الصرّاف نحو دياره، و عملًا بأمر النائب الثالث فإنّه عندما وصل في مسيره إلى سرخس، و إلى المكان نفسه الّذي كان قد نصب

خيمته فيه، نقّب قليلًا في الرمال، و سرعان ما وجد السبيكة المفقودة. فأدرك أنّه أوقعها في أثناء عدّه السبائكَ فغطّتها الرمال. و في السنة التالية سافر الصرّاف من جديدٍ في موسم الحجّ من بلخ إلى بغداد، و حمل السبيكة معه. و عندما وصل إلى مقصده، سأل الشيعةَ البغداديّين عن أبي القاسم، فقالوا له إنّه قد فارق الحياة في شهر شعبان؛ و أخبروه أنّه عيّن عليّ بنَ محمّد السّمريّ خليفةً له. لقد فهم للتوّ معنى كلام أبي القاسم: «لا تراني!». أخذ الصرّاف العنوان و سأل هنا و هناك إلى أن وجده، فوصل إلى السمريّ و سلّم السبيكة إلى نجم العصر.



و النجم الرابع، كالنوّاب السابقين، كان اختياره و تعيينه سفيرًا بأمر صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، الّذي اختار من جديدٍ الأجدر و الأتقى من شيعته، ليفيض على الناس بواسطته من أنوار وجوده المبارك. و كان السمريّ رجلًا من قرى البصرة، قد بلغ قمّة البصيرة. و قد اشتهرت سلالته بأكملها بخدمة أهل البيت عليهم السلام و قد وقفوا أملاكهم و أراضيهم على خدمة الأئمّة عليهم السلام، لكن عليّ بن محمّد السمريّ بدلًا من أن يقف الأرض الترابيّة، قد وقف أرض قلبه على إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وقفًا خالصًا جعله مؤهّلًا لأن يطأه إمامه عجّل الله تعالى فرجه الشريف ويتّخذه مسكنًا.

من الوليّ المحبّ فقط

إنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف بمنزلة الأب العطوف و المُربّي، يهتمّ بهم و يُحسن تربيتهم...

كان البزّاز القمّيّ رجلًا شيعيًّا، لكنّه كان يشارك في تجارته أحد الأشخاص من المرجئة؛ و هم جماعة لديهم عقيدة منحرفة، فلا يتقيّدون بالشريعة، متّكلين على الرحمة الإلهيّة، و يقولون إنّ النيّة هي الأصل، و المهمّ هو الطهارة القلبيّة! كان الرجلان يتشاركان في شراء الأقمشة و بيعها؛ وكانت من بينها قطعةٌ جميلةٌ و نفيسةٌ تلفت نظر الشيعيّ، و من حبّه للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان يرغب في إهدائها إليه. لكنّه لم يكن المالك الوحيد لقطعة

القماش هذه، و لشريكه حصّةٌ فيها، و لذا لم يكن حرًّا في انتقائها و التصرّف فيها. و في إحدى المرّات قرّر أن يُلمّح بالأمر أمام شريكه ليسمع ردّه. و حين أتى الشريك، نظر المؤمن إلى قطعة القُماش و قال: ما أحسن أن أقدّم هذه القماشة هديّة إلى إمامي! المرجئيّ الّذي لم يكن يعتقد بهذه الأمور قال: أنا لا أعرف مَن هو إمامك، و هذا الأمر لا يعنيني، لكن افعل ما تشاء بهذا القُماش، و لا اعتراض لديّ.

سُرّ الشيعيّ كثيرًا، و قبل أن يندم شريكه أو يغيّر رأيه، أخذ قطعة القُماش و أرسلها مع رسولٍ ثقةٍ ليسلّمها إلى أحد وكلاء الإمام المهديّ ﷺ. بعد أسابيع عاد الرسول و هو يحمل قسمًا من قطعة القُماش ثمّ سلّمه إلى البزّاز، تفحّصها هذا الأخير وجد أنّ نصف قطعة القماش قد أُعيد إليه. سأل عن حقيقة ما جرى، فقال الرسول: حين وصلت قطعة القماش إلى يد الإمام ﷺ شقّها نصفَين طولًا و قال: «لا حاجة لنا في مال المرجئيّ!».

إنّ الإمام المهديّ ﷺ قد منّ على البزّاز و قَبِلَ هديّته نظرًا إلى طيبة قلبه و صفاء باطنه، و أفهمه من خلال ما فعله بالقماش، أنّه إذا أراد أن يُسرّ الإمام ﷺ بهديّةٍ فعليه بدل الالتفات إلى الجمال الظاهريّ لأقمشته و نوعيّتها و قيمتها المادّيّة، أن يلتفت إلى طهارة مصدرها و خلوصها المعنويّ. فقيمةُ الهدايا عند الله تختلف عن قيمتها في سوق الدنيا.

جفاءٌ و خفاء

مرّةً أخرى ساءت أوضاع شيعة العراق، و أخذت سلطة الديالمة تزداد نفوذًا و قوةً يومًا بعد يوم. إلى أن سلب آل بويه ذَوي الأصول الديلميّة النوم من أعيُن الخلفاء العبّاسيّين الّذين باتوا يشعرون بأجراس الخطر تُقرع حولهم. و كان آل بويه معروفين بأنّهم شيعةٌ زيديّون. فصار العبّاسيّون أكثر تشدّدًا على الشيعة، و لذلك صار التواصل مع نائب الإمام ﷺ أكثر سريّةً و خفاءً. حتّى في محادثاتهم و محاوراتهم فيما بينهم، لم يكونوا يوردون اسم الإمام المهديّ ﷺ على ألسنتهم. و حينما يريدون القول للوكيل إنّنا أحضرنا هذه الحقوق الشرعيّة للإمام ﷺ، يعبّرون عن ذلك كنايةً بقولهم: أحضرنا مال الغريم! و كأنّ هذه العبارة هي كلمة السرّ فيما بينهم كما كانت في عهد النائب الأوّل. و كان النائب الرابع عليّ بن محمّد السمريّ أكثر عرضة للخطر من النوّاب السابقين، و لذا كان أكثر حذرًا و حيطةً و أشدّ التزامًا بإجراءات التقيّة و الكتمان.

خمدت الفتنة، لكنّ الخلفاء العبّاسيّين ظلّوا ينظرون بعين الريبة إلى الشيعة، و لا سيّما بعد اطّلاعهم على التقارير الأمنيّة الّتي كانت تتحدّث عن شبكة سرّيّة من الوكلاء في المجتمع الشيعيّ، و ما أكّدته المعلومات الّتي جُمعت في زمن المعتضد. و لذا تابعت شبكة النيابة عملها على نحوٍ أكثر سرّيّة ممّا كان عليه في عهد النائب الثالث، حتّى إنّ مقابلة أحد الوكلاء كانت تحتاج إلى إجراءاتٍ معقّدةٍ جدًّا، مع الرجوع إلى عدّة وسطاء. فمنذ أن تسلّم زمام الحكم الراضي بالله ابن المقتدر و حفيد المعتضد، نشبت حرب القدرة بنحو عجيب داخل البلاط، حتّى صارت السلطة الفعليّة بيد رجال العسكر، و صار الحكم عسكريًّا، ثمّ بعد ذلك تمكّن الراضي من استرجاع قدرته. و إمعانًا في السيطرة على الأوضاع، شرع بالتضييق على الشيعة. فتعيّن على النائب الرابع أن يستمرّ في ممارسة نشاطه بنحو خفيٍّ و من خلف الكواليس. كما تعيّن على الشيعة أن يستعدّوا لمنعطف و تغيير جذريّ، إذ لم يكن من الممكن لهذه الأوضاع أن تستمرّ على هذا النحو. و كان إمام العصر عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف قد هيّأهم لاستقبال هذه المرحلة بنحو جيّد.

ثمار الشجرة العشرينيّة

لقد سبق لمحمّد الأسود قبل عشرين سنة أن كتب كتابًا إلى الإمام المهديّ عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف مع عليّ بن بابويه، يسألانه الدعاء لهما بطلب الذرّيّة، و بعد حصولهما على جواب الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف أدرك محمّد الأسود أنّه لن يحصل على مراده، بخلاف عليّ بن بابويه الّذي لم يمرّ وقتٌ طويل حتّى ملك تلك الجارية الديلميّة، و رُزق منها ولَديه «محمّد» و «حُسين». و قد نشأ هذان الولدان و كبرا بمشيئة الله، و كان كلّ همّهما منصبًّا على طلب العلم و المعرفة. و كان محمّد الأسود شديد الحرص و الفضول لمتابعة أوضاع ابنَي عليّ بن بابويه اللذين وُلدا بفضل دعاء الإمام الحجّة عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف، و كان كوالدهما يفرح كثيرًا عندما يرى اهتمام النجل الأكبر محمّد بالعلم و مدى دقّته و انتظامه و حضوره في حلقة درس كبير العلماء في قمّ محمّد بن الحسن بن الوليد، و كذا كانت سعادته عندما علم أنّ النجل الأصغر الحسين قد عقد لنفسه حلقة درس يُعلّم فيها غيره من الطلّاب مع أنّه لم يتجاوز عامه العشرين. و في إحدى المرّات دخل مجلس درسه فوجده يجيب عن أسئلة السائلين من تلاميذه سريعًا مع صغر سنّه. و لم يجد محمّد الأسود نفسه إلّا و هو

يثني عليه و يمتدحه، و يقول له: أحسنت، بارك الله فيك. و كان هذان الأخوان يحضران دروس كبار المحدّثين و يستفيدان منهم، حتّى تعجّب أهل قمّ من شدّة رغبتهما في طلب العلم، و ما وهبهما الله من الذاكرة القويّة. فكان محمّد الأسود يجيبهم: لا عَجب في ذلك، فإنّ الشخص الّذي يولد ببركة دعاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يجب أن تكون هذه حاله. أمّا الابن الأكبر محمّد، فقد سافر إلى الريّ و خراسان و بغداد، و صار وحيد زمانه في علم الحديث. و كان لا يزال في ذروة الشباب عندما أخذ المخضرمون من العلماء الكبار ينقلون عنه الحديث.

و بهذه العناية الّتي أَوْلاها الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف لعليّ بن بابويه و ذرّيّته، قد أتمّ الحجّة على الشيعة جميعًا، و بيّن لهم إلى أيّ حدٍّ هو قريبٌ من حياتهم و محيطٌ بها، و إذا ما توسّل المرء به عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى الله تعالى حتّى في أيسر حوائجه، و التفت إلى حضوره الشريف، و استودعه بصدقٍ و إخلاصٍ قلبَه و حياته، و جعله سنده و معتمده، فإنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سيغمره بألطافه المهدويّة الّتي سيغبطه الناس عليها.

إلّا من ارتضى من رسول

إنّ كلّ ما يصدر من النّاس من جفاءٍ بحقّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فإنّه يبادله بالمحبّة و الودّ. فعلى الرغم من انغماس النّاس في وحل الغفلة و الجهل، فإنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يذكرهم و يدعو لهم بفنون دعواته.

أصبح كبير الشيعة في قمّ، عليّ بن بابويه، هادئ البال، مطمئنّ القلب إلى ما سيخلّفه من بعده في دار الدنيا، من أفضل الباقيات الصالحات ذخرًا لنفسه، إذ وُفّق ببركة دعاء إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف لتربية ولدين فقيهين تقيّين. و لذلك كان أكثر استعدادًا للرحيل عن هذه الدنيا من أيّ وقتٍ مضى. و في سنة ٣٢٩ للهجرة، لم تكن حالة عليّ بن بابويه الجسديّة على ما يرام، فقد تدهورت صحّته إثر إصابته بالمرض. و في تلك المدّة سافر بعض علماء قمّ إلى بغداد و قصدوا منزل النائب الرابع عليّ بن محمّد السّمريّ. فسألهم السمريّ عن أحوال عليّ بن بابويه، فأجابه الّذين يكاتبون ابن بابويه بأنّه قال في رسالته الأخيرة إليهم إنّه يشكر الله على استقرار حاله، و إنّ مرضه لم يكن حادًّا. و قد بقي القمّيّون بضعة أيّامٍ في ضيافة النائب الرابع. و طيلة هذه الأيّام، كان عليّ بن محمّد السّمريّ يسأل باستمرارٍ عن حال عليّ بن

بابويه، و هم يجيبونه الجواب السابق ذاته. و في أحد الأيّام، حين كرّر القمّيّون جوابهم المعهود أمام عليّ بن محمّد السمريّ، قال لهم بحزنٍ و مواساة: آجركم الله في عليّ بن الحسين، ابن بابويه! دُهش الضيوف من نعيه و أجابوا مستغربين: إنّه حيّ! قال عليّ بن محمّد السّمريّ: فقد قُبض في هذه الساعة! لم يستوعب القمّيّون ما يسمعون، ففي رسالته الأخيرة كان قد قال شيئًا آخر، لكن على أيّ حال فإنّ كلام نائب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يكون أوثق من أيّ سندٍ و وثيقة أخرى، فأسرع أحدهم بإخراج صحيفةٍ له و سجّل عليها تأريخ صدور ذلك الكلام باليوم و الساعة. و بعد سبعة عشر يومًا، قَدِم إلى بغداد رسولٌ من قمّ، حاملًا خبر وفاة عليّ بن بابويه، و تأريخ وفاته. و كان التأريخ المدوّن في الرسالة هو تأريخ اليوم نفسه الّذي أعلن فيه النائب الرابع خبر وفاته.

هكذا هم نوّاب الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فإنّهم لم يكونوا مجهولين أو أشخاصًا مشتبهًا في أمرهم في أوساط الشيعة ثمّ فجأة يظهرون ليخبروا الناس بأمور غيبيّة، بل كانوا معروفين في المجتمع بالصلاح و الصدق و مشهورين بالتقوى و الورع و الزهد في الدنيا، و لم يكن الناس يعلمون منهم إلّا خيرًا، و مع هذا كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يؤيّدهم و يسدّدهم و يُطلع كلًّا منهم دائمًا على علاماتٍ واضحة، تزيد من اطمئنان القلوب، لتكون علاقتهم بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالنسبة إلى الجميع أمرًا يقينيًّا. و ليعلموا أنّ سفير الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يعكس صبغته و رائحته.

انتشار النجوم

كان هذا العام كؤودًا مظلمًا، قد أطلق عليه الناس عليه عام انتشار النجوم...

في سنة ٣٢٩ للهجرة، خسرت الأمّة أوتادها و علماءها العظام، إذ فارقوا الحياة الدنيا و تركوا أمكنتهم الّتي ستبقى طيلة التاريخ خاليةً. فبعد وقتٍ قصيرٍ من خبر وفاة عالم قمّ الجليل «عليّ بن بابويه»، انتشر خبر وفاة «الشيخ الكُليني» صاحب كتاب «الكافي» الخالد. و كانت قد مرّت سنوات ثلاث و لم تزل فيها نيابة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في عُهدة عليّ بن محمّد السّمريّ، لكن يبدو أنّ هذا النجم المضيء أيضًا آيلٌ إلى الانطفاء في هذا العام، لكنّه انطفاءٌ يختلف كليًّا عن انطفاء النوّاب السابقين.

إنّه شهر شعبان و قد هطلت الأمطارُ الغزيرة و الصواعق الرهيبة المروّعة فأخافتِ الناس و أرعبتهم. كانوا يستعدون و يتحضّرون لشهر الصيام، و هم لا يعلمون أنّ بانتظارهم صومًا لأكثر من ألف سنة! لقد بلغت مدّة فطام الشيعة قرابة السبعين عامًا، جعل فيها الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الشيعة يعتادون على مواجهة الظروف المستجدّة، و أفهمهم أنّ العلاقة القلبيّة به يجب أن تكون أقوى و أمتن من الارتباط الظاهريّ. و علّمهم أن يرجعوا إلى رواة أحاديث أهل البيت عليهم السلام لحلّ المشكلات الناجمة عن الحوادث المستجدّة. كان الكثير من الشيعة ينتظرون ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، بيد أنّ المطّلعين على أحاديث أهل البيت عليهم السلام كانوا يعلمون أنّ له غيبة أخرى في قادم الأيّام؛ إذ سبق لأهل البيت عليهم السلام أن أخبروهم أنّ للإمام القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف غيبتين، و أنّ الغيبة الثانية أطول من الأولى. و اليوم موعد التوقيع الرسميّ الأخير للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، الّذي أخرجه النائب الرابع عليّ بن محمّد السّمريّ و قرأه على الحاضرين:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم، يَا عَلِيَّ بْنَ محمّد السَّمُرِيَّ أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَ إِخْوَانِكَ فِيكَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سِتَّةِ أَيَّامٍ، فَاجْمَعْ أَمْرَكَ وَلَا تُوصِ إِلَى أَحَدٍ فَيَقُومَ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ التَّامَّةُ فَلَا ظُهُورَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ، وَذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الْأَمَدِ وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ وَامْتِلَاءِ الْأَرْضِ جَوْرًا. وَسَيَأْتِي إِلَى شِيعَتِي مَنْ يَدَّعِي الْمُشَاهَدَةَ أَلَا فَمَنِ ادَّعَى الْمُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السفيانيِّ وَالصَّيْحَةِ فَهُوَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

كان عليّ بن محمّد السّمريّ يعلم أنّه غير باقٍ في هذه الدنيا لأكثر من ستّة أيّام. فاستثمر هذه الفرصة القصيرة لينجز ما تبقّى من أعماله، و ليستعدّ إلى رحلته الأبديّة مرتاح البال مطمئنّ الخاطر. و هو سعيدٌ أنّه ذاهبٌ إلى لقاء ربّه. و آماله معقودةٌ على الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فقد كان نائبه في هذه السنوات الثلاث، و السفير بينه و بين شيعته. و الآن أصبحت الظروف قاسيةً على الشيعة، ففضلًا عن أنّ أعداء أهل البيت عليهم السلام، كانوا في كلّ لحظةٍ و آونة يترصّدون قتل الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، كما فعلوا بآبائه المطهّرين عليهم السلام من قبلُ إذ قتلوهم جميعًا، فإنّهم أيضًا لم يكونوا يتحمّلون رؤية نائب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و إن عرفوا أنّ رجلًا ما هو نائب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف حتمًا سوف يقتلونه. فقد بلغ جور الحكّام و ظلمهم أقصى حدوده، و استُسهِل سفك دماء الأبرياء، و لهذه الأسباب كانت مدّة سفارة النائب الرابع أقصر فترات

النيابة الخاصّة و أكثرها سرّيةً و حيطة في التحرّك و العمل، فكان لا بدّ أن يكون السفير الرابع هو آخر السفراء و أن تبدأ مرحلة الغيبة الكبرى، إذ زاد خطر الأعداء، و لم يعد بالإمكان أن يتولّى أحدٌ نيابة الإمام (عج) على نحوٍ رسميٍ، لذلك لم يُعيّن الإمام (عج) بعد ذلك أحدًا بصفته نائبًا خاصًا و سفيرًا له. و بعد هذا لا يوصل أحدٌ رسائل الناس إلى الإمام (عج) و يسلّمها له، بل من الآن فصاعدًا صار كلّ شخصٍ مسؤولًا بنفسه عن إيصال رسالته إلى حبيبه (عج). صحيحٌ أنّ المسافة قد اتّسعت بين الأرض و السماء، لكن على الرغم من علوّ السماء فإنّها ستحتضن الأرض و تلامسها بقطرات الغيث بكلّ حنيّةٍ و اشتياق و ستملأ الأوعية و الأباريق و ستفيض بها كفوف الأطفال. الرقعة المكتوبة بقلم العشق سوف تتلقّى الجواب، لا حاجة إلى وسيطٍ و حميم، بل الحاجة إلى قلب سليم.

اقتربت لحظةُ رحيل عليّ بن محمّد السّمريّ، و الشيعة الّذين لم يكونوا على علمٍ بتوقيع الإمام (عج)، تحلّقوا حول السّمريّ كما جرت العادة بالنسبة إلى النوّاب السابقين و طلبوا إليه أن يُعيّن خلفَه. لكنّهم سمعوا هذه المرّة جوابًا مختلفًا: «**لم أُؤمر بأنْ أُوصيَ إلى أحدٍ بعدي في هذا الشأن، و لله أمرٌ هو بالغه!**». كانت هذه هي العبارة الأخيرة الّتي سمعها الشيعة من نائب الإمام (عج)، فقد فاضت روحه الطاهرة و ضمّ تراب بغداد خاتمًا آخر.



لقد حمل النصف من شعبان إلى الشيعة أحلى الأفراح و أمرّ الأحزان؛ فرحٌ بقدوم إمام القلوب (عج) قبل أربع و سبعين سنة إذ أضاء بنور ولادته تلك الدار المحاصرة في سامرّاء، و حزنٌ اليوم على انقطاع اخباره و خلو الديار من سفير المحبوب (عج). و ربما هذا التزامن كان يحمل رسالةً، فلو كان للزمان لسانٌ لقال: يجب أن تبدؤوا علاقةً جديدةً بإمامكم (عج)، و تجرّبوا ولادةً جديدةً. يجب أوّلًا أن تطهّروا القلوب، ثمّ تستعدّوا لقدومه المبارك. نعم، اليوم هو يوم عبوره إلى عالم قلوبكم. حذارِ أن تقسو قلوبكم بمرور الزمان و تمتلئ أفئدتكم بالظلم و الجَوْر!

تراكم السحب



أكثر نشاطًا من أيّ أحد

كانت الشمس كما هو دأبها ساطعةً بالضياء، بَيد أنّ سُحُب الغَيبة قد حجبت ضوءها فحلّ الظلام الحالك و الدامس. و لم يكن من سبيلٍ لجلاء هذه الحلكة إلّا البكاء. و لكن يبدو أنّ السحاب لم يكن قد رأى بعد سواد وجهه و حظّه، فلم يكن ثمّة أمل بالغيث. إنّ الماء الّذي كان مَدينًا للشمس في ارتفاعه عن الأرض و تحليقه في أجواء السماء، يقف الآن حائلًا دون الشمس، و يرعد و يبرق بغرورٍ و تكبّرٍ رافضًا الهطول. كانت الأرض ترى بوضوحٍ سواد ذلك السحاب الّذي يُنبئ عن سوء حاله، و تَرقُب منه أن يُنفّس عن حُزنه، إلّا أنّ السحاب قد عمِيَ عن رؤية سواده بسبب غروره، فلم يكن يشعر بالحزن أصلًا ليُنفّس عنه. تُرى كم ستطول الأيّام الّتي ستشهدها سحُب الغَيبة، و كم هي الأعاصير الّتي يجب أن تعيشها حتّى تعي واقعها و تضع حدًّا لغرورها؟!

لقد بلغ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في هذه الأيّام عامه الرابع و السبعين. و لم يعد هناك شخصٌ يتولّى منصب النائب الخاصّ للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، كي يرجع الناس إليه. فلم يبقَ أمثال محمّد بن عثمان و لا الحسين بن رَوح حتّى يفضحوا زيف أمثال أبي طاهر و الشلمغانيّ. غير أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان طوال عصر الغَيبة الصغرى قد واكب شيعته خطوةً خطوةً و هو يُعدّهم للظروف الجديدة، و قد سبق له أن بيّن لهم الطريق اللاحِب، و أمرهم بالرجوع في مسائلهم الدينيّة إلى الفقهاء و رواة الحديث، من أمثال الشيخ الكلينيّ و الشيخ الصدوق ابن عليّ بن بابويه، اللذين ترعرعا على عين الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و في ظلّ عنايته. و إنّ الأدعية و الزيارات الّتي علّمها عجّل الله تعالى فرجه الشريف للناس في توقيعاته، تُمثّل تمرينًا مُتواصلًا للحفاظ على الارتباط القلبيّ به عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

كان الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يحضر موسم الحجّ في كلّ عام، و ينظر إلى مواليه، و لكنّه لا يجد في أعينهم شوق الانتظار، بل كان يرى أنظارهم العابرة نحوه دون أن تقف عنده، وكأنّها تبحث عن كلّ شيءٍ باستثناء لقائه. إنّ ألسنتهم تطلب ماء الحياة، و لكنّ قلوبهم لا تشعر بالظمأ. لقد كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرى طوافهم بالكعبة، و يتوقّع من تعاقب الدهور أن ينمّي في وجودهم الشعور بالحاجة.

لقد اشتدّت الغَيبة و تلبدّت السماء بالغيوم، أمّا الأرض فقد تشقّقت و تصدّعت، فأصاب قلوب ساكنيها قحطٌ شديد جرّاء طول انفصالهم عن إمامهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لقد ازداد الشيعة يُتمًا و ما من أحدٍ يمسح على الرؤوس ليخفّف تأوّه النفوس بخبرٍ عن الأب الرؤوف، عِزّ الموحِّدين و مُحيي المؤمنين عجّل الله تعالى فرجه الشريف. لكن أين أولئك الخواصّ الّذين ارتووا من عذب فُراته؟ وكأنّ الأرض قد انشقّت و ابتلعتهم، أو أنّهم ارتدوا جلباب الكتمان و التستّر! وكأنّهم قد قطعوا في وصلة إمامهم الخلّان و هجروا لقربه الأوطان و أخفوا أمرهم عن أهل البلدان! و الآن لم يعد باليد من حيلةٍ، فمن أراد أن يحظى بخبرٍ عن ذاك الحبيب ليجبر به قلبه المنكسر و يسكّن بذكره لوعة الفؤاد، بات عليه التماس ذلك في حكايات الّذين نالوا وسام التشرّف بلقائه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فوا أسفاه على الناس إذ حالت أعمالهم بينهم و بين إمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فحُرموا التنعُّم بجمال عينَيه و الأنس بسماع عذب صوته، فما نالوا حظًّا من الحصول على خبرٍ منه بنحوٍ مباشر، فطفقوا يخصفون عليهم من أنباء الغائب عن الأبصار، الحاضر في الأمصار، و لم يبقَ هناك من سبيلٍ إلى السبيل عجّل الله تعالى فرجه الشريف سوى البحث عنه لدى العشّاق الحقيقيّين، ذلك أنّهم لا يزالون هم مَحرم أسراره عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

إنّ الناس في هذا العصر بعيدون عن الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ولكنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف شديد القرب منهم. إنّه يسير بين الناس، و يتجوّل في الطرق، و يمرّ من جوارهم، مرورًا يخلق في كيانهم شغفًا و تحوّلًا لا إراديًّا، دون أن يجدوا لذلك سببًا. إنّه يمشي في الأسواق، و يرى معاملاتهم، و يطأ فُرُشهم، و يحضر مجالسهم، و يسمع كلامهم، و يرى أعمالهم، و يتحدّث معهم أحيانًا. و ينشرح لابتسامات محبّيه، و يحزن لبكائهم، و يعلم نيّاتهم. و تُعرض عليه أعمالهم يومَي الإثنين و الخميس من كلّ أسبوع. كما يُقبِل إليهم في عالم الرؤى، و يُلقي في قلوبهم الحقائق عند استحواذ الشكّ أو التردّد عليهم، و يمدّهم بالقوّة، و يدعو لهم، و يقضي حوائجهم، و يأخذ بأيديهم، و يعِظهم في أنفسهم، و يربط قلوبهم بذكره و يجعلهم عاشقين له و متيّمين به. و هو أكثر نشاطًا من أيّ شخص، و أقرب إلينا من كلّ قريب...

كلّ يوم هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف في شأن، و لا يشغله عن إغاثة الملهوف شيء، و هو لا يفكّر في شيعته فقط، بل جميع الخلق عياله. و هو يذهب بنفسه إليهم ليُنجيهم أينما كانوا، في برٍّ أو بحر، في حاضرةٍ أو في بادية. و مع أنّ عمره الشريف قد تجاوز السبعين، إلّا أنّ الّذي يلتقيه يراه بهيئة فتًى أو رجلٍ عمره بين الثلاثين و الأربعين، إذ لا يؤثّر فيه دوران الزمن و مرور الأيّام، و كذا الحال حين ظهوره المبارك. و ها هو اليوم يقصد الصحراء ـ الّتي تتوق إلى إزهاق أرواح الناس ـ لا ليُذيق الأسرة الهمدانيّة طعم الحياة فحسب، بل ليُذيقها حلاوة الإيمان أيضًا. فمن ذا الّذي يحوّل الصحراء القاحلة إلى جنّة مخضرّة و حديقة غنّاء، إنّه «صاحب الأمر» بالمعنى الحقيقيّ، إذ كلّ شيءٍ تحت تصرّفه و يأتمرُ بأمره بإذن الله تعالى. و مع تستّره عن الخلق و غيبته، و ما اقتضته الحكمة الإلهيّة من تجنّب لقاء الناس بنحوٍ مُعلن، و لكنّه في بعض الأحيان يهدي آلاف الأشخاص في لقاءٍ قصير و عابر.

و أخيرًا تمكّن «راشد الهمدانيّ» من انتزاع نفسه من بين أحضان أسرته و أحبّته الّذين تعلقّوا به في وداعٍ طويل، و حان وقت خروجه من مدينته مع قافلة الهمدانيّين. كان المقصد مكّة المكرّمة، و الغاية حجّ بيت الله الحرام. و مع أنّ التشيُّع في ظلّ حكم آل بويه كان قد عمّ معظم المدن الإيرانيّة و من بينها همدان، إلّا أنّ راشدًا الهمدانيّ كان على مذهب أهل السنّة مثل الكثيرين في هذه المدينة. و في ذلك الوقت كان يُطلق على مدينة همدان مع عدد من المدن الإيرانيّة الأخرى، اسم «منطقة الجبال»، و ذلك بسبب وجود سلسلتين جبليّتين كبيرتين هناك، هما: ألبرز و زاجروس. و بعد رحلة مليئة بالمخاطر و التعب، وصلت القافلة بسلام إلى بيت الله الحرام، و هناك انقطع راشد الهمدانيّ إلى الله تعالى و أخلص له العبادة. و بعد أن أتمّ مناسك الحجّ كان لا بدّ من العودة إلى الأوطان، فودّع الكعبة المشرّفة طائفًا و مصلّيًا و تاليًا للآيات و داعيًا من صميم قلبه بالهداية و الثبات. و انطلقت القافلة متوجّهة إلى همدان، و بعد أن ابتعدت عن الحواضر و المدن و اجتازت الجبال، بدأت المرحلة الأصعب من السفر، إذ حان وقت خوض غمار الصحراء اللاهبة. و كان بعض أنحائها من غير طريقٍ واضحة أو كانت معروفة فقط لدى أدلّة السفر. و كان أفراد القافلة يمشون حينًا و يستريحون حينًا آخر، و كان وجود كبار السنّ و النساء قد أبطأ من سرعة القافلة إلى حدّ كبير. و في يومٍ من أيّام السفر، ضاق راشد ذرعًا بسبب هذا البطء في الحركة، فتقدّم على القافلة و بدأ يجدّ في سيره. و كان من حين إلى آخر يُلقي نظرةً إلى الخلف لكي يُبصر

القافلة من بعيد. و بعد أن مشى طويلًا شعر بالتعب، فعثر على مكانٍ آمن، و اغتنم الفرصة لكي يغفو قليلًا و هو يقول في نفسه: سوف أنام بضع دقائق لعلّي أستريح، ثمّ إذا مرّت القافلة من أمامي و تقدّمت قليلًا، سوف أنهض و أستأنف المسير إلى أن أدركها، و هكذا سأعيد الكرّة مرّة بعد مرّة. لكن ليت نومه كان خفيفًا! فقد غطّ في نومٍ عميق بحيث لو ضُربت الطبول فوق رأسه لم توقظه. و إذ لم يشعر أحدٌ من القافلة بغياب فردٍ منهم، فقد واصلوا المسير دون أن يلتفتوا إلى غياب راشد الهمدانيّ.

مضت ساعات حتّى بلغت الشمس رابعة النهار و أرسلت لهيب حرارتها على رأسه. كانت شدّة حرارة الشمس هي الّتي أيقظته، بعد أن أخذت مأخذها منه و ساط الحرّ جلده. فبدأ يصبّ الويلات على الشمس إذ قطعت راحته، ثمّ بعد أن عاد إليه رشده تذكّر أين هو الآن، و إلى أين هو ذاهب. فنهض سريعًا ليحدّد مكان القافلة، و لكنّه بعد أن نظر في شتّى الاتّجاهات لم يرَ غير الصحراء المترامية الأطراف و الخالية على مدّ البصر. و قد شحّت عليه الصحراء برؤية طريقٍ أو أثرٍ لمسير القافلة بعد أن أخفتها الرياح السافية. فأخذ يعدو قدُمًا دون أن يرى شيئًا؛ ذهب يسارًا ثمّ يمينًا ثمّ عاد إلى الخلف، وكان يرى المشاهد في شتّى الاتّجاهات متشابهة؛ سماء صافية و صحراء لا تنتهي! وكان قد نسي حتّى الاتّجاه الّذي جاء منه. و في هذه الظروف لم يكن مقدورًا لغير الدليل الحاذق و المحنّك أن يحدّد مسار الانطلاق، فاحتار راشد في تعيين الاتّجاه، و لكنّه في الوقت نفسه كان يعلم أنّ البقاء في ذلك المكان لن تكون عاقبته سوى صيرورته وجبة لذيذة لأحد الوحوش المفترسة أو على الأقلّ الموت جوعًا و عطشًا. فاستحوذ عليه الفزع و أخذ قلبه يخفق بشدّة. فقرّر أن ينطلق متوكّلًا على الله تعالى، و اختار إحدى الجهات الّتي غلب على ظنّه أنّها هي الصحيحة، مع علمه أنّ حدسه في تحديد الاتّجاه لم يكن يستند إلى أيّ دليل. وكان كلّما مشى خطوة، ازداد خوفه و اضطرابه. و لكنّه لم يكن يغيّر اتّجاهه كي لا يدور حول نفسه. وكان يقول: من الأفضل أن ألزم طريقًا مستقيمًا لأصل إلى مكانٍ بعينه. و مع أنّ الظروف توحي بعدم وجود أملٍ نهائيًا، لكنّه سأل الله أن يُنجيه. و فجأة رأى من بعيدٍ سوادة لم يتبيّن كنهها، وبدا له الأمر وكأنّ الله قد سمع دعاءه. فانطلق نحو تلك السوادة بأقصى سرعته، و شيئًا فشيئًا تحوّل السواد إلى خضرة، و تبيّن أنّه يقترب من واحة مخضرّة و نضرة. فتعجّب كثيرًا من وجود هذه الواحة الخضراء في وسط هذه الصحراء و لم يكن ليصدّق ما يرى من شدّة فرحه، و عاد إليه الأمل بالعثور على شخصٍ هناك يمدّ له يد المساعدة. و عندما وصل

إلى الأرض الخضراء أحسّ بنضارة عجيبة، و بدا الأمر كما لو أنّ السماء قد أمطرت على هذه الأرض منذ قليل. فصار يفكّر هل يمكن لهذه السماء الصافية أن تكون قد أمطرت منذ قليل؟! إلى أن قطع تفكيره الرائحة الزكيّة الّتي كانت تفوح من تراب تلك البقعة، و لم يكن قد وصل إلى مشامّ راشد الهمدانيّ أطيب منها في حياته. فكأنّ هذه الأرض قطعة من الجنّة. ثمّ سار خطوات في هذه الأرض الممرعة، و قد نسي العطش و الضياع في الصحراء بعد أن أذهله جمال تلك الجنّة. و لمّا تقدّم قليلًا رأى قصرًا في وسطها، تراءى له من بعيد على شكل سيف. تعجّب من وجود قصر في ذلك المكان، و قال في نفسه: عجبًا ما هذا القصر الّذي لم أعهده و لم أسمع به! و لم يتمكّن من كبح فضوله، فواصل التقدُّم حتّى وصل إلى باب القصر؛ فوجد هناك خادمين أبيضين على جانبي الباب؛ فألقى عليهما السلام، فردّا السلام عليه بكلّ أدبٍ و احترام. وكان في خارج القصر عريشٌ، فدعاه الخادمان إلى الجلوس فيه، و قالا له: «اجلس فقد أراد الله بكَ خَيرًا!». لم يفهم راشد الهمدانيّ ما الّذي كانا يقصدانه بهذا الكلام، و لكنّه كان يتوق إلى رؤية القصر من الداخل أيضًا، و يتعرّف إلى مالكه. و قبل أن يقول شيئًا في هذا الشأن، دخل أحد الخادمين القصر، ثمّ عاد بعد قليل، و قال له: قُم فادخُل! فدخل القصر دون تريّث، فانبهرت عيناه بجمال أبواب القصر و جدرانه و انجذب إلى روعتها و جمالها و ضيائها. كان الخادم يمشي و راشد يسير في إثره. إلى أن وصلا إلى حجرةٍ قد أُسدلت أمامها الستائر. فتقدّم الخادم وأزاح الستارة و قال لراشد: ادخل! فما كان من راشد إلّا أن دلف إلى داخل الحجرة دون إبطاء. فرأى فتى يجلس في وسطها وكأنّه البدر في ليلة تمامه وكماله، وكان فوق رأسه سيف مُعلّق، يكاد طرفه أن يمسّ رأس ذلك الفتى. فألقى راشد الهمدانيّ السلام عليه بأدب. فردّ عليه ذلك الفتى السلام ـ و هو لا يزال جالسًا ـ بصوت جميل و بيان لطيف، و سأله: أتدري من أنا؟ فقال راشد: لا و الله! فقال الفتى: أنا القائم من آل محمد عليهم السلام. ثمّ أشار إلى السيف و قال: أنا الّذي أخرج في آخر الزمان بهذا السيف فأملأ الأرض قسطًا و عدلًا كما ملئت جورًا و ظلمًا. و مع أنّ راشدًا الهمدانيّ كان على مذهب أهل السنّة، و لكنّه كان يعلم بعض الأمور عن الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فكان قد سمع الأحاديث الخاصّة بالإمام المهديّ عن كثير من علماء أهل السنّة في مدينته، و لكنّه لم يكن كأبناء الشيعة يعلم أنّه حيّ و مُطّلعٌ على أحواله باستمرار. فلم يكن منه في تلك الحالة ـ و هو يرى نفسه أمام كلّ تلك العظمة ـ إلّا أن خرّ له ساجدًا، و عفّر خدّيه بالتراب. فقال له الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «لا تفعل، ارفع

رأسك، أنت فلانٌ من مدينةٍ بالجبل يُقال لها همدان». تعجّب راشد كيف عرف اسمه و حتّى اسم مسقط رأسه أيضًا. فقال مندهشًا: صدقتَ يا سيّدي و مولاي. و إذ كان الإمام المهديّ الرؤوف عَجّلَ اللهُ تعالى فَرَجَهُ الشّريف يعلم كم كان راشد في شوقٍ إلى رؤية زوجته و أولاده، فقد قال له: «أفتحبُّ أن تؤوب إلى أهلك؟» فقال راشد بفرحٍ غامر و بنبرته الّتي تعكس صفاءه و طيبته: نعم يا سيّدي و أبشّرهم بما أتاح الله عزّ و جلّ لي. فأومأ الإمام عَجّلَ اللهُ تعالى فَرَجَهُ الشّريف إلى الخادم، الّذي كان بدوره يعلم مسبقًا ما الّذي يتعيّن عليه فعله، فتقدّم و وضع صُرّةً في يد راشد، ثمّ شيّعه بضع خطوات. و لم يكن قد مشى معه سوى القليل من الخطى حتّى تراءى لراشد الهمدانيّ من البعد بعض الأشجار و الأطلال و منارة مسجد مألوف. كان يتصوّر أنّه لا يزال في القصر، و لكن عينيه كانتا ترَيان شيئًا آخر، وكان المشهد مألوفًا له جدًّا. و عندما اقترب أكثر و أمعن النظر وجد أنّ ما يراه يشبه مدينة أسد آباد إلى حدّ كبير! و قد استولى عليه العجب من أن تكون هناك مدينتان على الأرض تشبه إحداهما الأخرى إلى هذا الحدّ من الشبه. فاستغرق في تفكيره، إذ كيف كان قبل ثوانٍ في طريق عودته من مكّة المكرّمة و الآن يرى أسد آباد؛ فهل في الأمر خدعة للبصر أم أنّ ما يراه حقيقة؛ و لذا كان مندهشًا جدًّا، و أخذ يستعين بكلّ ما كان يعرفه من علوم الجغرافيا و خرائط المدن ليحدّد موقعه، و لكنّ ذلك لم يُجدِه نفعًا. و أراد الخادم أن يخرجه من هذه المعمعة و يسهّل الأمر عليه، فقال له: أتعرف هذا البلد؟ فأجابه راشد متلعثمًا: إنّ بقرب بلدنا بلدةً تُعرف بأسد آباد و هي تشبهها! فتبسّم الخادم و قال: هذه أسد آباد، امضِ راشدًا! كان لا يزال يُمعن النظر في البيوت ليطمئنّ إلى ما يراه، و لم يصل إلّا إلى أنّها مدينة أسد آباد دون غيرها. ثمّ التفت إلى يمينه فلم يرَ الخادم، ثمّ نظر إلى الخلف فلم يرَ أثرًا له. لم يكن بمقدوره أن يستوعب كلّ ما رآه من الأحداث العجيبة و الغريبة في شطرٍ من ذلك اليوم، و لكنّه دخل المدينة على كلّ حال. و بعد كلّ ما استحوذ عليه من العجب و الاستغراب تذكر الصرّة الّتي وضعها الخادم في يده؛ فبادر إلى فتحها ليجد فيها قرابة أربعين أو خمسين دينارًا من الذهب. فأدرك أنّ هديّته المعنويّة قد اقترنت بهذه الهديّة المادّيّة. كان في غاية الحماس للوصول إلى همدان ليروي قصّته الغريبة لأسرته. و كأنّه قد تلمّس أنّ طوافه حول كعبة القلوب عَجّلَ اللهُ تعالى فَرَجَهُ الشّريف قد فاق في العظمة و الفضل حجّه و طوافه حول البيت العتيق، و كأنّه عرف أنّ تمام الحجّ إنّما يكون بزيارة ابن مكّة و منى.

لم تكن أسرة راشد الهمدانيّ قد أعدّت نفسها لاستقباله على الإطلاق؛ إذ لا يزال هناك مُتّسعٌ من الوقت حتّى عودة قوافل الحجيج. و فجأة سمعوا طرقًا على الباب، و ما إن فتحوه حتّى وجدوا راشدًا أمام أعينهم و قد غمرته البهجة و الفرح؛ و من شدّة تعجُّبهم لم يُدخلوه مباشرةً، بل كانت ردّة فعلهم أن سألوه و هو لا يزال واقفًا على باب الدار: كيف وصلتَ بهذه السرعة؟ و أين باقي أفراد القافلة؟! لم يجبهم راشد عن تساؤلاتهم و اكتفى بالدخول و جمعهم في جناحٍ من البيت. فأحسّوا و كأنّ أمرًا غريبًا قد حدث. و بعد أن جلس الجميع حوله، قال لهم: أريد أن أقسّم بينكم ما جلبته لكم معي من الهدايا. أعدّ الصغار أنفسهم لتسلُّم الهدايا الّتي ينتظرونها من يد أبيهم، بيد أنّ الكبار كانوا لا يزالون في ريبة تجاه الأمر برمّته. فبدأ راشد يسرد عليهم حكايته بأسلوبه الجميل، و كان الصغار يستمعون إليه بشغف؛ فزادوا بذلك من حماسة الرواية و جاذبيّتها.

و بعد ذلك بمدّة عاد الحجاج الهمدانيّون إلى موطنهم، و هرع الأحبّة إلى استقبالهم. و كان أفراد القافلة قد أدركوا اختفاء راشد من قافلتهم، فكانوا يتحاشون اللقاء بأحد أقاربه و يشيحون بوجوههم عنهم كي لا تقع أعينهم على أعين فردٍ من أفراد أسرته، و لم يكن أيّ واحد منهم يرغب في أن يكون هو أوّل من يخبرهم بهذا الخبر المُفجع. و لكن لم يمضِ وقت طويل حتّى رأوا راشدًا بشحمه و لحمه بين جموع المستقبلين. فتركوا ما هم فيه و سارعوا إلى التحلّق حوله. و تعيّن عليه أن يعيد رواية حكايته بالتفصيل مرّة بعد مرّة. و لحسن الحظّ فقد كان موضوع الحكاية من الإثارة و الغرابة بحيث لم يكن راشد ليتعب من روايتها و لو عشرات المرّات.

ابن الكعبة

هو اليوم في مكّة المكرّمة، مسقط رأس جدّه رسول الله ﷺ، يريد أن يقوم بأمرٍ يتنافس آلاف الأشخاص لينالوا شرف القيام به؛ لم يسبق لغير ثلاثة عظماء أن قاموا به، هم: النبيّ إبراهيم عليه السلام، و رسول الله محمّد بن عبد الله ﷺ، و الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

كانت قد مضت ستٌّ و عشرون سنة على الهجوم البربريّ للقرامطة على بيت الله و الحجيج، و في تلك السنة كان قد نجا ابن بابويه من القتل و الغارة القرمطيّة بإرشادٍ من

الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. وكان القرامطة بعد ثلاث سنوات على الهجوم قد قاموا بنهب الحجر الأسود و نقله إلى البحرين. و ذهبت سُدًى كلّ جهود العبّاسيّين و الفاطميّين في إرجاع الحجر الأسود إلى موضعه. و الآن في سنة ٣٣٩ للهجرة، أي بعد مضي اثنتين و عشرين سنة على سرقة الحجر الأسود و موت أبي طاهر القرمطيّ، قرّر القرامطة إعادة هذا الحجر السماويّ المقدّس إلى موضعه بعد تهديدٍ من الخليفة الفاطميّ المنصور.

كان جعفر بن محمّد بن قولويه من أهل قمّ و من كبار المحدّثين، و بالإضافة إلى تتلمذه على أيدي أبيه و أخيه، كان قد استفاد أيضًا من محضر عليّ بن بابويه و الشيخ الكلينيّ. و قد أخذ قصب السبق من معاصريه في الوثاقة و الفقاهة. و بعد سيطرة آل بويه و قيادة أحمد بن بويه المعروف باسم معزّ الدولة، بات ممكنًا للشيعة في بغداد أن يتنفّسوا الصعداء إلى حدّ ما و يمارسوا شعائرهم الدينيّة، فأصبحوا يقيمون الاحتفالات بمناسبة عيد الغدير، و ينصبون المآتم في يوم عاشوراء دون أن يتعرّض إليهم أحد، وكان يشارك في هذه المآتم الكثير من أبناء السنّة من محبّي أهل البيت عليهم السلام. و انتقل جعفر بن محمّد بن قولويه إلى بغداد في تلك المدّة، و هناك عزم على الذهاب إلى الحجّ إذ بلغته أنباءٌ بأنّ ذلك الموسم سوف يشهد مراسم إعادة الحجر الأسود إلى موضعه من الكعبة المشرّفة. وكان يعلم أنّه في زمن الجاهليّة حين تنافست جميع القبائل على نيل شرف وضع هذا الحجر المقدّس في موضعه، كان النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله في نهاية المطاف، هو من وضع هذا الحجر في مكانه بمشيئة الله تعالى. و بعد ذلك بثمانين سنة تقريبًا قام الحَجّاج بن يوسف الثقفيّ الطاغية السفّاح بهدم الكعبة بأمرٍ من عبد الملك بن مروان الّذي بعثه لقتال عبد الله بن الزُّبَير. و عندما أمر عبد الملك بإعادة بناء الكعبة، كان بمشيئة الله مرّة أخرى أن لا يتولّى وضع الحجر الأسود في موضعه سوى الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام. كان جعفر بن قولويه يستحضر هذه القضايا في ذهنه، فاستنتج أنّه في كلّ زمنٍ لا يتولّى وضع هذا الحجر المقدّس في موضعه سوى حجّة الله في أرضه، كما كان ذلك من أوّل مرّة إذ كان النبيّ إبراهيم الخليل عليه السلام هو من وضع هذا الحجر في مكانه، و أنّ هذا الأمر لا يمكن أن يكون بمقدور معزّ الدولة الديلميّ، و لا مطيع الله العبّاسيّ، و لا أمير مكّة الإخشيديّ. كما كان يعلم أنّ إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إن حجبته سحب الغيبة، لكنّها لا تحول بينه و بين شؤونه و أعماله، فهو عجّل الله تعالى فرجه الشريف يؤدّي أدوار الإمامة مع كونه غائبًا عن الأبصار. و لذا فقد حزم ابن قولويه أمره على الذهاب إلى الحجّ في تلك السنة على أمل التشرّف بلقاء الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. وكان أكبر همّه الظفر بمن يعيد الحجر إلى

موضعه. و لكن يبدو أنّ كِتاب القضاء و القَدَر كان قد نظم الحوادث على نحوٍ آخر. فقد أُصيب ابن قولويه بمرضٍ شديدٍ أقعده في بغداد، وكان المرض من الشدّة بحيث كان ابن قولويه يرى أجنحة الموت ترفرف فوق رأسه. و مع ذلك لم يكن ابن قولويه ليقرّ له قرارٌ دون تحقيق أمنيته، فحدّث نفسه مواسيًا لها: إن لم أستطع رؤية إمامي فلا أقلّ من الكتابة له؛ فأخذ صحيفةً وكتب فيها شيئًا، ثمّ وضع الرقعة في ظرفٍ و ختمه. ثمّ استدعى أحد أصحابه و ولائجه الأتقياء يُدعى ابن هشام، و قال له: أريد منك أن تسلّم هذه الرسالة إلى الشخص الّذي يضع الحجر الأسود في مكانه! وكان ابن قولويه قد سأل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في كتابه هذا عن مدّة عمره و هل تكون منيته في هذه العلّة أم لا.

لبّى ابن هشام رغبة صاحبه ابن قولويه، و ذهب إلى مكّة لإنجاز هذه المهمّة. كانت قد أقيمت مراسم احتفاليّة خاصّة لإعادة الحجر الأسود، وكان المسجد الحرام مزدحمًا بحشودٍ من الناس، وكان كلّما تقدّم ابن هشام أكثر، اشتدّ الازدحام. و لمّا صار ابن هشامٍ على مقربةٍ من الحجر الأسود، حال دون رؤيته الواضحة للمشهد تدافع الحشود و تزاحمهم. فطلب نفرًا من سدنة البيت و بذل لهم جملةً من المال على أن يمنعوا عنه ازدحام الناس، بحيث يرى بوضوحٍ من يضع الحجر الأسود في مكانه.

كان هناك حضورٌ لكبار المسؤولين في الدولة و الممثّلين لآل بويه و بني العبّاس و أمير مكة المكرّمة. و كلّما عمد أحدٌ لوضع الحجر اضطرب و لم يستقم في موضعه، فلا يقرّ له قرار. وكأنّه كان متلهّفًا إلى لمسة يدٍ سماويّة. فأخذ ابن هشام يحدّ النظر، و فجأةً رأى فتى أسمر اللّون، حسن الوجه، بهيّ الطلعة، تقدّم الحشود و تناول الحجر الأسود فوضعه في مكانه. و لكنّ جمال هذا الفتى و وقاره هزّا قلب ابن هشام في صدره، في الوقت الّذي استقام الحجر في مكانه كأنّه لم يَزُل عنه قطّ، و علَت لذلك أصوات الجموع بالتكبير و التهليل، و طفق ذلك الفتى المهيب الجذّاب ينسحب إلى خارج الجموع وسط كلّ ذلك الضجيج و العجيج. فنهض ابن هشام من مكانه و تتبّع ذاك الّذي وضع الحجر الأسود فاستقرّ في مكانه بعد أن عجز عن ذلك جميع من تصدّى لوضعه، و راح يقصّ أثره و يحثّ الخُطى مُسرعًا مخافة أن يفقده؛ فكان يدفع بالناس عنه يمينًا و شمالًا و يشقّ طريقه إلى الأمام؛ حتّى ظنّ الناس أنّه قد خولِط في عقله فصاروا يفرجون له، لكنّهم لم يعلموا أنّ لوعة الحبّ هي الّتي أخذت فؤاده و جذبته جذبًا للالتحاق بالنور. و على كلّ حالٍ فإنّ ذلك هو

الّذي ساعده على أن يشقّ طريقه بين الجموع المحتشدة؛ إذ كانوا يُخلون له الطريق و يسير بينهم كالنهر الجاري.

لم يكن ابن هشام ليحيد الطرف عن ذلك الفتى، أو حتّى يجود بطرفة عين. إلى أن تخلّص في نهاية المطاف من زحام الناس، فرأى أمامه فتى وقورًا، يمشي على تُؤدةٍ و طمأنينة، في حين كان ابن هشام يسرع السير و يحثّ الخطى راكضًا خلفه، منقطع الأنفاس، دون أن يتمكّن من الوصول إليه أو إدراكه؛ وكأنّ المكان و الزمان كانا مُسخّرَين لذلك الفتى النورانيّ الوجه. بدأ ابن هشامٍ يوقن شيئًا فشيئًا أنّ عينَيه قد اكتحلتا برؤية إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. كان لا يزال يغذّ السير في إثره، حتّى بلغ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف موضعًا لا يراه فيه غير ابن هشام؛ فوقف هناك، ثمّ التفت إليه و قال له: هاتِ ما معك! فناوله ابن هشام الرقعة؛ فقال له الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف من غير أن ينظر فيها: «قُل له لا خوفَ عليك في هذه العلّة، ويكون ما لا بدّ منه بعد ثلاثين سنة!». فانبجست قطرات الدموع من آماق ابن هشام، و تسمّر في مكانه حتّى لم يطق حراكًا، و تركه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و انصرف. حاول ابن هشام أن يلحق بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، إلّا أنّ شدّة البكاء منعت قدميه من الحركة. عندما مسح الدموع عن وجنتَيه، لم يكن يرى أحدًا، فقد غاب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف عن ناظرَيه فجأة، و انتهت فرصته و لا خيار أمامه سوى التصديق و الإذعان. فقام من مكانه و عاد أدراجه إلى بغداد و قصّ ما رآه على ابن قولويه. و لم يلبث هذا الأخير أن برئ و شُفي من مرضه، فعاد إلى نشاطه و هو يعلم أنّ أمامه ثلاثين سنةً ليدّخر فيها زادًا و متاعًا لآخرته. فأخذ يبذل أوقاته في خدمة أهل البيت عليهم السلام و نشر أحاديثهم، و يسير على خطى أساتذته الكبار، و لأنّه يعمل بما يقتضيه تكليفه، لم يعد يختلف الأمر عنده بين أن يموت اليوم أو بعد مئة عام. و بعد تلك الحادثة بسنتين ذهب إلى مصر، ثمّ عاد بعد ذلك بمدّة إلى بغداد، و شرع في التدريس حتّى تتلمذ على يديه كبار العلماء البارزين، كما ألّف كتبًا قيّمة و خالدة من بينها كتاب «كامل الزيارات». و في سنة ٣٦٨ للهجرة أي بعد مضي ثلاثين سنة على اليوم الّذي أرسل فيه ابن هشام إلى الحجّ، اعتلّ ابن قولويه مرّة أخرى، فاستذكر نبوءة مولاه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و بدأ ينظر في أمره، و يعدّ نفسه للموت؛ فكتب وصيّته و أدّى دَينه، و أنجز ما كان عليه من الأعمال و اشترى لنفسه كفنًا، و عيّن لنفسه قبرًا و أخذ الأمر على محمل الجدّ. فكان الناس من حوله يتعجّبون من أمره و يتساءلون فيما بينهم: كيف أنّه قد أخذ أمر موته على هذا النحو من القطع و اليقين؟! و كانوا يقولون له: ما هذا الخوف، نرجو أن يتفضّل الله

تعالى عليك بالسلامة، فما عليك بأس. فكان ابن قولويه يجيبهم: «هذه السّنةُ الّتي خُوِّفتُ فيها!» فإن كان الآخرون قد نسوا رسالة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف له، فإنّ ابن قولويه لا يزال يتذكّرها جيّدًا و لا تغيب عن باله أبدًا. و قطعًا لم يكن ليشكّ فيها، لأنّه كان يعلم أنّ إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف - كسائر الأئمّة الأطهار عليهم السلام - يعلم بآجال البشر، و أنّه خبيرٌ بمصائرهم. و هكذا ارتحل ابن قولويه عن هذه الدنيا بقلبٍ زاخرٍ بالإيمان و مفعمٍ باليقين، و التحق بأصحابه في الرفيق الأعلى و جنّة الخلد الّتي وعد الله بها عباده المتّقين. أمّا ابن هشام و سائر البغداديّين فقد رأوا كيف يعمل إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف على تقوية اعتقاد الشيعة و يعزّز من إيمانهم.

الحيّ الأكثر حيويّة

همدان، بغداد، الريّ، نيسابور... لا فرق بينها! فهو عجّل الله تعالى فرجه الشريف يترك آثاره في كلّ مكان. ابتداءً من كراماته و معجزاته وصولًا إلى أصحابه الخُلّص الّذين تترك رؤيتهم آثارًا أبلغ من رؤية ألف كرامة. و هم حاضرون في كلّ مكان و زمان و يُحيون بأفعالهم ذكره في أرجاء المعمورة. و هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف أكثر الحاضرين حيويّة و عنفوانًا و نشاطًا.

لم يكن راشد الهمدانيّ ليكفّ عن استرجاع وقائع ذلك اليوم، فقد تركت أحداثه بكلّ تفاصيلها أثرًا بليغًا في ذاكرته، و لا سيّما تلك الخطوات المعدودة الّتي خطاها خادم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و قطع بها مئات الفراسخ، فكان يُفكّر إنْ كان هذا الأمر بمقدور الخادم فأيّ قدرةٍ لسيّده؟ لا ريب أنّ يده بيد الله تعالى! كان يعلم أنّ تلك الصحراء القاحلة ليست مكانًا لوجود مثل ذلك القصر و تلك الجنّة و الحديقة الغنّاء، فاستنتج أنّ جميع ما رآه إنّما كان ببركة لطفه و عنايته. و ما انفكّ يعيد تكرار مشاهد تلك الحادثة في ذهنه. و قد راح يلتفت بالتدريج إلى أنّ هذه التجربة الّتي خاضها خير دليل على صحّة اعتقاد الشيعة بشأن الإمام الثاني عشر. و قد قصد من أجل ذلك مختلف العلماء في همدان، ابتداءً من علماء أهل السنّة إلى العلويّين. كما تقاسم أفكاره مع أفراد أسرته، و استشارهم في هذا الأمر، إلى أن توصّل معهم بعد التفكير إلى أنّ الحقّ مع مذهب التشيّع. و بعد ذلك عمل على نشر قصّته و أفكاره قدر استطاعته حتّى تشيّع الكثير من جيرانه و سكّان منطقته و أقربائه بسبب هذه الحادثة. و قد احتفظت أسرة راشد بالدنانير الّتي حصل عليها من الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف مدّةً طويلة، و لم تكن نفوسهم تطاوعهم على إنفاقها.

لم يكن الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف ليترك آثاره في مدينة همدان فقط، بل هو يبارك جميع الأمكنة بتجلّيات حضوره. و في هذه الأيّام لم تخلُ حتّى الريّ و نيسابور من وجود الأشخاص الّذين تربّوا على عين صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و منهم الشيخ الصدوق، نجل عليّ بن بابويه، الّذي يرى نفسه مدينًا في حياته لدعاء إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في جواب توقيع أبيه و قد نذر عمره لخدمة أهل البيت عليهم السلام و ترويج أحاديثهم. و كان يسافر إلى مختلف المدن و البلدان لهذا الغرض. و قد أقام في الريّ مدّةً نزولًا عند رغبة أهلها، ثمّ بعد ذلك بمدّة توجّه إلى مشهد قاصدًا زيارة الإمام الرضا عليه السلام. و في طريق العودة أقام في نيسابور بعد إصرار أهلها من محبّي أهل البيت عليهم السلام. و هناك وقف على وجود شبهات تلوكها ألسن الناس حول إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فصار يسعى لهداية الناس في هذا الشأن من خلال نشر أحاديث أهل البيت عليهم السلام بينهم. و بعد مدّةٍ وجيزة، التقى هناك ببعض الأصدقاء القدامى، فأدرك خطورة ما يجري و أنّ الأمر أعمق بكثيرٍ ممّا كان يتصوّر، إذ كان بعض المنطقيّين و الفلاسفة أيضًا يثيرون بعض الشبهات حول قضيّة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و لأنّه كان يرى نفسه مدينًا لإمام زمانه، فقد عقد العزم على أن يكتب كتابًا في هذا الشأن عندما يعود إلى الريّ إن ساعدته الظروف على ذلك. و ذات ليلة كان يفكّر في زوجته و أولاده و أصدقائه و كلّ تلك النعم الّتي تركها في الريّ و جاء إلى هذا المكان، كان صدره منقبضًا بعض الشيء؛ ثمّ نام على إيقاع هذه الأفكار، فرأى في المنام أنّه يطوف حول بيت الله، و في الشوط السابع كان يتّجه نحو ركن الحجر الأسود، فتناوله و تشرّف بلمسه و تقبيله، ثمّ خاطب ذلك الحجر السماويّ بقوله: «أَمَانَتِي أَدَّيْتُهَا وَ مِيثَاقِي تَعَاهَدْتُهُ لِتَشْهَدَ لِي بِالْمُوَافَاةِ»، و هو على تلك الحال رأى إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف فجأة على باب الكعبة. و مع انشغال فكره بالشبهات الشائعة بشأن القضيّة المهدويّة، توجّه نحو مولاه مباشرة. و بعد تبادل السلام فيما بينهما، قال له الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ و هو يعلم بما يجول في قلبه ـ «لِمَ لَا تُصَنِّفُ كِتَابًا فِي الْغَيْبَةِ حَتَّى تُكْفَى مَا قَدْ هَمَّكَ؟!» فقال: يا ابن رسول الله قد صنّفتُ في الغيبة أشياء! فقال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «لَيْسَ عَلَى ذَلِكَ السَّبِيلِ آمُرُكَ أَنْ تُصَنِّفَ، وَلَكِنْ صَنِّفِ الآنَ كِتَابًا فِي الْغَيْبَةِ وَاذْكُرْ فِيهِ غَيْبَاتِ الْأَنْبِيَاءِ!». ثمّ استيقظ الشيخ الصدوق من نومه، و أخذ يدعو و يتضرّع و يبكي إلى طلوع الفجر، و بعد ذلك شرع في تأليف كتاب «كمال الدين و تمام النعمة» مُمتثلًا لأمر إمامه و مستعينًا بالله و متوكّلًا عليه.

و ذكر في كتابه قصّة راشد الهمدانيّ أيضًا، فقد رواها له أحمد بن فارس، الأديب الرازي الكبير، الّذي سمعها مباشرةً من حفيد راشد الهمدانيّ، إذ كان الحفيد قد أصبح رجلًا كبير

السنّ وقورًا، و كان يحدّث الناس بما حدث لجدّه، و كان يقول: لم نرَ سوى الخير و البركة ما دامت دنانير صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف عندنا.

و هكذا فقد أرشد الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف الشيخ الصدوق و ألهمه تأليف كتابٍ قيّمٍ يكون درعًا منيعًا و حصينًا في صيانة عقائد الشيعة.

ملاذ العاشقين



يشارف إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف على إتمام العشرين بعد المئة من عمره الشريف. و من ذا الّذي كان في بداءة الغيبة يظنّ أنّ الإمام سيصل إلى هذه السنّ و لا يكون قد خرج بعد. أمّا يوجد بين هؤلاء الأشخاص الّذين يدّعون الفداء له و التضحية في سبيله، ثلاثمئة و ثلاثة عشر ناصرًا من الخلّص و الأوفياء؟ إنّه لا يزال ينتظر أن يدرك الناس أن لا بركة في أرضٍ ليست متّصلة بالسماء!

إنّ الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف يعلم أنّ غَيبته الكبرى سوف تطول، فكان يرى ضرورة وجود قوة تشدّ على قلوب الشيعة و تثبّتهم على الإيمان على مدى هذه السنوات الطويلة. و لذا فهو يترك في كلّ مكانٍ أمارةً تدلّ عليه، و يقيم في مختلف الأماكن و البقاع مقاماتٍ تحظى باهتمامه و رعايته الخاصّة، لكي تقترن باسمه المبارك عجل الله تعالى فرجه الشريف، و يغدو بمقدور شيعته زيارة تلك البقاع المقدّسة و الإفصاح فيها عن مشاعرهم و التعبير عن حبّهم له و أداء الأعمال العباديّة الّتي تقرّبهم إلى الله تعالى و توثّق ارتباطهم القلبيّ بإمام زمانهم عجل الله تعالى فرجه الشريف، ليزيلوا صدأ الغيبة و الغفلة عن قلوبهم و يحرّروا أنفسهم من تعلّقات الدنيا فيجدون أنفسهم في حضن الإمام عليه السلام الدافئ. إنّ عين الله الثاقبة عجل الله تعالى فرجه الشريف ترى أنّ تراب تلك البقاع أغلى من الذهب، لعلّها تقدّمت على البقاع الأخرى في تلبية دعوة الله و الاعتراف بالعبوديّة له أو كانت موضعًا لقدمَي نبيٍّ أو مضجعًا لأحد أولياء الله تعالى أو مستقرًّا لعاشقٍ أو مكان خلوةٍ لعابدٍ. على أيّ

حال هو أعلم بهذه الأماكن و خصوصيّاتها و أدرى بأنّها تختلف عن سائر البقاع الأخرى، و تستحقّ أن تكون موضعًا لعبادة الله تعالى و ذكره و ذكر وليّه ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾. فهو عجّل الله تعالى فرجه الشريف يختار محلّ إقامة أحبّائه و من يبنيه و من يعمّره و من يأتي إليه و في أيّ زمان. نعم، إنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يفتح طريق الهداية أمام الأفئدة الوالهة، واضعًا في درب عشّاق كلّ زمانٍ علاماتٍ ترشدهم إلى دياره.

إنّ الحسن بن مثلة من هؤلاء العاشقين و كان معروفًا في مدينة قمّ بالعفّة و الصلاح. و في ليلة السابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ٣٧٣ للهجرة، كما في الليالي الماضية، أفطر الحسن و أخلد إلى النوم. و في منتصف الليل انتبه من نومه على وقع صوت، فنهض مسرعًا، بعد أن سمع عددًا من الأشخاص ينادونه من خلف باب الدار قائلين: «قُمْ، و أَجِبْ الإمَامَ المهديّ صَاحِبَ الزَّمَان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فَإنَّهُ يَدْعُوك!».

فقام الحسن من فوره ليتهيّأ؛ و كأنّه لم يكن هو من يمتلك زمام المبادرة، و إنّما كان هناك شخصٌ آخر يجتذبه نحوه. حتّى إنّه لم يخطر في باله مَن يكون هؤلاء و ما هو سنخ ارتباطهم بإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فقال لهم الحسن من داخل الدار: دعوني حتّى أرتدي قميصي، و بينما كان يأخذ القميص، فإذا بنداءٍ من جانب الباب: «ما بيدك ليس قميصك!». فانتبه الحسن إلى ذلك فتركه و أخذ قميصه، ثمّ ذهب و أخذ سراويل ليرتديها؛ فناداه أولئك الواقفون خلف الباب: «ليس ذلك منك، فَخُذْ سراويلك!»؛ فألقى الحسن تلك السراويل و أخذ سراويله و لبسها؛ فكان كأنّه لا يزال نائمًا و غير واعٍ، في حين يبدو أنّ الأشخاص الّذين هم خلف الباب كانوا بكامل وعيهم و يقظتهم و يُظهرون له أمارات الصدق! كان من عادة الحسن أن يقفل باب داره في الليل قبل أن يخلد إلى النوم، و ها هو الآن يبحث عن المفتاح ليفتح به الباب، فنُودي من خلف الدار: «البَابُ مَفْتُوح!». و كأنّما كانوا مطّلعين على جميع أحواله بالكامل. ثمّ تقدّم الحسن إلى الباب، فرأى قومًا من الوجهاء يجلّلهم الوقار. فسلّم عليهم، فردّوا و رحّبوا به. ذهب الحسن برفقتهم، و تقدّم قليلًا معهم في البراري المحيطة بقرية جمكران، حتّى رأى من بعيدٍ أريكةً فُرِشَت عليها فُرُشٌ حِسان، و عليها وسائد. و لمّا اقترب أكثر، رأى فتىً في زِيّ ابن ثلاثين متكئًا عليها، و بين يدَيه شيخ و بيده كتاب يقرؤه عليه، و حوله أكثر من ستّين رجلًا يصلّون في تلك البقعة، و على بعضهم ثيابٌ بيض، و على بعضهم الآخر ثيابٌ خضر. فنهض الشيخ و عرّف بنفسه و بالفتى، و أجلس الحسن

بن مثلة إلى جنبه، لقد كان ذلك الشيخ هو الخضر عليه السلام و كان يقرأ كتابًا على الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. لم يكن الحسن بن مثلة ليصدّق أنه الآن ماثلٌ بين يدَي صاحب الأمر و دُرّة الوجود عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و ربما كان لا يزال في شكٍّ من يقظته؛ لأنّ كلّ ما يراه كان أشبه بالرؤيا الجميلة. فحتّى رؤية الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في المنام فضيلةٌ لا ينالها كلّ أحد، و لكنّه بفضلٍ من الله تعالى ها هو الآن يرى كلّ ذلك ماثلًا أمامه و قد نال مثل هذه المنزلة و الفضيلة في اليقظة. كان يرى نفسه في مركز عالم الوجود و أنّه أقرب إلى الله تعالى من أيّ وقتٍ مضى، لا يمكن لأيّ شيء في العالم أن يوازي قيمة ما يشعر به الآن.

دعا الإمامُ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الحسنَ بن مثلة باسمه، ثمّ قال له: «اذهب إلى حسن بن مسلم، و قل له: إنّك تعمر هذه الأرض منذ سنين و تزرعها و نحن نخرّبها، زرعت خمس سنين، و العام أيضًا أنت على حالك من الزراعة و العمارة، و لا رخصة لك في العود إليها، و عليك ردّ ما انتفعت به من غلّات هذه الأرض؛ ليُبنى فيها مسجدٌ، و قُل له أيضًا: إنّ هذه أرضٌ شريفةٌ قد اختارها الله تعالى على غيرها من الأراضي و شرّفها، و أنت قد أضفتها إلى أرضك، و قد جزاك الله بموت وَلدين لك شابّين، فلم تنتبه عن غفلتك، فإن لم تفعل ذلك لأصابك من نقمة الله من حيث لا تشعر!».

لقد أدرك الحسن بن مُثلة الآن أنّه قد كُلّف بمهمّةٍ جسيمة، و كان يشعر لذلك بالفخر إذ يكون شريكًا في تحقيق واحدةٍ من مهام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لكنّه كي يطمئنّ إلى نجاحه في القيام بهذه المهمّة قال للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: يا سيّدي لا بدّ لي في ذلك من علامة؛ فإنّ القوم لا يقبلون ما لا علامة و لا حجّة عليه، و لا يصدّقون قولي. أجابه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قائلًا: «إنّا سنعلم هناك؛ فاذهب و بلّغ رسالتك، و اذهب إلى السيّد أبي الحسن، و قل له يجيء و يحضره و يُطالبه بما أخذ من منافع تلك السنين، و يعطيه الناس حتّى يبنوا المسجد و يتمّ ما نقص منه من غلّة «رهق» ـ ملكنا بناحية أردهال ـ و يتمّ المسجد، و قد وقفنا نصف «رهق» على هذا المسجد؛ ليجلب غلّته كلّ عام و يصرف إلى عمارته. و قل للناس: ليرغبوا إلى هذا الموضع و يعزّروه و يصلّوا هنا أربع ركعات»، ثمّ شرع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بتعليمه كيفيّتها، و قال له: إنّ مَن صلّاها فكأنّما صلّى في البيت العتيق.

قال الحسن بن مثلة في نفسه: متى كنّا نظنّ أنّ هذا الموضع يكون مسجدًا للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟! ثمّ ازدحمت في ذهنه الكثير من الأسئلة؛ فأشار إليه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن

يذهب و يؤدّي مهمّته. فلمّا سار الحسن بعض الطريق، دعاه الإمام ﷺ ثانيةً و قال له: «إنّ في قطيع جعفر الكاشانيّ الراعي معزًا يجب أن تشتريه، فإن أعطاك أهل القرية الثمن تشتريه، و إلّا فتعطي من مالك و تجيء به إلى هذا الموضع و تذبحه الليلة الآتية، ثمّ تنفق يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر رمضان المبارك لحم ذلك المعز على المرضى و من به علّة شديدة، فإنّ الله يشفي جميعهم، و ذلك المعز أبلق كثير الشعر، و عليه سبع علامات سود و بيض، ثلاث على جانب و أربع على جانب، سود و بيض كالدراهم».

أصغى الحسن بن مثلة إلى كلام مولاه، ثمّ عزم على الخروج ثانية؛ فقال له الإمام ﷺ: «تقيم بهذا المكان سبعين يومًا أو سبعًا؛ فإن حملت على السبع انطبق على ليلة القدر و هو الثالث و العشرون، و إن حملت على السبعين انطبق على الخامس و العشرين من ذي القعدة، و كلاهما يوم مبارك».

عاد الحسن بن مثلة إلى البيت، و لم يزل متفكّرًا في أحداث الليلة و ما يجب عليه فعله في الغد؛ حتّى أسفر الصبح فأدّى الفريضة و ذهب إلى دار صاحبه عليّ بن المنذر، و قصّ عليه ما جرى، فاتّخذا قرارًا بالعودة إلى المكان الّذي قصده ليل أمس؛ فلمّا وصلا إلى ذلك المكان وجدا أنّ حدود المسجد قد عُلّمت و عُيّنت بسلاسل و أوتاد؛ الأمر الّذي ضاعف من تعجّبهما. ثمّ ذهبا طبقًا لأمر الإمام ﷺ إلى منزل السيّد الشريف أبي الحسن الرضا في محلّة موسويان في قمّ، و هو من السادة الرضويّة، و له منزلةٌ كبيرةٌ بين الناس. فلمّا وصلا إلى باب الدار، وجدا بعض خدّامه يقولون: إنّ السيّد أبا الحسن الرضا ينتظرك من سَحَر، فهل أنت من جمكران؟ فأجاب الحسن بن مثلة: نعم! ثمّ دخل و سلّم على السيّد و أظهر له الاحترام. فأحسن السيّد في الجواب و أكرمه و مكّن له في مجلسه؛ تعجّب الحسن بن مثلة من كلّ هذا التكريم و الترحيب، و قد سبقه السيّد قبل أن يحدّثه، فقال: يا حسن بن مثلة، إنّي كنت نائمًا، فرأيت شخصًا يقول لي: «إنّ رجلًا من جمكران يُقال له حسن بن مثلة يأتيك بالغدو، و لتصدقنّ ما يقول، و اعتمد على قوله؛ فإنّ قوله قولنا، فلا تردّنّ عليه قوله!». فانتبهت من رقدتي و كنت أنتظرك إلى الآن!

و حين اطمأنّ الحسن بن مثلة إلى أنّ السيّد الرضا يصدّق كلامه، أخذ يقصّ عليه القصص شارحًا و مفصّلًا؛ و بعد أن فرغ الحسن من كلامه، أمر السيّد بالخيول لتُخرج و تُسرج؛ فركبوا بأجمعهم و توجّهوا إلى قرية جمكران. فلمّا اقتربوا من القرية رأوا جعفرًا الراعي،

و كان مشغولًا برعي القطيع على جانب الطريق؛ فدخل الحسن بن مثلة بين القطيع، و كان ذلك المعز خلف القطيع و إذا به يُقبل عادِيًا إليه، فأخذه الحسن، و لمّا أمعن النظر فيه وجده يحمل العلامات نفسها الّتي ذكرها الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. أراد الحسن أن يعطي جعفرًا ثمنه و يشتريه منه؛ فأقسم جعفر الراعي قائلًا: إنّي ما رأيت هذا المعز قطّ، و لم يكن في قطيعي، إلّا أنّي رأيته وكلّما أردت أن آخذه لا يمكّنني، و الآن جاء إليكم. فأتوا بالمعز إلى ذلك الموضع ـ الّذي كان الحسن بن مثلة قد ذهب إليه ـ و ذبحوه. ثمّ جاء السيّد أبو الحسن الرضا إلى ذلك الموضع و أحضروا الحسن بن مسلم و استردّوا منه الغلّات و جاؤوا بغلّات «رهق»، و بنوا مسجد جمكران و سقفوه بالجزوع. ثمّ حمل السيّد السلاسل و الأوتاد الّتي كانت تحيط بحدود المسجد، و أخذها معه إلى البيت، و وضعها في مكانٍ آمن. فكلّ ما كان ينتمي إلى الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان بالنسبة إليه ياقوتًا و زمرّدًا و إن كان خشبًا أو حديدًا. و هكذا بُنيَ بأمر الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف مقامٌ سيبقى إلى آلاف السنين مأوى للعاشقين و الوالهين بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ملاذًا لهم، ليكون دليلًا على الحبيب و بلسمًا لجروح الفراق.

السلاسل الذهبيّة

و مع أنّ عصر الغيبة الكبرى قد حَرم الناس وجود نائبٍ خاصٍ للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يُبلّغهم تعاليمه، إلّا أنّ فقهاء الشيعة الأتقياء هم حججه عليهم، طبقًا لبيانه العامّ الّذي أصدره في عصر الغيبة الصغرى، فهم في الحقيقة وكلاؤه و يقومون بمهام النوّاب الخاصّين. و كان الشيخ المفيد أحد هؤلاء العلماء البارزين.

وُلد الشيخ المفيد في بغداد بعد انتهاء مرحلة الغيبة الصغرى بسنوات قليلة. و قد وفّقه إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أعطاه شرف التتلمذ على أيدي ثلاثة من العلماء الّذين نالوا نظرة خاصّة منه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، هم: أبو غالب الزراريّ، و ابن قولويه القمّيّ، و الشيخ الصدوق. و قد جعله تتلمذه على يد هؤلاء الثلاثة شَغوفًا بحبّ إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أضاف على جميع أفعاله صبغةً مهدويّة. كان يهجع من الليل قليلًا، ثمّ يقضي وقته بالصلاة أو القراءة و الدرس أو تلاوة القرآن. و في أوقات النهار كان يشتغل في التدريس و يسعى في قضاء حوائج الناس و حلّ معضلاتهم، و يكثر من التصدّق على الفقراء و المساكين، كما كان يتباحث مع مختلف

العلماء، و كان يمتاز بسرعة بديهته في الإجابة عن الأسئلة. فكانت بغداد تشهد مرّةً أخرى بزوغ نجمٍ آخر من خُلّص أنصار الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، و قد انتهت إليه مرجعيّة الشيعة.

أمّا في قمّ المقدسة، فلا يزال الإمام عجّل الله فرجه الشريف يفيض على شيعته بالكرامات و البركات، و لا سيّما فيما يرتبط ببناء مسجد جمكران المقدّس. لقد احتفظ السيّد أبو الحسن الرضا في بيته بالسلاسل و المسامير الّتي حُدّدت بها مساحة المسجد قبل البناء، و هو يحرسها و يصونها كما يُصان الذهب و الماس. و شيئًا فشيئًا أخذ الناس يطّلعون على حقيقة هذا الخبر. و كان المرضى و الأعلّاء يتوافدون إلى داره و يمسّون أبدانهم بالسلاسل فيشفيهم الله تعالى عاجلًا و يبرؤون، و كانت تلك علامةً أخرى من الإمام عجّل الله فرجه الشريف على صدق كلام الحسن بن مثلة. و كان السيّد قد أودع السلاسل في صندوق، و أعلم نجله بموضعه، و لم يمضِ زمنٌ حتّى توفي السيّد الرضا. و بعد وفاته مَرِض نجله؛ فدخل بيته قاصدًا صندوق السلاسل المنسوبة إلى الإمام عجّل الله فرجه الشريف، ليُشفى من مرضه ببركتها، إلّا أنّه عندما فتح الصندوق لم تكن السلاسل و الأوتاد موجودةً في مكانها، و كأنّ صاحب اليواقيت قد استردّها!

وسامٌ خالدٌ

ربما عندما بلغ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف عامه العشرين بعد المئة، ظنّ الناس أنّ عصر الظهور بات قريبًا جدًّا. صحيحٌ أنّهم سمعوا في الأحاديث أنّ الغيبة الكبرى سوف تطول كثيرًا، و لكن لم يدُر في خلد أحدهم أنّ عمر إمامهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف سوف يتجاوز الحدّ الطبيعيّ. إلّا أنّ إرادة الله تعالى قد تعلّقت بأن يطول عمره الشريف عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أن لا يظهر آخر الأوصياء المذخورين عجّل الله تعالى فرجه الشريف ما لم يعمل الناس على إعداد أنفسهم ليوم خروجه، حتّى لو تخطّى عمره ألف سنة أو أكثر.

و ها هي السنون تمضي، و قد تجاوز إمام العصر عجّل الله فرجه الشريف اليوم عامه الخامس و الخمسين بعد المئة. و إنّ قرنًا و نصف قرنٍ من الوحدة و الغربة ليسا بالمدّة اليسيرة، و لا يمكن لغيره أن يتحمّل هذا الأمر. و هو لا يزال، التزامًا بأمر الله تعالى و حِفظًا لوصيّة أبيه الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، يقضي معظم أوقاته في المناطق البعيدة عن العمران و عن المدن الخاضعة لحكم الظالمين. فينزل أحيانًا في حديقة واسعة ممتلئة بالأشجار الكثيفة و المتشابكة، ثمّ

ينتقل أحيانًا أخرى إلى قمّة جبلٍ مرتفعٍ و مجهول، أو إلى صحراء قاحلة لا نبات فيها و لا ماء. و مع أنّه حاضر اليوم في الحجاز و لا يمتلك نائبًا خاصًّا يُرسِل من خلاله كتبه و توقيعاته إلى محبّيه، إلّا أنّه يرى بين جميع الّذين يدّعون محبّته أنّ هناك رجلًا في بغداد يستحقّ أن يمنحه وسام الافتخار. فأرسل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى زعيم الشيعة رسائل نبّهه فيها إلى الفتن المائلة و علّمه المسار الصحيح في التعامل معها، و كذلك نبّه الشيعة إلى أنّه لا يُهمِل يومًا رعايتهم و لا يتركهم و شأنهم. فرفع بذلك شعورهم بالغربة و بدّد غمامة الحزن الّتي خيّمت عليهم بعد الإعلان عن انتهاء مرحلة الغيبة الصغرى و إقفال باب النيابة الخاصّة.

يعيش العراق في هذه الأيّام أوقاتًا عصيبة؛ اضطرّ معها الناس إلى أكل لحم الحمير بسبب غلاء لحوم البقر و الغنم الفاحش و شدّة ارتفاع أسعارها. و كان غياب الأمن و الأمان يسيطر على جميع المناطق، حتّى إنّ قوافل الحجيج كانت تعيش حالةً من الخوف و الفزع من انقضاض قطّاع الطرق الجائعين. و كانت هذه الأوضاع تعمّ الجميع، بيد أنّها كانت أشدّ سوءًا على الشيعة من غيرهم. ففي أوائل القرن الخامس للهجرة كان حكم آل بويه يؤول إلى الزوال، إذ بالإضافة إلى النزاع الّذي نشب بين جيوش الترك و الديلم، كان التنافس بين أبناء آل بويه على اعتلاء العرش يزداد حدّة يومًا بعد يوم، و قد وضع هذا الأمر حُكمهم على حافة الهاوية و الانهيار. و من ناحيةٍ أخرى كان السلطان محمود الغزنويّ قد وصل إلى السلطة مع ما عنده من التعصُّب للمذهب الحنفيّ، و قد تحالف إلى حدّ ما مع القادر، الخليفة العبّاسيّ الحنبليّ. و كان إفساح المجال أمام الشيعة لإحياء شعائرهم المذهبيّة و الدينيّة في مدّة حكم آل بويه، قد أثار حفيظة النواصب إلى حدّ كبير. و قد استغل القادر العبّاسي الفرصة ليعمل ما أمكنه على إخراج الشيعة و المعتزلة من الساحة، و يُضعف من ثقافة التشيّع، فأطلق يد محمود الغزنويّ في قتلهم و سجنهم. و ربما كان الشيعة قد نسوا بالتدريج سُنّة التقيّة بعد أن عاشوا عدّة سنوات في ظلّ حكومة سياسيّةٍ متلائمة معهم نسبيًّا. و في هذه الظروف الحسّاسة و البالغة الدقّة، بادر إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى تحديد تكاليفهم في الرسائل و الكتب الاستراتيجيّة الّتي أرسلها إلى زعيم الشيعة.

و حصل الشيخ المفيد ـ الّذي أوقف حياته على خدمة إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الترويج لمذهبه ـ على جواب وفائه و تفانيه، فقد تشرّف في أواخر حياته بتسلّم توقيع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أيّ شرفٍ أعظم من أن يخاطبك قطب الوجود و عموده؟ إذ وصله في أواخر صفر من سنة ٤١٠ للهجرة كتابٌ من ناحيةٍ متّصلةٍ بالحجاز، و قد وصفه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فيه بقوله: «الأخ السديد

و الوليّ الرشيد الشيخ المفيد». الله يعلم ماذا فعلت هذه الكلمات بقلب الشيخ المفيد! و بهذا فقد اتّضح أنّه ـ كما يمكن أن يترعرع في كنف النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام شيعة من أمثال: سلمان و أبي ذرّ الغفاريّ ـ يمكن للشيعة أن يصلوا في عصر الغَيبة إلى مقامٍ رفيع في نصرة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بحيث يصفهم بأنّهم إخوته و أولياؤه. أجل، فقد سبق لرسول الله صلّى الله عليه و آله أن وصف الشيعة الّذين يثبتون في عصر الغَيبة على إيمانهم بأنّهم إخوانه، و ها هو الشيخ المفيد يحصل الآن ـ بسبب إخلاصه و تقواه و خدماته الّتي قدّمها إلى الدين، و الكتب النافعة و الخالدة الّتي ألّفها من أجل المحافظة على إيمان الناس ـ على شرف نيل هذا الوسام المتمثّل بالتوقيع الّذي أرسله إليه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يصفه فيه بالأخ.

و قد ذكر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في هذا الكتاب أنّه و إن كان حسب الصلاح الّذي رآه الله سبحانه و تعالى له عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لشيعته المؤمنين أن يبقى ثاويًا بمكانه النائي عن مساكن الظالمين، ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، إلّا أنّه محيطٌ علمًا بأنباء ما يقع على الشيعة و لا يعزب عنه شيءٌ من أخبارهم. و أنّه غير مهملٍ لمراعاتهم و لا ناسٍ لذكرهم، و لولا ذلك لنزلت بهم اللأواء و اصطلمتهم الأعداء. كما وعد الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في توقيعه بإعادة الأمن إلى طريق الحجاج. و أمر الشيخَ المفيد ـ من خلال الإشارة إلى بعض الحوادث الّتي سوف تقع في المستقبل ـ بأن يُبلّغ الشيعة أن يتّقوا الله جلّ جلاله و يظاهروه على إنقاذهم من فتنة قد أناقت عليهم، يهلك فيها من حمّ أجله، و يُحمى عنها من أدرك أمله.

لم يكن هذا التوقيع الوحيد الّذي وصل إلى الشيخ المفيد. فبعد ذلك بسنتين، أي عندما كان له من العمر خمس و سبعون سنة تقريبًا، كان في غاية القلق على أوضاع الشيعة، و لا ينفكّ يذكر المسؤوليّة الجسيمة الّتي يحملها على عاتقه في تولّي قيادتهم. و لذا أخذ يتضرّع إلى الله تعالى، و يسأله أن يهديه سواء السبيل. و هناك استحقّ الحصول على نظرةٍ خاصّة من مولاه. ففي الثالث و العشرين من شهر ذي الحجّة من عام ٤١٢ للهجرة، أرسل إليه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف توقيعًا آخر في غاية الأهمّيّة. و قد أخبره فيه أنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف رأى مناجاته و سمعها من مستقرّه على قمّة جبلٍ مرتفع انتقل إليه حديثًا، و أنّه يقف إلى جانبه و يعضده. و طلب إليه أن يستقيم بكلّ وجوده في مواجهة الفتن الّتي تعصف بمجتمع المسلمين، و أن يثلج صدور الشيعة و يُطمئنهم بأنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يحفظهم و يحرسهم بدعائه الّذي لا يُردّ عند سلطان السماء و الأرض، و ضمن للشيخ المفيد أنّ الشيعة إذا اتّقوا ربّهم، و أخرجوا ما عليهم من الحقوق الواجبة، كانوا آمنين من الفتن المظلمة و المضلّة، و أمّا الّذي يبخل

منهم بأداء الحقوق الّتي أوجبها الله عليه، فإنّه سيكون خاسرًا بذلك لأولاه و آخرته. ثمّ قال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف كلمةً بقيت خالدةً في أذهان الشيعة إلى الأبد، إذ قال:

«وَلَوْأَنَّ أَشْيَاعَنَا ـ وَفَّقَهُمُ اللّٰهُ لِطَاعَتِهِ ـ عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ الْقُلُوبِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ، لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا، وَلَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا عَلَى حَقِّ الْمَعْرِفَةِ وَصِدْقِهَا مِنْهُمْ بِنَا، فَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكْرَهُهُ وَلَا نُؤْثِرُهُ مِنْهُمْ».

لقد بيّن الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الطريق و ردم حفره الخطيرة. و هو يواصل مهامه و أدواره، و يضيء بنوره الأفئدة، و إنّ غيبته لا تخفّف من طيب قلوب محبّيه و موالاتهم، كما أنّ الشمس تُواصل سطوعها و إن حجبها السحاب، فتغمر الأشجار بأشعّتها، و تُنضج الثمار اللذيذة بدفئها، و لا تستطيع السُحُب أن تُقلّل من حلاوة تلك الثمار و طيبها. و لا يزال العلماء الربانيّون و الأتقياء الصالحون في زمن الغَيبة الكبرى ينالون شرف الحصول على توقيع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو التشرّف بلقائه، و يتجلّى فيهم نور الولاية أكثر من ذي قبل.

ريح الصَّبا

مضى حدود قرنٍ من الزمن منذ صدور توقيع الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف للشيخ المفيد، و صار عمر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في غيبته يقرب إلى نصف عمر الإسلام. و قد شهِد الدهر بروز عددٍ من العلماء الكبار أمثال السيّد المرتضى و الشيخ الطوسيّ و غيرهما ممّن تربّوا في مدرسة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و صحيحٌ أنّ تعاقب السنين قد ميّزه عجّل الله تعالى فرجه الشريف عن سائر الأئمّة الأطهار عليهم السلام بتربيته عددًا كبيرًا من الشيعة المستعدّين و المتفانين في طاعة وليّهم، إذ إنّ أحدًا منهم عليهم السلام لم يصل إلى تربية هذا العدد من الأولياء الإلهيّين. و لكنّ ثمن هذه الميزة كان عظيمًا و مفجعًا و قاسيًا على قلب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، إذ إنّه ذاق فوق ما ذاقوه من لوعة فقدان خلّص الأصحاب و صفوة الحواريّين، و قاسى ما لم يُقاسِه أيٌّ منهم من طول الفراق و بُعد الالتحاق. لا أحد يمكن أن يشعر بحقيقة آلامه إلّا هو نفسه عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

كانت سُنّة كتابة الرقاع الحسنة، و لا تزال، شائعةً بين الناس. فقد وصلت إلى الشيعة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام روايات ترشدهم إلى كتابة الرقاع من أجل قضاء حوائجهم، و أن يلقوا

تلك الرقاع في أحد المراقد الطاهرة للأئمّة عليهم السلام أو في نهرٍ جار، أو بئر عميقة، أو غدير ماء. كما كان الشيعة في عصر الغَيبة الصغرى يكتبون حوائجهم أو أسئلتهم في رقعة، و يرسلونها إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بواسطة أحد نوّابه الخاصّين. و قد رأوا بهذه الطريقة الكثير من الكرامات و المعاجز. و إنّ الروايات الّتي وصلت إلى الشيعة من أئمّتهم عليهم السلام، و الحكايات الّتي كانت محفورةً في ذاكراتهم منذ عصر الغَيبة الصغرى، بلورت ثقافة كتابة الرقاع و ضمنت لها الاستمرار كما كانت في السابق، إذ لم يزل في بالهم كيف هنأت حياة عليّ بن بابويه و أبو غالب الزراريّ بعد أن كتبا رقعتين إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فكانت سامرّاء، و سرداب الغَيبة المقدّس خصوصًا، مقصد الشيعة و ملاذهم الأكثر رجوعًا إليه. وكان البعض يطلب لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و رؤية طلعته المباركة، أو أن يتقبّله الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف خادمًا له، و البعض الآخر يطلب حاجات دنيويّة من قبيل: الشفاء من مرض، أو رفع حالة فقر أو الخلاص من معضلة، أو حلّ مشكلةٍ أسريّةٍ أو مخاطر اجتماعيّة. وكانت لدى آخرين أسئلةٌ في الأمور الاجتماعيّة أو الدينيّة، وكانوا يرون الحلّ في الكتابة إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مباشرة.

وكان أصحاب الحوائج في كثيرٍ من الأحيان يذكرون أسماء السفراء الأربعة (النوّاب الخاصّين للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف) في رسائلهم، و يطلبون إليهم إيصالها إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ لاعتقادهم بأنّهم يعيشون حياةً خالدةً مثل الشهداء و أنّهم أحياءٌ عند الله يُرزقون، و أنّ لديهم ـ بإذن الله ـ القدرة على التصرّف في هذه الدنيا أيضًا. فكانوا عند حلول الليل ـ حين لا عينٌ ترى ـ يُلقون برقاعهم و عرائضهم في الضريح. و في بعض الأحيان يعودون صباحًا، فإذا لم يجدوا الرقعة في موضعها، كان ذلك بالنسبة إليهم علامةً على قضاء حوائجهم. و في بعض الأحيان، و قبل أن يلقوا الرقعة، كان يأتي شخصٌ مجهولٌ و يتسلّمها منهم و يُخبرهم بمضمونها؛ مع أنّ كاتب الرقعة لم يكن قد أخبر أحدًا بأمره، أو لم يُطلع أحدًا على ما كتبه في تلك الرقعة. و بذلك يحصل لصاحبها اليقين بأنّ ذلك الشخص مبعوثٌ من قِبَل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرى مطالب الشيعة و بيانهم لحوائجهم، و يُلبّي تلك الحاجات كوالدٍ حنون عطوف، و يقوّي بذلك إيمانهم بحضوره. و قد رأى الشيعة الكثير من المعجزات الباهرة من خلال كتابة الرسائل إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، حتّى أيقنوا بأنّ هذا من طرق التواصل معه و الارتباط به عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد أمضى هذه الطريقة بخاتم تأييده. لم يكن هذا بالأمر الّذي يقوم به عوام الناس اعتباطًا، بل هو مأخوذٌ من كلام الأئمّة الأطهار عليهم السلام و أولياء الدين،

و كان كبار العلماء أنفسهم يستخدمون هذه الطريقة. و لذلك فإنّ استهزاء بعض من يزعم المعرفة و الثقافة من المؤالفين، أو الحمقى من المخالفين لا يمنعهم من مواصلة هذه الشعيرة أو يوهن من إرادتهم في هذا الشأن. و كان الشيعة فرحين بأن يتمكّنوا حتّى في عصر الغَيبة الكبرى من كتابة مطالبهم و مسائلهم إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، يكفي في ذلك منهم أن يطرقوا بابه عجّل الله تعالى فرجه الشريف بأيدٍ ملؤها الإيمان الراسخ، و أن يُرهفوا آذانهم لسماع الجواب. فلا يزال صوت الحبيب عجّل الله تعالى فرجه الشريف يُسمع بين ضجيج الزمن و ضوضائه، و لا يزال دفء الشمس يُستشعَر حتّى من خلف سحاب الغيبة المركوم...

بدل الدموع دمًا

كيف لصاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن ينسى ما جرى على أهل بيت النبيّ صلّى الله عليه و آله من المصائب و الظلامات؟! ابتداءً من تنكُّر الأمّة لوصيّة النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله، و منعها حقّ أمير المؤمنين عليه السلام، و هتكها لحرمة بِضعة الرسول صلّى الله عليه و آله السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وصولًا إلى الظلم الّذي صُبّ على آبائه الطاهرين عليهم السلام، كيف له أن ينسى كأسًا من اللبن المسموم مملوءةً، أو رأسًا على الرمح مرفوعًا، أو مُخدّرةً بين الأعادي مسبيّةً! بَيد أنّه لا يزال مأمورًا ـ كجدّه أمير المؤمنين عليه السلام ـ بتجرُّع غصص الصبر، و في العين قذى و في الحلق شجى، و هو صبرٌ لا تطيقه إلّا نفسٌ علويّة. فمن ذا غيره يستطيع رؤية الشمس أكثر من مئة و عشرين ألف مرّة و هي تُشرق على الظالمين و الناهبين لحقوق المستضعفين، و تحمُّل مضي ٣٥٠ سنة و الفاسقون في هناء؟!

أنّى له أن ينسى الجرائم الّتي ارتكبها أعداء الرّسول الأعظم صلّى الله عليه و آله في كربلاء، و قتلهم أشبه الناس به صلّى الله عليه و آله خَلقًا و خُلُقًا؟! إنّه يشمّ عبير قميص جدّه الإمام الحسين عليه السلام في كلّ يومٍ و ليلةٍ، فيندبه محترقًا بلوعة المُصاب و غصّة الاكتئاب، يقيم له العزاء صباحًا و مساءً بقلبٍ مقروح و دمعٍ مسفوح، عزاءَ حزينٍ مفجوع. و لذلك كانت مجالس العزاء و المآتم الّتي يقيمها الشيعة تقع موضع اهتمام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و رعايته. فهو يحضر في هذه المجالس، و يمشي على فرشها، و ينظر إلى أصحاب العزاء الحُسينيّ بعين الودّ و الشفقة، و يشاركهم البكاء و النحيب، إلّا أنّ بكاءه يختلف عن بكائهم، فهو يبكي جدّه الحسين عليه السلام بدل الدموع دمًا و يقرؤه في ندبته دهورًا، و في كلّ حرفٍ دمًا قانيًا. إنّه يرى أولاد قاتلي أهل

بيت النبيّ صلى الله عليه وآله الّذين لا يزالون يسيرون على الخطى الخبيثة لآبائهم و أتباعهم، و لكنّه مأمورٌ بالصبر كما كان حال جدّه الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام، بَيد أنّه لا ينتظر المختار الثقفيّ، و إنّما هو المُختار من قِبل الله تعالى، و الّذي ينتظره الشيعة ليقلع جميع أنواع الظلم و الجَور، و يثأر و ينتقم من الظالمين قاطبة.

و مع أنّ الظالمين تسبّبوا بإخراجه من داره بغير حقّ، إلّا أنّه لا يزال يحتفظ في قلبه بذكر أهل ذلك الدار عليهم السلام. و يذهب بين الحين و الآخر إلى سامرّاء لزيارة مرقَدَي أبيه و جدّه عليهما السلام، و مراقد السيّدات المجاورات لهما، و يمرّ على مدينة «بلد» ليزور عمّه الطاهر السيّد محمّد عليه السلام. و حين يتمشّى في أزقّة سامرّاء، يستحضر الظلم الّذي مارسه الحكّام العبّاسيّون بحقّ أبيه عليه السلام. و يستنشق هواء المعاناة الّتي لحقت بأمّه عليها السلام، حتّى إذا وصل إلى ضريحها هوى إليه و احتضنه كما كانت هي تحتضنه بذراعَيها الحانيتَين و تضمّه إلى صدرها العطوف. و كان يستذكر تضحيات عمّته الكريمة السيّدة حكيمة عليها السلام، و آهات و زفرات جدّته الجليلة السيّدة حديثة عليها السلام، و يبكي لذلك بحرقةٍ و ألمٍ شديدَين، محتسبًا عند الله عزّ و جلّ غربته و وحدته في زمنٍ قلّ فيه النصير و افترق عنه الحبيب و القريب.



كلّ ذلك الصبر بكفّةٍ و الصبر على ما يعانيه شيعته بكفّةٍ أخرى، فقد عاش الشيعة أيضًا في هذه السنين تقلُّبات كثيرة صعودًا و نزولًا. و بعد مجيء السلجوقيّين تلاشت الأيّام الهادئة الّتي سادت في مدّة آل بويه، و بدأت من جديد أذيّة الشيعة و الإضرار بهم، ابتداءً من كسر المنابر وصولًا إلى نزع العمائم عن رؤوس الخطباء و هتك حُرُماتهم. و كانت المصاعب الّتي تحمّلها الشيعة في هذه السنين، تؤذيه هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف أكثر من الجميع. لكن لا بدّ من مجيء اليوم الّذي يظهر فيه للعالم أجمع الأهداف السامية الّتي ضحّت هذه العترة الطاهرة من أجل تحقيقها.

لقد طال زمن الغيبة، و أخذت قلوب الشيعة تهفو و تخفق حبًّا للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لا يقرّ لها قرار دون ظهوره. و الجميع يشعر باستعداده إلى التضحية من أجله، و بذل المهج دون مهجته. و قد جاء الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف هذه المرّة إلى مدينة الحلّة، و وقف على سطح دار رجلٍ ربّاني، كي يبيّن لمحبّيه بكلّ صراحة و شفافيّة، أين تكمُن عُقدة الأمر، يريد بذلك أن يهديهم إلى رُشدهم، مع مراعاة قابليّات قلوبهم، و أن يبلّغهم رسالة تبقى مخلّدة في التاريخ إلى الأبد، و يتمّ الحجّة بذلك على الجميع.

في عصر السلاجقة العصيب، كان المزيديّون ـ و هم فرع منشقٌّ من آل بويه ـ لا يزالون مهيمنين على العراق و لا سيّما مدينتَي هيت و الكوفة. و مع أنّ أصولهم تعود إلى الأعراب و سكّان البوادي، لكنّهم أثبتوا مهارتهم و جدارتهم في الإدارة و السياسة. و في أواخر القرن الهجريّ الخامس، أسّس سيف الدولة المزيديّ مدينة الحلّة، و هي المدينة الّتي لم يكن فيها سوى بضع شجيرات و أدغال يخترقها نهر الفرات في زمن أمير المؤمنين عليه السلام عندما أخبر أصحابه بأنّها ستشهد في يومٍ من الأيّام ظهور شخصيّات كبيرة. و لم يمضِ زمان على بناء هذه المدينة حتّى أصبحت معقلًا للشيعة، و يجمعهم ندبتهم لإمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف و انتحابهم من أجله بصوتٍ واحد.

و كان الشيخ عليّ الحِلّاويّ أحد العلماء الأتقياء في هذه المدينة، و قد شهد مدى إخلاص أهلها و اعتقادهم الراسخ بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و كان يرى كيف أنّهم ينتظرون ظهوره و هم مستعدّون لينصروه بأرواحهم و قلوبهم. و لذلك كان دائمًا يفكّر في نفسه و يتساءل لماذا لم يظهر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى الآن؟! كان الشيخ عليّ قد أمضى جميع لحظات حياته مستحضرًا مفهوم الانتظار، و كادحًا في سبيل الاستعداد، و لكنّ طول الانتظار مع اعتقاده بوجود مقدّمات الفرج جعل في القلب غصّة، و قد آن الأوان لبثّ الهموم و الشكوى. فكان عندما تبلغ اللوعة حدّها في صدره، يعاتب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بمحبّة قائلًا: ما سبب هذه الغَيبة عن الأنظار في هذا الزمان، و أنصارك المخلصون في البلاد و الأقطار كثر، كثرة أوراق الشجر و قطرات المطر؟ في مدينتنا هذه وحدها أكثر من ألف رجلٍ من أنصارك و مُحبّيك، فلماذا لا تظهر لتملأ الأرض قسطًا و عدلًا؟

لم يتمكّن الشيخ عليّ من طرد هذا الاستفهام من رأسه، حتّى غدا بالنسبة إليه أكثر و أهمّ ما يفكّر فيه و استولى على ذهنه و روحه من كلّ جانب. و لم يكن بمقدوره أن يستوعب كيف يكون لإمام المحبّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف هذا العدد الكبير من الأنصار و الوالهين في حين أنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يخرج لإنقاذ البشريّة. و ذات يومٍ ضاق ذرعًا بهذا التفكير و لم يجد نفسه إلّا وقد يمّم وجهه شطر الصحراء. فخرج من ضوضاء المدينة، و أخذ يجوب الصحراء المحيطة بها دون وجهة، مُعيدًا تكرار السؤال الّذي شغل باله طويلًا، إذ لم يعد بمقدوره تحمُّل هذه الحالة النفسيّة و الروحيّة، و في الوقت نفسه لم يكن لديه مناص للخلاص منها. و بينما كان يواصل الضرب في الصحراء مطلقًا العنان لما اختلج في صدره بكلّ شفافيّة، إذ ظهر له شخصٌ يبدو عليه أنّه من سكّان البوادي المحيطة بالمدينة، فقال له: «أيّها الشيخ، لمن كلّ هذا الخطاب و العتاب؟!». فقال معترضًا و دون وجل: «خطابي لحُجّة الوقت و إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أسأله لِمَ لا يظهر مع وجود كلّ هؤلاء المخلصين و المُحبّين، و منهم في الحلّة وحدها أكثر من ألف شخصٍ من مُحبّيه و أنصاره». فقال الأعرابيّ: «يا شيخ، أنا صاحب الزمان!». فكان جوابه كالصاعقة الّتي نزلت على رأس الشيخ عليّ، و لكن قبل أن يُبدي أيّ ردّة فعل، واصل الإمام كلامه قائلًا: «لا تُكثِر من خطابي و عتابي فإنّ الأمر ليس كما تظُنّ. لو كان أصحابي الثلاثمئة و الثلاثة عشر رجلًا موجودين لظهرتُ. أنت تقول إنّ لي في الحلّة أكثر من ألف شخصٍ من المخلِصين، و الحال أنّه ليس فيها مُخلصٌ غيرك، و غير فلانٍ القصّاب، و إذا أردتَ أن أكشف الواقع و أُبيّنه لك فادعُ مُخلصيَّ الّذين تعرفهم ليلة الجمعة إلى دارك، و أعِدَّ في صحن الدار مجلسًا، و ادعُ فلانًا القصّاب أيضًا...». و طلب إليه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن يحضّر بعض الأمور فوق سطح داره قبل وصول الضيوف، و تابع قائلًا: «عندها انتظِر دخولي لأكشف لك واقع الأمر و أُبيّن أنّك على خطأ». قال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ذلك و غاب عن نظر الشيخ عليّ فجأةً.

و إذ لم يكن للشيخ ما هو أهمّ من الحصول على جوابٍ عن سؤاله؛ فقد عاد إلى المدينة جذلًا و مُفعمًا بالحيويّة و النشاط. كان يستذكر عبارة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف باستمرار: ليس لدينا ناصر مخلص في هذه المدينة إلّا أنت و فلان. فكان يستعرض في ذهنه أسماء مختلف الأشخاص الّذين يعرفهم، و يقول لنفسه مُتعجّبًا: كيف لا يكون هذا المؤمن ناصرًا مُخلصًا له؟! لم يكن هذا الأمر مفهومًا بالنسبة إليه. ألا يمكن العثور على شخصٍ مخلصٍ من بين جميع هؤلاء البشر؟! كيف يمكن ذلك؟! ذهب الشيخ عليّ الحِلّاويّ إلى القصّاب دون

إبطاء و شرح له الأمر. و كان القصّاب يثق به ثقة تامّة، فصدّقه و أصبح عضدًا له. و قد تعاونا على اختيار أربعين شخصًا من بين الجمهور المحبّ لإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الحلّة، ممّن كانوا يعتقدون أنّهم الأكثر إخلاصًا و صدقًا في انتظار الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و كانا يبديان حرصًا و دقّة كبيرين في اختيار الأشخاص، فكانا لا يختاران سوى الأكثر صلاحًا و تقوى و حبًّا للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف. ثمّ دعوَا كلّ واحدٍ منهم للحضور في منزل الشيخ عليّ ليلة الجمعة ليتشرّفوا بلقاء إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و اشترطا عليهم أن لا يخبروا أحدًا بهذا الأمر. فهل هناك أثلج من هذه الدعوة على القلوب الحرّى؟! و قد سارع الأربعون شخصًا إلى قبول هذه الدعوة بكلّ وجودهم. و صاروا ينتظرون حلول ليلة الجمعة لحظةً بلحظة، و كانوا طوال هذه المدّة يبذلون المزيد من الرقابة و التدقيق على أعمالهم و سلوكيّاتهم.

و عندما حلّت ليلة الجمعة، أعدّ الشيخ عليّ و القصّاب السطح كما أمر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ثمّ بدأ المدعوّون بالوصول إلى دار الشيخ واحدًا تلو آخر بكلّ شوقٍ و حماس. لم يكونوا حتّى تلك اللحظة مصدّقين أيّ دعوةٍ في انتظارهم. و كان الشيخ عليّ يدعو الضيوف إلى الجلوس في باحة الدار. و لمّا اجتمع شملهم، استقبلوا القبلة على وضوء و طهارة، و انهمكوا بالذكر و الدعاء و الصلوات حتّى يطلّ عليهم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بطلعته المباركة. فكانوا يسعون إلى الحصول على هذا الشرف و هم على أتمّ الاستعداد الروحيّ و النفسيّ. و قد جلس الشيخ عليّ و القصّاب أيضًا بينهم، و الكلّ منشغل بالدعاء و الابتهال و التضرّع. استمرّ هذا المجلس المعنويّ المؤنس إلى شطر من الليل، بين باكٍ من شدّة الشوق، و مستغرقٍ في تصوّر لحظة الوصال، و مرتبكٍ من هيبة اللقاء. كانت سماء تلك الليلة تغطّيها النجوم و لم يلتفت إليها أحد، و فجأة رفع أحد الضيوف رأسه إلى الأعلى، و قال بلهفةٍ: انظروا إلى هناك! رفع الجميع رؤوسهم نحو السماء؛ فشاهدوا نورًا ساطعًا من أعنان السماء، قد أضاء الأرجاء و عمّ الأنحاء، حتّى فاق الشمس في ضيائها. ثم رأوا النور و هو يتّجه إلى بيت الشيخ عليّ و يستقرّ على سطحه.

أدرك الجميع أنّ اللحظة الموعودة قد أزفت، و أنّ اللقاء قريب جدًّا. أخذوا يوقنون بأنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد اجتباهم، و أنّهم على وشك التشرّف بلقاءٍ سوف يُخلّد في ذاكراتهم و يعوّضهم عن سني الانتظار. تصرّمت بعض الدقائق، و كان جميع المدعوّين خلالها في وجلٍ و قلقٍ من هيبة الموقف. و فجأة سُمِع صوت ينادي على القصّاب. أدرك الجميع أنّ

إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو الّذي دعاه. هرع القصّاب و صعد السطح، في حين كان الضيوف يشيّعونه بأبصارهم و يغبطونه على منزلته عند الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و نفِذ صبرهم شوقًا إلى اللحظة الّتي ينادي فيها الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف على كلّ واحدٍ منهم باسمه. بيد أنّهم إذ كانوا يرهفون السمع بانتظار أسعد خبر في الدنيا، رأوا بأعينهم أكثر المشاهد إثارةً للفزع. فقد تدفّق الدم القاني من ميزاب البيت و جرى إلى صحن الدار و سرعان ما انتشر و اتّسعت رقعته؛ فجمدت الابتسامات الّتي كانت مرتسمة على شفاههم، و تحوّل الشوق إلى رؤية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى خوفٍ من لقاء ملَك الموت! فابتعد الجميع عن الميزاب، و أخذوا يجمعون أذيال ثيابهم و ينظرون إلى الدماء و قد بلغت القلوب الحناجر من شدّة الرعب. كان ينظر بعضهم إلى بعضٍ و يتساءلون عن حقيقة ما يرونه! و لم يخطر في بالهم غير أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد ذبح القصّاب، و أنّ هذه دماؤه الّتي تسيل أمام أعينهم. نسوا ما كانوا عليه من الذكر و الدعاء، و ظلّوا يحدّقون في الدماء، و قد جمدت أيديهم، و اصفرّت وجوههم، و ارتجفت أقدامهم. كانوا قد سمعوا أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف منتقمٌ بل شديد الانتقام و لا يتسامح مع أحد، و ها هم يرون الشاهد بأمّهات أعينهم. لم يكونوا يقطعون بما يحدسون به، لكن لم يكن أيّ منهم ليجرؤ على الصعود إلى السطح ليرى حقيقة ما جرى. و بينما هم على تلك الحال إذ فاجأهم صوت نداءٍ ثانٍ. لكنّ ما قبل رؤية الدماء ليس كما بعدها! إذ خلافًا للمرّة الأولى، لم يعد هناك من يتوق منهم إلى سماع اسمه. و عندما سمعوا أنّ النداء موجّهٌ إلى الشيخ عليّ الحِلّاويّ ليصعد السطح، لم يغبطه أحد، بل تنفّس الجميع الصعداء و شكروا الله على أن لم يُنادَ عليهم.

و لمّا كان الشيخ عليّ ينتظر لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بكلّ وجوده، فقد لبّى النداء دون إبطاء و سارع إلى صعود درجات السلّم بكلّ لهفة، في حين كان الآخرون ينظرون إليه مستغربين من عدم تريُّثه و تفكيره، و صاروا يتهامسون فيما بينهم معبّرين عن شفقتهم عليه. و كان الضيوف قد ابتعدوا عن الميزاب و انتشروا على أطراف باحة الدار، و شخصوا بأبصارهم نحو الميزاب و قد ملأ الرعب قلوبهم، حتّى رأوا فجأةً تدفّق الدماء من خلاله. فأيقن الجميع هذه المرّة بصحّة حدسهم، و أنّ كلّ من يذهب إلى أعلى السطح فإنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سيضرب عنقه لا محالة. فقد كانوا يقولون في أنفسهم إذا كان هذا مصير الشيخ عليّ مع ما عليه من الورع، و كذا مصير القصاب مع ما يُعرف عنه من الصدق و الأمانة، و هما أفضلنا جميعًا في عموم مدينة الحلّة، فما هو المصير الّذي سيكون في انتظارنا؟! كان يجب على كلّ واحدٍ منهم أن يختار بين الحفاظ على حشاشة نفسه و بين أمنية اللقاء. لكن يبدو أنّ أرواحهم

كانت أعزّ عليهم من أن يضحّوا بها من أجل لقاء قصير لرؤية إمام زمانهم عجّل الله فرجه الشريف. فاختار بعضهم في بداءة الأمر أن يبقى و يغتنم فرصته، في حين لاذ واحد أو اثنان منهم بالفرار. لكن لمّا لم يغب عن أعين الباقين فرار الّذين هربوا من أصحابهم، أخذوا يحذون حذوهم و اندفعوا نحو الباب دون خجل، و لاذوا بالفرار قبل أن يتمكّن الإمام عجّل الله فرجه الشريف حتّى من دعوتهم.

و بعد بضع دقائق نزل الشيخ عليّ من أعلى السطح سالمًا و مبتهجًا برؤية الإمام عجّل الله فرجه الشريف. وكان يريد أن يدعوا الجميع للانتقال إلى السطح من أجل اللقاء بالإمام عجّل الله فرجه الشريف. و لكنّه ـ خلافًا لتصوّره ـ لم يجد أيًّا منهم في باحة الدار. فتح باب البيت و نظر إلى جانبي الطريق، و لكن لم يكن هناك أثر لأحدهم. فأخذ يهزّ رأسه دلالة على التأسّف و الحسرة، ثمّ عاد أدراجه إلى أعلى السطح.

كان الإمام قد أمر الشيخ عليّ في لقائه الأوّل أن يربط عنزتين على السطح قبل مجيء الضيوف. و عندما استدعى القصّاب إلى السطح قبل الجميع، أمره أن يذبح إحدى العنزتين قُرب الميزاب بحيث يسيل دم العنزة منه إلى الأسفل و يجري في صحن الدار. و عندما صعد الشيخ عليّ إلى السطح، أمر الإمام عجّل الله فرجه الشريف القصّاب مُجدّدًا ليذبح العنزة الثانية بالطريقة نفسها. و بعد ذلك بدقائق أمر الشيخ عليّ قائلًا: «اذهب الآن إلى صحن الدار و قل لهذه الجماعة أن يُقبِلوا إلى السطح ليلتقوا بي». و عندما نزل الشيخ عليّ و لم يجد أحدًا منهم، عاد إلى السطح مجلّلًا بالخجل و أخبر الإمام عجّل الله فرجه الشريف بما رأى. و هنا قال له الإمام عجّل الله فرجه الشريف: «يا شيخ، لا تعُد بعد هذا إلى كلّ ذاك العتاب و الخطاب لي. هذه مدينة الحلّة الّتي كنت تقول إنّ فيها أكثر من ألف من المخلصين لنا، فكيف لم يبقَ من كلّ هؤلاء المنتخَبين و المنتجَبين غيرك و غير القصّاب؟! و قِس عليها سائر الأماكن و البلاد!». و بعد إتمام هذه العبارة، غاب الإمام عجّل الله فرجه الشريف عن أنظار الشيخ عليّ و القصّاب.

لقد قرأ الإمام عجّل الله فرجه الشريف على الشيخ عليّ خطابه بوضوح و من دون مواربة، و جعله يدرك مكمن الداء. فشعر الشيخ عليّ بالحياء و الندم على ما وجّهه من العتاب إلى الإمام عجّل الله فرجه الشريف طوال هذه المدّة. و عندها امتلأ قلبه قيحًا إذ أدرك أنّ مصيبة إمام العصر عجّل الله فرجه الشريف قد تفوق مصيبة جدّه الإمام الحسين عليه السلام. فإنّ مدينة الحلّة الزاخرة بالشيعة الأشدّاء، و الحاضنة للمؤمنين الموالين و المنتظرين لليوم الموعود، لا يجد فيها الإمام عجّل الله فرجه الشريف من الأنصار بعدد أنصار الإمام الحسين عليه السلام على الأقلّ!

﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾

في الوقت الّذي يستولي نوم الغفلة على الكثيرين، و طول الغَيبة قد جعل قلوبهم كالحجارة أو أشدّ قسوة، و صقيع البعد قد جمّد أبدانهم و أفقدها الإحساس و الشعور، و حبّ الدنيا قد أسكرهم، فإنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يسقي المخلصين و المنتجَبين من مَعين حبّه، و يضرم لهيب الشوق في أفئدتهم، و يُعلّمهم طرق التحليق في فضاء الكمالات الروحيّة. فهُم كالطواويس الّتي تلوّنت من انعكاس نوره بأبهى الألوان و أزهاها، غير أنّ من بينها طاوس آل طاوس يداعب الأجفان أكثر من غيره، و هو رجلٌ من أهل الحلّة، آثر التخلّي عن وزارة السلطان و منادمته، ليحظى بنعمة سلطان القلوب عجّل الله تعالى فرجه الشريف. يا له من طاوس قد صنعه مهديّ الأمّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف من فاضل طينته و نفخ فيه بإذن ربّه، فلن يكون بلا سبب اقتداء النبيّ عيسى عليه السلام بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في يوم ليس ببعيد، و لا عجب من ذلك!

بعد ليلة الجمعة المباركة تلك، علم سكّان مدينة الحلّة بالقضيّة الّتي حصلت في بيت الشيخ عليّ، فتغيّرت نظراتهم إلى بيته، إذ إنّه المكان الّذي نزل فيه إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف و وطأه بقدميه، فكان لا بدّ من تقديسه و التبرّك به. أمّا أولئك الأربعون رجلًا، فقد شبّهوا أنفسهم بالّذين خذلوا الإمام الحسين عليه السلام و تركوه وحيدًا يوم عاشوراء مختلقين مختلف الأعذار و الحجج الواهية، وكانت قلوبهم تعتصر ألمًا و أرواحهم تذوب خجلًا، و صاروا يتمنّون لو أنّ الأرض انشقّت و ابتلعتهم قبل أن يفرّوا من صحن الدار. لكنّ الأمنيات لم تعد تجدي نفعًا، و لا بدّ لهم من الرجوع إلى أنفسهم و التدقيق في محاسبتها، لعلّ الدمع يغسل أدران قلوبٍ لم تُتقن فنّ الإخلاص لمولاها، فصاروا يتردّدون إلى بيت الشيخ عليّ يبكون مستغفرين و ينتحبون نادمين، يقفون عند الميزاب تارةً و يصعدون سطح الدار تارةً أخرى و هم يردّدون: هل لنا من توبةٍ يا مولانا! و بعد ذلك بمدّة أعان الناسُ الشيخَ عليّ على بناء مقام هناك ليُعرف لاحقًا بمقام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و صار الناس يقصدونه للزيارة من مختلف المُدن و البلدان.

ثمّ بعد مدّةٍ بُنيَت مدرسة إلى جوار مقام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ ليدرس الطلّاب فيها و يستمدّون شحنة من طاقة الفضاء المهدويّ المنتشرة هناك. و صارت مدينة الحلّة تنافس بغداد في مكانتها. فإن كانت بغداد في أحد الأزمان موطِنًا للسفراء الأربعة؛ فالحلّة اليوم تحتضن الوكلاء العامّين الّذين هم أنوار شمس إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ابتداءً من ابن إدريس الحلّي و محمّد الآوي وصولًا إلى السيّد ابن طاوس و المحقّق الحلّي.

و كان السيّد ابن طاوس رحمه الله من العلماء الربانيّين و أساطينهم، و كان منذ طفولته في مسقط رأسه الحلّة، يجاهد و يكدّ ليبلغ مراتب أكمل في الزهد و التقوى و الفقاهة، و قد عمَر جميع لحظات حياته بحضور إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فكان ينادي محبوبه عجّل الله تعالى فرجه الشريف بجميع وجوده، و يزيل في كلّ لحظةٍ صدأ الغفلة عن قلبه، و يجعل طائر خياله يحطّ بالقرب من مولاه، توّاقًا إلى لقاء معشوقه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و كان الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد جعل عيشه نابضًا بالحياة، و جعل بصره مفعمًا بالشهود، و قلبه زاخرًا بالهيام. لقد كان السيّد ابن طاوس رحمه الله آيةً إلهيّةً و حُجّةً من قِبل حجّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و قد أثبت أنّ ضباب الغَيبة و حجابها لا يحولان دون وصال أيّ عاشقٍ مخلصٍ إلى حبيبه، و أنّ السائر في طريق العشق يقطع المسافات الطويلة بطرفة عين، و أنّ كلّ من يخطو باتّجاه منزل الحبيب عجّل الله تعالى فرجه الشريف، سيجده قد خرج لاستقباله حبًّا و شوقًا. و باختصار: إنّ كلّ من يشدّ الرحال إلى مصر إمامه ـ في هذا العالم الّذي يعاني الجدب الشامل ـ سوف ينهل من نمير يوسف زمانه عليه السلام.

و قد درس السيّد ابن طاوس فى بادئ الأمر في الحلّة و تميّز بذهنه الوقّاد و ذكائه الحادّ، ثمّ تابع دراسته في الكاظميّة، و توسّل هناك بالإمام موسى الكاظم عليه السلام فتهيّأت أمور زواجه سنة ٦١٧ للهجرة، و بعد مدّة انتقل إلى بغداد سنة ٦٢٥ للهجرة بإصرارٍ من الأهالي و العلماء، و كان سفرًا زاخرًا بالكرامات لكنّه لا يخلو من الابتلاءات أيضًا...

فرات العاشقين

إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أحنّ على شيعته من الأبوَين على أولادهما، فهو يمرض لأمراضهم و يتألّم لآلامهم، و مهما ألقت الغيبة الكبرى من سواتر، لا يمكنها أن تستر عطفه العظيم أو تحجب رأفته الّتي لا توصف، و مهما أخذت الغفلة بالناس فإنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يغفل عن مُحبّيه

و رعيّته و لا ينسى آلام شيعته و ما يكابدون من مصائب. و هو يداوي أمراضهم و يعالجها بيده الشافية و نظرات عينيه الحانيتين، ذلك إن عَرَضوا أنفسهم عليه.

إنّه يقصد مدينة سامرّاء على هيئة رجلٍ في أواسط العمر، مرتديًا فرجيّة ملوّنة قد غطّى بها سيفًا تقلّده، و هو يمتطي جواده، و يرافقه ثلاثة فرسان من أصحابه المنتجبين. و سوف يرى الجميع بأعينهم كيف يمكن لليد الشافية لمسيح العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن تعالج الآلام العضال. يا لها من ضجّة عارمة ستشهدها بغداد...

كان إسماعيل بن الحسن الهرقليّ من أولئك الّذين يتوجّهون إلى إمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف في كلّ داءٍ و بلاءٍ أو سقمٍ و عناء، و هو رجلٌ قرويٌّ قد أصابه مرضٌ عجيب؛ إذ ظهرت على فخذه الأيسر توثةٌ غريبةٌ لونها بين الأحمر القانئ و الأسود، و أخذت تكبر شيئًا فشيئًا حتّى أضحت بحجم قبضة اليد. و كانت في كلّ ربيعٍ تتشقّق و يخرج منها دمٌ و قيح، و كان من شدّة الألم الّذي تسبّبه ينقطع عن كثيرٍ من أشغاله. أراد إسماعيل أن يعرض نفسه على الأطبّاء الحاذقين، و لكنّ ضيق ذات اليد أقعده عن ذلك. و ذات يومٍ خرج من قريته و حضر إلى الحلّة، و دخل على السيّد رضيّ الدين بن طاوس في مجلسه. و كان يعلم أنّ يد هذا العالِم اليافع و لسانه ممتلئان من الخير و البركات. فشكا إليه ما يجده، لعلّه يقدر على مساعدته. فأحضر له السيّد ابن طاوس جميع أطبّاء الحلّة و أراهم المَوضع؛ فقالوا: هذه التوثة فوق العِرق الأكحل و في علاجها خطر، و متى قُطعت خيف أن ينقطع العِرق فيموت. كان السيّد ابن طاوس مؤمنًا أنّ قضاء حاجة مؤمنٍ أفضل من عشر حجج، لذا كان مستعدًّا الآن يفعل كلّ شيءٍ من أجل شفاء إسماعيل الهرقليّ، فقال له: أنا متوجّهٌ إلى بغداد، و ربما كان أطبّاؤها أعرف و أحذق من هؤلاء و بمقدورهم معالجة الداء الّذي تعاني منه، فاصحَبني! فقبِل إسماعيل منه ذلك العرض و سافر معه و لمّا أحضر الأطبّاء في بغداد، قالوا كما قال أولئك.

فضاق صدر إسماعيل عندما سمع مقالة الأطبّاء، و انقطع أمله في الشفاء، حتّى شعر كأنّ السماء قد أطبقت عليه، و أنّه قد شارف على الموت. و بالإضافة إلى شدّة ألم جسده، كان يعيش حالةً نفسيّةً صعبةً جرّاء تلوّث ثيابه بالدماء، إذ إنّ نجاستها جعلته في قلقٍ مستمرّ بالنسبة إلى طهارة ثيابه و صحّة صلاته، فقال له السيّد مُهوّنًا عليه: إنّ الشرع قد فسح لك في الصلاة في هذه الثياب، فلا تجعل من نفسك عرضةً لوساوس الشيطان و عليك الاجتهاد في الاحتراس، و لا تغرّر بنفسك فإنّ الله تعالى قد نهى عن ذلك!

فأعاد كلام السيّد جذوة الأمل إلى فؤاد إسماعيل، حتّى حنّت روحه إلى ذكر الحبيب عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ فقال: بما أنّ الأمر قُدّر لأكون في بغداد فإنّني عزمت على التوجّه إلى زيارة المشهد الشريف بسامرّاء، على مُشرّفيه السلام، ثمّ أنحدر إلى أهلي في الحلّة؛ فأثنى السيّد على قراره و استحسنه. كان ذلك في الأيّام الأولى من الأسبوع، و كانت تفصله عن سامرّاء مسيرة يومين؛ فترك ثيابه و نفقته عند السيّد ابن طاوس و توجّه متخفّفًا إلى سامرّاء، و كان يُرى في عينَيه بريقٌ من الإيمان العميق المُفعم بالأمل. و لمّا وصل إلى المشهد المطهّر، بدأ بزيارة الإمام عليّ الهادي و ابنه الإمام الحسن العسكريّ و سيّدات هذه العترة الوفيّات عليهم السلام، ثمّ توجّه إلى السرداب المقدّس، حيث توسّل من صميم قلبه بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لم يكن يعلم أنّ قلبه كان محلّ نظر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف منذ زمنٍ بعيد، و ألمه يوجع قلب مولاه أيضًا. قضى وقته في الاستغاثة بالله تعالى و التوسّل بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و استمرّ عاكفًا على هذه الحال حتّى منتصف الليل. و بقيَ في المشهد إلى يوم الخميس، مُهيّئًا نفسه للقيام بأعمال ليلة الجمعة المباركة، و كان على يقينٍ أنّ فيها تُعرض أعمال العباد على الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و كان كلّما دنا وقت هذه الليلة تغيّر حاله أكثر فأكثر. ذهب أوّلًا إلى نهر دجلة و اغتسل فيه، كأنّه أراد أن يتطهّر من كلّ خبثٍ أو دنس، ليصبح لائقًا بالتوجّه نحو مصدر الطُّهر و النقاء عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فأنهى غُسله و لبس ثوبًا نظيفًا طاهرًا و لم يكن قد جفّف جسمه من الماء جيّدًا، ثمّ ملأ إبريقًا كان معه و قصد المشهد الشريف.

لكنّه فجأةً رأى على الطريق أربعة فرسان خارجين من باب السور، و إذ كان حول المشهد أناس يرعون أغنامهم، فقد حسِبهم إسماعيل أنّهم منهم. و أخذوا يقتربون منه إلى أن أصبحوا بمحاذاته، و كان اثنان من هؤلاء الفرسان الأربعة شابّين قد تقلّد كلّ واحدٍ منهما سيفه، و الثالث شيخًا كبيرًا مُلثّم الوجه و يحمل في يده رمحًا. أمّا الرابع، فكان في متوسّط العمر، و على هيئة علماء الدين، قد ارتدى فرجيّة ملوّنة و أخفى تحتها سيفًا يتقلّده و هو متحنّكٌ بعذبته. و فجأة تنحّى ثلاثة من الفرسان جانبًا، فوقف الشيخ على يمين الطريق و قد أسند منتهى رمحه إلى الأرض، في حين وقف الشابّان إلى يسار الطريق، و بقي الرجل ذو الفرجيّة الملوّنة واقفًا أمام إسماعيل في وسط الطريق. ثمّ سلّموا عليه فردّ عليهم إسماعيل السلام؛ فقال له صاحب الفرجيّة: أنت غدًا تروح إلى أهلك؟ فقال له: نعم. فقال له: تقدّمْ حتّى أُبصر ما يوجعك! فكَرِه إسماعيل ملامستهم، و لا سيّما أنّه قد خرج لتوّه من

الماء و قميصه مبلول، و قال في نفسه: إنّ أهل البادية لا يكادون يحترزون من النجاسة. ثمّ إنّه على الرغم من هذه الأفكار تقدّم لا إراديًّا نحو الرجل، فأمسكه من يده و اجتذبه إليه و جعل يلمس جانبه من كتفه إلى أن أصابت يده التوثة؛ فعصرها بيده عصرةً شعر معها إسماعيل بالوجَع.

ثمّ استوى صاحب الفرجيّة على سرج فرسه، في حين قال الشيخ صاحب الرمح لإسماعيل: «أفلحتَ يا إسماعيل!». فتعجّب من معرفته باسمه! فأجابه مراعيًا للأدب: أفلحنا و أفلحتم إن شاء الله! و لم يكن بعدُ قد أدركَ شرف لقائه بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، حتّى أخبره بذلك الشيخ قائلًا: «هذا هو إمامُ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف!». و هنا شعر إسماعيل بهالةٍ من السعادة تغمر كيانه، فتقدّم إليه و تعلّق بإحدى قدميه الشريفتين و قبّل فخذه.

و لم تَدُم سعادته طويلًا، فما لبث أن ساق الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف راحلته، و لكنّ إسماعيل لم تطاوعه نفسه بالانفصال عن مولاه، و كان لا يزال متعلّقًا بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ فكان الجواد يسير خببًا و إسماعيل يسير إلى جواره. فقال له الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «ارجع!» و لكنّ إسماعيل كان يصرّ على مرافقته، و يقول: لا أفارقك أبدًا! فقال له الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «المصلحة في رجوعك!» و لكنّ إسماعيل بقي مصرًّا على موقفه دون أن يتزحزح؛ إذ أنّى له أن يتخلّى عن منبع الحبّ؟! و كيف يترك مَعين الرحمة العذب و يعود أدراجه إلى الصحراء القاحلة؟! و إذا بأحد رفاق الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يجبهه قائلًا: يا إسماعيل، أما تستحيي أن يقول لك الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مرّتين ارجع و تخالفه؟! فانتبَه إسماعيل إلى أنّه لم يراعِ أدب الحضور بين يدي الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أنّه لم يمتثل لأمره. إنّ الحبّ الّذي يمنع العاشق من إطاعة المعشوق ليس حبًّا كاملًا و خالصًا، و لا يزال أمامه طريقٌ طويلٌ ليكون مثل هارون المكّي و يلقي نفسه في ضرام التنور دون تردّد. فعاد إسماعيل إلى رشده و امتثل إرادة مولاه و آثرها على إرادته فتوقّف مكانه، و تقدّم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف براحلته خطوات ثمّ التفت إلى إسماعيل و قال: «إذا وصلت بغداد فلا بدّ أن يطلبك أبو جعفر المستنصر؛ فإذا حضرت عنده و أعطاك شيئًا فلا تأخذه. و قل لولدنا رضيّ الدين بن طاوس ليكتب لك إلى عليّ بن عوض، فإنّي أوصيه يعطيك الّذي تريد!». ثمّ سار الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أصحابه معه، فلم يزل إسماعيل قائمًا يبصرهم حتّى ابتعدوا، فتأسّف أسفًا شديدًا على مفارقته. و عندما غاب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف عن ناظرَيه تمامًا، جثا إسماعيل على ركبتَيه يبكي على انقضاء عذوبة لحظات اللقاء على شاطئ بحر الجود و الكرم.

بعد أن تحسّنت حال إسماعيل قليلًا و انتظمت أنفاسه توجّه إلى الحرم، و التقى هناك بالخدم و القوّام و السدنة و عددٍ من الزائرين الّذين تعرّف إليهم في الأيّام القليلة الماضية. فاجتمعوا حوله و قالوا له: نرى وجهك متغيّرًا؛ ظنًّا منهم أنّ مرضه قد اشتدّ عليه، و سألوه: هل تشعر بالألم أو عاد إليك المرض؟ أو خاصمك أحد؟! فكانوا كلّما سألوه لم يسمعوا منه سوى الإنكار، و في نهاية المطاف أخبرهم إسماعيل بحقيقة لقائه بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

و اتّفق أن رأى بعضُ خدّام الحرم أولئك الفرسان الأربعة، فسألوا مستفهمين: ألم يكونوا من الشرفاء أرباب الغنم؟ فأجابهم إسماعيل: لا، هم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ثلاثة من أصحابه. و لم يكن خدّام الحرم متيقّنين من حقيقة هذه القضيّة و لذا أرادوا أن يختبروا صدقه، فسألوه: هل أريته المرض الّذي فيك؟ و في تلك الأثناء لم يكن إسماعيل قد أدرك بعد أنّه قد شُفي على يد الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ فقال: لقد عصر بيده التوثة و أوجعني، ثمّ كشف تلقائيًّا عن رجله، فلم يرَ شيئًا من تلك التوثة؛ فظنّ لشدّة حيرته أنّ رجله الأخرى هي المصابة؛ فنظر فيها فلم يرَ شيئًا هناك أيضًا! و لم يكن بعدُ قد استوعب ما جرى حتّى انطبق الناس عليه و مزّقوا قميصه ليأخذوا قطعًا منه للبركة؛ ثمّ تدخّل القوّام و السدَنة و انتشلوه من بين أيديهم و أدخلوه خزانةً و منعوا الناس عنه. و صادف أن كان ناظر السلطان في منطقة بين النهرين بالمشهد المقدّس؛ فسمع الضجّة و سأل السدنة و القوّام عن الخبر عملًا بواجبه؛ فعرّفوه بواقع القضية، و جاؤوا به إلى الخزانة حيث إسماعيل، و أخذ الناظر يسأله هناك عن اسمه و هويّته و متى كان خروجه من بغداد و وصوله إلى سامرّاء، بالإضافة إلى سؤاله عن التفاصيل الأخرى. وكان إسماعيل يجيب عن أسئلته باقتضابٍ و يريد أن ينتهي، إذ كان لا يقوى على الكلام و لا يرغب في التحدّث مع أحدٍ من شدّة حزنه على فراق إمامه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و بعد الحصول على أجوبته، خرج الناظر و أرسل تقريره بما سمع و رأى إلى السلطان في بغداد.

و على أيّ حال، مكث إسماعيل في الخزانة تلك الليلة. و بعد أن صلّى فريضة الصبح، قصد العودة إلى بغداد، وكان بعض من سمع الخبر في الليلة الماضية قد تجمهروا في الصباح الباكر داخل الحرم؛ فلمّا خرج إسماعيل من الخزانة ليبدأ رحلة العودة إلى بغداد خرج الناس معه إلى أن بعُد عن المشهد، فلم يجد الناس بدًّا من تركه يواصل الطريق بمفرده. و مع غروب الشمس وصل إلى مدينة أواني، فبات هناك ليلته ليستريح، ثمّ بكّر

منها يريد بغداد؛ و لكنّه رأى الناس هناك مزدحمين أيضًا على القنطرة العتيقة يسألون كلّ من يرِد عليهم عن اسمه و نسبه و أين كان؛ و إذ كان إسماعيل يريد الخروج من المدينة، فلم يكن أمامه من سبيلٍ سوى الإجابة عن أسئلتهم. فكانت أجوبته هي الأجوبة الّتي يبحثون عنها! فاجتمعوا عليه مرّةً أخرى و مزّقوا ثيابه و لم يبقَ له في روحه حكم، فكان كالأسير في أيديهم.

وكان ناظر بين النهرين قد كتب إلى بغداد و عرّفهم الحال. وكان السلطان المستنصر العبّاسيّ الّذي كان يُظهِر الميل إلى التشيُّع، يرغب في الوقوف على صحّة هذه الواقعة؛ فأمر لذلك بإحضار إسماعيل إلى بغداد؛ وكان الخبر قد انتشر هناك؛ فازدحم الناس عند بوّابة المدينة يترقّبون وصول الشخص الّذي شُفي ببركة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، حتّى أَوْشك إسماعيل عندما وصل أن يهلك بفعل تجمهُر الناس حوله و تدافعهم من كلّ جانب وكاد أن يكلّفه الأمر حياته. وكان وزير المستنصر رجلًا من أهل قمّ، و قد سبق له أن طلب إلى السيّد ابن طاوس رحمه الله أن يعرّفه بصحّة هذا الخبر. فخرج السيّد و معه جماعة، فوافق وصولهم إلى باب النوبي بالتزامن مع وصول إسماعيل، فردّ أصحاب السيّد الناس عن إسماعيل و انفرجوا عنه احترامًا للسيّد، و عندما رآه السيّد ابن طاوس قال له: أعنك يتحدّث الناس؟ قال: نعم. فنزل السيّد عن دابّته و كشف عن فخذه فلم يرَ شيئًا! فأخذ يبكي ساعةً، ثمّ أخذه بيده و أدخله على الوزير و هو يبكي، و يقول: يا مولانا هذا أخي و أقرب الناس إلى قلبي! فكان ذلك سببًا في وثوق الوزير بإسماعيل، فسأله الوزير عن القصّة. ثمّ أحضر الأطبّاء الّذين كانوا قد أشرفوا عليه، و أمرهم بمداواته دون أن يخبرهم بشفائه؛ فقالوا: ما دواؤها إلّا القطع بالحديد، و متى قطعها مات لوجودها في مكانٍ خطر. فقال لهم الوزير: فبتقدير أن تُقطع و لا يموت، في كم يومًا تبرأ؟ فقالوا: في شهرين، و لكن مع برئها تبقى في مكانها حفيرةٌ بيضاء لا ينبت فيها شعر. فسألهم الوزير: متى رأيتموه آخر مرّة؟ قالوا: منذ عشرة أيّام. فكشف الوزير عن الفخذ الّتي كان فيها الألم، فإذا الساق اليمنى هي مثل اليسرى، ليس فيها أيّ أثرٍ أصلًا؛ فأدرك الأطبّاء و الحكماء حقيقة الأمر؛ فصاح أحدهم من فوره: هذا عمل المسيح عليه السلام.
فقال الوزير مستهزئًا: حيث لم يكن عملكم، فنحن نعرف من عملها! ثمّ إنّه أُحضر عند الخليفة المستنصر، فسأله عن القصّة؛ فعرّفه بها كما جرت؛ فتقدّم له الخليفة بألف دينار، و قال: خذ هذه فأنفقها كما تحبّ. فقال إسماعيل: ما أجسر آخذ من هذا المال دينارًا

واحدًا! فتعجّب الخليفة من كلامه و قال: ممّن تخاف؟ فقال: مِن الّذي فعل معي هذا، فقد قال لي لا تأخذ من أبي جعفر المستنصر العبّاسيّ شيئًا! فوجئ الخليفة، فمن ناحيةٍ استاء من إسماعيل و تكدّر إذ لم يأخذ الأموال، و من ناحيةٍ أخرى حزن إذ قال الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في حقّه ذلك الكلام، و سالت العبرات من عينَيه. و بهذا الكلام كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد جنّب إسماعيل أخذ أموالٍ فيها شبهة الحرام، و أرسل في الوقت نفسه رسالة تحذيرٍ و إنذارٍ إلى الخليفة العبّاسيّ و إعلامه أنّ الموالاة ليست مجرّد تسمية و لَقَب، بل هي عمل! و في نهاية المطاف خرج إسماعيل من عنده و لم يأخذ شيئًا.

دعاء العبرات

إنّ الغيبة و إن منعت الشيعة من رؤية إمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لكن لا شيء يحجبه هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف عن رؤية شيعته و سماع أصواتهم، و إن كانوا في قعر السجون و ظُلَم المطامير أو في غيابات الجِباب، إلّا أنّ أذن الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الإلهيّة تصغي أكثر إلى الأصوات الصادرة من أعماق القلوب المنكسرة، و هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف فورًا يجيب مناديه و يرشده إلى طريق الخلاص...

لم تكن الثروات المعنويّة الّتي وهبها إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف للسيّد ابن طاوس بالقليلة أو العاديّة، لكنّه لم يكن وحده الّذي نال منها، فقد اطّلع في مكاشفاته على المقام السامي للسيّد الآوي حين كان يرافقه في أسفار الزيارة، و أدرك أنّ إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف يشمله برعايته الخاصّة، حتّى أصبحا صديقَين مقرّبين.

بعد انهيار السلطة السلجوقيّة و أدواتها من الخوارزمشاهيّة، حَكَم تيموجين (و يُقال له جنكيزخان) المغوليّ، فتعيّن على الناس أن يعيشوا منعطفًا جديدًا من مراحل الخوف و الفزع في التاريخ. و بعد أن مضت مدّة من بسط المغول سلطتهم من آسيا الوسطى إلى جنوب آسيا و شرقها، تربّع أوغطاي خان، النجل الثالث لجنكيزخان، على عرش السلطة في عام ٦٢٦ للهجرة، و تولّى القائد المغوليّ جُرماغون مهمّة الاستيلاء على إيران و محيطها بالكامل. و كان رجاله يلقون القبض على أصحاب المكانة و ذوي الوجاهة لأدنى سبب و دون رحمة. و كان من بينهم السّيد محمّد حسين الآوي، و هو أحد علماء الشيعة و من أحفاد الإمام زين العابدين عليه السلام، من أهالي قرية آوة بالقرب من مدينة ساوة، و كان قد أقام في

العراق و لا سيّما في الحلّة و النجف سنوات طويلة منشغلًا بالتدريس و القضاء. و قد ألقى قادة المغول القبض عليه دون سبب و أودعوه في السجن، و أبقوه فيه مدّة طويلة يرزح تحت وطأة الضغط الكبير. و حتّى طعامه كان لا يتجاوز حدّ الكفاف، إذ كانوا يقدّمون له ما يسدّ الرمق فقط. و قد حزّ ذلك في نفس السيّد ابن طاوس إلى حدّ كبير، لكن لم تكن في يده حيلةٌ تجاه هذا الأمر.

و لم يكن حال السيّد محمّد الآويّ ليخفى على الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فهو يعلم ما يجري على شيعته، و يُسارع إلى نجدتهم في مواضع الشدّة و البلاء، و ها هو السيّد محمّد في محنةٍ و شدّةٍ تفوقان حدود الطاقة. و قد أحزنت آهاته و زفراته الليليّة الّتي كان يُطلقها في قعر السجن قلب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، حتّى فاق حزنه عجّل الله تعالى فرجه الشريف حزن السيّد محمّد نفسه.

و ذات ليلةٍ من تلك الليالي العصيبة أخذت السيّد محمّد سِنَةٌ من النوم، فرأى في نومه إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد جاء لتخليصه ممّا هو عليه من البلاء و السجن، فما إن رأى السيّد إمامه عجّل الله تعالى فرجه الشريف حتّى أطلق لنفسه العنان بالبكاء و النشيج، و بدأ يفرغ ما في قلبه فقال: يا مولاي اشفع في خلاصي من هؤلاء الظلمة. فقال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «ادع بدعاء العبرات!». فقال السيّد: و ما دعاء العبرات؟ فقال له الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «إنّه في [كتاب] مصباحك». بَيْد أنّ السيّد كان قد سبق له أن قرأ هذا الكتاب مرارًا و تكرارًا، و كان على يقينٍ من عدم وجود مثل هذا الدعاء في ذلك الكتاب، و لذلك قال: يا مولاي ما في كتابي مثل هذا الدعاء. فقال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «انظر تجده!». فانتبه السيّد من منامه على تلك الحالة، فقام و توضّأ و صلّى صلاة الفجر، ثمّ فتح كتاب مصباحه الّذي كان قد أحضره معه إلى السجن. و ما إن تصفّح الكتاب بدقّة حتّى فوجئ بوجود ورقة مضافة بين صفحاته، و قد احتوت هذه الورقة على دعاء باسم دعاء العبرات. أعاد تصفّح الكتاب و التدقيق بهذه الصفحة الإضافيّة؛ فوجدها قد أُقحمت بإحكام بين أوراق الكتاب كأنّها من الأساس جزءٌ منه. تعجّب السيّد من هذه الكرامة كثيرًا، و أيقن أنّ الّذي يستطيع أن ينقص من صفحات الكتاب أو يزيد عليها، يستطيع أيضًا أن يفتح أبواب السجن أو يغلقها. فصار الكتاب أغلى ما يملك و لا يمكن بعد الآن أن يُعوّض بثمن، و قد أنارت هذه الصفحة الكتاب بأكمله أكثر من ذي قبل، حتّى صار مصباحًا بحقّ و اسمًا على مسمّى. فدعا السيّد الآوي بهذا الدعاء أربعين يومًا، يُناجي به صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يطلب النجاة من محنته.

و كان للقائد العسكريّ الّذي أَسر السيّد الآوي امرأتان؛ إحداهما عاقلةٌ مدبّرةٌ في أموره، و هو كثير الاعتماد عليها و الاستماع إلى كلامها. و لمّا قدِم القائد إليها في تلك الليلة، رآها مخطوفة اللون متهالكة على الأرض و قد استندت إليها بإحدى يديها و قبضت بالأخرى على رقبتها، و هي شاردة البصر و تلهث خوفًا. و بعد أن رأته نهضت من مكانها مسرعة، و قبل أن يسألها شيئًا هرعت إليه تسأله بصوتٍ متهدّج: هل أخذت أحدًا من أولاد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ؟ و إذ انتقل الفزع إلى القائد من تلقاء نفسه، ردّ بشيء من التحفّظ: كيف؟ لمَ تسألين عن ذلك؟ أجابت المرأة دون مقدّمات و كانت عيناها لا تزالان جاحظتين من شدّة التعجّب و الذهول: رأيت شخصًا و كأنّ نور الشمس يتلألأ في وجهه، فأخذ بحلقي بين إصبعَيه، ثمّ قال: «أرى بعلك أخذ ولدي، و يُضيّق عليه في المطعم و المشرب!». فقلت له: يا سيّدي مَن أنت؟ قال: «أنا عليّ بن أبي طالب، قولي له: إنْ لم يُخلِ عنه لأخربنّ بيته!».

قالت المرأة ذلك منتظرةً ردّة فعل زوجها الّذي استغرق وجلًا في تفكيرٍ عميق، و أخذ يجوب المكان ذهابًا و إيابًا و هو يعبث بلحيته واجمًا و مطرقًا. لم يكن يؤمن بالمنامات و الأحلام، و لكنّ هذه الرؤيا ليست كغيرها، فأحسّ القائد بأنّ خطرًا وشيكًا سوف يُداهمه، و حَمَل هذا التهديد على مَحمل الجدّ. و بعد تردُّدٍ في أرجاء المكان، عاد إلى زوجته ليقول لها: لا تقلقي، سوف أصلح الأمر بنفسي!

و على الفور بدأ يتابع القضيّة، فهو لم يكن يذكر أنّه قد ألقى القبض على سيّد علويّ، لكثرة الأشخاص الّذين قد زجّ بهم في سجنه. فاستدعى أفراد شرطته و سألهم عن المعتقلين الّذين كانوا قد ألقوا القبض عليهم، فأجابوه: الشيخ العلويّ الّذي أَمرت أنت بأخذه. و كانوا يقصدون بذلك السيّد الآوي. فقال: خَلّوا سبيله، و أعطوه فرسًا يركبها، و دلّوه على الطريق!

أجل، إنّ الجدران و قضبان السجون و الحراسة المشدّدة من قِبل الحرّاس الغلاظ و حُكّام الجَور، لا تحول دون قيام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بمدّ يد العون إلى شيعته، و هدايتهم إلى طريق النجاة. إنّه يعلم بأحوالهم في كلّ الظروف، و لا يمكن لأيّ عدوٍّ معاند أن يَحول بينه و بين شيعته. يكفي أن يكون هناك قلبٌ منكسرٌ و عينٌ باكيةٌ يستغيثان به كي تُرى منه عجّل الله تعالى فرجه الشريف العجائب و الغرائب في النصرة و الإغاثة. و يكفي أن يكون دعاؤك دعاءَ عبراتٍ و دموع حتّى يخلّصك السجّان من سجنه بيديه!

لا يزال يقصد باستمرار سامرّاء، موطن أبيه و أمّه و جدّه، كي يدعو لشيعته و أصحابه؛ ليغفر الله ذنوبهم و يدخلهم في جنّته و رضوانه.

عاد إسماعيل الهرقليّ إلى مدينة الحلّة بعد تلك الواقعة المجلجلة. لم يكن بإمكان أحدٍ التمييز بين رجله الّتي كانت مصابة بالمرض و بين الأخرى، و لم يعد يشعر بأيّ ألمٍ في جسمه، لكنّه مع ذلك كان شديد الحزن لفراق الإمام ، وكأنّ وجعًا آخر قد حلّ محلّ الوجع القديم، و أحاط بقلبه و روحه، فإنّ مشهد ابتعاد الإمام عنه لا يزال ماثلًا أمامه، و هو بالنسبة إليه ابتعادٌ لقطب الوجود و جميع المفاهيم و المعاني، و انفصال اللاشيء عن كلّ شيء، إنّه أشبه بانفصالٍ لقطرةٍ من البحر. يتحدّث جميع الشيعة عن ألم الفراق، و لكن أنّى لمن لم يذق حلاوة الوصال أن يعرف معنى ألم الفراق؟ وكيف لمن لم يدرك وصال المعشوق أن يعرف طعم «لن تراني»؟! لم يكن إسماعيل ليقرّ له قرار، حتّى إنّه ترك مدينة الحلّة و انتقل إلى بغداد و أقام فيها. كان الفصل شتاءً، وكان في كلّ أسبوعٍ تقريبًا يزور سامرّاء شوقًا إلى لقاء إمام زمانه مرّةً أخرى، ثمّ يعود إلى بغداد. وكان على استعدادٍ لتحمّل مشقّة المرض السابق و ألمه بل أضعافه، على أن يفوز مرّةً ثانيةً برؤية الإمام و الاستماع إلى صوته. فزار سامرّاء في تلك السنة أربعين مرّةً طمعًا أن يعود إليه الوقت الّذي مضى أو يُقضى له الحظّ بما قضى، و لكن بدا ذلك الشتاء وكأنّه لا يريد الانقضاء. وكان الأمر وكأنّ الدنيا لم تعد تُطاق بالنسبة إليه دون رؤية شمس الوجود الساطعة . و لرؤية الربيع ثانيةً كان لا بدّ من نوعٍ آخر من أنواع السفر، كان قد حان أجل إسماعيل، نعم، في عالمٍ آخر، لقد جاء الإمام المهديّ إلى استقباله و حضر عنده؛ ليحقّق له بذلك قانون «أنت مع مَن أحببت!».

و هكذا كان مرض إسماعيل ذريعةً لزرع بذرة العشق في قلبه، و هي بذرةٌ قد نمت و أحاطت بجميع كيانه. و قد رحل عن هذه الدنيا بألمٍ هو خيرٌ من ألف عافية. إنّه ألم العشق الّذي يهديه و يرافقه في العالم الآخر حتّى يصل إلى المعشوق.

وكان السيّد ابن طاووس يحبّ إسماعيل الهرقليّ كما لو كان ابنه، وكيف لا يكون كذلك من اكتسب أخلاقًا مهدويّة ببركة مجاورته للإمام المهديّ . و عندما وصل

خبر وفاته إلى السيّد ابن طاوس، أضاف إلى أحزانه أحزانًا و إلى آلامه آلامًا، بعد أن كانت الجرائم الوحشيّة للإمبراطوريّة المغوليّة كافيةً لتقضّ مضجعه و تنغّص عيشه. و لكن من بين ركام الأحزان، كان خبر تحرير صديقه الحميم السيّد الآوي من السجن قد أفرحه كثيرًا. لطالما تذكّر السيّدُ ابن طاوس رفيقَه الحلّي طوال السنوات الّتي أمضاها في بغداد، وكان يتوق كثيرًا إلى لقائه و يتحيّن الفرص لتحقيق هذه الرغبة، و لكن مشاغله الكثيرة في بغداد و انهماكه في إرشاد الناس و خدمتهم، كانت تضنّ عليه بهذا اللقاء. بيد أنّ أكثر ما كان يزعجه و يكدّر عليه عيشه، هو العروض الّتي كان يكرّرها عليه المستنصر العبّاسيّ و وزيره ذو البصيرة محمّد العلقميّ لقبول المناصب الحكوميّة. فالخلافة العبّاسيّة الّتي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة تحت الوطأة الثقيلة للمغول، لم تكن غافلة عن القوّة الكبيرة و المؤثّرة للشيعة و عن حِكمة السيّد ابن طاوس و درايته، و لذلك كانت تسعى جاهدة إلى الاستعانة بهذه القوّة و الطاقة الكامنة و العمل على توظيفهما. و قد استعانت بالكثير من الوسطاء و في مناسبات متعدّدة من أجل إقناعه بقبول تولّي منصب الإفتاء، أو نقابة الطالبيّين، أو السفارة و الوزارة، و لكنّه كان يرى استحالة الجمع بين إخلاص الطاعة لله و العمل الدقيق بالموازين الشرعيّة و بين الحصول على مرضاة الخليفة و أفراد حاشيته، و أنّ الدخول في هذا الأمر لن تكون عاقبته الأخرويّة حسنة، و لذلك كان يرفض هذه العروض باستمرار.

كان السيّد طوال مدّة إقامته في بغداد يتوجّه إلى سامرّاء من حين إلى آخر حبًّا بلقاء إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. وكانت هذه الأسفار كثيرة الثمار و بالغة البهجة. فهو ليس كإسماعيل الهرقليّ الّذي وُفّق مرةً واحدة لهذا الأمر من أجل التشافي من وجع ألمّ بجسمه، بل لقد نال السيّد مرارًا شرف الوصال بعد أن كدح بجدّ و عمل على صقل روحه و تصفيتها. وكانت إحدى تلك المرّات قد تحقّقت له في ليلةٍ من ليالي الأربعاء في الثالث عشر من شهر ذي القعدة سنة ٦٣٨ للهجرة. إذ بعد أن انفتل من مناجاته الليليّة وكان وقت السحر، فُتِحت مسامع أذنَيه و سمع صوت إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يدعو لشيعته بحرقة، و هو يسأل الله أن يرفع عنهم الفقر و الأمراض و الغربة و الهوان، و أن يشملهم برحمته و غفرانه، و أن يحييهم في عصر ظهوره بعزّة و شموخ. و بعد أن سمع السيّد هذا الدعاء اكتسب قلبه صبغة مهدويّة، و أصبح خير من يعلّم الشيعة كيفيّة الدعاء.

و في نهاية المطاف و بسبب كثرة الضغوط السياسيّة الّتي فُرضت على السيّد، و اجتنابه الجادّ عن تولّي المناصب الحكوميّة، عقد العزم في حدود عام ٦٤٠ للهجرة على الخروج من بغداد و العودة إلى وطنه. ليبتعد بذلك عن مركز ثقل السلطة العبّاسيّة، و يكون أقلّ عرضة لأنظار رجالها، عسى أن تقلّ عروض تولّي المناصب السياسيّة و المطالبات الثانويّة الأُخرى. و بعد وصوله إلى مدينة الحلّة، كان أوّل ما فعله السيّد ابن طاوس هو التوجّه إلى لقاء صديقه المهدويّ السيّد الآوي، لكي يتبادلا ذكرياتهما الماضية و يستمتعا بنعمة الأخوّة في الله.

الموائد الإلهيّة

يا لها من ضيافة و مأدُبة أقامها صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف! بدا الأمر و كأنّ الكثير من عشّاق الإمام قد اجتمعوا هذه الأيّام في الحلّة و النجف، لينعموا بهداياه المعنويّة النفيسة و القيّمة. و في بعض الأحيان، كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يتّخذ أحدهم وسيطًا في إيصال رسالة منه إلى شخصٍ آخر. و كأنّه لم يكن خارج هذا الحشد المعنويّ سوى أناس يرزحون في الغفلة و محض الغياب و الانفصال عن الواقع. كانت بعض الأخبار تتسلّل من حين إلى آخر، إلّا أنّ التحَف الأصليّة كانت تبقى محفوظة و مكنونة في الصدور. و لا شكّ في أنّ الآخرين لو سعوا لزيادة تقواهم و مودّتهم لإمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لكانوا قد التحقوا بهذا الحشد الإلهيّ.

لم يمضِ وقت طويل على عودة السيّد ابن طاوس إلى الحلّة حتّى ضاق صدره شوقًا إلى مجاورة حرم الأئمّة المعصومين عليهم السلام، فعقد العزم على الانتقال إلى النجف الأشرف. و قد تحقّق له ذلك في شهر جمادى الآخرة من سنة ٦٤١ للهجرة. و قد رافقه السيّد الآوي في هذه الرحلة طامعًا بالاقتباس من نور مقاماته المعنويّة و منازله الروحيّة. و في ليلة الخميس نالا شرف الدخول إلى العتبة المقدّسة لأمير المؤمنين عليه السلام. و منذ وصول السيّد عليّ بن طاوس إلى ذلك المقام، أحسّ من نفسه إقبالًا و استعدادًا عجيبين، و رأى أمارات قبول زيارته. و في تلك الليلة رأى السيّد محمّد الآوي منامًا يؤيّد هذا الأمر. و بعد أن استيقظ من نومه سارع إلى السيّد عليّ بن طاوس لكي يقُصّ عليه ما رأى و يُدخل السرور على قلبه؛ فقال له: لقد رأيت في المنام و كأنّ في يدك لقمة من الطعام، و قد قلت لي في عالم الرؤيا: إنّ هذه اللقمة من الفمّ المبارك لمولاي

الإمام المهديّ عليه السلام. ثمّ أعطيتني مقدارًا من تلك اللقمة. ففهم السيّد ابن طاوس أنّ هذه الرؤية مقدِّمة لحصول مأدبة عظيمة، وكان لذلك يُكثر من الشكر لله و الثناء عليه تعالى. و بالفعل تحقّق تأويله قريبًا، ففي اليوم التالي حصل السيّد في حرم مولاه على فيضٍ زاخر بالتحف المعنويّة بحيث أخذت أوصاله و قدماه ترتجف من ثقله، و أصابه اضطراب شديد حتّى أوشك على السقوط أرضًا. لقد نال من إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف من الهدايا ما لم يذقه سوى أشخاص نادرين أمثاله، و لا يمكن وصفها بلسان بشر. و لذا كان ذلك اليوم المبارك من صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف أسعد أيّام حياته. فيا حسرةً على أولئك الّذين يتّخذون من غيبة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ذريعة، ليقضوا أيّام حياتهم باللهو و اللعب، كم سيندمون على ما فاتهم من الخيرات و البركات، وكم سيقاسون من الأسى و البلوى! إنّهم لا يعلمون أيّ هدايا ثمينة يخصّصها الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف لمحبّيه و يوزّعها على مريديه، و أيّ مأدبة عامرة يبسطها لطالبيه، في حين أنّهم باختيارهم يحرمون أنفسهم منها! إن كانت لقمة واحدة من يد الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في عالم الرؤيا تنطوي على هذه الآثار و البركات، فأيّ آثار لمأدبته على الإنسان في عالم اليقظة؟ الله أعلم!

إنّ حفاوة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بمحبّيه لا تنتهي عند هذا الحدّ. فبعد أيّام من ذلك عاد السيّد ابن طاوس إلى الحلّة، و علم بوجود شخصٍ هناك اسمه عبد المحسن، قد تشرّف بلقاء الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. لم يكن بمقدور السيّد أن يتجاوز شخصًا نال شرف لقاء محبوبه بمثل هذه السهولة. و لذلك فقد دعا عبد المحسن إلى بيته، و بعد أن رحّب به و تجاذبا أطراف الحديث؛ أخذ يصغي إلى قصّة لقائه. و قد اطمأنّ السيّد إلى صدق عبد المحسن لِما توسّمه فيه من العلامات الظاهريّة، فضلًا عمّا كان السيّد نفسه يتمتّع به من عمق البصيرة الباطنيّة. و قد كان عبد المحسن بالمناسبة يحمل خطابًا من قبل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى السيّد. و بعد أن استمع السيّد إلى كلامه بكلّ حواسه و كيانه، رجاه مؤكّدًا أن لا ينقل هذه القضايا إلى غير المؤهّلين.

لم تكن هذه المرّة الأولى الّتي يُتحف بها إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف السيّد عليّ بن طاوس بنعمه العظيمة، كما أنّها لم تكن الأخيرة. فبعد تلك الأيّام أقام السيّد ابن طاوس مدّةً في النجف وكربلاء و سامرّاء مجاورًا للأئمّة المعصومين عليهم السلام؛ لتشمله ألطاف الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أكثر من ذي قبل. وكانت الوصايا و النصائح الّتي يغدق بها على ولده تكشف النقاب عن ارتباطه الوثيق بمولاه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. وكان السيّد ابن طاوس يقول: لو شعر شخصٌ أنّه في محضر الله تعالى، و أنّه يسير من أجل مرضاة الله و الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لأدرك أنّ إمامه عجّل الله تعالى فرجه الشريف ليس

غائبًا أبدًا. و كان ينصح نجله بالبحث عن معرفة إمام زمانه ﷻ في ما وراء الأدلّة الظاهريّة و الذهنيّة، و هي المعرفة الّتي لا يشوبها شكٌّ و تكون أوضح من الشمس في رابعة النهار. كان يقول: ادعوا الإمام ﷻ و سوف يستجيب لكم دون إبطاء، و اكتبوا له لكي يردّ على رسائلكم. و هكذا كان ابن طاوس نفسه يُطبّق ما ينصح الآخرين به عن اعتقاد راسخ، و كان يرى نتائج ذلك. و عندما كان يؤلّف كتابًا يعرضه على إمامه، و ما لم يرَ ابتسامة الرضا على شفتَيه، لم يكن ليعرضه على أحد. إنّ السيّد ابن طاوس ﵀ الّذي جعل من جميع حياته حالةً من الحضور بين يدَي إمام زمانه ﷻ، و وضع الـ «هو» موضع الـ «أنا»، استحقّ أن يحظى بنظرة لطفٍ من إمام زمانه ﷻ، و أصبح جديرًا بسماع مناجاته و أدعيته، فكان يكحل الطرف برؤيته ﷻ في النوم و اليقظة. و كأنّه لم تكن هنا سُحُب تحول دون رؤيته للشمس، و كان على حدّ تعبيره:

نزيلُكَ حيثُ ما اتّجهَتْ رِكابي و ضَيفُك حيثُ كنتُ من البلاد

إنّ الإمام ﷻ قد رأى من السيّد ابن طاوس في عصر الغَيبة الوفاء بالعهد و الإعراض عن الدنيا، و التبعيّة الحقيقيّة و المستمرّة و الانصياع لأوامره، فجعله من أقرب أصحابه، و استدعاه للمثول بين يدَيه مرارًا و تكرارًا و في مختلف الأزمنة و الأمكنة. ربما بأمثاله تتبدّل مرارة الغيبة إلى حلاوة، فأيّ شيء يكون أسعد للأب من أن يحوز ابنه المرتبة الأولى في امتحان الإخلاص؟!

مصابيح الطريق

لقد بيّن الإمام المهديّ ﷻ لشيعته طرق الارتباط به، و قد أضفى نفحاتٍ مهدويّةً على بعض الأمكنة و الأزمنة، حتّى إذا كانت هناك حاجةٌ لدى الشيعة أو أرادوا أن يبثّوا همومهم و شكواهم إلى إمامهم ﷻ، اختاروا لذلك تلك الأزمنة و قصدوا تلك المشاهد و البقاع المقدّسة. فسبحان من شرّف هذه البقاع و جعلها ملاذًا لعباده، فإنّ مسجد السهلة، و مسجد الكوفة، و مسجد جمكران، و الحرم المطهّر للإمام الحسين ﵇، و المراقد المطهّرة الأخرى، و كذلك سرداب الغَيبة المقدّس، و مقامات الإمام المهديّ ﷻ في مختلف المُدن هي الملاجئ الّتي إذا أوى إليها الشيعة خفقت قلوبهم و توجّهت نفوسهم نحو إمام زمانهم ﷻ، و أخذت أعينهم تفيض بالدموع. و قد اتّخذوا من ليالي الأربعاء، و ليالي

الجمعة و أيّامها، و غيرها الكثير من أيّام السنة، أيّامًا معلوماتٍ يتذكّرون فيها إمامًا اضطرّه ظلم الجائرين و الظروف القاسية إلى الغَيبة. و مع أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف غائبٌ عن الأعين، إلّا أنّ شيعته ما إن تعرض عليهم عقدةٌ كَأْداء فإنّهم يسارعون إلى كنفه و يقصدون أحد تلك المساجد المشرّفة خصوصًا مسجد الكوفة أو مسجد السهلة و مسجد جمكران و الحلّة، و يتردّدون إليها أربعين ليلةً من ليالي الأربعاء، استغاثةً بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فيُلبّي نداءهم و يغيثهم و يقضي حوائجهم بإذن الله تعالى. و قد شاهد الشيعة على مرّ الليالي و الأيّام الكثير من الآثار العجيبة لهذه الأربعينيّات الّتي كانوا يعقدونها في تلك المشاهد المشرّفة. و إذ كان يَكثر الكلام عن سفك الدماء و القتل، فلا سبيل أفضل من التوسّل بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف لرفع البلايا الاجتماعيّة. و هكذا يجذب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف شيعته إليه و يسلك بهم سبيل التقرُّب إليه، و يُحيي ذكره في قلوبهم، و يبعث فيهم الأمل. و هم يتمتّعون بلذيذ مناجياتهم الليليّة مع إمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لذّة لا يضاهيها شيء من ملذات الدنيا المادّيّة مجتمعة و لا مُتُعات أهل الطرب و اللهو.

مثل ليلة القدر

إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو وارث تعاليم الأنبياء عليهم السلام، و صائن الدين الأصيل الّذي جاء به النبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله. و إنّ حضوره و غَيبته و قيامه و قعوده كلّ ذلك من أجل الحفاظ على دين الله تعالى، و الله وحده العالم بما يبذله حجّته و خليفته عجّل الله تعالى فرجه الشريف من جهدٍ و سعي في عصر الغَيبة من أجل تبليغ دينه المرضيّ، و إظهار أحقّيّته لكلّ باحث عن الحقيقة و لكلّ مستحقّ للهداية. و إنّ نظرته العطوفة تشمل جميع المؤمنين، إلّا أنّ أولئك الّذين نذروا أنفسهم لإحياء الدين و مذهب أهل البيت عليهم السلام، لهم الحظّ الأوفر من أنوار شمس الوجود عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و مع أنّ الشمس لا تُرى في عتمة الليل، إلّا أنّ انعكاس نورها في القمر سوف يوصل السائرين في ظلام الليل إلى المقصد.

لقد كان سديد الدين يوسف بن المطهّر الحلّيّ معاصرًا للسيّد ابن طاوس، و قد أنقذ الشيعة في الحلّة من الهجمات المغوليّة الوحشيّة. و كان له ولد اسمه الحسن، قد وقف

نفسه منذ الصغر ـ بإرشادٍ من أبيه ـ على تحصيل العلوم الدينيّة. فحضر درس المحقّق الحلّيّ و الخواجة نصير الدين الطوسيّ، حتّى أصبح و هو في شرخ الشباب، أستاذًا في جميع العلوم، و عُرف بالعلّامة الحلّيّ. و مع أنّه بلغ مقام المرجعيّة في الفقاهة، إلّا أنّه كان يضع الأبحاث الاعتقاديّة على سُلّم أولوياته. وكان يُجهد نفسه ليلًا و نهارًا من أجل إثبات أحقّيّة المذهب الشيعيّ و الإجابة عن إشكالات المناوئين. فكان القلم لا يفارق يده و هو يؤلّف العديد من الكتب في هذا الشأن. كان من أجل إسعاد إمامه عجّل الله تعالى فرجه الشريف دائمًا ما يتخلّى عن لذّات نفسه و راحتها، و قد بلغ مسامعه مؤخّرًا أنّ أحد العلماء المخالفين المتعصّبين قد ألّف كتابًا في الردّ على مذهب الإماميّة، وكان يقرأه في مختلف المجالس على الناس و يعمل بذلك على تضليلهم و إبعادهم عن الحقيقة. كان الكتاب الّذي ألّفه ذلك العالم المتعصّب كبيرًا جدًّا، و لم يكن يقبل بإعارته أحدًا مخافة أن يقع في يد أحد أبناء الشيعة و يبدأ سيل الردود و الإشكالات بالانهمار عليه، فيُبطل بذلك شبهاته و تذهب جهوده أدراج الرياح. إذ كان ذلك العالم المتعصّب يعلم يقينًا أنّ أجوبة علماء الشيعة حاضرةٌ على رؤوس ألسنتهم، و أنّهم متبحِّرون في علومهم و عقائدهم الّتي أخذوها عن الراسخين في العلم عليهم السلام، فلا يمكنه الاحتيال بكتابه هذا و ما فيه إلّا على بعض العَوام. فلم يجد العلّامة الحلّيّ طريقًا للوصول إلى الكتاب إلّا بعد الانتظام في حلقة درس ذلك العالم بوصفه تلميذًا له. و بعد مدّةٍ من الزمن حصلت ألفة بين التلميذ و الأستاذ و توثّقت العلاقة بينهما، الأمر الّذي سمح للعلّامة الحلّيّ بأن يغتنم الفرصة و يطلب إلى أستاذه أن يُعيره ذلك الكتاب مدّةً من أجل مطالعته. فوقع الأستاذ في حيرةٍ شديدةٍ؛ إذ شعر من ناحيةٍ بالخجل من أن يردّ طلب تلميذه، و خشي من ناحيةٍ أخرى أن يعطيه إيّاه فيَصل إلى ناقدٍ بصيرٍ يستطيع التمييز بين الخبيث و الطيّب! فكان مُتذبذبًا بين الخوف و الحياء، ثمّ وجد المهرب في التشبّث بالمحاذير الشرعيّة، و قال: إنّه ليسعدني أن أعيرك هذا الكتاب، لولا القَسَم الّذي آليت به على نفسي أن لا أعطي هذا الكتاب أحدًا لأكثر من ليلةٍ واحدة. وكان عند تلفّظه بهذه الجملة، لا يتوقّع أن تشكّل عبارة «لأكثر من ليلةٍ واحدة»، نقطة الضعف الّتي أمكن للعلّامة الحلّيّ أن يغتنمها! إذ قال له دون إبطاء: إذًا أعرني هذا الكتاب لليلةٍ واحدةٍ فقط! فأسقط في يد الأستاذ و لم يبقَ لديه ما يتذرّع به للامتناع من تسليمه الكتاب، و قد هوّن الخطب عليه أنّ الكتاب لن يبقى في حوزة تلميذه سوى ليلةٍ واحدة، و هي مدّةٌ لا تكفي حتّى لمطالعته، و لن تشكّل بذلك أيّ محذورٍ يُخشى منه، غافلًا عن أنّ بركة ليلةٍ واحدةٍ قد تكون خيرًا من ألف شهر!

سارع العلّامة الحلّيّ بالعودة إلى بيته، و شرع من لحظته باستنساخ الكتاب، و مع أنّ استنساخ مثل هذا الكتاب الضخم ـ بالنظر إلى الأدوات الكتابيّة في ذلك الوقت ـ كان يستغرق أشهرًا من الزمن، إلّا أنّ العلّامة كان يقول في نفسه: إنّي أتوسّل بإمام زماني المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و سوف أغتنم هذه الليلة لاستنساخ ما يتيسّر من الكتاب، و كما يُقال: الميسور لا يسقط بالمعسور!

شرع العلّامة الحلّيّ في استنساخ الكتاب على عَجل، و ترك لذلك كلّ مشاغله الأخرى، فأعرض عن الأكل و هجر النوم و نذر نفسه في تلك اللحظات لاستنساخ ذلك الكتاب فقط. و مضى لذلك مُنهمكًا في الكتابة حتّى انتصف الليل. بدأ الشعور بالتعب و الألم يتسلّل إلى أصابعه، لكنّ ذلك لم يقلّل من عزيمته الصلبة و إرادته الراسخة، لكنّه و بإرادةٍ من الله سبحانه غلب عليه النعاس لحظة وجيزة غشيته فيها سِنةٌ من النوم.

و بما أنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان يرى الجهاد الخالص لهذا الرجل، فقد وجده أهلًا لكي يُتحفه بهديّةٍ خاصّة. فأتاه في المنام و قال له: ناولني الكتاب و خذ في نومك! فانتبه العلّامة من النوم مذعورًا ينظر إلى السماء يلتمس ما بقي لديه من الوقت و كم خسر من هذه اللحظات الثمينة الّتي قضاها في نومه. بدا الأمر و كأنّه لم يستغرق في النوم طويلًا، و أنّه لا يزال هناك متسعٌ من الوقت أمامه؛ فسارع في تناول الكتاب ثانيةً ليواصل استنساخ ما بقي منه، و إذا به يتفاجأ برؤية شيءٍ عجيبٍ؛ لم يصدّق ما رأته عيناه؛ أخذته الدهشة و راح يفرك عينَيه ليطمئنّ من يقظته و أنّ ما يراه عين الحقيقة! نظر في نسخته جيّدًا و أخذ يتصفّحها ورقةً ورقة. أجل، لقد كان ما يراه حقيقيًّا و ليس حلمًا و لا وهمًا، فقد وجد أنّ الكتاب قد تمّ استنساخه بالكامل، و في آخره توقيعٌ من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «كَتَبَهُ محمّد بن الحسن العسكريّ صاحب الزمان». فإنّ الّذي أضاف دعاء العبرات إلى كتاب السيّد الآوي، ها هو هذه المرّة قد كتب للعلّامة الكتاب بأكمله. عندها تذكّر العلّامة تلك العبارة الّتي سمعها من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في عالم الرؤيا، و أدرك أنّ الكتاب قد تمّ استنساخه برعايةٍ و اهتمامٍ منه، و أيقن أنّ نظرةً من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف تُغني عن جهود دهرٍ، و أنّ الليلة الّتي يقدّرها لطف الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف هي في فضلها خيرٌ من ألف شهر!

و منذ ذلك الحين أخذ العلّامة الحلّيّ يعمل بهمّة مضاعفةٍ في الدفاع عن مذهب التشيّع و بيان أحقّيّته؛ و كان يعلم أنّه يسير على الطريق الّذي فيه عناية إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف

و مرضاته. ففوّض كتابة مقدّرات حياته إلى سيّده و مولاه حتّى يؤلّف كلماتها كيفما يشاء عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و قد تمكّن بلطف إمامه عجّل الله تعالى فرجه الشريف من القيام بخدماتٍ جليلةٍ لمذهب أهل البيت عليهم السلام. و ببركة المناظرات الّتي كان يقيمها مع علماء السنّة، برفقة تاج الدين الآويّ ـ ابن عم السيّد محمّد الآوي ـ الّذي كان له تأثير في السلطان، وُفّق العلّامة لهداية حاكم إيران، السلطان محمّد خدابنده، و استبصاره. و على إثر هذا، انتشر التشيُّع في إيران أكثر من ذي قبل، و يُترك للعلّامة الحلّيّ أثرٌ خالدٌ في ذلك، فطوى مرّةً أخرى مسيرة مئة سنةٍ في ليلةٍ واحدة. أجل، فإنّ الّذي يتّصل بينبوع الحياة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، يغدو بنفسه مصدرًا لحياة المجتمع و هدايته، و ساقيًا السعادة الحقيقيّة للقلوب العطشى.

غريب العصر

إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو مغيثُ مَن لا مغيث له، و هو بلسم قلوب الغرباء، و لكنّه هو نفسه أشدّ غربةً من كلّ غريب. لقد مضت مئات السنين على غَيبته، و مع وجود عدد كبير من الّذين يدّعون أنّهم أولياؤه لكنّه لا يزال ينتظر اكتمال عدد أولئك الثلاثمئة و الثلاثة عشر ناصرًا و وفيًّا و مُخلصًا ـ على غرار سلمان المحمّديّ ـ لينهض بهم و يقضي على الفساد الّذي ظهر في البرّ و البحر.

لم يعد هناك شخصٌ مثل الشيخ عليّ الحِلّاويّ يعترض قائلًا: لماذا لا يظهر مع وجود كلّ هؤلاء الأنصار. إذ لم يكن الناس قد نسوا قصّته و رسالة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّتي تحملها، فباتوا يدركون جيّدًا أنّهم هم مصدر الإشكال، و أنّهم لا يزالون يحملون بعض الهَنات و الهفوات، فكانوا يجتمعون كلّ يوم في مقام صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الحلّة، و يدعون الله من أجل التعجيل في ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو بعبارة أخرى: يدعون الله ـ في الواقع ـ لإصلاح أنفسهم. و في بداءة القرن الهجريّ الثامن، عزم والي مدينة الحلّة الّذي لم يكن مواليًا، على أن يحول دون استمرار هذه الأعمال العباديّة و التوسّلات، و لكنّه هلك بعد ذلك بمدّة وجيزة، دون أن يتمكّن من تحقيق ما عزم عليه. و قد أدّى هذا الأمر إلى تمسُّك الناس بهذه التوسّلات أكثر و استمرارهم عليها بزخم أكبر.

و مع مرور الأيّام و الليالي في البعد و الغياب، فإنّ حال الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف كحال جدّه الكاظم عليه السلام الّذي كان يشكر الله على سجنه و يقول: «اللهم إنّك تعلم أنّي كنت أسألك

أن تفرّغني لعبادتك، اللهمّ وقد فعلت، فلك الحمد»، و هكذا فإنّ خلوة الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشریف و مناجاته مع الله سبحانه و تعالى قد أغنتاه عن مجاورة أبناء البشر، بَيد أنّ الله عزّ و جلّ قد اختار لوليّه بعض الصالحين ليأنسوا به و يكونوا مُصاحبين و ملازمين له عجّل الله تعالی فرجه الشریف في مرحلة الغَيبة و الوحدة، منهم الخضر عليه السلام الّذي رزقه الله تبارك و تعالى عمرًا مديدًا. و كذلك بإذن الله و إرادته يرافقه عجّل الله تعالی فرجه الشریف باستمرارٍ ثلاثون شخصًا من الخاصّة و المقرّبين، قد جعلهم الله برحمته مُصاحبين و ناصرين له في غَيبته، و مسارعين في قضاء حوائجه و ممتثلين لأوامره في أداء بعض المهام. حتّى إذا عرجت روح أحدهم إلى الملكوت الأعلى حلّ مكانه شخصٌ آخر من الصالحين لتبقى حلقة الثلاثين عاشقًا كاملة. و ليبقى في كلّ عصرٍ بعض الأشخاص من الّذين محضوا أنفسهم لخدمة الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشریف و الامتثال لأوامره، فيتشرّفون بلقائه بإرادةٍ منه عجّل الله تعالی فرجه الشریف. إنّ الأوتاد و الأبدال و النجباء و النقباء من أنصار الإمام المهديّ عجّل الله تعالی فرجه الشریف منتشرون في أطراف الأرض، و يدفعون الفتن و أنواع البلاء عن المؤمنين، كما كان زكريّا بن آدم يدفع البلاء عن أهل قمّ في زمن إمامة الإمام الرضا عليه السلام. فالله يعلم أيّ عقباتٍ أمام المؤمنين قد ذلّلها هؤلاء الأبدال مخمولو الذكر و الصيت في مختلف بقاع الأرض، و كم أماطوا الأذى عن طريق قافلة الشيعة المستضعفين.

و ما يُثلج فؤاد صاحب الزمان عجّل الله تعالی فرجه الشریف و يؤنس غربته، زياراته المستمرّة لآبائه الطاهرين عليهم السلام، فهو يقصد على الدوام تلك البقاع المشرّفة في المدينة المنوّرة و النجف الأشرف و كربلاء المقدّسة، و كذلك في الكاظميّة و مشهد و سامرّاء، و يسرّه النظر إلى زوّار أهل بيته عليهم السلام، فيخصّهم منه بنظرةٍ خاصّةٍ، و يدعو لهم و يقضي حوائجهم في ما تقتضيه مصالحهم. و حيثما وضع قدميه فإنّه يذكر أنصاره الّذين هم الآن رهن التراب، إذ ربما سيُبعثون قريبًا، و يجتمعون معه من أجل القيام بأكبر مهمّة إلهيّة؛ و منهم في بغداد: النوّاب الأربعة، و ابن قولويه، و الشيخ المفيد، و في الرّي: الشيخ الصدوق، و في الأهواز: عليّ بن مهزيار، و في النجف: السيّد ابن طاوس، و غيرهم من الأنصار الإلهيّين السرّيين. و لا تخلو بقعة من بقاع الأرض إلّا و يخطو الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشریف عليها و يقصدها و يهدي فيها العباد، بَيد أنّ لديه علاقة خاصّة بموطن حياة النبيّ الأكرم محمّد صلّی الله علیه و آله. كما أنّ آباءه المعصومين عليهم السلام لو لم يضطرّهم حكّام الجَور إلى ترك المدينة المنوّرة لَما خرجوا منها. إنّ الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشریف يزور جدّه رسول الله صلّی الله علیه و آله ـ في عصرٍ ليس بعيد الشبه عن عصر الجاهليّة و مرحلة الفترة ـ و يشكو إليه غربته، و يبثّ إليه ما ألمّ بصدره من همومٍ و أوجاعٍ مُستذكرًا في ذلك قول النبيّ صلّی الله علیه و آله: «إِنَّ الْإِسْلَامَ

بَدَا غَرِيبًا وَ سَيَعُودُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاء»[1]. و تشتدّ لوعته أكثر من أيّ وقتٍ آخر عندما يقف على أعتاب المضجع الطاهر لبضعة المصطفى ﷺ، جدّته فاطمة الزهراء عليها السلام، و هو المزار الّذي ليس له من زائرٍ سواه عجّل الله تعالى فرجه الشريف على مدى مئات السنين. عند ذلك الضريح المخفيّ نصب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بيت أحزانه، يستذكر فيه آهاتٍ فاطميّةً، و ينثر على قبر المكسورة الضلع زفراتٍ شجيّة، و يسقي أزهار الضريح بالأمل الموعود بإظهار الحقّ، و يشفي صدرها المحزون الّذي تحمّل كلّ ما ألمّ به من مصائب على أمل قدوم المولود من ذرّيّتها الّذي يملأ الأرض قسطًا و عدلًا، و يُعرّف الناس بمكانة أهل البيت عليهم السلام و منزلتهم عند الله تعالى، و يضع أيديهم بيد الله سبحانه و تعالى ليتنافسوا في مراتب الكمال و القرب الإلهيّ. أنّى للكلمات أن تصف تلك اللحظات الّتي يذهب فيها السّر المستودع إلى زيارة خزانة الأسرار!؟

إنّ الصحاري و الجبال أكثر استحقاقًا لقدومه المبارك من المدن الكبيرة و العامرة؛ إذ قد تكون في بعض الأحيان جبالٌ مثل رضوى و ذي طوى في ضواحي المدينة المنوّرة و مكّة المكرّمة أكثر أمنًا لحضور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف من المدن الّتي يقوم أهلها بظلم أهل بيت النبيّ ﷺ و شيعته. طوبى لبيت الحمد؛ ذلك البيت الّذي أُضيء فيه المصباح منذ ولادة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و سيبقى مُضَاءً إلى يوم خروج الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ظهوره. إنّ فطناء الدهر قد فهموا قواعد اللعب جيدًا، إذ الطريق ليس صعبًا لكي يكون قلبك موطئ قدميه الشريفتين، بل يكفي أن يكون كرضوى أو ذي طوى راسخًا في يقينه أو كبيت الحمد مُضاءً بنور محبّته.

فاسألوا أهل الذكر

لا تخلو الأرض في كلّ زمانٍ من حجّةٍ لله على خلقه، و لو بأن يكون مستورًا غائبًا عن الأنظار كما في هذا الزمان. و عندما يطرق الشيعيّ باب أحد الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فإنّهم يرشدونه إلى إمام زمانه عليه السلام، و ذلك ليؤكّدوا للنّاس أنّ غيبته عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا تمنعه من أداء أعماله و مهامه، و ليعزّزوا علاقة شيعته به عجّل الله تعالى فرجه الشريف أكثر فأكثر.

و بعد قمّ و بغداد و الحلّة، الآن في القرن العاشر للهجرة اختار صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف مرّة أخرى النجف الأشرف لتكون معقلًا لتربية بعض الخُلّص من أنصاره و إعدادهم. إنّه

(١) كمال الدين، ج١، ص٦٦.

المقدّس الأردبيليّ الّذي منذ قدومه إلى النجف أضفى رونقًا خاصًّا على أندية العلم و المحافل المعنويّة لطلّاب العلوم و الفضائل.

كان السيّد علّام التفرشيّ تلميذ المقدّس الأردبيليّ. و ذات مرّةٍ في منتصف الليل، كان يجول في صحن الحرم المطهّر لأمير المؤمنين عليه السلام. و كان باب الدخول إلى الضريح المقدّس للإمام عليّ عليه السلام مغلقًا، و لم يكن الخدَم و السدنة قد وصلوا بعد لفتحه. و إذا به فجأةً يرى شخصًا قد أقبل نحو الروضة المقدّسة. فاقترب السيّد علّام قليلًا ليتأكّد من هويّته؛ فرأى أنّه أستاذه المعظّم المقدّس الأردبيليّ. كان السيّد علّام يعرف أنّ أستاذه من أهل الكرامات و الأسرار المعنويّة و له منزلة عند أهل البيت عليهم السلام، و أنّه مقرّبٌ إليهم، و هو من فطناء الدهر. فسار السيّد علّام في إثر أستاذه بصمتٍ و هدوء، و كمن في مكانٍ بحيث لا يمكن لأستاذه أن يراه، و في الوقت نفسه تكون أفعال المقدّس الأردبيليّ تحت نظره، فربما يتمكّن بذلك من الوقوف على شيءٍ من أمره. و لم تمضِ سوى لحظاتٍ قليلةٍ حتّى رأى السيّد علّام ما أدهشه؛ إذ ما إن شارف الأستاذ على الوصول إلى الباب حتّى انفتح له من تلقاء نفسه مع أنّه كان مقفلًا، الأمر الّذي أتاح للأستاذ أن يدخل الروضة المباركة للحرم المطهّر؛ فتعجّب السيّد علّام كيف أنّ الباب قد فُتح و لم يأتِ السدنة بعد. و الأعجب من ذلك أنّه كان يرى الأستاذ و هو يتحدّث في وحدته مع شخصٍ آخر لم يكن بمقدوره أن يراه. بعد ذلك بقليلٍ خرج الأستاذ من هناك و عاد الباب و انغلق من تلقاء نفسه. فعلم السيّد علّام أنّ تلك الليلة ستشهد بعض الأسرار. و إذا كان هناك شيءٌ من حبّ الاستطلاع قد راوده في بداءة الأمر، فقد تضاعف الآن حسّ الفضول لديه بعد رؤية تَينك الكرامتَين من أستاذه، و لم يكن بمقدور أيّ قوّةٍ أن توقفه عن مواصلة تعقّب أستاذه و اقتفاء أثره. و لكي يتوصّل إلى حقيقة الأمر و يبلغ منها غايته، واصل تتبّع أثر أستاذه دون علمه، فتعقّبه ليرى أين يذهب و ماذا يفعل! فربما تمكّن بسبب ظمئه الروحيّ و المعنويّ أن يُطلعه الله تعالى هذه الليلة على بعض أسراره.

خرج المقدّس الأردبيليّ من النجف الأشرف و اتّجه نحو مسجد الكوفة. فرأى السيّد علّام أنّ أستاذه يدخل المسجد، و يتجّه إلى حيث المحراب الّذي استشهد فيه أمير المؤمنين عليه السلام، و مكث هناك مدّةً طويلة، ثمّ عاد أدراجه مُيمِّمًا وجهه شطر النجف الأشرف. و كان السيّد علّام طوال تلك المدّة لا يرفع عينَيه عن أستاذه، و قد ازدحم ذهنه بوابلٍ من

الأسئلة. فمع من كان يتكلّم أستاذه في الحرم؟! و لماذا قصد مسجد الكوفة في هذا الوقت المتأخّر من الليل؟ ما الّذي كان يبحث عنه الأستاذ؟ و هل تمكّن الآن من العثور على مبتغاه أم بعد؟ وصل المقدّس الأردبيليّ رحمه الله إلى محلّة الحَنّانة، و إذا بالسيّد علّام يداهمه سعالٌ لم يستطع كبحه؛ فانتبه المقدّس الأردبيليّ رحمه الله إلى أنّ هناك من يتعقّبه و يقتصّ أثره؛ فالتفت و رأى الشخص الّذي كان يسير خلفه، فبادره بالسؤال قائلًا: أنت السيّد علّام؟ فطأطأ التلميذ رأسه إلى الأرض خجلًا و أجابه متلعثمًا بكلماته قائلًا: بلى أنا هو. فسأله: ما تصنع ها هنا؟ فصارحه السيّد علّام قائلًا: كنت أتبعك منذ أن دخلت الروضة المقدّسة إلى الآن و أقسم عليك بحقّ صاحب القبر عليه السلام إلّا أخبرتني بما جرى في هذه الليلة من البداءة إلى النهاية.

و لأنّ المقدّس الأردبيليّ رحمه الله كان عالمًا بعظمة هذا القسم، و كان يعلم من تلميذه القدرة على حفظ الأسرار و رعاية الأمانة، و رأى أنّ الله تبارك و تعالى قد وفّق السيّد علّام و أذن له برؤية بعض تلك الأمور الّتي لا يمكن أن يطّلع عليها كلّ أحد، قال له بوقارٍ و سكينة: أُخبرك على أن لا تخبر به أحدًا ما دمتُ حيًّا! فوافق السيّد علّام من دون أيّ تردّدٍ، و قطع على نفسه عهدًا أن لا ينكث وعده له. فقال له المقدّس الأردبيليّ رحمه الله: كنت أفكّر في بعض المسائل و قد أُغلقت عليّ، فوقع في قلبي أن آتي أمير المؤمنين عليه السلام و أسأله عن ذلك، فلمّا وصلتُ إلى الباب فُتح لي بغير مفتاحٍ كما رأيت، فدخلت الروضة و ابتهلت إلى الله تعالى في أن يجيبني مولاي عليه السلام عن ذلك، فسمعت صوتًا من القبر أن: «ائتِ مسجد الكوفة و سَل القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف فإنّه إمام زمانك!». كان الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قد أفهمه أنّ جميع أموره في هذا العصر هي بيَد إمام زمانه عليه السلام، و هو الّذي تنزّل عليه «الملائكة» و «الروح» في ليلة القدر، و عنده مقدّرات جميع العباد، و هو الّذي يمضيها. و هو في هذا العصر مظهر رحمة الله تعالى و باب مدينة علم رسول الله صلّى الله عليه و آله، و لا بدّ من دخول المدينة من بابها. ثمّ استطرد المقدّس الأردبيليّ قائلًا: فأتيت الإمام عند المحراب و سألته عنها و أُجِبت، و ها أنا أرجع إلى بيتي.

أجل، هؤلاء هم أعلام الشيعة و علماؤهم، و في الزمن نفسه، تشهد الأرض في مختلف الأماكن و البقاع، و لا سيّما في النجف الأشرف و قم المقدّسة و جبل عامل و أصفهان، حضور عدد كبير من العلماء الربّانيّين الّذين يجاهدون في الله تعالى و يعملون على تهذيب أنفسهم بما يُرضي إمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فهم على خلاف البعض الآخر، لا يكتفون بالتشبّه الظاهريّ بأصحاب الدين عليهم السلام، بل إنّهم ثابتون على دينهم، و لا ينكثون عهدهم مع

إمامهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، حتّى أصبحوا نِعم المطيعون له، و هم في مشكلاتهم و المسائل الّتي تُعرَض عليهم يذهبون إلى نبع العلم و معدنه و حامل كتاب الله تعالى، و بذلك ينالون شرف لقاء الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي لا يحرمهم الدخول إلى حرمه القدسيّ. و هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف بدوره لا يقضي حوائجهم الشخصيّة و الاجتماعيّة فحسب، إنّما يحلّ لهم حتّى معضلاتهم العلميّة أيضًا و يرشدهم إلى الإجابات الصحيحة. لكن لا يكون هناك دائمًا أمثال السيّد علّام ليسيروا خلفهم بالخفاء و يطّلعوا على أسرار أمورهم. و هكذا حظيَ التراث القيّم لفقه الشيعة على مدى تاريخ الغَيبة - بالإضافة إلى النورانيّة الّتي اكتسبها من روايات الأئمّة المعصومين عليهم السلام - بعناية الإمام الثاني عشر المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و رعايته، فزاد من نوره، و كان نورًا على نور، و الله يهدي لنوره من يشاء.

ثمرة حقل الخديعة

خمسمئة، ستّمئة، سبعمئة. إنّها بالنسبة إلى الناس مجرّد أرقام، و لكنّها بالنسبة إليه عجّل الله تعالى فرجه الشريف حكاية سنوات طويلة من الانتظار. إنّها سنوات تزخر أيّامها يومًا يومًا بآلامه الّتي تفوق آلام الأنبياء و الأولياء، و هي أيّام مفعمة لحظاتها لحظةً لحظةً بصبره الّذي يفوق صبر النبيّ أيوب عليه السلام؛ و هو ينظر كيف يطغى على الناس ضعف العقول و البصائر، و يتفشّى بينهم كأفتك الأمراض. و لكن لا يزال هناك في البَين بعض الّذين أدركوا باب أيّ بيتٍ يطرقون و إلى أيّ كهفٍ حصينٍ يأوون. و هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف عليمٌ بهم و حيثما كانوا يذهب إليهم.

و لا ريب أنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي هو خليفة الله في الأرض و هو الهادي و المهديّ و صاحب المذهب و صائنه و هو من وضع أحجار هذا البناء واحدًا واحدًا، لا يترك شيعته وحيدين و لا يسمح لثمرة الشجرة الطيّبة الّتي سقاها آباؤه عليهم السلام بدمائهم أن تفسد. و هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف على مرّ القرون الطويلة للغيبة الكبرى يهدي من استهداه و يرعى من استرعاه، و لو أنّ شخصًا توسّل بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لحفظ دينه و حماية المؤمنين من الفتن و الضلال، مخلصًا و صادقًا في طلبه، فإنّه سيرشده حتمًا على الرغم من كلّ لوازم الغيبة. و هناك مواقف كثيرة تصدّى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بنفسه لحلّها، و هذه المرّة فقد نظر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى شيعة البحرين،

ليرشدهم و يخلّصهم من الفتنة الّتي وقعوا فيها. فقد كان أغلب سكّان البحرين من الشيعة الإماميّة، و لكن عندما سقط هذ البلد تحت الاحتلال البرتغاليّ تغيّرت الأوضاع فيه، إذ نصّبوا عليه حاكمًا مخالفًا متعصّبًا. و كان هذا الحاكم قد اتّخذ لنفسه وزيرًا حاقدًا ينصب العداء لمحبّي أهل البيت عليهم السلام. فكان يلجأ إلى مختلف الحِيَل من أجل إبعاد سكّان البحرين عن أهل البيت عليهم السلام، و يعمل جاهدًا من أجل إضعاف محبّتهم، غافلًا عن أنّ قلوب الشيعة هي بيوت أهل البيت عليهم السلام، و أنّ صاحب هذه البيوت يرعاها و يحميها. فكان ذلك الوزير يمكر بالشيعة و يحتال في القضاء عليهم بشتّى الطرق، و الإضرار بهم بكلّ وسيلة، لكن ربّ الشيعة لبالمرصاد!

و أخذ هذا الوزير يخطّط لمؤامرةٍ جديدة. فلمّا كان في بعض الأيّام، دخل على الحاكم و بيَده رمّانة، فأعطاها الوالي فإذا هي مكتوبٌ عليها «لا إله إلا الله محمّد رسول الله أبو بكر و عمر و عثمان و عليّ خلفاء رسول الله!» فتأمّل الحاكم و أمعن النظر في تلك الكتابة، فوجدها من أصل الرمّانة بحيث لا يحتمل أن يكون هذا الأمر من صناعة بشر، فتعجّب من ذلك و قال للوزير: هذه آيةٌ بيّنةٌ و حجّةٌ قويّةٌ على إبطال مذهب الرافضة، فما رأيك في أهل البحرين؟! اختلج الوزير شعورٌ بالفرح و العُجب، فها هو حتّى الآن قد نجح في إثارة مشاعر الحاكم، فاستغلّ الفرصة لتنفيذ مكيدته قبل فوات الأوان، فقال: أصلحك الله، إنّ هؤلاء جماعةٌ متعصّبون ينكرون البراهين و ينبغي لك أن تُحضرهم و تريَهم هذه الرمّانة، فإن قبلوا و رجعوا إلى مذهبنا كان لك الثواب الجزيل بذلك، و إن أبَوا إلّا المقام على ضلالتهم فخيّرهم بين ثلاث: إمّا أن يأتوا بجوابٍ عن هذه الآية البيّنة الّتي لا محيص لهم عنها، أو أن تَقتل رجالهم و تسبي نساءهم و أولادهم و تأخذ بالغنيمة أموالهم، أو أن يؤدّوا الجزية و هم صاغرون! فاستحسن الحاكم رأيه و أرسل إلى العلماء و الأخيار و النجباء و السادّة الأبرار من أهل البحرين و أحضرهم و أراهم الرمّانة. أخذ الشيعة ينظرون إلى تلك الرمّانة الواحد تِلوَ الآخر، و قد استولت عليهم الحيرة و الوجوم؛ و أخذوا يتساءلون فيما بينهم: كيف انطبع مثل هذا الشيء عليها بنحوٍ طبيعيّ؟! فكان كلّ واحدٍ منهم يناول الرمّانة إلى الشخص الّذي يليه على أمل أن يكون لديه ما يقوله، و لكن كلّما تناقلت أيديهم الرمّانة، تحيّرت ألبابهم أكثر، و السكوت يطبق أفواههم و القلق يظهر على ملامح وجوههم. لقد كانت الرمّانة تبدو طبيعيّة، و أسماء الخلفاء الثلاثة مكتوبة عليها بوضوح! و كأنّ الله سبحانه

و تعالى بخلقه لهذه الرمّانة قد أبلغ رسالته إلى الناس، و عيّن فيها خلفاءه بلا مِراء. و لم يكن لإنكار هذه الآية من تفسيرٍ سوى اللجاج و العصبيّة. و إذ رأى الحاكم تلعثُم شيعة البحرين و ارتباكهم، نفّذ مقترح وزيره، و قال بغرورٍ مُتبختراً: إن لم تأتوا بجوابٍ شافٍ سيكون مصيركم القتل و الأسر و مصادرة الأموال و أخذ الجزية على وجه الصَّغار كالكفّار.

بقيَ مشايخ الشيعة حيارى لا تفسير لديهم لما قد رأوه بأمّ أعينهم، و لا جواب عندهم يدفعون به عن أنفسهم شرّ هذا الحاكم! فمن ناحيةٍ كانت هذه الآية من الوضوح التامّ بحيث لا يمكن إنكارها، و من ناحيةٍ أخرى كان هؤلاء الشيعة يمتلكون آلاف الأدلّة على كون هؤلاء الثلاثة لم يُعيَّنوا خلفاء من قِبل الرسول ﷺ على عكس أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الّذي نصّبه يوم غدير خمّ خليفة له على أعيُن الملأ و قد أبلغ الحاضر الغائب، كما كان قد أشار منذ بداءة دعوته و في مواقف جمّة ـ لا ريب في صحّتها بنقل الفريقين ـ إلى أنّ عليّاً عليه السلام هو خليفته من بعده و وصيّه؛ و لذلك ليس بمقدورهم غضّ الطرف عن رؤية الحقيقة. فتحيّر المجتمعون من كبار الشيعة في أمر الرمّانة، و عجزوا عن أيّ جواب و قد تغيّرت وجوههم و ارتعدت فرائصهم. فاقترح بعضهم بحكمةٍ و بصيرةٍ قائلين: أمهلنا أيّها الأمير ثلاثة أيّام لعلّنا نأتيك بجوابٍ ترتضيه، و إلّا فاحكم فينا ما شئت. فوافق الحاكم على اقتراحهم فانصرفوا.

و بعد أن خرج كبار الشيعة من بلاط الحاكم، سارعوا إلى عقد اجتماعٍ فيما بينهم، لينظروا كيف يجدون حلّاً لهذه المعضلة. و فكّروا في المشكلة كثيراً، لكنّهم لم يجدوا مخرجاً منها، بل ازدادت تعقيداً و غموضاً. و قد أعجزهم أمر هذه الرمّانة حتّى ضاقت صدورهم و شعروا أنّهم قد وصلوا إلى طريقٍ مسدود، و أنّ جميع الأبواب مؤصدة أمامهم. إلى أن حدّث كلّ واحدٍ منهم نفسه قائلاً: لم يبقَ أمامنا من طريقٍ سوى التوسّل بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و كأنّهم نطقوا جميعاً في اللحظة نفسها بما يختلج في أنفسهم قائلين: إنّه إمامنا الحيّ و الحاضر، و هو وحده الّذي يستطيع أن يحمينا في مثل هذه الظروف، و يهدينا إلى طريق النجاة. فإذا لم يأتِ الآن إلى نجدتنا، فمن ذا غيره يمكن أن ينجدنا؟! وقع الاختيار من بين شيعة البحرين على بعض الأشخاص الأتقياء و الزاهدين و المحسنين، و المعروفين بحسن سيرتهم و مكارم أخلاقهم، ثمّ اختاروا صفوَتهم، حتّى انحصر العدد أخيراً في عشرة أشخاص. ثمّ انتخبوا من بين هؤلاء العشرة ثلاثة فقط، كانوا من وجهة نظر الجميع الأصلح

و الأكثر عبوديّةً لله تعالى. و إذ لم يكن أمامهم سوى ثلاثة أيّام، وقع الرأي على أن يذهب كلّ ليلةٍ واحدٌ من هؤلاء الثلاثة ليبيت في الصحراء و ينشغل بالعبادة و المناجاة و التضرّع إلى الله سبحانه و تعالى، ثمّ الاستغاثة بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

حلّ اللغز

في الليلة الأولى، ذهب أحد هؤلاء الثلاثة و أخذ يدعو الله تعالى بخشوع و استكانة، و انتدب صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و استمرّ في ذلك حتّى مُنبلج الصباح، و كان سائر المؤمنين يدعون الله عزّ و جلّ في بيوتهم كي يستجيب لدعوات ذلك الرجل المندوب لهذه المهمّة، بَيد أنّ الليل قد انقضى و لم يلقَ ذلك الشخص جوابًا. و بعد عودته خالي الوفاض تضاعف اضطراب كبار الشيعة و قلقهم. في الليلة الثانية، خرج شخصٌ آخر من الأخيار الثلاثة للدعاء و المناجاة في الصحراء، و بعد أن أسفر الصبح عاد إلى قومه حزينًا مضطربًا دون نتيجةٍ كما حصل مع أوّلهم، و هنا بلغ الاضطراب بين كبار الشيعة ذروته، و بقي أملهم معلّقًا على أهداب الشخص الثالث و الأخير، و ما سيكون من شأنه في الليلة الأخيرة المتبقيّة لهم. لقد كان آخر الثلاثة رجلًا تقيًّا فاضلًا، اسمه محمّد بن عيسى؛ و قد خرج إلى الصحراء حاسر الرأس، حافيَ القدمَين، و هو يعلم أنّ آمال جميع شيعة البحرين قد عُقدت عليه، و أنّه إذا عاد دون جواب، تكون المهلة الّتي أُعطيَت الشيعة قد انتهت، و سوف ينفّذ الحاكم تهديده.

كانت تلك الليلة دامسة الظلام و قد حصلت لمحمّد بن عيسى حالةٌ عجيبةٌ من الانقطاع؛ فأخذ يبكي بكاءً شديدًا، و يدعو بحرقةٍ من أجل خلاص المؤمنين من هذه الشدّة، و يطلب العون و النصر من صاحب العصر الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فلمّا كان آخر الليل، إذا هو برجلٍ يخاطبه و يقول له: «يا محمّد بن عيسى ما لي أراك على هذه الحالة و لماذا خرجت إلى هذه البرّيّة؟»؛ لم يكن محمّد بن عيسى يريد التفريط في الدقائق الأخيرة من الليل، و كان يسعى إلى بذل كلّ ما بوسعه في الاستغاثة بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ندبته، و لذلك قال: أيّها الرجل دَعني، فإنّي خرجت لأمرٍ عظيمٍ و خطبٍ جسيمٍ لا أذكره إلّا لإمامي عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لا أشكوه إلّا إلى من يقدر على كشفه عنّي! و في تلك اللحظة سمع محمّد بن عيسى الكلمات الّتي كان بانتظارها طوال تلك الليلة، إذ قال ذلك الرجل و ما أعذبه من قول: «يا محمّد بن عيسى أنا صاحب الأمر فاذكر حاجتك!». كان محمّد بن عيسى يعلم يقينًا إن كان ذلك الرجل هو

الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف فإنّه عالمٌ بأحوال جميع شيعته، و لذلك قال له: إن كنت هو فأنت تعلم قصّتي و لا تحتاج إلى أن أشرحها لك! فقال له الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «نعم خرجت لِما دهمكم من أمر الرمّانة و ما كُتب عليها و ما أوعدكم الأمير به!» هنا أيقن محمّد بن عيسى أنّه يحاور إمامه و مولاه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فشكا إليه بلهفةٍ خبّأت في طيّاتها أنينًا و حنينًا، فقال له: نعم يا مولاي قد تعلم ما أصابنا و أنت إمامنا و ملاذنا و القادر على كشفه عنّا.

فقال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «يا محمّد بن عيسى، إنّ الوزير ـ لعنه الله ـ في داره شجرة رمّانٍ، فلمّا حملت تلك الشجرة صنع شيئًا من الطين على هيئة الرمّانة و جعلها نصفَين وكتب في داخل كلّ نصفٍ بعض تلك الكتابة ثمّ وضعهما على الرمّانة و شدّهما عليها و هي صغيرة، فأثّر فيها و صارت هكذا. فإذا مضَيتم غدًا إلى الوالي فقل له جئتك بالجواب و لكنّي لا أبديه إلّا في دار الوزير، فإذا مضيتم إلى داره فانظر عن يمينك ترى فيها غرفة، فقل للوالي لا أجيبك إلّا في تلك الغرفة، و سيأبى الوزير ذلك و أنت بالغ في ذلك و لا ترضَ إلّا بصعودها، فإذا صعد فاصعد معه و لا تتركه وحده يتقدّم عليك، فإذا دخلت الغرفة رأيت كوّةً فيها كيسٌ أبيض، فانهض إليه و خذه فترى فيه تلك الطينة الّتي عملها لهذه الحيلة، ثم ضعها أمام الوالي و ضع الرمانة فيها لينكشف له جليّة الحال. و أيضًا يا محمّد بن عيسى قل للوالي إنّ لنا معجزةً أخرى و هي أنّ هذه الرمّانة ليس فيها إلّا الرماد و الدخان، و إن أردت صحّة ذلك فأمر الوزير بكسرها، فإذا كسرها طار الرماد و الدخان على وجهه و لحيته!».

فلمّا سمع محمّد بن عيسى ذلك من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سُرّ سرورًا شديدًا ثمّ انصرف إلى قَومه بالبشارة و الخبر السّار. كان الجميع يترقّب عودته إليهم، و ما إذا كان سيأتي بخبرٍ أم سيعود خالي الوفاض. و لكنّه أقبل و علامات الابتهاج ترتسم على وجهه و البسمة المشرقة تتلألأ على ثغره. قصّ الخبر على أصحابه، و نقل البهجة إليهم. أجل، كأنّ الوزير كان قد رأى انطباع أسماء أئمّة الشيعة عليهم السلام على الأحجار الكريمة بنحوٍ طبيعيّ، فأراد بهذه الحيلة أن يختلق مثل هذه الكرامة لمن يعدّهم أئمّته. و عندما اندلع لسان الصباح بنُطق تبلّج الرحمن، و شعشع ضياء الشمس بنور تأجُّجه، توجّهوا إلى الحاكم يحدوهم العزم و القوّة، و في أعيُنهم بريقٌ مهدَويٌّ يصدع بالحقّ، و أشرقهم وجهًا كان وجه محمّد بن عيسى إذ كان يشعّ بنور آثار اللقاء. و عندما وصلوا إلى الحاكم بدأ محمّد بتنفيذ أوامر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف خطوةً خطوة، فقال للحاكم إنّه جاء بالجواب لكنّه لن يُبديه إلّا بعد الذهاب إلى دار الوزير. فتعجّب الحاكم من طلبه هذا و لكنّه أجابه إلى ذلك درءًا للقيل و القال. وكان كلّما تقدّم، ازداد

الوزير ارتباكًا. لم يكن يعلم لماذا يصرّ محمّد على الذهاب إلى منزله، إذ لم يكن يدور في خلده أنّه قد علم بحيلته. و عندما وصلوا إلى الدار طلب محمّد الصعود إلى الغرفة القائمة فوق السطح، فارتبك الوزير و بدأ يختلق الحجج و يبدي وجود المحاذير من دخول هذه الغرفة، لكنّ محمّد أصرّ على طلبه و أبى إظهار الجواب إلّا فيها. و لمّا لم يجد الوزير بدًّا من الصعود إلى الغرفة، أراد أن يتذاكى و يتقدّم الجميع، بيد أنّ محمّدًا حال دون ذلك، و قال له: يجب علينا أن نذهب بأجمعنا في وقتٍ واحد. فبُهِت الوزير و تغيّر لون وجهه و صار مدعاةً للفرجة. فدخل الجميع إلى الغرفة و تقدّم محمّد و أمسك قالبًا طينيًّا و قدّمه إلى الحاكم، فافتُضح أمر الوزير و راح يتصبّب عرقًا، و بات وجهه مسوَدًّا لا يدري أيمسكه على هونٍ أم يدسّه في التراب! و إذ سبق له أن باع دينه بدنياه، فهو الآن يرى أنّه يوشك أن يفقد دنياه أيضًا. أيقن أنّه قد فَقَدَ منصب الوزارة، و أنّ الحاكم سوف يُصدر في حقّه عقوبةً قاسية. ثمّ إنّ فتح الرمّانة قد تسبّب له بفضيحةٍ أخرى زادت الطين بلّةً كأنّه لا تكفيه فضيحته الأولى، و زاد معها سواد وجهه المشؤوم، و لقي نصيبه من فقدان ما تبقّى له من ماء وجهه و من تلك الوجاهة الّتي يتباهى فيها بين الجموع. و بعد أن انكشفت حيلة الوزير لدى الحاكم، التفت الحاكم إلى محمّد بن عيسى، و سأله متعجّبًا: مَن أخبرك بهذا؟ فقال: إمام زماننا و حجّة الله علينا! لم يكن الحاكم يعلم أنّ للشيعة إمامًا حاضرًا يمكنه الإتيان بالمعجزات، أو أن يهبّ لنجدتهم عند الشدائد و الملمّات، فسأله ثانيةً: و مَن إمامكم؟ فأخبره محمّد بن عيسى بعدد الأئمّة عليهم السلام و أخذ يذكر أسماءهم الواحد تِلوَ الآخر إلى أن انتهى إلى ذكر صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ فأحسّ الحاكم في قلبه خشوعًا و خضوعًا خاصّين عند ذكر القائم من آل محمّد صلّى الله عليه و آله؛ فمدّ يده و قال لمحمّد بن عيسى: مُدّ يدك، ثمّ قال خاشعًا: فأنا أشهد أن لا إله إلّا الله، و أنّ محمّدًا عبده و رسوله، و أنّ الخليفة بعده بلا فصلٍ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ثمّ أقرّ بالأئمّة إلى آخرهم عليهم السلام. و بهذا اعتنق الحاكم مذهب التشيّع، ثمّ أمر بقتل الوزير عقابًا له على ما قام به من الاحتيال و الدجل و ما اقترفت يداه من ظلمٍ في حقّ الناس، و اعتذر إلى أهل البحرين و أحسن إليهم و أكرمهم.

أجل، عندما تعتقد أنّ جميع الأبواب مغلقة أمامك، فإنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يأتيك و يرشدك إلى طريق الخلاص، و لا يذرك وحيدًا بين السباع الضارية. و لو أنّ أهل البحرين تيقّنوا بأنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سوف يُنجدهم و يغيثهم من أوّل يومٍ، و استمهلوا القوم يومًا واحدًا بدل الثلاثة، لكان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد استجاب لهم و استنقذهم منذ اليوم الأوّل قطعًا!

اليوم في لبنان، سيُعيد الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الحياة إلى شخصٍ ينتظره مستقبلٌ مشرق، إذ سيكون المُضيف لآلاف النفوس على خوان العلم و المعرفة. لا أحد يعلم ما هي الأعمال الأخرى الّتي يقوم بها الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في سائر بقاع العالم في وقتٍ واحد! فهو عجّل الله تعالى فرجه الشريف على الرغم من طول غيبته و غربته و عدم تمكّنه من إظهار نفسه إلى الملأ، لكنّه على الدوام يبحث عن كلّ عطشانٍ ليرويه بكأسه شربةً لا يظمأ بعدها أبدًا. و يكفي أن يشعر الإنسان بالظمأ في نفسه و يطلب الارتواء من صميم وجوده حتّى يأتيه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ساقيًا. و ما أكثر الّذين يسقيهم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف على طول زمن الغيبة بيده ريًّا رويًّا هنيئًا سائغًا.

و بالتزامن مع أصفهان الّتي أصبحت الآن عاصمةً للدولة الصفويّة، و النجف الأشرف الّتي هي معقل علماء الشيعة في العراق، كانت منطقة جبل عامل في جنوب لبنان في القرنين العاشر و الحادي عشر للهجرة ـ و أكثر سكّانها من الشيعة ـ تضمّ في حضنها الكثير من هؤلاء العطاشى، و قد ترعرع فيها كبار العلماء الربّانيّين. و كان الناس في هذه المنطقة قد تحمّلوا الأمرَّين من ظلم السلطات العثمانيّة الجائرة، و لذلك فقد آثر بعض العلماء فيها الهجرة إلى إيران. و اقتضت مشيئة الله تعالى أن يكون أحد أحفاد الحرّ بن يزيد الرياحيّ، و اسمه محمّد، مفخرةً أخرى لتلك المنطقة، بعد أن برز فيها عددٌ من العلماء الكبار أمثال: الشهيد الأوّل، و الشهيد الثاني، و الكفعميّ و غيرهم. و لكنّ المرض العضال قد انقضّ عليه قبل أن يبلغ أشدّه و ذلك في سنة ١٠٤٣ للهجرة، و كان لا يزال ابن عشر سنين، و بدأت أشباح الموت تجتاح أفكار أهله و أقاربه، فأحاطوا به يبكون و ينتحبون؛ إذ عجز الأطبّاء عن إيجاد علاجٍ لمرضه. لقد أعدّ والداه نفسَيهما لارتداء ثياب العزاء و خيّم سواد الحزن في دارهما قبل وقوع المصيبة. كان الجميع يتوقّعون وفاته في تلك الليلة الحزينة. ألقى الأب المفجوع نظراته الأخيرة عليه، و طبعت الأمّ آخر قبلاتها الشجيّة على وجنتَيه بقلبٍ يعتصره ألم الفقد. إلّا أنّ هذا الفتى لم يكن قد أنجز بعد المهمّة الّتي خُلق من أجلها في هذه الدنيا. فقد رأى فيه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف قابليّةً يمكنه توظيفها في نشر المذهب الحقّ و تثبيته. لقد شحذ هذا الفتى ـ و هو في مثل هذه السنّ المبكّرة ـ كلّ همّته من أجل طلب العلوم الدينيّة و العمل بتعاليم أهل البيت عليهم السلام. فقُدّر له أن يبقى على قَيد الحياة

بإذنٍ من الله عزّ و جلّ، و كرامةٍ من الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فمثلما وهب سيّد الشهداء عليه السلام للحرّ الرياحيّ الحياة الحقيقيّة، الآن أيضًا يريد الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن يهب الحياة لأحد أحفاد الحرّ الرياحيّ.

و في تلك الليلة رأى هذا الفتى ـ و هو محمّد بن الحسن ـ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله، و الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، في حالةٍ بين المنام و اليقظة، فسلّم عليهم و صافحهم واحدًا واحدًا. و عندما بلغ الإمام الصادق عليه السلام تبادلا بعضًا من الكلام ثمّ دعا له الإمام عليه السلام، حتّى انتهى إلى الإمام الثاني عشر المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و هنا أطلق محمّد العنان لدموعه، فأخذت تجري على خدّيه مدرارًا، ثمّ خاطب مولاه عجّل الله تعالى فرجه الشريف بحسرةٍ و تأسّفٍ قائلًا: يا مولاي أخاف أن أموت في هذا المرض و لم أقضِ وَطَري من العلم و العمل. فقال له إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «لا تخف، فإنّك لا تموت في هذا المرض، بل يشفيك الله تعالى و تعمر عمرًا طويلًا!». ثمّ ناوله الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف القدح الّذي كان بيده ليشرب منه. و ما إن ارتشف محمّد منه حتّى عاد إليه وَعْيه فجأةً؛ فاستوى جالسًا ينظر إلى حاله متمتمًا كلمات الحمد و التسبيح؛ فلم يبقَ فيه أيّ أثرٍ من المرض و ها قد حظي بنعمة العافية على يد إمامه زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. كان المقرّبون منه قد أحاطوا به من جميع الأطراف، و لم يعرفوا ما الّذي حدث. و جُلّ ما رأوه هو أنّ الفتى العليل قد انتقل فجأةً من حالةٍ إلى نقيضها، و نهض من فراش المرض سالمًا و معافى. و ما هي إلّا أيّامٌ معدودات حتّى باح محمّد لوالديه بما حصل معه.

إنّ محمّدًا الّذي رُزق حياةً جديدةً بنظرةٍ من خليفة الله الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و عنايته، بات يعلم قيمة لحظات العمر أكثر من السابق. و قد أنفق جميع أوقاته في طلب العلم و خدمة أهل البيت عليهم السلام ...

بإرادته...

إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف حاضرٌ في جميع بقاع العالم. و إنّ له مهمّات في كلّ يومٍ و في كلّ ساعة. و لا تصرفه مهمّةٌ عن مهمّةٍ و لا أمرٌ عن أمر. إنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يستمع دعاء كلّ فردٍ و كأنّه الوحيد الّذي يدعوه و يطلب غوثه، و يواسي ألم كلّ مؤمن و محنته و كأنّه ليس لديه صديق مقرّب غيره. إنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يعلم بأوضاع شيعته أكثر منهم، و هو أحنّ عليهم و أكثر عطفًا حتّى من أنفسهم.

فكم من سحائبِ مكروهٍ قد جُلّيت، و سماءِ نعمةٍ قد أُمطرت، و جداول كرامةٍ قد أجريت، و أعيُنِ أحداثٍ قد طُمست، و ناشئة رحمة قد نُشرت، و جُنَّة عافية قد أُلبست، و غَوامرِ كُرباتٍ قد كُشفت. و كم من ظنٍّ حَسَنٍ قد حُقّق، و من كَسرِ إملاقٍ قد جُبر، و من مسكنةٍ فادحةٍ قد حُوّلت، و من صرعةٍ مُهلكةٍ قد نعشت. فكم من أطفالٍ صغارٍ شارفوا على السقوط من شاهق ثمّ نجوا بلطفٍ من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و ما أكثر الحوادث الفجيعة و المزالق الّتي توشك على الوقوع، و ما أكثر النزاعات و الحروب الّتي شارفت على الاندلاع و الاحتدام، و الحرائق الّتي كادت أن تندلع، و لكنّها خمدت جميعها بنظرةٍ رحيمة من خليفة الله الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

و ما أكثر المرضى الّذين امتثلوا للشفاء بعنايةٍ منه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و الأوجاع و الآلام الّتي سكنت، و الحُمّى الّتي برد لهيبها، و الأجنّة الّتي خرجت من بطون أمّهاتها و أبصرت النور سليمة معافاة. و ما أكثر حالات الزواج الّتي تكلّلت بالنجاح، و حوادث الانفصال الّتي تحوّلت إلى مودّةٍ و ألفة. و ما أكثر الأمطار الّتي هطلت، و الأشجار الّتي أثمرت، و النزاعات الّتي خمدت نيرانها. و ما أكثر الضالّين الّذين اهتدوا بهدايته، و المرتابين الّذين ترسّخ إيمانهم بولايته، و التدابير الّتي انقدحت في أذهان علماء الدين. و أيّ قرارات سوءٍ قد خطرت في أذهان الملوك ثمّ تراجعوا عنها، و ما أكثر الفتن الّتي أُطفئت نائرتها، و الانحرافات الاجتماعيّة الّتي حيل دونها. و ما أكثر مؤامرات الأعداء الّتي أُحبطت، و حكّام الجور الّذين أُبعد شرّهم عن الشيعة.

و كم من قلوبٍ ابتهجت بلقائه، و أنظارٍ اكتحلت برؤيته، و أرواحٍ سكنت و اطمأنّت بذكره، و أفئدةٍ حرّى ارتوت من مَعينه. و ما أكثر الأسئلة الّتي أُجيب عنها، و الذكريات و الحكايات الّتي خلّدها التاريخ إلى الأبد، و المسارات الّتي تغيّرت.

و ما أكثر المسافات الّتي قُطعت من أجل الحصول على شرف رؤيته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و الأربعينيّات الّتي داوم عليها المتلهّفون في العلن و الخلوات. و ما أكثر العبادات و المناجيات الّتي أُدّيت، و العبَرات الّتي ذُرفت و الآهات الّتي زُفرت، و النذور و الصدقات الّتي بُذلت، و العهود الّتي قُطعت. و ما أكثر الأذكار و المراقبات و التهذيبات و قيام الليالي، و ما أكثر المعاصي و الذنوب الّتي تُركت.

و بذكره أيّ آمال بثّت في النفوس، و ما أكثر الهمم الّتي شُحذت، و الرُّكَب المثنيّة الّتي

استقامت، و المخاوف الّتي زالت عن الصدور، و الأفراح الّتي أُقيمت، و الأتراح الّتي تبدّدت...

و ما كلّ ذلك إلّا بنظرته، و دعائه، و كرامته، و هدايته... و بمحبّته، و انتظاره، و عقد الأمل عليه، و الاستناد إليه...

الأقلام المباركة

لم يمضِ وقتٌ طويل حتّى أصبح الشاب اليافع محمّد عالمًا كبيرًا. و كيف لا يتألق بعلمه من نال شرف الارتشاف من الشراب الطهور لإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف قبل أن يتجاوز العاشرة من عمره. و في عام ١٠٧٣ للهجرة شدّ الرحال إلى زيارة كربلاء المقدّسة؛ ليتوجّه بعدها إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام في خراسان؛ حيث راقت له الأجواء الروحيّة في مدينة مشهد المقدّسة؛ فاختار الإقامة هناك و عقد مجلسًا عامرًا للدرس.

و كما أنّ الشيخ الصدوق ـ الّذي وُلد ببركة دعاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في توقيع له كتبه جوابًا لوالده عليّ بن بابويه ـ قد وفّقه الله لتأليف ثلاثمئة كتاب روائيّ، و الآن بعد مضي سبعمئة سنة، لا تزال كتبه تُعدّ من المصادر الّتي لا يستغني عنها كلّ طالب للحصول على معارف أهل البيت عليهم السلام، فإنّ محمّد الّذي يُعرف اليوم بالشيخ الحرّ العامليّ، قد وُفّق كذلك لتأليف كتبٍ خالدة مثل كتاب «وسائل الشيعة» المتداول بين محبّي أهل البيت عليهم السلام. و لأنّه شرب من كأس إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف فقد أصبحت روحه بنقاء ذلك الشراب الطهور، و انشرح صدره لكسب علوم أهل البيت عليهم السلام. و الله أعلم بالذين شربوا من كأس الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الأوفى في عصر الغَيبة العصيب، حتّى غدوا ممّن يسقون عطاشى زمانهم و منشأً للخيرات و البركات طوال تاريخ البشريّة. فطوبى لمن يخصّه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغَيبة بنظرةٍ منه، و يختاره لتنفيذ مهامه و القيام بأوامره. فهو و إن التقمه الحوت فإنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف سيحفظه و يخرجه ليكمل مهمّته.

و طوبى لمن أُثلِج فؤاده بما همسه أصحاب العشق و أهله بأنّ عاشق الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف إذا لم يتشرّف بلقاء معشوقه في اليقظة، فإنّه لا أقلّ من أن يزوره في المنام! فإنّ رؤية الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف حتّى في المنام تشتمل على آثارٍ و بركاتٍ لا يُمنّ بها إلّا على أولئك الهائمين بحبّه، و إنّ تناول الشراب بيده في المنام ـ كما في اليقظة ـ يعيد الأرواح إلى أجسادها و يمدّها بالنشاط و الحيويّة.

إنّ الإمام الحجّة ﷻ ينتقي أنصاره حتّى من قبل أن يولدوا. كالشيخ الصدوق الّذي وُلد بدعائه، و الشيخ الحرّ العاملي الّذي أنقذه من الموت في صغره. و الآن وصل الدور إلى عَلَم آخر من أنصار الإمام المهديّ ﷻ لكي يُولد ببركة نظرته في كربلاء، و ينشأ في النجف على عينيه و تحت رعايته.

في سنة ١١٥٥ للهجرة، أشرقت أنوار بيت السيّد مرتضى الطباطبائيّ بولادة طفلٍ كان قد رأى والده في نفس ليلة ولادته منامًا مفاده أنّه هبةٌ من الإمام الرضا عليه السلام، و أنّ نوره سوف يضيء العالَم بأسرِه. وُلد السيّد محمّد مهديّ الطباطبائيّ المعروف بـ «بحر العلوم» في كربلاء، و كان الإمام المهديّ ﷻ قد تصدّى بنفسه لسقاية هذه البذرة الطيّبة، إلى أن كبر و انتقل إلى النجف الأشرف لمتابعة تحصيل العلوم الدينيّة، و هناك درس على أيدي كبار العلماء. و كان طالِبًا مُجِدًّا و مُخلِصًا، قد أوقف سمعه على العلم النافع، فما لبث أن أصبح مرجِعًا للناس و ملجأ لهم، و لم يكن قد تجاوز الثلاثين سنة من عمره المبارك بعد. و كان معروفًا بتواضعه و بشدّة عطفه على المساكين و الفقراء، فكان يجلس بين الناس و يسمع شكاوى قلوبهم و يحلّ مشكلاتهم. كما كان صمته أكثر من كلامه و كان دائمَ التفكُّر، و الذكر لا يفارق لسانه أبدًا. و كان دأبه في الصباح أن يشتغل بتدريس العلم و الحكم بين الناس و حلّ قضاياهم، و في المساء يتفرّغ للمطالعة و التحقيق، ثمّ ينام قليلًا ليستيقظ و يتلذّذ بمناجاة الحبيب إذا خلا به في جوف الليل. و في بعض الأحيان، بعد أن ينتصف الليل و تغمر السكينة أجواء المدينة، يتوجّه من النجف الأشرف إلى الكوفة سيرًا على الأقدام، ليمكث في مسجد الكوفة إلى وقت السَحَر. و بعد صلاة الصبح يعود إلى النجف و يتّجه مباشرةً إلى زيارة أمير المؤمنين عليه السلام قبل أيّ عملٍ آخر. و كان الإمام المهديّ ﷻ قد تفضّل عليه بعجائب كثيرة و كرامات عديدة في حرم إمام المتّقين عليّ عليه السلام. ففي ذلك المقام المشرّف كان يتلقّى الأجوبة عن أسئلته، و لم يكن أحد يعلم كيف يحصل على تلك الأجوبة. و كأنّ سمعه كان مرهف الحسّ للأصوات الإلهيّة، و ميزان حرارة قلبه كان يتحسّس بسرعة حضور الإمام ﷻ. و ذات مرّةٍ، أخذ عند زيارته لأمير المؤمنين عليه السلام يترنّم بالشطر الأوّل من بيت الشعر هذا:

چه خوش است صوت قرآن ز تو دل ربا شنيدن
به رخت نظاره كردن سخن خدا شنيدن
(ما أعذبَ سماع صوت القرآن منك يا مهوى القلوب
تأمُّل محيّاك و سماع كلام الله)

فسأله مَن كان معه آنذاك: ما سبب ترنّمك بهذا الصدر؟ فقال: لما وردتُ الحرم المطهّر رأيت الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف جالسًا عند الرأس يقرأ القرآن بصوتٍ عذبٍ و عال، فلمّا سمعت صوته قرأت شطر البيت المزبور، و لمّا وردت الحرم فرغ من قراءة القرآن و غادر الحرم الشريف.

أجل، إنّ مسامع السيّد بحر العلوم كانت جديرةً بسماع الصوت العذب لصاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كان بَصَره أهلًا لرؤية أنوار طلعته البهيّة. و كأنّه لم يكن يعيش في عصر الغَيبة، و كأنّه لم يكن يشعر بصقيع الشتاء؛ إذ تدثّر بلباس التقوى جيّدًا!

طود الصفا و الإيمان

أتى الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف اليوم إلى مكّة بزيّ عربيّ، ليلتقي بأحد أصحابه المخلصين. هنيئًا لذلك الصاحب الّذي يحظى في مكّة بطواف ابن الكعبة عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

ذات مرّةٍ قصد السيّد بحر العلوم مكّة المكرّمة حاجًّا بيت الله الحرام. وكان في تلك البلدة ـ خلافًا لوضعه في العراق ـ غريبًا و بعيدًا عن الأهل و الأحبّة؛ إذ لم يكن معه سوى النزر القليل من الأصحاب و رفاق السفر. و لكنّه كان مع ذلك سخيًّا في إنفاق الأموال وكثير العطاء و البذل على المحتاجين، غير هيّابٍ من هذه الكثرة. و لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتّى أنفق كلّ ما كان يحمله من مال، إذ وجد مُرافقه ـ الّذي يقوم على خدمته و يضبط له حساب الأموال ـ أنّه لم يعد في حوزته أيّ درهم أو دينار. و لم يكن هناك أحدٌ من معارفهم كي يقترضوا منه المال. فذهب إليه بعد الظهيرة و قدّم له تقرير المصاريف، و قال له: بسبب نفقاتنا الكثيرة، لم يعد لدينا شيءٌ من النقود. لكنّ السيّد لم يقل شيئًا.

و في صبيحة اليوم التالي، توجّه السيّد إلى الطواف بالبيت العتيق على مألوف عادته، إذ كان من دأبه في تلك الأيّام أن يذهب بعد صلاة الفجر للطواف بالكعبة، ثمّ يعود إلى

البيت ليستريح قليلًا في حجرته الخاصّة. ثمّ ينتقل بعد ذلك إلى حجرةٍ أخرى حيث يلتقي هناك بالمُراجعين من مختلف المذاهب الإسلاميّة، و يجيب كلّ سائلٍ على وفق مذهبه. و كثيرًا ما كان يقصده في وقت استراحته أفرادٌ و يطرقون باب حجرته الخاصّة لبعض شؤونهم، و كان مرافقه عادةً هو من يفتح الباب. في ذلك اليوم جاء شخصٌ و قرع الباب، بَيد أنّ ردّة فعل السيّد هذه المرّة كانت مختلفةً تمامًا؛ فقد أخذ يلملم على عجلٍ ما حوله من الأغراض و يرتّبها، ثمّ توجّه مسرعًا ليفتح الباب بنفسه. فكان الطارق رجلًا جليلًا مهيبًا شريفًا، يرتدي زيًّا عربيًّا، دخل الدار و توجّه إلى حجرة السيّد، فجلس السيّد بحر العلوم عند الباب و هو في غاية التواضع و الخضوع؛ فتحدّثا ساعة، ثمّ قام السيّد العربيّ؛ فتقدّم السيّد بحر العلوم مسرعًا كي يفتح له الباب. كان الجميع يتمنّى تقبيل يد السيّد بحر العلوم، و لكن هذه المرّة هو الّذي قبّل يد ذلك السيّد العربيّ، ثمّ أعانه ليركب دابّته و يرحل. و عندما عاد السيّد بحر العلوم إلى البيت كان وجهه يسطع بالنور. كلّ هذا جرى على مرأى من مُرافق السيّد إلّا أنّه لم يفهم شيئًا ممّا حصل، و هنا ناوله السيّد ورقة، و قال له: هذه حوالةٌ لرجلٍ صرّاف يسكن عند جبل الصفا، اذهب إليه و خذ منه ما أحيل عليه.

نفّذ المرافق أمر السيّد؛ فذهب إلى العنوان المذكور، و رأى هناك دكّانًا للصَّيرفة، و وجد فيه الشخص المذكور فأعطاه الحوالة. و عندما رأى الصَّيرفيّ الحوالة قبّلها و مسح بها عينَيه، ثمّ قال: عليّ بالحُمّال. فذهب المُرافِق و جاء بأربعةٍ من الحُمّال؛ فأعطاه الصَّيرفيّ نقودًا فرنسيّة و كانت قيمة كلّ قطعة نقديّة منها تزيد قليلًا على خمس قراناتٍ فارسيّة. و كانت الأكياس من الثقل بحيث اضطرّ الحمّال إلى رفعها على أكتافهم.

فقام المرافق ـ المسؤول عن إنفاق الأموال ـ بدفع تلك النقود الفرنسيّة إلى السيّد؛ و كان لا يزال متعجّبًا و في حيرةٍ من الأمر و كان يقول في نفسه: من أين كان السيّد يعرف ذلك الصَّيرفيّ؟ و من أين جاءت تلك الحوالة؟ و لماذا قام الصَّيرفيّ بتقبيلها؟ فوجد أنّ الطريق الأمثل للخروج من حيرته هذه بأن يذهب إلى الصَّيرفيّ و يسأله بنفسه. فقصد العنوان ذاته، و لكنّه لم يرَ دكّانًا للصَّيرفة و لا صرّافًا! فأخذ يُمعن النظر لعلّه أخطأ العنوان، و لكنّ العلامات كلّها كانت تشير إلى ذلك المكان بالتحديد؛ فأيقن أنّه لم يُخطئ الطريق، و لكنّه لم يجد تفسيرًا لاختفاء دكّان الصَّيرفة؛ فقد سبق له أن رآها هنا بأمّ عينَيه! و لذلك لم يعد يثق حتّى بعينَيه؛ فسأل أهل المحلّة القريبين من ذلك المكان عن ذلك الصرّاف، و لكنّهم أنكروا

بأجمعهم وجود صرّافٍ في ذلك المكان أساسًا. و قالوا له: إنّ المكان الّذي تشير إليه يشغله فلانٌ و هو ليس بصرّافٍ و لا يمتهن الصَّيرفة. و هنا أدرك المرافق أنّها كرامةٌ جديدةٌ من تلك الكرامات و العنايات الإلهيّة الّتي اختصّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بها السيّد بحر العلوم كي يتمكّن من إنفاق الأموال في مصارفها المتمثّلة بحاجات المؤمنين.

حبيبٌ دوّارٌ بحبّه

لا يختلف الأمر أينما تكون، في مكّة، أو المدينة، في النجف، أو سامرّاء، أو أيّ مكان آخر. إن كنت مثل بحر العلوم فهو يأتي إلى لقائك حيثما تكون...

بعد انتهاء موسم الحجّ، عاد السيّد بحر العلوم إلى النجف الأشرف للاشتغال بالشؤون العلميّة و بخدمة الناس. وكان يُكثر من التردّد إلى مسجد السهلة، حيث يشدو هناك ترانيم الحبّ لإمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف بمناجاة العاشقين، و يرتع في تلك الروضة المباركة متنعّمًا بهمس الحبيب عجّل الله تعالى فرجه الشريف. وكان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد أراه الكثير من الكرامات في أثناء طريقه إلى مسجد السهلة، و منها أنّه في إحدى المرّات طوى له الأرض، و حمله بلمح البصر إلى هذا المسجد. و منها أيضًا أنّ السيّد كان قد سمع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يخاطب ربّه و يناجيه في هذا المسجد، وكان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد دعاه ليمثل بين يدَيه، كما كان في بعض الحالات يتحدّث إليه وجهًا لوجه.

لقد أذاق الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف السيّدَ حلاوة لقائه مرارًا في المشاهد المشرّفة لأهل البيت عليهم السلام، و المساجد المقدّسة، مثل مسجد السهلة و مسجد الكوفة، و ملأ قلبه من بحر جوده. و ذات يومٍ تشرّف في سامرّاء بزيارة الحرم المطهّر للإمامين عليّ الهادي و الحسن العسكريّ عليهما السلام، و هناك أَمّ السيّد المصلّين من تلاميذه و سائر الزائرين. و بعد فراغه من التشهّد، و ما إن همّ بالقيام إلى الركعة الثالثة، حتّى استَوْلت عليه فجأةً حالةٌ عجيبة؛ فمكث هُنيهةً ثمّ قام ليُكمل الصلاة بخشوعه المنقطع النظير. فلم يعرف الّذين كانوا يصلّون خلفه سرّ مكوثه، و ما هو السبب من وراء تلك الحالة العجيبة. و بعد الانتهاء من الصلاة كان الجميع يرغبون في معرفة ماذا حدث، و لكنّ هَيبة السيّد كانت تمنعهم من السؤال. بعد ذلك عاد السيّد إلى محلّ إقامته يرافقه عددٌ من تلاميذه. ثمّ مدّوا الخوان و جيء بالطعام، وكان ما وقع في أثناء الصلاة لا يزال عالقًا في أذهان التلاميذ. اتّفق الجميع على

أن يكون المولى زين العابدين السلماسيّ هو السائل عن جليّة ما حدث، نظرًا لكونه الأكثر ألفةً مع السيّد بحر العلوم. و لكن كان من بين التلاميذ الحاضرين مَن هو أقرب مَجلسًا إلى السيّد؛ فأشار إليه المولى السلماسيّ بأن يكون هو المبادر بالسؤال. كان الجميع يتواصلون فيما بينهم بإرسال النظرات، و يشير بعضُهم إلى بعض بأعينهم، و انتشرت بينهم الهمهمات؛ فشعر السيّد بتبادل الهمس بين طلبته؛ فأدرك أنّ سؤالًا يجول في خواطرهم و لكنّهم يخجلون من التصريح به، فقام بتشجيعهم من خلال الدخول بنفسه في بحثهم، و توجّه إلى المولى السلماسيّ قائلًا له: فيمَ تتكلّمون؟ فلم يجد المولى السلماسيّ بُدًّا من تمثيل الآخرين في توجيه السؤال إلى السيّد قائلًا: إنّ هؤلاء يريدون أن يعرفوا سرّ الحالة العجيبة الّتي طرأت عليكم في أثناء الصلاة. و بعد أن سرّح تلك الكلمات الحبيسة في الحناجر، ساد صمتٌ مطبقٌ و كُتمت أنفاس أولئك الطلبة الّذين أرهفوا أسماعهم لالتقاط كلّ كلمةٍ سيقولها السيّد في جوابه عن ذلك السؤال؛ فنطق السيّد بتلك الجوهرة المرجوّة قائلًا: إنّ الحجّة عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ دخل الروضة للسلام على أبيه عليه السلام، فعرضني ما رأيتم إثر مشاهدة جماله الأنوَر إلى أن خرج منها!

هكذا يمكن للعبد أن يكون في عصر الغَيبة تمامًا مثل السيّد بحر العلوم رحمه الله، فيعيش حياةً كحياته، و يمتلك رؤيةً كرؤيته. إنّ خليفة الله على أرضه و شاهده على عباده الإمام المهديّ عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ يعطي في عصر الغيبة كما في عصر الحضور، ممّا حباه الله تعالى كلّ شخصٍ بمقدار سَعْيه و تقواه و حبّه و إخلاصه و استعداده و قابليّته. فالبعض يراه في المنام، و البعض الآخر في اليقظة، و هناك من يراه في حالةٍ هي بين المنام و اليقظة، و هناك من يرى وجهه الساطع، و البعض يسمع صوته العذب، و هناك من يُلهَم في قلبه، و البعض يحضر عنده الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ بنفسه، و هناك من يُرسل إليه الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ من ينوب عنه، و مِن الناس مَن يعرفه عند التشرّف بلقائه، و هناك من لا يتعرّف إليه إلّا بعد مفارقته. و لا رَيْب، إنّ الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ هو جبل الصفا، و إنّ صفاء جبل الصفا من صفاء طود الإيمان عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ. و إنّ أصحابه جالسون على سفحه و هم يصرفون حوالات الوالهين نقدًا!

نوح العصر

لقد مرّ على الإمام المهديّ عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ إلى عام ١٢٠٠ للهجرة ما يزيد على تسعمئة ليلةٍ من ليالي القدر، و في كلّ ليلةٍ من تلك الليالي الشريفة، كان عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ يوقّع على تقديرات الناس

و آجالهم إلى العام المقبل، في حين أنّهم يلجؤون إلى شتّى الوسائل لتغيير مصائرهم إلّا التوسّل به. و مع أنّ الناس كانوا يتلون القرآن و يقرؤون قصّة النبيّ نوح عليه السلام أو على الأقلّ يسمعون بها و عرفوا كيف أنّه دعا قومه على مدى تسعمئة و خمسين سنة منتظرًا استجابتهم لدعوته، لكنّهم ظلّوا منغمسين في غفلتهم بل ربما كانوا يذمّون قوم نوح في أنفسهم و يقولون: ويلٌ لهؤلاء القوم الخاسرين! كم أنّهم حمقى! كيف لم يعودوا إلى رشدهم طوال هذه الأعوام الطويلة و لم ينصاعوا إلى الحقّ! و لكنّهم اليوم أنفسهم يرون أنّهم لا يختلفون عن قوم نوح، و حريٌّ بهم أن يذمّوا أنفسهم و يلوموها أوّلًا!

كم يتعيّن على الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن ينتظر بعد من سنين إضافيّة، و في العين قذى و في الحلق شجا؛ كيما يشعر الناس بالعطش؟ و كم عليه الانتظار حتّى يدرك الناس حاجتهم إلى الماء المعين عجّل الله تعالى فرجه الشريف طوال هذه الأعوام الطويلة، فلا يطيقون بعدها صبرًا على فراقه و يتلهّفون إلى ظهوره؟ سنة واحدة؟ عشر سنوات؟ مئة سنة؟ أم...؟

هلُمَّ يا مهدي!

يضمّ إلى صدره صدور العاشقين الوالهين المتوهّجة و الّتي بلغت الحناجر من الشوق...

لقد قال أمير المؤمنين عليه السلام يومًا لصاحبه و وليّه جويريّة: «يَا جُوَيْرِيَّةُ! الْحَقْ بِي، أَلَا تَعْلَمُ أَنِّي أَهْوَاكَ وَأُحِبُّكَ؟»[1]، و كذا إمام العصر المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف فإنّه يضمّ إلى صدره جويريّة كلّ زمان فيشمّ فيهم رائحة شيعته الحقيقيّين. و ليبلغ المرء مرتبة جويريّة في عصر الغيبة، فلا يكلّفه الأمر إلّا أن يطيع إمام زمانه و يتّبعه، و قد شهدت الأيّام و الأعوام الكثيرين ممّن اتّبعوا الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف حتّى أصبح كلّ واحدٍ منهم جويريّة زمانه، و منهم السيّد محمّد مهديّ بحرالعلوم.

وكان السيّد بحر العلوم من أتراب المحقّق القمّيّ تقريبًا، و لا يصغره إلّا ببضعة أعوام. و كان هذان الرجلان الصالحان قد ذهبا إلى كربلاء المقدّسة و النجف الأشرف لتحصيل العلوم الدينيّة. و هناك قد تعارفا و تصادقا في تلك البقعة المقدّسة. و بعد ذلك بسنواتٍ، عاد المحقّق القمّيّ إلى إيران حيث مسقط رأسه في «جابلق» القريبة من مدينة «بروجرد»

(١) راجع: بحار الأنوار، ج٣٤، ص٣٠١.

لتبليغ الدين و إرشاد الناس. ثمّ اتّخذ من أصفهان موطنًا له، ثمّ انتقل بعد ذلك إلى شيراز، إلى أن استقرّ في مدينة قمّ المقدّسة، و كان من كبار علمائها. بعد ذلك بسنوات شدّ الرحال مرّةً أخرى لسفرٍ طويلٍ ابتدأه بحجّ بيت الله الحرام و زيارة المراقد المطهّرة للأئمّة الأطهار عليهم السلام.

و كان خلال السنوات الماضية قد بلغ سمعه ما وصل إليه السيّد بحر العلوم من المنزلة الرفيعة بين الناس، و كان الجميع يتحدّث عن كراماته و مقاماته العلميّة الشامخة الّتي فاقت استيعاب عقول ذوي العقول حتّى لقّبوه بـ «بحر العلوم». و عندما ذهب المحقّق القمّيّ إلى النجف الأشرف، و بعد زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، وجد من الأدب أن يذهب إلى زيارة صديقه القديم السيّد بحر العلوم. و عندما أنهى السيّد بحر العلوم درسه، أخذ التلاميذ يغادرون المجلس الواحد تلو الآخر، حتّى لم يبقَ منهم سوى اثنين أو ثلاثة. و هنا تقدّم المحقّق القمّيّ و سلّم على السيّد و اطمأنّ على أحواله. ثمّ أخذا يتجاذبان أطراف الحديث بحميميّةٍ، و يسأل كلٌّ منهما الآخر عن أوضاعه في كلٍّ من قمّ المقدّسة و النجف الأشرف. ثمّ بادر المحقّق يسأل السيّد عن سبب قلّة تأليفاته على الرغم من علمه الوافر. فذكر السيّد بعض الأسباب في انتهاج هذا الأسلوب. و بما أنّ المحقّق قد سمع الكثير عن المقامات الروحيّة و المعنويّة للسيّد، فقد وجد الفرصة مناسبة لينهل غرفةً من هذا البحر الزاخر بالأنوار الملكوتيّة. فتوجّه إلى السيّد قائلًا: إنّكم فزتم و حزتم مرتبة الولادة الروحانيّة و الجسمانيّة و قرب المكان الظاهريّ و الباطنيّ، فتصدّقوا علينا بذكر مائدةٍ من موائد تلك الخوان و ثمرةٍ من الثمار الّتي جنيتم من تلك الجنان، كي تنشرح بها الصدور و تطمئن بها القلوب.

و لأنّ السيّد كان يبجّل المحقّق القمّيّ رحمه الله و يحترمه كثيرًا، و وجد المجلس خاصًّا، و لأنّ الحديث عن حبيبه يُعيد إليه طراوة الحياة، انطلق في الحديث عن بعض ألطاف الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، و قال: كنت في الليلة الماضيّة في مسجد الكوفة الأعظم لأداء نافلة الليل عازمًا على الرجوع إلى النجف في أوّل الصبح. فلمّا خرجت من المسجد أُلقيَ في رُوعي الشوق إلى مسجد السهلة، فصرفت خيالي عنه خوفًا من عدم الوصول إلى النجف قبل الصبح فيفوت البحث في ذلك اليوم، و لكنّ الشوق كان يزداد في كلّ آنٍ و يميل القلب إلى ذلك المكان. فبينما أقدّم رجلًا و أؤخّر أخرى، إذا بريحٍ فيها غبارٌ كثيف، فهاجت بي و أمالتني عن الطريق، فكأنّها التوفيق الّذي هو خير رفيق، إلى أن ألقتني عند باب مسجد السهلة. فدخلتُ فإذا به أجده خاليًا من العباد و الزوّار إلّا شخصًا جليلًا مشغولًا بالمناجاة

مع الجبّار بكلماتٍ ترقّ لها القلوب القاسية و تسحّ الدموع من الأعيُن الجامدة. فطار بالي و تغيّر حالي و رجفت ركبتاي و هملت دمعتي من استماع تلك الكلمات الّتي لم تسمعها أذناي و لم ترها عيناي ممّا وصلت إليّ من الأدعية المأثورة، و عرفت أنّ المناجي ينشئها في الحال، لا أنّه ينشد ما أودعه في البال. فوقفت في مكاني مستمعًا متلذّذًا إلى أن فرغ من مناجاته، فالتفت إليّ و صاح بلسان العجم «مهدي بيا!» أي هلمّ يا مهديّ، فتقدّمت إليه بخطواتٍ فوقفت، فأمرني بالتقدّم، فمشيت قليلًا ثمّ وقفت ثانيةً، فأمرني بالتقدّم و قال: «إنّ الأدب في الامتثال!»، فتقدّمت إليه بحيث تصل يدي إليه و يده الشريفة إليّ، و تكلّم بكلمة.

و هنا ازداد فضول المحقّق القمّيّ لمعرفة ما دار في هذا الحوار المرهف بين السيّد و الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ و لكنّ السيّد أعرض فجأةً عن الحديث و غيّر موضوع البحث و أخذ يتحدّث عن سبب قلّة مؤلّفاته. و لكنّ المحقّق القمّيّ كان لا يزال مأخوذًا بتلك الحادثة الّتي كان السيّد يقصّها عليه. فعاد إلى السؤال عمّا قاله الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في ذلك الحوار الخفيّ؛ و لكنّه لم يُتمّ سؤاله، حتّى سارع السيّد إلى رفع يده إلى فِيه فاتحًا سبابته؛ ففهم المحقّق من ذلك أنّ كلام الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان سرًّا مكنونًا لا يمكن الإفصاح عنه!

كان السيّد بحر العلوم على الدوام يسعى إلى تقريب أفعاله و أفكاره من إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف أكثر فأكثر حتّى إنّ جواب «لبّيك يا مهديّ» كان يصدُر من جميع ذرّات وجوده، فما نداء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف له في مسجد السهلة بـ «هلمّ يا مهديّ» إلّا لأنّه كان طول حياته يجيب النداء الّذي كان يلقيه مولاه في قلبه. و لكن يبدو أنّ قرب السيّد إلى حبيبه عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان أكثر من هذا بكثير إلى درجةٍ أنّ الإمام ضمّه إلى صدره و أشعره حرارة وجوده. لا أحد يعلم بأيّ حالٍ من البهجة أصبح السيّد عندما سمع نبضات قلب قلب الوجود عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أيّ شعور كان بتحسّس أنفاس الروح الّتي تحيي عالم الوجود. و ذات يومٍ، في أحد مجالس الدرس، كان هناك شخصٌ يجلس على مقربةٍ من السيّد، فأخذ هذا الشخص يسأل: هل يمكن رؤية الطلعة البهيّة لصاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في عصر الغَيبة الكبرى؟ فقال السيّد بصوتٍ خافتٍ: ما أقول في جوابه و قد ضمّني صلوات الله عليه إلى صدره...!

نعم، إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يبحث في كلّ عصرٍ عن أمثال جويريّة من الّذين طهّروا صدورهم من الأمراض النفسيّة و الروحيّة، من قبيل: الغلّ و الحقد و الحسد و الأنانيّة و ما إلى ذلك، و يقذف في قلوبهم نور العلم و المعرفة و المحبّة، لكن هل بهذه السهولة يوجد أمثال جويريّة؟!

لا يكتفي الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالندبة على غربة جدّه سيّد الشهداء عليه السلام صباحًا و مساءً، و البكاء عليه بدل الدموع دمًا فحسب، بل إنّه يعمل أيضًا على بيان عظمة البكاء على مصيبة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، و تبليغ شيعته ما يترتّب على ذلك من آثارٍ عظيمةٍ و بركاتٍ جليلة. فقد قام ببيان هذا الأمر مرارًا في عصر غيبته، لعلمه بأنّ هذه العبَرات و الزفرات النابعة من حرقة قلوب المؤمنين هي الّتي تبثّ الدفء في صقيع الغَيبة. و أنّها لا تقلّ عن الإكسير الّذي يحوّل النحاس إلى ذهب، بل إنّها الإكسير الأعظم الّذي يحوّل سيئات الإنسان إلى حسنات. و قد اختار هذه المرّة أحد أكثر أوليائه إخلاصًا، الّذي كان حبّه للإمام الحسين عليه السلام سببًا في لقاء الحفيد الحبيب عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فقد كان السيّد بحر العلوم يذهب في كلّ سنة أكثر من مرّة إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ماشيًا أو راكبًا. و كان شديد الذكر للإمام الحسين عليه السلام حتّى في أثناء زياراته لسائر الأئمّة عليهم السلام. و في إحدى المرّات، كان متوجّهًا إلى سامرّاء سيرًا على الأقدام، و في أثناء طريقه خطر على باله سؤالٌ و أخذ يفكّر في نفسه: كيف يكون للبكاء على الإمام الحسين عليه السلام مثل هذا الثواب العظيم، بحيث يُغفر للباكي عليه جميع ذنوبه و إن كان من أهل الكبائر، حتّى و إن كانت دمعته بمقدار جناح بعوضة؟! شغل هذا السؤال تفكيره و أغرقه في التأمّل، و بينما هو على هذه الحال ظهر له رجلٌ من العرب؛ فسلّم عليه و اطمأنّ عن أحواله ثمّ سأله عن الأمر الّذي يشغل باله، و قال له: صرّح بما تضمره، فربما تجد ضالّتك عندي! لم يكن السيّد بحر العلوم يرغب في أن يطّلع أحدٌ على مكنون ما انطوى عليه تفكيره، مخافة أن يكون في الإفصاح عنه خروجٌ عن حدود الأدب. بيد أنّ إصرار الرجل العربيّ دفعه إلى بيان تعجّبه من الآثار الّتي يتركها البكاء على ظلامة الإمام الحسين عليه السلام، فقال: كنت أفكّر كيف يمكن لخطوةٍ صغيرةٍ في مسير زيارة كربلاء المقدّسة أو قطرة دمعٍ في البكاء على سيد الشهداء عليه السلام أن يكون لهما مثل هذا الأثر، و يترتّب عليهما كل هذا الثواب العظيم، إلى درجة أن يغفر الله تعالى لعبده جميع ذنوبه، سواء أصغرت أم كبرت؟!

و بدا على الرجل العربيّ أنّه كان ينتظر ذريعةً ليجيبه، فقال له: لا تعجب! سأذكر لك مثالًا ينطوي على جواب ما أشكل عليك فهمه و استحوذ عليه تفكيرك: ذات يومٍ خرج أحد الملوك إلى الصيد برفقة خدمه و أفراد حاشيته و بطانته. و لمّا بلغوا الصحراء، انفصل عن معسكره و ضلّ الطريق، و شاءت الإرادة الإلهيّة أن ينقطع عن أصحابه و جنوده، بحيث لا يتمكّن من العثور على أثرهم. فاشتدّ عليه الجوع و العطش، و أخذ يبحث في جميع

الاتّجاهات دون أن يهتدي إلى سبيلٍ للنجاة؛ و إذ به يرى في نهاية المطاف ظلّ خيمةٍ صغيرةٍ، كانت هي أمله الأخير و حبل نجاته الوحيد. فأسرع ناحيتها و رمى بنفسه أمامها يرجو من أصحابها شربة ماء تُبقيه على قيد الحياة. كانت في الخيمة امرأةٌ عجوزٌ فقيرةٌ تعيش مع ولدها الوحيد، إلّا أنّها أكرمت وفادة هذا الرجل الغريب و دعته إلى دخول خيمتها بكلّ ترحيبٍ ثمّ أحسنت ضيافته مع أنّها تجهل هويّته و لا تدري من هو و ما هو شأنه و من أيّ البلاد قد وفد عليهما. لم يكن لتلك العجوز من حطام الدنيا سوى عنزةٍ واحدةٍ تملكها، تقتات و ولدها من لبنها الصافي، و كانا قانعَيْن بهذا القليل من الإدام. لكنّها لمّا رأت بؤس هذا الرجل و حالته المُزرية، سارعت إلى ذبح تلك العنزة ليتغذّى من لحمها. اعترض الولد في بادئ الأمر، فهذه العنزة مصدر رزقهما الوحيد، لكنّ الأمّ العجوز أقنعته بقولها: إنّ وفادة الضيف و إكرامه مقدَّمانِ على كلّ شيء. فقامت من حينها و ذبحت عنزتها لتُحضّر الطعام للرجل الغريب، و كان الملك آنذاك غير بعيد و قد سمع تحاورهما بأكمله.

و لمّا أكل طعامه حدّ الامتلاء، و بات ليلته في خيمتهما و استعاد قوّته و نشاطه، سألهما عن الطريق، ثم التفتَ إلى الغلام و أعطاه خاتمًا، و قال له: انطلق في الغد إلى قصر السلطان، و إذا حال الحُجّاب بينك و بين الدخول على السلطان، أرِهم هذا الخاتم حتّى يفتحوا لك أبواب القصر؛ فإذا رأيت السلطان، فإنّه بإذن الله سينعم عليك و يُحسن إليك. ثمّ ودّعهما و انطلق إلى حيث قصره و معسكره. و لمّا التقى أعوانه أخبرهم بما جرى عليه، و كيف أنّه تاه في تلك الصحراء المسبعة، و ما ناله في ذلك من الجوع و العطش، و ما شارف عليه من الموت من شدّة الحرّ.

في صباح اليوم التالي، جاءت المرأة العجوز و ابنها إلى القصر، و لم يحل دونهما أحد، و لمّا وقع بصر السلطان عليهما، بالغ في إكرامهما، و أجلسهما على عرشه، و أغدق عليهما من كرمه، و بعد أن تناول الطعام معهما، أمر وزراءه و مستشاريه و كبار رعيته بالاجتماع عنده؛ فقصّ عليهم قصّته مع تلك المرأة العجوز، ثمّ قال: أريد أن أردّ لهما جميل معروفهما، فبماذا تشيرون عليّ؟ فأخذ كلّ واحد منهم يُشير عليه بشيء، فهذا يقول: أعطهما مئة شاة، و ذاك يقول: أعطهما مئة شاة و مئة دينار، و آخر يقول: أعطهما مزرعة.

انتظر السلطان حتّى انتهى الجميع من مقترحاتهم، و عندها أطرق هُنيهةً ثمّ رفع رأسه و قال: لم أجد واحدًا منكم ينصف هذه العجوز و ابنها في مقاله! فإنّهما قد بذلا من أجلي

كلّ ما يملكانه، و لو أعطيتهما كلّ ما أملك و تنازلت لهما عن سلطاني و عرشي و تاجي، عندها ربما أكون قد وفَيت بصنيعهما لا أكثر!

و هنا فرغ الرجل العربيّ من حكايته ثم التفت إلى السيّد بحر العلوم و قال له: إنّ سيّد الشهداء عليه السلام قد بذل نفسه و قدّم رأسه، و أولاده و أهل بيته و أصحابه في سبيل الله، كما عرّض نساءه الطاهرات و المخدَّرات إلى السبي، و أعطى كلّ ما يملك من أجل نشر دين الله و شريعة جدّه رسول الله صلى الله عليه و آله، حتّى ذُبح من القفا ظمآنًا عُريانًا على شاطئ الفرات، و جرى عليه من المصائب ما لا يمكن لنفسٍ تحمّل سماعه. و عليه، فإنّ كلّ ثوابٍ و جزاءٍ أمام هذه التضحية، لا يمكن أن يُعدّ شيئًا بالقياس إلى عظمة مُلك الله سبحانه و تعالى.

إنّ هذا المَلك الّذي ضلّ طريقه في الصحراء، ما كان مُلكه سوى شيءٍ محدودٍ من دار الدنيا، و مع هذا فإنّه أعطاه شخصين قدّما له عنزةً. فما تقول في الله مالك المُلك، الباسط بالجود يده، ذي العطاء الّذي لا يَنفَد ما عنده، و لا تنقص خزائنه، و لا تزيده كثرة العطاء إلّا جودًا و كرمًا، و هو أكرم الأكرمين؟! فهل يمكننا بعد ذلك أن نستكثر كرم الله تعالى في غفرانه لجميع ذنوب زائري الإمام الحسين عليه السلام - الّذي بذل كلّ ما يملك في سبيل الله تعالى - أو الباكين عليه؟! في حين أنّه سبحانه و تعالى أجدر بالبذل و العطاء من ذلك المَلك صاحب المُلك المحدود. قال الرجل العربيّ هذا الكلام، ثمّ اختفى عن النظر فجأةً!

أجل، لقد واجه السيّد - و الّذي كان فريد عصره و مقدَّمًا في جميع العلوم على أقرانه حتّى اشتهر بلقب «بحر العلوم» - الكثير من المسائل الفقهيّة و الأصوليّة، و قد عثر على أجوبة مسائله في تضاعيف الكتب، و لكن لم يحدُث أن اقتنع يومًا كما اقتنع في ذلك اليوم و هو يتلقّى الدرس مباشرة من صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فقد أدرك أنّه كان في حضرة مولاه و حبيبه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لكنّه لم يلتفت إلى ذلك إلّا بعد أن غاب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف عن ناظرَيه.

زمن الذئاب و الأكباش

هم أحد عشر كوكبًا و إمامًا من الأئمّة المعصومين عليهم السلام، الّذين عاصروا قطعان الذئاب، في عصورٍ ما أشبهها بعصر نبيّ الله يوسف عليه السلام حين كان إخوته هم الذئاب الّذين نهشوا أخاهم ثمّ رفعوا قميصه الملطّخ بدمٍ كذب كدليلٍ على براءتهم. إنّها العصور الّتي كان يضطرّ فيها كلّ إمامٍ من الأئمّة عليهم السلام إلى مبايعة الظالمين قهرًا و غصبًا. و هي العصور الّتي لم تكن فيها

الأحقاد تطيق وجود الإمام عليه السلام أو بقاءه. فكانوا يقتلونهم بالسيف أو يدسّون لهم السمّ و هم في بيوتهم. لم يكن في تلك العصور سوى قلّة من المؤمنين الّذين يعرفون مقام الإمام عليه السلام، و مثلهم كمثل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، فهُم على استعدادٍ للتضحية بأنفسهم من أجله و أن يجعلوا من أجسادهم وقاءً لإمامهم، و أن يفتدوا روحه الطاهرة بأرواحهم. فادّخر الله سبحانه و تعالى خاتم الأئمّة عجّل الله فرجه الشريف لنصرة الدين و إعزاز المؤمنين و الانتقام من الجاحدين المارقين، و غَيّبه في هذا العصر ليدرك الناس قيمة ماء الحياة، و لعلّهم يتضرّعون إلى الله طلبًا للماء المعين بعد أن أصبح ماؤهم غورًا.

إنّ تصرُّم الزمن أضفى على الذئاب صفة الأكباش. و في عصر الأكباش يبدأ الناس شيئًا فشيئًا يشعرون بالحاجة إلى الإمام عجّل الله فرجه الشريف، و يُدركون أنّ شيئًا ينقصهم. فَهُم لا يملكون دفعًا للظلم اللاحق بهم و لا نُصرةً للحقّ الّذي اجتاحته الشبهات، بل هم عاجزون عن القيام بأيّ شيء إلّا أن توضع أيديهم في يد الله سبحانه و تعالى، و لكنّهم مع ذلك لا يزالون متردّدين، تنقصهم شجاعة مالك الأشتر، و غيرة حبيب بن مظاهر. و لا ينفكّون يخلدون إلى الأرض، و إن لم ينخرطوا في جيش ابن زياد طمعًا في الحصول على شيءٍ من حطام الدنيا، فإنّهم سيختارون العافية و يعتزلون الصراع و يخذلون جبهة الحقّ. إنّهم حتّى الآن لا يعدّون روح الإمام عجّل الله فرجه الشريف من أرواحهم، و لا حياته جزءًا من حياتهم، و لا يرون في شريانه شريانهم الأبهر. و كأنّ لحمهم غير لحمه، و دمه لا يجري بدمهم، و لا طينتهم من فاضل طينته. فلا يزال الطريق طويلًا أمامهم للوصول إلى عصر الحكمة و العقلانيّة، و يجب على التاريخ أن يقطع أشواطًا طويلةً، و يتعيّن خلالها على الناس أن يختزنوا الكثير من التجارب. تطول حقبة الغياب أعوامًا و سنواتٍ و تمتدّ مسيرة الغَيبة أكثر فأكثر، و لا يجد الإمام عجّل الله فرجه الشريف خلال أعوام الغربة سوى القليل من الأنصار. لا تزال سحب الغَيبة يتراكم بعضُها فوق بعض و ما تختزنه من حزنٍ لمّا ينفجر بعد، و لا يزال الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف منتظِرًا لظهور المنتظِرين الحقيقيّين الّذين تنحصر حاجتهم من الإمام عجّل الله فرجه الشريف في شخصه و ذاته، و ليس لتلبية شؤونهم الخاصّة من قبيل السكن و المال و الزوجة و ما إلى ذلك...

القلوب الثابتة

إنّ الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف يُحيط علمًا بأنباء شيعته و لا يعزب عنه شيءٌ من أخبارهم، و هو عالمٌ بما آلت إليه أحوالهم، و هم الّذين لم تزلّ بهم أقدامهم عن الإيمان به عبر مئات السنين.

و هم أولئك الّذين حُجب عنهم إمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف فآمنوا بسوادٍ على بياض، حتّى وصفهم النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله بأنّهم إخوانه. و هم الّذين لو تطاولت الدهور و تمادت الأعصار، لما ازدادوا فيه إلّا يقينًا و له إلّا حبًّا. في عصر غَيبته، يغدو الثبات على الإيمان أصعب، و تزداد الشبهات و البدَع أكثر، حتّى يصبح الصابر على دينه كالقابض على الجمر. فإنّ قوى الطغيان تكاتفت في ما بينها و كثّفت جهودها للعمل على إضلال الكثير من الناس، و هم يستهدفون أصحاب القلوب العمياء حتّى يشكّكوهم في وجود الشمس! كما أنّهم يعملون في الوقت نفسه على إضلال الآخرين و حرفهم عن جادة الحقّ بأحدث الأساليب و أكثرها مكرًا. و ليس خافيًا أنّ الذنوب و المعاصي تزيد من قسوة القلوب، و تجفّف ينابيع الدموع.

إنّ الفتن تستهدف دين الناس و دنياهم، بَيد أنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يُحافظ على شيعته المخلِصين و يرعاهم بأهداب عينَيه. إنّهم يحصلون من حين إلى آخر على آيةٍ حيّةٍ و لاحيةٍ من إمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، مكافأةً و تحفيزًا لهم كي تترسّخ جذور الإيمان في حدائق صدورهم و لا يتزعزع يقينهم في مواجهة الفتن و الشبهات. إنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف دائمًا ما يُضيء شعلة الأمل بظهوره في قلوب شيعته، و يسقي براعم الحبّ في صدورهم. إذ إنّهم في كلّ زمانٍ يرون أو يسمعون بأنّ من بين أصحابهم من حظيَ بشرف لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أو نصرته و إغاثته، و بذلك يحصل لهم اليقين بأنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يكِلهم إلى أنفسهم طرفة عينٍ و لا يهملهم. و برؤيتهم لهذه الآيات و العلامات الّتي يرسلها إمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف يتضاعف في وجودهم الأمل و الهيام، و تصبح ندباتهم و استغاثاتهم و عبراتهم أشدّ حرقةً في فراق محبوبهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و هي العبَرات الّتي تجلي الرين عن قلوبهم، و لعلّها أيضًا تُهيئ أعينهم لرؤية أجمل خلق الله، ذاك القمر الزاهر و النور الباهر عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

إفشاء السرّ

مضت سنتان على رحيل السيّد بحر العلوم و توسُّده التراب في ثرى النجف الأشرف، بيد أنّ صنائع يد إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا نهاية لها. فقد صنع على عينه الكثير من الأصحاب الآخرين، و منهم الشيخ مرتضى الأنصاريّ، الّذي كانت ولادته في دزفول زاخرة بالعلامات. ابتداءً من المنام الّذي رأته أمّه ـ الّتي لم تكن تترك صلاة ليلها ـ إذ رأت أنّ الإمام الصادق عليه السلام يعطيها قرآنًا مرصّعًا بالذهب، وصولًا إلى ولادته في عيد الغدير سنة ١٢١٤ للهجرة. و ما إنّ شبّ حتّى اختار طريق دراسة العلوم الدينيّة، و بعد أن أكمل الشيخ مرتضى مرحلة

المقدّمات في دزفول، شدّ الرحال إلى كربلاء المقدّسة و النجف الأشرف ليزيد من ذخيرته العلميّة. و لكي يستفيد من جميع أساتذة عصره، فقد أمضى مدّة في مدينة كاشان و في أصفهان أيضًا. ثمّ عاد إلى العراق و لم يمضِ وقت طويل حتّى كان مجلس درسه في النجف الأشرف موئلًا لطُلّاب العلم و المعرفة، حتّى صار له الكثير من التلاميذ، و قد أصبح عددٌ كبير منهم فحولًا في العلم، ابتداءً من الميرزا الشيرازيّ، و الميرزا حبيب الله الرشتيّ، وصولًا إلى الآخوند الخراسانيّ. بيد أنّ هذه الأمور لم تكن تُبهر عينَي الشيخ مرتضى الأنصاريّ، و كلّ ما كان يشغل اهتمامه هو أن يرسم بسمة الرضا على شفتَي إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

لم يكن الشيخ الأنصاريّ يتحدّث عن سِرّه مع إمامه، و لكنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان يعمل في بعض الأحيان على تعريف الآخرين بأصحابه. ذات مرّة كان الشيخ مرتضى متوجّهًا مع بعض تلاميذه إلى زيارة حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. و بمجرّد دخولهم من الباب الرئيس للحرم المطهّر، توجّه شخص نحوهم فجأة، سلّم على الشيخ من مسافةٍ قريبة ثم تقدّم ليحصل على شرف المصافحة و تقبيل يد الشيخ. و كان الشيخ قد اعتاد أن يسلّم عليه أشخاصٌ لا يعرفهم أصلًا. و لكن هذه المرّة عمد شخصٌ من مرافقي الشيخ إلى التعريف بهذا الرجل الغريب. و بعد أن ذكر اسمه و لقبه، استطرد قائلًا: إنّ لهذا الرجل خبرة بالجفر أو الرمل، و إنّه يُخبِر عمّا يجول في خواطر الأشخاص و ضمائرهم.

ابتسم الشيخ عند سماع هذا الكلام ابتسامةً ذات مغزى، و قال لذلك الشخص مُختبِرًا: لقد أخطرتُ في ذهني أمرًا؛ فهل يمكنك إخباري به؟ تأمّل الرجل الغريب، ثمّ قال: لقد أخطرتَ في ذهنك ما إذا كنتَ قد التقيتَ بالإمام صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف أم لا؟ بان التعجُّب و الانبهار على وجه الشيخ، و كأنّ ذلك الشخص الغريب قد أصاب كبد الحقيقة. و مع ذلك فإنّ الشيخ لم يُبادر إلى تأييد كلامه و لا نفيه. و لم يكن سكوته ليُرضي الرجل الغريب، فسأله بصراحة: هل جاء في خاطركم هذا المعنى الّذي ذكرتُه؟ و لكنّ الشيخ واصل سكوته و لم يبُح بشيء، إلّا أنّ الرجل الغريب بدوره واصل الإصرار على تكرار السؤال، و قال له: هل صدقتُ أم لا؟ فأجابه الشيخ طارحًا سؤالًا آخر: حسنًا، قل لي أنت الآن، هل سبق لي أن رأيتُه أم لا؟ فقال الرجل دون تلكّؤ: أجل، لقد تشرّفتَ بلقائه مرّتين؛ إحداهما في السرداب المطهّر، و الأخرى في موضعٍ آخر! و لكي لا يُفشي الرجل المزيد من أسراره، سارع الشيخ في التوجّه نحو الضريح المطهّر غير مكترثٍ بما سمعه منه.

و يكأنّه يألف بيوت الفقراء أكثر من غيرها. فقبل ما يقرب من ألف سنة، و تحديدًا في عصر النائب الثاني، كان يتردّد إلى بيتٍ متواضعٍ في بغداد، و ها هو اليوم يُقيم في كوخٍ صغيرٍ بالقرب من البوّابة الشماليّة لمدينة كربلاء المقدّسة. و هو يأذن من حين إلى آخر للمؤهّلين من الفقهاء برؤيته و طرح بعض الأسئلة عليه. أمّا إن لم يأذن بذلك، فلا أحد يستطيع العثور على ذلك الكوخ. فطوبى لذلك الشيخ الّذي يعرف الطريق إلى منزل إمامه جيّدًا مع ما يعانيه من ضعف البصر، بل حتّى لو سار إليه في حُلكة الظلام، إذ هناك سرٌّ بينهما لا ينبغي لأحدٍ أن يعرفه. و الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يُفضي إليه مَهامه الخاصّة، ثمّ إنّه متى شاء يُظهر لتلاميذ الشيخ الأنصاريّ المقام الشامخ الّذي ناله أستاذهم.

لقد كان المحيطون بالشيخ يعرفون طرفًا من كراماته إلى حدّ ما، و إنّ الكلام الّذي سمعوه في حرم أمير المؤمنين عليه السلام من ذلك الرجل الخبير في علم الجفر، قد أكّد لهم صلة الشيخ الأنصاريّ بإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و لذلك كانوا يبحثون عن شواهد و قرائن أخرى في أفعال الشيخ و أقواله، و لكنّه لم يكن ليبوح بشيء من ذلك، بل يتصرّف بنحو طبيعيّ جدًّا. و منذ عام ١٢٦٦ للهجرة أصبح الشيخ الأنصاريّ مرجعًا كبيرًا يقلّده الشيعة، و كان يقطن في النجف الأشرف مشتغلًا بالتدريس، و كان من حين إلى آخر يذهب إلى كربلاء المقدّسة للزيارة، و يقيم هناك بضعة أيّام و لا سيّما في مواسم الزيارات. و عندما يَبيت في كربلاء كان يخرج في الليالي خُفيةً و يذهب إلى لقاء إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لكنّه حتّى لو اختار الصمت، فإنّ الله إذا شاء عرّف بوليّه و كشف عن سرّه حتّى و لو في ظُلَم الليل المطبق!

و ذات مرّة كان أحد تلامذته قد توجّه هو الآخر إلى كربلاء المقدّسة في أيّام الزيارة نفسها الّتي كان أستاذه موجودًا فيها هناك. و في منتصف إحدى الليالي أراد هذا التلميذ الذهاب إلى الحمّام العام ليغتسل غُسل الزيارة. و لأنّ الجوّ كان ماطرًا و الأزقّة موحِلة؛ فقد رفع عباءته مُتّقيًا بللها، و أخذ معه سراجًا يضيء له الطريق في ذلك الظلام. و بينما كان يسير لمح في وسط الطريق شخصًا من بعيد، و بعد أن اقترب قليلًا فإذا به يتفاجأ بأنّه أستاذه الشيخ الأنصاريّ. استغرق في التفكير و راح يحدّث نفسه: تُرى ما الّذي يمكن أن يفعله هذا الرجل العظيم في مثل هذا الوقت المتأخّر من الليل مع ما يعانيه من ضعفٍ في بصره؟ فأخذ التلميذ يقتفي أثر أستاذه بهدوءٍ مخافة أن يتعرّض لأيّ مكروه، أو يعترضه أحدٌ ما بالإساءة،

أو يتعثّر أرضًا بسبب الظلام الدامس! واصل الشيخ طريقه متوجّهًا ناحية الشمال من كربلاء المقدّسة. و كلّما مضى من الوقت شطرٌ ازداد فضول التلميذ و تهافتت إلى ذهنه مختلف الأفكار. استمرّ الشيخ في سيره حتّى وصل إلى بيتٍ ريفيٍّ قريبٍ من بوابة بغداد. ثمّ وقف هناك عند الباب و شرع في قراءة الزيارة الجامعة الكبيرة. و كان التلميذ الّذي اقتفى أثر أستاذه قد وصل إلى موضع مُشرفٍ، فكان يرى الشيخ كيف يقرأ الزيارة بحالةٍ عجيبةٍ و إقبالٍ و خضوعٍ شديد، ممّا أدهشه و جعله يحدّث نفسه: يا للعجب من فعل شيخنا! لقد ترك الحرم و جاء ليقرأ الزيارة في هذا المكان النائي! و بعد أن أكمل الشيخ زيارته دلف إلى ذلك الكوخ. فتقدّم التلميذ قليلًا، و أخذ يتأمّل بدقّة باب الكوخ، و يقول في نفسه: ترى ما الّذي يمكن أن يحتويه هذا الكوخ الخرِب، حتّى قطع الشيخ كلّ هذه المسافة ليقصده! أخذ يرهف سمعه قريبًا من الباب، فوصل إلى مسامعه من داخل الكوخ صوت الشيخ و هو يتكلّم مع شخصٍ آخر، و لكنّه لم يفهم شيئًا من مضامين الكلام. و بعد لحظاتٍ سمع وقع أقدام الشيخ و هو يقترب من الباب، فتراجع إلى الخلف قليلًا و توارى عن الأنظار. ثمّ خرج الشيخ من ذلك الكوخ و عاد أدراجه إلى كربلاء، أمّا التلميذ فذهب إلى شأنه بعد أن تذكّر أنّه كان يريد الذهاب إلى الحمّام العام ليغتسل غُسل الزيارة.

و بعد مرور ساعة من تلك القضيّة، و كان التلميذ قد أكمل غُسله، توجّه إلى الحرم الشريف للزيارة. و كان طوال هذا الوقت مشغول البال و تجوب في ذهنه الكثير من الأسئلة من دون أن يجد لها جوابًا شافيًا. و عندما وصل إلى الحرم المطهّر رأى الشيخ الأنصاريّ ثانيةً. و لكنّه لم يسأله عمّا كان منه قبل ساعة. مضت الأيّام إلى أن زار التلميذ أستاذه في أحد الأيّام، فوجد الفرصة سانحة لكي يسأله عمّا رآه منه في تلك الليلة، فلم يبح له الشيخ بشيء في بداءة الأمر، و لكن بفعل إصرار التلميذ، لم يجد في نهاية المطاف بُدًّا من القول:

«أحيانًا أحصل على إذنٍ للتشرُّف بمحضر إمام العصر عَجَّلَ اللّهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف و لقائه، فأذهب و أقف إلى جنب تلك الدار الّتي لن تجدها بعد الآن و أزوره بالزيارة الجامعة، فإن صدر إذن ثانٍ، أتشرّف بزيارته في تلك الدار و أسأله عن بعض المطالب و أستمدّ منه العون ثمّ أعود».

ثمّ أخذ الشيخ عهدًا من تلميذه بأن لا يروي هذه الحادثة ما دام حيًّا، و لكن يبدو أنّ إرادة إمام العصر عَجَّلَ اللّهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف اقتضت تعريف الشيعة مرّة أخرى بهذا الوليّ المقرّب و الوفيّ.

كان السيّد علي الشوشتريّ من أصدقاء الشيخ الأنصاريّ، و كان بدوره قد بلغ شوطًا كبيرًا في المقامات الروحيّة و المعنويّة. و كان يُباحث الشيخ علميًّا و يستفيد منه و يُدلي له بما عنده. فكان تلميذًا للشيخ في الفقه و الأصول، و أستاذًا له في الأخلاق. كانت صداقتهما وثيقة جدًّا إلى حدّ أنّهما لم يكونا يفترقان في سفرٍ و لا حضر. و في أوقات الزيارة كانا يذهبان معًا إلى كربلاء المقدّسة. و في إحدى تلك الزيارات بعد أن مكثا معًا في كربلاء ثلاثة أيّام متوالية، قال الشيخ الأنصاريّ: لا بدّ من العودة إلى النجف الأشرف. و قد وافق السيّد على ذلك، و اتّفقا على العودة في صبيحة اليوم التالي. ثمّ توجّها إلى النوم في تلك الليلة، و لكن الشيخ تظاهر بالنوم إلى أن تصوّر أنّ السيّد قد غطّ في نومٍ عميق، و كان الوقت لا يزال مبكّرًا جدًّا، و هناك متّسعٌ من الوقت حتّى يحين وقت السحر و نافلة الليل. لكن لم يكن في حسبانه أنّ نوم السيّد عليّ خفيف، و لذا فقد أيقظته حركته و فتح عينيه و أخذ يرقب الشيخ بطرفٍ خفيٍّ و هو مستلق في مكانه. فرأى أنّ الشيخ قد أسبغ وضوءه، ثمّ أخذ عباءته و وضع عمامته على رأسه و لبس نعليه و انطلق إلى الخارج. تعجّب السيّد من خروج الشيخ في مثل هذا الوقت من الليل. ثمّ قال في نفسه: لعلّ الشيخ قد أخطأ في تقدير الوقت فخرج لكي يصلّي صلاة الليل ظنًّا منه أنّه وقت السحر. و لكنّه ما إن أدرك أنّ الشيخ قد خرج من باب الباحة، حتّى ساوره بعض القلق، فاستوى جالسًا، ثمّ قام و وضع عليه رداءه ليلحق به. ففتح الباب بحذرٍ و حدّد وجهة الشيخ. و بعد أن رآه قد ابتعد قليلًا، خرج من الدار و راح يقتفي أثر الشيخ بخطى متقاربة، و هو يشدّ أزرار ثيابه في أثناء الطريق.

سلك الشيخ أزقّة كربلاء كسابق عهده، حتّى وصل إلى بوّابة بغداد و تحديدًا إلى ذلك البيت الريفيّ الصغير. وقف أمام الباب و ألقى السلام، فجاءه الردّ من الداخل. فسأل الشيخ: هل أستطيع العودة غدًا؟ فجاء الجواب: «هل أنجزتَ ذلك الأمر؟». فقال: كلّا. فجاء الخطاب: «لستَ مأذونًا بالعودة، ابقَ غدًا». فقال الشيخ: سمعًا و طاعةً. ثمّ استأذن و عاد أدراجه. فأسرع السيّد عليّ بالعودة إلى مكان نزوله ليصل قبل الشيخ، و تظاهر بالنوم في فراشه. أخفى رأسه تحت الغطاء و تولّى بوجهه نحو الحائط، كي لا يُلحظ تصاعد أنفاسه. و بعد قليل وصل الشيخ ليجد السيّد نائمًا في فراشه، فاطمأنّ إلى أنّه لم يشعر بشيء.

و منذ أن أشرقت شمس اليوم التالي و السيّد يبحث عن ذريعة ليبدأ الكلام؛ فقال للشيخ: هل سننطلق اليوم إلى النجف الأشرف؟ فقال الشيخ باقتضابٍ و حزم: كلّا. فكأنّ

جوابه الموجز هذا قد أغلق الباب أمام طرح المزيد من الأسئلة، فآثر السيّد ترك الحديث. انقضى ذلك اليوم، و حلّ الليل ثانية و حان وقت النوم. لكن السيّد ما كان ليغمض له جفنٌ بعد ما جرى ليلة أمس، فآوى إلى فراشه و أغمض عينيه مُتظاهرًا بالنوم، ثمّ أرهف سمعه لاصطياد أدنى حركة. و بعد انقضاء شطر من الليل، ظنّ الشيخ بأنّ رفيقه قد استغرق في النوم، فنهض مرّة أخرى و جدّد وضوءه و ارتدى عباءته و عمامته و غادر إلى الخارج. كان السيّد يرقبه خلسةً و يرصد حركاته من بين أجفانه. و ما إن خرج الشيخ، حتّى أزاح الغطاء و استوى قائمًا. و مثل الليلة السابقة، سار خلف الشيخ بعد خروجه بقليل. ذهب الشيخ إلى الكوخ الصغير ذاته الّذي قصده في ليلته الماضية. و هناك سلّم مرّة أخرى و سمع الجواب. ثمّ سأل: «هل يؤذن لي بالذهاب غدًا؟» فصدر له الإذن بذلك هذه المرّة. و ما إن همّ الشيخ بالعودة، حتّى سبقه السيّد و رمى بنفسه على فراشه، و تظاهر بالنوم من جديد كما كان منه في المرّة السابقة.

و في الصباح الباكر، قال الشيخ: سوف نعود اليوم إلى النجف؛ فوافق السيّد على ذلك. فانطلقا معًا و خرجا من بوابة المدينة، و لمّا وصلا إلى منتصف البوادي لم يعد بمقدور السيّد كتمان ما كان قد اطّلع عليه من أمر الشيخ؛ فالتفت إليه و قال: لديّ سؤالان أودّ طرحهما عليك. و إذ كان الشيخ أستاذه في الفقه و الأصول؛ فقد تصوّر أنّ لدى السيّد بعض الأسئلة العلميّة في هذين المجالين؛ فقال له: سَل ما بدا لك. فقال السيّد دون أن يأتي على ذكر اسم الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف: سؤالي الأوّل هو لماذا يسكن في كوخٍ صغير بالقرب من بوّابة بغداد بدلًا من الحرم و حُجراته؟ في تلك اللحظات لم يُبد الشيخ أيّ انفعال، و أجاب كأنّه لا يعلم شيئًا: عمّن تتحدّث؟ فقال السيّد: عن مولانا و سيّدنا الّذي سكن هناك. أنا على علم بهذا الأمر؛ فما هو السرّ في ذلك؟ و إذ كان الشيخ تلميذ السيّد في درس الأخلاق و يعلم أنّه من أهل الكرامات و المعنويّات؛ فقد تصوّر أنّه توصّل إلى هذه الحقيقة من طريقٍ غيبيّ. فقال في الجواب: لم يتّخذ من الحرم و الصحن الشريف منزلًا له، رعايةً لحرمة المكان؛ لأنّ الحرم ليس مكانًا مناسبًا للسكن و النوم و المبيت. ثمّ انتقل السيّد إلى السؤال الثاني، و قال: ما هو ذلك الأمر الّذي سألك عنه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الليلة الأولى، و لم تكن قد أنجزته، و قلت في الليلة الثانية: إنّك قد أنجزته؟ و هنا علم الشيخ أنّ السيّد قد اقتفى أثره في المرّتين، و أنّه قد اطّلع على سرّه. فقال في الجواب: إنّ هذا من الأسرار! و مهما كان السيّد

يلحّ على الشيخ بكشف هذا السرّ، كان الشيخ يزداد إصرارًا على كتم الجواب، حتّى أخذ عليه في نهاية المطاف عهدًا بعدم الكشف عن هذه القضيّة ما دام الشيخ على قيد الحياة، و كان السيّد نِعم المُعاهد الوفيّ.

المُنتظِر المُنتظَر

لا يزال عدد أنصاره لا يتجاوز عدد الأصابع، بيد أنّ الرجل الواحد منهم يوازي أمّةً بأكملها. لقد أصبح عدد سنوات عمره الشريف يتألّف من أربعة أرقام، و لكنّه لا يزال ينتظر اكتمال نصاب أنصاره الثلاثمئة و ثلاثة عشر شخصًا! صحيحٌ أنّ الكثيرين من الشيعة يلجؤون إليه في الشدائد و الأحداث الاجتماعيّة الخطيرة و يحصلون منه على أفضل الحلول و النتائج، بيد أنّ المؤمنين الحقيقيّين به لا يزالون قلائل...

توفّي الشيخ الأنصاريّ سنة ١٢٨١ للهجرة، بيد أنّ اليد البيضاء لإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف رفدت الشيعة بمصابيح هداية جديدة. فبعد رحيل الشيخ الأنصاريّ تولّى الميرزا الشيرازيّ ـ و هو تلميذه الخاصّ و الأثير على قلبه ـ مرجعيّة الشيعة.

مدينة العاشقين

بعد رحيل الشيخ الأنصاريّ، انقضى أَجَل العهود الّتي كان قد قطعها له تلاميذه و كلّ من رأى منه كرامةً تُظهر مدى ارتباطه و صلته بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و منهم السيّد عليّ الشوشتريّ. و من يدري لعلّهم قصدوا مرّاتٍ عديدة ذلك الكوخ الصغير الواقع في شمال كربلاء، و قد كانوا يحفظون العنوان في أذهانهم جيّدًا. لكن مع أنّ أبصارهم لا تزال قويّةً و يتمتّعون بنظرٍ حادّ، خلافًا لما كان عليه الشيخ الأنصاريّ، إلّا أنّهم لم يتمكّنوا من العثور على ذلك الكوخ أبدًا.

و في جميع منعطفات العصر، فإنّ إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف يمدّ يد العون إلى شيعته، سواء في القرارات السياسيّة و الاجتماعيّة المصيريّة أم غيرها، كما أنّه يعمل في الوقت نفسه على تربية المنتجَبين من أنصاره و إعدادهم. فهو عجّل الله تعالى فرجه الشريف في عام ١٣٠٨ للهجرة، قد أولى عنايته الخاصّة إلى اثنين من خُلّص أنصاره، أحدهما في تبريز و الآخر في أصفهان و أرشدهما إلى التوجّه نحو النجف الأشرف.

أمّا الناصر الأوّل فهو السيّد عليّ القاضي، فبعد أنّ أنهى دراسة المقدّمات و قسم من مرحلة السطوح في مدينة تبريز، انتقل إلى النجف الأشرف حيث اتّخذ لنفسه حجرة في مدرسة الهنديّ سنة ١٣٠٨ للهجرة، و كان له من العمر آنذاك ست و عشرون سنة تقريبًا. و بالإضافة إلى انشغاله بالدروس الحوزيّة، كان يبدي اهتمامًا بالغًا بصلاة الليل و يواظب على الأذكار المستحبّة. و لم يكن ينسى زيارة أهل القبور يومًا و كان يكثر من التردّد إلى وادي السلام. و كانت له حجرة خاصّة للعبادة في مسجد السهلة، و كان يذهب إليها مشيًا على الأقدام و يخلو فيها مع إمام عصره عجّل الله فرجه الشريف لمناجاته. و مع فقره و ضيق الحال لكنّه كان يراعي الآداب الإسلاميّة؛ فيرتدي الثياب البيضاء و يتعطّر بالطيب. و كان إمام العصر عجّل الله فرجه الشريف يرعاه و يعمل على هدايته خطوة بخطوة.

و أمّا الناصر الآخر، فهو السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ[1] إذ توجّه هو أيضًا في تلك السنة نفسها إلى النجف الأشرف، و كان قد بلغ أربعًا و عشرين سنة. و هو من مواليد قرية مديسه من توابع لنجان في أصفهان، و قد ترعرع في أسرة علميّة من السادة الموسويّة. و كان منذ شبابه شغوفًا بطلب العلم، و قد استفاد الكثير من علماء أصفهان. و خلافًا للسيّد علي، فإنّ والد أبو الحسن لم يطق صبرًا على فراق ولده بعد انتقاله إلى النجف الأشرف، فتوجّه إلى العتبات المقدّسة لإعادته معه، بيد أنّ أستاذه الآخوند الخراسانيّ استطاع إقناع الوالد بأن يترك ولده أبو الحسن عنده. و مع مرور الأيّام أصبح السيّد من كبار العلماء حتّى انحصرت به المرجعيّة الكبرى للشيعة في أواخر حياته. و قد تمتّع طول عمره بدرجة من التقوى و الورع قلّ نظيرها، بالإضافة إلى ما كان يتمتّع به من سعة صدرٍ تفوق الحدود؛ إلى درجة أنّه إذا تعرّض للشتم لم يكن لا يردّ على الشاتم فحسب، بل كان يخشى أن يبادر الآخرون إلى الردّ عليه بشتمه أو إيذائه، و لذلك كان يحرص على قراءة الرسائل الّتي تصله و الردّ عليها بنفسه، و لم يكن يرضى بتوظيف مساعدٍ لتسلّم رسائله مخافة إفشاء أسماء الأشخاص الّذين يشتمونه في رسائلهم، فيتسبّب بذلك لهم ببعض المشكلات. و كان قد عفا حتّى عن قاتل نَجله، و بعد فكّ قيده، أعطاه مقدارًا من المال، ليستعين به على معاشه و تأمين نفقات حياته. و كان سلوكه المهدويّ هذا يؤنس الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف و يجعله يفتخر بصنيعه.

---

(١) بما أنّ «أبو الحسن» هو اسم السيّد الأصفهانيّ رحمه الله لا كنيته، فلا تجري عليه أحكام الأسماء الخمسة في الإعراب، فيبقى مرسومًا بالواو في الرفع و النصب و الجر و تُقدّر الحركة على الواو مع اختلاف العوامل الداخلة على الاسم. و قد اتّبعنا هذه القاعدة في هذا الكتاب.



لا يَسمح لأيٍّ كان بالدخول إلى حريمه. فهو في كلّ يوم يستقبل مُشتاقًا ليصبّ في قلبه الطمأنينة، و يجافي آخر حتّى يضطرب و يختار بنفسه الإعراض عن اللقاء أو يصيبه اليأس من ذلك.

في العام ١٣١٢ للهجرة، كان السيّد علي القاضي لا يزال شابًّا له من العمر ثلاثون سنة، بَيد أنّ طلّاب القرب الإلهيّ أخذوا يطّلعون شيئًا فشيئًا على الجوهر المكنون في صدره. فكانوا يقصدونه و يجتمعون في حجرته الصغيرة في مدرسة الهنديّ ليقتبسوا من نوره. و كان من سجاياه البارزة أنّه كان يثابر على ذكر «يا صاحب الزمان» في كلّ حركةٍ منه أو سكون، عند قيامه أو جلوسه، عند كلامه أو سكوته.

لم يكن أحد يعرف حقيقة ارتباطه بمولاه و كنه علاقته به، و لكنّ ما سطع من نور تلك الحقيقة كان كافيًا لبيان مدى هيامه بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ولهه به. كانوا يسألونه أحيانًا عن طبيعة حياة إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف فيجيبهم: إنّه يعيش عيشة طبيعيّة! و إذا ما طلبوا المزيد من التوضيح؛ قال لهم: لا تسألوني عن مثل هذه الأمور. و كان المطّلعون على أحواله يحتملون أن يكون قد تشرّف بلقاء إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لذلك فقد سأله أحدهم ذات مرّة: هل تشرّفتم بلقاء الإمام وليّ العصر أرواحنا فداه؟! فكان جوابه يُنبئ عن أنّه لم يكن يعيش أيّامه في عصر الغيبة أساسًا؛ إذ قال:

«عميت كلّ عينٍ تستيقظ في الصباح، و لا تقع أولى نظراتها على إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف!».

إنّ إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف لم يقتصر على السماح له بالدخول إلى حريمه فحسب، بل أعطاه بصيرةً يعرف بها الشخص الموالي من غيره. و لِما يتّصف به من الصبغة المهدويّة، كان كلّ من يسعى للتشرّف بلقاء إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، يقصده و يطلب إليه النصيحة. لكن لم يكن

الجميع يستحقّ هذا الشرف. و حدث ذات يوم أن كان هناك شخص يُسيء معاملة عياله؛ فطلب إلى السيّد القاضي أن يرشده إلى سبيلٍ إلى لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فلم يسمع منه غير هذا الجواب: «أين غلاظة الطبع من الوصول إلى هذه المرتبة؟!».

و كان الشيخ محمّد تقي الآمليّ أحد أولئك الّذين يرومون لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كانت حدائق الشوق قد نبتت في صدره. و قد قصد الأستاذ السيّد عليّ القاضي مرارًا بهذا الغرض و طلب إليه أن يعلّمه عملًا أو يرشده إلى طريقةٍ تُمكّنه من بلوغ أمنيته. و لمّا كان السيّد يرى أحوال الطالب و عظمة الطلب، كان يتهرّب من الجواب في كلّ مرّة. و مع أنّ إعراض الأستاذ قد تكرّر، لكنّ الشيخ الآمليّ كان يواصل الإصرار على طلبه. فقصد مدرسة الهنديّ مرّةً أخرى و ذهب إلى حجرة السيّد عليّ ليسأله علاجًا لجرحه القديم، لكنّه لم يجده في الحجرة. و إذ لم يكن يستحوذ على تفكيره سوى هذا الأمر، فقد عقد العزم على البقاء هناك إلى حين عودة الأستاذ. و انتظر طويلًا حتّى رجع الأستاذ آخر الأمر. فهرع إليه و وقف في طريقه قائلًا: لقد انتظرتك طويلًا في هذا المكان؛ لأنّي بحاجة ماسّة إلى استخارة. و لأنّ الأستاذ كان يعرف غايته جيّدًا، و لم يكن يريد أن يفسح له المجال كثيرًا؛ فقد قال له بنبرة تأنيبيّة: أيكون المرء طالب علم، و يمكث في النجف الأشرف سنوات، و لا يمكنه أن يستخير لنفسه؟!

خجل الشيخ الآمليّ كثيرًا عند سماع هذه العبارة، و لكنّه مع ذلك لم ينكص على عقبيه، و قال بنبرة جادّة تمامًا: أنا بحاجة إلى إذن الوليّ الأكبر بالاستخارة. و في ضوء الكلمات السابقة الّتي كانت متبادلة بين التلميذ و أستاذه، كان معنى هذا الكلام واضحًا جدًّا؛ فقد كان يريد أن يصدر له الإذن بالاستخارة من إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه. لم يستجب السيّد القاضي لطلبه، و قال: إنّ الإذن العام نفسه الّذي أصدره لأوليائه يكفينا، و لا حاجة إلى صدور إذنٍ خاصّ! بيد أنّ الشيخ الآمليّ لم يكفّ عن السؤال قطّ. و أخذ هذه المرّة يصرّ على الأستاذ أن يعلّمه ذكرًا خاصًّا يساعده على تحقيق هذه الأمنية. و بعد أن رأى السيّد القاضي إصرار تلميذه و صلب إرادته، استجاب لطلبه أخيرًا و أوصاه بقراءة آية النور في ليالٍ محدّدة و معيّنة، و بعددٍ معلوم، قبل النوم على طهارة و في ضوء شرائط خاصّة.

عاد الشيخ الآمليّ بعد حصوله على هذه الوصفة إلى بيته سعيدًا مغتبطًا، و أعدّ نفسه للمثابرة على هذا العمل في الأوقات المحدّدة، ثمّ عقد العزم على الذهاب إلى مسجد

السهلة و القيام بتلك الأعمال في ذلك المكان. و بالفعل اعتكف هناك مدّة و أخذ يؤدّي الأعمال و يردّد الأذكار في مقام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و كان في كلّ يوم يزداد شوقًا إلى اللقاء، و يحصل له يقين بقرب تحقُّق الغاية. و في إحدى تلك الليالي قبل أن يشرع بترديد الأذكار، أحسّ بشخصٍ يضع يده على كتفه. نظر إلى جنبه فرأى شخصًا مهيبًا يقول له بصوت مهول: «استعدّ للتشرّف و اللقاء!». لم يتّضح ما فعلته هذه العبارة به؛ حتّى ملأ الرعب جميع أركان وجوده و اقشعرّ بدنه ذُعرًا. ابتلع ريقه بصعوبة بالغة، و سيطر عليه اضطراب شديد و تخدّرت أطرافه و تسارعت نبضات قلبه تضخّ الدم بجنونٍ حتّى كاد يشعر أنّها لحظاته الأخيرة. هذه الحالة الّتي انتابته، دفعته ليرمي خلف ظهره كلّ ذلك الإلحاح و الشوق لرؤية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كلّ تلك الأيّام و الليالي الّتي لم ينشغل فيها بغير ذكر مولاه، إذ عندما فُتح الباب بعد طول قرعه، و إذا به يروم الفرار من شدّة الهيبة و الذعر. فشرع يتوسّل إلى ذلك الرجل النورانيّ و يطلب إليه العفو، و يسأله أن يخلي سبيله! فقبِل منه ذلك و ذهب عنه.

بعد هذه الحادثة عاد الشيخ الآمليّ إلى النجف مباشرة، و ذهب إلى لقاء السيّد القاضي. و قبل أن يتفوّه بحرفٍ بادره السيّد بالقول معلِّلًا الحكمة وراء ردّه المتكرّر لتلميذه: «إن لم تكن مستعدًّا للتشرّف، فما الّذي دعاك إلى كلّ ذلك الإلحاح و الإصرار؟!».

ربما كانت الأمنية الوحيدة للشيخ الآمليّ في تلك اللحظة هي أن يعلم من أين عرف أستاذه بالذي حدث معه، مع أنّه لم يكن هناك سوى ذلك الرجل الّذي هو من رجال الغيب. و كان الجواب الوحيد الّذي وصل إليه هو أنّه لا يوجد أيّ حائل بين العاشق و المعشوق!

وصول الحوالة

صحيح أنّه ليس للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف نائبٌ خاصّ في هذا العصر، لكن لو لجأ إليه شخص بكلّ صدقٍ و نيّةٍ خالصة، فإنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف سوف يرشده إلى الفقيه الأرضى لقلبه...

في عام ١٣٣٨ للهجرة، كان الكثير من العلماء الأجلّاء من تلاميذ الميرزا الشيرازيّ الكبير قد ارتحلوا عن هذه الدنيا، ابتداء من الآخوند الخراسانيّ إلى السيّد محمّد كاظم اليزديّ، و الميرزا محمّد تقي الشيرازيّ الّذي ارتحل على ما يبدو مسمومًا على أيدي عملاء

الإنكليز في شهر ذي الحجّة من هذا العام. و مع وجود عدد من العلماء العِظام إلّا أنّ البعض لم يكن يعرف من هو الفقيه الّذي يتعيّن عليه الرجوع إليه. فمهما كان فإنّ مرجع التقليد يُتوقّع منه أن يكون ممثّل إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لا يمكن تحصيل اليقين بمثل هذه المنزلة بسهولة.

وكان من أولئك المتحيّرين السيّد عليّ نقي الهنديّ، و هو طالب علمٍ طيّب القلب طاهر السريرة، قد جاء في تلك السنة من الهند إلى النجف الأشرف لدراسة العلوم الدينيّة، و لم يكن لديه الكثير من المعارف في هذه البلاد. و في مستهلّ وصوله إلى مدينة النجف أدرك أنّ الكثير من العلماء الكبار قد رحلوا عن هذه الدنيا. فاغتمّ لذلك إذ لم يكن يعلم إلى أيّ فقيه يتعيّن عليه الرجوع في مسألة التقليد. و ذات مرّة ذهب إلى كربلاء للزيارة. فوجد عند باب الخروج من الحرم المطهّر للإمام الحسين عليه السلام عددًا من الأشخاص يوزّعون على الناس بالمجّان الرسائل العمليّة المطبوعة لبعض العلماء، وكانوا يتنافسون على ذلك. و لمّا رأى ذلك أدرك أنّ الطلّاب و أهل العلم أنفسهم لم يجتمعوا على رأي واحدٍ في هذا الشأن، وكانت كلّ مجموعة منهم تميل إلى أحد العلماء الأحياء، الأمر الّذي زاد من حيرته و تردّده.

كان السيّد عليّ نقي يريد منذ ريعان شبابه أن يسير بخطًى واثقة و ثابتة في سلوكه إلى الله عزّ و جلّ، و لكنّه لم يكن يمتلك معرفة كافيةً عن الأحياء من علماء النجف الأعاظم. وكان كلّما فكّر في الأمر لم يجد ملاذًا غير إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وكان يدرك أنّ الطريق الوحيد يكمن في اللجوء إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مباشرة و التوسّل به. فعقد العزم على أن يطلب الهداية منه لحلّ هذه المعضلة. و في نهاية المطاف وصل إلى قرار مفاده أن يعتكف أربعين ليلة في مسجد السهلة، و أن ينشغل بالعبادة في مقام إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف حتّى تنكشف له الحقيقة. فأعدّ نفسه و توجّه إلى مسجد السهلة.

أمضى ليله و نهاره هناك لا يفكّر في غير حلّ عقدته. وكان في الليالي يدعو إمامه و مولاه بحرقة حتّى بات قلبه مُهيّأ لحضور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و طوال هذه المدّة كان إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرعاه بعنايته الخاصّة و يحيطه بعطفه، فيتأكّد إخلاص السيّد عليّ نقي و يزداد نورانيّة لحظةً بلحظة. و قبل اكتمال الأربعين يومًا رأى فجأةً نورًا يسطع في مقام الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أدرك أنّه نور إمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ثمّ أشار هذا النور إلى شخصٍ و قال له: «قلِّد هذا

السيّد!». فمال السيّد عليّ نقي ببصره حيث أُشير له، و إذا به يرى سيّدًا جالسًا في ذلك المقام. ثمّ اختفى النور فجأة كما ظهر، و اختفى ذلك السيّد الجليل أيضًا. و لفرط ما حصل عليه ذلك الطالب الهنديّ من قمّة الإحساس و الشعور المعنويّ، نسي تمامًا في تلك اللحظة أن يسأل عن اسم ذلك السيّد و هويّته. فحصل على جواب ندائه و لكن من دون أن يعلم شيئًا عن اسم ذلك السيّد أو عنوانه. و لم يبقَ في ذهنه سوى هيئة السيّد و ملامحه، و حدس أنّه يسكن في النجف الأشرف. إلّا أنّه لم يكن ليقتنع بهذا المقدار، بل كان يريد أن يأتي ذلك السيّد إليه و يقول له إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد أرجعك إليّ. خرج من مسجد السهلة و قصد مسجد الكوفة. لم تكن همّته الحديديّة لتلين بمثل هذه السهولة. و عاد الأمر بالنسبة إليه عودًا على بدء؛ إذ بسط سجّادة عبادته هناك و انشغل بالدعاء و العبادة و التوسُّل. و في أحد تلك الأيّام ذهب السيّد القاضي إلى مسجد الكوفة. و عندما رآه الطالب الهنديّ وجد أنّه يحمل الملامح و الصفات نفسها الّتي يتحلّى بها السيّد الّذي رآه في مسجد السهلة. و ما هي إلّا لحظات حتّى تقدّم منه السيّد القاضي و بادره بالقول: «سلني ما بدا لك من أحكام الدين، و اعمل بها، و لكن لا تُفشِ هذا الأمر لأحد!». و كما يُقال: «كانت تلك الحوالة و هذا هو الوصول!». يا لها من معاملات يقوم بها إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف مع مواليه و محبّيه!

و لشدّة ما انتابه من السرور و البهجة، نسي السيّد عليّ نقي ثانيةً أن يسأل عن اسم السيّد القاضي و عنوان سكنه. فذهب إلى النجف و أخذ يتصفّح الوجوه حتّى أفلح أخيرًا في العثور عليه. و منذ ذلك الحين صار يسأله عن أحكام دينه باطمئنانٍ كامل. و لم يعد لديه أيّ شك أو تردّد في ما يواجهه في حياته من تكاليف شرعيّة أو وظائف عمليّة، و كان في غاية السعادة أن سار على الجادّة الّتي بيّنها له الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

ظلّ السيّد عليّ نقي على هذه الحالة ما يزيد على عشرين سنة، و كان يرى في السيّد القاضي ملجأ و ملاذًا له في مختلف الأسئلة الّتي تعرض له. حتّى كان في شهر ربيع الأول من عام ١٣٦٦ للهجرة رحيل السيّد عليّ القاضي عن هذه الدنيا ليُدفن في وادي السلام. و عاد السيّد الهنديّ إلى ما كان عليه في أيّام شبابه من الحيرة و التردّد، و ظلّ على هذه الحالة مدّة من الزمن، و لكن هذه المرّة لم تدم مدّة حيرته طويلًا؛ إذ سرعان ما صار السيّد القاضي يأتيه في عالم الرؤيا ليُجيبه عن كلّ ما يجول في ذهنه من تساؤلات.



كان السيّد ممتلئًا باليقين، و هو رأس المال الّذي يشتريه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يرغب فيه...

يحدث كثيرًا في عصر الغيبة الكبرى أن يطلب شخصٌ لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لحاجته الشخصيّة، و لكنّه لا يهيّئ نفسه لذلك كما ينبغي، إذ لا تزال ذنوبه الكبيرة و الصغيرة تشكّل حاجزًا يحول دون تحقّق ذلك. لكن قد يحصل في بعض الأحيان أن يؤدّي لقاء شخصٍ واحدٍ إلى هداية مئات أو آلاف الأشخاص الآخرين، و من الواضح أنّ تحقُّق هذا التشرّف يحظى عند الله تعالى بأهمّيّةٍ مضاعفة؛ إذ يكون سببًا في خلاص الكثيرين من الخلود في النار، و الانتقال إلى الجنّة الّتي وُعد بها المتّقون، و هذه هي الغاية من إرسال الأنبياء و تنصيب الأئمّة الأطهار عليهم السلام. إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يضنّ أبدًا على طالبٍ للحقيقة بمثل هذه اللقاءات، بل يلبّي رغبته بكلّ أبوّةٍ و اهتمام، فيستدعيه إليه و يستقبله بأحضانه. نعم، إنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يهدي مَن ينشد الهداية، من أيّ دينٍ أو مذهبٍ كان، و في أيّ زمنٍ، سواء أفي الحضور كان أم في الغيبة.

و ذات يوم كان السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ جالسًا في بيته، و كان عنده عددٌ من تلاميذه و المقرّبين منه. فأقبل ساعي البريد ليوصل رسالة إلى السيّد. قام السيّد بفتح الرسالة فرأى أنّها من جهة السيّد بحر العلوم اليمنيّ ـ الزَّيديّ ـ و كانت الرسالة تحتوي على ورقتَين. الورقة الأولى تشتمل على قصيدةٍ من ستّة عشر بيتًا من الشعر لرجلٍ بغداديّ من أبناء العامّة، في الردّ على الاعتقاد بوجود الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الاستهزاء بهذه العقيدة، و كان قد سبق لهذا الرجُل أن بعث بهذه الأبيات في رسالةٍ إلى السيّد بحر العلوم اليمنيّ. و أمّا الورقة الثانية فقد كانت من بحر العلوم اليمنيّ نفسه، و فيها قد طلب إلى السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ أن يُقدّم له دليلًا و برهانًا على صحّة الاعتقاد بوجود الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

قام السيّد الأصفهانيّ أوّلًا بقراءة الرسالة بصمتٍ، و ارتسمت البسمة على شفتيه. و بعد أن اطمأنّ إلى أنّ الرسالة لا تحتوي على ما لا يمكن البوح به، قرأها على مسامع الحاضرين محتفظًا بالبسمة على شفتَيه. ثمّ كتب له في الجواب دون إبطاء: «تعالَ إلى النجف الأشرف، حتّى أُريك الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف!». ثمّ ختم الرسالة و أعطاها صهره و قال له: ضعها في صندوق البريد. أصابت الدهشة مَن كان حاضرًا في المنزل بسبب هذا الجواب من السيّد؛ و لم يفهموا مراده. و قالوا في أنفسهم: ربما كان السيّد الأصفهانيّ يقصد أنّه سيُريه وجود إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف من خلال الأدلّة التأريخيّة و النقليّة عندما يقدم إلى النجف الأشرف. طبعًا لقد قام بعض العلماء الآخرين بكتابة ردود على أبيات الشاعر البغداديّ، حتّى إنّ الشيخ كاشف الغطاء قد نظم قصيدةً من مئة و ستين بيتًا على ذات الوزن و القافية، و ذكر فيها أسماء علماء السُّنّة من القائلين بالإمامة و العقيدة المهدويّة، مع ذكر أسماء كتبهم الّتي ذكروا فيها هذه العقيدة. لكن يبدو أنّ السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ كان يُخفي في نفسه جوابًا من نوعٍ آخر!

لقاء الشمس

يهدي من يقصده مهما كان دينه أو مذهبه...

مضى على تلك الحادثة شهران. و لعلّ الحاضرين في تلك الجلسة قد نسوا عبارة السيّد معتقدين أنّه إنّما بيّن كلامه في تلك الرسالة بنحوٍ قاطعٍ و حازمٍ حتّى يتراجع بحر العلوم اليمنيّ من تلقاء نفسه و ينسحب من المعركة و يُغمد سيفه. و من ناحيةٍ أخرى كان من المُستبعد أن يأتي ذلك الشخص من اليمن إلى النجف الأشرف اعتمادًا على عبارةٍ لا يعلم مدى صحّتها. و كانوا يقولون: إنّ السيّد الأصفهانيّ إنّما أجاب بذلك الجواب لعلمه بأنّه لن يأتي إلى النجف. و في أحد الأيّام، كان السيّد الأصفهانيّ يصلي فريضتَي المغرب و العشاء في صحن مرقد أمير المؤمنين عليه السلام المطهّر، و في هذه الأثناء جاء أحد الشيوخ العرب على عجل و اسمه الشيخ عبد الصاحب و قال له بشيء من الاضطراب: لقد جاء السيّد بحر العلوم اليمنيّ إلى النجف، و قد نزل في المنطقة الفلانيّة. و بذلك بدأت القضيّة تأخذ منحًى جادًّا! و كان المطّلعون على فحوى رسالة السيّد الأصفهانيّ الجوابيّة، يعدّون الوقت بالدقائق و الثواني و يترقّبون ما سيفعله السيّد الأصفهانيّ في هذه الحالة. إنّ الرحلة الطويلة الّتي قطعها العالم اليمنيّ كانت تدلّ على صدق بحثه عن الحقيقة، و كان

الإمام رَحِمَهُ‌اللهُ مطّلعًا على صدقه هذا و وجده أهلًا ليريه آيةً بيّنة. و مع انشغال السيّد أبو الحسن في حينها، و لكنّه رأى أنّه من الواجب الترحيب بالضَّيف و الوافد الجديد، فقال: لا بدّ من الذهاب الآن لرؤيته؛ فذهب برفقة بعض العلماء و عددٍ من أصهاره و أولاده لرؤية السيّد بحر العلوم اليمنيّ. فرحّبوا به و تفقّدوا أحواله. و لكنّ السيّد بحر العلوم اليمنيّ كان ـ على ما يبدو ـ يستعجل الدخول في صلب الموضوع مباشرة؛ فأشار إلى الرسائل المتبادلة. و كأنّ صبره قد نفِد بحثًا عن الحقيقة. و لأنّ السيّد أبو الحسن كان منشغلًا في تلك الليلة، قال: لا يوجد الآن متّسعٌ من الوقت للكلام، لكَوني في عجلةٍ من أمري. و هنا ربما قال السيّد بحر العلوم اليمنيّ في نفسه: إنّ السيّد الأصفهانيّ يحاول كسب الوقت للتفكير في منفذٍ يخلّصه من تبعات الادّعاء الكبير الّذي ادّعاه! و لكن السيّد استطرد قائلًا: تعالَ في الغد لتناول العشاء في منزلنا، و سوف نتحدّث في هذا الموضوع هناك. ثمّ قام السيّد الأصفهانيّ و عاد إلى منزله برفقة حاشيته. كان الجميع ينتظر ما سيفعله السيّد في الغد بفارغ الصبر، فقد كتب في رسالته عبارةً لها وَقعها في القلوب و ادّعى أمرًا عظيمًا، و لم تكن هناك طريقٌ إلى الانسحاب أو التراجع! و كانت سمعة شخص على مستوى المرجعيّة الدينيّة على المحك. ثمّ إن لم يحقّق وعده فإنّ سمعة جميع الشيعة ستكون في مهبّ الريح. و لكنّ وجه السيّد الأصفهانيّ و ملامحه لم تُشر إلى أيّ علامةٍ تدلّ على الاضطراب أو القلق، بل كان هادئًا و مطمئنًّا، و كأنّه يستند إلى ركنٍ وثيق!

و في الليلة التالية جاء السيّد بحر العلوم اليمنيّ برفقة نجله إبراهيم إلى منزل السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ. فأحسن ضيافتهما و قدّم لهما الطعام. ثمّ نادى خادمه مشهدي حسين، و قال له: أسرج المصباح لأنّنا نريد الخروج من البيت. كان الظلام دامسًا في الخارج، و لا بدّ من وجود الضياء لتلمّس الطريق. كان أولاد السيّد الأصفهانيّ و أصهاره و المقرّبون منه يتهيّؤون للخروج معه برفقة الضيوف، حتّى ينظروا ما الّذي سوف يفعله في تلك الليلة، لكنّهم تفاجؤوا إذ إنّ السيّد منَعهم قائلًا: لن يأتي معنا أيّ واحدٍ منكم! و كانت هذه أكثر الكلمات إيلامًا الّتي يمكنهم سماعها؛ فإذا كانوا لا يزالون في شكٍّ من أمرهم، فالآن قد استيقنوا أنّ السيّد يريد أن يُري ضيوفه أمرًا في غاية الأهمّيّة. خرج السيّد أبو الحسن و مشهدي حسين برفقة السيّد بحر العلوم اليمنيّ و نجله. و أخذ كلّ من تخلّف في المنزل يغبط مشهدي حسين و يقول في نفسه: يا ليتني كنت خادم السيّد الأصفهانيّ، ليسمح لي بمرافقته في هذه الليلة المهمّة! اصطحب السيّد الأصفهانيّ هؤلاء الثلاثة إلى وادي السلام،

حيث مقام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و عندما شارف السيّد الأصفهانيّ على الوصول إلى مقام الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أخذ السراج من مشهدي حسين، و قال له: ابقَ هنا إلى أن نعود. و هنا أخذ مشهدي حسين يشعر بما شعر به الّذين تخلّفوا في المنزل و لم يُسمح لهم بالمرافقة.

دخل ثلاثتهم إلى ساحة المقام؛ فوضع السيّد السراج على الأرض، و اتّجه إلى الجبّ فتوضّأ، ثمّ دخل المقام. أمّا بحر العلوم اليمنيّ و نجله فقد أمضيا الوقت في الصحن الخارجي. كان السيّد مشغولًا بالصلاة و صوته يصل إلى مسامع السيّد بحر العلوم اليمنيّ. ثمّ ما لبث أن أخذ بحر العلوم ينظر نظرةً استعلائيّةً و يهزّ برأسه مستهزئًا و هو يضحك. و إذا به فجأةً يسمع حوارًا يدور بين شخصَين داخل المقام؛ وكأنّ السيّد الأصفهانيّ كان يتحدّث مع شخصٍ آخر؛ فنظر السيّد بحر العلوم اليمنيّ إلى نجله و قال متعجّبًا: ليس هناك أحد، فمن هو ذاك الّذي يتكلّم معه السيّد الأصفهانيّ؟! ظلّت أصداء الكلام تتناهى إلى أسماعهما على مدى دقائق، دون أن يتبيّنا مضمون الكلام، و فجأةً أطبق الصمت و ساد السكون ثمّ نادى السيّد الأصفهانيّ قائلًا: ادخل يا بحر العلوم! فلم يفهم بحر العلوم اليمنيّ ما الّذي حدث، و لكنّه امتثل لكلام السيّد و دخل المقام. وكان نجله إبراهيم على وشك الدخول خلفه، لكنّ السيّد الأصفهانيّ منعه قائلًا: كلّا، لا تدخل أنت! و هنا أخذ إبراهيم يشارك مشهدي حسين و أولئك الّذين بقوا في المنزل شعورهم، و لكنّه أرهف سمعه و حدّ بصره من الخارج ليفهم ما الّذي يحدث داخل المقام؛ فتناهى إليه صوت الكلام مجدّدًا و استمرّ لما يقارب الخمس دقائق، و لكنّه مهما أجهد نفسه لم يكن ليفهم محتواه، بَيد أنّه فجأةً رأى نورًا أسطع من الشمس يشعّ من داخل مقام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و سمِع صيحةً عجيبةً تصدر من والده. ثمّ نادى السيّدُ الأصفهاني إبراهيم، و قال: تعال يا سيّد إبراهيم، فقد أُغمي على والدك، اسكب على وجهه شيئًا من الماء، و مسّد على كتفَيه.

هرع إبراهيم إلى جلب شيءٍ من الماء و عاد إلى والده مسرعًا خشية أن يكون قد وقع له مكروه، و استولى عليه قلقٌ شديدٌ بسبب ذلك، فأخذ يصبّ الماء على وجه والده على عجل، و يحرّكه بيدَيه. و بفضلٍ من الله سبحانه استفاق أبوه من إغمائه و فتح عينَيه. لم يجد إبراهيم فرصةً للتعبير عن سروره، حتّى رأى والده يجهش بالبكاء؛ ثمّ ارتمى على قدمَي السيّد يقبّلهما، و هو يقول: يا ابن رسول الله! يا ابن رسول الله! يا ابن رسول الله! التوبة! التوبة! التوبة! فحاول السيّد رفعه لكنّ وزن أبي إبراهيم لم يسعفه.

عَلِم إبراهيم أنّ السيّد أبو الحسن قد وفى بوعده، و أنّه قد أراه إمام الشيعة عجّل الله تعالى فرجه الشريف. لكن في الحقيقة كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو من أجاب عن رسالة بحر العلوم اليمنيّ بقلم السيّد حتّى يدعوه إلى ضيافةٍ لن تُنسى أبدًا! ثمّ قام السيّد الأصفهانيّ بعد ذلك بتعليمه أصول المذهب الشيعيّ الاثني عشريّ و تعاليمه. كما تشيّع نجله إبراهيم أيضًا. أمّا الّذين خُلّفوا في المنزل فقد كانوا ينتظرون عودة السيّد و ضيوفه و مهما صبروا لم يحصلوا على خبر، فخلدوا إلى النوم، و في الصباح الباكر واصلوا تتبع القضيّة؛ فعثروا على السيّد إبراهيم و سألوه عمّا حدث في الليلة الماضية؛ فابتسم و قال لهم: الحمد لله استبصرنا ببركة السيّد أبو الحسن!

لقاء واحدٌ لكنّ الملتقين ألوف!

لماذا يمتنع من لقاء من سيُحيي آلاف النفوس بمفرده...

إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يعلم جيّدًا أين يزرع بذرته! مضت هذه القضيّة و عاد بحر العلوم إلى اليمن. و بعد ذلك بأربعة أشهرٍ جاء عددٌ من الزوّار القادمين من اليمن إلى لقاء السيّد أبو الحسن، و هم يحملون معهم رسالةً من السيّد بحر العلوم اليمنيّ. و قد جاء فيها: بفضل رعايتكم و هدايتكم تشيّع حتّى الآن ما يزيد على الألفَين من الّذين يقلّدونني، و أصبحوا من الإماميّة الاثني عشريّة. يا لسرعة أثر ما فعله الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف!

في هذا الزمن لا يكون للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نائبٌ خاصّ، لكن من بين نوّابه العامّين هناك من هم أكثر طهارة و إخلاصًا من غيرهم، يقدّمون إلى إمام زمانهم قلوبهم و أرواحهم على طبق الوفاء بالعهد، و الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يملأ هذه الأطباق من ثمرات لقائه. كان ارتباط السيّد أبو الحسن بمولاه يذكّر الناس بالغيبة الصغرى. إذ كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرسل إليه توقيعات. ذات مرّةٍ أرسل إليه رسالةً بواسطة الشيخ محمّد الكوفيّ، ذكر فيها كيفيّة تعامله مع الشيعة في مرحلة تصدّيه للمرجعيّة، و ما هي المصارف الّتي يجب أن تُنفق فيها الأموال. أجل، إنّه ملتفتٌ إلى أدقّ التفاصيل و يعرف حاجات الشيعة و متطلّباتهم فردًا فردًا، كما أنّه مطّلعٌ على القضايا الاجتماعيّة العامّة و المصيريّة، و أحيانًا بواسطة بعض نوّابه العامّين يحلّ مشكلات شيعته و يُخرجهم منها بسلامٍ.

يعيش الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف حياة طبيعيّة كأيّ إنسان آخر، فهو يأكل الطعام، و ينام و يستيقظ، و يتقمّص و يرتدي، و يمشي في الأسواق و يجول في أزقّة المدن، و يمارس أعماله و يقضي شؤونه. و مَن يعلم لعلّه قد تزوّج أيضًا. و إن كان هذا حصل حقًّا، فأيّ جنّة خضراء تلك البقعة الّتي تطؤها هذه العترة الإلهيّة، و إن لم يكن هذا قد حصل فيا لَشقاوة هذا المجتمع الّذي إلى هذا الحدّ يُضيّق الخِناق على إمامه، حتّى إنّه يمنعه من أيسر مقتضيات الحياة. و لا يليق بالمجتمع الّذي صار من المألوف لديه إقامة المؤتمرات العالميّة لألفيّة كبار العلماء و رجال الأدب، أن يغفل أبناؤه عن الغيبة الكبرى لصاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّتي تجاوزت عتبة الألف عام، ما يستدعي إقامة مجالس العزاء.



و ربما عندما يقف الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في صحراء عرفات حيث وقف جدّه سيّد الشهداء عليه السلام قبل مئات السنين، يكون لسان حاله كما عبّر الإمام الحسين عليه السلام آنذاك:

«أشكو إلَيكَ غُربَتي وَبُعدَ داري».

بل لعلّ مناجاته أكثر حرقةً، فالله يعلم بماذا يترنّم في مناجاته هناك، لا أحد يسمع نداء غربته و بثّ حزنه إلّا أولئك الّذين لديهم آذان واعية! و لعلّ ما يزيح عن كاهل إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف ثقل جميع المصائب و يُدخل على قلبه المحزون بعض السرور هو إعداد الأنصار و تربية جيلٍ مهدويٍّ يضمّ قلّة من الأصحاب المخلصين الّذين وضعوا أقدامهم في ركاب العبوديّة و أوقفوا قلوبهم وقفًا كاملًا على صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و نِعم الإمام المشتري الّذي يُتقن تقييم مَن شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله.



عندما ينظر إلى صنيع يديه يبتهج من صميم قلبه و يبتسم...

لطالما غرس الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغيبة بذورًا صالحة أنبتَت أصنافًا من نباتٍ شتّى كانوا هم العلماء الربّانيّين؛ إذ إنّ كلّ عالمٍ منهم كشجرةٍ طيّبةٍ تؤتي أُكلها كلّ حينٍ. لكن هذه المرّة، شاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن ينظر نظرةً خاصّةً إلى إحدى تلك البذور و يوليها عنايةً استثنائيّة، ليُخرج عالمًا ربانيًّا هو بحدّ ذاته حديقة ذات بهجةٍ قد ازّيّنت بأشجارٍ طيّبة شتّى. إنّ تعاقب الدّهور عرّف الشيعة مرّةً أخرى إلى عالمٍ آخر من أخلّاء الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و قد أثبت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف من جديد أنّه بالإمكان الحصول على فؤادٍ ربيعيٍّ حتّى في قلب الشتاء و الصقيع. و حتّى عندما تتساقط الأوراق في فصل الخريف، يمكن لبعض الأشجار أن تهب الثمار اليانعة. و حتّى في صحراء الغَيبة القاحلة يمكن أن تجد شجرةً مقاومة. كما يمكن الرؤية حتّى في الليل ذي الظلام الدامس، شريطة أن يُسرَج مصباح الفؤاد!

حقًّا كان محمّدًا و كان تقيًّا أيضًا. و كأنّ «محمّد تقيّ» قد انتُجب منذ البداءة. و كأنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان يُحافظ على آبائه و أمّهاته نسلًا بعد نسل، و يغدق عليهم برعايته، حتّى يخرج من أصلابهم و أرحامهم أحد أقرب أصحابه. فقد نجا والده من الموت لمجرّد أنّه والده. لقد سقى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف برعم وجود محمّد تقيّ بالماء المعين كما يصنع المزارع الحريص على زرعه. فقد عرّفه في مدينة فومن شمال إيران إلى أشدّ الأشخاص مهدويّةً في تلك البقاع. ثمّ استدعاه إلى كربلاء المقدّسة و النجف الأشرف كي يعرّفه إلى أنصاره في هاتين المدينتين المقدّستين، و يتعلّم منهم دروس العشق و الولاء. و قد وضع في طريقه أساتذةً كانوا والهين في حبّهم لإمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و قد تشرّفوا بزيارته و لقائه. هكذا كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يُعدّه لضيافةٍ عظيمةٍ و حفلٍ ملكوتيّ.

لقد أودع محمّد تقيّ البهجة رضا إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف في مكنون صدره، و جعله محورًا لسلوكه، بحيث تحرّر من كلّ محبّةٍ أخرى و أخرجها من قلبه، بل إنّه لم يُدخل في حرم قلبه من الأساس محبّةً أخرى، كي يحتاج إلى إخراجها منه. لقد كان حقًّا بهجة الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و إنّ رؤية أمثال هؤلاء الأنصار المخلصين تُزيل غمّ الغَيبة عن قلب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

لم يكن لدى أحدٍ علمٌ بتفاصيل لقاءاته. فلم يكن ليبوح عن إطاحة الرياح به نحو مسجد السهلة أو سماع صوت مناجاة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و مناداته له بـ «هلمّ يا محمّد تقيّ»، أو ضمّه إلى صدره. و قد اختار الابتعاد عن الشهرة و أن يكون مخمول الذكر و الصيت. و لم يكن لأمثال قَسَمِ السيّد علّام، أو سؤال المولى السلماسيّ، أو رسالة بحر العلوم اليمنيّ أن تستدرجه إلى البوح بمكنون صدره. كان يعدّ المؤمنين أبناءه. كما كان واضحًا و جليًّا لهم من نصائحه الطاوسيّة في أيّ مرتبةٍ من الأنس و الحضور هو غارقٌ. كان الحجر الأسود مستقرًّا في موضعه، و لكنّه بدلًا من ذلك أودع قلبه عند إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ليقوم بصفّ أحجاره كيفما يشاء، و على الطريقة الّتي يحبّها و يرضاها. و قد صان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف حدود قلبه بالسلاسل و الأوتاد، فلم يكن يحقّ لأحدٍ غيره أن يزرع شيئًا في أرض «جمكرانه». كان قد تعلّم دعاء العبَرات من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ فتحرّر من سجن الدنيا، و عاش أبدًا في فردوس الحضور. و سُقي من رحيق الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف المختوم، الصانع أمثال الحرّ العامليّ صبحًا و مساءً بل و في كلّ وقت، و حرّر نفسه من جميع شوائب التعلّق. كان يخطّ كتاب حياته حرفًا بحرفٍ على وفق مرضاة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ثمّ رأى كيف أنّ إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد أتمّ ذلك الكتاب بخطّه في ليلةٍ واحدة، و بذلك طوى في ليلةٍ واحدةٍ مسيرة قرنٍ من الزمن.

كان قد رأى الروضة العامرة و الزاهرة للنجف الأشرف، ثمّ عاش بعد ذلك تجربة قحط الرجال، و هو العصر الّذي أصبح فيه أمثال الحسين بن رَوح مثل الكبريت الأحمر وسط غثاء الشلمغانيّين. لقد أدّى انتشار الظاهرة الشلمغانيّة ببعض العلماء السطحيّين ـ الّذين لا تتوافق علومهم و أعمالهم و لا يبصرون من الأمور غير ظواهرها، و قلوبهم فارغة من المواهب الإلهيّة ـ إلى عدّ كلّ كرامةٍ خرافة، و كلّ تشرّفٍ و لقاءٍ دكّان تجارة. لقد تعيّن عليه في مثل هذه المرحلة ـ و هو البالغ أعلى حدود الفقاهة، و كان بُعده عن الجاه و الشهرة واضحًا للجميع ـ أن يبيّن جانبًا من رعاية الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، كنايةً و استعارة، كي لا يذهب

الظنّ بأحدٍ إلى أنّ مرحلة لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد انقضت، و أنّ الخوان الشامل الّذي كان يتحدّث عنه السيّد ابن طاوس قد انطوى، و أنّ جنّة حضور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا تشتمل إلّا على أشجارٍ محرّمة كالّتي مُنع آدم عليه السلام من الاقتراب منها. و قال ذات مرّةٍ في أخريات عمره إنّه قد تشرّف برؤية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في اليقظة لأكثر من أربعين أو خمسين مرّة، و قال إنّه رأى الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و هو بعمره الحقيقيّ - أي: البالغ أكثر من ألف سنة - و هو تشرّفٌ لم يُنقل عن أيّ واحدٍ من أسلافه و أترابه[1]. و لكنّه للأسف الشديد لم يجد مَن هو أهلٌ ليبوح له عن لقاءاته بحبيبه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. ربما لأنّه كان يعلم أنّ المرحلة الزمنيّة لا تزال هي مرحلة ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾[2]، بَيد أنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد شرّفه بفخرٍ أكبر من اللقاء؛ فقد أعطاه بصيرةً نافذةً يشعر معها بنور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في كلّ مكان. إذ لو أنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف وضع قدميه المباركتين في موضع من الأرض فإنّها تجعل ذلك الموضع معشوشبًا و مزهرًا، بحيث تغدو مختلفةً عن سائر المواضع الأخرى إلى الأبد. وكان الشيخ المقدّس محمّد تقي البهجة يرى نضرة المكان الّذي يحضر فيه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يجد ريح يوسف الزمان من مسافاتٍ بعيدة. وكان يقول إنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف أشدّ حضورًا من كلّ حاضر، و إنّما هو غائبٌ عن أعين الظالمين. أجل، إنّ الشيخ محمّد تقيّ لم يكن ظالمًا و لا مصاحبًا للظالمين و لا جارًا و لا مُخالطًا لهم، و لم يكن في محالّهم و منازلهم. لقد غيّر بتقواه ثقافة الحياة في عصر الغَيبة و خاطب بفِعاله قبل كلامه قاصدًا الجميع: بإمكانك أن تكون دائمًا في حضرة إمام عصرك عجّل الله تعالى فرجه الشريف، على الرغم من أنّك تعيش في ظلام الغَيبة، و لكن بشرط أن...[3]

غُربة العصر

أصحابه غرباء مثله و غربتهم تزداد يومًا بعد يوم...

لقد كان للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في عصر الغَيبة الصُّغرى نوّابٌ خاصّون و معيّنون، وكان الجميع يعلم أنّهم على اتّصالٍ بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و يعرضون على حضرته أسئلة الشيعة،

---

(١) لقد ذُكر تفصيل هذا المطلب في الحديقة الخامسة من هذا الكتاب.

(٢) إشارة إلى قول النبيّ يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ (سورة يوسف، الآية ٩٤).

(٣) لقد ذُكرت قصص لقاءات الشيخ البهجة قدّس سرّه بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الحديقة الخامسة من هذا الكتاب (الصفحة ٨٢١)، و لم تُذكر هنا تفاديًا للتكرار.

و ينجزون له بعض المهام الّتي يأمرهم بها. أمّا في عصر الغَيبة الكبرى فإنّ الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف لم يعرّف المجتمع بأمثال هؤلاء الوكلاء. ففي هذه المرحلة كان الناس قد تعلّموا من خلال إرشاد الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، أن يرجعوا إلى الفقهاء و رواة الحديث المتّقين الزاهدين في الدنيا، من أجل الحصول على أجوبةٍ عن أسئلتهم، و أن يعملوا على توثيق ارتباطهم القلبيّ بالإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف من خلال الأدعية و الزيارات. و مع ذلك، كان في جميع الأزمنة علماء أتقياء و صالحون و أبرار، يحصلون على عنايةٍ خاصّةٍ من الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، و يتشرّفون بلقائه، و كان الكثير منهم معروفين بين الناس.

و أمّا اليوم فقد أمست سُحُب الغَيبة مُلبّدة أكثر. و كأنّ أولياء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا قد دخلوا في الغَيبة، فباتوا مجهولين في الأرض معروفين في السماء، فما أشبه حياتهم بحياة إمامهم عجل الله تعالى فرجه الشريف إذ يمشون بين الناس، و يتجوّلون في الأسواق، يراهم الناس و لكنّهم لا يعرفونهم، و لا يدركون عظيم مقامهم، و لا يرَون على رؤوسهم تاج التشرّف بلقاء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف. كما يَكثر عدد الكذّابين من المدّعين يومًا بعد يوم، و يصبح الأصحاب الحقيقيّون أشدّ احتجابًا. إنّ الحديث عن اللقاء و التشرّف برؤية الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف سينطوي على شائبة الاتّجار بالدين و الاتّهام بالاحتيال. إنّ أمثال ابن طاوس الحقيقيّين أضحوا في عُزلة، و لم يعد بإمكانهم الحديث عن الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف إلّا على نحو الكناية و بطريقةٍ غير مباشرة. إنّهم يكتفون في الغالب بنقل تشرّفاتهم الشخصيّة بضمير الغائب تحرّزًا من الشهرة و الفتنة.

لا يزال الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف أشدّ حضورًا من جميع الحاضرين، فهو كان و لا يزال و سيبقى يشفي المرضى بإذن الله و يهدي الضالين، و يؤلّف بين قلوب المتخاصمين، و يُلهم الأفئدة و يمنح الأرواح القوّة. و يُبعد البلايا عن أصحابه و شيعته. و يبدّل «رمّان» الأعداء ـ الخدّاع المظهر ـ إلى رماد. فهو لا يزال وفيًّا بعهده الّذي عاهده و وثّقه في توقيعه إلى الشيخ المفيد، غير ناسٍ لذكر شيعته و لا مهملٍ لمراعاتهم أو متهاونٍ في حراستهم و حمايتهم، و لولا ذلك لنزل بهم اللأواء و اصطلمهم الأعداء. بَيد أنّ الغفلة تزداد اتّساعًا و انتشارًا بين الناس؛ إذ قلّما يوجد في هذا الزمان من يشعر بهذا الحضور القويّ، و قلّما يفتح المرء عينَيه ليبصر النور. و إنّ الّذين أسلموا أمرهم إلى الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف و قدّموا رضاه على كلّ رغبةٍ أخرى لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين. و هذا العدد القليل يتعرّض للسخرية و الاستهزاء من قِبل الآخرين.

لقد أمسى أصحاب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مجهولين و مشتّتين و صامتين أكثر من ذي قبل. لقد طغت على أصواتهم أصوات الرعود الصادرة عن تصادم سُحُب الغَيبة، و لكنّ ذخائر الله لا تنضب. فكَم مِن أمثال ابن مهزيار الّذين يحجّون عشرين حجّةً على أمل اللقاء بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أو أمثال ابن قولويه الّذين يرسلون رسائلهم إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أو أمثال الحسن بن مثلة الّذين يعمرون المساجد بإرشاد الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و معونته. كما لا يزال موجودًا أمثال الشيخ المفيد الّذين ينعتهم إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف بأنّهم إخوته، و أمثال ابن طاوس الّذين يستضيفهم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف حيثما كانوا في العالم. و أمثال المقدّس الأردبيليّ الّذين يحصلون على أجوبة أسئلتهم مباشرةً من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أمثال بحر العلوم الّذين يصبحون جويريّات زمانهم. و ما فتئ يوجد ثلاثون شخصًا يلازمون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يؤدّون ما يوكل إليهم من المهام و الواجبات. و لا يزال هناك أمثال الشيخ البهجة، الّذين يُدخل النظر إليهم البهجة و السرور على قلب الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و لا يزال الطريق مفتوحًا أمام الراغبين بالالتحاق بهذا الرّكب المهدويّ...

الصفوة من الشيعة

بالتأنّي و الصبر يعدّ أصحابًا كزبر الحديد...

ما حال الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف إذ يُعاين تحقّق نبوءات النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله و أهل البيت عليهم السلام حول مستقبل هذه الأمّة، الواحدة تلو الأخرى؟ فهو يرى ما ينتشر بين الناس من حبّ الشهوات و الأموال، و تكريم الأغنياء، و الاستهزاء بالأتقياء. و كيف يتسلّط قادة الجَور على الناس، و يتلاعبون بدين الأمّة، كما يتربّع الفاسقون على منبر رسول الله صلّى الله عليه و آله، و يأمرون الناس بالتقوى و هم ليسوا من أهلها، و كيف أنّ المعروف أصبح منكرًا و المنكر معروفًا، حتّى إنّ الآمرين بالمعروف يُلامون و يقال لهم لا تحشروا أنوفكم في ما لا يعنيكم! و في كلّ سنةٍ تظهر بدعةٌ جديدةٌ في الدين، و يخون المسلمون بعضهم بعضًا، و لا يرحمون صغيرًا، و لا يوقّرون كبيرًا، و بسبب حرصهم على الدنيا فحتّى النساء يشاركن الرجال في التجارة، و يشيع الفساد و التهتُّك، و يؤدّون صلواتهم رياءً، و يصبحون علماء و فقهاء طلبًا للرئاسة و بحثًا عن الجاه، و يؤدّون مناسك الحجّ و لكن لغير وجه الله. و لا تُطبّق الحدود الإلهيّة، بل تُنتهك الحرمات و تنتشر المعاصي و الذنوب، و هم لا يرون حاجةً إلى الليل لستر ما

يقترفون من الآثام. و لا يكون هناك للمؤمنين الحقيقيّين موضعٌ بين الناس. يُمسي القمار و الغناء من الأمور الحسنة، و يغدو الرِّبا و الرِّشى أمرًا مألوفًا و شائعًا. و إنّ دوحة الأمّة الإسلاميّة الّتي كانت في يومٍ مفعمةً بالأوراق الجميلة، أضحت الآن مليئةً بالأشواك، و أصبح من الصعب العثور على ورقةٍ بين هذه الأشواك. فها هم المسلمون يتنازعون فيما بينهم، و يكذّب بعضهم بعضًا و يذمّه و يلعنه. إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرى أنّ دين جدّه لم يبقَ منه غير الاسم، و أنّ كتاب الله لم يبقَ منه سوى الرسم. فالمساجد مشيّدةٌ و عامرةٌ، و لكنّ القلوب خاوية. إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرى كلّ ذلك و يصبر محتسبًا عند الله ما حلّ بأمّة جدّه صلّى الله عليه و آله. إنّه يرى أنواع البلاء الّتي يتعرّض لها المؤمنون المخلصون، و أصناف الرزايا الّتي يُنزلها الكافرون على رؤوس المسلمين، فضلًا عن المحن الّتي يتسبّب بها المسلمون بعضُهم لبعض، و كيف أنّ الإسلام بات أكثر غربة و الانتماء له أشدّ صعوبة. يعزّ على الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن يرى الدين ـ الّذي تحمّل النبي صلّى الله عليه و آله و أهل بيته عليهم السلام من أجله ألوان العذاب و الأذى و المحن ـ قد أنهكه الضعف و فتكت به الأسقام، لكنّه يصبر حتّى ينضج الحصرم و يصير عنبًا.

يحتدم الخلاف بين الشيعة، فيستغلّ الموقف الأدعياء الكذّابون فتخرج رؤوسهم، فهذا يدّعي المهدويّة، و ذاك يدّعي النبوّة، و آخر يدّعي أنّه ابن الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو نائبه، و بعضهم يدّعي كذبًا أنّه اليمانيّ أو الخراسانيّ لينسبوا أنفسهم إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بهذه الطريقة، ليس حبًّا بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و بما يرتبط به، بل استغلالًا لعقائد الناس رغبةً في الوصول إلى أموالهم و ممتلكاتهم و الرئاسة عليهم. و هكذا يخرج أمثال جعفر الكذّاب إلى العلن، فيكون همّ كلّ واحدٍ منهم دعوة الناس إلى نفسه. و يدخل الناس في حيرةٍ و متاهةٍ و لا ينجو منها إلّا أولئك الّذين سبقت لهم من الله الحسنى فتعرّفوا إلى تعاليم أهل البيت عليهم السلام و معارفهم، و أنار الله بصائرهم بنور الإيمان و الإخلاص و العلم و التقوى.

و لا يمضي زمان حتّى يشيع الشكّ و التردّد بين الناس، و يبدؤون بالخروج من صفوف المؤمنين واحدًا تِلوَ آخر، و لا يبقى لديهم أملٌ بالفرَج و ظهور الإمام الثاني عشر، حتّى يرجع تسعة أعشار الناس عن عقيدتهم الحقّة بل حتّى إنّهم ينكرون أصل وجوده عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو حياته، و يسخرون من مُحبّيه، قائلين: لو كان هناك من فرَج لكان قد حصل. و كأنّهم يرَون أنفسهم أعلم من الله سبحانه بشأن الزمان المناسب للظهور! و لكن مع ذلك لا تخلو

الأرض من مؤمنين موالين عاشقين، يقبضون على جذوة الجمر من أجل الحفاظ على إيمانهم. إنّ هؤلاء قد نجوا بعد الغربلة و التمحيص، و خرجوا منتصرين من أصعب أنواع البلاء و الاختبار. و قد امتُحن صفاء معدنهم في بوتقة الفتن، فأصبحت شجرة إيمانهم صلبةً في مواجهة الآفات و الأخطار، و أضحى اعتقادهم راسخًا في وجه جميع الشكوك. و يجلو أرواحهم محكّ البلايا. نعم، تنخفض أعدادهم، و لكنّ الّذين يبقون منهم يصبحون أكثر مقاومةً و أشدّ إخلاصًا، و لا يعود بإمكان أيّ فتنةٍ أو شبهةٍ أو ضغطٍ أن تزعزع قلوبهم أو تزلزل أقدامهم. هكذا يهيئ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أنصاره و يربّيهم، و يعدّهم للمهام العظيمة و المسؤوليّات الجسيمة. إنّه يحتاج من أجل أن يبسط العدل في العالم إلى أصحابٍ لهم قلوبٌ كزبر الحديد، لا تهزّهم أعتى أنواع العواصف. إنّهم بفضل عناية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد اكتسبوا عقلًا و حكمةً و معرفةً حتّى باتوا يرَون أنفسهم دائمًا في محضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. لقد ترعرعوا في أحضان الإمامة، و أيقنوا بكلّ وجودهم أنّ كلّ أمرٍ يصدر عن الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إنّما يصدر عن الله، و لذلك فإنّهم يذعنون له بكامل كيانهم. إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يهيّئهم بالتدريج، لينفّذوا إرادة الله في عصر الظهور و يؤدّوا مهامهم على أفضل وجه.

الشعور بالظمأ

الشمس و القمَر، و الزمن و السحَر، و الحجَر و الشجَر... تطلبه و تستغيث به!

بدأت السماء تبخل بنزول الغيث، و تشحّ الأرض في إخراج نباتها، و يفسد التمر في أعذاق النخيل. كما تهطل الأمطار في غير موسمها، و ترتفع حرارة الأرض. و ها هي البضائع تصبح باهظة الثمن و تكسد الأسواق. و يغدو الفقراء أشدّ فقرًا، و الكلّ يشكو من قلّة مداخيله و أرباحه. و يعضّ الأثرياء على أموالهم بالنواجذ. يشيع الطلاق، و يشكو الآباء و الأمّهات من عقوق أولادهم. و يملك الناس حلاوة اللسان مع مرارة القلوب. و يجتاح المجتمع خوفٌ شامل. وصلنا إلى الزمن الّذي يكثر فيه التطفيف في المكيال و يشيع الغشّ في المعاملات، و لا يرحم أحدٌ أحدًا، و لا تشعر النساء بالأمان. يعمّ الدنيا هرجٌ و مرج، و لا يستقرّ حجرٌ على حجر، و لا يأخذ كلّ ذي حقٍّ حقّه. يكثر موت الفجأة، و تراق دماء البشر ظلمًا و يصبح الإنسان دون أدنى قيمة، و يسود في كلّ فئةٍ و طبقةٍ أراذلها، و يستشير

الحكّام مَن هم ليسوا بأهلٍ للمشورة و النصيحة، و هم يظلمون الناس و يصادرون أرزاقهم، و يتطاولون على المال العام. يأخذ القضاة الرُّشى و يحكمون بغير وجه حقٍ و يستشهدون الفاسقين بدلًا من العدول. يأتي الحكّام الجُدُد بشعاراتٍ جديدة، و لكنّهم يبيّضون وجوه من سبقهم في ممارسة الظلم و الجور. لقد تسلّم الزعماء بجميع فئاتهم و جماعاتهم زمام الحكم، و لكنّ الناس لم يروا منهم سوى الظلم و الطغيان. فلم يعد لديهم أيّ أملٍ بالعدل من أيّ حاكمٍ كان.

يعمّ اليأس و الحزن جميع أفراد المجتمع، و لا يعود لدى أيّ شخصٍ أملٌ بالرخاء و الاستقرار. إنّ جميع الناس ـ بمن فيهم غير المسلمين ـ يَشعرون من أعماق نفوسهم بشعور الفاقد أحدًا. إنّهم ينتظرون يدًا من السماء تنتشلهم من هذه الكوارث. لقد أدرك الناس محدوديّة عقولهم و نقصان علومهم، و باتوا يرون حاجةً ماسّةً إلى هدايةٍ إلهيّة لتنتشلهم من مستنقع جهلهم الوبيل. و قد دفع بهم الغرق في الدنيا و المادّيات الميتة نحو الظمأ إلى المعنويّات الحقيقيّة. لقد انتظر الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف طويلًا حتّى يتبلور مفهوم الانتظار الحقيقيّ لدى الناس، و يدركوا أنّ حاجتهم إلى الإمام عجّل الله فرجه الشريف أشدّ من حاجتهم إلى قوت يومهم.

بعد قرون طويلة، رأت سحب الغيبة سواد طلعتها، فانفجرت بالبكاء و فاضت دموعها. واجه الناس طريقًا مسدودًا، و إنّ آثار ما صنعه عَبَدة العجل و أتباع السامريّ لا تُغسل إلّا بعد تعميدهم بالدم القانئ. و بدأت تندلع في أنحاء العالم ثوراتٌ داميةٌ و حروبٌ مدمّرة. و يُضاف الموت الأبيض إلى الموت الأحمر و تنتشر الأمراض الفتّاكة. و يقصر عمر الحكومات أكثر فأكثر، و تسود ملكيّات الشهر الواحد و اليوم الواحد. و يعاني الناس وطأة الجفاف و المجاعة. تكثر الزلازل و الكوارث الطبيعيّة، و حتّى يتمنّى الكثيرون الموت لِما يرونه من الهمجيّة و العنف الوحشيّ في المجتمع. و يقوم كلّ ذي صيصية بالخروج و المطالبة بحصّته، و تنشب في كلّ يومٍ معركة. لقد تعب الناس و تاقت قلوبهم إلى الاستقرار و الأمن و السلام.

إنّ عصر الذئاب و الأكباش يوشك على الانتهاء. الأجواء ملبّدة بالسحب، و لكنّها تُنبئ عن اقتراب طلوع الشمس و سطوعها.

لقد اصطفّ الشرق و الغرب لخوض حربٍ طاحنة. و أقبلت من المغرب إلى الشام أعلامٌ تسعى للاستيلاء عليها. فتحتدم حربٌ بين ثلاث جماعاتٍ لحكم هذه الأرض و يكون في نتيجتها أنّ السفيانيّ ـ و هو رجلٌ مربوعٌ و مرعبٌ و عنيفٌ، من أحفاد أبي سفيان و هند آكلة الأكباد، و خبيثٌ لا يعرف معنى الرحمة ـ يخرج من أرضٍ قاحلة، و يدحر في الشام اللواءين الآخرين. و بفعل هذه الحروب يعمّ الخراب، و يستقرّ السفيانيّ في دمشق. و يستولي على حمص و فلسطين و الأردن و حلب، ثم يُرسل جيشًا إلى العراق، و جيشًا آخر إلى المدينة المنوّرة.

إنّه يحمل في صدره حقدًا دفينًا على آل محمّد ﷺ و شيعتهم، و لا همّ له و لا شغل سوى اجتثاث جذورهم و استئصال شأفتهم. لذلك هو يعمل على قتل كلّ من كان اسمه محمّدًا أو عليًّا أو فاطمة أو حسنًا أو حسينًا. كما يرتكب المجازر الدمويّة في بغداد، و ينتهك أعراض الناس. ثمّ يدمّر أطراف الكوفة، و ينادي فيها على الملأ: كلّ من يأتيني برأس شيعيٍّ فله ألف درهم، حتّى يَشي كلّ جارٍ بجاره. و في هذه المرحلة يتصدّى أولاد الزنا لتولّي المناصب الحكوميّة. و ليس لجنوده ما هو أشدّ متعةً من سفك الدماء و ممارسة العنف و الوحشيّة؛ حتّى يترك الواحد منهم الدرّة الساقطة على الأرض، لينتشل الطفل من حضن أمه و يذبحه من الوريد إلى الوريد على مرأى من عينَيها!!

الأهوال و المصاعب لم تَعُد تُحتمل، و لذا يخرج عددٌ من المستضعفين في الكوفة للتصدّي و المواجهة. و في الوقت نفسه يصل عددٌ من المقاتلين من خراسان و الشرق للمطالبة بالثأر للدماء المُراقة، و كذلك يخرج اليمانيّ في اليمن. فلم يعد شيعة أمير المؤمنين عليه السلام يطيقون التعلّل و الإبطاء في إعلان الثورة. و تصل إلى أطراف الكوفة مختلف الجيوش من المشرق و المغرب. و هناك تنشب حربٌ كبرى في الكوفة و الحيرة، و يحدث قتلٌ ذريع. بَيد أنّ الله سبحانه و تعالى يحرس الأنصار الحقيقيّين للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ليقوموا بدورهم في التضحية و الإيثار في جيشه هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

يذهب الجيش الثاني إلى المدينة و يستبيحها ثلاثة أيّامٍ و ثلاث ليال، ثمّ يتّجه إلى مكّة، لكنّ حادثةً عجيبةً تقع في الطريق و يصل خبرها إلى كلّ مكان، إذ ينزل جبرئيل عليه السلام بأمرٍ من الله تعالى و يخسف البيداء بالجيش الّذي أرسله السفيانيّ، و كلّ ذلك الضجيج

يتبدلّ فجأةً إلى صمتٍ مطبق تحت الأرض، و إنّ في ذلك لآيةً من الله للباحثين عن الحقّ و الحقيقة. و ستكون هذه الأيّام مليئة بالآيات الّتي تدلّ على الإمام ﷺ.

و لكنّ الظالمين القَتَلة لا يتردّدون في ذبح رجلٍ بريءٍ في المسجد الحرام بين الركن و المقام. و بعد قتل هذه النفس الزكيّة تنتهي مهلة الظالمين و ينفد صبر الملائكة و حَمَلَة العرش. و لا يُقبل للظالمين عذرٌ بعد هذا اليوم، و لن يكون لهم في الأرض من نصير. كما أنّ المؤمنين يضجّون و يندبون إمامهم ﷺ بكلّ وجودهم. فقد بلغت أرواحهم التراقي، إذ لم يعد بوسعهم تحمّل المزيد من الويلات.

عصر التقلّبات

لم ينته بعدُ تمييز الخبيث من الطيّب، فلا بدّ من أن يُدخل الإمام المهديّ ﷺ أنصاره في تمحيص آخر و غربلةٍ أخيرة؛ فهو يحتاج في ثورته الكبرى إلى أنصار قد نفذ الإيمان في أعماق أفئدتهم. فإذا كانت في قلب أحدهم ذرّةٌ من السواد، فإنّه سيُفسد حكومته. و إذا كان هناك منافقٌ واحدٌ في صفوف الأنصار، فإنّ حبّه للجاه سوف يثير حربًا مثل حرب الجمل، و سيؤدّي تكبّره و عدم إذعانه بالحقّ إلى نشوب حربٍ مثل حرب النهروان. إنّ أنصار الإمام ﷺ يجب أن يكونوا من المخلصين و من الربّانيّين بحيث لا تُسكرهم السلطة، و لا ينتهجون غير طريق العدل و لا يُقدمون على ظلم مَن هو أدنى منهم. يجب أن تكون الدنيا صغيرةً و محتقرةً في أعينهم، كي لا تفتنهم الأموال و الثروات الّتي تقع في أيديهم في ظلّ دولة الإمام ﷺ، و لا تدفعهم إلى الغفلة و اللعب.

لا بدّ أن تسودّ وجوه المنافقين في هذا اليوم و يُكشف عن حقيقتهم إذ يُفصَلون عن المؤمنين. إنّ منعطفات الدهر تفضح الكثير من الشخصيّات، و لكن لا يزال هناك متّسعٌ لخضّ هذه القربة بشدّةٍ لفصل الزبدة عن اللبن بالكامل، و سوف يتولّى السفيانيّ عمليّة الخضّ الأخيرة. إنّ أيّامه تمثّل عصر الغربلة و الاضطراب. فلا عجب من رؤية أشخاصٍ كانوا حتّى الأمس يتبجّحون بين الشيعة بنُصرتهم لأهل البيت ﷺ، و لكنّهم انضمّوا اليوم إلى صفوف السفيانيّ، و ليس بمستبعدٍ أن ينفصل أشخاصٌ عن خط السفيانيّ و يلتحقوا بصفوف الشيعة المخلصين ليكونوا أحرارًا كالحرّ الرياحيّ. فمع أنّ غبار العصور قد غطّى قلوبهم و لكنّهم ببركة الإمام المهديّ ﷺ نفضوها و عادوا إلى أصلهم فبَان نور فطرتهم. كم

من راياتٍ و أعلامٍ و شعاراتٍ و جماعاتٍ و تيّاراتٍ مختلفةٍ تظهر في الميدان هذه الأيّام، و ترتفع لتحلّق في سماء المجتمعات، وكلّ شخصٍ يلتحق بجماعته. و سيتّضح عاجلًا مَن هم الأتباع الحقيقيّون لأهل البيت عليهم السلام.

نداء السماء

ها هو شهر رمضان المبارك قد شارف على التصرّم. لكن لعلّ الله تبارك و تعالى شاء هذه المرّة أن يُنزّل من السماء مائدةً تكون للمؤمنين عيدًا و لمحمّد و آل محمّد صلّى الله عليه و آله ذُخرًا و شرفًا و مزيدًا. ففي الليلة الثالثة و العشرين من شهر رمضان المبارك يوقّع إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف مقدّرات العام الجديد لجميع أهل العالم. لكنّ هذه السنة متميّزة، إذ اقترنت بركة ليلة الجمعة ـ و هي ليلة القدر الصغرى ـ بعظيم منزلة ليلة القدر الكبرى، فتجلّى نورٌ يسطع من ابن الآيات البيّنات و النعم السابغات. نعم، هو يعلم بوقت ظهوره الشريف و الليلة سيمضي عليه بعد أن أذن الله تعالى بذلك. تُرى كيف ستسَع القلوب فرحة اللقاء و كيف ستتحمّل الأرواح جمال هذا الكوكب الدرّيّ الزاهر؟ طوبى لذي حظٍ عظيم قُدِّر له في اللوح المحفوظ أنّه سيشهد حوادث هذه السنة العظيمة، الآسرة للقلوب و المتدفّقة بلطف علّام الغيوب و عنايته. إنّ الشمس الّتي ستبزغ فجر الغد لن تعرف الغروب. «سلام هي» هذه الليلة، إلّا أنّها مُعتقةٌ من «مطلع الفجر»، فهي سلامٌ أبديٌّ متوّجٌ بظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

إنّ الفجر الصادق الّذي بشّر السيّدةَ حكيمة عليها السلام يومًا ما بولادة سيّد العالم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ها هو اليوم يُبشّر العالَمين بظهوره الشريف. فيا تُرى ما هي تلك الأقدار الاستثنائيّة الّتي قُدّرت لهذه السنة و أمضاها الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟! لا ريب أنّ السنة السعيدة تُعرَف من ربيعها، لكنّ الربيع لا ينبثق إلّا بعد احتدام العواصف، و الأرض لا تُنبت ما في باطنها إلّا بعد تحمُّل صقيع الشتاء. كذلك بعد ظلمات ليلٍ حالكٍ، آنَ موعد شمس الظهور لتُخرج الناس من الظلمات إلى النور. و إنّ موعدهم الصبح، أليس الصبح بقريب؟! لجأ الناس إلى مكّة المكرّمة و أطراف الكعبة المشرّفة من شدّة القتل و أنواع الموت الذريع. و في مُعترك الضجيج و استِعار الحروب الّتي أنهكت الأرواح و أتعبت القلوب، و إذا بصوتٍ يصدع من حنجرة السماء يلفت انتباه جميع البشر. إنّ هذا الصوت يختلف عن جميع الأصوات الّتي

سمعها الناس حتّى الآن. فهو من صنف النور و بلَون العشق، و كأنّه نازلٌ من صميم العرش. إنّه صوتٌ منسجمٌ و متناغمٌ مع الصوت المنبثق من أعماق القلوب. و أيّ بيت شعرٍ عذبٍ قد صنع هذين المصرَعين، و كأنّ نداءً سماويًا منذ مئات السنين يترقّب تناغم مصراع القلوب مع وزنه و قافيته.

ينادي جبرائيل عليه السلام باسم الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و نسبه و بأحقّيّته و أحقّيّة شيعته. نداءٌ يسمعه من في الشرق و من في الغرب، و يسمعه القاصي و الداني، كلٌّ حسب لغته. يخرج الجميع من بيوتهم ليطّلعوا على جليّة الخبر، فيستيقظ من كان يغطّ في نومه العميق، و ينهض الجالسون إثر الانجذاب إلى هذا الصوت الّذي أخذ بمجامع قلوبهم. حتّى الأموات يرومون الخروج من الأجداث و لكنّهم لا يستطيعون. و تسود الناسَ حالةٌ من السرور الممزوجة بالهَيبة، فيحتاطون في ممارسة أعمالهم و يتّخذون خطواتٍ متأنّية. كما تخضع القلوب، و تميل الرقاب، و تظلّ الأبصار مطرقةً إلى الأرض. لقد آمن الجميع بصدق هذا النداء و أحقّيّته، و شمّروا عن سواعدهم في الاستجابة له و تلبيته. يتّجه المؤمنون نحو مكّة المكرّمة، فلطالما ترقّبت أسماعهم صوت السماء و لطالما حلّقت آمالهم صوب مثل هذا اليوم. فترى الرجال يومئذٍ يأتون من كلّ فجٍ عميق، و تحثّ النساء أزواجهنّ و يشجّعنهم على الخروج، فما من أحدٍ يريد تكرار واقعة كربلاء، ففي قلب كلّ شيعيّ رائحة تربةٍ حسينيّةٍ مضمّخة بعبق الكرامة تأبى أن يبقى إمام زمانها عجّل الله تعالى فرجه الشريف وحيدًا غريبًا.

قزعٌ كقزع الخريف

إنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يجذب القلوب إليه كالمغناطيس...

في هذه الليلة المباركة الّتي ترقّبها المؤمنون طويلًا، يطلب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أنصاره الثلاثمئة و ثلاثة عشر للحضور عنده، فيأتون من مختلف المدن و البلدان، من أقصى بقاع العالم إلى مكّة؛ فيصلون إليها قبل الجميع. و هذه الثلّة الطيّبة و الصفوة المهذّبة تضمّ أشخاصًا من شتّى الأعراق و الطوائف. ابتداءً من الجماعات العراقيّة المنتقاة و كنوز الطالقان، وصولًا إلى نجباء مصر و أبدال الشام و غيرها من البقاع الّتي لم تخطر على بال أحد. إنّهم عُصارة

الأخيار و المخلصين من المؤمنين. رهبان الليل ليوث النهار، قلوبهم كزبر الحديد في القوّة و الصلابة. يخرجون من بيوتهم و منازلهم ليلًا و يصلون إلى مكّة عند منبلج الفجر، منهم من تُطوى له الأرض و منهم من يلتحق بجموع أصحاب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و هو يسير في السحاب. مع أنّهم لم يجتمعوا عن موعدٍ سابق، و لا يعرف بعضهم بعضًا، إلّا أنّهم يجتمعون كقطعٍ متفرّقةٍ من سُحُب الخريف و يلتحم بعضُهم ببعض فيؤلّفون سحبًا معصرة مثقلة بالغيث الهاطل، تنصبّ منها الرحمة الإلهيّة و ينهمر ماؤها الثجّاج ليُخرجوا به حبًّا و نباتًا، و جنّاتٍ ألفافًا، و ليعيدوا إلى الأرض خضرتها و ازدهارها، فهم الّذين يحفّون بربيع الأنام و نضرة الأيّام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. ثوب إحرامهم كان تحريم كلّ حبٍّ على قلوبهم غير حبّهم للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و بذلك استحقّوا الطواف في حرم قلبه الشريف و مبايعته بين الركن و المقام. و مع أنّهم لا يعرف بعضُهم بعضًا، إلّا أنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يعرفهم جيّدًا و لديه عجّل الله تعالى فرجه الشريف ديوانٌ يحتوي على أسماء أصحابه فردًا فردًا، بالإضافة إلى أماكن سكناهم و خصائصهم الظاهريّة و الباطنيّة. و حتّى لو لم يكن ذلك الديوان موجودًا، فإنّه قد أثبت أسماءهم كلّهم في صفحة قلبه. إنّهم لا يخطون خطوةً إلّا بإذنٍ من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فيضع أصحاب الألوية أرواحهم على الأكفّ مع كامل عدّتهم و عتادهم من أجل الدفاع عن حياض الإمام عليه السلام، و قد كُتبت على أسلحتهم كلماتٌ تمثّل مفتاحًا للكثير من المفاهيم. إنّهم بعدد أصحاب بدرٍ و طالوت، و سوف يثبتون للعالم أنّهم مصداقٌ آخر للآية الكريمة: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]. ما أكثر المراحل و المنعطفات الّتي شهدتها الأرض، و كم انتظر الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ليصطنع هؤلاء الأشخاص و يكتمل عددهم، حتّى يؤدّوا أعظم مهمّةٍ في التاريخ...

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

ظهور الشمس



يوم الله الأكبر

بعد أن تراجع عن الإيمان به ﷻ أكثر القائلين بإمامته، و اجتاحت الشبهات و الشكوك قلوب الناس الضعيفة ففتكت بعقائدهم، و بعد أن ثبت المؤمنون بقوّة اليقين و صحّة المعرفة، و صبروا في غَيبته على الأذى و التكذيب و الظلم الّذي لا يُطاق، تقرّ أعيُن المنتظرين إذ تُفتح صفحةٌ بيضاء نقيّةٌ من سجلّ التاريخ. اليوم لن تعود آمال الشيعة و أمنياتهم تتعلّق بالمستقبل، بل إنّ المستقبل الزاهر حاضرٌ بين أيديهم. لا يمكن لأيّ يراع قلمٍ أن يفي بوصف هذه اللحظة، و لا يوجد تعبيرٌ يمكن له استيعابها. إنّها اللحظة الّتي تستوعب التاريخ في مكنونها و تختزل جميع الحقائق في نقطةٍ واحدة. ما أكثر الدموع الّتي ذُرفت، و ما أكثر الآهات الّتي أطلقت من أجل رؤية هذه اللحظة و تذوّقها، و ما أكثر الأرواح الّتي بلغت التراقي في انتظارها. و كم من طفلٍ تغذّى على ذكرها و بلغ أشدّه مترقّبًا لها، و كم من شابٍ شابَ و في عَينَيه بريق حضورها. كم دارت الأرض و انتقص من أطرافها، و كم من قرونٍ تصرّمت تندب حال زمانها و ما أكثر المرارات الّتي تجرّعها الدهر، و ما أكثر القلوب الّتي ذابت شوقًا و لوعةً و انتظارًا لهذه اللحظة البهيجة.

إنّ الحبّ الإلهيّ الّذي ألقاه الله تعالى على قلب السيّدة نرجس عليها السلام، و المغناطيس الّذي اجتذب هذه السيّدة الغرّاء و جاء بها من الروم إلى بغداد ثمّ إلى سامرّاء، و الحادثة المعجزة في زواجها من الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، و كذلك الولادة السرّيّة للإمام المهديّ ﷻ بسبب انتشار جواسيس الحكّام الجائرين و عسسهم، و بقاءه سالمًا في مرحلة الطفولة، ثمّ دخوله في غياهب الغَيبة، و تنصيبه لوكلائه الخاصّين، و تحضير شيعته للغَيبة الكبرى، فضلًا عن التجارب الّتي عاشها الشيعة و سائر الناس في تلك المرحلة العصيبة، كلّ ذلك كان من أجل الاستعداد لمثل هذه اللحظة العظيمة الّتي تتجلّى فيها الآيات البيّنات و المعجزات الباهرات. حتّى إنّ هذا الأمر أقدم و أوسع من ذلك بكثير؛ فإنّ

رسالات جميع الأنبياء و جهاد جميع الأوصياء إنّما كانت تهدف إلى رصف أحجار هذا الصرح العظيم الّذي نشهد حاليًّا اكتمال بنائه. الآن يُفهم أنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان يريد أن يسقي بذر أيّ شجرةٍ مثمرةٍ بتحمّله كلّ تلك المعاناة، من سجن آبائه المعصومين عليهم السلام و الاضطهاد الّذي مارسه العبّاسيّون على أسرته و الضغوط الّتي تعرّض لها نوّابه و تعذيب الشيعة و ما إلى ذلك. الآن نفهم أيّ عنبٍ حلو صار ذلك الحصرم. الله يعلم كم من دعاء عبراتٍ قُرئ للخلاص من سجن الغيبة، وكم مرّة قُصِد مسجدا السهلة و جمكران طوال هذه المدّة و بأيّ دعاء مضطرٍ ضُجّ لتعجيل الظهور. لكنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يقينًا يعلمهم فردًا فردًا و قد أعدّ في قلبه عشًّا لهم. ربما لولا تلك الدعوات و الدموع لما كان يومنا هو هذا اليوم...

إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو قلب الوجود النابض و المرآة الّتي تُظهر الإرادة الإلهيّة بأجلى صوَرها. قلبه اليوم يختلف عن الأيّام السابقة، إذ ألقى الله سبحانه و تعالى اليوم في قلبه الشريف إرادة الظهور و جعل هذه المهمّة نصب عينَيه. إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يدعو الله بقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[1] و الله عزّ و جلّ يستجيب دعاءه. حقًّا يُقال، إنّ الفلك الدوّار لم يشهد مُضطرًّا مثله، و هو الّذي عاش غَيبةً و غربةً امتدّتا قرونًا طويلة، و هو التأويل الأعظم لهذه الآية المباركة.

اليوم هبّ نسيمُ أجمل خبرٍ في العالم، فانقشعت سحب الغَيبة و ظهرت شمس الوجود المشرقة من غير حائلٍ يحجب سطوعها. يرى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف كيف أنّ شيعته مذهولون، فلا أحد منهم يُصدّق أنّه مختارٌ لإدراك هذه اللحظة و التنعّم بمشهد ظهور القائم عليه السلام، فعمّ الأرض و السماء احتفالٌ عظيمٌ بثّ السرور و الابتهاج في أرجاء المعمورة. حتّى إنّ المؤمنين الّذين رحلوا عن هذه الدنيا يهزّهم الفرح و يزفّون البشرى بعضُهم إلى بعض في عالم البرزخ.



يتوجّه الإمام المهديّ عليه السلام إلى مكّة المكرّمة و المسجد الحرام، و يُسند ظهره إلى

(١) سورة النمل، الآية ٦٢.

الكعبة و هي بيت الله الحرام، و محلّ ولادة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام. إنّه يستند إلى الحجر الأسود الّذي أُقيم في موضعه على يد أنبياء الله عزّ و جلّ و أوصيائه، ليعرّف بنفسه إلى الناس عبر تلاوة آيةٍ من القرآن الكريم، إذ يقرأ عليهم قول الله سبحانه و تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1] و يُتبعها بقوله: أنا بقيّة الله في أرضه و حجّته و خليفته. سيماؤه على هيئة رجلٍ له من العمر أربعون سنة، متقلّدٌ بذي فقار رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي أعطاه أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ تسلّمه الأئمّة الأطهار عليهم السلام إمامٌ بعد إمام، و حاملٌ للعهد الّذي وصل إليه من آبائه عليهم السلام نسلًا بعد نسل و جيلًا بعد آخر، و يضع على رأسه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله و يلبس جلبابه، حتّى كأنّ هذا الثوب قد فُصّل له خاصّةً. و سرعان ما ينشر راية النبيّ صلى الله عليه وآله و يرفعها خفّاقة فوق الرؤوس، و برفرفتها تسكن القلوب و تستمدّ الطاقة و تُشرق الأرض بنور ربّها. لقد كان المؤمنون ينتظرون هذه اللحظة على مدى سنواتٍ طويلةٍ متمادية كي يجاهدوا تحت لواء إمامهم، و يثبتوا أنّهم لن يتركوه أبدًا بعد الآن، مهما كلّفهم ذلك من ثمن، و مهما بلغت التضحيات.

هذه المرّة اختلفت نظرة السماء إلى الأرض. الملائكة تتمنّى لو أنّها من جنس آدم لتخلف الله في الأرض، و أهل السماء يغبطون أهل الأرض، حتّى حَمَلة العرش يتمنّون لو كانوا من سكان الأرض. فقد حان اليوم الّذي فيه ﴿تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾. فارتدت الأرض حلّة الزفاف، و هذه المرّة يصعد الغيث من الأرض إلى السماء، فكان للأرض الحقّ أن تتفاخر و تتباهى على السماء. و من الآن لن يعقّب الأحبّة بدعاء تعجيل الفرج بعد ذكر اسم الإمام عليه السلام، بل سيتبرّكون بذكر التحيّة و السلام عليه.

يتقدّم الإمام عليه السلام للصلاة بين الركن و المقام، و هو الموضع نفسه الّذي شهد مؤخّرًا قتل صاحب النفس الزكيّة، و به انتهت مهلة الظالمين. و يعلو أذانٌ تنشرح لسماعه الصدور و تنهمل من عذب صوته الدموع. قد قامت الصلاة الّتي كان الالتحاق بجماعتها أمنيةً مكنونةً في صدور الأنبياء و الأوصياء و الأولياء عليهم السلام. و قد تحقّقت أمنية المسيح عيسى عليه السلام الّذي كان أحد الطرفين في عقد قِران السيّدة نرجس عليها السلام قبل مئات السنين، وكان ينتظر بلهفة أن تحين هذه اللحظة؛ فهو بعد أن عُرج به إلى السماء، عاش حياةً إلهيّةً في الحضرة القدسيّة لله جلّ و علا، و ها قد أفِد موعد هبوطه إلى الأرض بإذن الله ليأتمّ بإمام زمانه عليه السلام في صلاته، و يتمّ

---

(١) سورة هود، الآية ٨٦.

الحجّة على المسيحيّين كافّة، و ليكون من أنصار الإمام المهديّ عليه السلام في مواجهة الأعداء.



يشرع الإمام المهديّ عليه السلام بإلقاء كلمةٍ. فيحدّ الجميع آذانهم مُنصتين كي لا تفوت أسماعهم كلمةٌ أو حرفٌ ممّا يقوله. كم توسّل الشيعة من قبل و ألحّوا في الدعاء و المسألة و التزموا بالأربعينيّات من أجل الحظوة بسماع كلمةٍ واحدةٍ بصوت الإمام المهديّ عليه السلام. و ها هم الآن يملؤون جميع لحظاتهم بالنظر إلى حبيبهم و الاستماع إلى خطبته، و هم عاجزون عن التعبير عمّا ينتابهم من مشاعر جيّاشةٍ و قد دبّت الحياة في نفوسهم. فيقول الإمام عليه السلام بعد الحمد و الثناء على الله تعالى و السلام و الصلاة على محمّد و أهل بيته عليهم السلام:

«يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا نَسْتَنْصِرُ اللّٰهَ، فَمَنْ أَجَابَنَا مِنَ النَّاسِ فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ محمّد وَ نَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِاللّٰهِ وَ بِمُحَمَّدٍ، فَمَنْ حَاجَّنِي فِي آدَمَ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِآدَمَ، وَ مَنْ حَاجَّنِي فِي نُوحٍ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِنُوحٍ، وَ مَنْ حَاجَّنِي فِي إِبْرَاهِيمَ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ، وَ مَنْ حَاجَّنِي فِي محمّد فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِمُحَمَّدٍ، وَ مَنْ حَاجَّنِي فِي النَّبِيِّينَ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّبِيِّينَ عليهم السلام، أَلَيْسَ اللّٰهُ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[1]؟ فَأَنَا بَقِيَّةٌ مِنْ آدَمَ وَ ذَخِيرَةٌ مِنْ نُوحٍ وَ مُصْطَفًى مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَ صَفْوَةٌ مِنْ محمّد صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، أَلَا فَمَنْ حَاجَّنِي فِي كِتَابِ اللّٰهِ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِكِتَابِ اللّٰهِ، أَلَا وَ مَنْ حَاجَّنِي فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللّٰهِ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللّٰهِ، فَأَنْشُدُ اللّٰهَ مَنْ سَمِعَ كَلَامِي الْيَوْمَ لَمَّا بَلَّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ، وَ أَسْأَلُكُمْ بِحَقِّ اللّٰهِ وَ حَقِّ رَسُولِهِ وَ بِحَقِّي، فَإِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقَّ الْقُرْبَى مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ، إِلَّا أَعَنْتُمُونَا وَ مَنَعْتُمُونَا مِمَّنْ يَظْلِمُنَا، فَقَدْ أُخِفْنَا وَ ظُلِمْنَا وَ طُرِدْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَ أَبْنَائِنَا وَ بُغِيَ عَلَيْنَا وَ دُفِعْنَا عَنْ حَقِّنَا وَ افْتَرَى أَهْلُ الْبَاطِلِ عَلَيْنَا، فَاللّٰهَ اللّٰهَ فِينَا، لَا تَخْذُلُونَا وَ انْصُرُونَا يَنْصُرْكُمُ اللّٰهُ تَعَالَى».

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان ٣٣ و٣٤.

لله درّه من خطيبٍ من آل الرسول ﷺ يتوجّه بالحديث إلى قلب كلّ شخصٍ أدرك معنى الإنسانيّة. كلماته تملأ القلوب إرادة، و الصّدور طمأنينة، و الأرجل قوّة. و في طيّات خطبته تجري على لسانه خمس كلماتٍ تكوي القلوب من شدّة حرقتها و تبيّن بكاءه الّذي كان يطلق له العنان كلّ صباحٍ و مساء من أيّام زمن الغيبة، فيسمع صوته الحزين جميع سكّان العالم:

«ألا يَا أهلَ العالِمِ أنَا الإمامُ القَائِمُ. ألا يَا أهلَ العالَمِ أنَا الصّمصَامُ المُنتَقِمُ. ألا يَا أهلَ العَالَمِ إنَّ جَدّيَ الحُسينَ قَتَلُوهُ عَطشانًا. ألا يَا أهلَ العَالَمِ إنّ جدِّيَ الحُسينَ طَرَحُوه عُريانًا. ألا يَا أهلَ العَالَمِ إنّ جَدِّيَ الحُسينَ سَحَقُوه عُدوانًا».

هذه الكلمات لا تصل إلى مسامع الحاضرين في المسجد الحرام فحسب، و لا في مكّة المكرّمة أو في الحجاز فقط، بل يسمعها جميع أهل العالَم. و لا يبلغ هذا النداء أسماع جميع العالَمين بواسطة المختَرعات البشريّة، بل بمعجزةٍ إلهيّة. في تلك اللحظات، الدماء تغلي و أعيُن الناس تصبح عيونًا و ينابيع، حتّى غير المسلمين بلا اختيارٍ منهم يجهشون بالبكاء، كأنّ اسم الحسين عليه السلام يفتح أقفال جميع القلوب، كلّ من يكون بريئًا من الظلم فإنّ قلبه يتوافق مع الإمام المهديّ عليه السلام فيتأهّب لنصرته.

في هذا اليوم الشريف، ينطق الإمام عليه السلام بكلماتٍ لم يسبق للناس أن سمعوا مثلها في حياتهم قطّ. كلماتٌ من سنخ الخطبتين: الشقشقيّة و الفدكيّة. و بعد اجتماع الأنصار المُخلصين، يرفع الإمام عليه السلام كفّيه الشريفتين إلى السماء و يدعو الله بفنون الدعوات و يتضرّع إليه ثمّ يهوي إلى السجود، سجود الشمس حقًّا يستحقّ الرؤية و المشاهدة.



و بعد ذلك يسارع الناس ـ يحدوهم الشوق ـ إلى مبايعة مَن لم تسبق منه بيعةٌ لأيّ ظالم قطّ. و أوّل من يبايعه هما جبرائيل و ميكائيل عليهما السلام. أجل، فمن هو أقرب إلى الله تبارك و تعالى من الملائكة المقرّبين، جديرٌ بأن يكون سادة الملائكة و أوّل المبايعين. ثمّ يبايعه

بعد ذلك أنصاره الثلاثمئة و ثلاثة عشر. و لا تخلو هذه المدّة من الحاقدين الناصبين الّذين يسعون للتخلّص من الإمام العادل عليه السلام، فيهجمون عليه في محاولةٍ منهم لقتله، لكن مَن يجرؤ على إلحاق الأذى بالإمام عليه السلام و حوله أنصار يحفّون به و يقونه بأنفسهم و يتسابقون في الدفاع عنه؟ و بذلك يُظهر هؤلاء الشجعان آيات تضحياتهم و بسالة قتالهم في مواجهة الجاحدين. كما تصدر عنهم بعد ذلك الكثير من البطولات المذهلة و المثيرة الّتي تفغر لها الأفواه و تخرج الأحداق من محاجرها. إنّهم رجالٌ من غير ادّعاء قد سطع أنوارهم في أسواقٍ كثرت فيها المدّعيات، فكان الفوز حليفهم دون الآخرين.

ثمّ لا يطول الانتظار حتّى يصل عشرة آلافٍ من مختلف البقاع و الأصقاع لمبايعة الإمام عليه السلام. القليل منهم هم من أهل مكّة، لكنّ الأكثريّة قادمون من البلدان البعيدة. يؤكّد الإمام المهديّ عليه السلام مرّةً أخرى أنّه قائمٌ بالحقّ و عاملٌ بكتاب الله تعالى و سنّة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله، و أنّه إنّما يبايعهم على ذلك. ثمّ يصدع بالحكمة و الموعظة الحسنة ليكتمل ركّاب سفينة نهضته الكبرى. و هي نهضةٌ من أجل الإصلاح و بسط العدل في جميع ربوع العالم، إنّه أطهر قيامٍ و خروجٍ في التاريخ و على يدي أطهر إنسان.

شراب طهور

وجهك اليوم بوجه الشمس، لا سحابٌ في البين و لا ضباب، افتح عينيك لتراه. لقد ولّت الأيّام الّتي كان عليك فيها انتظار ريح الصبا لتحمل رسالته أو أن تجد قاصديه لإيصال رسالتك إليه، فالآن لم تعد بحاجةٍ إلى طَرق باب محمّد بن عثمان. و ليس عليك أن تنتظر ككامل بن إبراهيم حتّى تزيح الريح الستار لتراه، و لا أن تذهب مثل عليّ بن مهزيار عشرين مرّةً إلى الحجّ حتّى تنال توفيق الطواف حول كعبة القلوب عليه السلام. و من أجل رؤيته لا ضرورة لانتظار مراسيم وضع الحجر الأسود مثل جعفر بن قولويه، و لا لقصد مسجد الكوفة ليلًا كالمقدّس الأردبيليّ لتحصل على جواب سؤالك. و لست بحاجةٍ إلى الذهاب إلى الصحراء مدّة ثلاثة أيّام لكشف حقيقة الرمّان الفارغ. إنّه عليه السلام اليوم قريبٌ إليك. لتقدّم هديّتك لست مضطرًّا أن تعطيها سعد بن عبد الله و لا محمّد بن عليّ الأسود، إذ يمكنك أن تسلّمها بنفسك إلى يد حبيبك عليه السلام. لن تفوتك زيارته و لن تبقى في حسرة لقائه كأصحاب السيّد أبو الحسن، و لا تخف فلن تفقد روحك من ألم الفراق مثل إسماعيل. اليوم ليس بالضرورة أن تكون بهجة

الحجّة حتّى تجد نفسك دائمًا في محضره. لقد ولّت أيّام اليتم و أنت الآن وسط بحرٍ من الشراب الطهور، فهل لا يَهيم قلبك بلقائه عليه السلام؟ كلّ الأعيُن اليوم تستمدّ بصرها من النظر إلى جمال وجه الإمام عليه السلام و كلّ القلوب تحيا برؤية طلعته البهيّة.

الرجال الأشدّاء

عدد أصحاب الإمام عليه السلام ليس كبيرًا، و كأنّهم غير معدودين في قبال مئات الآلاف من الجنود المجنّدة من الأعداء المتربّصين بهم. و عندما يخرجون إلى الجهاد و من قلّة عددهم يعتقد الناس أنّهم مهما علَت همّتهم و بلغت إرادتهم عاجزون عن مواجهة القوى العسكريّة الكُبرى فضلًا عن استئصال وجودها، فهم مشفقون عليهم و يتناجَون بالقول إنّه سيُقضى عليهم و تتخطّفهم ذئاب الطواغيت! بَيد أنّ الله سبحانه و تعالى يمهّد لهم الطريق حتّى يفتح على أيديهم مشارق الأرض و مغاربها. إنّهم فتيةٌ آمنوا بربّهم فزادهم هدى. أكثرهم في عمر الشباب، و يَندُر وجود كهلٍ أو مسنٍّ بينهم. قلوبهم مثل زُبر الحديد، يجلّلهم اليقين و الثبات، و لا تعتريهم شوائب الشكّ. إرادتهم أصلب من الحجر الصلد، إذا هجموا يقتلعون الجبال الرواسي من أماكنها. إنّهم كالصقور في المهابة و حدّة البصر. يتبرّكون بركاب الإمام عليه السلام و يتحلّقون حوله تحلُّق الفراشات حول النور. يفتحون صدورهم لاستقبال سهام العدو من أجل الدفاع عن إمامهم عليه السلام و بَذْل مهجهم دونه، و يتسابقون فيما بينهم في طلب الشهادة بين يديه و لا وجود لمفردة الخوف في قاموسهم. هم أهل بصيرةٍ، يعلمون أنّ الجهاد تحت لواء الإمام المهديّ عليه السلام أحبّ أنواع الجهاد و أفضلها عند الله تعالى، فليس هناك جهادٌ يمكن موازنته بالجهاد في ركاب الإمام عليه السلام. يُصلح الله سبحانه و تعالى أمر الإمام المهديّ عليه السلام في ليلةٍ واحدة، حتّى ينتشر أمره و يعمّ النداء في جميع أنحاء العالم أنّه قد ظهر، و أنّه الّذي ينصر المظلومين و المستضعفين و يكشف عنهم كلّ بلوى و يزيل همّ كلّ مهموم و يفرّج عن كلّ مكروب.

إنّ أصحاب الإمام عليه السلام هم نِعم العاملون بأمره و المستسلمون لإرادته، و هم أطوع له من العبد لمولاه. إنّهم مستعدّون للعيش أبد الدهر في بطون الحيتان، و الغوص إلى أعماق البحار و الذهاب إلى أغوار الجبال، و الجلوس داخل التنور المسجور، إن كان ذلك بطلبٍ من مولاهم عليه السلام و تعلّقت به إرادته، و تكون كلّ تلك الأماكن بالنسبة إليهم كالحديقة الغنّاء.

إنّهم يقدّمون النفس و الأهل و المال فداءً لتراب قدميه، و يسارعون بكلّ وجودهم لتنفيذ كلّ ما يطلبه إليهم بحذافيره من دون أدنى شكٍّ أو تردّدٍ في أحقّيّة ما يُقدِم عليه، فهُم قد تعلّموا جيّدًا كيف كانت أفعال الخضر عليه السلام تنطوي على الحكمة، فكانوا أهلًا لمرافقة إمامهم عليه السلام من غير فِراق. أمّا الليل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن، منشغلين بالتهجّد و المناجاة و التضرّع لربّ الأرباب. تسمع همساتهم العاشقة في الصلاة و مناجياتهم الخاشعة، و هم يدفعون في ظلمة الليالي بعينٍ ثاقبةٍ و نفسٍ واعيةٍ احتمال موارد الخطر عن إمامهم عليه السلام. أمّا في النهار فيعتلون صهوات جيادهم استعدادًا للجهاد. إنّ الشهادة بين يدي إمامهم عليه السلام لأحبّ إليهم و أحلى لديهم من شهد العسل، فهذه غايتهم و أسمى أمنياتهم و آمالهم. شعارهم «يا لثارات الحسين عليه السلام» و قلوبهم زاخرةٌ مفعمةٌ بالشجاعة و التضحية. قائد ركبهم الرُّعب، و حيثما توجّهوا يسبقهم الخوف بشهرٍ، و يكون الجميع في طاعتهم. فينصر الله سبحانه و تعالى بهم خليفته على الأرض عليه السلام.

رجعة الوالهين

طوال زمان غَيبة الإمام عليه السلام، و حتّى في الأزمنة السابقة قبل مبعث خاتَم الأنبياء صلى الله عليه وآله، كان الكثير من المؤمنين و المخلصين يتمنّون إدراك هذه الأيّام، أيّام ظهور دولة الحقّ و حكومة العدل و إمام العصر عليه السلام، و الاستبسال في القتال و التضحية تحت لوائه، تعبيرًا عن عمق محبّتهم و ثبات ولائهم لبقيّة الله عليه السلام. فكم ألحّوا في المسألة و الدعاء، و كم من دموعٍ ذُرفت حرقةً و اشتياقًا لهذه اللحظات الفريدة. إلّا أنّ إرادة الله جلّ جلّاله و مشيئته قضتا بعدم اقتران عصر الظهور بأيّام حياتهم. و لكن إكرامًا لصدق نيّاتهم و خلوص محبّتهم قد فتح الله تعالى لهم بابًا من واسع رحمته لتلبية أمنيتهم هذه. إذ أذِن الحيّ القيّوم للشيعة الوالهين، و العاشقين المحبّين، أن يخرجوا من الأجداث سراعًا و مبادرين إلى نصرة الإمام المهديّ عليه السلام.

و في عصر الغَيبة، كان السرداب المقدّس للغَيبة خير شاهدٍ على نداءات المحبّين و لوعاتهم تلهّفًا لنصرة الدين، ففي ذلك المكان لا تزال تتردّد أصداء كلماتهم الّتي كانوا يخاطبون بها الإمام المهديّ عليه السلام من صميم قلوبهم و أرواحهم قائلين: «فَإنْ أَدْرَكَنِي الْمَوْتُ قَبْلَ ظُهُورِكَ، فَإنِّي أَتَوَسَّلُ بِكَ وَ بِآبَائِكَ الطَّاهِرِينَ إلَى اللهِ تَعَالَى، وَ أَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى محمّد وَ آلِ محمّد وَ أَنْ يَجْعَلَ لِي كَرَّةً فِي ظُهُورِكَ، وَ رَجْعَةً فِي أَيَّامِكَ، لِأَبْلُغَ مِنْ طَاعَتِكَ مُرَادِي، وَ أَشْفِيَ مِنْ أَعْدَائِكَ فُؤَادِي».

و الكثير من المؤمنين المخلصين التزموا بدعاء العهد أربعين صباحًا برجاء نُصرة الإمام عليه السلام.
و الآن لدى هؤلاء ـ و جميع العاشقين الّذين كانوا يتمنّون نصرة الإمام عليه السلام ـ فرصة ذهبيّة لخوض التجربة الفريدة المتمثّلة بالجهاد في ركاب الإمام المهديّ عليه السلام و حيازة شرف نصرته. يُنادى بإذن الله تعالى في جوف قبور هؤلاء المؤمنين: «يَا هَذَا إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ صَاحِبُكَ، فَإِنْ تَشَأْ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ فَالْحَقْ وَإِنْ تَشَأْ أَنْ تُقِيمَ فِي كَرَامَةِ رَبِّكَ فَأَقِمْ». ذلك أنّ المتوفّين من المؤمنين ماكثون حاليًا في جنّةٍ برزخيّةٍ، تحيط بهم النعَم و اللذّات من كلّ جانب. إلّا أنّ الّذين يعشقون إمامهم بالمعنى الحقيقيّ للكلمة، لا يرجّحون كفّة أيّ خيارٍ على مرافقة إمامهم عليه السلام و الجهاد بين يديه.

ها هو النداء في الأجداث قد وقع، و يا له من حدثٍ عظيم. و من بين الراجعين أشخاصٌ من مختلف العصور و الأزمنة. منهم الأنصار الخمسة عشر المقرّبون من النبيّ موسى عليه السلام، و وصيّه يوشع بن نون، و مؤمن آل فرعون، و أصحاب الكهف، و سلمان و المقداد و أبو دجانة و مالك الأشتر و حُمران بن أعين و ميسر بن عبد العزيز من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، و أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام و الإمام الصادق عليه السلام. طاوس كلّ زمن و مقدّسه و بهجته حاضرون، إنّهم الآن أنصار الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أصحابه، و عمّا قريب سيكونون الولاة المنصّبين من قِبله على البلاد. و يلتحق بهم سبعون ألف صدّيقٍ من ظهر الكوفة. فإنّ الّذي أنشأهم أوّل مرّةٍ بقادرٍ على أن ينشأهم مرّة أخرى، و تعود الأرواح لتعانق الأبدان من جديد، فيخرجون من قبورهم، و كأنّ قيامة مصغّرة قد قامت.

طمع الشيطان

لا يمضي على النداء السماويّ لجبرائيل عليه السلام سوى سويعات، و إذا بصوت إبليس اللعين يرتفع، إذ غصّ بحقده و احترق بحسده، فهو يعلم أن لا مكان له في حكومة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لن يكون بمقدوره بعد الآن النفوذ و التأثير في قادة الحكم. ها هو يرى خليفة الله عليه السلام ينشر راية الهدى فيعمّ التوحيد جميع أنحاء العالم، و تعمر القلوب بالإيمان و تتحلّى النفوس بمكارم الأخلاق. و يستعر غضبه و حقده عندما يرى هو و قَبيله كيف ينهار عرشه في كلّ مكان. ليس سهلًا على إبليس أن يفلت الأمر من يده، و هو يرى أنّ الحدث الّذي جرّد كلّ قواه من أجل محاربته يتحقّق أمام عينَيه. لقد سبق له أن ارتفع صوته

و علت صرخته في ليلة العقبة بعد معاهدة النبيّ الأكرمﷺ، عندما أخبر مشركي مكّة بتلك المعاهدة. لكنّه هذه المرّة يئنّ أنّةً خانقة أرعبت جنوده، و يصرخ صرخةً لم يُسمع أنكر منها، ثمّ بمكره و خبثه يسرع مناديًا على مشارف الغروب أنّ الحقّ مع عثمان و السفيانيّ و شيعتهما. ها هو ذلك اللعين يعود مرّةً أخرى لرفع قميص عثمان ليشعل به الفتن الطائفيّة من جديد. و بعد صرخة اللعين يستولي الشكّ على بعض الناس، بَيد أنّ الشيعة قد سبق لهم أن قرؤوا في الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام أنّ النداء الأوّل حقٌّ و النداء الثاني باطل؛ و لهذا لا يتطرّق الشكّ إلى قلوبهم و يثبتون على ولايته عليه السلام.

و العَجَب من أولئك الّذين لم يزالوا يشكّكون في حياة الإمام عليه السلام مع أنّه شريان الحياة الّذي لولاه لساخت الأرض بأهلها. إنّهم يلوون رؤوسهم مستكبرين و هم يقولون: إنّ مَن يدّعي أنّه قد عاش كلّ هذه المدّة الطويلة من الزمن لبعيد عن التفكير العقلائيّ، و على فرض ولادته فيما مضى فإنّه يجب أن يكون قد مات منذ أمدٍ بعيد و أبلى مئات الأكفان و تحوّل إلى رميم. و منهم مَن يقول: إن كان قد بقيَ على قيد الحياة طوال هذه المدّة، فالأولى أنّه قد أصبح هرِمًا جدًّا و مُنهار القوى، في حين أنّ الإمام عليه السلام على هيئة رجلٍ لم يتجاوز الأربعين من العمر. و كأنّ الذرائع لعدم الفهم أو التغابي لا تنفكّ عن قلوب المستكبرين. و أمّا الّذين يبحثون عن الحقيقة بصدق، فسوف يجدونها ماثلة أمامهم، أوضح من الشمس في رابعة النهار. إنّ الله سبحانه و تعالى يرسل من الآيات المتعاقبات و العلامات الباهرات إلى درجة لا يبقى معها شكٌّ أو ريبٌ إلّا في قلوب المغرضين و المعاندين الّذين في قلوبهم مرض.

ابن مكّة و منى

بعد الاضطهاد الكبير و الظلم الشديد اللذين يلحقان بشيعة أمير المؤمنين عليه السلام و محبّيه، و لا سيّما أولئك الحاضرين في المدينة المنوّرة، تُتاح لهم اليوم فرصة الخلاص و الفرار من القتل الذريع و اللجوء إلى بطن مكّة ليلوذوا بالإمام الرؤوف عليه السلام، و يلتحقوا بالأنصار.

إنّ حُكّام الجَور قد استولوا على الكعبة و المسجد الحرام غصبًا، و حسبوا أنفسهم المالكين لأمّ القرى مكّة المكرّمة. بَيد أنّ خلافة النبيّ الأكرمﷺ و إمامة المسلمين ليست رداءً يليق بقامة كلّ من هبّ و دبّ. و إنّ هؤلاء الظلمة من خلال سرقتهم لهذا الرداء المحمّديّ قد ادّعوا أمرًا أكبر من حجمهم. و عليه فإنّ أوّل أمرٍ يُبادر إليه الإمام عليه السلام في مكّة

هو تحرير بيت الله الحرام من احتلال أعداء الله، و إنزال العقاب بحقّ مَن سرق البيت الحرام و انتهك حرمته.

إنّ ظهور الإمام عليه السلام يمثّل حقنًا للدماء الّتي سفكها السفيانيّ في المجتمع بغير حقّ، فهو قتل الرجال و استباح النساء و ذبح الأطفال على هواه و كيفما شاء، فظهوره عليه السلام يعني بداءة ظهور الأمن و السلام. و في سبيل إحقاق الحقّ و إغاثة الملهوفين من جَور فراعنة الزمان، يعيّن الإمام عليه السلام خليفة له في مكّة المكرّمة، ثم يتّجه إلى المدينة المنوّرة، و في طريقه إليها يبلغه خبر استشهاد عامله في مكّة المكرّمة؛ فيعود أدراجه و يقتصّ من قاتليه فقط، و لن يسفك دم أحدٍ بغير حقّ. ثمّ يدعو الناس بين المسجد الحرام و مسجد النبيّ صلّى الله عليه و آله إلى كتاب الله و سنّة النبي صلّى الله عليه و آله، و ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام و البراءة من أعدائه. ثمّ يقصد المدينة المنوّرة و يعيّن عامله عليها. و بعد قتل أتباع السفيانيّ في هذه المدينة، يعود الأمن إليها و يعيش الناس في بحبوحةٍ من الهدوء و الاستقرار و السلام. لا يتساهل الإمام عليه السلام و أصحابه في قتل أعداء الله تعالى، و لا تأخذهم في تحقيق إرادة الله لومة لائم. و في الوقت نفسه لا يسمحون بإراقة قطرة دمٍ واحدةٍ بغير حقّ، فهُم لا يفسدون حتّى الزرع و لا يؤذون حيوانًا و لا يهدمون حائطًا بغير حقّ، حتّى النمل في مأمنٍ من حوافر خيل سليمان الزمان عليه السلام و جنوده. هكذا يسيرون على خطّ العدالة المستقيم، و ينشرون العدل في جميع أقطار العالم. لا يمكن لأيّ جيشٍ أن يقف أمامهم أو يعترض طريقهم، و لا يمكن لأيّ شيءٍ أن يحول دون انتصارهم. تُذلّ لهم جميع الصعاب، و تُبسط لهم جميع القمم الشاهقة. أفهل يمكن منازلة جيشٍ جبرائيل على ميمنته و ميكائيل على ميسرته؟! حشود الملائكة تتدافع بين أنصار الإمام عليه السلام و جنوده الّذين يقاتلون في سبيل الله، فهذا فوجٌ من الملائكة المسوّمين الّذين نصروا النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله في معركة بدر، و هذا فوجٌ آخر من الملائكة الّذين رافقوا النبيّ نوح عليه السلام في سفينته، و ذاك من الّذين جعلوا النّار لإبراهيم عليه السلام بردًا و سلامًا، و ذاك فوجٌ من الملائكة الّذين فلقوا البحر للنبيّ موسى عليه السلام، و آخرون ممّن عرجوا بالنبيّ عيسى عليه السلام إلى السماء. جميع هذه الحشود و الأفواج من الملائكة قد أتت للانضمام إلى جيش الإمام عليه السلام و نصرته. بَيد أنّ أكثرهم شوقًا و تلهّفًا إلى نصرة الإمام المهديّ عليه السلام هم الملائكة الّذين استأذنوا الله للقتال في يوم عاشوراء و لم يؤذن لهم في حينها. لقد كانوا يتردّدون بين الأرض و السماء و يضجّون إلى الله لأخذ الإذن في قتال تلك

الفئة الّتي بغت على إمام زمانها عليه السلام و استباحت حُرمة رسول الله صلى الله عليه وآله. فقد شاهدوا الظلم الّذي لا يُمحى و الّذي مارسته الأمّة على فلذة كبد النبيّ صلى الله عليه وآله، و كانوا بعد مأساة كربلاء في بكاءٍ و حزنٍ دائمين على هذا المصاب الجلل. و الأمر الوحيد الّذي كان يُسكّن آلامهم و أحزانهم هو صدور الإذن بالأخذ بالثأر من أعداء الله و أعداء رسوله صلى الله عليه وآله و أهل بيته عليهم السلام. لقد كان هؤلاء الملائكة يواسون المؤمنين و يحملون معهم رزايا كربلاء و هم ينتظرون حلول مثل هذا اليوم، كي يسجّلوا أسماءهم في ضمن قائمة أفراد جيش الإمام المهديّ عليه السلام.

و إنّ أصحابه الكرام لا يقتصرون على الإنس و عالم المُلك، بل الجنّ أيضًا لا يتخلّفون عن القافلة، فهم أيضًا لديهم قلوب واعية و هم أولئك الّذين تحرّوا رَشَدًا، و هم الّذين أرادوا يوم عاشوراء أن ينصروا إمامهم الحسين عليه السلام لكن لم يُؤذن لهم، و إلى الآن كانوا ينتظرون حتّى يظفروا بنصرة أهل البيت عليهم السلام. محفل العشّاق لا يعرف قوميّة و لا ماهيّة، تصريح الدخول إلى حرم نصرته هو أن يكون قلبك سليمًا و والهًا. فأنعِم به من محفلٍ للعشّاق قد اجتمع فيه المحبّون!

عاصمة حكومة السماء

ها هو الإمام المهديّ عليه السلام يتحرّك باتّجاه الكوفة. و يأمر جميع أنصاره بأن لا يحمل أيّ واحدٍ منهم معه طعامًا أو شرابًا. و هنا يظنّ البعض منهم أنّ الغاية من ذلك تحمّل الجوع و العطش، فيحدّثون أنفسهم: لعلّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يريد اختبارنا، كما صنع طالوت عند اختبار جنوده. و يأخذ الإمام عليه السلام معه حجر النبيّ موسى عليه السلام، و يتولّى حمله بعض الأنصار، و هو ذات الحجر الّذي ضربه النبيّ موسى عليه السلام بعصاه فانبجست منه اثنتا عشرة عينًا. و على طول المسير حيثما نزلوا للاستراحة، يقوم الإمام عليه السلام بلمس هذا الحجر لتنبجس منه العيون و يشرب أصحابه و أنصاره من ذلك الماء حتّى يرتووا. أجل، إنّه لا يحتاج إلى عصا لتفجير العيون بل هو عين الحياة الّذي يُستمدّ منه. و بذلك يُحصحص الحقّ مرّةً أخرى و يُظهر الله تعالى آيةً جديدةً لتكون حجّةً على العباد. و على طول المسير يلهج الإمام عليه السلام بهذا الدعاء:

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حَقًّا حَقًّا، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِيمَانًا وَصِدْقًا، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تَعَبُّدًا وَرِقًّا، اللَّهُمَّ مُعِزَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَحِيدٍ وَمُذِلَّ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، أَنْتَ كَنَفِي حِينَ تُعْيِينِي الْمَذَاهِبُ وَتَضِيقُ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، اللَّهُمَّ خَلَقْتَنِي وَكُنْتَ غَنِيًّا عَنْ خَلْقِي، وَلَوْلَا نَصْرُكَ إِيَّايَ لَكُنْتُ مِنَ

الْمَغْلُوبِينَ، يَا مُنْشِرَ الرَّحْمَةِ مِنْ مَوَاضِعِهَا وَ مُخْرِجَ الْبَرَكَاتِ مِنْ مَعَادِنِهَا، وَيَا مَنْ خَصَّ نَفْسَهُ بِشُمُوخِ الرِّفْعَةِ فَأَوْلِيَاؤُهُ بِعِزِّهِ يَتَعَزَّزُونَ، يَا مَنْ وَضَعَتْ لَهُ الْمُلُوكُ نِيرَ الْمَذَلَّةِ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَهُمْ مِنْ سَطَوَتِهِ خَائِفُونَ، أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذي فَطَرْتَ بِهِ خَلْقَكَ فَكُلٌّ لَكَ مُذْعِنُونَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى محمّد وَآلِ محمّد وَأَنْ تُنْجِزَ لِي أَمْرِي وَتُعَجِّلَ لِي فِي الْفَرَجِ وَتَكْفِيَنِي وَتَقْضِيَ حَوَائِجِي، السَّاعَةَ السَّاعَةَ اللَّيْلَةَ اللَّيْلَةَ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

عند وصول الإمام المهديّ عليه السلام بجيشه المقدام إلى مشارف الكوفة، يقف في مواجهته جيشٌ عظيمٌ من أعداء أهل البيت عليهم السلام من أتباع السفيانيّ، ليمنعوا الإمام عليه السلام و جنده من دخولها قائلين له: يا ابن فاطمة، ارجع من حيث أتيت، فلا حاجة لنا فيك! و على إثر هذا التصادم، يبرز الإسلام كلّه إلى الشرك كلّه، و تندلع حربٌ طاحنةٌ بينهما، و يحتدم القتال بين أصحاب الإمام عليه السلام و بين السفيانيّين، و يهلك فيها المنافقون و الخبثاء من الأعداء. يسعى بعض جنود السفيانيّ بذلّةٍ إلى الاختباء خلف الأحجار و الأشجار، لكن يكشف الحجر و الشجر عن أماكن اختبائهم، لأنّها هي أيضًا من أصحاب الإمام عليه السلام، إذ يجب أن يتحقّق الوعد الإلهيّ و تتطهّر الأرض من رجسهم، فلا يدع الإمام عليه السلام منهم هامًّا إلّا قدّه، و لا فاسقًا إلّا حدّه، و لا فرعون إلّا أهلكه، فتنتشر جثثهم و يكون لحمهم طعامًا للكواسر و الضواري. يدخل الإمام عليه السلام إلى الكوفة مع أنصاره بسلام آمنين، و يتّخذها عاصمةً لحكومته الإلهيّة، و يرسل جيوشه إلى مختلف البلدان. الليلة الأولى من وصول الإمام عليه السلام إلى النجف الأشرف ليلةٌ مباركة و مميّزة، فهو يطلب إلى أصحابه إحياء الليل بالعبادة و التهجّد. فهذا قائمٌ يصلّي و ذاك ساجدٌ يتضرّع إلى الله، و آخر يرتّل آيات القرآن. و تكون أرواحهم التوحيديّة هي الّتي تجذب قلوب الناس.

و مع أنّ الإمام عليه السلام يقيم في الكوفة، إلّا أنّه حاضرٌ في كلّ مكان و لدى الجميع، حتّى إنّ الناس في المدن كافّة يشعرون و كأنّه يعيش بينهم. إذ تكتسب الأبصار و الأسماع قدرةً بحيث تتمكّن من سماع صوت الإمام عليه السلام و رؤية طلعته المباركة من مكانٍ بعيدٍ جدًّا.

قبل دخول الإمام عليه السلام إلى الكوفة كان قد نشب صراعٌ بين ثلاث جماعات، و رفع كلّ واحدٍ منها علمًا، و لكن بعد أن يدخلها الإمام عليه السلام تهوي أفئدة الناس إليه، و ينبذ الجميع خلافاتهم جانبًا. و يُلقى القبض على السفيانيّ و يُقضى عليه و يُكفى المؤمنين شرّه. و ما هي إلّا ساعة حتّى يرتقي الإمام عليه السلام المنبر و يخطب في الناس. أصوات الجميع تعلو

بالبكاء و النحيب. زفراتٌ مكبوتةٌ في قلوب الموالين منذ مئات السنين قد تفجّرت، إلى حدٍّ لم يعد بالإمكان سماع كلمات الإمام عليه السلام إلّا بصعوبة.

ها هو يوم الجمعة قد أقبل فتتوافد الحشود كالسيل الجارف متدافعةً للوصول، لا إلى شبّاك الضريح بل إلى شخص الإمام عليه السلام، يرجون الصلاة خلفه، فكم حنّوا سابقًا لصلاةٍ بإمامة المهديّ من آل محمّد صلى الله عليه و آله. صفوف الراكعين الساجدين تنتظم، بَيد أنّ مسجد الكوفة لا يتسّع لهم. فيتقدّم عددٌ من المؤمنين إلى الإمام عليه السلام، و يقولون له: يا ابن رسول الله، إنّ الصلاة خلفك تعدل الصلاة خلف جدّك رسول الله صلى الله عليه و آله، و لكنّ المسجد لا يتّسع لكلّ هذه الجموع؛ فينظر الإمام عليه السلام إليهم بنظرته الحانية، و يُطمئنهم بأنّه بإذن الله تعالى سيعمل على توسيع المسجد. و يذهب الإمام عليه السلام إلى النجف الأشرف و يرسم حدود المسجد. كما يشقّ من خلف حرم الإمام الحسين عليه السلام نهرًا يمتدّ إلى النجف، و يشيّد فوقه الجسور و القناطر.

ها هم الأصحاب يَصِلون إلى النجف و الكوفة؛ إذ لا تطاوعهم قلوبهم على الانفصال عن إمامهم عليه السلام. ثمّ يتّخذون مكانًا لإقامتهم في أطراف مسجد الكوفة. بسبب كثرة الحروب و الخراب فيها، حتّى الأمس القريب لم يكن أحدٌ يرغب في السكن فيها، و لم يكن لبيوتها من شارٍ، لكن اليوم الأمر مختلف، فالناس يبدون رغبةً شديدةً بشراء قطعة أرضٍ صغيرةٍ أو على الأقلّ موضع قدمٍ لهم في عاصمة دولة الإمام عليه السلام، و هم على استعدادٍ لأن يبذلوا الغالي و النفيس بإزائها. يشدّ المؤمنون جميعًا الرحال و يسعون من مشارق الأرض و مغاربها، من أجل الوصول إلى الكوفة و هم يغبطون أهلها على ما حباهم الله من نعمة مجاورة الإمام عليه السلام. أمّا من لم يتمكّن من الحضور هناك فإنّ قلبه يحنّ و يشتاق إليها. ثمّ يأمر الإمام المهديّ عليه السلام بتوسعة مسجد الكوفة حتّى يصبح له ألف باب. و سرعان ما تزدهر مدينة الكوفة بتنظيمها المدنيّ، فتكثر فيها البيوت و تتّسع مساحتها حتّى تصل إلى مشارف كربلاء المقدّسة. و ها هي الكوفة سيّدة البلدان تستقطب الجماهير من كلّ مكان، و تبلغ حشود المجتمعين ذروتها في يوم الجمعة سيّد الأيّام حيث تقام صلاة الجمعة بإمامة سيّد الأنام الإمام المهديّ عليه السلام، فلا مكان حتّى لموضع قدميك.

إنّ الإمام المهديّ عليه السلام مقيمٌ مع أهله في مسجد السهلة. و قد سبق لهذا الموضع المبارك أن كان منزلًا للنبيّ إدريس عليه السلام، و قد صلّى في هذا المكان المقدّس جميع الأنبياء و الأولياء عليهم السلام. و أفواج الملائكة تهبط على هذا المسجد في الليل و النهار، يقضون أوقاتهم

بعبادة الله الواحد المنّان. كما أنّ قلوب المؤمنين تهفو إلى ذلك الصرح على الدوام. إنّهم اليوم لا يرتضون إنفاق لحظةٍ واحدةٍ من حياتهم دون النظر إلى جمال وجه الإمام عليه السلام و سماع صوته العذب. حديث الساعة في كلّ مكانٍ يدور حول الكوفة و السهلة و كربلاء، و كلّ من تصادفه تسمع أنّه يحكي عنه عليه السلام. كلّ فردٍ يسعى ليكون مهدويًّا، فهذا يُسمّي ابنه مهديًّا و آخر يتشبّه به في لباسه، و ذاك يكرّر ما حفظ من كلماته، و آخر يبيع منزله من أجل أن يكون جاره، و ذلك يترك أحبّاءه شوقًا إلى أن يكون مصاحبًا له. الكلّ يسعون لأن يكونوا في وجودهم و سلوكهم و توجّهاتهم قريبين إليه أكثر فأكثر، فالأنظار كلّها مصوّبة نحوه. و هل هناك شيءٌ أجمل من هذا؟

تألّق أنوار اللآلئ

يُرسل الإمام عليه السلام من عاصمته الكوفة جيوشًا إلى مختلف بقاع الأرض، ابتداءً من الصين و الهند وصولًا إلى الروم و الغرب. و لقد لجأ الكثير من أتباع بني أميّة و ناصبي العداء لأهل البيت عليهم السلام إلى الروم و البلدان الغربيّة. بَيد أنّ حكّام تلك البلدان لا يأذنون لهم بالمكوث عندهم إلّا بشرط اعتناق الديانة المسيحيّة و الرضوخ لأسلوب حياتهم؛ كأن يعلّقوا الصلبان على أعناقهم، و يتزوّجوا من النصارى، و يأكلوا لحم الخنزير، و يشربوا الخمر. و سرعان ما ينقلب أتباع بني أميّة على وجوههم، فيقبلون بهذا الشرط، حتّى يصل بهم الأمر إلى الوشاية بأبناء جلدتهم، و لكن سرعان ما يأتيهم العذاب من كلّ حدبٍ و صوب.

أصحاب الإمام المهديّ عليه السلام يتعطّرون برائحته و يأخذون صبغته، و إن تكن أسلحتهم بأيديهم و لكنّ قوّتهم الحقيقيّة ناشئة من صلابة إيمانهم. إنّهم كإمامهم عليه السلام نظراتهم جاذبة و كلامهم نافذ، أرواحهم العالية هي الّتي تنفّذ الأمور لا أجسادهم النحيلة. أينما تطأ أقدامهم من الأرض، تفتح لهم القلوب أبوابها لِما لهم من سيماء إلهيّ و محبّب. و يرى حكّام مختلف البلدان و زعماؤها ما يصدُر من أصحاب الإمام عليه السلام من الآيات الباهرات ما يذهلهم و يحيّر ألبابهم. فذاك يمشي على الماء و ذاك يسير في السحاب و ذاك تنحني له الجبال الراسخات، و غيرها الكثير من الكرامات. فتأخذهم الرهبة و علامات الاندهاش، و يحدّثون أنفسهم: إن كان هذا فعل الأنصار، فكيف يكون شأن إمامهم؟! و برؤيتهم لهذه الآيات يوقنون بأن لا قِبَل لهم على مواجهة جنود الله عزّ و جلّ، فتُرفع رايات الاستسلام في سماء تلك الأوطان، بفضلٍ من الله تعالى و بركاته.

يحكم الإمام المهديّ عليه السلام العالم من شرقه إلى غربه و يبسط سلطانه بالعدل، فتأمن في دولته البلاد و يهتدي العباد. و يجمع الله تعالى له ملك المملكات كلّها، قريبها و بعيدها و عزيزها و ذليلها، فيجري حكمه على كلّ حكم و يغلب بحقّه كلّ باطل. إنّ السُّحُب العتيدة مسخّرة له، و الرياح العاتيات طَوع أمره، و بيَده جميع الأسباب و المسبّبات، إذ تتجلّى بخاتم الأوصياء عليه السلام حقائق الأسماء، و تظهر عليه آثار الأصفياء، و إليه تنتهي مواريث الأنبياء، فيُظهر خاتم سليمان عليه السلام، و عصا موسى عليه السلام، و يُحيي دين الله في جميع أرجاء المعمورة، حتّى يعلو دين الإسلام في جميع البقاع على سائر الأديان الأخرى و لو كره المشركون. و تتهاوى جميع الأصنام و الأوثان و الطواغيت و يبقى وجه ربّك المعبود. أمّا أولئك الظالمون الّذين كانت بأيديهم السلطة في حكومات الجور السابقة و كانوا يمارسون شتّى أنواع الظلم و الجَور، من سلب حقوق النّاس و تجويعهم و سرقة خيراتهم و قتلهم بغير حقّ، فها هم يجزون بما كانوا يفعلون، و يلبسون ثياب المذلّة و الخنوع. كما يعتنق الكثير من الوثنيّين و المشركين دين الإسلام، فلا يبقى صاحب ملّة إلّا و صار إلى الإسلام المحمّديّ الأصيل بعد أن عاد دين الله صحيحًا لا عوج فيه و لا بدعة معه. و يحكم الإمام عليه السلام بسيرة النبيّ سليمان بن داود عليهما السلام فلا يطلب في حكمه و قضائه بيّنةً و لا شاهدًا من أحد، إنّما يصدر الحكم الواقعيّ بعلمه الإلهيّ. و هذا الأسلوب في القضاء يُعدّ من أشدّ أنواع القضاء و أبغضها إلى قلوب المخادعين و المخاتلين.

يولّي الإمام المهديّ عليه السلام أنصاره الثلاثمئة و ثلاثة عشر قيادة الأركان في قوّاته و جيوشه، فيكونون هم حَمَلة ألويته و يسند إليهم إدارة الأقاليم و البلدان فيكونون ولاته و عمّاله في مختلف المدن. و يمسح الإمام عليه السلام بيده المباركة على أكتافهم و صدورهم فلا يعجزهم القضاء و معرفة أحكام المسائل، ثمّ يُرسلهم إلى مختلف أصقاع العالم. و بإرادةٍ من الإمام عليه السلام كلّما واجهوا مسألةً مستحدثةً لا يعرفون حكمها، أو لا يعرفون طريقة القضاء في موضوع ما، ينظرون في أكفّهم فيعرفون الإجابة الصحيحة عن المسألة.

يستمدّ الشيعة من الإمام عليه السلام روحًا جديدة، و حتّى أجسامهم تكتسب قوّة خارقة، و مناعة تقيهم الأمراض و الأوبئة، و ها هم يعيشون حياة الرخاء و الطمأنينة و السلام. حتّى إنّ الواحد من أصحاب الإمام عليه السلام يمتلك قوّة أربعين رجلًا، و يمنّ الله عليهم بكرامة وليّه عليه السلام

فيورثهم الأرض و يجعلهم حكّامًا و أمراء على مختلف البلدان و البقاع. هم أشدّ شجاعة من السباع الضواري، و أنفذ في طريق الحقّ من السهام. لا يلقون أسلحتهم أرضًا حتّى يرضى الله تعالى و يستأصلون شأفة الشرك من على وجه البسيطة. كلّ شيء و كلّ شخص رهن إشارتهم و طوع أمرهم، حتّى الوحوش الكاسرة تمسي طوع إرادتهم. و إنّ الأرض الّتي يطأها أصحاب الإمام عليه السلام بأقدامهم تتباهى بالنور و تتفاخر بنفسها على سائر الأراضي الأخرى، ذلك أنّها نالت شرف حَملهم.

و كأنّ سهول الأرض و هضابها و تلالها و جبالها تنبسط كلّها و تُذلّ للإمام عليه السلام، فتكون الأرض جميعها في قبضة يده. و جميع الحوادث تحت مرآه و مسمعه، و هو مطّلع على ما يجول في قلوب العباد و أذهانهم، فلا يعزب عنه علم شيءٍ و لا يخرج كائنٌ عن سيطرته و حكمه. أفهل يمكن أن تنمو شعرة واحدة على كفّ أحد و لا يراها؟!

ينعم الناس في زمن الإمام المهديّ عليه السلام بنعمٍ لم ينعموا بمثلها قطّ، فترسل السماء عليهم مدرارًا، و لا تدع الأرض شيئًا من النبات و كنوز الذهب و الفضّة إلّا أخرجته، و يعمّ الأمان حتّى ترعى الشاة و الذئب في مكانٍ واحد و يلعب الصبيان بالحيّات. و تتطهّر الأرض من دنس المنافقين و رجس الخائنين، و تعيش النساء في أمنٍ و طمأنينة و سلام. و ببركة ظهور الإمام عليه السلام تعمّ الأفراح في كلّ دارٍ، باستثناء المشركين و الكفّار، إذ يرون انتشار اسم الله تبارك و تعالى في جميع الأقطار. و لا تبقى مدينة صغيرة و لا كبيرة إلّا و يرتفع فيها نداء «لا إله إلّا الله» و «محمّدٌ رسول الله» في أوقات الصلوات. أمّا المؤيّد بروح القدس نبيّ الله عيسى عليه السلام فإنّه ينصر ذاك المؤيّد بروح القدس و الروح الأمين بقيّة الله عليه السلام، و يعمل على إزالة الصلبان، و يمنع أكل لحم الخنزير و ما أهلّ به لغير الله، و يُصلح كلّ ما فسد من معتقدات الدين. و بذلك يُمكّن للمؤمنين في الأرض و تقع تحت تصرّفهم، و لا يبقى أثرٌ لخصومة الأعداء، و يجد الشيعة ما وعد ربّهم حقًّا.

حقًّا، أتذكرون يوم ولادة الإمام المهديّ عليه السلام كم كانت تلك العجوز سعيدة و تريد أن تصرخ من الفرح لكن لم يُسمح لها؟ أتذكرون الشهود على ولادته كيف ظلّوا إلى مدّةٍ طويلةٍ ممنوعين من أن ينبسوا ببنت شفة عن هذا الحدث العظيم؟ لَيتهُم اليوم موجودون ليروا و يشهدوا هذا الجلال و هذه العظمة. لا حاجة اليوم إلى أن يختبئ أحمد بن إسحاق الهدايا تحت ثيابه الفضفاضة، و لا أن يخفي عثمان بن سعيد الرسائل في قُرَب الزيت، و لم يعد

الحسين بن روح مضطرًّا ليقول إنّ أحدًا بعد رسول الله ﷺ أفضل من وصيّه أمير المؤمنين عليه السلام. فلتصرخ العجوز اليوم من الفرح قدر ما تشاء! فالسماوات كلّها اليوم تهتف باسم الله تعالى.

ذهاب الزبد

مضت قرون و غيث الوحي يُجري سيل المعارف إلى أودية القلوب، لكنّ الصخور المزروعة في طريق الأنهار قد أوجدت زبدًا رابيًّا، أمّا الآن فالقرآن الناطق عليه السلام قد أزاح صخور الجهل جانبًا، فسهّل طريق الأنهار و ذهب الزبد جفاءً. يا لها من لذّةٍ في النظر إلى هذا الماء الصافي و الشافي. وكان دين الله سبحانه و تعالى قد تعرّض طوال مرحلة الغَيبة إلى ألوان البدع و الدسائس، كما طال التحريف أغلب التعاليم و المعارف الدينيّة، حتّى يقول الجميع: إنّ الإمام عليه السلام قد جاء بدينٍ جديدٍ وكتابٍ جديدٍ و يعمل على وفق سنّةٍ جديدة. إذ في أزمنة سجن أمثال الحسين بن روح، لم يكن قليلًا عدد أولئك الّذين دسّوا سموم بدعهم و مخلّفات جاهليّتهم في طعام الأمّة و غذائها الفكريّ كما فعل الشلمغانيّ، حتّى بات من الصعب تغيير المعتقدات و ترك العادات بالنسبة إلى المسلمين الّذين اعتادوا على السنن الجاهليّة الّتي كانوا يعدّونها جزءًا من معتقداتهم الدينيّة.

و لكنّ الإمام عليه السلام يسير بسيرة جدّه المصطفى ﷺ، فكما قام النبيّ الأكرم ﷺ بالقضاء على السنن الجاهليّة الواحدة تلو الأخرى، بالحكمة و الموعظة الحسنة، و عمل على تأسيس الإسلام منذ البداءة، فإنّ الإمام المهديّ عليه السلام يزيل السنن الخاطئة، و يعيد إلى الإسلام حياته و جوهره و حقيقته من جديد. وكما سبق للمجتمع في صدر الإسلام أن وقف بوجه هذا التغيير التأسيسيّ، فإنّ مجتمع عصر الظهور بدوره يقاوم النهج التصحيحيّ للإمام عليه السلام أيضًا، إلّا أنّ المقاومة و المعارضة في هذه المرحلة ستكونان أشدّ. هذه المرّة تقاتل الأمّة وليّها بكلمات حقٍّ أُريد بها باطل، باطلٌ وليد سنواتٍ من التضليل و الانخداع، فتواجه بعض الجماعات الإمام المعصوم عليه السلام مستدلةً بآياتٍ من القرآن الكريم، و بسبب الأفهام الخاطئة الّتي تراكمت و ترسّخت في أذهانهم على مدى الأعوام، يعدّون سيرة الإمام عليه السلام مخالفة للقرآن، بل و يَخرجون على إمام زمانهم عليه السلام و يحاربونه على هذا الأساس. إلّا أنّ الإمام المهديّ عليه السلام و من معه من الأصحاب المخلصين منصورون بإذن الله تعالى، فيتمكّنون في نهاية المطاف من تطبيق الدين الإسلاميّ القويم و الأصيل، حتّى يسود العدل في كلّ بيتٍ، و يشفي الله بهذا النصر صدور قومٍ مؤمنين.

رحم الله تلك الأيّام الّتي كان يتحمّل فيها أمثال الشيخ الكلينيّ ﷺ و الشيخ الصدوق ﷺ مشقّات الأسفار الطويلة من أجل أن يجدوا روايةً واحدةً صحيحةً صادرةً عن لسان المعصوم. و بعين الله تعالى كلّ ذلك التعب الّذي تحمّله أمثال العلّامة الحلّيّ ﷺ من أجل الدفاع عن المذهب الحقّ. و في ظلّ رحمة الله تعالى كلّ تلك المباحثات و التحقيقات و اجتهادات الفقهاء و كلّ تلك الجهود الحثيثة الّتي كان الإمام المهديّ عليه السلام يجازي عنها خير الجزاء. لكن اليوم لا حاجة إلى طيّ كلّ تلك المسافات الطويلة للوصول إلى الحقيقة، اليوم وصلنا إلى منجم الذهب الخالص و كلٌّ ينهل منه بقَدَر همّته!

أمّا القرآن الكريم الّذي فرّقوا بينه و بين مفسّره الحقيقيّ، كان الأكثر هجرانًا في زمن الغيبة، حتّى بات كلّ أحدٍ يفسّره كما يشاء. فبعد رحيل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، أبى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الخروج من بيته قبل إتمام جمع القرآن على ترتيب نزول آياته الشريفة و تأويلها و تفسيرها. و لو كان هذا المصحف في متناول أيدي المسلمين لما وقع كلّ هذا الانحراف عن جادة الحقّ و لصوّب كلّ فهمٍ خاطىءٍ أو مشتبه. لكن عندما ذهب أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد و عرض مصحفه على المسلمين رفضوه و قالوا له: لا حاجة لنا إلى مصحفك! و منذ ذلك الحين حُرِم المسلمون ذلك المصحف النورانيّ حتّى هذا اليوم الّذي يُظهره وارثه الإمام المهديّ عجّل الله فرجه من جديد، لكن هذه المرّة يعرف الجميع مدى حاجتهم إليه و يقبلونه من أعماق قلوبهم و نفوسهم و يشرعون صدورهم للنهل من علمه المكنون، إذ إنّ قحط سِني زمن الغيبة جعلهم يدركون قدر النعمة!

إحياء العدالة

ينفّذ الإمام المهديّ عليه السلام أحكام الله جلّ جلاله و لا يسمح بالمسامحة في ذلك، بل يُقيم الحدود الإلهيّة على أتمّ وجه. فلا إمكانيّة لتعطيل أيّ حكمٍ رعايةً لبعض المصالح أو إرضاءً لهذا أو ذاك. فالمخطئ يُعاقَب، و العاصي يؤخذ بجريرته حتّى لو كان من كبار الأكابر، و المظلوم يستوفي حقّه و إن كان من أضعف الناس على الأرض، و كلّ شيءٍ يوضع في موضعه، و لا أحد يتعرّض لحقوق الآخرين. تعمّ العدالة في جميع الأمور و التفاصيل، حتّى إنّ الناس يراعون أدوارهم في زيارة بيت الله الحرام و المراقد المطهّرة للأئمّة عليهم السلام. و بأمرٍ من الإمام المهديّ عليه السلام في الحجّ، يُخلي الّذين يؤدّون صلاةً استحبابيّةً أو حجًّا مندوبًا المكان

لأولئك الّذين يؤدّون الصلاة الواجبة و حجّة الإسلام. كما يأمر الإمام عليه السلام بإزالة المنائر من المساجد، إذ لم يبنِ أيّ نبيّ أو وصيّ نبيّ مسجدًا على هذه الشاكلة؛ فالمسجد موضعٌ لذكر الله و من الضروريّ أن يكون بعيدًا عن زخارف الدنيا و زينتها. ثمّ يعيد الإمام عليه السلام عمارة المسجد الحرام و مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله إلى حالتهما الأولى كما كانا عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

كما يزيل الإمام عليه السلام البدَع، و يحيي السُّنن، فيحلّل حلال الله و يحرّم حرامه، و لا يُبقي على قبيحٍ أو منكر. و يُعيد الأراضي المغتصبة إلى أهلها و أصحابها، و أمّا ما كان منها تابعًا إلى الممتلكات العامّة فتُستوفى أجورها. لكن في إحدى الزوايا النائية من هذا العالم، هناك من يتململ ألمًا و يحترق حقدًا و يصطلي بنار مقته و غلّه، فهو اليوم الأشد حنقًا و غيظًا؛ إنّه ذك الّذي أبى السجود لآدم عليه السلام لعلمه أنّ في صلبه هذا الإمام عليه السلام. و ها قد جفّت مستنقعات فساده الآسنة و زالت، حتّى يبدو الأمر و كأنّه قد مات و لم يعد له من وجود.

عصر العقل و العلم

يمسح الإمام المهديّ عليه السلام بيده الربّانيّة على رؤوس العباد؛ و بذلك تتّحد عقولهم و تكتمل أفهامهم. في المراحل الزمنيّة السابقة للظهور و مع أنّ مُختلف أنواع العلوم حسب الظاهر قد بلغت ذروتها في التقدّم و التطوّر، إلّا أنّ ما عُرف من بين حروف العلم السبعة و العشرين ليس سوى حرفين فقط. أمّا اليوم، إذ ظهر عَيْبة علم الله و مستودع حكمته عليه السلام فإنّه يُبيّن بإذن الله تعالى جميع حروف العلم السبعة و العشرين و ينشرها بين الناس. فتكون هذه المرحلة مرحلة القضاء على الجهل و إظهار العلم. و تنتهي بذلك غربة العلماء و الفقهاء و وحشتهم و يعيشون معزّزين مكرّمين في المجتمع.

إنّ الإمام عليه السلام يُعلّم أصحابه علم تأويل كتاب الله العزيز و تفسيره تمامًا كما نزل به الروح الأمين على قلب خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله. و هم بدورهم ينقلون ما يتعلّمونه إلى الناس، و أصعب ما يكون على من اعتاد على ما تعلّمه و حفظه من الآخرين. فيتحوّل بذلك مسجد الكوفة إلى محفلٍ لتدريس أسرار القرآن و معارفه. إضافةً إلى ذلك، يُخرج الإمام عليه السلام التوراة و الإنجيل و الزبور و سائر الكتب السماويّة من أماكنها الأصليّة، و يُزيل بذلك جميع التحريفات الّتي كانت قد أجريت عليها. إنّ زمن الظهور هو نِعم الزمان و أيّامه خير الأيّام، إذ تنتشر الحكمة بين الناس و في كلّ مكان، و تصبح النساء فقيهاتٍ عالماتٍ يستنبطن حكم الله في بيوتهنّ

على أساس الثقلين، كتاب الله تعالى و تعاليم عِترة رسوله ﷺ. نعم، إنّه عصر العلم و العقلانيّة، إذ ينهل الناس علومهم من مصدر المعرفة الحقيقيّ، فيحصلون بذلك على فوائد لا تُعد و لا تُحصى.

زفاف الدهر

الأرض اليوم ليست أرض فسادٍ و سفك دماء، بل هي عرشٌ لخليفة الرحمن. يرى العالَم بأسره كيف تُرخي السماء بركاتها و تُرسل هباتها إلى أهل الأرض كالغيث. و كأنّها قد ادّخرت هذه الهبات لمثل هذه الأيّام. يتدفّق ماء الفرات ليُعانق أزقّة الكوفة و دروبها، و أشجار النخيل المثمرة تنتشر على الطريق الممتدة بين مكّة المكرّمة و المدينة المنوّرة. أيّ عروسٍ هي هذه الأرض الّتي تقلّدت بأنفس الحليّ و الأحجار الكريمة، إذ أخرجت كنوزها و تباهت بها و شهد جميع الناس ظهورها. حتّى كأنّ نفوس قاطنيها لم تعد شحيحة، إذ يؤدّي الناس جميع حقوقهم الماليّة، و يدفعون الخمس و الزكاة. و يجتمع من هذه الأموال ما يبلغ من الكثرة بحيث لا يجد أحدٌ في نفسه حاجةً إلى أخذها؛ ذلك أنّ الإمام المهديّ عليه السلام يقسّم بيت المال بالعدل، و يتعامل مع مختلف الشعوب و الأمم بالمساواة. فيستغني الناس و يشعرون بالاكتفاء، حتّى لا يجد المرء موضعًا لصدقته. و تجتمع كنوز العالم و ثرواته لدى الإمام عليه السلام من ظاهر الأرض و باطنها، و هو يوزّع هذه الثروات بين الناس باستمرار و انتظام، و يقول لهم:

«تَعَالَوْا إِلَى مَا قَطَعْتُمْ فِيهِ الْأَرْحَامَ وَ سَفَكْتُمْ فِيهِ الدِّمَاءَ وَرَكِبْتُمْ فِيهِ مَحَارِمَ اللَّهِ!».

كثيرةٌ هي بركات الظهور، و في زفاف الدهر تغيّرت الكثير من الأمور. الأرض لا تبخل في عطائها، فتكثر النباتات و الأشجار بشتّى الأصناف و تعطي أجود الثمار، و ألذّ الفواكه و الخضار. الطيور في أعشاشها و الأسماك في بحارها تبيض أكثر من ذي قبل و تبقى جميع بيوضها سليمة. و تنمو الأنعام و تغدو أكثر سمنةً، و تتدفّق مياه الأنهار و تتفجّر العيون و تتناوب الشمس و القمر بالبزوغ لإنارة الأرض، حتّى كواكب الأسحار ترسم في سماء الدنيا أبدع لوحات الباري جلّ و علا. فيبدأ إدراك الناس للمعنى الحقيقيّ للغيث.

يأمر الإمام المهديّ عليه السلام بتوسيع الطرقات و إزالة الأبنية الّتي تعترض الطرق الرئيسيّة. فلا ميازيب و مجاري و سقوف تشوّه جمال الطرقات الصغيرة و الفرعية أو تزعج المارّة. و لا تبقى خربةٌ إلّا و يأمر الإمام عليه السلام بإعمارها و يعمّ الأمن في الطرقات؛ إلى درجة أنّ النساء

المخدّرات يسافرن من المشرق إلى المغرب دون خوفٍ أو وَجل. إنّهن يقطعن المسافات الطويلة باطمئنانٍ و أمان و لا يطأن إلّا على أرضٍ خضراء، و لا يتعرّضن لأيّ تهديدٍ و خطر و ما يخدش الحياء.

و من بركات هذا الزمان أنّ الأعمار تطول، و يكثر الإنجاب و يُبارك الله في الأجيال. و من أعظم النعم الّتي يفيضها الله تعالى على عباده بعد نعمة الأمان هي صفاء القلوب و تطهيرها من الأحقاد و الأضغان، إذ ينتشر العطف و الحبّ بين الناس، فيُعاوِن بعضهم بعضًا و يصلون الأرحام. كما يعطف الكبار على الصغار، و الصغار يحترمون و يبجّلون الكبار، و تعمّ المودة و الرحمة بين الأزواج، فيعمر كلّ بيتٍ بالسكينة و المحبّة و الوئام. و تعود الألفة بين الأصدقاء و الرفاق، فيتعاونون على حلّ ما يواجههم من مصاعب، و إذا احتاج أحدهم إلى شيءٍ من المال أو غيره يمكنه أن يُدخل يده في جَيب صديقه و يأخذ ما يحتاج إليه دون أدنى اعتراضٍ أو امتعاض من أخيه، إذ القلوب تآخت و أصبحت قريبة بعضُها من بعض، و الجميع على أحسن حالٍ بفضل الله و بركة حضور وليّه عليه السلام.

و يعمّ السلام و لا يكون انتشاره بين البشر فقط، بل يسود الغابات أيضًا فيزول الصراع بين الحيوانات و البهائم. و حتّى الحشرات و الهوام تغدو وديعةً، لا تلسع أحدًا أو تلدغه. و الحيوانات الكاسرة تعيش بجوار الأنعام الداجنة، و الفئران لا تقضم أكياس الحبوب. فينعم أهل الأرض و السماء بالعيش في سعادةٍ عارمةٍ و رضا بما هم فيه من رفاهٍ و رخاء.

إنّ الله سبحانه و تعالى قد خلق مخلوقاته لمثل هذا اليوم، إلّا أنّ الظلم الّذي ساد في الوجود كان قد بلغ حدًّا من الانتشار بحيث غدا تصوُّر عالَمٍ زاخرٍ بالاستقرار و السلام ضربًا من الخيال و الأحلام. بَيد أنّ هذه الأمنية العذبة أصبحت اليوم أبيَن من الشمس في رابعة النهار.

فبعد أن تولّت جميع الجماعات و المذاهب الفكريّة و طبقات المجتمع رئاسة الحكم و السلطة قبل ظهور الإمام عليه السلام، لم يعد بمقدور أحدٍ أن يقول: لو حكمت أنا لقُمت بنفس ما قام به الإمام عليه السلام. بل الكلّ مدركٌ أنّ رداء الحُكم إنّما يليق فقط بقامات أهل البيت عليهم السلام.

مغبوطٌ في وجوده من يعيش في ظلّ حكومة الإمام المهديّ عليه السلام. فحتّى الأموات يتمنّون لو أنّهم كانوا على قَيد الحياة في هذا العصر لينعموا بمَعين الحياة، و يذوقوا لذّة العيش في حكومته عليه السلام، في دنيا زاخرةٍ بالنعم و البركات. و إنّ الناس الّذين كانوا قبل ذلك يحملون في أذهانهم التصوّرات السيّئة عن الحكومات الظالمة الّتي تنسب نفسها إلى الإسلام و أهل

البيت عليهم السلام، ها هم الآن يثنون على هذه الحكومة و يمدحونها، و هم فرحون و مغتبطون إذ يعيشون في مثل هذا الزمن من الدهر.

في أحضان السماء

اليوم يعمّ نور الله في جميع العالم و الأكوان، و ها هي تزخر بالمودّة و الرحمة و الهدوء و الطمأنينة، بعد تبدُّد سُحُب زمن الغيبة الممتلئ بظلمات الفساد و الصراعات و سفك الدماء و الاضطراب و اليأس. و الناس الّذين يذوقون اليوم ثمرة طاعة الإمام عليه السلام يقولون في أنفسهم: يا ليتنا قوّينا في أنفسنا جذور التسليم لأوامر إمامنا، وكنّا وصلنا إلى هذا الزمن المبارك من قبل، فما كنّا حُرِمنا حضوره و بركاته عمرًا مديدًا قد غاب عنّا فيه! يا ليتنا تضرّعنا و استغثنا و رفعنا أيدينا إلى السماء و لتعجيل فرجه ألححنا من أعماق قلوبنا في المسألة و الدعاء. يا ليتنا تركنا المعاصي فما وقع البداء! يا ليت سلوكنا كان شبيهًا بسلوك السيّد ابن طاوس رحمه الله فكنّا بهجة حجّتنا، و ما كنّا لنحرم نفوسنا سماع نداء «هلُمَّ يا مهديّ»، بل كان ليمدّ يده العطوفة إلينا ليُدنينا منه و يقرّبنا إليه خطوةً بخطوة!

اليوم قد جرى ماء الحياة في كلّ مكان، و روى الأفئدة العطشى، و أنعش الصدور الذابلة. و كأنّ روحًا جديدة قد نُفخت في جسد العالم. و أنّى للكلمات أن تحصي ذكر بركات الإمام المهديّ عليه السلام و هو مجري الفيض و مسكن بركة الله تعالى؟! بهمسةٍ من علمه و نظرةٍ من رحمته و لمسةٍ من محبتّه، ملكَ قلوب العباد، فأصبحت قلوبهم كالأرض تفعم بالنضرة و الجمال، و كالسماء في الصفاء و السعة، و كالشمس في النور و الإشراق. و أصبحت الكفاءات مزدهرة، و الكؤوس مترعة، و الأواني زاخرة بالحبّ. و لم يعد للخرائب و الأطلال موضعٌ إلّا في الذاكرة. بدأت المدن تجهر بالتعبير عن سعادتها بملء صوتها، و لم يعد بالإمكان العثور على مفردات الحرب و الجهل و الجريمة في المعاجم اللغويّة، و بدلًا من ذلك تزاحمت مفردات من قبيل: الصفاء و المودّة و السلام و الصدق و الوئام. لله درّه من زمانٍ إذ اكتفت السنة بفصلٍ واحدٍ، و هو فصل الربيع. و القمر أبدًا بدرًا مكتملًا، و الشمس مستقرّة في رابعة النهار، و ما عاد هناك من مسافةٍ بين الأرض و السماء.

نعم، ما كان أمنيةً في نفوس الماضين، صار اليوم حقيقةً بين يدي الحاضرين. فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام ـ و هو طود الغيرة و الحميّة ـ يرى هذا اليوم عندما صبر على كسر ضلع حليلته ابنة رسول الله عليهما السلام و تورُّم عضدها! و كان الإمام الحسن عليه السلام يرى هذا اليوم عندما كان

يلفظ كبده المفتّت في الطشت صابرًا محتسبًا! و كان الإمام الحسين عليه‌السلام يرى هذا اليوم عندما صبر على رؤية ابنه عليّ الأكبر و هو مقطّع إربًا إربًا، و عندما قُطعت كفّا أخيه العبّاس، و عندما ذُبح رضيعه من الوريد إلى الوريد! و كان الله تعالى يرى هذا اليوم حينما جلس الشمر على صدر الحسين عليه‌السلام و نحره من القفا، و أمهل الكافرين و صبر على أعظم جريمة في التاريخ إلى حين الوقت المعلوم! و كانت السيّدة زينب عليها‌السلام ترى هذا اليوم عندما قالت: ما رأيت إلّا جميلًا! ذلك الصبر اللامحدود كان من أجل هذا الخير اللامحدود. و كم من أمثال أبي جهل و أبي لهب كانوا يقفون في طريق القافلة و لا يريدونها أن تصل إلى مقصدها، لكنّ الأئمّة الأطهار عليهم‌السلام واحدًا واحدًا و أهل البيت بأجمعهم تحمّلوا كلّ أنواع المصائب و ألوانها و افتدوا بأنفسهم حتّى يذيقوا الشيعة و جميع العالمين السعادة الدنيويّة و الأخرويّة.

هذا اليوم هو معنى تلك النظرة الّتي ألقاها الإمام الحسن العسكريّ عليه‌السلام على السيّدة نرجس عليها‌السلام في اللقاء الأوّل الّذي جمعه الله تعالى بها. و هي النظرة الّتي دفعت السيّدة حكيمة عليها‌السلام إلى الذهول، و السيّدة نرجس عليها‌السلام إلى الخفر و الحياء و السكوت. فقد كان يرى عليه‌السلام أنّ هذه السيّدة ستنجب مولودًا يغيّر وجه العالم، و يحوّل الحروب و الفتن إلى واحات نضرةٍ من الحبّ و العبوديّة الخالصة لله الواحد الأحد. أجل، إنّ الإمام الهادي عليه‌السلام ما أمر بِشرًا بإيصال تلك الرسالة المبشّرة إلى السيّدة نرجس عليها‌السلام من غير سبب، بل كان سببًا متّصلًا بين الأرض و السماء. لقد كان يرى لؤلؤةً فريدةً كامنةً في صدف الحياء و العفّة المتجسّدة في وجود تلك المرأة الطاهرة عليها‌السلام. و ما صبَر الإمام المهديّ عليه‌السلام كلّ تلك السنوات متجرّعًا غصص الزمان عبثًا، بل كان يعي ثمرة هذا الجهاد.

اليوم ترى يدك في يد الله ذي الجلال و الإكرام، و ما من وصفٍ يبيّن الحال إذ ارتقَت حتّى معاني الكلام إلى الكمال. اليوم يتجلّى أمام ناظرَيك مصداقٌ آخر لإكمال الدين و إتمام النعمة، و يصدع الوجود بتأويل قول الله عزّ و جلّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

الروضة الثانية:

«قرّةُ لِلعَين»

نجم السَّحَر المبارك

في فلك الإمام المهديّ ﷻ تدور الآيات و بيمينه تُمضى المقدّرات، و فيه تتجلّى أعظم الأسماء الإلهيّة و الصفات، و هو القائم بأمر الله و العامل بإرادته، و ها قد تعلّقت إرادة الله و وليّه ﷻ بانتقاء نجمٍ يحبّه أهل السماء و يعرفونه قبل أن يعرفه أهل الأرض، و ما برح الملكوتيّون يغبطونه على إنسانيّته. فطوبى لمن أحبّه إمام زمانه ﷻ فاستخلصه و اصطفاه وليًّا و عزيزًا و ناصرًا و سدًّا منيعًا في وجوه شياطين الإنس و الجنّ و مَرَدتهم. و قد سبقت الرحمة الإلهيّة إليه و تدلّت شجرة طوبى لتجود ببذرته المباركة في أرض الدنيا القاحلة[1]، فنبتَ نباتًا حسنًا يرعاه حجّة الله ﷻ منذ العوالم السابقة حتّى بات من تلك الثُلّة الطيّبة و الصفوة المهذّبة، و ذوي الكفاءة التامّة لصحبته و نصرته، فكان له في غيبته أخًا سديدًا و رفيقًا أنيسًا و أمينًا مؤتمنًا على شيعته[2]. إي و الله، لقد كان نجمًا زاهرًا يعكس نور بدر التمام و إمام الأنام ﷻ.

فلله درّه من مقرّبٍ كان من أبين العلامات و الأنجم الّتي بها يهتدي المهتدون، و من أرسخ أوتاد الأرض الّتي تحفظها من أن تمور بأهلها. و يا له من صاحب مكرُماتٍ يحار فيها اللبيب و يدهش لها الأريب. فطوبى لمن شرب بالكأس الأوفى من نبع الماء المَعين، حتّى غَدا ساقيًا

---

(١) روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «طُوبَى شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ فِي دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِهِ إِلَّا وَفِي دَارِهِ غُصْنٌ مِنْ أَغْصَانِهَا وَوَرَقَةٌ مِنْ وَرَقِهَا، يَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ»؛ بحار الأنوار، ج٨، ص١٢٠.

(٢) روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الْفُقَهَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ مَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي الدُّنْيَا»؛ الكافي، ج١، ص٤٦.

للشيعة المتعطّشين في عصر الغَيبة، و هنيئًا لمن صارت حركاته و سكناته و جميع لحظات عمره نَذرًا محرّرًا لخدمة الوجود المقدّس لوليّ الله الأعظم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فكان النّذر مقبولًا بأحسن القبول، قد بانت لوائحه من قبل بزوغ فجره الأوّل، إذ كانت العناية الربّانيّة الّتي حَظي بها والده في أثناء مرضه و هو في شبابه، أولى النفحات الربّانيّة الّتي كُشف عنها الغطاء، لتظهر للعيان أولى كرامات المنذور لله تعالى و رسوله و أوليائه المعصومين عليهم السلام. فقد ساءت أحوال «الكربلائيّ محمود» صحيًّا بسبب الحصبة أو الوباء الّذي كان منتشرًا آنذاك و هو لا يزال في ريعان شبابه و كادت روحه أن تفارق جسده، فما لبث أن سمع هاتفًا في عالم الرؤيا ينادي:

«دعوه فإنّه والد محمّد تقي!»

فاستيقظ، و من موضع السجود في وجهه وَمَض بريق من ذلك النجم الزاهر، و سرعان ما بدأت علامات الشفاء تظهر إلى أن تحسّنت حاله بفضلٍ من الله سبحانه، فما أشبه تلك البشارة بنداء الملائكة لنبيّ الله زكريا عليه السلام حين بشّرته بغلامٍ اسمه يحيى، فقد تلقّى الميرزا محمود هذه البشارة الإلهيّة بتعجّبٍ و ذهولٍ و لسان حاله: ربِّ أنّى يكون لي غلامٌ و لم أتزوّج بعد؟! تصرّمَت بضعة أعوامٍ و شاء الله تعالى أن يمنّ على عبده الميرزا محمود بخير متاع الدنيا، و أن يستفيد بعد تقواه بنعمة الزوجة الصالحة الّتي يسكن إليها و يأنس بمرافقتها على الصراط المستقيم، فكان التوفيق باختيار «مرضيّة خانم»، تلك الريحانة الصالحة، و ذات الدين، الّتي تدرّعت بحصن العفاف و الطهارة، و ارتدت جلباب الستر و الحياء، فكانت بمشيئة الله تعالى وَدودة، عفيفةً عزيزة، و عاملةً من عمّال الله، و من أهل العبادة و الزهد، تتناغم نبضات قلبها مع تراتيل قلب القرآن، فكانت كلّ يومٍ في طريقها إلى المسجد تتلو سورة «يس» عن ظهر قلب. و كيف لا تتحلّى بهذه المحاسن و قد ترعرعت في منبتٍ حَسن، و احتضنتها أسرةٌ كريمةٌ متديّنةٌ و مواليةٌ لآل الرسول صلّى الله عليه و آله، و تابع تورّدها و تفتّح برعمها والدٌ هو من أهل الذكر و الأمور المعنويّة، و قد شوهدت له كراماتٌ جليّة. و نشأ معها أخَوان من العلماء المعروفين في تلك المنطقة. و مثل هذه المُؤمنة من الطيّبات لا تكون إلّا للطيّبين أمثال الفتى التقيّ الميرزا محمود. فعُقد قران هذين الشابّين الطاهرين، «محمود» و «مرضيّة»، في ظلّ نظرةٍ خاصّةٍ من ربّ العالمين و عناية صاحب العصر و الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، إذ شاء أن يجعل من نسلهما ذريّةً محمودةً و مرضيّةً للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و شاء الله سبحانه أن يبزغ نور «محمّد تقي» و يبهج وجوده أجواء أسرته بعد عددٍ من النذورات في سبيل الله و رسوله

و أهل بيته عليهم السلام. كما شاء عظيم الربوبيّة جلّ جلاله في مكنون غَيبه و مكتوم سرّه أن يكون هذا الوليد و ثمرة هذا الزواج المبارك «محمّد تقي» بهجةً ترتسم على الوجه المبارك لبقيّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف فيكون له قرّة عينٍ و أنسًا يشاطره جفاء الغَيبة و وحشتها. فكان عند الله عزيزًا، خليلًا لخليله عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و له ما له من كراماتٍ و مقاماتٍ خُطّت و ثُبّتت في أمّ الكتاب، و قد ظهرت ملامحها منذ أن نجّى القادر المُحيي عزّ و جلّ والده من الموت بيُمن وجوده.



و تلك الروح الطاهرة لمحمّد تقي قد اتّخذت من أولاد السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام أسوة حسنة في الصبر على فقد الأمّ منذ أيّام الطفولة، فما لبثت أمّه الطاهرة أن رحلت بروحها المطمئنّة، مودعةً قرّةَ عينها في لجّة بحر الأحديّة و طمطام يَمّ الوحدانيّة، فتربّى في حجر أخته الكبرى كافلةً و ملازمةً له، إلى أن بلغ سنّ الصبا فبرزت علامات العناية الإلهيّة أكثر في شخصيّة هذا الغلام البصير، إذ كان منذ نعومة أظفاره يسير نحو نور عزّ الله الأبهج، فسرعان ما تعلّقت روحه بعزّ القدس و ظهرت الحكمة في حركاته و سكناته و بدا على محمّد تقي أنّ بصر قلبه قد خرق حجب النّور فوصل إلى معدِن العظمة، فكان في صلاة الجماعة يرى ما لا يراه غيره من حالات إمام مسجد بلدته «الشيخ أحمد السعيديّ الفومنيّ رحمه الله» صاحب الكرامات و المقامات المعنويّة، فصار ينتظر الشيخ أحمد أمام بيته ليرافقه إلى الصلاة في مسجد البلدة[1]. و ما كان لمحمّد تقي ـ مع صغر سنّه ـ أن يغفل عن بذل قصارى الجهد في التقرّب إلى وجه الله الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فكان يعتمد منهج الإطاعة لأوامر الحبيب عجّل الله تعالى فرجه الشريف ليكون الأقرب إليه. و لمّا كانت هذه الإطاعة في عصر الغَيبة لا تتحصّل إلّا بمعرفة ضوابط الشريعة و حدودها، فقد شمّر محمّد تقي عن ساعدَي الهمّة معلنًا بدء مسيرة الاعتداد بعدّة الله، متزوّدًا بالتقوى، و شحذ همّته إلى أوعر الطرق و أبعدها شُقّة، لكنّه كان أحلى من العسل على قلبه لِما فيه من خدمةٍ و وفير معرفةٍ و ازدياد علمٍ و شدّة تقرّب ـ يومًا بعد يوم ـ إلى سرّ

(١) راجع: الناصح، ص٢٧.

الوجود و حجّة المعبود الإمام المهديّ الموعود عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فالتفقّه في الدّين ـ كونه مقدّمة العمل ـ هو أجمل ما يراه محمّد تقي من وظيفةٍ تجعل وجه العبد ناصعًا و مُشرقًا أمام سيّده و مولاه، فكان بحقٍّ نعم الأمين للرسل[1] و الحجّة للحجّة على الخلق[2]. فما إن رأى الشيخ السعيديّ الفومنيّ رحمه الله هذا الاستعداد المنقطع النظير لدى محمّد تقي، حتّى قدّم المشورة و أخلص بالنصيحة لوالده الكربلائيّ محمود بأن يودّع ابنه ليكمل مسيرة الطريق الأقوم باللّحوق إلى ديار شهداء دار الفناء و شفعاء دار البقاء في النجف و كربلاء، محطّ رحال الربّانيّين من العلماء الّذين يقصدونها من كلّ فَجٍّ في سبيل نيل الدرجات الرفيعة و تحصيل القُربى من ذوي القُربى عليهم السلام. فما لبث محمّد تقي أن لبّى داعيَ الله، مجيبًا بأحسن التلبية قاصدًا كعبة الأحرار سيّد الشهداء عليه السلام، فأحرم عن زخارف الدنيا و زينتها و عزَفَ عن الجمال الطبيعيّ الباهر الّذي تتحلّى به منطقة فومن الخلّابة، و قطع في وصل وليّ الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و خدمته كلّ وصلةٍ لا تؤدّي إلى وصلة الأبرار. من يرَه يحسَبه قد آثر الغربة على الأنس في الوطن، لكنّ حقيقة الأمر أنّ روحه الطاهرة قد تعلّقت بموطنها الأصيل و أهله أهل الذكر عليهم السلام، و انجذبت إلى حيث معدِن النور و منبع الحياة، فهمَّ ليجاور ساداته و أحبّاءه و يوفي حقّهم بأنّه من فاضل طينتهم، فكان جوار الأئمّة المعصومين عليهم السلام أحبّ إليه من مجاورة كلّ حبيب، و أثلج لفؤاده من محاورة كلّ خليل، فانطوى على محبّتهم راجيًا تجارةً لن تبور في مودّتهم.

في ضيافة الحبيب



ما إن حلّ بكربلاء المقدّسة حتّى أنّت روحه و عَلت ضجته و ذُرفت دموعه و بُثّت شكواه

(١) إشارة إلى المرويّ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «اَلْفُقَهَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ مَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي الدُّنْيَا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا دُخُولُهُمْ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: اِتِّبَاعُ السُّلْطَانِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَاحْذَرُوهُمْ عَلَى دِينِكُم»؛ الكافي، ج١، ص٤٦.

(٢) إشارة إلى التوقيع الشريف الّذي ورد عن الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و فيه: «وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حجّةُ اللَّهِ عَلَيْهِم»، كمال الدين، ج٢، ص٤٨٤.

إلى العزيز الجبّار: «أَيْنَ الْحَسَنُ، أَيْنَ الْحُسَيْنُ، أَيْنَ أَبْنَاءُ الْحُسَيْنِ». لقد شعرت نفسه بعظم المصيبة ـ الّتي نزلت بسادة الخلق عليهم السلام ـ على قلب صاحبها عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فكأنّه قد تمثّل أمام عينَيْه «فَلَأَنْدُبَنَّكَ صَبَاحًا وَمَسَاءً» و طرق أسماعه «لَأَبْكِيَنَّ عَلَيْكَ بَدَلَ الدُّمُوعِ دَمًا»، فاتّخذ من الزيارة لحرم سيّد الشهداء عليه السلام و أخيه أبي الفضل عليه السلام مواساةً لصاحب العزاء عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تجديدًا للعهد مع الطالب بثارات العترة الطاهرة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

قاصدًا الله بقلبه، سخّر الجوارح و الهِمم في الجانب العلميّ من مسيرته، فكان محمّد تقي مُجدًّا و مُخلصًا و مُتفانيًا و مُتقنًا للدراسة، فقد أكمل خلال تلك المدّة دراسة السطوح العليا لدى عددٍ من كبار العلماء الأعلام، و طوى صفحاتٍ مشرقة في كسب المعارف الإلهيّة الحقّة، فأزهر نوره ساطعًا بين أنوار مصابيح الأرض و خلفاء الأنبياء و ورثتهم إذ كان محلّ عناية بقية الله الأعظم عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

و إذ إنّ الاجتهاد في كسب العلوم الدينيّة و معرفة الأحكام الشرعيّة هو الحجر الأساس و الدعامة القويمة في بناء شخصيّة المتأسّي بإمامه عجّل الله تعالى فرجه الشريف لِما له من أهمّيّةٍ في طيّ محطّات الزُّلفى لديه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وجّه الشيخ محمّد تقي وجهه شَطر باب مدينة علم رسول الله صلّى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فكانت نِعمَ المأوى لِنِعمَ النزيل العارف بحقّ ساكنها(عليه آلاف التحيّات و الثناء)، ناذرًا روحه و قلبه، و باذلًا عمره و جهده في سبيل حفظ بيضة الإسلام و رفعته، و شادًّا عزمه في سبيل اكتساب المعارف الإلهيّة و العلوم العقليّة و النقليّة و الدراية بالأحكام من أدلّتها التفصيليّة. فكان بحقٍّ عالمًا، و فقيهًا، و بارعًا، و عارفًا و زاهدًا، تأبى مِرّته و قلبه العاشق لسيّد العالم عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلّا بحثًا و تقصّيًا عمّا يُرضي قلبه الشريف عنه، و تجنّبًا لما يعلم بمخالفته لتعاليمه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، عاملًا بوصيّة سيّده و مولاه الإمام الحجّة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّتي وقّعها للشيخ المفيد قدّس سرّه إذ ورد فيها: «فَلْيَعْمَلْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ بِمَا يَقْرُبُ بِهِ مِنْ مَحَبَّتِنَا وَيَتَجَنَّبْ مَا يُدْنِيهِ مِنْ كَرَاهَتِنَا وَسَخَطِنَا»[1]. و بما أنّ الله عزّ و جلّ يُمِدّ بالتوفيق من حسُنت نيّته و وقف نفسه على صدق العبوديّة مُخلصًا لله تعالى وجهه، و يهديه إلى أعلى قُلل القرب، فقد أعان جلّ جلاله عبده الشيخ محمّد تقي و رعاه بعين الرحمة خطوةً بخطوة، و أمدّه بالتوفيق لحضور دروس أفضل أساتذة النجف الأشرف، مع تستّرهم عن الأعيُن و قلّة عارفي حقيقة مقاماتهم العلميّة و المعنويّة، و قد انجلى لأهل العلم القليل من درجاتهم

(١) الاحتجاج، ج٢، ص٤٩٨.

الرفيعة و كنوزهم الدفينة، لكنّ القلوب الّتي توحّدت على محبوبها السماويّ قد فُطرت على أن تتعارف و تتآلف في ما بينها، و الشاهد قول الإمام الباقرعليه السلام: «إِنَّ الْأَرْوَاحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»[1]. و لله درّهم من علماء عظام، أصحاب قلوبٍ نورانيّةٍ تجلّى فيها عرش الرّحمن، قد وهبوا للشيخ البهجة رحمه الله معارفهم و فرشوا له صراط الحقّ بما تنفّست عنه معادن الجبال و ضحكت عنه أصداف البحار من فِلِزّ اللُّجَين و العِقيان و نُثارة الدُّرّ و حصيد المرجان من العلوم و الفنون و الأخلاق. فقد استفاد في الفقه من الشيخ محمّد كاظم الشيرازيّ و السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ، و في الأصول نهل من علوم الشيخ محمّد حسين الأصفهانيّ، و في الأخلاق سار على خطى أستاذه السيّد عليّ القاضي الطباطبائيّ. بالإضافة إلى ما اكتسبه من حضوره دروس كوكبةٍ من الأساتذة العظام كآية الله الميرزا النائينيّ، و آية الله البادكوبيّ (قدّس الله أسرارهم). فتراه قد جدّ جهده للغوص في أعماق بحور علومهم باحثًا عن اللؤلؤ المكنون داخل أصداف المعرفة الحقّة، و تجافى عن كلّ ما يوجبُ سلب الفيض الربّانيّ و فَقْدَ عناية الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف.



فلم يلبث أن لمع نجمه و ذاع صيته في الأوساط العلميّة في حوزة النجف الأشرف لما تمتّع به من دقّةٍ علميّة و فهمٍ و درايةٍ و جهد، و لاح لأهل الخبرة أنّ محمّد تقي محلّ عنايةٍ ربّانيّةٍ خاصّةٍ، حتّى إنّ العالم الجليل و الفقيه النحرير، صاحب الكرامات و اللقاءات، السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ كان ـ على كبر سنّه ـ يقوم من مجلسه احترامًا لهذا الفتى التقيّ لدى دخوله عليه[2]، و ما ذلك إلّا لِما كان يراه فيه من علامات توحي بأنّه محطّ العناية الخاصّة للمولى صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فلولا رعايته عجّل الله تعالى فرجه الشريف لَما بلغ محمّد تقي ما بلغه من المنازل الرفيعة و المراتب العالية الشريفة.

(١) الأمالي (للصدوق)، ص١٤٥.

(٢) ذكر السيّد عبّاس الكاشانيّ الحائريّ رحمه الله هذه القضيّة، و هو أحد العلماء الأجلّاء، و صاحب تصانيف و مؤلّفات كثيرة، راجع الناصح، ص٤٤.

و كان الشيخ محمّد تقي البهجة ﷺ طوال تلك المدّة و في ممرّ ليله و نهاره يسعى للارتقاء بتوازنٍ بين كفّتَي ميزان الكمال، كفّة الارتقاء في المجال العلميّ الّذي رام من ورائه خدمة الإمام الحجّة عجّل الله فرجه و مذهبه الحقّ، و كفّة الارتقاء في المعنويّات و قطع مسافات السير و السلوك إلى الله عزّ و جلّ. لقد حظيَ بغنيمة الأكياس منذ بداءة المسير، و أدرك ذروة الأمر و سنامه و مفتاحه و باب الأشياء و رضا الرحمن تبارك و تعالى، ألا و هو ترك المعصية و الإتيان بالواجبات. فلم يتوانَ لحظةً من لحظات صباه قبل البلوغ، عن العمل بهذَين الأمرَين اللّذَين يُشكّلان حافّتَي الطريق إلى قلب صاحب الزمان عجّل الله فرجه و التنعّم برضاه. و قد شهد أترابه المقرّبون إليه على بُعده كلّ البُعد ـ فراسخ و أميالًا ـ عن معصية الله تعالى، إذ لم تُبقِ رياح التقوى على روحه الطاهرة و فطرته السليمة أيّ ذرّةٍ من غبار المعاصي، فدخل الدنيا مَصون السرّ عن النظر إليها، مرفوع الهمّة عن الاعتماد عليها، أرادته فلم يردها و أسرته ففدى نفسه منها، فحفظ الأمانة الّتي أشفقت منها السماوات و الأرض حفظًا تامًّا كاملًا، و قد أذعن جميع أولئك الكبار الّذين استأنسوا برفقته منذ شبابه، بسلامة قلبه و طهارته الّتي قلّ نظيرها في الحياة الدنيا. و قد ذاع صيت الشيخ محمّد تقي ﷺ في مسألة التنزّه عن المعصية ـ الّتي هي الركن الأساس و الأهمّ من أجل التقرّب إلى الإمام عجّل الله فرجه و نيل رضاه ـ و شهد له بها عددٌ من أعلام الدّين، فقيل إنّ سماحته ﷺ لم يرتكب المعصية قطّ، لأنّ سماحته ﷺ عندما دخل روضة السير و السلوك كان لا يزال يافعًا و لم يكن قد بلغ سنّ التّكليف، و أنّه بعد هذا أيضًا كان مُبَرَّأً من كلّ معصيةٍ بواسطة نيل مراتب العرفان و إدراك عظمة الله و حضوره[1]. كما قيل في حقّه إنّه كان في مقام العصمة العمليّة، لأنّ سماحته منذ سنّ البلوغ، كان قد أدرك محضر آية الله السيّد القاضي الطباطبائيّ ﷺ، و هكذا شخصٌ يتطهّر، و بنحوٍ عمليٍّ لا تصدر منه معصية[2]. و يُمكن الاستشهاد على هذا الموضوع ـ أي عدم ارتكاب سماحته أيّ نوعٍ من أنواع المعصية[3] ـ من خلال مواعظه و نصائحه، لأنّه ﷺ كان يتّكئ كثيرًا على ترك المعصية، و كان اعتقاده أنّ الشّرط الأوّل لأيّ مسيرٍ إلى الله عزّ و جلّ هو ترك المعصية، و أنّ هذا الشرط هو مبدأ جميع الترقّيات

(١) مقتبس من قول الشّيخ عبّاس القوچاني ﷺ الّذي نقله آية الله السيّد أحمد الفهريّ الزّنجانيّ ﷺ، راجع الناصح، ص٦٥.

(٢) من كلام لآية الله السيّد أحمد الفهريّ الزّنجانيّ ﷺ، راجع: الناصح، ص٦٥.

(٣) و طبعًا المقصود هو عدم ارتكاب الخطيئة لا الخطأ، إذ إنّ «العصمة عن الخطأ و الخطيئة بنحوٍ مطلق» هي من مختصّات المعصومين عليهم السلام فقط.

الروحيّة[1]. و قد شهد له بذلك كبار العلماء الأجلّاء، و شهادات أمثال هؤلاء العِظام خير دليلٍ على التوفيق الربّانيّ له لنيل رضا وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف منذ عنفوان شبابه، و حفاظه على طهارته و فطرته و براءته من أنواع الذّنوب. و كيف لا يقرّبه الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى محضره المبارك و قد آثر الشيخ محمّد تقي الطاعة المطلقة للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لم يتوانَ في ذلك طَرفة عين. و لا عجب أن يحظى بالكرامات و أعلى المقامات مَن دنا من معدِن النور فصار مهيبًا بهيبة الأئمّة المعصومين عليهم السلام و عزيزًا بعنايتهم، مُتجلّلًا و مُكرّمًا بتعليمهم و تزكيتهم عليهم السلام. فكان كلّ من له أدنى ارتباطٍ بسماحته قدس سره مجذوبًا إلى جماله الملكوتيّ، مأخوذًا بشخصيّته العلميّة و المعنويّة، إذ كان قدس سره كالبرق اللامع يُبيّن الطريق للآخرين و يسلك بهم السبيل، و بحركاته و سكناته يلاحظ الناظر إليه ثبات رجلَيه و طمأنينة بدنه في قرار الأمن و الراحة بما استعمل قلبه، فكان البعض يعبّر عن عدم وجود مثيلٍ له قدس سره في آدابه و سلوكه و طريقة اكتسابه للعلوم و الفنون، و أنّه كان موضع اهتمام خاصٍّ و مهمّ من المرحوم السيّد الأعظم الأصفهانيّ (عطّر الله مرقده)، و أنّ سماحة الشيخ البهجة في تلك المدّة، مع أنّه كان كغصن بانٍ في عنفوان شبابه، لكنّه كان يُعدّ من أفاضل حوزة النجف الأشرف الكبرى[2]. و ما ذلك إلّا وَمضاتٌ و نفحاتٌ من فيض المواهب الإلهيّة الّتي تميّز بها، بعد أن غدا منذ صباه طالبًا لوصال المحبوب، مُترجمًا صدق نيّاته بالعمل و الكدح الجادّ لملاقاة الله جلّ جلاله، و مسلِّمًا بالطاعة المطلقة لإمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، حتّى ذاق حلاوة محبّته و قد كان لا يزال يافعًا، فكيف يبتغي عنه بعد ذلك حِوَلًا؟! قد يتعجّب المرء من المواهب السّنيّة و الكرامات الجليّة الّتي ميّزه الله تعالى بها و يحار مذهولًا فيها، أمّا صاحب تلك الكرامات فما التفت لحظةً إلى الكرامة نفسها، و ما زاغ البصر و ما طغى مهما رأى من آيات ربّه الكبرى، بل جعل جهاده في الله جلّ جلاله و همّه في طاعته و أخلص نيّاته في مُعاملته، فطوبى لمن أخلص لله العبادة و الدعاء، و لم يشغل قلبه بما تراه عيناه، و لم ينسَ ذكر الله بما تسمع أذناه، مع أنّ الّذي كان يراه و يسمعه لم يكن منحصرًا فقط بالمادّيّات، بل كان يسمع و يرى من الأمور الغَيبيّة ما لا يخطر على القلب، حتّى بلغ درجةً أصبح الكلام مع الأموات بالنسبة إليه كأكل الزبيب![3]

---

(١) من كلام لآية الله السيّد أحمد الفهريّ الزّنجانيّ قدس سره، راجع: الناصح، ص٦٥.

(٢) نقلًا عن آية الله السيّد عبّاس الكاشانيّ الحائريّ قدس سره، راجع: الناصح، ص٤٣.

(٣) هذه الشهادة مأخوذة عن آية الله القوچانيّ قدس سره عندما سأله في أحد الأيّام نجل آية الله السيّد حسين القمّيّ قدس سره قائلًا: «هل الشيخ محمّد تقي البهجة قدس سره يمكنه أن يتكلّم مع الأموات؟»، فأجاب آية الله القوچانيّ قدس سره: «هذه الأمور تكون بالنسبة إليه كأكل الزبيب!». راجع: الناصح، ص١١٩.

و مِن عَذْبِ ما نُقل عن مقاماته أنّ جماعةً من طلّاب العلم المتّقين قد اتّفقوا على الذهاب سيرًا على الأقدام من النّجف الأشرف إلى كربلاء المقدّسة، و لم يكن آية الله الشّيخ البهجة قدس سره قد تزوّج بعد، و في الطريق عندما أرادوا إقامة صلاة الفجر، اقتدوا جميعًا بسماحة الشّيخ البهجة قدس سره، و قد تلا سماحته سورة القدر في الصلاة، و قال الشّيخ محمّد الغرويّ قدس سره صاحب «الأمثال النبويّة»[1] و هو أحد الّذين ائتمّوا بسماحة الشيخ قدس سره في تلك الصلاة، إنّه كان واقفًا في الصفّ الثّاني، و للحظةٍ واحدةٍ عرف أنّ الشّيخ المقدّس قدس سره في حالة تجرّدٍ للرّوح، إذ روحه صارت في الأمام تقرأ سورة القدر و جسمه قد اقتدى بروحه، و أنّهم رأوا هذه القضيّة من سماحته، الّذي كان طول السّفر منقطعًا عن الكلام تمامًا و مشغولًا بالذّكر[2].

نعم، إذا نظرنا بعينَي القلب إلى أحوال خُلّص الأصحاب و المقرّبين إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام و لا سيّما أولئك الّذين نذروا وجودهم لإمام زمانهم و لم ينحرفوا قيد أنملةٍ عن الصراط المستقيم، لوجدنا أنّ عظيم العنايات و وفير المواهب الإلهيّة قد نالوها من إمامهم و حجّة زمانهم (صلوات الله عليهم أجمعين). و حجّتنا الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف ليس مستثنًى من هذه القاعدة، و هو السائر بسُنّة آبائه الطاهرين عليهم السلام، إنمّا في زمان غَيبته تكون عطاياه و مواهبه استثنائيّة، من سنخٍ ملكوتيٍّ أعظم، قد خَصّ بها أولئك الصابرين في غَيبته، الثابتين على القول بإمامته، الّذين لا يشوبهم شكٌّ في ذات الله، و قد وحّدوه، و نهجوا طريق العبوديّة و الجمر يصطلي في أيديهم، فلاقَ بهم شرابًا طهورًا من يد إمام زمانهم عجل الله تعالى فرجه الشريف يروي هَيْفهم، و عزّ من قال: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾[3].

و قد استقطب سراج قلب الشيخ قدس سره الأجرد الأزهر قلوبًا جُلُّها قد عاينت جمال الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف و تشرّفت بلقائه الميمون، و منهم أساتذته العظام كالسيّد أبو الحسن الأصفهانيّ و السيّد القاضي (نوّر الله ضريحيهما). و يشهد على ذلك ما جرى عندما حالت دون الحضور المنير للشيخ محمّد تقي البهجة قدس سره في درس السيّد القاضي قدس سره وعكةٌ صحّيّةٌ دامت أيّامًا معدودة، إذ أوحش هذا الأمر أستاذه الجليل و أسقم فؤاده شوقًا لطلعة

---

(١) الشّيخ محمّد الغرويّ قدس سره كان أحد العلماء المجهولي القدر بين الناس، و هذه القصّة الّتي نُقلت عنه في المتن مذكورة في الكتب من دون ذكر اسمه، لأنّه لم يكن يرضى بذكره ما دام حيًّا، و قد ذُكر اسمه بعد أن انتقل إلى جوار ربّه.

(٢) الناصح، ص٥٤.

(٣) سورة الجنّ، الآية ١٦.

تلميذه البهيّة الّتي تبهج المجلس و تزيده نورًا على نور، و ما ذلك إلّا نتيجةً لطهارة روحه الزكيّة و لما يحويه قلبه السليم من الفيض الإلهيّ. فالسيّد القاضي ﷺ الّذي ذاق مرّاتٍ وكرّاتٍ حلاوة لقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف لم يكن عسيرًا عليه معرفة القلوب الّتي استوطنها الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و مع وجوده النضّاح بالأنس بالله و محبّته، إلّا أنّ فؤاده أصبح فارغًا و لم يستطع صبرًا على فراق الشيخ البهجة ﷺ، فاختطف من حمَام حرَم الشوق ريشةً و خطّ بها مشاعر الودّ رسالةً تكلّلت بغاية اللطف و المحبّة لتلميذه، جاء فيها: «إنّ شوقي إليك كالمجدب مطرًا!»[1]، فكان سماحة الشيخ ﷺ موضع احترام الكبار أمثال المرحوم السيّد القاضي ﷺ الّذي كان قلبه متعلّقًا جدًّا بسماحة الشيخ البهجة ﷺ[2]، و أمثال آية الله السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ الّذي كان يحبّه جدًّا و يذكره و يُثني عليه كثيرًا[3].

و من الجدير بالذكر أنّ آية الله السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ ﷺ هو الّذي وُفّق لتسلُّم توقيع الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و التشرّف بلقائه الميمون، و قد اشتهر هذا الأمر بين الخواصّ و العوامّ. و من البديهيّ أن لا يصدر عن إنسانٍ معظّمٍ مثل هذا الاحترام و التكريم إلّا لمن ألقى عليه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف محبّةً منه و صُنع على عَينَيْه الشريفتَين، إذ حرّم على قلبه كلّ هوًى أو ميلٍ إلى غير الإمام عليه السلام، و انتحل العبوديّة قلبًا و قالبًا في مسير طاعته و رضاه، وكان الأبرع و الأكيَس في العلم و الفضل، فكيف لا تهوي إليه أفئدةٌ من أناسٍ عاينَت قلوبهم الملكوت الأعلى؟

معتكفٌ في بيت الحبيب

لقد أفاض الشيخ محمّد تقي البهجة ﷺ من حيث أفاض الملكوتيّون، و قضى مناسك العشق دائبًا على التردّد إلى مسجد السهلة المعظّم، بيت الإمام الحجّة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فلم يكن يُفوّت الاتّصال بربّ البيت و سيّده من خلال الحضور المستمرّ في ذلك الصرح المقدّس، الأمر الّذي كان سُنّةً حسنةً و جزءًا لا يتجزّأ من سيرة العلماء الربّانيّين. فبذل نفسه في مرضاة وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف غير آبهٍ بعاجلةٍ افتتنت مُريديها، و لا مكترثٍ بملذّاتٍ أسرَت

---

(١) أي: إنّ اشتياقي إليك كاشتياق الأرض الجدباء القاحلة إلى غيث السّماء.

(٢) نقلًا عن العالم الربّانيّ السيّد عبّاس الكاشانيّ الحائريّ ﷺ. راجع: الناصح، ص٤٥؛ بهجت عارفان در حديث ديگران، ص٤٥.

(٣) من كلامٍ للسيّد أحمد الإشكوريّ ﷺ. راجع: الناصح، ص٤٤؛ بهجت عارفان در حديث ديگران، ص٤٣.

طالبيها و حالت بينهم و بين الطاعة و الزُّلفى، فأعطاه الله أفضل منحة المقرّبين بنيل درجات المحبّين، و أصبح تراب مسجد السهلة و غبارها أحبّ إليه من كلّ خضرةٍ و روضة بهيّة، و صارت مقامات الأنبياء و الملائكة المقرّبين فيه سجلًّا حافلًا مرصّعًا بالآيات و المناجيات الّتي كان يَلهج بها فؤاده قبل لسانه. و قد شوهِد هناك يؤدّي ركعتَين مندوبتَين بحالةٍ معنويّةٍ خاصّةٍ قلّ نظيرها، تكبيرها الإحرام و ركوعها التفاني، أمّا سجودها فالإبحار في عالم الملكوت، في الأولى منها بعد الاستفتاح بفاتحة الكتاب يرتّل سورة البقرة، و يستأنف في الركعة الثانية بعد العروج في السبع المثاني سورة آل عمران عن ظهر قلب، و ذلك قبل بلوغه سنّ التكليف[١]، ما يدلّ على عظيم ما كان يعاينه و حلاوة ما كان يتذوّقه من اللّذة و الأنس في مناجاته مع المحبوب الأكمل، فكانت هذه من أحلى مناسكه و أطيبها في تلك البقعة المباركة.

وكم من ليلةٍ ظلماء موحشةٍ في أعين أهل الدنيا قد بات فيها الشيخ محمّد تقي داخل السهلة وحيدًا حتّى الصباح، مستأنسًا كاستئناس الطفل بثدي أمّه، وكان يقضيها متهجّدًا و متوسّلًا بصاحب هذا الحَرَم المعظّم، و ينال من فيض بركاته و معنويّاته. و ممّا يُنقل أنّه في إحدى اللّيالي الشديدة الظُّلمة، لم يكن هناك نورٌ متّقدٌ في المسجد، و قد احتاج سماحته ﷺ في منتصف اللّيل إلى تجديد الوضوء، فأراد أن يخرج من المسجد إلى حيث الماء ـ الّذي كان يقع خارج المسجد في الضّلع الشّرقيّ منه ـ و من أجل عبور هذه المسافة في الظّلام الدامس وحيدًا، أُضيء له نورٌ أمامه مثل السّراج و تحرّك معه، فخرج سماحته مع ذلك النّور و تطهّر و توضّأ، ثمّ عاد و النّور يتحرّك مقابله في جميع تلك الأحوال، حتّى وصل إلى محرابه ثمّ اختفى ذلك النّور[٢]. هكذا تتجلّى إشراقات صاحب هذا البيت المقدّس عجّل الله تعالى فرجه الشريف لزوّاره، بأن يهيّئ لهم ما يؤنس وحشتهم و يضيء دربهم و يذهب روعهم، و لا سيّما إن كانوا من خاصّة أوليائه الّذين أحيوا ليالي السهلة صافّين أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتّلونها ترتيلًا، و قد قاموا بصدق العبوديّة بعد أن عشقوها و عانقوها بأبدانهم و أرواحهم، فأخلصوا لوليّهم بما عاهدوه عليه، فأحبّاء صاحب السهلة عجّل الله تعالى فرجه الشريف هم أولياء الله و أحبّاؤه، و لا خوفٌ عليهم و لا هم يحزنون. و في زمانٍ آخر تحتفي الملائكة باجتماع الربّانيّين في مسجد السهلة المعظّم حيث تُقام الصلاة جماعةً و يكون الإمام فيها الشيخ محمّد تقي البهجة ﷺ و المأموم

(١) الناصح، ص٣٢.

(٢) نقلًا عن آية الله الشيخ عبّاس القوچاني ﷺ؛ راجع: الناصح، ص٤٩؛ فريادگر توحيد، ص١٩٢.

أستاذه العظيم، مشكاة البَرَكة و الكرامة، السيّد عليّ القاضي[1]، و لا عجب من هذا الأمر من صاحب الكرامات المذخورة و الحالات المعنويّة المشهورة، فقد اطّلع على أحوال تلميذه المتميّزة و أبصر كيف صُبّ ماء الإخلاص في قلبه صبًّا، ممّا دفعه للاقتداء به في الصلاة، و ذلك لِما كان يراه من العروج و الانقطاع التّامّ إلى الباري جلّ و علا.

لقد تقاطرت مُزن الهداية بالنور الساطع على خرق مسارب نفسه فاهتزّت و ربَت و أنبتت من كلّ خيرٍ بهيج، فتيقّنت بالفوز و الفلاح روحه، و قرّت بالنظر إلى محبوبه عَيْناه، و استقرّ بإدراك السُّؤل و نيل المأمول قراره، قد نال الدرجات العُلا و بلغ المقامات السامية و لامس أعنان السماء في العبوديّة حتّى منحه الله تعالى حلية أوليائه و تاج أحبّائه و ما ذلك على الله بعزيز. لقد عرج في مدارج القرب حتّى قال أستاذه العارف العظيم و الفقيه العليم آية الله السيّد عليّ القاضي في حقّه: «لقد ترقّى ترقّياتٍ فوق العادة!»، فكانت حالاته العباديّة تنبئ عن عشقه للعبادة، و كان بحقٍّ مصداقًا للمرويّ عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَشِقَ الْعِبَادَةَ فَعَانَقَهَا وَ أَحَبَّهَا بِقَلْبِهِ وَ بَاشَرَهَا بِجَسَدِهِ وَ تَفَرَّغَ لَهَا»[2]. فالعبوديّة الّتي هي أرقى الكمالات المعنويّة و هي جوهرةٌ كُنهُها الربوبيّة[3]، كانت أحد الألطاف الّتي قد نالها الشيخ محمّد تقي بعنايةٍ من وليّ الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و بفضلٍ من الله المُعطي جلائل النعم المكرّمة لمن ناجاه بلطائف رحمته. و لا جَرَمَ أنّ العلماء العظام قد عاينوا الإخلاص لدى الشيخ محمّد تقي في خدمة الناحية المقدّسة (على مشرّفها آلاف التحيّات و الثناء) حتّى ذكروا أنّ تَمَحُّضَ و توغّلَ سماحته في الدّرس و التّدريس صارا باعثين لبلوغه درجة الاجتهاد الرّفيعة قبل زملائه الّذين بدؤوا الدراسة الحوزيّة معه في الوقت نفسه[4].



---

(١) الناصح، ص٥٢.

(٢) الكافي، ج٢، ص٨٣.

(٣) إشارة إلى ما نُسب إلى الإمام الصادق عليه السلام في كتاب مصباح الشريعة: «الْعُبُودِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهُهَا الرُّبُوبِيَّةُ، فَمَا فُقِدَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وُجِدَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَ مَا خَفِيَ عَنِ الرُّبُوبِيَّةِ أُصِيبَ فِي الْعُبُودِيَّةِ»، مصباح الشريعة، ص٧.

(٤) مقتبسٌ من كلام السيّد أحمد الفهري الزّنجانيّ؛ راجع الناصح، ص٤٦؛ نكته هاي ناب، ص١٠٧.

نعم، لقد أحبّه الله جلّ جلاله فاستودعه سرًّا من أسراره، به بلغ تلك المقامات المعنويّة و العلميّة و هو لا يزال في أوان شبابه، فصار عِلويًّا في زمنٍ قياسيّ، إذ إنّ المؤمن الصالح قد يحتاج إلى عمرٍ مديد، يكدح فيه كدحًا، يُعدّ الجهاز لبُعد المجاز و يجاهد ليلًا و نهارًا رجاء بلوغ بعضٍ من تلك المقامات السنيّة. و كان ذلك السرّ الّذي به جدّ بسير سريعٍ و بلغ غاية الدين هو إخلاصه لله تعالى في العبوديّة، إذ لم يُرد إلّا ما أراد الله و لم يعمل إلّا لله، و لم يتعلّق بشيءٍ غيره تعالى من زينة الحياة الدنيا و لا من نعم العقبى، و لم يكن في قلبه سوى الله سبحانه، و القلب الّذي يسعه الله تعالى يكون عرشًا لخليفته و بقيّته الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و كان الشّيخ البهجة ﷺ قد وصل إلى تلك المقامات العالية الّتي من جملتها الموت الاختياريّ و هو لا يزال كقضيب رَيحانٍ، غلامًا يافعًا، لم تكتمل لحيته بعد، عمره سبع عشرة أو ثماني عشرة سنة. شخصٌ كهذا وصل إلى مثل هذه الدرجة قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فما بالك بمقامه بعد ذلك السّير و السّلوك العرفانيّ طوال عمره الشريف الّذي تجاوز التسعين سنة، و إلى أيّ درجةٍ و مقربة إلى الله تعالى قد وصل؟[1]

و عن مكانته العلميّة تُذكَرُ قصّةٌ لطيفةٌ تحمل في طيّاتها إشاراتٍ دالّة على صفاء باطن سماحة الشيخ البهجة ﷺ و سموّ روحه و شدّة يقظته إلى درجةٍ أنّه و إن كان في الراقدين كُتب من الذاكرين، إذ عندما كان الشّيخ محمّد تقي البهجة ﷺ يحضر درس الأصول لدى آية الله الحاجّ الشّيخ محمّد حسين الأصفهانيّ ﷺ، و بعد أن يرجع إلى حجرته في مدرسة السيّد اليزديّ ﷺ، كان بعض الطّلّاب الّذين تبقى لديهم إشكالاتٌ في الدرس يذهبون إلى حجرة سماحته ليرفعوا إشكالاتهم. و حتّى لو كان سماحته نائمًا كانوا يسألونه، و هو يجيبهم بجواب شافٍ و كافٍ كما لو كان مستيقظًا، و عندما كان يستيقظ من النّوم و يتحدّثون حول القضايا و الأسئلة الّتي قد طرحوها عليه في حالة النّوم، كان يقول لهم: «لا أذكر شيئًا عمّا تقولون، ليس في بالي شيءٌ!»[2]. و هذا التوفيق في الأمور العلميّة و العمليّة على حدٍّ سواء إنّما يحصل لمن أخلص في تحصيل الرضا، فيمنحه الله عزّ و جلّ منحةً ملكوتيّةً و يمنّ عليه برضا إمامه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و دعائه و خيره، فينال بذلك الحُسنى و الزُّلفى في الدارَين.

---

(١) مأخوذ من قول آية الله الشيخ عبّاس القوچانيّ ﷺ؛ راجع: الناصح، ص٥٣؛ فريادگر توحيد، ص٥٤.

(٢) من الكرامات الّتي نقلها آية الله الشيخ عبّاس القوچانيّ ﷺ؛ راجع: الناصح، ص٥٥؛ فريادگر توحيد، ص١٩٤.

و أمّا عن الشهرة، فقد اجتثّ الشيخ محمّد تقي البهجة ﷺ جذوع شجرتها بعزمه الراسخ، تحرّزًا من حبرة الدنيا الزائفة إذا اعذَوذَبَ جانبٌ منها و احلَولَى، فأفرغ عقله لسائسه بالعلم مستمعًا إليه، و ذكّى له قلبه مقبلًا عليه، حتّى تفوّق بعلمه، فرفع الله ذكره بين أساتذته العظماء، و تبيّن جليًّا نبوغه العلميّ لكبار العلماء الأجلّاء، إلى درجة أنّ أستاذه آية الله الشيخ محمّد كاظم الشيرازيّ ﷺ الفقيه البارز أوجب عليه شرعًا أن يطرح إشكالاته في أثناء الدرس، و كذلك بعض العلماء الكبار حرّم على الشيخ البهجة ﷺ التقليد، و أوجب عليه العمل على وفق اجتهاده و استنباطه، فكان يغتنم أوقاته ليتحرّى المسائل الّتي هي مورد ابتلائه[1].

و لا يخفى أنّ المؤمنين آلوا بعد غياب إمام زمانهم إلى ثلاثةٍ، فإمّا أن يكون مقلّدًا مُتعلّمًا من عالِمٍ على سبيل هدًى و نجاة، أو مُحتاطًا، أو مجتهدًا قد أغناه الله سبحانه بما علِم عن علم غيره. و لمّا كان الشيخ البهجة ﷺ باحثًا عن أقرب الطرق و أسرعها للوفود على الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف من خلال الالتزام بالتكاليف الإلهيّة في الأفعال و التروك، مُدركًا أنّ بالعلم يُطاع الله و يُعبد، و بالعلم يُعرف الله و يوحّد، و به يُعرف الحلال و الحرام، فوجد أنّ أفضل الأصناف الثلاثة منزلةً و أشرفها رفعةً هو طريق الاجتهاد الّذي اختاره منذ أن شدّ رحاله و قصد باب مدينة العلم عليه السلام، فبذل الوسع في كسب المعرفة و استنباط الأحكام الشرعيّة من أدلّتها التفصيليّة، حتّى ارتقى في مدارج الراسخين في العلم و جعله الله سبحانه في الخير إمامًا يُقتدى به، تُرمق أعماله و تقتبس آثاره و ترغب الملائكة في خِلّته. و بما أنّ العلم إمام العمل و العمل يتبعه، فقد وُفّق في المقام العمليّ لاختيار أوثق الطرق و أشدّها اطمئنانًا، ألا و هو طريق الاحتياط المُبتنى على العلم، فكان بحقّ فقيهًا مُسلّمًا باجتهاده و عاملًا مخلصًا بنيّاته.

لقد سكن مدّة خمس عشر سنة في أحضان النجف الأشرف و كربلاء المقدّسة، حينما جاور آية الله الشيخ البهجة ﷺ إمامَين معصومين عليهما السلام من عترة خيَرة ربّ العالمين، فدخل باب حطّةٍ و نهل من مدينة العلم. لكنّ سماحته ﷺ لم يغفل عن زيارة سائر الأئمّة الأطهار عليهم السلام في أرض العراق، فكم التمس نورَ الله في ظلمات الأرض، فسلك طريق الجنّة و قصد ابنَي رسول الله صلّى الله عليه و آله متقرّبًا بزيارتهما إلى الله تعالى و مستشفعًا بهما إليه، و أضاء شمعة الوصال في صحن الكاظمَين عليهما السلام ليشهد له صاحب الزمان عليه السلام أنّه نِعم المُوالي لأئمّته الأطهار عليهم السلام، و هناك أحيا الليل بالسهر إلى السحر متأسّيًا بإمامه موسى بن جعفر عليه السلام وصيّ الأبرار و إمام

(١) نقلًا عن السيّد أحمد الفهريّ الزّنجانيّ ﷺ؛ راجع: الناصح، ص٤٦؛ نكته هاي ناب، ص١٠٧.

الأخيار، و مناجيًا له، ذارفًا دموع الحزن على المعذّب في قعر السجون و ظلم المطامير ذي الساق المرضوض بحلَق القيود. ثمّ ما تلبث شفتاه أن تلهج بالصلوات على الباب الأقصد و الطريق الأرشد و العالم المؤيّد محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام. فأكرِم به من زائرٍ عارفٍ بحقّ أوليائه، مقرًّا بفضلهم، محتملًا لعلمهم، عائذًا لائذًا بقبورهم.

و كم تردّد سماحة الشيخ قدس سره إلى أرض سامرّاء، إذ كان يذهب باستمرارٍ إلى زيارة الإمام الهادي النقيّ و ابنه الإمام العسكريّ الزكيّ عليهما السلام، و كانت دموعه المتناثرة كحبّات اللؤلؤ في زوايا سرداب التوسّل و المناجاة تشهد على شدّة تعلّقه بالصراط الأقوَم. و كيف لا يكون أُنسه نابعًا من صميم وجدانه و هو في سرداب غَيبة إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ما غاب عنه إذ غاب! لقد كان سماحته يعتقد أنّ حرم الإمامين العسكريّين عليهما السلام يتميّز عن سائر المشاهد المشرّفة للأئمّة الأطهار عليهم السلام بميزةٍ خاصّة و نورانيةٍ جاذبة، ذلك لأنّه إضافةً إلى كونه المرقد المبارك لهذين الإمامَين الكريمَين عليهما السلام فهو أيضًا محلّ سكنهما و حياتهما، و لهذا له طعمٌ متميّزٌ عن سواه من أنهار العسل المصفّى. كذلك للسرداب المقدّس في تلك البقعة المباركة مقامٌ خاصٌّ و مكانةٌ مميّزةٌ في قلبه المُحبّ الشائق، إذ كان جنّةً مزهرةً حظيَ ببركتها و قدسيّتها العديد من الموالين بلقاء صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و لذا كانت سامرّاء ملاذًا له قدس سره عند اشتياقه أو اضطراره، عند مرضه أو تعسّر أموره، كأنّه اتّخذ من تلك المراقد المطهّرة دواءً لأدوائه و آلامه. و كما اهتمّ بالجانب المعنويّ المستفاد ببركة أركان التوحيد المدفونة في سامرّاء، فقد اهتمّ بالجانب العلميّ أيضًا فيها، و كان يؤكّد كثيرًا و يحثّ على إحياء الحوزة العلميّة هناك، تلك الحوزة الّتي كانت مدّةً طويلةً مركز حوزات التشيّع، و تربّى فيها أعاظم علماء الشيعة قدّس الله تعالى أسرارهم.

ضيف كريمة أهل البيت عليهم السلام



و حيث تجد عينًا يشرب منها عباد الله المقرّبون قد تفجّرت من آثار أهل بيت النبوّة (صلوات

الله عليهم)، تجد آية الله الشيخ البهجة ﷺ قد علم مَشربه منها و سارع للارتواء المعنويّ من ماءٍ غير آسنٍ لم يتغيّر طعمه. و من أعظم تلك الآثار ذلك الصرح الممرّد من العصمة و الكرم في قمّ المقدّسة، مضجع كريمة أهل البيت السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام، أخت شمس الشموس و أنيس النفوس الإمام الرضا عليه السلام. فبعد مُضيّ أكثر من خمسة عشر عامًا من مجاورته ﷺ لمقامات الأئمّة الطاهرين عليهم السلام في النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة، عزم سماحته ﷺ على الرجوع الى مسقط رأسه فومن حيث بدأ سلوكه و بزغ فجر مسيره الأوّل، و ذلك لضرورةٍ يقتضيها العلاج من أجل تحصيل التعافي، فقد كان سماحته مريضًا جدًّا و لم يكن طقس العراق ملائمًا لصحّته، كما كان رجوعه إلى فومن إطاعةً لأمر والده و نزولًا عند رغبة أخته معصومة خانم و إصرارهما على تزويجه، فحطّ الشيخ هناك مدةً وجيزة ثمّ ما لبث أن غادرها متوجّهًا تلقاء قمّ المقدّسة، عشّ آل محمّد عليهم السلام، ناويًا زيارة كريمة أهل البيت السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام و الاطّلاع على شؤون حوزتها العلميّة، و لكن شاء الله تعالى أن يتمّ نعماءه على من أخلص له في السرّ و العلانية، فقد حال دون رجوعه إلى النجف الأشرف بعض المسائل و الأمور الّتي اعترضت طريقه، لكنّه بورعه المعهود الّذي كان حليفه الدائم في سلوكه إلى الله تعالى، اختار الاحتياط الشرعيّ فيها، إضافةً إلى ما حصل من حوادث ـ كرحيل أساتذته العظام ـ جعلته يشدّ العزم على إكمال مسيرة الرقيّ في إحراز نيل رضا الله و رسوله و وليّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف في قمّ المقدّسة. و في أوائل قدومه إلى قمّ المقدّسة لم يكن بعد قد عُرِف أمر مجيئه في أوساط الطلبة حتّى يبدأ بالتدريس، فقرّر حضور درس علماء قمّ آنذاك، آية الله السيّد البروجردي و آية الله السيّد حجّت الكوهكمريّ، و ذلك إجلالًا و تعظيمًا لهما وكذلك لأنّه ينبغي للعالِم أن يشتغل إمّا بالترقّي في العلوم و المعارف و إمّا بالتدريس. و لم يمضِ إلّا القليل حتّى أخذ سماحته بطرح إشكالاتٍ علميّةٍ عميقةٍ و دقيقة، ممّا زاد غنى الدرس العلميّ و ضاعف قيمته، فكان يمتدّ عدّة أيّامٍ و يخرج عن حالته الاعتياديّة ليتبدّل لاحقًا إلى مباحثةٍ ثنائيّةٍ بين السيّد البروجرديّ ﷺ و الشيخ البهجة ﷺ، و هذا بشهادة آية الله الشيخ مرتضى الحائريّ و عددٍ من العلماء الحاضرين في مجالس العلم تلك. فبرز مرّةً أخرى في الأوساط العلميّة، و هذا ما أثار انتباه السيّد البروجرديّ ﷺ و تلامذته و تعجّبهم، و دفعهم للتوجّه إلى الشيخ البهجة ﷺ و الاستفادة منه أكثر. لكن بما أنّ سماحته ﷺ كان حريصًا على اجتناب الشهرة و ذيوع الصيت، ارتأى التغيّب عن حضور الدرس مدّة، ثمّ عادَ بعدها إلى متابعته لكنّه كان يجلس في زاويةٍ من زوايا هذه الروضة الّتي

يرتع فيها العلماء و من دون أن يطرح أيّ إشكالٍ. فاجتمع المستوى العلميّ العالي الّذي تميّز به إلى تقواه و قدسيّته اللتين كانتا مرتسمتين على محيّاه، و ذلك كلّه ليزيد من محبّة السيّد البروجرديّ ﷺ للشيخ البهجة ﷺ و اهتمامه به، إذ بانت له جوانب عظيمة من شخصيّة هذا العبد التقيّ المتواضع الّذي وقف سمعه على العلم النافع له.

و لمّا ظهر علمه الغزير، أشار عليه السيّد البروجرديّ ﷺ بأن يتولّى بعض المَهام الّتي يوليها المراجع عادةً للأفاضل من العلماء، فعرض عليه الانضمام إلى لجنة الاستفتاء، و هي عبارة عن لجنة مؤلّفةٍ من أعلم الفضلاء و أبرعهم إلى جانب المرجع الدينيّ. و مع تنافس بقيّة الطلبة و سعيهم الجادّ بشوقٍ وافرٍ لبلوغ هذا المستوى الّذي يؤهّلهم للانضمام إلى هذه اللجنة، إلّا أنّ شوق الشيخ البهجة الوافر كان يهيم في وادٍ آخر، فقِبلته الّتي يرضاها كانت انشراح صدره بابتسامة الرضا من إمام زمانه الحجّة ابن الحسن عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لهذا فضّل سماحته الانشغال بالأمور العلميّة على ذيوع صيته و شهرته و الإشارة إليه بالبنان، فاعتذر عن المشاركة في هذه اللجنة. لكنّ آية الله البروجرديّ كان قد أحبّ الشيخ البهجة ﷺ حبًّا جمًّا لِما رأى فيه من الاجتهاد العلميّ المميّز المقرون بالتقوى و العمل الخالص، فلم يقرّ قراره دون دنوّه منه، و لذا عرض عليه اقتراحاتٍ أخرى لعلّه يقبل بأحدها فلا يحرم العلماء العظام فيض علمه و إشراق حضوره بينهم، و من تلك الاقتراحات أن يكون عضوًا في لجنة الممتحنين لطالبي شهادة الاجتهاد، لكنّ سماحته ﷺ و لأسبابه الخاصّة و بُعد نظره لم يجد مصلحةً في الانضمام إلى هذه اللجنة أيضًا. و سرعان ما بثّت المودّة في الله بين هذين العالِمَين شعاعًا من نور الله بلغ مسامع آية الله الشيخ البهجة ﷺ حاملًا في بريقه عتابًا أخويًّا، إذ إنّ السيّد البروجرديّ ﷺ قال إنّ كلّ محاولاته كانت من أجل الاستفادة من علمه الغزير، لكنّ سماحته لم يقبل أيًّا من هذه الاقتراحات. لذا فإنّ صاحب القلب العطوف الّذي لا طاقة له على إيذاء الآخرين أو إزعاجهم، أبَى أن يكون أخوه أقوى منه على مودّته، و بعد احتماله أنّ السيّد البروجرديّ قد أخذه شيءٌ من الحزن، عزم على المشاركة في درسه إلى أواخر أيّام حياة السيّد ﷺ، على الرغم من فقاهته و اجتهاده المسلّم بهما، لكنّه أراد أن يطيّب بذلك خاطره.

و من البديهيّ أن تكون الشهرة من الأمور المبغوضة لدى من كانت حياته و مماته و قيامه و قعوده و حركاته و سكناته في سبيل نيل رضا إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و بما أنّه ﷺ كان

يرى أنّ تحصيل علوم آل محمّد عليهم السلام أو تدريسها من أفضل الطرق و أهمّها لخدمة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ترويج مذهبه الحقّ و التمهيد لدولته الكريمة، فقد أفنى عمره الشريف في هذه المَهمّة العظيمة و لم يتوانَ عنها يومًا. فبدأ سماحته قدس سره بالتدريس في أماكن غير معروفة، و لم يكن يبذل أدنى جهدٍ للإعلان عن شروع درسه، و كان درسه ـ كما وصفه أحد الأعلام المعاصرين ـ جامعًا لإبداعات المرحوم الشيخ محمّد تقي الشيرازيّ قدس سره عن طريق أبرز تلامذته و هو الشيخ محمّد كاظم الشيرازي، و حاويًا لابتكارات المرحوم النائينيّ قدس سره و المرحوم الشيخ محمّد حسين الأصفهانيّ قدس سره و جامعًا لتربية المرحوم السيّد عليّ القاضي قدس سره، فكان نعمةً عظيمةً و فرصةً ثمينة، إذ بوجوده الاستثنائيّ فتح الله على أبناء الأمّة الإسلاميّة بركاتٍ من السماء و الأرض لينهلوا من علمه الغزير و يقتدوا بسيرته الحسنة، فلله الحمد على ما أبلى من مِنَنه المتتابعة و أسبغ من نعمه المتظاهرة.

كفيل أيتام آل محمّد صلّى الله عليه و آله



رغم احترازِ آية الله الشيخ البهجة قدس سره من أضواء الشهرة و لفت النظر إليه، إلّا أنّ الله تعالى أبى إلّا أن يتمّ نوره، و لأنّ نور أولياء الله من نوره تعالى، فقد ذاع صيت هذا العالِم الربّانيّ و أعزّه الله في قومه بين الأوساط العلميّة، و هل العزّة إلّا لله و لرسوله و للمؤمنين؟! و قد كان كلّما رفعه الله في الناس درجةً ازداد تواضعًا و خشوعًا، و كلّما أحدث له عزّةً ظاهرةً ازداد لله مذلّةً و خضوعًا. فتوجّهت الأنظار إلى هذا الفقيه العارف، الّذي تحلّى بحلية الصالحين و لبس زينة المتّقين، و كثُرَت الطلبات عسى أن يقبل طرح مرجعيّته، فما كان من سماحته إلّا أن رفض ذلك مرارًا و تكرارًا، متجنّبًا تسلُّم زمام المرجعيّة. و بعد رحيل آية الله السيّد الخوئيّ قدس سره و آية الله السيّد الخوانساريّ قدس سره كثر إلحاح العديد من العلماء و المؤمنين أن يطبع رسالة عمليّة على وفق فتاوى سماحته قدس سره، لكنّه كان يقول: «الآخرون موجودون ليحملوا هذه

المسؤوليّة على عواتقهم!». و بعد الإصرار و الإلحاح الشديدَين، اضطرّ سماحته إلى القبول بطبع فتاواه و لكنّه اشترط عدم ذكر اسمه في الكتاب أو على غلافه، ثمّ بعد الطبعة السادسة ذُكر اسم سماحته لكن من دون أيّ ألقاب، إنّما اكتُفِيَ فقط بكتابة العبارة التالية:

«العبد محمّد تقي البهجة».

و لمّا رآها بعد ذلك لم يُبدِ سماحته اعتراضًا. و هنا تتجلّى كرامةٌ أخرى من العبد الصالح الشيخ البهجة ﴿دام ظله﴾، إذ كان تصدّيه للمرجعيّة يُعدّ من كراماته أيضًا، لأنّه تحمّل أعباء المرجعيّة في ذلك العمر الّذي ناهز الثّمانين مع ظروف حياته الصّعبة الّتي لم تكن تسمح له بقبول عبءٍ ثقيلٍ كهذا، حتّى إنّ الأشخاص الّذين كانوا يعرفون سماحته ﴿ره﴾ لم يتوقّعوا آنذاك أن يحمل لواء المرجعيّة و أن يقبل هذه المسؤوليّة بعد عقود من الرفض و الامتناع. فكان ـ بلا شكٍّ ـ السّبب الوحيد الّذي دفعه لقبول مسؤوليّة المرجعيّة هو إحساسه بالوظيفة المتعيّنة، و لا باعث غير ذلك[1]. فحمَل أعباء المرجعيّة ذائدًا عن حياض الشرع الحنيف، حريصًا على توطيد أركان المذهب الحقّ، كفيلًا بأيتام آل محمّد ﴿عليهم السلام﴾ في غَيبة إمامهم ﴿عجل الله فرجه﴾، فكان مصداقًا لما رُوِيَ عن الإمام عليّ الهادي ﴿عليه السلام﴾: «لَوْلَا مَنْ يَبْقَى بَعْدَ غَيْبَةِ قَائِمِكُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ وَ الدَّالِّينَ عَلَيْهِ وَ الذَّابِّينَ عَنْ دِينِهِ بِحُجَجِ اللَّهِ وَ الْمُنْقِذِينَ لِضُعَفَاءِ عِبَادِ اللَّهِ مِنْ شِبَاكِ إِبْلِيسَ وَ مَرَدَتِهِ وَ مِنْ فِخَاخِ النَّوَاصِبِ لَمَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلَّا ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ، وَ لَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يُمْسِكُونَ أَزِمَّةَ قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الشِّيعَةِ كَمَا يُمْسِكُ صَاحِبُ السَّفِينَةِ سُكَّانَهَا، أُولَئِكَ هُمُ الْأَفْضَلُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ»[2]. و إذ يرفع الله الّذين آمنوا و الّذين أوتوا العلم درجات، فقد كان ﴿ره﴾ بفقاهته و تقواه و زهده و ورعه حجّة الإمام الحجّة ﴿عجل الله فرجه﴾ مصداقًا لما ورد في التوقيع الشريف الصادر عن الإمام الحجّة ﴿عجل الله فرجه﴾ في أجوبته لإسحاق بن يعقوب: «أَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَ أَنَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ»[3].

و من المؤكّد أنّ شخصًا مثل سماحته لم يكن ليُقدم على أمرٍ كهذا لولا إحرازه رضا إمام زمانه ﴿عجل الله فرجه﴾ في قبوله، و يقينه بأنّ حجّة الله و بقيّته ﴿عجل الله فرجه﴾ سيمدّه بالتوفيق و العون. فتدرّع بالإخلاص و التفاني و بذل النفيس و الغالي من أجل إحياء أمر دين الله تعالى و دين

---

(١) من كلام للشيخ محمّد تقي المصباح اليزديّ ﴿ره﴾. راجع: الناصح، ص٨٦؛ بهجت عارفان در حديث ديگران، ص٦٨.

(٢) الاحتجاج، ج١، ص١٨.

(٣) كمال الدين، ج٢، ص٤٨٤.

رسوله ﷺ و أهل بيته ﷺ، حتّى إنّ آثار نذره نفسه و جوارحه في سبيل خدمة سيّده و مولاه الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد ظلّت ظاهرةً في جميع حركاته و سكناته و قيامه و قعوده. و بعد إعلان مرجعيّته، بقيَ المرجع الكبير متمسّكًا بالأمر الأوّل مقتفيًا أثر النُّمرقة الوسطى، لا تهزّه العواصف و لا تغرّه الزخارف متأسّيًا في ذلك بأئمّة الهدى ﷺ، إذ يقول أمير المؤمنين ﷺ في الوصيّة بالتأسّي بالنبيّ الأعظم ﷺ: «فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ، قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفًا»[1]، وكان الشيخ محمّد تقي البهجة ﷺ قد أدرك ـ قبل شياع أمر مرجعيّته ـ معنى تقصّي أثر نبيّه ﷺ و إمامه ﷺ في الإعراض عن الدنيا و الأخذ منها بمقدار الضرورة فقط، و على الرغم من ازدياد عدد المحبّين و المقلّدين لسماحته ﷺ بعد أن تحمّل أعباء المرجعيّة، إلّا أنّ هذا لم يؤثّر في نمط حياته و أسلوبه، إذ بقيت حوائجه و أمور معاشه كما كانت عليه قبل المرجعيّة بل صارت أقلّ و أدنى، فكان كمثل شجرةٍ لا يتحاتّ ورقها في شتاءٍ و لا صيفٍ، نِعم المقتدي بإمامه ﷺ و خير مستضيءٍ بنور علمه، و نِعم العون له ﷺ بلزوم الورع و الاجتهاد و العفّة و السداد، فالزهد في الدنيا و التجافي عن دار الغرور أصبحا حليفَي المرجع المقدّس الشيخ محمّد تقي البهجة ﷺ، وكان قد أدرك بحقٍّ معنى الخبر المرويّ عن أئمّة الهدى صلوات الله عليهم في بيان صفات العلماء المأمونين على الدين و الدنيا: «فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِنًا لِنَفْسِهِ حَافِظًا لِدِينِهِ مُخَالِفًا عَلَى هَوَاهُ مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاه...»[2].

العالِمُ بزمانه

إنّ تسليط الضوء على تفوّق سماحة الشيخ البهجة ﷺ في المباحث العلميّة من جهة و استغراقه في العبوديّة من جهة أخرى، ينبغي أن لا يؤدّي إلى غضّ الطرف عن سائر جوانب شخصيّته الفذّة. فقد كان ﷺ عنصرًا من مقوّمات الرسالة الإسلاميّة الغرّاء الّتي أُرسل بها خاتم الأنبياء ﷺ، فحافظ على دعائم النهج الرساليّ الخاتميّ و مكتسباته، وكان في طليعة المضحّين و الباذلين لحفظها، من خلال السَير على نهج النبيّ ﷺ و أوصيائه ﷺ و الالتزام بتعاليمهم و توصياتهم. فتضافرت جهوده في سبيل حفظ بيضة الإسلام الأصيل، من غير أن تأخذه في الله لومة لائم، حتّى كان الركن الوثيق إذا التجأ إليه القادة، و السند المتين إذا اعتمد

(١) نهج البلاغة، ص٢٢٨.

(٢) الاحتجاج، ج٢، ص٤٥٨.

عليه الساسة. و لم يكن يتوانى عن تقديم النصيحة إلى من يتولّون زمام أمور المسلمين و المنسوبين إلى زعامتهم، بل كان أحيانًا يبادر بنفسه إلى تقديمها و ذلك عندما تقتضي الضرورة الشرعيّة البالغة و عند الأهمّيّة القصوى و حفاظًا على المصلحة العامّة، إذ إنّه ﷺ جعل حمل عبء الأمّة و حفظ كيان الشيعة حسبما تقتضيه ظروف كلّ زمنٍ، من أولويّات أموره و مهامه. و كان أهلًا لذلك بما لديه من فطنةٍ و بصيرةٍ و فراسةٍ إلهيّةٍ اكتسبها من صفاء باطنه و طهارة روحه و تزكية نفسه في جميع مراحل حياته المباركة. فكان ينظر بنظره الثاقب و الصائب مترصّدًا تحرّكات أعداء الدين و المذهب، و يلفت نظر الزعماء إلى الأخطار المحدقة بالأمّة الّتي قد تنكشف مخطّطاتها بعد مدّةٍ طويلةٍ للآخرين، فكان قوله أنفذ من صولة الفرسان على الأعداء، حتّى أصبح مفزع الحكّام و القادة و الساسة و الرعيّة كلّما عصفت بالشيعة الإماميّة العواصف و أحاطت بهم المخاطر، فيعرّفهم ما يجهلون و يعلّمهم ما لا يعلمون و يبصّرهم ما لا يبصرون، مسدَّدًا من الله العزيز الحكيم. و في هذا المجال، كان سماحته ﷺ يشير إلى أنّ البعض كانوا يتابعون باستمرارٍ أخبار الصحف و يقرؤون المستجدّات و الأحداث، لكنّهم مع ذلك لا يعلمون ماذا حصل بالأمس القريب، و أنّ هناك في المقابل من ليسوا من أهل قراءة الصحف و الجرائد الأخباريّة و أمثالها و مع ذلك يخبِرون عمّا سيحدث في الغد! و هذا ما كان ينطبق على سماحته ﷺ في مراتبه العليا. و من تلك الموارد الّتي يمكن ذكرها في هذا الصدد، إرسال سماحته ﷺ إلى زعيم الحوزة في النجف الأشرف آنذاك، يشير عليه بالخروج من العراق حفظًا لنفسه الكريمة و لقدسيّة مقام المرجعيّة و ذلك قبل وقوع الانتفاضة الشعبانيّة. و منها ما نقله أحد المطّلعين[1] من أنّ الزعيم في إيران آنذاك كان يرجع باستمرارٍ إلى آية الله الشيخ البهجة ﷺ في مُعضلاته و مُشكلاته، فيخلّصه سماحة الشيخ ﷺ منها أو يرشده من خلال تقديم توصياتٍ و نصائح حكيمة. كذلك برز دوره الخفيّ في مواقع و مواقف على درجةٍ عاليةٍ من الخطورة و الحساسيّة، و في زمنٍ تحدق المخاطر الشديدة بإيران و تهدّد مهد شيعة أهل البيت ﷺ، إذ أرسل إلى المرشد الأعلى في إيران رسائل تلفته إلى الحوادث الواقعة و مجريات الأمور و تُهيّئه لمواجهة هذه الأخطار، و قد أرسل سماحته تلك التوجيهات قبل عدّة أشهر من وقوع الأحداث، في الوقت الّذي كان فيه الجميع غافلين عن وقوع تلك المخاطر و لا يتوقّعون مطلقًا وجود تلك المخطّطات الّتي تستهدف أساس كيان الشيعة. أمّا في العراق حيث كان أعداء أهل البيت ﷺ يقطعون الطرق على شيعة أهل البيت ﷺ و يُذبّحونهم في الأمصار

(١) الشيخ المصباح اليزديّ ﷺ.

و الأسفار، فقد أرسل سماحته ﷺ في تلك الظروف العسيرة أوامر خاصّة و توصياتٍ مؤكّدة إلى الأشخاص المعنيّين و المُتمكّنين من تنفيذها حرصًا منه على الشيعة و المظلومين. و من النماذج أيضًا إرساله إشاراتٍ إلى المؤتمن على نفوس الشيعة في لبنان في مواقف في غاية الحساسيّة، كان على إثرها الثبات و النصر حليفين للمجتمع الشيعيّ هناك في مواجهة الغاصبين و الجائرين من اليهود الّذين قاموا بأعنف هجومٍ عليهم بهدف استئصال وجودهم، و بعضٌ من تلك الإشارات كانت موجّهة إلى شخصه من أجل حفظه من كيد الأعداء و مكرهم، لأنّهم كانوا يطمعون بالنيل من الشيعة أيضًا بعد تعريضه للخطر و محاولة اغتياله.[1] و على هذا المنوال، كان سماحته ﷺ يراقب أوضاع الشيعة و يرعى أحوالهم في الحجاز و البحرين و في سائر بقاع الأرض، و عند ما تقتضي الضرورة يُمدّهم بالإرشادات و الحلول المناسبة. لكن بسبب سرّيّة هذه الأمور و غياب المصلحة في بيانها نكتفي بهذا القدر من بين ما كُشف، إذ بسبب شدّة كتمان الشيخ البهجة ﷺ و تجنّبه للظهور فإنّ معظمها بقي مستورًا، كما أنّه لم يكن يُطلع إلّا من كان لهم شأنٌ بالأمر بحيث اقتضت الضرورة إطلاعهم على هذه التوصيات. كلّ هذا يُبيّن أنّ آية الله الشيخ البهجة ﷺ لم يكن يومًا غافلًا عن حال المؤمنين، و لا مُهملًا لما يتعرّضون له من تكالب أعداء الدين عليهم حقدًا و حسدًا من عند أنفسهم. و مع اتّقائه الشديد و اجتنابه الكبير أن يكون محطّ الأنظار إلّا أنّه عمل جاهدًا للحفاظ على الوجود المادّيّ و المعنويّ للشيعة و بذل غاية وُسعه في الذّب عن تلك الثلّة المؤمنة من الناس الّذين لم يروا إمام زمانهم ﷻ و حُجب عنهم فآمنوا بسوادٍ على بياض، فكان متأسّيًا برسول الرحمة محمّد ﷺ، عزيزًا عليه ما عنتوا حريصًا عليهم، و مقتبسًا من حرص الإمام المهديّ ﷻ على حفظ شيعته، إذ جاء في توقيعه الشريف في عصر الغَيبة معبّرًا عن اهتمامه بشيعته و رأفته بهم: «إِنَّا غَيْرُ مُهْمِلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ وَ لَا نَاسِينَ لِذِكْرِكُمْ وَ لَوْلَا ذَلِكَ لَنَزَلَ بِكُمُ اللَّأْوَاءُ وَ اصْطَلَمَكُمُ الْأَعْدَاءُ»[2].

و من الجدير ذكره أنّ معيار توصياته و إرشاداته كان المصلحة العامّة للمذهب و الشيعة كافّة، و ليس مختصًّا بمصالح موضعيّة. و كان هذا المعيار هو نفسه المعتمد في تعامله بنحوٍ عامّ مع مختلف شرائح المجتمع و أفراده، فنظرته إلى الأمور و الأحوال لم تكن سطحيّةً بل من أفقٍ أعلى، و كان كلّ شخصٍ يكتسب منه حسب قابليّته، و هذا أمرٌ طبيعيٌّ، فمثلًا

(١) لمزيدٍ من التفاصيل راجع: الناصح، ص١٣٧.

(٢) الاحتجاج، ج٢، ص٤٩٧.

كما أنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو إمامٌ لجميع البشر على حدٍّ سواء، إلّا أنّ المؤمنين ينهلون من نعمة وجوده المبارك كلٌّ حسب قابليّته و استعداده، و هنا تجدر الإشارة إلى أنّه لا يمكن لفئةٍ إماميّةٍ اثني عشريّةٍ أن تُخرج فئةً إماميّةً أخرى من اعتقادها بإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تبرّئها منه لمجرّد اختلافها معها في الفكر ـ و إن كانت أعمال إحدى الفئتين أقرب إلى رضا الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ و ذلك لأنّ ولاية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و محبّته ليستا في عُهدة أحدٍ حتّى يقوم بتقسيمها بين الناس على أساس ميوله و أهوائه، فيُخرج من يشاء منهم من نعيم ولايته عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في أفقٍ وجوديٍّ أعلى، يتسامى و يترفّع عن كلّ التحزّبات و الاختلافات المنتشرة تحت ظلّ العقيدة الحقّة للشريعة الإسلاميّة، إذ إنّه إمامٌ رحمانيّ الوجود للمخلوقات كافّة من سماءٍ مبنيّةٍ و ما تحتها إلى أرضٍ مدحيّة و ما عليها، و حتّى للكافرين، إذ لولا وجوده المبارك لساخت الأرض بأهلها، و هو إمامٌ رحيميٌّ يختصّ برحمته شيعة أمير المؤمنين عليه السلام حفظهم الله جميعًا و كثّر الله أمثالهم.

و هكذا كان الفقيه المقدّس الشيخ البهجة قدس سره، الّذي كان أحد النوّاب العامّين للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغَيبة، متأسّيًا بإمامه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، يقتفي أثره واضعًا قدميه في موضع آثار قَدَمَي الإمام عليه السلام، فكان سماحته قدس سره خارجًا تمامًا عن جميع الانقسامات الاجتماعيّة و السياسيّة، و لا ينتمي إلى أيّ فئة أو تسمية أو عنوان عدا الولاء لأهل البيت عليهم السلام. و بذلك كان مقتديًا بإمامه عجّل الله تعالى فرجه الشريف حتّى في أفق نظره في تعامله مع الناس، فتراه أبًا رؤوفًا و كهفًا حصينًا للشيعة كافّة، شديدًا على أعدائهم، حريصًا على هداية جميع المخلوقين إلى إمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف و جَذْبهم إلى الصراط المستقيم.

مثيل البيت العتيق



كان الشيخ البهجة قدس سره في أثناء استقراره في النجف الأشرف يلوذ بمسجد السهلة المبارك حيث تتأجّج مشاعر الشوق لصاحب الدار عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فيأنس بذكره و مناجاته من عقر

داره عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و بعد انتقاله إلى قمّ المقدّسة، لم يتغيّر الحال، إذ كان يتردّد باستمرار إلى مسجد جمكران المقدّس الّذي وصفه مرارًا بأنّه سهلة إيران، فكان مواظبًا على زيارة هذا المسجد المبارك الّذي أُسّس بأمرٍ من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و يؤدّي فيه الأعمال المخصوصة و العبادات. و لم يكن يكتفي بزياراته الشخصيّة للتزوّد من أجوائه الروحانيّة و ما تكرّم به المولى عزّ و جلّ من فيضٍ ربّانيّ، إنّما كان سماحته قدّس سرّه يوصي الآخرين بالحضور إلى مسجد جمكران، و يؤكّد مرارًا و تكرارًا عظمة هذا المسجد المبارك و ينقل الكرامات و اللقاءات الّتي حصلت فيه بهدف بيان أهمّيّته و عظمته. أمّا في سائر بقاع الأرض، فقد كان سماحته قدّس سرّه في قطبَي الزمان و المكان من حياته المباركة، يرى الإمام الحجّة عليه السلام حاضرًا و مطّلعًا على أعماله، و كان يجزم أنّ من استحضر رقابة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و سلّم زمام أموره له، فإنّه قطعًا سينال في جميع لحظاته من هدايته و عنايته، و ستصبح الغَيبة لديه بمنزلة الحضور. و كان هذا الارتباط بالإمام عليه السلام بيّنًا و واضحًا في برنامجه العباديّ اليوميّ الّذي كان يستغرق أكثر من إحدى عشرة ساعةً من ساعات يومه[1]، فلم يخلُ أيّ يومٍ من أيّام حياته المباركة من التوسُّلات بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ذكره و قراءة الأدعية المنسوبة إليه. أمّا أفضل العبادة و أهمّها في هذا البرنامج اليوميّ فكان الدعاء لهذا الإمام الهُمام القائم بأمرٍ عظيم عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و من جملة الأمور الّتي كان سماحته قدّس سرّه ملتزمًا بها هي الخَلوة بعد صلاتَي العشاءين في حجرةٍ مظلمةٍ مدّة قد تتجاوز الساعة، يتوسّل خلالها بإمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يستغرق بمناجاته و يستلذّ بحلاوة ذكره.

حياة القلوب



كان النظر إلى وجه شيخنا العالِم المقدّس عبادةً تُحيي قلب الإنسان حقًّا. تلك التفاصيل الصغيرة كانت تحكي أسرارًا عظيمة، من شَفَتَيه الذابلتين من التسبيح، إلى عينيه

---

(١) لقد ذُكر البرنامج العباديّ اليوميّ لسماحته قدّس سرّه بنحوٍ تفصيليّ في كتاب الناصح، ص١٨٥.

العمشاوين من البكاء، و وجهه المصفرّ من السهر و إحياء الليل، و كانت المصداق الأتمّ لـ «مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ رُؤْيَتُه»[1]. فكان النظر إلى وجهه المبارك بحدِّ ذاته درسًا في التوحيد و أعظم موعظة، لقد كان ﷺ من رأسه إلى قدمَيه واعظًا و مُنبِّهًا! و كان أثر لقائه يبقى مدّة من الزمن في نفس كلّ مَن يزوره[2]، إذ برؤيته ينقلع الإنسان من الأهواء و الأجواء الدنيويّة إلى فضاءٍ معنويٍّ يسوده ذكر الله عزّ و جلّ، فكان بحقٍّ من الّذين سيماهم في وجوههم. أمّا سلوكه و أخلاقه فكانا مرآةً للحديث الشريف: «فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِنًا لِنَفْسِهِ حَافِظًا لِدِينِهِ مُخَالِفًا عَلَى هَوَاهُ مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاه...»[3]. و مع كلّ ما بذله من جهدٍ و عناءٍ لتجنّب الشهرة و الظهور، كاتِمًا ما منحه الله تعالى من الكرامات و المواهب السنيّة، مُسِرًّا ما وهبه إيّاه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف من العطايا الهنيئة، لكنّ الله جلّ و علا أبى إلّا إظهار بعضها على مَرأى العموم، كما جرَت سنّته الإلهيّة في إظهار منزلة الخُلّص من عباده المؤمنين و حرمتهم كما صرّحت الرواية الشريفة: «الْعَمَلُ الصَّالِحُ إِذَا كَتَمَهُ الْعَبْدُ وَ أَخْفَاهُ، أَبَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَّا أَنْ يُظْهِرَهُ لِيُزَيِّنَهُ بِهِ مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ»[4]، فترى أفئدة الناس قد هوَت إليه بمشيئة الله سبحانه، و قد جعل له الرحمن ودًّا حتّى غدت محبّته ساريةً و جاريةً في قلوب جميع المؤمنين على مدى الأزمان و الدهور.



أمّا مَن أدرك العروج إلى الملكوت الأعلى بإمامته، فقد شاهد تميّزًا جوهريًّا في صلاته بارزًا للخواصّ و العوامّ، حتّى إنّ العلماء العظماء كانوا يقطعون المسافات و يأتون من كلّ فجّ عميق، من أقصى المدينة بل من أنحاء العالَم، إلى مسجد الفاطميّة الصغير ليلتحقوا بصفوف المأمومين بإمامته، و ليدركوا غيضًا من فيض بركاته في وفادتهم إلى الله تعالى. لقد

(١) الكافي، ج١، ص٣٩.

(٢) من كلام العلّامة الجعفري رحمه الله. راجع: الناصح، ص١١٠؛ بهجت عارفان در حديث ديگران، ص٢٠١.

(٣) الاحتجاج، ج٢، ص٤٥٨.

(٤) الخصال، ج١، ص٢٦٨.

كانوا يرون أنّ هذه الصلاة هي بمنزلة درسٍ أخلاقيٍ عمليّ، و عروجٍ يليق كقربانٍ لكلّ تقيّ، يتلمّسون ما يغشاهم من جلال الله، و يشعرون بحفيف الملائكة من حولهم إلى أفق السماء، و يدخلون إلى محراب اللقاء الإلهيّ خاشعين موحّدين، فتترك هذه الصلاة آثارها في نفوسهم و أعماق وجودهم زمنًا طويلًا. و كان من النادر أن يحضر شخصٌ في صلاة الجماعة خلف سماحته ﵀ و لا يشعر مع دخوله في الصّلاة أنّه قد انقطع بكلّ وجوده عن الدّنيا و ما فيها، و توجّه إلى المبدأ الأعلى[1]. و هل يمكن لمؤمنٍ أن يتلمّس خضوع سماحته و خشوعه التامّين و يسمع أنينه و ضجّته في الصلاة من دون أن يترك ذلك أثرًا عميقًا في روحه؟!

و إن كانت تنساق إلى صلاته القلوب و تخضع عندها النفوس، فليس ذلك بسبب أنينه و بكائه، بل لأنّ خلف ذلك الوَنّ و الأنين قلبًا خالصًا صادقًا، متعلّقًا بالرفيق الأعلى، محبًّا لله تعالى ينبض بأريج الولاية لإمام الزمان ﷻ، و بسبب طينة هذا القلب الملكوتيّ هامت به قلوب الناس و تهافتت إليه عابرةً قيود الزمان و المكان، ليغرس فيها بذرةً معنويّةً من بذور سدرة المنتهى. لكن لم يكن هذا الانجذاب إليه ليشغله عن همّه الأوحد الّذي هو تحصيل رضا الله تعالى، لأنّه اجتثّ من قلبه كلّ هوًى لم يكن له صبغةٍ إلهيّة، فكان انشغاله منحصرًا في إتيان وظائفه الشرعيّة. و لخلوص عبوديّته لله تعالى حباه الإمام الحجّة ﷻ بعنايته الخاصّة و أغدق عليه المناقب و المواهب بإذن الله سبحانه، و كان سماحته ﵀ أهلًا لها، فكتمها و أخفى عمدتها في محيطات أفلاك الأنوار، و ما ظهر منها ليس إلّا كقطرةٍ في بحرٍ لُجّيّ ليكون حجّةً و آيةً إلهيّةً للناس في عصر الغَيبة.

و لم يكن كتمان آية الله الشيخ البهجة ﵀ ليضرّ بأداء مهامه الدينيّة و إرشاد الآخرين و جذبهم إلى منبع الكمال، و لذا كان دائمًا في صدد إصلاح ارتباط الناس بأهل البيت ﵈ و توطيد علاقة الأمّة بهم، و لا سيّما الخواصّ الّذين هم أسوة المجتمع. و من القضايا الّتي تؤكّد اهتمامه هذا ما نقله آية الله السيّد الكشميريّ ﵀ إذ قال: «في أحد الأيّام في مدينة قمّ قُرع باب المنزل أوّل الصّباح، فتحت الباب، رأيت أنّه آية الله العظمى الشّيخ البهجة. بعد تناول الفطور، قال سماحته: قل لامرأتكم الكريمة أن تحضر ـ الّتي كانت ابنة آية الله الشّيرازيّ ﵀، أُستاذ آية الله الشّيخ البهجة ﵀ ـ و بعد السؤال عن أحوالها و الدّعاء لها، قال

---

(١) من وصف آية الله السيّد الفهريّ الزّنجانيّ ﵀ لصلاة سماحة الشيخ البهجة ﵀. راجع: الناصح، ص١٠٩؛ نكته‌هاى ناب، ص٩٨.

سماحته: «إنّ السيّدة المعصومة منزعجةٌ لأنّكم طوال هذه الأشهر الماضية لم تذهبوا إلى زيارتها!»»[1]. يقول آية الله السيّد الكشميريّ ﷺ: «راجعت نفسي فوجدت أنّه فعلًا مع مرور مدّةٍ على عودتنا إلى قمّ إلّا أنّنا لم نكن قد ذهبنا بعدُ أنا و أهلي إلى الحرم!»[2].

كيف نُوفي حقّ سماحته ﷺ في الوصف و قد كان حامي ثغور دين الله المرضيّ، فقد كان حصنًا منيعًا في وجه أنياب الفتن الّتي تحيط بالعقيدة الحقّة، و إن وَجَدَ مَن في نفسه بذرة القابليّة و الاستعداد سارع إلى إرشاده و مدّ له يد العون المسدّدة من بارئها. فعلى سبيل المثال ينقل أحد الثقات أنّ شخصًا قد عرضت على ذهنه بعض الشّبهات العقائديّة، و اتّجه من مدينته إلى مدينة قمّ، و بعدما استقرّ هناك، رأى في إحدى اللّيالي آية الله الشّيخ البهجة في عالم الرّؤيا و هو يجيبه عن شبهاته، فاستيقظ لكنّه ظلّ متردّدًا في صدق رؤياه، لذا قصد سماحته ليسأله عن هذه الشّبهات، و ما إن أراد الشّروع في طرح شبهاته حتّى قال له سماحته: «الجواب هو نفسه الّذي قد قلته لك في الرّؤيا، لا تتردّد!»[3].

أينما حلّ الإنسان في مملكة الله تعالى متوسّلًا بحجّته و صراطه، بإخلاصٍ و نيّةٍ صادقة، قاصدًا باب الله الّذي منه يؤتى، فإنّه حتمًا سيجد يَد الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ الّذي هو عين الله الناظرة و يده الباسطة و أذنه الواعية ـ ممدودةً لتأخذ بيده من الظلمات إلى النور، سواء

---

(١) من الجدير بالذكر أنّ آية الله السيّد الكشميريّ كان من محبّي الشيخ البهجة ﷺ و مريديه، وكان ينقل في سبب معرفته بسماحة الشيخ ﷺ هذه القضيّة: «كنت جالسًا في أحد الأيّام مع أصدقائي في مدرسة جدّنا، و بسبب إرهاقنا كنّا نتبادل أطراف الحديث، و فجأة دخل آية الله العظمى الشّيخ البهجة و أشار إليّ بأن أتبعه إلى الطابق العُلويّ. و بعدما صعدنا، فتح باب الغرفة بالمفتاح الّذي كان مُعلّقًا فوقها. و لمّا دخلنا اقترب منّي و همس في أذني كلمة واحدة هي: «ما للّعبِ خُلِقنا!»، فأشعل كلامُه تلك النّار في كياني، إذ صرت بعدها متحيّرًا و تائهًا. و إثر الانقلاب الّذي سبّبه كلامُه في نفسي صرت أبحث عن الحقيقة، و في اليوم التّالي ذهبت إلى حجرته و طلبت إليه الحلّ، فبيّن سماحته لي مطلبًا و علّمني جلسة الذكر الملكوتيّة وكان هو أيضًا ملتزمًا بها. و صرت أزيد مدّة جلسة الذكر تدريجًا من ربع ساعة إلى ساعتين. وكان سماحته يذهب في ليالي الجمعة إلى مسجد الكوفة و يسجد فيه إلى السحر و يتلو آيات القرآن الكريم، و يبكي. أمّا أنا فكنت أنام أحيانًا و أحيانًا أخرى كنت أبكي لبكائه، إلى أن جُذبنا نحن أيضًا إلى صراط الخير. و من بعدها وُفّقتُ للحضور في مجلس السيّد القاضي الملآن بالفيوضات». وكان السيّد الكشميريّ ﷺ دائمًا و إلى آخر حياته يطلب إلى الشيخ البهجة ﷺ الإرشاد و النصح، وكان يُرجع الآخرين أيضًا إلى سماحته و يحترمه احترامًا بالغًا و يعتقد اعتقادًا جازمًا بمقامات سماحته العلميّة و المعنويّة.

(٢) الناصح، ص١٢٦؛ فريادگر توحيد، ص١٩٦.

(٣) الناصح، ص١٢٨و١٢٩؛ فريادگر توحيد، ص٢٠٦.

بطريقةٍ مباشرةٍ أو بواسطة أحد أوليائه المستترين في ظلّ رداء عنايته و إفاضته، المنهمكين خفيةً في امتثال أوامره. و قد نقل أحد أساتذة الحوزة العلميّة في قمّ المقدّسة قضيّة مُفادها أنّ طالبةً من إندونيسيا قد جاءت إلى مدينة قمّ المقدّسة، و شرعت في دراسة المعارف الإسلاميّة، تقول: «قبل قدومي إلى إيران رأيت في عالم الرّؤيا شخصًا باسم الشّيخ البهجة يتكلّم معي، و قد تأثّرت بسماحته كثيرًا و انجذبت إلى شخصيّته، وكان هذا في وقتٍ لم أكن أصلًا قد سمعت باسم سماحته من قبل، و لم أكن قد رأيته قطّ. لكن بمجرّد أن رأيت هذه الشّخصيّة العظيمة في الرّؤيا تولّدت لديّ رغبةٌ بالمجيء إلى إيران و الالتقاء بسماحته، في النهاية و بعد سعيٍ حثيثٍ وُفّقت للمجيء إلى إيران. عندما أتيت إلى قمّ، و لأنّي مشتاقةٌ إلى لقاء آية الله العظمى الشّيخ البهجة ذهبت إلى مسجد سماحته كي أراه و أشارك في صلاة الجماعة خلفه، عندما رأيته التفتُّ إلى أنّ جميع الأوصاف الظّاهريّة لسماحته مطابقةٌ للشّخص الّذي قد رأيته في الرّؤيا!»[1].

و لا يخفى على المُنصِف اللبيب أنّ مَن بلغ مقام حجّة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف على الناس سيُؤتَى من دون شكٍّ مقتضيات هذا المقام الشريف و لوازمه أيضًا، و بما أنّ الشيخ البهجة رحمه الله لم يكن له أيّ ادّعاءٍ في حقّ نفسه، فمن المسلَّم به أنّه لم يُظهر مقتضيات ما بلغه من مقاماتٍ رفيعة. لكن إذا وجد سماحته رحمه الله أنّ هناك رجحانًا شرعيًّا يقتضي بأن يأخذ بيَد أحدهم و يهديه إلى الحقّ، فإنّه يقوم بما يجب عليه تجاه ذلك الشخص على أكمل وجه. و هذا الأمر جليٌّ في عددٍ من القضايا، منها ما قاله أحد الفضلاء المحترمين بأنّه في أحد الأيّام ذهب إلى محضر آية الله الشّيخ البهجة و طلب إلى سماحته أن ينصحه، فأجابه رحمه الله بكلمةٍ مختصرة: «لا تعصِ!»، فاستغرب ذلك الرجل من إجابة الشيخ و قال له: شيخنا أنا مع هذه السنّ و هذا العمر الكبير لا أرتكب المعصية، انصحوني غير هذا. لكنّ سماحته أراد أن ينبّهه إلى معاصيه الّتي غفل عنها، فقال له: «أأقول ماذا فعلتَ البارحة في منزلك؟»، لكنّه لم يتذكّر أنّه ارتكب معصية فطلب إلى سماحته أن يُطلعه، و بمجرّد أن أخبره سماحة الشيخ رحمه الله بتفاصيل ما حصل دُهش ثمّ سارع إلى توديعه و مغادرة المكان[2].

---

(١) الناصح، ص١٢٤و١٢٥؛ فريادگر توحيد، ص١٦٩.

(٢) الناصح، ص١٣٥؛ فريادگر توحيد، ص٢١٨.

في السياق نفسه ينقل آية الله الشيخ جواد الكربلائيّ، و هو صديقه القديم الّذي تعود معرفته به إلى أيّام الدراسة في العراق، أنّه في إحدى المرّات عندما وصل إلى محضر آية الله الشيخ البهجة و كان اللقاء في مناسبة خاصّة، أصرّ الشيخ الكربلائيّ على سماحة الشيخ البهجة بطلبٍ، فقال له سماحته عبارةً جديرةً بالتأمّل: «هل تريد أن أُخبرك ماذا فعلت من أوّل عمرك إلى الآن و ماذا ستفعل مستقبلًا؟ أعرف جميع أعمالك!»[1]. طبعًا، كما هو معلومٌ، فإنّ جميع أعمال العباد تُعرَض على الإمام الحجّة، فهو حجّة الله في السماوات و الأرض و الشاهد على خلقه، فهو من أهل بيتٍ هم «شُهَدَاءُ دَارِ الْفَنَاء»، و عندما يبلغ المؤمن أعلى درجات القرب و أسماها بقدرٍ مقدور من إمامٍ محبور، بحيث يعقد روحه الّتي بين جنبَيه بالإمام الحجّة فيكون مطيعًا له، عارفًا بحقّه، مقرًّا بفضله، فإنّه بذلك سينال مقاماتٍ و مناقب أرفع، وكذلك هم الخُلّص من أولياء الله تعالى الّذين هم في قُلّة المعرفة بإمام زمانهم و قد اجتازوا جميع الامتحانات الإلهيّة إذ ابتلاهم الله بكلماتٍ فعَلِم صدقهم، و صاروا أوتادًا لبقيّة الله في أرضه و أمناءه على شيعته، فكان لهم مقام الاطّلاع على أعمال الناس بما يتناسب مع مصلحة هدايتهم و بالقدَر الّذي يتوقّف عليه إرشادهم. و لأنّ الأئمّة المعصومين هم مظاهر تمام الإيمان وكماله، فهم مطّلعون بنحوٍ كاملٍ على أعمال العباد. و يتبعهم في ذلك عددٌ قليلٌ من التابعين لهم، و الحائزين على أعلى درجات الإيمان الحقيقيّ، إذ يَصُحّ وصفهم بسلمان كلّ زمان، و هؤلاء القِلّة قد تنكشف لهم بعض الأسرار الإلهيّة بهدف إرشاد العباد و الأخذ بأيديهم، و ذلك بمقتضى وظيفتهم الإلهيّة ـ و ليس لأمرٍ عبثيّ أو مذمومٍ كالفحص و التجسّس و مجرّد الاطّلاع على أعمال الآخرين ـ كما تقتضي وظيفة الإمام الإلهيّة و مقامه الإرشاديّ، أن يكون اطّلاعه على أعمال العباد تامًّا و مطلقًا. و لقد ورد عن الإمام الرضا أنّه قال: «وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ فِرَاسَةٌ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِ وَمَبْلَغِ اسْتِبْصَارِهِ وَعِلْمِهِ وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لِلْأَئِمَّةِ مِنَّا مَا فَرَّقَهُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِين»[2].

و من القصص اللطيفة الّتي تحمل في طيّاتها عبرًا مفيدة ما نقله أحد الطلبة أنّه كان يجمع مبلغًا من المال، وكان يتفقّده بين الحين و الآخر، و بعد مدّةٍ وجد أنّه أصبح مبلغًا

(١) الناصح، ص١٢٤؛ فريادگر توحيد، ص١٩٥.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٢٠٠.

كبيرًا فوضعه في حقيبة، و بعد عدّة أيّام زار آية الله الشّيخ البهجة، لكنّه بمجرد وصوله إلى محضره، بادره سماحة الشيخ بالقول: «نعم، لقد أسَرَتنا الدّنيا، خدعتنا و لا تتركنا، نجمع أموالنا و نعدّها، و نفرح بزيادتها، ثمّ نجعلها في الصّندوق!»[1].

إنّ ما سُطّر في هذا المختصر من سيرة آية الله الشيخ البهجة ﭬ ما هو إلّا قطرات نديّة من بحره الزاخر بالكرامات و المقامات المعنويّة، و قد اكتفينا برشفةٍ هنيئةٍ مريئةٍ من مَعين مياهه تغسل أدران قلوبنا و تُبرّد لوعة أشجاننا، إذ لا يسَع المقام لنقل وفير الكرامات الّتي سُجّلت و رُويت بواسطة العلماء و الثقات الّذين أبحروا في ساحته، هذا فضلًا عن البحّارة الّذين أخفوا ما شاهدوه من عظيم عجائبه، و ماذا نقول عن الياقوت و المرجان المكنونَيْن في قعر نفسه، و ما أسرّه من مواهب سنيّةٍ نفيسةٍ أخفاها عن عين كلّ مِقدامٍ عاشقٍ للغوص في عالمه المعنويّ. و لو أنّما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ و البحر يمدّه من بعده سبعة أبحرٍ ما وفّينا حقّ عبدٍ أقام بصدق العبوديّة لله تعالى كالعبد «محمّد تقي البهجة». و ليس في ما ذُكر غلوٌّ، فقد علّمنا أهل البيت ﭺ أنّه من الصعب الوصول إلى كُنه صفة المؤمن فيما ورد عن أبي عبد الله 弄 : «فَكَمَا لَا تَقْدِرُ الْخَلَائِقُ عَلَى كُنْهِ صِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَكَذَلِكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى كُنْهِ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَمَا لَا تَقْدِرُ عَلَى كُنْهِ صِفَةِ الرَّسُولِ ﷺ كَذَلِكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى كُنْهِ صِفَةِ الْإِمَامِ، وَكَمَا لَا تَقْدِرُ عَلَى كُنْهِ صِفَةِ الْإِمَامِ كَذَلِكَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى كُنْهِ صِفَةِ الْمُؤْمِنِ»[2]، و كلّ إنسانٍ سلك طريق العبوديّة لله تعالى مُخلصًا له الدين، في كلّ زمانٍ و مكانٍ، متمسّكًا بالتقوى و الطاعة المطلقة لله تعالى و لوليّ أمره و حجّته 弄، له نصيبٌ من ذلك البحر الزاخر بالكرامات و رفيع الدرجات، و سوف يُلبسه الله تعالى خُلع المواهب و المناقب في هذه الدنيا قبل الآخرة و ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾[3].

و النجمِ إذا هوى

منذ اليوم الأوّل الّذي صدقَت فيه رؤيا الميرزا محمود، إذ تجلّى في هذه الدنيا نور «محمّد تقي» الّذي نودي من قبلُ باسمه في السماوات العُلى، و شاء بارئه أن يجعله مباركًا أين ما

---

(١) الناصح، ص١٢٤؛ فريادگر توحيد، ص١٩٥.

(٢) المؤمن، ص٣١.

(٣) سورة محمّد ﷺ، الآية ٦.

كان، كانت الأرض خير شاهدةٍ على عبوديّة هذا العبد الصالح في كلّ لحظات عمره الشريف، إذ تفاخرت باستقبالها لضيفٍ ملكوتيٍ قد وطأ بقدميه الشريفتين سطحها. و يا لِحظّ الأرض الّتي احتضنت مؤمنًا أشدّ حُرمةً من الكعبة[1]! كأنّ تسبيح جدران المدينة و أبوابها قد تناغمت مع أذكاره، و استأنست بعباداته و مناجياته. أمّا محراب مسجده فكان يضجّ إلى الله تعالى خاشعًا بحضوره قبل توافد المصلّين إليه. فكم من غافلٍ استيقظ من نومته بمجرّد رؤية طلعته البهيّة، وكم من منغمسٍ في ظلمات دنياه قد التمس نور الهداية بعد سماع نصائحه، وكم من قلبِ طالبٍ لمعارف أهل البيت عليهم السلام قد ارتوى من علمه النافع، وكم من مريدٍ من شياطين الإنس و الجنّ قد احترق وجوده غمًّا من أعمال سماحته قدس سره و آثاره.

لقد كان كلّ وجوده متمحورًا حول إمامه و مولاه عجل الله تعالى فرجه الشريف، كأنّه قدس سره كان بوصلة الناس الّتي تحدّد لهم طريق النجاة عند كلّ مفترقٍ من متاهات الدنيا و ترشدهم إلى الله تعالى و وليّه عجل الله تعالى فرجه الشريف. ففي عصر الغَيبة الكُبرى، كان هو إتمام الحجّة من قِبل المولى عزّ و جلّ إذ أثبت للجميع أنّه يمكن للإنسان مع ما يعترضه من فتن و حجب و بُعدٍ ظاهريّ عن صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف أن يهتدي إلى الصراط المستقيم و يتقرّب بنحوٍ خاصٍّ إلى إمام زمانه عجل الله تعالى فرجه الشريف و يسلّمه زمام قلبه. فهذا العبد التقيّ كان في كلّ لحظةٍ من عمره المبارك يرى نفسه في محضر إمام الزمان عليه السلام الّذي بدَوره أولاه اهتمامًا و رعايةً مستمرّين. و هذا متوافق مع قواعد أهل البيت عليهم السلام و إشاراتهم، منها ما ورد عندما قال مسعدة بن اليسع للإمام الصادق عليه السلام: إنّي و اللهِ لأحبّك، فأطرق الإمام عليه السلام ثمّ رفع رأسه و قال: «صَدَقتَ يا أبا بِشرٍ، سَل قَلبَكَ عَمّا لَكَ في قَلبي مِن حُبِّكَ، فَقَد أعلَمَني قَلبي عَمّا لي في قَلبِكَ»[2].

لقد كان قدس سره صلة الوصل بين الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف و رعيّته، و بين الدعاء و الإجابة، و بين العرش و الفرش، تعلّقت روحه باللّاهوت و تنفّرت من الناسوت، آمن بالله مستمسِكًا بالعروة الوثقى كافرًا بالجبت و الطاغوت. حلّق في عالم الموت الاختياريّ لمرّاتٍ عديدةٍ بإذنٍ من الله تعالى، و لَولا الأجَل الّذي كتب الله له لما استقرّت روحه في جسده طرفة عين شوقًا إلى لقاء ربّه. لكن هذه المرّة تسارع إليه لطف الباري، فكان يترقّب عروجًا بلا رجوع. كانت أيّامه الثلاثة الأخيرة تخطّ اللمسات النهائيّة على عمرٍ حافلٍ بالآيات السماويّة، فراح سماحته قدس سره

(١) إشارة إلى الرواية الواردة عن أبي عبد الله عليه السلام: «الْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنَ الْكَعْبَةِ»؛ الخصال، ج١، ص٢٧.

(٢) الكافي، ج٢، ص٦٥٢.

كعادته يوزّع في أرجاء منزله ابتساماتٍ نديّة، و نظرات عطوفة هنيّة، ملوّحًا على مسامع أهل بيته بقُرب المنيّة، إذ قال لعقيلته: أتسمعين؟ قالت: نعم! فقال: هل تذكرين الشّخص الفلانيّ في فومن؟ أجابت: نعم! فقال سماحته: كان ينشد هذا البيت:

يـاران وبــرادران، مـرا يـاد كنيد	رفتم سفري كه آمدن نيست مرا
(أيّها الرفقاء و الإخوة اذكروني	فإنّي ذاهبٌ في سفرٍ لا عودة منه)

و تابع ناعيًا نفسه: هل سمعتِ؟ فأجابت: نعم! فتبسّم سماحته، و كان كلامه هذا من آخر ما قاله لها، من غير أن يدرك أحدٌ من الحاضرين مقصوده، فقد ظنّوا أنّ كلامه مجرّد نقلٍ لقصّة أحد ما، فقد كان من دأب الشيخ ﷺ نقل قصّةٍ عندما يريد أن يوصل رسالةً أو فكرةً إلى الآخرين. و في ذلك اليوم بعد أن أرخى الليل سدوله بحزنٍ عميق، و تنفّس الصبح حسرة الرحيل، أشرقت شمس يوم الأحد بعد اثنين و عشرين يومًا خلت من جمادى الأولى سنة ١٤٣٠ للهجرة متوهّجةً بِحرّ الأنين. أمّا المقدّس البهجة ﷺ فراح يُلقي السلام و يردّد: «السلام عليكم و رحمة الله و بركاته»، و كأنّه يرى المخاطَب بسلامه نصب عينَيه و يسمع منه الجواب، و هذا موافقٌ لروايات أهل البيت عليهم السلام[1] إذ ورد أنّهم يحضرون عند وفاة كلّ مؤمن.

في صبيحة ذلك اليوم، لبس الشيخ البهجة ﷺ ثياب الخروج كعادته، و وقف إلى جانب باب داره منتظرًا السيّارة الّتي ستوصِله إلى حيثُ يُلقي دروسه. كان لا يزال واقفًا عندما راح الوجع يأخذ منه مأخذًا، فقال لابنه بأنّه غير عازمٍ على الخروج إلى الدرس في ذلك اليوم، ممّا أثار القلق في نفس نجله إذ لم يكن لهذا الأمر من سابقةٍ! فهو لا يُعطّل درسًا مهما بلغت الأسباب. و لذا أحضر الطبيب لمعاينة والده، و بعد الفحص احتمل الطبيب أن تكون أمعاؤه قد تمزّقت، لذا أوصى بنقله إلى المستشفى. دقائق معدودة و دخل الابن إلى حجرة أبيه ليُهيّئه استعدادًا للتوجّه إلى المستشفى، لكنّه وجده نائمًا، فقال في نفسه لعلّه يحتاجُ إلى استراحةٍ بعد ليلةٍ طويلةٍ لم يغمض له جفنٌ فيها، فقرّر إمهاله بعض الوقت ليستريح، ثمّ يعود بعد عشرين دقيقة إلى أبيه ليوقظه. كان الطقس صافيًا و الشمس بارزة في

---

(١) روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لمسمع بن عبد الملك البصريّ و كان من شيعته: «أَمَا إِنَّكَ مِنَ الّذين يُعَدُّونَ فِي أَهْلِ الْجَزَعِ لَنَا وَ الّذين يَفْرَحُونَ لِفَرَحِنَا وَ يَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا وَ يَخَافُونَ لِخَوْفِنَا وَ يَأْمَنُونَ إِذَا أَمِنَّا، أَمَا إِنَّكَ سَتَرَى عِنْدَ مَوْتِكَ وَ حُضُورِ آبَائِي لَكَ وَ وَصِيَّتِهِمْ مَلَكَ الْمَوْتِ بِكَ وَ مَا يَلْقَوْنَكَ بِهِ مِنَ الْبِشَارَةِ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنَكَ قَبلَ الْمَوْتِ، فَمَلَكُ الْمَوْتِ أَرَقُّ عَلَيْكَ وَ أَشَدُّ رَحْمَةً لَكَ مِنَ الْأُمِّ الشَّفِيقَةِ عَلَى وَلَدِهَا»؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٩٠.

وسط السماء تنشر دفئها في كلّ زاويةٍ من زوايا قمّ المقدّسة، لكن فجأةً تبدّلت الأجواء، و تراكم سحابٌ مَوَشّحٌ بالسواد، و بدأت أصوات السماء تُرعب القلوب، إذ صار رعدٌ شديدٌ يدوّي في الأرجاء و برقٌ قويٌّ يلمع في الفضاء، و ندر أن شوهِد لهما مثيل. اضمحلّ الدفء و حلّ مكانه ريحٌ عاصفٌ يخدش القلوب، تلك القلوب الّتي اضطربت مرتعدةً: ما الخبر؟ ما المُصاب؟ ففي تلك الأيّام من السنة تُزهر قُمّ بربيعها[1]! في خضمّ كلّ هذا التلاطم، عبق الرَّوح و الريحان من تلك الدار، و تدافعت الملائكة بكسوة الأنوار، ناشرةً أجنحتها مرتّلةً تسابيح الوصال. الجميع مضطربون إلّا شخصًا واحدًا كان مظهرًا للطمأنينة و السكينة الإلهيّتين، الّذي أسلم روحه إلى بارئها و أتى بها برضى و راحةٍ نفسيّة، إنّه ذلك العبد الّذي جسّد معنى العبوديّة و مطلق الطاعة لإمام عصره عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فلم يَنقضْ ميثاقه لحظةً واحدة. هو صاحب تلك النفس المطمئنّة الّتي اعتادت التحليق في منازل الملكوت، كأنّه يعود إلى موطنه الأصليّ، كأنّه حنَّ إلى الذهاب إلى عالمٍ يعرفه أكثر من الدنيا، لكنّ القلوب تحترق بلظى نيران الفراق، أوَلا يكفيها لوعةً بغَيبة راعيها عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟! بدأت آيات الله تمطر بغزارةٍ، و ارتسم على وجه الزمان حزنٌ لفّ الوجود بسواده، و ناداه العليّ الأعلى أن أقبِل، فسمع نداء ﴿ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ من حبيبه، و ما أحلاه من نداءٍ قد لاقَ به، ففي الوقت الّذي كان راضيًا بعطاء إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فقد كانت أعماله كذلك مرضيّةً لدى إمامه. تناثر النور من حفيف أوراق شجرة طوبى عند نداء ﴿فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾، و هو نِعم العبد الجدير بهذه البشارة، إذ لم يرضَ لنفسه إلّا أن يكون عبدًا لله وحده. و كأنّه يسمع هذا النداء بصوت إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي خطا تحت المطر متوجّهًا إلى دار خليله للوداع و العزاء. و ازداد المطر غزارةً، فكأنّ هناك واقعة تُبكي السماء و تجعلها ترجف و تهطل الدموع، و كأنّ السبع العُلى تبكي مودّعةً نجمها الّذي طالما أضاء فضاءها.

فيا لك ثلمةً في الدّين أبكتْ	إمام العصرِ و الأملاك أشجَت
فلا تعجب إذا انهدّت جبال	أو انفطرت سما و الأرضُ رُجّت
و إنّ الكائناتِ تئنُّ ثكلى	و من حُرَقِ الأسى لله عجّت[2]

---

(١) إنّ الطقس في قمّ المقدّسة في ذلك اليوم الحزين قد تغيّر فعلًا و تحوّل فجأة إلى جوّ عاصف و ممطر كما وُصِف في المتن.

(٢) للعلّامة السيّد جعفر مرتضى العامليّ رحمه الله.

فما نقول في نجمٍ ما هوى إذ هوى، قد أضاء طُرُق السماء لقلوبٍ اهتدَت بهُداه بعد أن أضاء الله سرّه بالحبّ الأقدس، فكان مِن أخلص الناس سرًّا و أصدقهم قولًا، و أوفاهم عهدًا و أزكاهم عملًا، و أصفاهم ذكرًا و أعبدهم نفسًا، قد تباهت الملائكة بمناجاته و افتخرت برؤيته، و به عمَر الله بلاده، و بكرامته أكرم الله عباده، يعطيهم إذا سألوه بحقّه و يدفع عنهم البلايا برحمته، و لو علِم الخلق ما محلّه عند الله و منزلته لديه لتقرّبوا إلى الله بتراب قدميه(١).

بعد ذلك التحوّل الرهيب في طقس مدينة قمّ، ارتبك نجل آية الله الشيخ البهجة ﷺ، و أخذته الحيرة في كيفيّة إيصال والده إلى المستشفى في هذه الأحوال الجوّيّة غير الطبيعيّة. تقدّم نحو والده لإيقاظه، لكنّه تجرّع غصّةً آلمت صدره، و بياض عينيه غشّاه احمرارٌ يلملم تدفقّ الدموع. لقد أدرك أنّ روح والده الطاهرة قد فاضت من هذا الجسم الذابل النحيف الّذي كان نِعم العون لها في طيّ مراتب العبوديّة لله سبحانه و تعالى، و عرجَت إلى حبيبها ضاحكةً مستبشرة. فلقد أسرعت روحه في العلى و خطت همّته في عزّ الورى، فلم يزل قلبه والهًا طائرًا حتّى أناخ في رياض النعيم. فطوبى له إذ سُرّح من سجن الدنيا و دخل جنان الرضوان يستقبله فيها رسول الله محمّد ﷺ و الأئمّة المعصومون ﷺ، فقد أقبلوا ليودعوا جسمه أمانةً عند كريمتهم السيّدة المعصومة ﷺ، فكان جسمه يضمّه تراب حرم أهل البيت ﷺ(٢) و روحه مستقرّة بجوار سادتها ﷺ في مقام صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

كان المؤمنون يرونه كالمرآة الّتي فيها انعكاس رضا الإمام المهديّ ﷺ أو سخطه، إذ بعرض أنفسهم إليه يعرفون نظرة إمام زمانهم ﷺ و مقدار رضاه عنهم. لذا كان خبر فقدان هذه المرآة الصافية فاجعةً حلّت على قلوب جميع المؤمنين في أرجاء المعمورة، و قبل أن يتناقل الناس هذا المصاب الأليم بآهاتهم و أنّاتهم و دموعهم و حسراتهم، تناقلته الملائكة

---

(١) إشارة الى الرواية المنسوبة إلى الإمام الصادق ﷺ: «حُبُّ اللَّهِ إِذَا أَضَاءَ عَلَى سِرِّ عَبْدٍ أَخْلَاهُ عَنْ كُلِّ شَاغِلٍ وَكُلِّ ذِكْرٍ سِوَى اللَّهِ عِنْدَ ظُلْمَةٍ، وَالْمُحِبُّ أَخْلَصُ النَّاسِ سِرًّا لِلَّهِ، وَأَصْدَقُهُمْ قَوْلًا وَأَوْفَاهُمْ عَهْدًا وَأَزْكَاهُمْ عَمَلًا وَأَصْفَاهُمْ ذِكْرًا وَأَعْبَدُهُمْ نَفْسًا، تَتَبَاهَى الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ مُنَاجَاتِهِ وَتَفْتَخِرُ بِرُؤْيَتِهِ، وَبِهِ يَعْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بِلَادَهُ وَبِكَرَامَتِهِ يُكْرِمُ عِبَادَهُ، يُعْطِيهِمْ إِذَا سَأَلُوا بِحَقِّهِ وَيَدْفَعُ عَنْهُمُ الْبَلَايَا بِرَحْمَتِهِ، فَلَوْ عَلِمَ الْخَلْقُ مَا مَحَلُّهُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَنْزِلَتُهُ لَدَيْهِ مَا تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِتُرَابِ قَدَمَيْهِ»؛ بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٣.

(٢) روي عن الإمام الصادق ﷺ أنّه قال: «إِنَّ لِلَّهِ حَرَمًا وَهُوَ مَكَّةُ وَلِرَسُولِهِ حَرَمًا وَهُوَ الْمَدِينَةُ وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَرَمًا وَهُوَ الْكُوفَةُ وَلَنَا حَرَمًا وَهُوَ قُمُّ وَسَتُدْفَنُ فِيهِ امْرَأَةٌ مِنْ وُلْدِي تُسَمَّى فَاطِمَةَ مَنْ زَارَهَا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»، قَالَ ﷺ ذَلِكَ وَلَمْ تَحْمِلْ بِمُوسَى ﷺ أُمُّه؛ بحار الأنوار، ج٩٩، ص٢٦٧.

بين أهل السماوات، بعد أن نادى ذلك الملَك الّذي تُخبر عنه الروايات أنّه يُنادي بين السماء و الأرض ناعيًا عند وفاة عالم ربّانيٍ، فأُقيم له العزاء عند أهل السماء قبل أهل الأرض. ثمّ علا صوتٌ حزينٌ من مئذنة حرم السيّدة المعصومة عليها السلام يُرتّل آيات القرآن، و علا هديل حمام الحرم و تطايرت من كلّ صوبٍ ترثي زائرًا ما انقطع عنها يومًا. أمّا الشيخ المقدّس، فقد استقرّ في بيته الجديد في روضة السيّدة المعصومة عليها السلام، إلى أن يأتي ذلك اليوم الّذي فيه إن شاء الله تعالى يرجع شاهرًا سيفه و مجرّدًا قناته، مزاحمًا كتفه كتف سلمان و المقداد، و معهم كلّ مَن كان مُوَحِّدًا مخلصًا في إيمانه، لنصرة بقيّة الله و خليفته الإمام المهديّ المُنتظَر عليه السلام، ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝ ﴾[1].

(١) سورة المعارج، الآيتان ٦و٧

«أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ»

الْحَدِيقَةُ الثَّانِيَةُ:

نَهْجُ الْوِصَالِ

أُسس المنهج الفكريّ والعمليّ
لآية الله الشيخ البهجة (قده) في كيفيّة الارتباط بالإمام المهديّ (عج)

* أسوةٌ حسنةٌ في العلاقة بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

عن الإمام الرضا عليه السلام:

«الْإِمَامُ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ الْمُجَلِّلَةِ بِنُورِهَا لِلْعَالَمِ، وَهِيَ فِي الْأُفُقِ بِحَيْثُ لَا تَنَالُهَا الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارُ، الْإِمَامُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَالسِّرَاجُ الزَّاهِرُ وَالنُّورُ السَّاطِعُ وَالنَّجْمُ الْهَادِي فِي غَيَاهِبِ الدُّجَى وَأَجْوَازِ الْبُلْدَانِ[1] وَالْقِفَارِ وَلُجَجِ الْبِحَارِ، الْإِمَامُ الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَأِ وَالدَّالُّ عَلَى الْهُدَى وَالْمُنْجِي مِنَ الرَّدَى، الْإِمَامُ النَّارُ عَلَى الْيَفَاعِ[2] الْحَارُّ لِمَنِ اصْطَلَى بِهِ وَالدَّلِيلُ فِي الْمَهَالِكِ، مَنْ فَارَقَهُ فَهَالِكٌ، الْإِمَامُ السَّحَابُ الْمَاطِرُ وَالْغَيْثُ الْهَاطِلُ[3] وَالشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ وَالسَّمَاءُ الظَّلِيلَةُ وَالْأَرْضُ الْبَسِيطَةُ وَالْعَيْنُ الْغَزِيرَةُ وَالْغَدِيرُ وَالرَّوْضَةُ، الْإِمَامُ الْأَنِيسُ الرَّفِيقُ وَالْوَالِدُ الشَّفِيقُ وَالْأَخُ الشَّقِيقُ وَالْأُمُّ الْبَرَّةُ بِالْوَلَدِ الصَّغِيرِ وَمَفْزَعُ الْعِبَادِ فِي الدَّاهِيَةِ النَّآدِ»[4].

الإمام أبٌ عطوفٌ على الناس كافّة، و هو أحرص عليهم و أرأف بهم من أمٍّ حنونٍ على رضيعها. لقد خلق الله تعالى الأئمّة عليهم السلام من نوره، و اختارهم لسرّه[5]. و كما منَّ علينا بانتجابهم عليهم السلام، فقد أسبغ نِعَمَه إذ اختار لكلّ إمامٍ ـ من بين شيعته و أتباعه ـ عُصبةً ليكونوا من أصحابه المقرّبين و المخصوصين بسرّه، الّذين هذّبوا أنفسهم و أفاض الله عليهم من تسديده حتّى كانوا أشدّ شيعة الإمام إطاعةً له و أحسنهم اتّباعًا لأثره. فكان لكلّ إمامٍ حواريّون

(١) الغيهب: الظلمة و شدّة السواد، و أجواز جمع جوز و هو من كلّ شيء وسطه.

(٢) اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

(٣) الهاطل: المطر المتتابع المتفرّق العظيم القطر.

(٤) الكافي، ج١، ص٢٠٠.

(٥) ورد في حقّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة: «اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ وَارْتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ وَاخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ».

ملازمون له و موفون بالعهد، و هم أوّل من يرِد الفردوس من الشيعة، و هم أقرب المقرّبين و أسبق السابقين كما ورد عن الإمام الكاظم عليه‌السلام:

«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ حَوَارِيِ محمّد بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ رَسُولِ اللّٰهِ الّذين لَمْ يَنْقُضُوا الْعَهْدَ وَ مَضَوْا عَلَيْهِ؟ فَيَقُومُ سَلْمَانُ وَ الْمِقْدَادُ وَ أَبُوذَرٍّ الْغِفَارِيُّ، قَالَ: ثمّ يُنَادِي أَيْنَ حَوَارِيِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَصِيِّ محمّد بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ رَسُولِ اللّٰهِ؟ فَيَقُومُ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ الْخُزَاعِيُّ وَ محمّد بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَ مِيثَمُ بْنُ يَحْيَى التَّمَّارُ مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ وَ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ، قَالَ: ثمّ يُنَادِي الْمُنَادِي أَيْنَ حَوَارِيِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَ ابْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ محمّد رَسُولِ اللّٰهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله؟ فَيَقُومُ سُفْيَانُ بْنُ أَبِي لَيْلَى الْهَمْدَانِيُّ وَ حُذَيْفَةُ بْنُ أُسَيْدٍ الْغِفَارِيُّ، قَالَ: ثمّ يُنَادِي أَيْنَ حَوَارِيِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ؟ فَيَقُومُ كُلُّ مَنِ اسْتُشْهِدَ مَعَهُ وَ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ، قَالَ: ثمّ يُنَادِي أَيْنَ حَوَارِيِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ؟ فَيَقُومُ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ وَ يَحْيَى ابْنُ أُمِّ الطَّوِيلِ وَ أَبُو خَالِدٍ الْكَابُلِيُّ وَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، ثمّ يُنَادِي أَيْنَ حَوَارِيِ محمّد بْنِ عَلِيٍّ وَ حَوَارِيِ جَعْفَرِ بْنِ محمّد؟ فَيَقُومُ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ شَرِيكٍ الْعَامِرِيُّ وَ زُرَارَةُ بْنُ أَعْيَنَ وَ بُرَيْدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْعِجْلِيُّ وَ محمّد بْنُ مُسْلِمٍ الثَّقَفِيُّ وَ لَيْثُ بْنُ الْبَخْتَرِيِّ الْمُرَادِيُّ وَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ أَبِي يَعْفُورٍ وَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ جُذَاعَةَ وَ حُجْرُ بْنُ زَائِدَةَ وَ حُمْرَانُ بْنُ أَعْيَنَ، ثمّ يُنَادَى سَائِرُ الشِّيعَةِ مَعَ سَائِرِ الأئمّة يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهَؤُلَاءِ أَوَّلُ الشِّيعَةِ الّذين يَدْخُلُونَ الْفِرْدَوْسَ وَ هَؤُلَاءِ أَوَّلُ السَّابِقِينَ وَ أَوَّلُ الْمُقَرَّبِينَ وَ أَوَّلُ الْمَحبورينَ»[1].

نعم، إنّ لكلّ إمامٍ وسائط و وسائل مختلفةً لهداية العباد، نعجز نحن البشر عن إدراكها و الإحاطة بها، و لولا أنّ أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام أنفسهم مَنّوا علينا و عرّفونا بعض أبعاد نظام الهداية هذا، لَما كان لنا إلى ذلك من سبيلٍ. و على الإجمال فإنّنا ـ و من خلال بيانات أهل البيت عليهم‌السلام ـ نعلم أنّ لكلّ إمامٍ أوتادًا و أبوابًا و حواريّين و نُقباء[2]، لكلٍّ منهم دوره الخاصّ في نظام الهداية و إن لم يكن النّاس يعرفون كُنْهَ و حقيقة ما لهؤلاء من مقامٍ و خصوصيّةٍ لدى إمام زمانهم. و إذا شبّهنا عالَم الوجود بخيمة، فإنّ محلّ إمام كلّ زمانٍ منها محلّ العمود و الرّكن الأساس الّذي تقوم عليه، فهو الّذي «بِيُمْنِهِ رُزِقَ الْوَرَى»[3]، فضلًا عن أن «لَوْ بَقِيَتِ

---

(١) الاختصاص، ص٦١.

(٢) وجود الأوتاد و النقباء وردت فيه أخبار الفريقين.

(٣) زاد المعاد، دعاء العديلة الكبير.

الْأَرْضُ يَوْمًا وَاحِدًا بِلَا إِمَامٍ مِنَّا [أهل البيت] لَسَاخَتِ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا»[1]، و لهذه الخيمة أيضًا أوتاد تثبّتها. و إنّ الأوتاد في الأرض كالجبال الرّواسي تحفظها و أهلها من المَيَدان و الاضطراب. وكما كان سلمان و أبو ذرّ من أوتاد زمانهما، فقد كان في سائر العصور أوتادٌ هم من خواصّ أئمّة تلك الأزمنة و حواريّيهم، فعلى سبيل المثال، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه عدّ أربعة من أصحابه أوتاد الأرض و أعلام الدّين:

«أَوْتَادُ الْأَرْضِ وَأَعْلَامُ الدِّينِ أَرْبَعَةٌ: محمّد بْنُ مُسْلِمٍ وَبُرَيْدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَلَيْثُ بْنُ الْبَخْتَرِيِّ الْمُرَادِيُّ وَزُرَارَةُ بْنُ أَعْيَنَ»[2].

إنّ الأئمّة عليهم السلام عرّفونا وجود هؤلاء الأوتاد و الصلحاء، حتّى إنّهم في بعض الروايات الشريفة ـ كما مرّ ـ ذكروا لنا أسماءهم، ليكونوا أسوةً حسنةً لنا كي نقتدي بهم للترقّي في مسير معرفة الإمام و طاعته، و لنستمدّ من علومهم و معارفهم للتقرّب شيئًا فشيئًا إلى الأئمّة الأطهار عليهم السلام و إلى المبدأ الأعلى و هو الله تعالى.

و هذه سُنّةٌ جارية في جميع الأئمّة عليهم السلام، و لن تجد لسنّة الله تبديلًا، و لذا فهي جارية أيضًا في الإمام الحاضر الحيّ، وليّ العصر و صاحب الدهر، الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و ضرورة وجود مثل هؤلاء الأعلام و الأوتاد في زمان الغَيبة إنّما هي أشدّ وضوحًا لأنّه زمانٌ حُرِمَ عامّةُ الناس فيه الوصول إلى إمامهم في ظاهر الأمر. و على هذا، فإنّ للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا في غَيبته ـ الأعمّ من الصغرى و الكبرى ـ أولياء و حواريّين و خواصّ و مقرّبين. و هؤلاء العظماء لهم من المقام العالي و المرتبة السامية ممّا دفع الإمام الصادق عليه السلام إلى أن يصلّي عليهم كما جاء في دعاء أمّ داود: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الْأَبْدَالِ وَالْأَوْتَادِ وَالسُّيَّاحِ وَالْعُبَّادِ وَالْمُخْلِصِينَ وَالزُّهَّادِ وَأَهْلِ الْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ»[3]. و من جملة هؤلاء الأوتاد و منارات الهداية النوّاب الأربعة الّذين كانوا في زمان الغَيبة الصّغرى هم الواسطة بين النّاس و الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و يكفي في بيان عظمة منزلتهم أنّنا نقرأ في زيارتهم: «يَا حجّة الْمَوْلَى وَبِكَ إِلَيْهِمْ تَوَجُّهِي وَبِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَوَسُّلِي»[4]. إنّ هذا

---

(١) دلائل الإمامة، ص٤٣٦.

(٢) اختيار معرفة الرجال (للكشّيّ)، ص٢٣٨.

(٣) يقول الشيخ الكفعميّ رحمه الله في كتابه المصباح عندما يصل إلى هذه الفقرة من الدعاء: «إنّ الأرض لا تخلو من القطب و أربعة أوتاد و أربعين بدلًا و سبعين نجيبًا و ثلاثمائة و ستّين صالحًا».

(٤) تهذيب الأحكام، ج٦، ص١١٨.

و نحوه يُظهر بوضوح أنّ لهؤلاء النوّاب من عظيم المنزلة و علُوّ المرتبة ما يُرجى معه التقرّب بهم إلى إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف بعد مماتهم كما كانوا كذلك في حياتهم. و قد كان بعد ذلك ـ في زمان الغَيبة الكبرى ـ في كلّ مدّةٍ عظماء من أمثال السيّد ابن طاوس رحمه الله ممّن تفضّل الله تعالى عليهم بالمقامات العالية و الدرجات السّامية، لِمَا كان منهم من الوفاء لإمام زمانهم و حفظهم العهد على الرغم من وجودهم في زمن غَيبة الإمام عليه السلام الظاهريّة. و هذه المقامات و الدرجات ليست شيئًا يُعدَم أو يزول بعروض الموت لهم، بل يمكن أن يقال إنّها فضلًا عن عدم زوالها بالموت، فإنّها تترقّى بعد الموت أيضًا، و هذه قاعدةٌ محفوظةٌ و ثابتةٌ في حقّ جميع أولياء الله تعالى. و مضافًا إلى ما تقدّم، جاء في روايةٍ عن الإمام السجّاد عليه السلام بيان مراتب المعرفة و تفصيلها، و فيها بعد معرفة التّوحيد و الإمامة، معرفة الأبواب و الأركان و النُّقباء و النُّجباء. و هذا دليلٌ على أهمّيّة معرفة أولياء الله تعالى، و قد قال عليه السلام مخاطبًا جابر بن يزيد الجعفيّ:

«يَا جَابِرُ أَوَتَدْرِي مَا الْمَعْرِفَةُ؟ الْمَعْرِفَةُ إِثْبَاتُ التَّوْحِيدِ أَوَّلًا، ثمّ مَعْرِفَةُ الْمَعَانِي ثَانِيًا، ثمّ مَعْرِفَةُ الْأَبْوَابِ ثَالِثًا، ثمّ مَعْرِفَةُ الْأَنَامِ رَابِعًا، ثمّ مَعْرِفَةُ الْأَرْكَانِ خَامِسًا، ثمّ مَعْرِفَةُ النُّقَبَاءِ سَادِسًا، ثمّ مَعْرِفَةُ النُّجَبَاءِ سَابِعًا... أَمَّا الْمَعَانِي فَنَحْنُ مَعَانِيهِ وَ مَظَاهِرُهُ فِيكُمْ، اخْتَرَعَنَا مِنْ نُورِ ذَاتِهِ وَ فَوَّضَ إِلَيْنَا أُمُورَ عِبَادِهِ...»[1].

إذًا كما مرّ، فإنّ الخصوصيّة الأساسيّة لحواريّي الأئمّة عليهم السلام في جميع العصور و الأزمان هي الوفاء لإمام زمانهم بالعهد و رعاية تقوى الله تعالى على الوجه الأتمّ، و هذا شرطٌ أخذه الله تعالى على عباده في قوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾[2]. صحيح أنّ المعاصي حجبت عن أبصارنا رؤية الطلعة الرّشيدة للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و منعت عن أسماعنا دويّ صوته العذب، لكن لله الحمد كلّ الحمد أن منَّ علينا في عصر الغَيبة المُظلم هذا بأن هدانا إلى أحد أوليائه المقرّبين و أُمنائه الصّالحين. إنّه آية الله الشيخ البهجة رحمه الله، العبد الصالح التامُّ الإطاعة لإمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، الّذي لم ينقض عهده معه قطّ، و الّذي تشهد مقاماته العالية ـ غير الخافية على أهلها ـ كما يذعن العلماء الربّانيّون العظام، بأنّه كان من المقرّبين من إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و من الفائزين بلقاء حضرته. و عليه، فإنّ مطالعة منهج هذا

(١) الهداية الكبرى، ص٢٢٩؛ المناقب (للعلويّ)، ص١٢٥؛ بحار الأنوار، ج٢٦، ص١٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ٤٠.

العبد الصالح و سيرته في التعامل مع مولاه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و كيفيّة إبرام حالة التسليم و توطيدها لديه في إطاعة إمامه تحوز أهمّيّة مضاعفة، لأنّه يمثّل الأسوة الحسنة و الدّليل العمليّ للمؤمنين. و بما أنّ حظّنا من المعرفة الظاهريّة بأولياء الله ـ فضلًا عن المعرفة الباطنيّة ـ ليس إلّا بضاعةً مُزجاةً، فإنّنا مضطرّون في هذا المختصر إلى الاكتفاء بالإشارة إلى أبرز العناصر الّتي تُشكل المنهج السلوكيّ لهذا العبد الصالح المطيع لله و لوليّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

إنّ أشدّ الجوانب تأصُّلًا و تجذُّرًا في حياة آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه هي محوريّة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف المُنبعثة من معرفته به عليه السلام و من عشقه له. و لا شكّ في أنّ الحديث عن هذا الفقيه العارف من دون التعرّض لذكر حُبّه و مودّته الشديدَيْن لمولاه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و البارزَيْن في جميع حركاته و سكناته، هو حديثٌ فارغٌ من المعنى، و أبتر لا يصل إلى مغزى. طبعًا من البديهيّ أنّ تسليمه التّامّ بين يدَي الإمام العطوف عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو المستلزم لبلوغه تلك المقامات العالية و الكمالات السامية. و من المحتوم أنّ من يسلّم قلبه إلى وليّ الله بهذا النّحو الكامل التّامّ من التسليم، فإنّه يستحقّ بذلك أن تُفاض عليه هذه المواهب و تُبسط له هذه الموائد، ذلك أنّ المواهب الإلهيّة مُختصّةٌ بالأشخاص الّذين يطلبون التّوحيد الحقيقيّ و يسعون إليه من الطّريق الّتي عيّنها الله تعالى و بيّنها. و بمقتضى ما جاء في الزّيارة الجامعة الكبيرة من قوله عليه السلام: «مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ»[1]، فإنّ طريق الوصول إلى التوحيد الحقيقيّ لا يتيسّر إلّا من خلال المعصومين عليهم السلام و بواسطتهم. و هل كان مِثْلُ سلمان رضي الله عنه لِيَحوز درجات الإيمان العشر كلّها[2] و يصل إلى منزلة: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»[3] و يسمّيه النبيّ صلّى الله عليه وآله ب «سلمان المحمّديّ»[4] إلّا بسبب اعتماده مبدأ مركزيّة الإمام و محوريّته المتمثّلة في نبيّه صلّى الله عليه وآله و إمام زمانه أمير المؤمنين عليه السلام؟ و هل سلك حبيب بن مظاهر رضي الله عنه ـ الّذي هو بحقٍ حبيب الله ـ سوى طريق إطاعة إمام زمانه سيّد الشهداء المظلومين عليه السلام و سبيل عشقه و الافتتان به صلوات الله عليه؟ و هل أصبح آية الله الشيخ المقدّس البهجة قدّس سرّه بهجة الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلّا من خلال كونه «العبد» لإمام زمانه صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، إذ غدا قلبه السّليم جزيرةً خضراء ناضرةً و غَضّةً من

(١) فقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة.

(٢) بحار الأنوار، ج٦٩، ص١٦٦.

(٣) بحار الأنوار، ج٦٥، ص٥٥.

(٤) الأمالي (للطوسيّ)، ص١٣٣، ح٢١٤.

حضور الإمام الحجّة عليه السلام و تجلّيه فيه؟ و هنا، نتعرّض في هذه الحديقة إلى ثلاثة عناوين رئيسيّة و بعضٍ من فروعها، الّتي تشكّل بمجموعها المباحث العامّة في سلوك المنتظِر، و هي: «**العلاقة بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الارتباط به**» و «**التشرّف بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف**» و «**وقت الظهور**». و من خلال هذه المباحث نسلّط الضوء على بعض الأبعاد العمليّة لمبدأ محوريّة الإمام عليه السلام الّذي اتّبعه هذا العالِم القدوة، و إن كان كُنْه ذلك محجوبًا عنّا و يصعب إدراكه إلّا على الأوحديّ من النّاس الّذي هو نفسه ممّن وُفّقوا لبلوغ هذه المقامات، و أمثال هؤلاء هم «أَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ»[1].

* المبحث الأوّل: العلاقة بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الارتباط به

إنّ معاصرة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف من أعظم النّعم الّتي منّ الله تعالى بها على النّاس في هذا الزمان، و لكي يستفيد المؤمنون من هذه المعاصرة الّتي توجب بنفسها امتيازات خاصّة لهم، عليهم السعي لإيجاد العلاقة القلبيّة مع حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الارتباط به، إذ إنّه هو عينُ الحياة، و النّاس من دون وصاله ليسوا سوى موتى و أجسادٍ منزوعة الأرواح. و كلّ العجب من سعي النّاس إلى رفع عطشهم و إرواء ظمئهم بغير الماء!

و إنّ الّذي يسعى للارتباط بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف يتحرّى و يبحث عن كلّ ما يقرّبه إليه من أعمالٍ تكون موضع رضاه عليه السلام و تُدخل السّرور على قلبه الشّريف. و كان آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه ـ الّذي كان من سِمات علوّ مقامه هي الملازمة الحقيقيّة للثقلَيْن في جميع القضايا العامّة و الخاصّة ـ عندما يُسأل عن كيفيّة إيجاد العلاقة بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تقويتها، يوصي بتوصياتٍ واضحةٍ و ميسورةٍ لعامّة النّاس، و بطبيعة الحال فإنّه كان يؤكّد و يُرغّب في الأعمال الّتي يراها الأوجب و الأسرع في تحقيق القرب إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و هي الأعمال نفسها الّتي شدّد عليها و أكّد الوصيّة بها أهل البيت و الإمام الحجّة عليهم السلام. و كان الشيخ قدّس سرّه في سلوكه الشخصيّ أيضًا ملتزمًا بتلك الأعمال دون غيرها. و لابدّ من الالتفات إلى أنّه لا طريق أسرع إيصالًا إلى الله تعالى و إلى وليّه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف من الطريق الّتي رسمها لنا أهل البيت عليهم السلام هم أنفسهم، و إن عُدّت ـ حسب ظاهرها ـ طريقًا سهلة، لكنّ البعض يطلبون الوصول إلى هذه المقامات من خلال الأعمال الشاقّة. و من هنا فإنّ الشيخ المقدّس قدّس سرّه

(١) الكافي، ج٢، ص٢٤٢.

في مسألة الارتباط بالإمام المهديّ (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، لم يكن يقول شيئًا من عند نفسه، بل إنّ جميع ما كان يصدر منه، من نصائح أو توصيات أو أجوبة للمسائل المتعلّقة بهذا الموضوع، كان يستقيه من القرآن الكريم و روايات أهل البيت (عليهم السلام). فمثلًا كان له تأكيد و اهتمام بعبارةٍ شريفةٍ صادرةٍ عن الإمام المهديّ (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، و هي قوله لإسحاق بن يعقوب: «أَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُم»[1]. هذه الرواية قد تكون مرّت على مسامع الكثيرين لكن قلّما أعطاها أحد حقَّها من الإهتمام، أمّا الشيخ المقدّس (قدس سره) فإنّه حينما يسمع مثل هذه العبارة عن الإمام (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) يضعها نصب عينَيْه و يجعلها محور عمله و سلوكه و يعمل بها جادًّا و بتمام وجوده، و بهذا بلغ ما بلغه من المراتب السامية أسرع ممّن سواه، و ذلك لأنّه (قدس سره) قد جعل المعيار و الأساس في جميع أعماله هو التطابق بين إرادته و إرادة مولاه الإمام المهديّ (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، حتّى صارت جميع حركاته و سكناته و أعماله اليوميّة المعهودة سبيلًا إلى نيل مرضاة إمام زمانه (عجّل الله تعالى فرجه الشريف).

و بالالتفات إلى الآيات و الروايات الّتي وردت في هذا المجال، يمكن القول ـ بنحوٍ عامّ ـ إنّ للارتباط بالإمام (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) بُعدين، بُعد اعتقاديّ و آخر عمليّ، و لذا سيُتطرّق في المباحث التالية إلى هذين البُعدين.

أ) البُعد الاعتقاديّ

كان الفقيه المقدّس آية الله الشيخ البهجة (قدس سره) يؤكّد دائمًا أنّ أوّل خطوةٍ في طريق تحقيق الارتباط و تحسين العلاقة بالإمام المهديّ (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، هي تحصيل المعرفة به (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) مع الاستمرار في تقوية هذه المعرفة و تعميقها آنًا بآن. و إنّ لمعرفة الإمام (عليه السلام) مراتب و درجات مختلفة، أدناها تطهّر الإنسان من موت الجاهليّة[2]، و عُلياها إكسيرٌ يجعل لقمان لائقًا بأن يؤتى الحكمة[3]، و إنّما

---

(١) كمال الدين، ج٢، ص٤٨٥.

(٢) «سُئِلَ أَبُو محمّد الْحَسَنُ بْنُ عَلِيّ (عليه السلام) وَأَنَا عِنْدَهُ عَنِ الْخَبَرِ الّذي رُوِيَ عَنْ آبَائِهِ (عليهم السلام) أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حجّة لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَنَّ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا حَقٌّ كَمَا أَنَّ النَّهَارَ حَقٌّ، فَقِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَمَنِ الحجّة وَالْإِمَامُ بَعْدَكَ؟ قَالَ: ابْنِي محمّد هُوَ الْإِمَامُ وَالحجّة بَعْدِي، مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»؛ كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر (عليهم السلام)، ص٢٩٦.

(٣) «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) قَالَ: قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَوْلُهُ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ﴾، قَالَ: أُوتِيَ مَعْرِفَةَ إِمَامِ زَمَانِهِ»؛ تفسير القمّيّ، ج٢، ص١٦١.

«عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، فَقَالَ هِيَ طَاعَةُ اللَّهِ وَمَعْرِفَةُ الْإِمَامِ»؛ المحاسن، ج١، ص١٤٨.

ترتقي بسلمان فوق لقمان[1] الّذي عُرضت عليه الخلافة الإلهيّة[2]. و لا يخفى أنّ الله تعالى أوجب على عباده طلب تحصيل الهداية إلى إمام الزمان عشر مرّات في كلّ يوم، من خلال تلاوة آية ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ في الصلوات المفروضة[3]. فصراط الإمام و معرفته هو السّبيل الوحيد الّذي يوصل الإنسان إلى معرفة الله تعالى و العبوديّة له[4].

***١. مراتب المعرفة

كما مرّ، إنّ لمعرفة الإمام عليه السلام مراتب متعدّدة، وسيُشار في ما يلي إلى هذه المراتب بنحوٍ مختصر.

****الاعتقاد بكون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مفترض الطاعة

إنّ أدنى درجات معرفة الإمام الواجبة على كلّ مكلّف، هي الاعتقاد بكونه مُفترَض الطّاعة على الخلق، يقول آية الله الشيخ البهجة قدس سره في هذا الشأن:

«في [صدق أقلّ مراتب] معرفة الإمام عليه السلام و الاعتقاد به يكفي أدنى المعرفة. و هي فقط أن نعتقد أنّه الإمام المفترَض الطّاعة و وصيّ النبيّ صلى الله عليه وآله، و إن لم نعلم اسمه أو أنّه ـ مثلًا ـ ذاك الّذي قاتل معاوية أو مروان و طلحة، وكذلك ليس من الواجب العلم بترتيبهم عليهم السلام و أنّ هذا الإمام أيّ واحد منهم [أي ترتيبه التسلسليّ بين الأئمّة عليهم السلام]. نسأل الله أن نفعل الّذي يريدونه منّا، و أن نترك الّذي يريدون منّا أن لا نفعله»[5].

---

(١) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «سَلْمَانُ خَيْرٌ مِنْ لُقْمَان»؛ بصائر الدرجات، ج١، ص١٨.

(٢) في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام بعد بيان مقامات لقمان و فضائله، قال صلوات الله عليه: «فَإِنَّ اللّٰهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَمَرَ طَوَائِفَ مِنَ الْمَلَائِكَة ـ حِينَ انْتَصَفَ النَّهَارُ وَهَدَأَتِ الْعُيُونُ بِالْقَائِلَةِ ـ فَنَادَوْا لُقْمَانَ حَيْثُ يَسْمَعُ وَلَا يَرَاهُمْ، فَقَالُوا: يَا لُقْمَانُ هَلْ لَكَ أَنْ يَجْعَلَكَ اللّٰهُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ تَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ لُقْمَانُ: إِنْ أَمَرَنِيَ اللّٰهُ بِذَلِكَ فَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِأَنَّهُ إِنْ فَعَلَ بِي ذَلِكَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ وَعَلَّمَنِي وَعَصَمَنِي وَإِنْ هُوَ خَيَّرَنِي قَبِلْتُ الْعَافِيَة... قَالَ: فَلَمَّا أُوتِيَ الْحُكْمَ بِالْخِلَافَةِ وَلَمْ يَقْبَلْهَا أَمَرَ اللّٰهُ الْمَلَائِكَةَ فَنَادَتْ دَاوُدَ بِالْخِلَافَةِ فَقَبِلَهَا وَلَمْ يَشْتَرِطْ فِيهَا بِشَرْطِ لُقْمَانَ فَأَعْطَاهُ اللّٰهُ الْخِلَافَةَ فِي الْأَرْضِ»؛ تفسير القمّي، ج٢، ص١٦٣.

(٣) عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، قَالَ: «الطَّرِيقَ وَمَعْرِفَةَ الْإِمَامِ»؛ تفسير القمّي، ج١، ص٢٨.

(٤) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّمَا يَعْرِفُ اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ وَيَعْبُدُهُ مَنْ عَرَفَ اللّٰهَ وَعَرَفَ إِمَامَهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»؛ الكافي، ج١، ص١٨١.

(٥) إنّ هذا الكلام مقتبسٌ من روايات أهل البيت عليهم السلام، فهناك أحاديث كثيرة تشير إلى أنّ الحدّ الأدنى من المعرفة هو الاعتقاد و الإيمان بأنّ هناك في كلّ زمان إمامًا من ذريّة النبيّ صلى الله عليه وآله مفترض الطاعة تجب موالاته و الائتمام به

طبعًا هذه المرتبة المذكورة هي أقلّ الواجب في معرفة الإمام، و هي ميسورةٌ و مُمكنة التّحصيل لكلّ إنسان لا يكون مُستضعَفًا، أينما كان في الأرض، و مهما كانت لُغته، بحيث لا يبقى أيّ عذرٍ لمن لم يصل إلى هذا المقدار. و كذلك عندما سئل آية الله الشيخ البهجة ﷺ عن أعلى مراتب معرفة الإمام عليه السلام، أجاب باختصارٍ شديدٍ ينمّ على فطنته إذ قال:

«يجب أن يُسأل عن ذلك سلمان و أمثال سلمان!».

و بين هاتين المرتبتين مراتبُ كثيرةٌ ينال منها كلّ إنسانٍ على قدر همّته و حسب قابليّته و استعداده.

إنّ معنى الاعتقاد بأنّ الإمام مُفترَض الطاعة، هو المعرفة بأنّ الله سبحانه ـ مِن إشفاقه على عباده و لُطفه بهم ـ أوجب عليهم إطاعة الإمام عليه السلام في جميع أمورهم، و قَرَنَ طاعتَه بطاعتِه تعالى، باعتبار أنّه عزّ و جلّ عَصَمَ الأئمّة عليهم السلام و نزّههم عن كلّ خطأ أو خطيئة. و من هنا تكون جميع أوامرهم و نواهيهم عليهم السلام مُطابقةً لمصالح العباد و مفاسدهم، و منافعهم و مضارّهم الواقعيّة، و لا تَحيد قيدَ أنملةٍ عن مواطن رضا الله و حكمته. هذا و من المؤكّد أنّ الإنسان لن يشعر بلذّة إطاعة الإمام و الانقياد له، و لن يقع ذلك موقع الرضا القلبيّ منه إلّا إذا تيقّن أنّ أكمل مصالحه و أتمّ منافعه هي في التّسليم لأمر الإمام المعصوم عليه السلام الّذي هو الأب العطوف و الرّفيق الرؤوف.

**** الاعتقاد بعصمة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف المطلقة

كما ذُكر سابقًا فإنّ خلفيّة كون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مفترض الطّاعة هي عصمته المطلقة، و من هنا، فإنّ الاعتقاد الراسخ بعصمة الإمام عليه السلام المطلقة هو من جملة أركان الإيمان الحقيقيّ و أصوله، و إنّ وجود هذه الخصوصيّة في شخص الإمام عليه السلام يُعَدُّ من شروط تولّيه منصب

و البراءة من أعدائه، فمجرّد هذه المعرفة تكفي ليُعدّ الشخص مواليًا لأهل البيت عليهم السلام و إن لم يعرف اسم إمام زمانه أو تسلسله بين الأئمّة عليهم السلام، و من تلك الروايات مثلًا عندما توجّه عيسى بن عبد الله إلى الإمام الصادق عليه السلام، ليسأله ماذا يصنع إن لم يعرف إمام زمانه و لم يعرف موضعه، فأجابه الإمام عليه السلام: «تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَوَلَّى مَنْ بَقِيَ مِنْ حُجَجِكَ مِنْ وُلْدِ الإِمَامِ الْمَاضِي، فَإِنَّ ذَلِكَ يُجْزِيكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»؛ (الكافي، ج١، ص٣٠٩). لكن هذا لا يعني أن يكون هذا الحدّ من المعرفة مبلغ مراد المؤمن و غايته منها، بل هي حدّ النصاب من المعرفة حتّى يُعدّ المرء مواليًا، و ينبغي للمؤمنين السعي إلى زيادة معرفتهم بأئمّتهم عليهم السلام كما كان عليه سلمان و مقداد، و أمثالهما من سلمان كلّ زمان و مقداده.

الإمامة، و بها يتميّز عن غيره ممّن ليس بإمام. و كما ذُكر آنفًا، فإنّ الإمام معصومٌ و مصونٌ عن الخطأ كما عن الخطيئة، و الخطيئة في الحقيقة هي المعصية و الذنب، أمّا الخطأ فيشمل كلّ اشتباه في الأمور الكلّيّة و الجزئيّة و لو لم يكن عن عَمْد. لكن بالنسبة إلى غير المعصوم، فهو كائنًا من كان و مهما بلغ من المقامات فإنّه غير معصومٍ عن الخطأ، أمّا العصمة عن الخطيئة فهي مُمكنةٌ في حقّه و غير مُمتنعة فيه. يقول آية الله الشيخ البهجة ﵀ في هذا المجال:

«العصمة شرطُ المَنْصِب في الأنبياء و الأوصياء ﵈، فهي واجبة فيهم، لا أنّها ممتنعة في غيرهم».

أي صحيح أنّ العصمة عن الخطيئة هي شرطٌ واجبٌ في منصب النبوّة و الوصاية، إلّا أنّ ذلك ليس بمعنى كونها من مختصّات ذلك المنصب. و إلّا ورد الطّعن من هذه الجهة على فلسفة التّكليف بترك المعصية. بناءً على هذا، فإنّ العصمة عن الخطيئة هي أمرٌ ممكن في حقّ غير المعصوم، و لقد كان عبر الأزمان عبادٌ عظامٌ شملهم التّوفيق لترك المعاصي و الذّنوب فلم يعصوا الله تعالى عن علمٍ و عمدٍ، فالعصمة عن المعصية ـ على هذا ـ قد تحقّقت بالفعل لبعض من ليسوا من الأنبياء و لا الأوصياء، و إنّ المُنحصر في المقام الشامخ للمعصومين ﵈ هي العصمة عن الخطأ و الاشتباه إضافة إلى العصمة عن الخطيئة. و غير المعصومين مهما عَظُمت منازلهم، و إن بلغوا مقام العصمة عن الخطيئة، فهم ليسوا بمنأى عن الوقوع في الخطأ و الاشتباه. يقول آية الله الشيخ البهجة ﵀ في هذا الشأن:

«إنّ المعصوم ﵇ ليس من أهل الخطيئة و لا الخطأ، و أمّا غيره فهو حتّى لو كان من العلماء الكبار جليلي القدر فإنّه غير بريءٍ من الخطأ».

بعد إدراك هذه المسألة، و الاعتقاد بعصمة الإمام ﵇ عن كلّ خطأ و خطيئة، و أنّ جميع أفعاله ﵇ و أقواله و أوامره و نواهيه هي عين الصواب و المصلحة و مطابقة للحكمة و لإرادة الله تعالى و رضاه، فإنّ الإنسان يستسلم لإرادة الإمام بملءِ إرادته و كمال اختياره و اشتياقه و تمام وجوده، و ذلك لأنّه يعلم أنّ سعادته في الدنيا فضلًا عن نجاته في الآخرة هي في ضوء التسليم لأمر الإمام ﵇. و من أجمل أمثلة تسليم المأموم لإمامه ما يجسّده قول عبد الله بن أبي يعفور لإمام زمانه جعفر بن محمّد الصادق ﵉:

«وَاللَّهِ لَوْ فَلَقْتَ رُمَّانَةً بِنِصْفَيْنِ، فَقُلْتَ هَذَا حَرَامٌ وَ هَذَا حَلَالٌ، لَشَهِدْتُ أَنَّ الَّذِي قُلْتَ حَلَالٌ حَلَالٌ وَ أَنَّ الَّذِي قُلْتَ حَرَامٌ حَرَامٌ»[1].

**** اليقين بعناية الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ألطافه

و من جملة مراتب معرفة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو اليقين بأنّ عناياته تشمل جميع النّاس و تحيط بهم، و أنّهم ينتفعون بحضرته عليه السلام في زمان الغَيبة كما ينتفعون بالشّمس من وراء السّحاب[2]. و أدنى تلك المنافع ما يشترك فيه الجميع و هو أنّه لو بقيت الأرض يومًا واحدًا بلا إمام لساخت بأهلها[3]. أمّا بالنسبة إلى المؤمنين، فإنّ عنايات حضرته عليه السلام فائقة خارقة و مواهبه كثيرة متنوّعة جدًّا، قد حصلت لهم على طول الزمان حضورًا و غَيبة. و كان الفقيه المعظّم قدس سره في حالة تذكيرٍ و تنبيهٍ دائمَيْن بشأن هذا الفيض العظيم و تشجيع المؤمنين و ترغيبهم بأن يستفيدوا ما استطاعوا من هذه العنايات السارية و الجارية الّتي قطوفها دانية.

و لطالما كان سماحته قدس سره يؤكّد أنّه على الرغم من وجود القيود الّتي تفرضها الغَيبة و ما يستلزمها من استتار الإمام عليه السلام عن الناس، لكنّ عنايات حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا تنحصر فيما تقدّم ذكره، بل إنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يتصدّى لحلّ مشكلات المؤمنين و معضلاتهم في أنحاء العالم و أقطاره في كلّ زمان و مكان، و يقضي لهم حوائجهم و يُغيث ملهوفهم. و كان سماحته قدس سره يقول:

«ما أرأفَ حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالأشخاص الّذين ينادونه و يستغيثون به. إنّه أرأف بهم من الأب و الأمّ!».

و كان يقول قدس سره أيضًا:

«هل الإمام الصاحب عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ الّذي احتجب عن أعدائه خلف ستار الغَيبة ـ يغفل عن أوليائه أيضًا و لا يبالي بما ينزل بهم و يصيبهم؟ الله أعلم ماذا فعل حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى الآن و ماذا يفعل من أجلهم!».

---

(١) اختيار معرفة الرجال (للكشّيّ)، ص٢٤٩.

(٢) قَالَ سُلَيْمَانُ: «قُلْتُ لِلصَّادِقِ عليه السلام: فَكَيْفَ يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِالحُجَّة الْغَائِبِ الْمَسْتُورِ؟ قَالَ: كَمَا يَنْتَفِعُونَ بِالشَّمْسِ إِذَا سَتَرَهَا السَّحَابُ»؛ كمال الدين، ج١، ص٢٠٧.

(٣) دلائل الإمامة، ص٤٣٦.

مضافًا إلى ما ذكرناه، كان ﷺ أحيانًا يقول و هو يبتسم ابتسامةً ذات مغزى: «في بعض الأحيان يجد الإنسان في نفسه حالةً طيّبةً، حالةً نورانيّة!» ثمّ يضيف: «[في حين أنّه] لا يعرف سبب تلك الحالة، و مهما فكّر فإنّه لا يظفر لها بِعِلّة. فهو لم يفعل أمرًا خاصًّا و لم يقم بعملٍ عباديّ خاصّ و لم يُصلِّ صلاةً معيّنة، لم يفعل شيئًا قطّ! [لكنّه] لا يعلم في أثناء عبوره مكانًا، [أو] زقاقًا، مرّ الإمام [المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف] بجانبه مجرّد مرور، فحصلت تلك الحالة الطيّبة و النّورانيّة لهذا الشخص بسبب ذلك [أي مرور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بجانبه]». ثمّ يطلق ﷺ كلمةً جميلةً جدًّا فيقول: «هل يُمكن أن يمرّ الإنسان بطَوْد الإيمان عليه السلام و لا يَترُك ذلك فيه أثرًا؟!». يعني أنّ مُجرّد المرور بجانب الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يؤدّي إلى أن يشعر الإنسان بتلك الحالة الطّيّبة النّورانيّة بتمام وجوده، و ذلك لأنّ الإمام عليه السلام هو طود الإيمان.

نعم، من البديهيّ أن يكون الإمام المهديّ عليه السلام في حالة تنقُّلٍ دائمٍ بين أحبّائه و أوليائه، فهو عليه السلام لا يتركهم. و ما ذُكر هو أدنى مراتب عنايته عجّل الله تعالى فرجه الشريف لمحبّيه الّذين لم يتأهّلوا بعد للقائه، لكنّهم مُحبّوه. أمّا الصّالحون الّذين اختاروا صرف همّتهم في تهذيب النّفس و إصلاحها، و العاشقون الّذين كان جلّ همّهم لقاء عزيزهم الغائب، فهؤلاء تنالهم نعمة الاستفاضة من عناياتٍ أرقى و أجلى، كأن يتشرّفوا برؤيته عجّل الله تعالى فرجه الشريف في رؤيا صادقة، أو حتّى التشرّف في محضره المبارك في حالة اليقظة.

**** الاعتقاد بأنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف حاضرٌ و ناظرٌ دائمًا

إنّ مراتب الاعتقاد بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و معرفته الّتي سبق ذكرها، هي خطوات أوليّة لا يمكن بلوغ كمالات أعلى من دون طيّها، لكن يجب الالتفات إلى أنّ خطوات معرفة الإمام عليه السلام في الواقع هي أكثر بكثير ممّا ذُكر، و من الخطوات التالية هي الاعتقاد و اليقين بأنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف حاضرٌ و ناظر. إنّ إحدى أهمّ خصال آية الله الشيخ البهجة ﷺ و أبرزها، الّتي تُعدّ المبدأ و الأصل لسائر صفاته و مَلَكاته، هي أنّه كان يرى إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف حاضرًا و ناظرًا في جميع الحالات و الأوقات، و كما ذُكر آنفًا فإنّه كان يُطابق بين جميع أعماله و تروكه و بين رضاه و إرادته عليه السلام، و لم يكن ذلك مجرّد اعتبار، إنّما كان يتصرّف كأنّه حقيقةً و فعلًا في محضره الشريف، و من استحضر حضور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إشرافه، و ترك المعاصي باختياره قبل تكليفه الشرعيّ مِن أجل الكون في محضره، فهو حقيقٌ بأن تكون حالة حضور

الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لديه قد تحوّلت من علمٍ حصوليٍ إلى علمٍ حضوريّ. و من البديهيّ أنّ مَن يرى نفسه بحضرته عليه السلام حقيقةً، لا يمكنه الإتيان بشيءٍ يُخالف إرادته و رضاه. و يستغني بذلك عن الواعظ، فيكون هذا الحضور نفسه أفضل واعظٍ و هادٍ له. و لذلك، فإنّ من أهمّ مراقبات النّفس الّتي ينبغي للمؤمن الالتزام بها هو هذا الشّعور الدّائم بالحضور بين يدَي الإمام عليه السلام، و تذكير النّفس به و تلقينها إيّاه إلى أنْ يُصبح هذا الإحساس ملَكةً ثابتة، فيتحوَّل من صرف الاعتقاد الذّهنيّ إلى صفةٍ راسخةٍ في النّفس تؤثّر في جميع شؤونها. و إذا وصل العبد إلى هذه المرتبة من العبوديّة كان مولاه أَولى بأن يأخذ بيده و يخرق به الحُجُب و يقوده إلى جواره في مقعد صدق. و لذا، فإنّه من الواجب على جميع المؤمنين أن يروا إمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف خصوصًا و أهل البيت عليهم السلام عمومًا ـ الّذين هم عين الله الناظرة و أذنه السامعة ـ حاضرين معهم و ناظرين إلى أعمالهم. و بهذا أُمِر الشيعة على ما جاء في الرّواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام:

«لَئِنْ تَرَوْنَ أَنَّهُ لَيْسَ لَنَا مَعَكُمْ أَعْيُنٌ نَاظِرَةٌ أَوْ أَسْمَاعٌ سَامِعَةٌ لَبِئْسَ مَا رَأَيْتُمْ، وَاللهِ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْضُرُونَا جَمِيلًا وَعَوِّدُوا أَنْفُسَكُمُ الْخَيْرَ وَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ تُعْرَفُوا بِهِ فَإِنِّي بِهَذَا آمُرُ وُلْدِي وَشِيعَتِي»[1].

و على هذا الأساس فإنَّ الفقيه المقدّس الشيخ البهجة قدس سره، و من منطلق إيمانه و عقيدته التامّين و بناءً على ما وصل إليه بحقّ، كان يقول:

«[الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف] محتجبٌ عن أعين الظّالمين. لكن مَن ليسوا هم ظالمين و لا من أصحاب الظالمين و لا يُخالطون الظالمين و لا هم في منازل الظالمين و محالّهم، فهؤلاء ليسوا بمحجوبين عن وجوده الشريف عليه السلام أصلًا!».

نعم، إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف محجوبٌ و غائبٌ عن أعين الظّالمين، لكنّه غائبٌ عن أعينهم فقط، و أمّا أعمالهم و حتّى نيّاتهم الباطنيّة فله إشرافٌ و اطّلاعٌ كاملان عليها بإذن الله تعالى، و إنّما هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف مشرفٌ و مطّلعٌ بنحوٍ خاصّ أيضًا على أعمال المؤمنين، لكنّ الفرق أنّهم هم أيضًا مُعتقدون بهذا الاطّلاع، و يرون أنفسهم دائمًا في محضر إمامهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

---

(١) الخرائج و الجرائح، ج٢، ص٥٩٦.

إنّ الفقيه المقدّس آية الله الشيخ البهجة رحمه الله لم يكن يكتفي بحضوره هو في محضر الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، بل كان دائمًا و في المناسبات المختلفة ينبّه الآخرين إلى هذه المسألة و يذكّرهم بها.

في أحد الأيّام، كان أحد الوعّاظ مستويًا على المنبر مشغولًا بالوعظ و الخطابة، فقال في بعض كلامه و قد انتابته حالةٌ من انكسار القلب و رقّته: «ليته كان بإمكاننا أن نعلم أين يكون الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف!» ثمّ أجهش بالبكاء، و لمّا فرغ من موعظته و نزل عن المنبر خاطبه آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه مُتبسّمًا ابتسامة مرارةٍ، قائلًا له:

«كأنّك تعلم أين لا يكون الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف حاضرًا؟!».

كان سماحته قدّس سرّه كثيرًا ما يقول إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو **«عَيْنُ اللَّهِ النَّاظِرَةُ وَأُذُنُهُ الْوَاعِيَةُ»**[1]، و كان يؤكّد كثيرًا أنّ الكلام الّذي يقوله بعضنا لبعض يحتاج إلى مدّة زمنيّة لكي يصل إلى أذن سامعه، لكنّه قبل أن يَصِل إليها فإنّه يصل إلى أذن الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يسمعه، و إنّما سماع الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف له يسبق سماع الناطق بالكلام نفسه لكلماته، فكان سماحته قدّس سرّه يقول:

«كم الفرق شاسع بين من يعتقد بأنّه عليه السلام **«عَينُ الله النّاظِرَة»** و أنّ مجلسنا هذا في محضره، و يتيقّن أنّ جميع الكلمات بتفاصيلها و حدودها هي عند حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف من الواضحات، و بين من لا يعتقد بمثل هذا!».

و كان قدّس سرّه يقول أيضًا:

«إنّ إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو **«عَيْنُ اللَّهِ النَّاظِرَةُ وَ أُذُنُهُ السَّامِعَةُ وَ لِسَانُهُ النَّاطِقُ فِي خَلْقِهِ وَ يَدُهُ الْمَبْسُوطَة»**، و هو مُطّلع على أقوالنا و أفعالنا و أفكارنا و نيّاتنا، و مع ذلك فكأنّنا لا نؤمن بأنّ الأئمّة عليهم السلام و بالخصوص إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف حاضرون و ناظرون، و حتّى كأنّنا ـ كالعامّة ـ لا نعتقد بحياته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و نحن غافلون عن حضرته بنحوٍ تامّ!».

---

(١) راجع: الإمامة و التبصرة من الحيرة، ص١٣٢؛ التوحيد (للصدوق)، ص١٦٧؛ المزار الكبير، ص٢١٧؛ بصائر الدرجات، ج١، ص٦١؛ جمال الأسبوع، ص٣٧.

و كان يؤكّد كثيرًا أنّ إخفاءنا أعمالنا عن حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو أمرٌ مستحيل، و يقول:

«حتّى لو أنّنا ـ مثلًا ـ أحطنا عملنا بستارٍ، لم يكن ذلك لينفع، فإنّ نظر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أحدّ و أنفذ [من أن يمنعه ستار]، و لم يكن ذلك ليوجد مانعًا و حائلًا أمام عينيه اللّتَيْن تريان الواقع كما هو. و كذلك لا يُشترط المقابلة و المحاذاة في نظر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف [كي يرى، فإنّ اطّلاعه ليس من خلال الحاسّة الباصرة فقط]، بل هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف أينما كان فإنّ له الإشراف على الأرضين السفلى و السماوات السبع و ما فيهنّ و ما بينهنّ».

و على هذا الأساس كان قدس سره يحذّر و يقول:

«ألَا يجب أن نلتفت إلى أنّ لنا رئيسًا ناظرًا إلى أحوالنا؟ الويل لنا إن لم نره ناظرًا في أعمالنا أو لم نعتقد بأنّه ناظر [و شاهد] في كلّ مكان!».

و كذلك قال سماحة الشيخ قدس سره في معرض جوابه لشخصٍ طلب إليه أن يرشده و يوصيه بشأن سفر حجٍّ كان عازمًا عليه:

«اطلبوا الإرشاد من إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه ـ إنّه عليه السلام حاضرٌ ـ حتّى كأنّكم في محضره».

و من هنا، كان من المسلّمات الواضحات في سلوك سماحته قدس سره الاعتقاد بحضور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إشرافه على جميع الأزمنة و الأمكنة، مع العمل بما يتناسب مع هذا المبدأ. و قد وصل سماحته قدس سره إلى تلك المراتب العالية، بالمثابرة العمليّة على مقتضى هذه العقيدة المأخوذة من واضحات المعارف النقليّة و العقليّة. و كان من أهمّ توصياته رضوان الله عليه لمن يسعى للتشرّف برؤيته عجّل الله تعالى فرجه الشريف هي المراقبة و المثابرة على الإحساس بوجوده و حضوره عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الاستعداد الدّائم للقائه(1).

---

(١) ذهب أحد الفضلاء بعد رجوعه من سفرٍ للتبليغ إلى زيارة آية الله الشيخ البهجة قدس سره، و نقل أنّ سماحته قدس سره قال له ما مضمونه: «إنّ امرأتك تتوقّع منك هديّة السفر، و لا بدّ من هديّة! نحن أيضًا نتوقّع منك تلك، لكن لا نعني هديّة ماديّة، لأنّ الدنيا بنظرنا لا قيمة لها، نريد منك هديّة معنويّة، ائتنا بالمبشِّرات، ائتنا بخبرٍ من الارتباطات المعنويّة!». يقول هذا الفاضل: قلت له: شيخنا علّمنا الطريق إلى ذلك لكي نُوفَّق لتحصيل الارتباط الباطنيّ، فأجابني سماحته قدس سره: «طريقه هو أن تعرف أنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف قريب جدًّا إليك إلى درجة أنّه عليه السلام يسمع هذا الكلام الّذي أقوله لك الآن قبل أن تسمعه أنت، و يسمع ما تقوله لي قبل أن أسمعه أنا. إنّ حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف يسمع! كن ملتفتًا إلى هذا القرب و الإشراف، يحصل لك الارتباط!».

***٢. التسليم ثمرة المعرفة

عندما تترسّخ المعرفة بالإمام عليه السلام و بمقاماته و تستحكم في قلب المؤمن، تكون ثمرتها عشقًا عميقًا يستحوذ على جميع وجوده. و إنّ حالة تسليم المؤمن ـ بقلبه و فعله ـ لإمامه و جَعْل حياته طوعَ يديه عليه السلام تتجسّد بنحوٍ واقعيّ عندما يأمره الإمام عليه السلام بأمرٍ مخالفٍ في ظاهره لمُقتضى المصلحة، لكنّه يُقدِم بقلبه و روحه على إطاعته، عن يقينٍ و طمأنينة، و من دون أيّ سؤالٍ أو نقاشٍ أو اعتراض. و منشأ ذلك هو اعتقاده التامّ بأنّ الإمام عليه السلام إنّما يدعوه إلى العمل الأفضل و السلوك الأقوم. و خير مثالٍ يُذكر هو هارون المكّيّ، إذ ورد في روايةٍ أنّ أحد شيعة الإمام الصادق عليه السلام و هو سَهْلُ بْنُ حَسَنٍ الْخُرَاسَانِيُّ دخل إلى مجلسه عليه السلام فسلّم عليه ثمّ جلس، فقال للإمام عليه السلام: يا ابن رسول الله لكم الرأفة و الرحمة و أنتم أهل بيت الإمامة، ما الّذي يمنعك أن يكون لك حقٌّ تقعد عنه و أنت تجد من شيعتك مئة ألفٍ يضربون بين يديك بالسّيف؟! فقال له الإمام عليه السلام: «اجْلِسْ يَا خُرَاسَانِيُّ رَعَى اللَّهُ حَقَّكَ»، ثمّ قال: «يَا حَنَفِيَّةُ اسْجُرِي التَّنُّورَ»، فسجرته حتّى صار كالجمرة و ابيضّ علوه، ثمّ قال عليه السلام: «يَا خُرَاسَانِيُّ قُمْ فَاجْلِسْ فِي التَّنُّورِ!»، فقال الخراسانيّ: يا سيّدي يا ابن رسول الله لا تعذّبني بالنّار، أقلني أقالك الله، فقال الإمام عليه السلام: «قَدْ أَقَلْتُكَ». فبينما هما كذلك إذ أقبل هارون المكّيّ و نعله في سبّابته، فقال له الإمام الصادق عليه السلام: «أَلْقِ النَّعْلَ مِنْ يَدِكَ وَ اجْلِسْ فِي التَّنُّورِ» فألقى النعل من سبّابته ثمّ جلس في التنور و أقبل الإمام عليه السلام يُحدّث الخراسانيّ حديث خراسان حتّى كأنّه شاهدٌ لها، ثمّ قال عليه السلام: «قُمْ يَا خُرَاسَانِيُّ وَ انْظُرْ مَا فِي التَّنُّورِ». فقام إليه فرآه متربّعًا، فخرج إليهما و سلّم عليهما، فقال له الإمام عليه السلام: «كَمْ تَجِدُ بِخُرَاسَانَ مِثْلَ هَذَا؟» فقال: و الله و لا واحدًا! فقال عليه السلام: «لَا وَاللَّهِ وَ لَا وَاحِدًا! أَمَا إِنَّا لَا نَخْرُجُ فِي زَمَانٍ لَا نَجِدُ فِيهِ خَمْسَةً مُعَاضِدِينَ لَنَا، نَحْنُ أَعْلَمُ بِالْوَقْتِ!»(١).

نعم، إنّ المؤمن الحقيقيّ حتّى لو أمره إمامه عليه السلام أن يدخل نارًا فإنّه يطيع أمره عليه السلام بقلبٍ مطمئنٍّ، لأنّه يعلم أنّه بمجرّد دخوله فيها ستتحوّل إلى جنّةٍ و تكون عليه بردًا و سلامًا. و كان أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام هكذا، في ظاهر الحال يُصابون و يُجرحون و لكن ـ كما جاء في الرواية ـ ما كانوا يجدون ألم مسّ السيوف، و كانوا يبذلون أرواحهم عن عشقٍ تامٍّ في سبيل إمام زمانهم و معشوقهم و هم إليه والهون و بحبّه هائمون(٢). و بهذا لم يكونوا كهارون المكّيّ

---

(١) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٤، ص٢٣٧.

(٢) ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليهما السلام لِأَصْحَابِهِ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ سَتُسَاقُ إِلَى الْعِرَاقِ وَهِيَ أَرْضٌ قَدِ الْتَقَى بِهَا النبيّون وَ أَوْصِيَاءُ النبيّين وَهِيَ أَرْضٌ تُدْعَى عَمُورَا وَإِنَّكَ تُسْتَشْهَدُ بِهَا وَ يُسْتَشْهَدُ مَعَكَ جَمَاعَةٌ مِنْ

الّذي أمره الإمام الصادق عليه السلام بدخول التنور بل أعظم منزلة، إذ إنّ الإمام عليه السلام كان قد جعلهم في حلّ من بيعته و رخّص لهم بالابتعاد عن أرض المعركة. و في الحقيقة إنّ إيمان أولئك الأصحاب كان راسخًا و مستحكمًا بحيث كانوا ينطلقون من أنفسهم نحو تحقيق إرادة إمام زمانهم من دون انتظار صدور الأمر بالوجوب من حضرته عليه السلام. و كان لآية الله الشيخ البهجة رضوان الله عليه مثل هذه الرّابطة المبنيّة على العشق و المعرفة بإمام زمانه عجل الله تعالى فرجه الشريف. و لا مبالغة إن قيل إنّ جميع أفعاله و تروكه، في جزئيّات شؤون الحياة و كلّيّاتها، كانت مطابقةً لرضا الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف و إرادته و صادرةً عن عشقٍ و شوقٍ و رغبةٍ تامّين، و كان سماحة الشيخ قدس سره يؤكّد كثيرًا أنّه يجب أوّلًا عند إرادة أيّ عملٍ أو تركٍ أن نُطابقه مع رضا حضرته عجل الله تعالى فرجه الشريف و نجعل نظره الشريف هو المعيار، ثمّ نُقدِم على العمل، بحيث ـ كما كان يُعبّر سماحته ـ لا نرفع نظرنا عن الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف أبدًا. و يجب أن يُصبح هذا المعنى ملَكةً سلوكيّةً للإنسان في كلّ أمرٍ جزئيّ أو كلّيّ، خاصّ أو عامّ، و كان سماحته قدس سره يقول في هذا الشأن:

«كم سيكون الأمر صعبًا إن لم يصبح هذا الأمر مَلَكَةً لدينا بأن: نلاحظ رضاه عجل الله تعالى فرجه الشريف و عدمه عند ابتداء كلّ عملٍ نريد أن نُقدم عليه و نقوم به، و نجلب مرضاته و سروره».

أي أن يكون الإنسان في كلّ آنٍ من عمره على ما يحبّه إمامه عجل الله تعالى فرجه الشريف و يرضاه، و كان سماحته قدس سره منذ طفولته و قبل بلوغه الشرعيّ قد وصل إلى هذا المستوى من البلوغ الإيمانيّ و أقبل على إطاعة إمام زمانه عجل الله تعالى فرجه الشريف و أسرع إليه.

**ب) البُعد العمليّ

كما مرّ سابقًا، فإنّ الخطوة الأولى في مقام إيجاد العلاقة بالإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف هي معرفة مقامه و منزلته، و الاعتقاد بأنّه الإمام المعصوم المفترض الطّاعة. ثمّ من بعدها تأتي الخطوة الثانية و هي العمل بأوامره و ترك نواهيه حتّى نتقرّب إليه من صميم القلب كالعاشق الواله. و من هنا، كان آية الله الشيخ البهجة قدس سره كثيرًا ما يؤكّد ضرورة أن نكون ـ في كلّ زمانٍ و مكانٍ ـ قادرين على تشخيص وظائفنا، حتّى نبذل بعد ذلك أقصى همّتنا و سعينا في سبيل الإتيان بها. و في ما يلي ستُذكر بعض الخطوات الأساسيّة في هذا المجال.

أصحابك لَا يَجِدُونَ أَلَمَ مَسِّ الْحَدِيدِ، وَتَلَا ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾، تَكُونُ الْحَرْبُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا»؛ الخرائج و الجرائح، ج٢، ص٨٤٨.

***١. التوبة و ترك المعاصي و العمل بالواجبات

إنّ أهمّ وظيفةٍ للإنسان المؤمن الّتي ينبغي أن تكون معيارًا أساسيًّا في الحياة حسب منهج آية الله الشيخ البهجة ﷺ، هي الالتزام بترك المحرّمات و الإتيان بالواجبات الشرعيّة و التّوبة من المعاصي، الأمر الّذي يكون سببًا لنجاة الإنسان و هدايته إلى معرفة سائر وظائفه و تكاليفه. و كان ﷺ يقول:

«إنّ كلّ أمرٍ يحتاج إلى هذا المبدأ، أمّا هذا المبدأ فلا يحتاج بنفسه إلى أيّ شيء آخر».

و على سبيل المثال، لو أنّ شخصًا تولّى مسؤوليّةً اجتماعيّةً و لم يُصلح نفسه، أو كان في حالة دعاءٍ دائمٍ بلسانه لتعجيل الفرج و تقريبه، لكنّه منشغل ـ و العياذ بالله ـ بفعل المحرّمات و ترك الواجبات، الأمر الّذي يُعَدّ مُبعِّدًا عمليًّا للفرج، فمثل هذا الشخص لن يصل إلى الإمام المهديّ ﷺ و رضاه، بل على العكس من ذلك فإنّه في حالة ابتعادٍ مستمرٍّ عن حضرته ﷺ. و كذلك كان سماحته ﷺ يعدّ التوبة من المعاصي من أهمّ أسباب تهيّؤ الإنسان و استعداده للظهور العامّ. و من المؤكّد طبعًا أنّ أهمّ الواجبات الشّرعيّة هو الاعتقاد بجميع العقائد الحقّة، إذ بدونه تصبح جميع الأعمال و الوظائف بلا قيمة. و الحاصل أنّه ﷺ كان يؤكّد ضرورة ترك المعصية في الاعتقاد و العمل تأكيدًا شديدًا.

**** معيار المعرفة بالواجبات و المحرّمات

بالالتفات إلى ما بيّنّاه من لزوم السعي المستمرّ في سبيل تشخيص الوظيفة و التكليف، فإنّ سؤالًا يُطرح هنا مُفاده: كيف نعرف وظيفتنا؟ و كيف نُشخّص ما هي أوامر إمام الزمان ﷺ و نواهيه؟ هذا السؤال أقوى بروزًا و أكثر ضرورة في عصر الغَيبة، إذ مع عدم إمكانيّة الوصول الظّاهريّ إلى الإمام ﷺ، كيف نستطيع أن نعرف ما الّذي يريده منّا؟ في الجواب عن هذا السؤال يجب أن يُقال إنّ ما كان في رأس توصيات سماحته ﷺ هو العمل بدفتر الشرع الّذي هو دفتر إمام العصر ﷺ، أي الرّسالة العمليّة الصحيحة. فإنّه ﷺ كان يرى ضرورة أن يأخذ الإنسان المؤمن الرسالة العمليّة الصحيحة و يُطالعها جيّدًا و يعمل على وفقها. هذه الطريقة تؤدّي حتمًا إلى التقرّب من الإمام المهديّ ﷺ و تحصيل رضاه. و كلّ مَسيرٍ آخر يختاره الإنسان و يتحرّى من خلال السير فيه بلوغ القرب من حضرته ﷺ فإنّه لن يصل به إلى ملجأ و سيَتيه في الأرض. و كان سماحته ﷺ يقول:

«يجب علينا في زمان الغَيبة العمل بهذه الرسائل العمليّة الصحيحة الّتي بين أيدينا، و إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرضى منّا بالعمل بهذه الرسائل [العمليّة الصحيحة] نفسها».

نعم، إنّ رضاه عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو في معرفة حلال الله تعالى و حرامه، و إتيان الواجبات و ترك المحرّمات. و مَن يرغب صدقًا و حقًّا في تحصيل رضاه عليه السلام يستطيع من خلال العمل بما ذُكِر أن يصِل إلى أعلى درجات رضاه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أمّا الّذي لا يَمتثل أوامره الواضحة هذه، لا يستطيع أن يزعم أنّه من طُلّاب العمل بأوامره عجّل الله تعالى فرجه الشريف و توصياته الخاصّة، و أنّه من الساعين إلى تحصيل مقام المُناصر التنوريّ[1]، بل يصبح جليًّا أنّ ذلك منه ليس سوى ادّعاءٍ لا أكثر، و أنّه في الوقت الّذي يريد، هو ـ في الحقيقة ـ لا يريد!

كانت طريقة آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه قائمة على معرفة إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الاعتقاد به عقلًا و قلبًا، و على السعي لتحصيل العلم بأوامره و نواهيه من أجل العمل على وفقها. و بهذا القصد توجّه منذ الصغر ـ و قبل سنّ بلوغه الشرعيّ ـ نحو تحصيل مَلَكَة الاجتهاد و قدرة استنباط الأحكام الشرعيّة مُبتدئًا بدراسة العلوم الّتي يتوقّف ذلك عليها. فأخلص لله في تعلّمها و اجتهد في العمل بما عَلِم، كما علّمها الآخرين أيضًا. فقضى سني حياته إلى نهاية عمره الشريف في طريق معرفة علوم أهل البيت عليهم السلام ساعيًا إلى استنباط الأحكام الشرعيّة المُرضية لإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف من خلال الطرق و الأدلّة الظاهريّة، و بهدف العمل على وفقها لنيل محبّة مولاه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و هو بواسطة العمل بهذه الأوامر السهلة و الموجودة بين أيدينا بلغ تلك المقامات العالية، و نال المنزلة الخاصّة في القرب من إمام زمانه عليه السلام. طبعًا، إنّ بلوغ درجة الاجتهاد ليس متيسّرًا للنّاس كافّة، و لا يستطيع كلّ أحدٍ أن يُفرّغ نفسه لهذا المقصد، و لذلك يكون الواجب حينئذٍ هو العمل بالتقليد و الأخذ بالرسالة العمليّة الصحيحة للوصول إلى رضا الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و في هذا الشأن يقول آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه:

«إنّ طريق الارتباط بالله تعالى هي في إطاعة الله و إطاعة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و تشخيص ذلك يكون بمطابقة العمل مع دفتر الشرع، أي الرسالة العمليّة الصحيحة».

و كان سماحته قدّس سرّه يؤكّد أهمّيّة أن يعزم المؤمن على العمل بالرسالة العمليّة «الصحيحة»،

---

(١) أي أن يكون كهارون المكّيّ الّذي تقدّمت الرواية في حقّه.

و أنّ مجرّد طبع رسالة و نشرها لا يُجيز العمل بها شرعًا، بل يجب على المؤمن ـ و هو على حالة توسّلٍ بصاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف حتّى يأخذ بيده و يرشده إلى مرضاته و يوفّقه لتكون أعماله مُتطابقة مع كتاب الشرع المقبول لدى حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ أن يفحص و يحقّق بدقّة حتّى يصل إلى المجتهد الجامع للشرائط و الجائز تقليده، فيُراجع و يُطالع رسالته العمليّة و يعمل بما فيها. و من يعمل بهذه الطريقة يستحقّ عند الله تعالى الأجر على إطاعته لإمام زمانه، و إن شاء الله يكون الإمام نفسه عجّل الله تعالى فرجه الشريف راضيًا عنه و يحفظه في مواضع الزَّلَل و يهديه إلى رضا الله تعالى و إلى أفضل مصلحته و أتمّ سعادته الدنيويّة و الأخرويّة، كما حصل على سبيل المثال مع السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ رحمه الله الّذي كان جلّ همّه في إطاعته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فوصله منه عليه السلام كتابٌ فيه: «نحن ننصرك»[1].

**** المراقبة الدائمة و المستمرّة

إنّ الأهمّ بعد التوبة و ترك المعصية و تشخيص الوظيفة و العمل بالواجبات، هو المحافظة على هذا السلوك العمليّ و المداومة عليه، و هذا يحتاج إلى مراقبة مستمرّة، لأنّ نتيجته هو إيجاد علاقة بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و هذا الاتّصال و الارتباط ذَوَا درجاتٍ دقيقة و خفيّة، و مرارًا قال آية الله الشيخ البهجة رحمه الله إنّه من كان يهتمّ بأمر قلبه فإنّه يعرف متى ترتفع تلك الدرجات و متى تهبط. نعم، درجات الاتّصال و الارتباط القلبيّ هي كدرجات ميزان الحرارة، و إنّ موازين الحرارة تتفاوت في نسبة دقّتها، فبعضها يبيّن حتّى اختلاف جزء من مئةِ جزءٍ من الدرجة. و نسبة الارتباط القلبيّ للإنسان بالإمام الحجّة عليه السلام هي أيضًا ذات درجات تتفاوت بين الشدّة و الضعف. و كلّما ازدادت المراقبة القلبيّة، أصبح ميزان القلب أدقّ و تحسّس تلك الدرجات و اختلافاتها بسرعة و دقّة أكبر. و من كانت له مراقبة دائمة فإنّ الله تعالى يلهمه بهبوط درجة ارتباطه القلبيّ بمجرّد حصول نقص فيه، أمّا الّذي لا يولي هذا الأمر أيّ أهمّيّةٍ و لا يُبالي به فإنّه لا يلتفت إلى التغييرات القلبيّة إلّا في حالتَي حصول ارتفاعٍ هائلٍ صعودًا أو انحطاطٍ فاحشٍ هبوطًا على مستوى القلب. و بناءً على هذا كان آية الله الشيخ البهجة رحمه الله يؤكّد مرارًا ضرورة الاهتمام بأمر القلب و مراقبته الدائمة من أجل حفظ

---

(١) ورد في توقيعٍ شريفٍ إلى السيّد أبو الحسن الأصفهاني رحمه الله: «أَرْخِصْ نَفْسَكَ، وَاجْعَلْ مَجْلِسَكَ فِي الدِّهْلِيزِ، وَاقْضِ حَوائِجَ النَّاسِ، نَحْنُ نَنْصُرُكَ». و كان الوسيط في إبلاغ هذا التوقيع المبارك العالم العامل الورع الشيخ محمّد الكوفيّ رحمه الله.

العلاقة بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و حتّى يعرف صاحبه متى ترتفع تلك الدرجات و متى تهبط و يتمكّن من الشعور بالتغييرات الطارئة في هذا الشأن و لو الضئيلة منها. و توصيته قدس سره في هذا المجال هي أيضًا كتوصياته الأخرى المتقدّمة، مستفادةٌ من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[1] و من روايات أهل البيت عليهم السلام كقولهم: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُم»[2].

**** التوقُّف عند الشبهات

وردت في أخبار أهل البيت عليهم السلام تحذيرات مؤكّدة بالنّسبة إلى فتن آخر الزمان، لذا فإنّ من الواجب على المؤمنين أن يَعُوا وعيًا تامًّا ما هي وظيفتهم في مقابل تلك الفتن. و قد عدّ آية الله الشيخ البهجة قدس سره لزوم الاحتياط العمليّ مع التوقّف النظريّ، القاعدةَ الأساس في مواجهة الفتن. و هذا أمرٌ مقدورٌ عليه لكلّ أحدٍ و هو عمدة سلاح أهل الإيمان. فكان سماحته قدس سره يقول إنّه يجب على الإنسان في موارد الشبهة الّتي لا يعلم فيها تكليفه أن يتوقّف إلى أن يوضِّح الله له وظيفته. كما أنّه بالنسبة إلى الوقائع و الحوادث المستجدّة، فاللازم هو العمل على الوجه الّذي عمل عليه الأوّلون بأن: «تَمَسَّكُوا بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ»[3]. كذلك ـ و بالنّظر إلى شدّة الفتن في آخر الزمان و وقوع المصائب و الابتلاءات الشديدة على المؤمنين، الأمر الّذي يؤدّي إلى خروج جماعةٍ كثيرةٍ من الإيمان ـ كان سماحته قدس سره يؤكّد أنّ دعاءنا بتعجيل الفرج يجب أن يكون مقرونًا دائمًا بطلب العافية معه، ليكون الإنسان قد حفظ إيمانه و جميع لوازمه في عافيةٍ تامّةٍ إلى آخر عمره.

---

(١) سورة المائدة، الآية ١٠٥.

(٢) غرر الحكم و درر الكلم، ص٣٤٩.

(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا بَقِيتُمْ دَهْرًا مِنْ عُمُرِكُمْ لَا تَعْرِفُونَ إِمَامَكُمْ؟ قِيلَ لَهُ: فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: تَمَسَّكُوا بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ حَتَّى يَسْتَبِينَ لَكُمْ».

عن عبد الله بن سنان قال: «دَخَلْتُ أَنَا وَأَبِي عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا صِرْتُمْ فِي حَالٍ لَا تَرَوْنَ فِيهَا إِمَامَ هُدًى وَلَا عَلَمًا يُرَى وَلَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا مَنْ دَعَا دُعَاءَ الْغَرِيقِ! فَقَالَ لَهُ أَبِي: إِذَا وَقَعَ هَذَا لَيْلًا فَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ فَقَالَ: أَمَّا أَنْتَ فَلَا تُدْرِكُهُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَتَمَسَّكُوا بِمَا فِي أَيْدِيكُمْ حَتَّى يَتَّضِحَ لَكُمُ الْأَمْرُ».

عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُصِيبُهُمْ فِيهَا سَبْطَةٌ يَأْرِزُ الْعِلْمُ فِيهَا كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ نَجْمٌ، قُلْتُ: فَمَا السَّبْطَةُ؟ قَالَ: الْفَتْرَةُ، قُلْتُ: فَكَيْفَ نَصْنَعُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: كُونُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يُطْلِعَ اللهُ لَكُمْ نَجْمَكُمْ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٣٤٨ و٣٤٩.

***٢. الدعاء و الإقبال على العبادة

****أفضليّة العبادة في زمان الغَيبة

مع غَيبة الإمام المعصوم عليه السلام و حرماننا فيض حضوره الظاهريّ، قد يُطرَح هذا السؤال: هل يمكن في زمان الغَيبة أن نبلغ أعلى درجات القرب المُمكنة لغير المعصوم عليه السلام، كما وصل بعض أصحاب الأئمّة عليهم السلام إلى تلك الدرجة من القرب؟ قد يتبادر في بادي الرأي أنّه لم يَعُدْ ممكنًا بلوغ درجات أصحاب سرّ الأئمّة عليهم السلام و حواريّيهم العالية. إذ كيف يمكن سلوك طريق النور و الهداية في حال فقدان النبيّ صلى الله عليه وآله و غَيبة الوصيّ عليه السلام و عموم فتن آخر الزمان و غلبة عوامل الضّلال و حزب الشيطان و ظهور الفساد في الأرض؟ ربما يظنّ البعض أنّه حتّى لو سُلّم إمكان ذلك عقلًا، و لكن لا يتيسّر بلوغ مراتب «الثلّة من الأوّلين» إلّا لقليلٍ من الآخرين. لكن لا بدّ من الالتفات إلى أنّ الله تعالى لا يهب لعباده الأجر على أعمالهم بحدّ ذاتها من دون النظر في الظروف المحيطة بمؤدّيها، و من أجل ذلك يكون الّذي آمن برسول الله صلى الله عليه وآله و لم يرَ وجهه الهادي الميمون مُستحقًّا للتبجيل و التمجيد أكثر بكثيرٍ ممّن آمن به و قد رآه، و لهذا نجد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أثنى مرّة واحدة على من آمن به و قد رآه، إذ قال: «طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي»، في حين أنّه أثنى على من آمن به و لم يره سبع مرّات، قائلًا: «طُوبَى لِمَنْ لَمْ يَرَنِي وَآمَنَ بِي»[1].

و كان آية الله الشيخ البهجة قدس سره مع علمه بجميع الموانع المُشار إليها، يعتقد اعتقادًا يقينيًّا بأنّ العبادة في زمان الغَيبة أفضل من العبادة في زمان الحضور. و لطالما كان يؤكّد هذه الحقيقة، و لم يكن تأكيده بهدف إبعاد اليأس و الكسل في العبادة عن الآخرين فقط، إنّما ليحرّضهم و يشوّقهم إلى بذل الجهد في العبادة و السعي إلى تحصيل رضا الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف. و كان سماحته قدس سره يقول في هذا الشأن:

«إنّ باب المقامات الّتي وصل إليها هؤلاء [أمثال سلمان و أبي ذرّ] قد أُغلق. فإنّ الدنيا بأكملها و ما فيها لا تساوي قيمة صلاة ليلٍ واحدة لسلمان! كان يجلس على جلد شاة، و كان له مُصلّى عجيب و غريب. و في رواية أنّه عدّد أثاث منزله فكان جلد شاة، و كيس دقيق و...؛ و لكنّه مع ذلك، كان يبكي من أنّ حِمله سوف يكون

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي، طُوبَى ثمّ طُوبَى، يَقُولُهَا سَبْعًا، لِمَنْ لَمْ يَرَنِي وَآمَنَ بِي»؛ الخصال، ج٢، ص٣٤٢.

ثقيلًا في الغد [أي يوم القيامة]... أيُّ مقامٍ [و منزلة] كان لسلمان[1]؟!... لكن ربما يمكن أن يستفاد من قولهم عليهم السلام بأنّ العبادة في الغَيبة أفضل من العبادة في زمان الحضور، أنّ هناك مقامات أعلى من ذلك، يمكننا بلوغها!».

كذلك كان رحمه الله يقول:

«البعض يكونون كطفل يتيم لا وليّ له، و يتوجّهون إلى أيّ جهةٍ عن عَمدٍ أو من دون عَمد. طبعًا هم في الجملة معذورون بسبب عدم حضور إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و بناءً على هذا، يمكن أن يُقال لمثل هذا الشخص: صحيحٌ ما تقول، فأنت معذور، فثمّة كثير من الأمور لم ترها و لم تعلمها، و لك الحقّ، لأنّك تعيش في عصر الغَيبة، و يدك قاصرة عن الوصول إلى أبيك الروحانيّ و المعنويّ عليه السلام بحيث لا تستطيع أن تصبح سلمان الّذي «عَلِمَ عِلْمَ الأَوَّلِ وَالآخِرِ»[2]، و الّذي [كان يُخبر عن المغَيّبات و] قال: «إذا أَدْرَكْتُمْ سَيِّدَ شَبابِ آلِ محمّد، فَكُونُوا أَشَدَّ فَرَحًا بِقِتالِكُمْ مَعَهُ»[3]، و لكن ماذا تفعل إزاء قولهم [بهذا المضمون]: «الْعِبادَةُ فِي الْغَيبَةِ أَفْضَلُ مِنها في الْحُضُور». و ما قاله صلّى الله عليه وآله أيضًا لأصحابه: «أَنْتُمْ أَصْحابي وَ أُولئِكَ إِخْواني، فَوا شَوْقًا إلى إِخْواني، آمَنُوا بِسَوادٍ عَلى بَياضٍ»[4].

و على هذا، فالعبادة في زمان الغَيبة و آثارها لا تقلّ درجةً عن العبادة في زمان الحضور، بل هي مشتملة على مواهب و موائد خاصّةٍ بها أيضًا، و ربما تفوق و تعلو على آثار العبادة في زمان الحضور.

**** الدعاء و التضرّع من أجل تعجيل الفرج

بعد ترك المعاصي و الإتيان بالفرائض الدينيّة، و تحصيل التّوبة ـ الأمور الّتي هي المبدأ و الأساس لكلّ أمرٍ آخر ـ فإنّ الدّعاء بتعجيل الفرج هو إحدى أهمّ وظائف الإنسان المؤمن.

(١) للاطلاع على أحوال سلمان رضي الله عنه و سيرته و بعض كلماته، راجع: بحار الأنوار، ج٢٢، ص٣٥٥.

(٢) بحار الأنوار، ج١٠، ص١٢١؛ ج٢٢، ص٣٣٩.

(٣) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٧٢.

(٤) راجع: من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٦٥؛ وسائل الشيعة، ج٢٧، ص٩٢؛ مستدرك الوسائل، ج١٧، ص٣٠، بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٢٥؛ ج٧٤، ص٥٥؛ جامع الأخبار، ص١٨٠؛ كمال الدين، ج١، ص٢٨٨؛ مكارم الأخلاق، ص٤٤٠.

هذا الدعاء يتمتّع بالأهمّيّة من جهاتٍ متعدّدةٍ. فالدعاء له أثرٌ تكوينيٌّ، و إذا وقع بشروطه ـ الّتي أهمّها ما قدّمناه من ترك المعاصي و الإتيان بالواجبات و تحصيل التوبة ـ فهو فعلًا و حقيقةً يؤثّر في تعجيل الفرج العامّ. و من المشهود بوضوحٍ في سيرة آية الشيخ الله البهجة رحمه الله العمليّة الالتزام بهذا الدعاء بحيث يمكن الجزم بأنّه لم تخلُ ساعة من أوقات استيقاظه من الدعاء بتعجيل فرج الإمام الحجّة عليه السلام. و المطلب البالغ الأهمّيّة الّذي ينبغي ذكره هنا، و الّذي كان محلًّا للتأكيد الخاصّ من سماحة آية الله الشيخ البهجة رحمه الله و يحمل بشارةً مهمّةً جدًّا للمتعطّشين إلى وصال المحبوب عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و الّذي كان رحمه الله يردّده بعباراتٍ مختلفة، هو أنّه حتّى لو أنّ الدعاء بظهور الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ و من أجل مصالح يعلمها الله تعالى ـ لم يؤدِّ إلى حصول الفرج العامّ، فإنّه بإذن الله تعالى قطعًا يؤدّي إلى حصول فرجٍ خاصٍّ لشخص الداعي، و لا يدرك أهمّيّة هذا المعنى إلّا السّاعون بحقٍّ و صدقٍ نحو حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لا تحصل آثاره إلّا لهم، فهنيئًا لهم ثمّ هنيئًا لهم. و من جملة الأمور المهمّة الّتي أشاد بها سماحته رحمه الله حول الدعاء بتعجيل الفرج هي أنّ هذا الدّعاء يُظهر حقيقة أنّ الدّاعي الملتزم به ثابتٌ على إيمانه و راسخٌ فيه. و إنّ الاستقامة على الإيمان هي من أهم العناصر الضّروريّة في تشكيل شخصيّة الفرد المؤمن. و عليه، فمَن أراد أن يعلم إنْ كان إيمانه ثابتًا و راسخًا في ظلّ هذه الفتن الكثيرة و الابتلاءات العظيمة في آخر الزمان، فلينظر إلى مدى التزامه بالدعاء بتعجيل فرج الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و إضافة إلى جميع ما تقدّم، فإنّ آية الله الشيخ البهجة رحمه الله كان يكرّر مرارًا أنّ الأشخاص الّذين وُفّقوا للتشرّف برؤية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نقلوا عنه وصيّته المؤكّدة للمؤمنين بالدعاء بتعجيل الفرج، و كان رحمه الله يقول في هذا الشأن:

«يمتلك الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف أسمى العلوم، و لديه الاسم الأعظم [و تأثيره] أكثر من الجميع ـ مع كلّ هذا ـ فإنّه أوصى كلّ من تشرّف بمحضره، سواء في المنام أم في اليقظة، بأن: «ادعوا لي!»».

كان سماحة الشيخ رحمه الله يعدّ الدعاء بالفرج نحوًا من الارتباط الروحيّ بالإمام المهديّ عليه السلام و مرتبةً من مراتب الفرج، و يرى أنّ له آثارًا و لوازم إيمانيّة عالية المرتبة. و من هذه الجهة تكون الغفلة عن هذه النعمة الإلهيّة الجليلة مصداقًا لكفران النعمة، خاصّةً لمن كان ـ حقيقةً ـ طالبًا لرضا الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تائقًا إلى وِصاله و لقائه. و بالأخصّ إذا ما لاحظنا كثرة ما بَلَغَنا عن الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه من الحثّ على هذا الدعاء.

**** الالتزام بالأدعية المرتبطة بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في عصر الغيبة

كان سماحته قدس سره يرى أنّ من أفضل طُرق إيجاد الارتباط مع الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف هي التوسُّل و الاستغاثة به عليه السلام، و قراءة الزيارات المأثورة و لا سيّما الأدعية و الزيارات الّتي خرجت من ناحيته المقدّسة، و إهداؤه ثواب الصلوات و العبادات. و كمثالٍ على ذلك كان قدس سره ملتزمًا بأن يُجدِّد العهد مع إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف صبيحة كلّ يومٍ ـ كما أوصى بذلك أهل البيت عليهم السلام ـ من خلال قراءة زيارة إمام الزمان عليه السلام المأثورة بعد صلاة الصبح الّتي مطلعها «اللَّهُمَّ بَلِّغْ مَوْلَايَ صَاحِبَ الزَّمَانِ»، و بهذا كان قدس سره يفتتح كلّ يومٍ من أيّام حياته بالارتباط بإمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يحافظ على هذا الارتباط طوال اليوم. و كما كان يُرغِّب أصدقاءه و من حوله كثيرًا بقراءة هذا الدعاء و يؤكّد مراعاة سُننه و آدابه، حتّى إنّه ـ و طِبقًا لما جاء في الروايات ـ كان يوصي بصفق اليد اليُمنى على اليُسرى بعد الفراغ من الزيارة المذكورة كرمزٍ و علامةٍ على مبايعته لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و كان قدس سره ملتزمًا بتخصيص ساعةٍ بعد صلاة العشاء للتوسّل بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و قراءة زيارته في حجرةٍ خاليةٍ و مظلمةٍ، و بهذا النحو كان يطوي لَيله و نهاره في محضر إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و إضافةً إلى ذلك، كان يؤكّد جدًّا أهمّيّة قراءة دعاء «إِلَهِي عَظُمَ الْبَلَاءُ» في خَلوات المناجاة و التضرّع. و كان سماحته قدس سره يوصي بقراءة دعاء «اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ» خصوصًا وقت الأذان، و بالمواظبة على قراءة الصلوات المنسوبة إلى أبي الحسن الضرّاب الأصفهانيّ المذكورة في مفاتيح الجنان في ضمن أعمال عصر يوم الجمعة، و ببعض الأدعية الأخرى، كما كان هو نفسه قدس سره ملتزمًا بهذه الأدعية و على وجه الخصوص الأدعية المأثورة عن الناحية المقدّسة كالزيارة الرجبيّة و دعاء «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ...»[1].

**** الأنس بالأماكن المنسوبة إلى الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أداء أعمالها المخصوصة

من الأعمال المهمّة في سلوك آية الله الشيخ البهجة رضوان الله عليه من أجل إيجاد أصل الارتباط بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ثمّ لحفظ هذا الارتباط و تطويره، هي زيارة المراقد المقدّسة للأئمّة الأطهار عليهم السلام و كذلك الأماكن المنسوبة إلى حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الاستئناس بها و أداء الأعمال المخصوصة بها. و من هذا المنطلق عندما كان سماحته قدس سره في العراق متوغّلًا في تحصيل العلوم الدينيّة، و مع كثرة انشغالاته العلمية، إلّا أنّه لم يكن يغفل عن هذا الأمر قطّ. فكان من

(١) من الأدعية الواردة في أعمال شهر رجب الأصبّ.

أهمّ برامجه العمليّة زيارة مسجد السّهلة المقدّس بنحوٍ مستمرٍّ و البيتوتة فيه. و طالما أمضى ﷺ لياليَ طويلة هناك مشغولًا بعبادة ربّه[1]. و لاحقًا عندما عاد إلى إيران، كان ملتزمًا بالحضور في مسجد جمكران. و كان يعتقد أنّ ذلك المسجد موضع عناية خاصّة، و يعدّ هذا أمرًا مُسلّمًا به، و يقول: «جمكران هو سهلة إيران، إنّ الله يعلم كم من الأعاظم رأوا هناك من الكرامات و العجائب الباهرة». فكان سماحته ﷺ مواظبًا على الحضور في مسجد جمكران و أداء الصلوات الخاصّة به، و كثيرًا ما كان يوصي الآخرين بذلك، خصوصًا أولئك الّذين كانوا يطلبون إليه أن يُعلّمهم أعمالًا يؤدّونها من أجل الفوز بشرف رؤية الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كان يؤكّد كثيرًا أنّ ذلك المكان هو محلّ عناية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الخاصّة. كما أنّه كان يوصي كلّ من يتشرّف بمحضره في قمّ المقدّسة وصيّةً أكيدةً بزيارة مسجد جمكران. و كان ﷺ ـ و من أجل تعظيم ذلك المكان المقدّس و تأكيد المثابرة على الحضور فيه ـ يَروي مِرارًا و في المناسبات المختلفة، الكرامات الّتي حصلت هناك. و ما أكثر الكرامات الّتي نقلها عن الأعاظم ممّن تشرّفوا بزيارة المسجد المقدّس، و من ذلك رؤية بعضهم الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في ذلك المكان الشريف. و كان شيخنا المقدّس كالعاشق الوله، يعظّم كلّ مكان يُنسَب إلى حبيبه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تفوح منه رائحته عليه السلام ـ مثل مقامه عجّل الله تعالى فرجه الشريف في وادي السلام ـ و يزور ذلك المكان و يتبرّك به، و كان يتفقّد و يزور المنزل الّذي وطأته قدما الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الشريفتان، أو شرّفَ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ساكنه باللقاء. كلّ تلك الأمكنة كانت موضع عناية فقيهنا العارف ﷺ. و إن شاء الله تعالى سوف تُذكر بعض تفاصيل هذا المطلب في الحديقة الخامسة من هذا الكتاب.

*** ٣. العمل بالوظائف الاجتماعيّة

**** جرّ المودّة و جذب القلوب نحو الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

لم يكن الفقيه المقدّس آية الله الشيخ البهجة ﷺ يكتفي بكونه مطيعًا لأمر مولاه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و قلبه

---

(١) ينقُل أحد أقرباء الشيخ ﷺ أنّه لمّا تشرّف سماحته للمرّة الأولى بالذهاب إلى البقاع المقدّسة في العراق و ذلك قبل بلوغه الشرعيّ بسنة، كان مواظبًا على الحضور في مسجد السهلة. و في إحدى زياراته لذلك المسجد الشريف صلّى ركعتين مندوبتين قرأ في الأولى سورة البقرة و في الثانية سورة آل عمران عن ظهر قلب. نعم، إنّه ﷺ كان من صغره عاشقًا للعبادة و وَلِهًا بها. و في الوقت الّذي كان أقرانه يقضون أوقاتهم باللّعب و التلهي، كان هو مُقبلًا على العبادة بكلّ وجوده، و بشوقٍ وافرٍ يملأ أوقاته بها من غير إحساسٍ بالتعب أو السأم.

بحبّه متيّمًا، بل بعد معرفته بالواجبات و المحرّمات و العمل بما تقتضيه هذه المعرفة، و إقباله على الله تعالى في العبادات و التوسّلات، و أنسه بالأماكن المقدّسة، كان ﷺ يقوم بوظائفه الاجتماعيّة فيُرشد الآخرين إلى طريق السّعادة تلك. و على وفق أوامر الرسول الأكرم ﷺ[١] كان يضع علمه بين يدي الأشخاص المؤهَّلين لتلقّي جوهرة معرفة الإمام عليه السلام، عسى أن يكون ذلك سببًا إلى هداية أحدهم، تلك الهداية الّتي هي خيرٌ من الدنيا و كلّ ما فيها[٢]. و لا يُتوقّع من المقرّبين إلى الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف غير ذلك، و هم الموصوفون بـ «مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى وَ مَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى»[٣]. و على هذا الأساس و حسبما أمر به رسول الله ﷺ، فإنّه ينبغي للمؤمن أن يكون من طلّاب الخير للآخرين و همّه الدائم إيصال النفع إليهم، تمامًا كما يطلب الخير لنفسه و يعظها به و يدعوها إليه[٤]. و إنّ أهميّة إيصال هذا النحو من النفع إلى الآخرين و ضرورته تتضاعفان في عصر الغَيبة، إذ تكون أسباب الضلالة أظهر و أوضح و أسباب الهداية أخفى. و إنّ هداية الناس إلى الإيمان بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الولاية له هي في الحقيقة بمنزلة إحيائهم، كما أنّ إضلالهم عن هذه السبيل هو بمنزلة قتلهم و نزع أرواحهم، بل أعظم من ذلك و أدهى إذ إنّ الفتنة أشدّ من القتل كما قال الله تعالى. و إنّما يجب القول حسب الحديث المرويّ عن الإمام الباقر عليه السلام بأنّ حياة الإنسان و مماته الحقيقيّين هما رهن إيمانه و كفره؛ لأنّ الحياة الحقيقيّة أهمّ بمراتب من هذه الحياة الظاهريّة ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾[٥]. و قد نصّت آية في كتاب الله العزيز على أنّ إحياء نفسٍ واحدةٍ من الموت هي بمنزلة إحياء النّاس جميعًا. و من هذه الجهة، فإنّ هداية إنسانٍ واحدٍ إلى الحقّ هو بمنزلة هداية النّاس جميعًا.[٦]

---

(١) النوادر (للراونديّ)، ص١٨.

(٢) منية المريد، ص١٠١.

(٣) نهج البلاغة، ص١١٨و١١٩.

(٤) عن أبي جعفر عليه السلام: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لِيَنْصَحِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ كَنَصِيحَتِهِ لِنَفْسِهِ»؛ الكافي، ج٢، ص٢٠٨.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

«عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾، قَالَ: مِنْ حَرَقٍ أَوْ غَرَقٍ، قُلْتُ: فَمَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ ضَلَالٍ إِلَى هُدًى؟ قَالَ: ذَاكَ تَأْوِيلُهَا الأعظم!»؛ الكافي، ج٢، ص٢١٠.

(٦) عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ قال: «مَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ ضَلَالٍ إِلَى هُدًى فَكَأَنَّمَا أَحْيَاهَا، وَمَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ هُدًى إِلَى ضَلَالٍ فَقَدْ قَتَلَهَا»؛ الكافي، ج٢، ص٢١٠.

و أبرز مصداقٍ لهداية النّاس هو إرشادهم إلى إمام زمانهم و توجيههم إليه كي يبقوا في أمانٍ من موت الجاهليّة. و من أجل ذلك كانت جميع حركات آية الله الشيخ البهجة ﷺ و سكناته موجّهة في اتجاهٍ واحدٍ هو هداية النّاس إلى إمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف. إنّه ﷺ كان يدعو النّاس إلى إمامهم و إلى تسليم قلوبهم إليه عليه السلام، بلسانه و أعماله و حتّى بنظراته و إنّما بكلّ وجوده، و كان في الحقيقة مصداقًا عمليًّا لهذه الرواية الشّريفة: «جُرُّوا إِلَيْنَا كُلَّ مَوَدَّةٍ»[1]، فكان يتّخذ من عمله هذا وسيلة إلى زيادة قربه من حبيبه و مولاه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يؤكّد:

«لو أنّنا نسعى و نجهد ـ بقدر طاقتنا و وُسعنا ـ في هداية النّاس، فهل يمكن [في هذه الحالة] أن لا نكون محلّ عناية «عين اللهِ النّاظِرَة» و إمام الزّمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف ؟!».

**** بعض وظائف أهل العلم

إنّ الاهتمام بشؤون المجتمع و المسلمين هو من أجلى صفات المؤمن، حتّى جاء في روايةٍ عن رسول الله صلّى الله عليه و آله أنّه من أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم[2]. و من البديهيّ أنّ هذه الوظيفة تتضاعف بالنسبة إلى أهل العلم و رجال الدين لكونهم في طليعة المتصدّين لإرشاد المجتمع و توجيهه. و لذا هنا يُخصّ أهل العلم بذكر بعض وظائفهم بنحوٍ عام. و على رأسها هو إصلاح النفس، إذ لا يستغني ذي المقدّمة عنه، و هو أهمّ طرق الإصلاح الحقيقيّ للمجتمع. فإنّ من يضع نفسه في موضع تأديب النّاس و تدبير أمورهم و هو نفسه لم يتأدّب بآداب الشريعة، و لم يتعرّف إلى منهج أهل البيت عليهم السلام و لم يضع تهذيب نفسه في رأس أولويّاته، فإنّه لن يعود عليه مِن تولّيه ما ذُكر إلّا الوزر و الوبال.[3] و على هذا الأساس، كان الفقيه المقدّس ﷺ يؤكّد:

«إنّنا إن أصلحنا أنفسنا، سيصلُح جميع البشر بالتّدريج!».

«عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، قَالَ: مِنْ حَرَقٍ أَوْ غَرَقٍ، قُلْتُ: فَمَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ ضَلَالٍ إِلَى هُدًى؟ قَالَ: ذَاكَ تَأْوِيلُهَا الأعظم!»؛ الكافي، ج۲، ص۲۱۰.

(۱) بحار الأنوار، ج۷۵، ص۳۷۲.

(۲) الكافي، ج۲، ص۱۶۳.

(۳) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِم»؛ نهج البلاغة، ص۴۸۰، الحكمة ۷۳.

نعم، إنّ الشخص الّذي يكون بنفسه مثالًا و رمزًا للعبوديّة لله تعالى فإنّه ـ تلقائيًّا و من خلال سلوكه العمليّ ـ سيجذب الآخرين نحو الله تعالى و حجّته عجّل الله تعالى فرجه الشريف في هذا العصر[1]. و في المقابل، فإنّ الّذي لا يُصلِح ما بينه و بين إمامه عليه السلام و لم يحظَ بتأييده و إمضائه، فإنّه جزمًا لن يتمكّن من إيجاد الرّابطة بين سائر النّاس و إمامهم عليه السلام أو إصلاح هذه الرابطة. وكان لشيخنا المقدّس البهجة قدس سره تأكيدٌ خاصّ على ضرورة أن يُولي أهل العلم اهتمامهم بوظائفهم الشرعيّة الشخصيّة ثمّ الاجتماعيّة. و هنا ينبغي لأهل العلم أن يلتفتوا إلى نكتة مهمّة و هي أنّ اشتغالهم بالأمور المعنويّة و بالعبادات و التوسّلات لا يقلّ أهمّيّةً عن الاشتغال بالدّراسة و البحث ـ الّذي لا شكّ في كونه من أهمّ واجباتهم و ضروريّاتهم ـ و ذلك أنّ التوفيق في المجال العلميّ ينشأ في الأساس من الأمور المعنويّة إذ إنّ العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء، حتّى إنّ آية الله الشيخ البهجة قدس سره كان يقول:

«قد ثبت لي بالتجربة أنّه إذا لم يحصل تقصيرٌ في المسائل العباديّة [أي المستحبّات فضلًا عن الواجبات]، فإنّ الدرس الّذي يحتاج في العادة إلى ساعةٍ من المطالعة يمكن إنجازه في عشر دقائق!».

وكذلك كان سماحته قدس سره يؤكّد أن يعرض أهل العلم جميع أعمالهم، أعمّ من الفرديّ منها و الاجتماعيّ، كالتعلُّم و التدريس و التأليف و التبليغ و إمامة الجماعة و غيرها، على الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بنيّة خدمته و تحصيل رضاه. فكان يؤكّد أن يحرصوا دائمًا على أن تنال أعمالهم و الخدمات الّتي يقدّمونها توقيع الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تأييده. و طبقًا لقوله قدس سره فإنّ من يجعل همّه في خدمة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فإنّ الإمام حتمًا سيجعل له نصيبًا من اهتمامه الشريف.

و هنا يُشار إلى نكتة مهمّة أيضًا و هي أنّه ربما يستخفّ بعض الطلّاب بوظائفهم المعروفة، فيركنون إلى أعمالٍ أخرى قد تكون مُخالفةً لشأنهم، أو على الأقلّ خارجة عن دائرة المهام الأصليّة، و لذا كان فقيهنا المقدّس قدس سره يعدّ التزام طلّاب العلم بشؤونهم الأصليّة أمرًا في غاية الأهمّيّة[2]. و عليه فإنّه يجب على الطالب أن يكون مشغولًا دائمًا بالقيام

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام: «كُونُوا دُعَاةَ النَّاسِ بِأَعْمَالِكُمْ، وَلَا تَكُونُوا دُعَاةً بِأَلْسِنَتِكُمْ»؛ قرب الإسناد، ص٧٧.

(٢) يروي بعض أساتذة الحوزة ما نصّه: «في أوائل تحصيلنا للعلوم [الدينيّة] كان لي صديقٌ أتباحث و إيّاه دروسنا الحوزيّة، في أحد الأيّام أتى للمباحثة لكنّه قال لي: الحقيقة، إنّني عزمت على ترك الدراسة الحوزيّة و أريد مغادرة

بالوظائف المناسبة لشؤون التحصيل الحوزيّ و الملائمة لها، و أن لا يتغاضى عن ذلك أو يهمله أبدًا.

* المبحث الثاني: التشرّف بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف

كلّ مؤمنٍ حقيقيّ هو عاشقٌ لإمامه عليه السلام و هائمٌ به. و كلّ عاشقٍ يسعى إلى وَصْل معشوقه و لقائه. و من هنا كان شوق اللقاء بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و البحث عن سبيلٍ إلى وصاله علامة الإيمان. و إنّ لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سببٌ لتطهير الباطن و قبول الأعمال[1]، و على هذا الأساس كان المقدّس الشيخ البهجة قدّس سرّه يؤكّد لزوم تحصيل الفرج الخاصّ بالقول:

«على كلّ شخصٍ أن يفكّر في نفسه [و يهتمّ بأمرها] و يجد لها طريقًا إلى الاتّصال بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الفرج الخاصّ لنفسه، سواء كان ظهور حضرته و فرجه بعيدًا أم قريبًا».

و طبعًا يمكن القول إنّ التشرّف [بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] على نوعين: التشرّف الحقيقيّ و التشرّف الحُكميّ. فأمّا التشرّف الحقيقيّ فهو أن ينال المؤمن شرف الحضور بين يدي

الحوزة العلميّة، أريد أن أخرج و أعمل، فلا فائدة من البقاء هنا. قلت له: أين ستذهب و ماذا ستعمل؟ فقال: سأعمل مُدرّسًا في إحدى المدارس أو أيّ عملٍ آخر. انتهى بحثنا في ذلك اليوم و مضت مدّة. في أحد أيّام الجمعة ذهبت بصحبته إلى منزل آية الله العظمى الشيخ البهجة قدّس سرّه و بمجرّد أن جلسنا قال سماحة الشيخ قدّس سرّه: «لا تستخفّوا بـ «قال الصادق عليه السلام» و «قال الباقر عليه السلام»! و لا يظنّ أحدكم أنّه إذا أصبح مدرّسًا في المدرسة أنّ ذلك أمرٌ مهمٌّ، ليس هكذا أيّها السادة، إن كان من شيءٍ فهو ها هنا!»، هذه الكلمات كانت سببًا لتنبّه صديقي و تيقّظه، و التفت إلى أنّ مقصود سماحة الشيخ قدّس سرّه هو اللّوم و التقريع على تلك الأفكار و الهواجس الخياليّة الّتي كان يحملها و يُسلّي نفسه بها. فانصرف عمّا كان قد عزم عليه».

(١) أمَر الله تعالى في كتابه الكريم الحُجّاج ـ في ختام مناسك الحجّ ـ أن يزيلوا من أبدانهم زوائدها و قذاراتها ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾. و هذا الأمر هو في الظاهر إشارةٌ إلى الحلق و التقصير و قصّ الشارب و الأظفار باعتبارها مصاديق زوائد البدن و قذاراته. و لكنّه ـ طبقًا لما جاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ـ يتضمّن في باطنه إشارة إلى لقاء الإمام عليه السلام الّذي يوجب طهارة روح الإنسان من قذاراتها، و به يتمّ الحجّ و يقع موقع القبول. «قال ذريح المحاربيّ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي فِي كِتَابِهِ بِأَمْرٍ فَأُحِبُّ أَنْ أَعْمَلَهُ، قَالَ: وَ مَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ: «﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾»، قَالَ: لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ لِقَاءُ الْإِمَامِ، وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ تِلْكَ الْمَنَاسِكُ»؛ (من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٤٨٤و٤٨٥). و في روايةٍ أخرى: «تَمَامُ الْحَجِّ لِقَاءُ الْإِمَامِ»؛ (الكافي، ج٤، ص٥٤٩)، و أيضًا: «إِذَا حَجَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَخْتِمْ حَجَّهُ بِزِيَارَتِنَا، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ الْحَجِّ»؛ (عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٢٦٢).

بقيّة الله الأعظم عجّل الله تعالى فرجه الشريف و في محضره المبارك. و أمّا التشرّف الحُكميّ فهو أن يُوفّق المؤمن للقيام بأعمالٍ لها قيمة التشرّف الحضوريّ و لقاء إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف من حيث الآثار الّتي تترتّب عليها. و كلّ نوعٍ من هذين النوعين له مراتب و مصاديق مختلفة. و على هذا، فالواجب على المؤمن أن يسعى لتحصيل كِلا النوعين، فلا يكون حصول التشرّف الحقيقيّ له سببًا لفتور سعيه إلى التشرّف الحُكميّ، كما لا تكون قناعته بالتشرّف الحُكميّ و اكتفاؤه به علّةً لضعف تعطّشه إلى التشرّف الحقيقيّ و لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

**أ) التشرّفات الحقيقيّة

***١. إمكان الرؤية و وقوعها

إنّ إمكان التشرّف برؤية الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان أمرًا قطعيًّا و مُسلَّمًا به لدى الفقيه المقدّس آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه، كما أنّ وقوع ذلك كان مُسلَّمًا به لديه و هو أمرٌ حصل كثيرًا و بالتواتر، و كان قدّس سرّه يقول:

«هذه الرؤية أيضًا قد ادّعاها كثير من أعاظم العلماء، بحيث إن قلنا إنّهم كانوا كاذبين لتبيّن عندها في أيّ حال [سيّئ] نكون نحن!».

و كان سماحته قدّس سرّه يؤكّد ذلك بقوله:

«... يزيد على ذلك كلّه ما تواتر من شهود الصالحين من العلماء و غيرهم و المستغيثين في الشرق و الغرب بالإمام الثاني عشر، بحيث يقطع بالصدق من علم ببعضها و إن لم يعلم [بها] كلّها؛ فاسأل و أنصف!».

و على هذا، كانت قضيّة تواتر لقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تشرّف العلماء و الصلحاء بمحضر الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف من المتيقّنات و البديهيّات لدى سماحته قدّس سرّه. و حقيقة الأمر هي أشدّ أصالةً و عمقًا، و تنزيلها إلى حدّ البحث حول إمكان الرؤية و وقوعها هو إجحافٌ في حقّها. ذلك أنّه قدّس سرّه كان يعتقد أنّ الأصل هو أن يرى المأموم إمامَه و أن يكون الإمام حاضرًا بين الناس، و أنّ الأمر العارض أي غيبة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و استتاره، هو الّذي يثير العجب و يحتاج إلى تأمّل و بحث في أسبابه و كيفيّة علاجه. و هذا المطلب، و إن

غُفل عنه فعلًا، إلّا أنّ من تأمّله بعقله السليم و فطرته الصافية الّتي فطره الله عليها فإنّه سيُصدّق به بسهولة. إضافةً إلى ذلك، و مع عدم وجود المانع، فإنّ اللّطف الإلهيّ و فيضه المُطلق يقتضيان وصول العبد الطّالب للهداية إلى وجه الله و مَثَله و مصدر النور و الهداية عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و العقل السليم يَحكُم بأنّ الغَيبة إنّما تكون عند العقلاء حسنةً و خاليةً من القُبح لو كان فيها خطرٌ على الغائب من قِبَل المُغيّب عنه و لو مثل خطر إفشائه سرّه، أو تؤدّي إلى خطرٍ أو ضررٍ على المغيّب عنه و لو مثل عدم تحمُّله كما حصل لـ «همّام»، و إلّا فإنّه لو فرضنا أنّه لا يكون على الزائر من قبل المَزور أيّ خطر أو ضرر ـ و لو بأدنى مراتبه ـ أو لم يكن ذلك مُحتملًا، و كذلك العكس بأن لا يكون ذلك على المزور من جهة الزائر، فالغَيبة حينئذٍ ليس فيها أيّ حُسنٍ عند العقلاء، فكيف بأعقل عقلاء العالم عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي جميع ما يصدر عنه من أفعالٍ إنّما يقع على أحسن وجهٍ و بمنتهى الحكمة.

و أساسًا و طبقًا لمُسلّمات المعارف الحقّة، فإنّ الله تعالى الّذي هو غَيبُ الغيوب و لا تراه الأعيُن، و كُنه ذاته المقدّسة لا يخطر على الأوهام، فإنّما تحجب الخلق دونه معاصيهم و خطاياهم الجوارحيّة و الجوانحيّة، كما جاء في دعاء أبي حمزة الثماليّ الّذي نقرأ فيه: «أنّكَ لا تَحتَجِبُ عَن خَلقِكَ إلاأن تَحجُبَهُمُ الأعمالُ السَّيِّئَةُ دُونَك». و على هذا، فالإمام الّذي جعله الله من جنس البشر، و أذن له أن يتجسّد إذا شاء و يتروّح إذا شاء ـ بخلاف الذات الإلهيّة المقدّسة المنزّهة عن التجسّد و التروّح، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ـ و الأصل في مثله الحضور و الرؤية، فهو أَوْلى بالظهور و الحضور لدى الإنسان التارك للمعاصي، و يكون ظهوره لديه أكمل مظهرٍ من مظاهر تجلّيات الله جلّ و علا. و من هنا، كان ما يؤكّده سماحة آية الله الشيخ البهجة رحمه الله بالقول:

«إنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف محتجبٌ عن أعين الظالمين، لكن من ليسوا هم ظالمين، و لا من أصحاب الظالمين، و لا يخالطون الظالمين، و لا هم في منازل الظالمين و محالّهم، فهؤلاء ليسوا بمحجوبين عن وجوده الشريف عليه السلام أصلًا!».

و من أجل ذلك كان سماحته رحمه الله يرى إمكان وقوع ما هو أعلى من مجرّد التشرّف بالرؤية لبعض أعاظم العلماء، و ينقل في هذا المجال:

«إنّ الحاجّ [المحدِّث] النوريّ ﷺ كتب في حقّ السيّد ابن طاوس ﷺ أنّ باب لقاء الإمام الغائب عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف كان مفتوحًا له!»[1].

و بناءً على هذا، فإنّ مَن هيّأ لنفسه مقدّمات هذا الأمر ـ الّتي تحصل باختياره ـ فلا بدّ أن تتحقّق له فضيلة التشرّف برؤية الإمام عليه السلام. و على أساس ما قلناه سابقًا، فإنّ مَن عمل على تهذيب نفسه بحيث يرتفع المانع من جهته عن التشرّف باللقاء، فإنّ الإمام الحجّة عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف لا يحرمه بركة هذا الفيض العظيم، و من الطبيعيّ أن يحصل له الفرج الشخصيّ و لو كان الإمام الصاحب عليه السلام مُحتجبًا عن سائر الناس لبعض الموانع. و قد كان شيخنا المعظّم ﷺ يقول:

«إنّ الارتباط بحضرته عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف و الوصول إليه و الفرج الشخصيّ، كُلُّ ذلك أمرٌ اختياريّ، بخلاف الظهور و الفرج العامّين».

و بهذا يتّضح أنّ المقصود بما ورد في بعض التوقيعات الصادرة عن الإمام المهديّ عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف من الأمر بتكذيب من ادّعى الرؤية، هو ادّعاء النيابة الخاصّة و الوصاية أو الوكالة من قِبَل حضرته عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف. كما حصل بعد وفاة النائب الرابع ﷺ من ادّعاء عدّةٍ من الكذّابين النيابة الخاصّة عنه عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف ممّن كانت لهم ـ في الظاهر ـ وجاهة دينيّة بين الناس، لكن طمعهم في الرئاسة أدّى بهم إلى الانحراف. فإنّ هذا التفسير للتوقيع الشريف هو المتعيّن مع الالتفات إلى الجوّ الحاكم على الرواية و بما معها من قرائن الحال و بكَون المخاطَب بها هو نفسه الحلقة الأخيرة من سلسلة النوّاب الخاصّين لحضرته عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف، و هو أيضًا مقتضى الجمع مع ما هو الواقع المشهود من النُّقول المتواترة عن العلماء الربّانيّين من حصول اللقاءات و المشاهدات لهم. كما أنّ الألف و اللام في كلمة «المشاهدة» الواردة في الرواية و الظاهرة في «الـ» العهد تشير إلى ذلك النحو الخاصّ من المشاهدة الّتي كانت لدى المخاطَب المباشر بهذا التوقيع و الّذي كان من النوّاب الخاصّين للإمام عليه السلام، و لا إطلاق فيه بحيث يشمل كلّ رؤية[2]. و حتّى لو لم نُرد أن نبني الكلام على أساس القرائن المحيطة به ـ مع أنّه أمر ضروريّ في معرفة المراد من أيّة رواية، كما أنّ أوّل ما يُلحظ عندما

(١) خاتمة مستدرك الوسائل، ج٢، ص٤٤١.

(٢) و ستأتي دراسة هذا المطلب على نحوٍ أكثر تفصيلًا في الصفحة ٥٠٢ من هذا الكتاب.

نريد فهم آية من كتاب الله تعالى هو سبب نزولها و شأنه ـ و آثرنا الحكم على ظاهر ألفاظ الرواية بدون تأمّلٍ أو تدبّرٍ و بملاحظةٍ سطحيّةٍ و قصر نظر، فمع ذلك فإنّ الرواية لا تدلّ على عدم إمكان رؤية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و التشرّف بمحضر وجوده المقدّس، و غاية ما تدلّ عليه هي مجرّد التكليف بتكذيب مُدّعي الرؤية. و من هنا، يكون من الممكن أن تقع الرؤية لشخصٍ من دون أن يدّعيها. و في الحقيقة، إنّ الغرض الأصليّ من هذه الرواية هو المنع من الادّعاءات الخاوية الّتي لا أساس لها، حتّى يعلم كلّ من أراد ادّعاء الرؤية ـ و خصوصًا من كان فاقدًا لقرائن الصدق في أفعاله و أقواله ـ أنّه سيُتّهم و يُكذَّب. و إلّا فإنّه لا يُمكن لعاقلٍ أن يدّعي بأنّ الله تعالى قيّد وليّه بحيث لا يتمكّن من أن يظهر لبعض أوليائه و يُسلِّم عليهم. و على هذا، فالمقصود بالرواية هو نفي استمرار النيابة الخاصّة و وجود الواسطة بين الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و بين شيعته. و قد قال آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه في هذا السياق:

«كان هناك عدّةٌ من الأشخاص كأنّ الإمام الغائب عليه السلام حاضرٌ لديهم و ظاهرٌ لهم. كأنّ لهم ارتباطًا بالإمام عليه السلام من خلال اللاسلكيّ [أو الهاتف الخلويّ، و يسألونه] و يسمعون الجواب من ناحيته. إنّ المقدّس الأردبيليّ و السيّد بحر العلوم رحمهما الله، اللذَين لا يُحتمل في حقّهما الكذب، لا يقبلان عبارة «فَعَلَيهِ لَعْنَةُ اللهِ!» [الواردة في أخبار ادّعاء الرؤية، بمعنى عدم إمكان حصول التشرّف و الرؤية]، و يقولان: إنّها مرتبطة بالبابيّة[1] و ادّعاء المهدويّة».

و لعلّ أهمّ سند تاريخيّ تتبلور من خلاله عقيدة كبار علماء الشيعة، هو عبارة الشيخ الصّدوق رحمه الله الواضحة الواردة في كتاب كمال الدين، إذ قال:

«فأمّا إجابته إيّاكم عن معالم الدين فإن جئتموه مُسترشدين مُتعلّمين عارفين بموضعه مُقرّين بإمامته، عرّفكم و علّمكم، و إن جئتموه أعداء له مُرصدين بالسعاية إلى أعدائه منطوين على مكروهه عند أعداء الحقّ، متعرّفين مستور أمور الدين لتذيعوه، لم يجبكم لأنّه يخاف على نفسه منكم»[2].

---

(١) المقصود مَن يدّعي أنّه باب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و واسطة الارتباط به.

(٢) كمال الدين، ج١، ص٤٨.

***٢. مراتب التشرّفات الحقيقيّة

من اللازم الالتفات إلى أنّ التشرّف هو حقيقة ذو مراتبَ متعدّدةٍ و درجاتٍ مختلفةٍ من حيث الشدّة و الوضوح و الآثار المترتّبة عليه. و الظاهر أنّ أدنى تلك المراتب هو أن يسمع الإنسان و هو نائمٌ صوت الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و يليها أن يرى حضرته عليه السلام في رؤيا صادقةٍ و ذلك أنّ الشيطان لا يتمثّل بأهل البيت عليهم السلام[1]. أو أن يحصل للشخص نحوٌ من التشرّف و هو في حالةٍ بين النوم و اليقظة، أو أن يكون مُستيقظًا فيسمع صوته عليه السلام أو يرى حضرته من دون أن يعرفه، ثمّ بعد الافتراق يتيقّن بواسطة القرائن القطعيّة بأنّه سمع صوت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو رأى حضرته. و فوق ذلك كلّه مرتبة يرى الإنسان فيها و هو مُستيقظ شخص الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مع كونه عارفًا بأنّه هو و عالمًا بمقاماته الإلهيّة عليه السلام.

و لا يخفى أنّ المرتبة الأدنى من التشرّف ـ و هو التشرّف في حال النوم بما له من درجات متعدّدة ـ هي من أوّل علامات عشق المؤمن للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و وقوعه محلّ عنايته، و هذا نفسه من نِعم الله تعالى. و بقول سماحة الشيخ قدّس سرّه إنّ العاشق لا أقلّ من أن يصل إلى محضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يزوره في المنام، فهو ينبّه إلى هذه القضيّة و يزيد العاشق الخالص عشقًا. أمّا بعض الأشخاص الّذين يدّعون أنّ العقل مرجعهم، و بحجّة إعماله يردّون مسألة الرؤيا و يسقطونها عن الاعتبار تمامًا، فقد غفلوا عن الآيات و الروايات الّتي تبيّن أنّ الرؤيا الصادقة الّتي تكون مع قرائن الصدق و شواهده حتمًا ستكون ذات قيمة. نعم، لا بدّ في مقام تشخيص الصدق و الصحّة من اتّباع منهج العلماء و العقلاء، و الابتعاد عن منطق العوام و اعتباراتهم.

و على كلّ تقديرٍ فلا يجوز الغفلة عن أهمّيّة رؤية الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في المنام. ففي أحد الأيّام، أتى شخصٌ ـ و كان نفسه من أهل العلم و هو صهر أحد العلماء الربّانيّين ـ إلى آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه، فقال له الراحل المعظّم: «هل تزور السيّد الفلاني؟» فتعجّب الرجل من كلام آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه لمعرفته بأنّ سماحته قدّس سرّه كان يعلم أنّ أبا زوجته قد توفّي، و ظنّ أنّ الشيخ قدّس سرّه قد نسيَ ذلك، فأجاب بتعجُّبٍ: «لا يا شيخنا، إنّه قد توفّي!». هنا تبسّم سماحة الشيخ قدّس سرّه و قال بتعجّب: «تعني أنّك لا تزوره حتّى في المنام؟!». و بهذا النحو يكون الشيخ المقدّس قدّس سرّه قد نبّه هذا الرجل إلى مقام العلماء الربّانيّين و منزلتهم، و أشار في

---

(١) عن الإمام الرضا عليه السلام: «لَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ أَبِيهِ عليه السلام أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله قَالَ: مَنْ رَآنِي فِي مَنَامِهِ فَقَدْ رَآنِي لِأَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي وَلَا فِي صُورَةِ أَحَدٍ مِنْ أَوْصِيَائِي»؛ من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٥٨٥.

الوقت عَينه إلى أنّ رؤية العالم الربّانيّ في المنام هي أمرٌ ذو قيمة و يحتاج إلى التوفيق الإلهيّ، فكيف بالتشرّف إلى المحضر المقدّس لقُطب عالَم الإمكان و إمام الإنس و الجانّ، بقيّة الله الأعظم عجّل الله تعالى فرجه الشريف[1]!

***٣. أهمّ شرطٍ لحصول التشرّف

كان الكثيرون يسألون آية الله الشيخ البهجة قدس سره عن وِردٍ أو ذكرٍ أو برنامج عباديّ خاصّ من أجل التشرّف بمحضر الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و أهمّ ما كان سماحته قدس سره يجيب به عن هذا السؤال و يؤكّده في أكثر أجوبته هو لزوم ترك المعصية و تهذيب النفس و إصلاحها. فكان قدس سره يُكرّر مرارًا و في المناسبات المختلفة هذه الجملة المتضمّنة قولًا عن إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه:

«لا تسألوا أين و متى يمكن التشرّف بلقاء حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، [فإنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف أرسل:] أصلحوا أنفسكم و نحن نُقبِل إلى زيارتكم!».

إنّ أكثر ما كان سماحته قدس سره ينصح بالعمل به و يؤكّد أهمّيّته من أجل حصول التشرّف هو تحصيل التهيّؤ و التأهّب و إيجاد الاستعداد من أجل هذا الغرض. و إذ إنّ الكثيرين كانوا قد نسوا الشرط اللازم لحصول التشرّف، كان الفقيه المعظّم بصدد إصلاح توجّهاتهم الفكريّة و العمليّة و وضعهم على الطريق الصحيح المؤدّي إلى الغرض المذكور. و لكي يدلّهم على أقصر طريقٍ إلى ذلك، كان قدس سره يوصيهم قائلًا: «لا تُقصروا تفكيركم فقط على تحصيل التشرّف، بل فكّروا أيضًا كيف تحصّلون رضا الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، [في هذه الحال] هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف يأتي بنفسه إليكم. إنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف وعد: «أنا أصِل إلى خدمتكم»[2]. إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرغب أن نتسانخ و نتآلف معه[3] و الباقي على عهدته عجّل الله تعالى فرجه الشريف!».

---

(١) لا بدّ من لفت النظر إلى أنّ المنامات، بل حتّى الشهودات و المكاشفات الّتي تحصل في اليقظة، جميعها لم تكن محور عمل سماحته قدس سره و مبنى سلوكه، بل كان المِلاك عنده في كلّ حالٍ هو العمل بالوظائف الشرعيّة.

(٢) الفُرس يعبّرون عن المجيء إلى شخص بعبارة «نصل إلى خدمتكم» أو نحوها، و ذلك منهم تعظيمًا للمخاطَب و احترامًا له، و كان آية الله الشيخ البهجة قدس سره عندما يريد أن يعبّر عن زيارة الإمام عليه السلام للمؤمن إذا أصلح نفسه يستعمل هذه العبارة لأنّها نُقلت عن الإمام عليه السلام بهذا اللفظ و بهذا التكريم للمؤمن.

(٣) المقصود بالتسانخ أن يقترب المؤمن إلى إمامه، و هو أمرٌ يحصل بترك المعاصي و الإتيان بالواجبات في الاعتقاد و العمل جميعًا.

و مع ذلك فإنّ الكثيرين يسيرون في الاتّجاه المعاكس لإرادة إمامهم، و يقدّمون المهمّ على الأهمّ. إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يريد منّا أن نجعل أهمّ الأمور ـ الّذي هو تحصيل رضاه عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ هو الأصل و الهدف الّذي نسعى إليه. و تكون النتيجة، كما وعدنا حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أنّه بعد المباشرة بالعمل بما ذُكر سيمنّ علينا بأن يهبنا ـ مضافًا إلى رضاه عنّا ـ أمنية قلوبنا المتمثّلة بلقائه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و لكن أولئك الّذين لا يقدّمون الأهمّ، لا يريدون أن ينالوا رضاه عليه السلام، بل إنّهم يقومون بأعمالٍ مخالفةٍ لما يرضاه لهم، و مع ذلك يريدون أن يتشرّفوا بملاقاة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف!! و الحال أنّ الإنسان إذا اشتغل بتهيئة أسباب رضا الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف فإنّ التشرّف بمحضره القدسيّ سيكون قهرًا من نصيبه. و عدّةٌ آخرون كأنّهم استخفّوا بمسألة تهذيب النفس و الطاعة و العبوديّة، فكانوا يسعون ـ بأنحاءٍ مختلفةٍ ـ إلى تحصيل دعاءٍ أو صلاة، أو عبادةٍ و أو ذكرٍ خاصّ، و بهذا القصد كانوا يتوجّهون إلى شيخنا المقدّس رحمه الله بأسئلة و طلبات متعدّدة. أمّا هو، الّذي طوى مسير كماله و على طوله نال مرارًا و تكرارًا شرف لقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فقد كان يؤكّد تأكيد المُجرِّب الخبير و ذي اليقين الكامل، أنّ السبيل الأساس و المسير المضمون نتيجته و الطريق المعتمدة من أجل تحقيق هذا الهدف هو أن يعمل الإنسان بدفتر إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف[1] و أن يعمَد إلى إطاعته و هو متيقّنٌ بأنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرى عمله، و كان يقول لأولئك الساعين إلى دعاءٍ أو ذكرٍ يحقّق لهم غرضهم هذا:

«إنّ إطاعة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف هي نفسها أرقى دعاءٍ و أعلى ذكرٍ عمليٍّ!».

طبعًا سماحته رحمه الله كان ينوّه مرارًا بما للدعاء و الذكر من قَدرٍ و قيمة، و كان يقول إنّ هذه الأمور هي من المقرّبات و الأعمال المرضيّة لدى الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و من مقوّيات الارتباط و العلاقة به عليه السلام، لكنّ الحصول الفعليّ لآثار هذه الأعمال بالنحو الأتمّ و الأكمل، و ترتُّب جميع بركاتها و فوائدها، إنّما يكون في حالة توفّر الشرط الأساسيّ لذلك و الّذي عيّنه الله تعالى و وليّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أي شرط **«ترك المعاصي و الإتيان بالواجبات»**. و من الواضح أنّ الّذين لم يطووا المرحلة الأولى من مراحل مسير التشرّف، و لا حتّى عزموا على تطبيق الخطوة الأولى في هذا المجال، فإنّهم ليسوا من أصحاب الإرادة الجادّة، و سيُحرمون بسبب أعمالهم بلوغ

---

(١) كان سماحته رحمه الله يبيّن أنّ المقصود بدفتر صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو الرسالة العمليّة الصحيحة، و من المهمّ الإشارة إلى تأكيده رحمه الله أن تكون الرسالة العمليّة «صحيحة»، و لذا كما مرّ فإنّ مجرّد طبع رسالةٍ ليس بالضرورة مجوّزًا لتقليد صاحبها، بل يجب الفحص و الاطمئنان بأهليّته.

مراحل أعلى. و سيكون إعطاء البرامج العمليّة لهؤلاء مضرًّا بحالهم، أو على الأقلّ لغوًا و خاليًا من الفائدة و خلافًا للحكمة. و في المقابل، فإنّ من يلتزم بتهذيب نفسه و بالمراقبة الدائمة لها، فإنّ حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف لن يغيب عنه، و سيحضر لديه و لو على اختلاف مراتب الحضور.

و مع ذلك فإنّه قدّس سرّه لم يحرم المؤهّلين فيض مكنونات سرّه، فقد استثنى في موارد خاصّةٍ و نادرةٍ بعض الصلحاء الّذين عرف منهم الالتزام الجديّ بترك المعاصي، فلم يكن عزمهم آنيًّا بل كانت لهم مراقبةٌ دائمةٌ لأعمالهم و تصرّفاتهم، و كانت قلوبهم تتحرّق شوقًا إلى زيارة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لقائه، و قد غلبهم العشق و تملّكهم التململ، حتّى إنّ بعضهم انقطع عن الطعام و النوم لشدّة شوقه و ولهه، فهؤلاء خصّهم الراحل المعظّم ببرامج عمليّة. و طبعًا كان عددهم في غاية القلّة و قد لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة. و في هذه الموارد القليلة، كان قدّس سرّه يؤكّد لهؤلاء أنّ العمل بما أوصاهم به لا يُحتّم أبدًا حصول لقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بل نتيجته هي أنّه عليه السلام إذا رأى المصلحة في اللقاء فإنّهم يوفّقون له(١). و إن كان هؤلاء

(١) إحدى التوصيات العمليّة الّتي كان سماحة الشيخ قدّس سرّه قد نقلها في موارد نادرةٍ لبعض المتشوّقين إلى التشرّف بمحضر الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو عملٌ منقولٌ عن أحد تلامذة الميرزا حبيب الله الرشتي قدّس سرّه، و هو قراءة آية النور مع ذكرٍ آخر بعدد خاصّ و مع شروطٍ خاصّةٍ و في وقتٍ معيّنٍ من الشهر القمريّ و إلى مدّةٍ محدّدة. و كان قدّس سرّه يُمازح بالقول إنّه يجب أن يكون الشخص سريع اللسان و أن يُصادف الشهر القمريّ الّذي يبدأ بيوم الجمعة في فصلِ الصيف لتكون مدّة ما بين الطلوعين أطول، حتّى يُوفّق الإنسان لأن يُتمّ الذكرَين المُشار إليهما في الوقت المعيّن.

و سأل أحدهم الشيخ المعظّم قدّس سرّه: هل كان هناك مَن وصل إلى مقصوده من خلال هذا العمل؟ فأجاب سماحته: نعم، و هو مجرّبٌ كثيرًا. و قال سماحته قدّس سرّه أيضًا في شأن التوصية المذكورة: [إنّ شخصًا] قام بهذا العمل فرأى بعد ذلك الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في حجرته. قال [ذلك الشخص]: عندما رأيت حضرته رغبت في أن يذهب! (لعلّ المقصود أنّه لم يكن له الطاقة على الحضور في محضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بسبب نور حضرته و هيبته و عظمته). و كذلك نقل سماحة الشيخ قدّس سرّه أنّ هذا العمل ذكرَه الواعظ الشيخ عبّاس عليّ القزوينيّ على المنبر. و كان لأحد الحاضرين في المجلس معضلة فعمل بهذا العمل و رأى الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف فقال عجّل الله تعالى فرجه الشريف له: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾، ثمّ انحلّت مشكلته. و عندما أخبر هذا الشخص الشيخ عبّاس عليّ القزوينيّ بحصول التوفيق له لرؤية الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف قال له الشيخ: «مرحبًا بالتلميذ الّذي فاق أستاذه!».

طبعًا كما أكّدنا سابقًا فإنّ آية الله الشيخ البهجة أعلى الله مقامه كان يشدّد على أنّ القيام بمثل هذه الأعمال و التوصيات لا يُلزم الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بإظهار نفسه لمن قام بالعمل، بل إذا رأى الإمام عليه السلام المصلحة في ذلك فإنّ الشخص يوفّق للتشرّف بمحضره. و من جهة أخرى، فإنّ بعض الأشخاص قد لا يملكون الأهليّة للتشرّف بمحضره عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو أنّهم مع كونهم من الصالحين المحبّين للإمام عليه السلام لكن لم يحِن بعدُ الوقت لملاقاتهم إيّاه عليه السلام. فأمثال هؤلاء إذا اطّلعوا على مثل هذا العمل فإمّا أن يُبتلوا بنسيان أصل معرفتهم بهذا العمل و إمّا بنسيان الذكر أو بعض شروطه عند التفاتهم إلى حضور وقته، أو أنّهم بعد شروعهم بهذا العمل في وقته و لو مع استيفاء شروطه لا يوفّقون لإتمامه.

الأشخاص ـ الّذين أخذوا التوصيات العمليّة للتشرّف ـ مؤمنين كتومين و أهل سرّ و وفاءٍ بالعهد، فقد يحصل أن تقع إحدى هذه التوصيات في يد شخصٍ آخر فيعمل على وفقها، لكن ليس لزومًا و قطعًا أنّه سيتشرّف بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، بل هو مشروطٌ بالقيد نفسه الّذي تقدّم ذكره عن سماحته قدّس سرّه. و نذكر هنا حكاية لا تخلو من المطالب اللطيفة الجديرة بالتأمّل و المناسبة لهذا المقام، و خلاصتها[1] أن كان هناك شخصٌ يرغب في لقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كانت له حالةٌ عجيبةٌ مِلؤها العشق و الوله و الاضطراب شوقًا[2]. و كان كلّما لقي أحدًا أقسَم عليه بالله: «إن كنت تعرف عملًا يوصلني إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فعلّمني إيّاه، فإنّي أكاد أموت و تخرج روحي من الشوق!». و كان يكرّر كثيرًا: إنّ حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو الّذي بدأ أوّلًا[3]، هو الّذي جعلني عاشقًا له، هو الّذي سلبني استقراري و جعلني هائمًا به.

قال آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه: «كان الرجل يرجو كلّ من يلقاه أن يدلّه على سبيلٍ إلى زيارة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف وكنت أعرف عملًا عجيب الأثر، و لشدّة ما التمس الرجل منّي و أصرّ عليّ، علّمته إيّاه و ذهب ليعمل على وفقه[4]. و في اليوم الثالث عشر أو الرابع عشر جاءني و خاطبني بشيءٍ من الحدّة و قال: يا شيخ، توصيتك هذه أيضًا لم تنفع! فقلت له: ما الّذي حصل؟ قال: أقَمتُ على العمل المذكور وحيدًا في حجرةٍ ثلاثة عشر يومًا. و في اليوم الثالث عشر كنت في الحجرة و لم يكن معي أحد. كنت وحدي و في يدي سُبحة. و من دون أن أرى أحدًا فإنّ شخصًا جذب السُّبْحة بشدّةٍ من يدي و ضربها بالحائط بقوّةٍ حتّى انقطع خيطها و تناثرت حبّاتها على الأرض. تفرّقت الحبّات و انقطع الذكر الّذي كنت مشغولًا به. و إذا بصوتٍ يطرق سمعي: لا تُحارب أسرار الله!».

بناءً على ما تقدّم، لم يكن لدى سماحة آية الله الشيخ البهجة رحمه الله برنامجٌ عمليٌّ عامٌّ من أجل التشرّف بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سوى تهذيب النفس و ترك المعاصي و العمل بما في الرسالة العمليّة الصحيحة. و قد شاعَ كلامٌ مُفاده أنّه وُجد في هامش المصحف الخاصّ بالراحل المعظّم قدّس سرّه برنامج عملٍ من أجل التشرّف باللقاء. و صحيحٌ أنّه لا مانعَ شرعًا من العمل بمثله

---

(١) ذُكرت هذه القصّة مفصّلة في الصفحة ٧٥٧ من هذا الكتاب.

(٢) استعمل سماحة الشيخ قدّس سرّه عباراتٍ عجيبةً في وصف حال هذا الرجل.

(٣) كان هذا الشخص رجلًا صالحًا و تاركًا للمعاصي، فمن أجل هذا تحبّب الإمام عليه السلام إليه و منّ عليه بزيارته.

(٤) يبدو أنّ ذلك الختم يُقرأ في مرحلتين، كلّ مرحلة خلال أربعة عشر أو خمسة عشر يومًا، و من أذكاره الشريفة ذكر «لا إله إلّا الله»، و من شروطه أن يكون ذلك في مكانٍ خالٍ و لا يتردّد إليه أحد.

برجاء حصول لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أنّ ذلك أمارة شدّة اشتياق العامل، و ربما تترتّب على ذلك آثارٌ و بركاتٌ خاصّةٌ كثيرة، إلّا أنّه يجب الالتفات إلى أنّ مجرّدَ وجودِ أيّ كلامٍ مكتوبٍ في هامش مصحف سماحته قدس سره لا يدلّ على أنّ المطلب المذكور يحظى بتأييده أو يكون من جملة ما يوصي بالعمل به[1]، و هناك احتمال قويّ أن يكون قد أثبته سماحته قدس سره في الهامش من باب أنّه مَطلب مُحتمل الصحّة، أو من باب ضبط مطلبٍ نُقل له، و خصوصًا إذا لاحظنا أنّه كان من عادته قدس سره تدوين ما يسمعه من كلماتٍ تتضمّن حكمةً أو شعرًا جميلًا أو مطلبًا ذا قيمة و يستحقّ التأمّل، في هامش كتابٍ أو ورقةٍ مستقلّة. و مَن له اطّلاع على كتبه و كتاباته يعرف أنّ في هوامشها و فضاءاتها كثيرًا من الكلمات المعدودة من جواهر الكلم و نوادر الحكم و النقول ذات القيمة، فكيف إذا كان المطلب المنقول مرتبطًا بمعشوقه و واردًا في شأن محبوبه، أي الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. هذا مضافًا إلى أنّه لم يكن لسماحته قدس سره مصحفٌ واحدٌ. كما أنّه قدس سره كان قد أثبت مطالب أخرى في هامش المصحف من بينها تأريخ وفاة بعض أساتذته. و الغرض ممّا ذكرناه ليس نفي صحّة العمل المذكور و تأثيره في حصول التشرّف باللقاء على وجه البتّ، بل إنّ العمل به برجاء الوصول إلى النتيجة المتوخّاة هو أمرٌ مطلوب، لكن من جهةٍ أخرى فإنّ إسناد هذا العمل إلى الشيخ المقدّس قدس سره على وجه القطع على أنّه برنامج عملٍ قطعيّ و من جملة ما يوصي به هو عملٌ بغير الحجّة و الدليل، خصوصًا أنّه لم يُسمع عنه قدس سره قطّ أنّه أوصى أحدًا بالأخذ بالعمل المذكور.

إذًا ـ عطفًا على ما تقدّم ـ إنّ توصيته الأساس من أجل حصول التشرّف باللقاء هو العمل على تهذيب النفس ثمّ بعد ذلك يصل الدَّوْر إلى الأذكار و التوسّلات. فإنّه إذا كان مُقدّرًا لهذه الأذكار و التوسّلات أن تعطي النتيجة المرجوّة، فمن الطبيعيّ أن يكون ذلك بعد طيّ المرحلة الأولى و هي ترك المعاصي و الإتيان بالواجبات. و لا بدّ أيضًا من الالتفات إلى أنّ في رأس قائمة هذه الأذكار الذكر القلبيّ، بمعنى أن يرى الإنسان نفسه في جميع أحواله بمحضر الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يكون متأهّبًا في كلّ آنٍ للتشرّف بالحضور في ساحته المقدّسة. و من جواهر حِكَم آية الله الشيخ البهجة رحمه الله للعاشقين و الوالهين أنّ هذا الإحساس الدائم بالحضور و التهيّؤ المستمرّ له هو نفسه من مقدّمات حصول التشرّف

(١) بنحوٍ عام، عندما كان سماحة الشيخ قدس سره يُسأل عن أمثال هذه النقول، كان يقول إنّ أحدهم نقل هذا [الكلام]. فلم يكن يؤيّد سوى أنّ المطلب منقول عن ذلك الشخص، إلّا في مواطن نادرة كان يؤيّد مضمون المطلب أيضًا.

باللقاء و مقوّماته، و لذلك فإنّه عندما طلب إليه أحد العلماء عملًا يؤدّيه من أجل لقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف أجابه بالقول:

«كونوا ملتفتين دائمًا إلى أنّ حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف الآن موجود، و عناياته تعمّ الجميع، و من الممكن في أيّ لحظةٍ أن تتشرّفوا بحضوره، كونوا دائمًا ملتفتين إلى أنّه [بأنّه] الآن، الآن، الآن [يمكن أن يحصل اللقاء]»(١).

---

(١) كان سماحة الشيخ رحمه الله كثيرًا ما يؤكّد أهمّيّة أن يرى الإنسان إمامه عليه السلام حاضرًا و ناظرًا في كلّ زمانٍ و مكان. و كان ينقل قصّةً نافعة مفادها أنّ ثلّةً من المؤمنين قصدوا زيارة مرقد أحد الأئمّة الأطهار عليهم السلام، و كان من بينهم عالِمٌ جليل. لكنّ معالم الدهشة و الاستغراب بدت على وجوه هؤلاء الزوّار منذ لحظة وصولهم إلى المدينة، و ذلك بسبب امتناع هذا العالم الجليل من الذهاب إلى الحرم المطهّر، بل اكتفى بزيارة الإمام عليه السلام من الحجرة نفسها الّتي نزل فيها. مع أنّ زيارته و توجّهه إلى الإمام عليه السلام يجلّلهما الخشوع و الخضوع التامّان و كأنّه يرى نفسه حاضرًا بين يدي الإمام عليه السلام إلّا أنّه لم يكن يذهب إلى الحرم الشريف.

اعترض هؤلاء المؤمنون على تصرّف هذا العالم، و راحوا يعاتبونه ويوبّخونه، فأيُّ مؤمنٍ عاشقٍ لا يذهب إلى الحرم بعد أن أنفق كلّ ما يملك من المال، و قطع كلّ تلك المسافات البعيدة متحمّلًا عناء التعب و العطش و ما يلاقيه من مشقّة السفر وصولًا إلى هذا البلد المقدّس الّذي يحتضن مرقد حجّة الله و وليّه عليه السلام، و مُخلّفًا وراءه الأهل و العيال من أجل أن يحظى بزيارة هذا الإمام عليه السلام؟! فكيف يستطيع من هو على بُعد خطواتٍ من المقام الشريف أن يمنع نفسه من المسارعة إليه بل يكتفي بالزيارة من مكانه؟! إلّا أنّ هذا العالم الجليل لم يُجبهم و لم ينبس ببنت شفة، و استمرّ على حاله من الزيارة على الرغم من قرب المسافة! و في إحدى المرّات اجتمع هؤلاء المؤمنون حوله و بإصرارٍ و إلحاحٍ شديدَين تمكّنوا من اصطحابه معهم إلى الحرم المطهّر، لكن ما لم يكن في الحُسبان و الّذي حبَس أنفاس هؤلاء أنّه بمجرّد وصولهم إلى باب الحرم، و في المكان الّذي يستأذن منه الزوّار عادةً للدخول إلى المقام الشريف، هوى العالِم الجليل أرضًا، عانقَ جسده أعتاب الحرم في حين أنّ روحه فاضت إلى ملكوت الرحمن لأنّها لم تتحمّل لحظات اللقاء تلك!

نعم كان لهذا العالِم مستوى عالٍ من العلم الشهوديّ بحضور الإمام عليه السلام، فكان يراه عليه السلام ناظرًا إليه و حاضرًا معه في كلّ آنٍ، و لذا كان يخجل من الحضور في حرم الإمام عليه السلام فلم يتمكّن من دخوله، إذ لم تكن زيارته مجرّد زيارة للجدران و الأبواب، بل كان يُدرك أنّ حياة الإمام المعصوم عليه السلام و مماته يكونان على سواء، و للإمام بعد مماته ما له في حياته، و له في حياته ما له بعد مماته. و لذا من شدّة شعوره بحضور الإمام عليه السلام عجز جسده عن الذهاب إلى المرقد الطاهر استحياءً، لكنّ روحه سارعت بلهفةٍ و اشتياقٍ إليه عليه السلام. من البديهيّ أنّ العِبرة من نقل هذه القضيّة ليست عدم دخول الزائر إلى الحرم الشريف، بل على العكس فهذا أمرٌ جرت عليه سيرة أئمّتنا الأطهار عليهم السلام و علمائنا الأبرار، لكن المقصود هو أن يُحصِّل الزائر اليقين بحضور الإمام عليه السلام، و يُدرك أنّهم عليهم السلام ناظرون إليه و ذلك من خلال زيادة المعرفة بهم عليهم السلام. فإن كانت هذه الحال الّتي ينبغي للمرء أن يعيشها أمام الأئمّة الماضين عليهم السلام الّذين قد فارقوا الحياة الدنيا بحسب الظاهر، لكن لا فرق بين حياتهم و مماتهم، فهل يصحّ أن لا يرى الإنسان إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف

وكذلك كان سماحته ﷶ قد أوصى أحد الفضلاء الّذي يريد الذهاب إلى الحجّ:

«استحضر ذكر الإمام ﷻ في مواطن الحجّ المختلفة، عسى أن تراه! حتّى لو لم تنتهِ رؤيته إلى الحديث معه ﷻ، فإنّ مجرّد لقاء ذلك المعظّم له بركات...».

وكان سماحته ﷶ يؤكّد أنّ من كان في كلّ آنٍ على حالة التهيّؤ و الاستعداد للتشرّف، و يرى نفسه دائمًا بمرأى و مسمعٍ من حضرته ﷻ فإنّه يفوز بشرف الرؤية و السمع القلبيّين. فكان يقول:

«لماذا نحن لسنا حاضرين قلبًا؟! بحيث نفهم أنّه من الممكن أن نطّلع على مطالبَ من قِبَل حضرته ﷻ آنًا بآن!».

*** ٤. كتمان التشرّفات

يظنّ البعض أنّ الّذين كان لهم اتّصالٌ بالإمام الحجّة ﷻ كالنوّاب الأربعة و أمثالهم، كانوا يتحدّثون عن هذا الاتّصال في العلن و يذيعونه، و أنّهم كانوا ينشرون أوامره و توصياته ﷺ من دون حرج. لكنّ الحقيقة أنّ النوّاب الأربعة الّذين لا ريب في لقائهم بالإمام ﷻ و لا سبيل إلى أيّ شكٍّ أو تردّدٍ في ارتباطهم بالناحية المقدّسة، كانوا في حالة تقيّةٍ تامّةٍ و كتمانٍ للسرّ. و ما كانوا ينقلون كلمةً واحدةً عن الناحية المقدّسة لأحدٍ إلّا لخواصّ الخواصّ. و حتّى في هذه الاستثناءات فإنّهم كانوا مأمورين بإبلاغهم أو ـ على الأقلّ ـ كان لهم الإذن فيه. و في الواقع، إنّ من أهمّ خصائص هؤلاء الأشخاص الّتي بها نالوا شرف النيابة عن الإمام الحجّة ﷻ هي مَلَكة كتمان السرّ لديهم. فهذا أبو سهل النوبختيّ الّذي كان من كبراء الشيعة و المقدَّم في العلم و التقوى، حتّى إنّ جماعة من الشيعة كانوا يرونه أهلًا لمقام النيابة عن الإمام المهديّ ﷻ، قد سُئل يومًا: «كَيْفَ صَارَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ رَوْحٍ دُونَكَ؟»، فقال لهم:

حاضرًا في كلّ مكانٍ و ناظرًا إليه مع أنّ له ﷺ حضورًا جسمانيًّا كما أنّ له حضورًا روحانيًّا؟ إنّه عين الله الناظرة الّتي لا يخفى عليها شيءٌ و الإنسان دائمًا بمرأىً منه ﷻ. و على هذا الأساس كان آية الله الشيخ البهجة ﷶ يعتقد أنّ أهمّ مقدّمات التشرّف بلقاء الإمام ﷻ و أسبابه هو أن يكون الإنسان على حالة تهيّؤٍ دائمٍ لذلك، و أن يكون على الدوام متذكّرًا لإمامه و يرى نفسه في محضره (صلوات الله عليه).

«هُمْ أَعْلَمُ وَمَا اخْتَارُوهُ، وَلَكِنْ أَنَا رَجُلٌ أَلْقَى الْخُصُومَ وَأُنَاظِرُهُمْ، وَلَوْ عَلِمْتُ بِمَكَانِهِ كَمَا عَلِمَ أَبُو الْقَاسِمِ وَضَغَطَتْنِي الحجّة [عَلَى مَكَانِهِ] لَعَلِّي كُنْتُ أَدُلُّ عَلَى مَكَانِهِ، وَأَبُو الْقَاسِمِ فَلَوْ كَانَتِ الحجّة تَحْتَ ذَيْلِهِ وَقُرِّضَ بِالْمَقَارِيضِ مَا كَشَفَ الذَّيْلَ عَنْهُ!»[1].

نعم، إنّ من أهمّ خصال الأشخاص الّذين يَبلغون المقامات العالية هي شدّة كتمانهم السرّ، حتّى كأنّ أفواههم مختومة ختمًا، وكلّ درجةٍ يرتقونها تحتاج إلى مستوى من الكتمان أعلى من الّذي سبقه. وإذا كان النوّاب الخاصّون ـ الّذين لا شكّ في اتّصالهم بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ ممنوعين من إفشاء اتّصالهم به عليه السلام و ملاقاتهم إيّاه، فالنوّاب العامّون أمثال السيّد ابن طاوس و السيّد بحر العلوم و الشيخ البهجة قدّس سرّه هم أَولى بالمنع. و ما نُقل من رؤيتهم له عليه السلام و ملاقاتهم إيّاه لم يكن إلّا رشحاتٍ وصلت إلى خواصّ الخواصّ، على ما جاء في الحديث المنقول عن الإمام الصادق عليه السلام: «كُلَّمَا تَقَارَبَ هَذَا الْأَمْرُ كَانَ أَشَدَّ لِلتَّقِيَّةِ»[2]، و لذا كلّما مرّت الأيّام أصبحت ضرورة كتمان هذا الأمر عن غير أهله و عن الضعفاء أشدّ، فضلًا عن كتمانه عن الأعداء. و من هنا، كان المقدّس البهجة قدّس سرّه العالِم بزمانه و ظروفه في أشدّ مراتب كتمان السرّ و إخفائه. و إذا كان قدّس سرّه في بعض الحالات الاستثنائيّة جدًّا و المرّات المعدودة ـ الّتي لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة ـ قد رشحت عنه شذراتٌ من لقائه بالإمام الحجّة عليه السلام إلى مَن هم أهلٌ لذلك، فقطعًا كان ذلك منه بأمر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو بإذنه و بعد العلم بوقوع ذلك موقعه و تأثيره و قابليّة المخاطَب لتلقّيه، مع كون المخاطب بهذه الإفاضة نفسه هو ـ في الغالب ـ من ذوي الكتمان الشديد و المحافظين على السرّ. و لذلك لم يكن يتكلّم عن لقاءاته بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلّا في موارد نادرةٍ و لأسبابٍ خاصّةٍ مع مراعاة الحكمة في الإعلان. و عمومًا لم يكن من دأبه أن يتحدّث عن حالاته بنحوٍ مباشرٍ أو يذكر لقاءاته صريحًا. نعم، في بعض الأحيان كان ذلك مقتضى الحكمة و العمل بالوظيفة، كأن يروي بذلك ظمأ شخصٍ لديه الاستعداد و القابليّة، أو يبذر أصل عقيدة الرؤية في قلب آخر حيران. وكان سماحته قدّس سرّه يتكلّم مع المستمع في هذا الشأن بالإشارة و التلويح و ربما ذكر أحيانًا قصّة شخصٍ مستخدمًا عبارات أمثال: «كان هناك شخص» ثم يُعلم بعد ذلك من خلال القرائن القويّة و الشواهد المورثة للاطمئنان أنّه كان هو نفسه، أو استعمل عبارة «في مثل حالة

---

(١) الغَيبة (للطوسيّ)، ص٣٩١.

(٢) الكافي، ج٢، ص٢٢٠.

النوم...»[1] و نحوها من أجل إيجاد الإجمال و الإبهام. و على العموم، فإنّ سماحته ﷺ فقط في موارد نادرةٍ مثل وقوعه تحت ضغط إصرار السائلين و إلحاح الطالبين ـ الّذين أغلبهم من العلماء ـ فيرى نفسه مضطرًّا، كان يذكر بعض المواهب الإلهيّة على خلاف الأصل الأوّليّ في منهجه، و مع ذلك كان يكتفي بذكر الرؤية في المنام و يقول:

«إنّ عاشق إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف إن لم يره في اليقظة فلا أقلّ من أن يتشرّف إلى محضره في المنام!».

***٥. كيفيّة تعامله ﷺ مع ادّعاءات الرؤية

كما بيّنّا فإنّ منهج الفقيه المقدّس آية الله الشيخ البهجة ﷺ فيما يتعلّق بلقاءاته الشخصيّة بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان مبنيًّا على أعلى درجات الكتمان. أمّا في ما يتعلّق بلقاءات الآخرين فطريقته مختلفةٌ تمامًا، و كان بناؤه في هذا المجال على بيان الوقائع ما أمكن مع عدم وجود مانع، و لا سيّما إن كان الكلام عن تشرّفات العلماء العِظام المسلّم بصدقهم و ورعهم و تقواهم. أمّا بالنسبة إلى لقاءات المعاصرين، فلم يكن يبادر فورًا إلى تكذيب ما يُنقل عنهم من لقاءات و مشاهدات، بل كان يستمع بدقّة و يُنصِت بنحو كامل إلى تلك النّقول، فإذا وجد شواهد على صدقها كان ينقلها إلى غيره بشوقٍ. لكن إذا ادّعى شخص أمرًا لا يوافق الاعتبار، أو من باب نسج القصص المبنيّة على الوهم و الخيال فإنّه ﷺ كان يُعرِض عنه.

البعض ليسوا مستعدّين للاستماع إلى قصص الرؤى و الاعتناء بشأنها، و البعض الآخر يخشون إذا استمعوا إليها أن يُتّهموا بالسذاجة، فما بالك إذا صدّقوها أو رووها بأنفسهم، لذا يعرضون عن الإصغاء إليها! أمّا شيخنا المقدّس ﷺ فكان ينقل قصص لقاءات العلماء العِظام و الصلحاء الكرام. و المقدار الّذي كُتب أو سجّل من تلك النقول و الحكايات كثيرٌ في نفسه و معتدٌّ به، فضلًا عمّا لم يكتب و لم يسجّل ممّا هو في غاية الكثرة. و منشأ ذلك أنّه ﷺ كان يعتقد بأنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يُهمل رعيّته و ليس بناؤه على إيكال الناس إلى

---

(١) يعتقد بعض أهل الكشف أنّ ما يقع للعارف من تمثّلات هو نظير ما يقع لغيره من المنام و الرؤيا الصادقة مع كون العارف يرى في اليقظة. و لذا فإنّ ما يجري على لسان بعض الأولياء من التعبير بـ«المنام» أو «شبه المنام» أو مثل «كأنّي رأيت في المنام» هو ليس كلامًا على خلاف الواقع، و ذلك لأنّهم ـ و لأسبابٍ مختلفةٍ ـ لا يريدون الإفشاء بالتعبير بمثل «التمثّل و المكاشفة».

أنفسهم، ذلك لأنّه هو الهادي و الكفيل و الرئيس و صاحب الزمان، و لأنّ الغَيبة ليست بمعنى الموت أو لوازمه أو آثاره. فهذا الإنسان العاديّ الحيّ هو نشطٌ و يسير و يتحرّك و كلّ يومٍ هو في شأن، فكيف بالإمام و القائد الّذي على عهدته أخطر المسؤوليّات، و قد أوكل الله تعالى إليه في كلّ يومٍ شؤونًا و مهمّات. و هو و إن كان غائبًا عن الأنظار إلّا أنّه عليه السلام ليس مغلول اليد بنحوٍ مطلق، و ليس ممنوعًا من الظهور الخاصّ و البروز الشخصيّ لبعض الصالحين و المؤهّلين، بل هو عليه السلام مأمورٌ بإغاثة العباد و الأخذ بأيديهم على اختلاف مراتب ذلك. ثمّ إنّه مضافًا إلى ما ذُكر من مقتضيات نقل حكايات الرؤية، فإنّ هناك حِكَمًا و أسبابًا أخرى كانت تقتضي أن ينقل سماحة الشيخ قدس سره كثيرًا من تلك التشرّفات المتيقّن حصولها. و من أهمّ تلك الأسباب و الدوافع أنّه قدس سره أدرك بفطنته و فراسته أنّه يجيء بعد ذلك أشخاص يُنكرون حتّى إمكان حصول التشرّف و الرؤية، و بجهلهم يعاندون العلم، و بإنكارهم هذا يُدخلون اليأس إلى قلوب المؤمنين و المشتاقين، و يجعلونهم سيّئي الظنّ بأعاظم علماء المذهب الّذين كانت لقاءاتهم بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف من الأمور القطعيّة و المُسلّم بها، أمثال السيّدين ابن طاوس و بحر العلوم (قدّس الله سرّيهما)، فأراد آية الله الشيخ البهجة قدس سره بنقله لقصص التشرّفات المباركة هذه، المُحرَز لديه وقوعها، أن يُثبت مبدأ وقوع الرؤية و يُرسّخ في قلوب المؤمنين الاعتقاد بأنّ باب اللقاء بالإمام عليه السلام مفتوحٌ للمؤهّلين، ليكون فعله قدس سره هذا درعًا بوجه هجمات الإنكار المذكورة. و مثل هذا السلوك متوقّعٌ من العلماء الّذين هم حصون الدين المنيعة و أوتاد الشريعة و أساطينها، و قد تقدّم كلام الشيخ الصّدوق رحمه الله المهمّ في هذا السياق.

إذًا كما أسلفنا فإنّه لا يمكن عدّ كلّ من يدّعي ملاقاة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف كاذبًا و مغرضًا، أو جاهلًا و مُخطئًا، بل إنّنا ـ من جهة ـ نعلم أنّ أصل اللقاء و الارتباط به عليه السلام قد وقع و يقع لبعض الأخيار على وجه اليقين، و من بينهم الكثير من العلماء الربّانيّين أو الصالحين من المؤمنين ممّن لا نستطيع اتّهامهم بالكذب أو الجهل. و من جهةٍ أخرى، فإنّنا نعلم أنّ أفرادًا من الناس ـ و من أجل أغراضٍ دنيويّةٍ مختلفةٍ و لكسب المكانة الاجتماعيّة، أو على إثر ضلالهم و انحرافهم و من باب خداع أنفسهم ـ يدّعون اللقاء بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و يكون ذلك في بعض الأحيان سببًا لجمع بعض الناس حولهم، و الأسوأ من ذلك أنّهم يُصدرون الأوامر و التوصيات لهؤلاء. و من هنا، لا بدّ للإنسان الفَطِن و العاقل البصير أن يلاحظ كِلتا

جهتَي المسألة ليتّخذ معيارًا و ميزانًا لتشخيص الحقّ من الباطل و تمييز أحدهما عن الآخر، أو يحدّد الملاك الّذي على أساسه يعيّن وظيفته العمليّة في مواجهة أمثال هذه الأمور.

و حسب توجيهات آية الله الشيخ البهجة ﵀، فإنّه يمكن حصول أحد أسباب اليقين بصحّة ادّعاء المكاشفة أو اللقاء بالإمام ﵇ من خلال مشاهدة آثار صدق المدّعي في القول و الفعل، و هذا بخلاف من تُشاهَد فيه آثار اختلاف قوله مع فعله، فإنّ التكليف في هذه الصورة واضح. و الأمر المهمّ جدًّا الّذي كان ﵀ يؤكّده، هو أنّ على الإنسان العمل على أساس اليقينيّات، و في غيرها يعمل بالاحتياط. و بناءً على هذا، فإذا ادّعى اللقاء مَن كانت في أقواله و أفعاله أمارات الصّدق، وكان هو نفسه من الصالحين الّذين لم يُرَ منهم ما يُخالف الشرع، و من المعروفين بالتقوى و الطهارة و العفّة، وكان في السابق ـ كما هو في الحال ـ موضع اعتماد المؤمنين، ففي هذه الحالة يمكن لخصوص شخص سامع الادّعاء الّذي يحصل له اليقين أو الاطمئنان بصدق المدّعي ـ و ليس لكلّ أحدٍ ـ أن يقبل كلامه إذا كان مطابقًا تمامًا لموازين الشرع و غير متعارض مع واضحات الدين و مسلّمات المذهب.

و كان آية الله الشيخ البهجة ﵀ يعتمد بدرجاتٍ متفاوتةٍ على أقوال المؤمنين و الصلحاء أولي الوثاقة، الّذين هم محلّ الاطمئنان و المُحرز لديه صدقهم في القول و الفعل، إذ إنّ سماحته كان ينقل قصص لقاءات بعض كبار العلماء. لكن في الوقت نفسه كان له دأبٌ مختلفٌ تمامًا إزاء مدّعي الاتّصال الكذّابين، فكان يطردهم و يبعدهم بطرقٍ مختلفة. إنّه ﵀ و من أوائل طفولته لم يكن لا يلعب فحسب، بل لم يلاعِب أحدًا، و لم يسمح أيضًا بأن يُتلاعب به أو يُخدع، معتمدًا في ذلك على ما حباه الله به من حسن الفراسة. و كمثالٍ على ذلك، و لتكون طريقته ﵀ قدوةً للمؤمنين، نكتفي بذكر واقعةٍ واحدةٍ قصيرةٍ لكنّها مفيدة: في إحدى المرّات عندما كان سماحته ﵀ يجتاز صحون حرم الإمام الرضا ﵇، جاءه شخصٌ و ادّعى بصورةٍ قاطعةٍ أنّه هو السيّد الخراسانيّ. فتعجّب الّذين كانوا برفقة سماحة الشيخ ﵀ و أخذتهم الحيرة، و راحوا ينتظرون بفارغ الصبر كيف تكون ردّ فعله ﵀ في مقابل مثل هذا الادّعاء الخطير. فمن جهةٍ لعلّ هذا الشخص هو فعلًا السيّد الخراسانيّ، و من جهةٍ أخرى يُحتمل أن يكون كذّابًا دجّالًا. مثل هذا الموقف المحيّر يزيد من تحفّز الإنسان و تشوّقه إلى سماع جواب سماحة الشيخ ﵀. أمّا هو ـ و بطمأنينةٍ تامّةٍ و بدون إيجاد أيّ توتّرٍ أو مشاجرةٍ ـ فقد نطق بكلمة حكمةٍ طريفةٍ لم يكن شخص المدّعي ليتوقّعها، إذ قال:

«نحن لا وظيفةَ [تكليف] لنا تجاه السيّد الخراسانيّ!».

بهذه العبارة المختصرة و المعبّرة، و بالنحو المتناسب مع أدبه و وقاره الدائمين و المتلائمين مع شأنه الشامخ، و بجوابٍ منطقيّ و علميّ مأخوذٍ من روايات أهل البيت عليهم السلام[1] وقف سدًّا

---

(١) أُشيرَ في أحاديث أهل البيت عليهم السلام إلى خروج جماعاتٍ مختلفةٍ قبل ظهور إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، كخروج السفيانيّ و اليمانيّ و الخراسانيّ و المروانيّ و أمثال هؤلاء. و قد ذُكرت هذه الوقائع في الأخبار غالبًا بعنوان علامات ظهور الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، لا بعنوان تحديد وظيفة الشيعة تجاه تلك الحركات و أنّ وظيفتهم نُصرة القائمين بها أو مواجهتهم. و في الحقيقة، إنّ تكرّر قيام أفرادٍ و أطرافٍ مختلفين في وجه السلطات الحاكمة هو في حدّ ذاته إحدى علامات الظهور، إذ ورد في الخبر توصيف ما يجري في ذلك الزمان بقوله عليه السلام: «قَامَ كُلُّ ذِي صِيصِيَةٍ بِصِيصِيَتِه» (الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٢٧٤)، بمعنى أنّ كلّ فردٍ ذي مَنزلةٍ و وجاهةٍ بين الناس يقوم متّكلًا على مكانته بينهم. و هذه الحركات يمكن أن تكون على باطلٍ مُطلقًا كما هي حال خروج السفيانيّ، و يمكن أن تكون مزيجًا من الحقّ و الباطل، كما لعلّه يُستفاد ذلك في شأن رايات الخراسانيّ إذ ورد فيه أنّ بعض أصحاب القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف يكونون بين القائمين معه، أي أنّ بعض المشاركين في هذه الحركة يقومون لله بنيّةٍ صادقة (الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٢٨٠). لكن من جهة أخرى، عبّرت بعض الروايات عن راية اليمانيّ بأنّها أهدى من راية الخراسانيّ، و هذا يُمكن أن يُفهم منه أنّ راية الخراساني ليست رايةَ حقٍّ مُطلق، بل فيها بعض جوانب الانحراف عن الحقّ (المصدر السابق، ص٢٥٦). و على وجه العموم، يمكن القول إنّ الخراسانيّ أو اليمانيّ هما من الصالحين، و لكن أتباعهما ليسوا صفوةً من المؤمنين بل خليطٌ من المؤمنين و المنافقين، و هذا بخلاف جيش الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف، فإنّه جيشٌ خالصٌ من المؤمنين و ليس بينهم منافق. و المهمّ في موضوع بحثنا أنّ أيًّا من الروايات المذكورة لا تدلّ على أنّ وظيفة الشيعة هي المشاركة في هذه الحركات و نصرتها. فهذا النوع من الروايات واردٌ في مقام الإخبار عن الحوادث الّتي تسبق الظهور و ليس واردًا في مقام الحثّ و التحريض على المشاركة في تلك الحركات و الالتحاق بها، بل إنّ أكثر ما يُلحظ منها هو التأكيد أنّه إذا كانت تلك العلامات فلنتوقّع الفرج و لا نخرُج ما لم يخرج الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف. قال الإمام الصادق عليه السلام في هذا الشأن: «فَكُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ وَ الْبِدُوا مَا الْبَدْنَا فَإِذَا تَحَرَّكَ مُتَحَرِّكُنَا فَاسْعَوْا إِلَيْهِ وَ لَوْ حَبْوًا» (الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٢٦٣). نعم، هناك روايةٌ وردت في شأن اليمانيّ قد يعتقد البعض بسببها وجوب نُصرته (الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٢٥٦)، لكن يجب الالتفات إلى أنّ مطلبًا بهذه الأهمّيّة البالغة إذ يُمكن أن يُرخي بظلال تأثيره على المجتمع الشيعيّ بأكمله، إن كان في مقام تحديد وظيفة الشيعة و تعيينها، فكيف يمكن أن يرد ذكره في رواية واحدة فقط منقولة في كتاب واحد، إضافة إلى أنّ راويها شخصٌ من غير الإماميّة؟! هذه الرواية تفرّد بها ابن عقدة الّذي صرّح النجاشيّ و شيخ الطائفة أنّه كان حين وفاته زيديًّا جاروديًّا. و ابن عقدة رواها عن أحمد بن يوسف بن يعقوب الّذي هو عند الشيعة من المجهولين. و لو أنّ الأئمّة عليهم السلام كانوا بصدد بيان ما يجب على الشيعة تجاه اليمانيّ لكانوا ـ جزمًا ـ بيّنوا ذلك بنحوٍ يقع محلًّا لاهتمام أصحابهم و رُواة أخبارهم، و لَكثر نقل ذلك بين شيعتهم حتّى يصبح جزءًا من ثقافتهم، لا أن يبيّنوا ذلك لمخاطَب واحدٍ فقط علاوة على أنّه ليس من الشيعة أساسًا، عندئذٍ من الطبيعيّ و البديهيّ أن لا يأخذ الشيعة بتلك الرواية عنه و لا يتابعوه فيها، و خصوصًا إذا كان الموضوع بهذا المستوى من الأهمّيّة و الحساسيّة. إنّ من يُلاحظ إرشادات الأئمّة عليهم السلام و مدى اهتمام الشيعة بحفظ الآثار و تداولها

الصحيح من عالِمٍ إلى عالم، نسلًا بعد نسلٍ، يجزم بأنّ الوظيفة الشرعيّة لا تخفى عليهم و لا يتوقّف تشخيصها عندهم على روايةٍ واحدة رواها مَن هو ليس منهم أو ليس معروفًا عندهم. هذا مضافًا إلى أنّه لم يرد حتّى في رواية واحدة ذكر أيّ علامةٍ تعيّن شخص اليمانيّ و تُميّزه عن غيره بحيث يستند مُدّعي اليمانيّة إليها و يُثبت بها صحّة دعواه لغيره، و إنّ التمسّك بهذه الرواية يمكن أن يكون منشأً لاستغلال بعض المفسدين و المغرضين و توظيفها لخداع عوامّ الناس، و قد حصل على طول زمان الغَيبة أن ادّعى كثيرٌ من الكذّابين و الضالّين المضلّين مثل هذه الادّعاءات و لا يزال ذلك مستمرًّا. و لو أراد أئمّتنا الأطهار عليهم السلام أن يحدّدوا أو يُعيّنوا تكليفًا للشيعة تجاه اليمانيّ لذكروا علاماتٍ مميّزةً و واضحةً يمكن بواسطتها كشف صحّة دعوى اليمانيّة من زيفها. و بناءً على هذا، فإنّه و إن كان احتمال صدور هذه الرواية عن المعصوم عليه السلام ثبوتًا ليس منتفيًا إلّا أنّها ـ قطعًا ـ لا يمكن أن تكون بالفعل حجّةً شرعيّةً على تعيين التكليف في مثل هذه المسألة المهمّة. بل إنّه بملاحظة الرواية السالف ذكرها و الروايات الأخرى المشابهة لها ـ و هي ليست قليلةً ـ يمكن القول إنّ الأئمّة عليهم السلام لم يرشدوا شيعتهم فقط إلى عدم لزوم التبعيّة لأيّ من حركات الخروج الواقعة قبل الظهور، بل صريح كلام الإمام عليه السلام المتقدّم هو تعيُّن ملازمة البيوت قبل خروج الإمام الحجّة نفسه عجّل الله تعالى فرجه، و الحذر من الالتحاق بالحركات الّتي تخرج قبل ظهور حضرته عجّل الله تعالى فرجه. و في الحقيقة، إنّ هذه الرواية نفسها بيّنت بكلّ وضوح تكليف الشيعة في زمان الغَيبة، و أتمّت الحجّة عليهم بالنسبة إلى الفتن الّتي تقع قبل الظهور المبارك. (طبعًا هذا المطلب مطروحٌ بخصوص حركات الخروج و ليس الكلام في حالات الدفاع الواجب كالدفاع عن النفس و أمثاله، الّذي صُرّح به في الروايات. و إنّ الجهاد الدفاعيّ، بناءً على الرأي المشهور للعلماء ـ على خلاف الجهاد الابتدائيّ ـ يمكن أن يكون جائزًا أو حتّى واجبًا. و كان الشيعة منذ بداءة زمن الغيبة يستفتون الفقهاء العظام عن تكليفهم الشرعيّ في هذا المجال، سواء أنفيًا كان أم إثباتًا، من دون البحث عن عناوين من أمثال اليمانيّ أو الخراسانيّ. فشتّان بين حركات الخروج و بين حالات الدفاع في عصر الغيبة، و هذا أمرٌ جليٌّ لا يخفى على أولي الألباب).

و من الممكن أن يخطر على بال أحدٍ أنّه كيف يمكن أن يكون مثل الخراسانيّ و اليمانيّ من الصلحاء و المؤمنين، و حتّى إنّ حركتيهما تقع مقارنًا للظهور المبارك، ثمّ لا يرد في الروايات أمرٌ أو حثٌّ على المشاركة فيها و المواكبة لها؟ لكنّ التدبّر في الروايات و التحقيق في التاريخ يؤدّيان إلى النتيجة التالية: لم يكن بناء الأئمّة عليهم السلام على أنّه كلّما خرج إنسانٌ صالحٌ و بنيّةٍ صادقةٍ أن يأمروا شيعتهم بالمشاركة في حركته أو يشجّعوهم على ذلك. و هذا الإمام الباقر عليه السلام يقول حول خروج أهل المشرق: «كَأَنِّي بِقَوْمٍ قَدْ خَرَجُوا بِالْمَشْرِقِ يَطْلُبُونَ الْحَقَّ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، ثُمَّ يَطْلُبُونَهُ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَإِذَا رَأَوْا ذَلِكَ وَضَعُوا سُيُوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوهُ فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَقُومُوا وَ لَا يَدْفَعُونَهَا إِلَّا إِلَى صَاحِبِكُمْ، قَتْلَاهُمْ شُهَدَاءُ، أَمَا إِنِّي لَوْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ لَاسْتَبْقَيْتُ نَفْسِي لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ» (الغَيبة (للنعمانيّ)، ص ٢٧٣)، هذه الرواية تُبرز المطلب الآنف الذكر بوضوح، بل تزيد عليه أنّ هؤلاء و لِما هم عليه من صدق النيّة فإنّ قتلاهم من الشهداء عند الله تعالى، و مع ذلك فإنّ الإمام عليه السلام يصرّح بأنّه لو أدرك ذلك لاستبقى نفسه الشريفة إلى خروج الإمام المهديّ نفسه عجّل الله تعالى فرجه. فأفهم الراوي بذلك أنّ هؤلاء و إن كانوا ينالون شرف الشهادة إلّا أنّ الأصحّ و الأفضل الّذي يُرغّب الإمام عليه السلام فيه هو الخروج مع الإمام الحجّة نفسه عجّل الله تعالى فرجه لا مع أحدٍ آخر ممّن يخرج قبله. و لهذا يقول الإمام الصادق عليه السلام لسدير بعدما أمره بالتزام بيته ـ كنايةً عن عدم المشاركة في الحركات و الخروجات الواقعة قبل الظهور ـ إنّه إذا خرج السفيانيّ ـ الّذي خروجه من علامات الظهور ـ فعليك أن تأتي إلينا، و بدلًا من أن يشجّعه و يدفعه إلى

منيعًا أمام إضلاله و إغوائه، و أوضح السبيل أيضًا للآخرين، فافهم إن كنت من أهله.

و الجدير بالذكر أنّ ادّعاء النيابة و السفارة و أمثالهما كذبًا و افتراءً ليس بالأمر الجديد، بل منذ بداءة الغيبة الصغرى كان هذا الأمر موجودًا، إلى حدٍّ أنّ توقيعات متعدّدة خرجت من ناحية الإمام الحجة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في لعن أمثال هؤلاء الأشخاص و البراءة منهم. و أحد التوقيعات المعروفة في هذا المجال ـ الّذي صدر في زمن النائب الثالث حيث حصلت ذروة الادّعاءات الوهميّة ـ كان في حق شخص كذّاب معروف بالشلمغانيّ، و ذكر فيه أسماء عدد من هؤلاء المدّعين بعبارات شديدة اللحن:

«اعْرِفْ أَطَالَ اللّٰهُ بَقَاءَكَ وَ عَرَّفَكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَ خَتَمَ بِهِ عَمَلَكَ مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ وَ تَسْكُنُ إِلَى نِيَّتِهِ مِنْ إِخْوَانِنَا أَدَامَ اللّٰهُ سَعَادَتَهُمْ بِأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفَ بِالشَّلْمَغَانِيِّ عَجَّلَ اللّٰهُ لَهُ النَّقِمَةَ وَ لَا أَمْهَلَهُ قَدِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَ فَارَقَهُ وَ أَلْحَدَ فِي دِينِ اللّٰهِ وَ ادَّعَى مَا كَفَرَ مَعَهُ بِالْخَالِقِ جَلَّ وَ تَعَالَى وَ افْتَرَى كَذِبًا وَ زُورًا وَ قَالَ بُهْتَانًا وَ إِثْمًا عَظِيمًا كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِاللّٰهِ وَ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا وَ خَسِرُوا خُسْرَانًا مُبِينًا وَ إِنَّا بَرِئْنَا إِلَى اللّٰهِ تَعَالَى وَ إِلَى رَسُولِهِ وَ آلِهِ صَلَوَاتُ اللّٰهِ وَ سَلَامُهُ وَ رَحْمَتُهُ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ وَ لَعَنَّاهُ عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللّٰهِ تَتْرَى فِي الظَّاهِرِ مِنَّا وَ الْبَاطِنِ فِي السِّرِّ وَ الْجَهْرِ وَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَ عَلَى مَنْ شَايَعَهُ وَ تَابَعَهُ وَ بَلَغَهُ هَذَا الْقَوْلُ مِنَّا فَأَقَامَ عَلَى تَوَلِّيهِ بَعْدَهُ وَ أَعْلِمْهُمْ تَوَلَّاكُمُ اللّٰهُ أَنَّنَا فِي التَّوَقِّي وَ الْمُحَاذَرَةِ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِمَّنْ تَقَدَّمَهُ مِنْ نُظَرَائِهِ مِنَ الشَّرِيعِيِّ وَ النُّمَيْرِيِّ وَ الْهِلَالِيِّ وَ الْبِلَالِيِّ وَ غَيْرِهِمْ وَ عَادَةُ اللّٰهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَعَ

المشاركة في حركات ذلك الزمان يأمره بقوله: «وَ اسْكُنْ مَا سَكَنَ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ، فَإِذَا بَلَغَكَ أَنَّ السفياني قَدْ خَرَجَ فَارْحَلْ إِلَيْنَا وَ لَوْ عَلَى رِجْلِك» (الكافي، ج٨، ص٢٦٥). إنّ الإمام عليه السلام بهذه العبارة اقتصر على الدعوة إلى الخروج مع الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه و ضمّن بيانه نُكتة مهمّة حين ابتدأ كلامه بالتصريح بالأمر بالتزام البيوت و ترك الخروج مع الخارجين، ثمّ لمّا افترض أنّ الوقت حان لخروج الحقّ المطلق أمر بالخروج معه، حتّى إنّه عليه السلام استعمل ما يدلّ على غاية التشويق و الترغيب في ذلك حين قال: «فَارْحَلْ إِلَيْنَا وَ لَوْ عَلَى رِجْلِك!».

و من اللازم ذكره هنا أنّ المقصود من عدم وجود وظيفة و تكليف خاصّ للشيعة إزاء الخراسانيّ و اليمانيّ و أمثالهما هو كون هذه المسألة ليست موضوعًا بعنوانها الأوّليّ لأيّ حكم شرعيّ. و لكن من البديهيّ أنّ هناك واجبات من قبيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و نحوهما لها شرائطها و لها أحكامها الخاصّة يستطيع من حصل على العلم الكافي أن يُشخّص مصداق مثل هذه العناوين في الخارج في كلّ زمان، و هذا موضوعٌ مستقلّ و مختلفٌ تمامًا عن قضيّة الحركات و الخروجات الّتي تقع قبل الظهور و المشاركة فيها.

ذَلِكَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ عِنْدَنَا جَمِيلَةٌ وَبِهِ نَثِقُ وَإِيَّاهُ نَسْتَعِينُ وَهُوَ حَسْبُنَا فِي كُلِّ أُمُورِنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»[١].

و مع علم الإمام المهديّ ﷻ بأنّه سيأتي بعد وفاة النائب الرابع من يدّعي النيابة الخاصة و السفارة، فقد كتب في آخر توقيع إلى نائبه الرابع مؤكّدًا:

«يَا عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ السَّمُرِيَّ أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَ إِخْوَانِكَ فِيكَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سِتَّةِ أَيَّامٍ فَاجْمَعْ أَمْرَكَ وَلَا تُوصِ إِلَى أَحَدٍ فَيَقُومَ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ فَقَدْ وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ التَّامَّةُ فَلَا ظُهُورَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ وَذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الْأَمَدِ وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ وَامْتِلَاءِ الْأَرْضِ جَوْرًا وَسَيَأْتِي إِلَى شِيعَتِي مَنْ يَدَّعِي الْمُشَاهَدَةَ، أَلَا فَمَنِ ادَّعَى الْمُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السُّفْيَانِيِّ وَالصَّيْحَةِ فَهُوَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»[٢].

و من البديهي أنّ ما صدر عن الإمام ﷻ من لعنٍ، لا ينحصر فقط في المدّعين الكاذبين الّذين كانوا في زمن الغيبة الصغرى، بل إنّ كلّ شخص يدّعي النيابة الخاصّة و السفارة عن الإمام ﷻ إلى وقت الظهور الشريف، فهو مشمول بهذا اللعن الشديد و الغليظ، و حتمًا سوف تصيبه نقمة الله تعالى و تأخذ به. و على كلّ حال، فإنّ التكليف الأساس من وجهة نظر آية الله الشيخ البهجة ﵀ إزاء مدّعي البابيّة و الوساطة ـ الّذين تزداد أعدادهم يومًا بعد يومٍ في جميع بلاد الإسلام ـ هو تكذيبهم كما أُمر بذلك في صريح الرواية. و أمّا التكليف إزاء من يقولون إنّهم تشرّفوا باللقاء أو كانت لهم مكاشفةٌ، فهو التزام طريق اليقين الّذي من جملة أسبابه مشاهدة آثار الصدق في قول المدّعي و فعله[٣].

---

(١) بحار الأنوار، ج٥١، ص٣٨٠.

(٢) الاحتجاج، ج٢، ص٤٧٨.

(٣) لا يخفى أنّ اليقين ليس أمرًا سهل الحصول، و كثيرٌ من الأشخاص يحسبون أنفسهم على يقين لمجرّد حصول أدنى الظنّ لديهم دون أن يكونوا قد وصلوا حتّى إلى حدّ الاطمئنان. و بما أنّ هناك أشخاصًا ـ و خصوصًا في آخر الزمان ـ يعدّون أنفسهم من أهل الارتباط بالإمام ﷻ و يدّعون ادّعاءاتٍ كاذبة، ثمّ يكون من سائر الناس من يتّبعون هؤلاء عن عمى و من غير يقينٍ و بدون الوقوف على موازين الشرع و مضامين أحاديث أهل البيت ﵈، فيُضحّون بدنياهم بل بما هو أعلى منها أي دينهم، على مذبح الجهل و ترك الالتزام باليقينيّات، فمن أجل هذا و ذاك كان سماحة آية الله الشيخ البهجة ﵀ ـ و من منطلق العارف بهذه الدسائس الشيطانيّة ـ كلّما سُئل عن التكليف في مواطن الشبهة أجاب بالتأكيد على مُلازمة اليقين.

** ب) التشرّفات الحُكميّة

تقدّمت الإشارة إلى أنّ التشرّف لا ينحصر في الحقيقيّ، بل يشمل الحُكميّ أيضًا، و المؤمن المُشتاق يسعى سَعيه الوافر و يبذل جهده البالغ من أجل تحقيق نوعَي التشرّفات معًا. و التشرّف الحكميّ هو مفهومٌ مُستقى من أحاديث أهل البيت عليهم السلام، و يُقصد به الإتيان بأعمالٍ لها قيمة التشرّف الحقيقيّ و آثاره و بركاته. فعلى ما جاء في الروايات فإنّ زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله هي بمنزلة زيارة الله تعالى[1]، و إنّ زيارته صلى الله عليه وآله بعد وفاته كزيارته في حياته[2]، و زيارة أمير المؤمنين كزيارة النبيّ صلى الله عليه وآله[3]. كما أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء هي بمنزلة زيارة الله تعالى في عرشه[4] و أنّ حجّ بيت الله الحرام عشرين مرّة يعادل زيارة سيّد الشهداء عليه السلام[5]. و كذلك أنّ من مات و هو ثابتٌ على أمر أهل البيت عليهم السلام و مُنتظرٌ للفرج فهو كمن كان مع القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف في فسطاطه و قاتل معه و استشهد بين يديه.[6]

لو أردنا الحكم على وفق ظواهر الأمور فإنّ من يزور النبيّ صلى الله عليه وآله بعد وفاته فهو إنّما يزور الضريح المبارك و القبر الشريف، إلّا أنّ الله تعالى قد جعل لمن يمتثل أمره بفعل هذه الزيارة الآثار الحقيقيّة لزيارة النبيّ صلى الله عليه وآله، و لذا يكون مثل هذا الزائر في واقع الأمر كأنّه زار شخص النبيّ صلى الله عليه وآله في حياته و يترتّب على زيارته القبر الشريف مثل ما يترتّب على زيارة النبيّ

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي أَوْ بَعْدَ مَوْتِي فَقَدْ زَارَ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ»؛ التوحيد (للصدوق)، ص٤٦٠.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فَمَنْ زَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي»؛ بشارة المصطفى، ص١٣٩. و كذلك قال صلى الله عليه وآله: «مَنْ زَارَ قَبْرِي بَعْدَ مَوْتِي كَانَ كَمَنْ هَاجَرَ إِلَيَّ فِي حَيَاتِي»؛ كامل الزيارات، ص١٤.

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ زَارَ عَلِيًّا فَقَدْ زَارَنِي، وَ مَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَ مَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، أَبْلِغْ قَوْمَكَ هَذَا عَنِّي، وَ مَنْ أَتَاهُ زَائِرًا فَقَدْ أَتَانِي وَ أَنَا الْمُجَازِي لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ جَبْرَئِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»؛ بحار الأنوار، ج٩٧، ص٢٦٣.

(٤) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَنْ زَارَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ يَوْمَ عَاشُورَاءَ عَارِفًا بِحَقِّهِ كَانَ كَمَنْ زَارَ اللَّهَ فِي عَرْشِهِ»؛ كامل الزيارات، ص١٧٤. و في خبرٍ آخر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لابن عبّاس: «مَنْ زَارَهُ عَارِفًا بِحَقِّهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثَوَابَ أَلْفِ حجّة وَ أَلْفِ عُمْرَةٍ، أَلَا وَ مَنْ زَارَهُ فَقَدْ زَارَنِي وَ مَنْ زَارَنِي فَكَأَنَّمَا زَارَ اللَّهَ، وَ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُ بِالنَّارِ»؛ وسائل الشيعة، ج١٠، ص٣٥٢.

(٥) عن شهاب عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «سَأَلَنِي فَقَالَ: يَا شِهَابُ كَمْ حَجَجْتَ مِنْ حِجَّةٍ؟ فَقُلْتُ تِسْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً. فَقَالَ لِي: تَمِّمْهَا عِشْرِينَ حجّة تُحْسَبُ لَكَ بِزِيَارَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام»؛ مستدرك الوسائل، ج١٠، ص٢٧٤.

(٦) قال أبو عبد الله عليه السلام: «مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى أَمْرِنَا هَذَا فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ ضَرَبَ فُسْطَاطَهُ إِلَى رِوَاقِ الْقَائِمِ عليه السلام، بَلْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَضْرِبُ مَعَهُ بِسَيْفِهِ، بَلْ بِمَنْزِلَةِ مَنِ اسْتُشْهِدَ مَعَهُ، بَلْ بِمَنْزِلَةِ مَنِ اسْتُشْهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله»؛ المحاسن، ج١، ص١٧٣.

قال جدّ السنديّ: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا تَقُولُ فِيمَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مُنْتَظِرًا لَهُ؟ قَالَ: هُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ كَانَ مَعَ الْقَائِمِ فِي فُسْطَاطِهِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيْئَةً ثُمَّ قَالَ: هُوَ كَمَنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله»؛ المحاسن، ج١، ص١٧٣.

نفسه ﷺ من الآثار و البركات. و التشرّف بلقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف غير مُستثنى من هذه القاعدة، و هناك أعمالٌ و أفعالٌ لها آثار لقائه عليه السلام حقيقةً. و من أهمّ آثار اللقاء الحقيقيّ حفظ إيمان الزائر و ثباته و رسوخه، و كذلك ارتقاء إيمان الزائر و ارتقاء منزلته في مدارج القرب الإلهيّ.

أحد الأمور الّتي كان الشيخ المعظّم رحمه الله يؤكّدها هو ما لعبادة الله تعالى و التوسّل بأهل البيت عليهم السلام في زمان الغَيبة من منزلة، إذ قد تكون أحيانًا بمنزلة التشرّف بمحضر بقيّة الله الأعظم عجّل الله تعالى فرجه الشريف من حيث الآثار و البركات، و قد يكون تحرّي الإنسان لها في بعض الأحيان أنفع له من تحرّي التشرّف الحقيقيّ و تعقّبه. و ذلك لأنّ التشرّف الحُكميّ قد يكون ـ إجمالًا ـ سببًا من أسباب التوفيق إلى التشرّف الحقيقيّ و من مقدّماته، أو أنّه يؤدّي إلى ازدياد معرفة الإنسان بحيث يكون التشرّف الحقيقيّ أنفع له عند حصوله. بالإضافة إلى أنّ بعض من يؤدّي أعمالًا بقصد التشرّف بلقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف ثمّ لا يجد لها آثارًا ملموسة قد يُصيبه من ذلك تزلزلٌ في إيمانه و ضعفٌ في اعتقاده، و كان حريًّا بمثله أن لا يدخل هذا المدخل من أوّل الأمر فيبقى ثابتًا على إيمانه، فإنّ هذا أنفع له و أرضى للحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و كذلك لا بدّ من الالتفات إلى أنّه قد كان عبر التاريخ أشخاصٌ كُثُر كانوا في محضر أشرف المخلوقات و لم يزدهم ذلك الحضور إلّا شقاء، سواء أمثال أبي جهل ممّن عاصروا رسول الله ﷺ أم أمثال الشمر ممّن عاصروا سيّد الشهداء عليه السلام، لكنّهم ما ازدادوا إلّا خسارةً بمحاربتهم الإمام المعصوم. فكما أنّ القرآن فيه شفاء للمؤمنين و في الوقت نفسه لا يزيد الظالمين إلّا خسارًا، كذلك الإمام عليه السلام الّذي هو عدل القرآن و نظيره، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[1]. و من هنا فإنّ سماحة آية الله الشيخ البهجة رحمه الله مع كونه من ألهف المتلهّفين إلى التشرّف الحقيقيّ بلقاء الإمام عليه السلام و من أكبر المُشوّقين إليه، إذ تكاد آه الشوق لا تفارق شفتيه، و في بعض الأحيان كان يُطلق كلمات مختصرة تقلّب القلوب فتجعلها عَطشى لزيارة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو تزيد في عطشها أضعافًا مضاعفة. و ما أكثر ما كان يشجّع الآخرين و يرغّبهم في السعي إلى لقاء الإمام عليه السلام و تحصيل الفرج الشخصيّ لأنفسهم. و مع ذلك كلّه فإنّه في موارد خاصّةٍ كان يراعي ما تقدّم ذكره، فيقول مخاطبًا البعض بما يتناسب مع حالاتهم:

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٢.

«لا يلزم أن يكون الإنسان متعقّبًا للتشرّف بمحضر وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف [فقط]، بل لعلّ إقامة صلاة ركعتين ثمّ التوسّل بعدها بالأئمّة عليهم السلام أفضل من التشرّف [بالحضور]؛ و ذلك لأنّنا أينما كنّا فالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرانا و يسمعنا، و العبادة في زمان الغَيبة أفضل من العبادة في زمان الحضور».

و على هذا، فمن الممكن أن تكون صلاة ركعتين يردفها العبد بالتوسّل بأهل البيت عليهم السلام أنفع له و هو أحوج إليها. ذلك لأنّ الإنسان إذا توسّل بالإمام عليه السلام عارفًا بمقامه و متيقّنًا بإغاثته له، توسُّل من يراه عيانًا مع أنّه عليه السلام غائبٌ عن العين، فإنّ الله تعالى يُقدّر له مراتب الإيمان العالية و خير الدارين الأولى و الآخرة. كما أنّ هناك روايةً وردت بكون العبادة في زمان الغَيبة أفضل من العبادة في زمان الحضور[1]. و أعظم من ذلك مخاطبة رسول الله صلّى الله عليه و آله أهل زمان الغَيبة بعنوان إخوانه و سؤاله الله تعالى أن يلقاهم، أولئك الّذين آمنوا به صلّى الله عليه و آله من دون أن يروه، و ثبتوا على إيمانهم، على ما جاء في الرواية المنقولة عن أبي جعفر عليه السلام: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ذَاتَ يَوْمٍ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: اللَّهُمَّ لَقِّنِي إِخْوَانِي مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ مَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: أَمَا نَحْنُ إِخْوَانُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: لَا إِنَّكُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانِي قَوْمٌ مِنْ آخِرِ الزَّمَانِ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي، لَقَدْ عَرَّفَنِيهِمُ اللَّهُ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ أَصْلَابِ آبَائِهِمْ وَأَرْحَامِ أُمَّهَاتِهِمْ، لَأَحَدُهُمْ أَشَدُّ بَقِيَّةً عَلَى دِينِهِ مِنْ خَرْطِ الْقَتَادِ[2] فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ أَوْ كَالْقَابِضِ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الدُّجَى يُنْجِيهِمُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ»[3].

و على هذا، فإنّ معرفة الإمام عليه السلام هي أفضل من مجرّد رؤيته من دون معرفة، أو مع معرفةٍ ناقصة. و يكفي في بيان منزلة معرفة الإمام ما رواه الفضيل بن يسار قال: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ فَقَالَ:

---

(١) ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «يَا عَمَّارُ، الصَّدَقَةُ فِي السِّرِّ وَاللَّهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ فِي الْعَلَانِيَةِ، وَكَذَلِكَ وَاللَّهِ عِبَادَتُكُمْ فِي السِّرِّ مَعَ إِمَامِكُمُ الْمُسْتَتِرِ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ وَتَخَوُّفُكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ وَحَالِ الْهُدْنَةِ أَفْضَلُ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ذِكْرُهُ فِي ظُهُورِ الْحَقِّ مَعَ إِمَامِ الْحَقِّ الظَّاهِرِ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ، وَلَيْسَتِ الْعِبَادَةُ مَعَ الْخَوْفِ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ مِثْلَ الْعِبَادَةِ وَالْأَمْنِ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ»؛ الكافي، ج١، ص٣٣٤.

(٢) إشارة إلى المثل المشهور: «دونه خرط القتاد»؛ و هذا المثل يُضرب للدلالة على استحالة حصول شيءٍ ما أو صعوبته. و القتاد: شجرٌ صلب له أشواك مثل الإبر. و الخرط: نزع قشر الشجر أو أغصانه الرفيعة، أو أوراق الأغصان جذبًا بالكفّ.

(٣) بصائر الدرجات، ج١، ص٨٤.

يَا فُضَيْلُ اِعْرِفْ إِمَامَكَ فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ إِمَامَكَ لَمْ يَضُرَّكَ تَقَدَّمَ هَذَا الْأَمْرُ أَوْ تَأَخَّرَ، وَ مَنْ عَرَفَ إِمَامَهُ ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ كَانَ قَاعِدًا فِي عَسْكَرِهِ لَا بَلْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَعَدَ تَحْتَ لِوَائِهِ»[1]. و علامة من يعرف الإمام عليه السلام و المقامات الخاصّة به أنّه يراه في كلّ مكانٍ و على كلّ حالٍ حاضرًا معه و ناظرًا إليه، و يُطابق أعماله مع دفتر حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف كأنّه جالسٌ معه في فسطاطه و الإمام عليه السلام مُطّلع على جميع أعماله و أفكاره. و قد قال آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه:

«إنّ النظر إلى طلعة الإمام الصاحب عجّل الله تعالى فرجه الشريف المباركة أمرٌ حسنٌ و ذو فضلٍ، لكن نعلم أنّ جماعةً كانوا في زمن حضور النبيّ صلّى الله عليه وآله أو الأئمّة عليهم السلام و نظروا إلى جمالهم و حُسنهم، و لكن لم تكن لهم معرفةٌ بمقامهم و لم يكونوا يطيعونهم! و على هذا فمن المقطوع به أنّ معرفتهم و اليقين بمقاماتهم و عظمتها و جلالتها هما أفضل من النظر إلى جمالهم الظاهريّ».

***١. زيارة المشاهد المشرّفة

و من الأعمال الّتي كان آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه يعتقد أنّها تعدل زيارة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كان نفسه قدّس سرّه مواظبًا عليها و يوصي الآخرين بها، هي زيارة مشاهد الأئمّة الأطهار عليهم السلام المشرّفة، بأن يكون لدى المؤمن، بالإضافة إلى نيّة زيارة الإمام الّذي توجّه إليه في مقامه المقدّس، نيّة زيارة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا. و كان قدّس سرّه يعتقد بأنّ زيارة أيّ واحدٍ من الأئمّة المعصومين عليهم السلام هي بحكم زيارة الإمام الحجّة عليه السلام و سائر المعصومين عليهم السلام أيضًا. و لذا كان يقول في هذا الشأن:

«من أراد تخفيف حدّة الظمأ و العطش إلى لقائهم في نفسه، فإنّ المشاهد المشرّفة بمنزلة لقائهم و لقاء الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فهُم في كلّ مكان حاضرون و ناظرون [و مشرِفون]، و كلّما توجّه الإنسان إلى أحدهم، يكون كمن توجّه إلى جميعهم و زارهم جميعًا و التقى بهم».

---

(١) الكافي، ج١، ص٣٧١.

***٢. النظر إلى آيات القرآن الكريم

و من جملة طرق تحصيل التشرّف الحُكميّ بمحضر إمام العصر عليه السلام و تسكين حالة التعطّش إلى رؤيته، الّتي كان آية الله الشيخ البهجة رحمه الله ملتزمًا بها و مواظبًا عليها و ينصح الآخرين بها هي النظر في المصحف الشريف، الّذي هو بمقتضى حديث الثقلَين عِدل الإمام عليه السلام و شريكه. و كان الراحل المعظّم قدس سره استنادًا إلى ما جاء عن المعصومين عليهم السلام يؤكّد أنّ القرآن و العترة عليهم السلام لا يمكن أن يفترق أحدهما عن الآخر أبدًا، و أنّ كلّ واحدٍ منهما هو مرآة الآخر. و له قدس سره في هذا المجال كلمة قليلٌ في حقّها إن كُتبت بماء الذهب، تدلّ على عمق فهمه لحديث الثقلين المتواتر، و لجوهر حقيقة القرآن و الإمام الحجّة عليه السلام، ألا و هي:

«يجب أن نجعل هذا الحاضر مرآة الغائب!».

و بعبارةٍ توضيحيّة: يجب أن نجعل هذا الثقل الحاضر بيننا الّذي هو القرآن الكريم مرآةً يُرى فيها الجمال الربوبيّ للثقل الغائب أي الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف.[1] فهنيئًا لمن كان أهلًا لحمل هذا المعنى و العمل به.

كما أنّه يقول في هذا المجال أيضًا:

«النَّظَرُ في الْمُصْحَفِ عِبَادَةٌ»[2]، المصحف عِدل الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف و النظر في المصحف نظرٌ إلى إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، هو عِدل النظر إلى إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف».

***٣. الأنس بروايات أهل البيت عليهم السلام

و من الأمور الّتي تظهر في السيرة القوليّة و الفعليّة للشيخ المقدّس البهجة قدس سره و الّتي كان ملتزمًا بها مع اعتقاد قلبيّ راسخ و يعدّها بمنزلة الحضور في محضر أهل البيت عليهم السلام و لا

(١) من اللازم ذكره هنا أنّ سماحة الشيخ قدس سره كان يؤكّد أنّ من يريد فهم شيءٍ من القرآن و ينال الآثار الخاصّة بتلاوته فإنّه ينبغي له أن يتلوه عن تدبّرٍ مع مراعاة الآداب و الشروط الخاصّة المذكورة في الروايات، كأن يقرأ مع حضور قلبٍ و من غير كسلٍ، مع رعاية الأدب و الانتباه إلى أنّ الخالق تعالى يكلّمه و أمثال هذه الأمور، و إلّا فإنّ من لا يعتقد بالفرق بين القرآن و غيره من كتب الأدب و الشعر فإنّه يُحرَم قطعًا تلك الآثار الخاصّة، بخلاف من يقرأ القرآن عن إيمانٍ و اعتقاد مراعيًا آداب التلاوة، فإنّ تلاوة مثله توجب ترقّيه شيئًا فشيئًا في المقام حتّى يصبح القرآن بالنسبة إليه مرآة إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، و بتعبير آية الله الشيخ البهجة قدس سره فإنّه «يسمع القرآن من مصدره الأصليّ!».

(٢) كشف الغمّة، ج٢، ص٢٦٨.

سيّما الإمام المهديّ عجّل الله تعالی فرجه الشريف، هي مطالعة الكتب الروائيّة المعتبرة و الأنس بأحاديث أهل البيت عليهم السلام الشريفة، و لا سيّما «**نهج البلاغة**» و «**الصحيفة السجاديّة**»، لأنّ كلام الإمام المهديّ عليه السلام و سيرته هما عين كلام آبائه عليهم السلام و سيرتهم، و إنّ ذلك حسب تعبيره قدّس سرّه هو بمنزلة جلوس الإنسان عند أعتاب منبرهم عليهم السلام و الاستماع إليهم. فكان سماحته قدّس سرّه عندما يأتيه أشخاصٌ من المتلهّفين و المتشوّقين إلى التشرّف بمحضر صاحب الزمان عجّل الله تعالی فرجه الشريف و يطلبون إليه برنامجًا عمليًّا للوصول إلى هذا الأمر، يقول لهم بتعجُّبٍ شديد:

«لماذا لا ترجعون إلى نفس هذه الكتب الروائيّة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام؟ فهل كلمات إمام العصر عجّل الله تعالی فرجه الشريف غير كلمات آبائه عليهم السلام؟ و هل إذا رأيتم الإمام عليه السلام سيقول لكم كلامًا غير ما قاله أجداده عليهم السلام؟».

فكان قدّس سرّه يقول إنّ من يتناول كتب الأحاديث و الروايات، و بالخصوص كتاب نهج البلاغة الّذي يُعدّ منبر أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك كتاب الكافي[1]، و يطالع ما فيها من كلمات أهل البيت عليهم السلام، فهو كمن فاز بالتشرّف بمحضر إمام الزمان عجّل الله تعالی فرجه الشريف. وكان يقول: «كثيرًا ما يحصل أن يأتوا إلينا و يقولوا نريد أن نزور الإمام الحجّة عجّل الله تعالی فرجه الشريف، فماذا نفعل؟ أيّ عمل نؤدّي؟ و أمثال هذه الأمور». ثمّ أنّه يقول لهم:

«أأنتَ صادقٌ حقًّا؟ تريد أن تتشرّف إلى محضره عليه السلام؟! شوقك بلغ إلى هذا الحدّ؟ الأمر غير صعب! اذهب إلى المنزل و افتح [كتاب] «الكافي» و ضعه في حجرك، تكن في محضر الإمام [الحجّة عجّل الله تعالی فرجه الشريف]! كيف؟ ألستَ إذا لقيته إنّما تريد أن يتحدّث هو عجّل الله تعالی فرجه الشريف إليك؟ و هل هو يتكلّم بكلامٍ غير ما قاله آباؤه عليهم السلام؟ «الكافي» كلام آبائه عليهم السلام. إذا أردت أن يتحدّث إليك فافتح [كتاب] «الكافي». إذا أردتم أن تتشرّفوا إلى محضره فافتحوا [كتاب] «الكافي» [و اشرعوا في مطالعته]»[2].

---

(١) «الكافي» هو مصدرٌ من مصادر الحديث، و هو أهمّ كتب الحديث الأربعة و أقواها اعتبارًا. كتبه محمّد بن يعقوب بن إسحاق المشهور بثقة الإسلام «الكُلينيّ»، و استغرق جَمْعُهُ عشرين سنة. و هو على ثلاثة أقسام: «الأصول» و «الفروع» و «الروضة». و يعدّ قسم «الأصول» أشهر هذه الأقسام.

(٢) لا بأس هنا أن نطرح على أنفسنا سؤالًا حتّى نعلم قدر النعمة الّتي بين أيدينا، و هو: لو كان رسول الله صلّى الله عليه و آله حاضرًا اليوم بيننا، فماذا كنّا نفعل؟ أمَا كنّا نغاديه و نراوحه؟ و كذا لو كان أمير المؤمنين عليه السلام موجودًا، فكيف سيكون حالنا؟ أمَا كنّا لا نترك باب داره و نلزمه صباحًا و مساءً؟ بل لنفترض أعظم من ذلك، أنّ الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام كلّهم حاضرون

الآن بعد أن أغدق الله تعالى علينا نِعَمه و أفاض علينا كلّ هذا النّور، بما استقى الشيخ المعظّم من روايات أهل البيت من طرقٍ متعدّدة و وضعها بين أيدينا، يمكننا من خلالها الارتقاء إلى مقام من نال شرف الحضور عند الإمام الحجّة لِيُصبح حصول هذا النوع من التشرّف ميسورًا لكلّ أحد. فهل يُعقل بعد ذلك أن يلتزم الإنسان بكلّ هذه الأعمال الّتي لها ثواب التشرّف باللقاء و حُكمه، ثمّ لا يكون ذلك سببًا ـ و لو تدريجًا ـ إلى التوفيق للتشرّف الحقيقيّ؟ و كما قال آية الله الشيخ البهجة: «هل آثار هذه الأعمال الخفيفة [و اليسيرة] ـ لكن القيّمة محتواها و الموجبة لزيادة المعرفة ـ أقلّ من آثار بعض الأذكار و الأعمال المنقولة لغرض تحصيل التشرّف إلى محضر إمام الزمان !؟».

و الأهمّ من ذلك كلّه أنّنا نعلم أنّ سماحة الشيخ المقدّس قد عمل على طيّ هذه الطرق نفسها و كان ملتزمًا بمثل هذه الأعمال المذكورة، فمنَّ الله تعالى عليه بذلك المقام العالي من القرب و تلك اللقاءات الحقيقيّة بالإمام الحجّة. و هذا نفسه تتمّ به الحجّة على الجميع أنّه بالالتزام بهذه الطرق الميسورة لكلّ أحدٍ يُرجى تحصيل اللياقة و الاستعداد للتشرّف الحقيقيّ أيضًا. و كان سماحته يصرّح أنّه إذا كان الإنسان ملتزمًا بالرجوع إلى القرآن و الكتب الرّوائيّة و مطالعتها، فإنّه يحظى بالتكلّم مع الأئمّة الأطهار و مصاحبتهم، و حتّى رؤيتهم أيضًا:

> «نعم، الحرمان الناشئ من عدم درك المعصوم و عدم حضوره كبير، لكنّي أظنّ أنّ من يقوم بوظيفة الرجوع إلى الكتاب و السُّنّة الشريفة ـ و لو مع المشقّة ـ فهذا أمرٌ حسنٌ و يؤدّي إلى وجود حالة التسليم لدى الإنسان، و ربما كان سببًا إلى تحصيل أفكارٍ صحيحةٍ أو حتّى أن ينال صحبة الأئمّة ، لأنّهم «عَينُ الله الناظِرَةُ وَ أُذُنُهُ الْواعِيةُ وَ رَحْمَتُهُ الْواسِعَة»، و الرجوع إلى الكتاب و السُّنّة يؤدّي بالإنسان إلى رؤيتهم ، و إذا لم يحصل أيّ من الأمور المذكورة، فعلى الأقلّ تحصل من ذلك حالة تسليةٍ لقلب الإنسان».

اليوم بيننا، أمّا كان الوضع بالنسبة إلينا كالحديقة الغنّاء، و كنّا في كلّ لحظة واقفين على أبواب دورهم و نزورهم و نتودّد إليهم؟ لكن فلنلتفت هنا أليس الوضع هكذا و نحن غافلون عن ذلك؟ إذ أليست آثارهم تدلّ عليهم؟ أليست الكتب الروائيّة و الأنس بكلماتهم بمنزلة الأنس بهم و كأنّهم يتحدّثون إلينا؟ و هذا مجرّبٌ و ثابتٌ، فإنّ الّذي يأنس برواياتهم و من ثمّ يعمل بها، إلى أيّ مقامات عالية من الحضور سيصل. فعلينا أن نغتنم هذه النعمة الإلهيّة العظيمة الّتي بين أيدينا، أي روايات أهل البيت .

لذا فمن الجدير بالذكر أنّه على الرغم من أنّ سماحته ﷺ لم يكن محرومًا أو ممنوعًا من التشرّف الحقيقيّ بمحضر إمام زمانه ﷺ، إلّا أنّه كان و حتّى آخر أيّام حياته المباركة، شديد الالتزام بهذه اللقاءات الحكميّة و المواظبة عليها، و ذلك لأنّه من خلال الالتزام بجميع ما سبق ذكره من شروط التشرّف بمحضر الإمام المهديّ ﷺ و مقدّماته، و مراقبة تقدّمه و تطوّره فيها، ترقّت تشرّفاته الحكميّة إلى تشرّفاتٍ حقيقيّة. و لولا أنّه نفسه ﷺ قد طوى مثل هذا المسير و تنعّم بتحصيل مثل هذه الآثار ما كان ليرشد غيره إلى ذلك بهذا الحزم. و الأهمّ من ذلك أنّ كلّ هذه التوصيات مأخوذة من مسلّمات الثقلين لا غيرهما، و من تراث المذهب الحقّ، فلا تجد في كلام سماحته حتّى إشارة ليست مستوحاة من القرآن الكريم أو من العترة الطاهرة ﷺ. و هذا ما جعله أصيلًا و هاديًا إلى الصراط المستقيم. فهنيئًا لأصحاب النعم.

* المبحث الثالث: وقت الظهور

يتناول هذا المبحث مطالب مرتبطة بموضوع وقت الظهور و يسلّط الضوء عليه من عدّة زوايا و أبعاد. و ذلك لأنّ المنتظر الحقيقيّ بعد تحقيق الارتباط القلبيّ بإمام زمانه ﷺ و سعيه للتشرّف بحضرته المقدّسة، فإنّه لا ينفكّ مترقّبًا و منتظرًا ليوم ظهور إمامه لينصره و ينال بذلك أعلى درجات الإيمان، لأنّ انتظار الظهور و ترقّب وقته من أفضل العبادات و أحبّها إلى الله تعالى، فعن رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي انْتِظَارُ الْفَرَجِ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَل»[1] و عن أمير المؤمنين ﷺ: «الْمُنْتَظِرُ لِأَمْرِنَا كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ»[2]. و من هنا كان لا بدّ من بيان وظائف المنتظِر و مواقفه من قضيّة وقت الظهور. و بما أنّه يمكن دراسة هذا الموضوع من حيثيّات مختلفة، فسيُتطرّق هنا إلى هذا المبحث من منظار عنوانين رئيسيّين هما «التوقيت» و «التقريب» مع فروعيهما المتعدّدة، لِما لهما من أولويّة حسبما تستلزمه الاقتضاءات الفرديّة و الاجتماعيّة. و المطالب الّتي تُطرح تحت هذين العنوانين لها جانبٌ نظريٌّ مقتبَسٌ من معارف أهل البيت ﷺ يضع فكر الإنسان في إطارٍ ذهنيٍّ مترابط، وكذلك جانبٌ عمليٌّ يُقوّم سلوك الإنسان الاعتقاديّ و العمليّ حول قضيّة وقت الظهور، إذ إنّها من أهمّ اهتمامات المنتظِر الحقيقيّ البتّة. و بعد هذين العنوانين سوف تُعرَض بعض الإشاعات الّتي انتشرت مع ذكر الردّ عليها.

(١) كمال الدين، ج٢، ص٦٤٤.

(٢) كمال الدين، ج٢، ص٦٤٥.

**أ) التوقيت

التوقيت في اللغة بمعنى التعيين، «وقّت» يعني عيّن حدودًا دقيقة لحدوث أمرٍ ما. و عليه، فتوقيت الظهور يعني تعيين وقت دقيق لحدوثه، و لازم تعيين كهذا أن يكون تحقُّق الظهور في الوقت المحدّد المزعوم قطعيًّا و من غير تردّد، مثل القول إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سوف يظهر في يوم كذا و ساعة كذا.

***١. النهي عن التوقيت

لقد نُقلت حول قضيّة النهي عن التوقيت إرشادات جليّة ـ قولًا و عملًا ـ عن أهل البيت عليهم السلام تتضمّن توجيهاتٍ صريحة تبيّن وظيفة الشيعة بوضوح؛ يقول الإمام الصادق عليه السلام عن السيرة العمليّة لأهل البيت عليهم السلام أنفسهم:

«إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ لَا نُوَقِّت»[1].

و في موضع آخر يبيّن وظيفة الشيعة في مواجهة أيّ نحوٍ من التوقيت:

«كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ، و هَلَكَ الْمُسْتَعْجِلُونَ، و نَجَا الْمُسَلِّمُون»[2].

و عليه، و بالالتفات إلى سيرة أهل البيت عليهم السلام الواضحة و أوامرهم الصريحة في هذا الصدد، فإنّ العلماء الأبرار الّذين كانوا سائرين على خطى أهل البيت عليهم السلام و مقتدين بنهجهم و سيرتهم، كانوا يتحرّزون بشدّة عن التوقيت بالمعنى الّذي ذُكر آنفًا، و ما شوهِد في أقوالهم و أفعالهم أنّهم على طول زمان الغيبة لم يكونوا خارج دائرة أهل التوقيت فحسب، بل كانوا يُخطّئون بحزمٍ كلّ فردٍ من العوام تصدر منه كلمات دالّة عليه. و حتّى عندما كانوا ينقلون ـ حسب ما تقتضيه المصلحة ـ أعلى مراتب تقوية رجاء الناس و أملهم بحصول الفرج، فإنّ بياناتهم لم تكن تتجاوز حدّ التبشير بقرب الظهور، و لم يكونوا يعتمدون في مثل هذا الأمر المهمّ على الحدسيّات و الظنّيّات قطّ، و إذا كانت لبعضهم في هذا المجال مكاشفةٌ فإنّهم ما كانوا يفشون أمرها البتّة. كما أنّ أهل البيت عليهم السلام أنفسهم تجنّبوا توقيت زمان الظهور و أجمَلوه في بياناتهم، و لم يروا مصلحةً أو حكمةً في التعيين و التوقيت، بل إنّهم نهوا

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص١١٩.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٢، ص١١٩.

غيرهم أيضًا عن التوقيت و قالوا إنّ الظهور يكون بغتةً و يحدث فجأةً و لم يعيّنوا له زمانًا إلّا ما كانت فيه جملةٌ من العلامات الأساسيّة المتّصلة بزمان ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و هي العلامات الحتميّة[1].

و بناءً على المطالب الّتي ذُكرت يجب الالتفات إلى ثلاث نقاط مهمّة:

• الأولى: بناءً على معارف أهل البيت عليهم السلام ـ الّتي ذُكرت روايتان منها في مطلع البحث ـ و إضافة إلى أنّه لا يحقّ لنا تحديد وقتٍ للظهور، فإذا حدّد شخصٌ وقتًا دقيقًا للظهور ـ سواء كان عن صدق أم كذب ـ فنحن لا وظيفة لنا تجاه الوقت الّذي حدّده و لا ينبغي لنا أن نتبعه.

• الثانية: كما ذُكر سابقًا فكون التوقيت منهيًّا عنه هذا أمر قطعيّ و مسلّم به، لكن يجب على الإنسان، قبل أن يبادر إلى اتّهام الآخر بالتوقيت و على أساسه يقوم بتكذيبه، أن يلتفت إلى المعنى الدقيق للتوقيت المذكور في الروايات و يفقهه، ليرى هل فعلًا يعدّ الكلام المطروح مصداقًا للتوقيت أم لا. فلا يأتي ـ بذريعة «كذب الوقّاتون» بمفسدة ليست بأقلّ من مفسدة التوقيت من الناحية الفرديّة أو الاجتماعيّة.

• الثالثة: بالالتفات إلى سلوك العلماء الأبرار الواضح و البيّن في نفي أيّ نوعٍ من التوقيت، فإذا واجهنا كلمة منقولة عنهم تدلّ في ظاهرها على التوقيت، علينا أن نعلم بأنّ المقصود منها معنى آخر، و لهذا كان آية الله الشيخ البهجة قدس سره بما كان له من بصيرة و شدّة فطنةٍ و كمالِ حكمة، و بما تمتّع به من المعرفة بمنهج العلماء العظام و مراعاتهم الاعتبارات الشرعيّة، قد وقف على عُمق معاني كلماتهم. فما كان من كلامهم ـ و لو حسب فهم العوامّ لظاهره ـ شبيهًا بالتوقيت، حَمَله سماحته قدس سره ـ و هو الحقّ ـ على التبشير بقرب الظهور رعاية للمصلحة العامّة، و بهذا يرى قدس سره أنّ عملهم(قدس الله أسرارهم) كان مطابقًا للأصول و مراعيًا الحكمة. فكان سماحته قدس سره يقول:

«إنّ كلّ من سُئِل عن وقت الظهور أجاب بأنّ ظُهور حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف قريب. طبعًا القُرب معنى ذو سعة، و لذا فإنّ القيامة أيضًا عُدّت قريبة[2]، و كذلك قيل: «كلُّ آتٍ قَريبٌ»[3]،

(١) الّتي منها خروج السفيانيّ.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٦٣.

(٣) عيون الحكم، ص٣٧٦؛ بحار الأنوار، ج١٠٠، ص٢٧.

و لذا إذا كان العلماء قد قالوا «في سنة كذا» فهذا محمولٌ على إرادة المجاز أو التَّورية لمصلحةٍ، و ذلك لأنّ الشيعة [عمومًا] لا طاقة لهم على تحمُّل طول مُدّة الغَيبة!».

***٢. مباني النهي عن التوقيت

كما تبيّن فإنّ النهي عن التوقيت من المعارف الدينيّة المسلّم بها، وبنظرة أعمق إلى هذا المبدأ المهمّ يتبيّن أنّ هناك مبانيَ خاصّة تقع خلف هذا النهي، و سيشار في التكملة إلى بعضها:

- سرّيّة وقت الظهور

لقد شُبّهت مسألة قيام الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بمسألة قيام الساعة في أحاديث متعدّدة، كما أنّ آياتٍ كثيرةً من كتاب الله العزيز ظاهرها يتحدّث عن القيامة و لكن يُراد بها في باطنها ـ حسب تفسير أهل البيت عليهم السلام ـ ظهور الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الوقائع المرتبطة به و اللّاحقة له. و بناءً على هذا، فكما أنّ السؤال عن زمان تحقّق القيامة كان رائجًا في زمان النبيّ صلى الله عليه وآله وكان الله تعالى يُنزل في الجواب عن هذا السؤال آياتٍ بيّناتٍ أمثال: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ و ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾، فكذلك من خصوصيّات ظهور الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أنّه ليس من المقرّر أن يُفشى وقته للناس عامّة. نعم من المُمكن أن يبوح أهل البيت عليهم السلام بهذا السرّ للأوحديّ من حواريّيهم ـ كما باحوا بأسرار أخرى لأهلها ـ لكن من المقطوع به أنّهم عليهم السلام يُحرزون بداءة أنّ الشخص له أهليّة الاطّلاع على السرّ، بمعنى أن يطمئنّوا إلى قدرته على الكتمان ثمّ يُعلّمونه من الأسرار الحقّة. و يكون هؤلاء من أحرص الناس على سرّ أهل البيت عليهم السلام فلا يفشونه أو يذيعونه على الملأ ليدّعوا أنّهم من حملة الأسرار.

- إمكان حصول البَداء في وقت الظهور

من المسائل المهمّة في باب زمان تحقّق ظهور إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّتي يجب على كلّ شيعيّ أن يلتفت إليها هي إمكان تحقُّق «البَداء» في زمان الظهور. و البَداء هو من المعارف القرآنيّة المهمّة الّتي علّمها أهل البيت عليهم السلام شيعتهم و أكّدوها بشدّة، كما أنّه سنّةٌ إلهيّةٌ كان الأنبياء عليهم السلام كافّة معتقدين بها، و من دونها لا تتمّ العبادة حتّى قالوا عليهم السلام: «مَا عُبِدَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ مِثْلِ الْبَدَاءِ»[1]. و حقيقته أنّ الله سبحانه و تعالى يُغيّر المقدّرات و يبدّلها، مثلما يتغيّر

(١) التوحيد (للصدوق)، ص٣٣٢.

مصير الإنسان نتيجة عملٍ معيّنٍ يقوم به، و مع علم الله السابق لجميع الأمور و التبدّلات. فعلى سبيل المثال، من الممكن أن يكون الله قد كتب عمر إنسانٍ خمسين عامًا، و لكنّه يصل رحمه فيمدّ الله عمره إلى السبعين. كما قد يحصل العكس، بأن يكون عمره المكتوب سبعين عامًا، و لكنّه بسبب قطع رحمه يقبض الله روحه في سنّ الخمسين. و يكون ذلك كلّه في لوح المحو و الإثبات، ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾. و عليه، فإنّ البداء ممكن الوقوع في زمان الظهور أيضًا، تعجيلًا و تأجيلًا. بمعنى أنّه كما يُمكن أن يُعجَّل زمان الظهور على إثر أعمال العباد الصالحة و تضرّعاتهم و توسّلاتهم، مع اجتماع سائر الشروط، فإنّه يمكن أن يُؤجَّل أيضًا على إثر ارتكابهم الذنوب و المعاصي و عدم التوبة منها و الإنابة. ثمّ إنّه مضافًا إلى أنّ الروايات قد بيّنت البداء بنحوٍ عامٍ و أكّدته، فقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام ذكر البداء و تأكيده في مسألة الظهور على وجه الخصوص، مثل هذه الرواية المهمّة عن إمامنا الصادق عليه السلام: «أَوْحَى اللَّهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ سَيُولَدُ لَكَ، فَقَالَ لِسَارَةَ، فَقَالَتْ: أَأَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ؟! فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّهَا سَتَلِدُ وَ يُعَذَّبُ أَوْلَادُهَا أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ بِرَدِّهَا الْكَلَامَ عَلَيَّ. فَلَمَّا طَالَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعَذَابُ ضَجُّوا وَ بَكَوْا إِلَى اللَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى وَ هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يُخَلِّصُهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ، فَحَطَّ عَنْهُمْ سَبْعِينَ وَ مِائَةَ سَنَةٍ. هَكَذَا أَنْتُمْ لَوْ فَعَلْتُمْ لَفَرَّجَ اللَّهُ عَنَّا، فَأَمَّا إِذْ لَمْ تَكُونُوا فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْتَهِي إِلَى مُنْتَهَاهُ»[1].

كما نلاحظ في هذا الخبر فإنّ أعمال العباد الصالحة و تضرّعهم بين يدي الله يمكن أن يكونا سببًا للبَداء المؤدّي إلى تعجيل الفرج. و من جهةٍ ثانيةٍ ذكرت الروايات أنّ أعمال الناس الطالحة يمكن أن تكون سببًا للبَداء المؤدّي إلى تأجيل الفرج[2]. و قد ورد عن الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف أنّه قال:

---

(١) تفسير العياشيّ، ج٢، ص١٥٤.

(٢) ورد في الرواية أنّ الإمام الباقر عليه السلام قال لأبي حمزة الثماليّ: «يَا ثَابِتُ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى قَدْ كَانَ وَقَّتَ هَذَا الْأَمْرَ فِي السَّبْعِينَ، فَلَمَّا أَنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَخَّرَهُ إِلَى أَرْبَعِينَ وَ مِائَةٍ، فَحَدَّثْنَاكُمْ فَأَذَعْتُمُ الْحَدِيثَ، فَكَشَفْتُمْ قِنَاعَ السَّتْرِ وَ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَقْتًا عِنْدَنَا، وَ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ. قَالَ أَبُو حَمْزَةَ فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ: قَدْ كَانَ كَذَلِكَ»؛ الكافي، ج١، ص٣٦٨؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٠٥.

كما أنّه يمكن أن يكون من أسباب تأخير الفرج إذاعة سرّ أهل البيت عليهم السلام، ففي رواية إسحاق بن عمّار الصيرفيّ: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قَدْ كَانَ لِهَذَا الْأَمْرِ وَقْتٌ وَ كَانَ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَ مِائَةٍ فَحَدَّثْتُمْ بِهِ وَ أَذَعْتُمُوهُ فَأَخَّرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ»؛ الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٢٩٢. و في روايةٍ أخرى: «عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ مَا لِهَذَا الْأَمْرِ أَمَدٌ يُنْتَهَى إِلَيْهِ وَ يُرِيحُ أَبْدَانَنَا؟ قَالَ بَلَى وَ لَكِنَّكُمْ أَذَعْتُمْ فَأَخَّرَهُ اللَّهُ»؛ الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٢٨٨.

«وَلَوْأَنَّ أَشْيَاعَنَا وَفَّقَهُمُ اللهُ لِطَاعَتِهِ عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ الْقُلُوبِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيهِمْ، لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا وَلَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا عَلَى حَقِّ الْمَعْرِفَةِ وَصِدْقِهَا مِنْهُمْ بِنَا، فَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكْرَهُهُ وَلَا نُؤْثِرُهُ مِنْهُمْ»[1].

و ما أكثر تأكيد آية الله الشيخ البهجة رحمه الله أنّ سبب غَيبة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو أعمالنا غير الصالحة. و كانت لسماحته بياناتٌ كثيرةٌ يؤكّد فيها مسألة البداء في زمان الظهور، سواء من جهة التعجيل أم من جهة التأجيل. فمن جهة التعجيل كان يعتقد ـ كما أشير إلى ذلك سابقًا ـ أنّه لو أُخبرنا فجأةً أنّ الغد هو وقت الظهور لم يكن ذلك مستبعدًا، مُستندًا في ذلك إلى مسألة البداء. فكان سماحته قدس سره يقول:

«ذُكِرت لظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف علامات حتميّة و غير حتميّة. و لكن لو أُخبرنا أنّه عليه السلام يظهر غدًا لم يكن ذلك مُستبعدًا أبدًا. و لازم هذا الأمر أن يقع البداء في بعض العلامات. و البعض الآخر الّذي هو من العلامات الحتميّة يقع مُقارنًا لظهور حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف».

و أمّا من جهة التأجيل، فقد كان قدس سره على قلقٍ دائمٍ و يحذّر الآخرين و ينبّههم من أن يكون وقت الظهور قريبًا فيقع فيه البداء و يؤخَّر بسبب أعمالنا غير الصالحة. قال سماحته قدس سره:

«أَلا يجب أن نفكّر [و نهتمّ] في أن نطلب إلى الّذي جعله الله [و ادّخره] لإصلاح المجتمع أن يأتي؟! هو نفسه عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد همس في أذن بعض أوليائه و من دون أن يروه ـ في مسجد السهلة و جمكران، في المنام و اليقظة ـ فقال: «فَرَجي قريبٌ، فادعوا» أو حسب نقلٍ آخر «قرُبَ فرجي فادعوا ألّا يحصل البداء»».

نعم، إنّ سيرة سماحة الشيخ قدس سره الشخصيّة و الاجتماعيّة كانت تتضمّن توازنًا و تلازمًا دائمَيْن بين جناحَي الخوف و الرجاء. و لذا فإنّه كما كان يبشّر باحتمال قرب الفرج بالاعتماد على مسألة البداء، كان يحذّر ـ اعتمادًا على المسألة نفسها ـ من احتمال التأجيل على إثر الأعمال غير الصالحة. و كفى بتلك خَصلة لفقيهٍ من فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، يقول الإمام الصادق عليه السلام في هذا الشأن: «الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ الّذي لَا يُقَنِّطُ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا يُؤْمِنُهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَلَا يُؤَيِّسُهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَلَا يُرَخِّصُ لَهَا فِي مَعَاصِي اللَّهِ»[2].

(١) الاحتجاج، ج٢، ص٤٩٩؛ الخرائج و الجرائح، ج٢، ص٩٠٣.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٩٤.

و من المهمّ الالتفات إلى هذا المطلب، إذ إنّ بعض الأشخاص ينشرون في المجتمع بُعدًا واحدًا من أبعاد شخصيّة آية الله الشيخ البهجة ﷺ و كلماته، و هو المتناسب مع أهوائهم و ميولهم، و يتناسون عامدين أو غافلين عن سائر الأبعاد و الكلمات. و إنّه لَمِن الإجحاف شرعًا بحقّ سماحته ﷺ أن تُروّج و تُنشر الجهات التبشيريّة في كلامه و يُغضّ الطرف عن جهات الإنذار و التحذير من تأخير الفرج في كلماته!

• **الظهور موقّت بالزمانيّات**

بين طيّات مباني النهي عن التوقيت قاعدةٌ قيّمةٌ جدًّا كان آية الله الشيخ البهجة ﷺ يطرحها مقتبسًا إيّاها عن معارف أهل البيت عليهم السلام المرتبطة بوقت الظهور، فكان سماحته يقول:

«الفرج موقَّتٌ بالزمانيّات لا بالزمان نفسه».

فعلى أساس هذه القاعدة الّتي على اختصارها جامعة نافعة، فإنّ الظهور في الواقع يكون مَنوطًا بتحقُّق مجموعةٍ من الشروط و الوقائع الخارجيّة. و متى تحقّقت تلك الشروط و الأرضيّات سيتحقّق الظهور، سواء وقعت اليوم أم بعد ألف سنة. طبعًا هذا بالنسبة إلى مَن ينتظر وقت الظهور من المؤمنين، فهو يعلم أنّ الظهور لا يحصل ما لم تقع العلامات الحتميّة، فيترقّبها دون أن يوقّت. لكنّ الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فإنّه يعلم بدقّةٍ ـ بعلم الله تعالى و بإذنه ـ وقت ظهوره و زمن الأحداث الّتي تسبقه أو تقع مقارنةً له.

*** ٣. التهيّؤ بدلًا عن التوقيت

إذا كان المرء حقًّا قد عيل صبره و هو ينتظر محبوبه، فعليه في زمان الغيبة أن يوجّه كلّ جهوده و مساعيه في سبيل تحصيل مرضاة الإمام عليه السلام، لا أن يكون همّه مجرّد تعقُّب زمن الظهور و ساعته غافلًا عن الوظائف الّتي وجبت عليه. و من يريد بصدقٍ أن يدرك الظهور و يكون من أصحاب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فإنّ وظائفه قد تبيّنت بوضوح: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ فَلْيَنْتَظِرْ وَلْيَعْمَلْ بِالْوَرَعِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَهُوَ مُنْتَظِرٌ، فَإِنْ مَاتَ وَقَامَ الْقَائِمُ بَعْدَهُ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ أَدْرَكَهُ، فَجِدُّوا وَانْتَظِرُوا، هَنِيئًا لَكُمْ أَيَّتُهَا الْعِصَابَةُ الْمَرْحُومَةُ»(١). و مثل هذا الشخص الّذي يعمل بوظائفه و هو مُنتظِرٌ للفرج، إذا أدركه فطوبى له، و إذا لم يدركه

(١) الغَيبة (للنعماني)، ص٢٠٠.

فطوبى له أيضًا، لأنّه عَمِلَ بوظائفه على أحسن وجهٍ و أصبح معدودًا في جملة أصحاب الإمام القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و من هنا فإنّ من ظفر بمعرفة الإمام عليه السلام لا يضرّه أن يتقدّم الفرج أو يتأخّر، لأنّه يكون كالقائمين مع القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف في فسطاطه على ما في الرواية: «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ إِمَامٌ فَمِيتَتُهُ مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ عَارِفٌ لِإِمَامِهِ لَمْ يَضُرَّهُ تَقَدَّمَ هَذَا الْأَمْرُ أَوْ تَأَخَّرَ، وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ عَارِفٌ لِإِمَامِهِ كَانَ كَمَنْ هُوَ قَائِمٌ مَعَ الْقَائِمِ فِي فُسْطَاطِهِ»[1]. و من البديهيّ أنّ من حظي بمعرفة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فإنّه سيظفر أيضًا بالاطّلاع على أوامره و نواهيه، و هذه المعرفة الطيّبة تكون سببًا إلى أن يمحض همّته في أداء وظائفه تجاه إمامه عليه السلام. و مثل هذا الشخص هو فعلًا كمن هو قائمٌ مع القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف في فسطاطه. و أساسًا هل الّذي ينتظر الفرج يريد بذلك ما يأتي به ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف من مزايا و امتيازاتٍ دنيويّة، من قبيل إخراج الأرض كنوزها المخفيّة و غَناء العباد و تمكُّن الدولة و ما إلى ذلك من نِعَم و مواهب، أم من أجل نيل ما يستلزمه فرج حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف من خصائص و مقاماتٍ معنويّة و بلوغ أعلى درجات العبوديّة؟ و قد ورد في رواية أبي بصير أنّه سأل الإمام الصادق عليه السلام: «جُعِلْتُ فِدَاكَ مَتَى الْفَرَجُ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا بَصِيرٍ وَأَنْتَ مِمَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا؟ مَنْ عَرَفَ هَذَا الْأَمْرَ فَقَدْ فُرِّجَ عَنْهُ بِانْتِظَارِهِ»[2].

و مع الالتفات إلى أنّ كلام آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه و سلوكه العمليّ كانا مرآةً تعكس سيرة أهل البيت عليهم السلام و مواطن رضاهم، فإنّه كان يحترز بشدّةٍ عن التوقيت و عن تأييد توقيت الآخرين أيضًا، بل عملًا بالروايات الّتي ذُكر البعض منها، كان يؤكّد بنحوٍ مستمرٍّ أهمّيّة تهيئة النفس و الاستعداد للظهور الشريف و وضع هذا الأمر على رأس الأولويّات قبل الخوض في البحث عن وقت الظهور. و هذا التهيّؤ و الاستعداد يحصل من خلال التوبة و إصلاح النفس، و الّذي سوف يكون قهرًا مقدّمة لحصول الفرج الخاصّ أيضًا، فكان سماحته يقول:

«لماذا لا نولي كيفيّة إقامة العلاقة بحضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف أهمّيّةً و نكون غافلين عن هذا المطلب، في حين أنّنا نولي أهمّيّةً لظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لقائه العامّ؟ و الحال أنّنا إن لمْ نبادر إلى إصلاح أنفسنا لتحقيق الفرج الشخصيّ فيُخشى أن نفرّ من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف عند ظهوره، لأنّ الطريق الّتي نسلكها هي طريق الّذين لا يرون فرقًا بين الأهمّ و المهمّ!».

---

(۱) الغَيبة (للنعمانيّ)، ص۳۳۰.

(۲) الغَيبة (للنعمانيّ)، ص۳۳۰.

و بناءً عليه، فإنّه ينبغي للمؤمن أن يرصُد تحقُّق شروط الظهور بدلًا من أن يكون دائمًا مُتتبّعًا زمانًا خاصًّا للظهور. و أكثر من ذلك أن يُهيّئ الأرضيّة لتحقّق تلك الشروط الّتي أوّلها و أصلها و أهمّها هو إصلاح النفس و تهذيبها، و ذلك لأنّ الإمام الحجّة عجّل الله فرجه سيظهر حتمًا لو كان له أنصارٌ حقيقيّون خُلَّص و لو كانوا قِلّة[1]. و بما أنّ كثيرًا من شروط الظهور هذه ليست تحت اختيارنا، كان رأي آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه أنّ الطريق الأفضل و الأكثر أهمّيّة لتهيئة الأرضيّة للظهور الشريف، و الّذي هو تحت اختيارنا، هو إصلاح النفس، و العمل على تحقيق التطابق التّامّ بين أعمالنا و اعتقاداتنا و بين رضا الإمام عجّل الله فرجه، و على نصرته الحقيقيّة. و كلّ أحدٍ قادرٌ على تحقيق شروط الظهور في نفسه، و لا عُذر له في ترك ذلك[2].

و في استكمال البحث الّذي تقدّم على ضوء رواية «كذب الوقّاتون»، هناك مطلبٌ مهمٌّ ذُكر في ذيل هذه الرواية، و كان يظهر جليًّا في سيرة آية الله الشيخ البهجة رحمه الله العلميّة

(١) يقول أمير المؤمنين عليه السلام لسليم بن القَيس: «أَمَا وَالّذي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ يَوْمَ بُويِعَ أَخُو تَيْمٍ الّذي عَيَّرْتَنِي بِدُخُولِي فِي بَيْعَتِهِ أَرْبَعِينَ رَجُلًا كُلُّهُمْ عَلَى مِثْلِ بَصِيرَةِ الْأَرْبَعَةِ الّذِين قَدْ وَجَدْتُ لَمَا كَفَفْتُ يَدِي وَلَنَاهَضْتُ الْقَوْمَ، وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ خَامِسًا [فَأَمْسَكْتُ]»؛ (كتاب سليم بن قيس، ج٢، ص٦٦٨). و يقول عليه السلام في موقفٍ آخر: «أَمَا وَاللهِ لَوْ كَانَ لِي عِدَّةُ أَصْحَابِ طَالُوتَ أَوْ عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ وَهُمْ أَعْدَاؤُكُمْ، لَضَرَبْتُكُمْ بِالسَّيْفِ حتّى تَؤُولُوا إِلَى الحقّ وَتُنِيبُوا لِلصِّدْق»؛ (الكافي، ج٨، ص٣٢). و ينقل سدير أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال له: «وَاللهِ يَا سَدِيرُ، لَوْ كَانَ لِي شِيعَةٌ بِعَدَدِ هَذِهِ الْجِدَاءِ مَا وَسِعَنِي الْقُعُودُ!»، ثمّ يقول سدير: «نَزَلْنَا وَصَلَّيْنَا، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الصَّلَاةِ عَطَفْتُ عَلَى الْجِدَاءِ فَعَدَدْتُهَا فَإِذَا هِيَ سَبْعَةَ عَشَرَ!»؛ (الكافي، ج٢، ص٢٤٣). و وردت عن سائر الأئمّة عليهم السلام أيضًا عبارات قريبة من ذلك. و للإمام الحجّة عجّل الله فرجه أيضًا منهجُ آبائه المعصومين و سيرتهم، و لذا جاء في الروايات أنّه إذا كان له من الأنصار المخلصين ما عددهم بعدد أصحاب بدر ـ أي ٣١٣ رجلًا ـ فإنّ الله يأذن له في الظهور، و من هنا كان أفضل طريقٍ لنُصرته عليه السلام هو إصلاح النفس.

(٢) ينقل العلّامة الشيخ عليّ أكبر النهاونديّ رحمه الله في موسوعته العبقريّ الحسان (ج٥، ص٣١٧ ـ ٣٢٠) عن العالِم الربّانيّ المرحوم حجّة الإسلام السيّد عليّ الأكبر الموسويّ الخوئيّ رحمه الله [الوالد المكرّم لآية الله السيّد الخوئيّ رحمه الله] أنّه سافر في بعض الزمان من النجف الأشرف إلى الحلّة لإنجاز عمل، و في أثناء مروره في سوق المدينة وقَعَت عينه على قبّة مكانٍ شبيهٍ بمسجدٍ، كُتبت فوق بابه زيارةٌ قصيرةٌ لصاحب الزمان و خليفة الرحمن عليه السلام، و كُتب فوق ذلك «هذا مقام صاحب الزمان». و كان أهل تلك البلاد يأتون من بعيدٍ و قريبٍ لزيارة ذلك المكان الشبيه بالجنّة و يتوسّلون إلى الله تعالى بالدعاء و التضرّع و النحيب، يريدون بذلك التقرّب إليه تعالى. فسأل السيّد عليّ الأكبر الموسويّ الخوئيّ رحمه الله أهالي الحلّة عن علّة تسمية ذلك المكان بمقام صاحب الزمان، فاتّفق الجميع على الجواب بأنّ هذا المكان كان بيت عالِمٍ زاهدٍ عابدٍ تقيٍّ ورعٍ اسمه الشيخ عليّ، كان يعيش دائمًا في حالة انتظارٍ لظهور الإمام المهديّ عليه السلام، و نقلوا له القصّة كاملة؛ و مفادها أنّ تأخُّر ظهور الإمام عجّل الله فرجه سببه عدم اكتمال عدد الأنصار المخلصين الّذين أصلحوا أنفسهم و هذّبوها. و قد ذُكِر تفصيل القصّة في الصفحة ٢١٦ من هذا الكتاب.

و العمليّة و في كلّ جزءٍ من حياته، و هذا المطلب هو: «نَجَا الْمُسَلِّمُونَ»[1]. و المقصود بمنهج «الْمُسَلِّمُونَ» هو أن نكون مترقّبين للظهور دائمًا مع القيام بالأعمال الصالحة، حتّى إذا كان الفرج قريبًا نكون قد أعددنا أنفسنا و هيّأناها لخدمة بقيّة الله الأعظم عجّل الله تعالى فرجه الشريف و نصرته، و إذا كان بعيدًا نكون مسلِّمين للتقدير الإلهيّ من غير اعتراض و مطابقين لأعمالنا مع ما هو مقتضى الرضا القلبيّ للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و من كان كذلك فإنّه حتّى لو لم يدرك الظهور العامّ فسوف يحصل له قهرًا الفرج الشخصيّ. و كان آية الله الشيخ البهجة قدس سره يؤكّد كثيرًا حالة التسليم بإزاء زمان الظهور، و ينبّه على ضرورة أن يكون الإنسان مصمّمًا على العبوديّة، و عازمًا على القيام بوظائف رِقّيّته لمولاه سواء كان زمان الظهور قريبًا أم بعيدًا، و قد قال سماحته قدس سره:

«مع كمال محبّتنا لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف فإنّ ظهوره ليس منوطًا لا بكلامي و لا بكلامكم!».

و كان أيضًا يقول: يجب على الإنسان أن يجعل رضا الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو المعيار لكلّ أفعاله و تروكه، سواء أقريبًا كان وقت الظهور أم بعيدًا:

«لنسأل الله تعالى أن يُوصِل صاحب هذا الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف لنكون معه، فإذا أوصله [و أظهره] الله فكان بها، و إلّا فلا نبتعد عنه، لا نبتعد عن رضاه».

** ب) التقريب

ذُكر في المبحث السابق ورود النهي و التحذير عن التوقيت في روايات أهل البيت عليهم السلام، لكن يجب الالتفات إلى أنّه أحيانًا يُخلَط بين «**التوقيت**» و «**التقريب**»، مع أنّ «التقريب» لم يكن غير منهيٍّ عنه فقط، بل هو سلوك أهل البيت عليهم السلام أنفسهم و كانوا يوصون شيعتهم بالالتزام به كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «هَلَكَتِ الْمَحَاضِيرُ... وَنَجَا الْمُقَرِّبُونَ»[2]. لذا سيُتطرّق في هذا القسم إلى معنى «التقريب» الّذي هو من سمات الناجين، و بعض المطالب المتعلّقة به.

---

(١) الكافي، ج١، ص٣٦٨.

(٢) عَنْ أَبِي الْمُرْهِفِ قَالَ: «قَالَ أَبُوعَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: هَلَكَتِ الْمَحَاضِيرُ، قَالَ: قُلْتُ وَمَا الْمَحَاضِيرُ؟ قَالَ: الْمُسْتَعْجِلُونَ، وَنَجَا الْمُقَرِّبُونَ وَثَبَتَ الْحِصْنُ عَلَى أَوْتَادِهَا، كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ الْغَبَرَةَ عَلَى مَنْ أَثَارَهَا، وَإِنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَكُمْ بِجَائِحَةٍ إِلَّا أَتَاهُمُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ إِلَّا مَنْ تَعَرَّضَ لَهُمْ»؛ الغيبة (للنعماني)، ص١٩٦.

***١. التفاوت بين التوقيت و التقريب

كما ذُكر سابقًا، التوقيت يعني تحديد وقت دقيق للظهور مع القطع به، لكن كون الشخص «**موقّتًا**» مفهوم مختلف تمامًا عن كونه «**مقرّبًا**»، لذا فإنّ مجرّد التبشير بقرب **الظهور لا يُعدّ** توقيتًا سواء من حيث المعنى اللغويّ أم التوجّه الروائيّ و الفقهيّ. و على سبيل المثال فقد ذُكرت في أحاديث أهل البيت عليهم السلام عشرات بل مئات الروايات في علامات الظهور. و كذلك القرآن الكريم، في حين كونه «مقرّبًا» للقيامة و يعدّها قد أزفت، لكنّه لم يكن بأيّ وجهٍ «موقّتًا» لذلك اليوم و لا يحدّد وقته. فمع أنّه يقول: ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾، لكنّه في الوقت نفسه يقول: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أو: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾. و في الأساس، بين «التقريب» و «التوقيت» تفاوت تامّ، و للتقريب ماهيّة مختلفة عن التوقيت، فهو من سنخ الأمل بالظهور المبارك في مقابل اليأس و القنوط من ظهور الفرج. و كما سيتّضح في تكملة البحث، فإنّ هذا الأمل مقتبسٌ من المعارف الدينيّة المُحكمة الحاكية عن حقائق العالم التكوينيّة و هو ليس بأيّ وجهٍ أملًا واهيًا أو لمجرّد بثّ السرور في القلوب.

***٢. أملٌ مصحوبٌ بالفطنة و الفِراسة

لم يكن الأئمّة الأطهار عليهم السلام يُبدون أنّ ظهور الإمام القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف أمرٌ بعيد الوقوع، بل كانوا دائمًا يبثّون الأمل في نفوس المؤمنين و يحثّونهم على ترصُّد الظهور و يقرّبونه لهم. و من هنا نجد أنّ علماءنا الماضين و لا سيّما العظماء منهم(قدّس الله أسرارهم) كانوا دائمًا يبيّنون قرب الظهور و يعدّون هذا وظيفتهم على الصعيد التربويّ.

و من الجدير بالذكر أنّ العلماء العظام و مع أنّهم كانوا دائمًا يؤكّدون فكرة التقريب و يُظهرونها في سيرتهم العمليّة، لكن يمكن أن يقال إنّهم كانوا على منهجَين، البعض منهم مع اعتقاد قلبيّ بقرب الظهور و الفرج كانوا يبشّرون به و كان اعتقادهم بهذه القضيّة راسخًا إلى درجة انعكاسه حتّى على فتاويهم الفقهيّة، كفتوى بعضهم في مال الخمس أن يُدفن في مكانٍ مأمون، أو يودَع عند عادل، أو في أبعد التقدير يوصى به من نسلٍ إلى نسلٍ إلى أن يظهر الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و المنهج الآخر يعتقد أتباعه أنّ غَيبة الإمام عليه السلام ستطول، و لكن مع ذلك كانوا يبشّرون الناس بقرب الفرج و حصول بعض علامات الظهور، حفظًا لإيمان

المؤمنين و من أجل سائر مصالحهم المعنويّة[1]. و بناءً على هذا، فحتّى هؤلاء الّذين كانوا يرون الظهور بعيدًا اعتمادًا على حساباتهم و شواهدهم، لكنّهم في الوقت نفسه من الناحية العمليّة كانوا ملتزمين بمبدأ التقريب، عملًا بتوصيات أهل البيت عليهم السلام من قبيل: «الشِّيعَةُ تُرَبَّى بِالْأَمَانِي»[2]، فكانوا يُحيِيون الأمل بالفرج في النفوس، دون أن يحصل في البَين إغراءٌ بالجهل، لأنّهم كانوا يعلمون إمكانيّة أن يصلح الله تعالى الأمر في ليلة واحدة على خلاف جميع الأسباب و المسبّبات، و أنّه من الممكن أن يحصل البَداء الّذي يؤدّي إلى تعجيل الفرج، كما حصل مع بني إسرائيل الّذين كانوا موعودين بالعذاب مدّة أربعمائة سنة، لكن لمّا بكوا و ضجّوا إلى الله تعالى أربعين صباحًا، حطّ الله عزّ و جلّ عنهم عذاب مئة و سبعين سنة. كما هناك حِكم و أسباب أخرى، و سيُشار في تكملة البحث إلى ما يؤيّد هذا المبنى من روايات.

أمّا آية الله الشيخ البهجة رحمه الله فقد كان له في هذه المسألة منهجٌ و طريقةٌ ثالثة، هو أمرٌ بين الأمرين. فهو كان يشدّد على أنّه ينبغي للمؤمن أن يأخذ احتمال قرب الظهور في عين الاعتبار، كما ينبغي أن لا يغفل عن احتمال بعده و تأخّره. فمن جهةٍ كان يصرّح بقوّةٍ و عن اعتقاد تامٍّ بأنّه لا يجدر بالإنسان أن يستبعد وقوع الظهور في غَدِه، و كان يقول:

«لو أخبروا بأنّه عليه السلام سيظهر غدًا لم يكن ذلك مستبعَدًا أبدًا، و لازم هذا الأمر أن يقع البَداء في بعض علامات الظهور، و البعض الآخر من العلامات الحتميّة تقع مقارنةً لظهور حضرته عليه السلام».

و على هذا الأساس، يكون ترقُّب الإنسان في كلّ لحظةٍ لحصول الفرج أمرًا عقلائيًّا و منطقيًّا و موافقًا للاعتبار. و من ابتُلي باستبعاد حصول مثل هذا الأمر العظيم البالغ الأهمّيّة في يومٍ

---

(١) من الجدير قوله إنّ علامات الظهور تدريجيّة و نسبيّة، و كما ذُكر في كتب الأديان السماويّة السابقة أنّ ظهور النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله من علامات آخر الزمان و أشراط الساعة، فإنّه يُمكن بطريقٍ أولى أن يُعدّ مبعثه صلّى الله عليه و آله من علامات ظهور الإمام الحجّة عجّل الله فرجه أيضًا.

(٢) جاء في كتاب الكافي أنّ عليًّا بن يقطين قال: إنّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال له: «الشِّيعَةُ تُرَبَّى بِالْأَمَانِيِّ مُنْذُ مِائَتَيْ سَنَةٍ». قال يقطين لابنه عليّ: ما بالنا قيل لنا (أي العبّاسيّين) فكان، و قيل لكم فلم يكن؟ فقال له عليّ: إنّ الّذي قيل لنا و لكم كان من مخرجٍ واحدٍ، غير أنّ أمركم حضر فأعطيتم محضه فكان كما قيل لكم. و إنّ أمرنا لم يحضر فعلّلنا بالأماني. فلو قيل لنا: إنّ هذا الأمر لا يكون إلّا إلى مئتي سنة أو ثلاثمئة سنة لقست القلوب و لرجع عامّة الناس عن الإسلام، و لكن قالوا: «ما أسرعه و ما أقربه» تألّفًا لقلوب الناس و تقريبًا للفرج؛ الكافي، ج١، ص٣٦٩.

واحدٍ فعليه أن يرجع إلى الروايات الّتي نبّهت إلى أنّ أمر الفرج بمقدّماته و لوازمه كلّها يمكن أن يصلح في ليلةٍ واحدة. فقد روي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «المهديّ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصْلِحُ اللّهُ لَهُ أَمْرَهُ فِي لَيْلَةٍ»[1]، و في روايةٍ أخرى عنه ﷺ: «وَالّذي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا، لَوْلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حتّى يَخْرُجَ فِيهِ وَلَدِيَ المهديّ، فَيَنْزِلَ رُوحُ اللّهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُصَلِّيَ خَلْفَهُ، وَتُشْرِقَ الْأَرْضُ بِنُورِهِ وَيَبْلُغَ سُلْطَانُهُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ»[2]. و أكثر من ذلك فإنّ الإمام الصادق عليه السلام أمر صراحةً بتوقُّع حصول الفرج ليلًا و نهارًا، فقد روي عنه عليه السلام أنّه قال: «تَوَقَّعْ أَمْرَ صَاحِبِكَ لَيْلَكَ وَنَهَارَكَ فَإِنَّ اللّهَ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ»[3]، و قال عليه السلام أيضًا: «إِذَا أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ يَوْمًا لَا تَرَى فِيهِ إِمَامًا مِنْ آلِ محمّد، فَأَحْبِبْ مَنْ كُنْتَ تُحِبُّ وَأَبْغِضْ مَنْ كُنْتَ تُبْغِضُ وَوَالِ مَنْ كُنْتَ تُوَالِي وَانْتَظِرِ الْفَرَجَ صَبَاحًا وَمَسَاءً»[4].

و من جهةٍ أخرى و في الوقت نفسه الّذي كان الشيخ البهجة قدس سره يعدّ احتمال قرب الفرج أمرًا جدّيًّا آخذًا ذلك من روايات أهل البيت عليهم السلام، لكنه قدس سره كان يؤكّد أنّه يجب على الإنسان أن يلحظ احتمال بُعد الظهور أيضًا، فكان يقول:

> «خصوصًا مع ملاحظة قولهم عليهم السلام لنا: «حتّى يَرْجِعَ أَكْثَرُ الْقَائِلِينَ بِإِمَامَتِهِ»[5] فالله أعلم أغدًا يكون [الظهور] أم كم يكون بعيدًا!».

و على هذا فإنّه مع وجود الأمل المنطقيّ و العقلائيّ بقُرب الظهور الشريف إلى حدٍّ أنّه قدس سره لم يكن يستبعد وقوعه في غَدِه، فاللازم في الوقت نفسه أن يؤخذ في الحسبان بُعده مع لوازمه، و أن يَلحظ المؤمن في برنامج عمله احتمال تأخّر الظهور و يُرتّب آثاره كما يَلحظ احتمال قربه. و كان سماحة الشيخ قدس سره يقول:

> «في زماننا مثلًا على وجه اليقين نحتمله [أي وقوع الظهور] يوم الغد، فيحصل خروج السفيانيّ في غدنا هذا، ثمّ بعده بساعات يُعلم أنّ الإمام عليه السلام أيضًا قد ظهر، و هؤلاء يجب أن يحصل القتال فيما بينهما. نحتمل ذلك في غدنا هذا القادم، لكنّنا

---

(١) كمال الدين، ج١، ص١٥٢.

(٢) كمال الدين، ج١، ص٢٨٠.

(٣) إقبال الأعمال، ج١، ص٣٦٨.

(٤) الغَيبة (للنعمانيّ)، ص١٥٨.

(٥) كمال الدين، ج٢، ص٣٨٥.

نحتمل أيضًا أن يكون ذلك بعد غدٍ، كما نحتمله في الشهر القادم، أو السنة القادمة أو السنة الّتي تليها...».

و على أساس هذا المنهج، كان رأيه ﷺ في مال الخمس أنّه يجب أن يُدفع في زمان الغَيبة إلى نائب الإمام عليه السلام ـ سواء الخاصّ أم العامّ ـ و يكون الدفع إليه كالدفع إلى المنوب عنه [أي الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف]. و النائب يصرف المال في الموارد الّتي يعلم رضا المنوب عنه عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالصرف فيها. ومن المؤكّد أنّ مسألة وقت الظهور و اعتقاد الفقهاء بقربه أو بعده ليست دليلهم الحصريّ في تعيين مصير الخمس و تحديد مَن يستلمه، لكن المقصود أنّها من الأمور المؤثّرة حتّى على الأحكام الفقهيّة و الّتي تنعكس عليها. و من هنا يمكن القول إنّ أحد الأمور الّتي تبيّن بوضوح أنّ سماحته ﷺ لم يكن يحدّد وقتًا للظهور العامّ و لا يعتقد بوقت معيّن له، هو فتاواه الفقهيّة نفسها. وكان سماحة الشيخ ﷺ يقول بالنسبة إلى دفن المال أو إيداعه:

«إنّ هذه الأمور تُعدّ ـ تقريبًا ـ إتلافًا للمال و لا تؤول إلى نتيجة، خصوصًا بملاحظة قولهم عليهم السلام لنا: «حتّى يَرْجِعَ أَكْثَرُ الْقَائِلِينَ بِإمَامتِه»[1]».

و قال ﷺ أيضًا:

«[هؤلاء العلماء الّذين كانوا يفتون بإيداع سهم الإمام من الخمس عند عادلٍ[2] حتّى كأنّهم كانوا يعتقدون بأنّه عليه السلام سيظهر سريعًا] أَلَم يطّلعوا على رواية الإمام الصادق عليه السلام الّتي مضمونها: [إنّ النّاس] يقولون: «مَا بَالُ وَلِيِّ الْأَمْرِ لَا يَظْهَرُ وَ قَدِ امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ مِنَ الْجَوْرِ»؟!»[3].

---

(١) راجع: كمال الدين، ج٢، ص٣٨٥.

(٢) إشارةً إلى أحد الأقوال المذكورة في كتاب الحدائق الناضرة: ج١٢، ص٤٥٢.

(٣) كأنّ ذلك إشارة إلى الروايات الدالّة على طول زمان الغَيبة و تزلزل إيمان الناس. كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِيَّاكُمْ وَ التَّنْوِيهَ، أَمَا وَاللَّهِ لَيَغِيبَنَّ إِمَامُكُمْ سِنِينَ مِنْ دَهْرِكُمْ، وَلَتُمَحَّصُنَّ حتّى يُقَالَ: «مَاتَ أَوْ هَلَكَ، بِأَيِّ وَادٍ سَلَكَ»، وَلَتَدْمَعَنَّ عَلَيْهِ عُيُونُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَتُكْفَؤُنَّ كَمَا تُكْفَأُ السُّفُنُ فِي أَمْوَاجِ الْبَحْرِ، وَلَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ، وَكَتَبَ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنْه»؛ (الغَيبة (للطوسي)، ص٣٣٧). و بناءً على هذا قد أوصى المؤمنين بأن يسألوا الله في الأدعية المختلفة الثبات على الإيمان كما جاء ذلك في الدعاء المنقول عن إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «فَصَبِّرْنِي عَلَى ذَلِكَ حتّى لَا أُحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ وَلَا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ وَلَا أَكْشِفَ عَمَّا سَتَرْتَهُ وَلَا أَبْحَثَ عَمَّا كَتَمْتَهُ وَلَا أُنَازِعَكَ فِي تَدْبِيرِكَ وَلَا أَقُولَ لِمَ وَكَيْفَ وَمَا بَالُ وَلِيِّ الْأَمْرِ لَا يَظْهَرُ وَقَدِ امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ مِنَ الْجَوْرِ»؛ (كمال الدين، ج٢، ص٢١٥).

و من جملة كلام سماحته ﷺ الّذي يجمع فيه بين بيان احتمال قُرب الظُّهور و بيان احتمال بُعده قوله:

«نحتمل وقوع ذلك [أي الظهور] في غدنا هذا، و لكنّنا نحتمله بعد غدٍ أيضًا، كما نحتمله في الشهر القادم أيضًا، وكذلك في السنة اللاحقة، و في السنة الّتي تليها أيضًا، و... كالشُّبهة غير المحصورة الواقعة في أطرافٍ [كثيرة]. فهل [و الحال هذه] نستطيع أن نتعامل مع الأمر بحيث نقول في مثل الأموال إنّها تُعزَل و يُوصَى بها و تُودَع من ثقةٍ إلى ثقةٍ إلى أن تصِل إلى فُلان؟ هل نستطيع أن نفعل ذلك في الشُّبهة غير المحصورة؟ و هذه شُبهة غير محصورة!».

كما يُلاحَظ فإنّه ﷺ كان يأخذ كِلا الاحتمالَين في الحسبان، و هذا أمرٌ واضحٌ و مشهودٌ في عمله الشخصيّ و في فتاواه أيضًا، و لم يكن يُروّج قطّ لكَون أحد الاحتمالَين أقوى من الآخر.

و كذلك كان سماحته ﷺ يقول: «كان مشايخ النجف فريقَين، بعضهم يُقرّب و بعضهم يُبعّد». ثمّ قال: «أنا أظنّ أنّه قريبٌ جدًّا. بأيّ دليل؟ [و هنا يشير سماحته ﷺ إلى الباب و الجدران و يقول:] بدليل أنّ الأبواب و الجدران تقول إنّه بعد كلّ هذا لا بدّ أن يأتي! لقد تحقّق: «مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا» لكن [كلمة] «مُلئت» لها درجةٌ خاصّةٌ [أي تلك الّتي يكون عندها الظهور] و نحن لا نعلم تلك الدرجة من الامتلاء!». إنّ نَصّ سماحة الشيخ ﷺ على عدم العلم بالحدّ اللّازم حصوله من الامتلاء بالظلم هو نفسه تصريحٌ بعدم التوقيت. و هذه نكتةٌ في غاية الدقّة؛ إذ عندما يدور الأمر بين أن يكون «مقرّبًا» و بين أن يكون «مُبعِّدًا»، فإنّه يختار أن يكون «مُقرّبًا»، تمسُّكًا بمنهج أهل البيت عليهم السلام. و في الوقت عينه الّذي يكون فيه مقرّبًا و آملًا بالفرج و يبيّن أنّه انتشر الظلم و الجور في العالم، فإنّه و بلا فصلٍ يُنبّه على أنّ هناك حدًّا لازم الحصول من الامتلاء بالظلم و الجور لا نعرفه، و هذا تحديدًا هو انتظار الفرج و الأمل به عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي أُكّد في الروايات. و تأكيده عدم العلم بحدود الامتلاء اللازم لحصول الفرج هو نفسه تعليمٌ للآخرين أن يكونوا آملين «مقرِّبين» من دون أن يكونوا «موقِّتين». إنّه أسلوب خطاب القرآن الكريم عينه الّذي يصرّح بالقول: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۞ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۞ ﴾ و لذلك من الطبيعيّ أن يكون من يقتدي بالقرآن و يتّبع نهجه و يأنس بلحن خطابه، آملًا بالفرج دائمًا و مقرّبًا لحصوله و غير يائسٍ من رحمة الله، و هذا هو أيضًا صريح نصّ رواية الإمام الصادق عليه السلام الّتي يتحدّث فيها عن الفرج فيقول أوّلًا: «هَلَكَتِ الْمَحَاضِير» و يفسّرها عليه السلام بـ«الْمُسْتَعْجِلُون» ثمّ

يقول عليه السلام بعدها مباشرة: «نَجَا الْمُقَرِّبُون»[1]. فبعد أن أخبر الإمام الصادق عليه السلام بهلاك «المستعجلين» بيّن أنّ «المقرّبين» هم أهل النجاة. و في روايةٍ أخرى نُهي أيضًا عن التوقيت و حكم على الموقّتين بأنّهم كاذبون. و هذه الرواية تتضمّن نكتةً مهمّةً جدًّا و جديرة بالتأمّل، إذ مرّة أخرى تذكّر بالتفاوت التامّ بين «التوقيت» و «التقريب»، ففي الوقت نفسه الّذي يكون «**المقرِّب**» ناجيًا، يُحكم على «**الموقِّت**» بأنّه كاذبٌ، فأيُّ سرٍّ هذا وراء كون «**المُقرِّب**» ناجيًا و كون «**المُوقِّت**» كاذبًا في آنٍ واحد؟ لكن كما أنّ بين «**المُقرِّب**» و «**المُبعِّد**» بونًا بعيدًا و فرقًا شاسعًا، فإنّ بين «**المُقرِّب**» و «**المُوقِّت**» كذلك اختلافًا و تمايزًا واضحًا، و إن كان تشخيص هذا التمايز ـ على وضوحه ـ مُشكِلًا و عَسِرًا على غير العارف بروايات أهل البيت عليهم السلام و لحن كلامهم. و كان آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه يجمع في الحال عينه بين كونه من المقرِّبين و الآملين بشدّة، و بين كونه ـ متناسبًا مع ذلك ـ مُحتمِلًا بُعد الفرج و آخذًا بمقتضاه في سلوكه و قوله، مُستقيًا ذلك من روايات أهل البيت عليهم السلام و مُقتديًا بمنهجهم السلوكيّ و التربويّ[2]. إنّ أهل البيت عليهم السلام مثلما قالوا: «كَذَبَ الْوَقَّاتُون» و «هَلَكَ الْمُسْتَعْجِلُون»، قالوا في الوقت نفسه أيضًا: «نَجَا الْمُقَرِّبُون». المستعجلون هم الّذين يتعجّلون الفرج، و هذه العجلة ربما أدّت بهم إلى توقيت زمانه، ثمّ إذا لم يقع في الوقت الّذي حدّدوه خرجوا من إيمانهم، أو فلا أقلّ من أن يتزلزل إيمانهم و يشكّكوا في عقيدتهم، و هؤلاء في الحقيقة لا يحصل لهم الفرج، بل إنّهم يسيرون على خلاف أهداف الظهور. أمّا «**المُقرِّب**» فهو الشخص الّذي يكون له على الدوام أملٌ بقرب فرج الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه و بكونه ممّن يُدركه، و كما ذُكر سابقًا فعلى الإنسان أن يكون مُتوقّعًا للفرج و منتظرًا لأمره إلى حدّ أن لا يترقّبه كلّ يومٍ فقط، بل يتأمّل وقوعه كلّ صباحٍ و مساءٍ و يُهيّئ له نفسه من خلال تهذيبها و إصلاحها. و بناءً على ما تقدّم، نجد أنّ طريقة آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه الواضحة و المعروفة لكلّ من عاشره كانت قائمةً على أنّه في الحال عينها الّتي يكون فيها مقرِّبًا للفرج من غير توقيتٍ ـ تبعًا للقرآن الكريم ـ يكون في أقواله و أفعاله ملتفتًا و منتبهًا إلى آثار التقريب و لوازمه في قلوب الآخرين و أذهانهم، فلا يقول أبدًا كلامًا يوجب غلبة الخوف على الرجاء و لا ترجيح الرجاء على الخوف لدى مخاطَبيه.

---

(١) الغَيبة (للنعمانيّ)، ص١٩٦.

(٢) من المؤسف أنّ جماعةً ممّن لا اطّلاع لهم على روايات أهل البيت عليهم السلام و منهجهم التربويّ، و لا يحسنون التمييز بين تقريب الفرج و التوقيت، كانوا إذا سمعوا من الشيخ المقدّس كلامًا يدلّ على التقريب فهموا منه خطأً التوقيت، و نسبوا ذلك إليه قدّس سرّه ثمّ نقلوه باسم سماحته قدّس سرّه إلى غيرهم.

*** ٣. معنى قرب الفرج و مقصود العلماء من التبشير

بناءً على المطالب الّتي تقدّم ذكرها و إضافةً إلى أنّه ليس من المقرّر أن يُفشى وقت الظهور أو يُبيَّن لعامّة الناس، فإنّ اللازم هو أن ننظر بنظرةٍ أدقّ إلى العبارات الّتي تدلّ على قرب الظهور، أو على تعيين زمانه. و كان آية الله الشيخ البهجة ﷺ يرى مسألة زمان الظهور بفراسته الكاملة، و ينظر إليها نظرةً أعمق و ينبّه إلى وجوهها المختلفة. لذلك كان سماحته ﷺ يؤكّد أنّ لقرب الفرج معاني متعدّدة، من جهةٍ بلحاظ أنّ «**القرب**» حقيقةٌ تشكيكيّةٌ و نسبيّةٌ و يمكن أن يشار بها إلى مقادير مختلفةٍ من الزمان، و من جهةٍ أخرى بلحاظ أنّ للفرج و الظهور مراتبَ و أنواعًا، و يمكن أن يُراد بهما الفرج و الظهور الخاصّان اللذان يمكن أن يحصلا للمؤمن في بعض مراحل حياته أو في حال الاحتضار، كما يمكن أن يُراد بهما الفرج و الظهور العامّان. و بالالتفات إلى الحيثيّات التربويّة الّتي يمكن أن تكون ملحوظةً في البيانات الدالّة على قرب الظهور، تصبح ضرورة أخذ جميع المعاني المُحتملة في الاعتبار مضاعفة.

و على أساس الآيات و الروايات فإنّ الشيخ المعظّم ﷺ ـ و من أجل الأسباب المشار إليها ـ كان يشابه بين قرب الظهور و بين البيانات الدالّة على قرب القيامة، و يلفت النظر إلى وجوه المعاني المتعدّدة الّتي تحتملها مثل هذه العبارات. فكان ﷺ يقول في هذا الشأن:

«لا سيّما بالالتفات إلى ما قاله لنا [الأئمّة الأطهار ﷺ]: «حتّى يرجع أكثر القائلين بإمامته» [أي أنّ الظهور يكون في زمانٍ يرجع فيه أكثر القائلين بإمامة الإمام الحجّة ﷻ عن اعتقادهم](١). الله يعلم إن كان هذا سيحصل في الغد أو كم أبعد من ذلك! كان هناك شخص لديه معلومات في الجَفر و أمثاله، ينقل عن شخص [آخر] متضلّع في علم الجفر و أمثاله و لديه معلومات كثيرة فيها، إنّه يحدّد لذلك وقتًا [و يقول:] لو ذكرته لكم، لانتفضتم بأجمعكم و صرختم: يا للويل، أإلى هذا الحدّ سوف تطول المدّة؟! و لن تطيقوا على سماع ذلك صبرًا! و إذ إنّنا لا نطيق ذلك يقولون لنا: إنّ الفرج قريب! [و ليس هناك كذب في البَيْن]؛ طبعًا إنّ يوم القيامة أيضًا قريب، [و قال رسول الله ﷺ:] «بُعِثْتُ أنَا وَالسّاعة كَهاتَيْنِ»(٢). يقولون: إنّ [الظهور] قريب، فادعوا بذلك. أو أنّهم يورّون [يعتمدون التورية] في الجواب،

(١) راجع: كمال الدين، ج٢، ص٣٨٥.

(٢) بحار الأنوار، ج١٦، ص٢٥٦.

«الشيعةُ تُربَّى بِالأماني»[1]، يورّون [فيقولون مثلًا:] في الوقت كذا سوف ترى [الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف]. و يكون المراد من ذلك أن أجلك سوف يحين في ذلك الوقت، و أنّك عند اقتراب أجلك سوف ترى جماله المبارك. في النهاية، الله يعلم متى يتحقّق [الظهور العامّ]».

و قال سماحته قدس سره أيضًا:

«إنّ كلّ من سُئِل عن وقت الظهور أجاب بأنّ ظُهور حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف قريب. طبعًا القُرب معنى ذو سعة، و لذا فإنّ القيامة أيضًا عُدّت قريبة[2]، و كذلك قيل: «كلُّ آتٍ قَريبٌ»[3]».

و على هذا يجب التنبُّه إلى أنّه عندما يَرِد بيانٌ دالٌّ على زمان الظهور و الفرج، فمن المحتمل أن يكون معناه هو فوز المخاطَب ـ إمّا في طول حياته و إمّا عند اقتراب أجله ـ بمشاهدة جمال الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف المبارك[4]و[5]، و كما جاء التعبير صريحًا في شأن القيامة بأنّها قريبة، ورد أيضًا أنّ قيامة كلّ شخصٍ تبدأ من لحظة وفاته، و هذه غير القيامة العامّة النهائيّة. و من جهةٍ أخرى، فحتّى لو كان المقصود بالكلام هو الفرج العامّ و الشامل فإنّه يجب التأمّل في معنى «القرب»، فإنّ من أراد أن يفهم معاني الروايات يجب أن يكون عارفًا جيّدًا بلسان صاحب الشريعة و لحن خطابه، فلا يُبادر إلى تفسير الروايات الشريفة الواردة عن المعصومين عليهم السلام حسب قاموس الآخرين، بل يفقهها بالرجوع إلى قاموسهم أنفسهم عليهم السلام. إنّ دراية الرواية الّتي أُكّدت كثيرًا، لا تنحصر في معرفة المعاني العُرفيّة للمفردات و المصطلحات، بل الأهمّ من ذلك هو تشخيص معناها المستتر و المستقرّ و المستودع لدى أصحاب هذه الكلمات المباركة. فكلمة «قُرب» الّتي معناها العرفيّ واضحٌ و تدلّ على أساس فهم العرف على مقاطع زمانيّةٍ قصيرةٍ قد استُعملت في صريح الآيات

---

(١) راجع: الكافي، ج١، ص٣٦٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٦٣.

(٣) عيون الحكم، ص٣٧٦؛ بحار الأنوار، ج١٠٠، ص٢٧.

(٤) كما اتّفق ذلك لآية الله السيّد الخوئيّ قدس سره، إذ بناءً على القضيّة الّتي حدثت له ـ و الّتي ستُذكر في الصفحة ٧٧٤ من هذا الكتاب ـ فقد حصل له قدس سره قبل وفاته ظهورٌ و فرجٌ شخصيّان.

(٥) يستفاد من الروايات أنّ ذوات المعصومين عليهم السلام المقدّسة تَحضُر المؤمنين الحقيقيّين عند الاحتضار.

و النصوص الدينيّة في مورد القيامة، حتّى قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَ السَّاعَة كَهَاتَيْنِ»[1]. إذًا نسأل الله تعالى أن يُوَفّقنا لفهم الرُّؤية الفكريّة الشاملة للمعصومين عليهم السلام؛ «اَلْعِلْمُ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللّٰهُ فِي قَلْبِ مَنْ يَشَاء»[2].

**ج) عدّة شائعات

إنّ المباحث المتّصلة بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف لها وَلِهون و متعطّشون كُثُر، و كما كان يعقوب عليه السلام يتحرّى في كلّ آنٍ عن يوسُف عليه السلام خبرًا، فإنّ شيعة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف كذلك في سعيٍ دائمٍ و متواصل إلى بشارةٍ بقُرب ظهور آخر الذخائر الإلهيّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف كي تعُمّ البركة و ينتشر السرور في أقطاب السماوات و الأرض. لكن لا بدّ من الالتفات و الانتباه حتّى لا يصير هذا الشوق سببًا لقبول كلّ ما يُقال و يُنقل من دون التدقيق في وثوق مصدره و دقّته في النقل و صحّة خبره. و من أجل هذا لا بدّ من الإشارة إلى عددٍ من الشائعات الّتي انتشرت بنحوٍ واسع.

***١. شائعة الظهور في سنة ١٤١٤هـ.ق.

قبل ذكر هذه الشائعة نقول إنّ من بين الأبحاث حول مسألة التوقيت، هي الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام، الّتي تشتمل على نوعٍ من تعيين الوقت. لكنّنا من ناحيةٍ نعلم أنّ وجوب تكذيب التوقيت هو من العقائد الراسخة و الواضحة لدى الشيعة الاثني عشريّة، و أنّ التسرّع في أمر الفرج يستوجب الهلاك. و إنّ روايات النهي عن التوقيت من الرسوخ في الثقافة الشيعيّة، إلى حدّ أنّ تعابير من قبيل: «كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ، وَ هَلَكَ الْمُسْتَعْجِلُونَ، وَ نَجَا الْمُسَلِّمُونَ»، و «كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ، إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نُوَقِّتُ»، و «أَبَى اللّٰهُ إِلَّا أَنْ يُخَالِفَ وَقْتَ الْمُوَقِّتِينَ»، أضحت من الأمثال المشهورة و الرائجة الاستعمال بين الناس. و قد عقد الشيخ الكليني رحمه الله بابًا في كتاب الكافي ـ و هو من أهمّ المصادر الروائيّة الشيعيّة ـ يشتمل على سبع روايات في هذا الشأن[3]. و هذه الروايات تؤكّد صراحة أنّ الشيعة ليسوا هم وحدهم الّذين نُهوا عن التوقيت، بل حتّى الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام أيضًا لم يفعلوا ذلك.

---

(١) بحار الأنوار، ج١٦، ص٢٥٦.

(٢) مصباح الشريعة، ص١٦.

(٣) الكافي، ج١، ص٣٦٨.

بَيد أنّ بعض الروايات الأخرى تشتمل ـ من ناحيةٍ أخرى ـ على نوعٍ من تحديد عصر الظهور. و من ذلك ـ مثلًا ـ ما جاء في الروايات: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ أُخِّرَ مَرَّتَيْنِ»[1]. و ظاهر هذه الرواية أنّ زمن الظهور قد حُدّد مرّتين، دون أن يتحقّق الظهور في كِلا هذين الوقتين. و يؤيّد ذلك رواية أخرى، يقول فيها أبو حمزة الثماليّ للإمام الباقر عليه السلام: «وَ قَدْ مَضَتِ السَّبْعُونَ وَ لَمْ نَرَ رَخَاءً!»، فأجابه الإمام عليه السلام قائلًا: «يَا ثَابِتُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ وَقَّتَ هَذَا الْأَمْرَ فِي السَّبْعِينَ، فَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَخَّرَهُ إِلَى أَرْبَعِينَ وَ مِائَةِ سَنَةٍ، فَحَدَّثْنَاكُمْ فَأَذَعْتُمُ الْحَدِيثَ وَ كَشَفْتُمْ قِنَاعَ السِّتْرِ، فَأَخَّرَهُ اللَّهُ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَقْتاً عِنْدَنَا وَ يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ»[2]. و يبدو من ظاهر هذه الرواية أنّ وقت الظهور قد عُيّن أوّل الأمر بسنة سبعين، بحيث إنّ أبا حمزة كان مطّلعًا على هذا التوقيت، بَيد أنّ سنة السبعين قد تصرّمت و لم يتحقّق الظهور فيها. و كذلك فإنّ الإمام الباقر عليه السلام قد ذكر سنة أربعين و مئة بوصفها موعدًا لتحقّق الظهور، و قال إنّ هذا الوقت أيضًا قد أُجّل، ثمّ أشار الإمام عليه السلام إلى آية البَداء. و لا بدّ من الالتفات إلى أنّ تاريخ صدور هذه الرواية يعود في الحدّ الأدنى إلى ستّ و عشرين سنة قبل سنة أربعين و مئة، و ذلك لأنّ الإمام الباقر عليه السلام قد استشهد سنة ١١٤ للهجرة.

و الرواية الأخرى في هذا الشأن هي رواية أبي لبيد، و قد حدّد فيها الإمام الباقر عليه السلام تاريخ الظهور على طبق الحروف المقطّعة في القرآن الكريم. و النقطة الجديرة بالاهتمام أنّ سماحة آية الله الشيخ البهجة رحمه الله قد أشار إلى هذه الرواية في حلقة درسه، و ذكر ما يمكن استنباطه استنادًا إلى هذه الرواية. و على هذا الأساس، فمن الشائعات الّتي انتشرت في زمن حياة سماحته على نطاق واسع، أنّه نُسب إلى سماحته القول إنّ «عام ١٤١٤ للهجرة» سيشهد ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و للأسف الشديد فقد عمد بعض المغرضين إلى نشر هذا الكلام و صاروا بصدد التلاعب بعواطف الناس الدينيّة تمهيدًا لإضعاف عقيدة الشيعة، و تشويه مصداقيّة العلماء الربانيّين، و نشروا هذه الشائعة ما أمكنهم عن وعي و تعمُّد. و بطبيعة الحال كان هناك في البَين بعض الأشخاص من أصحاب النيّات الصادقة الّذين من منطلق شوقهم يترقّبون أدنى إشارة و بارقة أمل في هذا الشأن، فأسهموا ـ بحسن نيّة و دون أن تكون لهم غاية خبيثة ـ في نشر هذا الكلام و ترويجه بمجرّد سماعهم له، دون أن يلتفتوا إلى مضمونه و مدى تأثيره في المجتمع.

---

(١) الغيبة (للنعمانيّ)، ص٢٩٣.

(٢) الغيبة (للطوسيّ)، ص٤٢٨؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٠٥.

و عليه، توجد هنا عدّة مسائل يجب وضعها على طاولة البحث و النقاش، أوّلًا: كيف يمكن الجمع بين الروايات الّتي تحدّد تاريخ الظهور و بين الروايات المسلّم بها و الصريحة في نفي التوقيت و منعه؟ و ثانيًا: هل الشائعة المذكورة تطابق الواقع، و هل صحيح أنّ آية الله الشيخ البهجة ﷺ قد حدّد وقتًا للظهور؟

أمّا فيما يتعلّق بالمسألة الأولى، فيجب الالتفات إلى عدّة نقاط:

أوّلًا: لقد ورد نفي التوقيت في روايات كثيرة، و من أهمّها رواية الإمام الرضا عليه السلام، إذ قال لدعبل الخزاعيّ: «وَأَمَّا مَتَى فَإِخْبَارٌ عَنِ ٱلْوَقْتِ، وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيٍّ عليهم السلام أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، مَتَى يَخْرُجُ ٱلْقَائِمُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: مَثَلُهُ مَثَلُ ٱلسَّاعَةِ لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّماواتِ وَٱلأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً»[1]. إنّ هذه الرواية تنفي التوقيت صراحة، فهي تقول: كما لا يمكن تعيين وقتٍ ليوم القيامة كذلك لا يمكن تحديد وقتٍ للظهور. و أن تُنقل هذه الرواية عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، و أن يرويها الإمام الرضا عليه السلام بدوره عن آبائه المعصومين عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، لهو خير دليل على اهتمام أهل البيت عليهم السلام بهذه الرواية. و سيأتي بحث هذه الرواية و دراستها في معرض الكلام عن علم الإمام عليه السلام[2] و سيتّضح فيه أنّ هذا الحديث من الأحاديث المهمّة للغاية في فهم كلام أهل البيت عليهم السلام، و أنّه يؤدّي دورًا جوهريًّا في الجمع بين كلماتهم. و قد أشار آية الله الشيخ البهجة ﷺ إلى هذا الحديث في بحث الافتراق بين الأمور الّتي يكون حدوثها مناطًا بالزمان و الأمور الّتي يكون حدوثها مناطًا بالزمانيّات (بمعنى وقوع أحداث معيّنة).

ثانيًا: إنّ المراد من التوقيت هو تحديد الزمان. و على هذا الأساس فإنّ الروايات الدالّة على علامات الظهور لا تشتمل على توقيت، كما هو الحال بالنسبة إلى القيامة أيضًا؛ فقد صرّح القرآن الكريم بوجود علامات و أمارات لها، إذ يقول الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾[3]. و على هذا الأساس، فإنّ التوقيت شيء، و بيان علامات الظهور شيء آخر. و الّذي يقع موردًا للبحث هو الروايات الّتي عيّنت وقتًا للظهور، و قد سبقت الإشارة إلى بعضها.

ثالثًا: إنّ علماء الشيعة ـ سواءٌ المتقدّمون منهم أم المتأخّرون ـ قد ذكروا الروايات المشتملة على التوقيت، و أدرجوها في كتبهم ـ مع علمهم و إقرارهم بنفي التوقيت و النهي

---

(١) كمال الدين، ج٢، ص٣٧٣.

(٢) و قد ذُكر البحث العلميّ حول علم الإمام عليه السلام في الملحق الرّابع في الصفحة ٩٠٤ من هذا الكتاب.

(٣) سورة محمّد صلى الله عليه وآله، الآية ١٨.

عنه في مذهب الشيعة ـ و تحدّثوا في فهمها و شرحها و حلّها. و عليه، فقد كان لديهم وجه للجمع بينها، و قد سوّغ لهم ذلك الوجه ذكر هذه الروايات و تدوينها في كتبهم.

رابعًا: لقد ذكر العلماء احتمالات مختلفة في الجمع بين الروايات. بل إنّ الشيخ الكلينيّ ﷺ ـ الّذي ذكر روايات التوقيت مرّتين، و بدلًا من تسمية الباب الخاصّ بهذه الروايات بباب «حرمة التوقيت»، وضع له عنوان «باب كراهية التوقيت» ـ قد أشار إلى وجه الجمع بين هذه الروايات و بين أدلّة النهي عن التوقيت. كما تحدّث العلّامة المجلسيّ ﷺ بدوره في الباب الحادي و العشرين من المجلّد الثاني و الخمسين من بحار الأنوار مرّتين حول الجمع بين هذه الروايات. فقد ذكر في البداءة بحثًا مطوّلًا على هامش رواية أبي لبيد الّتي سبقت الإشارة إليها[1]، ثمّ ذكر وجوه الجمع مرّة ثانية في نهاية الباب. و قال في ختام هذا البحث:

«ثمّ إنّ هذه التوقيتات على تقدير صحّة أخبارها لا تُنافي النهي عن التوقيت، إذ المراد بها النهي عن التوقيت على الحتم لا على وجه يحتمل البَداء كما صُرّح في الأخبار السالفة، أو عن التصريح به فلا ينافي الرمز و البيان على وجه يحتمل الوجوه الكثيرة أو يخصّص بغير المعصوم ﷺ، و ينافي الأخير بعض الأخبار و الأوّل أظهر. و غرضُنا من ذكر تلك الوجوه إبداء احتمال لا ينافي ما مرّ من هذا الزمان، فإن مرّ هذا الزمان و لم يظهر الفرج و العياذ بالله كان ذلك من سوء فهمنا و الله المستعان. مع أنّ احتمال البداء قائمٌ في كلٍّ من محتملاتها كما مرّت الإشارة إليه في خبر ابن يقطين و الثماليّ و غيرهما، فاحذَر من وساوس شياطين الإنس و الجانّ، و على الله التكلان»[2].

خامسًا: إنّ الوجه الأخير الّذي يذكره العلّامة المجلسيّ ﷺ، و هو اختصاص جواز التوقيت بالإمام المعصوم ﷺ، يتنافى ـ على حدّ تعبيره ـ مع بعض الروايات. و في توضيح كلام العلّامة المجلسيّ ﷺ و تأييده لا بدّ من الالتفات إلى نقطتين أساسيّتين:

أ) إنّ التأمّل في الأحاديث يُثبِت أنّ باب فهم هذه الأمور غير مؤصد تمامًا في وجه غير المعصوم ﷺ. ففي بعض الروايات لا يحدّد الإمام ﷺ زمن الظهور مباشرة، بل يفتح بابًا للفهم و يعمل على التعريف بطريقٍ يمكن للإنسان أن يسلكه للوصول في النهاية إلى ينابيع

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٠٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٢١.

الكشف عن هذه الحقيقة، أي أنّه يصل إلى القرآن الكريم الّذي هو ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾. من ذلك ـ مثلًا ـ أنّ الإمام عليه السلام في رواية أبي لبيد ـ المتقدّم ذكرها ـ يُحيل المخاطَب إلى فهم الحروف المقطّعة في القرآن الكريم، و يقول: «يَا أَبَا لَبِيدٍ، إِنَّ فِي حُرُوفِ الْقُرْآنِ الْمُقَطَّعَةِ لَعِلْمًا جَمًّا»، ثمّ لا يكتفي الإمام عليه السلام بذلك، بل يشير إلى طريقة فهم الحروف المقطّعة أيضًا، و يقول: «وَتِبْيَانُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ إِذَا عَدَدْتَهَا مِنْ غَيْرِ تَكْرَارٍ». ثمّ قال عليه السلام في الختام: «فَافْهَمْ ذَلِكَ وَعِهْ وَاكْتُمْهُ». و هكذا عمد الإمام عليه السلام إلى حثّ أبي لبيد و تشجيعه على فهم ما بيّنه له و استيعابه. و من الواضح بداهةً أنّ علم هذه الأمور لو كان من مختصّات الإمام المعصوم عليه السلام، لاكتفى الإمام ببيان النتيجة الحاصلة من هذا العلم، و لما حثّ المخاطب على الفهم و التحصيل. و على هذا الأساس، فإنّ باب فهم هذا الأمر مفتوح لغير المعصوم عليه السلام أيضًا، و إن كان عدد الّذين يمكنهم الوصول إلى هذه الدرجة من التوفيق و الكمال في هذا المضمار قليل جدًّا.

و لا بدّ من الالتفات إلى أنّ الحروف المقطّعة ـ طبقًا للروايات ـ هي زبدة القرآن الّتي يمكن استخراج القرآن الكريم كلّه منها. فقد نقل «أبو فاختة» ـ و هو من خُلّص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ـ في هامش قوله تعالى ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1]: «أُمُّ الْكِتَابِ فَوَاتِحُ السُّوَرِ مِنْهَا يُسْتَخْرَجُ الْقُرْآنُ ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ مِنْهَا اسْتُخْرِجَتِ الْبَقَرَةُ، وَ﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مِنْهَا اسْتُخْرِجَتْ آلُ عِمْرَانَ»[2]. و على هذا الأساس، فإنّ الحروف المقطّعة من خزائن العلم الإلهيّ، و ليست من سنخ علم المخلوقات. و إنّ الله سبحانه و تعالى العالِم بجميع الأمور، الّذي لديه علم البعث و القيامة، قد أنزل القرآن الكريم و أودع فيه أسراره. و عليه، فإنّ الّذي يصل إلى معرفة «أمّ الكتاب»، يكون في الواقع قد توصّل إلى علم كلّ الكتاب الّذي هو «تبيان لكلّ شيء». و من هنا، فإنّ الإمام عليه السلام يُعرّف بمجموع علمه بوصفه مأخوذًا من كتاب الله سبحانه و تعالى، فقد ورد في رواية حمّاد اللحّام، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «نَحْنُ وَاللَّهِ نَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي الْجَنَّةِ وَمَا فِي النَّارِ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ»[3]. يقول حمّاد: تعجّبت من سماع هذا الكلام، و أخذت أنظر إلى الإمام عليه السلام [مستفهِمًا]؛ فقال الإمام عليه السلام: «يَا حَمَّادُ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ» ثلاث مرّات. و كذلك في رواية

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٢) تفسير الطبريّ، ج٦، ص١٨٤.

(٣) بصائر الدرجات، ج١، ص١٢٨.

عبد الأعلى بن أعْيَن أيضًا، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «قَدْ وَلَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأَنَا أَعْلَمُ كِتَابَ اللَّهِ وَفِيهِ بَدْءُ الْخَلْقِ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَفِيهِ خَبَرُ السَّمَاءِ وَخَبَرُ الْأَرْضِ وَخَبَرُ الْجَنَّةِ وَخَبَرُ النَّارِ وَخَبَرُ مَا كَانَ وَخَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ، أَعْلَمُ ذَلِكَ كَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى كَفِّي، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ»[1].

و عليه، لو نظرنا إلى نظائر رواية أبي لبيد بهذه الرؤية، مع الأخذ في الحسبان أنّ القرآن يجري مجرى الليل و النهار، و أنّ له تأويلات في كلّ عصر و زمان يعرفها أهلها، يتّضح أنّه لو توصّل شخص إلى حقيقة ما قاله الإمام عليه السلام ـ كما شجّع الإمام عليه السلام على مثل هذا الفهم ـ أمكن له أن يفهم من القرآن الكريم و الحروف المقطعة تفاصيل الأمور المرتبطة بالدين و العقيدة على المستوى الفرديّ و الاجتماعيّ و ما يتعلّق بحياة المؤمنين و الفرَج الخاصّ أو العامّ لهم، وكلّ ما يُعدّ بشارة للمنتظرين. و ربما اتّضح من كلام سماحة آية الله الشيخ البهجة قدس سره و سلوكه أنّه من الّذين أنعم الله تعالى عليهم بمثل هذا العلم الّذي حُرمنا إيّاه. و لذلك كان التمييز بين الأمور واضحًا بالنسبة إليه، و لم يكن يخلط بين الأخبار المحتومة و بين البداء، وكان قد جمع بين فهمهما و الإيمان بهما.

ب) إنّ المراد من الكتمان في المقطع الأخير من رواية أبي لبيد ـ طبقًا للكثير من القرائن ـ هو الكتمان عن غير أهله. و هناك في الحدّ الأدنى ثلاث قرائن على هذا التقييد، وكلّ واحدة منها تكفي للاطمئنان إلى صحّة هذا التقييد:

القرينة الأولى: موجودة في الرواية ذاتها؛ إذ لو كان أمر الإمام عليه السلام بالكتمان أمرًا مطلقًا، لكان لازمه وجوب الكتمان حتّى بالنسبة إلى الأشخاص الّذين يتحلّون بالفهم و بُعد الرؤية وكتمان السرّ. و بذلك فإنّ الّذي يروي هذا الحديث عن الإمام يكون بنفسه قد خالف أمر الإمام عليه السلام، إذ روى مثل هذا الحديث! و عليه، كيف اهتمّ كبار علماء الشيعة منذ القدم و حتّى هذه اللحظة برواية مثل هذا الشخص و لم يعترضوا عليه إذ خالف أمر الإمام عليه السلام، و خرج عن العدالة و الوثاقة؟! و عليه، فإنّ هذا يدلّ على أنّ الرواية مقترنة بمخصّص لُبّي يفهمه كلّ شخص مطّلع على كلام أهل البيت عليهم السلام.

القرينة القطعيّة الثانية: قرينة خارجيّة و عامّة، و هي تتمثّل بالعديد من الروايات الدالّة على جواز ـ بل وجوب ـ تعليم العلم و الحكمة لأهلهما و عدم كتمانهما عنهم. و هناك في

(١) الكافي، ج١، ص٦١.

كتاب «بحار الأنوار» باب معقود في هذا الخصوص، يحتوي على أكثر من ثمانين رواية. و من بين أشهر هذه الروايات، الحديث المنقول عن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله و الأئمّة المعصومين عليهم السلام عن النبيّ عيسى عليه السلام، و الّذي ورد في عشرات الكتب و المصادر الروائيّة، مثل: «الكافي»، و «من لا يحضره الفقيه»، و «الأمالي» و غيرها، بعبارة: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا تُحَدِّثُوا بِالْحِكْمَةِ الْجُهَّالَ فَتَظْلِمُوهَا، وَ لَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ»[1]. و إنّ الكثير من الروايات تحتوي على عبارات واضحة في هذا الشأن، من قبيل الحديث الثامن و الأربعين، من هذا الباب: «أَمَّا مَا حَدَّثْتَ بِهِ أَصْحَابَكَ فَلَا بَأْسَ، إِنَّمَا الْإِذَاعَةُ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ غَيْرَ أَصْحَابِكَ»[2].

القرينة الثالثة: قرينة خارجيّة و خاصّة، و هي أنّ الإمام عليه السلام في موارد مشابهة أخرج الأشخاص المؤهّلين من الأمر بلزوم الكتمان. و أوضحها حديث يونس بن ظبيان، إذ قال يونس في نهاية الحديث: «يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدٍ دَخَلَ عَلَيْكَ بِالْأَمْسِ، فَسَأَلَكَ عَمَّا سَأَلْتُكَ، فَأَجَبْتَهُ بِخِلَافِ هَذَا؟!». فقال له الإمام عليه السلام في الجواب: «يَا يُونُسُ، كُلُّ امْرِئٍ وَ مَا يَحْتَمِلُهُ، وَ لِكُلٍّ وَقْتٍ حَدِيثُهُ، وَ إِنَّكَ لَأَهْلٌ لِمَا سَأَلْتَ، فَاكْتُمْهُ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ، وَ السَّلَامُ»[3]. إنّ هذه الرواية تثبت بوضوح أنّ الأمر بالكتمان ناظر إلى من هو ليس بأهل. ففي الكثير من الروايات الأخرى و في موارد خاصّة، هناك تعبيرات من قبيل: «فَصُنْهُ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ»[4]، و «فَاكْتُمْهُ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ»[5]، و يمكن لنا أن نستنبط منها قانونًا كلّيًّا.

و لربما بسبب وجود هذه القرائن، و بالالتفات إلى القاعدة العامّة القائلة بلزوم إبلاغ الحكمة إلى من هم أهل لها، و لزوم كتمانها عن غير أهلها ـ ممّا هو مأخوذ من الروايات ـ على الرغم من اشتمال رواية أبي لبيد على الأمر بالكتمان بصيغة «وَاكْتُمْهُ» و من دون قيد معهود، قال سماحة آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه ـ كما سيأتي ـ في أثناء نقل هذا الحديث، ارتكازًا أو التفاتًا، عبارة «وَ اكْتُمْهُ إِلّا عَنْ أَهْلِهِ»، و هذه العبارة تمثّل في الواقع جمعًا بين الروايات الّتي تقدّم ذكرها.

(١) الكافي، ج١، ص٤٢.

(٢) المحاسن، ج١، ص٢٥٨.

(٣) بحار الأنوار، ج٣٦، ص٤٠٥.

(٤) الكافي، ج١، ص٥٢٨.

(٥) بحار الأنوار، ج٣٦، ص٢٥٠.

و على هذا الأساس، فإنّه في الجمع بين روايات النهي عن التوقيت، و الأدلّة المشتملة على التوقيت، يجب القول: إنّ التوقيت المنهيّ عنه هو التوقيت الزمنيّ الّذي يكون من حيث الدلالة صريحًا، و من حيث المدلول مطروحًا على شكل إخبار قطعيّ و حتميّ لا يقبل البَداء.

و أمّا بشأن المسألة الثانية، وهي كلام شيخنا المقدّس ﷺ حول الظهور، فيجب القول:

إنّ المطّلع على منهج آية الله الشيخ البهجة ﷺ، يُدرك عدم احتمال صدور مثل هذا الكلام عن سماحته بمجرّد سماعه. و فيما يلي نذكر عبارته حول موضوع سنة ١٤؛ كيما يقف العقلاء و المنصفون بأنفسهم على حقيقة الأمر:

«ينقل في تفسير البرهان للسيّد هاشم البحرانيّ ـ رحمه الله ـ في تفسير آية ﴿الٓمٓصٓ﴾ بشأن وقت الظهور و علاماته ـ رواية مشكِلة بحساب الحروف [المقطّعة]، إذ يجب بحثها في ضوء القواعد النظريّة و العقليّة، و جاء في نهايتها: فافهم ذلك، و اكتمه إلّا عن أهله[1]. فإن صحّت هذه الرواية (من حيث الصدور و السند و...)، يُستفاد منها «كذّب الوقّاتون» بمعنى أنّ الّذين يحدّدون وقت الظهور لغير المؤهّلين، كاذبون، لا بنحوٍ مطلق. إنّ هذه الرواية تحدّد وقت الظهور دفعة واحدة باليوم و الشهر و المكان و الساعة[2]. و لم أعثر حتّى الآن على مثل هذه الرواية الّتي تذكر [و تحدّد] الظهور

(١) جدير بالذكر أنّ الّذي يُستنبط من كلام سماحته ﷺ، هو أنّ استدلاله على عدم بطلان التوقيت لمن هو أهل، ليس بعبارة «و اكتمه إلّا عن أهله»، و إنّما أصل التوقيت الّذي يحدّده الإمام ﷺ لأبي لبيد بوصفه شخصًا مؤهّلًا.

(٢) قد يُقال إنّ الرواية لم تتحدّث عن ساعة الظهور و يومه، و غاية ما هنالك أنّها تذكر سنة الظهور فقط. و لكن يُقال في الجواب: إنّ أهل البيت ﷺ قالوا: «أَنْتُمْ أَفْقَهُ النَّاسِ مَا عَرَفْتُمْ مَعَانِيَ كَلَامِنَا إِنَّ كَلَامَنَا لَيَنْصَرِفُ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهًا» (بصائر الدرجات، ج١، ص٣٢٩) و إنّ ما قاله سماحة الشيخ ﷺ من أنّ الرواية تبيّن يوم الظهور و ساعته و موضعه، خير شاهد على أنّه قد توصّل من بواطن هذه الرواية الشريفة إلى حقائق لا يمكن الحصول عليها من مجرّد تجزئة ظاهر ألفاظها و تحليله، و أنّ ذلك يحتاج إلى بصيرة باطنيّة، و أن يكون العبد ممّن امتحن الله قلبه للإيمان، ليفهم حديث آل محمّد ﷺ الصعب المستصعب. و قد يرد هذا السؤال على أذهان البعض، و يقول: كيف تمكّن سماحته ﷺ من التوصّل إلى ساعة الظهور و يومه من الرواية، و في الوقت نفسه تردّد في تحديد الزمان المستفاد من الرواية بين عامي أربعة عشر و خمسة عشر. و هناك في هذا الشأن ثلاثة أوجه:

أ) ربما يكون سماحته ﷺ قد توصّل إلى تحديد الوقت بنحوٍ دقيق، بيد أنّه لم يصرّح بذلك رعاية للاحتياط و كتمان الأمر عن غير أهله.

بهذا الحساب و رقم السنة و ما إلى ذلك. كما بيّن للراوي حسابًا عن تاريخ انقراض بني العبّاس إلى وقت الظهور، لكنّه يحتاج إلى جهدٍ كبير حتّى يستنتج المرء منه النتيجة المنشودة. يقول: يزول حكم بني أميّة في سنة كذا. يقول الراوي: فهمت تصديق ذلك و... . إذا استطاع أحد أن يبذل جهدًا في [فهم] هذه الرواية، سيستخرج حتّى السنة و الشهر و...؛ و لكنّه يحتاج إلى تدقيق و إجالة فكر و جمع للقرائن العقليّة و القرائن الخارجيّة الدقيقة و [قرائن] لبّيّة و اعتبارات كثيرة. و لها حسابات معقّدة».

و بعد أن قال سماحته هذه الكلمات، سأله شخصٌ من أهل العلم كان حاضرًا في حلقة الدرس: ما هي السنة الّتي توصّلتم إليها من خلال العمليّات الحسابيّة لتلك الرواية؟

فقال سماحته ﷺ في جوابه:

«لقد حسبت ذلك ذات مرّة قبل مدّة طويلة اعتمادًا على قرائن معقّدة. على حساب قمت به استنادًا إلى قرائن كثيرة جدًّا، و إذ كان الجواب [و نتيجة الحساب] بعيدًا جدًّا، قلت في نفسي: يا للويل [كم هو بعيد!]، و عندها ربما حتّى لم أدوّنه! و الّذي استخرجته ـ على ما أذكر ـ كان يدور بين أربعة عشر، و خمسة عشر و ستّة عشر. ربما يحصل هذا ـ مثلًا ـ حتّى استقراره [كأن يبدأ من أربعة عشر، و يستقرّ عند ستة عشر] فربما توفّرت مقدّمات الظهور و أرضيّاته في تلك الأعوام، كما أنّه [أي الإمام عليه السلام] حدّد سنة انقراض حكم بني أميّة، الّذي حدث بعد ثلاثين سنة، و إنّ السنة الّتي حُدّدت إنّما كانت تمثّل مقدّمة لانقراض أركان حكومتهم و تزلزلها، و لم تكن تعني الانقراض الفعليّ [و التامّ]. نقلوا: إنّ أحد العلماء ـ و قد توفّي قبل مدّة طويلة ـ قال: إنّ ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سوف يكون في أربعة عشر أربعة عشر، اثنان أربعة عشر متجاوران»[1].

بالالتفات إلى الكلام أعلاه، يتّضح:

ب) ربما كان سماحته ﷺ بالالتفات إلى الاحتمالات المطروحة في الرواية و تناغم صدرها و ذيلها، قد توصّل إلى وقت الظهور بنحوٍ مردّد بين عدد من الاحتمالات.

ج) ربما يكون من خلال تحليل الرواية قد توصّل إلى قاعدة إذا اتّضحت صغرياتها، فإنّه سيكشف عن وقت الظهور بنحوٍ دقيق، بيد أنّ سماحته ﷺ لم تكن بحوزته تلك الصغريات، أو تردّد في تعيينها.

(١) طبعًا نُقل كلام سماحته ﷺ هنا من أحد مصادر أرشيف مركز حفظ و نشر تراث سماحة الشيخ ﷺ، و ليس نقلًا عن الكتب الّتي انتشرت ـ للأسف ـ مع تصرّف في الكلام.

١. إنّ سماحته ﷺ كان في مقام نقل رواية موجودة في المصادر الروائيّة، و العمل على تحقيقها علميًّا، إذ يحدّد فيها وقت الظهور، و لم يكن هو بصدد تعيين وقت الظهور استنادًا إلى تلك الرواية[١].

٢. إنّ سماحته لم يبادر من تلقاء نفسه إلى بيان العدد المذكور، كما أنّه لم يقل إنّ هذا العدد يُفهم من الرواية المذكورة، بل ذكر هذا العدد في جوابه الموجّه إلى الشخص الّذي سأل سماحته عن نتيجة تحقيقه و حسابه.

٣. إنّ السائل لم يكن شخصًا عاديًّا من عامّة الناس، بل هو من أهل العلم المطّلعين على شروط صحّة الروايات و حجّيّتها، و من هنا فإنّ سماحة الشيخ البهجة ﷺ، بالإضافة إلى رعاية جهات الاحتياط، يعيد التأكيد بالقول: **«إن تمّ سند الحديث و اعتباره»**[٢]. فقد

(١) إنّ الموضوع الرئيس لبحث سماحته ﷺ، هو: هل روايات النهي عن التوقيت مطلقة بحيث لا تقبل أيّ استثناء، أم هي مقيّدة و لها بعض الاستثناءات؟ إنّ سماحته ﷺ في هذا الشأن ـ بالنظر إلى الرواية مورد البحث ـ قد احتمل تقييد أدلّة النهي عن التوقيت. و بطبيعة الحال قد يقول شخص: لا يمكن تقييد الأدلّة المتعدّدة الناهية عن التوقيت برواية واحدة ضعيفة، و لا سيّما أنّ هذه الأدلّة تأبى التخصيص. و لكن لا بدّ من الالتفات إلى ما يلي:

أوّلًا: إنّ سماحته ﷺ لم يجزم بتقييد أدلّة النهي عن التوقيت، بل اكتفى بمجرّد بيان احتمالٍ علميّ ربما توصّل المحقّق بعد تنقيحه إلى بعض النتائج. أي أنّه قال: لو أنّ هذه الرواية صحّت سندًا و دلالةً فإنّها سوف تشتمل على هذا اللازم، لا أنّها تشتمل على هذا اللازم قطعًا.

ثانيًا: ليس هناك في هذا الشأن مجرّد رواية واحدة ضعيفة، بل هناك روايات أخرى غيرها أيضًا، و هي تدلّ إجمالًا على تعيين الأئمّة الأطهار ﷺ لوقت الظهور. فإنّ الّذي يطّلع على روايات أهل البيت ﷺ يدرك أنّهم قد حدّدوا وقت الظهور بذكر السنة فيما لا يقلّ عن موردين في الحدّ الأدنى. (راجع: الكافي، ج١، ص٣٦٨؛ الغيبة للنعمانيّ، ص٢٨٨و٢٩٢؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٠٥).

ثالثًا: إنّ الفضاء الحاكم على روايات النهي عن التوقيت، لا يرى احتمال التقييد منتفيًا. فعندما يقول الإمام ﷺ: «مَنْ أَخْبَرَكَ عَنَّا تَوْقِيتًا فَلَا تَهَابَنَّ أَنْ تُكَذِّبَهُ فَإِنَّا لَا نُوَقِّتُ لِأَحَدٍ وَقْتًا» (الغيبة للنعمانيّ، ص٢٨٩)، يتبيّن من تناسب صدر الرواية و ذيلها أنّ المراد من أنّنا لا نعيّن وقتًا لأحد، هو ذلك التعيين الّذي تكون له قابليّة النقل إلى الآخرين و شأنيّته، و أمّا إذا كان المخاطَب من أصحاب السرّ، فلا وجود لمثل هذه القابليّة بلحاظ المخاطب أو التصرّف التكوينيّ من قبل الإمام ﷺ، كما كان لجابر الجعفيّ قرطاسًا من الأخبار السرّيّة للإمام ﷺ، و لكنّه لم يكن مسموحًا له بإفشاء مضامينه أبدًا. و عليه فإنّ مفاد الرواية هو أنّنا أهل البيت لا نوقّت لأحدٍ وقتًا بحيث يتّخذه ذريعةً ليخبر بواسطته هذا و ذاك عن وقت الظهور.

(٢) يقول البعض: ما أهمّيّة كلّ هذا الجهد في البحث و التحقيق في أطراف روايةٍ ضعيفةٍ و مبهمة، و لذلك فإنّه يُسارع إلى رفضها أو طرحها بمجرّد رؤيتها. إلّا أنّ أهل الدراية في الحديث ـ بما أنّهم يعلمون أنّ هذا الحديث قد ورد في

ذكر سماحته هذه المسألة في حلقة درسه في بحث الخارج؛ حيث الحضور فيه ما بين مجتهدٍ أو مراهق للاجتهاد. و إنّ المخاطَبين في هذا المجلس يكون شغلهم الشاغل في مناقشة أسانيد الأحاديث و دلالاتها، و لذلك فإنّ الكلام عن «**فقه الحديث و الرواية**» بحضرة هذا الصنف من المخاطَبين، لا يستوجب غفلتهم عن اعتبار سند الحديث، و هذا أمر واضح بالنسبة إلى من له أدنى معرفة و اطّلاع على علم الحديث. و من البديهيّ و المعلوم أنّ نقل الرواية في مثل هذه الأندية و الحلقات العلميّة، سيرة قائمة و متعارفة جدًّا.

٤. و فوق ذلك كلّه فإنّ سماحته يؤكّد أنّنا حتّى إذا ارتضينا سند الرواية، يبقى فهم معنى الحديث بحاجة إلى دراسة الكثير من الأمور و القرائن اللبّيّة الخارجيّة، و بدون ذلك لا يمكن فهم المراد منها، و إنّه مع حدوث التغيير في كلّ واحدة من هذه المقولات يحدث تغيير في النتيجة المستحصلة منها أيضًا.

٥. يتّضح جليًّا من كلام آية الله الشيخ البهجة ﷺ أنّه كان بصدد بيان احتمال ناتج من حساب هذه الرواية؛ و ذلك لأنّ سماحته ﷺ أكّد في كلامه «إن صحّ هذا الحديث من حيث السند و الدلالة»، و هذا الشرط واضح المعنى لأُولي الخبرة، و هو يعني أنّه ﷺ لم يقطع بثبوت صحّة سند هذا الحديث و دلالته، كما أكّد «عدم قطعيّة هذا الحساب» و احتياجه إلى الكثير من القرائن المعقّدة. حتّى إنّ سماحته قد أضاف قائلًا إنّه لم يدوّن ذلك العدد؛ و هذه العبارة بدورها تؤكّد بنحو آخر احتماليّة هذا العدد، و ذلك لبداهة أنّ الشخص الّذي وقف كلّ وجوده و كيانه على إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ثمّ اتّضح له الزمن القطعيّ لظهوره، بعد قيامه بالكثير من الحسابات الدقيقة و المعقّدة و بعد بذل الكثير من الجهود، يجب أن تكون هذه المسألة في غاية الأهمّيّة بالنسبة إليه، لَسجّلها و دوّنها البتّة.

كتاب محدّثٍ كبيرٍ مثل العياشيّ (الّذي كانت أحاديثه في الأصل مسندة، إلّا أنّ ناسخ الكتاب حذفها) ـ يذهبون أوّلًا إلى عدّ احتمال صحّتها أمرًا معقولًا، و إن كانوا لا يرون لها حجّيّة شرعيّة و قطعيّة. و يتصدّون ثانيًا ـ بدلًا من إهمال الرواية الّتي تبدو في ظاهرها مشتملة على الإشكال و الإبهام ـ إلى البحث في مختلف الاحتمالات العلميّة المذكورة فيها، ليقتربوا من مقصود الإمام عليه السلام أكثر. فلربما أمكن الوصول من خلال التأمّل و التدبّر في رواية ضعيفة ـ كانت تبدو للوهلة الأولى مفعمة بالإشكالات ـ و دراسة احتمالاتها، إلى نقطة علميّة لا يمكن الحصول عليها في عشرات الروايات الصحيحة الأخرى. و طبعًا هذا لا يعني حجّيّة الرواية الضعيفة و المشتملة على الإشكال و الغموض، بل هو منهج الاستفادة القصوى من تراث الأئمّة عليهم السلام، الّذي التزم به فقهاء الشيعة على الدوام، و قد تحدّث سماحة الشيخ البهجة ﷺ بدوره في هذا السياق، على غرار العلّامة المجلسيّ ﷺ الّذي ذكر عدة احتمالات و طرق علاجيّة في ذيل هذه الرواية.

٦. إنّ كلام سماحته على غرار كلام العلّامة المجلسيّ؛ إذ أشار في الوجه الرابع من معنى الحديث، إلى العديد من التواريخ، وكلّ واحد منها يستند إلى ملاحظة وإلى حساب خاصّ، إذ يقول: ١٦٩٦، ١٥٢٥، ٢٣٢٥ و٢١٩٤. ثمّ قال بعد ذلك:

«و هذه أنسب بتلك القاعدة الكلّيّة و هي قوله «و ليس من حرفٍ ينقضي... »، إذ دولتهم عليهم السلام آخر الدول، لكنّه بعيدٌ لفظًا و لا نرضى به، رزقنا الله تعجيل فرجه عليه السلام، هذا ما سمحت به قريحتي بفضل ربّي في حلّ هذا الخبر المعضل و شرحه...».

نلاحظ في هذه العبارة أنّه يرى أنّ فهم الوجوه المختلفة لمعاني هذا الحديث من فضل الله تعالى عليه، و إنّه لم يكن بصدد الوصول إلى عدد قطعيّ. كما أنّ عبارته الأخرى في الصفحة ١٢١، بعد الإشارة إلى سنة ١١٥٩ جديرة بالملاحظة أيضًا، إذ يقول:

«و غرضنا من ذكر تلك الوجوه إبداء احتمال لا ينافي ما مرّ من هذا الزمن، فإن مرّ هذا الزمن و لم يظهر الفرج و العياذ بالله، كان ذلك من سوء فهمنا، و الله المستعان، مع أنّ احتمال البَداء قائم في كلٍّ من محتملاتها كما مرّت الإشارة إليه في خبر ابن يقطين و الثماليّ و غيرها».

إنّ المطّلع على هذه الأجواء العلميّة، إذا كان على دراية بهذا البحث المتشعّب و المترامي الأطراف، و كان عالمًا بأنّ هذا الحديث محطّ جذب و ردّ من قبل المحدِّثين و الفقهاء، و أخذ في الحسبان التأكيد المتكرّر من قبل سماحة آية الله الشيخ البهجة على صعوبة فهم هذا الحديث ـ الّذي نوّه إليه في مختلف المناسبات ـ لأدرك بما لا مجال معه إلى الشك، أنّ سماحته إنّما كان في هذا الكلام بصدد بيان مجرّد مناقشة مفاد الرواية و بيان وجهها العلميّ لا أكثر.

٧. ربما تعمّد سماحته الإبهام في كلامه رعايةً لأمر الكتمان عمّن هو ليس بأهل، سواء من حيث الموضوع أم من حيث المحمول. و ذلك أنّ سماحته أوّلًا: لم يتحدّث عن «سنة ١٤١٤ للهجرة»، بل ألقى الكلام بحيث ينطبق على كلّ من الأعداد: ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٥١٥، ١٦١٦ و الكثير من الأعداد الأخرى في جزء منه إذ يشتمل على واحد من الأعداد الثلاثة: ١٤، ١٥ أو ١٦. و ثانيًا: يقول سماحته إنّ التاريخ المذكور يمكن أن يمثّل عام التمهيد لواحدة من مقدّمات الظهور، و ليس تحقّق الظهور الفعليّ للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و قد عزّز سماحته هذا

الاحتمال بموضع آخر من الرواية، حيث عُيّن [وقت] انقراض ملك بني أميّة بعام هو في الحقيقة عام تزعزع أركان حكمهم[1]. كما أنّ تأكيد سماحته بُعد نتيجة حسابه يؤيّد هذا الاحتمال أيضًا، إذ في تاريخ صدور هذا الكلام من سماحته، لم يكن سنة ١٤١٤ للهجرة بوصفه سنة الظهور بعيدًا. و لكن في الكتاب الأوّل الّذي نُقل فيه هذا الأمر عن سماحته ﵀ ـ للأسف الشديد ـ لم تكن هناك رعاية للأمانة و ذكر «عام ١٤١٤ للهجرة»[2] في حين أنّ آية الله الشيخ البهجة ﵀ قد أشار في مستهلّ كلامه إلى مجرّد الأعداد: «**أربعة عشر، و خمسة عشر، و ستّة عشر**»، و ليس إلى «١٤١٤ (أربعة عشر و أربعمئة و ألف) حسب التقويم الهجريّ القمريّ»! و في نهاية كلامه عندما نقل عبارة «اثنان أربعة عشر متجاوران» إنّما نقلها عن أحد العلماء و لم تكن من قِبَله، كما أنّه لم يقل «أربعة عشر و أربعمئة و ألف». و إنّ التطبيق الحصريّ لعبارة «اثنان أربعة عشر متجاوران» على «سنة ١٤١٤ للهجرة» بدوره من دون دليل، إذ من الواضح أنّ لتجاور العددين أربعة عشر مساحة واسعة. و بطبيعة الحال فإنّ هذا ـ في حدّ ذاته ـ يُعدّ من لطائف بيان ذلك العالِم؛ إذ لجأ إلى التعبير بـ «أربعة عشر أربعة عشر، اثنان أربعة عشر متجاوران»، ليدلّ على وجود خفايا في هذه المسألة، و إلّا فمن الواضح و البديهيّ جدًّا أنّ الشخص إذا أراد الإشارة إلى سنة «١٤١٤»، لاستعمل عبارة «أربعة عشر و أربعمئة و ألف» أو «ألف و أربعمئة و أربعة عشر» بنحوٍ معتادٍ و طبيعيّ، و يبدو أنّ ذلك العالم قد أحجم عن التصريح بالعدد الّذي توصّل إليه، من أجل كتمان الأمر عمّن هو ليس

---

(١) قد يُقال إنّ حمل الرواية على زمن تحقّق مقدّمات الظهور هو على خلاف الظاهر، لكن يجب القول في الجواب: إنّ سماحة الشيخ ﵀ لكي ينسجم معنى الرواية مع الواقعيّة الخارجيّة، و على أساس القواعد العقلائيّة لفهم المتن، و بالنظر إلى هذه القرينة القائلة بأنّ سنة زوال حكم بني أميّة هي في الواقع سنة مقدّمات زوالهم، فإنّه ﵀ بدلًا من طرح الرواية و ردّها، حَمَلَ الوقت المذكور للظهور على زمان تحقّق إحدى مقدّمات الظهور. أي بما أنّ لقتل النفس الزكيّة أو الخسف في البيداء أو بداءة أحد الخروجات، وقتًا معلومًا و محدّدًا، و هي من مقدّمات الظهور، فيمكن أن تحدث في السنة الّتي نتجت عن الحساب إحدى مقدّمات الظهور و ليس الظهور نفسه. و من الجدير ذكره أنّه لو احتُسبت، بحساب الحروف المتعارف، سنة زوال بني أميّة المذكورة في الرواية انطلاقًا من بداءة زمن الهجرة، فستكون السنة الناتجة عن الحساب زائدة بثلاثين سنة عن الزمن الحقيقيّ لزوالهم. و لذا فإنّ شُرّاح الرواية، من أمثال العلّامة المجلسيّ ﵀، من خلال تغيير مبدأ التأريخ الّذي اعتمدوا عليه في عمليّة الحساب أو طريقة الحساب الأبجديّ للرواية، قد توصّلوا إلى سنة ١٠٠ أو ١٠٧ للهجرة القمريّة، و هي في حدود ثلاثين سنة قبل زوال بني أميّة الفعليّ.

(٢) و ربما كان مؤلّف الكتاب حسب الظاهر بصدد تنقيح الكلام من خلال حمله على المعنى الظاهريّ الّذي فهمه، و لم يكن ما صدر عنه بالضرورة لغاية التصرّف في العبارة و تحريفها عن قصد و عمد.

بأهل، و لجأ إلى استعمال عبارة قابلة للحمل على أعداد مختلفة. و النقطة الأخرى أنّه و إن كان المألوف من سيرة العلماء هو العمل بالتاريخ الهجريّ القمريّ، إلّا أنّه لم يرد الحديث لا في كلام آية الله الشيخ البهجة ﷺ، و لا في كلام ذلك العالم ما يدلّ على التاريخ الهجريّ القمريّ، و من هنا كان هذا الكلام محمولًا على عدّة أوجه و مفتوحًا أمام عدّة احتمالات حتّى من حيث التقويم المعتمَد و نوعه أيضًا.

٨. عندما عمد البعض إلى نسبة سنة «١٤١٤ للهجرة القمريّة» إلى سماحته ﷺ، و انتشرت هذه الرواية عنه في المجتمع، و بلغ ذلك سمعه، تأثر و انزعج من أصل القضيّة و من التصرّف في كلامه، و علّق على ذلك بالقول: لطالما ذكرت مرارًا أنّ الفرَج في عقيدتنا موقَّت بـ «الزمانيّات» [أي الوقائع الحتميّة]، لا بـ «الزمان»![1] و إنّ ما قيل إنّما كان في مقام مناقشة مفاد حديث دون تعيين زمن. ثمّ حدث لاحقًا و لمناسبة ما أن أشير إلى هذه الرواية و حسابها في حلقة درسه في بحث الخارج، فذكر سماحته هذه المسألة بالقول إنّه طبقًا لبعض الحسابات قد يتوصّل إلى أعداد مضى زمنها؛ الأمر الّذي يثبت أنّ تلك الحسابات إمّا كانت خاطئة أو أنّه قد حصل بَداء بشأنها. إنّ هذا النوع من الكلمات من قبل سماحته ﷺ يُثبت مرّة أخرى بوضوح تامّ أنّ بيان هذا العدد إنّما كان مجرّد بيان لاحتمال علميّ في مجلس لأهل العلم و في مقام فقه الحديث. و عليه، فإنّ هذا الكلام لا يُعدّ ـ بأيّ وجه من الوجوه ـ مصداقًا للتوقيت المنهيّ عنه في الروايات و المحكوم عليه بالبطلان، و الّذي أُمرنا بتكذيب قائله، و إنّ كلّ شيعيّ اثني عشريّ ـ صغيرًا كان أم كبيرًا ـ منذ عصر حضور الأئمّة المعصومين عليهم السلام إلى يومنا هذا، يعلم بطلان مثل هذه المدّعيات.

٩. إنّ منهج سماحته طوال حياته يثبت بوضوح أنّه مع أمله بقرب الفرج، و إحياء هذا الأمل في قلوب المؤمنين، و العمل على تقوية هذا الشعور، كي يُعدّوا العُدّة لمثل هذه الواقعة العظيمة و يعملوا على إصلاح أنفسهم، كان يذكّرهم على الدوام بخشيته من أن يطول انتظار الفرَج العامّ و يمتدّ زمن الغَيبة، كي يتّجه تفكير الشيعة في الوقت نفسه إلى تحقيق الفرَج الشخصيّ، و لا يخسروا إيمانهم إذا لم يحدث الفرَج قريبًا. و قال سماحته في كلمة له:

«و قد كان من بين علماء النجف بعض الّذين هم من أهل علم الجفر و أمثاله، و كانوا مبعّدين لهذه القضيّة [أي الظهور]، و قد قالوا لأحدهم: لا أنت تراه، و لا ولدك،

---

(١) لتوضيح هذه العبارة راجع الصفحة ٤٢٤ من هذا الكتاب.

و لا حفيدك، و لا...! و في المقابل، البعض كانوا مقرّبين له، و كان شاهدهم على ذلك الباب و الجدار؛ [فـ] لكلّ شيءٍ لسان، و نحن لا نفقه لسان [و لغة] الباب و الجدار! [قال تعالى:] ﴿وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾».

و قال في كلمة أخرى له:

«كان لدى بعض تلامذة أحد أساتذة الأخلاق في النجف علم الجفر و أمور من هذا القبيل، حتّى إنّه أخبر بأمورٍ [تقع] فكان كما قال، و كان متمكّنًا جدًّا في علم الجفر. [أستاذ الأخلاق هذا] أظنّ أنّه كان ينقل عن هذا التلميذ [تأخير الظهور] و يقول: لو أنّه أخبَرَكم بوقته [أي بوقت الظهور] بواسطة ما لديه من علم الجفر، فإنّكم جميعًا تقومون [من عنده] و تخرجون و أنتم تصرخون: يا للويل! يا للويل! نحن لا طاقة لنا أبدًا على تحمُّل ذلك! فمن أجل ذلك لم يعيّنوا [لنا وقت الظهور]!».

و كذلك كان يقول سماحته ﷺ بكلّ صراحةٍ:

«ليس من المعلوم كم ألف سنةٍ ستطول [الغيبة] إلى أن يحين أمر ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و مع ذلك يقولون: إنّه قريب! حسنًا، إنّ القيامة قريبة أيضًا، فهل [يوم] القيامة بعيد؟ «مَثَلُهُ مَثَلُ السَّاعَةِ»، «لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً»، «كَذَبَ الْوَقَّاتُون». ما يدرينا؟ لا يمكن تحديد وقته. إنّهم عليهم السلام يعلمون ذلك و الله تعالى يعلمه. أجل، ربما أمكن تعيين ذلك من خلال الزمانيّات، من قبيل خروج السفيانيّ. فظهور [الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف] لن يكون قبل خروج السفيانيّ قطعًا، و كلّ من يدّعي مثل هذا الادّعاء فـ [ادّعاؤه] خاطئ».

و عليه، فمن العجيب جدًّا أن تُتجاهل هذه الكلمات و التصريحات الصادرة عن سماحته ﷺ، و يُتشبّث بكلمة واحدة صدرت عنه في مقام فقه الحديث حول رواية واحدة، و ذلك في درس بحث الخارج الّذي يقتصر فيه الحضور على المجتهدين أو المراهقين للاجتهاد فقط، و يُعرَض على أنّه من الأخبار القطعيّة في تعيين سنة محدّدة من قبل سماحته، و ليس بما هو في مقام مناقشة مفاد رواية واحدة.

١٠. تتميمًا لما سبق ذكره، ننقل حكاية في هذا الشأن عن السيّد حسن نصر الله حفظه الله، قال فيها:

«جاءني شخص في يومٍ من الأيّام يدّعي أنّه سمع أنّ آية الله الشيخ البهجة ﷺ قال: «إنّ الظهور سيكون في سنة كذا!». و أنا أثق بنقل هذا الشخص و قد تعجّبت جدًّا! طبعًا هذه الحادثة قديمةٌ، هو قال إنّ ظهور الإمام عليه السلام سيكون في سنة كذا، لقد حوّله إلى التاريخ الميلاديّ. قلت له: هل أنت متأكّد؟ يستحيل أن يوقّت سماحة الشيخ ﷺ! و هذا خلاف سيرة علمائنا و الروايات الموجودة عندنا الناهية عن التوقيت، لكنّه قال: أنا متأكّد، أنا بنفسي سمعت هذا من سماحته. و في أوّل زيارةٍ لي إلى قمّ المقدّسة، تشرّفت بزيارة سماحة الشيخ رحمه الله، فسألته قائلًا: مولانا، هناك شخصٌ ـ طبعًا لم أذكر لسماحته مَن الناقل ـ نقل إلينا أنّه سمع منكم أنّ الظهور سيكون في سنة كذا ـ و عندما ذكرت له ذلك كنّا في السنة السابقة للعام المُدّعَى ـ فغضب الشيخ ﷺ غضبًا شديدًا، حتّى ندمت لأنّني سألته عن ذلك، فقد تألّم كثيرًا، و قال: «أستغفر الله، أستغفر الله، معاذ الله، معاذ الله. أنا لا أوقّت، أنا لم أقل هذا الكلام، هؤلاء يكذبون عن لساني. أنا لم أقل هذا أبدًا، كلّا، أبدًا!»، و أضاف سماحة الشيخ ﷺ: «و أيّ شخصٍ ينقل عنّي أنّني أوقّت و أقول سنة كذا أو عام كذا فلا تصدّقوه، هذا كلّه كذب!». وكما قُلت، هذا السؤال و نفيه كان قبل العام المُدّعى و ليس بعد مُضيّه».

ثمّ أضاف السيّد نصر الله حفظه الله قائلًا:

«عندما لقيت لاحقًا ذلك الشخص الّذي نقل لي القضيّة، قلت له: إنّ آية الله الشيخ البهجة أنكر ذلك، و الحال أنّك قلت لي إنّك سمعت ذلك من سماحته مباشرةً! فقال: أنا لم أسمع ذلك من سماحته مباشرةً، لكنّني نقلته لك من دون ذكر واسطةٍ ليكون سببًا لحصول اطمئنانٍ أقوى لدَيك!».

هكذا و بهذه السهولة يدّعي شخص ـ كذبًا ـ أنّه قد سمع هذه القضيّة مباشرة من عالم كبير مثل شيخنا المقدّس ﷺ، الّذي يعتمد عليه الناس و يثقون بكلامه، في حين أنّ هذا الكلام لم يصدر عنه من الأساس! و الأعظم أنّ المدّعي قد تجرّأ على نقلها إلى شخصٍ مشهورٍ أي السيّد حسن نصرالله حفظه الله، مع أنّه من المحتمل أن يُقدِم السيّد على ذكرها في خطاباته وكلماته الّتي تُبثّ على المحطات الفضائيّة و يستمع إليها مختلف فئات الناس، فهو محبٌّ لإمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و مترقّبٌ لظهوره الشريف، كما أنّه يحبّ سماحة آية الله الشيخ

البهجة ﷶ و يُبجّله و يعتقد بلقاءاته بصاحب الزمان ﷻ، فعندما يأتي ذلك الشخص و يُبشّره بقضيّةٍ مهمّةٍ و محبّبةٍ لديه و هي ظهور الإمام الحجّة ﷻ و ينقلها عن الشيخ المقدّس البهجة ﷶ، فمن الطبيعيّ عندئذٍ أن يذكر هذا الكلام و هذه البشارة في خطاباته. فماذا كانت النتيجة لو حصل هذا الأمر؟! خاصّةً أنّ الناس سيثقون بكلام السيّد حسن ﷺ و لاسيّما إذا نقله عن لسان الشيخ المقدّس البهجة ﷶ و يقبلونه من غير البحث و التدقيق عن مصدر الخبر و وثاقته. فإلى أيّ مدى كان سينتشر هذا الادّعاء على الرغم من كذبه أساسًا؟! لكن شاء الله أن يكون النقل إلى إنسانٍ عقل الخبر و وعاه، إذ قبل أن ينقل القضيّة إلى الآخرين، ذهب إلى آية الله الشيخ البهجة ﷶ ليتأكّد بنفسه إن كان هذا الخبر الّذي بلغه صحيحًا، و كان الأمر كما توقّعه، فهو كان يعرف مباني الشيخ البهجة ﷶ و يعلم أنّ هذا الكلام و أمثاله لا يصدر عن سماحته البتّة.

لكنّ هذه الشائعة في مكانٍ آخر قد وقعت بين يدَي من لم يفحص و يتحقّق من صحّتها أو من يتعمّد الكذب و الافتراء، فانتشرت بين الأوساط محدّدةً عام الظهور، و كلّ ذلك بناءً على كذب بعض الّذين نقلوها و نشر الآخرين لها من دون أن يتأكّدوا من صحّتها مع الأسف!

***٢. شائعة «إنّ الكهول يدركون الظهور!»

هناك شائعةٌ أخرى نُسبت إلى الشيخ المعظّم ﷶ و رُوّج لها كثيرًا، مُفادها: «كنّا إلى الآن نُبشّر الشبّان بأنّهم يُدركون الظهور، أمّا الآن فإنّنا نبشّر المُسنّين أيضًا بأنّهم يُدركونه!».

هذه الشائعة أيضًا تناقلها النّاس كثيرًا و انتشرت في المجتمع انتشارًا واسعًا. مع أنّ الشيخ ﷶ قد أنكر بنفسه هذا الأمر عدّة مرّات. و في إحدى هذه المرّات عندما سئل إنْ كان قد قال ذلك، أجاب سماحته ﷶ بكلّ صراحةٍ: «لا»، ثمّ بعد لَبْثٍ قليلٍ و تأمُّل قال: «لكن يجب أن يكون المؤمن منتظرًا للفرج، سواء أشابًّا كان أم شيخًا». و في المرّة الأخرى الّتي وُجّه إليه فيها السؤال المذكور، زاد في البيان وضوحًا بحيث يصبح المعنى المقصود أجلى و مختلفًا كلّيًّا عمّا أُشيع، إذ قال:

«نحن قلنا هذا المقدار [فقط]، بأنّ أحدهم أتى و قال لنا: «أنا تشرّفت إلى محضره، و قلت هل إنّني أدرك [الظهور]؟ فقال: إنّ فلانًا الّذي هو أشيخ [و أسنّ] منك يدرك بأنّ وقت ظهورنا لم يحِنْ [بعد]!».

و في الحقيقة يجب القول إنّ الشائعة المذكورة بعيدةٌ كلّ البعد عن الواقع. فإنّ سماحته ﷺ لم يذكر تلك العبارة بعنوان أنّها من نفسه قطّ، إنّما نقلها عن شخصٍ آخر. و حقيقة ما جرى أنّ أحد العلماء كان يزور آية الله الشيخ البهجة ﷺ باستمرار، و في كلّ مرّةٍ يسأل عن الظهور. و في أحد هذه اللقاءات و بعد أن طرح سؤاله، أجاب الشيخ المعظّم ﷺ: أتى شخصٌ بعد الصلاة إلى جانب المحراب ـ طبعًا أنا لم أكن أعرفه ـ و قال لقد فزت بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و سألته إن كنتُ أدرك الفرج، و أجاب حضرته: «إنّ من هو أسنّ منك يدرك!».

كما يُلاحظ فإنّ سماحة آية الله الشيخ البهجة ﷺ يؤكّد في هذا البيان عدم معرفته بناقل الكلام. و أيضًا يجب الالتفات إلى أنّ الّذي خاطبَه سماحة الشيخ ﷺ بهذا الكلام هو عالِمٌ وكان ذلك في مجلسٍ خاصّ، و هو واقفٌ حتمًا على محذور التوقيت وكونه على خلاف سيرة العلماء، كما أنّه عالِمٌ بما يُفهَم من كلام آية الله الشيخ البهجة ﷺ و مقصوده، و عارفٌ بمنهجه، و بقرائن المقام و الجوّ الحاكم على بيانه، و ملتفتٌ إلى تأكيد سماحته ﷺ عدم معرفته بناقل هذا الكلام[1]. و لذا عندما انتشرت هذه الحكاية في المجتمع لاحقًا انتشارًا واسعًا، و راجع سماحةَ الشيخ ﷺ بشأنها أفرادٌ عديدون يتحرّون صحّتها، قال سماحته ﷺ في نهاية المطاف و هو منزعج: «أخبَرْنا بهذه الحكاية شخصًا واحدًا، لكنّنا لم نقل له اذهب و حَدِّث الجميع بها!!». لأنّ ذلك العالم مطّلعٌ على جميع الخصوصيّات المذكورة، و لم ينتزع التوقيت و أمثاله و لم يفهمه من كلام سماحة الشيخ ﷺ بأيّ وجه، لكنّه عندما نقله للآخرين حرّفوه عن أصله حتّى نُسِبَ عن كذبٍ و افتراءٍ إلى آية الله الشيخ البهجة ﷺ أنّه هو الّذي قال «كنّا نُبشِر الشبّان أنّهم يُدركون الظهور، و الآن نبشّر المُسنّين بذلك أيضًا»!!

إنّ عدم صحّة هذا الكلام أمرٌ واضحٌ بمجرّد ملاحظة كون الشائعة المذكورة بعيدة جدًّا عن أصل الحقيقة الواقعة، و أنّها على إثر التعرّض للتغيير و التبديل على ألسن الناقلين المتعدّدين صارت مغايرةً تمامًا للكلام الّذي قاله آية الله الشيخ البهجة ﷺ. و كذلك إذا

---

(١) تجدر الإشارة إلى أنّ الشيخ المعظّم ﷺ إذا كانت القضيّة المنقولة محلّ وثوقه و قبوله كان يقول إنّه يعرف الراوي أو الناقل و يطمئنّ إليه و أنّه من الثقات، لكن في القضيّة المنقولة في المتن أكّد سماحته ﷺ أنّه لا يعرف الناقل و هذا نفسه من القرائن لمخاطبه على أنّه لم يكن غرضه من نقل القضيّة إظهار قبوله لها مطلقًا بجميع تفاصيلها، بل نقلها لذلك العالِم حصرًا لاحتمال صحّتها، تمامًا كما يحتمل عدمها، و مع مراعاة جميع جوانب الاحتياط مؤكّدًا عدم معرفته بالناقل. و طبعًا إنّ سماحته ﷺ مع ملاحظة كون ظاهر ذلك الشخص هو الصلاح و مع وجود أمارات التقوى فيه، و بناءً على المباني، لم يجد محظورًا في نقل كلامه إلى عالمٍ مطّلعٍ على المباني و ليس إلى عامّة الناس.

راجعنا أصل كلام سماحته ﷺ فإنّه يظهر حينئذٍ بوضوحٍ أنّه كان ينقل كلامًا تبشيريًّا ـ على وجه الاحتمال ـ عن شخصٍ آخر لا يعرفه، و بما أنّه حكى هذا الكلام إلى أحد العلماء في جواب سؤاله عن المبشِّرات، و أكّد أنّه لم يكن يعرف ناقله، فقد كان يتوقّع بنحوٍ بديهيٍّ من هذا العالم أن يلتفت إلى كون هذا النقل مجهول السند و له درجة متدنّية من الاعتبار، و أنّ بيان سماحة الشيخ ﷺ لا يعدّ تأييدًا مطلقًا لذلك المنقول أو قبولًا تامًّا به أبدًا، و إن كان القول قد طُرِح من باب احتمال صحّته و ما يحمله من البشارة و بعث الأمل. هذا مُضافًا إلى أنّ الكلام الّذي قاله الشيخ ﷺ نقلًا عن ذلك الشخص لا يدلّ في نفسه على التوقيت أبدًا، إذ ليس فيه ما يفيد بأيّ نحوٍ تعيين زمانٍ خاصٍّ للظهور، بل حتّى إنّه لم يدّعِ أنّ كلّ من هم أكبر منه سنًّا يدركون الظهور، و ليس في الكلام المنقول إلّا عبارة: «من هو أسنّ منك يدرك»، و هذا لا يدلّ إلّا على أنّه قد يُدرك الفرج مَن هو أكبر سنًّا من الناقل نفسه، و يكفي في صدق هذا الكلام وجود شخصٍ واحدٍ ينطبق عليه ذلك، و لو مثل نبيّ الله الخضر عليه السلام أو نبيّ الله عيسى عليه السلام أو غيرهما، ثمّ إنّ هذا الكلام مضافًا إلى ما فيه من الإجمال الموضوعيّ، فهو متضمّنٌ أيضًا للإجمال من حيث الحكم. و ليس غرضنا من هذا البحث محاولة تعليل الكلام أو توجيهه و تصحيحه و لو بتكلُّفٍ و بذل جُهد، لكن من البديهيّ أنّ كلّ عاقلٍ مُنصفٍ يعلم أنّه عندما نُواجه كلامًا فلا بدّ من النظر فيه من وجوهه المختلفة، و خصوصًا عندما يكون الكلام حول مسألة ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف البالغ الأهمّيّة، و يكون مضمونه و معناه محتملَين لمقاصد و أغراض تبشيريّة. لذا وجب الالتفات إلى أنّ كلمة «يُدرك» في العبارة المذكورة تحمل معانيَ متعدّدة. فكما يمكن أن يكون المشار إليه بها هو الفرج العامّ، يمكن أيضًا أن تكون إشارةً إلى الفرج الخاصّ، و من هنا يُحتمل أن يراد بها أشخاصٌ هم أسنّ من المُخاطَب بالكلام ينالون شرف اللقاء الشخصيّ ببقيّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و عليه حتّى لو فرضنا أنّ العبارة المنقولة قد صدرت فعلًا من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فهي ليست على خلاف القواعد و المتيقّنات، و تحتمل وجوهًا من التأويل، و هذا ينطبق تمامًا على القاعدة الّتي علّمنا إيّاها أهل البيت عليهم السلام و هي: «إِنِّي لَأَتَكَلَّمُ بِالْكَلَامِ يَنْصَرِفُ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهًا كُلُّهَا لِي مِنْهُ الْمَخْرَجُ»(١). و لذلك نجد أنّ آية الله الشيخ البهجة ﷺ عندما كان يُسأل عن هذا الأمر، فبدلًا من أن يردّه و يطرحه كان يفسّره بمعنى مختلفٍ تمامًا عمّا أشيع و يقول:

(١) بصائر الدرجات، ج١، ص٣٢٩.

«قال: إنّ فلانًا الّذي هو أشيخ منك يدرك أنّ وقت ظهورنا لم يحِنْ [بعد]»[1].

و مختصر القول إنّه: أوّلًا، بالالتفات إلى تأكيد آية الله الشيخ البهجة ﷺ على عدم معرفته بالناقل لا يمكن بوجه من الوجوه أن يُفهم منه تأييد هذا الكلام أو نفيه. ثانيًا، ليس في المطلب المنقول مخالفة لأصول المذهب و مسلّماته و واضحاته، و لذا فإنّ الشيخ المعظّم ﷺ أغناه «ما قيل» عن «من قال». و لعدم مخالفة المنقول مع الأصول و المباني، عدّ ﷺ نقله إلى عالمٍ مُطّلعٍ على تلك المباني أمرًا جائزًا، و لكن لمّا لم يكن عامّة الناس من أهل الاطّلاع على المباني و الأصول عدّ نشره بينهم أمرًا غير مناسب،[2] و لذلك أبرز انزعاجه عندما سُئل عن ذلك و أجاب: «عجبًا! أخبرنا شخصًا واحدًا بأنّ أحدهم قال ذلك، و لم نقل له أن يذهب و يحدّث الجميع به عنّا!». و ثالثًا، هذه العبارة «كنّا إلى الآن نُبشِّر الشبّان بأنّهم يُدركون الفرج، و من الآن نبشّر المُسنّين أيضًا بأنّهم يُدركونه» الّتي أشاعها بعضهم عن حسن نيّة، في حين أشاعها آخرون و روّجوا لها لغرض ما، و تمسّك بها المتشوّقون إلى الظهور فزادوها انتشارًا، لم تصدر قطعًا من الشيخ المعظّم ﷺ لا بمنطوق اللفظ و لا بمفهومه.

---

(١) إحدى خصوصيّات آية الله الشيخ البهجة ﷺ البارزة هي أنّه كان يأخذ في الحسبان جميع وجوه الكلام و حيثيّاته المختلفة و يلاحظ ظواهره و بواطنه على حدٍّ سواء. فلا ظاهره يصرفه عن فهم باطنه، و لا باطنه يجعله يغضّ النظر عن الظاهر، بل كان سعيه دائمًا لإرشاد الآخرين و خصوصًا أهل العلم إلى النظر في الكلام و معانيه بهذه النظرة الجامعة، و أن يأنسوا بمُحتملاته حتّى لا يبادروا إلى الاستنتاج منه بنظرةٍ سطحيّةٍ عابرة. و ذلك لأنّ النتائج في هذه الصورة كثيرًا ما تكون في معرض الخطأ و ترتّب توالي فاسدة عليها. و هذه الميزة هي في الواقع من الشروط الضروريّة التوفُّر في الفقيه الجامع الّذي دلّت روايات أهل البيت ﵈ على قبول رأيه، كما قال الإمام الصادق ﵇: «لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فَقِيهًا حتّى يَعْرِفَ مَعَارِيضَ كَلَامِنَا، وَإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنْ كَلَامِنَا لَتَنْصَرِفُ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهًا لَنَا مِنْ جَمِيعِهَا الْمَخْرَجُ»؛ معاني الأخبار، ص٢.

(٢) من الممكن أن يُطرح هذا السؤال: ما دام الكلام الّذي نسبه الناقل إلى تشرّفه في محضر الإمام ﷻ، ليست فيه دلالة على قرب الظهور، فلماذا لم يكن يصلح نقله إلى عامّة الناس، حتّى استاء سماحته من إيصاله إلى المجتمع؟ و يُقال في الجواب: أوّلًا، إنّ ذلك الكلام كان مُجمَلًا و قابلًا لتُفهم منه جهة التبشير و التعجيل، و الناس عادةً بمجرّد سماع مثل تلك العبارة، يتلقّون الجانب التعجيليّ باعتباره المعنى القطعيّ من دون ملاحظة المعنى الآخر. ثانيًا، إنّه حتّى مع ملاحظة المعنى التبعيديّ و التأخيريّ المكنون في تلك العبارة، فمن الممكن أن يكون نقله إلى مختلف شرائح الناس سببًا لنشوء اليأس و القنوط في صدورهم، و هو ما ليس بأقلّ سوءًا من حصول المعنى الأوّل لديهم. و لذلك على ناقل الكلام أن يُلاحظ هذه التبعات و اللوازم في نقله، و من هنا فإنّ سماحته ﷺ لم يجد محذورًا في نقله إلى عالمٍ مطّلع على حيثيّات مختلفةٍ لا إلى عامّة الناس.

و من الجدير بالذكر أنّ الشيخ المقدّس لم يقل عن نفسه قطّ إنّه يُدرك الظهور العامّ، بل أكثر من ذلك فإنّه كان يشير إلى بعض الخواصّ و المقرّبين بعباراتٍ تُلمّح إلى أنّه لا يدركه، و في هذا وحده كفايةٌ للعاقل المُنصف. فمثلًا، تكلّم آية الله الشيخ البهجة في إحدى المرّات في مجلسٍ من المجالس المتميّزة و الفريدة حول أمورٍ تتعلّق بانتظار الفرج و وظائف المؤمنين في زمان الغَيبة، ثمّ تأوّه بنحوٍ عجيب غير قابل للوصف و قال بنبرته المميّزة و حالته الخاصّة و بحرقة شديدة انعكست على قلوب الحاضرين و ألهبتها نارًا تركتهم يبكون بلا اختيار مدّةً بعد انتهاء المجلس و قد خيّمت عليهم حالة عجيبة:

«لقد قلنا هذه الأمور... و الآن، كلّ من كان من أهل ذلك الزمان، و أدرك الإمام المهديّ ـ و في هذه اللحظة أطرق و سكت هنيهةً ثمّ أكمل كلامه: ـ فليبلّغ سلامنا إليه و ليقل إنّنا كنّا متذكّرين له، و كنّا من المنتظرين، و كنّا في ذكره»[1].

***٣. شائعة اليمن

هناك شائعاتٌ أخرى كالّتي تقدّم ذكرها قد راجت و اشتهرت سواء في حياة سماحته أم بعد وفاته. و ممّا شاع بعد وفاته متزامنًا مع حوادث اليمن أنّه قال: «إذا رأيتم أذان الشيعة يُرفع على المحطة التلفزيونيّة اليمنيّة فترقّبوا الظهور!». و ممّا سبق أصبح واضحًا و ثابتًا كذب هذا الكلام و كونه لم يصدر من الأساس عن سماحته، فلا حاجة هنا إلى إطالة البحث. و كذلك أشيع أنّه قد أُغشيَ عليه يومًا في صلاة الجماعة و لمّا أفاق سُئل عمّا حصل له

(١) و ليس عجيبًا مِن الّذي اخترق أهمّ الحجب المانعة، و هي الذنوب و المعاصي، من أجل لقاء معشوقه بقيّة الله الأعظم أن يسلّم على الإمام الحجّة بواسطة الإخوان بهذه اللهفة و الشوق. و هذا النبيّ الّذي يرى ولده الإمام الباقر و نور وجوده المبارك في العوالم المختلفة للغَيب و الشهادة كشمسٍ ساطعةٍ لا يحجبها حاجب، و الّذي هو مُستغنٍ عن كلّ واسطةٍ بينهما، تراه يطلب إلى جابر بن عبد الله الأنصاريّ أن يبلغه سلام جدّه إذا لقيه. و هذا الإمام الهادي لمّا مرض أوصى أبا هاشم الجعفريّ بأن يدعو له تحت قبّة الإمام الحسين ـ الّذي كانت زيارته في زمان المتوكّل العبّاسيّ محفوفةً بالمخاطر ـ حتّى تعجّب أبو هاشم من ذلك باعتبار أنّ الإمام الهادي هو نفسه إمامٌ معصومٌ و ليس بينه و بين ربّه حجاب، فلماذا يطلب إليه أن يدعو له تحت قبّة إمامٍ آخر! فمن هذه الموارد و أمثالها يُفهم أنّ التسليم على أولياء الله بواسطة الآخرين ـ مضافًا إلى ما له من آثارٍ تربويّةٍ و بركاتٍ خاصّةٍ للواسطة نفسها، و إلى تأثيره في بناء عقيدة المخاطَب ـ هو في نفسه ذو موضوعيّةٍ و منشأ لآثارٍ تكوينيّةٍ لا تخفى على أهله.

فقال: «عندما كنت في الصلاة رأيت أنّ قاتل إمام الزمان عليه السلام قد ولد!». إنّ وضع مثل هذه الخرافات و الخزعبلات ليس الغرض منه سوى إضعاف إيمان الناس و الطعن في صحيح عقائدهم، و الحطّ من مكانة أعاظم علماء الشيعة و بالأخصّ الشيخ المعظّم رحمه الله الّذي كان يتمتّع بمنزلةٍ خاصّةٍ و مرموقةٍ في قلوب المؤمنين.

و بهذا يتبيّن من المطالب السابقة كذب جملةٍ من الشائعات الّتي راجت جدًّا و انتشرت على ألسنة غير المطّلعين على واقع الحال، إلى حدٍّ لو أبدى شخص احتمال كذبها أو كونها مُفتراة فإنّه يتعرّض للاتّهام بأنّه لا علم له بالأمر[1]. و لكن من كان على معرفةٍ بالأصول و المباني المُحكمة المُبيّنة في الشريعة و هي الأصول الحاكمة على منهج العلماء

---

(١) إنّ مروّجي هذه الشائعات ينقسمون على الأقلّ إلى ثلاث فئات، نبيّنها عسى أن يكون ذلك سببًا لمزيدٍ من الوعي لدى المؤمنين: هناك جهاتٌ خاصّةٌ كانت تُقدِم عن علمٍ و عمدٍ على نشر هذه الشائعات بهدف تشويه صورة علماء المذهب الربّانيّين المعدودين في الطِّراز الأوّل. و كان من الواضح في المجتمع الإسلاميّ أنّ آية الله الشيخ البهجة رحمه الله يعدّ من أفضل العلماء البارزين و أوثقهم، خاصّةً لِما كان يتحلّى به من تقوى و ورعٍ مُنقطعَي النظير مقرونًا ذلك برسوخه في العلم، حتّى إنّ الكثيرين من العلماء و أهل الخبرة شهِدوا بأعلميّته و أورعيّته. و من أجل ذلك كانت له محبّة خاصّة في قلوب المؤمنين تستتبع قهرًا أن يكون هادي القلوب و أنيسها. و من هذا المُنطلق فإنّ تشويه صورته هو بالذّات يُشكّل ضربةً قويّةً للدين و رجاله. و بناءً عليه، فممّا لا شكّ فيه أنّ أجهزة استخبارات الكفّار ـ الّتي عملت لمئات السنين في التخطيط الدقيق للوصول إلى هذه الأهداف ـ قد جعلت في أولويّات مَهام مُرتزقتها و جواسيسها، ضرب أساس ثقة عامّة الناس بالعلماء. و للأسف، فنحن أيضًا نعيش حالةً من الغفلة، و أحيانًا من دون أن ندري نتحرّك في الطريق الّذي رسمه الكفّار لنا، من خلال ترويج بعض هذه الشائعات الّتي هي في ظاهرها غير مهمّة، إذ عندما يُروّج إلى هذا الحدّ أنّ عالِمًا بارزًا كآية الله الشيخ البهجة رحمه الله يُحدّد مَوعدًا قاطعًا لظهور الإمام الحجّة عجّل الله فرجه الشريف، الّذي له أهمّيّة خاصّة لدى المؤمنين ثمّ لا يحصل كما قال، فأنت بنفسك تُدرك الآثار السلبيّة لهذا الأمر، بدءًا من سلب الثقة بالعلماء و حصول الشكّ في كلامهم و انتهاءً بالترديد و التشكيك في أصل مسألة ظهور الإمام الحجّة عجّل الله فرجه الشريف و غيرها من الأمور.

و هناك فئة أخرى أمرها يُثير العجب، إذ أفرادها ليسوا من الكفّار بل هم من بيننا، حتّى إنّ بعضهم يعدّون أنفسهم قادةً لبعض التيّارات الفكريّة. و هؤلاء لِتعصّبهم لعقيدتهم و مسلكهم يرَون أنّ لهم الحقّ في تشويه صورة كلّ من يعدّونه مُخالفًا لهم و لأفكارهم، حتّى و لو كان المُخالف مثل الشيخ المفيد أو السيّد ابن طاوس أو المقدّس الأردبيليّ أو السيّد بحر العلوم و أمثال هؤلاء من أعاظم العلماء. و ربّما نسب هؤلاء عن علمٍ و عمدٍ عباراتٍ كاذبةً إلى كبار العلماء الربّانيّين أو عَزَوا إليهم وُعودًا أطلقوها و لم تتحقّق. و بعض هؤلاء يكذبون على العلماء لا عن علمٍ و عمدٍ، بل يدفعهم إلى ذلك حسدهم و بُغضهم لهم و دواعٍ أخرى. فهؤلاء يتعجّلون نسبَ عبارةٍ إلى العالِم من دون فحصٍ عن مصدرها أو تأمّلٍ في معناها، ثمّ ينشرونها في كلّ مكانٍ فيؤدّي ذلك إلى تنزيل علماء الشيعة الربّانيّين إلى مرتبة المُنجّمين المادّيّين الّذين تتحقّق تكهّناتهم في بعض الأحيان، و أحيانًا أخرى لا تعدو كونها كذِبًا مُخالفًا للواقع.

الربّانيّين، أو على الأقلّ كانت له معرفةٌ بلهجة خطاب الأئمّة المعصومين عليهم السلام و أسلوبهم، فإنّه بمجرّد أن يسمع مثل هذه الشائعات سَيَفهم أنّها لا يمكن أن تكون على ظاهرها صادرةً عن عالمٍ تربّى في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فضلًا عن عالمٍ هو نفسه أحد أفضل المُربّين فيها. فهنيئًا لمن كان من الشيعة مصداقًا لقول الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَعُدُّ الرَّجُلَ مِنْ شِيعَتِنَا فَقِيهًا حَتَّى يُلْحَنَ لَهُ فَيَعْرِفَ اللَّحْنَ»[1]. و طوبى لعالمٍ ورعٍ كان مصداقًا تامًّا لقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»[2].

و الفئة الثالثة هم جمهور الناس الّذين من جهةٍ ضاعفَ اشتياقُهم إلى رؤية الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف الشَّوقَ إلى سماع البشائر الباعثة للأمل فيهم، ومن جهةٍ أخرى لهم حُسن ظنٍّ بناقلي الكلمات و القصص، ما يدفعهم إلى نسب بعضها إلى العالِم و السعي في نشره و ترويجه من دون فحصٍ و تحقيقٍ و تحصيلٍ لِوَثاقة الناقِل، أو من غير درايةٍ و فهمٍ لمُحتوى المطلب و لا نظرٍ إلى صدره و ذَيله و التفات إلى أصول العلماء و مبانيهم في ردّ المُتشابهات إلى المُحكمات و تفسيرها بها، غافلين عن الآثار السلبيّة لِمثل هذا العمل.

و أحيانًا تكون شدّة الشوق سببًا في أن ينتزع المخاطَب من كلمة عاديّة معانيَ عجيبةً نظرًا إلى جوّه الذهنيّ الخاصّ الحاكم على فهمه للأمور. على سبيل المثال: نقل أحد العلماء الّذي هو من تلامذة الشيخ المعظّم رحمه الله أنّه كان يعرف شخصًا له حالة عظيمة من الشوق إلى حصول الفرج، وكان يفكّر دائمًا في موعد ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و قد شغل ذلك قلبه و فكره. [يقول هذا العالم:] «في أحد الأيّام، وكان عيد النيروز قد اقترب، التقيت بهذا الشخص، فقال لي و هو على حالته الخاصّة من العشق و الولَه: «لك عندي خبرٌ في غاية الأهمّيّة، لقد سمعت اليوم من آية الله الشيخ البهجة كلامًا عجيبًا و مهمًّا يدلّ على أنّ الظهور سيحصل في أيّام العيد القادم!». تعجّبت كثيرًا و سألته: و ما الّذي سمعته؟ فقال: «سألت آية الله الشيخ البهجة بعدما فرغنا من الصلاة إن كان في الغد درسٌ أم لا، فقال لي: حتّى نرى كيف تكون الأوضاع غدًا. نعم، مقصوده أنّه سيكون في الغد خبرٌ ما، أي أنّ الظهور يحصل في عيد النيروز هذا، فيُلغى الدرس أساسًا!»». هذا و الحقيقة أنّه كان من العادة أن يزور الشيخ المعظّم رحمه الله في عطلة النيروز ضيوفٌ كُثُر، و بما أنّ درسه رحمه الله كان في بيته، فقد كان مجبَرًا على تعطيله بسبب ذلك. و من أجل ذلك قال إنّه لا بدّ أن نرى كيف تكون الظروف في الغد، و هل تكون مُساعِدةً على إقامة الدرس أم لا. فمثل هذا الشخص بما له من حالةٍ خاصّةٍ إذا سمع أيّ كلامٍ، و خصوصًا إذا كان من مثل آية الله الشيخ البهجة رحمه الله، فإنّه سيحمله بسرعةٍ على ما يرتبط بالفرج، ثمّ يبادر بطبيعة الحال إلى نشره في المجتمع بحماسٍ و سرور. و من الطبيعيّ أيضًا أن يتلقّاه الناس على أنّه كلام آية الله الشيخ البهجة رحمه الله و يُخبر به بعضهم بعضًا. و ما كان أكثر أمثال هؤلاء الأشخاص سواء مِن العاشقين الوالهين كانوا أم من الجاهلين أم من المُغرضين و المُعاندين.

(١) الغيبة (للنعمانيّ)، ص١٤١.

(٢) الكافي، ج١، ص٣٢.

«لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ»

الْحَدِيقَةُ الثَّالِثَةُ:

حَدِيثٌ مَعَ أُولِي الأَلْبَابِ

الْغَيْبَةُ فِي التُّرَاثِ الإِسْلَامِيِّ وَالإِجَابَةُ عَنْ
أَهَمِّ الشُّبُهَاتِ الْمُرْتَبِطَةِ بِهَا

إنّ الحديث حول الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في زماننا هذا لا يمكن أن يخلو من بعض الردود على الشبهات الّتي انتشرت في البلاد لتُظهر فيها الفساد، إذ على وفق الكثير من الروايات الشريفة، فإنّ فتنًا ستظهر في آخر الزّمان، و ستكون شديدةً و مُغويةً إلى حدّ خروج الكثير من النّاس عن دينهم. مثلًا، وُصفت في إحدى الرّوايات شدّة هذه الفتن بحيث يُصبح الشّخص على الهداية ويُمسي في ذلك اليوم نفسه خارجًا عن الدّين، و ورد العكس أيضًا؛ يقول الإمام الباقر عليه السلام في هذا الشأن: «لَتُمَحَّصُنَّ يَا شِيعَةَ آلِ محمّد تَمْحِيصَ الْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْعَيْنِ يَدْرِي مَتَى يَقَعُ الْكُحْلُ فِي عَيْنِهِ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَخْرُجُ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ يُصْبِحُ الرَّجُلُ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنْ أَمْرِنَا وَيُمْسِي وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا، وَيُمْسِي عَلَى شَرِيعَةٍ مِنْ أَمْرِنَا وَيُصْبِحُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا»[1]. من هنا، كان الأئمّة الأطهار عليهم السلام دائمًا يشجّعون عامّة الناس و لا سيّما الشباب منهم على تحصيل العلوم الدينيّة حتّى يتمكّنوا من مواجهة خطر الانحراف عن الحقّ، و قد نُقل في روايةٍ عن الإمام الباقر عليه السلام: «لَوْ أُتِيتُ بِشَابٍّ مِنْ شَبَابِ الشِّيعَةِ لَا يَتَفَقَّهُ لَأَدَّبْتُهُ»[2]. و يدلّ هذا المطلب على الأهمّيّة الكبرى الّتي كان يوليها أهل البيت عليهم السلام للعلم و التعلّم من أجل زيادة المعرفة و تقوية العقائد الحقّة. و من هذا المنطلق، كان سماحة الفقيه المقدّس آية الله الشّيخ البهجة قدّس سرّه كثيرًا ما ينصح المؤمنين و خاصّة النّاشئين و الشّباب منهم ـ لأنّهم المستهدَف الأكبر لغواية أعداء الدين ـ أن يَجهدوا و يسعَوا من خلال تعلّم العلوم الدينيّة لإحكام عقائدهم الحقّة، حتّى يتمكّنوا من الدّفاع عن أعظم النّعم الإلٰهيّة أي الاعتقاد بالولاية في مقابل الشّبهات، بل الارتقاء بمعرفتهم أكثر من ذلك، حتّى يصبحوا في مقام

(١) الغيبة (للنعمانيّ)، ص٢٠٧.

(٢) المحاسن، ج١، ص٢٢٨.

هداية الآخرين و إرشادهم. لذا، كلّما كان يُطلب إلى سماحته ﷺ تقديم النصيحة كان يقول: «ادرسوا العلوم الدّينيّة ساعةً واحدةً يوميًّا [على الأقلّ]».

و إذ إنّ الشياطين و الأعداء هم كالذّئاب الّتي تترصّد الفرص و تتحيّنها لافتراس الدين و العقائد الحقّة للنّاس، و لأنّه من الحريّ أن يخاف المرء العاقل على دينه من السرقة كما يخاف على ماله بل أشدّ خوفًا، و عملًا بمنهج أهل البيت ﷺ الّذي كان دأب شيخنا المقدّس ﷺ طيلة حياته المباركة، ستذكر في هذه الحديقة من الكتاب أهمّ الأسئلة الّتي قد تُطرح حول القضيّة المهدويّة، و يُجاب عنها بقولٍ فصل و أسلوبٍ سهل و واضح مع مراعاة الاختصار إن شاء الله تعالى. و من الجدير بالذّكر أنّ الأجوبة الّتي ستُطرح مستمَدّةٌ من فكر سماحة آية الله الشّيخ البهجة ﷺ و بياناته، و مستدَلٌّ عليها بالأخبار الّتي نقلها العامّة و أذعنوا بصدورها، لأنّ الاستناد إلى كتب المخالفين يُعدّ من أفضل طرق محاججتهم.

السؤال الأوّل:

هل تُعَدُّ فكرة «المهدويّة» عقيدة شيعيّة تختصّ بهم؟ و هل الروايات الواردة فيها موجودة في كُتبهم فقط؟ و على فرض وجود بعض الروايات في كتب أهل السُنّة، فهل هي مُتواترة إلى حدٍّ يوجب عليهم الالتزام بها، و عليه يُعدّ مُنكرها في زمرة الكافرين؟ إذ إنّ بناء أمّهات عقائد المسلمين يعتمد اعتمادًا كبيرًا على مصادر متواترة و مُستفادة من الكتاب و السُنّة. و عليه هل يمكن لسُنيّ أن ينفي فكرة المهدويّة عن الإسلام و يقول إنّه لا يجب الاعتقاد بوجود الإمام المهديّ ﷺ و ظهوره؟

لقد أغنانا أحد أعيان علماء السلفيّة في بيان الجواب عن هذا السؤال، إذ تكفّل بالجواب عن شبهاتٍ واهيةٍ و إشكالات واهنةٍ حول لزوم الاعتقاد بظهور الإمام المهديّ ﷺ قد طُرِحَت في الآونة الأخيرة من بعض علماء أهل السُنّة الّذين لا خبرة لهم في فنّ الحديث، إذ قالوا إنّه من الأمور الغَيبيّة و يلزم فيها أن تكون أحاديثها متواترة! و قد وصفهم الشيخ ناصر الدين الألبانيّ (المتوفّى سنة ١٤٢٠هـ.ق) في «موسوعة الألبانيّ في العقيدة» بأنّهم جاهلون بالحديث و فنّه، و أكّد و كرّر مرّاتٍ عديدةً أنّ أحاديث ظهور الإمام المهديّ ﷺ متواترةٌ و ثابتةٌ عن رسول الله ﷺ. و لئلّا يتجافى عن أهل السُنّة و لا يميل إلى التشيّع، فرّق بين مهدي السُنّة و مهديّ الشيعة! و من الطريف أنّه ختم كلامه بخلاصةِ القول في

الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بلحنٍ يُشبه لحن الشيعة، فقال:

«و خلاصة القول إنّ عقيدة خروج المهديّ عقيدةٌ ثابتةٌ متواترةٌ عنه صلّى الله عليه و آله، يجب الإيمان بها لأنّها من أمور الغَيب، و الإيمان بها من صفات المتّقين كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[١]، و إنّ إنكارها لا يصدر إلّا من جاهل أو مكابر. أسأل الله تعالى أن يتوفّانا على الإيمان بها و بكلّ ما صحّ في الكتاب و السُّنّة»[٢].

بل نراه يصرّح في صدر كلامه بكُفر المُنكر لظهور الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فإنّ أبحاثه حول ظهوره عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ما يرتبط به، تملأ نحو الثمانين صفحة من الكتاب المذكور في باب أشراط الساعة الكبرى، فقال:

«و قد تبيّن لكلّ عالمٍ بالحديث أنّ هذه الأحاديث، أحاديث نزول عيسى عليه السلام و خروج المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أحاديث صحيحة لا يجوز إنكارها، و أنّ إنكارها يُعرّض مُنكرها و لا شكّ لمفسدتَين أحلاهما مرّ: إمّا الكفر لأنّه جحد ما ثبت عن النبيّ صلّى الله عليه و آله بالتواتر، أو الفسق إذا كان لم يقم بواجب البحث و التحقيق و هو عالِم يستطيع القيام بذلك»[٣].

و الشيخ ناصر الدين الألبانيّ من أعيان علماء السلفيّة، و قد نال من المملكة العربيّة سنة ١٤١٩هـ.ق جائزة الملك فيصل العالميّة على الجهود العلميّة الّتي تعنى بالحديث النبويّ تحقيقًا و تخريجًا و دراسةً. و ليس الرّجل ممّن لا يُعتنى بكلامه، و قد تبيّن له بخبرته تواتر هذه الأحاديث، و أنّه إن أنكرها حذرًا من رواج التشيّع فقد كفر و ضلّ و أضلّ، فاعترف بالحقّ، لكنّه كأكثر أهل السنّة أنكر ولادة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و جعل مهديّ الشيعة موهومًا (نعوذ بالله تعالى) و شبّهه بالعنقاء! بل أجرى الله سبحانه على لسانه تشبيهه عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالخِلّ الوفيّ، و نِعْمَ ما قال! فإنّه لا يوجد خِلٌّ وفيٌّ إلّا هو عجّل الله تعالى فرجه.

---

(١) سورة البقرة، الآيات ١ ـ ٣.

(٢) موسوعة الألبانيّ في العقيدة، ج٩، ص٢٧٦؛ جامع الموسوعة شادي آل نعمان نقله عن مقالات الألبانيّ، ص١٠٥-١١٠ لجامعها نور الدين طالب.

(٣) موسوعة الألبانيّ في العقيدة، ج٩، ص٢٣٣.

و من بين علمائنا الأبرار، فقد أجاب الشيخ المفيد ﷺ (المتوفّى سنة ٤١٣هـ.ق) عن هذا السؤال في سالف الزمان في رسالته الموجزة في غَيبة الإمام ﷺ، بأنّ التواتر له مِلاك عامّ يعرفه كلّ البشر لا يُفرّق فيه بين المسلم و الكافر و الشيعة و السُّنّة، و هو كون المُخبرين كُثُرًا إلى حدٍّ يمتنع تواطؤهم و اتّفاقهم على الكذب. فلمّا سُئل الشيخ ﷺ: ما الدليل على وجود الإمام صاحب الغَيبة ﷺ فقد اختلف الناس في وجوده اختلافًا ظاهرًا؟ أجاب الشيخ المفيد ﷺ: «الدليل على ذلك أنّا وجدنا الشيعة الإماميّة فرقة قد طبقت الأرض شرقًا و غربًا، مختلفي الآراء و الهمم، متباعدي الديار لا يتعارفون، متديّنين بتحريم الكذب، عالمين بتقبيحه، ينقلون نقلًا متواترًا عن أئمّتهم ﷺ عن أمير المؤمنين ﷺ أنّ الثاني عشر يغيب غَيبةً يرتاب فيها المبطلون، و يحكون أنّ الغَيبة تقع على ما هي عليه. فليس تخلو هذه الأخبار أن تكون صدقًا أو كذبًا، فإن كانت صدقًا فقد صحّ ما نقول، و إن كانت كذبًا استحال ذلك، لأنّه لو جاز على الإماميّة و هم على ما هم عليه، لجاز على سائر المسلمين في نقلهم معجزات النبيّ ﷺ مثلُ ذلك، و لجاز على سائر الأمم و الفرق مثله، حتّى لا يصحّ خبر في الدنيا، و كان ذلك إبطال الشرائع كلّها»[١].

ثمّ هل يمكن لأحدٍ سواء أمسلمًا كان أم كافرًا، شيعيًّا أم سنيًّا، أن يُنكر إشخاص المتوكّل الإمام العاشر ﷺ و نفيه إلى بلدة سامرّاء الّتي يُعبّر عنها أحمد بن حنبل في ذلك الزمان بالحبس! يقول محقّق كتاب مسند أحمد: «ثمّ بدا للمتوكّل أن يعيده [أي يعيد أحمد بن حنبل إلى سامرّاء]... و اضطرّ الإمام أحمد للذهاب إليه و لكنّه اكتشف أنّه سيكون في سامرّاء في سجنٍ من نوعٍ جديدٍ فانقبض... قال الإمام أحمد: إنّما يريدون أُحدِّث و يكون هذا البلد حبسي!»[٢].

سبحان الله! يعبّر ابن حنبل عن كلّ البلد بالحبس، فما ظنّك بمحلّة العسكر من ذلك الحبس! فلماذا أشخص المتوكّلُ الإمامَ الهادي ﷺ من مدينة جدّه ﷺ إلى هذا السجن؟! و لماذا فعلوا ذلك بابنه الإمام الحسن العسكريّ ﷺ أيضًا؟ و أوقفوا تقسيم إرثه مدّة سبع سنين و هم يفتّشون عن ابنه صلوات الله عليه و عجّل الله تعالى فرجه؟ كما ذكر ذلك عشراتٌ من علماء السُّنّة. و هل ذلك إلّا لِمَا تبيّن لهم ـ من حديث الاثني عشر إمامًا الّذين

(١) رسائل في الغَيبة للشيخ المفيد ﷺ، الرسالة الثانية، ج٢، ص١١.

(٢) في مقدّمته لكتاب مسند أحمد، ج١، ص٤٤.

أخبر عنهم رسول الله ﷺ ـ من أنّهم قد أدركوا العاشر منهم إذ قام مقام آبائه الطاهرين عليهم السلام في سلسلةٍ نيّرةٍ مثيرةٍ للإعجاب تشبه الإعجاز، قد اعترف العالِم و الجاهل بأنّ كلّ واحدٍ منهم أولى بالخلافة من خليفةِ زمانه المزعوم؟ فأيّ شكّ يبقى للخليفة المتوكّل في أنّ ولادة الثاني عشر منهم عليه السلام قد اقتربت؟ و لا سيّما أنّه قد انتشر خبر إنشاد دعبل الخزاعيّ قصيدته المشهورة في محضر الإمام الرضا عليه السلام و المأمون الخليفة العبّاسيّ حاضر، أفما بلغ خبره المتوكّل؟! أفما سمع أنّه أخبر دعبلًا بخروج إمام لا محالة خارج؟ فلم يرَ المتوكّل بُدًّا من إشخاص الإمام عليه السلام إلى عسكر سامرّاء حتّى يجعله عليه السلام بمرصد الاطّلاع و يفتّش عن كلّ صغيرٍ و كبيرٍ من أمور الإمام العاشر و ابنه الإمام العسكريّ عليهما السلام.

و من الجدير في إتمام الجواب و إكماله و إحكامه أن توصف عقائد الشيعة الاثني عشريّة في جدول تلتئم في إطاره أحجية معارف الكتاب و السُنّة، أو في سلسلةٍ من الحلقات الّتي تربط بها و تتشابك فيها متفرّقات عقائد أهل السُنّة الّتي يرونها مفردات لا يرتبط بعضها ببعض. فهل يرتبط عندهم ـ مثلًا ـ حديث الخلفاء الاثني عشر بالمهديّ الموعود عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟ و هل المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف منهم؟ و هل أولئك الخلفاء من ولد فاطمة عليها السلام؟ إنّهم لا يرون أيّ ارتباط بين الخلفاء الاثني عشر عليهم السلام و سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام! و الأعجب أنّهم لا يرون أيّ ارتباط بين الخلفاء الاثني عشر أنفسهم! و كذا هل يرتبط عندهم حديث الثقلين «كتاب الله و عترتي» بالمهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو بالخلفاء الاثني عشر؟ و هل يرتبط عندهم اليوم الّذي صدر فيه حديث الثقلين، و هو يوم غدير خمّ ـ بنقلِ صحيح مسلم و عشرات آخرين من المحدِّثين ـ بالمهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أولئك الخلفاء (صلوات الله عليهم)؟

و بالجملة، فالجواب عن السؤال المطروح هو أنّ الاعتقاد بظهور الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف عقيدة إسلاميّة لازمة عند أهل السُنّة في حدّ نفسها، حتّى إنّ لديهم عقائد أخرى ترتبط بظهوره عجّل الله تعالى فرجه الشريف جليًّا أو خفيًّا، بحيث تكون هذه العقائد كلّها في واقع الأمر بمنزلة الأعضاء لبدنٍ واحد، لكنّها تُعدّ عند أهل السُنّة متفرّقات، لا تجتمع في إطارٍ واحدٍ و لا تكون بمنزلة الأعضاء يُعاضد بعضها بعضًا و يُشكّل مجموعها بدنًا واحدًا ذا روحٍ واحدة. أمّا الشيعة الّذين تمسّكوا بالثقلين و أخذوا عقائدهم من العِترة الطاهرة عليهم السلام، فإنّ هذه العقائد كلّها مرتبطةٌ عندهم كمال الارتباط، و لها نظام بيّنهُ لهم أهل البيت عليهم السلام الّذين هم أدرى بما في البيت، و من الواضح أنّ عقيدةً واحدةً منفردةً و مستقلّةً تختلف اختلافًا شاسعًا عن

عقيدةٍ منضمّةٍ إلى عقائد أخرى تكون لها شواهد. و قوّة العقائد المتشابكة و المترابطة لا تُقاس بقوّة عقيدةٍ منفردةٍ و لو كانت متواترةً على ما صرّح به الألبانيّ فيما مضى نقله عنه. و الله الهادي.

السؤال الثاني:

مع قطع النظر عن الروايات، هل هناك أدلّة عقليّة و شواهد غير روائيّة، تُعيننا على تحقيق تأريخيّ و دراسة موضوعيّة و فحصٍ حرّ، يؤدّي إلى اطمئنان النفوس الكافرة فضلًا عن المُسلمة، بأنّ الصحابة و التابعين و الجيل الّذي عاش في القرنَين الأوّل و الثاني من الهجرة، كانوا يعرفون بالدّقّة فكرة المهدويّة و حتّى بعض خصوصيّات الإمام المهديّ عليه السلام؟ يعني هل صحيح ما يُقال بأنّ قضيّة الإمام المهديّ عليه السلام و ظهوره و غَيبته قد استحدثها الشيعة في سنة ٢٦٠ للهجرة عند استشهاد الإمام العسكريّ عليه السلام إذ لم يكن له عليه السلام ولدٌ ظاهر بين الناس، و هو ما اضطرّهم إلى ابتداع فكرة غَيبة الإمام المهديّ عليه السلام و ظهوره؟

و الجواب أنّ هناك ظاهرة تاريخيّة تُبهر العقول و تبهتها و لا تُبقي ريبًا و لا تذر شكًّا لأيّ شخصٍ مسلمٍ أو كافرٍ في أنّ الاعتقاد بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و غَيبته و ظهوره كان موجودًا في القرن الأوّل من الهجرة و لم يكن من المُحدَثات الّتي ظهرت في القرن الثالث عند استشهاد الإمام العسكريّ عليه السلام في سنة ٢٦٠ للهجرة!

هذه الظاهرة الّتي لا يُمكن نفيها أو تجاهلها هي أنّ فكرة غَيبة الإمام عليه السلام و ظهوره بعد غيبته قد تجلّت في أشعار القرون السابقة لمولده الشريف، و هنا نشير إلى ثلاثة شواهد واضحةٍ صادرة عن ثلاثة شعراء توفّوا قبل ميلاد الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بسنين كثيرة:

أوّلهم الشاعر الشهير المتوفّى سنة ١٠٧ أو ١٠٥هـ.ق. «كُثَيِّر عزَّة» الّذي نسبوه إلى الكيسانيّة[1]، و الحال أنّ الشواهد تؤكّد أنّه من شعراء أهل البيت عليهم السلام القائلين بإمامة الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، فقد نقل ابن شهر آشوب، صاحب المناقب في كتابه معالم العلماء، أنّه كان من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام: «فصل في المتّقين: و المتّقون منهم نحوَ كثيّر عزّة، و لمّا

(١) الكيسانيّة مذهب منقرض، أُسّس بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام. و قد قالت الكيسانيّة بإمامة الأئمّة عليّ و الحسن و الحسين عليهم السلام ثمّ محمّد بن عليّ المعروف بابن الحنفيّة، و كان الكيسانيّون يرون أنّ محمّدًا هو المهديّ الموعود الّذي يملأ الأرض قسطًا و عدلًا.

مات رفع جنازته الباقر عليه السلام و عرقه يجري و كان من أصحابه»[1].

و على أيّ حال، حتّى لو قلنا إنّه من الكيسانيّة فإنّ ذلك لا يضرّ بما نحن بصدد بيانه، و هو وجود فكرة غَيبة الإمام من آل محمّد عليهم السلام في القرن الأوّل للهجرة، فقد تواتر نقل شعره المتضمّن لفكرة الغَيبة في كتب الشيعة و السُنّة، حتّى إنّ ابن تيميّة نقله في كتابه المعروف منهاج السُنّة[2] و نقله أبو الحسن الأشعريّ في كتابه مقالات الإسلاميّين[3]:

ألا إنّ الأئمّة من قُريشٍ ... وُلاة الحق أربعةٌ سواءُ
عليٌّ و الثلاثة من بنيهِ ... هم الأسْباطُ ليس بهم خفاءُ
فَسِبطٌ سِبطُ إيمانٍ و برٍّ ... و سبطٌ غَيّبته كربلاءُ
و سبطٌ لا يذوق الموتَ حتّى ... يقودَ الخيل يَقْدمُها اللواءُ
تغيّب لا يُرى فيهم زمانًا ... برضوى عنده عسلٌ و ماء

هذا و قد نسب بعضهم هذا الشعر إلى السيّد الحِمْيريّ المتوفّى سنة ١٧٣هـ.ق، و هو الشاعر الثاني الّذي سنذكره إن شاء الله تعالى، و لعلّ هذا البعض نسبه سهوًا، لاشتهار السيّد الحميريّ بالقول بالكيسانيّة ثمّ رجوعه عنها.

و الغرض أنّ كثيّر عزّة أبقى لنا بشعره ـ الّذي قد بقي منذ القرون و خُلِّد ـ فكرة غَيبة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و قد سمّى الإمام عليه السلام سبطًا، و لا ريب في أنّ المقصود بكلمة «السبط» ليس ابن الحنفيّة كما زعموا، إذ لا شكّ في عدم كونه سبطًا لرسول الله صلّى الله عليه و آله و إن كان ابنًا لأمير المؤمنين عليه السلام لكنّه ليس من أبناء السيّدة فاطمة عليها السلام، و من أراد تفصيل حال كثيّر عزّة و تشيّعه و عدم كونه كيسانيًّا فعليه بكتاب السيّد عليّ خان المدنيّ: «الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة»[4].

و الثاني من الشعراء الّذين خلّدوا اشتهار فكرة غَيبة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف قبل ولادته المباركة بعشرات السنين هو أبو هاشم إسماعيل بن محمّد المعروف بالسيّد الحِمْيريّ رحمه الله، المتوفّى سنة ١٧٣ للهجرة، الّذي كانت أشعاره تتداول بين الناس و قد تواتر نقلها

---

(١) معالم العلماء، ص١٥٢.

(٢) منهاج السنّة، ج٣، ص٤٧٥.

(٣) مقالات الإسلاميّين، ص١٩.

(٤) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، ص٥٨١.

من قِبَل الشيعة و السُّنّة، إلى درجة أنّ بعض أعيان علماء السُّنّة قد حَفِظوا ديوانه و ذكروه في كتبهم الرجاليّة. فعلى سبيل المثال كان العالم الكبير من أهل السُّنّة أبو الحسن الدارقطني المتوفّى سنة ٣٨٥ للهجرة، يحفظ ديوان السيّد الحِمْيريّ، و قد قال الذهبيّ في معرفة القرّاء الكبار في توصيف الدارقطنيّ: «و منها المعرفة بالأدب و الشعر، فقيل إنّه كان يحفظ دواوين جماعة، و نُسب إلى التشيّع لحفظه ديوان السيّد الحِمْيريّ، قلت: هو بريء من التشيّع»(١).

فانظر أيّها المُنصف كيف حفظ الدارقطنيّ ديوان السيّد الحميريّ و هو لا يُحتمل في حقّه التشيّع، ثمّ انظر كيف كان تواتر أشعاره و تداولها بين الناس منذ قرنين إلى زمان الدارقطنيّ، و لذا قال الشيخ المفيد ﷺ المتوفّى سنة ٤١٣هـ.ق في كتاب الإرشاد بعد نقله شعر السيّد: «و في هذا الشعر دليل على... وجود الدعوة ظاهرة من الشيعة في أيّام أبي عبد الله عليه السلام إلى إمامته و القول بغَيبة صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إنّها إحدى علاماته، و هو صريح قول الإماميّة الاثني عشريّة»(٢).

و نِعْمَ ما قال، فإنّ المتواتر ظاهرة منطقيّة ذات مراتب تشكيكيّة، و الشعر ظاهرة اجتماعيّة يتحقّق التواتر فيها بسرعةٍ و بمرتبةٍ عاليةٍ من التداول الجماعيّ و التواتر النقليّ، فبنظمه الصوريّ يُحفظ محتواه، و يُقذف بمعناه في بطون التاريخ جيلًا بعد جيل، فإذا نظرنا إلى أشعار الحِمْيريّ المتداولة بين الشيعة و السُّنّة منذ القرون الماضية و إلى القرن الخامس عشر، فلا نشكّ في وجود فكرة غَيبة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في زمان هذا الشاعر، و أمّا قصّته مع الكيسانيّة و قوله بها ثمّ رجوعه عنها فمعروفة بين الخاصّة و العامّة، قال الذهبيّ في سير أعلام النبلاء: «كان يرى رأي الكيسانيّة... فقيل إنّه اجتمع بجعفر الصادق فبيّن له ضلالته فتاب»(٣).

و هو يشير إلى أشعاره المعروفة، مثل قوله:

تَجَعْفَرْتُ باسمِ اللهِ و اللهُ أكبر　　　و أَيْقَنْتُ أنّ الله يَعفو و يَغفر

و هذا الشعر كان في بداءة رجوعه عن الكيسانيّة، و لمّا عاد إلى بلاده قال قصيدة أخرى و أرسلها إلى الإمام الصادق عليه السلام، و هي قصيدة رائعة مشهورة مثيرة للإعجاب ذكر فيها

---

(١) معرفة القرّاء الكبار، ص١٩٧.

(٢) الإرشاد، ج٢، ص٢٠٨.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٥.

تفصيل القصّة، و صرّح بوجود رواية ناطقة بغَيبة الإمام المهديّ من آل محمّد عليهم السلام، و أنّ السيّد الحميريّ وقع بسبب هذه الرواية في الاشتباه فظنّ أنّ الغائب هو ابن الحنفيّة، و قد ذكرها جمعٌ في كتبهم، و يمكن الوصول إليها بسهولة، و مطلعها قوله:

أَيَا رَاكِبًا نَحو المدينةِ جَسْرةً   عُذَافِرَةً يُطْوَى بِها كُلُّ سَبْسَبِ

و من أراد تفصيلها فليراجعها فإنّها مدعاة للإعجاب جدًّا، و لكن مقصودنا منها تصريحه بوجود الرواية في غَيبة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ذلك في قوله:

و لكنْ رُوِينا عن وَصِيِّ محمّد   و ما كانَ فيما قالَ بالمُتكذِّبِ
بـأنَّ ولـيَّ الأمـرِ يُفْقَـدُ لا يُـرى   ستيرًا كَفِعلِ الخائفِ المُتَرَقِّبِ
فُيُقْسَـمُ أمْـوالُ الفَقيدِ كأنَّما   تَغَيُّبُهُ بَيْنَ الصَّفيحِ الْمُنَصَّبِ
....
لَهُ غَيْبَةٌ لا بُدَّ مِنْ أنْ يَغيبَها   فَصَلّى عَلَيهِ اللهُ مِنْ مَتَغَيِّبِ

فالسيّد الحِميريّ بشعره المتواتر هذا، قد أوجب اشتهار الرواية الناطقة بلزوم غَيبة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و ألزم كلّ عاقلٍ من البشر، مسلمٍ أو كافرٍ، أن يطمئنّ إلى وجود فكرة الغَيبة قبل ولادة الإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف في سنة ٢٥٥ للهجرة، لأنّ السيّد قال هذه القصيدة في زمان الإمام الصادق عليه السلام المستشهد سنة ١٤٧هـ.ق، و السيّد نفسه قد توفّي في سنة ١٧٣هـ.ق، فهل يبقى ذو مُسكَة يشكّ في اشتهار فكرة الغَيبة و تداولها بعد وقوفه على هذه القصيدة المتواترة بين الشيعة و السُّنّة؟! كلّا ثمّ كلّا، إلّا من كان مُكابرًا مُعاندًا مُتجاهلًا، نعوذ بالله تعالى من الشّقاء.

و الثالث من الشعراء، الّذين قذفوا بشعرهم في بطون التاريخ، و هو ما يوضّح بيئتهم الفكريّة للأجيال القادمة، الشاعر السامي دعبل الخزاعيّ رحمه الله، المتوفّى سنة ٢٤٦هـ.ق، و تمتاز قصيدته بأنّه آلى على نفسه أن لا ينشدها لأحدٍ قبل الإمام أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه آلاف التحيّات و الثّناء، فأُقيم مجلسٌ بحضور الإمام عليه السلام و كان من أروع المجالس، و بمراجعة كتب الفريقين ـ الشيعة و السنّة ـ يظهر جليًّا تواتر نقل هذا المجلس و ما ظهر فيه من تأييد الإمام عليه السلام و بكائه و إقطاعه و سائر ما جرى بعده يعرفه و ينقله كلّ من الشيعة و السنّة، و من أراد التفصيل فعليه الرجوع إلى أعيان الشيعة للسيّد الأمين قدس سره، و قد

نقلها من العامّة: المقدّسيّ (المتوفّى سنة ٣٥٥هـ.ق) في البدء و التأريخ، و ياقوت الحمويّ (المتوفّى سنة ٦٢٦هـ.ق) في معجم الأدباء، و ابن العديم (المتوفّى سنة ٦٦٠هـ.ق) في بغية الطلب في تأريخ حلب، و المزيّ (المتوفّى سنة ٧٤٢هـ.ق) في تهذيب الكمال، و العصاميّ (المتوفّى سنة ١١١١هـ.ق) في سمط النجوم العوالي، و غيرهم.

و قد وصف ياقوت الحمويّ قصيدته في معجم أدبائه «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، بأنّها من أحسن الشعر و أسنى المدائح، فقال: «دعبل بن عليّ بن رزين بن سليمان، وكان من مشاهير الشيعة و قصيدته التائيّة في أهل البيت من أحسن الشعر و أسنى المدائح، قصد بها عليّ بن موسى الرضا بخراسان فأعطاه عشرة آلاف درهم و خلع عليه بردة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قمّ ثلاثين ألف درهم فلم يبعها، فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها، فقال لهم إنّها تُراد لله عزّ و جلّ و هي محرّمة عليكم، فدفعوا له ثلاثين ألف درهم فحلف أن لا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون في كفنه، فأعطوه كمًّا واحدًا فكان في أكفانه، و يقال إنّه كتب القصيدة في ثوب و أحرم فيه و أوصى بأن يكون في أكفانه». ثمّ استمرّ ياقوت الحمويّ في كلامه، و أتى بما يشيّد ما نحن بصدده من وجود العقيدة المهدويّة قبل ولادة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فقال: «و نُسَخُ هذه القصيدة مختلفة، في بعضها زيادات يُظنّ أنّها مصنوعة ألحقها بها أناسٌ من الشيعة، و إنّا موردون هنا ما صحّ منها، قال:

مــدارسُ آيــاتٍ خَـلَـتْ مـن تـلاوةٍ و مـنـزل وحـي مـقـفرُ الـعَـرَصـاتِ

إلى قوله:

خــروجُ إمــامٍ لا مـحـالـة خــارجٌ يـقـوم عـلـى اسـم الله و الـبـركـاتِ
يـمـيّـز فـيـنـا كــلَّ حــقٍّ و بـاطـلٍ و يَجزي على النَّعماء و النَّقِماتِ[1]

فليُحدّق العاقلون المُنصفون إلى قوله: «**إنَّا موردون هنا ما صحَّ منها**»، و يلتفتوا إلى أنّ إخبار دعبل بخروج الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف قبل ولادته بعشرات السنين (ما يقارب الخمسين سنة)، هو من النقل الصحيح الّذي لا يُظنّ كونه ممّا صنعه الشيعة، بل ممّا لا يستريب فيه عاقل، حتّى قال السيّد الأمين رحمه الله في أعيان الشيعة جوابًا عن ياقوت: «و أقول لعلّ... و لعلّ ظنّه بأنّ الزيادة مصنوعة، لأنّ فيها ما لم تألفه نفسه و أورد منها خمسة و أربعين بيتًا»[2].

---

(١) معجم الأدباء، ج٣، ص١٢٨٤.

(٢) أعيان الشيعة، ج٦، ص٤١٨.

لكن تفريقه بعض أبيات القصيدة عن بعض و تبعيضها، ثمّ ذكره البيتَين: «خروجُ إمامٍ لامحالة خارجٌ...» ممّا يقوّي ما نحن بصدده، و هو اليقين بأنّ دعبل قد ذكر أمر ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في محضر الإمام الرضا عليه السلام قبل ولادته عجّل الله تعالى فرجه الشريف بأكثر من خمسين سنة، فإنّ دعبل و إن كانت وفاته سنة ٢٤٦هـ.ق لكنّ إنشاده لقصيدته بمحضر الإمام عليه السلام كان قريب سنة ٢٠٠هـ.ق، و نزول نور خاتم الولاية الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة.

و ممّا تأتلف به و عليه قلوب الشيعة و يرتاحون له هو ما ظهر من الإمام الرضا عليه السلام قولًا و فعلًا عند سماعه لبعض أبيات قصيدة دعبل، فقد نقل المحدِّثون أنّه لمّا بلغ إلى قوله: «أَرى فَيئَهُم في غيرهم متقسِّمًا»، بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام و قال: «صدقت يا خزاعيّ»، فلمّا بلغ إلى قوله: «أَكُفًّا عن الأوتار منقبضات»، جعل أبو الحسن عليه السلام يقلِّب كفّيه و هو يقول: «أجل والله منقبضات»، و لمّا بلغ إلى قوله: «و إنّي لأرجُو الأمنَ بعد وفاتي»، قال له الرضا عليه السلام: «آمنك الله يوم الفزع الأكبر»، فلمّا انتهى إلى قوله: «و قبرٌ ببغداد»، قال له الرضا عليه السلام: «أَفَلَا أُلْحِقُ لَكَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ بَيْتَيْنِ بِهِمَا تَمَامُ قَصِيدَتِكَ؟» قال: «بلى يابن رسول الله»، فقال عليه السلام: «و قبرٌ بطوس...»، و لمّا بلغ إلى قوله: «خروج إمام لا محالة خارج»، بكى الرضا عليه السلام بكاءً شديدًا ثمّ رفع رأسه فقال: «يَا خُزَاعِيُّ نَطَقَ رُوحُ الْقُدُسِ عَلَى لِسَانِكَ بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَهَلْ تَدْرِي مَنْ هَذَا الْإِمَامُ وَمَتَى يَقُوم؟» فقلت لا يا مولاي، إلّا أنّي سمعت بخروج إمامٍ منكم يُطهّر الأرض من الفساد و يملؤها عدلًا كما مُلئت جورًا، فقال عليه السلام: «يَا دِعْبِلُ الْإِمَامُ بَعْدِي محمّد ابْنِي، وَبَعْدَ محمّد ابْنُهُ عَلِيٌّ، وَبَعْدَ عَلِيٍّ ابْنُهُ الْحَسَنُ، وَبَعْدَ الْحَسَنِ ابْنُهُ الحجّة الْقَائِمُ، الْمُنْتَظَرُ فِي غَيْبَتِهِ الْمُطَاعُ فِي ظُهُورِهِ. لَوْلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَخْرُجَ فَيَمْلَأَهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا. وَأَمَّا مَتَى فَإِخْبَارٌ عَنِ الْوَقْتِ، وَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ أَنَّ النَّبِيَّ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى يَخْرُجُ الْقَائِمُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ؟ قَالَ: مَثَلُهُ مَثَلُ السَّاعَةِ الّتي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إلّا هُو، ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَة»[1].

و كذا من طريف ما ظهر من الإمام الرضا عليه السلام حين إنشاد القصيدة هو ما بقيت آثاره عند الشيعة يستمرّون عليه من دون أن يعلم البعض مأخذه، و هو ما نقله الشيخ آقا بزرگ الطهرانيّ قدّس سرّه أنّ دعبل الخزاعيّ لمّا بلغ قوله:

(١) كمال الدين، ج٢، ص٣٧٢؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٢٦٦.

إلى الحَشرِ حتّى يبعثَ اللهُ قائمًا　　يُفرّج عنّا الهمَّ و الكرباتِ

تهلّل وجه الرضا عليه السلام و طأطأ رأسه إلى الأرض و بسط كفّيه و رمق بطرفه إلى السماء و قال: «اللهم عجّل فرجه و سهّل مخرجه وانصرنا به و أهلك عدوّه» إلى قوله: «يا دعبل هو قائمنا» و لمّا انتهى إلى قوله:

خروج إمامٍ لا محالة خارج　　يقومُ على اسمِ اللهِ و البركاتِ

قال أبو الصلت: فلمّا سمع الإمام عليه السلام ذلك، قام قائمًا على قدميه و طأطأ رأسه منحنيًا به إلى الأرض بعد أن وضع كفّه اليمنى على هامته و قال: «اللّهم عجّل فرجه و سهّل مخرجه وانصرنا به نصرًا عزيزًا»[1].

و بالنتيجة، فإنّ محصّلة الجواب عن السؤال الثاني أمرٌ رائعٌ جدًّا، يعترف و يبتهج به كلّ منصف يعرف دور الشعر في الحفاظ على صيانة محتواه و إبقائه عبر التاريخ. و ليس بمستبعدٍ أن يُقال إنّ السبب الرئيسيّ خلف تزويج المأمون ابنته من الإمام الجواد عليه السلام، هو حضوره في المجلس الّذي أنشد فيه دعبل قصيدته، و رؤيته ما أبداه الإمام الرضا عليه السلام من ترحيب و تأييد لمحتواها، فكأنّ المأمون قد استشعر قرب تحقُّق الأمر، فأحبّ أن يكون من أجداد المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف من جهة الأمّ، لكنّه لم يدرِ ما أراد الله سبحانه. و كذا الأمر في ما فعله المتوكّل من إشخاص الإمام الهادي عليه السلام من المدينة المنوّرة إلى سامراء، فإنّه و إن كان ناشئًا عمّا سمعه من أحاديث مستفيضة في الاثني عشر إمامًا، لكنّ دافعه الأساسي كانت واقعة إنشاد دعبل قصيدته الرائعة و ما فعله الإمام الرضا عليه السلام في ذلك المجلس، فقد اشتهرت تلك الواقعة في بيت الخلافة العبّاسيّة، لذا فإنّ المتوكّل قهرًا قد سمع بها منذ صباوته، فصار يسعى لإحضار الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء و جعله في محلّة العسكر، حتى لا يخفى عليه ولادة من قال دعبل في حقّه: «خروج إمام لا محالة خارج» إلى آخره.

السؤال الثالث:

يعتقد الشيعة ـ بناءً على الكثير من الروايات ـ أنّ عددًا من الآيات القرآنيّة الشريفة ترتبط بمسألة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فهل يوجد عند أهل السُّنّة ما يدلّ أو يشير إلى مسألة ظهور الإمام

(١) الذريعة، ج ٢٣، ص ٢٤٧، كتاب مؤجّج الأحزان.

المهديّ عليه السلام في آيات القرآن الكريم و أنّها كانت محطّ قبول عامّة المفسّرين السابقين من أهل السُّنّة؟ و عليه هل تُعدّ الآيات القرآنيّة مصدر انطلاقٍ للفكرة المهدويّة عند الفريقين؟

إنّ لدراسة هذا السؤال شأنًا و منهجًا خاصًّا يرتبط بشأن القرآن الكريم، فإنّه الكتاب الّذي أنزله الله تعالى بعلمه و جعله تبيانًا لكلّ شيء. و عند الشيعة روايات كثيرة فى ذيل كثير من الآيات القرآنيّة تدلّ على ارتباطها بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ظهوره، بل كلّ عاقل قد فهم الفكر الشيعيّ و العقيدة المهدويّة، إذا راجع الآيات القرآنيّة الشريفة و تأمّل سياقها، ينسبق ذهنه و من غير إرادة منه إلى البشارة بظهور كلمة الدين و الإسلام في المستقبل.

بل مَن الّذي ـ سواء أمسلمًا كان أم كافرًا ـ في عصرنا هذا، إذا قرأ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ لا يذهب ذهنه إلى مستقبل الزمان؟ و إذا واجه توجيهات بعض المفسّرين ليبيّنوا ظهور الإسلام على الدين كلّه في ما مضى أو في الحال، يراها توجيهات من ألزم نفسه نسيان الفكرة المهدويّة و نبذها وراء ظهره، و إلّا فدلالة الآية على الإشارة إلى المستقبل واضحة عند العرف العامّ للمسلمين و الكافرين.

و كذا كلّ من يقرأ سورة المائدة و هي آخر سورة نزلت، يرى أنّ الله سبحانه في الأشهر الأخيرة قبل انقطاع الوحي خاطب المؤمنين آنذاك و قال لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ﴾، أفلم يكن مناسبًا أن يقول لهم مثلًا: من يرتدّ منكم عن دينه فيعذّبه الله؟ ثمّ ألا تختلف كلمة «سوف» عن «السين»؟ أليس هناك فرق بين أن يقال: «فسيأتي الله بقوم» و بين أن يقول «فسوف يأتي الله بقوم»؟ و إن كان هذا «القوم» سيأتون إلى هؤلاء المرتدّين أنفسهم، أفلم يكن مقتضى المحاورة أن يُقال: «فسيأتي الله بقوم منكم يقتلونكم» مثلًا؟ لكنّ الله سبحانه في هذه الآية الشريفة يصرف كلامه عن أشخاص هؤلاء المرتدّين و تعذيبهم و الانتقام منهم إلى البشارة بإتيانه تعالى بقومٍ في المستقبل البعيد من خلال كلمة «سوف». ثمّ ما معنى «الفاء» في قوله تعالى «فسوف»؟ لعلّه للإشارة إلى أنّ هذه البشارة و إن لم تكن لقتل أشخاص المرتدّين و لكن تُذهب بآثار هذا الارتداد، و يُتدارك بها ما فات بسببه، و يُفهم من هذا الكلام أنّ لهذا الارتداد آثارًا فجيعة سوف يرفعها الله بهؤلاء القوم، و ما أعجب إرداف هذه الآية بالآيتين الواردتين بعدها، أي آية «الولاية» و آية

«التولّي»، و ختامها بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1].

و هناك آيات أُخر إذا التفت الناظر فيها إلى الفكرة المهدويّة، يرى لوائح الإشارات إلى مستقبل الزمن للإسلام و المؤمنين، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[2]، و قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[3].

أفلا تُجذَب القلوب إذا استمعت إلى قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[4] و قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ﴾[5]. ثمّ رأت في صحيح البخاريّ[6] و مسلم[7] إدراج باب نزول عيسى عليه السلام مستشهدين بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، أو إذا رأت في أقدم تفسير بين المسلمين و هو تفسير مجاهد (المتوفّى سنة ١٠٤هـ.ق) أنّه يقول ذيل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾: «يعني نزول عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة»، أفلا تطمئنّ هذه القلوب بأنّ لنزول عيسى عليه السلام شاهدًا قرآنيًّا لا روائيًّا فحسب؟ ثمّ إذا لاحظت في هذين البابين من صحيحَي البخاريّ و مسلم قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُم**»، سبحان الله! ألا تسأل مَن هذا الإمام؟ أهو المهديّ الموعود في هذه الأمّة؟ نعم و لا ريب فيه عند أهل السُّنّة، إذ نرى في عشراتٍ من الكتب الحديثيّة: «**المَهديّ عليه السلام مِن هَذِهِ الأمّة وَ هُو الّذي يؤمّ عِيسَى ابن مَريَم**»[8].

و من الطريف أنّا نرى المحدِّث الكبير المعاصر ناصر الألبانيّ يحكم بالوضع و الكذب على الرواية الّتي تقول بأنّ الإمام الّذي يصلّي بعيسى هو من ولد العبّاس، و يختم كلامه بقوله: «**و أمّا صلاة المهديّ بعيسى عليه السلام فصحيحٌ ثابتٌ في أحاديثَ كثيرة**»[9].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

(٣) سورة القصص، الآية ٥.

(٤) سورة النساء، الآية ١٥٩.

(٥) سورة الزخرف، الآية ٦١.

(٦) صحيح البخاري، ج٤، ص١٦٨.

(٧) صحيح مسلم، ج١، ص١٣٦.

(٨) مصنف ابن أبي شيبة، ج٧، ص٥١٣، عن ابن سيرين؛ فتن نعيم بن حماد عن عبد الله بن عمرو و ابن سيرين.

(٩) السلسلة الضعيفة، ج١، ص١٨٣.

و إذا أردت الاستماع لآيةٍ أخرى في هذا المجال فإنّ منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[1]، و قد ذُكرت آنفًا نُكتة مهمّة عند دراسة السؤال الأوّل، و ألفتنا نظر قارئنا الكريم إلى تفاوت العقيدة الشيعيّة الإماميّة مع العقيدة السُّنّيّة في الفكرة المهدويّة، و قلنا إنّها كسلكٍ لدُررٍ منثورةٍ في العقيدة، يراها أهل السُّنّة مُعتبرة و يلزم الاعتقاد بها، لكنّها غير مرتبطة بعضها ببعض، أمّا العقيدة الشيعيّة فإنّها تجعل هذه المُنفَرِدات في نظامٍ واحدٍ، كأنّها أعضاء لبدنٍ واحد، روحه فقه حديث الثقلين، فترى ارتباطًا وثيقًا بين ليلة القدر من كلّ سنة و نزول الملائكة فيها، و اقتران القرآن الكريم بالعترة الطاهرة عليهم السلام في حديث الثقلين، و الخلفاء الاثني عشر بعضهم ببعض، و نزول عيسى عليه السلام و خروج الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و ظهور الإسلام على الدين كلّه، و سائر العقائد المشتركة المذكورة في الكتاب الكريم و السُّنّة الشريفة، المقبولة عند الشيعة و السُّنّة.

فترى العقيدة الشيعيّة كلّها مُنسلكة في منظومةٍ تشهد لها الآيات القرآنيّة، من جملتها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ﴾[2]، فهل تعلم أنّ هذه الآية تشير إلى خسفٍ ثابت في صحيحَي البخاريّ و مسلم و عشراتٍ من الكتب الحديثيّة الأخرى؟

ففي صحيح البخاريّ قال: «يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ»[3]، و أمّا في صحيح مسلم فقد عقد بابًا سمّاه: «**باب الخسف بالجيش الّذي يؤمّ البيت**» و أدرج أربع رواياتٍ تصرّح بالخسف بالبيداء[4]، و أخرج الحاكم النيسابوريّ في المستدرك قائلًا على شرط الشيخين[5]، و علّق عليه الذهبيّ قائلًا على شرط البخاريّ و مسلم رواية تصرّح بأنّ الخسف بالبيداء يكون لجيش السفيانيّ: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يخرج رجل يقال له السفيانيّ في عمق دمشق...» إلى قوله: «حتّى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم»».

ثمّ نذهب إلى كتاب أسبق زمانًا من هذه الكتب، و هو تفسير مقاتل بن سليمان المتوفّى سنة ١٥٠هـ.ق، إذ يقول لنا إنّ الآية ٥١ من سبأ: ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ «**نزلت في**

---

(١) سورة سبأ، الآية ٥١.

(٢) سورة سبأ، الآية ٥١.

(٣) صحيح البخاريّ، ج٣، ص٦٦.

(٤) صحيح مسلم، ج٤، ص٢٢٠٨.

(٥) المستدرك، ج٤، ص٦٦٦.

السفيانيّ... فإذا انتهوا إلى البيداء خسف بهم»[1]. أفلا تطمئنّ نفسُ الناظر الخبير المُنصف إلى أنّ القرآن يشير إلى خروج السفيانيّ الّذي هو من علامات ظهور المهديّ ؟ و ذلك بتعاضُد القرائن و تشابُك الشواهد من آلاف الكتب و الرسائل و الروايات، جيلًا بعد جيل بين المسلمين، ممّا جعل ملحمة خروج السفيانيّ و خسف جيشه بالبيداء عنصرًا قرآنيًّا تكفّل البحثَ عنه المفسّرون من الشيعة و السُّنّة. فهذا الطبريّ من المفسّرين المتقدّمين المتوفّى سنة ٣١٠هـ.ق يذكر الأقوال ذيل هذه الآية الشريفة و يقول: «**و قال آخرون عنى بذلك جيش يخسف بهم ببيداء من الأرض**»[2]، ثمّ يذكر الرواية المرفوعة المشتملة على ذكر السفيانيّ عن حذيفة يقول في آخرها: «فذلك قوله في سورة سبأ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾» و كذا السمعانيّ (المتوفّى سنة ٤٨٩هـ.ق) ينقل في تفسيره[3] كما في تفسير الطبريّ أيضًا عن التابعيّ الشهيد سعيد بن جبير المستشهد سنة ٩٥هـ.ق في قوله تعالى من سورة سبأ: «**هذه الآية نزلت في جيش السفيانيّ...**»، و سائر المفسّرين أيضًا قرنًا بعد قرن ذكروا هذه الروايات و الأقوال في كتبهم، مثل القرطبيّ و أبي حيّان و غيرهما.

و الشوكانيّ في تفسيره فتح القدير[4] ينقل ذيل هذه الآية قصّة الخسف عن ثمانية أشخاصٍ من الصحابة: ابن عبّاس، ابن مسعود، حذيفة، حفصة، أم سلمة، عائشة، صفيّة، و أبي هريرة.

فلينظر قارئنا الكريم إلى اشتهار أمر السفيانيّ و الخسف بالبيداء بين الصحابة و التابعين، فهذا ذكر لثمانية من الصحابة ممّا نقل إلينا و ما لم ينقل فأكثر. كما رأينا في تفسير مجاهد و مقاتل و كذا عن سعيد بن جبير في تفسير الطبريّ و السمعانيّ، ما يوضح اشتهار أمره أيضًا بين التابعين في القرن الأوّل و بداءة القرن الثاني، و اشتهار أنّ خروج السفيانيّ ممّا أشير إليه في القرآن الكريم.

و لكن للأسف الشديد، فقد آل الأمر في عصرنا هذا إلى قلّة بل ندرة سماع سنّيّ بالسفيانيّ أو الخسف بالبيداء، في حين أنّه من النادر أن تجد شيعيًّا لم يسمع بذلك. كأنّه لا يوجد

---

(١) تفسير مقاتل، ج٣، ص٦٨٣.

(٢) تفسير الطبريّ، ج٢٠، ص٤٢٢.

(٣) تفسير السمعانيّ، ج٤، ص٣٨٤.

(٤) فتح القدير، ج٤، ص٣٨٦.

شيعيٌّ إلّا و تكرّر عنده ذِكر مسألة خروج السفيانيّ مرّاتٍ و مرّات منذ صِباه بل منذ طفولته. لماذا لا يسمع السنّيّ بهذا المطلب في حين أنّه بمرصدٍ دائمٍ من الشيعيّ؟ لأنّه عند السنّيّ قد صار عنصرًا منفردًا روائيًّا يُذكر أحيانًا في صفحات الكتب، و لكنّه عند الشيعيّ ببركة روايات أهل البيت عليهم السلام، قد صار عنصرًا اعتقاديًّا له ارتباط تامّ بظهور الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و العناصر المؤلّفة لنظام اعتقاديّ متكامل، يحفظ بعضها بعضًا. هل من مسلمٍ لم يسمع بمفردتَي المنافق و الكافر؟ لماذا قد سمع قطعًا بذكرهم؟ لأنّ الإسلام و الإيمان يشكّلان مع الكفر و النفاق نظامًا اعتقاديًّا، و هكذا حال المُعتقِد بظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و المنتظِر له، أي أنّه ينتظر علامات ظهوره و ما يرتبط بأمره طبقًا لرواياتٍ متضافرة شكّلت نظامًا منسجمًا للعقيدة المهدويّة، و لذلك لا تجد شيعيًّا لم يسمع بالسفيانيّ و سائر ما يرتبط بعقيدته، في حين أنّ السنّيّ يتعجّب إذا قيل له إنّ خسف جيش السفيانيّ له شاهدٌ قرآنيّ!

السؤال الرابع:

بالنظر إلى المنزلة العظيمة لمنصب الإمامة، فهل يمكن عدّ إمامة إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في سنّ الخامسة أمرًا معقولًا؟ و هل يصحّ وضع زمام المجتمع بيد طفل بينه و بين سنّ البلوغ فاصلة زمنيّة طويلة؟ و هل سبق لتاريخ الإمامة و النبوّة أن شهد مثل هذا الأمر؟

إنّ هذا السؤال أو الإشكال يحظى بامتيازٍ خاصّ؛ إذ عندما يطّلع الشخص على جوابه يُدرك أنّ اعتقاد الشيعة هذا يُمثّل ـ في حدّ ذاته ـ إحدى المعاجز لديهم؛ إذ يُثبت أنّ المنظومة العظيمة لمعارف الشيعة و عقائدهم متّصلة و متناغمة مع تعاليم الوحي و آيات القرآن الكريم. و في سبيل الوصول إلى جواب هذا السؤال، تجب دراسة المحاور الآتية:

١. تحقق النبوّة في الصِّغَر على أساس الآيات و الروايات:

لقد أثبت الله سبحانه و تعالى ـ بنحوٍ صريح ـ مقام النبوّة لطفلٍ لم يبلغ الحُلُم في آيتين مباركتين من سورة مريم عليها السلام:

• المورد الأوّل هو الآية الثانية عشرة من هذه السورة المباركة إذ يقول تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾. إنّ المُطّلِع على آيات القرآن يدرك أنّ الخطاب المباشر الموجّه في هذه الآية إلى النبيّ يحيى عليه السلام، و التعبير بـ «أخذ الكتاب» و «إتيان

الحكم من الله تعالى» كلّ ذلك يشير إلى مقام عظيم، و لا سيّما أنّ هناك الكثير من الآيات القرآنيّة الّتي تقرن إتيان الكتاب و الحكم بالنبوّة، من ذلك أنّ الآية التاسعة و الثمانين من سورة الأنعام ـ مثلًا ـ بعد ذكر أسماء بعض الأنبياء، مثل: النبيّ زكريا و يحيى و عيسى و إلياس عليهم السلام، قالت: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾. و كذلك الآية التاسعة و السبعون من سورة آل عمران و الآية السادسة عشرة من سورة الجاثية تضعان إتيان الكتاب و الحكم في عرض النبوّة. و من هنا فقد ذهب الكثير من المفسّرين من أهل السُّنّة إلى القول بأنّ التعبير المذكور في هذه الآية يدلّ على نبوّة هذا النبيّ، كما عدّوا خطاب ﴿يَٰيَحۡيَىٰ﴾ خطابًا من الله سبحانه و تعالى إلى النبيّ يحيى عليه السلام بواسطة الملَك جبرئيل[1]. و من الجدير ذكره أنّ النبيّ يحيى عليه السلام كان له من العمر في حينها ـ طبقًا لروايات أهل السُّنّة ـ سنتان أو ثلاث أو سبع سنوات[2].

• إنّ الآية التاسعة و العشرين من هذه السورة تذكر حقيقةً أشدّ عجبًا؛ إذ تثبت مقام النبوّة لـ «الطفل المولود حديثًا» و الّذي لا يزال في المهد. ففي هذه الآية أشارت السيّدة مريم عليها السلام ـ و كانت مأمورة بالتزام الصمت ـ إلى ولدها النبيّ عيسى عليه السلام، و طلبت إلى قومها أن يتوجّهوا بالسؤال إلى رضيعها مباشرة؛ و عندها نَطَق ذلك الطفل في مهده و عرّف عن نفسه بوصفه نبيًّا؛ إذ يقول الله تعالى في بيان هذه الحقيقة: ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ۝٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ۝٣٠﴾.

و بالإضافة إلى هاتين الآيتين، فالآية الخامسة عشرة من سورة يوسف تقول إنّ الله سبحانه و تعالى قد أوحى إلى النبيّ يوسف عليه السلام عندما ألقاه إخوته في غيابة الجبّ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[3]. و من البديهيّ أنّ النبيّ يوسف عليه السلام كان صغيرًا في ذلك الوقت؛ حتّى إنّ إخوته عندما طلبوا إلى أبيهم أن يرسله معهم، قالوا: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[4]، الأمر الّذي يُثبت أنّ النبيّ

---

(١) مفاتيح الغيب، ج٢١، ص٥١٦و٥١٧؛ كشف الأسرار، ج٦، ص١٣؛ معالم التنزيل، ج٣، ص٢٢٧؛ المحرّر الوجيز، ج٤، ص٨؛ تفسير الوسيط (الزحيليّ)، ج٢، ص١٤٦٥؛ روح المعاني، ج٨، ص٣٩١؛ البحر المحيط، ج٧، ص٢٤٥.

(٢) راجع: الدرّ المنثور، ج٤، ص٢٦٠و٢٦١؛ زاد المسير في علم التفسير، ج٣، ص١٢٢؛ روح المعاني، ج٨، ص٣٩٢؛ الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص٨٧؛ البحر المحيط، ج٧، ص٢٤٥.

(٣) سورة يوسف، الآية ١٥.

(٤) سورة يوسف، الآية ١٢.

يوسف عليه السلام كان حينها في سنّ من يلعب و يلهو، و أنّه يحتاج إلى من يرعاه من الكبار في السنّ. و من هنا، فإنّ القافلة الّتي عثرت عليه وصفته بأنّه مجرّد غلام: ﴿يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞ﴾[1]. و كذلك ورد في الرواية أنّ النبيّ يوسف عليه السلام كان له من العمر في حينها سبع سنوات[2].

٢. مبنى إمكان النبوّة في الصِّغَر:

إنّ الّذي يُستفاد من تحليل الآيات المذكورة أعلاه بشأن تحقّق النبوّة في الصِّغَر، هو أنّ مقام النبوّة مقامٌ قدسيّ و ملكوتيّ يفوق مفهوم الزمان و المكان، و ليس رهنًا بالعمر و تعاقب السنين. و إنّ الله سبحانه و تعالى يُعطي هذا المقام من يشاء من عباده الصالحين: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾[3]. و لذلك عندما يتكلّم النبيّ عيسى عليه السلام في المهد، لا يكون هذا الكلام صادرًا عن جسمه الدنيويّ و ما حصل عليه من النموّ عبر تصرّم الزمن، بل ينشأ ذلك من روحه القُدسيّ؛ كما لو أمكن لمثل هذا الطفل أن يقتلع صخرة كبيرة من مكانها، لا تكون هذه القدرة ـ بداهةً ـ منبثقة عن الجسم الدنيويّ لهذا الطفل، بل هي تنشأ من عالم آخر. و من هذا القبيل أنّ أمير المؤمنين عليه السلام عندما اقتلع باب حصن خيبر، قال:

«وَاللَّهِ مَا قَلَعْتُ بَابَ خَيْبَرَ وَرَمَيْتُ بِهِ خَلْفَ ظَهْرِي أَرْبَعِينَ ذِرَاعاً بِقُوَّةٍ جَسَدِيَّةٍ وَلَا حَرَكَةٍ غِذَائِيَّةٍ، لَكِنِّي أُيِّدْتُ بِقُوَّةٍ مَلَكُوتِيَّةٍ وَنَفْسٍ بِنُورِ رَبِّهَا مُضِيئَةٍ»[4].

و جاء في التفسير الكبير للفخر الرازيّ:

«و لهذا المعنى نرى أنّ كلّ من كان أكثر علمًا بأحوال عالم الغيب كان أقوى قلبًا و أقلّ ضعفًا، و لهذا قال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه: «والله ما قلعت باب خيبر بقوّةٍ جسدانيّة ولكن بقوّةٍ ربّانيّة»، و ذلك لأنّ عليًّا كرّم الله وجهه في ذلك الوقت انقطع نظره عن عالم الأجساد و أشرقت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء فتقوّى روحه

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٩.

(٢) تفسير العياشيّ، ج٢، ص١٧٠. راجع أيضًا: الصوارم المهرقة، ص٣١٢.

(٣) سورة غافر، الآية ١٥.

(٤) الأمالي (للصدوق)، ص٥١٤.

و تشبّه بجواهر الأرواح الملكيّة و تلألأت فيه أضواء عالم القدس و العظمة فلا جرم حصل له من القدرة ما قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره»[1].

و على هذا الأساس، فقد ورد الكلام حول إمكان النبوّة في الصِغَر في كتب التفسير مرارًا؛ إذ لو التُفِتَ إلى أنّ النبوّة إنّما ترتبط بالبُعد الروحانيّ من الإنسان، و أنّ الله سبحانه و تعالى يستطيع أن يضع هذا الكمال الروحانيّ عند كلّ من يشاء أيًّا كان وضعه الجسمانيّ، لا ينبغي الشكّ في إمكان تحقّق النبوّة في الصِغَر. و فيما يلي نذكر بعض عبارات أهل السُنّة في هذا الشأن، و الّتي صُرّح فيها بهذه الحقيقة، و من بينها على سبيل المثال:

- قال علاء الدين البغداديّ في تفسير لباب التأويل في تفسير الآية ١٢ من سورة مريم:

«قال ابن عبّاس: يعني النبوّة صَبِيًّا و هو ابن ثلاث سنين و ذلك أنّ الله تعالى أحكم عقله و أوحى إليه. فإن قلت كيف يصحّ حصول العقل و الفطنة و النبوّة حال الصبا؟ قلت: لأنّ أصل النبوّة مبنيّ على خرق العادات، إذا ثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبيّ نبيًّا»[2].

- قال الفخر الرازيّ في مفاتيح الغيب:

«فإن قيل كيف يعقل حصول العقل و الفطنة و النبوّة حال الصبا؟ قلنا: هذا السائل، إمّا أن يمنع من خرق العادة أو لا يمنع منه، فإن منع منه فقد سدّ باب النبوّات لأنّ بناء الأمر فيها على المعجزات و لا معنى لها إلّا خرق العادات، و إن لم يمنع فقد زال هذا الاستبعاد فإنّه ليس استبعاد صيرورة الصبيّ عاقلًا أشدّ من استبعاد انشقاق القمر و انفلاق البحر»[3].

- و قال ابن عجيبة في البحر المديد:

«﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾، قال ابن عبّاس: «الحكم هنا النبوّة، استنبأه و هو ابن

---

(١) تفسير الرازيّ (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، ج٢١، ص٤٣٦.

(٢) تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) لمؤلّفه: علاء الدين علي بن محمّد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، المعروف بالخازن (المتوفّى سنة ٧٤١هـ.ق)، ج٣، ص١٨٣.

(٣) مفاتيح الغيب، ج٢١، ص٥١٧.

ثلاث سنين»، قلت: كون الصبيّ نبيًّا جائزٌ عقلًا، واقع عند الجمهور، و أمّا بعثه رسولًا فجائز عقلًا، و ظاهر كلام الفخر هنا أنّه واقع، و أنّ يحيى و عيسى بعثا صغيرين»[1].

و من هنا فقد ذهب علماء العامّة إلى قبول إمكان النبوّة في الصِغَر، بل ذكروا حتّى احتمال نبوّة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ أيضًا. و مع أنّ نبوّة إبراهيم قابلة للبحث و النقاش من جوانب أخرى، لكن الّذي يجب الالتفات إليه في هذا البحث، هو عدم وجود إشكال في إمكان تحقّق النبوّة له من حيث الطفولة و صغر السنّ. و من اللافت في هذا الشأن كلام ابن حجر الهيتميّ، و هو صاحب الكتاب المعروف «الصواعق المحرقة» في الردّ على الشيعة. فقد قال في كتابه «الفتاوى الحديثيّة» ـ بعد نقل كلام صاحب الإصابة ـ في مقام الردّ على النوويّ:

«و لا بُعد في إثبات النبوّة له مع صغره لأنّه كعيسى القائل يوم وُلد: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[2]، وكيحيى الّذي قال تعالى فيه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[3] قال المفسّرون: نُبّيء و عمره ثلاث سنين و احتمال نزول جبريل بوحي لعيسى أو يحيى يجري في إبراهيم، و يرجّحه أنّه صلّى الله عليه و سلّم صوّمه يوم عاشوراء و عمره ثمانية أشهر. و ذكر السبكيّ... و به يعلم تحقيق نبوّة سيّدنا إبراهيم في حال صغره»[4].

٣. الملازمة بين إمكان النبوّة و إمكان الإمامة في الصِغَر

من البديهيّ أنّ مقام الإمامة و الوصاية يأتي بعد النبوّة في الرتبة؛ فإذا أمكن للطفل أن يكون نبيًّا، أمكن له أن يكون وصيًّا للنبيّ و إمامًا بطريق أولى. إنّ الإمامة كالنبوّة منصب

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لمؤلّفه أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن المهديّ بن عجيبة الحسنيّ الأنجريّ الفاسي الصوفيّ (المتوفى سنة ١٢٢٤هـ ق)، ج٣، ص٣٢٣.

(٢) سورة مريم، الآية ٣٠.

(٣) سورة مريم، الآية ١٢.

(٤) الفتاوى الحديثيّة (لابن حجر الهيتميّ)، ص١٢٥. حصل خطأ في نسخة الفتاوى الحديثيّة في نقل الآية، و لذلك فقد اعتمدنا في نقل العبارة الصحيحة للكتاب على نقل العجلونيّ عنه في كشف الخفاء. (راجع: كشف الخفاء، ج٢، ص١٨٤). و لا يخفى أنّ نقل هذا الكلام لا يعني تأييد جميع ما ورد فيه من المطالب، إنّما هو من أجل بيان أنّ علماء السنّة أنفسهم يقرّون بأنّ الطفل أو الرضيع يمكن له ـ بغضّ النظر عن مصداقه ـ أن يصل إلى مقام النبوّة بمشيئة الله تعالى.

إلهيّ، وكما أنّ الله سبحانه و تعالى هو الّذي يصطفي الأنبياء عليهم السلام و يجتبيهم، كذلك فإنّه هو الّذي يختار أوصياءهم عليهم السلام، و يختار أئمّة الدين و الدنيا و الآخرة؛ و ذلك طبقًا للميثاق الّذي أخذه منهم. و من هنا، يُعدّ الاعتقاد بالإمامة عند الشيعة ركنًا من أركان الدين، و مكمِّلًا و متمِّمًا لعقائد المسلمين؛ كما ورد في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

و يتساوى عند الله ـ و هو القادر المتعال ـ إعطاء مقام الإمامة طفلًا صغيرًا أو شيخًا كبيرًا. إنّ المعجزة بالنسبة إلينا معجزة، لكن بالنسبة إلى الله تعالى فالمعجزة و غير المعجزة هي على السواء.

و من اللافت أنّ إمامة الطفل كما لها نظير و سابقة في التاريخ و أنّها تأتي تبعًا لنبوّة الطفل و على إثرها، فإنّ لإنكار إمامة الطفل أيضًا ذات هذا الشبه و السابقة في التاريخ. فعندما نراجع آيات القرآن الكريم نرى أنّ قوم النبيّ عيسى عليه السلام أنكروا إمكان التكلّم مع الطفل في المهد، علاوة على الإيمان به بوصفه نبيًّا. فعندما أشارت السيّدة مريم العذراء عليها السلام إلى النبيّ عيسى عليه السلام لكي يكلّموه، قالوا لها في الجواب: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[2] لقد كان سبب ضياعهم و الالتباس عليهم يكمن في أنّهم كانوا ينكرون أن يُعطي الله تعالى النبوّة و قيادة المجتمع طفلًا لا يزال في المهد، وكانوا يتوقّعون أنّ الشخص الّذي يبلغ مقام النبوّة يجب أن يكون له من العمر مئات السنين كالنبيّ نوح عليه السلام، أو في الحدّ الأدنى عشرات السنين مثل سائر الأنبياء الآخرين عليهم السلام. إنّهم لم يكونوا ليصدّقوا بأنّ الطفل يمكنه أن يتكلّم في المهد بإذن الله تعالى و يُخبرهم بنبوّته. و قد كانوا يقيسون أمر النبوّة ـ الّذي هو أمر إلهيّ يقوم على الخوارق ـ إلى القدرات الجسمانيّة المحدودة للإنسان الاعتياديّ. و إنّ الّذين ينكرون ظهور القدرة الإلهيّة و القدسيّة في الطفل و بلوغه مقام الإمامة بإذن الله سبحانه و تعالى، يعانون تمامًا من القصور المعرفيّ نفسه الّذي كان يعاني منه أولئك الّذين أنكروا نبوّة الطفل الصغير! أجل، فإنّ الّذين أنكروا إمامة الطفل ـ كإمامة الإمام الجواد و الإمام الهادي عليهما السلام و إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ كانوا يقولون: كيف يمكن لطفل أن يُصبح إمامًا للمجتمع؟ و نجيبهم بالقول: ألا تعلمون أنّ أساس النبوّة و الإمامة يقوم على الإعجاز؟!

(١) سورة المائدة، الآية ٣.

(٢) سورة مريم، الآية ٢٩.

إنّ هذا الإعجاز يظهر من كلّ نبيّ بنحوٍ مختلف. من ذلك أنّ إعجاز النبيّ الأكرم ﷺ ـ على سبيل المثال ـ قد تجلّى على نحو أمّيّته و عدم دراسته. فلو كان رسول الله ﷺ قد تعلّم القراءة و الكتابة، لقالوا: ما دام قد تعلّم اللغة و النحو و تلقّى الدروس، فقد أمكن له أن يأتي بكتابٍ على فصاحة القرآن و بلاغته. و طبعًا إنّ فصاحة القرآن و بلاغته الإعجازيّة تفوقان قدرة علماء اللغة و الأدب و أفذاذ البلاغة و الفصاحة على أن يأتوا بمثله، لكن حينما يكون النبيّ أمّيًّا يكون ذلك أبلغ في بيان وجه إعجاز القرآن، و لا يعود بمقدور أحد أن ينكر إعجاز نبوّته. و أمّا في مورد النبيّ عيسى عليه السلام فقد تحقّق الإعجاز في صِغَر سنه، و لا يمكن لأحد أن يُنكر إعجاز تكلّم النبيّ عيسى عليه السلام في المهد. إنّ النبوّة الّتي تتحقّق لنبيّ في صغره لن تكون مدعاة إشكال أبدًا، بل هي نقطة قوّة تُثبت إعجاز نبوّته بنحوٍ أفضل، و تكون أبلغ و أوضح في إثبات مقام النبوّة، و الأمر نفسه بالنسبة إلى تحقّق مقام الإمامة للأئمّة الّذين بلغوا هذا المقام في صغرهم، فهي تمثّل نقطة قوّة لا نقطة ضعف؛ إذ يتّضح فيها تجسيد الإعجاز الإلهيّ المباشر على نحوٍ أجلى و أتمّ، و لا يبقى معه أيّ مجال للتشكيك في ثبوت إمامتهم الإلهيّة عليهم السلام. و بعبارة أخرى: إنّ الإنسان عندما يرى العلامات الواضحة في الإمام، من قبيل: علمه بالأحوال و السرائر و الأعمال الخفيّة للعباد، و تصدر عنه كلمات زاخرة بالحكمة لا يمكن أن تصدر إلّا عن حجّة الله، ثمّ يلتفت بعد ذلك إلى أنّ ذلك كلّه قد صدر عن طفل صغير، فإنّ هذه العلامات و الدلائل الإلهيّة سوف تكتسب بالنسبة إليه وضوحًا أكبر، و لا يبقى عنده معها أيّ مجالٍ للشك و التردّد في صدق إمامته أبدًا. و بالمناسبة، فإنّ هذه المؤيّدات و خوارق العادات و المعجزات قد ظهرت منذ صغر سنّ هؤلاء الأئمّة الثلاثة عليهم السلام الّذين نُصّبوا أئمّة في طفولتهم، لكي لا يبقى معها ـ كما هو الحال بالنسبة إلى نبوّة النبي عيسى ابن مريم عليه السلام ـ أيّ مجال للتشكيك، و تتمّ بذلك الحجّة على الجميع.

٤. إمكان ولاية الصغير على الكبير

يُقال أحيانًا إنّ اتّفاق العلماء و إجماعهم يقومان على أنّ الطفل في الشريعة الإسلاميّة يحتاج إلى وليّ؛ فهو لا يمكنه التصرّف حتّى في أمواله على نحو الاستقلال، و أنّ على وليّه الشرعيّ ـ كوالده مثلًا ـ أن يتّخذ القرار بشأن تصرّفاته؛ فيقرّها أو يرفضها. و عليه، كيف يمكن للطفل الّذي يحتاج إلى وليّ، أن تكون له الولاية على الناس؟!

و نقول في الجواب: إنّ هذا الإجماع صحيح، و إنّ الشيعة يقرّون بهذا الإجماع؛ و لذلك يُقال إنّ هذا الأمر موضع اتّفاق الفريقين، و لكن لا بدّ من الالتفات إلى ماهيّة معقد هذا الإجماع. إنّ معقد هذا الإجماع هو الولاية على الطفل في الأحكام الشرعيّة الفرعيّة، و ليس في أعظم المقامات الإلهيّة و الشرعيّة الّتي هي الإمامة، و عليه فإنّ هذا المقام خارج عن معقد هذا الإجماع تخصّصًا. و بعبارة أخرى: إنّ هذا الإجماع ناظرٌ إلى قاعدة حاكمة على المكلّفين دون أولياء الدين؛ كأن يُقال: هناك إجماع على عدم جواز الزواج من أكثر من أربع نساء، أو لدينا إجماع على عدم وجوب صلاة الليل، و مع ذلك فإنّه من البديهيّ أنّ رسول الله ﷺ خارج معقد هذا الإجماع، و لا يمكن لشخصٍ الاستشكال على سيرة النبيّ الأكرم ﷺ مستندًا إلى هذا النوع من الإجماعات. و من هنا، فإنّ الإمامة الّتي هي من سنخ مقام النبوّة، و تكون بتنصيبٍ من الله تعالى و ليست باختيارٍ من المكلّفين، خارجة عن معقد الإجماع أصلًا. و على هذا الأساس، يجب القول إنّ ولاية الإمام من سنخ الولاية الإلهيّة و التكوينيّة الحاكمة على سائر أنواع الولايات، و أنّها من باب «أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُم»، و يجب عدم خلطها بالبحث الشرعيّ المتمثّل بالولاية على الطفل[1].

٥. تحقّق إمامة الطفل قبل الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

كما تقدّم فإنّ سابقة إمامة الطفل تعود إلى نبوّة الطفل، و قد دلّ عليها القرآن الكريم بنحوٍ صريح. إلّا أنّ النقطة المهمّة الأخرى هي أنّ إمامة الطفل لا تقتصر على إمامة إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف فقط، بل إنّ لهذا الأمر سابقة في تاريخ التشيّع. فمن الناحية التأريخيّة كانت المرّة الأولى الّتي واجه فيها الشيعة مسألة إمامة الطفل، هي مدّة إمامة الإمام الجواد عليه السلام حيث كان الشيعة قد خرجوا لتوّهم من فتنة الواقفيّة بأدلّة الإمام الرضا عليه السلام و إرشاداته و كلماته. لكنّ الإمام الرضا عليه السلام لم يكن قد وُلد له ولد بعد يخلفه في الإمامة، و عندما كانوا يسألونه: من هو

---

(١) لا بدّ من الالتفات إلى أنّ للفظ الولاية في بحثنا الراهن معنيَين، و يجب عدم الخلط بينهما: المعنى الأوّل هو ولاية الأب على الولد الّتي هي ولاية اعتباريّة، و لا تعني أنّ للأب ولاية من الله عزّ و جلّ و أنّه بذلك حاصل على مقام قدسيّ، بحيث تكون له الولاية على الطفل شرعًا حتّى إذا اعترف بأنّه أبعد ما يكون عن الله تعالى. و المعنى الثاني هو ولاية الإمام المعصوم عليه السلام الّتي يمنحها اللهُ الطفلَ على سبيل الإعجاز فهي من سنخ الولاية الإلهيّة التكوينيّة، و تكون كاشفة عن مقام ملكوتيّ و قدسيّ، و أنّ على جميع الناس ـ حتّى الّذين هم في سنّ الشيخوخة ـ أن يُذعنوا بولايته الإلهيّة. و على هذا الأساس، فإنّ ولاية الأب تختلف في سنخها عن ولاية الإمام، كما أنّ إمام الجماعة يختلف عن الإمام المعصوم عليه السلام، و الولاية الأولى عنوانٌ اعتباريّ و شرعيّ، إلّا أنّ الولاية الثانية منصبٌ إلهيّ و قدسيّ.

الحجّة بعدك؟ كان يقول بكلّ حزم: «ابْنِي!»[1]، و عند ولادة الإمام الجواد عليه السلام بعد انتظارٍ طويل، طُرحت مسألة صِغَر الإمام عليه السلام عند استشهاد والده و انتقال منصب الإمامة العظمى إليه. و مع أنّ الشيعة قد سبق لهم أن خاضوا الكثير من النقاش و الجدل مع أهل السُنّة حول مسألة إسلام أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ و لم يكن قد تجاوز السنة العاشرة من عمره الشريف وكان ذلك قبل بلوغه، و لكن أين قبول إسلام الطفل من القبول بمنحه مقام الإمامة على جميع الخلق؟! بيد أنّ سنّة الله سبحانه و تعالى قامت أبدًا على إتمام الحجّة و ذلك على النحو الأكمل و الأتمّ. و لذلك فإنّ مجموعة من الأمور، من قبيل: دلالة آيات القرآن الكريم، و السلوك العمليّ لكبارٍ من بني هاشم، من أمثال: عليّ بن جعفر و عبد العظيم الحسنيّ، و ظهور الكرامات القوليّة و العمليّة من الإمام عليه السلام في صِغَره، و استشهاده بآيات القرآن الكريم، قد أوضحت مسألة إمكان إمامة الطفل و تحقّقها في ثلاثة من أئمّة الشيعة، و هم: الإمام الجواد، و الإمام الهادي، و الإمام المهديّ ـ صلوات الله عليهم ـ و جعلتها ظاهرة مثل الشمس في رابعة النهار.

و قد ورد ذكر إمامة الطفل في روايات الأئمّة المعصومين عليهم السلام، و قد استُشهد بالقرآن الكريم من أجل إثبات إمكانها. و قد عقد ثقة الإسلام الكلينيّ رحمه الله بابًا مستقلًّا يشتمل على ثماني روايات في أصول الكافي تحت عنوان: «باب حالات الأئمّة عليهم السلام في السنّ»[2]، تحتوي هذه الروايات الثمانية على إشارات و نقاط و دقائق لطيفة؛ و لذلك سوف تكون لنا إطلالة إجماليّة على هذه الروايات:

- يقول ابن أسباط في الرواية السابعة: عندما رأيت الإمام الجواد عليه السلام في تلك السنّ: «جَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِلَى رَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ لِأَصِفَ قَامَتَهُ بِمِصْر»، و لمّا رأى الإمام عليه السلام ما أنا عليه [من الاستغراب]، قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ احْتَجَّ فِي الْإِمَامَةِ بِمِثْلِ مَا احْتَجَّ فِي النُّبُوَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾».

- في الروايتين الثانية و السادسة استشهَد الإمام الرضا عليه السلام لإثبات إمامة ولده الإمام الجواد عليه السلام بعمر النبيّ عيسى ابن مريم عليه السلام.

- النقطة اللافتة أنّ الإمام الجواد عليه السلام عندما انتقلت إليه الإمامة كان له من العمر تسع

---

(١) الكافي، ج١، ص٣٢٠.

(٢) الكافي، ج١، ص٣٨٢.

سنوات، و أمّا الإمام اللاحق ـ و هو ابنه الإمام الهادي عليه السلام ـ فقد كان أقل عمرًا منه بسنتين عندما انتقلت إليه الإمامة؛ إذ كان له من العمر في حينها سبع سنوات فقط. و في الرواية الخامسة يسأل ابن بزيع الإمام الجواد عليه السلام قائلًا: هل يمكن للإمام أن يكون بعمر دون السابعة؟ و ربما كان ابن بزيع في ذلك يُشير إلى عمر الإمام الهادي عليه السلام؛ حيث كان له من العمر حين السؤال سبع سنوات فقط، و أنّه سيصبح إمامًا في فرض استشهاد والده. فقال الإمام الجواد عليه السلام في الجواب: «نَعَمْ وَأَقَلّ مِنْ خَمْسِ سِنِين»، و هذا جواب دقيق للغاية؛ لأنّه يحتوي على الإشارة إلى عمر الإمام الهادي عليه السلام عندما ستؤول إليه الإمامة، كما يحتوي على الإشارة إلى سنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ الّذي كان عند بلوغ الإمامة أصغر سنًّا من الإمام الهادي عليه السلام.

• قبل ولادة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بسنوات طويلة وردت الإشارة إلى عمره الشريف و أنّه يبلغ خمس سنوات عند إمامته، و قد ذُكر هذا الأمر في الرواية الرابعة. يقول أبو بصير دخلت على الإمام الصادق عليه السلام وكان معه طفل له خمس سنوات. فقال الإمام عليه السلام: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا احْتَجَّ عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ سِنِّهِ أَوْقَالَ سَيَلِي عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ سِنِّهِ».

• لو تدبّر شخصٌ في روايات هذا الباب، سوف يدرك أنّ أهل البيت عليهم السلام قد أثبتوا بوضوح أنّه كما تكون النبوّة باختيارٍ من الله تعالى و أنّها من سنخ الإعجاز، فإنّ الإمامة كذلك باختيار من الله تعالى، و تنطوي هي الأخرى على إعجازٍ أيضًا، و يمكن لله عزّ و جلّ أن يختار للإمامة شخصًا بهذا العمر.

٦. المواقف العمليّة الحاسمة لكبار الشيعة

لقد قام كبار الشيعة ـ و لا سيّما بني هاشم و السادات من أهل البيت عليهم السلام و الذرّيّة الطاهرة ـ فيما يتعلّق بإمامة الأئمّة في الصِغَر، بخطوات عمليّة مهمّة، تثبت رسوخ المباني الاعتقاديّة لأهل البيت عليهم السلام في قلوبهم، و قد كان لهذه المواقف و الخطوات تأثير بالغ في هداية الشيعة في زمانهم، و هكذا يُتمّ الله تعالى كلماته و آياته لعموم الناس، و بذلك يمنح الشيعة سعة في صدورهم ليتقبّلوا إمامة الطفل الصغير و يرتقوا في مراتب الإيمان فيما يُشبه الإعجاز. من ذلك مثلًا أنّ عليّ بن جعفر العريضيّ رضي الله عنه كان و هو في سنّ الشيخوخة يسلك تجاه الإمام الجواد عليه السلام ـ و هو في سنّ الطفولة ـ سلوكًا يثير معه تعجّب الجميع. فلم يكن هو

عمّ الإمام الجواد عليه السلام بل كان عمّ أبيه عليهما السلام، و كان قد جمع بين خصلتين، إحداهما: أنّه كان بحرًا في العلم و الكمال و لم يكن شخصًا عاديًّا و لا يستهان بفضائله و خصاله، و الأخرى: أنّه كان طاعنًا في السنّ و من سادة بني هاشم و كبارهم، بالإضافة إلى كونه ابن الإمام الصادق عليه السلام بلا واسطة. و حيث كان [عليّ بن جعفر] قد ولد سنة ١٣٨هـ.ق يكون له حين ولادة الإمام الجواد عليه السلام (سنة ١٩٥هـ.ق) ما يقرب من ستين عامًا، و في عصر إمامة الإمام (سنة ٢٠٣هـ.ق) كان قد بلغ خمسًا و ستّين سنة. و قد ورد في رواية الكافي أنّ عليّ بن جعفر كان في مسجد المدينة منشغلًا بالتدريس؛ فلمّا دخل الإمام الجواد عليه السلام، قام عليّ بن جعفر و أقبل على الإمام حافيًا و دون رداء و أخذ يقبّل يديه و يعامله بإجلال و احترام: «فَوَثَبَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ بِلَا حِذَاءٍ وَ لَا رِدَاءٍ فَقَبَّلَ يَدَهُ وَعَظَّمَهُ»، و عندما قال له المحيطون به: أنت عمّ أبيه، فلماذا تفعل ذلك معه؟ كان يقول: «اسْكُتُوا! إِذَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - وَقَبَضَ عَلَى لِحْيَتِهِ - لَمْ يُؤَهِّلْ هَذِهِ الشَّيْبَةَ وَأَهَّلَ هَذَا الْفَتَى وَوَضَعَهُ حَيْثُ وَضَعَهُ أُنْكِرُ فَضْلَهُ؟ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّا تَقُولُونَ بَلْ أَنَا لَهُ عَبْد»[1].

من الواضح أنّ هذا السلوك العمليّ من هذا الرجل العظيم و الّذي يمثّل تجسيدًا للإيمان الصادق، يُغني عن نقل العشرات من الروايات و الأحاديث في الانعكاس و التأثير في عامّة الناس حتّى لو كانوا من غير الشيعة. و جاء في عبارة رجال الكَشّيّ أنّه قال: «فَمَا حِيلَتِي إِنْ كَانَ اللَّهُ رَآهُ أَهْلًا لِهَذَا وَلَمْ يَرَ هَذِهِ الشَّيْبَةَ لِهَذَا أَهْلًا»[2]، يا لها من عبارة دقيقة تكشف عن عمق إيمانه، و يعدّ خلاف ذلك احتيالًا على الله؛ بمعنى أنّه يرى أنّ مقام الإمامة منصبًا إلهيًّا لا يتغيّر تبعًا لرغبات العباد و قراراتهم. و العظيم الآخر من بني هاشم و الّذي كان له سلوك كسلوك عليّ بن جعفر هو السيّد عبد العظيم الحسنيّ رضي الله عنه. فعندما دخل على إمام عصره ـ الّذي هو حجّة الله عليه ـ سأله أن يعرض عليه دينه و معتقده؛ ثمّ ذكر الأئمّة المعصومين عليهم السلام واحدًا تلو آخر بوصفهم من أركان دينه. لقد كان عبد العظيم الحسنيّ أكبر سنًّا من الإمام الهادي عليه السلام، فقد ولد ـ على بعض الأقوال ـ سنة ١٧٣ للهجرة، و عليه يكون عمره في عصر إمامة الإمام الهادي عليه السلام (سنة ٢٢٠هـ.ق) ما يقرب من خمسين سنة، في حين لم يكن الإمام عليه السلام قد تجاوز السابعة. لقد كان السيّد عبد العظيم من نسل الإمام الحسن عليه السلام، و عالمًا كبيرًا، و أكبر سنًّا بكثير من الإمام الهادي عليه السلام، و لكنّه يروي بنفسه و يقول: تشرّفت بلقاء الإمام الهادي عليه السلام، و قلت له: «يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ دِينِي فَإِنْ كَانَ مَرْضِيًّا

(١) الكافي، ج١، ص٣٢٢.

(٢) اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٧٢٨.

أَثْبُتُ عَلَيْهِ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ»[1]. فهل يمكن تقدير هذا السلوك بثمن؟ إنّ هذا السلوك مع ملاحظة الظروف المحيطة و المحفوفة به يكشف عن متانة عقيدة التشيّع و رصانتها و رسوخ محكمات معارف أهل البيت عليهم السلام في قلوب شيعتهم، و من هنا فإنّ الإمام الهادي عليه السلام في هذه الرواية نفسها يقول للسيّد عبد العظيم الحسني: «مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَنْتَ وَلِيُّنَا حَقًّا». طوبى لعليّ بن جعفر و السيّد عبد العظيم اللذين أدركا معنى ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ بكلّ وجودهما، سلام الله عليهم أجمعين. و على هذا النحو، فإنّ الشيعة ـ اقتداءً بكبارهم ـ كانوا يؤمنون بكلّ وجودهم بما وصل إليهم من الأدلّة العقليّة و النقليّة.

بعد أخذ ما تقدّم في الحسبان، يمكن القول بأنّ عبارة الفقيه المقدّس آية الله الشيخ البهجة رحمه الله: «إنّ إمامة طفلٍ في الخامسة من عمره من معجزات الشيعة!»، يمكن أن تشتمل على معنيين:

• المعنى الأول: إنّ إمامة الطفل بعمر خمس سنوات من بين المعجزات الّتي يعتقد بها الشيعة، من قبيل قولنا: إنّ شقّ القمر من معجزات المسلمين؛ بمعنى: المعجزات الّتي يعتقد بها المسلمون.

• و المعنى الآخر الّذي يُفهم من هذه العبارة و يشتمل على إشارات و لطائف أدقّ، هو أنّ هذا الاعتقاد من الشيعة بإمامة الطفل ذي الخمس سنوات و رجوعهم إليه، و توسّلهم به، و حصولهم على الجواب منه، هو نفسه من بين المعاجز الّتي يعرضها الشيعة على سائر الناس في ضمن سياق كاملٍ و تامٍّ و متناسق مع منظومة معارف الدين و آيات القرآن الكريم؛ من قبيل قولنا: إنّ من معجزات المسلمين أنّهم يرجعون إلى «القرآن الكريم» الّذي لا يمكن للجنّ و الإنس أن يأتوا بمثله.

طبعًا من الممكن أن يستغرب البعض عندما يرى أنّنا نعتقد أنّ إمامة مولانا المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بدأت عندما كان في الخامسة من عمره، و أنّها من أشرف معتقداتنا و معجزات مذهبنا، أو قد يتوهّم المُغرض المكابر أنّه قد نال من رقابنا لأنّنا نعتقد بإمامة طفل، لكنّ المنصف عندما يرى أنّ هذا الطفل الصغير الّذي بلغ مقام الإمامة هو فعلًا و واقعًا شخصٌ متميّزٌ حتّى عن الطاعنين في السنّ فضلًا عن أقرانه في العمر، و أنّ له قدرات إلهيّة و خوارق عادات و قد ظهرت منه معجزات و كرامات متواترة لا يمكن لغيره أن

---

(١) كفاية الأثر، ص ٢٨٧.

يأتي بمثلها أبدًا، و أنّه صدرت عنه كلمات بمنتهى الحكمة لا يمكن لأحد أن يتكلّم بمثلها حتّى كبار علماء العالَم المتضلّعين في مختلف العلوم، فبفطرته سوف يشعر بأنّ لهذا الطفل مقامًا إلهيًّا لا يمكن أن يكون قد بلغه من خلال التحصيل العلميّ الاعتياديّ كما لا يمكن لأحدٍ من البشر أن يعطيه هذه القدرات، بل سيكون جليًّا لديه ارتباطه بالغيب و تسديده و تأييده بالمَدد الإلهيّ، و سيتبيّن له بكلّ وضوح أنّه حجّة الله تعالى و وصيّ نبيّه ﷺ. و عندما يعلم أنّ للمذهب الشيعيّ إمامًا قد اصطفاه الله تعالى و أيّده، فإنّه سوف يشعر بحقّانية هذا المذهب. و هذا يعدّ من معجزات الشيعة الّتي تكون حصرًا لهم لا لغيرهم، و لا يتجرّأ أحد أن يدّعي مثل هذا الأمر. كما كان في زمن النبيّ عيسى عليه السلام عندما رأى الناس كرامة واضحة جدًّا بأن تكلّم الصبيّ في المهد لم يكن أمام المنصفين إلّا الإيمان بنبوّته. فهذا وجه كلام سماحة الشيخ رحمه الله بأنّ الإمامة في سنّ الخامسة تكون من معجزات الشيعة، و هو من أبين الأدلّة و أسطعها و أدمغها على إثبات حقّانيّتهم فلا يكون مستنكرًا أبدًا بل هو عقيدة الفحول و الأجلّة و غاية مرام العقول و الأدلّة و ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد. و لذا قلنا في مطلع البحث إنّ هذا السؤال أو الإشكال يحظى بامتياز خاصّ؛ إذ عندما يطّلع الشخص على جوابه يعلم حقّانيّة الشيعة و يُدرك أنّ هذا الاعتقاد يمثّل في حدّ ذاته إعجازًا للتشيّع.

و عليه، بالالتفات إلى ما تقدّم يتّضح أنّه لا يوجد مانع عقلًا و نقلًا يحول دون إمامة الطفل، بل إنّ ذلك في حالة التحقّق ينطوي على آيات إلهيّة تبيّن إمامته بنحوٍ أوضح، و من هنا فقد تمّت الإجابة في هذا البحث عن الإشكال المذكور بوضوح. و لكن لا يخفى أنّه إذا صرّح الإمام أو الأئمّة السابقون ـ الثابتة عصمتهم و إمامتهم ـ بإمامة الإمام الّذي يأتي بعدهم، فلا يبقى لدى من يؤمن بإمامتهم أدنى شكّ في الإمام اللاحق، سواء أطفلًا صغيرًا كان أم شيخًا كبيرًا. و أمّا الّذي ينكر إمامة الأئمّة السابقين عليهم السلام، فإنّه لن يؤمن بالإمام اللاحق أيضًا حتّى إذا بلغ من العمر عتيًّا!

السؤال الخامس:

من الأسئلة الّتي تُطرح كشُبهةٍ في المباحث المرتبطة بالقضيّة المهدويّة هي مسألة طول العمر، و أنّه كيف يمكن أن يُعمَّر شخصٌ في الحياة الدنيويّة مع البدن المادّيّ مئات السنين،

إذ إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد وُلد سنة ٢٥٥ للهجرة، فتجاوز عمره الشريف الألف سنة. فهل يُمكن أن يطول عمر إنسانٍ إلى هذا الحدّ؟ و لعلّه يتجاوزه إذ إنّنا لا ندري كم يزيد في عمره بعد ذلك.

إنّ السؤال عن طول العمر و بقاء البدن الدنيويّ مئات السنين، و إن كان مشهورًا و يُتداول بين الباحثين، لكنّه ليس بالدقّة ممّا ينبغي أن نسمّيه شبهة في العقيدة المهدويّة، لأنّ الناس فيها ثلاثة:

- من يعتقد بوجود شخصٍ معيّنٍ هو حجّة الله.
- من يعتقد بعدمه و ينكره بتاتًا.
- من هو متحرٍّ باحثٌ فاحصٌ عن حقيقة الأمر.

أمّا بالنسبة إلى مُنكر وجود الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فإنّ مسألة طول العمر ليست إلّا وسيلةً للإنكار و التشكيك، و هو يعلم أنّ إنكاره ليس من جهة عدم إمكان العمر الطويل لمَن فرضنا أنّه من نوادر الدّهور.

و أمّا المتحرّي الباحث فتبعثه فطرته أوّلًا إلى أن يعلم هل هذا الشخص الإلهيّ موجود أم لا؟ و لا يخفى على كلّ صغيرٍ و كبيرٍ من البشر أنّ طول العمر ليس مُمتنعًا لا يجوّزه العقل، بل غاية الأمر أنّه أمرٌ مستبعد، يعدّه غالب الناس أمرًا بعيدًا، لكنّ الناس أنفسهم إذا التفتوا إلى الأمر الأوحد في خلقة الدنيا من أوّلها إلى آخرها و لاحظوا عظمة أمر البشارة الإلهيّة في ظهور الموعود الّذي وعد به الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام و الأديان و الملل الإلهيّة، لا يلحقونه بالأمور العاديّة، و لا يعدّون خرق العادة في مثل هذا الأمر مانعًا عن الاعتقاد به بعد أن كان عليه دليلٌ مُقنع.

و أمّا المعتقِد بحضور الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف اليوم مع البدن الدنيويّ في هذه النشأة، فلا يمكن أن تكون مسألة طول العمر لديه شبهةً يُعتنى بها، فإنّه يعلم أنّ وجوده المبارك عجّل الله تعالى فرجه الشريف محفوفٌ بالغرائب و الخوارق و المعجزات، قبل ميلاده و بعده، إلى منتهى الأمد. و كيف يكون العمر الطويل مستبعدًا عند المعتقِد بحضور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و هو يعلم أنّ أمره عجّل الله تعالى فرجه الشريف أمرٌ خاصٌّ إلهيٌّ جعله الله سبحانه و تعالى تحت عنايته الخاصّة؟ فهل يستبعد قدرة الله على أن يهب لعبده الأخصّ من بين الخواصّ العمر الطويل؟ كلّا! إنّه قد سمع قول الله تعالى

في قصّة يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾[1]، يخبر الله سبحانه ـ في أمرٍ لا يُقاس بظهور الإسلام على الدين كلّه ـ بأنّ يونس عليه السلام لو لم يكن من المسبّحين لطَوّل الله عمره في بطن الحوت إلى يوم القيامة، فكيف بأمرٍ هو من أعظم الوعود الإلهيّة و أشرف الغايات الدينيّة.

و كذا يُخبر الله سبحانه عن مدّةٍ من عمر نوحٍ عليه السلام قبل الطوفان فيقول: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[2]، و في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ نوحًا عليه السلام عاش ألفَي سنة و خمسمائة سنة، و تفصيل عمره عليه السلام مذكورٌ في هذه الرواية[3]. و أخبر سبحانه و تعالى عن أصحاب الكهف أحياءً نائمين بقوله: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾[4].

و من طريف ما يُستشهد به من القرآن الكريم لطول العمر، ما يُقال في ملاحظة نسبة عُمر الطعام إلى عُمر الإنسان في قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾، ثمّ قال: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾[5]، فإذا فَرضنا أنّ العمر الطبيعيّ للطعام و الشراب ثلاثة أيّامٍ مثلًا، فخلال مئة عامٍ قد ضاعف الله تعالى عمر هذا الطعام و الشراب بأكثر من عشرة آلاف ضعفٍ، فإذا أجرى الله ذلك على الإنسان بالنسبة إلى عمره الطبيعيّ، سيُبقيه حيًّا إلى مليون سنة، و ما ذلك على الله بعزيز.

و العجب من أهل السُّنّة كيف يستشكلون على طول عمر الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و قد مُلئت كتبهم ـ باختلاف علمائهم ـ أنّ الخضر عليه السلام حيٌّ حتّى الآن؟ فقد قال النوويّ ـ و هو من أعاظم العلماء المقبولين عند جميع أهل السُّنّة ـ في شرحه على صحيح مسلم:

---

(١) سورة الصافات، الآيتان ١٤٣و١٤٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ١٤.

(٣) عن هِشام بن سالم عن الصّادقِ جعفرِ بن محمّد عليهما السلام قال: «عَاشَ نُوحٌ أَلْفَيْ سَنَةٍ وَخَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا ثَمانُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ، وَأَلْفُ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عامًا وَهُوَ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ، وَمِائَتَا سَنَةٍ فِي عَمَلِ السَّفِينَةِ، وَخَمْسُمِائَةِ عامٍ بَعْدَمَا نَزَلَ مِنَ السَّفِينَةِ وَنَضَبَ الْمَاءُ فَمَصَّرَ الْأَمْصارَ وَأَسْكَنَ وُلْدَهُ الْبُلْدَانَ، ثمّ إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ جاءَهُ وَهُوَ فِي الشَّمْسِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ نُوحٌ وَقَالَ لَهُ: مَا جاءَ بِكَ يا مَلَكَ الْمَوْتِ، فَقَالَ: جِئْتُ لِأَقْبِضَ رُوحَكَ، فَقَالَ لَهُ: تَدَعُنِي أَدْخُلُ مِنَ الشَّمْسِ إِلَى الظِّلِّ، فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ، فَتَحَوَّلَ نُوحٌ ثمّ قَالَ: يا مَلَكَ الْمَوْتِ! فَكَأَنَّ مَا مَرَّ بِي فِي الدُّنْيَا مِثْلُ تَحَوُّلِي مِنَ الشَّمْسِ إِلَى الظِّلِّ، فَامْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ، قَالَ: فَقَبَضَ رُوحَهُ»؛ الأمالي (للصدوق)، ص٦١٢.

(٤) سورة الكهف، الآية ٢٥.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

«[اجتمع] جمهور العلماء على أنّه [أي الخضرعليه السلام] حيٌّ موجودٌ بين أظهرنا»[1].

و كذا عندما قال أبو إسحاق بن سفيان: يقال هذا الرجل هو الخضرعليه السلام، قال النوويّ:

«و كذا قال معمر (المتوفّى سنة ١٥٣هـ.ق) في جامعه، و هذا تصريح منه بحياة الخضرعليه السلام و هو الصحيح».

و كذا قال ابن الصلاح، صاحب المقدّمة ـ و هو من العلماء المعروفين ـ في فتاواه:

«و أمّا الخضرعليه السلام فهو من الأحياء عند جماهير الخاصّة من العلماء و الصالحين، و العامّة معهم في ذلك، و إنّما شذّ بإنكار ذلك بعض أهل الحديث»[2].

فانظر إلى نقل هذين العلَمَين عن جمهور علماء أهل السُنّة أنّ الخضرعليه السلام حيٌّ الآن و موجود بين أظهرنا. و أشار ابن الصلاح إلى إنكار بعض المحدِّثين، لكنّ إنكارهم ليس لطول العمر بل لحديث مئة سنة، و توهّموا المنافاة بينهما، و قد أجاب القرطبيّ في تفسيره عن إشكالاتهم، إلى أن قال:

«قلت: قد ذكرنا هذا الحديث و الكلام عليه و بيّنّا حياة الخضر إلى الآن و الله أعلم»[3].

و ممّا يلفت النظر أنّ ابن الحجر في كتابه المشهور «الإصابة في تمييز الصحابة» فصّل الكلام في شرح حال الخضرعليه السلام و الّذي يثير العجب أنّه ذكره تحت عنوان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

«فهو داخلٌ في تعريف الصحابيّ على أحد الأقوال، و لم أرَ مَن ذكره فيهم من القدماء مع ذهاب الأكثر إلى الأخذ بما ورد من أخباره في تعميره و بقائه»[4]، ثمّ أفرد ما فصّله في الإصابة في كتابٍ سمّاه «الزهر النضر في حال الخضرعليه السلام».

و نرى في الدرّ المنثور، التفسير الروائيّ المعروف للسيوطيّ قوله:

«و أخرج ابن شاهين عن خصيف قال: أربعة من الأنبياء أحياء: اثنان في السماء

---

(١) شرح النوويّ، ج١٦، ص١٣٦.

(٢) فتاوى ابن الصلاح، ج١، ص١٨٦.

(٣) تفسير القرطبيّ، ج١١، ص٦٤.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٢٤٦.

عيسى و إدريس، و اثنان في الأرض الخضر و إلياس، فأمّا الخضر فإنّه في البحر و أمّا صاحبه فإنّه في البرّ»[1].

و نقل هذا الحديث أيضًا ابن الحجر في فتح الباري[2] عن مكحول عن كعب الأحبار، و في هذين الكتابين ـ أي فتح الباري و الدرّ المنثور ـ أنّ الخضر و إلياس عليهما السلام يلتقيان كلّ عام بالموسم [أي بالحجّ]، و في لقائهما كلّ عام فيه روايات متعدّدة في كتب الشيعة و السُّنّة.

و بالجملة، فالمقصود أنّ مسألة طول العمر لا تكون شبهة علميّة في معتقد الإماميّة، بل ظهر من خلال ما بيّناه أنّها لا تكون مُستبعدة أيضًا، و قد صُنّفت في الآونة الأخيرة كتبٌ و مقالاتٌ في هذه المسألة مبتنية على الأبحاث الجديدة في العلوم التجريبيّة و علم الأحياء و البيولوجيا، و صرّحت أنّ طول العمر سنين مديدة ممكنٌ، بل واقعٌ، لنظام حيويّ عند الإنسان و الحيوان، لكنّ الأمر بحمد الله تعالى أوضح و أبين من أن يُحتاج إليها، فإنّ الفكرة المهدويّة تدور على الإيمان بالغَيب و بخرق العادات و المألوفات و بما وعده الله تعالى عباده وعدًا حسنًا و هو لا يخلف الميعاد. و من الجدير أن نتبرّك بكلام جميل و مثال لطيف للسيّد الجليل عليّ بن طاوس رحمه الله، نختم الجواب به ليكون ختامه مسكًا، إذ قال في كتابه كشف المحجّة:

«و لقد جمعني و بعض أهل الخلاف مجلس منفرد فقلت لهم: ما الّذي تأخذون على الإماميّة؟ عرّفوني به بغير تقيّة لأذكر ما عندي فيه، و غلقنا باب الموضع الّذي كنّا ساكنيه. فقالوا: ... نأخذ عليهم حديث المهديّ و أنّه حيّ مع تطاول زمان غَيبته. فقلت لهم: ... و أمّا ما أخذتم عليهم من طول غَيبة المهديّ عليه السلام، فأنتم تعلمون أنّه لو حضر رجل و قال: أنا أمشي على الماء ببغداد فإنّه يجتمع لمشاهدته لعلّ كلّ من يقدر على ذلك منهم، فإذا مشى على الماء و تعجّب الناس منه، فجاء آخر قبل أن يتفرّقوا و قال أيضًا: أنا أمشي على الماء، فإنّ التعجّب منه يكون أقلّ من ذلك، فإن مشى على الماء، فإنّ بعض الحاضرين ربما يتفرّقون و يقلّ تعجّبهم. فإذا جاء ثالث و قال: أنا أيضًا أمشي على الماء فربما لا يقف للنظر إليه إلّا قليل، فإذا مشى على الماء سقط التعجّب من ذلك. فإن جاء رابع و ذكر أنّه يمشي أيضًا على الماء فربما لا يبقى أحد ينظر إليه و لا يتعجّب منه. و هذه حالة المهديّ صلوات الله

(١) الدرّ المنثور، ج٦، ص٤٣٢.

(٢) فتح الباري، ج٤، ص٤٣٤.

عليه؛ لأنّكم رويتم أنّ إدريس عليه السلام حيٌّ موجودٌ في السماء منذ زمانه إلى الآن، و رويتم أنّ الخضر عليه السلام حيٌّ موجودٌ مذ زمان موسى عليه السلام أو قبله إلى الآن، و رويتم أنَّ عيسى عليه السلام حيٌّ موجودٌ في السّماءِ و أنّه يرجع إلى الأرض مع المهديّ عليه السلام. فهذه ثلاثة نفر من البشر قد طالت أعمارهم و سقط التعجّب بهم من طول أعمارهم. فهلّا كان لمحمّد بن عبد الله صلوات الله و سلامه عليه و آله أسوة بواحد منهم، أن يكون من عترته آية لله جلّ جلاله في أمّته بطول عمر واحد من ذريّته، فقد ذكرتم و رُوّيتُم في صِفَتِهِ أنّه يَملأُ الأرضَ قسطًا و عدلًا بَعْدَ مَا مُلِئَتْ جَورًا و ظلمًا. و لو فكّرتم لعرفتم أنّ تصديقكم و شهادتكم أنّه يملأ الأرض بالعدل شرقًا و غربًا و بعدًا و قربًا، أعجب من طول بقائه، و أقرب إلى أن يكون ملحوظًا بكرامات الله جلّ جلاله لأوليائه. و قد شهدتم أيضًا له أنّ عيسى ابن مريم النبيّ المعظّم عليهما السلام يصلّي خلفه مقتديًا به في صلواته و تبعًا له، و منصورًا به في حروبه و غزواته. و هذا أيضًا أعظم مقامًا ممّا استبعدتموه من طول حياته. فوافَقوا على ذلك»[1].

السؤال السادس:

ما هي فائدة الإمام الغائب الّذي لا يراه الناس؟ إذا كان الهدف من وجود الإمام عليه السلام هو إمامته للأُمّة و ائتمام الناس به، فهل يتحقّق هذا الهدف بوجود إمامٍ غائبٍ عن الأبصار؟ و على العموم ما هي فوائد وجوده و فوائد غَيبته عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟ و ما وجه الحاجة إلى وجوده مع كونه غائبًا مستورًا لا يتعامل مع الناس بالمخالطة و المعاينة و المراجعة؟ و بعبارةٍ أخرى ما هي فلسفة غَيبته؟

إنّ هذا السؤال ربما يطرحه مَن يريد زيادة معرفته و علمه بإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و الجواب عنه موجود عقلًا و نقلًا، لكن ربما هناك من يطرح هذا السؤال إلقاءً للشبهة و إنكارًا للحقّ، و الإجابة عن هذا الأخير لا تخلو من ابتسامٍ! إذ مَن الّذي يسأل عن فوائد وجود الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟ إن كان الشخص الّذي يطرح هذا السؤال يُنكر وجوده، أو يُنكر ولادته و كونه حيًّا في العصر الحاضر، فكيف يُريد أن يسأل عن فوائد أو عن آثار شخصٍ لا يراه موجودًا بل يعدّه معدومًا؟ و إن كان قد خلقه الله تعالى و وُلِدَ من والدَيه عليهما السلام فكيف يسأل عن فوائده؟ هل كان أمر ولادته عجّل الله تعالى فرجه الشريف بيَده أم بيَد الله سبحانه؟ هل العاقل يسأل عن كلّ شخصٍ خلقه الله و وُلِدَ من والديه، لماذا خلقك الله؟ و ما هي فوائد وجودك؟! و إذا أطال الله في عمره، هل

[1] كشف المحجّة لثمرة المهجة، ص١٠٥ ـ ١٠٧.

يسأله الناس لماذا لا تموت؟ ما الفائدة في بقائك حيًّا؟ إذًا، فأمر حياة العبد و وفاته بيد الخالق، إذا وُلِدَ لا بدّ له أن يستمرّ في حياته، و حرّم الله عليه قتل نفسه إلى أن يقدّر الله له الممات. و إن كان السائل في شكٍّ من وجوده و ولادته، فعليه أوّلًا أن يتحقّق من وجوده عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و يطمئنّ من شواهد عديدةٍ لأمر ولادته و حياته في هذه الدنيا، ثمّ يفحص عمّا يترتّب على وجوده من الفوائد و الحِكم. فعلى هذا لا يكون السؤال عن فوائد وجود الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و حِكَم بقائه و غَيبته إلّا لأحد الغرضين، إمّا دفع شُبَه المعاندين و إمّا ازدياد المعرفة به عجّل الله تعالى فرجه الشريف و التعرّف إلى حقّه الجسيم، إذ في ذِكر فوائد وجوده الشريف و تصنيف آثار بقائه الكريم تنبيهٌ للقلوب الغافلة و تسديدٌ للأفئدة المؤمنة و ضياءٌ للأبصار النافذة. و مع ذلك نقول: هيهات، أنّى لنا بمعرفة سرّ الغَيبة، و أين الثرى من الثريّا، إذ إنّ مسألة الغَيبة من أكبر الأسرار الإلهيّة، و ليس من الضروريّ كشف حقيقة الأسرار الإلهيّة و حكمتها للعباد، و عليه نحن لا نستطيع أن نكتشف جميع أبعاد هذه المسألة. فأين نحن من العلم بأسرار الغَيبة؟! و كيف لأهل الأرض أن يعلموا بأسرار السماء؟ و من هنا عندما سأل عبد الله بن فضل الهاشميّ الإمام الصادق عليه السلام عن سرّ الغَيبة، قال له: «لَمْ يُؤْذَنْ لَنَا فِي كَشْفِهِ لَكُم»[1]. سبحان الله! ما هذا الأمر العظيم الّذي لم يأذن الله سبحانه و تعالى لأوليائه المكرّمين في كشفه لنا؟ و الأعجب أنّه عليه السلام وَعَدنا بانكشافه لنا، لكنّه قال: «لَا يَنْكَشِفُ إِلَّا بَعْدَ ظُهُورِه»، فكأنّه لا يُمكن بيانه قبل ظهوره لعدم الطاقة على تحمّله، و قد مرّ في حديث مخاطبة الإمام الرضا عليه السلام لدعبل: «أَنَّ النبيّ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى يَخْرُجُ الْقَائِمُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ؟ قَالَ: مَثَلُهُ مَثَلُ السَّاعَةِ ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾»[2]، فهو نظير أمور الآخرة الّتي قال فيها أمير المؤمنين عليه السلام: «كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِه»[3]، فكيف لنا بمعرفة سرّ الغَيبة و حقيقة فلسفتها؟ و أضاف الإمام عليه السلام في آخر كلامه في جواب عبد الله بن الفضل الهاشميّ ما يُنبئ عن أمرٍ عظيم، و إليك تمام هذه الرواية الشريفة: «عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيّ قَالَ: سَمِعْتُ الصَّادِقَ جَعْفَرَ بْنَ محمّد يَقُولُ: إِنَّ لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ غَيْبَةً لَا بُدَّ مِنْهَا، يَرْتَابُ فِيهَا كُلُّ مُبْطِلٍ فَقُلْتُ: وَلِمَ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قَالَ: لِأَمْرٍ لَمْ يُؤْذَنْ لَنَا فِي كَشْفِهِ لَكُمْ. قُلْتُ: فَمَا وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي غَيْبَتِهِ؟ قَالَ: وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي غَيْبَتِهِ وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي غَيْبَاتِ مَنْ تَقَدَّمَهُ

---

(١) كمال الدين، ج٢، ص٤٨٢.

(٢) كمال الدين، ج٢، ص٣٧٣.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١١٤.

مِنْ حُجَجِ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ، إِنَّ وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ لَا يَنْكَشِفُ إِلَّا بَعْدَ ظُهُورِهِ كَمَا لَمْ يَنْكَشِفْ وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِيمَا أَتَاهُ الْخَضِرُ مِنْ خَرْقِ السَّفِينَةِ وَقَتْلِ الْغُلَامِ وَإِقَامَةِ الْجِدَارِ لِمُوسَى إِلَى وَقْتِ افْتِرَاقِهِمَا، يَا ابْنَ الْفَضْلِ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَسِرٌّ مِنْ سِرِّ اللهِ وَغَيْبٌ مِنْ غَيْبِ اللهِ، وَمَتَى عَلِمْنَا أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ صَدَّقْنَا بِأَنَّ أَفْعَالَهُ كُلَّهَا حِكْمَةٌ وَإِنْ كَانَ وَجْهُهَا غَيْرَ مُنْكَشِفٍ»[1]، فانظر إلى قوله عليه السلام: «سِرٌّ مِنْ سِرِّ اللهِ وَغَيْبٌ مِنْ غَيْبِ اللهِ»، فأنّى لنا الغوص في أعماق هذا البحر الزّخار بل أنّى لنا الاقتراب إليه؟ فعلينا أن ننتظر ما وعد به الله، و لا يُخلف الله الميعاد. لكن يمكننا أن نفهم معارف كلّيّةً و محكماتٍ جليّةً حول هذا الأمر العظيم، و قد ذُكِر في روايات أهل البيت عليهم السلام مثالٌ دقيق للغاية، يحوي الكثير من النقاط الّتي تمثّل المفاتيح لفهم الإجابة عن هذا السؤال، و لعلّ هذا المثال هو أفضل الأمثلة و أكثرها إيضاحًا للجواب. فقد شُبّهت في هذه الرواية مسألة انتفاع الناس بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغَيبة بالانتفاع من الشمس خلف السحاب، إذ عندما سأل جابر بن عبد الله الأنصاريّ رسول الله صلى الله عليه وآله عن أولي الأمر، تعرّض النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله إلى ذكر الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بقوله: «ذَاكَ الّذي يَفْتَحُ اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَلَى يَدَيْهِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، ذَاكَ الّذي يَغِيبُ عَنْ شِيعَتِهِ وَأَوْلِيَائِهِ غَيْبَةً لَا يَثْبُتُ فِيهَا عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ إِلَّا مَنِ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ»، قال جابر: فقلت له: يا رسول الله، فهل يقع لشيعته الانتفاع من غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله: «إِي وَالّذي بَعَثَنِي بِالنُّبُوَّةِ إِنَّهُمْ يَسْتَضِيئُونَ بِنُورِهِ وَيَنْتَفِعُونَ بِوَلَايَتِهِ فِي غَيْبَتِهِ كَانْتِفَاعِ النَّاسِ بِالشَّمْسِ وَإِنْ تَجَلَّلَهَا سَحَابٌ، يَا جَابِرُ هَذَا مِنْ مَكْنُونِ سِرِّ اللهِ وَمَخْزُونِ عِلْمِهِ فَاكْتُمْهُ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ»[2]، و في روايةٍ أخرى: «قَالَ سُلَيْمَانُ: فَقُلْتُ لِلصَّادِقِ عليه السلام: فَكَيْفَ يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِالحجّة الْغَائِبِ الْمَسْتُورِ؟ قَالَ: كَمَا يَنْتَفِعُونَ بِالشَّمْسِ إِذَا سَتَرَهَا السَّحَابُ»[3]. و في هذا المثال جهاتٌ من الحكمة و رموزٌ لا يهتدي إليها الناس إلّا طورًا بعد طورٍ، و أوّل ما تفهم الأذهان من مثال الشمس المستورة بالسحاب، هو بقاء درجةٍ من نورها، فإنّ النهار لا يصير ليلًا و إن سُترت الشمس بالسحاب، و الناس يشعرون بوجود النهار لا اللّيل، ثمّ تنتقل الأذهان إلى انتفاع الناس بحرارتها طول النهار، و هو مُشاهَدٌ للجميع بتفاوت درجة الحرارة بين الليل و النهار، ثمّ تنتقل إلى آثارها الخفيّة كنُموّ النباتات و بقائها و بقاء الحيوانات و ما إلى ذلك، و تنتهي بالنتيجة إلى تماسك الأرض، و أنّ الأرض لا تبقى بدون الشمس طرفة

(١) كمال الدين، ج٢، ص٤٨٢.

(٢) كمال الدين، ج١، ص٢٥٣.

(٣) الأمالي (للصدوق)، ص١٨٦.

عينٍ، فلو فرضنا أنّ سحابًا ركامًا صيّر النهار ليلًا فمع ذلك فإنّ بقاء الكرة الأرضيّة بأكملها هو ببقاء الشمس. فلا عجب أن نفهم من هذا المثال المثير للإعجاب سائر ما ورد في الروايات في شأن الإمام المعصوم حجّة الله في أرضه عليه السلام، ففي رواياتٍ كثيرة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام - لا يُمكن أن نجد شيعيًّا لم يسمع بها - أنّ الحجّة قوام الأرض، و أنّ الأرض لو بقيت بلا إمامٍ لساخت بأهلها. و قد أفرد محدِّثو الشيعة في كتبهم الحديثيّة بابًا خاصًّا بهذه العقيدة الشّيعيّة و المعرفة القويمة، فترى في الكافي و البصائر و الإمامة و الغَيبة و الكمال و العلل و الدلائل و غيرها، «باب أنّ الأرض لا تخلو من حجّةٍ» أو «باب أنّ الأرض لو بقيت بغير إمامٍ لساخت»، و في الرواية المتقدّمة عن سليمان الأعمش و تشبيه الإمام عليه السلام بالشمس[1]، نرى أنّ الإمام الصادق عليه السلام نقل عن أبيه عليه السلام، عن جدّه الإمام زين العابدين عليه السلام، كلماتٍ رفيعةً في هذا المرمى السامي، جاء فيها «لَوْلَا مَا فِي الْأَرْضِ مِنَّا لَسَاخَتْ بِأَهْلِهَا»، و كذا في رواية النعماني: «وَلَوْ خَلَتِ الْأَرْضُ سَاعَةً وَاحِدَةً مِنْ حجّةٍ لِلَّهِ لَسَاخَتْ بِأَهْلِهَا وَلَكِنَّ الحجّة يَعْرِفُ النَّاسَ وَلَا يَعْرِفُونَهُ كَمَا كَانَ يوسُفُ يَعْرِفُ النَّاسَ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُون»[2]، و قد قلنا سابقًا إنّ الشيعة جعلوا القضايا العقائديّة المتناثرة عند المسلمين كلّها في إطارٍ و نظامٍ واحدٍ منتظمٍ يرتبط فيه الكلّ بالكلّ، فالشيعيّ لا يكتفي بالاقتناع بوجود ليلة القدر و تنزّل الملائكة فيها في كلّ سنةٍ، من دون أن يدري على من تنزّل! و حديث الثقلين يجعل ليلة القدر كحلقة وصل بين القرآن الكريم و العترة الطاهرة عليهم السلام، حتّى ورد في الرواية السؤال عن ليلة القدر: كانت، أو تكون في كلّ عامٍ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام «لَوْ رُفِعَتْ لَيلَةُ الْقَدْرِ لَرُفِعَ الْقُرْآن»[3]. فنطمئنّ شيئًا فشيئًا إلى أنّ وجود الإمام عليه السلام لا بدّ منه في نظام الكون بنحوٍ أعلى و أرفع ممّا نتوهّمه في علاقاتٍ ظاهريّةٍ اجتماعيّةٍ مع الناس، فالمكانة التكوينيّة الّتي يتمتّع بها الإمام في عالم الوجود هي أنّ جميع البشر، بل جميع الكائنات، تابعون في وجودهم لوجوده عليه السلام، و ليس هذا الأمر مُناطًا بظهوره أو غَيبته. و عليه فإنّ الّذي يمتلك معرفةً بالإمام، و يعلم أنّه واسطة الفيض الإلهيّ، و أنّه السبب في اتّصال المُلك بالملكوت، لا يخطر هذا السؤال على ذهنه أبدًا، و قد أُشير إلى هذه النقطة في الكثير من الروايات، إذ وُصف فيها بأنّه سبب اتّصال الأرض و عالم المُلك بالسماء و عالم الملكوت: «السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاء».

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الغَيبة (للنعماني)، ص١٤١.

(٣) الكافي، ج٤، ص١٥٨.

و بعبارة أخرى: إنّ فلسفة وجود الإمام عليه السلام تشتمل على قدَر متيقّن لاتزيله غَيبة و لا يعزّزه ظهور، و هو أنّ الوجود المبارك للإمام عليه السلام سبب في حفظ نظام الوجود. و من بين الفوائد الأخرى الّتي تُذكر للوجود المقدّس للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أمور تستوجب اكتمال استفادة البشر منه عليه السلام، لا أنّ الحكمة من وجوده عليه السلام و فوائد الإمامة منحصرة فيها. لكنّنا نكتفي بمواجهةٍ إجماليّةٍ لهذا المجال الواسع، و نرحل إلى فائدةٍ أو فوائدَ ملموسةٍ، يمكن لكلّ أحدٍ أن يجدها في نفسه و يشعر بها عن قرب، لنرى براعة المثال الّذي مثّل به المعصوم عليه السلام، إذ شبّه الإمام الغائب عن الأبصار بالشمس الغائبة عن الأعيُن عند تجلّلها بالسحاب، و أوضح ما يجده كلّ أحدٍ من هذا المثال، اختلاف حال شخصَين، أحدهما لقيط لا يعرف لنفسه أبًا أو يتيمٍ يعلم أنّ أباه قد مات، و الثاني شخص يعلم أنّ أباه حيٌّ موجودٌ و يعرفه بلا إبهامٍ، و أنّه غير مهملٍ لمراعاته و مطّلع على أحواله، لكنّه لا يمكنه التواصل المرئيّ معه، فهل هذان الشخصان سيّان في سلوكهما و أحوالهما؟ و قِسْ ذلك على سُنّيّ يعتقد بأنّ مهديّ هذه الأمّة سيظهر قطعًا لكنّه الآن ليس حيًّا موجودًا، فما حاله و علاقته الروحيّة مع المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟ لكنّ الشيعيّ يدعو له كلّ صباحٍ و مساءٍ، و يناجيه في كلّ حالٍ، و ينتظر قيامه بأدنى مناسبةٍ و علامةٍ مترقّبةٍ، و يتوسّل به إلى الله سبحانه في السرّاء و الضرّاء و عند كلّ هدايةٍ و غوايةٍ، و سعادةٍ و شقاوةٍ، و سلامةٍ و مرضٍ، و عافيةٍ و بلاءٍ، فإذا سمع أنّ إمامه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يقول: «لا ننسى ذكركم»، فكيف ينسى ذكر إمامه عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟ أم كيف يوصَف حاله إذا تذكّر التوقيع الشريف: «إِنَّا غَيْرُ مُهْمِلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ وَ لَا نَاسِينَ لِذِكْرِكُمْ»[1]، و كذا قوله عجّل الله تعالى فرجه الشريف في توقيع آخر: «وَلَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا ـ وَفَّقَهُمُ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ ـ عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ الْقُلُوبِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ، لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا وَلَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا، عَلَى حَقِّ الْمَعْرِفَةِ وَصِدْقِهَا مِنْهُمْ بِنَا، فَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكْرَهُهُ وَلَا نُؤْثِرُهُ مِنْهُمْ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ»[2]، فهذا حال الشيعيّ لا يرى نفسه ضالّةً بلا راعٍ، بل لا يواجه أمرًا في الإسلام إلّا يرى ارتباطه بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ إذ ما هي الحالة الروحيّة و النفسيّة الّتي تعتري الشخص الشيعيّ عندما يذهب إلى حجّ بيت الله الحرام، و يقف في مواقف الحجّ، و يدعو في عَرفات، و يتوجّه إلى المشاهد المشرّفة، و يُحيي ليلة القدر، و يقرأ القرآن، و يجهد في فهم معانيه و تفاسيره، و يقوم بعشرات الأعمال الدينيّة الأخرى، و يعلم في الوقت نفسه أنّ الإمام لا يقف على جميع أعماله فحسب، بل هو حاضر

(١) الاحتجاج، ج٢، ص٤٩٧.

(٢) الاحتجاج، ج٢، ص٤٩٩.

في الكثير من هذه المواقف أيضًا؟ و إذا قال شخص للشيعة: لماذا لا يظهر إمامكم و يجيب عن أسئلة الناس و يعمل على هدايتهم، مع أنّ الله قد رصده لهذه المهمّة؟ سيكون جوابهم: أفلا فرقٌ بين الظالم و المظلوم؟ إنّه مظلومٌ في نفس هذا الاختفاء، و قد أتمّ الله الحجّة على الناس بآبائه المعصومين عليهم السلام، و قد كانوا بين الناس، فما زالوا مطرودين، و مظلومين، و مقتولين أو مسمومين، فإن ظهر فلا يختلف حاله عن حال آبائه عليهم السلام ما دام الناس لم تتغيّر أحوالهم، و قد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[1]، و قد أوجز الكلام، العلَم الحبر الكبير نصير الدين الطوسيّ رحمه الله:

«وجوده لطفٌ، و تصرّفه [لطفٌ] آخرُ، و عدمه منّا».

و قال العلّامة الحلّيّ رحمه الله في شرحه:

«و التحقيق أن نقول لطف الإمامة يتمّ بأمورٍ، منها ما يجب على الله تعالى و هو خلق الإمام و تمكينه بالقدرة و العلم و النصّ عليه باسمه و نسبه، و هذا قد فعله الله تعالى، و منها ما يجب على الإمام و هو تحمّله للإمامة و قبوله لها، و هذا قد فعله الإمام، و منها ما يجب على الرعيّة، و هو مساعدته و النصرة له و قبول أوامره و امتثال قوله، و هذا لم تفعله الرعيّة، فكان منع اللّطف الكامل منهم لا من الله تعالى و لا من الإمام عليه السلام»[2].

فما بال الناس يعاتبونه لِمَ لا يظهر! فإذا ظهر قالوا: نحن أحقّ بالملك منك! لماذا يحصل هذا الأمر؟ لأنّ الناس لم يرجعوا عن ظلمهم إيّاه و ظلمهم آبائه خاسئين نادمين معترفين بأنّه لا بدّ لهم من إمامٍ معصومٍ نصّبه الله لهم و ضَمِن عصمته و هدايته، بل يرون لأنفسهم قوّةً على إقامة العدل و قدرةً على بسط القسط، فكيف يطاوعون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في أمره من صميم وجودهم؟[3]

---

(١) سورة الرعد، الآية ١١.

(٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص٣٦٣.

(٣) و هناك أمرٌ آخر يجب الالتفات إليه، إذ ليس هناك أيّ دليل على أنّ إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغَيبة لا يقوم بشؤون الإمامة، بل إنّ الأدلّة العقليّة و النقليّة الكثيرة، و الأحداث الّتي وقعت على طول القرون المتمادية، تُثبت بوضوح أنّ أدوار الإمامة ذاتها الّتي يقوم بها الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في حالة الحضور، يقوم بها في عصر الغَيبة أيضًا، مع فارق أنّ تلكما الهِداية و العناية الخاصّتين للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إنّما يختصّ بهما أولئك الّذين يتوسّلون إليه بإيمان و إخلاص. كما أنّ استفادة الناس من وجود الأئمّة السابقين عليهم السلام كانت على أنحاء و أساليب مختلفة و مراتب متفاوتة؛ فكان

و هذا ما أخبر عنه الإمام الصادق عليه السلام : «مَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ حتّى لَا يَبْقَى صِنْفٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَقَدْ وُلُّوا عَلَى النَّاسِ، حتّى لَا يَقُولَ قَائِلٌ إِنَّا لَوْ وُلِّينَا لَعَدَلْنَا، ثمّ يَقُومُ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ وَ الْعَدْلِ».(١)و(٢)

للبعض ـ على سبيل المثال ـ ارتباط و تواصل مباشر مع الإمام، و كان البعض الآخر يتواصل معه عليه السلام من خلال الرسائل أو عبر أشخاص آخرين، و هناك من قعدت به همّته عن الارتباط به عليه السلام و حرم نفسه هذه النعمة الإلهيّة. و هذا الأمر ذاته موجود في المرحلة الراهنة أيضًا، بمعنى أنّ الّذي يُخلص في أعماله و يجعل المِلاك فيها مرضاة صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الأهمّ من ذلك كلّه أن يكون معتقدًا بحضور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إشرافه، و أن يكون منتبهًا لذلك بنحوٍ مستمرّ و متواصل، فإنّه سوف يستفيد عند الصعاب و الملمّات من مَدده، و يحصل على هدايته في أوقات الحَيرة قطعًا.

وكان سماحة آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه قد أكّد هذا المعنى مرارًا، و هو أنّ إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إن كان مُحتجبًا عن الأبصار، لكنّه ليس مغلول اليد، و لم يعتزل عن هداية العباد و الأخذ بأيديهم. و ما أكثر الّذين اهتدوا إلى طريق الحقّ في حياتهم بفضل التوسّل بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أو نالوا بمقدار استحقاقهم و استعدادهم سعادة الفرَج الشخصيّ، و ما أكثر الّذين أغدق الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف نور الحقيقة على أفئدتهم من دون أن يدركوا مصدر هذا النور، كما لم يقدّم المعونة لأولاد يعقوب عليه السلام في مدّة الجفاف و المجاعة سوى النبيّ يوسف عليه السلام، مع أنّهم لم يشعروا بأنّ الّذي قدّم لهم هذا اللطف هو أخوهم يوسف عليه السلام.

(١) الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٢٧٤.

(٢) في الإجابات عن الأسئلة السابقة تبيّن بوضوحٍ أنّه حتّى بالرجوع إلى مصادر العامّة، فإنّ وجود الإمام الحجّة عليه السلام هو أمرٌ مسلّمٌ به. و إضافة إلى جميع المطالب السابقة الّتي ذُكرت، هناك مطلبٌ آخر من الجدير أن نشير إليه، و هو أنّه حتّى بناءً على مصادر العامّة يمكن إثبات أنّ الناس دائمًا بحاجةٍ إلى وجود حجّةٍ لله، و أنّ الأرض لا تخلو أبدًا من وجوده المبارك في أيّ زمانٍ و حتّى لو لحظة واحدة، و هذا بنفسه يدحض فرضيّة كون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لم يولد بعد و أنّه سيولد في المستقبل. و من أطرف ما أودعه أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) عند المسلمين، سنّيّهم و شيعيّهم، في وجه لزوم وجود الإمام عليه السلام في كلّ زمانٍ، قوله المشهور: «لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَبَيِّنَاتُه»، و لعلّ هذا الحديث يجب على كلّ شيعيّ، بل كلّ مسلمٍ، أن يتذكّره كلّ يومٍ، حتّى جماعة السلفيّة المتّبعين لابن تيميّة، فإنّه قد ذكره عند قوله: «بل يبقى في الفترة من الدعاة من تقوم به الحجّة... كما قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في حديث كميل بن زياد: لن تخلو الأرض من قائمٍ لله بحجّة، لئلّا تبطل حجج الله و بيّناته، أولئك الأقلّون عددًا و الأعظمون عند الله قدرًا» (جامع المسائل لابن تيميّة، ج٥، ص٥٣؛ الفتاوى الكبرى، ج٥، ص٥٤)، و أبرز تلامذته ابن القيّم، قد شرح هذا الحديث في كتابه مفتاح دار السعادة شرحًا مبسوطًا في أكثر من ثمانين صفحة، فنوصي كلّ مسلمٍ أن يراجع هذا الحديث الشريف مرارًا، فإنّه لا يوجد في عالم الإسلام ـ باعتراف أعلام علماء أهل السنّة ـ حديثٌ مثله من حيث السند و المعنى، أمّا السند: فيقول ابن كثير في البداية و النهاية: «و قد روى عن كميل بن زياد جماعةٌ كثيرةٌ من التابعين، و له الأثر المشهور، عن عليّ بن أبي طالب، الّذي أوّله: القلوب أوعيةٌ فخيرها أوعاها، و هو طويلٌ قد رواه جماعةٌ من الحفاظ الثقات و فيه مواعظ و كلامٌ حسنٌ، رضي الله عن قائله» (البداية و النهاية، ج٩، ص٥٧)، و قال الشنقيطيّ في تفسيره أضواء البيان: «و قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل بن زياد النخعيّ، و هو حديثٌ مشهورٌ عند أهل العلم يُستغنى عن الإسناد لشهرته عندهم» (أضواء البيان، ج٧،

ص٣١١). و أمّا من حيث المعنى، فيكفينا كلمةٌ قالها الخطيب البغداديّ في شأن هذا الحديث و تلقّاها علماء أهل السنّة بالقبول و كرّروا نقلها في كتبهم، إذ قال في كتابه الفقيه و المتفقّه: «هذا الحديث من أحسن الأحاديث معنىً و أشرفها لفظًا و تقسيم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب الناس في أوّله تقسيمٌ في غاية الصحّة و نهاية السداد» (الفقيه و المتفقّه، ج١، ص١٨٢)، و في هذا الحديث إشارةٌ جليّةٌ بل ذكرٌ صريحٌ للإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في قوله عليه السلام: «اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَ إِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَ بَيِّنَاتُه» (نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧)، و لمّا كان الحديث مشهورًا لم يُمكن حذفه من كتب الأحاديث، و لهذا نرى قريبًا من القرن الخامس أسقطوا من بعض كتب الحديث قوله عليه السلام: «إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَ إِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا» و ذلك في زمان انتشار العقيدة الشيعيّة الاثني عشريّة و سطوة دولة آل بويه، فكلّ من كان يقرأ الحديث ينسبق ذهنه إلى الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أوّل كتابٍ مشهورٍ لا نرى فيه هذه العبارة هو كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهانيّ (ج١، ص٧٩)، المتوفّى سنة ٤٣٠هـ.ق، و كذا لا توجد في فوائد أبي بكر الأبهريّ المتوفّى سنة ٣٧٥هـ.ق (ص٣٢)، و احتمال الإسقاط فيه من بعد المؤلّف قويٌّ، لأنّ من سبقه و معاصريه من المحدّثين أوردوا هذه الجملة في كتبهم، فهذا أبو جعفر الإسكافيّ، المتوفّى سنة ٢٢٠هـ.ق، أي قبل ولادة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بأكثر من ثلاثين سنةً، أورد الحديث في كتابه: المعيار و الموازنة (ص٧٩)، و إبراهيم بن محمّد الثقفيّ، المتوفّى سنة ٢٨٣هـ.ق، قد جاء بالحديث و العبارة في كتابه الغارات (ج١، ص١٤٩)، و اليعقوبيّ، المتوفّى سنة ٢٨٤هـ.ق، ذكره في تأريخه (ج٢، ص٢٠٦)، و ابن عبد ربّه الأندلسيّ، المتوفّى سنة ٣٢٨هـ.ق في كتابه العقد الفريد (ج٢، ص٨٢)، و أبو طالب المكّي المتوفّى سنة ٣٨٦هـ.ق في كتابه قوت القلوب (ج١، ص٢٣٢)، و أبو الفرج النهروانيّ المتوفّى سنة ٣٩٠هـ.ق في كتابه الجليس الصالح (ص٦٩٦)، و أبو هلال العسكريّ المتوفّى سنة ٣٩٥هـ.ق في كتابه ديوان المعاني (ج١، ص١٤٦)، فهؤلاء كلّهم أوردوا الحديث الشريف و فيه مضمون قوله عليه السلام: «إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَ إِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا»، و هم جميعًا كانوا قبل أبي نعيم المتوفّى سنة ٤٣٠هـ.ق، فهل يقبل عاقلٌ منصفٌ أنّ هذه العبارة ممّا زيد في الحديث من جانب الشيعة؟ أضف إلى ذلك أنّ هذه العبارة بقيت في كتب حُذّاق الحديث من أهل السنّة، فتراها في كتاب دستور معالم الحكم للقضاعيّ (ص٨٥) المتوفّى سنة ٤٥٤هـ.ق، و كتاب إحياء العلوم للغزاليّ (ج١، ص٧١) المتوفّى سنة ٥٠٥هـ.ق، و كتاب مجموع اللّفيف لأبي جعفر الأفطسيّ المتوفّى سنة ٥١٥هـ.ق (ص٣٤)، و كتاب التذكرة الحمدونيّة لابن حمدون المتوفّى سنة ٥٢٤هـ.ق (ج١، ص٦٨)، و كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر المتوفّى سنة ٥٧١هـ.ق (ج٥٠، ص٢٥٥)، و كتاب الجوهرة في نسب النبيّ و أصحابه العشرة للتلمسانيّ المتوفّى سنة ٦٤٥هـ.ق (ج٢، ص٢٤٨)، و كتاب كنز العمّال (ج١٠، ص٢٦٢)، و جامع الأحاديث، و أمّا الكتب الحديثيّة للشّيعة الّتي نقلتها فأكثر من أن تُحصى. فكن أيّها القارئ الكريم متنبّهًا خبيرًا فيما نسبه بعض علماء أهل السنّة إلى الشيعة من إضافة هذه الفقرة في الحديث، فقد قال ابن القيّم في مفتاح دار السعادة: «و زاد الكذّابون في حديث عليٍّ "إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَ إِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا" (مفتاح دار السعادة، ج١، ص٤٠٥)، و ظنّوا أنّ ذلك دليلٌ على القول بالمنتظَر». و أنت بحمد الله تعالى قد رأيت مَن الكذّاب، و من كرامة الله على الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف أنّه ـ أي ابن القيّم ـ وقع في حيص بيص و حيرة و ضيق و شدّة و اضطراب في تفسير قوله عليه السلام «أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِه» و نقل إنكار أبي بكر أنّه خليفة الله، فراجع و اعتبر!

السؤال السابع:

هل يمكن عند الشيعة الاثني عشريّة أن يفوز أحد في زمن الغَيبة الكبرى بلقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أن يشرّفه الإمام عليه السلام بملاقاته، سواء عرف ذلك حين الملاقاة أم لم يعرف إلّا فيما بعد؟ و كيف يتناسب ذلك مع التوقيع الأخير المعروف الّذي خرج لعليّ بن محمّد السمريّ رضوان الله عليه؟

في الجواب عن هذا السؤال ينبغي أوّلًا النظر في التوقيع الشريف و ملاحظة نكاته، فقد نقل الشيخ الصدوق رحمه الله [1] عن شيخه أنّه حضر عند عليّ بن محمّد السمريّ النائب الرابع رحمه الله قبل وفاته بأيّام في بغداد، فأخرج السمريّ إلى الناس توقيعًا، و كذا نقل شيخ الطائفة الطوسيّ رحمه الله [2] عن الشيخ الصدوق بقوله: «أخبرنا جماعة عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه...» المُشعِر باشتهاره بين المشايخ و علماء الشيعة، مع تلقّيه بالقبول، نسخته:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، يَا عَلِيَّ بْنَ محمّد السَّمُرِيَّ، أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَ إِخْوَانِكَ فِيكَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ مَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ سِتَّةِ أَيَّامٍ، فَاجْمَعْ أَمْرَكَ وَ لَا تُوصِ إِلَى أَحَدٍ فَيَقُومَ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ التَّامَّةُ، فَلَا ظُهُورَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ عزّ و جلّ، وَ ذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الْأَمَدِ وَ قَسْوَةِ الْقُلُوبِ وَ امْتِلَاءِ الْأَرْضِ جَوْرًا. وَ سَيَأْتِي شِيعَتِي مَنْ يَدَّعِي الْمُشَاهَدَةَ، أَلَا فَمَنِ ادَّعَى الْمُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السفيانيّ وَ الصَّيْحَةِ فَهُوَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ، وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

فليُلاحَظ بدقّة قوله عجّل الله تعالى فرجه الشريف «المشاهدة» مع الألف و اللام بدلًا من أن يقول «مشاهدتي» أو «رؤيتي»، فإنّ الألف و اللام هنا للعهد كما يسمّيه أهل الأدب و اللغة العربيّة، و المراد بالعهد هنا واضح وضوح الشمس بما سبق من قوله عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «وَ لَا تُوصِ إِلَى أَحَدٍ فَيَقُومَ مَقَامَكَ»، يعني أنّ مقامك يقتضي مشاهدتي على نحوٍ يعرفه الشيعة منذ زمن الغَيبة الصغرى، لكنّها قد انقضت و انقضت معها المشاهدة المعهودة للنوّاب الأربعة، فلا توصِ يا عليّ بن محمّد السمريّ إلى أحدٍ يقوم مقامك فتكون له المشاهدة الّتي كانت لك.

و في النُّسخ القديمة للتوقيع الشريف [3]: «وَسَيَأْتِي شِيعَتِي مَنْ يَدَّعِي الْمُشَاهَدَةَ»، فيُحذِّر أن يأتي المدّعي إلى الشيعة فيُضلّهم، يعني المُدّعي الّذي يدّعي مقام السمريّ و المشاهدة الّتي كانت لازمة له، لكنّ هذه العبارة اختلفت في بعض النسخ، فقد جاءت في الاحتجاج للطبرسيّ: «وَسَيَأْتِي إِلَى شِيعَتِي» و جاءت في كشف الغمّة: «وَسَيَأْتِي مِن شِيعَتِي»، و الحال أنّ

(١) كمال الدين، ج٢، ص٥١٦.

(٢) الغَيبة (للطوسيّ)، ص٣٩٥.

(٣) كمال الدين، ج٢، ص٥١٦؛ الغَيبة (للطوسيّ)، ص٣٩٥.

كلمة «إلى» تناسب النسخة الأصليّة من حيث المعنى لكن كلمة «من» قد غيّرت المعنى بنحوٍ خفيّ، و مع الأسف فإنّ العبارة المتضمّنة لكلمة «من» صارت الأشهر في الأزمنة الأخيرة. إذ إنّ العبارة الّتي كانت تنفي ادّعاء النيابة الخاصّة، صارت الآن تنفي ادّعاء المشاهدة، أفلا يكون الفرق بين العبارتين واضحًا عند كلّ صغيرٍ و كبيرٍ، أي بين أن يقال: «سيأتي إلى شيعتي من يدّعي مقام السمريّ و المشاهدة الّتي كانت له» و بين أن يقال: «سيأتي من شيعتي من يدّعي أنّه رآني»؟ أفلا يفرق أن تكون كلمة «شيعتي» بمنزلة المفعول لقوله «سيأتي» أو أن تكون بمنزلة الفاعل له؟ كانت «شيعتي» في التوقيع الشريف مفعولًا لـ «سيأتي» و بإضافة «من» انتقلت إلى مقام الفاعل، و هذا هو الفرق الخفيّ الّذي أشرنا إليه، فتذكّر.

ثمّ نؤكّد الالتفات إلى أمرين كانا معًا معلومَيْن واضحين عند الطائفة الإماميّة الاثني عشريّة، أحدهما هذا التوقيع الشريف و اشتهاره ـ منذ بداءة الغَيبة الكبرى ـ بين الشيعة و علمائهم كما نقلنا عن كتاب الغَيبة لشيخ الطائفة أنّه قال: «أخبرَنا جماعة»، و الآخر هو حصول التشرّف بمحضره الشريف عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تداوله بين الشيعة و اشتهاره و عدم استنكاره من أحد من العلماء و العوامّ في صدر الغَيبة الكبرى.

و إنّ اجتماع هذين الأمرين لدى الشيعة من أقوى الأدلّة على أنّهم لم يفهموا من التوقيع الشريف عدم إمكان رؤيته عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و هما من أهمّ العناصر الثقافيّة للعقيدة الشيعيّة، و لا يخفى أنّ العنصر الثقافيّ عند كلّ طائفة يحتاج إلى توفّر شروط كثيرة، و ليس بِيَد هذا أو ذاك من آحاد الأفراد، فإنْ كانت رؤيته عجّل الله تعالى فرجه الشريف بعد الغَيبة الصغرى عند الشيعة ممنوعة مُمتنعة لاشتهرت بينهم غاية الاشتهار، و لو ادّعى أحد أو أفتى واحد من علماء الشيعة بإمكانه أو وقوعه لردّ سائر العلماء عليه و بيّنوا خطأه، كما وقعت نظائره من سائر المسائل الكلاميّة و الفقهيّة و غيرها، فكانوا يُقدِمون سريعًا على الردّ و لا يذرون المجال مفتوحًا أمام كلّ دعوى، لكنّ الأمرين المذكورين صارا معًا من العناصر الثقافيّة لعقيدة الإماميّة، يعتقدون بعدم إمكان النيابة الخاصّة و يرجون أن يرزقهم الله سبحانه رؤيته عجّل الله تعالى فرجه الشريف طرفة عَيْن.

أفلا يكفي للشيعة تصريح الأئمّة المعصومين عليهم السلام من قَبل بأنّ لصاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف غَيبتَين و أنّه يمكن لخاصّة مواليه رؤيته عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الغَيبة الكبرى[1]؟ فإذا كان خاصّة مواليه يعلمون بمكانه فبالأَوْلى يمكن له عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن يُري نفسه بعض شيعته من دون أن يُعلم مكانه.

---

(١) لقد ورد في روايةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لِلْقَائِمِ غَيْبَتَانِ إِحْدَاهُمَا قَصِيرَةٌ وَ الْأُخْرَى طَوِيلَةٌ، الْغَيْبَةُ الْأُولَى لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِهِ فِيهَا إِلَّا خَاصَّةُ شِيعَتِهِ وَ الْأُخْرَى لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِهِ فِيهَا إِلَّا خَاصَّةُ مَوَالِيهِ»؛ الكافي، ج١، ص٣٤٠؛ الغَيبة (للنعمانيّ)، ص١٧٠.

و ممّا يُبيّن ما قلناه من أنّ الشيعة من ابتداء الغَيبة الكبرى كانوا يعلمون المراد من التوقيع الشريف، و أنّه ليس لنفي إمكان رؤية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بل لنفي النيابة الخاصّة، أنّ الشيخ الصدوق رحمه الله ـ و هو من العلماء المشهورين في صدر الغَيبة الكبرى، و قد أدرك الغَيبة الصغرى أكثر من عشرين سنة، إذ إنّه وُلد سنة ٣٠٦هـ.ق وكانت الغَيبة الصغرى قد انقضت سنة ٣٢٩هـ.ق ـ هو الّذي نقل لنا هذا التوقيع الشريف في كتاب كمال الدين[(١)]، و الحال أنّه هو نفسه قد صرّح في أوائل هذا الكتاب بإمكان سؤال حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إمكان إجابته مَن جاءه مسترشدًا، فقال:

«فأمّا إجابته إيّاكم عن معالم الدين، فإن جئتموه مسترشدين متعلّمين عارفين بموضعه مقرّين بإمامته، عرّفكم و علّمكم، و إن جئتموه أعداءً له...»[(٢)].

فنرى هذا المحدِّث الكبير في أقدم كتابٍ نعرفه بعد وقوع الغَيبة الكبرى، يبيّن لنا الأرضيّة الّتي كانت بين الشيعة القُمّيّين من أنّهم كانوا يجوّزون رؤيته عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لا يرونه منافيًا للتوقيع الشريف. و من المعروف أنّ مُعاصر الصدوق، الحسن بن محمّد القمّيّ رحمه الله في كتاب تأريخ قمّ، نقل عن كتاب الصدوق مؤنس الحزين في معرفة الحقّ اليقين، قضيّة حسن بن مثلة الجمكرانيّ و تشرّفه في سنة ٣٧٣هـ.ق، و لم يُنقل عن أحد من الشيعة المتقدّمين الردّ عليه بأنّ هذا ينافي التوقيع الشريف.

فهذا حال الشيعة القمّيّين، وكذا نرى حال الشيعة البغداديّين و أنّهم لا يرون مانعًا من رؤيته عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الغَيبة الكبرى، و عدم منافاتها للتوقيع الشريف، فهذا السيّد الأجلّ الشريف المرتضى رحمه الله يصرّح بإمكان رؤيته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وكذا تلميذه شيخ الطائفة الطوسيّ رحمه الله. قال السيّد في كتابه تنزيه الأنبياء عليهم السلام:

«إنّا غير قاطعين على أنّ الإمام لا يصل إليه أحد و لا يلقاه بشر...»[(٣)].

و قال أيضًا:

«و قلنا أيضًا إنّه غير ممتنع أن يكون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يظهر لبعض أوليائه ممّن لا يُخشى

---

(١) كمال الدين، ج٢، ص٥١٦.

(٢) كمال الدين، ج١، ص٤٨.

(٣) تنزيه الأنبياء، ص١٨٢.

من جهته... و إنّما يعلم كلّ واحد من شيعته حال نفسه و لا سبيل له إلى العلم بحال غيره»[1].

و قال الشيخ الطوسيّ ﵀ في كتاب الغَيبة:

«إنّا أوّلًا لا نقطع على استتاره عن جميع أوليائه بل يجوز أن يظهر لأكثرهم و لا يعلم كلّ إنسان إلّا حال نفسه، فإن كان ظاهرًا له فعلّته مُزاحة و إن لم يكن ظاهرًا له عَلِمَ أنّه لم يظهر له لأمر يرجع إليه...»[2].

فانظر إلى هؤلاء العلماء من الشيعة القمّيّين و البغداديّين مع اختلافهم في تفسير كثيرٍ من المسائل، كيف لم يختلفوا في أنّ المراد من التوقيع الشريف لم يكن نفي إمكان رؤية الإمام ﷻ في الغَيبة الكبرى، و كان العلماء كذلك بعدهم جيلًا بعد جيل. و التفت أيّها القارئ الكريم إلى قول الشيخ «فعلّته مُزاحة» و تذكّر عبارة التوقيع الشريف للشيخ المفيد، أستاذ الشيخ الطوسيّ، المنقولة في الاحتجاج:

«وَلَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا ـ وَفَّقَهُمُ اللهُ لِطَاعَتِهِ ـ عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ الْقُلُوبِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ، لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا وَلَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا، عَلَى حَقِّ الْمَعْرِفَةِ وَصِدْقِهَا مِنْهُمْ بِنَا، فَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكْرَهُهُ وَلَا نُؤْثِرُهُ مِنْهُمْ»[3].

هذا بالنسبة إلى من يعرف الإمام ﷻ عند تشرّفه، و أمّا من شملته عناية الإمام ﵇ و لم يعرف إلّا بعد التشرّف أو عند انتهائه بلحظة، فهذا من فضل الله يؤتيه من يشاء، كالذي نقله الصدوق ﵀ في كمال الدين عن اللغويّ الشهير ابن فارس صاحب مقاييس اللغة في سبب تشيّع بني راشد من أهل همدان المذكور فيه وصوله ببلد أسد آباد قرب همدان فراجع[4].

و على أيّ حال، فإنّ الناظر المُنصف من المسلم و الكافر إذا عرف ما نقلته الشيعة طيلة القرون من تشرّفاتهم لا يشكّ في حصول التواتر المنطقيّ في هذا الأمر، إذ إنّ امتناع الاتّفاق و التواطؤ على الكذب في أفراد مختلفة غاية الاختلاف في الأمكنة و الأزمنة

(١) تنزيه الأنبياء، ص١٨٤.

(٢) الغَيبة (للطوسيّ)، ص٩٩.

(٣) الاحتجاج، ج٢، ص٤٩٩.

(٤) كمال الدين، ج٢، ص٤٥٣.

و الشرائط المتشتّتة و المتفرّقة، لا يخفى على العاقل اللبيب، و إذا رأى بعض الشيعة يُنكر إمكان الرؤية فيفهم أنّ الّذي أوقعه في هذا الوهم هو سوء الفهم للمراد من التوقيع الشريف الّذي كان بصدد نفي النيابة الخاصّة في الغَيبة الكبرى، و إلّا فهل من السهل أن نرى أعاظم علماء الشيعة يسمّون في كتبهم العلميّة إجماعًا قد يدّعي بعض العلماء بأنّه إجماع تشرُّفيّ[1] له مِلاك حجّيّة الإجماع و هو القطع بقول المعصوم عليه السلام ؟

و أعظم من ذلك مرور الزمن الطويل عليهم جيلًا بعد جيل و قرنًا بعد قرن و هم يعظّمون بعض العلماء بينهم بما يحتملون في حقّه أن يكون فائزًا بلقائه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و متكرّمًا بعنايته الخاصّة، فهل هذا ناشئٌ إلّا عن أمرٍ عريقٍ ثقافيّ عند الشيعة، عوامّهم و خواصّهم؟ أمرٌ نرى جذوره منذ ابتداء الغَيبة الكبرى إلى يومنا هذا، فهذا الشيخ المفيد رحمه الله قد وُلد بعد الغَيبة الصغرى قريبًا من سبع سنين (٣٣٦هـ.ق) و ورد عليه توقيعات بالواسطة، لكن الأهمّ من هذا، أنّ الشيعة كافّة قد تلقّتها بالقبول، فهل نجد تعبيرًا أعظم من «إجماع الشيعة» أو «الشيعة كافّة»؟ قال في المستدرك:

> «قد ذكر المحقّق النقّاد ابن بطريق الحلّيّ المتوفّى سنة ٦٠٠هـ.ق في رسالة نهج العلوم كما في اللؤلؤة و غيرها: ترويه كافّة الشيعة و تتلقّاه بالقبول»[2].

و ابن بطريق الحلّيّ هذا قد عاش في القرن السادس، و توفّي سنة ٦٠٠هـ.ق، و المفيد توفّي في القرن الخامس، سنة ٤١٣هـ.ق، و كانت ولادة ابن بطريق بعد وفاة المفيد قريبًا من مئة و عشر سنين، فقوله: «ترويه كافّة الشيعة و تتلقّاه بالقبول» يحكي لنا حال الشيعة قريبًا من مئة و خمسين سنة بعد وفاة الشيخ المفيد.

فانظر أيّها القارئ الكريم إلى كلام هذا العالِم الخبير المقبول عند جميع الشيعة صاحب كتاب العمدة، و لقد أيّد كلامه بكلام الطبرسيّ صاحب الاحتجاج الّذي نقل التوقيعات المذكورة في أوّل كتابه، قال: «و لا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بإسناده إمّا لوجود الإجماع عليه أو موافقته لما دلّت العقول إليه أو لاشتهاره في السير و الكتب بين المخالف و المؤالف»، فإنّ صاحب الاحتجاج توفّي قبل ابن بطريق باثنتي عشرة

---

(١) الإجماع التشرُّفيّ هو حصول الفقيه على رأي المعصوم عليه السلام في مسألة ما من خلال التشرُّف بمحضر الإمام وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لكن بما أنّه لا يريد أن يصرّح بأنّه فاز بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فيُبيّن ذلك بعنوان «الإجماع».

(٢) خاتمة مستدرك الوسائل، ج٣، ص٢٢٤.

سنة (٥٨٨هـ.ق) فهذان العالِمان يعكسان لنا ذهنيّة الشيعة آنذاك. و هكذا على مرّ الدهور لم يُنقل عن علماء الشيعة الإنكار و الاستنكار إلى زمن السيّد بحر العلوم ﷺ في القرن الثالث عشر، فإنّه زاد في إحكام هذه التوقيعات، من خلال طرح الإشكال و الإجابة عنه بأجوبة شافية[١].

و هكذا تلميذه الشيخ أسد الله التستريّ ﷺ جامِع التتبّع و التحقيق، و صاحب مقابس الأنوار، قد أنهى الأمر إلى منتهاه و عبّر بإجماع الإماميّة فقال:

«و منها المفيد... صاحب التوقيعات المعروفة المهدويّة المنقول عليها إجماع الإماميّة و المخصوص بما فيها من المزايا و الفضائل السَّنيّة»[٢].

و لعلّه استفاد نقل الإجماع من تعبير ابن بطريق «كافّة الشيعة»، وكذلك تابعه في هذا التعبير صاحب المستدرك[٣].

هذا حال المفيد و توقيعاته، و لم ينحصر الأمر فيه بل احتمال تشرّف بعض العلماء بلقائه ﷺ قد استمر في أذهان الشيعة طيلة القرون، و إذا قيل لهم هل يمكن التشرّف؟ يخطر على بالهم سريعًا أسماء علماء عظام أمثال السيّد ابن طاوس و العلّامة الحلّيّ و المقدّس الأردبيليّ و السيّد بحر العلوم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فهل هذا الخطور السريع أمرٌ هيّنٌ حصل من قول هذا و ذاك؟ و الكلام عن أشخاصٍ من أجلّاء علماء الشيعة لا عوامّهم، فهل اشتهار نسبة هذا الأمر العظيم إلى علماء الشيعة بمرأى و مسمعٍ من جميع الشيعة، عوامّهم و خواصّهم، يحصل بالتسامح و التساهل من أعلام علماء الإماميّة و السكوت من حفّاظ الشرع و الإيمان؟

بل ليس السكوت فحسب، إذ يذكرون دائمًا و يكرّرون ما يعتقدون به في أمثال هؤلاء العلماء. و هل من السهل أن نسمع من العلماء الّذين لا يجازفون في القول و نقل الأقوال ـ من أمثال سماحة آية الله الشيخ البهجة ﷺ ـ تكرارهم مرارًا أنّ المستفاد من كلمات السيّد الجليل ابن طاوس ﷺ أنّ باب اللقاء كان مفتوحًا له؟ و هل هذا إلّا تأييد مستمرّ لإمكان حصول هذا الأمر؟ قال الشيخ النوريّ ﷺ في المستدرك:

---

(١) الفوائد الرجاليّة، ج٣، ص٣٢٠.

(٢) مقابس الأنوار، ص٥.

(٣) خاتمة مستدرك الوسائل، ج٣، ص٢٢١.

«و يظهر من مواضع من كتبه و خصوصًا كتاب كشف المحجّة أنّ باب لقائه إيّاه(صلوات الله عليه) كان له مفتوحًا»[1].

و قال في كتابه جنّة المأوى[2] بعد أن نقل في الحكاية الخامسة و الخمسين أنّ السيّد قد سمع سَحَرًا دعاء الإمام عجّل الله فرجه الشريف في السرداب المقدّس: «بل له في كتاب كشف المحجّة كلمات تُنبئ عن أمرٍ عظيمٍ و مقامٍ كريم، منها قوله...»، ثمّ ذكر خمسة موارد من كتابه فقال: «و عليك بالتأمّل في هذه الكلمات الّتي تفتح لك أبوابًا من الخير و السعادات و يظهر منها عدم استبعاد كلّ ما يُنسب إليه من هذا الباب». و كان من جملة ما نقله عن السيّد في كتاب كشف المحجّة قوله:

«فإنّ أباك عرفه أبلغ من معرفة ضياء شمس السماء».

فهذا حال السيّد رحمه الله في القرن السابع المتوفّى سنة ٦٦٤هـ.ق، و بعده العلّامة الحلّيّ رحمه الله في القرن الثامن سنة ٧٢٦هـ.ق، و بعده بقليل ألّف السيّد بهاء الدين النيليّ تلميذ ابن العلّامة الحلّيّ كتابه «السلطان المفرّج عن أهل الإيمان في من رأى صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف» فوقع موقعه بين تلاميذه، فنقل منه الحسن بن سليمان في مختصر البصائر، حتّى اشتهر و صار من مصادر بحار الأنوار، و نقل صاحب الوسائل منه في كتابه إثبات الهداة، و ختم كلامه بعد أن نقل مناماته و ما رآه من المعجزات بقوله:

«و قد أخبرني جماعة من ثقات الأصحاب أنّهم رأوا صاحب الأمر عليه السلام في اليقظة و شاهدوا منه معجزات متعدّدات و أخبرهم بعدّة مغيّبات و دعا لهم بدعواتٍ صارت مستجابات و أنجاهم من أخطار مهلكات تضيق عن تفاصيلها الكلمات، و كلّها من أوضح المعجزات، فليضف ذلك إلى ما تقدّم من الحكايات و الروايات المتواترات، المشتملة على الآيات البيّنات و البراهين الواضحات أنّ في ذلك لآيات، و الله أعلم»[3].

---

(١) خاتمة مستدرك الوسائل، ج٢، ص٤٤١.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٣، ص٣٠٤.

(٣) إثبات الهداة، ج٥، ص٣٤١.

فانظر إلى كلام هذا المحقّق الجليل الشهير محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ ﵀ صاحب الوسائل و لاحظ قوله «المتواترات» و هو يعيش في القرن الحادي عشر و المتوفّى سنة ١١٠٤هـ.ق، فهذا إنّما يعود لِما لديه من وقائع محكيّة متعدّدة و روايات كثيرة نظير ما ذكرناه، عبر القرون المتتالية. فمثلًا نرى في القرن اللاحق لتأليف كتاب السلطان المفرّج يأتي المقدّس الأردبيليّ ﵀ (المتوفّى سنة ٩٩٣هـ.ق) و ينقل ما اشتهر من اللقاءات و التشرّفات بين الشيعة، فلا عَجَب أن يقول صاحب الوسائل «المتواترات» بعد قرنٍ من ذلك، إذ لا يمكن لأحدٍ أن يخدع نفسه و يغمض عينيه عن الحقائق. و كذلك يأتي بعد صاحب الوسائل في القرون اللاحقة إلى يومنا هذا أمثال السيّد مهدي بحر العلوم ﵀ الّذي كلّما ذُكرت قضيّة التشرّفات أُشير إليه أيضًا، فلاحظ الكتب المعاصرة نظير النجم الثاقب و جنّة المأوى و العبقريّ الحسان و ما بعدها أيضًا. فهل يُمكن أن يكون هذا المدّ المستمرّ طيلة القرون ناجمًا إلّا عن أمرٍ حقّ متواترٍ عند الشيعة عوامّهم و خواصّهم؟

«فَانبَجَسَتْ مِنهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيناً»

الْحَدِيقَةُ الرَّابِعَةُ:

بَاقَةُ زُهُورٍ نَرجِسِيَّةٍ

مِن بَيانَاتِ سَمَاحَتِهِ (قُدّس) حَولَ الإمَامِ المَهدِيّ (عج)

وَالمَبَاحِثِ المُتَعَلِّقَةِ بِحَضرَتِهِ

الروضة الأولى:

«الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و براهين موجزة»

من التوحيد إلى التوحيد

في الحقيقة، إنّ عدم الإيمان [بولاية الأئمّة الأطهار عليهم السلام] يرجع أصله إلى الكفر[1]؛ لأنّ مَنْ يعتقد بالله تعالى و بنبوّة خاتم الأنبياء صلّى الله عليه و آله يجب أن يكون مطيعًا لهما. و إن عَلِم حقًّا بأنّ حضرته صلّى الله عليه و آله قد عَيّن وصيًّا و وصيّه عَيّن وصيًّا، و على هذا النحو حتّى آخر الأوصياء، فلكونه مُسلِمًا لا يُمكنه أن يُخالِف.

و لقد قلنا [مرارًا]: إنْ أردنا حقيقة المطلب، فإنّ الشهادة الأُوليّة نفسها [أي شهادة أن لا إله إلّا الله] تكفي للاعتقاد بوصاية خاتم الأوصياء عجّل الله تعالى فرجه الشريف. لماذا؟ لأنّ هذه العقائد سلسلةٌ يترتّب بعضها على بعض. إن اعتقدتم بالله اطمأننتم و تيقّنتم بأنّه أرسل رسولًا و أنّ له أوامر

---

(١) من الجدير بالذكر أنّ العامّة أنفسهم، في القضيّة المهدويّة، صرّحوا بهذه النقطة فقالوا إنّ المنكر للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لخروجه كافرٌ، بسبب مخالفته لروايات كثيرة متواترة. (لمزيد من الاطّلاع، راجع جواب السؤال الأوّل في الحديقة الثالثة في الصفحة ٤٦٢). و من المناسب هنا الالتفات إلى أنّ لكلمة الكفر معنيَين في الاصطلاح عند الشيعة، إذ أحيانًا تُستعمل في مقابل الإسلام، و أحيانًا في مقابل الإيمان. أمّا الكفر الّذي يكون في مقابل الإسلام فهو كفرٌ فقهيّ، بمعنى نفي الآثار و الأحكام الشرعيّة المترتّبة على كون الشخص مسلمًا، مثل جواز النكاح و جواز الدفن في مقابر المسلمين و التوارث. و أمّا الكفر الّذي هو مقابل الإيمان فهو الكفر الكلاميّ، و الكفر بهذا المعنى لا يستلزم رفع الآثار الفقهيّة الّتي ذُكرت، لأنّ الشارع المقدّس و من أجل تيسير أمور المؤمنين و التسهيل عليهم جعل كلّ هذه الآثار للمسلمين كافّة. و من جملة آثار الإيمان و الكفر بالمعنى الأخير هو تعيين السعادة أو الشقاوة الأخرويّة. و مقصود سماحة آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه من العبارة المذكورة، أنّ التشكيك و عدم الإيمان بولاية أيٍّ من أئمّة أهل البيت المعصومين عليهم السلام مَردّهما إلى ضعفٍ في الاعتقاد بالتوحيد أو عدمه، و هو الكفر الكلاميّ.

و نواهي، فلا يمكنكم أن تنكروا نَبِيّه، و إلّا فإنّكم لا تعتقدون بالله، أو تنكرون عِلم الله أو حكمته أو صفة من الصفات المُثبتة له تعالى.

هل نختلف في أنّ رسول الله ﷺ قال: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا»[1]. هذه «لا إله إلّا الله» نفسها تُوَلّد كلّ هذه المعتقدات. إنْ فارقَ شخصٌ الأصنام و الأنداد و حُماتها صدقًا صدقًا، و صار موحِّدًا، فسيصبح مُسلِمًا. و مَنْ أصبح مُسلمًا حقًّا لأنّه كان موحّدًا، فسيصبح مؤمنًا. و إنْ أصبح حقيقةً مؤمنًا و شيعيًّا، و مع الالتفات إلى وجود نصٍّ قطعيٍّ في وصاية الوصيّ و وصيّ الوصيّ إلى الآخِر، فإنّه سيقبل وصاية جميع الأوصياء عليهم السلام. فقهرًا يمكننا القول إنّ التوحيد أساسًا يُولّد كلّ هذه المعتقدات؛ و كلّ هذه المعتقدات تأتي بعد التوحيد. إذًا، إن أردنا الحقيقة فإنّ الشهادة الأوّليّة نفسها تكفي لشهادة بوصاية خاتم الأوصياء [الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الاعتقاد به] و كلّ هذه المعتقدات تأتي بعد التوحيد، لأنّ كلّ هذه المعتقدات سلسلةٌ مترتّبٌ بعضها على بعض. نعم، بعضُ الناس هم أكثر كفرًا مِن بعضهم الآخر. إنْ أراد شخصٌ رَفْض أحد الأوصياء عليهم السلام مع الاعتقاد و اليقين بثبوت وصايته، فهو في الواقع رَفَضَ الوصيّ و ذلك الشخص الّذي عيّن هذا الوصيّ، إلى أن يصل إلى الآخِر [أي إلى نهاية المطاف و هو إنكار التوحيد].

الإيمان هو حقيقة الإسلام

«الإيمان» هو «الإسلام» نفسه، و هما أمرٌ واحدٌ، إنْ لم نقُل إنّ «الإسلام» هو «التوحيد» عينه. لأنّ جميع الأنبياء هم كأنّهم نبيٌّ واحدٌ، و جميع الأوصياء كأنّهم وصيٌّ واحدٌ، و هذا كلّه ناشئٌ عن التوحيد، و لذا فإنّ رسول الله ﷺ في بداءة الدعوة قال: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا» انتهى الأمر، و لم يقل شيئًا آخر. يقينًا لقد قال هذه الكلمة في بداءة الأمر، ثمّ بعد مدّةٍ أعلن أنّ الّذي يُلبّي دعوتي يكون وزيري، فما استجاب له أحد. ثلاث مرّاتٍ كرّر رسول الله ﷺ هذا المطلب، و في كلّ مرّةٍ كان أمير المؤمنين عليه السلام يقف و يقول: أنا ألبّي دعوتك يا رسول الله ﷺ. أمّا عمّه أبو لهبٍ فقال [ما مضمونه]: نعم، إنّ أحدًا مثلك و دعوةً كدعوتك، يقبلها مثل هذا الطفل، هل دعَوْتنا لهذا المطلب؟![2] إلى هذا المدى كان الفرق بين العمّ و ابن

---

(١) بحار الأنوار، ج١٨، ص٢٠٢.

(٢) راجع: الأمالي (للطوسيّ)، ص٥٨٢و٥٨٣؛ مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٢، ص٢٤و٢٥؛ سعد السعود، ص١٠٥و١٠٦؛ تاريخ الطبريّ، ج٢، ص٣١٩ ـ ٣٢١.

الأخ، أحدهما جهنميٌّ مَحْض و الآخر جَنّيٌّ[1] مَحْض!

هذا نفسه أقوى دليلٍ على أنّ كلّ من يقبل رواية الثقلَين يجب أن يقبل أنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف موجودٌ و حيٌّ منذ ذلك الوقت الّذي توفّي فيه والده الإمام العسكريّ عليه السلام[2].

لوازم الاعتقاد بالتوحيد

إنْ تدبّرنا الأمر [علِمْنا أنّه] يجب على كلّ موحِّدٍ أن يعتقد بخاتِميّة الإمام الثاني عشر عليه السلام، و إلّا هذا الإشكال الّذي وقع لديه سوف يترقّى و يترقّى حتّى يستلزم الإشكال على توحيده أيضًا. و لذا في أوّل الأمر كانت دعوة رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى التوحيد نفسه، و من ثمّ رويدًا رويدًا يُعلم أنّ الموحِّد هو الشخص الّذي يقبَل النبوّة و الإمامة؛ أي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أُمِر بتبليغ هذا التوحيد للناس، فإنْ كان صادقًا فهو صادقٌ بأنّه هو الرسول أيضًا، و إن كان كاذبًا فتستشكلون في التوحيد الّذي بلّغه أيضًا، لأنّه هو الّذي جاء بالتوحيد بين الناس.

إنّ الّذي لا يؤمن بأحدٍ من الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، فإنّه في الحقيقة لا يؤمن بالأصل[3].

[قال زيد:] ليس الإمام من جلس في بيته و أرخى ستره[4]. [فنقول في جوابه:] من هم الّذين منعوه؟ هل تريد القول إنّ عليه أنْ يفتح [باب القيام] على الرغم من وجود مانع، حتّى يأتي الأعداء و يقبضوا عليه و يأخذوه؟! هل هذا هو مقصودكم؟!

---

(١) نسبة إلى الجَنّة.

(٢) و ليس أنّه سيولد عليه السلام لاحقًا كما يعتقد بعض العامّة.

(٣) (اختيار معرفة الرجال، ص٢٢٩)؛ إنّ الّذي لا يعتقد بإمامة جميع الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، فهو في الواقع لا يؤمن بإمامة أيّ من الأئمّة عليهم السلام و لا بنبوّة رسول الله صلّى الله عليه وآله، و أنّ لديه خللًا و إشكالًا في أولى المراتب الاعتقاديّة.

(٤) «لَيْسَ الْإِمَامُ مِنَّا مَنْ جَلَسَ فِي بَيْتِهِ وَ أَرْخَى سِتْرَهُ»؛ عندما أظهر زيدٌ عزمه على الخروج ضدّ سلطة زمانه بعد الرسائل و الطلبات الّتي كانت تصله من أهل الكوفة، رفض الإمام الباقر عليه السلام هذا الخروج و حذّره من الاستعجال، فقال زيد تلك العبارة في جواب الإمام عليه السلام. لكنّ الإمام الباقر عليه السلام أجاب زيدًا بنحوٍ مفصّلٍ، و كان من جملة كلامه عليه السلام: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ إِمَامٍ ضَلَّ عَنْ وَقْتِهِ فَكَانَ التَّابِعُ فِيهِ أَعْلَمَ مِنَ الْمَتْبُوعِ!»، كما أنّ الإمام الباقر عليه السلام ذكر له العلامات الحقيقيّة للإمام، و في تتمّة كلامه عليه السلام أطلعه على عاقبة خروجه و حذّره. لمراجعة الجواب التفصيليّ للإمام عليه السلام راجع: الكافي، ج١، ص٣٥٧.

حتّى قال أحدهم شعرًا أيضًا: «كلّ إمامٍ لا يُرى جهرةً، ليس يساوي عندنا خردلة». فرَدّ عليه شخصٌ من [أهل] السُّنّة و قال: كما أنّك أنت على الباطل، أولئك الآخرين [أي الشيعة] أيضًا على الباطل. في نهاية المطاف تكون لازمة هذه المطالب [أي الطعن في المعصومين عليهم السلام] هذا [أي أنّ الشخص السنّيّ يقول إنّ المعتقدين بالإمامة، سواءٌ الإماميّون أم الزيديّون، كلّهم على باطل][1].

المقصود هو أنّنا نعلم أنّ الاعتقاد بالتوحيد يكفي للاعتقاد بوصاية ذلك الشخص عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي هو الآن موجود؛ «**عَيْنُ اللهِ النَّاظِرَةُ وَ أُذُنُهُ الْوَاعِيَةُ**»[2]، فهو عجّل الله تعالى فرجه الشريف يسمع قبلنا هذا الكلام الّذي نتحدّث به معًا.

الشرك الباطني!

إنّ مُخالفي الإمام الحيّ الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف هم باطنًا و حقيقةً مع المشركين على حدٍّ سواء، لأنّهم أمثال رفقاء نصف الطريق. [الإقرار بإمامة الإمام الحيّ الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف يكون على هذا النحو متسلسلًا] جاء من التوحيد. [كلّ واحدةٍ من الفرق قد فارقت أحد الأئمّة عليهم السلام في موضعٍ من الطريق، منهم من آمن بـ] واحد، أو اثنين، أو ثلاثة، أو أربعة؛ الفطحيّة، الإسماعيليّة، الواقفيّة و هكذا إلى الآخر. المخالفون هم الّذين لا يعتقدون بالولاية. في الحقيقة، إنّ المخالفة لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف هي الكفر الباطنيّ. لقد جاء في روايةٍ: «**أُعْطِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَاكَ حَيٌّ مِنَ الزَّكَاةِ شَيْئًا؟ قَالَ [الإمام الرضا عليه السلام] لَا تُعْطِهِمْ فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ مُشْرِكُونَ زَنَادِقَة**»[3].

---

(١) أمست هذه الكلمات مُستمسَكًا لمُخالفي التشيّع، حتّى قالوا ـ استنادًا إلى هذه الخلافات ـ إنّ التشيّع باطلٌ أساسًا. نذكر منهم عبد القاهر البغداديّ الّذي يقول (في كتابه الفَرْقُ بين الفِرَقِ): «و الزيديّة مع الإماميّة تُكفّران الغلاة من الروافض بين الزيديّة و الإماميّة تكفيرًا». و قد نقل أبياتًا من الشعر عن شاعرٍ زيديّ، و كان من جملته هذا البيت من الشعر:

كـلُّ إمــامٍ لا يُــرى جـهـرةً ليس يُساوي عندنا خَردَلة

ثمّ يستغلّ عبد القاهر هذا الاختلاف و يذكر أبياتًا يقول فيها: إنّ كِلا الفريقين على باطل. راجع: الفَرق بين الفِرَق، ص٥٣ ـ ٥٤.

(٢) الأئمّة الأطهار عليهم السلام هم عين الله الناظرة و أذنه الواعية، و الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو صاحب هذا المقام في هذا الزمن، و هذا المعنى ذُكر في رواياتٍ متعدّدةٍ و بتعابير مختلفة، للمثال راجع: الإمامة و التبصرة من الحيرة، ص١٣٢؛ التوحيد (للشيخ الصدوق)، ص١٦٧؛ المزار الكبير، ص٢١٧؛ بصائر الدرجات، ج١، ص٦١؛ جمال الأسبوع، ص٣٧.

(٣) وسائل الشيعة، ج٩، ص٢٩٩.

هل يمكن أن يكون هؤلاء كفّارًا و مشركين و زنادقةً إلّا في الباطن؟ لأنّ النبوّة مُترتّبةٌ على التوحيد، و الوصاية مُترتّبةٌ على النبوّة، و هي في الحقيقة بقاءٌ للنبوّة. إنْ كانت النبوّة لازمةً فالوصاية و الإمامة لازمة أيضًا، و إن لم تكن النبوّة لازمةً، فلاتكون هذه لازمةً أيضًا. و لا ينبغي التفرقة بين حدوث الرسالة و بقائها الّتي هي الوصاية. إذًا، قهرًا، إنّ الّذين يخالفون الوصاية يخالفون الرسالة أيضًا، و لا يوجد شخصٌ مخالفٌ للرسالة إلّا إذا كان مخالفًا للتوحيد أيضًا!

المعتقِد بإمام الزمان عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف معتقدٌ بالعقائد الحقّة كافّة

إنّ الشخص الّذي يعتقد بإمام الزمان عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ، يعتقد بجميع العقائد الحقّة؛ لأنّه إذا كان لدينا المئة، فالتسعون أيضًا لدينا بالأَوْلى.

حديث الثقلين دليل قطعيٌّ على وجود الإمام الحجّة عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف

حقيقة الإسلام هي في الإيمان[1]. [مع الالتفات إلى] ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[2] و ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[3] و أمثال هذه الآيات، نقول: في الحقيقة، العاقل يفهم أنّ النبيّ يلزمه وصيّ، و أنّ الوصاية هي تكوينًا بقاءٌ للنبوّة.

كأنّه لم يُرَ أحدٌ قال هذا المطلب، لكنّ حقيقة المطلب هي هذا: إنّ الدليل على وجود الإمام بقيّة الله عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ، منذ ذلك الزمن الّذي تُيُقِّنَ فيه أنّ الإمام عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ غاب عن الأنظار [و حسب الظاهر لم يكن ظاهرًا بين الناس] إلى هذا الزمن الّذي نحن فيه، هو ما ذُكر في تتمّة هذه الرواية: «إنّي تاركٌ فِيكمُ الثِّقْلَيْن، كتابَ اللهِ وَعِتْرَتِي»[4] أي: «سَأَلْتُ رَبِّي

---

(١) المقصود بالإيمان هنا الإيمان بإمامة الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

(٣) سورة المائدة، الآية ٥٥.

(٤) حديث الثقلين هو من الأحاديث المتواترة لدى الشيعة و السنّة، و قد نُقل بألفاظ متقاربة جدًّا في كتب الفريقَيْن. و قد جمع العلّامة المجلسيّ رحمه الله رواياتٍ كثيرةً بهذا المضمون نقلًا عن مصادر الفريقين في الباب السابع من كتاب الإمامة في بحار الأنوار (ج٢٣، ص١٠٤). و للاطّلاع على مزيدٍ من الروايات المذكورة في مصادر العامّة يمكن مراجعة الكتب التالية: صحيح مسلم، ج٤، ص١٨٧٣؛ مسند أحمد، ج٣، ص١٧؛ سنن الترمذيّ، ج٥، ص٤٧٨و٤٧٩؛ مجمع الزوائد، ج٩، ص١٦٣؛ المعجم الصغير (للطبرانيّ)، ج١، ص١٣١.

أَنْ يجْمَعَ بَينَهُما وَأَنْ لا يُفَرِّقَ بَينَهُما. فَاسْتَجابَ لِي»[1].[2]

إنّ «حديث الثقلين» هو من أدلّة إثبات غَيبة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لأنّه جاء فيه: «إِنَّهُما لَنْ يفْتَرِقا». أي لن يفترقا سواءٌ أحاضرَيْن كانا أم غائبَيْن. فمن يحقّق [الفهم] في هذا الحديث و يحصّل معناه تُصبح مسألة الغَيْبة عنده واضحةً جدًّا، إذ إنّه في غير هذه الصورة [صورة استمرار وجود الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف من العترة و لو غائبًا] يلزم الانفكاك بين القرآن و العترة عليهم السلام. هذه الرواية و بضميمة ذَيْلها «سَأَلْتُ رَبِّي...» هي دليلٌ على أنّه في كلّ مكانٍ يكون فيه القرآن و في كلّ زمانٍ يُؤمر فيه بمتابعة القرآن و الرجوع إليه ـ سواء أصورة كان هذا الرجوع أم حقيقة أم تبعيضًا أم تتميمًا[3] ـ يجب أن يكون شارح القرآن و وصيّ النبيّ صلّى الله عليه وآله موجودًا أيضًا. يعني يجب أن يكون صاحب القرآن موجودًا بقاءً، لأنّه «إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ»[4]؛ في كلّ زمنٍ يوجد فيه الإسلام و القرآن، فقد عيّن الله الناطق بالإسلام و الوليّ للإسلام و الشارح للقرآن و القائم بالإسلام [و العامل بأحكامه]، و لا بدّ أن يكون موجودًا. بناءً على «لا يُفَرِّقَ بَينَهُمَا» لا يمكن أن يكون القرآن موجودًا و في حين أنّ شارح القرآن غير موجود! [و إن كان القرآن من دون عترة] فإنّنا سنبقى في معضلاتٍ [و استفهاماتٍ] بأنّ هذه الآية ماذا تعني و هذا المطلب ماذا يعني!

لو كان شارح القرآن أولئك (أي مدّعي الخلافة)، لما عجزوا عن معنى ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[5].[6] لم

---

(١) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أُوصِيكُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَأَهْلِ بَيْتِي، إِنِّي سَأَلْتُ اللهَ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حتى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَأَعْطَانِي ذَلِكَ»؛ الكافي، ج١، ص٢٨٧.

(٢) المقصود أنّ حديث الثقلين هو أحد الأدلّة على وجود الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الزمن الممتدّ منذ شهادة الإمام العسكريّ عليه السلام حين غاب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف عن الأعيُن إلى زماننا هذا.

(٣) «الرجوع الصوريّ» هو كرجوع أهل السنّة إلى القرآن، إذ إنّهم بعدم رجوعهم إلى المفسّر الحقيقيّ للقرآن يحرمون أنفسهم الوصول إلى حقيقة مُراد كلام الله تعالى، فيكون رجوعهم إلى القرآن رجوعًا صوريًّا. و «الرجوع الحقيقيّ» هو كرجوع الشيعة إلى القرآن، إذ إنّهم برجوعهم إلى أهل البيت عليهم السلام الّذين هم الثقل غير المُفارق للقرآن، يكون لهم رجوعٌ حقيقيٌّ إلى القرآن. أمّا «الرجوع التبعيضيّ» فهو الّذي يعتقد صاحبه بأنّ المرجع و المأمور به هو بعض القرآن، و «الرجوع التتميميّ» هو الرجوع الّذي يعتقد صاحبه أنّ المرجع و المأمور به هو تمام القرآن لا بعض آياته فقط! و في كِلتا الحالتَين الأخيرتين نحن بحاجةٍ ـ إلى يوم القيامة ـ إلى شارحٍ للقرآن و هم أهل البيت عليهم السلام، و في هذا الزمن مِصداقُه هو الوجود المبارك للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

(٤) الكافي، ج٨، ص٣١٢؛ وسائل الشيعة، ج٢٧، ص١٨٥.

(٥) سورة عبس، الآية ٣١.

(٦) «رَوَوْا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فَلَمْ يَعْرِفْ مَعْنَى الْأَبِّ فِي الْقُرْآنِ وَقَالَ: أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي،

يعلموا ما معنى «الأَبّ»! هل أولئك كانوا شارحي القرآن؟! المقصود أنّ هذا هو الفرق بين العالِم و غير العالِم! و هذا بنفسه دليلٌ قطعيٌّ على المطلب (أي لزوم وجود الإمام في كلّ آنٍ يكون فيه القرآن موجودًا، و أنّ أولئك الّذين كانوا يدّعون الخلافة لم يكونوا مؤهّلين لتولّيها)[1].

[الخليفة الثاني] قال: ارجموها! و أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا يحقّ لأحدٍ أن يرجم امرأةً حاملًا حتّى تضع حملها[2]. في النهاية [عُمَر] قال و لسبعين مرّةً: «**لَوْلا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ!**»[3].

المقصود هو أنّ رواية الوصية بالثقلَين مع ضميمتها المذكورة في الروايات، هي دليلٌ

أَمْ كَيْفَ أَصْنَعُ إِنْ قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا لَا أَعْلَمُ؟! أَمَّا الْفَاكِهَةُ فَنَعْرِفُهَا وَ أَمَّا الْأَبُّ فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ...»؛ (الإرشاد، ج١، ص٢٠٠). و ذُكر الجهل بمعنى كلمة «الأبّ» في حقّ الخليفة الثاني أيضًا (راجع: بحار الأنوار، ج٣٠، ص٦٩١ ـ ٦٩٣). و قد ذُكرت هذه القضيّة في مصادر أهل السنّة أيضًا، للاطّلاع أكثر راجع: المستدرك على الصحيحين، تفسير سورة عبس، ج٢، ص٥١٤؛ تاريخ بغداد، ج١١، ص٤٦٥.

(١) لقد استدلّ علماء الشيعة منذ القِدم بحديث الثقلَين المتواتر بين المسلمين لإقامة البرهان على وجود الإمام بقيّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف و بقائه حيًّا في العصور المتأخّرة الّتي ترتبط بزمان ما بعد الحضور الظاهريّ للمعصومين عليهم السلام بين الناس. و في هذا المجال نشير إلى كتابَين مهمَّين: كتاب «الشافي» لعَلَم الهدى السيّد المرتضى (ج٣، ص١٢٢)، و كتاب «تلخيص الشافي» لشيخ الطائفة الطوسيّ (ج٢، ص٢٤٥). كما طُرح هذا المطلب في سائر الكتب الكلاميّة الأخرى منذ ذلك الوقت حتّى وقتنا هذا؛ من قبيل كتاب «المراجعات» (ص٤٠٨)، و كذلك استدلّ آية الله الشيخ البهجة رحمه الله بهذا الحديث لإثبات هذا المطلب، و قال: «[يُعدّ حديث الثقلين] دليلًا قطعيًّا على أنّ إمام الزمان عليه السلام حيٌّ موجودٌ إلى زمان ظهوره، لا أنّه سيوجد و يولد فيما بعد». لكنّ المسألة اللافتة في المقام هي تصريحه رحمه الله في مطلع كلامه بأنّه لم يرَ أحدًا أشار إلى هذا المطلب قبلَه. فمع الالتفات إلى وفرة الاستدلالات بحديث الثقلين في الكثير من كتب الشيعة الكلاميّة، ما هو مقصود سماحته رحمه الله من القول إنّه ربّما لم يقله أحدٌ قبله؟ هذا ما سيأتي بيانه في الملحق الأوّل في الصفحة ٨٨٥ من هذا الكتاب.

(٢) في قضيّةٍ حدثت في زمن الخليفة الثاني و الّتي أمر فيها برجم امرأةٍ اتُّهمت بالزنا و كانت حاملًا، حضر أمير المؤمنين عليه السلام فنظر إلى امرأةٍ يُسار بها، فقال: «مَا [بال] هَذِهِ؟ قَالُوا: أَمَرَ بِهَا عُمَرُ لِتُرْجَمَ، لِأَنَّهَا حَمَلَتْ مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ. قَالَ عليه السلام: أَوَهِيَ حَامِلٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَاسْتَنْقَذَهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءَ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ عليه السلام لَهُ: إِنْ كَانَ لَكَ سَبِيلٌ عَلَيْهَا فَلَيْسَ لَكَ سَبِيلٌ عَلَى مَا فِي بَطْنِهَا. فَقَالَ عُمَرُ: لَوْلَا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ!»؛ راجع: المناقب (للخوارزميّ)، ص٨١؛ ينابيع المودّة، ج١، ص٢٢٦.

(٣) لقد سُمِع هذا الكلام على لسان الخليفة الثاني مراتٍ عديدةً، و ذُكِرَ في مصادر الشيعة و السنّة، و قد أحصى بعض المحقّقين عددها فبلغ السبعين مرّة، راجع: تحفة الأبرار، ص٢١٩؛ كامل بهائي (للطبريّ)، ص١٠٨؛ إحقاق الحقّ، ج٣، ص١٠٢. و للاطّلاع على مصادره في كتب العامّة راجع: الاستيعاب، ج٣، ص١١٠٣؛ فرائد السمطين، ج١، ص٣٣٧و٣٥٧؛ الفصول المهمّة، ج١، ص٢٠١؛ ينابيع المودّة، ج١، ص٢١٦ و ٢٢٧. كما أنّ الشهيد القاضي نور الله التستريّ رحمه الله قد أجرى تحقيقًا جامعًا و شاملًا حول هذا الموضوع، راجع: إحقاق الحق، ج٨، ص١٨٢.

قطعيٌّ على أنّ إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف موجودٌ و حيٌّ إلى زمان ظهوره؛ و ليس أنّه سوف يولد و يصبح موجودًا[1].

[يورِد بعض المخالفين إشكالًا و هو:] من أين يُعلم أنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد وُلد، فقد أَخبرَت بذلك امرأةٌ! السيّدة حكيمة عليها السلام كانت امرأةً و قد أتَت و قالت: إنّ الحجرة أصبحت نورانيّةً و... فالتي تروي تلك الحادثة هي امرأةٌ[2]. [نقول في جوابنا لهم أوّلًا:] هل طوال تلك المدّة الّتي كان إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف فيها بين الناس، لم يرَه أحدٌ من الأصحاب و لا أحد أدرك ولادته و وجوده عجّل الله تعالى فرجه الشريف ؟! [ثانيًا:] إنّ الإمام العسكريّ عليه السلام نفسه و جميع الأئمّة عليهم السلام من قَبْله قد أخبروا بولادته[3]، و [ثالثًا:] إنّ الشيعة ـ إلى ما شاء الله ـ رأوا و يرون كراماتٍ من وجوده المقدّس عجّل الله تعالى فرجه الشريف. نحن ما أدرانا أنّه في هذا اليوم نفسه، و في أيّ أماكنٍ، أيّ إغاثاتٍ للمستغيثين و أيّ إجاراتٍ للمستجيرين يقوم بها، و أيّ أمورٍ تُنجز يوميًّا!

[الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف] محتجبٌ عن أَعيُن الظّالمين[4]. لكن الّذين ليسوا هم ظالمين و لا مِن أصحاب الظالمين و لا يخالطون الظالمين و لا هم في منازل الظالمين و محالّهم، فهؤلاء ليسوا بمحجوبين عن وجوده الشريف عليه السلام أصلًا!

---

(١) المقصود بالاستدلال المذكور أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قد أخبرنا أنّه تَرَكَ في الأمّة كتاب الله و عِترته عليهم السلام، و أخبرنا أيضًا أنّه لن يفترق أحدهما عن الآخر أبدًا، و إذ إنّنا نرى الآن أنّ القرآن حاضرٌ و موجودٌ بين أيدينا. فعليه، و استنادًا إلى مُفاد الرواية المذكورة و المُسندة، يجب أن لا تكون العترة عليهم السلام مفترقةً عن القرآن. إذًا، نستنتج أنّه يجب أن تكون العِترة الطاهرة عليهم السلام الآن إلى جانب القرآن حاضرةً و موجودةً، و حضور العترة عليهم السلام يتحقّق بوجود شخصٍ حاضرٍ و حيٍّ من عترة رسول الله صلّى الله عليه و آله، و من هنا نعلم بوجود إمامٍ من عِترة رسول الله صلّى الله عليه و آله الّذي هو الوجود المبارك للإمام الحجّة (صلوات الله عليه). و إن افترضنا و لو مدّة من الزمن أنّ القرآن موجودٌ و لكن لا يوجد إمامٌ حيٌّ من العترة عليهم السلام، فإنّ هذا الكلام يستلزم الافتراق بين القرآن و العِترة عليهم السلام، و هذا خلافٌ للنصّ الصريح لرواية رسول الله صلّى الله عليه و آله الّتي ينقلها بالتواتر العامّة فضلًا عن الشيعة.

(٢) راجع: كمال الدين، ج٢، ص٤٢٦ ـ ٤٢٨؛ بحار الأنوار، ج٥١، ص١١ ـ ١٣.

(٣) يوجد الكثير من الأحاديث الشريفة حول وجود الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و غَيبته، و هي مرويّة عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام، و قد ذُكرت بكثرةٍ في كُتُب العامّة فضلًا عن كتب الشيعة. إضافةً إلى ذلك، فإنّ الولادة الميمونة للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف لم تروِها السيّدة حكيمة عليها السلام فقط، بل إنّ عددًا من أصحاب الإمامين الهادي و العسكريّ عليهما السلام قد رأوا الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في محضر الإمام العسكريّ عليه السلام و شهدوا بهذا المطلب. حتّى إنّ بعض العامّة و المُخالفين أيضًا قد رأوه عجّل الله تعالى فرجه الشريف في ذلك الزمان و نقلوا خبر ولادته، و هناك رواياتٌ كثيرةٌ في هذا المجال من شأنها أن ترفع أيّ شكٍّ حتّى لدى العامّة، و للاطّلاع عليها يُمكن مراجعة كمال الدين للشيخ الصدوق، الباب ٢٣ و بحار الأنوار، ج٥١.

(٤) لقد وُصِفَ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في إحدى زيارات الإمام العسكريّ عليه السلام بهذه العبارة: «المُحتَجَب عَنْ أَعْيُنِ الظّالِمينَ»؛ بحار الأنوار، ج٩٩، ص٦٧.

[رابعًا:] إنّ الرؤية بالعين ليست لها موضوعيّة، بل هي طريقٌ [لحصول اليقين]. إنْ سَمِعَ الإنسان صوتًا من خلف الستار و عَلِم و تيقّن بوجود شخصٍ خلفه [فهذا بنفسه حُجّة]، أو إنْ أخبر شخصٌ عن أمورٍ طابقت الواقع، أو أخبر عن ماضينا و عن مستقبلنا أيضًا، يحصل لدينا يقينٌ به و لو لم تره أعيُننا. [خامسًا] إنّ هذه الرؤية نفسها [رؤية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالعين] أيضًا قد ادّعاها كثيرٌ من العلماء العظام، فلو قلنا إنّهم كاذبون فسيتبيّن أنّنا في أيّ حالٍ نكون!![1]

الشيعة ليسوا مقطوعين

إنّ إحدى مزايا الشيعة أنّهم ـ [في هذا الزمان و] في هذه اللحظة نفسها ـ يعتقدون بوجود واسطةٍ بينهم و بين الخالق، و لا يرون أنفسهم غرباء و مقطوعين.

الإمامة بقاء النبوّة

من مِنن الله تعالى علينا أنّنا نتعامل مع كلمات المعصومين عليهم السلام كما نتعامل مع كلمات رسول الله صلّى الله عليه وآله نفسه؛ نقول: إنّ الّذي هو الآن موجود [الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف]، هو بمنزلة امتدادٍ لعمْر الرسول صلّى الله عليه وآله حتّى هذه اللحظة. كأنّ حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله مُمتدّةٌ إلى الآن، و [وجود الأئمّة الأطهار عليهم السلام واحدًا تِلوَ الآخر] يكون كنفس وجود رسول الله صلّى الله عليه وآله. أَلا يُعدّ هذا [الاعتقاد] أيضًا من كرامات الشيعة؟ أَليس من مفاخر الشيعة أنّنا نقول إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله حيٌّ؟ [في حين أنّ سائر الفرق تقول:] «إنّه مضى! ماذا يعني أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله حيٌّ؟ كان صلّى الله عليه وآله موجودًا و قد بقي من أثره تلك الروايات المنقولة عنه و عددها كذا، احسِبها و أحصِها!». رَحِمَ الله السيّد البروجرديّ قدّس سرّه[2] كان يقول: إنّ عدد روايات التكليف[3] عند العامّة هو بين ثلاثمئةٍ و أربعمئة. السيّد البروجرديّ قدّس سرّه لم يكن يتكلّم جُزافًا، و لم يكن ناقص التتبّع، نحن نعرفه، إن لم يكن أكثر تتبُّعًا من غيره، فهو قطعًا لم يكن أقلّ منهم. هو كان يقول إنّ عدد روايات

(١) ما بيّنه الفقيه المقدّس الشيخ البهجة قدّس سرّه في المقام له أهميّة كبيرة في معرفة أنماط التحقيق و أسلوبه، لأنّ البحث يدور حول: كيف يمكن الوصول إلى اطمئنانٍ في مسألةٍ جزئيّةٍ، هي ولادة الإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، من خلال إخبار امرأةٍ هي السيّدة حكيمة عليها السلام. و قد تمّ شرح بيان سماحته قدّس سرّه حول قضيّة ولادة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الملحق الثاني في الصفحة ٨٩١ من هذا الكتاب.

(٢) المرجع الدينيّ الكبير السيّد حسين الطباطبائيّ البروجرديّ قدّس سرّه.

(٣) أي الواردة في مورد الأحكام الشرعيّة الفرعيّة.

التكليف لدى العامّة بين ثلاثمئةٍ و أربعمئة. حتّى إنّ ابن الرشد يُقرّ بهذا و يجعل هذا المطلب نفسه دليلًا على حُجّيّة القياس[1]! فيقول [بهذا المضمون]:

> إن قلنا إنّ أحاديث رسول الله ﷺ و بياناته هذه ـ الّتي هي محدودةٌ و حصلت في وقائع محدودةٍ ـ تكفي للشريعة المُستمرّة إلى يوم القيامة، فهذا يعني تطابُق المُتناهي مع اللّا متناهي، و لازمة هذا الكلام هو مُطابقة المحدود مع غير المحدود، و هذا مُحال، إذ يستحيل [مثلًا] أن يكون العدد أربعة بديلًا عن الأربعة آلاف، و بناءً على هذا، يجب أن نقول إنّ القياس على هذا المحدود ثابتٌ إلى يوم القيامة[2].

فهل هو [فعلًا] هكذا؟! هل القياس على هذا المحدود ثابتٌ إلى يوم القيامة؟! مَن الضامن لهذا المطلب؟! إنّما القياس مُبطلٌ للدين و ماحِقٌ له. لنفترض الآن قلنا إنّ القياس له حُجّيّة، لكنّ الإمام الصادق عليه السلام نقض هذا القول لأبي حنيفة إلى ما شاء الله، و سأله إنْ كان القياس حجّة، فلماذا أصبح الحُكم هنا هكذا؟ [مثلًا قال عليه السلام:] أَليست الصلاة أهمّ من الصوم؟ فقال[أبو حنيفة]: نعم، فقال الإمام عليه السلام: إذًا، لماذا الحائض تقضي الصوم و لا تقضي الصلاة؟ فقال: و الله لا أدري! [و قال الإمام عليه السلام له:] أَليس البَول أشدّ نجاسة من المنيّ؟ قال: نعم، قال عليه السلام: إذًا لماذا البَول يُغسل و المنيّ يُغتسل منه؟ نقض الإمام عليه السلام حُجّيّة القياس إلى ما شاء الله[3]. و لذا نُقل عن الغزاليّ ـ لا أعلم في أيّ كُتبه مذكور ـ أنّه

---

(١) فقهاء العامّة يتمسّكون بالقياس إضافةً إلى الكتاب و السنّة لكشف الأحكام الشرعيّة. القياس يعني أن نُسري الحكم الشرعيّ الّذي ورد في روايةٍ إلى موضوعاتٍ أخرى شبيهةٍ بتلك الرواية، لكن لا يوجد لدينا نصٌّ عليها. و عليه فإنّ القياس طريقٌ ظنّيٌّ لكشف الأحكام الشرعيّة، و حجّيّته تحتاج إلى دليل، لأنّ صرف الظنّ لا يُمكن أن يكشف الواقع: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ (سورة يونس، الآية ٣٦)، لكنّ حجّية القياس ليست من غير دليل فحسب، بل لقد ورد عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام النهي عن العمل بالقياس و عدّوه بدعةً في الدين، إلّا أنّ العامّة، و بسبب فقرهم إلى منابع الحديث الّذي كان منشؤه مَنع الخليفتين الأوّل و الثاني من كتابة الأحاديث، و كذلك لأنّهم ظلّوا محرومين من أحاديث أهل البيت عليهم السلام، اضطرّوا إلى استخدام طرقٍ ظنّيّةٍ لكشف الأحكام الشرعيّة، كالقياس و الاستحسان.

(٢) راجع: بداية المجتهد، ج١، ص٩.

(٣) يذكر الإمام الصادق عليه السلام في هذه الرواية أمثلةً تنقض حُجّيّة القياس، و يبيّن أنّ اعتماد هذه الطريقة لا تُطابِق الواقع. مثلًا، إنّ الصلاة أكثر أهمّيّةً من الصوم، فإذا أردنا العمل بالقياس، فيجب أن نقول إنّ قضاء الصلاة واجبٌ كلّما وجب قضاء الصوم، و لكنّنا نعلم أنّ الحائض تقضي صومها و لا تقضي صلاتها. أو مثلًا في أحكام النجاسات، فالبَول يُعدّ أشدّ نجاسةً من المنيّ، فإذا أردنا أن نعمل بالقياس يجب أن نقول كما أنّ خروج المنيّ موجبٌ للغسل، فإنّ خروج البَول موجب له بطريقٍ أَوْلى، لكنّنا نعلم أنّه يوجب الوضوء فقط و ليس الغُسل. راجع: مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٤، ص٢٥٢ ـ ٢٥٤؛ بحار الأنوار، ج١٠، ص٢٢٠ ـ ٢٢١.

يُصرّح: «أمّا أبو حنيفة فقد قلَبَ الشريعة ظهرًا لبطن!»[1].

فعلى هذا، ذُكر إنّ وِصاية الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف هي بقاءٌ لرسول الله صلّى الله عليه وآله. النبيّ صلّى الله عليه وآله قال إنّ هذين [أي القرآن و العترة عليهم السلام] هما حجّتان معًا؛ الثقلان متلازمان و «لَنْ يفتَرِقا حتّى يرِدا عَلَيَّ الحَوْضَ»[2]. أينما يكون القرآن تكون العترة معه أيضًا. هذا أحد الإنباءات الغَيبيّة في روايات رسول الله صلّى الله عليه وآله لدى الشيعة بأنّهما «لَنْ يفتَرِقا حتّى يرِدا عَلَيَّ الحَوْضَ». ماذا يعني هذا القول؟ ليس له معنى سوى أنّهما موجودان معًا، لا يمكن أن يأتي زمانٌ يكون فيه القرآن موجودًا و لكنّ العترة ليست موجودة؛ و هم العترة عليهم السلام الذين: «لَا تُعَلِّمُوهُمْ فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ»[3] و [الذين مع القرآن] «مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُما أَبَدًا»[4]. هُم عترةٌ يمتلكون هذه الصفات [و هم بهذه العظمة]!

فعلى هذا، هذه أيضًا من المعجزات الواضحات للتشيّع، و هي الاعتقاد بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله حيّ. عَميت عين الّذي لا يفهم، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[5].

قال الإمام الصادق عليه السلام: عصايَ هذه هي عصا رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال أبو حنيفة: أعطني عصا رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى أُقبّلها، فأشار الإمام الصادق عليه السلام بيده إلى نفسه و قال: «هذا مِن بَشَرَةِ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله!». أما لك شأنٌ بهذا [أي الإمام عليه السلام الّذي هو لحم الرسول صلّى الله عليه وآله و دمه] و لكن لك شأنٌ بذاك [أي العصا][6]؟!

المقصود أنّ هذه إحدى مِنَن الله سبحانه علينا. إن كان الشخص مُنصِفًا فإنّ هذه الشواهد نفسها الموجودة في التشيّع تكفيه [لهدايته]، لا حاجة إلى براهين أخرى لهذا المطلب، مع أنّنا بالرجوع إلى البراهين أيضًا نجد أن لا حاجة إلى شواهد أصلًا، هذه البراهين نفسها تكفي. [مثل] سورة القدر[7] و براهين أخرى كثيرة إلى ما شاء الله.

---

(١) راجع: المنخول، ج١، ص٦١٣.

(٢) راجع: الكافي، ج٢، ص٤١٥؛ كمال الدين، ج١، ص٢٣٤؛ مسند أحمد، ج٣، ص١٤؛ مجمع الزوائد، ج٩، ص١٦٣؛ المعجم الصغير (للطبراني)، ج١، ص١٣١.

(٣) الكافي، ج١، ص٢٨٧.

(٤) راجع: الكافي، ج٢، ص٤١٥؛ الإرشاد، ج١، ص٢٣٣؛ ينابيع المودة، ج١، ص١٢٣.

(٥) سورة النور، الآية ٤٠.

(٦) شرح الأخبار، ج٣، ص٢٩٩ و راجع أيضًا: مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٤، ص٢٤٨.

(٧) لقد أمر أهل البيت عليهم السلام شيعتهم أن يحتجّوا بسورة القدر على المخالفين (راجع: الكافي، ج١، ص٢٤٩)؛ فقد ذُكر في

ما دام القرآن موجودًا فالإمام عليه السلام موجودٌ أيضًا

إنّ حديث الثقلين يدلّ على وجود إمام الزمان عجّل الله فرجه، و هو من الأدلّة الصريحة في إثبات الإمامة؛ فقد جاء في فقرةٍ منه عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «سَأَلْتُ اللهَ أَنْ لا يُفَرِّقَ بَيْنَهُما حتّى يرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَاسْتَجابَ لي»[1]. إذًا، في كلّ وقتٍ يكون القرآن موجودًا في أيدي هذه الأمّة، فأهل البيت عليهم السلام موجودون أيضًا، القرآن موجودٌ إلى آخر الزمان و إلى حين قيام حاكميّة الحكومة الحقّة، كما ورد [عن النبيّ صلى الله عليه وآله]: «لَا يبْقى مِنَ الْقُرآنِ إلّا رَسْمُهُ»[2]. و ما دام القرآن موجودًا، فإنّ القائم بالقرآن [و العامل به] و حامله و مطبّقه [و المنفّذ لأحكامه] و مُفسّره و عِدلَه أيضًا يكون موجودًا معه، سواء أحاضرًا كان أم غائبًا عن الأنظار.

طبعًا [للأسف] نحن مع امتلاكنا كلّ هذه الثروة لكنّنا نبسط يد الاستجداء إلى الغربيّين الّذين ليس لهم أيّ إنسانيّةٍ، و هم كالأنعام بل هم أضلّ! هناك حيث مَن يملك أموالًا أكثر و يكون أثرى و يصرف مبلغًا أكبر عند الانتخابات، يدخل إلى عضويّة المجلس [النيابيّ]، و بنفس هذه الطريقة أيضًا يُصبح رئيسًا للمجلس أو يُطمِّع رئيس المجلس و يُتبِعه لنفسه!

يكذبون إذ يقولون نحن أتباع القرآن!

أكثر الناس عُميٌ. اليوم أكثر متديّني العالم هم نصرانيّون و لا يعتقدون بالقرآن و لا ينتفعون به. ما العمل؟! مع وجود نهج البلاغة و الصحيفة السجّاديّة و إلى ما شاء الله من أمثالهما من

هذه السورة المباركة أنّ جميع الملائكة و الروح يتنزّلون في ليلة القدر بـ ﴿كُلِّ أَمْرٍ﴾، فلا يبقى أمرٌ إلّا و يكون معهم، و هنا يُطرح هذا السؤال: على مَن سوف تتنزّل الملائكة و الروح بجميع أمور العالم؟ و أيّ وجودٍ على وجه الأرض يكون له هذا المقام؟ بلا شكٍّ، إنّ أهل السنّة ليس لديهم جوابٌ عن هذا السؤال، لأنّهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لا يشيرون إلى شخصٍ بهذا المقام! مع أنّ ليلة القدر تتكرّر في كلّ سنةٍ. و بناءً على آيات سورة القدر، فإنّ نزول الملائكة في ليلة القدر هو أمرٌ مستمرّ، و هو لا يختصّ بزمن رسول الله صلى الله عليه وآله فقط، و وحدهم الشيعة الاثنا عشريّة يملكون جواب هذا السؤال، إذ إنّ إمام كلّ زمانٍ، بصفته أكمل أفراد العالم، يكون له هذا المقام بحيث تتنزّل عليه الملائكة و الروح، و جميع أمور العالم تُعرض عليه، و إنّ إمام العصر عجّل الله فرجه هو صاحب هذا المنصب في زمننا الحاضر. هذا النحو من الاستدلال بسورة القدر لبيان حقّانيّة التشيّع ورد في روايةٍ عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ راجع: الكافي، ج١، ص٢٤٩.

(١) راجع: الكافي، ج١، ص٢٠٩ و٢٨٧؛ شواهد التنزيل، ج١، ص١٩١.

(٢) «سَيأْتي عَلى أُمَّتي [النّاسِ] زمانٌ لا يبْقى مِنَ الْقُرآنِ إلّا رَسْمُهُ، وَمِنَ الإسْلامِ إلّا اسْمُهُ»؛ راجع: الكافي، ج٨، ص٣٠٨؛ ثواب الأعمال، ص٢٥٣؛ بحار الأنوار، ج٢، ص١٠٩؛ ج١٨، ص١٤٦؛ ج٥٢، ص١٩٠؛ ج١٠٨، ص٢٥ و٢٥٣.

الكتب، [إلّا أنّ أهل السُّنّة لا ينتفعون بها]، و لا ينتفعون حتّى بالقرآن أيضًا! شرط الانتفاع بالقرآن هو أن يكون مُتلازمًا مع العترة عليهم السلام. إنّ أحد أدلّة وجود الإمام صاحب الزمان ـ صلوات الله عليه ـ هو في [تتمّة] رواية الثقلين، حيث تقول: «سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا فَاسْتَجَابَ لِي». ما دام القرآن موجودًا يجب أن يكون معه أحدٌ من العترة الّذي يكون مُفسّره و عِدْله و مفترض الطاعة مثله، و كأنّ له مع القرآن عَينيّةً و اتّحادًا. فإذًا، لا يُمكن أن يكون القرآن موجودًا و لا يكون الحجّة من العترة عليهم السلام معه. إنّ رواية الثقلين نفسها هي أحد الأدلّة على وجود الإمام صاحب الزمان ـ صلوات الله عليه ـ فلا يمكن لأحدٍ أن يقول إنّ القرآن موجودٌ و لكنّه [أي الإمام من العترة الطاهرة عليهم السلام] غير موجود! «سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا» و «تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ»، إنّهما مع بعضهما البعض، هل يمكن أن يفترق أحدهما عن الآخر؟... إن ضيّع المرء أحدهما فقد ضيّع كِلَيهما. إن تخلّى عن واحدٍ فقد خسر الآخر أيضًا. [الشخص الّذي يترك العترة عليهم السلام] يكذب حين يدّعي أنّه تابعٌ للقرآن. كان بنو أميّة و بنو العبّاس يقولون: نحن أتباع القرآن! إنّهم يكذبون. إنّ القرآن قد صنّف فريقَين: المتّقي و الفاسق، العادل و الظالم، المؤمن و الكافر، و معلومٌ مَن هم أتباع هذا الفريق و مَن هم أتباع ذاك الفريق! هل أنتم من أتباع القرآن؟! [و الحال] إنّكم ليلًا و نهارًا مشغولون بالحرب [و النزاع]!

نسأل الله سبحانه أن يوفّقنا لمعرفة قدر علمائنا و محتَرَمينا الشرعيّين [أي الشخصيّات المحترمة شرعًا]، و لا نتعامل معهم كالعدم، و إلّا سوف نندم من عملنا هذا!

من أدلّة لزوم وجود حجّة الله عليه السلام في كلّ عصر

من جملة الأدلّة على لزوم وجود الحجّة و العالِم المُطلَق عجّل الله تعالى فرجه الشريف في كلّ عصرٍ هو وجود ﴿كهيعص﴾[1]، ﴿الٓمٓ﴾[2] و ﴿الٓر﴾[3] في القرآن. هل يمكن لشخصٍ أن يفهم جميع هذه الآيات؟ يمكن أن يقول أحدهم ﴿الٓر﴾ تعني «الله الرؤوف». افترضوا أنّ فُلانًا روى معناها على هذا النحو، ماذا يعني هذا؟ بأيّ مناسبةٍ رفعوا «الله الرؤوف» و وضعوا مكانها ﴿الٓر﴾؟! هذا بنفسه علامةٌ على أنّ في القرآن مُجملات و أنّ مُفصِّلها و مفسّرها و شارحها

(١) سورة مريم، الآية ١.

(٢) سورة البقرة، الآية ١.

(٣) سورة يوسف، الآية ١.

هو غير الناس العاديّين. و يجب أنْ يكون متّصلًا بمبدأ الوحي، مع واسطة أو بلا واسطة. هذا من الحُجج على أنّ رموز القرآن هذه تتطلّب شارحًا، و أنّ شارح هذه الأسرار هو مع القرآن، و إلّا فلا معنى لأنْ تُنزّل هذه الآيات. إلى مَن هي موجّهة هذه الآيات؟ أَليست إلى الناس؟ هو [الله تعالى] نفسه لا يحتاج إلى هذه الأسرار، هو يعلمها، و لا يلزم أن تكون موجودةً في القرآن! إذًا، من الحُجج أنّ للقرآن شارحًا و مفسّرًا يكون ملازمًا له.(1)

---

(1) بناءً على ما تقدّم من بيان دليل فقيهنا المقدّس البهجة ﷺ المبتني على دعاء النبيّ ﷺ الوارد في حديث الثقلين، فإنّ الأمّة الإسلاميّة بحاجةٍ دائمًا إلى مفسّرٍ للقرآن الكريم، و هنا يذكر سماحته ﷺ مصداقًا صغرويًّا على ذلك و هو «فواتح السور أي الحروف المقطّعة» الموجودة في بداءة بعض السور، و الّتي لم يدّعِ أحدٌ أنّه قادرٌ على فهم المراد منها. و هذه المسألة من الواضحات عند جميع المسلمين، كبيرهم و صغيرهم، بل يعترف الجميع بأنّهم لا يعرفون المراد منها. فإذا اعترف الجميع و أقرّوا بعدم معرفتهم بها، فلماذا أنزلها الله تعالى و جعلها في جملة كتابه السماويّ الّذي أمر المسلمين بتلاوته على الدوام؟! هذا الإجماع على الجهل بمعاني الحروف المقطّعة، و الّذي يجده الجميع في أنفسهم بالوجدان، هو اعترافٌ عموميٌّ منهم بالحاجة إلى وجود شخصٍ عيّنه الله عزّ و جلّ لتبيين معاني هذه الحروف. كذلك ينبغي الالتفات إلى أنّ لفهم الحروف المقطّعة أثرًا كبيرًا في فهم القرآن نفسه و المراد منه، لا أنّها تحوز على درجة متدنّية من الأهميّة في ذلك. و يكفي في عظمتها و أهميّتها أنّ الشيعة و السنّة جميعًا قد نقلوا عن أمير المؤمنين ﷺ قوله: «لِكلّ كتابٍ صفوةٌ، و صفوةُ القُرآن حُرُوفُ التَّهجّي» (بحار الأنوار، ج٨٨، ص١١؛ تفسير الثعلبيّ، ج١، ص١٣٦). و معنى «الصفوة» هو الخلاصة و العصارة من أيّ شيء، و هي الأهمّ في ذلك الشيء؛ أَليس المسلمون بحاجةٍ إلى معرفة صفوة القرآن و عصارته؟ و قد أشار الأنبياء السابقون ﷺ إلى أنّ الحروف المقطّعة من الخصوصيّات الّتي يختصّ بها القرآن الكريم الّذي سينزل على خاتم الأنبياء ﷺ، فكانوا يقولون: «يَأْتِي بِكِتَابٍ بِالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَة» (تفسير الإمام العسكريّ ﷺ، ص٦٢). فهل يمكن أن نعدّ وجود الآيات المقطّعة في القرآن أمرًا عاديًّا؟ و هل يمكن لأحدٍ أن يدّعي بأنّها لغوٌ لا فائدة منها؟! أو أن يقول بأنّ أمّة النبيّ ﷺ ليست بحاجةٍ إلى معرفة معانيها؟ و هنا لا بدّ من التنبيه إلى نقطةٍ أشار إليها أمير المؤمنين ﷺ في رواية: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ لِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَ رَأْفَتِهِ بِخَلْقِهِ وَ عِلْمِهِ بِمَا يُحْدِثُهُ الْمُبَدِّلُونَ مِنْ تَغْيِيرِ كِتَابِهِ قَسَّمَ كَلَامَهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ، فَجَعَلَ قِسْمًا مِنْهُ يَعْرِفُهُ الْعَالِمُ وَ الْجَاهِلُ، وَ قِسْمًا لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ صَفَا ذِهْنُهُ وَ لَطُفَ حِسُّهُ وَ صَحَّ تَمْيِيزُهُ مِمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَ قِسْمًا لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا اللَّهُ وَ أُمَنَاؤُهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وَ إِنَّمَا فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لِئَلَّا يَدَّعِيَ أَهْلُ الْبَاطِلِ مِنَ الْمُسْتَوْلِينَ عَلَى مِيرَاثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ مَا لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُمْ وَ لِيَقُودَهُمُ الِاضْطِرَارُ إِلَى الِائْتِمَارِ لِمَنْ وَلَّاهُ أَمْرَهُم» (الاحتجاج، ج١، ص٢٥٢). فالذين لا يعرفون معاني القرآن الكريم ليس أمامهم سوى الرجوع إلى مَن علّمه الله تعالى تلك المعاني. و قد ورد في روايةٍ أنّ النبيّ ﷺ و الأئمّة ﷺ يعلمون ترتيب الحروف المقطّعة، و يؤلّفون منها اسم الله الأعظم و يدعون به. و بناءً عليه، هل يمكن أن نساوي بين من يكون عالمًا بكيفيّة تركيب هذه الحروف و التأليف بينها و بين من يكون جاهلًا بها؟! و الظريف هو وجود إشاراتٍ واضحةٍ إلى هذه النقاط اللّطيفة ـ يعني اختصاص فهم القرآن الكريم بالإمام ﷺ ـ في أهمّ كتب العامّة كصحيح البخاريّ؛ إذ ورد في عباراتٍ مختلفةٍ أنّ أمير المؤمنين ﷺ قد سُئل: «هَلْ عِنْدَكُمْ مَا لَيْسَ عِنْدَ

النّاس؟»، يعني أنّه سُئل عن شيءٍ مختصٍ به ليس موجودًا عند عامّة الناس، فأجاب الإمام عليه السلام: «وَالّذي فَلَقَ الحَبّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، ما عِنْدَنا إلّا ما في القُرْآنِ إلّا فَهْمًا يُعْطَى رَجُلٌ في كِتابِهِ» (صحيح البخاريّ، ج٩، ص١٢)، يعني إذا كان لدينا شيءٌ غير موجودٍ عند عامّة الناس فهو فهم القرآن الكريم، و إلّا فكيف يمكن للجاهل بالقرآن أن يجيب عن استهزاء الزنادقة و الملحدين بالقرآن و يدفع شبهاتهم حوله؟! و قد ورد في روايةٍ أنّ زنديقًا من بني أميّة جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام و قال له: «قَوْلُ اللّهِ عَزَّوَجَلَّ في كِتابِهِ: «﴿ الٓمٓصٓ ﴾» أَيَّ شَيْءٍ أَرادَ بِهَذا؟ وَأَيُّ شَيْءٍ فِيهِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ فِيهِ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ؟»، فاغتاظ من ذلك الإمام الصادق عليه السلام، فقال: «أَمْسِكْ وَيْحَكَ! الْأَلِفُ وَاحِدٌ، وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ، وَالْمِيمُ أَرْبَعُونَ، وَالصَّادُ تِسْعُونَ، كَمْ مَعَكَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: مِائَةٌ وإحدَى وستُّون. فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُبْنُ محمّد (عليهما السلام): إِذَا انْقَضَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ يَنْقَضي مُلْكُ أَصْحَابِكَ، قَالَ: فَنَظَرْنَا، فَلَمَّا انْقَضَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسِتُّون وَمِائَةٍ يَوْمَ عَاشُورَاءَ دَخَلَ الْمُسَوِّدَةُ الْكُوفَةَ وَذَهَبَ مُلْكُهُم» (تفسير العياشيّ، ج٢، ص٢). و هنا نرى أنّ الإمام عليه السلام غضب من استهزائه بالقرآن، و بعد إجراء حساب حروف الآية المباركة «﴿ الٓمٓصٓ ﴾» أخبره بوقت انقضاء ملك بني أميّة. و لعلّ أهمّ كلامٍ نُقل في بيان عظمة الحروف المقطعة و أثرها في القرآن الكريم هو كلام سعيد بن علاقة المكنّى بأبي فاختة، الّذي كان من خاصّة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام (الاختصاص (للمفيد)، ص٤)؛ إذ نقل الطبريّ في تفسيره جامع البيان ذيل الآية الشريفة ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ (سورة آل عمران، الآية ٧)، بإسناده عن أبي فاختة أنّه قال: «أُمُّ الكتابِ فَواتحُ السُّوَرِ منها يُستَخرَجُ القُرآنُ. ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ، منها استُخرجَت البقرة و﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ منها استخرجَت آلُ عِمران» (تفسير الطبريّ، تحقيق شاكر، ج٦، ص١٨٣)، و من الملاحظ في هذه الرواية أنّها تعدّ الحروف المقطعة هي أمّ الكتاب، و الّتي يُستخرج منها جميع القرآن الكريم، ففي البداءة يقول يستخرج منها جميع القرآن، ثمّ يصرّح بذكر سورتين منه كمثالٍ على ذلك، أي سورتَي البقرة و آل عمران. و كم هذا الكلام متناسبٌ و مطابقٌ للرواية السابقة الّتي تدلّ على أنّ هذه الحروف هي صفوة القرآن، فهل للمسلم حاجةٌ أعلى من الوصول إلى معاني أمّ الكتاب للقرآن الكريم؟ و إذا لم يصل إلى أمّ الكتاب، فهل سيصل إلى العلم بالمتشابهات منه؟! إذًا، ليس أمامه سوى الرجوع إلى الشخص الّذي رجع إليه أبو فاختة ـ و هو أمير المؤمنين عليه السلام ـ و الّذي أصبح من خاصّة أصحابه. فمن هو الّذي يستطيع أن يستخرج بعلمه الإلهيّ جميع القرآن من خلال الحروف المقطعة؟ فهل هذا العمل مقدورٌ عليه من غير الثقل الآخر؟ و هنا، لا بد للمفسّر الحقيقيّ للقرآن و العالم بحقيقة الحروف المقطعة أن يكون محيطًا بكيفيّة دلالة هذه الحروف على مدلولاتها. و هذا ما أشار إليه سماحة الشيخ البهجة رحمه الله بقوله: «لو فرضنا بأنّ شخصًا روى أنّ معناها كذا مثلًا، فماذا يعني ذلك؟ لماذا رفع عبارة «الله الرؤوف» و وضع مكانها ﴿ الٓر ﴾ ؟!». إنّ المفسّر الإلهيّ و الحقيقيّ للقرآن هو الّذي يفهم السبب في ذلك، و بالتالي تكون لديه القدرة على «استخراج» حقائق القرآن من الحروف المقطعة. اللطيف في المقام أنّه ورد في كتاب بصائر الدرجات رواية عن أبان بن تغلب نقلها عن الإمام الصادق عليه السلام يعبّر الإمام فيها بعبارة «استخراج»، إذ ورد في هذه الرواية أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أعطى الإمامَين الحسن و الحسين عليهما السلام صحيفة و طلب إليهما أن يقرآ: «فَقَرَأَ الْحَسَنُ عليه السلام الْأَلِفَ وَالْبَاءَ وَالسِّينَ وَاللَّامَ وَحَرْفًا بَعْدَ حَرْفٍ»، و قرأ الحسين عليه السلام كما قرأ الحسن عليه السلام، ثمّ دفعها إلى ابنه ابن الحنفيّة، فقال له: «اقْرَأْ»، لكن محمّد ابن الحنفيّة لم يستطع أن يستخرج حتّى حرفًا واحدًا منها: «فَلَمْ يَسْتَخْرِجْ مِنْهَا شَيْئًا» (بصائر الدرجات، ج١، ص٣٠٧). بذلك يُعلَم أنّ القدرة على استخراج شيءٍ من الحروف هو عطيّة من الله تعالى للإمام المعصوم عليه السلام، و عليه، إنّ أفراد الأمّة كافّة بحاجةٍ إلى علمه. و في

أذكر عندما كنت في النجف الأشرف جمعتُ عشرين رواية ليس في سلسلة رُواتها تداخل و لا تنتهي أيّ منها إلى الإمام عليّ عليه السلام. كان في سلسلة رُواة تلك الروايات أبو بكر و عمر و عثمان، و جميع رجالها كانوا من أهل السُّنّة. الروايات واردةٌ عن رسول الله صلى الله عليه وآله و يسمّي فيها الأئمّة الاثني عشر و يذكر: الحسن، الحسين. [و هي بهذا المضمون:] «**يكونُ بَعْدي اثْنا عَشَرَ خَليفَةً، تاسِعُ أوْلادِ الْحُسَينِ، صاحِبُهُمْ**»[1]. و هذه الروايات في الواقع متواترةٌ لديهم [أي لدى

رواية أبي لبيد الّتي وردت في تفسير العياشيّ، عن الإمام الباقر عليه السلام، صرّح فيها بعلوّ شأن الحروف المقطعة الواردة في القرآن الكريم، إذ قال: «يَا أَبَا لَبِيدٍ، إنَ فِي حُرُوفِ الْقُرْآنِ الْمُقَطَّعَةِ لَعِلْمًا جَمًّا» (تفسير العياشيّ، ج٢، ص٣ و٢٠٢)، و من الواضح أنّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قد سمعوا منه عبارة «عِلْمًا جَمًّا» مرارًا عندما كان يقول: «إنَّ هَا هُنَا ـ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ـ لَعِلْمًا جَمًّا لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً» (كمال الدين، ج١، ص٢٩١). فعندما تكون الحروف المقطّعة مشتملةً على علمٍ كثير، فالمفسّر الحقيقيّ للقرآن ـ و منه الحروف المقطّعة ـ ينبغي أن يشتمل صدره على علمٍ وفيرٍ، حتّى يكون هناك سنخيّة و عينيّة بين القرآن و مفسّره. و في الختام نكتفي بنقل روايةٍ في عظمة الحروف المقطعة عن الإمام الباقر عليه السلام يقول فيها: «عِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ فِي ﴿عٓسٓقٓ﴾» (تفسير القمّيّ، ج٢، ص٢٦٨).

(١) بما أنّ التحقيق الّذي قام به سماحة الشيخ قدّس سرّه يرتبط بزمن توطّنه في النجف الأشرف، فإنّنا لم نتمكّن من الوصول إلى نُسخته المكتوبة بخطّه المبارك، لكن يجب أن يُقال إنّ كتب أهل السنّة تفيض بأحاديث مرويّةٍ عن رسول الله صلى الله عليه وآله حول تنصيب الأئمّة و خلافتهم عليهم السلام، و يمكن تصنيف هذه الروايات و تقسيمها إلى قسمين:

الأوّل: الروايات الّتي تطرح بنحوٍ عامّ خلافة الأئمّة الأطهار عليهم السلام و وصايتهم.

الثاني: الروايات الّتي ذُكر فيها أسماء الأئمّة الأطهار عليهم السلام أُحاد بصراحةٍ.

فالقسم الأوّل من الروايات استُخدمت فيها تعابير من قبيل: «خلفاء النبيّ اثنا عشر أميرًا»، «اثنا عشر خليفةً»، «اثنا عشر رجلًا»، «اثنا عشر نقيبًا على عدد نقباء بني إسرائيل»، «اثنا عشر إمامًا وكلّهم من قريش». للمثال راجع: صحيح البخاريّ، ج١١، ص٧٠؛ سنن الترمذيّ، ج٤، ص٢٤١؛ صحيح مسلم، ج٣، ص١٤٥٢و١٤٥٣؛ مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص٨٩و٩٢.

و القسم الثاني ذُكر في: كفاية الأثر لأبي القاسم الخزّاز، ص١٧٧و١٩٤؛ ينابيع المودّة للقندوزيّ الحنفيّ، ج١، ص٢٩٠؛ ج٢، ص٣١٦؛ ج٣، ص٢٩١؛ فرائد السمطين، ج٣، ص٣٩٩ و في أمثالها.

و للمثال نشير إلى بعض هذه الروايات: تنقل عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنَّ جَبرَئيلَ أخبَرَهُ أنَّ الأُمَّةَ تَقتُلُ الحُسَينَ وَيَنتَقِمُ اللهُ مِنهُم بِقائِمِكُم أهلَ البَيتِ، فَقالَ: وَمَن قائِمُنا أهلَ البَيتِ؟ فَقالَ: هُوَ التّاسِعُ مِن وُلدِ الحُسَينِ»؛ إثبات الهداة، ج٢، ص١٧٥. و لقد روى عثمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأئمّةُ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ، تِسْعَةٌ مِنْ صُلْبِ الحُسَيْنِ، وَمِنَّا مَهْدِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ»؛ كفاية الأثر، ص٩٤. و هذه الرواية قد ذُكرت أيضًا في كتاب إثبات الهداة (ج٢، ص١٦١) مرويّةً عن كلٍّ من عمر و عثمان.

و من الجدير بالذّكر أنّ المفسّرين و شارحي تفاسير أهل السنّة قد وقعوا في اشتباهٍ و وقفوا حيارى أمام تحديد

أهل السُّنّة]، إذ إنّ التواتر لدى العامّة يُثبَت و يحصل بسهولةٍ أكثر منها عند الشيعة. حتّى إن قال أحدٌ من الشيعة إنّه تمسّك برواياتٍ واضحةٍ من مصادر أهل السنّة وكتبهم لإثبات حقّانيّة التشيّع، لم يكن كلامه جزافًا أبدًا.(١)

إقرار الكثير من علماء أهل السُّنّة بوجود الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

كثيرٌ من علماء أهل السُّنّة، و خصوصًا عُرفاءهم، أقرّوا بخاتم الأوصياء عجّل الله تعالى فرجه الشريف. حتّى صدر الدين القونويّ، الّذي هو من تلامذة مُحيي الدين، كتب في وصيّته: «فلا تَقبَلوا كلامًا مِن ذوقِ أحد؛ اللهم إلّا مَن أدركَ منهم الإمامَ محمّدًا المهديّ عليه السلام فَليُبلغْه سلامي و ليأخذْ عنه ما يُخبره به مِن المعارفِ»(٢).

و يقول محيي الدين أيضًا: لقد رأيت المهديّ في طواف بيت الله الحرام(٣).

معنى انتظار الفرج

بما أنّ رواية «أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي انْتِظَارُ الْفَرَجِ»(٤) ثابتةٌ حسب نقل العامّة أيضًا، كيف يمكن أن

مصداق هذه الروايات، و لم يجدوا أمامهم من سبيل، فذهب كلّ واحدٍ منهم إلى توجيهٍ خاطئ، فضَلّوا و أضلّوا عن علمٍ أو جهل.

(١) هناك بحثٌ علميٌّ حول مسألة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، و قد ذكر في الملحق الثالث في الصفحة ٨٩٧ من هذا الكتاب.

(٢) شرح الأسماء الحسنى، لصدر الدين القونويّ، مقدّمة المحقّق، ص٨٨، نقلًا عن مقدّمة كتاب «الفكوك»، بتحقيق محمّد خواجويّ.

(٣) لقد ذكر في كتاب الفتوحات أنّه رأى الإمام عليه السلام و رأى فيه ختم الولاية؛ راجع: الفتوحات المكيّة، ج١، ص١٨٥؛ ج٢، ص٤٩ (الطبعة المشتملة على أربعة أجزاء). لكن في هذا النقل لم يكن الكلام عن مشاهدة حضرته عليه السلام في أثناء الطواف، و على هذا، فمن الممكن أن يكون نقل قضيّة مشاهدة الإمام عجّل الله تعالى فرجه في أثناء الطواف مذكورًا في نصٍّ آخر من كتاب الفتوحات، مع الالتفات إلى وجود نسخ مختلفة منه و متفاوتة من حيث عباراتها، فقد نقل الشيخ النوريّ رحمه الله عن المرحوم الشعرانيّ رحمه الله وجود هذه النسخ المتعدّدة و المختلفة (النجم الثاقب، ج١، ص٢٨٤)، و كذلك يمكن أن تكون مشاهدة الإمام عليه السلام في أثناء الطواف مذكورةً في كتابٍ آخر لابن العربيّ.

(٤) عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي انْتِظَارُ الْفَرَجِ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٦٤٤. راجع أيضًا: مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٤، ص٤٢٦؛ بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣١٨؛ ج٥٢، ص١٢٢؛ سنن الترمذيّ، ج٥، ص٣٨٥؛ مجمع الزوائد، ج١٠، ص١٤٧. و للاطّلاع أكثر حول مصادر هذه الرواية في كتب الفريقَين راجع: معجم أحاديث الإمام

تكون حكومة رؤساء البلاد الإسلاميّة و سيادتهم داخلة في عنوان «أولي الأمر»؟! فلو كان كذلك [أي كانت الآية الآمرة بإطاعة أولي الأمر تشمل هؤلاء الحكّام] فإنّ الفرج متحقّقٌ و حاصلٌ [فعلًا]! فعلامَ انتظار الفرج حينئذٍ؟ فهل مع وجود كلّ هذا الفرج، نريد فرجًا بعد؟! فما معنى «انتظار الفرج» إذًا؟![1]

المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ ج١، ص٥٢٩ـ٥٣٣.

(١) يعتقد بعض العامّة أن كلّ حاكمٍ يتسلّط على المسلمين و لو كان فاسقًا و زانيًا و مستحلاًّ للخمر فإنّه قهرًا يصبح وليًّا لأمور المسلمين و مصداقًا للآية الشريفة: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ (راجع: التفسير الكبير (للفخر الرازي)، ج١٠، ص١١٣؛ روح المعاني (للآلوسيّ) ج٣، ص٦٣)، في حين ترى الشيعة أنّ المقصود بأولي الأمر الّذين أمر الله بطاعتهم هم الأئمّة الاثنا عشر عليهم السلام، الّذين نزّههم الله تعالى عن المعاصي و صانهم من الدنس و الخطأ. و في الرواية الّتي رواها العامّة أنفسهم من أنّ أفضل الأعمال انتظار الفرج، فإنّ هذا الانتظار عند الشيعة بمعنى ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي هو وليّ الأمر الغائب، و بظهوره يملأ الأرض قسطًا و عدلًا و يكون لجميع الناس سعةً و فرجًا، لكنّ العامّة يجعلون جميع السلاطين مصداقًا لوليّ الأمر و عليه يكون كلّ هذا الفرج حاصلًا لهم، فما معنى انتظار الفرج إذًا؟! و النكتة المهمّة في هذا الحديث هو عدّه انتظار الفرج أفضل الأعمال، و من تناسب الحُكم و الموضوع نفهم أنّ هذا الفرج الّذي يطول انتظاره لا يمكن أن يكون من الأمور العاديّة المتعارفة، حتّى لو كان أشدّ السلاطين ظلمًا متسلّطًا على الأمور، و جميع الناس مبتلين بظلمه و يئنّون تحت وطأته، فإنّه لا يمكن القول إنّ رفع ظلمه هو أفضل عبادة لأنّنا لا نعلم من هو السلطان الّذي سيأتي بعده، فلربما كان سلطانًا مثله أو أشدّ ظلمًا منه! و لكن إذا كان المراد من انتظار الفرج هو انتظار الوعد الإلهيّ باقتلاع الظلم و انتظار تحقّق بشارة القرآن الكريم: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ (سورة التوبة، الآية ٣٣)، فإنّ كلّ عاقلٍ مُنصفٍ يُصدّق أنّ انتظار هذا الأمر العظيم يمكن أن يكون أفضل عبادة. و النكتة الأخرى هي أنّ انتظار أمرٍ ما إنّما يتمّ و يتحقّق عندما لا نكون راضين عن الوضع الراهن و الحالة الموجودة، أمّا إذا اعتقد شخصٌ أنّ الحاكم الموجود هو مصداق أولي الأمر الّذي ذكره القرآن الكريم و أمرنا بطاعته و متابعته بعد الله سبحانه و رسوله صلّى الله عليه و آله، فهل ينتظر أن يموت أو يرحل و قد أمر الله تعالى بطاعته بصفته وليّ الأمر؟! فكيف ينتظر موت شخصٍ قال الله عزّ و جلّ في حقّه: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ ؟! لكن إذا كان المقصود بانتظار الفرج انتظار ظهور الموعود الإلهيّ، فإنّه حينئذٍ يمكن لأيّ شخصٍ في كلّ زمانٍ و مكانٍ أن ينتظره و يؤدّي بذلك أعلى العبادة و أفضلها. من هنا، كان أفضل الناس في انتظار الفرج هم المعصومين عليهم السلام أنفسهم، و بعدهم في ذلك كبار الشيعة ينتظرون و يترقّبون، و قد هيّؤوا أسلحتهم لنصرته حتّى قبل ولادته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، منهم أبو سعيد عبّاد بن يعقوب المنصوريّ الرواجنيّ، أحد رواة أحاديث الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام و الّذي يعرفه أهل السنّة قبل الشيعة؛ إذ إنّه قد عاش بينهم و تُوفّي قبل خمس سنوات من ولادة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أي سنة (٢٥٠هـ.ق). ينقل الذهبيّ عن قاسم المطرز: «دَخَلتُ إلى عَبّادِ بنِ يَعقوبَ وَ كانَ مَكفُوفًا وَ رَأيتُ في دارِهِ سَيفًا مُعَلّقًا و حَجَفَةً. فقُلتُ: أيّها الشَّيخُ لِمَن هذا السَّيفُ؟ فقال لي: أعدَدتُه لِأُقاتِلَ بِه مَعَ المهديّ» (المنتظم، ج١٢، ص٤١). فانظر كيف أنّ إنسانًا سنّيًّا تعجّب بمجرّد رؤية سيفٍ عند رجل مُسنّ، و كيف كان الجواب الّذي

يقول الذهبيّ[1] [بهذا المضمون]: «نحن نستشكل على هؤلاء (الشيعة) أنّه لا يمكن لأحدٍ أن يكون طويل العمر هكذا، و هم ينقضون علينا و يستشكلون: إذًا لماذا الخضر طويل العمر؟!».

إذ وردت في رواياتنا أيضًا أنّ الله سبحانه و تعالى جعلهم (أي الخضر و ثلاثة أنبياء آخرين) معمّرين، حُجّةً و احتجاجًا، و حتّى لا يقول أحدٌ إنّه لا يُمكن لبشرٍ أن يُعمّر هكذا.[2] الخضر و إلياس و إدريس و عيسى، كلّ هؤلاء هم معمّرون.

[يقول الذهبيّ بهذا المضمون: يعترض الشيعة علينا] إذًا كيف يكون هؤلاء معمّرين؟ [فنقول لهم] الخضر ليس ضامنًا للتكليف و لكنّ الإمامَ ضامنٌ للتكليف، إنْ كان موجودًا يجب أن يأتي و ينهى عن المنكر و يأمر بالمعروف.

فنقول له: نعم، كما أنّ أولئك الأحد عشر إمامًا أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر ثمّ أنت و أمثالك و رفقاؤك آمنتم بهم، فإنْ يأتِ هذا [أي الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف] ستؤمنون به أيضًا! بل أنتم قتلتموهم ما استطعتم! بنو أميّة قتلوهم و بنو العبّاس قتلوهم أيضًا، و لكن يُقال إنّ فِعْل بني العبّاس كان أسوأ و أشدّ لأنّهم ـ في الحقيقة ـ بأنفسهم باشروا إلى قتل اثنين أو ثلاثةٍ

سمعه بأنّه أعدّ السيف لينصر به الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و هذه هي ثقافة الشيعة الّتي فيها ينحصر مصداق «أفضل العبادة انتظار الفرج».

(١) من علماء العامّة.

(٢) روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «وَأَمَّا الْعَبْدُ الصَّالِحُ، أَعْنِي الْخَضِرَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا طَوَّلَ عُمُرَهُ لِنُبُوَّةٍ قَدَّرَهَا لَهُ، وَلَا لِكِتَابٍ يُنَزِّلُهُ عَلَيْهِ، وَلَا لِشَرِيعَةٍ يَنْسَخُ بِهَا شَرِيعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا لِإِمَامَةٍ يُلْزِمُ عِبَادَهُ الِاقْتِدَاءَ بِهَا، وَلَا لِطَاعَةٍ يَفْرِضُهَا لَهُ، بَلَى، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ أَنْ يُقَدِّرَ مِنْ عُمُرِ الْقَائِمِ فِي أَيَّامِ غَيْبَتِهِ مَا يُقَدِّرُ، وَعَلِمَ مَا يَكُونُ مِنْ إِنْكَارِ عِبَادِهِ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ الْعُمُرِ فِي الطُّولِ، طَوَّلَ عُمُرَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي غَيْرِ سَبَبٍ يُوجِبُ ذَلِكَ، إِلَّا لِعِلَّةِ الِاسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَى عُمُرِ الْقَائِمِ وَلِيَقْطَعَ بِذَلِكَ حجة الْمُعَانِدِينَ، لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ»؛ (راجع: كمال الدين، ج٢، ص٣٥٧). و إن كان العمر المطوّل أمرًا ممكنًا عقليًّا و واقعيًّا و لا يلزم منه أيّ إشكالٍ، إلّا أنّ الله سبحانه و تعالى و لإتمام الحجّة على الناس و رَفْع استبعادهم للأمر، تَرَكَ للمنصفين و طالبي الحقيقة آياتٍ تنفي أيّ شكٍّ أو شبهةٍ في هذا المجال، و من تلك الآيات العمر المطوّل للخضر عليه السلام. و قد ذُكر على طول التاريخ نماذج متعدّدة لأفراد مختلفين قد أطال الله أعمارهم، حتّى إنّ العامّة أنفسهم قد ذكروا في كتبهم عدّة أفرادٍ تميّزوا بأعمارهم الطويلة ممّا يرفع بطريقٍ أولى أيّ تعجّبٍ و شكٍّ في طول عمر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، منهم الخضر و عيسى و إدريس و إلياس عليهم السلام، الّذين ولدوا قبل الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و عاشوا قبله و سيبقون بإذن الله تعالى أحياءً إلى زمن ظهوره الشريف، و غيرهم من الأنبياء الّذين عمّروا لأكثر من ألف سنةٍ، و قد ذكرهم كِلا الفريقين في كتبهم، فكلّ هذا من شأنه أن يرفع أيّ شكٍّ أو شبهةٍ حول عمر الإمام الطويل عجّل الله تعالى فرجه الشريف. للاطّلاع أكثر راجع: كمال الدين، من باب ٤٦ إلى ٥٤.

من الأئمّة عليهم السلام.[1] نعم، ذلك الشاعر يقول:

[و الله] ما فعلت أميّة فيهم مِعْشار ما فعلت بنو العبّاس[2]

حتّى إنّهم [أي بني العبّاس] أرادوا قتل الأئمّة [الذين كانوا سابقًا]، و لكنّهم وجدوا أنّهم عليهم السلام قد دُفنوا و لا يُمكن قَتلهم، فأجروا الماء على قبورهم و أمثال هذه الأعمال [الشنيعة]!![3]

[مع هذا يقول الذهبيّ:] «إنّه هو ضامنٌ للتكليف!» [فالتفِت أيّها الذهبيّ] ربما ذلك الشخص الّذي هو إمامٌ ليس مُقلِّدًا لك! مع أنّهم في صدد معرفة و لو شخصٍ واحدٍ من الشيعة حتّى يغتالوه، لكنّ الذهبيّ يقول «إنّه ضامنٌ للتكليف!» [و إن كان موجودًا يجب أن يأتي و يؤدّي تكليفه! لماذا عليه أن يفعل هذا؟] لأنّك أنت أفتيت بهذا؟! [نقول في جواب الذهبيّ: أوّلًا إنّه مأمورٌ إلهيٌّ و تُحدَّد مهمّته من قِبَله تعالى، لا من قِبَلك أنت! ثانيًا:] إنّ أحد عشر شخصًا [أي الأئمّة السابقين للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف] كانوا ضامنين للتكليف، ماذا فعلتم بهم؟ ليست أفعالكم بهم عليهم السلام فقط، بل إنّكم لم تؤمنوا [على الأقلّ] بأنّهم هم أوصياء النبيّ صلّى الله عليه و آله و خلفاؤه، فضلًا عن أن تبايعوهم!... أمّا زعمكم بأنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف إذا كان موجودًا فيجب أن يأتي ليأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر [فنقول: لم يبادر أولئك بعدُ إلى الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، لكنّكم قبضتم عليهم و دسستم لهم السمّ، أليس هذا الامتحان يكفي؟ إذ إنّكم لم تؤمنوا حتّى بواحدٍ منهم، فيقينًا من جديدٍ لن تؤمنوا بهذا الثاني عشر أيضًا، فهل تريدون خروجه] حتّى تقتلوه هو أيضًا! لكي تتخلّصوا من أمره و سائر ما يتعلّق به![4]

---

(١) المقصود هو قتل الإمام عليه السلام بدون واسطةٍ، كقتل الإمام الرضا عليه السلام الّذي كان على يد المأمون العبّاسيّ مباشرةً وبلا واسطة.

(٢) أعيان الشيعة، ج١، ص٢٨.

(٣) إشارة إلى سلوك المتوكّل العبّاسيّ، فإنّه عندما رأى توافد الزائرين إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام، أمر بهدمه و حَرْث مكانه و زراعته، و أن يُجروا الماء عليه و يعاقبوا زوّار الضريح الشريف. راجع: تاريخ الطبريّ، ج٩، ص١٨٥ (أحداث سنة ٢٣٦)؛ تاريخ الإسلام (للذهبيّ)، ج١٧، ص١٨؛ المنتخب (للطريحيّ)، ص٣٣١.

(٤) هناك إشكالٌ في الواقع قد طرحه الشهرستانيّ قَبل الذهبيّ، إذ قال في كتابه الملل و النحل: «ثمّ الخضر عليه السلام ليس مكلّفًا بضمان جماعةٍ و الإمام عندكم ضامن» (ج١، ص١٧٢). و يقول فقهينا المقدّس الشيخ البهجة قدّس سرّه في الجواب عن هذا الإشكال: أوّلًا: صحيح أنّ الإمام عليه السلام هو ضامن إجراء الأحكام و التكاليف من قِبل الله تعالى، لكن لم يحصل أيّ تقصير في ذلك ـ و لو بمقدار خرم إبرةٍ ـ من قِبل أيٍّ من الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، إنّما الأمّة الإسلاميّة هي الّتي قصّرت في الاستفادة من المعصوم عليه السلام مع وجوده بينها و قد تركته ظلمًا و عدوانًا، لا بل إنّها

هل تعلمون مَن يقول هذه الكلمات؟ لكن ماذا نفعل و هم شيوخ إسلامهم!!... انظروا ماذا يقولون، هل يتوقّع الإنسان أن يسمع هذه الكلمات من طالبِ علمٍ مُبتدئ؟! [لكنّ شيوخ إسلامهم يقولون هذا الكلام] و شيخ إسلامهم على تلك الدرجة من الأهمّيّة!! [و صاحب مؤلّفات و تصانيف!]. [نعم، لإثبات حقّانيّة مطلبنا] يكفي الاستشهاد بكلماتهم نفسها، و لا حاجة إلى رواياتنا نحن، رواياتهم تكفي و ليس هناك أيّ حاجةٍ إلى رواياتنا نحن![1]

ساعدت على حبسه و أخضاعه للمراقبة و قتله أيضًا، حتّى عندما انخفضت وتيرة الضغط و تضييق الخناق من قبل بني أميّة ضدّ أهل البيت عليهم السلام و تصاعد الأمل بأن تتنبه الأمّة الإسلاميّة و تتوب إلى الله تعالى و ترجع إلى عترة أهل البيت عليهم السلام الطاهرة الّتي هي أحد الثقلين، و أن تعرف قدر أعظم نعمةٍ إلهيّةٍ، متمثّلة بالوجود المبارك للإمام المعصوم عليه السلام، إلّا أنّه مع بداءة خلافة بني العبّاس تعاظمت مصائب أهل البيت عليهم السلام أكثر فأكثر، و مع وجود الإمام المعصوم بين الناس لِما يقارب المائة سنة، إلّا أنّ أفراد الأمّة لم يكتفوا بعدم الدفاع عنه بل كذّبوه أيضًا، فأيّ عذرٍ لهم عند الله تعالى إذًا؟ و ماذا كان ردّ فعلها إزاء سجن الإمام الكاظم عليه السلام سنين متمادية، و الحجر على الإمامَين المعصومَين عليهما السلام في سامرّاء حتّى يكون لها حقٌّ على الأئمّة الأطهار عليهم السلام؟ و في هذا الزمن أيضًا لا تزال هذه الوضعيّة كما هي و لم يتغير شيءٌ أبدًا، فعندما يكون حكّام الجور و أعوانهم مستعدّين لقتل الشيعة، كما هو الحال؛ إذ إنّنا نرى أنّ البعض يقتل بمجرّد تهمة التشيّع، فإنّ الإمام لا يكون مأمورًا بإظهار نفسه لا عقلًا و لا نقلًا، لأنّه إن كان التعامل مع فردٍ شيعيٍ عاديّ على هذا النحو، فمن البديهيّ أن يكون العزم على التعامل مع الإمام عليه السلام بنحوٍ أفظع و أشنع، تمامًا كما عاملوا آباءه الطاهرين عليهم السلام إذ إنّهم استشهدوا بأفجع الطرق، لذلك فإنّ لسان حال من يطلب إلى الإمام عليه السلام ضمان التكليف هو: يا ضامن التكليف أين أنت كي نجدك و نقتلك! فهذا الكلام مثل أن نقول للرسول صلّى الله عليه و آله و نطلب إليه في الظروف الّتي أحاطت به عندما لم تحافظ الأمّة على سلامته صلّى الله عليه و آله، فقام بالذهاب إلى غار ثَوْر حفظًا لنفسه، أن يُظهر نفسه الشريفة كي يقوم بضمان التكليف! ثانيًا: نقول للذهبيّ: إنّ الإمام المعصوم عليه السلام الّذي هو حجّة الله، يأخذ تكليفه و وظيفته من الله تعالى، و لا يتبع في ذلك رأي المأمومين، و إلّا كان هو المأموم و كنت أنت الإمام، في حين أنّ الله تعالى قد جعله هو الإمام و أوجب عليك أيّها الذهبيّ أن تكون مؤتمًّا به و تابعًا له، و ليس أنت من يحدّد وظيفته و يعيّن له تكليفه و يُعلّمه كيف يجب أن يقوم بمهامه الإلهيّة!

(١) أي أنّ الطالب المُبتدئ بدراسة العلوم الحوزيّة لا يتحدّث بمثل هذه الكلمات التافهة و غير الموزونة، لكنّ علماء العامّة و شيوخ إسلامهم يتحدّثون بمثل هذه الأمور. و لردّ كلامهم و إثبات حقّانيّة الإماميّة يمكن بكلّ سهولةٍ أن يُستدلّ بمصادرهم و كلمات علمائهم، إذ إنّنا نجد في كتبهم الكثير من البراهين الّتي تثبت حقّانيّة التشيّع، فلا نحتاج أبدًا إلى الاستدلال برواياتنا نحن، بل إنّنا لهذا الغرض في غنى تامّ عن الرجوع إلى مصادرنا.

العَجَب منهم!

عجبًا من الأشخاص الّذين لا يعتقدون بإمامة الأئمّة عليهم السلام و مع هذه الحال يقولون: لماذا أنتم الشيعة تعتقدون بإمامة شخصٍ لا يحضر بينكم للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر؟

نقول: عندما كان الأئمّة عليهم السلام موجودين بين الناس لم يكن لأحاديثهم و خطاباتهم أيّ اعتبارٍ لدى أئمّتكم و سلفكم! نحن من البداءة انعزلنا عنكم، نحن نعتقد بالخليفة بلا فَصل، و أنتم تعتقدون بالخليفة مع الفَصل![1]

(١) المقصود أنّ الشيعة يعتقدون بخلافة أمير المؤمنين عليه السلام و وصايته بعد النبيّ صلى الله عليه وآله مباشرة من غير فَصل، و من بعده بخلافة المعصومين الأحد عشر من ذريّته عليهم السلام واحدًا تلو الآخر. أمّا العامّة فإنّهم يعتقدون بخلافة أمير المؤمنين عليه السلام بعد خلافة الثلاثة، أي يفصلون بثلاثة خلفاء بين النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله و وصيّه المنصّب من قِبل الله تعالى عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

الروضة الثانية:

«إلماعةٌ من خصائص الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف»

مقامات الأئمّة الأطهار عليهم السلام و منازلهم

الوَيل لنا إذا ـ إضافة إلى إعراض الدنيا و أهلها عنّا ـ أعرض عنّا إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا و لم يقبلنا. لقد قال الأئمّة عليهم السلام حول مقاماتهم: «نَحْنُ خُزّانُ عِلْمِ اللهِ، نَحْنُ تَراجِمَةُ أَمْرِ الله، نَحْنُ قَوْمٌ مَعْصُومُونَ. أَمَرَ الله تبارك و تعالى بِطاعَتِنا، وَنَهى عَنْ مَعْصِيَتِنا، نَحْنُ الحجّة الْبالِغَةُ عَلى مَنْ دُونَ السّماءِ وَ فَوقَ الأَرْضِ»(١).

و أيضًا قالوا بهذه المضامين: «**إنَّ الله تَعالى خَصَّنا بِنَفْسِهِ، أقامَنا مَقامَهُ، جَعَلَ طاعَتَنا طاعَتَهُ وَ مَعْصِيَتَنا مَعْصِيَتَهُ**»(٢).

الوَيل لِمَن لا يُقرّ بثبوت هذه المقامات للأئمّة عليهم السلام! و الوَيل لمن يقول بثبوت هذه المقامات لهم عليهم السلام بالذات، و ليس بالتَّبَع و بالغير و من الله و بالله.(٣)

يُضيء كأنّه كَوْكَبٌ دُرّيٌّ

نعلم أنّ هناك مراتب. العصمة أيضًا لها مراتب. لذا نعتقد أنّ هناك تفاضلًا بين الأنبياء

---

(١) الكافي، ج١، ص٢٦٩.

(٢) راجع: الكافي، ج١، ص٤٤٠؛ بحار الأنوار، ج٢٥، ص٢٢؛ ج٣٣، ص٢٦٨؛ كمال الدين، ج١، ص٢٦٢ و ج٢، ص٣٨٠.

(٣) يعني أنّ الله تعالى أعطى الأئمّة الأطهار عليهم السلام هذه المقامات و هم لا يملكونها من تلقاء أنفسهم مستقلّين عن الله تعالى، بل حازوا تلك المقامات بقدرة الله سبحانه و من فضله.

و كذلك بين الأوصياء. من بين الأنبياء لدينا مَن هم أولو العزم. [و من بين أنبياء أولي العزم] لدينا خاتم الأنبياء ﷺ و هو أعلى رتبة من جميع أنبياء أولي العزم ﷺ. حتّى إنّ أوصياء خاتم الأنبياء ﷺ هم أفضل من أنبياء أولي العزم ﷺ؛ و كذلك نعتقد أنّ الخمسة الطيّبين [أصحاب الكساء ﷺ] مقدّمون على باقي الأوصياء. و كذلك صاحب زماننا عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو مقدّمٌ على باقي الأوصياء غير الخمسة الطيّبين. و هو في وسطهم «كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ»[1].

إمامته عجّل الله تعالى فرجه الشريف من معجزات الشيعة

إنّ إمامة طفلٍ في الخامسة من العمر من معجزات الشيعة![2]

مَثَلُهُ مَثَلُ غَيبِ الغيوب

بنفسي مقاماته عجّل الله تعالى فرجه الشريف! إنّ مَثله كغَيب الغيوب. إنّه ليس بعيدًا عنّا: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[3] [أي] و لو كنتم في قعر جهنّم. لكن نحن نبعّد أنفسنا عنه!

عين الله الناظرة

إنّ أهل بيت العصمة و الطهارة ﷺ هم عبادٌ عِلمهم و صوابهم مطّرد و جارٍ؛ أي أنّهم بما لديهم من مقام العصمة لا يُخطئون و لا يُذنبون. و إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو «**عَيْنُ اللهِ النَّاظِرَةُ، وَ أُذُنُهُ السَّامِعَةُ، وَ لِسَانُهُ النَّاطِقُ فِي خَلْقِهِ، وَ يَدُهُ الْمَبْسُوطَة**» و هوَ مطّلعٌ على أقوالنا و أفعالنا و أفكارنا و نيّاتنا. مع ذلك، و كأنّنا لا نعتقد بأنّ الأئمّة ﷺ و خاصّةً إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف

---

(١) ورد هذا التعبير في رواياتٍ متعدّدة، و للمثال ينقل الشيخ الصدوق ﷺ في كتابه عن الإمام الصادق ﷺ قولَ رسول الله ﷺ حول معراجه إلى السماوات: «لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ... فَإِذَا أَنَا بِأَنْوَارِ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ وَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَ محمّد بْنِ عَلِيٍّ وَ جَعْفَرِ بْنِ محمّد وَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى وَ محمّد بْنِ عَلِيٍّ وَ عَلِيِّ بْنِ محمّد وَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَ الحجّة بْنِ الْحَسَنِ الْقَائِمِ فِي وَسَطِهِمْ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ»؛ عيون أخبار الرضا ﷺ، ج١، ص٥٨. و للاطّلاع على رواياتٍ مشابهةٍ راجع: تفسير فرات الكوفي، ص٧٥؛ كفاية الأثر، ص٧٣و١٣٨؛ كمال الدين، ج١، ص٢٥٢؛ مقتضب الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر، ص١١و٢٤و٢٧؛ الغَيبة (للطوسيّ)، ص١٤٨؛ مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين و الأئمّة ﷺ، ص٣٩.

(٢) يقصد سماحة الشيخ ﷺ في هذه الكلمة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي عندما تسلّم أمر الإمامة كان في الخامسة من عمره الشريف، و قد شُرح مُراد سماحته في السؤال الرابع من الحديقة الثالثة من هذا الكتاب (الصفحة ٤٧٧).

(٣) سورة الحديد، الآية ٤.

حاضرون معنا و ناظرون إلينا، بل كأنّنا ـ كالعامّة ـ لا نعدّهم أحياءً أصلًا، و غافلون عن حضرته عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف بنحوٍ كامل!

الإمام الحاضر عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف

إلى الآن مرَّ أكثر من ألف سنة على غَيبة الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف. ماذا سيحصل فيما بعد، لا نعلم! لكنّنا نعلم هذا المقدار: يجب على الإنسان أن يراه عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف حاضرًا [عنده] و ناظرًا إليه؛ «**عَينُ اللهِ النّاظِرَةُ، و أُذُنُهُ الْواعية**». إذا كنّا نعلم أنّه «**أُذُنُهُ الْواعية**» و نعلم أنّه «**عَينُ اللهِ النّاظِرَةُ**»، [إذًا يجب أن نتيقّن بأنّ] هذا الكلام الّذي نتحدّث به هو يسمعه قبل أن يسمعه المستمعون إلينا. إنّه عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف يحضر في المجالس(١)، و هو يعلم جميع المطالب، حتّى إنّه يُجيب ـ مثلًا ـ إلى مَن يرجعون في التقليد. [مثلًا، لقد سُئل حضرته] كيف تكون علميّة فلان؟ [أجاب:] لا بأس بها. [ثمّ سُئل:] فلانًا الآخر كيف تكون علميّته؟...(٢) لقد نُقل عنه عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف إلى ما شاء الله من أمثال هذه المطالب في أثناء التشرّفات برؤيته... هذه الأمور حتّى لو لم تكن موجودة [فليس مهمًّا]، إنّما هي مؤيّدات لقطعيّات الشيعة(٣) [و بناءً على القطعيّات] نعلم بأنّهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حاضرون في مجالسنا؛ و هم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حاضرون بحضورٍ أقوى من حضور الحاضرين الآخرين؛(٤) و يسمعون أسرع من استماع الآخرين؛ و يرَونَ أفضل من رؤية الآخرين. في حين أنّنا نعدّهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كالعدم، مثل أولئك الّذين هم مُنكِرون لهم من الأصل!

مرآة العالم

كأنّه من المقرّر أنّ لا يُلحَظ وجود الله [تعالى] حين العمل! مع أنّ هناك رواية في «الكافي»

---

(١) يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذكر أحوال الإمام الحجّة عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف: «يَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمْ وَيَمْشِي فِي أَسْوَاقِهِمْ وَيَطَأُ فُرُشَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَهُ حتّى يَأْذَنَ اللّٰهُ لَهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ نَفْسَهُ»؛ الغَيبة (للنعماني)، ص١٦٤.

(٢) إشارة إلى أحد التشرّفات الّتي أجاب فيها الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف ذلك الشخص الّذي سأله عن المستوى العلميّ لأحد المراجع في النجف الأشرف: علميّته لا بأس بها!

(٣) يعني مثل هذه التشرّفات و المكاشفات ليست الدليل الوحيد لنا على الاعتقاد بحضور أهل البيت و الإمام الحجّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في المجالس، بل هي مؤيّداتٌ للمطلب، إضافةً إلى الدلائل القطعيّة الموجودة في هذا المجال.

(٤) يعني جميع الآثار الّتي تترتّب على حضور شخصٍ في مجلسٍ، فهي مترتبةٌ بنحوٍ أقوى و أشدّ على حضور أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لذا فإنّ حضورهم أقوى من حضور جميع الحاضرين و إن لم نرَهم.

تفيد أنّ للإمام عليه السلام عمودًا من نور، يُبصر به أعمال العباد في كلّ بلدة[1]، أو يأتيه ملَك بالأخبار.[2] كذلك فإنّ «روح القُدس» يؤيّده و يكون معه، [و هو] غير تلك الروح الّتي تنزّل عليه في كلّ سنةٍ مرّةً واحدةً في ليلة القدر.[3] حتّى لو أنّنا ـ مثلًا ـ أحطنا عملنا بستارٍ، لم يكن ذلك لينفع، فإنّ نظر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أحدّ و أنفذ [من أن يمنعه ستار]، و لم يكن ذلك ليوجِد مانعًا و حائلًا أمام عينيه اللّتَيْن تريان الواقع كما هو. و كذلك لا يُشترط المقابلة و المحاذاة في نظر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف [كي يرى، فإنّ اطّلاعه ليس من خلال الحاسّة الباصرة فقط]، بل هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف أينما كان فإنّ له الإشراف على الأرضين السفلى و السماوات السبع و ما فيهنّ و ما بينهنّ.[4] يقول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[5] و كذلك يقول: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَـٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[6].

إن ارتقت المعرفة بالإمام عليه السلام فسترتقي المعرفة بالله [تعالى] أيضًا؛ إذ أيّ آيةٍ أعظم من الإمام عليه السلام؟! إنّ الإمام عليه السلام هو مرآةٌ تبيّن حقيقة جميع العالَم.

المقدَّرات تُعرَض على الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف

هذه الأحداث المختلفة الّتي تقع في أيّام الأسبوع تُعرَض على الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في ليالي الجمعة، و يوقّع عليها. إنّ توقيعاته عليه السلام داخلةٌ [و مؤثّرةٌ] في الأمور، كما هو الحال في ليالي القدر، إذ تُعرَض فيها حوادث السنة على الوليّ و الإمام و أكمل أهل العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف[7].

---

(١) نُقلت رواياتٌ متعدّدةٌ في هذا المضمار، من جملتها ما جاء في روايةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام: «فَإِذَا صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ عَمُودًا مِنْ نُورٍ يُبْصِرُ بِهِ مَا يَعْمَلُ أَهْلُ كُلِّ بَلْدَةٍ»؛ الكافي، ج١، ص٣٨٧.

(٢) بصائر الدرجات، ج١، ص٩٥.

(٣) راجع: بصائر الدرجات، ج١، ص١٩و٤٥١؛ بحار الأنوار، ج٩٤، ص٥.

(٤) هناك رواياتٌ كثيرةٌ تفيد اتّصال علم الإمام عليه السلام بالعلم الإلهيّ، و لذا فإنّ الإمام ـ بإذن الله تعالى ـ عالِمٌ بكلّ ما كان و ما يكون و مُطّلع على جميع أحوال الكَون، و كمثال على ذلك ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ أَجَلُّ وَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَحْتَجَّ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ ثُمَّ يُخْفِي عَنْهُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» بحار الأنوار، ج٢٦، ص١١٠. و قد رتّب العلّامة المجلسيّ رحمه الله روايات عِلم الإمام في أبوابٍ حسب المناسب؛ لمزيدٍ من الاطّلاع راجع: بحار الأنوار، أبواب علومهم عليهم السلام، ج٢٦، ص١٨.

(٥) سورة مريم، الآية ١٢.

(٦) سورة مريم، الآية ٣٠.

(٧) نُقلت في هذا الخصوص رواياتٌ متعدّدة؛ من جملتها ما ورد عن داود بن فرقد أنّه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن

تلك المطالب نفسها تكون له في ليلة الجمعة أيضًا[١]، أي الأمور الواقعة و المخصوصة بين الجمعتين و ليس الأمور المشتركة طوال السنة.

عرض الأعمال على الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف

الله يعلم ماذا يكون تصنيفنا في دفتر إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و هو الّذي تُعرَض عليه أعمال العباد يومين في الأسبوع (يومَي الإثنين و الخميس)[٢]. لكنّنا نعلم هذا المقدار: **لسنا كما ينبغي أن نكون!**

النظرة الدقيقة إلى أعمال العباد

أَلَا ينبغي أن نلتفت إلى وجود رئيسٍ لنا و هو ناظرٌ إلى أحوالنا؟! الوَيل لنا إن لم نَرَه ناظرًا إلى أعمالنا أو لم نعتقد أنّه ناظرٌ في كلّ مكان! [إذا كانت] الذنوب الشخصيّة الّتي يرتكبها الإنسان في الخَلوة و لا علاقة لها بالأمور الاجتماعيّة، يستحقّ بها جهنّم إلّا بتوبةٍ مناسبةٍ للحال، فكيف ستكون عاقبة الذنوب الاجتماعيّة الّتي تُسبّب تغييراتٍ في المجتمع، أو زعزعة الأمن و النظام و انحلاله، أو تؤدّي إلى تحريم الحلال و ترك الواجب، أو مُصادرة الأموال و هتك الحرمات و قتل النفوس الزكيّة و إراقة دماء المسلمين و الحكم بغير الحقّ؟! و هل يمكننا أن نفرّ من النظر الإلهيّ أو نُخفي أنفسنا عنه مع اعتقادنا بوجود رئيسٍ و زعيمٍ هو عين الله الناظرة، و نأتي بما نشاء من أعمال؟! ماذا سيكون جوابنا و نحن نأخذ منه جميع وسائل العمل و أدواته، لكنّنا نستعملها لصالح عدوّه، و نصير آلةً في أيدي الكفّار و الأجانب و نُقدّم لهم العون؟! و كم سيكون الأمر صعبًا إن لم يصبح هذا الأمر مَلَكةً لدينا بأن: «نلاحظ

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾، فأجابه الإمام عليه السلام: «نَزَلَ فِيهَا مَا يَكُونُ مِنَ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ مِنْ مَوْتٍ أَوْ مَوْلُودٍ... إِلَى مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ. إِنَّ النَّاسَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فِي صَلَاةٍ وَ دُعَاءٍ وَ مَسْأَلَةٍ، وَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ فِي شُغُلٍ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَيْهِ بِأُمُورِ السَّنَةِ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِهَا مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَامٌ هِيَ لَهُ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ»؛ بصائر الدرجات، ج١، ص٢٢٠.

(١) عن أبي يحيى الصّنعانيّ عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «يَا أَبَا يَحْيَى، إِنَّ لَنَا فِي لَيَالِي الْجُمُعَةِ لَشَأْنًا مِنَ الشَّأْنِ، قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَ مَا ذَلِكَ الشَّأْنُ؟ قَالَ: يُؤْذَنُ لِأَرْوَاحِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَوْتَى وَ أَرْوَاحِ الْأَوْصِيَاءِ الْمَوْتَى وَ رُوحِ الْوَصِيِّ الّذي بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ حتّى تُوَافِيَ عَرْشَ رَبِّهَا فَتَطُوفَ بِهَا أُسْبُوعًا وَ تُصَلِّي عِنْدَ كُلِّ قَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ رَكْعَتَيْنِ، ثمّ تُرَدُّ إِلَى الْأَبْدَانِ الّتي كَانَتْ فِيهَا، فَتُصْبِحُ الْأَنْبِيَاءُ وَ الْأَوْصِيَاءُ قَدْ مُلِئُوا وَ أُعْطُوا سُرُورًا، وَ يُصْبِحُ الْوَصِيُّ الّذي بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ وَ قَدْ زِيدَ فِي عِلْمِهِ مِثْلُ جَمِّ الْغَفِيرِ»؛ الكافي، ج١، ص٢٥٣.

(٢) راجع: بحار الأنوار، ج٥، ص٣٢٩؛ ج٢٣، ص٣٣٥.

رضاه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و عدمه عند ابتداء كلّ عملٍ نريد أن نُقدِم عليه و نقوم به، و نجلب مرضاته و سروره». طبعًا، فإنّ رضاه و سخطه معلومان في كلّ أمرٍ، و الظاهر أنّه ينتهي إلى الواضحات، أمّا في غير الواضحات أو في الموارد المشكوكة فالواجب علينا هو الاحتياط.

و قد اتّفق في هذه السنوات الأخيرة أن حصل شكٌّ و تردّدٌ لأحدهم حول تعيين المرجع المؤهّل للتقليد، فعرّفوه في الرؤيا إلى سيماء الشخص المطلوب، فتوجّه إلى النجف و عثر عليه بعد مدّةٍ من البحث. كما حصل للبعض أيضًا أن تردّد بين البقاء على تقليد المرجع الميّت أو العدول إلى الحيّ، فسمع صوتًا ينبعث من قبر المعصوم عليه السلام: «ابقَ [على تقليد السابق]». طبعًا فإنّ كلّ واحدٍ من هذه النقول قابلٌ للتكذيب، لكن يُعلَم من مجموع هذه القضايا أنّ إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف ناظرٌ [إلينا] و مراقبٌ لنا، و لا نستطيع القول إنّه غير مطّلعٍ على أحوالنا، و أنّه يمكننا أن نقوم بأيّ عملٍ شئنا بكلّ حرّيّة [و دون أيّ قيدٍ].

الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرى قبل وصول النور

الآن اختُرِع التلفاز الّذي ينقل المَشاهد، يُقال إنّه في هذا التلفاز، و من خلال آلةٍ، عندما تتحدّث طوائف فإنّ كلامهم يصل إلى التُّرك بلسان الترك، و إلى الفُرس بلسان الفرس، و إلى الهنود بلسان الهنود، [إلّا أنّه] يُمكنه أن ينقل عددًا محدودًا من اللغات إلى الأفراد المُختلفين، و ذلك بواسطة الآلة الّتي اخترعوها؛ ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾[1]. لكن هناك رواية[2] أنّ إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف عندما يظهر يقول: «ألَا يا أهل العالم»، يُنادي خمسة نداءاتٍ لأهل العالم، و إنّ نداءاته تصل إلى كلّ شخصٍ بلُغته من دون [تدخُّل] أيّ جهازٍ أو اختراعٍ. [تصل إلى كلّ أحدٍ] في العالم، و ليس في هذه القارّات الخمس أو الأقاليم الأربعة فحسب، كلّا! هذه [الاختراعات البشريّة] محدودة، و [عملها] يكون من خلال جهازٍ [يُترجِم الكلام و يوصِله إلى الناس]. و لكنّ نداء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ليس محدودًا و يصِل إلى أهل العالم بدون جهازٍ: «[ألَا يا أهْل العَالَم أنا الإمَام القَائم] ألا يا أهْل العالَم أنا الصَّمْصَام المُنتقِم، ألَا يا أهْل العالَم إنّ جَدّي

(١) سورة الرحمن، الآية ٣٣.

(٢) «إذا ظَهرَ القائِمُ، قامَ بَينَ الرُكنِ وَالمَقامِ وَيُنادي بِنِداءاتٍ خمسةٍ: الأوّل: ألا يا أهلَ العالمِ أنَا الإمامُ القَائِمُ، الثّاني: ألا يا أهلَ العالَمِ أنَا الصّمصَامُ المُنتَقِمُ، الثّالِثُ: ألا يا أهلَ العَالَمِ إنّ جَدّيَ الحُسينَ قَتَلُوهُ عَطشانًا، الرّابِعُ: ألا يا أهلَ العَالَمِ إنّ جدّيَ الحُسينَ طَرَحُوه عُريانًا، الخامِسُ: ألا يا أهلَ العَالَمِ إنّ جَدّيَ الحُسينَ سَحَقُوه عُدوانًا»؛ إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ج٢، ص٢٣٣.

الحُسَين قَتَلُوه عَطشَانًا، أَلا يا أهلَ العالَم إنّ جَدّي الحُسَين طَرَحُوه عُريَانًا، أَلا يا أهل العالَم إنّ جَدّي الحُسَين سَحَقُوهُ عُدوَانًا»، يصل إلى كلّ شخصٍ بلُغته، هذا هو الفرق بين الإعجاز و بين تلك الأعمال الّتي تحصل من خلال تهيئة الأسباب [و تجهيز المقدّمات]، و هذا نفسه من علامات الإمامة الواقعيّة الّتي هي بمنزلة النبوّة، هذا هو الإعجاز. أنّى لنا أن نصل إلى معرفة مقاماتهم! هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف عين الله الناظرة و أذنه الواعية، هذا الكلام الّذي أقوله و يسمعه الشخص الجالس بقُربي، الإمام عليه السلام يسمعه قبله، هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف أُذن الله السامعة. كلامي أنا مع جليسي، هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف يسمعه قبل جليسي، وكذلك قبل أن أسمع أنا كلام جليسي، فإنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يسمعه. و الأمر نفسه في النظر و المشاهدة، هناك برقٌ [أي نورٌ]، و هناك حدودٌ لسرعة هذا النور و زمانٌ لوصوله [كي تتحقّق الرؤية]، لكنّ إبصار الإمام عليه السلام ليس له محدوديّة. إذا حصل شخصٌ من خلال هذه المطالب على المعرفة، سيفهم أنّ مسألة ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و غَيبته هي هكذا: نحن لا نراه و لكنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرانا، نحن لا نسمع كلامه و لكنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يسمع كلامنا.

لا يخفى عليه شيء

لا يخفى على الإمام عليه السلام شيءٌ. هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف دائمًا يعلم ـ مثلًا ـ أنّ في المكان الفلانيّ يوجد كنز، و يعلم كيف يكون ذلك الكنز، و في أيّ مكانٍ أيّ أشياء نفيسةٍ موجودة. إنّ ذلك على الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سهلٌ يسيرٌ، لقد نُقل حتّى عن علمائنا العظام عجائب و غرائب تجعل الإنسان يقفُ مُتحيّرًا. [مثلًا] دخل المرحوم الشيخ عبد الحسين الطهرانيّ رحمه الله مسجد المتوكّل العبّاسيّ و قال: «احفروا هنا!»، فحفروا و وجدوا أحجار مرمر عجيبة و غريبة و ثمينة مدفونة هناك، فاستخرجوها و استعملوها في [بناء] حرم الإمامين العسكريّين عليهما السلام و فرشوا بها أرض الحرم كاملة. مَن كان يعلم بأنّ تلك الأحجار الثمينة مدفونةٌ هناك؟!

لقد سمعت ـ لكن يجب التحقيق في الروايات لمعرفة إن كان مثل هذا الأمر مذكورًا فيها أم لا، كما أنّه ورد في زيارةٍ [لأمير المؤمنين عليه السلام]: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَى وَلَدَيْكَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلَى ضَجِيعَيْكَ آدَمَ وَنُوحٍ وَعَلَى جَارَيْكَ هُودٍ وَصَالِحٍ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»[1] ـ أنّه يُقال إنّ السيّد بحر العلوم أشار إلى مكانٍ [في وادي السلام] و قال: «احفروا هنا!». فحفروا و ظَهَرَ لهم لوحٌ مكتوبٌ عليه «هذا قَبْرُ هُودٍ وَ صالحٍ». قبر هودٍ و بجانبه قبر صالحٍ أيضًا. و إلى الآن ذلك المكان يكون معمورًا.

---

(١) زاد المعاد، ص٤٨٦.

يُحتمل أن يكون مقام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الموجود في النجف هكذا أيضًا، إذ إنّ أحد العلماء قد عيّنه [و حدّد مكانه] و قال إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف شرّف هذا المكان بحضوره فيه.

هادٍ كالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف

هل يمكن أن يكون الإنسان باذلًا جهده في هداية الناس بقدر الاستطاعة، مثل الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ثمّ لا يكون محلًّا لعنايته و نظره عجّل الله تعالى فرجه الشريف و هو «عَينُ اللهِ الناظِرَة»؟!

الوَيل لمن يرى و يُشخّص بأنّ مراعاة الظلم و إعانته، أو أنّ الدفاع عن الظلم هو خيرٌ له! يا ليتنا نُدرك «لَيسيّة»[1] عالم الإمكان و عدميّته و أنّه لا شيء، فلا كنّا نعتقد بكلّ هذه القيمة و هذا الاعتبار للا شيء، و لا كنّا نتنازع كلّ هذا على لا شيء!

حضور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أصحاب الكساء عليهم السلام في المجالس

لقد نقلوا كثيرًا أنّهم رأوا الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف حاضرًا في مجالس التوسّل أو حديث الكساء. و إنْ كان جدّه الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله و أمير المؤمنين و السيّدة فاطمة و الإمامان الحسنَان عليهم السلام أيضًا موجودين، لأنّ أصحاب الكساء عليهم السلام هم أفضل من حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لكن للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف فضيلة و خصيصة لم تكن لهم عليهم السلام، و هي طول العمر و الإشراق و الإفاضة بسببه.

واسطة الفيض

أين ذهب أولئك الّذين كانوا «يذَكِّرُكمُ اللهَ رُؤيَتُهُ»[2]؟! يُقال إنّ السمك ما دام موجودًا في الماء لا يعرف قَدْره!

---

(١) يقصد سماحته قدّس سرّه أنّ الطبيعة التكوينيّة لعالم الدنيا عدميّة، فهي فانية لا بقاء لها و كأنّها ليس لها وجود أصلًا، كما وصفها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في العديد من خطبه وكلماته بأنّها ليست محطّ الرحال، بل هي دار فناء و عناء و غِيَر و عِبَر، و أنّها زائلة و بائدة. و لو أدرك الإنسان حقيقة الدنيا، لَمَا رغب بها و تعلّق بزخارفها الواهية.

(٢) إشارة الى هذه الرواية المرويّة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «قَالَتِ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى: يَا رُوحَ اللَّهِ، مَنْ نُجَالِسُ؟ قَالَ: مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ رُؤْيَتُهُ وَيَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ وَيُرَغِّبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ»؛ الكافي، ج١، ص٣٩؛ و راجع: مصباح الشريعة، ص١٦١؛ بحارالأنوار، ج١، ص٢٠٣.

إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشّريف هو الواسطة بين الخالق و المخلوق، يُعطي رشحاتٍ إلى هذا و قطراتٍ إلى ذاك. إن استفاض منه ألف شخصٍ أو أكثر فلا يرجعون خَوالي الوِفاض، نحن إن كانت لدينا همّةٌ عاليةٌ يمكننا فقط أن نقول للناس هذه هي الطريق و تلك هي البئر [و الفخّ]، و هذه هي طريق الكمال و تلك طريق الزوال، و هذه طريق الصعود و تلك طريق السقوط، فحذارِ أنْ تضلّوا!

يأخذ بأيدينا ليوصلنا سالمين

بدء حركة الإنسان في طريق الكمال و المعرفة هو القابليّة و الاستعداد اللذان يمكّنانه أن يبلغ كلّ شيء مِن لا شيء، و غاية السير و مقصده هو الله تعالى. و الربوبيّة الإلهيّة تقتضي أيضًا أن يُساعد [الله تعالى] الإنسان و يأخذ بيده طوال مسيرة حركته التكامليّة للوصول إلى المنزل المقصود. فقد جاء في دعاء أبي حمزة الثماليّ: «مِنْ أَيْنَ لِيَ الْخَيْرُ يَا رَبِّ وَلَا يُوجَدُ إِلَّا مِنْ عِنْدِكَ»[1]. فالله تعالى هو حافظنا و وليّنا و قائدنا و صاحبنا في طريقنا، كما يقول هو سبحانه [عن نفسه]: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[2]؛ أي يخرجهم من ظلمات الحيرة و يرشدهم إلى نور الهداية.

نحن مُعرَّضون للغرق في بحر الحياة، و تلزم إغاثة وليّ الله عجّل الله تعالى فرجه الشّريف حتّى نصل سالمين إلى المقصد، يجب أن نستغيث بوليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشّريف لينير لنا المسير ويصطحبنا معه إلى المقصد.

الملجأ الحقيقيّ

إذا عرف أهل الإيمان ملجأهم الحقيقيّ و لجؤوا إليه، فهل من الممكن أن لا يُصبِحوا محلًّا لعناية تلك الناحية المقدّسة عجّل الله تعالى فرجه الشّريف ؟!

ليس غائبًا عن الّذي يراه حاضرًا!

لم أسمع بلا واسطة، لكنّني سمعت مع الواسطة، أنّ بعض أهل الجفر كانوا مُبَعِّدين [لوقت

---

(١) إقبال الأعمال، ج١، ص٦٧؛ مفاتيح الجنان، الباب الثاني، الفصل الثالث، أعمال أسحار شهر رمضان، دعاء أبي حمزة الثماليّ، ص١٨٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

الظهور]، و لقد قال أحدهم: إذا قلت لكم [متى سيكون وقت الظهور] ستقومون و تذهبون! لكنّ البعض ـ مع الالتفات إلى بعض الروايات ـ كانوا يرونه قريبًا. على أيّ حالٍ، الغَيْبة ليست مُطلقة. فليست هناك غَيبةٌ للذين يرونه حاضرًا و في كلّ لحظةٍ كلّ ما يطلبونه إليه يجدونه مُستجابًا! نعم، إنّ العدل العامّ الّذي شرطه أن تكون هناك هيئةٌ حكوميّةٌ اجتماعيّةٌ بالوجدان غير موجود. إضافةً إلى ذلك، ورد في بعض الروايات أنّ عمودًا من نورٍ يكون بينه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و بين المؤمنين، و يُستفاد منها أنّ تطلّعه إلى المؤمنين يختلف عن تطلّعه إلى جميع العالم، و أنّ للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نظرة خاصّة إليهم. إذا اعتقد الإنسان بهذا المطلب سوف يتغيّر [حاله] كثيرًا و لا يقوم بكثيرٍ من الأعمال. البعض يظنّون أنّهم بسبب غَيبة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لم يعد لهم من مُغيث، و أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يقوم بأيّ عملٍ. كيف يقضي آباؤه المتوفّون عليهم السلام حوائج الناس و الزائرين و المتوسّلين؟! [فهل] هو الّذي يكون حيًّا لا يُمكنه ـ نعوذ بالله ـ أن يقضي حوائجهم؟! البعض يظنّون أنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغَيبة في حالةٍ كالنوم مثل أصحاب الكهف!

التوسّل به عجّل الله تعالى فرجه الشريف استغاثة باسم الله الأعظم

ابن السيّد مرتضى الكشميريّ ـ الّذي قال والده في حقّه كما يُنقَل: «إنّ ابني هذا له شأنٌ و لكنّي لا أدركه» ـ كان قد قال: إنّ ذكر «**يا صَاحب الزّمان أَغِثني، يا صَاحب الزّمان أدرِكني**» له فعل الاسم الأعظم و تأثيره[1]. و ظاهرًا، هو نفسه الّذي قال لأحدهم: الآن، إذ أنت بحاجةٍ [إلى

---

(١) بلا شكٍّ، إنّ اسم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف عزيزٌ على الله و يترتّب على اسمه عجّل الله تعالى فرجه الشريف المبارك ما يترتّب على اسم الله الأعظم، لأنّ وجوده الطاهر هو أعظم آيات الله جلّ جلاله و تجلٍّ لاسمه الشريف. و في هذا المجال، نقل الشيخ الجليل المحدّث النوريّ رحمه الله حكاية لتنجلي بها القلوب و ليُخلِص الإنسان في توسّله بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في حالتَي الرخاء و الشدّة، إذ قال: «نقل مشافهةً الصالح الورع التقيّ المتتبّع المرحوم الحاج الملّا محمّد باقر البهبهانيّ المجاور [للإمام عليّ عليه السلام] بالنجف الأشرف. و كذلك كَتَبه في الدمعة الساكبة في معجزات الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف قال: فالأولى أن يُختم الكلام بذكر ما شاهدته في سالف الأيّام، و هو أنّه أصاب ثمرة فؤادي و من انحصرت فيه ذكور أولادي، قرّة عيني عليّ محمّد، مرضٌ يزداد آنًا فآنًا، و يشتدّ فيورثني أحزانًا و أشجانًا، إلى أن حصل للناس من برئه اليأس و كان العلماء و الطلّاب و السادات و الأنجاب يدعون له بالشفاء في مظانّ استجابة الدعوات، كمجالس التعزية و عقيب الصلوات. فلمّا كانت الليلة الحادية عشرة من مرضه، اشتدّت حاله و ثقلت أحواله و زاد اضطرابه، و كثر التهابه، فانقطعت بي الوسيلة، و لم يكن لنا في ذلك حيلة، فالتجأت بسيّدنا القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فخرجت من عنده و أنا في غاية الاضطراب و نهاية الالتهاب، و صعدت سطح الدار، و ليس لي قرار، و توسّلت به عليه السلام خاشعًا، و انتدبت خاضعًا، و ناديته متواضعًا، و أقول: «يا صاحب الزمان أغثني، يا صاحب الزمان أدركني»، متمرّغًا في الأرض،

المال]، اذهب إلى المصرف البريطانيّ، [و ادخل] من الجانب الأيمن، عند الشقّ الثالث، و خذ كلّ مقدار المال الّذي تحتاج إليه ـ و ليس أكثر ـ ثمّ ارجع، و لن يراك أحدٌ![1]

إنّه قريبٌ منّا جدًّا!

يجب أن نعتقد أنّ عناية الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إمداده يشملان الشيعة في الوقائع و الحوادث و الابتلاءات، و أنّ ذلك الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو مفترض الطاعة و حيٌّ، و سيظهر قطعًا، و هو «**عَيْنُ اللهِ النَّاظِرَةُ**»[2]، و مُطّلعٌ على أحوالنا.

لقد رأينا أشخاصًا كأنّ لهم مع حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف مُخابرة و برقيّة [اتّصالًا شفهيًّا أو مكتوبًا] في الشدّة و الرخاء، كلّما كانوا يطلبون إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف شيئًا كان يتحقّق هو نفسه! كان هناك شخصٌ راجلًا في الصحراء و تَعِبًا، فقال ثلاث مرّاتٍ: يا إمام الزمان أرسِل إليّ مركبًا. فظهرت له عربةٌ فورًا، فأركبه صاحبها و أوصله إلى المقصد!

إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قريبٌ منّا جدًّا، و لكنّنا لا نراه و نظنّه بعيدًا!!

إنّما حضوره عجّل الله تعالى فرجه الشريف أشدُّ من الجميع...

نحن نقطع بأنّ [إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف] على الرغم من غَيبته، إلّا أنّه يقوم بكثيرٍ من شؤون الحاضرين. نعم، هو تابعٌ للإذن الإلهيّ؛ طبعًا، إنّ الإماتة و الإحياء يجب أن يكونا بإرادة الله تعالى. هل كلّ مريضٍ نحن نطلب شفاءه سيُشفى؟ لا يمكننا القول بهذا! هل كلّ دعاءٍ سيستجاب؟ لا نعلم! إنّ للمصلحة إدارة و حيثيّات أخرى. لقد شفى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف المرضى و المتوسّلين بحضرته [كثيرًا] إلى ما شاء الله، بحيث هم أنفسهم كانوا يفهمون [أنّ شفاءهم كان بواسطة الإمام الحجّة (صلوات الله عليه)].

و متدحرجًا في الطول و العرض، ثمّ نزلت و دخلت عليه، و جلست بين يديه، فرأيته مستقرّ الأنفاس مطمئنّ الحواسّ، قد بلّه العرق، لا بل أصابه الغرق، فحمدت الله و شكرت نعماءه الّتي تتوالى، فألبسه الله تعالى لباس العافية ببركته عليه السلام»؛ النجم الثاقب، ج٢، ص٧٨٠.

(١) من البديهيّ أنّ هذا التصرّف كان من باب عدم حرمة أموال الكفّار و كذلك إجازة مجتهدٍ جامعٍ للشرائط.

(٢) راجع: الإمامة و التبصرة من الحيرة، ص١٣٢؛ التوحيد (للصدوق)، ص١٦٧؛ المزار الكبير، ص٢١٧؛ بصائر الدرجات، ج١، ص٦١؛ جمال الأسبوع، ص٣٧.

في العام الماضي [عندما كنت] في مشهد، أتى شخصٌ إلى جانبي و قال: ليلَ الأمس، في حرم الإمام الرضا عليه السلام، رأيت خمس كراماتٍ من حضرته. و من العجيب أنّني في هذه السنة، سمعت أنّ شخصَيْن وكلَيهما من العرب و من المعاودين[1] المقيمين في مشهد و قد كانا مبتلَيْن بمرضٍ صعب العلاج، كلّ واحدٍ منهما على حدةٍ توسّل بالإمام الرضا عليه السلام لشفائه و قضاء حاجته، وكلٌّ منهما قال إنّه في ليلة التوسّل نفسها رأى السيّدة المعصومة عليها السلام في المنام تقول: «إنّ الإمام الرضا عليه السلام قال: لقد قُضيَت حاجتك!». و قالت لأحدهما، الّذي كان يحتاج إلى عمليّةٍ جراحيّةٍ في رأسه: «لم تعُد بحاجةٍ إلى العمليّة!»، و قالت للآخر: «لقد بكيتَ كثيرًا، لا تبكوا كثيرًا، لأنّ الإمام عليه السلام يتأذّى و يتأثّر من بكائكم أنتم الزوّار و الأولياء [المُوالون]!»[2].

نستفيد من هذا، أنّ للإمام الرضا و السيّدة المعصومة عليهما السلام اتّحادًا و اتّصالًا، و إنّما جميعهم عليهم السلام نورٌ واحدٌ؛ لذا إنْ توسّل الإنسان بأيٍّ منهم، [يُمكن أن] يأخذ الجواب من الآخر. طبعًا هناك مصحّحٌ في الأمر[3]؛ كما طلب [أحدٌ] الحاجة من رسول الله صلى الله عليه وآله، فحوّله إلى أمير المؤمنين، و هو عليه السلام بدوره حوّله إلى الإمام الحسن عليه السلام، و هكذا حوّلوه إلى إمامٍ تلوَ آخر حتّى وصل إلى إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ لأنّ مُجري الأمور في هذا الزمان هو ذلك الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف[4].

أينما يحضر عجّل الله تعالى فرجه الشريف يخضرّ مكانه

القرآن و العترة عليهم السلام هما مع بعضهما [و متلازمان]. إذًا، بقدر تقرُّبنا من أحدهما نتقرّب من الآخر أيضًا. لكن أين مكان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟ يُقال إنّ هناك جزيرةً خضراء. ربما يكون كصاحبه الخضر عليه السلام، الّذي تخضرّ أطراف أيّ مكانٍ يكون هو فيه. الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا، المكان الّذي هو فيه، تكون أطرافه مُخضرّة.

---

(١) إشارة إلى أشخاص كانوا إيرانيين أصولًا و استوطنوا العراق سنواتٍ طويلة ثمّ أخرجهم صدّام اللعين.

(٢) المؤكّد و الموصى به في الروايات هو الإصرار و الإلحاح في الدعاء و الاستمرار في التوسّل و الطلب، و في الوقت نفسه أن يكون الداعي في حالة التسليم المطلق، و ليس أن يكون كحال الطفل الّذي يريد بصراخه و بكائه و ضجيجه أن يأخذ ـ على أيّ حال ـ من أمّه ما ليس من صالحه. بل المطلوب هو الدعاء مع التضرّع المصحوبان بالتسليم، أي نعتقد أنّ الحاجة المطلوبة إن كان فيها صلاحنا فسيقضونها لنا حتمًا.

(٣) يعني عندما يُرجِع المعصوم عليه السلام شخصًا إلى معصومٍ آخر في موضوعٍ معيّن، فحتمًا هناك سرٌّ في القضيّة، و سبب تصحيح هذه الإرجاعات موجودٌ و ليس فعله جزافًا، بل مشتملٌ على حِكَمٍ بالغةٍ.

(٤) أي الإمام المهديّ (صلوات الله عليه).

مع ما كان للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من أبلغ مراتب الحضور و أعلى مراتب الخشوع، إلّا أنّني لم أرَ [في خبرٍ] أنّه قد علّم شيئًا حول البكاء [في الصلاة]، بل كأنّ صلاته صلى الله عليه وآله كانت ميسورة. و ينقل البعض أيضًا: لقد رأينا الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و كان يصلّي على نحوٍ متعارفٍ جدًّا[١].

الخائف بسبب ذنوبنا!

ورد في زيارة الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُهَذَّبُ الْخَائِفُ»[٢]. مع أنّ الإنسان إنّما ينبغي أن يكون خائفًا فيما لو كان خائنًا، أمّا المهذّب و الطاهر البريء من الذنوب لا يخشى أحدًا، لكنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف خائفٌ من إظهار نفسه مع كلّ ذلك الطُّهر. و بناءً على هذا، فإنّ تنقُّله في الصحاري[٣] من مكانٍ إلى آخر لأكثر من ألف سنةٍ و هو خائف إنّما هو بسبب ذنوبنا و أعمالنا نحن!

أيّ صبرٍ أعطاه الله!

مع كمال محبّتنا لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فإنّ ظهوره ليس مَنوطًا لا بكلامي و لا بكلامكم. لقد اقترحوا على أمير المؤمنين عليه السلام أن يُسالِم معاوية! فلو كان البناء أن يقبل كلامهم لكان قَبِله منذ البداءة. فقد قالوا له: صالِحه، فإذا استقرّت حكومتك حارِبه. و لكنّ الإمام عليه السلام لم يقبل كلامهم.[٤]

---

(١) المقصود هو أنّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام كانوا يجهدون في خلواتهم و صلواتهم غاية الجهد، كما كانوا معروفين بطول العبادة و التضرّع و الخشوع التامّ، أمّا في صلوات الجماعة أو في مقام تعليم المسلمين فكانوا يصلّون بصلاة أضعفهم، أي كانت الصلاة متناسبةً مع أضعف الناس. و كان سماحة الشيخ قدس سره يشير مرارًا إلى أنّ العبادات السهلة و المختصرة إن صدرت من أهلها ستكون لها آثارٌ عجيبة و عظيمة، و لكن إن صدرت من غير أهلها، حتّى إن كانت مطوّلة و مفصّلة فلا أثر لها. اذًا، يجب على الإنسان أن يهتمّ أوّلًا بتقوية كيفيّة العبادات و الحضور القلبيّ في إتيانها، و ثانيًا أن يزيد في كمّيّة عباداته متناسبًا مع إقبال قلبه و حاله، لا مجرّد أن يزيد في كمّيّة العبادات و هو غافلٌ عن إصلاح كيفيّتها.

(٢) جمال الأسبوع، ص٣٧؛ مفاتيح الجنان، الباب الأوّل، الفصل الخامس، زيارة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في يوم الجمعة، ص٥٩.

(٣) راجع: كمال الدّين، ج٢، ص٤٤٧.

(٤) نُقل أنّه بعد تولّي أمير المؤمنين عليه السلام خلافة المسلمين جاء المغيرة بن شعبة إلى محضره مقترحًا عليه إبقاء عمّال عثمان ـ و لا سيّما معاوية ـ في مناصبهم، و بعد استقرار حكومته و استحكام أعمدتها يقوم بعزلهم، فقال له

أيّ صبرٍ قد أعطى الله تعالى الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فلأكثر من ألف سنةٍ و هو يرى أيّ بلاءاتٍ تُصَبّ على رؤوس المسلمين، و أيّ بلاءاتٍ يجلبها المسلمون هم أنفسهم لبعضهم البعض، و هو يتحمّل كلّ ذلك!

هو وارث الأنبياء

[في أحد الأيّام] كان الزهريّ عند عبد الملك حين وصله كتابٌ فيه: إنّنا وجدنا قصرًا في المكان الّذي تمّ الاستيلاء [و السيطرة] عليه من خلال القتال، و يُقال إنّه قصر سُليمان بن داود، لكنّنا لم نتمكّن من دخوله مهما سَعينا، ليس للدّخول إلى هذا القصر أيّ طريقٍ. فقال الزهريّ: نعم، إنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام قال لي إنّ سليمان بن داود بنى قصرًا لا يُمكن لأحدٍ أن يدخله سوى المهديّ عليه السلام، الّذي هو من وُلدِنا. فأجابه عبد الملك: كذبتَ و كذب عليّ بن الحسين؛ المهديّ منّا! فقال الزهريّ: أمّا أنا فرويته لك عن عليّ بن الحسين ـ و هو موجودٌ [حيٌّ] ـ فإن شئت فاسأله عن ذلك و لا لَوم عليّ فيما قُلته لك. لم يكن يعلم ماذا سيقول ذلك الخبيث، فقال: «لا حاجة لي إلى سؤال ابن أبي تراب!»[1] [أي] ما لي و لابن أبي تراب؟! أنا أذهب و أسأله؟! ماذا تقول أنت؟ ما لي و لابن أبي تراب؟! عندها فَهِمَ الزهريّ أنّ أساس الكلام عداوةٌ و نزاعٌ على الحكومة و ليس أمرًا آخر![2]

الطَّلعة الرَّشيدة

لقد ورد في روايةٍ أنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف عندما يظهر يتراءى للنظر [أنّه] في سنّ الأربعين.[3]

الإمام عليه السلام: «لَا أُدَاهِنُ فِي دِينِي وَلَا أُعطِي الدَّنِيَّةَ فِي أَمرِي». و بعد ذلك اقترح ابن عبّاس على الإمام عليه السلام الصلح مع معاوية لكنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقبل ذلك و قال له: «لَا أَعطِيه إلَّا السَّيف». راجع: الفصول المهمّة، ج١، ص٣٥٨ ـ ٣٦٠؛ تاريخ الطبريّ، ج٣، ص١٩٧و١٩٨.

(١) راجع: مقتضب الأثر، ص٤٣ ـ ٤٥؛ بحار الأنوار، ج٥١، ص١٦٤ ـ ١٦٦.

(٢) أي إنّ تكذيب رواية الإمام السجّاد عليه السلام بأنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو من أهل البيت عليهم السلام، لم يكن بسبب جهله بمقام الإمام السجاد عليه السلام و شأنه، بل كان بسبب حبّ الحكومة و الرئاسة.

(٣) عَن أَبي عَبدِ الله الحُسَينِ بنِ عَليّ عليهما السلام أنّهُ قالَ: «لَو قَامَ المهديّ لَأنكَرَهُ النّاسُ، لِأَنّهُ يَرجِعُ إلَيهِم شَابًّا مُوَفَّقًا، وَإنَّ مِن أَعظَمِ البَلِيَّةِ أَن يَخرُجَ إلَيهِم صَاحِبُهُم شَابًّا وَهُم يَحسَبونَهُ شَيخًا كَبيرًا»؛ عقد الدرر في أخبار المنتظر، ص٤٢. و عَن أبي الصَّلت الْهَرَوِيّ قَالَ: «قُلتُ لِلرِّضَا عليه السلام: مَا عَلَامَاتُ الْقَائِمِ مِنكُم إذَا خَرَجَ؟ قَالَ: عَلَامَتُهُ أَن يَكُونَ شَيخَ السِّنّ شَابَّ الْمَنظَرِ، حتّى إنَّ النَّاظِرَ إلَيهِ لَيَحسَبُهُ ابنَ أَربَعِينَ سَنَةً أَو دُونَهَا، وَإنَّ مِن عَلَامَاتِهِ أَن لَا يَهرَمَ بِمُرُورِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي حتّى يَأتِيَهُ أَجَلُهُ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٦٥٢.

الروضة الثالثة:

«زمن الغَيبة (حرمانٌ، فُرَصٌ وعَطايا)»

أشدّ مصيبة

أظنّ أنّ مصيبة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام أشدّ بكثيرٍ جدًّا من مصائب آبائه المطهّرين عليهم السلام؛ لأنّه عايَن، و عايَش ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله بأنّه [أي ابنه الإمام المهديّ عجّل الله فرجه] يغيب، ثمّ يظهر بعد أن تمتلئ الأرض ظُلمًا و جَوْرًا. و قد رأى أنّ وقتها [أي الغَيبة] قد حان. كم كان هذا الأمر صعبًا عليه. [و قد أوصى الإمامُ العسكريّ عليه السلام إمامَ العصر عجّل الله فرجه فقال]: يا سيّد أهل بيته، لا تبقَ في البلاد، بل اخرج إلى الصحاري، و لا تبقَ في مكانٍ يرونك فيه و يعرفونك، فيقتلوك[1]. و قد قام عجّل الله فرجه بهذا الأمر فعلًا.

تهيئة الشيعة لعصر الغَيبة

كان الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام يسعى كثيرًا لتهيئة الناس للغَيبة؛ وكان أحيانًا يُسدِل ستارًا [بينه و بين قاصديه، ليعتادوا على عدم رؤية الإمام عليه السلام]. وكانت للغَيبة الصغرى أيضًا العلّة نفسها. كان يجب أن يُهيّأ الشيعة لهذا الزمن العصيب. و من الممكن أن يكون

---

(١) في تشرُّف عليّ بن مهزيار بلقاء الإمام الحجّة عجّل الله فرجه قال له الإمام عجّل الله فرجه: «إِنَّ أَبِي عليه السلام عَهِدَ إِلَيَّ أَنْ لَا أُوطِنَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا أَخْفَاهَا وَأَقْصَاهَا، إِسْرَارًا لِأَمْرِي وَتَحْصِينًا لِمَحَلِّي، لِمَكَايِدِ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْمَرَدَةِ مِنْ أَحْدَاثِ الْأُمَمِ الضَّوَالِّ، فَنَبَذَنِي إِلَى عَالِيَةِ الرِّمَالِ وَجُبْتُ صَرَائِمَ الْأَرْضِ، يُنْظِرُنِي الْغَايَةَ الَّتِي عِنْدَهَا يَحُلُّ الْأَمْرُ وَيَنْجَلِي الْهَلَعِ.... وَاعْلَمْ يَا أَبَا إسحاق أَنَّهُ قَالَ عليه السلام: فَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ بِلُزُومِ خَوَافِي الْأَرْضِ وَتَتَبُّعِ أَقَاصِيهَا، فَإِنَّ لِكُلِّ وَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَدُوًّا مُقَارِعًا وَضِدًّا مُنَازِعًا»؛ كمال الدين، ج٢، ص ٤٤٧.

تعبير «الظهور الأصغر» تعبيرًا عن مقدّمات الظهور إلى حين استقراره. و قد كان من بين علماء النجف بعض الّذين هم من أهل علم الجفر و أمثاله، وكانوا مبعِّدين لهذه القضيّة [أي الظهور]، و قد قالوا لأحدهم: لا أنت تراه، و لا ولدك، و لا حفيدك، و لا...! و في المقابل، البعض كانوا مقرّبين له، وكان شاهدهم على ذلك الباب و الجدار؛ [ف] لكلّ شيءٍ لسان، و نحن لا نفقه لسان [و لغة] الباب و الجدار! [قال تعالى:] ﴿وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1].

أشدّ حرقةً من مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام

عندما نتأمّل نرى أنّ كلّ ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام قد وقع في يومٍ واحد. و عندما عَلِم أهل الكوفة و البصرة بخبر قتله عليه السلام حزنوا لذلك. و الله يعلم كم كان حُزن أهل الإيمان شديدًا لابتلاء الإمام عليه السلام، و شهادته، و أسر أهل البيت عليهم السلام، إلى حدٍّ كأنّهم لم يكونوا ليصدّقوا حصول ذلك! و قد تقرّحت قلوب المؤمنين طول ذلك الوقت. أمّا نحن فمبتلون منذ أكثر من ألف سنة [بغَيبة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و بما يترتّب على غَيبته من ابتلاءات]، و الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف مُبتلى، و الأعداء لا يسمحون بمجيئه، و قد سجنوه. و هل من سجنٍ أشدّ من أن لا يتمكّن عجّل الله تعالى فرجه الشريف من إظهار نفسه في أيّ معمورة، و يُعرّف عن نفسه؟! و الله يعلم ما أبلَغ قرحة قلوب المؤمنين في هذه المدّة الّتي تزيد على ألف سنةٍ و الّتي يكون فيها الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في السجن. و هل من اللائق [بنا] أن يكون الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف مبتلى بمصائب و ابتلاءاتٍ شبيهةٍ بقضيّة الحسين بن عليّ عليهما السلام في هذه المدّة الطويلة، و [لكنّنا] نحن نرقص و نفرح؟![2]

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٤٤.

(٢) هناك نَحوان من الفرح: أحدهما: أن يفرح الإنسان من صميم قلبه في هذه الدنيا الفانية، و يَسعد و ينتشي. و ينشأ هذا النحو نتيجة الإقبال على الدنيا، و اللهو، و انشغال القلب بمتاع الدنيا القليل، و الغفلة عن حساب القيامة و عن دار البقاء. و هذا النحو مذموم، و لا يعيشه المؤمن الملتفت إلى كون الدنيا فانية، و غير الغافل عن الله تعالى و الآخرة. إذ في الوقت نفسه الّذي يقول فيه الله تعالى للإنسان: لا تنسَ نصيبك من الدنيا فإنّه عزّ و جلّ يُحذّره أيضًا من الانكباب على الفرح و النشوة؛ قال تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ (سورة القصص، الآيتان ٧٦ و ٧٧). و الثاني: أن يفرح المرء لفرح أهل البيت عليهم السلام في مثل أعيادهم، و ذكرى ولاداتهم؛ و قد ورد في وصف المؤمنين قوله عليه السلام: «يَفْرَحُونَ لِفَرَحِنَا» (الخصال، ج٢، ص٦٣٥)، أو يفرح من أدائه لتكليفه مع الآخرين، فيمزح معهم و يبتسم؛ و قد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الْمُؤْمِنُ هُوَ الْكَيِّسُ الْفَطِنُ، بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ» (الكافي، ج٢، ص٢٢٦). أو يفرح إدخالًا للسرور على قلوب المؤمنين، أو في اليوم الّذي لا يعصي الله فيه، و يُوفّق للعبوديّة له عزّ و جلّ. و هذا النحو منه ممدوح، و هو ناشئ ـ في الواقع ـ

و كأنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يئنّ، و يبكي، و يصنع ما يصنع [و يقول ما مضمونه]: غَيبتك أحزنتني![1] فكيف ستكون هذه الغَيبة؟ ورد في بعض الروايات قوله عليه السلام: «حتّى يَرْجِعَ أَكْثَرُ الْقَائِلِينَ بِإِمَامَتِهِ»[2]. فماذا نقول عمّا سوف يحصل! يجب أن نُسلّم. و إذا سلّمنا بأصل الغَيبة يجب أن نُسلّم بمقدارها و أمدها أيضًا. [فالناس] يُقتلون، و...، إذ عندما يخرج السفيانيّ يقتل على الاسم! و يقضون [هو و التابعون له] على كلّ من اسمه محمّد، أو عليّ، أو فاطمة،

من الإيمان القلبيّ. و المراد بالرقص و الفرح في كلمة آية الله الشيخ البهجة رحمه الله النحو الأوّل منه، و قد كان رحمه الله يقول في هذا المجال: «كلّما رأينا قلوبنا فرحة، فلنعلم أنّ أمورها خربة!». و من المفيد في المقام نقل قصّة النبيّ يوسف عليه السلام مع أخيه بنيامين، و التأمّل فيها؛ إذ عندما جاء بنيامين إلى النبيّ يوسف عليه السلام، و لم يكن قد عرفه بعدُ، سأله عليه السلام قائلًا: «مَا بَلَغَ مِنْ حُزْنِكَ عَلَى أَخِيكَ؟ قَالَ: وُلِدَ لِي عَشَرَةُ أَوْلَادٍ فَكُلُّهُمْ شَقَقْتُ لَهُمْ مِنِ اسْمِهِ. فَقَالَ لَهُ: مَا أَرَاكَ حَزِنْتَ عَلَيْهِ حَيْثُ اتَّخَذْتَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدِهِ! قَالَ: أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لِي أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا صَالِحًا فَقَالَ: يَا بُنَيَّ تَزَوَّجْ لَعَلَّكَ أَنْ تُصِيبَ وَلَدًا يُثْقِلُ الْأَرْضَ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه» (تفسير البرهان، ج٣، ص١٨٣)، و كما هو واضح من القصّة آنفة الذكر، فإنّ بنيامين عندما بيّن أنّه تزوّج امتثالًا لأمر والده، واجب الطاعة شرعًا، و طلبًا للأولاد الصالحين، الّذين يُرضون الله تعالى، فقد اقتنع النبيّ يوسف عليه السلام بكلامه. و في زماننا هذا، إذ لم يزل يوسف هذه الأمّة عليه السلام في بئر الغَيبة منذ أكثر من ألف سنة بسبب معاصينا، فهل من الجدير بنا أن ننسى هذه المصيبة العظيمة، و نرفع صوت القهقهة و السرور من أعماق قلوبنا؟ و إذا حصل هذا معنا فمن الواضح أنّ الدنيا قد غرّتنا، و أنّ معرفتنا بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ الّذي هو أرأف بنا من آبائنا و أمّهاتنا ـ ناقصة. و لهذا نقول في دعاء الندبة: «عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيَكَ وَ يَخْذُلَكَ الْوَرَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكَ دُونَهُمْ مَا جَرَى، هَلْ مِنْ مُعِينٍ فَأُطِيلَ مَعَهُ الْعَوِيلَ وَ الْبُكَاءَ؟ هَلْ مِنْ جَزُوعٍ فَأُسَاعِدَ جَزَعَهُ إِذَا خَلَا؟ هَلْ قَذِيَتْ عَيْنٌ فَسَاعَدَتْهَا عَيْنِي عَلَى الْقَذَى؟». و يتّضح من مجموع ما تقدّم مرادُ آية الله الشيخ البهجة رحمه الله. و لهذا من الجدير بالإنسان إذ يُدير شؤون حياته، و لا يغفل عن نصيبه من الدنيا، ألّا يغفل في الوقت نفسه عن ذكر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، بل يُحيي قلبه بذكره. و أن يكون المحور الأساس في أمور حياته هو السير في طريق مرضاته، و امتثال أوامره، و يكون نشاطه و حركته منبعثَين عن ذكره و طاعته.

(١) رُوي عن سدير الصيرفيّ أنّه قال: دخلت أنا و المفضّل بن عمر و أبو بصير و أبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام، فرأيناه جالسًا على التراب و عليه مسح خيبريّ مطوّق بلا جيب، مقصّر الكمّين، و هو يبكي بكاء الوالهة الثكلى ذات الكبد الحرّى، قد نال الحزن من وجنتَيه، و شاع التغيير في عارضيه، و أبلى الدموع محجريه، و هو يقول: «سَيِّدِي غَيْبَتُكَ نَفَتْ رُقَادِي، وَ ضَيَّقَتْ عَلَيَّ مِهَادِي، وَ ابْتَزَّتْ مِنِّي رَاحَةَ فُؤَادِي، سَيِّدِي غَيْبَتُكَ أَوْصَلَتْ مُصَابِي بِفَجَائِعِ الْأَبَدِ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٣٥٢.

(٢) رُوي أنّ أحمد بن إسحاق سأل الإمام العسكريّ عليه السلام عند لقائه: «يا ابن رسول الله و إنّ غَيبته لتطول؟» فأجابه الإمام عليه السلام: «إِي وَ رَبِّي حتّى يَرْجِعَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ أَكْثَرُ الْقَائِلِينَ بِهِ، وَ لَا يَبْقَى إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَهْدَهُ لِوَلَايَتِنَا وَ كَتَبَ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ وَ أَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٣٨٥.

سواء أَمن بني هاشم كان، أم من بني العبّاس، فيأخذ كلّ من كان منهما، و يقتله[1]. ثمّ يقولون له: آباؤنا هم من أطلقوا علينا هذه الأسماء، و لا ذنب لنا في هذا. فيقول: حسنًا، لا تقتلوا مَنْ اسمه فلان و فلان، و اقتلوا الباقين! فالكلام كلّه يكون عن السفيانيّ أنّه عندما يأتي أيّ أعمال يقوم بها في مدّة [استيلائه] القصيرة ـ إذ لن تكون المدّة طويلة ـ لكن الله يعلم ما الّذي سيفعله! حتّى ورد أنّ الإمام الصادق عليه السلام ألقى برسالة أبي مسلم الخراسانيّ في القنديل أمام حاملها، و أحرقها قبل أن يقرأها، [و قال عليه السلام ما مضمونه]: أين وقعت حادثة السفيانيّ؟ و ما لم تقع فلن يمكن أن يحصل هذا الأمر![2]

من حِكَم الغَيبة

غاب إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف من أجل حفظ بَيْضة[3] الإسلام [و كيانه]، لا من أجل نفسه!

طريقهما ليس صائبًا!

كأنّه يجب في زمان الغَيبة الكَوْن في صدد تحصيل فهمٍ صحيحٍ لمعنى سلبيّ، و هو أنّ الطريق الّذي سلكه الأوّل و الثاني مضرٌّ بالدنيا و الآخرة. و الخلاصة، إنّ الطريق [القويم] ليس هذا [أي ليس طريقهما]. و هذا هو جانب النفي. و أمّا جانب الإثبات فهو: إذًا ما هو الطريق؟ يتبيّن ـ إن شاء الله ـ بالتأمّل فيما مرّ!

فَقْد النبيّ صلّى الله عليه وآله و غَيبة الوصيّ عليه السلام

كان هناك زمانٌ ما زالت النبوّة فيه موجودة [و كان من الممكن أن يبعث الله نبيًّا]، لكنّها

---

(١) رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «وَلا يَزالُ السفيانيّ يَقْتُلُ كُلَّ مَنِ اسْمُهُ محمّد وعَلِيٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ وَفَاطِمَةُ وَجَعْفَرٌ وَمُوسَى وَزَيْنَبُ وَخَدِيجَة وَرُقَيّة بُغْضًا وَحَنقًا لآلِ محمّد، ثمّ يَبْعَثُ فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ فَيُجْمَعُ لَهُ الْأَطْفَالُ وَيُغْلِي لَهُمُ الزَّيْتَ، فَيَقُولُ لَهُ الْأَطْفَالُ: إِنْ كَانَ آبَاؤُنَا عَصَوْكَ، نَحْنُ فَمَا ذَنْبُنَا؟ فَيَأْخُذُ كُلَّ مَنِ اِسْمُهُ عَلَى مَا ذُكِرَت فَيُغْلِيهِمْ فِي الزَّيْتِ، ثمّ يَسِيرُ إِلَى كُوفَانِكُمْ هَذِهِ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الدَّوامَةُ، فَيَفْعَلُ بِالرِّجَالِ كَمَا يَفْعَلُ بِالْأَطْفَالِ، وَيَصْلُبُ عَلَى بَابِهَا كُلَّ مَنِ اِسْمُهُ حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ، ثمّ يَسِيرُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَيَنْهَبُهَا فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَيَقْتُلُ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ وَيَصْلبُ عَلَى مَسْجِدِهَا كُلَّ مَنِ اِسْمُهُ حسَنٌ وَحُسَيْنٌ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُغْلِي دِمَاؤُهُمْ كَمَا غَلَى دَمُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا، فَإِذَا رأى ذَلِكَ الْأَمْرَ أَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ، فَيُوَلِّي هَارِبًا وَيَرْجِعُ مُنْهَزِمًا إِلَى الشَّام»؛ إلزام الناصب، ج٢، ص١٦٣، و راجع أيضًا: فرائد فوائد الفكر، ص٣٢٠.

(٢) راجع: الكافي، ج٨، ص٢٧٤؛ مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٤، ص٢٢٩.

(٣) بَيضة الشيء: أصله.

خُتمت [أي النبوّة، و لكن كان الوصول إلى النبيّ ﷺ و وصيّه مُمكنًا]، و صار تكميل ذلك [أي ختم النبوّة] بقضيّة الغَيبة [أي ليس بلوغ النبوّة وحده لم يعد ممكنًا، بل حتّى الوصول إلى شخص النبيّ ﷺ أو الوصيّ ـ بحيث يكون مُتيسّرًا للناس كافّة ـ لم يعد ممكنًا أيضًا]؛ فيجب على الإنسان أن ينظر إلى ما خلف الستار و يبصر الحركة هي في أيّ اتّجاه![1]

الروايات بمنزلة استمرار النبوّة في عصر الغَيبة

كأنّ النبوّة باقيةٌ إلى زمان الغَيبة الكبرى؛ لأنّ كلمات الأئمّة عليهم السلام حُجّة، فهي بمنزلة بقاء النبيّ ﷺ نفسه. لكن، لو كان النبيّ ﷺ موجودًا [الآن] لكان الوحي يتجدّد. و بما أنّه ﷺ لم يعد موجودًا الآن، فإنّ الوُحِيَّ الّتي أعطاها وصيّه عليه السلام سيظهر كلّ واحدٍ منها في وقته. و هذا بمنزلة وجود النبيّ ﷺ. لا نعلم إلى كم سنة سيطول زمان الغَيبة الكبرى!

طريق السعادة غير مسدودٍ في زمن الغَيبة

يقولون إنّ النبيّ الأكرم ﷺ قد ارتحل، و إنّ إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف غائبٌ أيضًا، و لا يصل إليه أحدٌ ليغيثه [الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف]. و على هذا، فنحن مستضعفون و محرومون من السعادة، و لا حيلة لنا! فهل الأمر كذلك؟ كلّا، ليس الأمر كما يقولون؛ لأنّ العقل و الشرع يُثبتان لنا أنّ الإنسان المتديّن و العاقل يستطيع إدارة شؤونه الدينيّة، إذ إنّ دفتر الدين و قوانينه الشرعيّة بحَوزتنا. و إذا لم يكن [المكلّف] يعلم [طريق السعادة] أو يتمكّن [من العلم به]، فيجب عليه بحكم العقل و العقلاء أن يسأل الآخرين الّذين يعلمون، و أن يُشخِّص صحّة الجواب أو خطأه عن طريق العقل و الدين، فهذا مقتضى كَون الإنسان عاقلًا، و في كلّ موضعٍ لم يتّضح له الطريق، فالاحتياط بالنسبة إليه هو سبيل النجاة. و عليه، فطريق السعادة للإنسان ليست مُغلقة أبدًا.

---

(١) المقصود أنّنا، مضافًا إلى مصيبة فقد النبيّ ﷺ، قد حُرمنا الحضور الظاهريّ للإمام عليه السلام. لكن، على الرغم من مصيبتَي فَقْد النبيّ ﷺ و غَيبة الوصيّ عليه السلام، لو تحلّت قلوبنا بالتقوى، فإنّها تلتفت ـ مع كَونها مستورة عن وسائط الفيض ـ إلى ما وراء الستار على الرغم من الغَيبة. و لذا، في الفتن و البلاءات، فإنّ القلب المتّقي إمّا يرى ما خلف الستار متناسبًا مع فطانته و فراسته، و إمّا يحدس بما وراءه، و يشخّص الطريق الصحيح، و قد أوصى السيّد المقدّس ابن طاوس ولده قائلًا: «إن عاملت الله جلّ جلاله بالصّدق و التّحقيق، جَعَلَ قلبك مرآة تنظر بها ما يريده هو جلّ جلاله من العلوم من وراء سترٍ رقيقٍ، فَفِي أَخْبَارِ صَاحِبِ الْمِلَّةِ: «الْمُؤْمِنُ مَنْ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»»؛ كشف المحجّة لثمرة المهجة، ص ١٩٣.

كرامة للثابتين في عصر الغَيبة

ما أكبر النعمة الّتي سلبونا إيّاها! و ما أعظم الذنب الّذي ارتكبوه إذ فرّقوا بيننا و بين وصيّ النبيّ ﷺ، الّذي هو أفضل من الأنبياء الماضين ﵈! إلّا أنّ العبادات في زمان الغَيبة أفضل منها في زمان الظهور[1]، و هذا في حدّ ذاته كرامةٌ من الله تعالى، أشملها الأشخاص الّذين يكونون ثابتي القدم في زمان الغَيبة.

الوصول إلى مقامات الأولياء ممكنٌ في عصر الغَيبة

هل يمكن أن يصير الجميع مثل سلمان و أبي ذرّ رحمهما الله اللذَيْن صبرا على الرغم من وجود كلّ ألوان البلاء، أو يكونوا مثل عمّار الّذي كان مستعدًّا حتّى للقتل؟[2] إنّ باب المقامات الّتي وصل إليها هؤلاء [أمثال سلمان و أبي ذرّ] قد أُغلق. فإنّ الدنيا بأكملها و ما فيها لا تساوي قيمة صلاة ليلٍ واحدة لسلمان! كان يجلس على جلد شاة، و كان له مُصلّى عجيب و غريب. و في روايةٍ أنّه عدّد أثاث منزله فكان جلد شاة، و كيس دقيق و...؛ و لكنّه مع ذلك، كان يبكي من أنّ حِمله سوف يكون ثقيلًا في الغد [أي يوم القيامة][3]. فأيّ مقامٍ كان لسلمان و أيّ مقام يكون للشخص الّذي يقع في مقابله، أي معاوية؟!

طبعًا، ربما يستفاد من [مفاد] قولهم ﵈: العبادة في عصر الغَيبة أفضل منها في عصر الحضور[4] أنّه يمكن لنا نيل مقاماتٍ أعلى! و مقصودي هو أنّه لو كنّا في عصر الرسول ﷺ،

---

(١) عَنْ عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﵇: الْعِبَادَةُ مَعَ الْإِمَامِ مِنْكُمُ الْمُسْتَتِرِ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ أَفْضَلُ أَمِ الْعِبَادَةُ فِي ظُهُورِ الحقّ وَدَوْلَتِهِ مَعَ الْإِمَامِ الظَّاهِرِ مِنْكُمْ؟ فَقَالَ: يَا عَمَّارُ، الصَّدَقَةُ وَاللَّهِ فِي السِّرِّ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ فِي الْعَلَانِيَةِ، وَكَذَلِكَ عِبَادَتُكُمْ فِي السِّرِّ مَعَ إِمَامِكُمُ الْمُسْتَتِرِ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ أَفْضَلُ، لِخَوْفِكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ وَحَالِ الْهُدْنَةِ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظُهُورِ الحقّ مَعَ الْإِمَامِ الظَّاهِرِ فِي دَوْلَةِ الحقّ، وَلَيْسَ الْعِبَادَةُ مَعَ الْخَوْفِ وَفِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ مِثْلَ الْعِبَادَةِ مَعَ الْأَمْنِ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٦٤٦؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٢٧.

(٢) عمّار بن ياسر هو أحد أصحاب رسول الله ﷺ الأجلّاء، و كان أيضًا من الأصحاب الأوفياء لأمير المؤمنين ﵇، و قد استُشهد بين يدَيه في حرب صفّين.

(٣) «رُوِيَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ دَخَلَ عَلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ يَعُودُهُ، فَبَكَى سَلْمَانُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ وَتَرِدُ الْحَوْضَ عَلَيْهِ، فَقَالَ سَلْمَانُ: أَمَا أَنَا لَا أَبْكِي جَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ وَلَا حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَهِدَ إِلَيْنَا فَقَالَ: لِتَكُنْ بُلْغَةُ أَحَدِكُمْ كَزَادِ الرَّاكِبِ، وَحَوْلِي هَذِهِ الْأَسَاوِدُ. وَإِنَّمَا حَوْلَهُ إِجَّانَةٌ وَجَفْنَةٌ وَمِطْهَرَةٌ»؛ روضة الواعظين، ج٢، ص٤٩٠؛ بحار الأنوار، ج٢٢، ص٣٨١.

(٤) راجع: كمال الدين، ج٢، ص٦٤٦؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٢٧.

و كنّا نرى حوله أمثال سلمان من ذَوي المقامات العالية، فكم كنّا نتحفّز و نتشوّق للسعي إلى بلوغ تلك المقامات، و لكن من لم يرَهم فهو معذور من تحصيل مقاماتهم؛ لأنّه قد ينتابه الشكّ و التردّد في أنّه هل ستحصل له أم لا.

[لكن] لقد رأينا نحن أيضًا من كرامات العلماء [في هذا الزمان أي الغيبة] عجائب و غرائب لا يمكن بيانها، و كنّا نتعجّب لماذا يراها الآخرون و لا يحدثون منها ذكرًا [أصلًا]!! مع هذا لا أعلم لماذا لا نزال نحن غير مبالين بتحصيل تلك المقامات!

أفضليّة العبادة في زمان الغَيبة

الوَيل لنا من ذلك اليوم الّذي يُسلب فيه منّا القرآن أو العترة عليهم السلام. و سَلبُ أيٍّ منهما هو سلبٌ للآخر أيضًا، لأنّ هذين الاثنين لا ينفصلان عن بعضهما؛ «لَنْ يفْتَرِقا» لا في الخارج و لا في الاعتقاد «حتّى يرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[1]. و إنّما يشرب من الحوض من لازَم القرآن و العترة عليهم السلام معًا. هنالك جماعةٌ من الناس موفّقون دائمًا، و لكن البعض يكونون كطفل يتيم لا وليّ له، و يتوجّهون إلى أيّ جهةٍ عن عَمدٍ أو من دون عَمد. طبعًا هم في الجملة معذورون بسبب عدم حضور إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و بناءً على هذا، يمكن أن يُقال لمثل هذا الشخص: صحيحٌ ما تقول، فأنت معذور، فثمّة كثير من الأمور لم ترها و لم تعلمها، و لك الحقّ، لأنّك تعيش في عصر الغَيبة، و يدك قاصرة عن الوصول إلى أبيك الروحانيّ و المعنويّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بحيث لا تستطيع أن تصبح سلمان الذي: «عَلِمَ عِلْمَ الأَوّلِ وَالآخِرِ»[2] و هو القائل: «إذا أَدْرَكْتُمْ سَيّدَ شَبابِ آلِ محمّد، فَكونُوا أَشَدَّ فَرَحًا بِقِتالِكُمْ مَعَهُ»[3]. و لكن ماذا تفعل إزاء قولهم [بهذا المضمون]: العبادة في الغَيبة أفضل منها في الحضور[4]؟! و ما قاله عليه السلام أيضًا لأصحابه:

---

(١) راجع: الكافي، ج٢، ص٤١٥؛ كمال الدين، ج١، ص٢٣٤؛ مسند أحمد، ج٣، ص١٤؛ مجمع الزوائد، ج٩، ص١٦٣؛ المعجم الصغير، ج١، ص١٣١.

(٢) إشارة إلى روايةٍ نُقلت عن أمير المؤمنين عليه السلام في فضائل سلمان، و قد نُقلت هذه الرواية بعباراتٍ مختلفة، من جملتها: «علمَ العلمَ الأوّلِ والعلمَ الآخِر»؛ الطبقات الكبرى، ج٤، ص٦٤؛ و في روايةٍ أخرى: «أدركَ علمَ الأوّلِ والآخِر»؛ المسترشد، ص٦٥٤؛ و راجع أيضًا: بحار الأنوار، ج٢٢، ص٣٥٠.

(٣) عن زهير بن القين قال: «... فَقَالَ لَنَا سَلْمَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَفَرِحْتُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَصَبْتُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ؟ فَقُلْنَا: نَعَمْ! فَقَالَ: إِذَا أَدْرَكْتُمْ سَيِّدَ شَبَابِ آلِ محمّد فَكُونُوا أَشَدَّ فَرَحًا بِقِتَالِكُمْ مَعَهُ مِنَّا أَصَبْتُمُ الْيَوْمَ مِنَ الْغَنَائِمِ»؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٧٢.

(٤) راجع: كمال الدين، ج٢، ص٦٤٦؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٢٧.

«أَنْتُمْ أَصْحابي وَأُولئِكَ إِخْواني، فَوا شَوْقًا إلى إِخْواني» و «آمَنُوا بِسَوادٍ عَلى بَياضٍ[1]»[2]، كناية عن أنّهم سيؤمنون بي في زمنٍ لم يروني فيه.

عصر حرمان البشر

مع أنّه لا يُوحى إلينا، و لا نُلهَم، لكنّنا لا نلتفت إلى ذلك الوسيط الّذي يُوحى إليه و يُلهَم. في حين أنّه بالإمكان الرجوع إلى واسطة الفيض [إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف] في البلاءات كلّها، أعمّ من المعنويّة، و الصوريّة، و الدنيويّة، و الأخرويّة. و إذا قُطع خطّ اتّصال [و برقيّة][3] الناس مع واسطة الفيض سيكون عصر الحرمان البشريّ كزمان عدم إمكانيّة الوصول إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله.

حرمونا العالِم المطلق

قال النبيّ صلّى الله عليه و آله في الرواية: أن تفعل كذا، أن تفعل كذا، أن تفعل كذا، حتّى ذكر أربعين أمرًا من السُّنن أو التكاليف، أو مجموع السنن و التكاليف. و قد جمع صلّى الله عليه و آله أربعين حديثًا في حديثٍ واحد. ففي مجلسٍ واحدٍ ذكر صلّى الله عليه و آله أربعين حديثًا على هذا النحو. لاحظوا! جمع صلّى الله عليه و آله أربعين حديثًا في حديثٍ واحد! فكم أُجلب لنا من الحرمان حين نقضي أربعين يومًا في الدرس، لكي نتباحث حول مسألةٍ واحدة! لقد سمعت و أذكر أنّ البعض في مدّة شهر تقريبًا قد

---

(١) المقصود بالسواد على البياض الكتابة على الورق. و هذه عبارةٌ تمجيديّةٌ للمؤمنين الّذين آمنوا برسول الله صلّى الله عليه و آله دون أن يروه، بل من خلال الروايات الواردة فقط.

(٢) كلام سماحة الشيخ دام ظلّه كان من مضمون روايتَين عن رسول الله صلّى الله عليه و آله، الرواية الأولى هي: «... هَاهْ شَوْقًا إِلَى إِخْوَانِي مِنْ بَعْدِي، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: يا رَسُولَ اللهِ أَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: لَا، أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانِي يَجِيئُونَ مِنْ بَعْدِي شَأْنُهُمْ شَأْنُ الْأَنْبِياء»؛ (التحصين، ص٢٣؛ و راجع أيضًا: بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٣٢). و الرواية الثانية على هذا النحو: «أَعْجَبُ النَّاسِ إِيمَانًا وَأَعْظَمُهُمْ يقينًا قَوْمٌ يكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، لَمْ يلْحَقُوا النبيّ وَحُجِبَ عَنْهُمُ الحجة، فَآمَنُوا بِسَوَادٍ عَلَى بَياض»؛ بحار الأنوار، ج٧٤، ص٥٦؛ و راجع أيضًا: مستدرك الوسائل، ج١٧، ص٣٠٠.

(٣) كما إنّه بإمكان البعيدَين اللذَين لا يرى أحدهما الآخر أن يتّصلا ببعضهما من خلال وسائل الاتّصال كالهاتف، و البرقيّة و أمثالها، و يتبادلا السؤال عن رأييهما في المسألة، فيمكن للإنسان في عصر غَيبة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن يصل إلى مقامٍ يستطيع فيه أن يتّصل بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا، و يعرض عليه مسائله. و هكذا كان الكثير من العلماء في عصر الغَيبة الكبرى؛ إذ كانوا يتوسّلون بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في المعضلات، و المسائل المحيّرة، و يحصلون منه عليه السلام على جوابٍ في الحال. و ورد في الروايات أيضًا أنّ أصحابه عجّل الله تعالى فرجه الشريف عندما يتردّدون في أمرٍ ما ينظر الواحد منهم إلى كفّه، و يحصل على جوابه.

قضوا ستّة عشر يومًا في مباحثة مسألةٍ واحدةٍ، و في النهاية كأنّهم خرجوا بالاحتياط، هذه الأمور ناشئة عن ماذا؟ لأنّهم قيّدوا [يدَي] العالِم المطلق رَحِمَهُ اللهُ، العالِم بحقائق الشريعة، الّذي لا يقول: لا أعلم! و لا يقول: هل الدليل موجودٌ أم لا! [و لا يقول:] الاحتياط في المسألة هو كذا! [و لقد حرمونا إيّاه رَحِمَهُ اللهُ]. و قد كتب [ذلك العالِم] رسالةً عمليّة، و كان مُحقّقًا متتبّعًا، لكنّه قال في النهاية: المسألة غير خالية من شائبة الإشكال. ماذا يفعل المسكين؟ لا يستطيع [أن يستنبط الحكم]، و لا سبيل إلى ذلك!

و ما الّذي كان سيحصل لو كان عندنا من يُعلّمنا، و كنّا نتمكّن من أن نصبح علماء في زمنٍ قصير، و نقوم بتعليم الآخرين، و نشتغل بالعمل بمعلوماتنا، و نحصل على فوائد عمليّةٍ أيضًا، مضافًا إلى الفوائد العلميّة و التعليميّة. ماذا كان سيحصل؟! و ما الّذي كان سيضرّ بالسلاطين و الرؤساء؟! فقد أحضروا [الأئمّة عليهم السلام] و جعلوهم في مدنهم و إلى جوارهم، خوفًا من حصول هجومٍ - يومًا ما - و ذهاب المُلك من أيديهم، بل أحضروهم إلى المعسكر! و هل كانوا مع هذا يكفّون عن أذيّتهم عليهم السلام؟ و هل كانوا ينصرفون عن فكرة قتلهم عليهم السلام؟ [قال:] «يَطْعُنُ فِي دَوْلَتِي!»[1]. لقد جئتَ به إلى بيتك، و ما زلت لا تكفّ عنه؟! و قد حفروا قبرًا أمامه، نعم، هذا قبرك!

حرماننا الأحكام الشرعيّة

تعلّم زرارة من محضر الإمام عليه السلام في يومٍ واحدٍ و مجلسٍ واحدٍ ثمانية أحكامٍ في الوضوء[2]. أمّا في زمان الغَيبة، و الحيلولة بين الناس و بين المعصوم عليه السلام، أحد الأعاظم الّذي كان يُدرّس بحث الخارج قد طوّل [مباحثة] مسألة واحدة ستّة عشر يومًا من الأيّام الدراسيّة، و الّتي تكون مع احتساب أيّام العطل شهرًا، و في النهاية خرج بالاحتياط فيها و لم يتمكّن من الحصول على الحكم الواقعيّ ليُفتي به؛ إذ لا يمكن الخروج عن عهدة المسألة دون الظفر بالدليل الشرعيّ عليها، و الإفتاء دون دليل.

---

(١) في هذا إشارة إلى ما قاله المتوكّل العبّاسيّ في حقّ الإمام الهادي عليه السلام، إذ سمع أخبارًا تفيد بأنّه عليه السلام يعدّ دولته باطلة. و لهذا اضطرب كثيرًا، و غضب، و أقسم أن يقتل الإمام عليه السلام، و قال: «وَاللهِ لَأَقْتُلَنَّ هَذَا... الّذي يَدَّعِي الْكَذِبَ وَيَطْعُنُ فِي دَوْلَتِي»، ثمّ أمر بقتله عليه السلام. لكنّ الإمام عليه السلام دفع مكر الملعون بإذن الله تعالى و الإعجاز؛ لمزيد من التفصيل راجع: الثاقب في المناقب، ص٥٥٦؛ الخرائج و الجرائح، ج١، ص٤١٨.

(٢) لعلّ المراد رواية زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام الّتي علّمه فيها كيفيّة الوضوء و عددًا من الأحكام المرتبطة به. راجع: الكافي، ج٣، ص٢٦.

نعم! بالحيلولة و الفصل بين الناس و الإمام عليه السلام، لم يسمحوا لنا حتّى بتعلُّم المسائل [الشرعيّة]، فضلًا عن العمل بها. فأعظِم بها من خيانة! و قد خافوا حتّى من بيان أهل البيت عليهم السلام للمسائل الشرعيّة، لكي لا يفهم الناس أنّ المعارضين لهم عليهم السلام على باطل. و لهذا قال المنصور الملعون: و الله، لأقَدّمَنّ عليهم تَيمًا و عَدِيًّا![1]

خرماننا مصدر العلم و الحكمة

كم نحن محرومون حين نقضي أربعين يومًا في الدرس لكي نفهم مسألةً واحدة! لو كنّا في محضر المعصوم عليه السلام ـ الّذي هو واسطة بيننا و بين الله ـ لكان بإمكاننا أن نستفيد في مجلسٍ واحدٍ من عدّة كتبٍ فقهيّة، و تكون المجالس الأخرى لغير مسائل، فضلًا عن أن لا نتعطّل إلى هذا المقدار في فرعٍ واحدٍ. كم سيكون حرماننا إذا بقينا أربعين يومًا لفهم مسألةٍ واحدةٍ!

ما الّذي كان سيحصل لو كان عندنا العالِم بالحقائق و الشريعة[2]، و كنّا متمكّنين من نيل فيض حضوره، لنتعلّم منه الأحكام في وقتٍ يسير، دون أن يقول: لا أدري، أو يتردّد، أو يرجع إلى الاحتياط! و عندئذٍ، بدل كلّ هذه الحيرة و صرف الوقت في التعليم، نقتصر على العمل و نبذل جهدنا فيه! و كنّا نحصل على معرفة الله الّتي خُلقنا مِن أجلها. إنّ ما قمنا به [من غصب الخلافة و عدم نصرة العترة عليهم السلام و عدم التوبة] قد أدّى إلى حرماننا منابع الفيض و الرحمة، و منابع النور و الحكمة، و قد تركنا منذ اليوم الأوّل العترة عليهم السلام جانبًا، و رفضنا اتّباعهم و السير على نهجهم! ماذا فعلنا نحن بأنفسنا! لقد قضَينا على سبيل الاستفادة!

صعوبة عمل العلماء في عصر الغَيبة

انظروا! مع أنّ أفضل الأعمال الإلهيّة في عصر الغَيبة هي وظيفة رجال الدين و المرجعيّة و التدريس و القضاء و الإفتاء، لكن كم يكمن فيها من مخاطر! لهذا، فلا ملاذ أبدًا سوى حفظ الله [و تسديده]. و مع أنّه ورد في الرواية: «الْمَصَائِبُ بِالسَّوِيَّةِ مَقْسُومَةٌ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ»[3]، لكنّ وعاء

---

(١) «لأرفَعَنّ عَلَيهِم بَني تَيمٍ وَعَديّ»؛ منهاج الكرامة (للعلّامة الحلّي)، ص٦٩؛ الصراط المستقيم، ج٣، ص٢٠٤. و المقصود بهما قبيلتا الخليفتين الأوّل و الثاني.

(٢) المقصود هو الإمام المعصوم عليه السلام.

(٣) تحف العقول، ص٢١٤؛ بحار الأنوار، ج٧٩، ص١٣٤.

الصبر على البلاء يطفح مع هذه الأعمال، و لعلّ عمل هؤلاء ـ الفقهاء العظام ـ في عصر الغَيبة أكثر تعقيدًا من عمل الأنبياء عليهم السلام، ما عدا أولي العزم عليهم السلام! لأنّهم عليهم السلام كانوا يتحرّكون أو يتوقّفون بالوحي و تأييد الملائكة. أمّا هؤلاء فيجب أن يجدوا ظنًّا مُعتبرًا بالحكم الواقعيّ. و قد لا يتوفّر الدليل اللفظيّ أحيانًا، فيجب عليهم معرفة الحكم الظاهريّ استنادًا إلى الأصول العمليّة، و من ثمّ تطبيقه، و العمل به؛ و لهذا يمكن القول: عملهم أصعب بكثير. و عندهم الكثير من الجهل، على خلاف الأنبياء عليهم السلام المطهّرين و المنزّهين عنه و عن الخطيئة.

و كذلك، إنّ الشيطان يطمع في تدمير العالَم و إفساده من خلال أحدهم. أمّا الأنبياء عليهم السلام فهم مطهَّرون من كلّ جهة، و مَصُونون، و معصومون كذلك. و قد نُقل أنّ إبليس تجسّد للنبيّ يحيى عليه السلام و قال: أعِظك بخمس. ثمّ قال له الموعظة الأولى، و الثانية، و الثالثة، و الرابعة ـ و الواقع أنّها كانت مواعظ جيّدةً للغاية ـ هنا قال له النبيّ يحيى عليه السلام: كفّ عن هذا! لأنّك ستُفسد في الخامسة. و امضِ إلى عملك. فانطلق إبليس. أمّا العلماء و الفقهاء فعملهم صعب!

***

هل هناك إشكال إن فهمنا غير الّذي فهمه [العلماء السابقون]؟ لعلّه يوجد بَعدَنا من يُخالف السابقين. لكن، ليس معلومًا كم تطول الغَيبة. و على هذا، يجب ألّا نجعل استنباط المتأخّرين حجّة. و لو فرضنا أنّ فيهم الكثير من المعصومين عن الخطيئة، إذ العلماء العظام موجودون إلى ما شاء الله، حتّى بين المتأخّرين منهم، إلّا أنّه لا يمكننا أن نتيقّن بالعصمة عن الخطأ في غير أصحاب المنصب عليهم السلام[1]، سواء [منصب] النبوّة أم الوصاية.

العبادة في عصر الغَيبة ناشئةٌ من قوّةَ الإيمان

يجب أن نحصل في كلّ مسألةٍ على أدلّتها، و ندرسها. و قد درّس أحد العلماء مسألةً رأي المشهور فيها معروف، مدّة شهر تقريبًا. و لم يتعدَّ الاحتياط في النهاية! فقد حرمونا أن تكون لنا رسالةٌ عمليّةٌ واحدةٌ في الحلال و الحرام، و حتّى في التفريعات و فروع المسائل، نعمل بها جميعًا. و لهذا علينا الآن أن نصرف هذا الوقت كلّه في استنباط الأحكام من الأدلّة. و قد قال الإمام الصادق عليه السلام: لَولا أن يقع عند غيركم كما قد وقع غيره، لأعطيتكم كتابًا لا تحتاجون إلى أحد[2].

(١) المقصود هم الأنبياء و الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

(٢) «لَوْلَا أَنْ يَقَعَ عِنْدَ غَيْرِكُمْ كَمَا قَدْ وَقَعَ غَيْرُهُ، لَأَعْطَيْتُكُمْ كِتَابًا لَا تَحْتَاجُونَ إِلَى أَحَدٍ حتّى يقُومَ الْقَائِمُ»؛ بصائر الدرجات،

لكنّنا نحتاج اليوم إلى المسائل، و الفروع، و الأسس، و ذلك من أوّل كتاب الطهارة و إلى آخر كتاب الديات[1]، فانظروا كم عطّلونا لمعرفة هل المسألة على هذا النحو أم ذاك؟! و مع هذا كلّه، لم نخرج عن رضا الله تعالى؛ لأنّ العبادة في الغَيبة أفضل من العبادة في الحضور. و لا يبعد كَون السبب في هذا أنّ الإنسان يرى الإمام عليه السلام في زمان الحضور فيؤمِن، في حين أنّه يؤمن به في زمان الغَيبة، و يعمل، من دون أن يراه عليه السلام. و هذا ناشئ عن قوّة إيمانه.

وجوب التمسّك بالروايات

لو كانت الواسطة ـ إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ بمتناول أيدينا، لم نحتج في الأحكام الفقهيّة إلى إبداء الرأي. لكن الآن إذ ليست في متناول أيدينا، ففي هذا التعليم و التعلّم للدروس الحوزيّة نفسه مطالب [و معارف] لا نهاية لها. و مع هذا، نصل إلى تلك المطالب الرفيعة من خلال ما هو في متناول أيدينا، و تلك الوسائط. و طبعًا هذا لا يعني أن نجعل ـ بواسطة هذه العلوم ـ غبيًّا واجب الطاعة، و نُغطّي على عَيبه، و ندعو إليه و نروّج له كذبًا، و نترك أمير المؤمنين عليه السلام واجب الطاعة جانبًا، و نُجلِسه في بيته.

و قد ذُكر في أخبار الفتن وصايا توجب النجاة، منها المضامين التالية:

- عليكم بهذا الجالِس[2]. و المقصود هو المعيّة الحقيقيّة لأمير المؤمنين عليه السلام و حزبِه.

ص٤٧٨؛ بحار الأنوار، ج٢، ص٢١٣. و من البديهيّ أنّ هذا لا يعني أنّ أهل البيت عليهم السلام قد حرموا شيعتهم الأصول الّتي هم بحاجة إليها، بل إنّ الشيعة قد حُرموا العلوم المكمّلة للإيمان، و ذلك لتزاحُمها مع مفسدة لازمة الترك، و مع ذلك فإنّ أهل البيت عليهم السلام سيَجبرونها لهم و يستدركونها ـ من فضلهم الإلهيّ ـ في هذا العالم نفسه أو في العوالم اللاحقة.

(١) أوّل ما يُبحث في الفقه الطهارة، و آخره الدِّيات.

(٢) المقصود هو أمير المؤمنين عليه السلام، إذ إنّ ابن عبّاس ينقل عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «عَلَيكُم بِعَلِيٍّ، فَإنَّ الشَّمسَ عَن يَمِينِهِ و الْقَمَرَعَن يَسَارِهِ، قُلنا: يا رَسُولَ اللهِ وَ مَا هُما؟ قَالَ: الحَسَنُ و الحُسَينُ، وَأبُوهُمَا ضِيَاءُ الدُّنيَا و أُمُّهُمَا بَدْرُ الدُّجَى» (ينابيع المودة، ج٢، ص٣٢٤). كما روي أنّ سلمان رضوان الله عليه أجاب عن سؤالٍ عن أمير المؤمنين عليه السلام و السيّدة فاطمة عليها السلام قائلًا: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَإنَّهُ مَوْلَاكُمْ فَأَحِبُّوهُ، وَكَبِيرُكُمْ فَاتَّبِعُوهُ، وَعَالِمُكُمْ فَأَكْرِمُوهُ، وَقَائِدُكُمْ إلَى الْجَنَّةِ فَعَزِّرُوهُ، وَإذَا دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَإذَا أَمَرَكُمْ فَأَطِيعُوهُ، وَأَحِبُّوهُ بِحُبِّي وَأَكْرِمُوهُ بِكَرَامَتِي، مَا قُلْتُ لَكُمْ فِي عَلِيٍّ إلَّا مَا أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي جَلَّت عظمته» (المناقب، ص٣١٦؛ فرائد السمطين، ج١، ص٧٨). و الأعجب من ذلك أنّ العامّة أنفسهم ينقلون عن أبي الأسود الدؤلي أنّه قال: سمعت أبا بكر يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَإنِّي سَمِعْتُ رَسولَ الله يَقُولُ: عَلِيٌّ خَيْرُ مَنْ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وغَرُبَت بَعدي»؛ لسان الميزان (لابن حجر)، ج٦، ص٧٨.

• «تَمسّكُوا بِالأَمْرِ الأوّل»[١]، أي لا تتّبعوا التغيير.

• نجا في الفتن من دعا بالفرج[٢].

حرماننا معرفة أوّل الشهر

كتبوا: أراد شخصٌ في كربلاء أن يصلّي في حرم سيّد الشهداء عليه السلام فوق الرأس الشريف. و لم يكن يعلم هل الليلة هي ليلة أوّل شهر رجب، و ليلة زيارته عليه السلام أم لا. فسأل قائلًا: آلليلة ليلة أوّل الشهر؟ فأجابه شخصٌ آخر كان يريد الشروع في الصلاة، قائلًا: نعم، الليلة ليلة الزيارة! و مراده أنّ الليلة هي ليلة أوّل الشهر. الله يعلم أيّ أمور كنّا مُستغنين عنها لو كان الإمام الصاحب عجّل الله تعالى فرجه الشريف حاضرًا بيننا، بما في ذلك معرفة أوّل الشهر، و تواريخ الأعياد و وفيات الأئمّة الأطهار عليهم السلام و...!

العلاقة الخاصّة بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سبيلنا الوحيد

صُبّت علينا بلاءاتٌ كثيرة. و ذلك منذ اليوم الأوّل، و لا تزال البلاءات تشتدّ. لكن ماذا علينا أن نفعل؟ أَلا ينبغي أن تكون لنا علاقةٌ خاصّةٌ بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟ و ما العمل المؤثّر في رفع هذه البلاءات مع وجود بابٍ حديديّ يفصلنا عنه الآن؟ التوسّل بحضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف مؤثّر قطعًا، وكذلك صلاة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كلّ ما يُنسب إليه من أعمال. فلا ينبغي للإنسان أن ينسى [هذه التوسّلات].

الغَيبة إلى وقتٍ غير محدّد

نأمل أن يوصل الله تعالى إلى ثُلّة الشيعة المظلومين صاحبهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ لأنّه لم يُتّفق في تاريخ العالم وقوع غَيبة رئيسٍ و قائدٍ عن أصحابه و جنوده كلّ هذه الغَيبة الطويلة، ماذا يجب أن يُقال، و ليس بمعلومٍ إلى متى ستطول! لقد قُدِّرت الغَيبة في جميع الأُمم السابقة، و لكن لم يُتّفق في أيّ أمّةٍ وقوع غَيبةٍ غير معلومة و لا محدّدة الوقت كهذه الغَيبة!

---

(١) الغَيبة (للنعماني)، ص١٥٩؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٣٣.

(٢) قال الإمام العسكريّ عليه السلام لأحمد بن إسحاق: «وَ اللهِ لَيَغِيبَنَّ غَيْبَةً لَا يَنْجُو فِيهَا مِنَ الْهَلَكَةِ إِلَّا مَنْ ثَبَّتَهُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ وَ وَفَّقَهُ فِيهَا لِلدُّعَاءِ بِتَعْجِيلِ فَرَجِهِ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٣٨٤.

لقد فشلنا نحن المسلمين في امتحاننا مع رسول الله ﷺ و الأئمّة الأحد عشر المعصومين عليهم السلام في عصر حضورهم، و إذا قُدّر لهذا الإمام الباقي عجّل الله تعالى فرجه الشريف الظهور، فهل سنضحّي بأنفسنا في سبيله؟! و هل أُولئك الّذين مالوا في زمن الأئمّة عليهم السلام إلى بني أميّة و بني العبّاس، كانوا مجانين؟! إنّهم كانوا يختارون من بين طريقَي الدين و الدنيا، طريق الدنيا و المسار المُنافي للآخرة، و لم تُعرَض علينا إلى الآن المناصب الّتي عُرِضت عليهم لكي نؤدّي امتحاننا [و يظهر اختيارنا]!

فتنة عظيمة!

[كأنّ العلماء الّذين قالوا بوجوب إيداع سهم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف من الخُمس وديعةً عند أحد العدول كانوا يظنّون أنّه عليه السلام سيخرج قريبًا][1]، لكن، أَلم يطّلع هؤلاء على تلك الرواية الّتي يقول فيها الإمام الصادق عليه السلام ما مضمونه: [تطول الغَيبة كثيرًا حتّى يقول الناس:] ما بال وليّ الأمر لا يظهر و قد امتلأت الأرض من الجَور[2].

بل لعلّ هناك رواية ـ لا أذكر حال سندها ـ تقول: حتّى يرجع أكثر القائلين بإمامته[3]. إنّها فتنةٌ عظيمة، كفتنة الغَيبة و بلائها. و قد سوّى مشايخنا[4] هذا الطريق لنا و مهّدوه ـ و هو الطريق الّذي كلّه ضلال ـ [و إنّما كان ذلك كلّه] من أجل أيّام دنياهم الأربعة [ليتنعّموا بالخلافة المُغتصبة]!

---

(١) في هذا المطلب إشارة إلى أحد الأقوال الواردة في الحدائق الناضرة، ج١٢، ص٤٥٢.

(٢) كأنّه إشارةٌ إلى الروايات الّتي تتحدّث عن طول زمن الغَيبة و تزلزُل إيمان الناس، منها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِيَّاكُمْ وَالتَّنْوِيهَ، أَمَا وَاللَّهِ لَيَغِيبَنَّ إِمَامُكُمْ سِنِينًا مِنْ دَهْرِكُمْ، وَلَتُمَحَّصُنَّ حتّى يُقَالَ: «مَاتَ أَوْ هَلَكَ، بِأَيِّ وَادٍ سَلَكَ»، وَلَتَدْمَعَنَّ عَلَيْهِ عُيُونُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَتُكْفَأُنَّ كَمَا تُكْفَأُ السُّفُنُ فِي أَمْوَاجِ الْبَحْرِ، وَلَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ، وَكَتَبَ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنْه»؛ الإمامة و التبصرة، ص١٢٥. و على هذا الأساس، فقد أُوصي المؤمنون في أدعيةٍ مختلفة أن يسألوا الله تعالى الثبات على الإيمان، منها ما جاء في دعاءٍ مرويّ عن الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «فَصَبِّرْنِي عَلَى ذَلِكَ حتّى لَا أُحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ وَلَا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ وَلَا أَكْشِفَ عَمَّا سَتَرْتَهُ وَلَا أَبْحَثَ عَمَّا كَتَمْتَهُ، وَلَا أُنَازِعَكَ فِي تَدْبِيرِكَ، وَلَا أَقُولَ لِمَ وَكَيْفَ وَمَا بَالُ وَلِيِّ الْأَمْرِ لَا يَظْهَرُ وَقَدِ امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ مِنَ الْجَوْرِ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٢١٥.

(٣) راجع: كمال الدين، ج٢، ص٣٨٥.

(٤) كان سماحة الشيخ قدّس سرّه يستخدم هذه الكلمة كنايةً عن الصحابة الّذين كانوا يرون أنفسهم كبار المسلمين و خلفاء النبيّ ﷺ، مع أنّهم حرّفوا الطريق حتّى أصبح كلّه ضلالًا!

آلاف الأشخاص ينادون [الحاكم الجائر] بقولهم: يا أمير المؤمنين! و قد كانوا جادّين كثيرًا في طاعتهم، بحيث [انظروا] إلى أين وصل الأمر! كان [الحاكم] يكرّر على أحدهم السؤال قائلًا: [إلى أيّ حدّ مستعدّ لطاعتي؟ وكان يجيب: فداؤك] أموالي، و ممتلكاتي كلّها، و لو أمرتني بطعن بطني بالخنجر لفعلت! فقال: إذا كان الأمر هكذا، فاقتل الفاطميّين المسجونين في ذلك السجن ـ كان قبوًا أو شيئًا آخر ـ و لو بإسقاط السقف عليهم. و قد فعل ذلك![1]

---

(١) «... حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللّٰهِ الْبَزَّازُ النَّيْسَابُورِيُّ وَكَانَ مُسِنًّا قَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ حُمَيْدِ بْنِ قَحْطَبَةَ الطَّائِيِّ الطوسيّ مُعَامَلَةٌ، فَرَحَلْتُ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، فَبَلَغَهُ خَبَرُ قُدُومِي فَاسْتَحْضَرَنِي لِلْوَقْتِ وَعَلَيَّ ثِيَابُ السَّفَرِ لَمْ أُغَيِّرْهَا، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَقْتَ صَلَاةِ الظُّهْرِ. فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ رَأَيْتُهُ فِي بَيْتٍ يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَجَلَسْتُ، فَأُتِيَ بِطَشْتٍ وَإِبْرِيقٍ فَغَسَلَ يَدَيْهِ، ثمّ أَمَرَنِي فَغَسَلْتُ يَدَيَّ وَأُحْضِرَتِ الْمَائِدَةُ وَذَهَبَ عَنِّي أَنِّي صَائِمٌ وَأَنِّي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ثُمَّ ذَكَرْتُ فَأَمْسَكْتُ يَدِي، فَقَالَ لِي حُمَيْدٌ: مَا لَكَ لَا تَأْكُلُ؟ فَقُلْتُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ وَلَسْتُ بِمَرِيضٍ وَلَا بِي عِلَّةٌ تُوجِبُ الْإِفْطَارَ، وَلَعَلَّ الْأَمِيرَ لَهُ عُذْرٌ فِي ذَلِكَ أَوْ عِلَّةٌ تُوجِبُ الْإِفْطَارَ. فَقَالَ: مَا بِي عِلَّةٌ تُوجِبُ الْإِفْطَارَ وَإِنِّي لَصَحِيحُ الْبَدَنِ، ثمّ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَبَكَى، فَقُلْتُ لَهُ بَعْدَ مَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ: مَا يُبْكِيكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ؟ فَقَالَ: أَنْفَذَ إِلَيَّ هَارُونُ الرَّشِيدُ وَقْتَ كَوْنِهِ بِطُوسَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ أَنْ أَجِبْ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ رَأَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ شَمْعَةً تَتَّقِدُ وَسَيْفًا مَسْلُولًا وَبَيْنَ يَدَيْهِ خَادِمٌ وَاقِفٌ، فَلَمَّا قُمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ فَقَالَ: كَيْفَ طَاعَتُكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقُلْتُ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ! فَأَطْرَقَ ثمّ أَذِنَ لِي فِي الِانْصِرَافِ، فَلَمْ أَلْبَثْ فِي مَنْزِلِي حتّى عَادَ الرَّسُولُ إِلَيَّ وَقَالَ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّا لِلّٰهِ أَخَافُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَزَمَ عَلَى قَتْلِي، وَأَنَّهُ لَمَّا رَآنِي اسْتَحْيَا مِنِّي، فَعُدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ فَقَالَ: كَيْفَ طَاعَتُكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقُلْتُ: بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ! فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا، ثمّ أَذِنَ لِي فِي الِانْصِرَافِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ مَنْزِلِي لَمْ أَلْبَثْ أَنْ عَادَ إِلَيَّ الرَّسُولُ، فَقَالَ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَحَضَرْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي كَيْفَ طَاعَتُكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقُلْتُ: بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالدِّينِ! فَضَحِكَ ثمّ قَالَ لِي: خُذْ هَذَا السَّيْفَ وَامْتَثِلْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ الْخَادِمُ. قَالَ: فَتَنَاوَلَ الْخَادِمُ السَّيْفَ وَنَاوَلَنِيهِ، وَجَاءَ بِي إِلَى بَيْتٍ بَابُهُ مُغْلَقٌ فَفَتَحَهُ، فَإِذَا فِيهِ بِئْرٌ فِي وَسَطِهِ وَثَلَاثَةُ بُيُوتٍ أَبْوَابُهَا مُغْلَقَةٌ، فَفَتَحَ بَابَ بَيْتٍ مِنْهَا، فَإِذَا فِيهِ عِشْرُونَ نَفْسًا عَلَيْهِمُ الشُّعُورُ وَالذَّوَائِبُ شُيُوخٌ وَكُهُولٌ وَشُبَّانٌ مُقَيَّدُونَ، فَقَالَ لِي: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكَ بِقَتْلِ هَؤُلَاءِ، وَكَانُوا كُلُّهُمْ عَلَوِيَّةً مِنْ وُلْدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عليهما السلام، فَجَعَلَ يُخْرِجُ إِلَيَّ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ فَأَضْرِبُ عُنُقَهُ حتّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهِمْ، ثمّ رَمَى بِأَجْسَادِهِمْ وَرُؤُوسِهِمْ فِي تِلْكَ الْبِئْرِ، ثمّ فَتَحَ بَابَ بَيْتٍ آخَرَ فَإِذَا فِيهِ أَيْضًا عِشْرُونَ نَفْسًا مِنَ الْعَلَوِيَّةِ مِنْ وُلْدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مُقَيَّدُونَ، فَقَالَ لِي إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكَ بِقَتْلِ هَؤُلَاءِ، فَجَعَلَ يُخْرِجُ إِلَيَّ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ فَأَضْرِبُ عُنُقَهُ وَيَرْمِي بِهِ فِي تِلْكَ الْبِئْرِ حتّى أَتَيْتُ إِلَى آخِرِهِمْ، ثمّ فَتَحَ بَابَ الْبَيْتِ الثَّالِثِ، فَإِذَا فِيهِ مِثْلُهُمْ عِشْرُونَ نَفْسًا مِنْ وُلْدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عليهما السلام مُقَيَّدُونَ عَلَيْهِمُ الشُّعُورُ وَالذَّوَائِبُ، فَقَالَ لِي: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكَ بِقَتْلِ هَؤُلَاءِ أَيْضًا، فَجَعَلَ يُخْرِجُ إِلَيَّ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ فَأَضْرِبُ عُنُقَهُ وَيَرْمِي بِهِ فِي تِلْكَ الْبِئْرِ، حتّى أَتَيْتُ عَلَى تِسْعَةَ عَشَرَ نَفْسًا مِنْهُمْ وَبَقِيَ شَيْخٌ مِنْهُمْ عَلَيْهِ شَعْرٌ فَقَالَ لِي: تَبًّا لَكَ يَا مَيْشُومُ، أَيُّ عُذْرٍ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا قَدِمْتَ عَلَى جَدِّنَا رَسُولِ اللّٰهِ صلّى الله عليه وآله وَقَدْ قَتَلْتَ مِنْ أَوْلَادِهِ سِتِّينَ نَفْسًا قَدْ وَلَدَهُمْ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؟ فَارْتَعَشَتْ يَدِي وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصِي، فَنَظَرَ إِلَيَّ الْخَادِمُ مُغْضَبًا وَزَبَرَنِي، فَأَتَيْتُ عَلَى ذَلِكَ الشَّيْخِ أَيْضًا فَقَتَلْتُهُ وَرَمَى بِهِ فِي تِلْكَ الْبِئْرِ. فَإِذَا كَانَ فِعْلِي هَذَا وَقَدْ قَتَلْتُ سِتِّينَ نَفْسًا مِنْ وُلْدِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَمَا يَنْفَعُنِي صَوْمِي وَصَلَاتِي وَأَنَا لَا أَشُكُّ أَنِّي مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ»؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١١٠و١١١.

و الآن، الشهداء الّذين قُتلوا [على يد صدّام الملعون][1]، و من بينهم علماء أفاضل، و مُجِدّون [و مثابرون في العلم و العمل]، و متديّنون، لم يُعلم أبدًا أين مدافنهم، و في أيّ بئرٍ رماهم الملعون. كما لم يُعلم كيف قُتلوا، و هل قتلهم حقنًا أم بوسيلةٍ أخرى! لا أعلم، ماذا نقول!

و هؤلاء[2] آباء و أبناء. و هذه الأحداث كلّها ـ من اليوم الأوّل ـ قد بدأت من السقيفة، و لا تزال مستمرّة. و إلى متى سوف تستمرّ؟ الله أعلم! و ما نعلمه أنّ أمر خروج السفيانيّ سيكون صعبًا جدًّا جدًّا. [و في الرواية] أنّهم يَقتلون على الاسم، فهذه فاطمة [مثلًا]، و هذه عاتكة، و هذا محمّد، و هذا عليّ، و... يَقتلون على الاسم. ثمّ يقول بعضهم: لا ذنب لنا! و آباؤنا هم من أطلقوا علينا هذه الأسماء، و لسنا من اختارها. فيقول: لا تقتلوا من اسمه فلان و فلان، و اقتلوا الباقين[3].

و هؤلاء هم هكذا أيضًا! هؤلاء الملوك كافرون باطنًا، أو تابعون للكفّار، أو قد بايعوهم. و هذه هي نهاية الأمر، إذ لا يرضون بشيء مطلقًا، و لو أعطيناهم المال كلّه لم يكفهم، و إنّما يجب أن تكون عبدًا ذليلًا لهم، و أن تُنفّذ كلّ ما يقولونه. نعوذ بالله! نعوذ بالله! ألا يفعلون هذا حاليًّا؟ ألم يُسمع الآن مثلًا أنّهم يطلبون [إلى من ينتمي إليهم] حرق القرآن؟ و هذا دليلٌ على دخول الشخص في البهائيّة الملعونة؟! إذ يجب أن يكون مستعدًّا لكلّ شيء![4]

فقهرًا، لا بدّ أن يرزق الله تنبُّهًا و يبيّن طريقًا، لأنّنا حتّى إذا أردنا أن نستعمل التقيّة يجب أن نعرف كيف نفعل ذلك، و إذا لم نستعملها فإنّهم سيقتلوننا.

❁ وجوب الدعاء عند الصعاب في آخر الزمان

هل يقرّ لنا قرارٌ و هناك مجموعة ـ سواء في إيران أم العراق ـ [تتعرّض للقصف] و تكون تحت

---

(١) الظاهر أنّ المراد هم الشهداء من علماء النجف الأشرف، الّذين كانوا مسجونين في سجون صدّام الملعون، و قُتلوا شهداء بأمرٍ منه. و قد ذكرهم آية الله الشيخ البهجة ﷺ و ترحّم عليهم في كلماته مرّاتٍ عديدة.

(٢) حكّام الجور الآن و سابقًا.

(٣) راجع: فرائد فوائد الفكر، ص٣٢٠؛ عقد الدرر، ص١٣٠و١٣١.

(٤) يَطلب حكّام الضلال إلى أتباعهم أن يضحّوا من أجلهم بكلّ ما يملكون من الروح و المال و العِرض، إلى الدّين و العقيدة و الآخرة. فمثلًا البهائيّة تشترط على من يدّعي الانتساب إليها أن يُحرِق القرآن، ليصدّقوا انتسابه إليها حقيقة. و على هذا، يجب على من يريد الالتحاق بالمضلّين و الظالمين أن يستعدّ للتضحية بكلّ ما يملك في سبيل الضلال و الباطل.

النيران؟ فإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يرى أتباعه، و أصحابه، و لا يعرفهم على أساس بطاقة الهويّة الّتي نحملها، و تفيد أنّ هذا إيرانيّ، و هذا عراقيّ، و...، بل إنّه ينظر إلى الشيعة من منظارٍ آخر![1] فهل نحن حزينون ـ حقيقةً ـ لبلائهم؟ و هل ندعو لهم؟ و الله سبحانه يقول: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾[2]، و هل يمكن ترك الدعاء مع هذه البلاءات كلّها الّتي تأتي من الخارج و الداخل؟ و لو كنّا قد صفّينا حسابنا مع الله لصُفّيت الحسابات الأخرى و صلُحت![3]

يجب على الشيعة في زمان الغَيبة أن يصبروا و يتحمّلوا!

طلبوا إلى رجلٍ في طهران ـ في عهد الملك رضا البهلويّ ـ أن يقصد آية الله الشيخ عبد الكريم الحائريّ رحمه الله في قمّ. و الظاهر أنّهم أرادوا منه أن يسأله: ما التكليف فيما يرتبط بـ[قانون] خلع الحجاب؟[4] فذهب إليه رحمه الله، و سأله عن ذلك. فقال له في اليوم الأوّل: يجب على الناس أن يصمدوا مقابل ذلك حتّى لو قُتلوا! ثمّ راجَعه ذلك الرجل في اليوم التالي، ليتأكّد هل التكليف ما قاله رحمه الله البارحة أم لا. فقال له رحمه الله: لا أعلم![5] أي أجابه بنقيض حُكم البارحة. فلو رفض الناس خلع الحجاب، و قُتلوا في سبيل النهي عن المنكر، و في النتيجة أُلغي قانون خلع الحجاب، فَبِها و نِعْمَتْ! لكن ماذا لو قُتلوا، و بقي المنكَر مُنتشرًا؟!

إنّها لمصيبةٌ عظيمةٌ لأهل الإيمان و الشيعة أن يُقتَلوا في عصر الغَيبة و لكن لا تكون هناك نجاة! و لهذا لا بدّ أن يُحرقوا و يبتلوا و يتأقلموا [مع ابتلائهم][6].

---

(١) صدر هذا الكلام من سماحته رحمه الله في وقتٍ نشبت فيه الحرب بين العراق و إيران، و كانت أغلبية ضحايا كلا البلدين من الشيعة.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٤٣.

(٣) كلمتا تسوية الحساب و تصفيته كلتاهما صحيحتان. و لهما استعمالات على نطاق واسع. لكنّ استعمال لفظ التصفية مع الله تعالى أنسب؛ لأنّ التسوية تعني المطابقة بين ما لصاحب الحساب من دَين و ما عليه. أمّا التصفية فتعني توضيح مشكلات الحساب.

(٤) في زمن الملك رضا البهلويّ، صدر قانون يحظر على النساء ارتداء الحجاب، حتّى إنّه لم يكن يُسمح للمحجّبات بدخول الشوارع أو استخدام وسائل النقل، كما لم يُسمح لأصحاب المحال التجارية ببيعهنّ السلع. أمّا النساء اللواتي كنّ يحضرن بحجابهنّ في الأماكن العامّة فكنّ يتعرضن للهجوم و الإساءة من قبل الشرطة.

(٥) طبعًا هذا لا يعني جهل سماحته رحمه الله بالحكم الشرعيّ أو عجزه عن استنباطه، بل المقصود أنّه رجع عن الحكم السابق إلى الاحتياط.

(٦) في هذا الموضع استخدم سماحته رحمه الله عبارة: «سوختن و ساختن»، و هي مثلٌ فارسيٌّ يُقال عندما يكون الشخص

كان أحدهم ـ لم أره شخصيًّا، بل نُقل إليّ كلامه ـ يقول: كان هناك فتى في الحادية و العشرين من العمر يُصلّي إلى جانبي في حرم الإمامين الكاظمَين عليهما السلام. و غاية ما فهمته أنّه صلّى صلوات كثيرة بطمأنينةٍ، في مدّةٍ قليلةٍ و قصيرة، و قال في قنوتاتها كلّها: «عَجِّلْ فَرَجَهُ» و ذكر اسم نفسه![1]

... نعم! يرى الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف البلاءات كلّها الّتي تنزل على أهل الإيمان. و لهذا هو مهمومٌ و مغموم. أمّا نحن فمخالفون حتّى لدنيا أنفسنا، و نتخلّى عن التكليف، و لا نتبرّأ من الأجنبيّ![2] غافلين عن أنّ الخبز الخالي الّذي يعطيه الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف للشعب أفضل لنا، مِن حيث البقاء و الدوام و الصحّة، من الزعفران الإيرانيّ الّذي يصلنا عبر الأجانب![3] و مضافًا إلى هذا، مَن يقول إنّ الخبز في دولته عجّل الله تعالى فرجه الشريف خالٍ دائمًا؟! إذ قد اتّفق أن قسّم الأميرعليه السلام بيت المال عدّة مرّاتٍ في شهرٍ واحد، و قال: ما أنا لكم بخازن، أو حسب الاصطلاح لست لكم بمدير المصرف؛ «ما أَنَا لَكُمْ بِخازِنٍ»[4]، في حين كان الخليفة الثالث يقول: لا أعطيكم أقلّ ممّا أعطاكم الشيخان. و إذا زدت عليه فقد تفضّلت. و الحال أنّه يجب أن تُقاس النسبة. فكم كان في بيت المال في عهدَيهما، و كم جُمع منه في عهد عثمان؟ و لو كان يُجمع عشرة آلاف درهم مثلًا في عهد الشيخَين، و كانت تُقسَّم على عشرة أشخاص، كان لكلّ فردٍ منهم ألف درهم. أمّا إذا كان المجموع في زمان عثمان عشرة ملايين درهم، و كانت تُقسَّم بين ألف شخص، لحصل كلّ واحدٍ على عشرة آلاف درهم. لكنّه كان يقول: أعطيكم بمقدار ما كان الشيخان يعطيانِكم، و إذا زدت تفضّلتُ! و كان يأخذ الزائد لنفسه،

في ابتلاءٍ صعبٍ جدًّا و كأنّه يحترق بسببه، و لا يكون أمامه طريق للخلاص منه، فلا بدّ له من التأقلم مع ذلك الابتلاء و تقبّله متجرّعًا مرارة الصبر عليه.

(١) أي أنّ هذا الفتى كان الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و كان يدعو لنفسه بتعجيل الفرج.

(٢) أي حتّى لو كنّا نريد الدنيا و متاعها فضلًا عن الآخرة و ثوابها يجب أن نتبرّأ من الأجانب و من كلّ من يخالف ديننا، لكنّنا للأسف نلجأ إليهم بل نجعل أنفسنا في خدمتهم، مع أنّنا لن نحصل منهم على شيءٍ من خير الدنيا الّذي نطمع إليه، و قد وُجدت على مرّ التاريخ شواهد كثيرة على هذه الحقيقة، على أمل أن يكون ذلك عبرةً للمعتبرين.

(٣) كان الأجانب يأخذون الزعفران من إيران ثمّ يغلفونه و يعلّبونه و يعيدون بيعه إلى الإيرانيّين، و هذه الحال نفسها مع معظم البلدان الإسلاميّة، إذ إنّ الأجانب يسرقون ثرواتهم ثمّ يبيعونها لهم بأثمان باهظة!

(٤) «أَعْطَى عَلِيٌّ عليه السلام النَّاسَ فِي عَامٍ وَاحِدٍ ثَلَاثَةَ أَعْطِيَةٍ، ثمّ قُدِمَ عَلَيْهِ خَرَاجُ أَصْفَهَانَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اغْدُوا فَخُذُوا فَوَاللَّهِ مَا أَنَا لَكُمْ بِخَازِنٍ، ثمّ أَمَرَ بِبَيْتِ الْمَالِ فَكُنِسَ وَ نُضِحَ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ»؛ بحار الأنوار، ج٣٤، ص٣٥١.

أو يعطيه لخاصّته. حتّى إنّه أعطى مروان دفعةً واحدةً خُمس الغنائم كلّه الّذي جاؤوا به من أفريقيا![1] نعم، أصبح بيت المال ألعوبةً في زمانه. و كان دَيدنه تقديم العطايا للمقرّبين منه، حتّى لو لم يكونوا مستحقّين، بل حتّى لو كانوا كافرين، و حرمان أعدائه و إن كانوا مستحقّين و مسلمين! و بناءً على هذا، يجب تجسيد هذا المعنى لأهل الإيمان و عليهم أن يتيقّنوا بأنّ الابتعاد عمّن أمر الله تعالى باتّباعهم [أي أهل البيت عليهم السلام] يوجب بُعدنا عن البركات الدنيويّة و الأخرويّة كلّها!

ما أعظمَ القلبَ الّذي وهبه الله له!

أصبحت البلاءات خاصّةً بالشيعة، و كأنّهم ينظُرون إلى بطاقة الهويّة الشخصيّة ـ كما حصل في لبنان ـ أمّا الآخرون [غير الشيعة] فمرتاحون، لأنّهم استسلموا. لكنّهم في الواقع أكثر بلاء! و لهذا أقول [و أدعو] أن يكون الفرَج قريبًا جدًّا إن شاء الله. فما أعظم القلب الّذي منحه عجّل الله تعالى فرجه الشريف الله إيّاه، إذ إنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف رأى على مدى هذا الزمان الطويل كلّ هذه المصائب، و صبر!

إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف ليس غافلاً عن أتباعه

هل الإمام الصاحب عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي هو خلف ستار الغَيبة بسبب الأعداء، غافلٌ عن أتباعه، ليَجري عليهم ما يجري؟ هذه التخيّلات ناشئةٌ من ضعف الإيمان. و هل يمكن ألّا يُقوّي الإمام عليه السلام أتباعه، و يُقدّم لهم الدعم من أجل أحقّيّة المذهب؟![2] الله يعلم ماذا فعل عليه السلام حتّى الآن، و ماذا يفعل!

و ما أشدّ الفَرق بين من يعتقد أنّه عليه السلام «عَينُ الله النّاظِرَة» و يعتقد أنّ مجلسنا هذا في محضره عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و هو على يقينٍ من أنّ حدود الكلمات كلّها و مقاييسها و... واضحةٌ عنده عجّل الله تعالى فرجه الشريف[3]، و بين من لا يعتقد بمثل هذا!

---

(١) راجع: الإمامة و السياسة، ج١، ص٥٠؛ بحار الأنوار، ج٣١، ص٣٠٠.

(٢) أي أنّ العاملين على خدمة المذهب و العقائد الحقّة، الّذين يبذلون الجهود و يسعون لتحقيق أهداف الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف هم قطعًا مشمولون بعنايته لهم، و اهتمامه الخاصّ بهم، و دعمه لهم.

(٣) أي أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يسمع الكلمات بوضوحٍ قبل أيّ شخص آخر، بل حتّى قبل المتكلِّم بها نفسه، و أغراضه القلبيّة حاضرةٌ عنده عليه السلام و واضحة.

أتظنّ أنّنا غير مطّلعين على حالكم؟!

قبل أكثر من عشر سنوات، كان نجّارٌ من محبّي الميرزا عبد العليّ الطهرانيّ ﷺ يقول: قبل ثلاثين عامًا ـ أي قبل أربعين عامًا من الآن ـ كنّا نذهب إلى العمل مدّة شهرين، [لكن] دون أن نكسب أيّ دخل. و كان علينا أن نقترض [من أجل تيسير المعاش]. و قد أصبحنا نعيش بالدَّيْن. و كنت قد قرأتُ قبلًا في كتاب الميرزا النوريّ ﷺ[1] عن أحوال من توسّلوا بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و تشرّفوا بلقائه[2]. و قد ورد [فيه] توسّل بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و كيفيّته: أن يصعد المرء إلى السطح، و يصلّي، و يتوسّل. فخطر ببالي ذات ليلةٍ أن أتوسّل بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف لرفع الفاقة الّتي أنا فيها. فأخذت كتابه ﷺ، و صلّيت ركعتين، و توسّلت بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و في صباح اليوم التالي، قالت لي امرأتي عندما أردت الخروج إلى الدكّان: أعطنا شيئًا نعدّ به طعام الغداء. و كان في جيبي خمسة تومانات. أخذت واحدًا منها لنفسي، و أعطيت الأربعة الباقية لامرأتي، كي تشتري الخبز و الطعام. فقالت لي: أربعة تومانات لا تساوي شيئًا [و لا قيمة لها]! قلتُ: لعلّ شيئًا [أو حدثًا] ما يحصل إلى الظهر، و ما أدرانا؟ و أخذتُ التومان لشراء السجائر، أو ما أحتاج إليه، و خرجتُ من البيت قاصدًا محلّ العمل. و لم يحصل شيء إلى الظهر. و كانت المرأة قد قصدت أختها، و استدانت منها مبلغًا من المال، و أعدّت طعامًا للغداء يشبه ما يُعرف بـ«إِشْكِنِه»[3]. و بعدما أصبح الطعام جاهزًا، ما إن تناوَلت اللقمة الأولى منه، حتّى سمعتُ أحدهم يطرق الباب. فتحته. فقال لي الطارق: أولاد الطهرانيّ مجتمعون في منزل الميرزا عبد العليّ الطهرانيّ، و هم يرغبون بحضورك أيضًا، و قد دعوك لتناول طعام الغداء هناك؛ كما أخبرني أنّ الشيخ زاهد[4] هناك أيضًا. فخرجت من البيت و قصدت الميرزا عبد العليّ الطهرانيّ، الّذي كان معروفًا في

(١) آية الله الشيخ الميرزا حسين النوريّ (١٢٤٥ ـ ١٣٢٠هـ.ق) هو من كبار العلماء المشهورين و صاحب تأليفاتٍ كثيرة، من جملتها مستدرك الوسائل، الصحيفة العلويّة الثانية، و نفس الرحمن في فضائل سيّدنا سلمان و غيرها. و من آثاره المختلفة حول الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف الكتب الثلاثة: النجم الثاقب، جنّة المأوى و كشف الأستار.

(٢) كتب المحدِّث النوريّ ﷺ كتابًا حول من تشرّفوا بلقاء إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف باسم «جنّة المأوى»، و قد طُبع مُلحَقًا بالمجلّد الثالث و الخمسين من بحار الأنوار. و له كتاب آخر أيضًا باللغة الفارسيّة، حول إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، تحت عنوان «النجم الثاقب»، ذُكرت فيه بعض التوسّلات.

(٣) طعام إيرانيّ يُؤكل مع الخبز عادة.

(٤) الشيخ الحاج مرتضى زاهد (١٣٧١ق) هو من العلماء الزهّاد و الأتقياء، و كان من تلامذة الشيخ فضل الله النوريّ ﷺ، و هو مدفونٌ في الصحن المطهر لأبي الفضل العبّاس عليه السلام.

طهران. وكان هناك الكثير من الحضور، و منهم الشيخ زاهد. و قد أعدّوا مائدةً ممتازة. و بعد أن تناول الحضور طعام الغداء و غادروا، بقينا هناك، وكنّا ثلاثة أشخاصٍ أو أربعة، منهم الشيخ زاهد، وكان جالسًا أسفل الكرسيّ[1]. و جريًا على عادتي أخرجت السيجارة بيدي. و من دون أيّة مقدَّمة، بادر الشيخ زاهد إلى الكلام فقال: «كان في النجف أستاذٌ اسمه السيّد حسن، وكان وضعه الاقتصاديّ حرِجًا، و لم يكن قادرًا على توفير الخبز لأسرته أكثر من مرّةٍ واحدةٍ في اليوم. فقال: قرّرت أن أكتب رسالةً للصاحب عجّل الله تعالى فرجه الشريف مدّة أربعين يومًا، و إلقاءَها في المكان الفلانيّ ـ و لا أعلم أين المكان الّذي قاله ـ رفعًا للفاقة، و توسعةً في الرزق. [قال]: فعلت ذلك مدّة أربعين يومًا، إذ كتبت قصّتي في رسالة، و عندما كتبتها في اليوم الأربعين كنت غافلًا عن كونه الأربعين. وكنت جالسًا لوحدي في البيت، و لم تكن امرأتي موجودة فيه. وكان الباب مغلقًا. فطرق سمعي صوتٌ يأتي من الخارج، من خلف جدار المنزل، و هو يقول: «يا سيّد حسن!» فقلت في نفسي: باب المنزل مُغلق، و لا أحد غيري في البيت. فهذا تخيّلٌ قطعًا، إذ لا أحد في المنزل كي يناديني باسمي. و لهذا، لم أعتنِ بذلك الصوت. ثمّ تكرّر النداء ثانية: «يا سيّد حسن، ابن السيّد حسين!». و قد ذكر اسم أبي [في هذه المرّة]. فأدركت أنّ الأمر ليس خيالًا، إذ يعرف اسم أبي أيضًا! فنهضت و ذهبت باتجاه الصوت، [لكنّني] لم أرَ أحدًا. [و في هذه اللحظة] سمعت صوتًا يقول:

«أتظنّ أنّنا غير مطّلعين على حالكم؟! و لا نلتفت إلى حالكم؟!»

و ما إنْ سمعت هذه الكلمة، فكأنّ الماء صُبّ على النار. و من دون أن يعطيني المال [انتابتني حالة معنويّة]، فشعرت كأن لا حاجة لي أبدًا، و كأنّ حاجتي قد قُضيت.

فقد ارتاح دون أن يحصل على شيء من المال. فمَن كان محتاجًا من رأسه إلى أخمص قدمَيه، و مع أنّه لم يُعطَ المال، أصبح بلطف ذلك الصوت غنيًّا، و لا حاجة له!».

فقال النجّار الّذي سمع هذه [القصّة]: قلت [في نفسي]: نقل الشيخ زاهد القصّة إلى هنا و سكت. و قد بدأ من غير سببٍ قطّ، ثمّ امتنع عن إكمالها دون أيّ مانعٍ من ذلك. «أَلسنا مطّلعين على حالكم، و لا نلتفت إلى حالكم؟» [قال هذا] و سكت. فحذارِ أن يكون نَقْل

---

(١) الكرسي قطعة من الأثاث في البيوت الإيرانيّة القديمة. و هي طاولة قصيرة توضع تحتها مدفأة، ثمّ تُغطّى بملاءة كبيرة، لتحبس الحرارة تحتها. و تجتمع الأسرة حولها في الشتاء لتناول الطعام، أو السهر، أو النوم، مسدِلين الملاءة الّتي تشبّعت بالحرارة على أقدامهم و قسمٍ من أبدانهم ما عدا الرأس.

القصّة من أجلي، و هو يقول لي: أتظنّ أنّنا غير مطّلعين على حالكم؟ و كأنّه يتحدّث عنّي؛ إذ صلّيت البارحة، و توسّلت بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و كما كان هذا الكلام [سببًا لتسكين السيّد حسن] كان [سببًا لهدوئي و سلوتي] أنا أيضًا. و كأنّ الماء صُبّ على ناري. و من دون أن يعطيني أحد شيئًا، أو مالًا، أو يعِدني بشيء، فقد شعرت بالراحة جدًّا؛ إذ لعلّي أريد من الإمام عليه السلام ما ليس من مصلحتي! و زال ما كان في داخلي من ضيقٍ و حزن، كما لو صُبّ الماء على النار. و شعرت بالراحة دون أن يعطيني أحد المال، أو يعِدني به. و تجسّد لي أنّني كالمريض، بل كالطفل المريض، الّذي يريد الخلّ، و الحمضيّات، و هي مضرّة له، فهل يعطيني الأبوان العطوفان ذلك في هذه الحالة؟ أبدًا! من المستحيل أن يعطياني إيّاها. فقد تجسّد لي أنّ حالتي أنا أيضًا هي هكذا. فمنذ شهرين و أنا أستدين، و لم أحصل اليوم على أيّ مال، لكنّني ارتحت جدًّا!

و بهذا يُعلم أنّ الاستغناء و الغنى يرتبطان بالقلب، لا بالمال، و التجارة، و رأس المال، و الثروة. و يُعلم أنّ هذه الأمور كلّها باطلةٌ و خيال!

فمن يعتقد أنّه [أي إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف] مطّلعٌ على أحوالنا على هذا النحو [يرتاح]. عِلمًا أنّ رؤية جماله المبارك جيّدة، و لها فضيلةٌ عظيمةٌ جدًّا، لكنّكم تعلمون أنّ الكثيرين كانوا ينظرون إلى جمالهم عليهم السلام و لم يكونوا يطيعون، بل كانوا غير أكْفَاء! معرفة المقام هي أرفع من هذه الأمور. و معرفة عظمتهم عليهم السلام و جلالة قدرهم هي أرفع من هذه الأمور. و اليقين بمقاماتهم عليهم السلام هو أسمى من هذه الأمور بكثير!

إغاثة إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في عصر الغَيبة

كان أحد المدرّسين يقول: كنت كلّما أصابني البلاء، و الهمّ، و الحزن في النجف أغتسل و أتطهّر، و أذهب إلى الحرم. و كأنّني كنت ألوذ بالإمام الأمير عليه السلام، و يتبيّن لابتلائي و همّي و حزني طريق حلٍّ و علاج. فأمير المؤمنين عليه السلام و كلّ واحدٍ من الأئمّة الأطهار عليهم السلام، يتعاطَون مع القاصدين لهم و المجاورين[1] و الزائرين، كالأب العطوف على أولاده.

و كان آخر يقول: أجلس على الشرفة المذهّبة في حرم أمير المؤمنين عليه السلام كلّما واجهتني مشكلة، و أكون مهمومًا و مغمومًا، و أنظر إلى حرمه المبارك، فيرتفع حزني و غمّي أو مشكلتي. ففي التوسّل بالأئمّة المعصومين عليهم السلام يأخذ بعضهم نقدًا، و ترتفع مشكلاتهم؛ في

(١) المجاور هو من يُوفّق للسكن في مدينةٍ فيها أحد المزارات الدينيّة.

حين يرتاح بعض آخر دون أن ينالوا شيئًا، و يرجعون مرتاحي البال.

و كان أحدهم يقول: ابتليت مدّةً طويلةً بالفقر و الابتلاءات. فتوسّلت أربعين يومًا بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كتبت له رسالة، و ألقيتها في ماء جارٍ. و في اليوم الأخير، سمعت صوتًا ناداني باسمي و اسم أبي، و قال: أتظنّ أنّنا غير مطّلعين على حالكم؟! و قد أطفأ ذلك الصوت نار قلبي دون أن يعطيني المنادي شيئًا، و كأنّ الماء قد صُبّ على النار.

عناية إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف في عصر الغَيبة

كان الشيخ محمّد رضا العربستانيّ رحمه الله يقول في مجلسٍ - كنت حاضرًا فيه - لرجلٍ من محبّيه كبير في السنّ: رحم الله فلانًا! و قد كان الطقس في إحدى السنوات حارًّا، فقال: من الحسن أن نذهب إلى مقام فلان الّذي هو من أحفاد الأئمّة عليهم السلام - الواقع بالقرب من مدينة قمّ - للزيارة، و تغيير الجوّ. قلت: هل هناك دابّةٌ تقلّنا؟ قال: نعم! قلت: ننتظر في المكان الفلانيّ غدًا صباحًا. و لهذا أخذنا قليلًا من الخبز، و ذهبنا إلى المكان المحدّد، إلّا أنّ الدابّة لم تكن موجودة. و كان الطقس حارًّا. فمشينا مقدارًا كبيرًا، حتّى تقرّحت أقدامنا، و نفدت قوّتي، فقلت: لقد تقرّحت أقدامنا، و لا يمكننا تناول الخبز من دون ماء. فقال ثلاث مرات: يا صاحب الزمان، أرسِل إلينا مركبًا ليركب هذا الرجل! و كأنّ مركبًا قد جاش من تحت الحصى، و ظهرت دابّة مع عربة. و كان الراكب أحمد الطباطبائيّ - والد الحاجّ محمّد الطباطبائيّ، النائب عن [مدينة] قمّ [في المجلس النيابيّ] - و كان ذاهبًا إلى تلك القرية لجمع المحصول من الحبوب. فنادانا من بعيد: تفضّلوا! و ذهبنا معه، و بقينا هناك يومين أو ثلاثة أيّام. و بالمناسبة، عندما أردنا الرجوع كان قد أنهى عمله، و جمع محصوله، و همّ بالرجوع إلى قمّ. لهذا قلت لأحدهم: اسأله: هل يمكنه أن يقلّنا ثانية، و يأخذ أجرة على ذلك؟ و قد سأله عن ذلك. فنادى من بعيدٍ: ما هذا الكلام؟ تفضّلوا! فركبنا معه كالسابق، و عدنا.

نعم! نحن نراه بعيدًا عنّا، مع أنّنا نقرأ في زيارته: «السلامُ عَلَيكَ يا عَينَ اللهِ الناظِرَة»[1] نعم، إنّه واقعًا يرانا، و علينا نحن أيضًا أن نلاحظ حضوره [و نلتفت إليه].

---

(١) لقد وردت هذه العبارة في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام (المزار الكبير، ص٢١٧)، و لكن صفة «عين الله الناظرة» بنحوٍ عامّ وردت في حقّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام جميعًا، و نقرأ في زيارة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف المخصوصة في يوم الجمعة: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَيْنَ اللّهِ فِي خَلْقِهِ»؛ راجع: الإمامة و التبصرة من الحيرة، ص١٣٢؛ التوحيد (للصدوق)، ص١٦٧؛ جمال الأسبوع، ص٣٧.

الروضة الرابعة:

«النّيابة في زمن الغَيبة»

النوّاب الأربعة واسطة في التوسّلات

لقد كان النوّاب الأربعة[1] في غاية الجلالة [و يمكن] اتّخاذهم شفعاء و وسائط في الدعوات و التوسّلات[2]. بل الظاهر ورود [و مشروعيّة و ثبوت] كتابة العرائض[3] إليهم و ما شابه[4]. فَهُم على مرتبةٍ عاليةٍ من المكانة و الأهمّيّة.

---

(١) لقد عيّن إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف بنفسه النوّاب الأربعة في زمن الغَيبة الصغرى، ليكونوا وسائط بينه و بين الناس. و كان أوّلهم عثمان بن سعيد الّذي بدأت نيابته سنة ٢٦٠ للهجرة، و من بعده حلّ مكانه ابنه محمّد بن عثمان، و ثالثهم كان الحسين بن رَوْح النوبختيّ، و آخرهم عليّ بن محمّد السمريّ، و قد بدأت الغَيبة الكبرى بعد وفاته سنة ٣٢٩هـ.ق.

(٢) أورد الشيخ الطوسيّ رحمه الله في التهذيب زيارةً تحت عنوان «زيارة الأبواب» و يُزار بها كلٌّ من النوّاب الأربعة، و يُتوسّل بالأئمّة عليهم السلام عبر هؤلاء النوّاب. و قد ورد في إحدى فقرات هذه الزيارة: «بِكَ إِلَيْهِمْ تَوَجُّهِي»؛ راجع: تهذيب الأحكام، ج٦، ص١١٨.

(٣) العريضة حسب التعريف اللّغويّ هي صحيفةٌ تُعرَض فيها الحاجات أو الظلامات ثمّ تُرفع إلى الحاكم أو السلطان. و العريضة هنا هي الورقة الّتي يكتب فيها الموالون حوائجهم و يرفعونها إلى النوّاب الخاصّين للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، مؤمنين بمقامهم الرفيع الّذي يستشفعون به لقضاء حوائجهم، و كيف لا يكونون كذلك و هم خاصّة السلطان الأعظم صاحب الزمان عليه السلام.

(٤) أورد المرحوم الكفعميّ في كتابه المصباح طريقة للتوسّل بإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و على وفق ما ذكره في هذا المجال، مَن كانت له حاجة يكتب على قصاصة ورقٍ فقرات ذكرها في كتابه، ثمّ يلقيها في نهرٍ أو بئرٍ أو بركة ماءٍ، بعد أن يجعل أحد النوّاب الأربعة وسيلةً له بالكيفيّة الّتي ذكرها. للاطّلاع أكثر راجع: المصباح، ص٤٠٤؛ بحار الأنوار، ج٩٩، ص٢٣٤.

كرامات النوّاب الأربعة

كيف نال [العلماء من أصحاب الكرامات و التشرّف] هذه الأمور، و لكنّنا نحن بعيدون عنها؟! إنّه عليه السلام «الْمُحْتَجَب عَنْ أَعْيُنِ الظَّالِمِينَ»، و الظاهر أنّ المراد من عبارة «من ادّعى المشاهدة» هو ادّعاء البابيّة و أمثالها. قال [الراوي]: كنت مكلّفًا بإيصال كمّيّةٍ من سبائك الذهب و قد أضعت إحداها في الطريق في أثناء نزولي في إحدى محطّات القوافل الّتي نزلنا فيها، فاضطررت إلى شراء واحدةٍ و وضعها مكان الّتي ضاعت مني، و عندما صرت عند الحسين بن رَوْح رضوان الله عليه، تسلّم جميع السبائك منّي و عزل الّتي كنت قد اشتريتها، و قال: ليست هذه السبيكة لنا! سبيكتنا موجودةٌ في المكان الّذي نزَلْتَ فيه تحت الرمل. فاذهب إلى هناك و استخرِجها من تحت الرمل، و عند مجيئك في العام اللاحق لن تجدني، فسلّمها لمن يكون من بعدي. يقول [الراوي]: فقُمت بما طلبه إليّ، فسلّمتها في العام اللاحق للسمريّ الّذي كان النائب التالي.(1)

مقامات النوّاب الخاصّين

ربما يختلف النوّاب الخاصّون [للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف] عن النوّاب العامّين كثيرًا، إنّهم مختلفون جدًّا، فلا يمكن مقايسة الآخرين بهم، لأنّهم فرع مَن له ذلك(2). فهم [النوّاب الخاصّون] فرعٌ للأصل الّذي ولايته عامّة(3). فهذا فرعٌ لذلك، طبعًا عندما لا يكون كـ «قضيّة في واقعة»(4)، [بل] يكون نائبًا خاصًّا. لقد كان للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف وكلاء آخرون غير هؤلاء الأربعة [النوّاب الخاصّين] و في زمانهم نفسه، وكان منهم أشخاصٌ يُحسب لهم عظيم القدر. لم تكن [الوكالة] منحصرةً بهؤلاء الأربعة، لكنّ [الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] قد رجّح هؤلاء الأربعة على من سواهم. لكن، هل يعني هذا أنّ مَن سواهم لا أهليّة له؟ كلّا، فهذا الكلام ليس مطروحًا. و لذا، كان للإمام العسكريّ عليه السلام في زمانه وكلاء(5) غير هؤلاء الأربعة(6).

---

(1) راجع: كمال الدين، ج٢، ص٥١٨.

(٢) و ذلك لأنّ النائب الخاصّ فرعٌ لذلك الأصل و لصاحب الإمامة و الولاية عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

(٣) المقصود بالأصل الإمام المعصوم عليه السلام، فولايته عامّة.

(٤) المقصود فيما لو لم تكن نيابته مثل وكالة مَن يكون وكيلًا عن الإمام المعصوم عليه السلام في أمرٍ خاصّ.

(٥) من وكلاء الإمام العسكريّ عليه السلام كما نُقل: إبراهيم بن عَبدَة النيسابوريّ (رجال الكشّيّ، ص٨٤٨)، و أحمد بن إسحاق الأشعريّ القمّيّ (دلائل الأئمّة، ص٥٠٣)، و جعفر بن سهيل (رجال الطوسيّ، ص٣٩٨).

(٦) الوكلاء الّذين عيّنهم الإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف قسمان، القسم الأوّل: كانوا وكلاء للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في أمورٍ خاصّةٍ

لقد كان الأئمّة الأطهار عليهم السلام ـ مع كلّ الحرمان الّذي كان لهم من الحكومات و مع كلّ لوازمه ـ يقبضون الحقوق من المؤمنين. فكانوا يتسلّمون كلّ ما يؤدّيه [المؤمنون] إليهم، و ليس أنّهم عليهم السلام كانوا يُرسلون [أحدًا] خلفهم [و يطالبون بالحقوق الشرعيّة]. و كان لهم وكلاء في قبض الأموال. و ربما كان الوضع كذلك حتّى في زمن النوّاب الأربعة رضي الله عنهم أيضًا، فكان لهم وكلاء يقبضون الأموال. لكن، كان طريق إيصال هذه الأموال [إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] منحصرًا في النوّاب الأربعة فقط، و كذلك الحال لمن كان لديه سؤال، إذ كان ذلك يصل عبر النوّاب الأربعة. لكنّ هؤلاء النوّاب الأربعة كانوا بصفة نائبٍ مطلقٍ في حين كان لآخرين نيابة [محدّدة] في موضوعاتٍ خاصّةٍ مثل قبض الأموال و إيصالها و أمثال ذلك.

و لقد نُقل حتّى في زماننا القريب عن إرسال [رسائل مكتوبة أو شفويّة من قِبَل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] إلى بعض العلماء من قبيل: لماذا غفلت عن أمر السيّد الفلانيّ؟ أو سلّم حامل الرسالة المبلغ الّذي قدره كذا، أو اجلس في الدهليز و أنفق في مصالح المسلمين[1].

نحن نقطع أنّ الإمام عليه السلام مع غَيبته يؤدّي الكثير من الأعمال الّتي يؤدّيها الحاضرون. نعم، فهو عليه السلام تابعٌ للإذن الإلهيّ. طبعًا إنّما الإماتة و الإحياء هما بيَد الله تعالى. هل كلّ مريض نطلب شفاءه سيُشفى؟ ليس هكذا! هل كلّ دعاءٍ نطلبه سيُستجاب؟ لا نعلم [إن كان سيُستجاب أم لا]، إنّ للمصلحة إدارة أخرى. لقد شفى [الإمام] عجّل الله تعالى فرجه الشريف المرضى و قضى حوائج المتوسّلين به [كثيرًا] إلى ما شاء الله، بحيث هم أنفسهم فهموا [أنّ ذلك كان بواسطة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف].

نحن لا نرى ذلك الإمام عليه السلام، لكن هل [يعني هذا] أنّه لا يرانا أيضًا؟ فإذا كنّا لا نرى الملائكة، فهل [يعني ذلك] أنّ الملائكة أيضًا لا يروننا؟!

محدودةٍ، مثل تسلُّم الحقوق الشرعيّة و نحوها. و هؤلاء كانوا في زمن وكالتهم أشخاصًا صالحين، و بعضهم من أصحاب المراتب العالية، و قد صدرت في حقّ بعضهم توقيعات شريفة من الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف تدعو الناس للرجوع إليهم في مجال وكالتهم بالخصوص. و القسم الثاني من وكلائه عجّل الله تعالى فرجه الشريف: هم النوّاب الأربعة الّذين كانت وكالتهم تعمّ كلّ الأمور و لا تختصّ بجانبٍ خاصٍّ كتسلُّم الأموال. فالنوّاب الأربعة كانوا يتمتّعون بمنزلةٍ خاصّةٍ من بين سائر وكلاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كانوا بارزين في الزهد و التقوى و مراعاة التقيّة، و ولايتهم كانت فرعًا من ذلك الأصل، أي الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

(١) المقصود هو التوقيع المبارك من الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ قدس سره.

انتشار التشيُّع من خلال ممارسة النوّاب الأربعة للتقيّة

نُقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه كتب إلى زُرارة: إنّ ما نذكره بشأنك هو مثل خرق الخضر عليه السلام للسفينة ليعيبها كي لا يأخذ المَلِك [الظالم] السفينة غصبًا. و نحن نذكرك بالسوء في غِيابك ليقول الناس: إنّ العلاقة بينه عليه السلام و بين هؤلاء ليست حسنة و لا شأن لكم بهم، هؤلاء ليسوا شيعته عليه السلام، و هذه الأمور الّتي تُنسب إليهم [بأنّهم من الشيعة] هي كذب! [أي ليتوهّموا أنّك لست من شيعتنا فيكفّوا أذاهم عنك][1].

لقد كان بقاء مذهب الشيعة الإماميّة و انتشاره مرهونَيْن بالتقيّة. فعلى هذا، هل يمكن أن لا نعدّ التقيّة من الدين أو أن يُفصَل بينها و بين الدين؟!

حتّى لقد حاولوا استنطاق الحسين بن رَوْح ـ رضوان الله عليه و سلام الله عليه ـ في مجلسٍ عامٍّ و عامر، فسألوه: ماذا تقول في الخلافة [و مَن الخلفاء بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله و أفضل الناس بعده]؟ فكان جوابه مراعيًا للتقيّة بشدّة [و بأسلوبٍ مدروس] إذ قال: الصحيح عندنا أنّ الخليفة بعد رسول الله، أبو بكر، و خليفة أبي بكر عمر، و خليفة عمر عثمان، و خليفته عليّ عليه السلام! فأجاب بمقتضى عقيدتهم. فقال أولئك السُّنّة الحاضرون في المجلس بعد هذا الكلام: كم يكذبون على هذا الشيخ الجليل! كم يكذبون على هذا الشيخ الجليل و يفترون عليه و يقولون في حقّه إنّه مخالف [و رافضيّ]! ينسبون الفسق إلى رجلٍ صالح! انظروا ها نحن الآن نسمع منه بلا واسطة أنّ هذه الأمور المنسوبة إليه كذب، فقد أقرّ رضوان الله عليه و اعترف صريحًا أمام السُّنّة و الشيعة![2]

---

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام مخاطبًا ابن زرارة: «اقْرَأْ مِنِّي عَلَى وَالِدِكَ السَّلَامَ وَ قُلْ لَهُ: إِنِّي إِنَّمَا أَعِيبُكَ دِفَاعًا مِنِّي عَنْكَ، فَإِنَّ النَّاسَ وَ الْعَدُوَّ يُسَارِعُونَ إِلَى كُلِّ مَنْ قَرَّبْنَاهُ وَ حَمِدْنَا مَكَانَهُ لِإِدْخَالِ الْأَذَى فِي مَنْ نُحِبُّهُ وَ نُقَرِّبُهُ، وَ يَرْمُونَهُ لِمَحَبَّتِنَا لَهُ وَ قُرْبِهِ وَ دُنُوِّهِ مِنَّا، وَ يَرَوْنَ إِدْخَالَ الْأَذَى عَلَيْهِ وَ قَتْلَهُ، وَ يَحْمَدُونَ كُلَّ مَنْ عِبْنَاهُ نَحْنُ وَ إِنْ نَحْمَدَ أَمْرَهُ. فَإِنَّمَا أَعِيبُكَ لِأَنَّكَ رَجُلٌ اشْتَهَرْتَ بِنَا وَ لِمَيْلِكَ إِلَيْنَا، وَ أَنْتَ فِي ذَلِكَ مَذْمُومٌ عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مَحْمُودِ الْأَثَرِ لِمَوَدَّتِكَ لَنَا وَ بِمَيْلِكَ إِلَيْنَا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعِيبَكَ لِيَحْمَدُوا أَمْرَكَ فِي الدِّينِ بِعَيْبِكَ وَ نَقْصِكَ وَ يَكُونَ بِذَلِكَ مِنَّا دَافِعَ شَرِّهِمْ عَنْكَ، يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَ عَزَّ: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾»؛ رجال الكشيّ، ص٣٤٩.

(٢) «... فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الَّذِي اجْتَمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَيْهِ هُوَ تَقْدِيمُ الصِّدِّيقِ ثُمَّ بَعْدَهُ الْفَارُوقِ ثُمَّ بَعْدَهُ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ، ثُمَّ عَلِيٌّ الْوَصِيُّ وَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ عَلَى ذَلِكَ، وَ هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَنَا. فَبَقِيَ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ مُتَعَجِّبًا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، وَ كَانَ الْعَامَّةُ الْحُضُورُ يَرْفَعُونَهُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَ كَثُرَ الدُّعَاءُ لَهُ وَ الطَّعْنُ عَلَى مَنْ يَرْمِيهِ بِالرَّفْضِ»؛ الغيبة (للطوسيّ)، ص٣٨٥؛ بحار الأنوار، ج٥١، ص٣٥٦.

لقد كان هذا عمل النائب الخاصّ للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فكان يستعمل التقيّة، كما أنّه لم يخطر على بال أحدٍ من الأئمّة عليهم السلام بعد الإمام الحسين عليه السلام الخروج و القيام، و حتّى لقد تعرّض الإمامان الهادي و العسكريّ عليهما السلام للسجن أيضًا!

و هؤلاء [الذين يشكّلون خطرًا على أهل الحقّ] موجودون إلى يومنا هذا. قال أحدهم قبل سنتين في كلام له: لو صحّ هذا الكلام من [أنّ المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف] سوف يَصلب هذَين الشخصَين فأنا أوّل مستعدٍّ لقتله هو! كان بلا حياءٍ إلى هذا الحدّ. و بقي هذا الشخص في باكستان ـ حيث أطلق هذا الكلام ـ يومين أو ثلاثة أيّام، ثمّ كأنّ الخوف قد أرعبه و دفعه للرحيل إلى الحجاز و لجأ إلى السعوديّين و الوهّابيّين، و لكنّي سمعت أنّه في النهاية سقط في الدرك [الأسفل].

حكمة انحصار النوّاب الخاصّين في أربعة

لو زاد النوّاب الخاصّون على أربعة لَما كان هناك أيّ [ضمانةٍ أو] اعتبارٍ [لحفظ حياتهم]. فلو [عُيّن نائبٌ آخر بعد النائب الرابع و] صار النوّاب الأربعة خمسة، لَقَتلوا ذلك الخامس! فاتّضح أنّه إنّما انحصر النوّاب في أربعةٍ فقط بسبب هذه الابتلاءات الّتي لا يمكن [للنيابة الخاصّة] الاستمرار في ظلّها. [ثمّة فرق بين النائب الخاصّ و العامّ من ناحية عبء تقييد الإمام عليه السلام و التزامه بما يرِد بواسطة النائب الخاصّ دون العامّ]، فلو ورد سؤالٌ للنائب العامّ و تمّت الإجابة عنه ـ و حتّى لو عُلم فيما بعد أنّ الجواب كان من الإمام عليه السلام نفسه ـ لكنّ الاختيار في ذلك كان للإمام [و لن يكون مُلزمًا بما يصدر و يرد بواسطة النائب العامّ]؛ و هذا خلافًا [للوضعيّة النوّاب الخاصّين]، إذ وعد الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بإعطاء الجواب كلّ من يسأل بواسطة هؤلاء الأربعة[1]. في عصر الغَيبة الكبرى كان الكثير من المطالب [من قبيل التشرّفات و تسلُّم الجواب من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] محقّقًا لمثل السيّد ابن طاوس رحمه الله، إلى درجةٍ قال الميرزا

(١) أي أنّ النوّاب العامّين أيضًا عندما كانوا يُسألون أحيانًا عن بعض الأمور، كان يأتي الجواب من إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف إليهم. لكن مع هذا، كان هناك تفاوتٌ بين النوّاب العامّين و النوّاب الخاصّين. إذ لم يكن الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يتعهّد بالإجابة عن كلّ الرسائل الّتي ترد إلى النوّاب العامّين، بل الخيار للإمام عليه السلام في ذلك، و هو يقرّر التدخّل و الإجابة من عدمهما حسب ما يراه من مصلحة، في حين أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في مورد النوّاب الخاصّين، كان متكفّلًا بالإجابة عن كلّ ما يرد إليهم و بواسطتهم. و النيابة الخاصّة المتّصلة بهذا النحو لم يكن ممكنًا استمرارها بعد النوّاب الأربعة في ظلّ كلّ هذه البلاءات و الاضطرابات الّتي كانت تحيط بالشيعة بفِعال أعدائهم.

النوريّ ﷺ في حقّه: و يظهر من كلماته أنّ باب لقائه إيّاه عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان له مفتوحًا.[1] لكن [هذه التشرّفات] كانت باختيار الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا باختياره هو.

حفظ جهاز النيابة

لو فتحوا في زمن الغيبة هذا السبيل بأن يتعاملوا مع الفقيه معاملة المَنوب عنه نفسه [أي الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] لكان قُضي الأمر، و لارتكب الأعداء في حقّ ذلك الفقيه ما ارتكبوه في حقّ الإمام عليه السلام نفسه. لو كان هذا الأمر ممكنًا و انتشر دون إشكال[2]، ما كان ليصبح لدينا نائبٌ خاصّ و نائبٌ عامّ ثمّ تنقطع النيابة الخاصّة بعد ذلك [بل كانت استمرّت النيابة الخاصّة]. و ذلك لأنّ النيابة الخاصّة تؤدّي عمل الإمام عليه السلام، دون أن تواجه ما واجهه من إشكالات [و دون أن تتعرّض حياة الإمام عليه السلام للخطر].

لهذا السبب انقضت أيّام الغَيبة الصغرى، و إلّا لكانوا ارتكبوا في حقّ النوّاب الخاصّين نفس ما ارتكبوه في حقّ الأصل [أي الأئمّة الأطهار عليهم السلام]!

بقاء رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى آخر الغَيبة الصغرى

الإمامة في التشيّع بمنزلة بقاء الرسول صلّى الله عليه وآله إلى آخر زمان الغَيبة الصغرى. و كأنّ عُمْر الرسول صلّى الله عليه وآله قد طال إلى سنة ٣٢٩هـ.ق، حينما انتهت الغَيبة الصغرى.

أتلاحظون الآن مَن هم أهل السُنّة؟! هل أهل السُنّة الحقيقيّون هم من يقولون إنّ الحجّة بيننا و بين الله القياس، أم هم الشيعة الّذين يمتلكون سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله الحقيقيّة؟ ففي الواقع، الشيعة هم السُنّة و الشيعة معًا، و أولئك لا هم سنّة و لا شيعة! أمّا أنّهم ليسوا شيعةً فلأنّهم أنفسهم يقولون: لا قدّر الله أن نكون شيعةً لئلّا نصبح كافرين! و أمّا أنّهم ليسوا سنّةً فلأنّ كبارهم يقرّون [بالقول]: نحن لا نمتلك سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله! فماذا ينبغي أن نسمّيهم؟ القياسيّون! و السلام. و أيّ قياس؟ القياس في مقابل النصّ! مع أنّهم أنفسهم يتّفقون أنّ «القياس حجّة حيث لا أثر». و مع هذا، نجد أخطاء فادحة في أعمالهم! [إذ إنّهم يعملون بمقتضيات القياس مع وجود نصوصٍ عن المعصومين عليهم السلام].

---

(١) يقول المرحوم المحدّث النوريّ رحمه الله في حقّ السيّد ابن طاوس ﷺ: «و يظهر من مواضع من كتبه خصوصًا كتاب كشف المحجّة أنّ باب لقائه إيّاه صلوات الله عليه كان له مفتوحًا»؛ خاتمة المستدرك، ج٢، ص٤٤١.

(٢) أي فيما لو لم يكن تعيين نوّاب خاصّين موجبًا للخطر على النفس.

أَليس الردّ على حاكم الشرع و الفقيه و عدم قبوله ردًّا على الإمام عليه السلام؟ «الرادّ عليهم كالرادّ عليّ و الرادّ علينا كالرادّ على الله»[1].

الأمور الاجتماعيّة مثل الحدود و الدِّيات و القصاص الّتي يُعلم أنّه يجب تطبيقها، أو الزكاة مثلًا، الّتي لا يمكن القول باستغناء المؤمنين عنها ليستوي أخذها و تركها، فهذه الأمور ليست على نحوٍ بحيث إنْ أُدّيت فقد أُدّيت و إلّا فلا إشكال! أو بالنسبة إلى الخُمس الّذي كان البعض يوصي بأن يُحفَظ و يُسلّم من يدٍ إلى يدٍ حتّى زمان ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و قال البعض أيضًا، على سبيل المثال، بعدم دفعه لأحد و إنّما يُدفن أو يلقى في البحر، و أمثال هذه الآراء الّتي نعلم أنّه يتحقّق معها إتلاف المال قطعًا. و بالجملة، فلا نستطيع [إزاء هذه الأمور و القضايا] أن نقول إنّ الفقيه العادل لا يملك أمثال هذه المناصب. فلو قلنا إنّ الفقيه لا يملك هذه المناصب، فلا بدّ أن نقول، و بطريقٍ أولى، إنّ عدول المؤمنين أيضًا لا يملكونها، و لازم آراء كهذه بقاء الأحكام معطّلة إلى الأبد!

نحن نعلم يقينًا أنّ الإيصاء بتسليم الأموال من يدٍ إلى يدٍ سيؤدّي إلى تلفها إذ سيقوم البعض بإهمال الوصيّة و ترك العمل بها... و على أيّ حالٍ، لا نستطيع الالتزام بأمثال هذه الآراء و الأقوال الّتي يلزم منها إتلاف الأموال و تعطيل الأحكام الشرعيّة. بل يمكن القول إنّ الوجود المقدّس لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد عَيّن نائبًا ثمّ غاب؛ و هذا الأمر يمثّل ارتكازًا ضروريًّا، لا أنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف [ترك الأمر ليتولّاه] أيّ شخصٍ كان! نحن نعلم أنّ المخالفين قاموا بأقصى ما يمكنهم فعله. فهل يمكن أن يُقال إنّ ما حلّ [و يحلّ] على شيعة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و عياله[2] إلى يوم القيامة فقد حلّ [و كأنّ الأمر سهل و لا نبالي بذلك]؟!

ليس من المعلوم أن تنتهي آثار أعمال هؤلاء [الخلفاء الغاصبين و أصحاب السقيفة] إلى يوم القيامة، لِمَ؟ لأنّه يُحتمل في زمان الظهور أن تدخل جماعة في زمرة المؤمنين طوعًا،

---

(١) إشارةٌ إلى رواية عمر بن حنظلة الّتي سأل فيها الإمام الصادق عليه السلام عن رجُلَين من الشيعة بينهما منازعة في دَين أو ميراث، فقال الإمام عليه السلام بعد الأمر بالرجوع إلى رواة أحاديثهم ما يلي: «فَإِذَا حَكَمَ بِحُكْمِنَا فَلَمْ يَقْبَلْهُ مِنْهُ، فَإِنَّمَا اسْتَخَفَّ بِحُكْمِ اللَهِ وَعَلَيْنَا رَدَّ، وَالرَّادُّ عَلَيْنَا الرَّادُّ عَلَى اللهِ»؛ الكافي، ج١، ص٦٧.

(٢) كان سماحة الشيخ قدّس سرّه يعتبر عن الشيعة أنّهم عائلة الإمام الحجة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لأنّه عليه السلام سيّدهم، و مرجع أمورهم إليه، و هو متكفّل بهم بنحوٍ خاصّ، إضافة إلى تكفّله العامّ بجميع العالم.

و بعضهم كرهًا و دون إذعانٍ باطنيّ أصلًا، و حتّى عندنا في الروايات إنّهم يقاتلون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بسبب مخالفته لذَيْنِك الشخصَين!

و على أيّ حال، فلدينا في الروايات: «ارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا»؛ لقد تركوا للمؤمنين هذه الروايات الموثوق بها، و هذا [الرجوع] بنفسه مرتبة من الحضور و الظهور[1]. إنّنا نهمل هذه المرتبة من الحضور و نترك العمل بها، لكنّنا ندعو باستمرار «عجّل فرجه»! فهل هذا دعاءٌ صادق؟![2] إنّنا نُهمل هذه التوجيهات الّتي هي من الواضحات، و لدينا يقين بما يقوله الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ما يعمله [و لسان حالنا يقول] يجب أن يكون حاضرًا بنفسه لكي نسمع كلامه!

إنّه لأمرٌ يقينيّ أنّه حتّى القرويّون [أي أبناء القرى البعيدة و النائية] الّذين لا يستطيعون الوصول إلى الفقهاء ربما أمكنهم إدارة أعمالهم و أمورهم بواسطة عدول المؤمنين. و على أيّ حال، فقهرًا لا ينبغي أن تشوب شبهة في أنّ إعطاء الحقوق الشرعيّة للفقيه العادل هو مثل إعطائها للمَنوب عنه نفسه [أي الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف].

أمّا الحوادث الواقعة...

«وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا»[3] الحوادث الواقعة هي تلك الأمور غير

---

(١) المقصود أنّ على الإنسان في زمن الغَيبة الرجوع إلى الروايات الّتي يثق و يطمئنّ بصدورها عن المعصومين عليهم السلام. و مع وجود هذه الروايات، فكأنّ المعصوم عليه السلام حاضرٌ بيننا. إذ لو كان الإمام عليه السلام حاضرًا بيننا لأرشدنا أيضًا إلى العمل بهذه الروايات. و لذا، فالآثار و البركات نفسها الّتي تترتّب على طاعة المعصوم عليه السلام في زمان حضوره، تترتّب أيضًا على العمل بهذه الروايات. يقول آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه في هذا المجال: إنّ من يريد التشرّف بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يكون صادقًا في طلبه و مشتاقًا حقيقةً إلى لقائه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فليفتح كتاب الكافي و يَشرع في مطالعته، فبهذا النحو يكون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف [و كأنّه] يتكلّم معه. إذا أردتم التشرّف بلقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف طالعوا كتاب الكافي!

(٢) أي أنّ الهدف من الدعاء بحصول الفرج هو أن يكون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف حاضرًا بيننا و ننتفع من بركة وجوده و ننال السعادة. و الآن مع وجود هذه الروايات المباركة الّتي تركوها لنا، و قد أودعوا فيها أوامرهم، و أقاموا الحجّة علينا من خلالها، فهل يُعقل أن نترك العمل بهذه الروايات الحاضرة لدينا، ثمّ نطلب قدوم الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟! إنّ الشخص الّذي يطلب حقيقةً تعجيل الفرج و حضور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يكون دعاؤه نابعًا من صميم القلب و عن صدق، فعليه أن يعمل بنفس هذه الروايات الشريفة المتوفّرة، لأنّ أوامر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و توصياته بعد الظهور سوف تكون مطابقة لكلمات آبائه الأطهار عليهم السلام.

(٣) ورد في توقيعٍ صادرٍ عن الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغَيبة الصغرى، جوابًا عن أسئلةٍ توجّه بها إليه إسحاق بن يعقوب، قوله عليه السلام: «وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا، فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حجّةُ اللَّهِ عَلَيهِمْ»؛ بحارالأنوار، ج٥٣، ص١٨٠.

المنصوص عليها و غير المعلومة و افترضوا أنّها بحاجة إلى وجود شخص يكون إمامًا ثالث عشر و يكون نائبًا ينوب عن الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، فعلينا عندئذٍ أن نتعامل مع هذا النائب معاملة المنوب عنه. أَفلم يُتعامل بهذا النحو مع النوّاب الخاصّين في زمن الغَيبة الصغرى؟ حسنًا، فقد عُمّم ذلك [من خلال قولهم][(١)]: «وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا». فالنيابة الخاصّة قد انقطعت، أمّا النيابة العامّة فلا. و السبب في هذا معلوم؛ إذ إنّ هؤلاء الخاصّين كانوا سيتعرّضون للاعتقال و البلاءات كما تعرّض الأصل [نفس الإمام عليه السلام]. كما تعرّض النوّاب [الأربعة] للبلاء و تعرّض إخوانهم كذلك للبلاءات نفسها، أي أولئك الّذين كانت لديهم وكالاتٌ بتسلُّم الأموال و إيصالها في الغَيبة الصغرى![(٢)] و بناءً عليه، لا نستطيع القول إنّ العلماء مكبّلو الأيدي و لا يمكنهم القيام بشيء! لنفترض مثلًا أنّ العلماء لم يكن لديهم إذنٌ في الموارد الّتي تتطلّب تنصيبًا من الإمام عجّل الله فرجه الشريف أو إذنًا منه، لكن في حال عدم وجود الإمام عجّل الله فرجه الشريف، أَمَا يمكن أن يُعطى إيّاهم [أي النوّاب العامّون] هذا الّذي كان يُعطى إيّاه [أي الأموال و الحقوق الشرعيّة]؟ لقد قال الإمام عليه السلام: ارجعوا إلى رواة الأحاديث. أَلا تثبت مرجعيّة رواة الأحاديث و العلماء الّذين هم على نهج الأصل [أي الإمام عليه السلام] و دَيدنه؟! أليس الإيصال إليهم إيصالًا إليه عجّل الله فرجه الشريف؟! حسنًا، هذا العالِم [من رواة الأحاديث] يعمل بالروايات و بمقتضى يقينيّاته، فلا يلزم أن نقول له كيف يصرفه. نحن إنّما ندفعه إليه انطلاقًا من كونه نائب الإمام عجّل الله فرجه الشريف.

لقد مدّ الميرزا الشيرازيّ الكبير رحمه الله يده ليُسلّمه أحدهم سهم الإمام عليه السلام أو مالًا آخر، لكن لم يحصل ذلك، فسحب يده. يقول الميرزا رحمه الله: لقد تأثّرت لذلك، لا من أجل نفسي، بل لأنّ ذلك الشخص قد أتى بهذا المال ليؤدّيه مُعتقدًا أنّي نائب الإمام عليه السلام و أنّه يوصله إلى الإمام عجّل الله فرجه الشريف، و قد مددت له يدي فلم يتمّ الأمر. و قد حُرمت تقريبًا ذلك الأمر أو أنّه هو حرمني إيّاه، [فكأنّ هذا الشخص] قد ارتكب ذلك مع الأصل نفسه [الإمام الحجّة عجّل الله فرجه الشريف] و تطبيق ذلك عليَّ كان حسب نظره[(٣)].

---

(١) لقد أُمر الشيعة في زمن الغَيبة الصغرى بالرجوع في مسائلهم المستحدَثة إلى النوّاب الأربعة، و هذا الحكم نفسه عُمّم في زمان الغَيبة الكبرى على رواة الأحاديث، فالشيعة في زمن الغَيبة الكبرى مكلّفون بالرجوع في المسائل المستحدَثة إلى رواة الأحاديث.

(٢) أي أنّهم كانوا يتسلّمون الأموال و يوصلونها إلى الإمام عليه السلام.

(٣) بما أنّ [الفقيه] الراوي نائبٌ عامٌّ للإمام عليه السلام، فدفع الحقوق الشرعيّة إليه يكون بنظر ذلك الشخص بمنزلة أداء الحقوق إلى الإمام عليه السلام.

المُراد من رواة الحديث

الروايات الّتي ذكرها الأصحاب كانت فتاوى للرواة، أفلم يكن الرواة مُفتين[1]؟! ألم يكونوا ينقلون معتقداتهم للآخرين؟! فهذه [الروايات] نفسها كانت فتاوى! فهل يُشترط أن يكونوا معمّمين أيضًا؟! مع أنّهم كانوا معمّمين أيضًا. فلا وجه أبدًا [للتفصيل المُستجدّ] بأن صار المُفتي و الراوي شخصَين مختلفَين عندنا. و لذا قال عليه السلام في التوقيع: «فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا»[2]؛ فالمقصود هو مطلق الرجوع، سواء أفي الحُكم [و القضاء] كانت الحاجة إليهم أم في الأحكام و الفتاوى. و [قول] «رُواة الحديث» عامّ، و الأصل في رواية الحديث هو رعايته و فهمه. فهل يسمع الراوي أمرًا مُهمَلًا ثمّ يأتي لينقله للآخرين [دون أن يفهمه]؟! إنّ الرواة [في رواياتهم] كانوا يتلقّون و يُلقون [و ينقلون] لبعضهم عقائد دينهم[3].

و لذا قد كتب ذلك العالِم في كتابه الرجاليّ: «فلانٌ ثقة و هو يروي عن ثقة أيضًا» و لا اختصاص لذلك بأصحاب الإجماع. أصحاب الإجماع أيضًا كانت وثاقتهم قويّة إلى درجة قُبِل في حقّهم هذا الكلام، لأنّه توجد رواية خاصّة حول أصحاب الإجماع تفيد أنّ مَراسيلهم كمسنداتهم، [بل] كلّ شخصٍ إذا كان ثقةً فمَراسيله كمسنداته، و ذلك لأنّ [الرواة الموثوقين] لم يكونوا يذهبون إلى مَن يشكّون في أمره.

صلاحيات الفقيه

إنّ الفقيه كما يكون أكثر بصيرة في الأحكام الشرعيّة من سائر المكلّفين، كذلك [هو أكثر بصيرة و أشدّ] في بعض المواضع و المواقع [أي الموضوعات]. و لكن ثمّة موضوعات يمكن أن يكون المكلّف أكثر تبصُّرًا فيها من الفقيه، كأن يمتلك معرفةً كافية بجيرانه و أقاربه و يعرف الفقير و المحتاج من بينهم دون أن يكون للفقيه أدنى معرفة بهذه الموضوعات.

---

(١) المفتي هو العالِم الّذي وصل في الفقه إلى مرتبة استنباط الحكم الشرعيّ.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٣، ص١٨٠.

(٣) المقصود أنّ رواة الحديث حسب الثقافة الشيعيّة لم يكونوا مجرّد أشخاصٍ سمعوا الروايات و نقلوها للآخرين دون أن يفقهوا مضامينها و يميّزوا صحيحها من سقيمها، بل كانوا يهتمّون بفهم الروايات و إسنادها، و هم إنّما ينقلون عن المعصوم عليه السلام الروايات الّتي تثبت وثاقتها عندهم و كان مضمونها منسجمًا مع بقيّة الروايات بنحوٍ يمكنهم الإفتاء على أساسها.

و على أيّ حال، لا نستطيع القول إنّ كلّ ما كان واجبًا في زمان حضور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فقد سقط وجوبه في غَيبته، فمن الضروريّ لزوم تولّي شخص ما جميع الأمور المرتبطة بحفظ نظام الشرع و المتشرّعين و قيامه بذلك، و أن يكون أَولى و أكثر لياقة مِن سواه بهذا المقام. و لن يكون هذا الشخص سوى الفقيه الجامع للشرائط، الأمين و المأمون.

... و في النتيجة، ليس من الضروريّ أن تُحمل مثل هذه الموارد على [خصوص] زمان الظهور و بسط اليد، لأنّ كلّ الصلاحيات الّتي تكون للنبيّ صلّى الله عليه وآله و الإمام عليه السلام في زمان الظهور فهي للفقيه أيضًا في زمان الغَيبة ما لم يكن فيها مخالفة للتقيّة، كأن يسعى لإرسال عمّال لجمع الخمس و الزكوات بنحوٍ يعرف الجميع أنّ الفقيه الفلانيّ يقوم بهذه الأمور ممّا يسبب له المشكلات و الملاحقة، فأعمال كهذه مخالفة للتقيّة.

حتّى لقد احتمل صاحب الجواهر رحمه الله أنّه إذا اقتضت المصلحة فللفقيه إصدار حكم الجهاد، كما في الموارد الّتي يكون الجهاد فيها سهل المؤونة جدًّا أو لا يؤدّي إلى قتل أيّ نفسٍ محترمة من المؤمنين و المسلمين، كما لو أمكن السيطرة على أحد بلدان الكفّار بتمامه و إدخال أهله في الإسلام بمجرّد دفع مبلغٍ من المال إلى رئيس الكفّار. في مثل هذه الموارد ليس الدفاع هو المطروح بل هو من الجهاد، لكنّه جهادٌ بالمال، و تقريبًا تبقى النفس محفوظة بواسطة المال. طبعًا فإنّ صاحب الجواهر رحمه الله لا يورد هذا القيد [و المثال من خصوص] أن يُصار إلى حفظ النفوس بواسطة الجهاد الماليّ، بل ذكر الأمر بنحوٍ مُطلق. فيحتمل هذا المعنى من كون حكم الجهاد من صلاحيات الفقيه أيضًا، لكن بالطبع في الموارد الّتي لا يُشترط فيها إذن الإمام عليه السلام. وعلى أيّ حال، فإنّنا نعلم من ناحية الشارع المقدّس أنّ الأمور الشرعيّة و التشريعيّة يجب ألّا تزول، نعم، لو مَنع الآخرون من ذلك و لم يسمحوا بتحقّقه فالمسؤوليّة تكون عليهم في ذلك.

... طبعًا، فقد شاهدنا أيّ أمور ارتكبوها باسم وليّ المسلمين، فعلى سبيل المثال كان قد صنع الوليد الملعون من بيت مال المسلمين حوضًا ممتلئًا من الخمر!!

تطبيق الأحكام الشرعيّة في عصر الغَيبة

يجب تطبيق الأحكام الشرعيّة عمليًّا إلى أقصى حدٍّ ممكن و حتّى تلك المتوقّفة على إذن الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. طبعًا ليس [المقصود الأحكام المتعلّقة بكون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف وصيًّا للنبيّ صلّى الله عليه وآله

و] ما يأتي به الإمام عجّل الله فرجه الشريف بصفته وصيًّا للنبيّ صلّى الله عليه وآله، و إنّما الأحكام الّتي تصدر عنه بصفته آمرًا بالمعروف و ناهيًا عن المنكر[1] و مُجريًا للخير و أمثال ذلك. طبعًا، فإنّ أرقى مَن يُجري الخير في مواضعه هو الإمام المعصوم عليه السلام نفسه.

ليس صحيحًا أن نقول: ما دام الإمام عجّل الله فرجه الشريف و نائبه الخاصّ غير موجودَين فليحصل أيّ شيء، فليأكل كلّ إنسانٍ مال من يشاء و لا يوجد أيّ مسؤول و ناظر، لأنّ الإمام عجّل الله فرجه الشريف غير موجودٍ الآن و لا يوجد أيضًا نائبٌ خاصٌّ عن الإمام عجّل الله فرجه الشريف، فلا يجب إذًا أن ندفع الحقوق الإلهيّة كالخمس و الزكاة و أمثالها إلى أحدٍ، كما لا يجب تسلُّمها من أحدٍ، و هذه الأمور ترتبط بزمان الظهور! أو إرث مَن لا وليّ له و لا وارث له، و قصاص قتل النفس، و تنزّل [القصاص] إلى الدية، و ما الحكم إن دُفعت الدية أو لم تُدفع [و ما حكم كلّ منهما]، و [طريقة] تقسيط دية شبه العمد و الخطأ المَحض، و مسائل من هذا القبيل... فنقول إنّنا لا نستطيع تطبيقها، لأنّ دفع المال يثبت حيث يكون هناك قصاص، و الّذي يُجري هذا القصاص هو الإمام عليه السلام. و إذ إنّ الإمام عليه السلام و نائبه الخاصّ غير موجودَين لا يمكننا إجراء ذلك، بل يجب تعطيله [و إيقافه]! و من المقطوع به أنّ هذا الكلام و هذه الإشكالات خلاف ضرورة الإسلام، و نعلم أنّه يلزم من ذلك الهرج و المرج، و هو غير جائز.

ثبّت العرش ثمّ انقش!

ينقل صاحب الجواهر رحمه الله مطالب ترتبط بولاية الفقيه و أمثالها، مع أنّه يُنكر ولاية الفقيه العامّة[2]. [فكان] يقول: سألت الشيخ خنفر[3] ـ و هو أستاذ الشيخ محمّد طه و كان معاصرًا

---

(١) المقصود أنّ ثمّة أحكامًا ترتبط بكون الأئمّة عليهم السلام أوصياء، و هذه الأحكام مختصّة بهم لأنّ الوصاية للنبيّ صلّى الله عليه وآله شأنٌ خاصٌّ بهم. أمّا الأحكام الشرعيّة العامّة الّتي يشملها الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فهي لا تختصّ بهم أو بحال حضورهم، بل يجب تطبيقها في عصر الغَيبة أيضًا.

(٢) المقصود بالولاية العامّة ما يشمل التصرُّف في الأمور الشخصيّة كطلاق زوجة الرجل و أمثاله ـ إضافة إلى التصرّف في الأمور الاجتماعيّة العامّة ـ و هذا الشمول و العموم لم يقبل به صاحب الجواهر رحمه الله، و إنّما قبل ولاية الفقيه الّتي هي كولاية المنصوب الخاصّ إلى الأطراف الّذي كانت ولايته في الأمور العامّة و لا تعمّ الأمور الشخصيّة.

(٣) الشيخ محسن خنفر النجفيّ من علماء الشيعة و مراجعهم الكبار، و هو من طلّاب المرحوم الشيخ جعفر كاشف الغطاء رحمه الله و من أهل النجف الأشرف. و كان عالمًا زاهدًا و فقيهًا جامعًا مشهورًا بالتقوى و الورع في زمانه. صار مرجعًا للتقليد مدّةً من الزمن بعد وفاة صاحب الجواهر رحمه الله (سنة ١٢٦٦ للهجرة)، لكن وافته المنيّة و انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ١٢٧٠هـ.ق في النجف الأشرف. يذكر المحدّث القمّيّ بعضًا من سيرته و كراماته و فضائله و مراتبه

لصاحب الجواهر، لكن كان إقبال الطلّاب على درس صاحب الجواهر﵀ أكثر، مع أنّ الشيخ خنفر كان دقيقًا جدًّا وكان درسه صعبًا على الطلّاب، و على أيّ حال فقد كان في غاية الفضل و الأهمّيّة و الدقّة ـ [فسأله صاحب الجواهر﵀]: أنت تقول بولاية الفقيه؟ فقال: نعم، فقال له صاحب الجواهر: اشهدوا أنّي طلقت زوجة الشيخ! أنت تقول بولاية الفقيه العامّة و عليه فقد انتهى الأمر! و لكنّ الشيخ خنفر لم يعجز عن الجواب، و قال لصاحب الجواهر الّذي كان أستاذ الفقهاء: ثبّت العرش ثمّ انقش! أي إنّ الولاية تثبت للفقيه الّذي يكون عادلًا، ثبّت العرش ثمّ انقش! [أي أثبت أنّك فقيه عادل!][1]. وكان بعض أولاد كاشف الغطاء يعتقدون بهذه المسألة ـ أي ولاية الفقيه ـ و يثبتونها، و البعض الآخر منهم كانوا منكرين لها. فقال الّذي كان منكرًا لها للذي كان يثبتها: أتقول بولاية الفقيه؟ فأنا أطلّق زوجتك! فقال له في جوابه: إن كنت أهله! طبعًا ربما عدل عن الجواب الواقعيّ إلى الجواب الإقناعيّ، فكان يريد أن يقول بأنّه لا يمكن لكلّ شخص أن يأتي [و يدّعي أنّه فقيه و يقول أنا الفقيه] و يطلّق من يريد ثمّ يعقد عليها! وكانوا ينسبون إلى كاشف الغطاء نفسه أمثال هذه الأمور؛ [على سبيل المثال] أتت إليه امرأة و قالت له: أنا عقدت نفسي على إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ طبعًا لم يُنقل مَن قابل الزواج [أو كيف تمّ العقد] إن كان بنحو الهبة أم أمرًا آخر ـ فقال لها الشيخ جعفر: بناءً على الولاية، و نيابةً عنه، أنا أطلّقك! كان كاشف الغطاء رجلًا عظيمًا جدًّا، مع أنّهم كانوا ينقلون عنه أنّه كان يقول: إنّا نأكل الكثير و نفهم الكثير!

إرشاد و عَون إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف لنوّابه

... اشتباه الأجلّاء يُستعظَم لكي يفهم الجميع أن لا عصمة لديهم [عن الخطأ]، بل كثيرًا ما نُقل أيضًا أنّ [أحد الأجلّاء] اشتبه في الحكم فأرسل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إليه شخصًا يطلب إليه أن

العلميّة نقلًا عن المحدّث النوريّ و المحدّث الكاظمينيّ، ثمّ يضيف قائلًا: وكان من كرامات المرحوم النجفيّ أنّه كان بمجرّد وضع لقمة الخبز في فمه يلتفت إلى أنّ المرأة الّتي قامت بعجنه و خبزه كانت حائضًا فيلفظه و يقول: طَبعي يأبى عن تناوله. تخرّج عليه علماء أفاضل مثل الشيخ محمّد طه نجف و السيّد محمّد الهنديّ و آخرين(قدّس الله أسرارهم).

(١) في هذه القصّة يقول صاحب الجواهر للشيخ خنفر: أنت تقول بولاية الفقيه المُطلَقة و عليه فيمكن للفقيه أن يُعمِل ولايته في الطلاق، و انطلاقًا من ذلك و بناءً على رأيك الفقهيّ لِيَ الحق كفقيه بطلاق زوجتك، و أنا الآن أحكم أنّ زوجتك طالق. فأجابه الشيخ خنفر: ثبّت العرش ثمّ انقش، أي أثبت فقاهتك كَوَليّ و عدالتك أوّلًا لكي نُثبت لك ولاية الفقيه و صلاحياته ثانيًا!

يقول شيئًا آخر [و يصلح حُكمه]. على إثر ذلك أغلق ذلك العالِم الجليل باب بيته [بعد أن أدرك اشتباهه]، لكنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف [عاد ثانيةً و] نهاه عن ذلك [أي عن ترك الإفتاء] بقوله: «عليكم الإفتاء و علينا التأييد و التسديد»[1].

إنّه مأمورٌ بكتابة الرسالة العمليّة

هنيئًا للسيّد حسن الصدر قدس سره الّذي أُمر بكتابة الرسالة العمليّة. شخصٌ كهذا لم يكن يرغب في رسالته هذه، و لم يكن أيضًا ليسرّه أن يُروّج له أحدٌ، و لم يكن ليأنس بمن يُروّج له، و لا إن خالفه أحد يستاء منه، و طبعًا هذا إذا كانت مخالفة هذا المُخالف متعلّقة بشخصه [لا بالأمور الدينيّة].

التوسّل بإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف لتعيين المرجع

إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يُجيب حتّى عن أمثال [السؤال:] إلى مَن يرجعون في التقليد. [مثلًا، لقد سُئل حضرته] كيف تكون علميّة فلان؟ [أجاب:] لا بأس بها. [ثمّ سُئل:] فلانًا الآخر كيف تكون علميّته؟...[2] لقد نُقل عنه عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى ما شاء الله من أمثال هذه المطالب في أثناء التشرّفات برؤيته.

نَقَل أحد المسنِّين و قد توفّي حديثًا: تردّدت بعد الآخوند الخراساني قدس سره ماذا أفعل و إلى من أرجع في التقليد [و وقعت في الاضطراب و الحيرة]، و يضيف: لقد سمعت الجواب من ضريح أمير المؤمنين عليه السلام، [أي] من داخل الضريح نفسه: «ابقَ، ابقَ على تقليدك السابق!». و قد حصلت هذه القضيّة في هذه الأزمنة المتأخّرة و قد رآه بعض المعاصرين.

---

(١) يُحكى أنّ قرويًّا جاء إلى الشيخ [المفيد] و سأله عن امرأةٍ حامل توفّيت و حملها حيّ، فهل نشقّ بطنها و نُخرج الولد أم ندفنها مع الولد؟ فقال الشيخ: تُدفَن مع الولد. فرجع القرويّ، و في الطريق جاءه راكب و قال له: أيّها الرجل قال لك الشيخ المفيد أن تشقّوا بطنها و تخرجوا الطفل ثمّ تدفنوا المرأة. و هكذا فعلوا. و بعد مدّة نقلت هذه الحكاية للشيخ، فقال: لم أرسل أحدًا، و من المعلوم أنّه صاحب الزمان عليه السلام [أو مبعوثٌ من قِبله]، فالظاهر أنّنا نتخبّط و نُخطئ في الأحكام الشرعيّة، فالأفضل أن لا نفتي لأحدٍ بعد الآن. فجلس في بيته و أقفل على نفسه و لم يخرج، و إذ بتوقيعٍ يأتيه من صاحب الأمر عليه السلام قال له فيه: «عليكم الإفتاء و علينا التأييد و التسديد»؛ راجع: قصص العلماء، ص٥١٥.

(٢) إشارة إلى أحد التشرّفات الّتي أجاب فيها الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ذلك الشخص الّذي سأله عن علميّة أحد المراجع في النجف الأشرف: علميّته لا بأس بها!

و ثمّة قضيّة أخرى أيضًا حصلت في زماننا، [يقول أحدهم و هو من بلاد الهند:] كنت متردّدًا حول تعيين المرجع الّذي أقلّده و ما يجب عليّ فعله، فتشرّفت بلقاء إمام الزمان عليه السلام في إحدى حجرات مسجد الكوفة، و رأيت سيّدًا إلى جانبه [فأشار الإمام عليه السلام إلى ذلك السيّد] و قال: إذا واجهتك مشكلةٌ فارجع إليه[1]. و لم يذكر اسمه و لا دلّني على مكانه! فجئت إلى النجف دون أن أعرف عمّن أسأل و عن أيّ شيء، إذ لم أكن أعرف اسمه و لا مكانه! و قلت [في نفسي]: هل سأتمكّن من رؤيته في النجف؟ و قد بحثت كثيرًا إلى أن وجدت شخصًا يشبه في هيئته ذلك الشخص الّذي رأيته في مسجد الكوفة، فقلت: لأسأله هل لديه خبرٌ عن تلك القضيّة أم لا. و في أثناء توجُّهي إليه لأسأله، قلت في نفسي: أصبر لأرى إن كان مطّلعًا أم لا، فلمّا وصلت إليه و قبل أن أقول شيئًا ابتدأني بالكلام: إذا واجهتك مشكلةٌ فارجع إليّ! فتلك كانت الحوالة و هذا هو الوصول!

مرّةً أخرى لم أسأله أيضًا لا عن اسمه و لا عن مكانه، و اكتفيت بما حصل، و قلت لا بدّ أنّه في النجف، إذًا فسأراه ثانيةً. لقد كان ذلك الشخص [صاحب هذه القصّة و التشرّف بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في مسجد الكوفة] هنديًّا و كان معروفًا باسمه و لعلّي شخصيًّا رأيته لكن دون أن أعرفه.

و ذكر أنّهم أرسلوا إليه مسألةً من لكهنو أو لاهور ـ إحدى هاتين المدينتَين، و هما من البلدان الكبيرة في الهند[2] ـ و مُفاد تلك المسألة أنّ شخصًا من غير المسلمين قال إنّه مستعدٌّ لاعتناق الإسلام شرط أن يزوّجوه الفتاة الّتي يريدها، فهل يُكتفى بقوله هذا و يزوّجونه إحدى فتياتهم؟! و قام هذا الشخص بإعطاء المسألة لذلك السيّد الّذي رآه في النجف، و لا أتذكّر إنْ قال له مثلًا راجعني بعد يومين أو ثلاثة أم لم يقل ذلك. و [على أيّ حال] جاء لتسلُّم الجواب بعد يومين أو ثلاثة، فقال له ذلك السيّد: اكتب لهم: المجلّة الفلانيّة الرسميّة [معتمدةٌ] في مدينتكم ـ و الّتي كانت لاهور أو لكهنو ـ فقولوا لطالب الزواج هذا إذا أعلنت في تلك المجلّة أنّك صرت مُسلمًا نزوّجك الفتاة، و إلّا فلا. مع أنّ ذلك السيّد كان من علماء النجف و لم يكن له شأن بالجرائد و الصحف المحلّية في العراق فضلًا عن جرائد و مجلّات

---

(١) العالم الورع آية الله السيّد عليّ القاضي الطباطبائيّ رحمه الله.

(٢) هذه القضيّة مرتبطة بالمدّة الزمنيّة الّتي سبقت تقسيم الهند إلى ثلاث دول هي باكستان و الهند و بنغلادش، و في ذلك الزمن كانت لاهور تُعدّ جزءًا من الهند الكبيرة.

الهند أو غيرها. و قد قام أولئك بإبلاغ طالب الزواج أنّهم إنّما يقبلون بتزويجه ابنتهم شرط إعلان إسلامه في تلك المجلّة الرسميّة، و إلّا فلا. و قد رأى أنّه لا يستطيع إعلان إسلامه بين جماعته و أقاربه و إلى المستوى الّذي يتطلّب توثيقه في تلك المجلّة الرسميّة أيضًا، [فتَراجع] مُعلنًا أنّه لا يستطيع فعل ذلك و هم أيضًا رفضوا تزويجه(١).

إنّ الله تعالى مُتفضّل، نحن يكون بناؤنا أن [نطلب الإرشاد و الهداية من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه]، إمامنا غائب، و مع هذا فإنّنا نريد أن يُظهر لنا إمامته و هدايته بنحوٍ لا يقبل الإنكار أبدًا، و يكون قوله في خصوص مرجعيّة الشخص مُتّبَعًا. إنّ الله تعالى يتفضّل علينا، و علينا أن نتيقّن أنّه بالتوسّل بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه ـ مع أنّه ممنوع و مغصوب الحقّ و لديه موانع تمنعه من إظهار إمامته ـ فهو يُنجينا من الهلكات.

بمقدورك تقليده

قال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف [الشخصٍ كان متردّدًا في اختيار مرجعٍ ليقلّده]: و ما الّذي يمنع من تقليد السيّد أبو الحسن الأصفهاني رحمه الله، فعلميّته لا بأس بها، و تقواه مقبولة(٢).

---

(١) يجب الالتفات إلى أمرين: الأوّل أنّ سماحة الشيخ كان ينصح من أجل تحديد الفقيه الّذي يجب على المقلِّد تقليده، بعد إحراز امتلاك المجتهد الشروط المذكورة في الرسالة العمليّة و التتبُّع و التدقيق في توفّرها، أن يكون متوسّلًا بالامام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه كي يرشده و يلهمه لاختيار الأفضل من بين الجميع و الأقرب إلى رضاه، لأنّ الأمر على درجةٍ عالية من الأهميّة إذ إنّه مرتبط بدينه و آخرته، و هذا يقتضي أن يسدّده الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يوفّقه. و من البديهيّ أنّ سماحته رحمه الله لا يقصد ترك الالتزام بالأحكام و الشروط المذكورة في الرسالة العمليّة اتّكالًا على بعض الإشارات الّتي لا أصل واقعيًّا لها. و الأمر الثاني أنّ الّذي كان بعض الصالحين يرونه أو يسمعونه في اليقظة أو المنام كان له في الواقع الخارجيّ شواهد صدق على صحّته، إذ إنّ الأشخاص الّذين أُرشدوا إليهم كانوا من كبار العلماء الأتقياء المعروفين بالعلم و الزهد و الورع، و كانوا مشهورين بسيرتهم الصالحة و مدارجهم العلميّة، و كان الفضلاء يشهدون لهم بالعلميّة و الورع، فلم يكن هناك شكٌّ و لا ريبٌ في حيازتهم لهذه الصفات، لكن ربما كان يُشتبه في أعلميّتهم من بين سائر العلماء. و هذا مُختلف عن التشبّث بالمنامات الّتي ليس لها أيّ شاهد صدقٍ حتّى يكون لها و لو درجات متدنّية من الاعتبار. و هكذا كان رأي سماحة الشيخ رحمه الله أنّه يمكن الاعتناء بالرؤى عندما يكون لها شواهد صدق و أمارات خارجيّة على صحّتها، و يبقى إحراز امتلاك المجتهد الشروط الواجب توافرها في مرجع التقليد هو الحجر الأساس في اختياره، فإن كان هناك شواهد أخرى ستكون مؤيّدات تبعث على الطمأنينة في القلب.

(٢) اللافت أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في قصّة التشرّف هذه يقوم بالاستدلال أيضًا على تعيين المجتهد الّذي يجوز تقليده، و استدلاله كان على وفق القواعد الفقهيّة المتعارفة الّتي تذكر لجواز تقليد أيّ مجتهد لزوم إحراز امتلاكه رُكنَين مُهمّين هما: العلم و الورع.

أنفِقْ في مصالح الإسلام!

ينقل أحدهم أنّ شخصًا عربيًّا ذا شخصيّةٍ مهمّةٍ و معروفةٍ [من أهل العراق] قد حضر في مجلسٍ عند السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ ﷺ، و كان هذا الشخص ذا مقامٍ رفيعٍ إلى درجةٍ لم تكن الحكومات تتجاوز أوامره. و قد توجّه إلى السيّد أبو الحسن ليسأله جهارًا: ما هو مصرف سهم الإمام؟ و مَن الّذي يستحقّه؟ فأجابه السيّد أبو الحسن: هذا من الأسرار، لا يمكننا بيانه لأيٍّ كان!

نعم، يجب أن يُعطى [المال و يُسلّم إلى] الأصلح [و أن يُنفَق في الموارد الّتي تكون الأصلح بالنسبة إلى سائر موارد الصرف، و لكن] كلّ شخصٍ يدّعي أنّه الأصلح، فهل الأمر كذلك؟! فقهرًا يجب إعطاؤه نائبَ الإمام عليه السلام، فهو بمنزلة الإمام عليه السلام في تشخيص الأصلح من غيره.

و حتّى يُنقَل أنّ [السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ ﷺ] أظهر لأحدهم في إحدى المرّات رسالةً [من الإمام الحجّة عجّل الله فرجه الشريف مضمونها] أن: «أنفِقْ الأموال في مصالح الإسلام». نعم، فمقتضى حكم العقل هو مراعاة الأصلح، و أحيانًا يكون ذلك على نحو الاستحباب و أخرى بداعي الوجوب.

سيكون الأمر صعبًا جدًّا!

كان هناك شخصٌ من المتوسّلين و المشتاقين إلى لقاء الإمام عجّل الله فرجه الشريف و قد قام بأعمالٍ عجيبةٍ لنَيل لقائه عجّل الله فرجه الشريف، و يَنقل أحدهم أنّ ذلك الشخص قال: لقد طلبت أمرًا إلى الإمام عجّل الله فرجه الشريف، فقال عليه السلام: ما دام السيّد البروجرديّ ﷺ[1] على قيد الحياة فهو صاحب الراية [و المرجعيّة على عاتقه]، لكن بعد وفاته يقع الاختلاف و يستمرّ هذا الاختلاف إلى زمان الظهور، و لن تكون بعد ذلك مرجعيّةٌ منحصرة كمرجعيّته!

و إذا كان الزمان المتبقّي بعد السيّد البروجرديّ ﷺ إلى زمان الظهور طويلًا، فسيكون الأمر صعبًا جدًّا!

---

(١) المراد هو آية الله السيّد حسين الطباطبائيّ البروجرديّ ﷺ (١٢٩٢ق ـ شوّال ١٣٨٠ق)، و هو من مراجع التقليد العِظام، و كان آية الله الشيخ البهجة ﷺ يقول في حقه: «لقد كان من صلحاء الطائفة!».

الروضة الخامسة:

«موانع لقاء الإمام المهديّ عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف وظهوره»

من حِكَم الغَيبة...

نعتقد أنّ سبب تأخير ظهور صاحب الولاية عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف هو أنّ الظالمين المعاصرين لزمانه يقولون له: إمّا أن تبايع و إمّا أن نقتلك. و الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف غير مأمورٍ بالبيعة، لذلك يتأخّر ظهوره إلى الزمن الّذي لا يُقال له فيه إمّا أن تبايع و إمّا أن تُقتَل[1]. فهو عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف مخالف لحكومات أزمانه. كانت الحكومات تقول له: إمّا أن تعترف بنا و تبايعنا و إمّا أن نقتلك![2]

حتّى إنّهم قد ذهبوا إلى سرداب بيته الّذي كان محلّ عبادته، ليجدوه و يقتلوه، لأنّهم كانوا يعلمون أنّه لن يبايع. ذهبوا من أجل ذلك، لكنّه خرج و ذهب إلى الماء و بسط سجّادة صلاته و شرع في العبادة، كما كان مشغولًا بالعبادة في ذلك السّرداب[3]. يقول عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف: إنّ

---

(١) «أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَيَقَعُ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ لِطَاغِيَةِ زَمَانِهِ، إِلَّا الْقَائِمُ الّذي يُصَلِّي رُوحُ اللّٰهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام خَلْفَهُ، فَإِنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْفِي وِلَادَتَهُ وَيُغَيِّبُ شَخْصَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِأَحَدٍ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ»؛ كمال الدين، ج١، ص٣١٦.

(٢) أشار سماحة آية الله الشيخ البهجة أعلى الله مقامه هنا إلى حكمتين من حِكم الغَيبة هما حفظ حياة الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف و عدم مبايعته للحكومات الظالمة، و هما مستمدّتان من الروايات الشريفة لأهل البيت عليهم السلام، كما قد أشير في الروايات إلى أنّ كلّ سنن الأنبياء السابقين عليهم السلام ستجري على هذه الأمّة، و منها الغَيبة، كما أنّها أشارت إلى أنّ للغَيبة حِكَمًا لم يؤذن للأئمّة الأطهار عليهم السلام بإفشائها و بُيّن فقط ما يتناسب مع مستوى فهمنا و إدراكنا.

(٣) «إِنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ لَمَّا فَرُّوا إِلَى اللّٰهِ تَعَالَى وَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِ دَقْيَانُوسَ وَأَوَوْا إِلَى الْغَارِ، رَكِبَ الْمَلِكُ مَعَ جَمَاعَةٍ خَلْفَهُمْ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى بَابِ الْغَارِ وَرَآهُمْ نِيَامًا فِيهِ تَحَيَّرَ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُمْ بِسُوءٍ وَانْصَرَفُوا مَدْهُوشِينَ. فكذلك كَانَ صَاحِبُ الْأَمْرِ عليه السلام بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ عليه السلام وَدَفْنِهِ، خَرَجَ جَعْفَرٌ الْكَذَّابُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَنْهَى خَبَرَهُ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثُوا عَسْكَرًا إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى لِيَهْجُمُوا دَارَهُ وَيَقْتُلُوا مَنْ يَجِدُونَهُ فِيهَا وَيَأْتُونَهُ بِرَأْسِهِ، فَلَمَّا دَخَلُوهَا وَجَدُوهُ عليه السلام فِي آخِرِ السَّرْدَابِ قَائِمًا يُصَلِّي عَلَى حَصِيرٍ عَلَى الْمَاءِ وَقُدَّامَهُمْ أَيْضًا كَأَنَّهُ

آبائي بايعوا الحكومات الفاسدة و كانت لها في أعناقهم بيعة، لكنّي لست مأمورًا بالمبايعة، فأنا إمّا أن أُقتَل و إمّا أن أغيب عن أعيُنهم[1]. لقد كان جميع الأئمّة عليهم السلام مُبتلين بمصيبة و هي أنّ ذلك الشخص الّذي هو مدّعي [إقامة] الحكومة الحقّة [و صاحبها]، و الّذي هو من أولادهم و سيظهر، لن يبايع أيًّا من الحكومات الفاسدة، و إن لم يُبايع فسيُقتل، و هو غير مأمور بالبيعة، إذًا لا بدّ أن يغيب إلى ذلك الوقت الّذي تتحقّق [فيه المصلحة]، و في ذلك الوقت يظهر و يُقاتل و لا يُبايع، و هذه المصيبة كانت على جميع الأئمّة عليهم السلام، بأنّهم بعد مقتل سيّد الشهداء عليه السلام لم يعد لهم الإذن أن يُخالفوا حكومات أزمنتهم و أن يقولوا لا نُبايع و لا نعتقد بحكوماتكم، و إلّا كانوا يُقتَلون[2].

سبب غَيبة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو نحن أنفسنا!

سبب غَيبة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو نحن أنفسنا! [و إنّما ضَمِن سلامته بغيابه عنّا] فنحن لا نقدر على الوصول إليه، و إلّا فلو جاء و ظهر و حضر بيننا فمَن الّذي سيقتُله؟! هل الجنّ هم الّذين سيقتلون الإمام عليه السلام أم قاتِله سيكون من الإنس؟! لقد أدّينا امتحاننا من قبل و على مدى تاريخ حضور الأئمّة عليهم السلام، من كوننا نحافظ على الإمام و نطيعه أم نقتله! لقد وصل انحطاط الإنسان إلى حدّ أنّ قوم نبيّ الله صالح عليه السلام عقروا النّاقة مع أنّها كانت مصدرًا لمعيشتهم و نعمهم، كما تحدّث القرآن الكريم عن ذلك قائلًا: ﴿لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾[3]، فقد كانت تلك الناقة تشرب من ماء البئر يومًا، و تعطيهم بدله لبنًا. و على هذا الأساس، فكما أنّ العقلاء يمكن أن يقوموا بإتلاف منبع نِعَمهم و خزينتها مثلما عقروا ناقة صالح، فمن الممكن أن نقتل

بَحْرٌ لِكَثْرَةِ الْمَاءِ فِي السَّرْدَابِ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ يَئِسُوا مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ وَانْصَرَفُوا مَدْهُوشِينَ إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَأَمَرَهُمْ بِكِتْمَانِ ذَلِكَ. ثمّ بَعَثَ بَعْدَ ذَلِكَ عَسْكَرًا أَكْثَرَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَلَمَّا دَخَلُوا الدَّارَ سَمِعُوا مِنَ السَّرْدَابِ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ فَاجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ حتّى لَا يَصْعَدَ، فَخَرَجَ مِنْ حَيْثُ الْآنَ عَلَيْهِ شَبَكَةٌ وَخَرَجَ وَأَمِيرُهُمْ قَائِمٌ، فَلَمَّا غَابَ قَالَ انْزِلُوا وَخُذُوهُ فَقَالُوا: إِنَّهُ مَرَّ عَلَيْكَ وَمَا أَمَرْتَ بِأَخْذِهِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُهُ، فَانْصَرَفُوا خَائِبِينَ»؛ الخرائج و الجرائح، ج٢، ص٩٤٢؛ و راجع أيضًا: ج١، ص٤٦٠.

(١) لقد وصف إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف إحدى حِكَم غَيبته في معرض جوابه عن كتاب إسحاق بن يعقوب هكذا: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْ آبَائِي إِلَّا وَقَدْ وَقَعَتْ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ لِطَاغِيَةِ زَمَانِهِ، وَإِنِّي أَخْرُجُ حِينَ أَخْرُجُ وَلَا بَيْعَةَ لِأَحَدٍ مِنَ الطَّوَاغِيتِ فِي عُنُقِي»؛ كمال الدين، ج٢، ص٤٨٥.

(٢) رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَا خَرَجَ وَلَا يَخْرُجُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَى قِيَامِ قَائِمِنَا أَحَدٌ لِيَدْفَعَ ظُلْمًا أَوْ يَنْعَشَ حَقًّا إِلَّا اصْطَلَمَتْهُ الْبَلِيَّةُ، وَكَانَ قِيَامُهُ زِيَادَةً فِي مَكْرُوهِنَا وَشِيعَتِنَا»؛ الصحيفة السجّاديّة، ص٢٠.

(٣) سورة الشعراء، الآية ١٥٥.

ـ نحن [الذين نعدّ أنفسنا من] العقلاء ـ إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الّذي منه جميع خيراتنا، و أفضل من ناقة صالح و أكثر فيضًا، و ذلك من أجل أغراضنا [و أهوائنا] الشخصيّة!

إذا ظهر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فنحن نريد أن نقتله!

لقد خطط الأعداء إلى ما بعد خمسين سنة من مستقبلنا... أَلا يجب أن نفكّر في حالات القصف [و الشدّة] الآن حيث ننعم بالاستقرار؟ فإذا كنّا نعلم أنّ خلف جبال قمّ أشخاصًا يمكن أن يهجموا علينا [ساعة يشاؤون]، أَلا يدعونا هذا إلى التفكير ـ من الآن ـ فيما يجب علينا فعله؟ فربما مجرّد التفكير في هذا يكون مؤثّرًا. فالكفّار يخطّطون للمستقبل. هل انتهت البلاءات الّتي صُبّت على رؤوس المسلمين؟ فما يكون بحسبانهم لا تزال هناك مراحل منه متبقيّة. فهل ذهابه هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف خلف الستار ـ نعوذ بالله ـ كان لحفظ نفسه و تركنا لوحدنا وسط النار؟ لا، بل الله يعلم ماذا يفعل [من أجلنا]! و كم من إغاثاتٍ يقوم بها! لكنّنا إن ظهر نريد أن نقتله!

تحت حوافر الخيول!

لو ظهر الآن إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف في أيّ مدينةٍ من المدن، فإنّه كجدّه سيّد الشهداء عليه السلام سيسحقونه تحت حوافر الخيول!!

أربعمائة مليون ناصر!!

أيُّ موجودٍ هو هذا القرآن الّذي يحكي عن المرئيّات و المسموعات في مراتب النزول المختلفة. وكذلك فإنّ عِدل القرآن [أي العترة الطاهرة عليهم السلام] يحكي أيضًا عن نِعَم العالَم، و لكنّنا لا نُقدّر و لا نشكر حاملي هومنا و هُداتنا و حُماتنا و ناصرينا و نعقر واسطة الخير [فنكون مصداقًا لقوله تعالى]: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾[1]، و نعجز عن مشاهدة الأئمّة عليهم السلام الّذين هم أولياء نِعَمنا و سائقو الفيض إلينا. و لو ظهر إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف فإنّنا سنتصرّف معه بالطريقة نفسها الّتي عاملنا بها آباءه الطاهرين عليهم السلام، فهل من الممكن أن يكون لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف أربعمائة مليون ناصر و لا يظهر؟!

(١) سورة هود، الآية ٦٥؛ سورة الشعراء، الآية ١٥٧؛ سورة الشمس، الآية ١٤.

لقد جعلناه حبيس بيته!

أين عِرقنا الإيمانيّ من منزلة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف الإيمانيّة؟! إذا لم نكن عنده محسوبين من الكفّار! فلماذا قمنا بغلّ يدَيه و جعلناه حَبيس بيته و لم نسمح له بإظهار نفسه؟!

قال أحدهم: لماذا تدعون بتعجيل الفرج؟ فهل تريدون منه أن يظهر و من ثمّ تقتلونه [كما قتلتم الأئمّة السابقين عليهم السلام] لأنّه يكون مزاحمًا لطريقتكم و منهجكم وحكومتكم و حاكميّتكم؟! فالذين قتلوا سائر الأئمّة عليهم السلام لم يكونوا مجانين و إنّما بسبب عدم تديّنهم، أَليس الحال ذاته الآن؟!

قال مشايخ الإسلام[1]: لا يلزم تعيين الخليفة! يعني ـ نعوذُ بالله ـ إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله يتكلّم شططًا. إنّهم أسكتوه و لم يسمحوا له أن يتكلّم بشيء، ثمّ قالوا: «إِنّ رَسُولَ اللهِ مَضَى وَ لَمْ يسْتَخْلِفْ»![2].

نحن لا نريد أن يحكم فينا أهل البيت عليهم السلام!

نحن لا نريد أن يحكم فينا أفراد مثل أهل البيت عليهم السلام الّذين قالوا: نحن لا نُصلّي في الأرض السبخة: «مَن أَرادَ مِنكُمۡ أَنۡ يصَلِّيَ فَلۡيصَلِّ»[3].

و في موردٍ آخر، كان أمير المؤمنين عليه السلام ينفض ثوبه و هو على المنبر، فسألوا الإمام الحسن عليه السلام عن السبب، قال: إنّ والدي لا يملك قميصًا غيره فغسله، فهو ينفضه كي يجفّ[4].

---

(١) إشارة إلى الخليفة الثاني الّذي قال في محضر رسول الله صلّى الله عليه وآله: «حسبنا كتاب الله!» و منع من كتابة الوصيّة الّتي تحفظ الأمّة من الخلاف و الضّلال إلى الأبد!

(٢) نقل أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكلام عن لسان المخالفين و المنافقين في إحدى خطبه: «قَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله مَضَى وَلَمۡ يَسۡتَخۡلِفۡ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ الطَّيِّبُ الۡمُبَارَكُ أَوَّلَ مَشۡهُودٍ عَلَيۡهِ بِالزُّورِ فِي الۡإِسۡلَامِ»؛ الكافي، ج٨، ص٢٩. و هذه الدعوى و هذا الادّعاء لطالما سُمِعا عن لسان كبار أهل السنّة و قد نقلوا هذه الكلمات في كتبهم؛ راجع: أنساب الأشراف، ج١٠، ص٤٢٠؛ الإمامة و السياسة، ج١، ص٢١١؛ إمتاع الأسماع، ج١٤، ص٤٧٧.

(٣) لقد نهت الروايات عن الصلاة في الأرض السبخة أي ذات الملح (راجع: وسائل الشيعة، ج٥، ص١٥٠ـ١٥٢). فعندما كان أمير المؤمنين عليه السلام عائدًا من أرض بابل بيّن أنّها أرضٌ ملعونة قد عذّب الله بها قومًا، و ما كان لنبيّ أو وصيّ نبيّ أن يصلّي فيها، ثمّ قال: «مَن أَرادَ مِنكُمۡ أَنۡ يصَلّيَ فَلۡيُصَلِّ»، و أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فلم يصلّ فيها؛ راجع: من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢٠٤؛ بحار الأنوار، ج٤١، ص١٦٨.

(٤) وجدنا في الروايات مُشابهًا لهذه الرواية عن أبي إسحاق السبيعيّ، إذ يقول: «كُنۡتُ عَلَى عُنُقِ أَبِي يَوۡمَ الۡجُمُعَةِ وَأَمِيرُ الۡمُؤۡمِنِينَ

و كانت حلواه التمر يضعه في اللبن و يأكله[1]، و طعامه أقراص شعير يابسة[2]، و في تقسيم بيت المال كان يأخذ مساويًا لما يأخذه الآخرون [و يقتسم لنفسه ما يقتسمه للآخرين].

نحن لا نريد أشخاصًا كهؤلاء حكّامًا لنا! نحن نريد [حكّامًا] كمعاوية الّذي كان يعطي رئيسًا مئة ألف و آخر لا يعطيه شيئًا، مع هذا يقولون: هو أسخى! و هو الّذي كان يقسّم بيت المال بينه و بين أصحابه و أقاربه. نحن نريد أن يكون مرجعنا الدينيّ تابعًا لنا و لأهوائنا. فليس عبثًا مهما نقول: «عَجّلْ فَرَجَه»، لا أثر له؛ لأنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف إذا ظهر لن يكون تابعًا لأحد. لذلك لا أثر لـ «عَجّلْ فَرَجَه» الّتي نقولها، لأنّنا في الواقع لسنا سالكين صراطه و لا تابعين له!

كان معاوية يعطي بيت المال مُخالفي الإمام عليّ عليه السلام، فأعطى خراسان ابنَ عثمان، فقال: ماذا أفعل بخراسان؟ فقال: طعمٌ لك، فأنشد في مدحه أشعارًا، فغضب مروان و قال: أنا رجل كَهلٌ و معيل [مع هذا] فلم يعطني إيّاها و أعطاها الآخرين، كيف يشترون الناس و ما من أحدٍ يشتريني![3] فأجابه معاوية بطريقة داهنة «إنّما يُشْتَرى لَك!»، يعني هذا كلّه ذخائر لك، ففرح بذلك[4]. و في النهاية قام معاوية بإعطائه الكثير، و أعطاه فدكًا خالصة له و لأولاده، إلى أن أرجعها عمر بن عبد العزيز[5] و ينقل أنّ البعض قد عيّنوا حدود فدك و قدّروها بالمسافة بين مكّة و المدينة.

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَخْطُبُ وَهُوَ يَتَرَوَّحُ بِكُمِّهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَهْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَجِدُ الْحَرَّ؟ فَقَالَ لِي: لَا يَجِدُ حَرًّا وَلَا بَرْدًا وَلَكِنَّهُ غَسَلَ قَمِيصَهُ وَهُوَ رَطْبٌ وَلَا لَهُ غَيْرُهُ فَهُوَ يَتَرَوَّحُ بِهِ»؛ الغارات، ج١، ص٦٢؛ بحار الأنوار، ج٣٤، ص٣٥٢.

(١) عن الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّمَا حَلْوَاهُ التَّمْرُ وَاللَّبَنُ»؛ بحار الأنوار، ج٣٤، ص٣٥٤. و كان آية الله الشيخ البهجة رحمه الله يوضّح أحيانًا أنّ الإمام عليه السلام كان يضع التمر في اللبن حتّى ينفذ أحدهما في الآخر و يكتسب اللبن لون التمر.

(٢) عن الإمام الباقر عليه السلام: «كَانَ عليه السلام لَيُطْعِمُ خُبْزَ الْبُرِّ وَاللَّحْمَ وَيَنْصَرِفُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ وَالزَّيْتَ وَالْخَلَّ». و كذلك رُوي عن سويد بن غفلة أنّه دخل يومًا على أمير المؤمنين عليه السلام، فرأى قرص الخبز الّذي كان يأكله، و يصفه هكذا: «وَفِي يَدِهِ رَغِيفٌ تُرَى قُشَارُ الشَّعِيرِ عَلَى وَجْهِهِ وَهُوَ يَكْسِرُهُ وَيَسْتَعِينُ أَحْيَانًا بِرُكْبَتِهِ»؛ الغارات، ج١، ص٥٧.

(٣) أي أنّ هدف معاوية من هذه العطايا شراء الذمم من أجل مطامعه و أهداف حكومته و جلب رضاهم، فكان مروان بن الحكم مستعدًّا لبَيع دينه و حرّيّته على أن يعطيه معاوية شيئًا من الدنيا.

(٤) فضلًا عن تكارم معاوية بخراسان على ابن عثمان، فقد أعطى مصر أيضًا عَمرو بن العاص، فلم يعد يطيق مروان صبرًا على الإجحاف بحقّه، و توقّع أن يحصل منه ـ هو أيضًا ـ على مثل هذا العطاء و هذا البذل، فقال تلك العبارة؛ راجع: الفتوح، ج٢، ص٥١٤؛ الإمامة و السياسة، ج١، ص١١٨؛ شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد)، ج٢، ص٦٩.

(٥) راجع: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٣٠٣؛ الكامل، ج٢، ص٢٢٥.

ترکُ العمل بالوظیفة سببُ حبس الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف

مثَلنا كمثل جماعةٍ حبست قائدها و انفردت باتّخاذ قرار الحرب و الصلح في البلايا! نحن الّذين فعلنا ذلك و لا نأذن له بالمجيء لحلّ المشكلات، مع أنّنا نعلم أنّه يستطيع حلّها لو حضر، و لكنّنا نستمرّ في حبسه!

و على هذا، فحتّى لو كان ملايين الأشخاص موافقين له، [لكن] فإنّه سيبقى مثل الشخص الوحيد و الفريد الّذي لا ناصر له و لا صاحب و لا معين! فنحن لا نقوم في اليقظة بواجبنا بنحوٍ صحيح، و مع هذا، فإنّنا نتوقّع الاستيقاظ و القيام ليلًا للتهجّد. إنّ الإنسان إذا ناله التوفيق فإنّه يستيقظ من النوم و يقوم بالتهجّد، و إذا لم يكن له توفيق، فحتّى لو استيقظ لن ينتفع من استيقاظه!

ترك الواجبات و ارتكاب المحرّمات، هما الحجاب الّذي يمنعنا من لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف

أين ذهب أولئك الأشخاص الّذين كانت لهم علاقة بصاحب الزمان عليه السلام؟ نحن الّذين جعلنا أنفسنا عاجزين حينما قطعنا علاقتنا بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و صرنا [كالعدماء و] كأنّنا لا نملك شيئًا، فهل كان أولئك أفقر منّا؟! إذا قلتم: إنّنا لا نستطيع الوصول إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فجواب كلامكم هو: لماذا لا تلتزمون بإتيان الواجبات و اجتناب المحرّمات؟ فهو يرضى بهذا نفسه منّا، لأنّ أورع الناس من تورّع عن محارم الله تعالى[1]، فترك الواجبات و ارتكاب المحرّمات هما الحجاب الّذي يمنعنا من لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

أصلح أنت نفسك، نحن نُقبِل إليك!

كان هناك شخص يفكّر في [طريقة] لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فعَلِم أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يتردّد إلى أحد مُصلِحي الأقفال و هو مرتبط به. فذهب إلى أحد مصلحي الأقفال فرأى عجوزًا تطلب إليه إصلاح قفلٍ لها، و تسأله عن أجرة ذلك، فقال: أُصلحه بعبّاسيّ واحد[2] و أشتريه بعد إصلاحه بثلاثمائة دينار أو سنار (مبلغ أقلّ بكثير من مبلغ تصليحه)!

بعدها التقى بآخر يُصلح القفل بسنار و يشتريه بعبّاسيّ. هنا فَهِم أنّ مصلح الأقفال هذا

(١) راجع: الكافي، ج٢، ص٧٧؛ من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٥٨.

(٢) عملة مرتفعة القيمة كانت متداولة في ذلك الزمان.

له ارتباطٌ بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فقال له: أبلغ سلامي إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و اسأله كيف يمكن أن أتشرّف إلى محضركم؟ فقال مصلح الأقفال: تعالَ لأخذ الجواب عند وقت كذا، و في الوقت المقرّر راجعه و طالبَ بجواب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فقال مصلح الأقفال: قال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «لا تفكّر في أن تراني، أصلح نفسك نحن نُقبِل إليك!». [أي] لا تكن من الّذين يصلحون القفل بعبّاسيّ و يشترونه بثلاثمائة دينار أو سنار، بل كن مثل أولئك الّذين يصلحونه بسنار و يشترونه بعبّاسيّ![1]

نعم، ترك الواجبات و ارتكاب المحرّمات هما الحجاب و النقاب بيننا و بين لقائنا بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف!

---

(١) نُقلت هذه القصّة بطرقٍ متعدّدة مع اختلافٍ قليلٍ فيما بينها، لكن جميعها تشترك بهذا المضمون إذ يكون مُفاد كلام الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو: إن كنتم مثل مصلح الأقفال هذا، صالحين و مبتعدين عن المعاصي، فإنّه سيكون لكم اليُمن بلقائنا.

الروضة السادسة:
«الانتظار و وظائف المنتـظِرين»

«العبوديّة لله تعالى» خارطة طريق المنتظِر الحقيقي

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١) يجب أن نكون جميعًا منتبهين و ملتفتين إلى أنّ هدف الخلقة بالنسبة إلى جميع البشر هو العبوديّة. يجب أن نعلم بأنّ هذه الكلمة ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ معناها أنّ كلّ ما كان و يكون هو في هذه العبوديّة لله تعالى. كلّ شيء هو في تحصيل رضا الله تعالى، في الأمور الاعتقاديّة و العمليّة. يجب أن نعلم بأنّه لا يحقّ لنا أن نميل يمينًا و لا شمالًا، و يجب أن نسير على الصراط المستقيم؛ ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (٢).

يجب أن نعلم بأنّ تمام الغاية و تمام السعادة في أن نُوفّق لأن يكون لدينا العزم الثابت و المستمرّ على ترك المعصية في الأمور الاعتقاديّة و العمليّة. يجب أن نطلب هذا الأمر أيضًا من الله تعالى و من المقرّبين إليه و الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام و وصيّ الوقت [الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف] بأن يطلبوا إلى الله أن نكون موفّقين لأن يكون فقط و فقط رضا الله في نظرنا في كلّ آنٍ و أينما كنّا. إذا أراد أن نذهب فلنذهب، إذا أراد أن نقف فلنقف، إذا أراد أن نتحرّك فلنتحرّك، إذا أراد أن نكون ساكنين [بدون حركة] فلنسكن، لا ينبغي أن نكون غافلين آنًا ما عن هذه الكلمة الواحدة [و عن هذه القاعدة العامّة]. كلّ هذه التشريفات (٣)

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٢) سورة يس، الآية ٦١.

(٣) يقصد سماحته قدس سره جميع النعم الّتي منّ الله تعالى بها على خلقه، مثل إرسال الأنبياء و الكتب السماويّة و غيرهما، تكون تمهيدًا للنعمة الأعظم ألا و هي العبوديّة المطلقة.

من أوّل الدين إلى آخره هي من أجل العبوديّة لله تعالى.

تصل العبوديّة إلى حدّ أنّه [في الرواية] قال: «لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَها [بَيْنَهُم] إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُك»[1]. كلّ واحد منّا [كلّما] كان أشبه بالأنبياء و الأوصياء و وصيّ الوقت ـ صلوات الله عليهم ـ كان أقرب إلى الهدف. و كلّ واحد منّا [كلّما] كان أبعد عن هذه الوصيّة و عن هذا المتروك الّذي هو الثقلين[2] كان أبعد عن الله، و كلّما كنّا أقرب إلى هذين الثقلَين ـ اللذين هما القرآن و العترة عليهم السلام ـ كنّا أقرب إلى الله و أقرب إلى هدف خلقنا، و كنّا واصلين.

لنحفظ ارتباطنا بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بعبوديّتنا لله تعالى

إذا كنّا نعلم بأنّنا في محضر «عَين الله الناظِرَة»، فهل [سنجرؤ و] يكون لنا وجه في الاستئذان لزيارة الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف مع كوننا نخالف طلباته الواضحة؟ فنترك الصلاة و الصوم، و نغتاب و نؤذي! فهل نريد منه أن يقول لنا: أَبَحْتُ لكم المحرّمات، و أَسقطتُ عنكم الواجبات؟

و المقصود، ما الّذي كان سيحصل لو حُفظت علاقتنا بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بواسطة عبوديّتنا لله عزّ و جلّ؟ لم يسمح [لنا] الآخرون[3] و إن كنّا نحن مقصّرين أيضًا، و لم نشأ أن يُحفظ الاتّصال بيننا و بين الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و إلّا كان بمقدور كلّ شخص أن يحقّق ارتباطًا به و طمأنينة في العلاقة به، و كان يأتي يومٌ يتوب فيه و يصير تابعًا له عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تصبح عاقبته على خير.

ليس للمنتظِر الواقعيّ إلّا الطاعة

علينا أن لا نغفل ـ آنًا بآن ـ عن العبوديّة لله، و تحصيل رضاه في الاعتقاد و العمل، و في أمورنا الشخصيّة و الاجتماعيّة و النوعيّة، فلا نتسامح في هذا الأمر. في الآنِ الّذي نُبعد أنفسنا فيه عن الثقلَيْن، نكون قد أبعدناها عن الله. إذًا يجب أن نعلم بأنّه علينا أن نكون متوسّلين

(١) مقطع من دعاء شهر رجب في حقّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام؛ راجع: إقبال الأعمال، ج٢، ص٦٤٦؛ مصباح المتهجّد، ج٢، ص٨٠٣؛ المصباح (للكفعمي)، ص٥٢٩؛ بحار الأنوار، ج٩٥، ص٣٩٣.

(٢) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ: كِتَابُ اللهِ وَأَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حتّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ جَمِيعًا»؛ مسند أحمد، ج٥، ص١٨٩.

(٣) أي الّذين ظلموا أهل البيت عليهم السلام و غصبوا حقّهم الإلهيّ ثمّ لم يكتفوا بذلك بل سجنوهم وطردوهم وشرّدوهم وقتلوهم.

بالوسائط و المقرّبين عليهم السلام، أي الأقرب فالأقرب حتّى يصل إلى إمام الزمان صلوات الله عليه و عجّل الله فرجه و عجّل الله فرجنا بفرجه و جعلنا معه. الحمد لله الّذي جعلنا من المتمسّكين بولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب و الأئمّة من ذريّته عليهم السلام.

يجب أن نعلم بأنّ المطلب واحدٌ فقط. ما هو؟ «العبوديّة لله». و إنّ العبوديّة لله تكون في طاعته، و تكون طاعته في ترك معصيته في الاعتقاد و في العمل أيضًا. أن لا يكون لدينا عملٌ غير: طاعة الله أو أمرٍ يولّد طاعة الله ـ من المعارف و التأمّلات و التفكُّر ـ أو أمرٍ تكون طاعة الله مولّدة له، أي مرضيّات الله تعالى. و من المعلوم بأنّ الطاعة لا تأتي إلّا بالطاعة، و الطاعة لا تحصل إلّا من الطاعة.

لنحبّ وسيلة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لنكن تحت هدايته

إنّنا نحبّ إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف لأنّه أمير النحل[1]. و جميع أمورنا تصل بواسطته مطلقًا، و قد نصّبه الرسول صلّى الله عليه و آله لنا أميرًا؛ و نحن نحبّ الرسول صلّى الله عليه و آله، لأن الله جعله واسطة بيننا و بينه؛ و نحبّ الله تعالى، لأنّه منبع جميع الخيرات، و وجود المُمكنات من فيضه؛ فإذا كنّا محبّين لأنفسنا و طالبين لكمالها، علينا أن نكون محبّين لله تعالى، و إذا كنّا محبّين لله، فعلينا أن نكون محبّين لوسائط الفيوضات من الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام، و إلّا، فإمّا أنّنا لا نحبّ أنفسنا، أو لا نحبّ واهب العطايا، أو لا نحبّ وسائط الفيوضات!

إذًا، كيمياء السعادة هو ذكر الله، و هو محرّك العضلات نحو موجبات السعادة المطلقة. و يكون التوسّل بوسائط الاستفاضة من منبع الخيرات، من خلال وسائلها المقرّرة. علينا الاهتداء بهداياتهم و السير بقيادتهم لكي ننال الفوز.

---

(١) نقل عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «اتَّقُوا عَلَى دِينِكُمْ فَاحْجُبُوهُ بِالتَّقِيَّةِ فَإِنَّهُ لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالنَّحْلِ فِي الطَّيْرِ، لَوْ أَنَّ الطَّيْرَ تَعْلَمُ مَا فِي أَجْوَافِ النَّحْلِ مَا بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا أَكَلَتْهُ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ عَلِمُوا مَا فِي أَجْوَافِكُمْ أَنَّكُمْ تُحِبُّونَّا أَهْلَ الْبَيْتِ لَأَكَلُوكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَلَنَحَلُوكُمْ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا مِنْكُمْ كَانَ عَلَى وَلَايَتِنَا» (الكافي، ج٢، ص٢١٨)؛ [نَحَلَه القول أي: نسبه إليه، و نحل فلانًا: سابَّه؛ في القاموس: نحل فلانًا: ضربه بمقدم رجله]. شُبّه الشيعة في الروايات بالنحل، لأنّه كما يوجد في باطن النحل عسل، و لكن لا يبدو في ظاهره شيءٌ من هذا العسل، الشيعة أيضًا يوجد في باطنهم إيمانٌ كالعسل، و لكنّهم مأمورون في الظاهر بالتقيّة، و من هذا يُسمّى إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف بأمير النحل.

يجب أن نرى إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف حاضرًا

يجب أن نرى إمام الزمان حاضرًا [بيننا]، أينما يذهب فلنذهب، وكلّ ما يعمله فلنعمله، وكلّ ما يتركه فلنتركه، و إذا كنّا لا نعلم [بأفعاله و تروكه] فإنّنا نعرف الاحتياط، ونستطيع أن نقوم به. و لكن كأنّنا لا نريد أن نسلك سبيل مرضاة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لا أنّنا لا نعلم رضاه و لا نستطيع تحصيله!

علينا أن نعمل بما في دفتر إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف

و إن يكن الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف غائبًا عنّا، و نحن محرومون من فيض حضوره، و لكنّا نعرف الأعمال المطابقة أو المخالفة لدفتره [و نهجه] و طريقته و سنّته، و هل نُرضي ذلك المعظّم بأعمالنا و سلوكنا، و نرسل إلى حضرته سلامًا ـ و لو كان ضعيفًا ـ أو أنّنا نجعله غير راضٍ و مستاء بسبب أعمالنا غير المرضيّة. و مع أنّنا نتصرّف في أمواله [أي سهم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف]، لكن لم يُرَ و لم يُسمع أنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد رتّب أثرًا [أو حاسبنا] على تصرّفاتنا، أو اعترض على مَن يُفرِط في [التصرّف فيها] و يأكلها. و كأنّنا لا نعدّ أمواله هي أمواله، و كأنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا لا يعدّ ذلك المال ماله فلا يعترض علينا!

لنكن تابعين لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف في كلّ حُبٍّ و بُغض

إنّ مَن يتيقّن و يعتقد بالخالق و المخلوق، و يرتبط و يعتقد بجميع الأنبياء و الأوصياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ و يتوسّل بهم اعتقاديًّا و عمليًّا، و يسير في حركاته و سكناته على وفق توجيهاتهم، و يُخلي القلب في العبادات عمّا سوى الله، و يقيم الصلاة ـ الّتي [هي الأساس و] كلّ شيء تابع لها ـ فارغ القلب، و يتّبع في المشكوكات إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف: أي يخالف كلّ من يراه الإمام مخالفًا له، و يوافق من يراه الإمام موافقًا له، و يلعن من يلعنه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و يترحّم على من يترحّم عليه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لو على سبيل الإجمال[1]، [إنّ شخصًا كهذا:] لن يفتقد أيّ كمال، و لن ينال أيّ وزرٍ و وبال.

---

(١) المقصود أنّه إذا كان عندنا شكٌّ بالنسبة إلى بعض الأفراد، هل هم مخالفون لإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف أم موافقون له، فنكون تابعين للإمام عليه السلام بنحوٍ إجماليّ، بأن نكون معتقدين ـ بهذا النحو ـ أنّه إذا كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف موافقًا لذلك الفرد المشكوك و يترحّم عليه، فنحن أيضًا موافقون له و نترحّم عليه، و إذا كان مخالفًا له و هو مورد لعنِه، فنحن أيضًا مخالفون له و نلعنه، و هذه التبعيّة الإجماليّة وردت في بعض الروايات، كالدعاء المنقول عن أمير المؤمنين عليه السلام، الّذي ورد في ضمنه: «اللَّهُمَّ مَنْ صَلَّيْتَ عَلَيْهِ فَصَلَاتُنَا عَلَيْهِ وَمَنْ لَعَنْتَهُ فَلَعْنَتُنَا عَلَيْهِ»؛ بحار الأنوار، ج٩٢، ص٣٥٥.

لنجعل قلوبنا متّحدةً مع قلب الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشّریف

هل يمكن للإنسان أن يشعر في نفسه ـ صدقًا لا كذبًا ـ بأنّ محبّته لإمام الزمان عجّل الله تعالی فرجه الشّریف قد زادت، و لكن لا تكون قد زادت عناية الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشّریف له و لم يتقدّم باتّجاهه خطوة؟ فهل قلبه ـ نعوذ بالله ـ أقلّ [مرتبة] من قلوبنا؟!

ستدهِن خبزك بالسّمن!

حتّى يثبت للمرحوم المامقانيّ رحمه الله أنّ شخصًا هو سيّد، كان الأمر يحتاج إلى جهدٍ. أمّا إذا ثبتت سيادة[1] أحدهم فحينئذٍ [كأنّ] خبزه يُدهّن بالسّمن![2] كان يأتي بنفسه إليه و يهتمّ بأمره [و يَصِله بالمال و يتفقّد حاله] عدّة مرّات في الشهر. نحن أيضًا، إذا كان اسمنا في ديوان الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشّریف فسيُدهّن خبزنا بالسّمن، هو يعلم كيف يدبّر أمور عبده و مطيعه و [كيف] يهتمّ به![3]

له في قلبك مسجد، حافِظ عليه!

كم نقول إنّ لإمام الزمان عجّل الله تعالی فرجه الشّریف مسجدًا في قلب كلّ شيعيّ!

---

(١) أي كونه من ذرّيّة أمير المؤمنين و السيّدة فاطمة الزهراء عليهما السلام.

(٢) أصل العبارة الفارسيّة «نانش در روغن است» و هي مثلٌ فارسيّ، تعريبه الحرفيّ: «يُدهّن خبزه بالسّمن». و المقصود أنّ الشخص لا يأكل الخبز خاليًا، بل مُدهّنًا بالسمن، و هذا كناية عن الوضع الماديّ الجيّد لهذا الشخص و تمكُّنه، إذ إنّ الخبز كان يؤكل جافًّا أو مع الماء، و فقط الأشخاص الأغنياء كانوا يأكلون الخبز بالسّمن في ذلك الزمن.

(٣) هناك ديوان لكلّ إمامٍ مكتوبٌ فيه أسماء شيعته، و من جملة الروايات الّتي تدلّ على ذلك، ما ورد عن حذيفة بن أسيد الغفاريّ إذ يقول: «لَمَّا وَادَعَ الْحَسَنُ عليه السلام مُعَاوِيَةَ وَ انْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ، صَحِبْتُهُ فِي مُنْصَرَفِهِ وَ كَانَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ حِمْلُ بَعِيرٍ لَا يُفَارِقُهُ حَيْثُ تَوَجَّهَ، فَقُلْتُ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا أَبَا محمّد، هَذَا الْحِمْلُ لَا يُفَارِقُكَ حَيْثُ مَا تَوَجَّهْتَ، فَقَالَ: يَا حُذَيْفَةُ أَتَدْرِي مَا هُوَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هَذَا الدِّيوَانُ، قُلْتُ: دِيوَانُ مَاذَا؟ قَالَ: دِيوَانُ شِيعَتِنَا فِيهِ أَسْمَاؤُهُمْ، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَأَرِنِي اسْمِي، قَالَ: اغْدُ بِالْغَدَاةِ، قَالَ: فَغَدَوْتُ إِلَيْهِ وَ مَعِي ابْنُ أَخٍ لِي وَ كَانَ يَقْرَأُ وَ لَمْ أَكُنْ أَقْرَأُ، فَقَالَ: مَا غَدَا بِكَ؟ قُلْتُ: الْحَاجَةَ الَّتِي وَعَدْتَنِي، قَالَ: وَ مَنْ ذَا الْفَتَى مَعَكَ؟ قُلْتُ: ابْنُ أَخٍ لِي وَ هُوَ يَقْرَأُ وَ لَسْتُ أَقْرَأُ، قَالَ فَقَالَ لِي: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ، فَقَالَ: عَلَيَّ بِالدِّيوَانِ الْأَوْسَطِ، قَالَ: فَأُتِيَ بِهِ، قَالَ: فَنَظَرَ الْفَتَى فَإِذَا الْأَسْمَاءُ تَلُوحُ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ إِذْ قَالَ هُوَ: يَا عَمَّاهْ هُوَ ذَا اسْمِي، قُلْتُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ أَنْظُرُ أَيْنَ اسْمِي، قَالَ: فَصَفَحَ، ثُمَّ قَالَ: هُوَ ذَا اسْمُكَ، فَاسْتَبْشَرْنَا وَ اسْتُشْهِدَ الْفَتَى مَعَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام» (بصائر الدرجات، ج١، ص١٧٣). فمقصود سماحة الشيخ قدّس سرّه أنّه إذا كانت أسماؤنا من بين أسماء أولياء الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشّریف و شيعته المسجّلة في ديوانه، فإنّ حالنا سيكون جيّدًا من ناحية اهتمام الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشّریف بأمرنا و رعايته لنا، و تكون عاقبتنا إلى خير، و أنّنا لسنا كأولئك الّذين لا صاحب لهم و لا كفيل.

إنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف يحتاج إلى قلوبٍ مُهيّأة

إنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يحتاج إلى قلوبٍ تتهيّأ من أجل أن يُقام العدل المبسوط على الأرض!

إنّه يريد أشخاصًا مخلصين له عجّل الله تعالى فرجه الشريف

يا ليتنا كنّا نجلس و نتحدّث معًا أنّه متى يظهر الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ لنكون [بذلك] ـ في الحدّ الأدنى ـ من المنتظرين للفرج. إنّهم يريدون أشخاصًا يكونون فقط لذلك الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. المنتظرون للفرج هم الّذين يكونون منتظرين للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف من أجل الله و في سبيل الله، و ليس من أجل قضاء حوائجهم الشخصيّة! لماذا لسنا ـ في الحدّ الأدنى ـ كالنصارى الّذين يرتبطون بالإنجيل في مواطن الحيرة، فنحن لا نُقيم علاقة بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟!

لا ننقض عهدنا معه!

يجب علينا أن نوقّع و نتعهّد و نوافق بنحوٍ جماعيٍ على أن نُعين الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ننصره في العمل بالأوامر الدينيّة [و تطبيقها]، و لا ننقض العهد و الميثاق، حتّى يخرج من خلف الستار.

لنمهّد للظهور بترك الذنوب

أمنيتنا هي أن تحكم دولة الحقّ في العالم، و أيضًا أن نكون بأجمعنا على صراط العبوديّة المستقيم. و بناءً عليه، الأفضل أن نكون مطمئنّين ـ قبل ظهور دولة الحقّ ـ إلى كوننا على صراط العبوديّة المستقيم؛ و لذلك يجب أن نجتنب الذنوب، إذ إنّها لا تمهّد لنا أرضيّة ظهور دولة الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

لنستعدّ و لنكن منتظرين لأمر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بترك المعصية

ما دام هناك إقبال، و هدوء بال و تفكير، علينا أن نكون على أُهبة الاستعداد بأجمعنا. و أن نواصل الحفاظ على هذا الاستعداد. لماذا؟ لأنّه من المحتمل أن يحصل أمرٌ ما غدًا. و نحن نعلم أين يكمن الاستعداد لذلك الأمر؛ [إنّه يكمن في] أن نكون تاركين للمعصية، و أن نكون منتظرين للأمر [أي أوامر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و كذلك أمر ظهوره].

و هناك مسألةٌ أخرى... و هي أن نلتفت إلى أنّ هناك طائفة تريد القضاء على [الشيعة]! لا يمكن أن يتّفق النظام الفلانيّ مع المتصوّفة [و أشاعرة الأزهر]، كما أنّهم [لا يتّفقون] مع الشيعة. إنّ المتصوّفة و الشيعة هما على حدٍّ سواء في المخالفة للنظام الفلانيّ. إنّهم [أي حكّام بني فلان] أساسًا أُجراء لإيجاد الفرقة بين الشيعة، بل و حتّى بين المسلمين [الآخرين أيضًا]، و هم [أُجراء] لإزالة الإسلام! فما هو شأنهم بهذه الأمور [أي إدارة الحَرمَين الشريفَين و الأماكن الإسلاميّة]؟!![1]

لِنَتُبْ من الذنوب

إذا كان ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف قريبًا فيجب على كلّ شخصٍ أن يهيّئ نفسه لذلك اليوم، و من جملة ذلك التوبة من الذنوب. و هذه التوبة هي الّتي تؤدّي إلى رفع جميع أنواع البلاءات الّتي نزلت على الشيعة و دفعها، و الّتي لا سابقَ لها حقيقة. و كذلك [دفع و رفع] الابتلاءات الأخرى الّتي تقع قبل ظهوره عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

من أهمّ مقدّمات انتظار الفرج: التوبة و ترك الذنب

علينا أن ننتظر فرج الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أن نعتقد بأنّ فرجه فرَجٌ للجميع، و يجب أن نكون منتظرين في كلّ وقت و بأيّ حال، و لكن هل يمكن لنا أن نكون منتظرين لفرَجه عجّل الله تعالى فرجه الشريف دون مقدّمات و دون تحمّل الابتلاءات الّتي تحدث لأهل الإيمان؟!

مع هذا الوصف، ما المانع أن نطلب تعجيل فرَج الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مصحوبًا بالعافية، بمعنى أن نطلب بأن لا يرى المؤمنون أكثر ممّا رأوه من البلاء حتّى الآن! لأنّه ورد في الرواية: إنّ السفيانيّ عندما يخرج، سوف يقتل كلّ من كان اسمُه عليًّا و فاطمة و حسنًا و حُسينًا. و بعد أن يُقتَل عددٌ منهم، يقول الآخرون: لقد اقترف آباؤنا و أمّهاتنا ذنبًا، و أطلقوا هذه الأسماء

---

(١) إنّ الوهّابيّة و السلفيّة في الأساس من الفِرَق الّتي اختُلقت بهدف ضرب الإسلام من خلال التكفير و بثّ الخلاف و الاختلاف بين المسلمين، و لذلك فإنّهم لا يعادون الشيعة فقط، بل يخالفون حتّى الأشاعرة و المعتزلة و المتصوّفة ـ و هي المذاهب الفكريّة الأساسيّة الثلاثة عند أهل السنّة ـ و يعدّونهم خارجين عن الإسلام. في حين أنّ الوهّابيّة و السلفيّة ليسوا سوى فرقةٍ استعماريّة ليس لها أيّ صلة بالإسلام، و الإسلام منهم براء. و لذلك فإنّ نفس علماء أهل السنّة و الأزهر قد أعلنوا في مؤتمر غروزني صراحةً أنّ الفكر الوهّابيّ فكرٌ إرهابيٌّ لا صلة له بالإسلام!

علينا، فما هو ذنبنا نحن؟ و هنا ينتقل السفيانيّ إلى التفضّل! و يطلب إلى زبانيته الكفّ عن قتل أصحاب بعض الأسماء، و الاستمرار في قتل أصحاب بعض الأسماء الأخرى![1] كما كان اليهود في مدّةٍ إذا رأوا صاحب هويّةٍ يكون شيعيًّا، قتلوه فورًا! و الآن كذلك، إذ إنّهم ينتظرون صدور الأوامر!

و على كلّ حال، يجب أن ننتظر الفرَج، و لكن مع مقدّماته. و لكنّنا نعلم أنّنا ضعفاء، و لا طاقة لنا على الابتلاءات الصعبة؛ و لذلك فلنسأل الله أن لا يُبتلى الشيعة ـ بعد هذا ـ بمزيدٍ من الابتلاءات. و أن نعمل على تحصيل أهمّ مقدّمات انتظار الفرج، ألَا و هي التوبة و الطهارة من الذنوب.

لنكن مستعدّين و مهيّئين للظهور

علينا الآن، في الوقت نفسه الّذي ننتظر فيه ظهور ذلك الشخص الأوّل عجّل الله تعالى فرجه الّذي يمتلك الدين و يمتلك العلم أيضًا و الّذي يمنحه الله القدرة أيضًا، أن نكون كذلك مسلّحين و على أهبة الاستعداد، و أن لا تتزلزل قلوبنا إذا رأينا ماذا حدث، و ماذا حدث، و ماذا حدث[2]. أن لا تتزلزل أبدًا! لقد أخبروا و قالوا منذ ألف سنة أنّ [الظهور سوف يتحقّق]: «بَعْدما مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»؛ فهل يمكن أن يظهر هكذا بكلّ يُسرٍ و سهولة؟! قهرًا هناك مقدّمات! ماذا يعني ذلك؟ إنّ معنى ذلك أنّ أفعال هؤلاء ـ أفعال كبار المسلمين و مشايخهم بعد الرسول صلّى الله عليه وآله ـ يجب أن تترك أثرها إلى آخر درجة ـ نعوذ بالله ـ يجب أن تترك أثرها إلى تلك الدرجة الأخيرة. و إنّ تلك البذرة الّتي زرعوها يجب أن يُجنى آخر حدٍّ من ثمارها! و الآن فَهِم أهل البصيرة أنّه كان طريقًا قد أضرّ بالجميع، و أنّ ضرره قد امتدّ إليهم أنفسهم أيضًا ـ إذا بقي منهم أعقاب ـ و كذلك بالنسبة إليهم في الآخرة![3]

---

(١) راجع: إلزام الناصب، ج٢، ص١٦٣.

(٢) المراد هو الابتلاءات و الامتحانات الّتي يتعرّض لها المؤمنون في عصر الغَيبة.

(٣) أي أنّ الّذين كانوا يحسبون أنفسهم زعماءَ المسلمين و مشايخهم زرعوا في السقيفة بذرةَ الشجرة الخبيثة، الّتي لا تزال تؤتي ثمارها السامّة منذ ذلك اليوم و ستبقى إلى حين ظهور الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه. و لم تقتصر آثار فعلتهم و نتائجُها على تنصيب بضعة خلفاء، بل إنّ ما فعلوه كان تحريفًا للدين و لمعتقدات المسلمين، و أدّى إلى تضليل الناس و الإضرار بالمسلمين، و كلّ يومٍ تنكشف آثار مشؤومة لفعلتهم، و ستصل نتائجها إلى حدٍّ لا يبقى معه على وجه الأرض شبرٌ واحد لم يلحق به الظلم.

عدم كفاية مجرّد انتظار الفرج!

انتظار الفرج لوحده غير كافٍ، يجب التأهّب، و إنّما يلزم أيضًا الطاعة و العبوديّة[1]،

---

(١) من البديهيّ أنْ يظلّ الشيعة دائمًا مترقّبين ظهور بقيّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أن يستعدّوا للالتحاق بركابه، و يمهّدوا الظروف لتحقّق هذا الأمر العظيم؛ و قد ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «لِيُعِدَّنَّ أَحَدُكُمْ لِخُرُوجِ الْقَائِمِ وَلَوْ سَهْمًا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ رَجَوْتُ لِأَنْ يُنْسِئَ فِي عُمُرِهِ حتّى يُدْرِكَهُ فَيَكُونَ مِنْ أَعْوَانِهِ وَأَنْصَارِهِ» (الغيبة (للنعماني)، ص٣٢٠)، بل إنّ أمرَ الله تعالى في القرآن صريحٌ في دعوة المؤمنين ليتسلّحوا و يستعدّوا للتصدّي لأعداء الدين، فيدبّ الخوفُ في قلوب الكفّار: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾. لكن يجب الانتباه إلى أنّ العامل الحاسم و الأساسيّ المُمهّد لظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و الّذي يجعل الإنسان مستعدًّا هو: الإعداد الروحيّ، و تهذيب النفس لمقاومة الأهواء و الغرائز و الميول المنحرفة، و تطهير الروح من الرذائل الأخلاقيّة، و هذه هي العبوديّة لله عزّ و جلّ. و المؤمنُ الّذي يسعى لنيل رضا أهل البيت عليهم السلام و إرضاء إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، يجب عليه أن يسير في الطريق الّذي رسموه هم عليهم السلام له. و يبيّن لنا تأمّلُ الروايات و تدبّرها أنّ التقرّب إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لحصول الفرج، و تمهيد أرضيّة ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و الاستعداد لبذل الروح في رَكبه، لا تتحقّق إلّا بالتقوى و تهذيب النفس و الاستعداد الذاتيّ، و تجنّب المعاصي، فلا يمكن للمرء أن لا يتحضّر روحيًّا، و يغفل عن الجهاد الأكبر، و يحصر اهتمامه بالجهاد الأصغر، و يعمل على تنمية عضلات جسده، معتقدًا أنّ بإمكانه ـ إن هو اكتسب المهارات العسكريّة ـ أن يكون مستعدًّا للالتحاقِ برَكب الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. بل حتّى في الجهاد الأصغر، فإنّ ما يؤدّي إلى انتصار جيش إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف على الأعداء، إنّما هو قوّة الإيمان الّتي يتمتّع بها أصحاب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و تسليمهم التامّ المطلق الّذي لا تشوبه شائبة، و تنفيذهم لأوامره، و رعاية إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف لهم تجعل قوّة أحدهم كقوّة أربعين رجلًا: «قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: إِذَا قَامَ قَائِمُنَا أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْ شِيعَتِنَا الْعَاهَةَ وَجَعَلَ قُلُوبَهُمْ كَزُبَرِ الْحَدِيدِ وَجَعَلَ قُوَّةَ الرَّجُلِ مِنْهُمْ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا وَيَكُونُونَ حُكَّامَ الْأَرْضِ وَسَنَامَهَا» (الخصال، ج٢، ص٥٤١). معنى ذلك أنّهم لم يكونوا قبل رعاية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بهذه القوّة، و أنّهم يمتلكون قوّة قلبيّة و معنويّة نتيجة عبوديّتهم لله تعالى طيلة العمر، و طاعتهم المطلقة لإمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و ما يجعل هؤلاء مستعدّين لمثل هذه الطاعة، و لتنفيذ أوامر الإمام بحذافيرها، و سلوك السبيل إلى رضاه في زمان ظهوره، أنّهم قبل ظهوره عجّل الله تعالى فرجه الشريف يستقوون بتهذيب نفوسهم، و بعبوديّتهم الخالصة لله عزّ و جلّ. و لذلك ورد في وصف أصحاب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف تشديد على العبادات الطويلةِ ليلًا، و على الخصائص المعنويّة الّتي يتحلّون بها، و هذه الحالات الروحانيّة هي الّتي تجعلهم أسودًا في النهار: «فِيهِمْ رِجَالٌ لَا يَنَامُونَ اللَّيْلَ لَهُمْ دَوِيٌّ فِي صَلَاتِهِمْ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يَبِيتُونَ قِيَامًا عَلَى أَطْرَافِهِمْ وَيُصْبِحُونَ عَلَى خُيُولِهِمْ، رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ لُيُوثٌ بِالنَّهَارِ، هُمْ أَطْوَعُ لَهُ مِنَ الْأَمَةِ لِسَيِّدِهَا، كَالْمَصَابِيحِ كَأَنَّ قُلُوبَهُمُ الْقَنَادِيلُ وَهُمْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ مُشْفِقُونَ» (بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٠٨). بل هناك حديثٌ يُثير التعجُّب أكثر من الروايات الواردة أعلاه، قد ورد في كتاب الغَيبة للشيخ الطوسيّ رحمه الله، و مُفاده أنّهم ليسوا أقوياء البنية، مفتولي العضلات، بل هم في الظاهر ضعافٌ، أجسادهم نحيلة، يبكي الناس حين رؤيتهم خوفًا من أن يغلبهم أعداؤهم الأقوياء: «فَعِنْدَ ذَلِكَ يَبْعَثُ اللَّهُ قَائِمَ آلِ محمّد فِي عَصَبَةٍ، لَهُمْ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ مِنَ الْكُحْلِ، إِذَا خَرَجُوا بَكَى لَهُمُ النَّاسُ، لَا يَرَوْنَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَخْتَطِفُونَ، يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، أَلَا وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، أَلَا إِنَّ خَيْرَ الْجِهَادِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ» (الغيبة

(للطوسيّ)، ص٤٦٥). من هنا، يتبيّن أنّ الروايات الّتي تشير إلى أنّ كلّ واحدٍ منهم يجد في نفسه قوّة أربعين رجلًا، تدلّ على أنّ السبب يعود إلى القدرة الّتي يمنحهم الإمام الحجّة ﷻ إيّاها من بعد ظهوره بهدف نُصرة دين الله تعالى، و ليس الحال أنّ هذه القدرة تكون لديهم قبل الظهور أو أنّهم غافلون عن الجهاد الأكبر و فقط يتدرّبون لتعزيز قواهم الجسديّة. علمًا أنّ أهمّيّة المحافظة على قوّة الجسد أمرٌ بديهيّ ليتمكّن الإنسان من القيام بواجباته الدينيّة و العباديّة بيُسرٍ و سهولة، و ليحافظ على كيانه و كيان المؤمنين و يدافع عن نفسه و عنهم، و هي أمرٌ حسنٌ مستحبٌّ، وُصّيَ به و جرى تأكيده. لكنّ المقصود أنّ الأمر الأساسيّ للاستعداد لنصرة الإمام الحجّة ﷻ و مساعدته، هو تعزيزُ قوّة الإيمان بالله تعالى و طاعته و العبوديّة له، و بعده ستكون هنالك حاجة إلى تلك القوّة الجسديّة وقتَ الظهور، و أكثر من ذلك سيُمنح الإنسان قوّةً أكبر بكثيرٍ من القوّة المعروفة لدى الإنسان العاديّ، قوّة تُعادل قوّة أربعين رجلًا، إذا مرّوا بجبال الحديد قطعوها كأنّها جبالٌ من قطن، و هذه القوّة الجسديّة الفائقة مصدرها قوّة الإيمان في قلوبهم: «فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ يُعْطَى قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلاً، وَإِنَّ قَلْبَهُ لَأَشَدُّ مِنْ زُبَرِ الْحَدِيدِ، وَلَوْ مَرُّوا بِجِبَالِ الْحَدِيدِ لَقَطَعُوهَا، لَا يَكُفُّونَ سُيُوفَهُمْ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» (بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٢٧). و روى السيّد ابن طاوس في كتاب «الملاحم و الفتن» عن ابن رزين الغافقيّ، أنّه سمع من أمير المؤمنين ﷺ قوله: «وَرِجَالٌ كَأَنَّ قُلُوبَهُمْ زُبَرُ الْحَدِيدِ لَا يَشُوبُهَا شَكٌّ فِي ذَاتِ اللَّهِ، أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ، لَوْ حَمَلُوا عَلَى الْجِبَالِ لَأَزَالُوهَا» (بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٠٨). يتّضح من هذه الرواية أنّ هؤلاء الأصحاب إيمانُهم راسخٌ و ثابتٌ، لا تشوبه ذرّةٌ من شكّ، و هذا لا يُتحصّل إلّا إنْ جوّد الإنسانُ معارفَه و علومه الدينيّة، و وصل من خلال التطبيق العمليّ لما تعلّمه إلى الدرجات العليا من اليقين. من هنا يتبيّن سرّ توصية الفقيه المقدّس آية الله الشيخ البهجة ﵀ لقائد المقاومة في لبنان، بوجوب تعليم المقاومين الأحكام الفقهيّة و العقائديّة الدينيّة و المذهبيّة الصحيحة، ليتمكّنوا من العمل السليم حسب الشرع دفاعًا عن عقائد أهل البيت ﵈ الحقّة، كما يُعلّمون فنونَ القتال و التعاليم العسكريّة. و بصورة عامّة، إنّ ما يَمنح المؤمن القوّة هو صلابة إيمانه، و في الحديث أنّ قوّة المؤمن في قلبه، حتّى و إن كان يبدو ضعيفًا جسديًّا و نحيلًا: «عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رسول الله ﷺ: إِنَّ قُوَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي قَلْبِهِ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهُ قَدْ تَجِدُونَهُ ضَعِيفَ الْبَدَنِ نَحِيفَ الْجِسْمِ وَ هُوَ يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ النَّهَارَ، وَقَالَ: الْمُؤْمِنُ أَشَدُّ فِي دِينِهِ مِنَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَبَلَ قَدْ يُنْحَتُ مِنْهُ وَالْمُؤْمِنُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَنْحَتَ مِنْ دِينِهِ شَيْئًا وَذَلِكَ لِضَنِّهِ بِدِينِهِ وَشُحِّهِ عَلَيْهِ» (بحار الأنوار، ج٦٤، ص٢٩٩ نقلًا عن علل الشرائع عَنِ الْحِمْيَرِيِّ عَنْ هَارُونَ عَنِ ابْنِ صَدَقَةَ). قال أميرُ المؤمنين ﷺ، الّذي كان له النصيب الأوفى في انتصارات المسلمين في حروبهم، و كانت شجاعته منقطعة النظير، و إذا قورن جهاد سائر الصحابة بجهاده عُدَّ جهادهم ضئيلًا، و هو يصف دحْوَة باب خيبر بقوله إنّه لم يفعل ذلك بقوّته الجسديّة، و إنّما بقوّةٍ من الله تعالى: «وَاعْلَمْ أَنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ يَسُدُّ فَوْرَةَ جُوعِهِ بِقُرْصَيْهِ، لَا يَطْعَمُ الْفِلْذَةَ فِي حَوْلَيْهِ إِلَّا فِي سَنَةِ أُضْحِيَّةٍ، وَلَنْ تَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ فَأَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ إِذَا كَانَ قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ هَذَا قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ مُبَارَزَةِ الْأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ، وَاللَّهِ مَا قَلَعْتُ بَابَ خَيْبَرَ بِقُوَّةٍ جَسَدَانِيَّةٍ وَلَا بِحَرَكَةٍ غَذَائِيَّةٍ لَكِنِّي أُيِّدْتُ بِقُوَّةٍ مَلَكِيَّةٍ وَنَفْسٍ بِنُورِ رَبِّهَا مُضِيَّةٍ» (الخرائج و الجرائح، ج٢، ص٥٤٢)، يشير أمير المؤمنين ﷺ في هذا الحديث بداءةً إلى أنّ زهده و قلّة ما يطعمه يدفعان الناس إلى القول إنّ ضَعف بدنه يسلبه القدرة على مبارزة الأعداء الأشدّاء، ثمّ ينبّه إلى أنّ ما يمنحه القوّة لمبارزة الأعداء ليست قوّته الجسديّة، بل قوّته الإلهيّة الّتي حصّلها بقوّة إيمانه و تقواه. هذه القوّة الّتي سمحت له باقتلاع باب خيبر، في حين وجد سبعون رجلًا صعوبة بالغة في إعادته إلى مكانه كما يقول ابن حَجَر العسقلانيّ،

العالم السُّنّيّ في كتاب الإصابة (ج ٢، ص٥٠٢). إذًا يجب على شيعة أمير المؤمنين عليه السلام و محبّيه، أن يعملوا باستمرار على تهذيب أنفسهم و تعزيز إيمانهم و الثبات على عقيدتهم، فيَصِلون إلى هذه القوّة الإلهيّة بما يتناسب مع مقدار عبوديّتهم. إنّ أمير المؤمنين عليه السلام في روايةٍ أخرى يبيّن أنّ طاعة الله تعالى بما فيها من اجتناب المعاصي و المواظبة على العبادات، هي المعيار الأساس في شيعته الحقيقيّين، حتّى إنّه عليه السلام يصف ظاهرهم و كيف يكونون بسبب كثرة الصيام و الزهد في الدنيا نحفاء و خماص البطون: «رُوِّينَا عَنْ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ أَنَّ قَوْمًا أَتَوْهُ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا يَسْأَلُونَهُ، فَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ فِيهِ بِأَنْ قَالُوا نَحْنُ مِنْ شِيعَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ طَوِيلًا ثمّ قَالَ: مَا أَعْرِفُكُمْ وَ لَا أَرَى عَلَيْكُمْ أَثَرًا مِمَّا تَقُولُونَ، إِنَّمَا شِيعَتُنَا مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ عَمِلَ بِطَاعَتِهِ وَ اجْتَنَبَ مَعَاصِيَهُ وَ أَطَاعَنَا فِيمَا أَمَرْنَا بِهِ وَ دَعَوْنَا إِلَيْهِ، شِيعَتُنَا رُعَاةُ الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ النُّجُومِ ـ يَعْنِي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ لِلْوُقُوفِ عَلَى مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ ـ شِيعَتُنَا ذُبُلٌ شِفَاهُهُمْ خُمُصٌ بُطُونُهُمْ، تُعْرَفُ الرَّهْبَانِيَّةُ فِي وُجُوهِهِمْ، لَيْسَ مِنْ شِيعَتِنَا مَنْ أَخَذَ غَيْرَ حَقِّهِ وَ لَا مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ وَ لَا مَنْ تَنَاوَلَ مَا لَيْسَ لَهُ» (دعائم الإسلام، ج١، ص٥٦). لذلك فإنّ مجرّد تقويةِ البدن و ترويضه دون تعزيز العقيدة و تزكية الروح، لا يضع الإنسان على الطريق الصحيح استعدادًا للظهور، فمن هيّأ السلاح و آلات الحرب استعدادًا للجهاد الأصغر، و لم يُولِ الجهادَ الأكبر اهتمامًا ـ و الجهادُ الأكبرُ هو المحور الأساس لفرج الإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ لن ينال التوفيق ليكون من أصحاب إمام عصره عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و أكثر من ذلك، حتّى قبل الظهور أو بالتزامن معه سيمحّص إيمانه، لأنّ معيارَ الثبات على الإيمان بإمامة الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في آخر الزمان هو نجاحُ القلب في امتحان الإيمان: «لَا يَثْبُتُ فِيهَا عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ إِلَّا مَنِ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ» (كمال الدين، ج١، ص٢٥٣). و من لم يكن كذلك حين يأزف الوقت سيسمع نداء يقول: «ردّوه فإنّه رجلٌ صابونيّ!». لذلك فإنّ آية الله الشيخ البهجة رحمه الله كان يردّد دائمًا: «لا ينبغي لنا أن ندعو فقط بـ[تعجيل] الظهور، بل يجب أن ندعو بظهوره الشريف عجّل الله تعالى فرجه الشريف مصحوبًا بالعافية، و إلّا من الممكن أن لا يكون قد بقي سوى أسبوع واحد على الظهور، لكنّنا نفرّ في هذا الأسبوع، و العياذ بالله!». لذلك يجب علينا أن نركّز اهتمامنا على السير في هذا المسار الّذي رسمه لنا إمام الزمان عليه السلام بتوقيعه الشريف: «وَ لَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا وَفَّقَهُمُ اللهُ لِطَاعَتِهِ عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ الْقُلُوبِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ، لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا وَ لَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا عَلَى حَقِّ الْمَعْرِفَةِ وَ صِدْقِهَا مِنْهُمْ بِنَا، فَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكْرَهُهُ وَ لَا نُؤْثِرُهُ مِنْهُمْ» (الاحتجاج، ج٢، ص٤٩٩). كما أنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف أمرنا صراحةً بالعمل على ما يُقرّبنا إليه و يزيد من محبّته لنا و ذلك بطاعة الله عزّ و جلّ، و أكّد تجنّب ما يعرّض الإنسان لكراهته و سخطه، أي المعاصي: «فَلْيَعْمَلْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ بِمَا يَقْرُبُ بِهِ مِنْ مَحَبَّتِنَا وَ يَتَجَنَّبْ مَا يُدْنِيهِ مِنْ كَرَاهَتِنَا وَ سَخَطِنَا» (الاحتجاج، ج٢، ص٤٩٨). إذًا، من ركّز جهده الأساسيّ على العبوديّة لله و الطاعة لإمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و استعدّ لظهور الفرج العام بتهذيب نفسه و إصلاحها، فمن المؤكّد أنّ تحضيرَ مقدّمات الجهاد الأصغر تُضاعفُ استعدادَه و تكمّله، كما ورد في الحديث عن أحوال عبّاد بن يعقوب، الّذي عاصر الإمامين العسكريّين عليهما السلام، وكان من أصحاب الحديث، أنّه كان على الرّغم من كبر سنّه و عَماه، يعلّق في بيته سيفًا و درعًا، و ردًّا على من سأله عن صاحب السيف، قال: إنّه لي، أعددته لأحارب به مع المهديّ: «يقولُ قَاسِمُ بن زَكريا المُطَرِّز: دَخَلتُ إلى عَبَّادِ بنِ يعقوبَ وَ كانَ مَكفوفًا وَ رَأَيتُ في دارِهِ سَيفًا مُعَلَّقًا وَ حَجَفَةً. فقُلتُ: أيها الشَّيخُ لِمَن هذا السَّيفُ؟ فقال لي: أعدَدتُه لِاُقاتِلَ بِه مَعَ المهديّ» (المنتظم، ج١٢، ص٤١). نعم، المنتظِرُ الحقيقيُّ، بعد تهذيبه لنفسه و مواظبته على الطاعة و العبوديّة لله عزّ و جلّ، و الحصول على رضا إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، يكتمل استعدادُه من سائر الجهات أيضًا.

خصوصًا مع الالتفات إلى القضايا الّتي تقع قبل ظهور إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، إلى حدٍّ تكون الأرض قد: «مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا».

الله يعلم ماذا يحلّ بالناس بسبب ضعف الإيمان! نسأل الله أن يكون ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مصاحبًا للعافية المطلقة لأهل الإيمان، و أن يتحقّق ذلك سريعًا. و هل يمكن أن تتحقّق العافية المطلقة من غير إيمانٍ و طاعةٍ و عبوديّة؟!

وفّق الله أهل الإيمان ليجتنبوا الفتن المُضلّة!

يجب أن يكون رضا إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف فقط أساسًا لأعمالنا

لا ينبغي أن ننظر إلى الآخرين في الأمور الاجتماعيّة و أن نتبع هذا و ذاك؛ و ذلك لأنّ الأشخاص غير معصومين مهما كانوا كبراء و عظماء، بل علينا أن ننظر و نرى فيما لو كنّا بمفردنا و لم يكن الآخرون موجودين، هل كنّا نقوم بذلك أم لا! و يجب أن لا يكون لنا شأنٌ بالآخرين. علينا أن لا نقيس أنفسنا بأهل السُّنّة، بل علينا أن ننال في الأعمال رضا إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف و رغبته، سواء في مصرف سهم الإمام عليه السلام أم في سائر الأعمال الاجتماعيّة الأخرى.

ليكنْ هوانا مع إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا غير

نحن نعتقد بما يعتقد به إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، إذا أحدٌ أشكل على عقيدتنا نحن نُشكِل على عقيدته، لأنّنا نعتقد بالأمر الّذي يعتقد به إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف. إنّ الأشخاص يكفّر بعضُهم بعضًا، لكن نحن نقول: إذا إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف يُكفّر [شخصًا ما] فنحن نُكفّره أيضًا، و إذا إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف يلعن [شخصًا ما] فنحن نلعنه أيضًا، و إذا إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف يترحّم [على شخص ما] فنحن نترحّم عليه أيضًا.

فلنعمل بالتكليف، و التوفيقُ عليه

سُئل المرحوم الشيخ عليّ الزاهد رحمه الله، الّذي كان يذهب في ليالي الأربعاء إلى مسجد السهلة: أنت الّذي ذهبت كلَّ هذه المرّات إلى مسجد السهلة، فهل تشرّفت برؤية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أم لا؟ هل رأيت الإمام؟ و هل شاهدته أم لا؟ فقال في الجواب: لم أشاهد حتّى الشخص الّذي أحتمل أنّه هو [الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف]! [و مع ذلك] كان ملتزمًا طوال كل تلك المدّة [بالذهاب إلى

مسجد السهلة] و لم يكن له شأن بالمشاهدة. ما هو شأننا فيما لو رأينا سيماءه عجّل الله تعالى فرجه الشريف أم لا؟ هل نحن نشكّ في وجوده؟ أو أنّنا في شكٍّ من اطّلاعه على حالنا؟ ما شأننا و هذه الأمور؟ ما هو شأني أنا [حتّى] أروم رؤية جماله؟! هذا أمرٌ حسن، و لكن [هل] قالوا لنا: افعلوا هذا الأمر، و سوف ترون جمالنا؟ إنّهم لم يقولوا ذلك! يجب أن نكون مُطيعين لهم، نقوم بالعمل الّذي يريدونه، و لا نقوم بالعمل الّذي لا يريدونه![1]

لِنَعمل على أساس الحجّة الشرعيّة

إذا عمِلنا بما هو قَطعيّ و يقينيّ في الدين فإنّنا ندرك ـ عند النوم و حين محاسبة النفس ـ عن أيّ أعمالنا الّتي أتينا بها وكان إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف [بسببها] راضيًا عنّا قطعًا، و عن أيّ أعمالنا هو غير راضٍ قطعًا. و إذا ما عمل الإنسان بقَطعيّات المذهب ـ لا بظنّيّات التقليد، إلّا في موارد الضرورة ـ و عمل بالاحتياط إن كان متيسّرًا، فإنّه لا يندم، حتّى لو تبيّن فيما بعد عدم أهليّة المرجع الّذي كان يقلّده، لأنّه في هذه الحالة كأنّه عمل بفتوى جميع المراجع.

لنكن معتقدين بعقائد إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف فقط

لو قال شخصٌ في المسائل الاعتقاديّة و الكلاميّة: قَوْلي في هذا البابِ، قولُ جعفر بن محمّد عليهما السلام ـ مثل تلك الرواية الّتي تقول: قولي في هذا، قول إمام الوقت ـ أو يقول: أعتقد في هذه المسألة الاعتقاديّة بما يعتقد به إمام العصر و الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ثمّ نظر في عِلم الكلام، لن يلحق به ضرر؛ لأنّ اعتقاده الإجمالي محفوظ[2].

لِنتمسّك بحبل الله المتين عجّل الله تعالى فرجه الشريف

نسأل الله أن نجد طريقًا لشرح صدورنا فنتمكّن من إزالة تحيُّر قلوبنا بواسطة حبل الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف[3].

---

(١) بمعنى أنّه يجب علينا العمل بتكليفنا و واجباتنا ـ و من ذلك زيارة تلك المشاهد و البقاع المقدّسة ـ دون أن نتكلّف التفكير في الجزاء الّذي سوف نحصل عليه مقابل ذلك. و يجب أن تكون الغاية هي مجرّد العمل بما يجب علينا، فإن رُزقنا مشاهدة جمال وجهه الكريم فبِها و نعمَت، و نكون على ذلك من الشاكرين، و إن لم نكن بعدُ أهلًا لمثل هذا الاستحقاق، يجب أن لا يفتك ذلك في إيماننا، بل علينا الثبات على العبوديّة و امتثال التكليف.

(٢) من الواضح أنّ هذا الكلام لا يصدر إلّا عن الشخص الّذي يعتقد بإمامة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لذا فمن البديهي أنّه قبل هذا الكلام قد عقد قلبه على الاعتقاد بالأصول العقائديّة كالتوحيد و النبوّة و الإمامة.

(٣) المقصود هو الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

و الفرج، و لو كان فقط ساعة واحدة، هو مرحلة يأتي بعدها النور و البصيرة، و البصيرة هي فرجنا. فهل فكّرنا في أن نجد طريقًا لهذا الأمر؟! و كأنّ أئمّتنا عليهم السلام قد أتمّوا الحجّة علينا في هذا الموضوع، و لهذا قالوا: أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج[1]، و طبعًا ليس بمجرّد لقلقة اللسان! و كذلك قالوا: «تَمَسَّكُوا بِالْأَمْرِ الْأَوَّل»[2]، أي اعملوا في الوقائع الجديدة و الأمور المستحدَثة كما كنتم تعملون في الماضي. و قد علّمنا أئمّتنا عليهم السلام أن نعمل باليقينيّات، و كلّ مقامٍ لم نملك فيه اليقين فلنتوقّف و لنعمل بالاحتياط.

لا نغفل آنًا أو أقلّ من آنٍ!

يجب أن نكون مُلتفتين [حذرين و يَقظين] إلى: حذارِ أن نغفل آنًا واحدًا، و إلّا ففي ذلك الآن نفسه ستفترسنا الذئاب! إنّ لحظة الغفلة هي لحظة تهيّؤ شياطين الإنس و الجنّ. إذًا يجب علينا أن نفهم [ضرورة] أن نسأل الله أن يسلّمنا و يحفظنا آنًا بآنٍ من جميع الآفات و البلايا المعنويّة و الصوريّة، و الظاهريّة و الباطنيّة، و الدنيويّة و الأخرويّة؛ و أن لا نُحرم سعادتنا، و أن لا يعترينا الندم في ذلك اليوم الأخير [و في ساعة الاحتضار] على كلّ [لحظات] عمرنا.

[و من بين] أولئك الّذين لم يسلكوا هذا الطريق، و لم يحقّقوا هذا الأمر على المستوى العمليّ، [بل] سلكوا ما يخالف هذا الطريق، لم أسمع عن شخصٍ سوى عمرو بن العاص اللعين ـ الّذي ارتكب كل هذه المفاسد، و حرّف الطريق إلى يوم القيامة، و داف يَنبوع الوجود بالسمّ و الدم العَبيط، بحيث أصبح البشر يعانون من هذا البلاء حتّى النهاية، إلّا إذا جَبَره ظهور الوليّ المطلق عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ و لم أرَ مثل هذا الأمر، إذ عضّ أصابع الندم في اللحظة الأخيرة من حياته و في [ساعة] احتضاره، و مات على ذلك [و كأنّه يقول:] لو كنت قانعًا بنصيبي من الدنيا، لَمَا أنزلت كلّ هذه المصائب على نفسي و على البشريّة إلى يوم القيامة[3].

نسأل الله أن يحفظنا بأن لا نقوم بعملٍ يضطرّنا إلى الندم في نهاية المطاف! و لا نقوم بعملٍ بحيث [يؤدّي إلى أن] نرحل [عن الدنيا] آخر الأمر صفر اليدَين! علينا أن لا نقوم بشيءٍ

---

(١) ورد عن الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أنه قال: «أَكْثِرُوا الدّعاءَ بِتَعْجيلِ الْفَرَجِ فَإِنّ ذٰلِكَ فَرَجُكُمْ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٤٨٥؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٩٢.

(٢) سأل حارث بن المغيرة الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّا نُرَوّى بِأَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ يُفْقَدُ زَمَانًا، فَكَيْفَ نَصْنَعُ عِنْدَ ذَلِك؟ فقال الإمام عليه السلام: «تَمَسَّكُوا بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ الّذي أَنْتُمْ عَلَيْهِ حتّى يُبَيَّنَ لَكُم»؛ الغَيبة (للنعمانيّ)، ص١٥٩؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٣٣.

(٣) للاطّلاع أكثر راجع: تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص٢٢٢؛ الطبقات الكبرى، ج٤، ص١٩٥و١٩٦.

يدفعنا إلى الغفلة عن ذلك الهدف الأصيل الّذي دعا إليه جميع الأنبياء و الأوصياء ﷺ، و ذلك من أجل الحصول على سعادةٍ مؤقّتة! لو قيل لنا [اختاروا بين] أن تكونوا اليوم [فقط] سعداء أو أن تكونوا في سعادةٍ إلى الأبد لكن اليوم سيكون فيه شيءٌ [من المشقّة] ـ «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»[1] ـ فإنّكم اليوم ستجدون مقدارًا من المنغّصات، [و لكن العاقبة ستكون هي الجنّة]، لن يقول أيّ عاقل: إنّني أرجّح يومًا واحدًا على عمرٍ بأكمله! نستودع الله الجميع في تثبيت هذا الأصل الأصيل، بأن يكونوا ثابتي القدم على مودّة ذوي القربى مع جميع لوازمها إلى الثور و الحوت[2] إن شاء الله.

لنصلح أنفسنا أوّلاً، ثمّ لنسعَ لإصلاح الآخرين

جميعنا نعلم أنّ زعيمنا في زمن الغيبة هذا مغلول اليدَين و محبوسٌ، و لا يحقّ له التعريف عن نفسه و إظهارها إلى الملأ.

قال أحدهم: رأيت في المنام جماعة جاءت لكي تجتاز المدينة، فائتمَروا فيما بينهم على إخفاء أنفسهم و أماكن حضورهم، و أن يذهبوا أُحاد ـ بعد شراء بضائعهم من السوق و القيام ببعض شؤونهم ـ إلى محلٍّ أو مقهى أو بيتٍ خاصٍّ، ليلتقوا فيه ـ نعوذ بالله ـ مثل المهرّبين و اللصوص [و قطّاع الطرق] الّذين هم في خوفٍ من المدينة و أهلها، إذ يأتي كلّ واحدٍ منهم على حدة ليلتقوا في محلّ أو مقهى، إلى أن رأيت في المنام أنّهم اجتمعوا فيما بينهم وكانوا بأجمعهم في غاية النورانيّة [و الجلال]، بحيث لم أكن أميّز من هو رئيسهم، و لم يكن معمّمًا منهم سوى شخص واحد، و لكنّي لشدّة نورانيّتهم لم أشخّص أنّه هو الرئيس [من بينهم]. كان أحدهم يتحدّث عنّي بأمور، و يُخبر عن بعض الأمور. حتّى أشار إليه أحدهم فجأةً بالإمساك عن الكلام، فسكت. و عندها أدركت أنّ ذلك الشخص هو الرئيس، و التفتُّ إلى أنّه هو المعمّم الوحيد بينهم. أجل، لقد بلغ الحال بصاحبنا عجّل الله تعالى فرجه الشريف بحيث نكون على يقين من أنّ الكثير من الحكومات تعدّه هو و أصحابه ـ و العياذ بالله ـ مفسدين و جناة و فوضويّين، و لو أنّ هذه الحكومات تمكّنت منهم، فإنّها ستقوم بإعدامهم! فإذا كنّا لا نعرفه، فإنّه يعرفنا بأجمعنا و يعلم و يرى. و على كلّ حال، فقد حيل في هذا العصر

(١) نهج البلاغة، ص٢٥١.

(٢) «إلى الثور و الحوت» كناية عن الوصول إلى نهاية المطاف و آخر الأمر.

بيننا و بين زعيمنا عجّل الله تعالى فرجه الشريف و هو مبتلى. الله يعلم لو كان عدد النوّاب [الخاصّين] أكثر من أربعةٍ فأيّ بلاءات كانوا سيُنزلون بهم! و إن كان هناك علماء كبار من أمثال الشيخ المفيد رحمه الله، و لكن كان للنوّاب الأربعة أرجحيّة من بعض الجهات. على سبيل المثال، في مجلسٍ كان منعقدًا في بغداد، فإنّ أحد علماء العامّة سأل الحسين بن رَوْح: مَن هو الخليفة بعد الرسول صلّى الله عليه و آله؟ فقال له: الصحيح عندنا أنّ الخلفاء بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله هم: أبو بكر، و عمر، و عثمان، و عليّ! فعلى إثر جوابه قال [الحاضرون في المجلس]: ما أكثر الافتراءات و التّهم الّتي تُنسب إلى هذا الرجل بأنّه رافضيّ، مع أنّه يعلنها صراحةً أنّ مذهبه مثل مذهبنا![1] لو لم تكن هذه الأنواع من التقيّة، لما بقي لهؤلاء من باقية، و لكن بفضل هذه التقيّة أصبح النوّاب الأربعة أربعمئة نائب![2] و لذلك فإنّ العامّة منزعجون جدًّا من تقيّتنا، و ينهالون علينا بالكثير من الشتائم.

فهل يمكن و الحال هذه أن نفعل شيئًا في عصر الغَيبة هذا؟! أَلَن ينتهي القتال و الجهاد بضرر المسلمين؟! فإذا لم يحصل قتال أو لم نُقدم عليه، هل هناك من طريقٍ إلى إصلاح أنفسنا و إصلاح الآخرين و المجتمع أم لا؟ هل هناك من طريق لحفظ أنفسنا من الفساد، و إصلاح من لديه قابليّة الإصلاح من بين الفاسدين في المجتمع أم لا؟ أرى أنّ هناك طريقًا لا يمكن لأحدٍ أن يدّعي أنّه غير ممكن، أو أنّه لن يؤدّي إلى شيء، و أنّه معدوم الثمرة و الفائدة، كما أنّه في الوقت نفسه لا يحتوي على الإشكالات و المحاذير الموجودة في الطرق الأخرى، و ذاك الطريق هو أن يقوم كلّ شخصٍ بالعمل على إعداد برنامج لإصلاح نفسه، و ذلك بأن يحدّد لنفسه أنّ هذه الأمور هي من أصول العقائد الّتي أعتقد بها على نحو اليقين، في حقل التوحيد و النبوّة و الإمامة و ما إلى ذلك. و هذه هي معتقداتي الّتي أعتقد بها عن دليل [و برهان]، سواء أظهرتها أم لم أظهرها، و سواء حدث شيء أم لم يحدث. و حتّى إذا سقط الحكم بيد السفيانيّ، و اضطررت إلى ممارسة التقيّة و القول له: «إنّ الحقّ معك!»؛ لأنّني إذا لم أقل ذلك فسوف أُقتل، أو يُقتل المقرّبون منّي و أصدقائي، و لن يكون هناك إشكال في ذلك [أي في ممارسة التقيّة].

---

(١) راجع: بحار الأنوار، ج٥١، ص٣٥٦.

(٢) بمعنى أنّ هؤلاء النفر الأربعة من النوّاب الخاصّين لإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، قد أصبحوا بمراعاة التقيّة أربعمئة نائبٍ عامّ، الّذين هم أهل التقوى و الدرجات العالية من أمثال الشيخ الصدوق و الشيخ المفيد و غيرهما من كبار العلماء (قدّس الله أسرارهم).

و بعد أن يعمل الشخص على إعداد برنامجه الخاصّ، يجب عليه أن يلتزم به من الناحية العمليّة و أن يتعهّد به هو أوّلًا، ليكون على اطمئنان إلى مصيره الأخرويّ. و بعد أن يصلح نفسه من خلال تطبيق هذا البرنامج الإصلاحيّ، يمكنه أن يجعل الآخرين ـ و لو المنصفين منهم ـ يوافقونه في العقيدة، و يقول للآخرين بالتدريج إنّ هذه هي عقيدتي، و هذا هو دليلي عليها.

و على هذا الأساس، يمكن لكلّ شخص أن يدعو الآخرين و يُشركهم في برنامجه الصحيح بنحوٍ أو بآخر. [و إنّ الّذين يعملون بهذا البرنامج] إنّما يعملون أوّلًا على إصلاح أنفسهم، ثمّ يعملون بعد ذلك على تقديمه إلى شخصٍ ثالث، و يدعونه ـ مثل الشخص الأوّل ـ إلى طريقتهم الصحيحة.

و على هذه الوتيرة، فإنّ كلّ طالب إصلاح عندما يعمل على إصلاح نفسه في ضوء برنامج و أدلّة صحيحة، فإنّه سيصلح بعد ذلك شخصًا ثانيًا و ثالثًا و رابعًا و هكذا، حتّى يصل الأمر إلى أن يكون المجتمع و جميع أفراده صالحين. فهل هذا المطلب قابلٌ للتشكيك؟!

و من خلال هذا الطريق يصلح أهل الإيمان و العقلاء و أهل الإنصاف، و لا حاجة إلى أن نُمسك السيف بأيدينا و نحارب أهل الباطل أو أهل الحقّ؛ إذ لا بدّ في الحرب من تحقّق شروط المحاربة، و هي غير متاحة للجميع و في جميع الأزمنة، و لكنّنا نستطيع بواسطة هذا الطريق توفير الأرضيّة و الظروف لنعمل على إصلاح الكثير من الفئات و المجتمع، و ليس شرطه سوى إصلاح أنفسنا [قبل كلّ شيء] و [ثمّ] إصلاح غيرنا. فإذا كان الشخص جادًّا في هذا الأمر، لا أرى أنّه سيندم، و إذا وقع هذا البرنامج في أيادي أشخاصٍ منصفين، فإنّه سيُصلح الآخرين، و هذا الآخر سوف يصلح غيره، و هكذا حتّى تكون النتيجة ـ خلافًا للأمراض المُعدية ـ تُحقّق إصلاحات مُعدية.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]. إنّ المراد من الحياة في هذه الآية الشريفة، هو النجاة من الغواية و الضلال في الدين. علينا أن لا نعدّ طريق الإصلاح هذا شيئًا كالعدم و مستحيل التحقُّق، و إلّا فسوف نندم على أنّه كان بمقدورنا أن نعدّ أفرادًا عدولًا و صالحين و لم نفعل، و كان بوسعنا و مقدورنا أن نخضع العالَم إلى الأمن و الأمان و العدل و لم نقم بذلك. سأل أنوشيروان مزدك: هل تقتُل القاتل؟ فقال: كلّا! فقال

(١) سورة المائدة، الآية ٣٢.

له: إذا لم تقتله قد يقتل مئة شخصٍ آخرين! فقتله و قتل مئة ألف من أتباعه في يومٍ واحدٍ و مجلسٍ واحد[1].

الطريق الوحيد يكمن في إصلاح أنفسنا

ما الّذي يجب علينا القيام به في الابتلاءات الداخليّة و الخارجيّة؟ ماذا علينا أن نعمل؟ ما الّذي فعلناه حتّى ابتلينا بهذه الأمور؟ علينا التفكير بهذا الأمر و هو: ما الّذي فعلناه حتّى صرنا بلا زعيم [و إمام ظاهر]؟!

إنّ المشكلة تكمن في أنّنا لم نُصلح أنفسنا، و لا نقوم بذلك، و لن نقوم به، فنحن لسنا مستعدّين لإصلاح أنفسنا. و لو كنّا قد أصلحنا أنفسنا لَما ابتلينا بهذه البلايا. يقول [النبيّ الأكرم ﷺ]: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِدَائِكُمْ وَ دَوَائِكُمْ، دَاؤُكُمُ الذُّنُوبُ وَ دَوَاؤُكُمُ الِاسْتِغْفَارُ»[2].

إنّنا نريد أن نفعل ما نهواه، لكن لا يحقّ للآخرين الإساءة إلينا! نحن [نسمح لأنفسنا أن] نفعل ما نشاء في حقّ أنفسنا و المقرّبين منّا و أصدقائنا، و أمّا الآخرون، و الأعداء، فلا يحقّ لهم الإساءة إلينا! لو أصلحنا أنفسنا فالله تعالى كافٍ، و الله هاد. إنّنا لا نريد إصلاح أنفسنا، و في الوقت نفسه نريد ألّا يؤذينا الآخرون. [مع العلم] إنّ أولئك الّذين طبْعهم الأذى [سوف] يقومون بعملهم، ما لم يمنعهم من ذلك كافٍ و حافظ. لو كنّا نحن نسير على الطريق، لو سرنا على الصراط، فمن كان ليقتل أمير المؤمنين عليه السلام؟! فمن كان ليقتل الحسين بن عليّ عليهما السلام؟! و من كان ليجعل هذا الّذي هو الآن موجود [إمامنا الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف] و منذ ألف سنة إلى الآن مغلول اليدين؟! نحن لسنا على استعدادٍ لإصلاح أنفسنا. فلو أصلحنا أنفسنا لصلُح جميع البشر بالتدريج. نحن نريد أن نكذب إذا هوت نفوسنا، لكن لا يحقّ لأحدٍ أن يكذب علينا. نحن نؤذي أصدقاءنا و الصلحاء، لكن لا يحقّ للسيّئين أن يؤذونا.

احفظ الله و رابطه (و إنسجم معه) فهو يصلح الأمر، لماذا تفعل كلّ ما تهواه نفسك في السرّ و العلن؟ أَلم يَقُل الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ

(١) إنّ عاقبة مزدك و أتباعه و مصير موتهم على يد أنوشيروان قد ذُكرا في مصادر متعدّدة، و قد صرّح البعض منها بهلاك مئة ألفٍ منهم؛ الكامل في التأريخ، ج١، ص٤٣٥؛ و للاطّلاع أكثر راجع: الأنساب (للسمعانيّ)، ج١٢، ص٢١٩؛ تاريخ إيران، لمؤلّفه پرسي سايكس، ترجمه داعي گيلاني، ج١، ص٦١٨.

(٢) راجع: جامع الأخبار، ص٥٧؛ بحار الأنوار، ج٩٠، ص٢٨٢؛ مستدرك الوسائل، ج١١، ص٣٣٣؛ ج١٢، ص١٢٣.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾[1]؟

أفهل يمكن ألّا نكون مع الله، و [في الوقت نفسه] يكون الله عونًا لنا في كلّ أمر جزئيّ أو كلّيّ، و في الأمور الداخليّة و الخارجيّة؟! إذًا لا مناص من البلاءات الدنيويّة و الأخرويّة، و الداخليّة و الخارجيّة، إلّا في كون المرء إلهيًّا و الكون مع الله تعالى، و في معيّة الإلهيّين و اتّباعهم. لو ابتعدنا عن الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام، فإنّ ذئاب الداخل و الخارج سوف تلتهمنا على الفَوْر.

و لو كنّا ممّن يخشى الله، فسيهابنا من لا يعرفنا أصلًا مَن نحن و ما هو عملنا، سيخافون أن يقوموا بعملٍ يغضبنا عليهم، لماذا؟ لأنّنا إن نكن مع الله، فغضبنا يكون غضب الله عزّ و جلّ.

لقد قال الجنّ للإمام الحسين عليه السلام إن تأذن لنا في نفس هذه اللحظة و قبل أن تذهب إلى مكانٍ ما و قبل أن تقوم من مقامك نُهلك أعداءك، فأجابهم عليه السلام و الله قدرتي لهِيَ أعظم من قدرتكم ـ هذا الّذي يعلم الاسم الأعظم ـ لكن إذا لم أُقتَل، فبماذا يُمتحَن هؤلاء الناس الّذين هم على هذه الشاكلة؟[2]

[هذه الدار] دار امتحان. اشتغلوا بالتفكير في إصلاح أنفسكم، لكَيلا يبقى عائق أو مانع فيما بينكم و بين ربّكم. لو أصلحتم ما بينكم و بين الله و وسائطه [من الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام] و أزلتم الموانع، فالله يصلح ما بينكم و بين الخلق.

الآن و قد وقعنا [في الورطات]، نحن و مشايخنا منذ زمن «السقيفة»، و قبل «السقيفة» في تلك «الحجرة»، و قبل «الحجرة»[3]، أوصلنا الأمور إلى مرحلةٍ بحيث صرنا أعداء لبعضنا شبرًا فشِبْرًا. لقد رأينا كلّ تلك الأمور و هي من أعمالنا، و إلّا فلماذا يكون المسلمون أعداء بعضهم لبعض، فضلًا عن عداوة غير المسلمين لهم. لماذا يكون الأمر بهذا النحو؟ كلّ ما نراه هو من أعمالنا. فهل يجب أن نتوب من أعمالنا أم لا يجب علينا ذلك، و لنختر ما هو الأصلح حاليًّا لنا؟ [أيّها السادة] ليس هناك ما هو أصلح من أن نكون نحن أنفسنا صالحين. الآن، و قد فعلنا هذه الفَعْلات، علينا أن نتوب و أن نتضرّع عند ذلك الباب العالي و الباب

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان ٢ و٣.

(٢) «نَحْنُ وَاللهِ أَقْدَرُ عَلَيْهِمْ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ»؛ اللهوف، ص٦٧ إلى ٦٩؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٣١.

(٣) راجع: بحار الأنوار، ج١، ص٩٦ ـ ١١١.

الأعلى، علينا التوجّه إليه، لينجينا أوّلًا من شرّ أنفسنا و دواخلنا، و بعد ذلك من شرّ الأجانب: «أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الّتي بَيْنَ جَنْبَيْكَ»[1]. هذه الشهوات [و الأهواء]، و هذا الغضب بلا مسوّغ [و في غير محلّه]، و الشهوات في غير محلّها، كلّها جنود الشياطين و جنود الكفّار في نفس الإنسان.

فلنقوِّ ارتباطنا بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

الآن و قد وصل بنا الأمر إلى هنا، فنحن نعلم أنّ دواءه الاستغفار، فهل نستغفر؟ لا مناص لنا سوى التوجّه إلى الله عزّ و جلّ. و إذا لم نتوجّه إليه، فحتّى لو ارتفعت الموانع، فإنّها إنّما ترتفع مؤقّتًا، و لا ترتفع بنحوٍ دائم، و ستبقى موجودة. علينا أن نعلم بأنّ علاجنا هو إصلاح النفس في جميع المراحل، و لن نستغني عن ذلك، و لن يتمّ أمرنا دون ذلك. مع الاعتراف بأنّ ما حلّ و يحلّ بنا إنّما هو نتيجة أعمالنا نحن، فما لم نصلح أنفسنا، و ما لم نرتبط بالله عزّ و جلّ و بخلفائه عليهم السلام فإنّ أمرنا لن يصلح، و التّسويف إلى غدٍ و ما بعده لن ينفع. ما لم تتقوَّ علاقتنا بوليّ الأمر إمام الزمان ـ صلوات الله عليه ـ [فلن يصلح أمرنا]. فهل يصلح عملنا من دون إصلاح النفس؟ نحن المجتمعين هنا ـ و إن كان هناك كثيرون يوافقوننا في العقائد و في جميع الغايات ـ هل يمكن أن يصلح الأمر من دون إصلاحنا لأنفسنا؟ هل يمكن أن يتمّ الأمر ما دام في العالم «راشٍ» و «مرتشٍ» و «رائش»[2]؟

لنسأل الله في خلواتنا معه، و في تضرّعاتنا و توباتنا و صلواتنا و عباداتنا، و خصوصًا بالدعاء الشريف «عَظُمَ الْبَلاءُ وَبَرِحَ الْخَفاءُ»[3]، أن يوصِل صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أن نكون معه. فإذا أوصله [و أظهره] الله فكان بها، و إلّا فلا نبتعد عنه، و لا نبتعد عن رضاه. فإنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرى و يعلم ما نتكلّم به مع بعضنا، إنّه «عَيْنُ اللهِ النّاظِرَةُ وأُذُنُهُ الواعيَةُ»[4]، و يسمع كلامنا قبل أن نسمعه نحن. بل عندما نحن أنفسنا نتحدّث فإنّ هذا الصوت عندما يخرج من الشفتين نحو الأذن هناك فاصلة [و يحتاج وصوله إلى الأذن إلى مدّة وقتٍ و لو هنيهة] فهو عجّل الله تعالى فرجه الشريف

---

(١) مجموعة ورّام، ج١، ص٥٩؛ عدّة الداعي، ص٣١٤؛ عوالي اللآلي، ج٤، ص١١٨؛ بحار الأنوار، ج٦٧، ص٦٤.

(٢) الرائش هو الوسيط بين الرّاشي والمُرتَشِي ليتمّ أمرَهُما.

(٣) راجع: جمال الأسبوع، ص٢٨٠؛ المصباح (للكفعمي)، ص١٧٦.

(٤) راجع: الإمامة و التبصرة من الحيرة، ص١٣٢؛ التوحيد (للصدوق)، ص١٦٧؛ المزار الكبير، ص٢١٧؛ بصائر الدرجات، ج١، ص٦١؛ جمال الأسبوع، ص٣٧.

يسمع كلامنا نحن قبل هذه المدّة و قبلنا نحن، فهل يمكننا مع هذا أن نقوم بعملٍ لا يدركه؟ هل يمكننا أن نفعل فعلًا لا يعلمه؟

يُنقل أنّ رجلًا و امرأة من البوذيّين ـ ممّن يوجد في دينهم [تشريع] النكاح و [حرمة] السفاح [أي] يوجد في دينهم [حلّية] النكاح و [حرمة] مخالفة الشرع و الفساد و البغي ـ تواعدا على الفحشاء، فقالا يجب أن نجد مكانًا خاليًا لذلك، فوجدا بيتًا خاليًا [لا يتمكّن أحد من الدخول إليه]، و اختارا حجرة من هذا البيت مقفلة، حتّى لو دخل شخص ما المنزل فإنّه لا يتمكّن من دخول الحجرة. [لكن عندما دخلاها و لم يعد هناك أيّ مانع في البيت فضلًا عن الحجرة]، التفت أحدهما إلى وجود صنم في الحجرة، فأخذ ثوبًا و وضعه على ذلك الصنم لِكَيلا يتمكّن الصنم من مشاهدة ما يفعلانه، لكَيلا يرى ذلك الإله الكاذب ما يرتكبانه! فهل يمكننا نحن إخفاء أعمالنا عن الإله الحقيقيّ، بنحوٍ لا يرى و لا يعلم ما نرتكبه من أعمال؟ يُقال إنّ [كتاب] المحجّة البيضاء نقل هذه القصّة[1] لكن لها مثيل في قصّة يوسُف و زليخا.

لِنخَف من أنفسنا و لا نغترّ بها!

[يأتون إليك قائلين:] ليس في الأمر شيء، مجرّد كتابة، فاسمح لنا بتوقيعها! لا داعي لأن تُزعج نفسك بإمضائها، بل ائذن لنا بالتوقيع نيابة عنك، و يتمّ الأمر... و هذه أجرتك و ثمن عملك... و ما شابه...![2] و الخلاصة: إنّنا لا نقدر على إخفاء أعمالنا عن الله عزّ و جلّ، فهو قادرٌ و ناظرٌ و عليمٌ و حكيم. و ما لم ننسجم معه فلن يصلح أمرنا. فماذا علينا الآن؟ يجب أن نخاف من أنفسنا فضلًا عن الآخرين. لأنّنا لا ندري ما الّذي سنُواجَه به غدًا. أجل! علينا أن نكون في حفظ من أنفسنا، و نلتفت جيدًا لكَيلا نُغوى من أنفسنا و نُهدّد من أنفسنا، و أن نُطمّع كذلك، و عندما تُحرَز هذه المطالب كلّها فلا نتخلّى عن التضرّع و الإنابة و التوبة و طلبها، و طلب التوفيق لها في الخلوات مع إلهنا.

نسأل الله عزّ و جلّ بواسطة أنبيائه و أوصيائه و وصيّه الحاضر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، الّذي هو حاضر عند العارفين [و بحقّهم]، ألّا يحرفونا عن الكون مع الرّب، و عن الربّانيّين، و عن وسائط الإمداد

(١) المحجّة البيضاء، ج٨، ص١٥٦.

(٢) أي أنّهم يستخدمون أساليب احتيال و مكر و خداع مختلفة، محاولين دفع الشخص إلى تنفيذ العمل الّذي يريدونه.

الإلهيّ، و أن يمنحنا البصيرة و يجعلنا ثاقبي النظر. و أن يجعلنا عارفين بأنفسنا، و عارفين بالذين هُم من أنفسنا، و عارفين بالربّانيّين، و عندئذ يُعرَف [تلقائيًّا] مُخالفوهم أيضًا.

لنحافظ على إيماننا و لو كان شرطه الهجرة إلى بلاد المؤمنين

قد يسكن شخصٌ ما في بلاد الكفر، و لكن يكون إيمانه و اعتقاده على خلاف الحكومات الّتي تكون بلا دينٍ أو بلا عقلٍ أو [الجامعة لكلَيْهما أي] بلا دينٍ و عقل، و في تلك الظروف يكون منتظرًا للفرَج. و لكن لو أراد شخص أن يعبد الله، و يكون مؤمنًا بالله، أو أن يبقى إيمانه محفوظًا، و توقّف ذلك على الهجرة و الانتقال من ذلك البلد إلى بلد أهل الإيمان، و كان الانتقال من ذلك المكان ممكنًا بالنسبة إليه، يجب أن يهاجر إلى بلاد أهل الإيمان من أجل الحفاظ على دينه و إيمانه هو و أهل بيته، و إلّا فإنّه يكون قد ظلم نفسه و أهله، و يكون مقصّرًا!

لنكن غارقين في النور بالدعاء و التضرّع

لقد جعل أئمّتنا عليهم السلام الأدعية بين أيدينا لكي يرونا غارقين في النور، و الأنبياء عليهم السلام جاؤوا ليبعدونا عن الدنيا و عن الالتفات إليها [و التشبّث بها]. لكنّ الكفّار يقولون لنا: اجعلوا الدين جانبًا و نحن نعطيكم الدنيا، و نوفّر لكم أسباب السعادة الظاهريّة ـ دون السعادة الباطنيّة ـ طبعًا حتّى هذا الكلام هو كذب؛ إذ لو كانوا يريدون لنا السعادة الدنيويّة، فلماذا يتنازعون كلّ هذا فيما بينهم من أجل الهيمنة و السيطرة علينا [و على خيراتنا و مقدّراتنا]؟!

لنكن بمحضر أهل البيت عليهم السلام بواسطة قراءة رواياتهم

لقد تركوا كلّ هذه الذخائر و الكتب و مخازن العِلم و الروايات و الأدعية في متناول أيدينا، بحيث لو أراد شخص أن يرى إمامًا حاضرًا أمامه أو يسمع صوته عبر شريط مسجّل، أو أن يكون بحضرتهم عليهم السلام ليستمع إلى مطالبهم ـ لا أن يتحدّث هو بحضرتهم ـ لن يجد ما هو أفضل من هذه [الذخائر]. كلّ شيء متوفّر أمامنا و في متناول أيدينا، و لكنّ حالنا يُشبه أولئك الّذين لا يمتلكون شيئًا؛ فلا يعتقدون بالقرآن، و لا يؤمنون بالعِترة عليهم السلام، و لا يعترفون برواياتهم! [في حين أنّه] حتّى لو كان الأئمّة الأطهار عليهم السلام حاضرين [حاليًّا]، لكان يجب أيضًا العمل بهذه الروايات الصادرة عنهم.

ربما يكون عذرنا بأنّنا حتّى في حالة حضورهم لم نكن مُجبَرين على أن نتّبعهم و نستمع إلى كلامهم، كما أنّنا أدّينا امتحاننا على طول التاريخ، إذ لم نكن نعرف قدرهم في مدّة حضورهم!

إحياء الذخائر الشيعيّة من ضرورات عصر الغَيبة

يجب علينا عدم خسران كتب المجامع الروائيّة الشيعيّة؛ إذ ليس من المعلوم ما الّذي سينزل بنا في الغد. فهل يمكن قول ما هو أبلغ من: «مُلِئَتْ ظُلْمًا وَ جَوْرًا»؟ و من هنا يجدر العمل على طبع الكتب الّتي لم تُطبع حتّى الآن. و لو كان لنا التوفيق و كنّا من أصحاب الهمم، لعثرنا على الأوراق و الكتب المكتوبة بخطّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام. فقد كُتب في حقّ بعض الكتب: «و هو بخطّه عليه السلام و هو عندي».

و هناك نسخة من القرآن بخطّ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، و نسخة أو نسختان من القرآن بخطّ أمير المؤمنين عليه السلام. و قد نقل الميرزا الشيخ النوريّ قدس سره في «الصحيفة العلويّة» أنّه قد أعدّ و نشر «دعاء الصباح» بخطّ أمير المؤمنين عليه السلام نفسه.

ما هي النسبة المئويّة للمطبوع من الكتب الّتي ألّفها مشايخنا و علماؤنا؟ و ما هو المقدار الّذي لا يزال منها مخطوطًا؟ و ما هو مقدار المُتلَف منها؟ طبعًا، إنّ ذلك [تقصيرٌ] لا يؤول سببه إلى قلّة أموالنا، بل إلى قلّة توفيقنا! إذ ما أكثر النقود الّتي تُنفق على طباعة كتب الضلال و نشرها، و الصحف المشتملة على الصور المبتذلة و المستقبحة!

ليس هناك أيّ تناسب ـ لا من ناحية المضمون و المحتوى و لا من ناحية الكمّ و العدد ـ بين كتب الشيعة و كتب أهل السُّنّة. مع أنّ أهل السُّنّة أنفسهم يعترفون بعدم امتلاكهم سُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، و أنّ الشيعة هم أهل السُّنّة كما أنّهم شيعة[1]، و في الحقيقة فإنّهم [أبناء العامه] منسوبون إلى القياس و هم قياسيّون، و ليسوا سُنيّين و لا يُنسبون إلى السُّنّة. مع هذه الحال،

---

(١) بمعنى أنّ الشيعة الّذين يتّبعون تعاليم أهل البيت عليهم السلام في الحقيقة و الواقع هم أهل السنّة الحقيقيّون، و أنّهم هم المتمسّكون بسنّة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله؛ لأنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله هو الّذي أمر باتّباع القرآن الكريم و أهل البيت عليهم السلام من بعده، و إنّ أهل البيت عليهم السلام هم المفسّرون الحقيقيّون لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، و المطّلعون على كلام النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله و سيرته و الظروف و الملابسات المحيطة بذلك على نحوٍ كامل. أمّا أبناء العامّة الّذين يُسمّون أنفسهم أهل السنّة، فقد حرموا أنفسهم نعمة أهل البيت عليهم السلام الّذين هم المفسّرون الحقيقيّون للسنّة، و يسعون إلى تحصيل أحكامهم عن طريق القياس، و بذلك فإنّهم يكونون ـ في الحقيقة و الواقع ـ أهل القياس، و ليسوا أهل السنّة.

فإنّهم يهتمّون كثيرًا بآثارهم، و لكن نحن لا نولي [تراثنا] أيّ أهمّيّة، و هم متقدّمون علينا في هذا الأمر. الله يعلم كم مرّةٍ و كم نوعٍ من الطبعات قد طُبع صحيح البخاريّ حتّى الآن.

لقد كان أحد الّذين وازنوا بين كتب الشيعة و كتب السنّة يقول: إنّ لديهم المقدار الفلانيّ من الكتب التالفة و المفقودة، و لديهم المقدار الفلانيّ من المخطوط و غير المطبوع، و لديهم المقدار الفلانيّ من المطبوع، و نحن لدينا المقدار الفلانيّ، و في النهاية كان يستنتج أنّهم في المطبوع متقدّمون علينا و أنّنا متقدّمون عليهم في الكتب التالفة و المفقودة!

كأنّنا مغترّون بحقّانيّة المذهب و نظنّ أنّه بحقّانيّته يدير نفسه بنفسه. حَيفٌ علينا أن لا نفكّر في البحث و التفحّص [عن ذخائرنا و كتبنا]! مع أنّنا رأينا أنّه عُثر على الكثير من الكتب المفقودة و النادرة بعد مرور زمنٍ طويلٍ جدًّا، من جملتها كتاب «فقه الرضا عليه السلام» الّذي عُثر عليه في زمن المرحوم المجلسيّ الأوّل[1] و أتوا به إلى أصفهان؛ أي عُثر عليه بعد ألف سنةٍ.

الله يعلم أيّ أصولٍ و كتبٍ ستُوجد و يُعثر عليها فيما بعد على إثر البحث و التفحّص. في هذه الآونة الأخيرة، إذ لم يكن قد عُثر على كتاب «العوالم»، قيل إنّ جزءًا واحدًا منه يُوجد في مكتبة لندن [أو متحفه] أو المكان الفلانيّ و لا يسمحون باستنساخه و تصويره.

و على هذا الأساس نكون متأخّرين جدًّا في هذا الأمر. لماذا [و لأيّ سبب]؟ لست أدري! الله يعلم كم «مستدرك» يوجد لموسوعة «بحار الأنوار» للمرحوم المجلسيّ رحمه الله. و قد دوّن و كتب الشيخ النوريّ كتاب «مستدرك الوسائل» بمفرده. و مع ذلك فإنّي أحيانًا كنت أجد في المصادر الّتي نقل عنها صاحب مستدرك الوسائل روايات لا توجد في المستدرك نفسه.

قال شخص متخصّص في إحصائيّات الكتب [الببليوغرافيا]: إنّ لكلٍّ من الشيخ الصدوق رحمه الله، و الشيخ المفيد رحمه الله ثلاثمئة كتاب. فهل طُبع نصف مؤلّفاتهم أم لا؟! افترضوا أنّ عدد مؤلّفاتهم لا يبلغ هذا الرّقْم، و لكن بعد مضي ألف سنة، هل تكون جميع كتبهم موجودة [بين أيدينا]؟

أُسَرُّ [و تعتريني السعادة] عندما أسمع بأنّ أحد كتب الشيعة في العلوم و المعارف الدينيّة للعلماء المعروفين من المتقدّمين أو المتأخّرين قيد الطبع، حتّى إذا لم تصلني [نسخة منه]، لشدّة الحاجة إليها و بُعد بلوغها.

---

(١) العالم الربّانيّ، العلّامة محمّد تقي المجلسيّ رحمه الله (المتوفى سنة ١٠٧٠هـ.ق)، والد صاحب موسوعة بحار الأنوار، العلّامة محمّد باقر المجلسيّ رحمه الله.

الله يعلم كم نحن بحاجةٍ [إلى طباعة الكتب] في هذه المرحلة! و إذا كنّا نعرف مبلغ حاجتنا، ففي هذه الحالة أيّ مصارف و إنفاقات نصرفها على هذا الأمر المهمّ. لو قيل لنا: كم هي الكتب المتوفّرة لديكم عن كبار شيوخكم و علمائكم ـ أنتم الشيعة ـ من أمثال الشيخ المفيد و الشيخ الصدوق؟ ماذا سنجيب؟ إنّ الأمر يبدو و كأنّنا لا نرى لأنفسنا أيّ حيثيّة، و لا قوميّة و لا وطنيّة و لا اجتماعيّة و تعاون مذهبيّ! و العجب من أنّ أهل الباطل متقدّمون علينا في باطلهم في هذا الأمر إلى هذا المقدار، مع أنّهم لا يمتلكون شيئًا، و نحن نمتلك كلّ شيء![1]

هناك مجموعات من الرسائل و «الأصول الأربعمئة»، و كذلك مخطوطات العلماء، في معرض التلف، و يجب علينا التفكير حثيثًا في العثور على الكتب المفقودة، كما عُثر على كتاب «فقه الإمام الرضا عليه السلام» في عصر المجلسيّ الأوّل رحمه الله في بلاد الشيعة. الله يعلم ما هي الأشياء الّتي عُثر عليها في عصر الغَيبة الصغرى، و لكن أخفوها خوفًا من الظالمين. و على الرغم من هذه الظُّلَم و الإخفاءات، الله يعلم ما هو الكمّ الّذي عُثر عليه من تلك الآثار و بقي [بأيدينا]. عندي الصحيفة السجّاديّة الرابعة، بل و يُحتمل أن يكون ما بعد الصحيفة الخامسة، من الثامنة و التاسعة موجودًا. لقد كتبوا عن وجود الثامنة، و قد رأيت إلى الخامسة منها[2].

سُئل الخليل بن أحمد [الفراهيديّ] عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ فقال: مع أنّ أحبّاءه كتموا فضائله خوفًا و أعداءه حسدًا، لكن مع كلّ هذا ظهر بين الكتمانَين ما ملأ الخافقَين[3].

الله يعلم ما هي العلوم و المسائل و المصادر الّتي كانت موجودة في عصر الأئمّة عليهم السلام، و الآن غير متوفّرة لدينا! إنّ الحفاظ على تراث أهل البيت عليهم السلام و العمل على صيانته ـ و لو

---

(١) إنّ المراد هو أنّ الشيعة الّذين هم الأمّة الوسط الّتي أشار إليها القرآن الكريم، حتّى لو كانوا منتشرين في أماكن متباعدة من الناحية الجغرافيّة، و كانوا ينتمون إلى بيئات متنوّعة، لكنّهم في الحقيقة أمّة واحدة؛ و ذلك لاتّحادهم في الدين و المذهب و العقيدة. و لذلك يجب على هذه الأمّة الواحدة أن تتّحد، و أن تكون عازمة بقوّة على إحياء تراث علماء الشيعة و ذخائرهم. و إذا كان من المقرّر أن تحملنا الغيرة على قوميّة و أرومة، فإنّ قوميّتنا و أرومتنا الحقيقيّتين هما الإسلام و الإيمان، و إنّ هذا لا يمثّل هويّتنا في الدنيا فحسب، إنّما هو هويّتنا في الآخرة أيضًا.

(٢) لقد عرّف الشيخ الآغا بزرك الطهرانيّ بالصحيفة السادسة في كتاب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» (الذريعة، ج١٥، ص١٩ـ٢١). كما جمع بعض العلماء الصحيفتَين السابعة و الثامنة أيضًا.

(٣) نُقل أنّه عندما قيل للخليل بن أحمد [الفراهيديّ]: لماذا لا تمدح عليًّا عليه السلام؟ قال في الجواب: «كيف أقدم في مدح من كتم أحبّاؤه فضائله خوفًا و أعداؤه حسدًا و ظهر بين الكتمانَين ما ملأ الخافقَين»؛ إحقاق الحق، ج٤، ص٢.

أنّنا لا نعلم ما إذا كنّا نعمل بها بأجمعها - حسن و مفيد للشيعة. لقد حصلنا على المعارف و العلوم بالمجّان، و لذلك فإنّنا لم نعرف قدرها و قيمتها و نكفر بنعمتها، و نخسرها بالمجّان و البخس، و نبيع كتبنا المخطوطة و القديمة بأسعار زهيدة أو باهظة. ربما سيأتي يومٌ و يعمل الأوروبيّون بها، و يروّجون لمنظوماتهم الإعلاميّة بواسطتها. كما رُوي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّ أهل الحجاز (قريش) لم يقدّروا نعمة الولاية، و لذلك فإنّ الله سبحانه و تعالى قد صرفها عنهم، و أعطاها الأعاجم و أولادهم[1].

لنكن موظّفين عند الأئمّة عليهم السلام

إنّ الشيعة هم بمنزلة عمّال الأئمّة عليهم السلام. إنّهم أناسٌ على أهبة الاستعداد للتضحية بكلّ ما يملكون من أجل الدفاع عن مرام الأئمّة عليهم السلام و مسلكهم. كما أنّهم على استعدادٍ لتقديم جميع أنواع الخدمة للأئمّة عليهم السلام.

ذهبنا [ذات يوم] إلى زيارة قبر مِيثَم [التمّار] - رضي الله عنه و سلام الله عليه - و قد كان في حجرة صغيرة ليس لها باب، و كانت أركانه الأربعة مشرعة. و كانت أرضها مفروشة بحصيرة من البردي. قال لنا السادن الّذي كان يتردّد إلى هناك: لقد جاء إلى هنا السيّد الحاج حسين القمّيّ[2] و أخذ مكنسة و قام بكنس هذه الحصيرة! إنّ هؤلاء هم الّذين يحسبون أنفسهم خدمًا لأهل البيت عليهم السلام، سواء أعطوهم [شيئًا] أم لم يعطوهم[3].

يجب على خدّام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن يعملوا بواجباتهم

يجب علينا نحن أهل العِلم[4] أن نعمل بوظائفنا في كلّ حال. و يجب على خدّام إمام

---

(١) رُوي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «... لَكِنَّ اللّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُنْذُ قَبَضَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله هَلُمَّ جَرًّا يَمُنُّ بِهَذَا الدِّينِ عَلَى أَوْلَادِ الْأَعَاجِمِ وَ يَصْرِفُهُ عَنْ قَرَابَةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله، هَلُمَّ جَرًّا فَيُعْطِي هَؤُلَاءِ وَ يَمْنَعُ هَؤُلَاءِ ...»؛ الكافي، ج١، ص٣٨٠.

(٢) آية الله السيّد حسين القمّيّ (م:١٢٤٤.و:١٣٢٥) من كبار مراجع التقليد. انتقلت له مرجعيّة الشيعة بعد وفاة السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ رحمه الله. و كان بالإضافة إلى شهرته العلميّة، معروفًا بكثرة العبادة و زيارة مراقد أهل البيت عليهم السلام، فقد كان يمضي ساعات طويلة في المراقد المطهّرة لأهل البيت عليهم السلام، و كان يطيل المكث هناك و يقول: «أرى نفسي في الجنّة فكيف أنصرف!».

(٣) لقد ذكر سماحة الشيخ رحمه الله هذا المطلب بشأن تقسيم الغنائم بين العساكر.

(٤) أي طلّاب العلوم الدينيّة.

الزمان ﴿عجّل الله تعالى فرجه الشريف﴾ أن يعملوا بوظائفهم عمومًا، فمن يشعر [مثلًا] بالإقبال على المطالعة فليطالع [و إن كان إقباله على تكليف آخر فليُقدم عليه، و هكذا...]، لكن على أيّ حال يجب عليهم أن يعملوا بوظائفهم و أن تكون لهم توسّلات أيضًا. يقول الله تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾[1].

الله تعالى يرسل البلاء ﴿إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا﴾ لكي يتضرّعوا، أي أنّه يريد التضرّع و الابتهال من العبد، و هذا هو المطلوب: ﴿تَضَرَّعُواْ﴾، و نقيض ذلك و النقطة المقابلة له هو: ﴿قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾.

لنقُم بأهمّ مقاصد الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف

إنّ إرسال المبلّغين لغرض ترويج الدين و المذهب يُعدّ من بين المقاصد القطعيّة [و الأهداف الأساسيّة] لإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و هو يرضى بهذا الأمر قطعًا، بل إنّه أشدّ رضًا بالإنفاق على هذا المورد بالنسبة إلى الإنفاق على الموارد الأخرى[2]. يجب الالتفات إلى أمرين، الأوّل: أن يكون راضيًا عجّل الله تعالى فرجه الشريف بذلك الأمر في حدّ نفسه، و الآخر: أن يكون عجّل الله تعالى فرجه الشريف أشدّ رضًا بهذا الأمر بالنسبة إلى المصارف الأخرى، سواء أَوجوبًا كان أم استحبابًا. إنّ إقامة الحوزات العلميّة [و تأسيسها] من أهمّ المهمّات.

تبليغ مذهب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ترويجه

إنّ الجميع بحاجة إلى تعاليم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إرشاداته و [إجراء] الإعلانات له، و يجب على

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٤٣.

(٢) لقد تحدّث سماحة آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه حول هذا الأمر في موضع آخر، إذ قال: «و هل جميع الطلّاب هم الشيخ مرتضى الأنصاريّ و السيّد المرتضى أو المقدّس الأردبيليّ؟! يجب أن يصبح من بين هؤلاء عدد من الأشخاص مرضيّي العمل و المذهب... فما لم نعلم أو نوقن بأنّ الشخص لن يصل إلى الغاية، أو لا يمتلك الأهليّة [و الكفاءة]، أو لا فائدة تُرجى من وصوله إلى الهدف و الغاية، أو كان فاسدًا و مفسدًا، لا نستطيع التخلّي عنه و نقول مثلًا: إنّ هناك مَن هو خير منه. بل يجب العمل على إدارة الجميع، فلربما كان الشخص في اللحظة الحاضرة طالحًا، ثمّ يعود إلى رشده و تصبح عاقبته خيرًا، و في المقابل قد يكون هناك شخص صالح في لحظته الحاضرة ثمّ يرتدّ ـ و العياذ بالله تعالى ـ و تكون عاقبة أمره خسرًا... إنّ الظنون وحدها هي الّتي تدير أمر هؤلاء الطلّاب، ما دُمنا لا نقطع بالخلاف في حقّهم. و بحسب الظاهر، ليس هناك من طريقٍ سوى القطع برضا إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف بهذا النوع من التصدّقات في إدارة أمور الطلّاب، و طبعًا يجب ملاحظة «ما هو الأرضى» ـ وجوبًا أو استحبابًا ـ في الموارد المختلفة».

الجميع أن يروّج له [أي للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف]. فلا شكّ في أنّ هذا الأمر ليس من قبيل الأمور الّتي تُترك على عواهنها، دون أن يكون هناك فرق بين تحقّقها و عدم تحقّقها! وكلّ من أراد أن يصبح مواليًا [و تابعًا لأهل البيت عليهم السلام] فليصبح، وكلّ من لا يريد ذلك فلا يُرِد! إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يريد لمنظومة حُكمه أن تبقى، و لكنّ [الأعداء] لا يسمحون بذلك. و هو يعلم أنّهم لا يسمحون له بذلك، بمعنى أنّه يعلم إذا ظهر فإنّهم سيقضون عليه كما قضوا على البقيّة [من الأئمّة الأطهار عليهم السلام]، و من جملتهم هذه الحكومات الفاسدة نفسها الّتي تبقى قائمة مدّة من الزمن، ثمّ تندثر. يقول الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف [ما مضمونه]: إن ظهرت لن أكون مستعدًّا للبيعة أبدًا. و إنّ بيعة آبائي و أجدادي إنّما كانت لأنّهم كانوا مأمورين بذلك، أمّا أنا فلست مأمورًا بالبيعة لهؤلاء الكلاب!

لنسعَ في هداية الآخرين قَدْرَ المستطاع

إنّ في بعض الحيوانات كالنحل و الحيوانات اللبونة منافع للناس، و بمقدور الإنسان أيضًا أن يكون نافعًا للدين و الناس. و لو أنّنا نسعى و نجهد ـ بقدر طاقتنا و وسعنا ـ في هداية النّاس، فهل يمكن [في هذه الحالة] أن لا نكون محلّ عناية «عين اللهِ النّاظِرَة» و إمام الزّمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف ؟!

إن كنّا في طريق الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فيجب أن لا نستاء حتّى لو قالوا لنا سوءًا و مُنكرًا أو سخروا منّا، بل علينا البقاء شامخين ثابتي القدم في طريق الحقّ و الحقيقة هذا، و أن نمتلك الصبر و الاستقامة إزاء الحوادث و المكدِّرات.

لا نقصّر في الترويج لمنهجه

لقد أخبرنا أئمّتنا عليهم السلام منذ أكثر من ألف سنة [بأنّه] ستكون هناك مصائب و ابتلاءات لأهل الإيمان إلى درجة أنّ عدّةً كثيرةً منهم سوف تخرج من الإيمان.[1] فهل سيعقب الخروج من الإيمان خروجٌ من الابتلاءات أيضًا؟! هل نحن من المنتظرين لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف ؟! و هل نحن نريد لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن يظهر؟! و هل نحن راضون بظهوره؟! و هل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف راضٍ عن أعمالنا؟! و هل يرضى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن نصرف أمواله في موارد [غير جائزة] و كأنّها

(١) هناك الكثير من الروايات المتعدّدة المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام في هذا الشأن. للمثال راجع: الكافي، ج١، ص٣٦٩، باب التمحيص و الامتحان.

ليست أمواله؟! و هل يرضى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بأن نقصّر و نتهاون في الترويج لنهجه و نهج آبائه عليهم السلام، أو أن نترك ذلك؟!

لندافع عن نهج صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف

عندما يظهر إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فإنّه سيقبّل جباهنا، و يقول: لقد أحسنتم الدفاع عن منهجي [و مذهبي] في زمن الغَيبة!![1]

لا نستوحش بسبب قلّة أهل الحقّ «شرذمةٌ قليلون»

إنّ قلّة أصحاب الحقّ و كثرة أهل الباطل لا ينبغي أن تجعلانا مضطربين أو تفترا عزيمتنا و تقذفا اليأس في قلوبنا عند سلوك طريق الحقّ أو تحولا دون سلوكه. إنّ علينا التسليم و الرضا بما يحدث من التكوينيّات و التشريعيّات؛ لأنّ الله تعالى لم يشأ أن يمنع من [حدوث] المفاسد تكوينًا، مع أنّ المصالح و المفاسد بيَده، و مع أنّه تعالى نهى عن المفاسد تشريعًا.

---

(١) كان سماحة الشيخ قدّس سرّه يقول كنايةً و تقريعًا: لقد قصّرنا كثيرًا في الترويج لمذهب إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف و مرامه، و نستحقّ أن يلومنا على ما اقترفناه! وكان سماحته قدّس سرّه يروي هذا الحديث للإمام الصادق عليه السلام: «عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: مَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ حتّى لَا يَبْقَى صِنْفٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَ قَدْ وُلُّوا عَلَى النَّاسِ حتّى لَا يَقُولَ قَائِلٌ إِنَّا لَوْ وُلِّينَا لَعَدَلْنَا، ثمّ يَقُومُ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ وَ الْعَدْلِ» (الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٢٧٤). نعم، نحن قصّرنا في ترويج عقيدة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف و نهجه و مرامه، بحيث إنّ معظم الحكومات في العالم طيلة التاريخ، وازنت ظلمها بحكومة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و عدله، و يستغلون جهل الناس ـ الناتج عن تقصيرنا ـ في حين لا تصحّ موازنة سلوك أيّ شخص في العالم بنهج أهل البيت عليهم السلام و سلوكهم، و قد تعدّدت الروايات القائلة «لَا يُقَاسُ بِنَا آلَ محمّد مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَد» (المسترشد، ص٣٩٩؛ شرح الأخبار، ج٢، ص٢٠٢؛ علل الشرائع، ج١، ص١٧٧)، و ما من حكومةٍ أو عدالة يمكن أن تُوازَن بدولة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو عدله. و من الجدير بالذكر أنّ آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه كان يقول كلمة مهمّة في حقّ السيّد عبد الحسين شرف الدين قدّس سرّه: «لو أنّ الإمام قبّل جبين بعض العلماء، لقبّل جبين السيّد شرف الدين قدّس سرّه!»، و ما دفع سماحته قدّس سرّه ليقول هذا الكلام المهمّ ـ إضافة إلى خصائص السيّد شرف الدين المعنويّة ـ هو جهودُه و مساعيه الفائقة، و تحمّلُه الصعاب و المشقّات في سبيل إثبات حقّانيّة المذهب الشيعيّ، مذهب أهل البيت عليهم السلام، و مذهب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، في زمان الغَيبة، وكلّ ذلك بأدبٍ و حسن خلقٍ يُضرَب بهما المثل ـ و حسن الخلق زينة الشيعيّ الحقيقيّ ـ في مواجهة المخالفين و محاورتهم. وكان آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه أيضًا، يوميًّا، يقدّم خلال الدرس أو اللقاءات أو المناسبات المختلفة، استدلالاتٍ متقنة و محكمةً جدًّا، لإثبات حقّانيّة العقائد و حقّانيّة التشيُّع، و جمعُ هذه الاستدلالات يؤلّف كتابًا مهمًّا في مباحث الإمامة و الترويج لمذهب أهل البيت عليهم السلام إن شاء الله.

الشيعة لا ملاذَ لهم، و هم يتعرّضون للهجوم و الاجتياح و الإغارة من كلّ حدَبٍ و صوب بجريمة الحقّانيّة و البراءة من الذنب. الله يعلم إنّ أفراد الشيعة ـ عدا الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و المقرّبين منه و أولياءه ـ على أيّ حالٍ و على أيّ شاكلةٍ و إلى أي حدٍّ يعيشون في ضيقةٍ و تحت الضغوط!

لنحافظ على المشتركات بيننا و بين الأديان الأخرى

كان هناك رجلٌ أرمنيٌّ يسكن في مدينة قمّ، و يبدو أنّه كان يمتهن صناعة الأسنان [الاصطناعيّة]، و كان يقول: إنّ الشخص الّذي أنتم تنتظرونه، نحن نقول إنّه هو نبيّ آخر الزمان [الذي نحن ننتظره]!

و عليه فإنّ [الأديان الأخرى] تشترك [معنا] في الكثير من الجهات، و على المرء أن يحافظ على هذه الجهات المشتركة، من أجل الوصول إلى الجهات الخاصّة بواسطة هذا القدَر المشترك. لا ينبغي القول بوجوب القضاء على تلك الجهات المشتركة و إزالتها. فإنّ هذه [المشتركات] تشكّل في بعض الأحيان طريقًا إلى هدايتهم. فمثلًا ـ حسب الظاهر ـ حتّى اليهود و النصارى و ربما المجوس أيضًا ينتظرون مجيء مُصلِحٍ سوف يأتي و يُصلح العالَم. هذه هي الجهة المشتركة بين المسلمين و اليهود و المجوس و جميع الأديان الأخرى باستثناء عابدي الأصنام(1). حسب الظاهر يجب على الإنسان أن يحافظ على هذه الجهة المشتركة؛ فربما أضحت هذه الجهة المشتركة في زمانٍ ما هي الكافية لهداية الكفّار، إذ يستقطبه المرء [بها] و يوصله إلى الغاية المنشودة.

و من هنا، يُروى أنّ رجلًا غير كفؤٍ [و معاندًا] أوصى أولاده في ساعة احتضاره قائلًا: عندما يأتي أهل الدين و يناقشونكم، أنكِروا وجود الصانع ما استطعتم إليه سبيلًا، و جادلوهم و نازعوهم في أصل الدين ما أمكن لكم النزاع و الجدل، و لا تستسلموا لهم في القول بأنّ

(1) هناك إجماع في الأديان الإبراهيميّة (المسيحيّة و اليهوديّة) و غير الإبراهيميّة (الزرادشتيّة) و حتّى في الكتب المتوفّرة لدينا عنهم حاليًا، على ظهور منقذ و محرّر للعالم من الظلم و الجور. حتّى نقل العلّامة النهاونديّ رحمه الله عن الميرزا محمّد الإخباريّ أنّه قال في رسالة «التحفة الأمينيّة»: «بعد التتبع في عقائد الأمم و أقوالهم، لم أجد الأمم المختلفة تتّفق على أمر ـ بعد الاتّفاق على وجود الصانع ـ مثل اتّفاقها على ظهور الإمام المهديّ عجّل الله فرجه». (العبقريّ الحسان، ج١، ص٢٥٠). و قد صُنّفت الكثير من الكتب و المقالات في هذا الشأن؛ للاطلاع أكثر راجع: العبقريّ الحسان للعلّامة النهاونديّ رحمه الله.

هناك صانعًا، و إلّا فإن غُلبتم في هذا المورد، و خسرتم هذه [الجولة من] المناظرة، لن تقوم لكم قائمة بعدها، و سوف يصل بكم الأمر إلى [القول] باستحباب بدء الرجل في الوضوء بغسل ظاهر اليد، و استحباب بدء المرأة بباطن اليد. و لن يعود بإمكانكم إنكار هذه الأمور. و إنّ إنكار ذلك الأصل سهل، لكن سائر الأمور الأخرى سوف تكون سلسلة متّصلة ببعضها، [و سوف تتّصل تباعًا بذلك الأصل]، و لن تكونوا في الحياة في راحةٍ منهم. هكذا كان [هذا المعاند] يوصي أولاده!!

و المقصود [هو أنّه] لا ينبغي التفريط في جهات الاشتراك، و يمكن الفصل بواسطة هذه النقاط المشتركة[1].

يُروى أنّ الشيخ الإشراقيّ قال: إنّي ذكرت من على المنبر بعض المطالب المخالفة للنصارى، و عندما نزلت من المنبر، قال لي آية الله الشيخ عبد الكريم [الحائريّ]: لا شأن لك اليوم بالذي يقول بأنّ هناك إلهًا، يكفي أن يقول إنّ هناك إلهًا. و هذا [الكلام من آية الله الشيخ عبد الكريم]، إمّا أن يكون بسبب الأوضاع الّتي كانت قائمة آنذاك، أو لأنّ [القول] بوجود إلهٍ يستتبع بدوره القول بالأمور الأخرى. و إنّ جميع [المسائل الأخرى] من ولائد [و ثمار] القول بالتوحيد. إنّ أصول الدين بأجمعها من ولائد التوحيد، لكنّها تحتاج إلى عاقل ليفهم هذه الأمور، و يتمكّن من إفهامها للآخرين بلغة سهلة [الفهم].

[ليس من الصحيح] أن ينصبّ كلّ تفكيرنا على التفريق بين الإخباريّين و الأصوليّين، و أن يعمل هذا على تكفير ذاك، و يعمل ذلك على تكفير هذا؛ و أن يسعى إلى إنهاء الاثنتين وسبعين فرقة[2]، و إلّا فإنّ [تلك الرواية القائلة: سوف تفترق أمّتي إلى اثنتين و سبعين فرقة]

---

(١) بمعنى أنّه يمكن بواسطة نقاط الاشتراك ـ من قبيل: أصل التوحيد ـ الفصل بين الآراء المختلفة، فإنّ أهل الكتاب ـ مثلًا ـ يتّفقون معنا في القول بأصل وجود الله تعالى، إلّا أنّ الشيوعيّين لا يرتضون هذا الأصل، و بذلك يُفصَلون عن أهل الكتاب، و لذلك فإنّنا نشترك في الحدّ الأدنى مع أهل الكتاب في وجود الله سبحانه و تعالى، كما ورد هذا المعنى في القرآن الكريم، إذ يقول تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ (سورة آل عمران، الآية ٦٤)، و لذلك بدلًا من العمل على تأجيج نار الاختلاف، يمكننا العمل على هداية الآخرين الّذين ينتمون إلى سائر الأديان الأخرى، و استقطابهم بالتدريج [إلى الدين القويم] من خلال تأكيد هذه المشتركات.

(٢) المقصود هو الفِرَق البالغ عددها اثنتان و سبعون فرقة الّتي تدخل النار، و يكون عددها مع احتساب الفرقة الناجية ثلاثًا و سبعين فرقة.

كاذبة في هذه الحالة، و من هنا يتعيّن على المرء أن يعمل دائبًا على التفريق بين المسلمين، حتّى يكتمل العدد، و عندما يكتمل العدد يحتمل أن يكون وقت الظهور و الفرَج العامّ! هل الأمر كذلك؟![1]

لنتشبّث بطَوق النجاة الوحيد في عصر الغَيبة

إنّ لسان حالنا حقيقة يقول: يجب أن يرشدونا في كلّ فعلٍ أو ترك. كان هناك شخص له ثقة بعالِم و كان يريد أن يشارك في صلاته الجماعة، و [لكنّه] كان يقول: هناك جماعة كانت تمنعني من الالتحاق بصلاته الجماعة [و الائتمام به] و كانوا يقولون لي: إنّ هذا الإمام فيما يتعلّق بقضيّة «المشروطة ـ المستبدّة»[2] لديه العقيدة الفلانيّة الّتي هي مخالفة لعقيدتك! في حين أنّ الكثير من الطرفَين [أي المؤيّدين و المعارضين] في قضيّة المشروطة قد اختاروا موقفهم على أساس العقيدة الصحيحة و الحجّة الشرعيّة، و ربما كانوا معذورين عند الله و لا يكونون معاقَبين بل ربما يكونون مأجورين و مثابين أيضًا؛ إذ ـ على كلّ حال ـ ترتّبت آثار جيّدة على كِلا المسلكَين؛ إذ يُحتمل أنّه لولا حصول قضيّة المشروطة لبقيت إيران تحت براثن الاحتلال الروسيّ و سيطرتها، و لصارت ـ مثل سائر البلدان الخاضعة لسيطرة الروس ـ شيوعيّة.

المقصود هو أنّنا نرى حاجتنا إلى الأخذ بأيدينا في كلّ فعل أو ترك. و يجب أن يكون لدينا ناظر و حافظ و مُشرف على أحوالنا، و لا بدّ أن نعمل على إيجاد هذا الناظر بأنفسنا. و ليس لدينا من أجل إصلاح أنفسنا من ناظر [و مشرف] في عصر الغَيبة سوى العمل

---

(١) يرمي سماحته ﷺ من وراء هذه الكلمات إلى التعريض ببعض السطحيّين الّذين يسعون إلى إثارة الفرقة و الانقسام بين الناس، و كأنّهم بذلك يسعون إلى تكميل عدد الفرق الباطلة و الضالّة ليصل إلى اثنتين و سبعين فرقة، في حين أنّ بثّ الفرقة و مفاقمة الخلافات السياسيّة هما الخطّة المعدّة مسبقًا من قِبل الكفّار للمسلمين.

(٢) تعدّ حادثة المشروطة من الابتلاءات و الفتن الكأداء الّتي عصفت بالأمّة في عصر الغَيبة، إذ إنّها تمثّل واحدًا من التيّارات السياسيّة الّتي انطلقت في إيران إبّان العهد القاجاريّ. و عندما تأسّس هذا الحراك اختلف علماء الدين بين مؤيّد و معارض له، و قد اغتنمت الحكومة [العميلة] و عملاء الإنكليز في وقتها هذه الفرصة، لتصفية بعض العلماء الكبار من أمثال الشيخ فضل الله النوريّ ﷺ و أعدموه ظلمًا و عدوانًا. و إنّ الّذين وقفوا بوجه المشروطة كانوا يُعرفون بـ «المستبدّين». و كلّ واحد من طرفَي هذه الفتنة تسبّب بتبعات و تداعيات كبيرة بحيث امتدّ تأثيرها حتّى إلى البلدان الإسلاميّة الأخرى.

بالاحتياط. و أرى أنّ الّذين يقولون: لو كان لدينا هادٍ ﴿لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ﴾[1]، يمتلكون هاديًا أيضًا، و [هذا الهادي] هو الاحتياط. و على هذا الأساس إذا كان الطريق واضحًا و لاحبًا، فاسلكه و تقدّم، وكلّما كان الطريق ـ أي التكليف ـ ليس واضحًا، قِف.

فالآن، إذ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف غير حاضرٍ بيننا فلنتّبعه [و نهتد بهَدْيه]، هل يُسوَّغ لنا أن نفعل كلّ ما يحلو لنا، و تصلح أمورنا بذلك؟! كان العلماء السابقون يكتبون في إجازاتهم[2] لتلاميذهم: «إنّما هِي دِماءٌ تُهْراقُ، وَ أَعْراضٌ تُهْتَك، وَ أَمْوالٌ تُسْلَبُ، فَعَلَيكمْ بِالاحْتِياطِ!»[3].

و على هذا الأساس لا يمكن لنا القيام بكلّ فعل يُطلب إلينا القيام به دون تقيّة أو اضطرار أو إكراه أو من دون مسوّغ [و مجوّز] شرعيّ، [و لا يجوز لنا] أن نقول كلّ كلمة شئنا أو أن نفعل كلّ ما يحلو لنا.

التقيّة طريقة عصر الغَيبة؛ فلنتمسّك بها

عجبًا! لو قال لنا مُحدّث: أنت الّذي تدّعي أنّك قرأت الروايات، و تستشهد لكلّ مطلب برواية، كيف لم تتعرّف حتّى الآن إلى مشارب أهل البيت عليهم السلام و منهجهم، و ما زلت لا تعلم طريقة الأئمّة الأطهار عليهم السلام، و ما الّذي كانوا يقومون به و ما الّذي لم يكونوا يفعلونه؟ ماذا نجيب؟ ما هو منهج الأئمّة ابتداءً من الإمام عليّ عليه السلام وصولًا إلى الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟

أجل، لقد كان منهج الإمام عليّ عليه السلام هو وجوب التقيّة؛ و الدليل على ذلك جلوسه في بيته على مدى خمس و عشرين سنة. بل حتّى في السنوات الخمس من الخلافة الظاهريّة، كان الأمر دائرًا بين مخالفة الجميع بالكامل، أو مداراتهم من أجل الحفاظ على الإسلام. هكذا كان منهج الإمام عليّ عليه السلام، وكان الأمر نفسه بالنسبة إلى الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام و... وكذلك في عصر غَيبة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، [النهج] ليس هو الجلوس في البيت، و ليس هو الحرب، إنّما هي طريقة ثالثة، بمعنى أنّ التقيّة سوف تكون هي سبيلنا.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٧.

(٢) أي إجازات الاجتهاد.

(٣) بمعنى أنّ العلماء من خلال الاستفادة من المصادر الفقهيّة، يستنبطون الأحكام المتعلّقة بأرواح الناس و أعراضهم و أموالهم، و إنّ لهذه الأحكام أهميّة كبيرة؛ إذ إنّها قد تؤدّي إلى إزهاق نفس شخص (كما في أحكام قصاص النفس على سبيل المثال)، أو نقل الملكيّة من شخص إلى آخر، و ليست هذه الأمور بالهيّنة، و عليه تجب مراعاة الاحتياط في هذه الاستنباطات.

كان هناك شخص يقول: رأيت الوزير محمّد بن عبد الله، الّذي أساء إلى الإمام الصادق عليه السلام، و هو يمشي و يردّد قول: «لا إله إلّا الله». و لكن كتب أحدهم: إنّ هذا لا يتناسب مع ذلك الكلام الّذي قاله للإمام عليه السلام ثمّ هو يردّد ذكر «لا إله إلّا الله» هكذا. [و لكن] إنّ الزيديّين هم هكذا؛ إذ يقولون: «ليس الإمام من قعد في بيته و أغلق دونه الباب». هم لا يعترفون بإمامة الأئمّة عليهم السلام أساسًا؛ نعم لم يكن زيد بن عليّ و يحيى بن زيد هما أنفسهما ـ سلام الله عليهما ـ على هذه الشاكلة؛ فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: لو ظفر لوفى لنا[1]. علينا أن لا ننسى أنّ هؤلاء كانوا أجلّاء جدًّا. نعم، إنّ أتباعهم هم على هذه الشاكلة و هم مختلفون[2].

[ذات مرّة] كنت أقبّل ضريح الإمام سيّد الشهداء عليه السلام، فرأيت واحدًا من هؤلاء، كان يقرأ السلام و التحيّات، و من جملتها قرأ سلامًا على سيّد الشهداء عليه السلام، [و قال]: «يا من ضمّه رسول الله إلى صدره». و نطق بمثل هذه الكلمات. ثمّ رأيت [بطبيعة الحال] أنّه منهم. لقد كان من [أولئك] الواقفين على إمامة الإمام السادس عليه السلام، [الذين يُعرفون بـ] «البُهرة». [حسب اعتقادهم] إنّ هؤلاء [أي الأئمّة الستّة من أمير المؤمنين عليه السلام إلى الإمام الصادق عليه السلام] لم يكونوا كاذبين، و هم يعتقدون بإمامتهم عليهم السلام. [و لكنّهم كانوا يرون أنّ عليهم الخروج] من أجل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. أيّها السادة! تُشترط القدرة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و لا سيّما أنّنا نعلم بواسطة عِلم الغيب و من مبدأ الوحي [أنّ هذه الأشكال من القيام و الخروج لا تنطوي على فائدة، لقول الأئمّة عليهم السلام]: إنّ جميع أشكال الخروج الّتي تكون قبل خروج ذلك الأوحد الّذي سيظهر «بعدما مُلئت ظلمًا و جورًا»، سوف تزيد من آلامنا. لم يكن البناء على أن يكون هناك خروجٌ لأهل الحقّ بعد سيّد الشهداء عليه السلام. و كان الإمام الرضا عليه السلام يقول لبعض مَن يرى أنّه قد أصبح وليًّا للعهد: «إنّ هذا الأمر لا يتمّ!»[3]. لقد جاء [المأمون]

(١) «رَحِمَ اللّهُ عَمِّي زَيْداً إنَّهُ دَعَا إلَى الرِّضَا مِنْ آلِ محمّد وَلَوْ ظَفِرَ لَوَفَى بِمَا دَعَا إلَيْهِ»؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٢٤٩.

(٢) أي أنّ زيد بن عليّ نفسه و كذلك نجله يحيى بن زيد (سلام الله عليهما) كانا عظيمَين، و كانا يقرّان بقداسة الأئمّة الأطهار عليهم السلام و عظمتهم، إلّا أنّ أتباعهما لم يكونوا يمتلكون مثل هذه المعرفة و البصيرة، و كانوا يغلظون في الكلام مع الأئمّة الأطهار عليهم السلام، و إن كانوا من كبار علماء الزيديّة و يُعرفون بالذكر و العبادة بحسب الظاهر.

(٣) «وحينَ عَقَدَ المَأمون البَيعَةَ بِالعَهدِ لِعَليّ بنِ موسَى الرِّضا، قالَ لَه: يا أميرَ المُؤمِنينَ إنَّ هذا الأمرَ لا يَتِمُّ فَأعفِني مِنهُ، فَلَم يَعفِه»؛ عوالم العلوم، ج٢٢، ص٢٧٢؛ الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٩٨. «نُقِلَ أنَّ الخَليفَةَ المأمون لمّا عَهِدَ بِالخلافَةِ من بَعدِه إلى عَليّ بنِ مُوسَى الرِّضا و كَتَبَ إليه كِتابَ عَهدِه، كَتَبَ هُو في آخِرِ ذلكَ الكِتاب: نَعَم إلّا أنّ الجَفرَ و الجامعَةَ يَدُلّانِ عَلى أنّ هَذا الأمرَ لا يَتمّ، و كانَ كَما قالَ لأنَّ المَأمون استَشعَرَ فِتنَةً مِن بَني هاشِم فَسَمَّه»؛ كشف الظنون، ج١، ص٥٩١.

و قال للإمام الرضا عليه السلام أن يخرج و يصلّي بالناس صلاة العيد [و ألحّ عليه]. فقال [الإمام الرضا عليه السلام]: أجل أخرج، و لكن كما كان يخرج رسول الله صلى الله عليه وآله. فذهب بعد إصرار كبير [من المأمون]، و لكنّه لم يصل إلى المصلّى بعد حتّى قال الوزراء و العَسَس ـ لعنهم الله ـ [بعد أن رأوا الحشود الغفيرة الّتي تتبعه]: هذه الحال [للناس] و هو لم يزل متوجّهًا ليصلّي، فإذا وصل و صلّى فسيُقضى على أمرك [و حكمك]![1] إنّ الأحمق لم يكن يعلم أنّ الإمام عليه السلام في حينها قد تضطرّه التقيّة إلى الدعوة هناك إلى أميرهم، و يرشد الجميع إلى عدم نقض عهدهم مع أميرهم [المأمون اللعين]، و عدم التعرّض له. [سأل أمير المؤمنين عليه السلام النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله]: أُنْزِلُهُمْ بِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فقال صلى الله عليه وآله: بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ![2]

إنّ الروايات إنّما تكون حجّة بعد ضمّ بعضها إلى بعض، لا عندما تكون منفردة! فلولا تلك التقيّة و الإنزال بمنزلة الفتنة ـ حيث «ارْتَدَّ النَّاسُ إِلَّا ثَلَاثَةً»[3] ـ لَما أصبح [هؤلاء الثلاثة] أربعمئة مليون نسمة. إنّ هذا العدد إنّما ارتفع بفضل التقيّة و المحافظة، و لا يزال هذا العدد آخذًا بالازدياد يومًا بعد يوم[4].

لتكن لدينا بصيرة تجاه مخطّطات الكفّار و نعمل بتكليفنا

لقد كان مخطّط الكفّار و لا يزال قائمًا على أن يسلبوا القرآن من أيدي المسلمين، و أن يفصلوا بينهم و بين علماء الدين و المصادر الدينيّة و المعنويّات و ينابيع المعارف أي القرآن و السُّنّة؛ كي ينزعوا هذين السلاحَين المهمَّين [و الأساسيَّين، أي القرآن و السُّنّة الشريفة] من أيدي المسلمين، و يُفتح بذلك طريق سيطرتهم على بلاد المسلمين و ثرواتهم، حتّى لو استدعى ذلك أن يجعلوا على رأس الأمور [و سدّة الرئاسة] أشخاصًا يفسّرون القرآن

---

(١) راجع: الإرشاد، ج٢، ص٢٦٤.

(٢) لمّا أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن الفتن الّتي ستحدث من بعده، سأله أمير المؤمنين عليه السلام: «يَا رَسُولَ اللهِ فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ»؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٥٦، ص٢٢٠.

(٣) الاختصاص، ص١٠.

(٤) بالالتفات إلى الرواية القائلة: «أنزلهم بمنزلة فتنة» يتّضح أنّه لا تلزم معاملة الّذين رفضوا إمامة أهل البيت عليهم السلام منزلة المرتدّين و الكفّار، بل يجب عدّهم من المفتونين و الضالّين (إلّا الناصبين و المعاندين منهم)، لذلك تجب مداراتهم و عدم محاربتهم، و من هنا يتّضح أنّ المراد من الرواية القائلة: «ارتدّ الناس إلّا ثلاثة»، ليس هو المعنى الفقهيّ للارتداد، بل هم ارتدّوا باطنًا.

و السُّنّة على حسب مذاقهم [و مزاجهم] و أن يُقضى على [العلماء] الآخرين أو يُنزَووا أو يُقتلوا! ليتنا كنّا نرى أنّ الذئاب هجمت علينا و تفترسنا!

ما الّذي يجب فعله في هذه الظروف؟ كلّما قالوا لنا: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾[1] لم نصغِ إلى ذلك. فما الّذي يمكن فعله الآن مع هذه الأوضاع و الابتلاءات و المصائب الّتي تُصبّ على رؤوس المسلمين؟ لو علمنا ما هو تكليفنا، و ما الّذي يتعيّن علينا فعله، و عمِلنا بما علِمناه، فسوف نكون من حيث العمل بالوظيفة في راحة غدًا يوم القيامة، حتّى إذا كان التكليف هو التأقلم مع المحن و الصبر عليها. يقول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[2]؛ أي: بشّر الصابرين بفرَج الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ظهوره.

لا ننخدع من الكفّار، و لا نركن إليهم!

لو كانت هناك طائفتان تتواجهان و تقتتلان فيما بينهما، و وجدت إحدى الطائفتين سبيلًا و اختطفت رئيس الطائفة الأخرى، فسوف يكون أمام الفئة الّتي صارت بلا رئيس طريقان: إمّا الاستسلام أو مواصلة الحرب مع العدو دون قيادة.

إنّ وَضعنا نحن المسلمين في مواجهة الكفّار شبيه بهذه الحالة. لا يوجد لدى المسلمين زعيم [و قائد] ينضوون تحت لوائه؛ لأنّ السُّنّة لا يعتقدون بوجود زعيم و إمام أساسًا، و الشيعة و إن كانوا يعتقدون بالإمام عليه السلام، لكنّهم من الناحية العمليّة يعيشون حالة تشبه تلك الّتي عند السنّة، و لا يفرقون عنهم [من هذه الناحية]! و من هنا، أَلا يجدر بالمسلمين ـ من الشيعة و السُّنّة ـ و الحال هذه، إذ يفتقرون إلى زعيم ـ إمّا من الناحية الاعتقاديّة أو العمليّة ـ أن يجلسوا إلى جوار بعضهم البعض و أن يفكّروا في علاج أمورهم؟! أَلا يجدر بنا الحذر و الحفاظ على مصالحنا؟! أَلا يجب علينا أن نجلس [إلى جانب بعضنا] لنجد سبيل الوقاية و المحافظة [على تعزيز الإيمان و ترسيخه] بأنّنا كيف نبقى في أمانٍ من شرّ العدوّ حتّى يظلّ ديننا و دنيانا و مذهبنا محفوظين؟ و من جملة طرق الحفاظ و الوقاية و الحذر هو أوّلًا أن لا ننخدع بالكفّار، و ثانيًا أن لا نقبل منهم الهدايا الّتي يرومون بها اجتذابنا

(١) سورة النساء، الآية ١٤٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٥.

و استدراجنا، تمهيدًا للسيطرة علينا نحن المسلمين، و الاستيلاء على ثرواتنا، مع ممارسة الظلم و الجور بحقّنا.

إنّ أقرب الطوائف إلى الحقّ و الحقيقة من بين الأديان السماويّة، هم المسلمون. و إنّ الأحقّ من بين مختلف الفِرَق الإسلاميّة هم الشيعة، إذ هم المخذولون و المذلولون و المستعبدون من قبل الكفّار [إذ يمارسون بحقّهم صنوف الظلم]![1]

جانبٌ آخر من وظائف المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

الحمد لله و الصلاة على سيّد الأنبياء محمّد و آله الطاهرين و اللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

مع تقديم التعازي إلى الصاحب الأعظم لجميع أمثال هذه المصائب و الدعاء بتعجيل الفرج بإذن الله الأجلّ، يُبيَّن ما يلي:

يظنّ الجاهلون أنّهم من خلال تخريب قبور الأئمّة عليهم السلام يستطيعون اقتلاع التشيّع. [مع العلم] أنّ الشيعة و ساداتهم و عظماءهم رأوا ما هو أعظم من التخريب [و الهدم] في زمان الأئمّة عليهم السلام، و رأوا أيضًا [في النتيجة] ـ بعد تبديل الهدم بالعمران ـ أنّ قوّة إيمانهم ازدادت صورةً و معنىً [و ظاهرًا و باطنًا].

و من زمان الإمام عليٍّ و السيّدة فاطمة عليهما السلام إلى زيد [بن عليّ] و يحيى [بن زيد]، كان [ضحايا الظلم] المقتولون على أيدي بني العبّاس واحدًا واحدًا و تخريب المتوكّل الملعون [لضريح الإمام الحسين عليه السلام] و متوكّلو كلّ زمان [كلّ ذلك كان حاضرًا و] مشهودًا لدى أئمّة الحقّ عليهم السلام و بإخبارٍ منهم عن فساد و إفساد أعداء الإيمان إلى خروج السفيانيّ، ممّا هو من الحتميّات قبل ظهور دولة الحقّ عجّل الله تعالى فرج صاحبها[3]، كما أخبروا عن غير

---

(١) بمعنى أنّ أقرب الطوائف إلى الحقّ ـ و هم المسلمون ـ يرزحون تحت ظلم أبعد الطوائف عن الحقّ و سيطرتهم و امتهانهم، و هم الكفّار.

(٢) لقد كتب سماحة الشيخ رحمه الله هذا البيان تلبيةً لطلب بعض المؤمنين بعد التفجير الإرهابيّ الّذي تعرّض له مرقد الإمامَين العسكريّين عليهما السلام في سامرّاء.

(٣) تُقسم علامات الظهور عمومًا إلى مجموعتين: مجموعة حتميّة و أخرى غير حتميّة. العلامات الحتميّة كما تُجمِع

الروايات هي الّتي يبلغ فيها احتمال حدوث البَداء درجة من الضعف قريبة من الصفر، فلا تؤخذ في الحسبان، أمّا في العلامات غير الحتميّة، فإنّ احتمال البَداء قويٌّ، و يؤخذ في الحسبان. في حديثٍ للإمام الصادق عليه السلام إشارة إلى كون العلامات حتميّة و غير حتميّة: «مِنَ الْأَمْرِ مَحْتُومٌ وَمِنْهُ مَا لَيْسَ بِمَحْتُومٍ، وَمِنَ الْمَحْتُومِ خُرُوجُ السُّفْيَانِيِّ فِي رَجَب» (الغَيبة (للنعمانيّ)، ج١، ص٣٠٠). و كذلك في بعض الروايات ذُكرت بعض مصاديق العلامات الحتميّة، مثلًا عُدّ خروج السفيانيّ، و الصيحة، و قتل النفس الزكيّة، من العلامات الحتميّة. كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «النِّدَاءُ مِنَ الْمَحْتُومِ وَالسفيانيّ مِنَ الْمَحْتُومِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ مِنَ الْمَحْتُومِ، وَكَفٌّ يَطْلُعُ مِنَ السَّمَاءِ مِنَ الْمَحْتُومِ، قَالَ عليه السلام: وَفَزْعَةٌ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ تُوقِظُ النَّائِمَ وَتُفْزِعُ الْيَقْظَانَ وَتُخْرِجُ الْفَتَاةَ مِنْ خِدْرِهَا» (الغيبة (للنعمانيّ)، ج١، ص٢٥٢). و من بين هذه المصاديق المذكورة، هناك تأكيد كبير في الروايات على حتميّة خروج السفيانيّ. و قد روى فضلُ الكاتب عن الإمام الصادق عليه السلام: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَتَاهُ كِتَابُ أَبِي مُسْلِمٍ، فَقَالَ: لَيْسَ لِكِتَابِكَ جَوَابٌ أُخْرُجْ عَنَّا، إِلَى أَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ لَا يَعْجَلُ لِعَجَلَةِ الْعِبَادِ، وَلَإِزَالَةُ جَبَلٍ عَنْ مَوْضِعِهِ أَهْوَنُ مِنْ إِزَالَةِ مُلْكٍ لَمْ يَنْقَضِ أَجَلُهُ، إِلَى أَنْ قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الْعَلَامَةُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ جُعِلْتُ فِدَاكَ، قَالَ: لَا تَبْرَحِ الْأَرْضَ يَا فَضْلُ حَتَّى يَخْرُجَ السُّفْيَانِيُّ، فَإِذَا خَرَجَ السُّفْيَانِيُّ فَأَجِيبُوا إِلَيْنَا، يَقُولُهَا ثَلَاثًا: وَهُوَ مِنَ الْمَحْتُومِ» (وسائل الشيعة، ج١٥، ص٥٢). و ورد في رواية أخرى أنّ حمران بن أعين تمنّى و هو عند الإمام الباقر عليه السلام أن يكون السفيانيّ من العلامات غير الحتميّة: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَجَلُ السُّفْيَانِيِّ مِنَ الْمَوْقُوفِ»، لكنّ الإمام الباقر عليه السلام أجابه مباشرةً بقسمه و بقوله: «لَا وَاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْمَحْتُومِ». على أساس هذه الروايات، كان آية الله الشيخ البهجة قدس سره دائم القلق، مشغولًا بالُه ببلاءات زمان السفيانيّ، و كان لشدّة تعاطفه مع الناس و ما يصيبهم من بلاء، يحزن إلى حدِّ أنّه إن سمع بوقوع انفجارٍ في بغداد ـ مثلًا ـ اضطرب و تغيّرت حاله فجأةً، و أثّر ذلك في عمله اليوميّ، و كثيرًا ما شوهد و هو يقلّب كفّيه مرتاعًا، و يقول: «ما العمل؟ ماذا يجب أن نفعل؟ ارحم يا ألله! إنّ السفيانيّ من المحتوم، إن حصل البَداءُ في كلّ العلامات، لا بَداء في السفيانيّ! كيف يمكننا أن نتحمّل كلّ هذا، و يقتل على الاسم [و الهويّة]، مثلًا من اسمه عليّ، أو حسن أو حسين، أو من اسمها فاطمة! ما العمل لهذا؟! هذا الأمر مخيفٌ، يفوق قدرتنا على التحمّل! لا يعلم المرء هل يدعو بالبقاء على قيد الحياة إلى حين الظهور؟! لا طاقة لنا، ماذا ينبغي أن يُفعل؟ ليس أمامنا سوى الدعاء بحفظ الشيعة من الشرور!». نعم، قضيّة السفيانيّ من المحتوم، و العلامات الحتميّة ـ كما يُستخلص من الأحاديث المرويّة ـ و منها السفيانيّ، احتمالُ وقوعها قويٌّ، و مبرمٌ و يقينيّ، و لا مناصَ من حدوثها، و احتمال البَداء فيها ضعيف جدًّا بحيث لا يؤخذ في الحسبان. لكنْ مع هذا يبدو من بعض أحاديث أهل البيت عليهم السلام، أنّ احتمال البَداء وارد حتّى في العلامات الحتميّة، و ليس وقوعها يقينًا بالمطلق، أي مع أنّها تُعدّ عُرفًا من المسلّمات، فإنّ احتمال البَداء فيها غيرُ مُنتفٍ عقلًا و منطقًا. لكنْ يجب الأخذ في الحسبان أنّ العلامات الحتميّة تختلف عن الوعد الإلهيّ و الميعاد. ففي الوعد الإلهيّ احتمالُ البَداء غير واردٍ بأيّ حالٍ من الأحوال، لأنّ الله عزّ و جلّ لا يُخلف الميعاد، كما ورد في الآية التاسعة من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾. و في روايةٍ يشير الإمام الجواد عليه السلام إلى الفرق بين العلامات الحتميّة و الوعد الإلهيّ، و يقول إنّ البَداء في العلامات الحتميّة مُحتملٌ منطقيًّا، لكنّه غير محتمل في الوعد الإلهيّ مطلقًا، و بحسب هذا الحديث، السفيانيّ من علامات الظهور الحتميّة، لكنّ ظهور الإمام الحجّة عجّل الله فرجه وعدٌ إلهيّ و من الميعاد: «عن أَبِي هَاشِمٍ دَاوُدَ بْنِ الْقَاسِمِ الْجَعْفَرِيِّ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ محمد بْنِ عَلِيٍّ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَجَرَى ذِكْرُ السُّفْيَانِيِّ وَمَا جَاءَ فِي الرِّوَايَةِ مِنْ أَنَّ أَمْرَهُ مِنَ الْمَحْتُومِ، فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: هَلْ يَبْدُو لِلَّهِ فِي الْمَحْتُومِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْنَا لَهُ: فَنَخَافُ أَنْ

الحتميّات، و أخبروا بما حلّ بأهل الإيمان و ما سيحلّ بهم قبل الظهور إلى حدّ [أنّهم] قالوا: «نَحْنُ صَبَرْنَا وَ شِيعَتُنَا أَصْبَرُ مِنَّا، وَ ذَلِكَ أَنَّا صَبَرْنَا عَلَى مَا نَعْلَمُ وَ هُمْ صَبَرُوا عَلَى مَا لَا يَعْلَمُون»[1]. و مع كلّ هذه الأمور ازداد عدد أهل الإيمان من أربعة أشخاصٍ في ذلك الزمان إلى أربعمائة مليون شيعيّ، كثّر الله أمثالهم.

على جميع أهل الحقّ تشخيص وظائفهم العمليّة، و من جملتها: المسارعة في إعمار كامل ما خرّبه الظالمون و الفاسقون، و التأكيد [و التشديد] على إقامة مجالس درسٍ و تدريس لأحكام أهل البيت عليهم السلام الثابتة[2] و مجالس العزاء و بيان فضائلهم و إنشاء المدائح و المراثي، و مواصلة ضعفاء الشيعة و أوليائهم [و حلّ مشكلاتهم] بالنحو الّذي يُصوّبه علماء الشيعة، [و أن تكون تلك المجالس] مع البكاء و الحرقة القلبيّة ممّا يوجب الاتّصال الروحيّ و المعنويّ بهم عليهم السلام و القرب المعنويّ بالمبدأ الأجلّ و الأعلى، و إن لم يُدرِك الجاهلون فوائد ذلك و [فوائد ممارسة] المظاهر المشروعة الموجبة له[3].

نسأل الله تعالى العذاب الدنيويّ و الأخرويّ للكفّار و المنافقين الّذين نافقوا آل محمّد و أشياعهم و أولياءهم، و هلاكهم الصوريّ و المعنويّ سريعًا في الدنيا قبل الآخرة من خلال تعجيل الفرج، و عدم إمهالهم في ارتكاب المزيد من الفساد و الإفساد.

و السلام على جميع أهل الإيمان في الشرق و الغرب و رحمة الله و بركاته.

يَبْدُو لِلَّهِ فِي الْقَائِمِ، فَقَالَ: إِنَّ الْقَائِمَ مِنَ الْمِيعَادِ وَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ»؛ الغيبة، ج١، ص٣٠٢.

(١) رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «نَحْنُ صَبَرْنَا وَ شِيعَتُنَا أَصْبَرُ مِنَّا، وَ ذَلِكَ أَنَّا صَبَرْنَا عَلَى مَا نَعْلَمُ وَ هُمْ صَبَرُوا عَلَى مَا لَا يَعْلَمُون»؛ تفسير القمّيّ، ج٢، ص١٤١. و راجع أيضًا: تفسير القمّيّ، ج١، ص٣٦٥؛ الكافي، ج٢، ص٩٣.

(٢) من المؤسف أن يصبح تعطيل الدراسة في الحوزة العلميّة لأدنى مناسبة أمرًا متعارفًا. فمن الأمور الّتي كان آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه يؤكّدها كثيرًا هي المواظبة على إقامة مجالس الدرس و التدريس لأحكام أهل البيت عليهم السلام، و تقليل عدد أيّام العطل إلى حدّها الأدنى. و كان رحمه الله يوصي بأن لا يُصار إلى تعطيل الدروس في الحوزات حتّى في الأوقات الّتي تُقام فيها مجالس العزاء، فتعطيل الدروس كان من خطط الكفّار لإعاقة أهل العلم. و كان سماحته رحمه الله أحيانًا و في بعض المناسبات يدعو خطيبًا ليقرأ مجلسًا قبل الشروع في الدرس، ثمّ يبدأ درسه بعد ذلك. طبعًا هذا باستثناء المناسبات الخاصّة الّتي لا ينبغي للمؤمن الاشتغال فيها بغير العزاء و المواساة لأهل البيت عليهم السلام، مثل يوم عاشوراء و أمثاله، فقد كان سماحته رحمه الله يؤكّد ضرورة تعظيم شعائر الله تعالى في مثل هذه المصائب العظيمة، و يذكر قصّةً للعبرة عن طالبٍ في النجف لم يترك الدرس في يوم عاشوراء فابتُلي بسلب التوفيق للاستمرار بالدراسة.

(٣) المراسم و المظاهر الّتي تُثير الحزن و تدعو للبكاء، كمواكب العزاء و اللطم و نحوها.

حذارِ من أن يكون إمام العصر عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف باكيًا و نحن ضاحكون!

الآن[1] إذ هناك حفنة من الشيعة مبتلون و في ضيق ـ و فيهم العلماء و النساء و الأطفال الأبرياء ممّن لا مقرّ لهم و لا مفرّ ـ أفلا يجب علينا أن نطلب إلى الله بأعيُن باكيةٍ و قلوبٍ منكسرةٍ أن يرفع هذا البلاء؟! و هل من الصحيح أن نجلس مرتاحين، و نشاهد ما يجري، و إخواننا و أخواتنا في الإيمان مبتلون في أيدي الظالمين؟! فإذا كنّا اليوم لا نرحمهم، و لا ندعو بنجاتهم، فغدًا عندما تنزل أمثال هذه البلايا علينا، لن يرحمنا الآخرون و لن يدعوا لنا. و هل يمكن [و يجوز] أن يكون رئيسنا و مولانا وليّ العصر عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف حزينًا و نحن فرحون؟! إنّه يكون باكيًا بسبب ابتلاء شيعته و نحن نكون ضاحكين و فرحين، و في الوقت نفسه نعدّ أنفسنا تابعين للإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف ؟!

يجب أن لا نكون صابونيّين! و لا من المحبّين لمصلحة!

رَوى شخصٌ قائلًا: ذهبت إلى المسجد كي أصلّي جماعة؛ فدخلت لأخذ الماء أو الوضوء، وكان الممرّ ضيّقًا لا يتّسع لأكثر من شخص واحد أن يمرّ فيه، وكان هناك أمامي شخص واحد وكان بطيء الحركة [و يعيق طريقي]؛ فقلت له: ألا تريد الالتحاق بصلاة الجماعة؟ فقال لي: إنّ إمام الجماعة صابونيّ!

ثمّ توضّأت آخر الأمر و التحقت بصلاة الجماعة، و بعد الفراغ من الصلاة ذكرت لإمام الجماعة ما جرى [و ما سمعته من ذلك الرّجل]؛ فقال: لقد صدق؛ فقد صنعت صابونًا، وكنت أفكّر فيه في أثناء الصلاة!

لماذا ننتظر شخصًا حتّى [ينبّهنا و] يقول لنا «إنّه صابونيّ»؟ ليس لدينا حضور قلب في صلاتنا، و إنّ أعمالنا تحجبنا و هي الستار الّذي يحول بيننا و بين لقاء الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف، و مع ذلك نصرخ كذبًا: «عَجِّلْ فَرَجَه!».

هل ننتظر منه أن يأتي و يظهر ليقول لنا: التزموا بالواجبات و تورّعوا عن المحرّمات؟! يا له من تعجيلٍ عجيب نتوقّعه! كيف نريد أن نعمل بتعاليم العِترة عليهم السلام و نحن لا نعمل بالقرآن! و نقول: «لَا تُغَيِّبْنِي عَنْ مَنَازِلِ أَوْلِيَائِك!»[2].

---

(١) أيّام الحرب العراقيّة الإيرانيّة.

(٢) مهج الدعوات، ص٣٣٢؛ بحار الأنوار، ج٩٢، ص٣٣٦.

ألسنا من محبّيه و مريديه؟! أم نحن مجرّد مريدين مصلحيّين؟! هَبْ أنّ الإنكار و السّباب الظاهريّ تقيّةً أمر جائز، إلّا أنّ الإنكار القلبيّ و الباطنيّ لا يجوز. كما يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[1].

هل نحن معذورون في ارتكاب كلّ ما تهواه أنفسنا من الأفعال؟ حتّى إذا كانت تلك الأفعال على خلاف رغبة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟! رزقنا الله التوفيق لمعرفة الداء و دوائه، و نعمل على وفقه، و إلّا ستكون رؤوسنا في الحضيض، و سوف نرزح في خجل.

نُقل عن الشيخ أبو الفضل الزاهد[يّ] رحمه الله، أنّه كان يقول: لا تدعوا بتعجيل الفرج! لأنّكم تريدون منه أن يأتي و [ثمّ] تقتلونه هو أيضًا! بغضّ النظر عن أنّ الآخرين أيضًا سيُلزموننا بقتله تهديدًا أو تطميعًا؛ كما طُمّعَت جعدة [بنت الأشعث] من قِبل معاوية بن أبي سفيان على قتل الإمام الحسن عليه السلام، واعدًا إيّاها الزواج من يزيد[2]. فهل كان هؤلاء الّذين ارتكبوا الجرائم ـ تهديدًا أو تطميعًا ـ مجانين؟

حذارِ من أن نؤخّر الفرَج بسوء أفعالنا!

هل نحن قلقون أصلًا؟! و هل نكون متديّنين على هذا النحو؟! إذا حقًّا كان الشيعة هم من: «يفْرَحُونَ لِفَرَحِنا وَ يحْزَنُونَ لِحُزْنِنا»[3] فهل نحن كذلك؟ و هل نحن شركاء للأئمّة عليهم السلام في أفراحهم و همومهم؟! و هل من الممكن أن نكون شيعة، فتمرّ علينا ليلة من غير أن ندعو بهلاك أعداء الإسلام و أهل البيت عليهم السلام؟! أو أن لا يكون دعاؤنا من صميم القلب؟!

إذا كان دعاؤنا مقرونًا بالبكاء، لكُنّا نتقدّم بالأمور [و كانت حاجتنا تُقضى]، و [حتّى] إذا ما متنا أو استشهدنا لكان المقصود قد تحقّق. الآن فإنّ إخواننا و أخواتنا في المذهب و الدين يرزحون تحت الضغط و الأذى، و نحن جالسون مرتاحين و لا نبالي؛ فإذًا لا ضَير أن نكون يومًا ما نعيش في ضيق و شدّة، و هم يكونون مرتاحين! في حين أنّه يجب أن يكون

---

(١) سورة النحل، الآية ١٠٦.

(٢) راجع: الاحتجاج، ج٢، ص٢٩٢؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٤٨.

(٣) إنّ إحدى الصفات الممدوحة للشيعة أنّهم يفرحون لفرح أهل البيت عليهم السلام و يحزنون لحزنهم، و قد ورد هذا المطلب في رواياتٍ عديدةٍ، من جملتها ما رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اطَّلَعَ إِلَى الْأَرْضِ فَاخْتَارَنَا وَاخْتَارَ لَنَا شِيعَةً يَنْصُرُونَنَا وَيَفْرَحُونَ لِفَرَحِنَا وَيَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا»؛ الخصال، ج٢، ص٦٣٥؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٨٧؛ و راجع أيضًا: بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٩٠.

المجتمع التوحيديّ بنحوٍ إذا أُصيب موضع منه، لا تكون بقيّة المواضع غير مبالية.

و قطعًا أولئك الّذين يكونون صادقين في الدعاء و محزونين لحزن أهل البيت عليهم السلام و مسرورين لسرورهم، تكون لهم مبصرات [إبصارات] و مشاهدات [معنويّة] و ليسوا مثلنا معصوبي الأعيُن و عميانًا. لا قدّر الله أن ندعو [بألسنتنا] بتعجيل فرج إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لكنّ أعمالنا تكون لتبعيد فرجه!

ألا يعلم الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بأفعالنا؟!

إنّنا ننسب أنفسنا إليه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و نريد أن تكون أسماؤنا في ديوانه. و نحن على استعداد للاستيلاء على ماله و إهداره، بل و هذا ما نمارسه بالفعل. فهل يرانا من المنتسبين إليه؟ ألَا يعلم [الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] بأعمالنا؟! إنّه لا ينظر إلى ظاهر اللباس فقط!

ماذا سيكون جوابك لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟

لذّة الحلال الباعثة على ترك الحرام و [ترك] لذّتِه تكون إلهيّة، و كلّما كانت لذّة الحرام أشدّ كان تركها أكثر إلهيًّا، و هذا بسبب ترك ضدّها. و المقولة القائلة إنّ «اللذّة في ترك اللذّة» لا تحمل في طيّاتها تناقضًا، فنحن لا نخرج من عهدة النفس المتمرّدة و هوى النفس. قال أحدهم للآخر: ماذا سيكون جوابك لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أنت تنظر إلى امرأة أجنبيّة من فوق السطح؟!

و على كلّ حال فإنّ البعض يرى اللذّة في الخَلوة مع الله، و أُنس مناجاته، و التهجّد [له]، في حين يرى البعض الآخر اللذّة في العِشرة و الجلوس مع أهل الغفلة و البطالة و المعصية. فشخصٌ يطلب اللذّة بالصمت و السكوت و الهدوء و عدم الضوضاء، و آخر يطلبها في مجالس السكر و الطرب مع الصخب و أدوات اللهو و الغناء[1].

لماذا لا نستحي من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟!

كم ستفرق حالنا و [كم سنكون] مراقبين لكلامنا إذا كنّا في حجرةٍ مغلقة، و كنّا نعلم بوجود قوّة عظمى مثل أميركا أو روسيا ترصدنا من خلف الباب، و تتنصّت على كلامنا المؤيّد أو

(١) لقد قال سماحة الشيخ قدّس سرّه هذا المطلب في معرض جوابه عن سؤال شخصٍ قال: «هل يمكن أن تكون لذّات الحلال الموافقة لطبع الإنسان و ميله إلهيّة؟».

المعارض لها و تسجّله، و أنّها سوف ترتّب أثر ذلك الكلام علينا في الوقت المناسب؟! [فكم سنكون محتاطين و حريصين] حتّى لو لم نكن نراهم، و لكنّنا نعلم بوجودهم خلف الباب؟!

فلماذا إذًا لا يكون حالنا بالنسبة إلى إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف بهذا النحو [و المستوى من الحرص و الانتباه لتصرّفاتنا] في أثناء قيامنا بما يكون [في النتيجة] له أو عليه؟! و لا يوجد أيّ فرق بيننا [نحن الّذين نؤمن به و نتّخذه إمامًا] و بين أهل السُّنّة الّذين ليس لديهم اعتقادٌ كهذا؟!

لا يستقيم انتظار الفرج مع إيذاء أولياء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف!

إنّ القرآن كتابٌ هو النور كلّه، و هو الهادي إلى الإمام عليه السلام. و من المستحيل أن لا يكون هناك حجّةٌ بيننا و أن يكون الناس دون إمام. فلو عملنا بما هو في متناول أيدينا [من القرآن و العِترة عليهم السلام]، سوف يكون هناك مجالٌ لانتظار الفرَج.

إنّ انتظار ظهور إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف و فرَجه لا ينسجم مع إيذاء أولياء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. إنّ أولياء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف من كِلا الطرفين في هذه الحرب [الحرب العراقيّة الإيرانيّة] منذ سنوات و هم يُبادون، و هو يرى ذلك و يتألّم، و لكنّه ـ حسب الظاهر ـ مُقيّد اليد، و لا يستطيع أن يفعل شيئًا.

من جانبٍ تنتظره و من جانبٍ آخر تريد قتله؟!

نسأل الله أن لا ينقطع الارتباط بيننا و بين الواسطة [للفيض الإلهيّ] عجّل الله تعالى فرجه الشريف. كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد قال: قل لذلك الجالس في المسجد الّذي ينتظر صاحب الحقيبة: [من جانب] تنتظره و [من جانبٍ آخر] تريد أن تقتله؟! الله يعلم إذا كنّا في وقته مستعدّين لكي نقتله عجّل الله تعالى فرجه الشريف أم لا؟!

لا نتوب لأنّنا لا نرى أنفسنا مذنبين!

إنّ الحوادث الّتي تقع هي نتيجة أعمالنا الّتي تُصَبّ على رؤوسنا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[1]. أفلا ينبغي أن نفكّر و نتوب من الذنوب الماضية الّتي هي سبب جميع

(١) سورة الشورى، الآية ٣٠.

هذه الابتلاءات و المصائب؟ و لكنّنا لا نتوب لأنّنا لا نرى ما نأتي به من عمل سيّئًا، و نحسن الظنّ بأنفسنا و بما نقوم به من أعمال! أفلا ينبغي في مثل هذه الحوادث و المصائب الّتي أُخبرنا عنها منذ ألف عام أن تنشرح صدورنا و أن نكون كما أمروا؟! إذ قالوا: «تَمَسَّكُوا بِالأَمْرِ الأَوَّل»[1]، أي أن نعتقد باليقينيّات و نعمل بالواضحات و الضروريّات الدينيّة، و نحتاط في موارد الشك و التردّد. و كذلك [علينا] في مثل هذا الزمان الّذي ابتُلي فيه أهل الإيمان ببلاءاتٍ كثيرة، أن نُكثر من قراءة دعاء الفرج كما أمرونا.

۞ الويل لنا إن قال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فينا: نحن لا نعرف هذا الشخص!

الويل لمن يطّلع الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف على كونه لا يعتني و لا يبالي في تحصيل رضاه و اجتناب مخالفته. و مَن يقول للناس في الأمور الماليّة: إنّ يدي هي يد الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أنا وكيله، و لكنّه في الأعمال الأخرى لا يكون كذلك [و لا يتصرّف كمُمثّل له]! لا قدّر الله أن نكون هكذا! خصوصًا و نحن نرجو أن يغيثنا في أواخر أعمارنا و في لحظة الوفاة، و أن بشفاعته تُرفع البلايا عنّا. فهل من الممكن أن ننفصل عنه في بداءة الأمر، ثمّ نرجو أن يأخذ بأيدينا في آخر المطاف؟!

لقد سلّم طبيبٌ عند اقتراب وفاته على جميع أنوار المعصومين عليهم السلام و عظّمهم [و وقّرهم بالتحيّة]، و لكنّ لا أحد من الحاضرين كان يرى أحدًا!

يجب أن لا نقوم بعملٍ بحيث إنّ أولئك السادة العظماء ـ عندما يحين حينه و في اللحظة الأخيرة ـ يقولون: إنّنا لا نعرف هذا الشخص!

إنّ التفاوت و الاختلاف في درجات الإيمان و التقوى و اليقين بيننا و بين العلماء السابقين واسعان [و شاسعان]، الفرق بيننا و بينهم مئة عام و لكنّها كألف سنة! لقد كانت استجابة أدعيتهم و بسرعة أمرًا عاديًّا للغاية، و لكن لو قال أحد اليوم: «دعوت فاستجيب لي» فهو أمر نادر جدًّا!

نُقل أنّ شخصًا[2] كانت المدّة بين وفاته و وفاة المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائريّ رحمه الله

---

(١) الغَيبة (للنعمانيّ)، ص١٥٩؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٣٣.

(٢) الشيخ إبراهيم صاحب الزمانيّ التبريزيّ رحمه الله هو من الوعّاظ المشهورين و من الأبرار المُتّقين، و قد عاش سنواتٍ عديدة في مقام الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في سامرّاء، و كانت للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في قلبه محبّةٌ خاصّةٌ، فكان لسانه باستمرارٍ

أسبوعًا فقط، كان في مشهد الإمام الرضا عليه السلام و أسرته في العراق، فتشرّف [بالذهاب] إلى حرم الإمام الرضا عليه السلام و قال: أهلي...[1]، فمرّ شخص من جانبه على الفور و أعطاه مقدارًا من المال، و لكنّه التفت إلى الإمام عليه السلام و قال: إنّ هذا غير مناسب لكرمكم! فوصل إليه مبلغ آخر. فقال أيضًا: هذا قليل! بعد ذلك وصل إليه أحد علماء مشهد و هو في الصحن الشريف، و قال له: «يبدو أنّ صفقتك مع الإمام عليه السلام جيّدة!»، ثمّ مدّ يده إلى جَيبه و أخرج مقدار المال نفسه الّذي كان يريده [ذلك الرجل] و أعطاه إيّاه!

يلهج بذكر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لهذا لُقّب بصاحب الزمانيّ و اشتُهر به، و من مميّزاته أيضًا أنّه كان يخصّص يوميًّا، دقائق لذكر مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام قبل أن يبدأ أستاذه آية الله الشيخ الحائريّ قدّس سرّه درسه.

(١) بحسب الظاهر، قبل أن يُتمّ كلامه و بمجرّد أن قال: «إنّ أهلي»، فإنّ الإمام عليه السلام أجاب طلبه.

الروضة السابعة:

«عظمة الدعاء و أهمّيّته في زمن الغَيبة»

دعاءٌ للبشرية كافّة

إنّ الدعاء للقائد الأعظم عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف الّذي هو الوليّ المطلق و مُنجي العصر، دعاءٌ للبشريّة كافّة.

أحبّ الأعمال إلى الإمام الحجّة عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف

ليس هناك عملٌ أحبّ إلى إمام العصر عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف من الدعاء بفرجه، فنحن في جميع الأمور نحتاج إليه و إلى دعائه، إلّا أنّه عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف أيضًا يحتاج إلى دعائنا، و لكن ليس هناك مانع من أن نتوسّل به عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف في هذا الدعاء نفسه: «**اللهمّ بِحَقِّهِ عَجِّل فَرَجَه**». و يُنقل عن الشيخ إبراهيم، الّذي كان بين وفاته و وفاة الحاج الشيخ عبد الكريم أسبوعٌ واحد، أنّه كان في مسجد الكوفة أيّام الاعتكاف فرأى الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف في المنام يقول [له]: «انظر، هؤلاء المعتكفون هم جيّدون و أخيار الناس، لكن لكلّ واحد منهم حاجته، و لا أحد منهم يفكّر فيّ!»، و كأنّهم نقلوا في أحد التشرّفات بلقائه قوله: «ادعوا لي أنا الغريب!». و ينقل صديقٌ لي في مشهد: عندما كان الحرم مقفلًا عدّة أيّام من أجل تطهيره و إصلاحه[1]، و بعد أن أعادوا فتح الباب

---

(١) إشارة إلى العمل الشنيع و المتوحّش لعدد من العملاء، إذ أقدموا في يوم عاشوراء سنة ١٤١٥هـ.ق بوضع عبوة مُفخّخة قد انفجرت في الروضة الرضويّة المقدّسة. و على إثرها وصل عدد من زوّار الإمام الهمام عليه السلام المظلومين الأبرياء في ذلك المكان القدسيّ إلى مقام الشهادة الشامخ، كما تسبّب التفجير الإرهابيّ بإصابة عدد كبير من الجرحى.

تشرّفت و صلّيت صلاة السيّدة الزهراء عليها السلام بنيّة التشرّف بمحضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. بعدها رأيت سيّدًا جليلًا نورانيًّا توجّه نحوي و قال: «تقَبَّل الله»، و كان يشعّ من وجهه نور بحيث لم أستطع النظر إليه، بعدها هوى إلى السجود و بكى بكاءً شديدًا، و كان من المعلوم لي أنّ بكاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف هذا هو بسبب تلك الحادثة الّتي حصلت في يوم عاشوراء في الحرم المطهّر.

الدعاء، ارتباطٌ روحيّ بإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و مرتبة من الفرج

ورد في الرواية أنّ الجميع في آخر الزمان سيهلك إلّا من دعا بالفرج، و أساسًا هذا الدعاء بالفرج أمل و نوع من الارتباط الروحيّ بصاحب الدعاء، و هو مرتبة من الفرج.

و أحتمل أنّ ما جاء في الرواية «فَإنَّ فِي ذَلِكَ فَرَجَكُم»[1] [أو] «فَإنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُم»[2] يعني: إن وُفّقتم لأداء هذه الأدعية فيجب أن تعلموا أنّ هذا نفسه مرتبة من الفرج، و إلّا فلماذا أنتم لا تدعون بالمُحالات، فلا تقولون مثلًا: اللهمّ قدّر جَمعًا بين النقيضَين! و كذلك يُحتمل أن يكون المعنى هو أنّ فرجي أنا [إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف] هو فرجكم أنتم، و كِلا الاحتمالين يمكن أن يكون صحيحًا. و هناك مطلبٌ آخر هو: إنْ دعا أحدٌ بفرج الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فإنّه يكون مُعترفًا بالركن الأخير للإيمان، و ثابت القدم و مستقيمًا [في الاعتقاد بولايته]، إذًا لا يمكن أن يكون لديه تزلزل [و ارتيابٌ] في أوّلها [أي أوّل أركان الإيمان][3].

نظرة عنايته عجّل الله تعالى فرجه الشريف للدّاعين

كلّ يوم نسمع [فيه] خبرًا [عن المصائب الّتي تقع]! يجب أن ندعو. قطعًا إنّ الّذي يحترق قلبه و يدعو سيكون للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نظرة أخرى [أي نظرة مختلفة و خاصّة] إليه. إذا كنّا نعلم أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يطّلع على كلامنا هذا قبلنا نحن، فلماذا لا نستفيد من هذا الارتباط و لا نقوّيه؟

الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ليس غائبًا عن الّذي يدعو بالفرج

مع أنّهم عليهم السلام كانوا يعلمون بأنّ الأمر [أي تحقُّق الفرج] سيطول كلّ هذا المقدار، إلّا أنّهم منذ

(١) الخرائج و الجرائح، ج٣، ص١١١٥.

(٢) كمال الدين، ج٢، ص٤٨٥؛ الغَيبة (للطوسي)، ص٢٩٣؛ الاحتجاج، ج٢، ص٤٧١.

(٣) يُعدّ التوحيد مع نبوّة النبيّ صلّى الله عليه وآله و ولاية أمير المؤمنين عليه السلام مقدّمات للاعتقاد بركن الإيمان الأخير الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

البداءة كانوا يوصون بانتظار الفرج إلى هذا الحدّ، و النكتة هي أنّ هذا الدعاء هو للفرج، و على إثر [هذا] الدعاء يوقِن أنّ هناك خبرًا و هو [أي ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] أمرٌ محقَّق الوقوع قطعًا، و مع هذا [أي حصول اليقين] فليس له [أي للدّاعي] غَيبة [عن الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] بعد، قال أحدهم [المحدّث النوريّ رحمه الله]: يُستفاد من كلمات السيّد ابن طاوس رحمه الله أنّ باب اللقاء كان مفتوحًا له، الّذي هو طَرْح السؤال و تحصيل الجواب.

ثمرات الدعاء لإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف

أيّ مصائب تنزل بساحة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي هو مالك لكامل الكُرة الأرضيّة، و جميع الأمور جارية على يديه. الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف على أيّ حالٍ و نحن على أيّ حال! إنّه يعيش في سجنٍ و ليس له ثمّة راحة و لا أُنس، و كم نحن غافلون عن هذا المطلب و لا نلتفت إليه!

و إنّ الّذين تشرّفوا بمحضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في المنام أو اليقظة، سمعوا من حضرته أنّه قال: «أكثروا الدعاء بتعجيل فرجي». و الله يعلم كم يجب أن يبلغ عدد هذه الأدعية حتّى تتوفّر مصلحة الظهور. و من المقطوع به إنْ كان هناك أشخاص جادّون في الدعاء و صادقون و محزونون لحزن أهل البيت عليهم السلام، و فرحون لفرحهم، ستكون لهم مبصرات، و قطعًا لا يكونون مثلنا مُطبَقي العينَين! يجب إتيان الدعاء مع تحقيق شروطه، و التوبة من الذنوب من جملة تلك الشروط، كما قالوا: «دُعاءُ التائِبِ مُسْتَجابٌ»[1]، لا أن نكون ندعو بتعجيل الفرج و [لكن] تكون أعمالنا لتبعيد فرج الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تأجيله!

يصبح أهلاً لفهم أمور

نحن لا ندعو بفرج الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف دعاءً حقيقيًّا، و لا نفكّر فيه، و لا نعقد صفقة جيّدة مع إمامنا. فالشخص الّذي يدعو بالفرج بصدقٍ، يكون هذا سببًا كي يفهم و يدرك أمورًا!

يمكن تعجيل الظهور بالدعاء

يتحقّق الظهور بعد امتلاء الأرض ظلمًا و جورًا، و هذا الامتلاء له مراتب، يعني يمكن أن يُقدَّم

---

(١) تُعدّ الذنوب و المعاصي من موانع استجابة الدعاء، و لهذا السبب فقد ذُكرت التوبة في ضمن آداب الدعاء و شروط استجابته. للاطّلاع أكثر راجع: سورة هود، الآية ٥٢؛ سورة نوح، الآيات ١٠ ـ ١٢؛ نهج البلاغة، ص١٩٩؛ بحار الأنوار، ج٩٠، ص٣١٧؛ جامع الأخبار، ص٥٧.

و يُعجّل الظهور بالدعاء. و عليه، فيتبيّن أنّ القضيّة بأيدينا، نحن لا نريد و نتهرّب، هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف محبوس و مُستاء و نحن لا نتوافق معه!

يكون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مع الشخص الّذي...

في هذا الزمان، يتحيّز الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى الشخص[1] الّذي يدعو بتعجيل الفرج. [و ذلك لأنّ هذا الشخص] إن كان في ضرّاء فإنّه يريد [بالدعاء بتعجيل الفرج] الخلاص منه و رفعه، و إذا كان في سرّاء فإنّه يعلم أنّ هذا لا يدوم، و ما دام الفرج لم يتحقّق فليس هناك فائدة من أيّ شيء.

الشيعة شهداء لأنّهم يدعون

«وَاللَّهِ مَا الشَّهِيدُ إِلَّا شِيعَتُنَا وَلَوْ مَاتُوا عَلَى فُرُشِهِم». لأنّ الشيعة منتظرون و يدعون بتعجيل الفرج، فهُم كمَن يكون مشغولًا بالجهاد مع إمامه. «مَا الشَّهِيدُ إِلَّا شِيعَتُنَا». إنّ ذلك [الشخص الشيعيّ] قضى نحبه في بيته و لكنّه شهيد، و لكنّ تعيس الحظ هذا قَتَل [مخالفيه] و قُتِل هو أيضًا في الحرب، لكنّه ليس شهيدًا، بل حتّى لو هلك فإنّ له قتلًا في الدنيا و قتلًا ما بعد الموت أيضًا[2].

أقوى سلاح!

نحن الآن حسب الظاهر لا نملك سلاحًا أرقى [و أقوى] من الدعاء، و دعاؤنا مؤثّر يقينًا، حتّى لو افترضتم أنّ أثره لا يكون بالفعل [الآن]، فإنّ تأثيره هو أن يُقرّب [الفرج] مقدارًا ما، نسأل الله أن يُبيد حكومة المفسدين.

---

(١) أي يقف إلى جانبه و يسانده.

(٢) المقصود هو الشخص المخالف لأهل البيت عليهم السلام الّذي ـ من تعاسة حظّه و شقاوته ـ حتّى لو قَتَل أعداءه و قُتل هو أيضًا فضحّى بحياته الدنيويّة، إلّا أنّه مع كلّ هذا لا يعدّ شهيدًا، بل كان له قتلٌ في الدنيا فلم يتزوّد منها، و سيكون له عذابٌ بعد الموت أيضًا. و لقد ورد في رواية: «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَا تَقُولُ فِي هَؤُلَاءِ الّذِين يُقْتَلُونَ فِي هَذِهِ الثُّغُورِ؟ قَالَ فَقَالَ: الْوَيْلُ يَتَعَجَّلُونَ قَتْلَةً فِي الدُّنْيَا وَ قَتْلَةً فِي الْآخِرَةِ، وَاللَّهِ مَا الشَّهِيدُ إِلَّا شِيعَتُنَا وَلَوْ مَاتُوا عَلَى فُرُشِهِمْ»؛ تهذيب الأحكام، ج٦، ص١٢٦.

الدعاء سلاح المؤمن

فليحفظنا الله من أن نُصاب بالعمى فيصبح الواضح و غير الواضح عندنا سواء، فنكون ما أبصرنا شيئًا و لا نُبصر!

إذا كنّا نحن تحديدًا لا نملك السلاح [الحربيّ] إلّا أنّنا و الحمد لله نملك الدعاء الّذي هو أعظم سلاح، أي التضرّع و الدعاء. هذا الدعاء الّذي نُقل [في شأنه] عن السيّد ابن طاوس أنّه قال: دَعوت في حرم أمير المؤمنين عليه السلام على حاكم ظالم، و تبيّن لي أنّه سيهلك بعد ثلاثة أيّام، و في حال الدعاء نفسه تبيّن لي [أنّ دعائي قد استُجيب]. فأخبَرَ أصحابه ـ و هو [لا يزال] في مكانه ـ أنّه سيهلك بعد ثلاثة أيّام! [و من الممكن أن يُقال:] اصبر [و لا تقل هذا الآن! لأنّه] إذا لم يحصل [الذي أَخبرت عنه] ينزل قدرك بين أصحابك! و فعلًا حصل كما قال، و بعد ثلاثة أيّام ولّى ذلك الملعون إلى الدَّرَك[1]. و كذلك نقل آخرون أيضًا أنّه اتّضح لهم في أثناء الدعاء أنّ الله قد استجاب لهم و أزال [ما يعترض طريقهم]. و قد نُقل هذا في مواطن عدّة. نستجير بالله، فأولئك [المخالفون] لا يفقهون هذا الأمر، و لكن نحن نفقه أنّ «الدُّعَاء سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ»[2].

الدعاء للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو طريق الخلاص من الابتلاءات

إنّ طريق الخلاص من الابتلاءات [و المصاعب] منحصرٌ بالدعاء بفرج وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الخلوات. طبعًا ليس الدعاء المعهود و [الذي يكون] لقلقة لسان و صرف قول «عَجِّلْ فَرَجَه»، بل دعاءٌ بإخلاصٍ و صدق نيّةٍ و مصحوبًا بالتوبة.

دعاء الفرج، دواء آلامنا

دعاء تعجيل الفرج دواء آلامنا، و قد جاء في الرواية [ما مضمونه] أنّ الجميع سيهلك في آخر الزمان «**إِلّا مَنْ دَعا بالْفَرَجِ**»[3]. و لقد شمل أئمّتنا عليهم السلام بعنايتهم كثيرًا أهل الإيمان و الشيعة

---

(١) أي مع أنّ ابن طاوس رحمه الله لم يكن يملك سلاحًا حربيًّا ليقاتل به ذلك الحاكم الجائر، لكنّه بدعائه انتصر و أهلك عدوّه.

(٢) الكافي، ج٢، ص٤٦٨؛ بحار الأنوار، ج٩٠، ص٢٩٤.

(٣) قال الإمام العسكريّ عليه السلام لأحمد بن إسحاق: «وَاللّهِ لَيَغِيبَنَّ غَيْبَةً لَا يَنْجُو فِيهَا مِنَ الْهَلَكَةِ إِلَّا مَنْ ثَبَّتَهُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ وَوَفَّقَهُ فِيهَا لِلدُّعَاءِ بِتَعْجِيلِ فَرَجِهِ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٣٨٤. و كذلك رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «سَتُصِيبُكُمْ شُبْهَةٌ فَتَبْقَوْنَ بِلَا عَلَمٍ يُرَى وَلَا إِمَامِ هُدًى وَلَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا مَنْ دَعَا بِدُعَاءِ الْغَرِيقِ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٣٥٢.

ببيانهم هذا، حتّى يعرفوا أنفسهم [إن كانوا ثابتين على الإيمان أم لا]. [إنّ كلامهم] هذا توسيم لهم[1]، أي إذا دعوتم بالفرج فمعنى ذلك أنّكم ما زلتم ثابتين على إيمانكم. و قد أمرونا بأوامر أخرى عجيبة و غريبة؛ لأنّ ابتلاءات أهل الإيمان ستشتدّ في آخر الزمان إلى حدّ أنّه ورد في الرواية: «بَعْدَما مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»[2].

دعاء الفرج، علامةُ استقامة الإيمان

و كأنّه ورد في رواية هذا المضمون: «يُنكِرهُ أكثرُ مَن قال بإمامتهِ!»[3]، أي أنّ أكثر الناس يرجعون عن اعتقادهم و إيمانهم بالإمامة. و كذلك أَوْصونا أن ندعو بدعاء الفرج هذا في آخر الزمان، و الّذي هو دعاء الثبات على الدين، و هو: «يا أَللّهُ، يا رَحْمانُ، يا رَحيمُ، يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبي عَلى دينِك»[4] أي: اللهمّ احفظ تلك الدرجة [الأخيرة] من الإيمان الّتي مننت بها عليّ، و ليس معناه: اللهمّ أبقنا مسلمين كما كنّا مسلمين! لأنّ هذا ليس معنى الثبات على الدين.

و هذه التوسّلات و إقامة مجالس العزاء و التعازي [الحسينيّة] و زيارة قبور أهل البيت عليهم السلام علامة على أنّ أهل الإيمان متّصلون و ملتصقون بهم [أي بأهل البيت عليهم السلام]، و أنّهم لم ينحرفوا بعد عنهم؛ و لذا [نجد] أنّ الكفّار و عملاءهم قد تواطؤوا على التفريق بين المسلمين و القرآن ـ فضلًا عن المساجد و التكايا (الحُسينيّات) و مجالس العزاء ـ لأنّ كلّ هذه [الأمور] كانت ضدّ رغبات سلاطين الجور، و لهذا أصدروا أوامر هدم القبور أو المنع من إقامة مجالس العزاء [لأهل البيت عليهم السلام]؛ و لقد كان اليوم الثامن من شوّال، و هو يوم هدم قبور

---

(١) أي وسَمهم بِسِمَة و جعل لهم علامات.

(٢) ورد هذا المضمون بتعابير مختلفةٍ في الروايات، للاطّلاع عليها يُمكن مراجعة المصادر التالية: كشف المحجّة، ص١٠٦؛ بحار الأنوار، ج٣٠، ص٨٠؛ ج٣٦، ص٣٥٩؛ كمال الدين، ج١، ص٢٨٥؛ ج٢، ص٤٢٣.

(٣) إشارة إلى الرواية الّتي نقلها صقر بن أبي دلف عن الإمام الجواد عليه السلام، الّتي جاء في فقرةٍ منها أنّه سأل الإمام عليه السلام عن سبب تسمية الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بـ«القائم»، فأجابه الإمام عليه السلام: «لِأَنَّهُ يَقُومُ بَعْدَ مَوْتِ ذِكْرِهِ وَارْتِدادِ أَكْثَرِ الْقائِلِينَ بِإِمَامَتِهِ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٣٧٨؛ بحار الأنوار، ج٥١، ص٣٠ و١٥٨. و قد ورد شبيه هذا المضمون في روايةٍ عن الإمام العسكريّ عليه السلام؛ راجع: كمال الدين، ج٢، ص٣٨٥.

(٤) قال الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله بن سنان: «وَاللّهِ لَيَغِيبَنَّ غَيْبَةً لَا يَنْجُو فِيهَا مِنَ الْهَلَكَةِ إِلَّا مَنْ ثَبَّتَهُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ وَوَفَّقَهُ فِيهَا لِلدُّعَاءِ بِتَعْجِيلِ فَرَجِهِ»، ثمّ ذكر الإمام عليه السلام له دعاء الغريق: «يا أَللّهُ يا رَحْمانُ يا رَحِيمُ يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك». كمال الدين، ج٢، ص٣٥٢؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٤٩.

أئمّة البقيع عليهم السلام، يوم عطلة في الحوزة العلميّة في النجف، و لكنّنا اعتدنا على [التجاوز عن] ذلك شيئًا فشيئًا حتّى بات أمرًا عاديًّا بالنسبة إلينا!

هل يمكن ادّعاء حياة لنا من دون الدعاء بالفرج؟

يجب أن نطلب إلى الله أن يُنجي الشيعة من هذه البلايا، و أن يُوصِل ذا المقدّمة [الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف] دون أن تؤدّي المقدّمات [أي الابتلاءات الّتي تحدث قبل الظهور] إلى ضررهم. فهل يمكن ادّعاء حياة لنا من دون الدعاء بالفرج؟

هو أرأف من الأب و الأمّ

ما أرأف الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالذين يذكرون اسمه و يستصرخونه و يستغيثون به! فهو أرأف بهم [حتّى] من الأب و الأمّ. و إذا كنّا نحن غافلين و لا ندعو و لا نتضرّع، و لا نعتبر بكلّ هذه البلايا و نحسبها كالعدم، فإمّا أنّنا لا نعدّ أولئك مسلمين أو لا نعدّ أنفسنا! و إذا لا نترحّم عليهم لن يترحّم علينا أحد.

ادعوا لي!

يمتلك الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف أسمى العلوم، و لديه الاسم الأعظم [و خواصه و آثاره] أكثر من الجميع، و مع كلّ هذا فإنّه أوصى كلّ من تشرّف بمحضره سواء في المنام أم في اليقظة بأن: «ادعوا لي!».

و في حين أنّه يُحيي الموتى لكنّه نفسه يعيش في سجن وسيع، و ليس له اختيار في حقّ نفسه، و إن كانت له عناية خاصّة بالآخرين خصوصًا في شؤونهم الفرديّة، و أمّا الأمور الاجتماعيّة الّتي تتعلّق بحضرته فلا. و نسأل الله تعالى أن تتقوّى علاقة الشيعة و أهل الإيمان بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لكي يتحلّوا بالصبر و التحمّل في مواضع الصبر. و قد ورد الحديث التالي عن طريق العامّة أيضًا، و هو أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: «أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي انْتِظَارُ الْفَرَجِ»[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٤، ص٤٢٦؛ بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣١٨؛ لقد ورد هذا المعنى في كتب العامّة أيضًا؛ راجع: سنن الترمذيّ، ج٥، ص٣٨٥؛ المعجم الكبير (للطبرانيّ)، ج١٠، ص١٠١؛ كنز العمّال، ج٣، ص٢٧٢.

قل للوالهين إليّ أن يدعوا لي!

يقول أحد الأشخاص الّذي كان يُكثر الذهاب إلى مسجد جمكران: رأيت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في مسجد جمكران فقال لي: «قُل للمحترِقة قلوبُهم علينا أن يدعوا لنا!»، ثمّ غاب عن نظري فجأة، لا أنّه مشى ثمّ غاب عن نظري بالتدريج. و هذا الشخص نفسه كان قد رأى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قبل ذلك بأسبوعٍ في عالَم الرؤيا.

و لكنّ المؤسف أنّ الجميع يذهبون إلى مسجد جمكران من أجل قضاء حوائجهم الشخصيّة، و لا يعلمون كم يلتمس الإمام عليه السلام منهم الدعاء بتعجيل فرجه، كما قال عليه السلام لأحدهم[1]: إنّ الّذين أتوا إلى هنا هم أولياؤنا الجيّدون، و لكلّ واحد منهم حاجة: من بيت، أو زوجة، أو ولد، أو مال، أو قضاء دَيْن و غير ذلك؛ و لكن لا أحد منهم يفكّر فيّ!

نعم، إنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف منذ أكثر من ألف سنةٍ محبوس [في سجن الغَيبة]، و لذا فعلى كلّ من يذهب إلى مكانٍ مقدّس مثل مسجد جمكران لطلب حاجة، أن يطلب إلى الله سبحانه أعظم حاجة لدى واسطة الفيض عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أي فرج الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه.

شَأوا كي نَشاء!

كأنّ الباب و الجدار يقولان لنا: إنّ الكفّار يأتمرون بكم! لا أمر بأيدينا، لكن لا أقلّ من أن نواظب على أمرين: الأوّل: أن لا نفسد الأمور أكثر، إذ لدينا شهوة و غضب، فلا نضيف إليهما شيئًا آخر. الثاني: أن نعلم «من أين أوتينا؟» [يعني من أين أتتنا كلّ هذه المصائب]، أن نعلم أنّهم حالوا بيننا و بين الّذي تترتّب على غَيبته عجّل الله تعالى فرجه الشريف كلّ هذه المفاسد. يجب أن نتوجّه بدعاء المضطرّ إلى ناحية، إذ يكون الفرج من تلك الناحية فقط. فلم تَكَدْ تنقضي أكثر من ثلاثة أسابيع حتّى أرسل أن: قُل للمحترِقة قلوبُهم عليّ أن يدعوا لي بالفرج. لا أعلم ما هو سرّ كلّ ذلك التأكيد منه أن ندعو نحن، و أن يتحقّق هذا الأمر من ناحيتنا، فكأنّه يريد أن يُري مسألتنا للملأ الأعلى. و إلّا فإنّه يقوم بوظيفة العبوديّة في جميع الظروف و يفكّر من أجلنا و من أجل راحة البشر. سمع أحدهم صوتًا ـ و مع توفّر شروطٍ خاصّة و مشاهدة نور ـ أنّه قال: «شَأوا كي نَشاء!».

[1] هو الشيخ إبراهيم صاحب الزماني، و ذلك عندما كان مُعتكفًا في مسجد الكوفة.

ادعوا كي لا يحصل بَداء!

أَمَا يجب أن نفكّر في أن نطلب إلى الشخص الّذي جعله الله [و ادّخره] لإصلاح المجتمع أن يأتي؟ فهو قال في مسجدَي السهلة و جمكران، في اليقظة و المنام، على مسامع عدّة من أوليائه عجّل الله تعالى فرجه الشريف دون أن يروه: «ادعوا فإنّ فرجي قريب»، و بنقلٍ آخر: «قد دنا فرجي فادعوا الله أن لا يحصل بَداء!».

ضرورة الدعاء قبل نزول البلاء

[يقول تعالى:] ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾[1]؛ عند الشدائد و المصائب و الابتلاءات يهتف الجميع [مستغيثين]: «يا أللهُ!». و من المعروف أنّه في مواطن الطوفان [و الإشراف على الغرق] ترتفع الأصوات بالضجيج من جميع مَن في السفينة، من الرجال و النساء و من البرّ و الفاجر. نعم، ففي حال البلاء و الابتلاء و الشدائد تظهر حالة الالتجاء من غير المصلّين بل و من غير المسلمين أيضًا. أفلا ينبغي ـ مع جميع هذه البلاءات النازلة على رؤوس المسلمين ـ أن تحصل لدينا حالة الالتجاء؟! أم ننتظر إلى أن تزيد حالة الشدّة و البلاء و تسوء أكثر؟! نعم، يجب أن تكون لدينا حالة الابتهال و التضرّع و التوسّل في الرخاء، و نكون ملتجئين [إلى الله سبحانه] و شاكرين له، لكي يغيثونا في حالة الشدّة و الابتلاء؛ و إلّا ستحلّ بنا تلك البلايا و الابتلاءات نفسها! لأنّ الكفّار و أعداءنا لا يهدؤون و لا يقرّ لهم قرار، بل هم الآن يضعون الخطط لنا لِما بعد خمسين سنة. أفلا يجب أن نكون ملتجئين في حالة الرخاء، أم نكون كالكفّار إذ هم فقط في حال الشدّة يلتجئون [إلى الله] و فقط في حال الحرب و الشدائد يذهبون إلى الكنائس؟! ألا يجب أن نفكّر [و نحمل هذا الهمّ] و ندعو مع تضرّع و بكاء من أجل الظهور و فرج المسلمين و المُصلح الحقيقيّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟!

التوبة من المعاصي، شرطٌ لاستجابة الدعاء

تشرّف أحد المادحين[2] ـ الّذي تكون له حالات [معنويّة] جيّدة ـ بمحضر صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فقال له: فليقل [المؤمنون]: «وَ عَجِّلْ فَرَجَهُمْ» بعد الصلاة على محمّد و آل محمّد.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٤٣.

(٢) المادح هو قارئ أشعار المدح في فضائل أهل البيت عليهم السلام و الراثي لهم في مصائبهم.

طبعًا من المعلوم أنّ الدعاء بالفرج أمرٌ مطلوب، فإذا لم ندعُ بتعجيل الفرج أو لم نكن جادّين في الدعاء أو لم تكن آثار الجدّيّة [باديةً] فينا، فسينتهي ذلك بإصابة الضرر بدنيانا فضلًا عن آخرتنا، و من شروط استجابة الدعاء التوبة من المعاصي.

و الخلاصة: إذا كنّا قاصرين في الدعاء بالفرج أو نتساهل و نتكاسل و نفتُر و نضعف و لا نطلب هذا الأمر حقيقة [و بنحوٍ جادٍّ]، ففي الواقع نكون لا نريد الدنيا، لأنّ الأمور المخالفة للفرج تضرّ بالناس [و بدنياهم فضلًا عن آخرتهم]، و بدون الفرج لا دنيا للمسلمين[1]، كما أنّنا نرى أنّ الكفّار قد وضعوهم مال مصالحة [و كبش فداء] و جعلوهم شِيَعًا و فرّقوهم، و كلّ واحد منهم يخالف منافعهم يُحرّضون عليه الآخر و يجلسون هم جانبًا، و أيًّا كان المنتصر فالنفع [في النهاية] لصالح الكفّار، و قد كتبوا منذ ثلاثمائة سنة: يجب أن يُسمَّم ماء المسلمين و تُحرق مزارعهم، حتّى يستسلموا بأيسر هجومٍ [عليهم].

الدعاء بالفرج أهمّ حاجة تُطلب في الحجّ

عندما تذهبون إلى الحجّ اطلبوا إلى الله أهمّ الحاجات، و هي فرج وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي هو فرج البشريّة، و بعدها اطلبوا إزالة الحكومات الفاسدة و الجائرة.

أهمّ دعاء في أثناء الاعتكاف

[قال سماحة الشيخ البهجة قدّس سرّه بمناسبة أيّام الاعتكاف:] إن شاء الله عندما يتشرّف السادة و يوفّقون للاعتكاف، يجب أن يتذكّروا أنّ أرقى [و أعظم] دعاء و أهمّه هو تعجيل الفرج، إذ [بتحقّق الفرج] سيكون المسلمون بل البشريّة [جمعاء] في نجاةٍ. و من ثمّ [الدعاء برفع] هذه الفتن الحادثة [نسأل الله أن يحفظ الشيعة قبل الظهور من البلايا الّتي سوف تنزل بهم. هل تعلمون ماذا سيحلّ عليهم؟ لا طاقة لنا على سماعه! الأهمّ هو الحفظ من الفتن قبل الظهور]، يجب أن يطلبوا إلى الله أن يشغل الظالمين بالظالمين و أن ينجي المسلمين و المؤمنين من هذه الحوادث و من هذه الفتن. و بعدها إذا كانت لأحدٍ حوائج شخصيّة خاصّة فلا مانع [من أن يطلبها]، فالأهمّ هذا الّذي ذُكر.

(١) حتّى إنّ المصالح الدنيويّة لا تبقى لهم فضلًا عن المنافع الأخرويّة.

❁ فلنذهب إلى جمكران و لندعُ

يقولون نحن مسيحيّون، متى كانوا يؤمنون بالمسيح عليه السلام و هم يشنّون حروبًا كهذه؟ يجب أن نذهب إلى المساجد و بالخصوص مسجد جمكران و ندعو [هناك] للمسلمين المشغولين بالقتال.

❁ يجب التوسّل بشخص وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف

في هذه الفتن الأخيرة[1]، يجب الإكثار من [قراءة] دعاء «اللهمّ اشغل الظالمين بالظالمين». فالظالمون يريدون أن يقضوا على المسلمين بذرائع واهية و كاذبة و بأيّ حجّة كانت، يجب التوسّل بوليّ العصر عجّل الله فرجه الشريف و الطلب إليه أن يردّ هذه الفتن إلى [نحور] الظالمين أنفسهم.

❁ دعاء الغريق

اللّهم صلّ على محمّد و آل محمّد و اجمع لنا العِلم النافع مع العمل الصالح، و اجعلنا في الدنيا و الآخرة مع الثقلين، أعني القرآن و العِترة الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين، حتّى نرجع في مُبهمات القرآن إلى واضحات العِترة عليهم السلام و موضحات العِترة عليهم السلام، و نرجع في مُبهمات العِترة عليهم السلام إلى «ما وافق الكتاب فخُذوه و ما خالفه من رواياتنا فذَروه»[2]، حتّى نرجع في مُبهمات الأحاديث إلى واضحات القرآن.

فليحفظنا الله مع وجود كلّ هذه الانحرافات الّتي نشاهدها في أكثر أهل الأرض و الّتي كانت سابقًا. هذا الانحراف كان منذ يوم السقيفة، بل إنّها ظهرت منذ زمن رسول الله صلّى الله عليه و آله نفسه[3]. [علماء العامّة] يقولون: لو لم يكن تعيين الخليفة أمرًا مستحبًّا لاقتضى اللطف[4]

---

(١) قال سماحته هذا الكلام عند هجوم الجيش الأمريكيّ على تنظيم القاعدة و حركة طالبان في أفغانستان.

(٢) راجع: الفصول المختارة (للمفيد)، ص١٧٧.

(٣) أي أنّ هناك انحرافات كثيرة ظهرت منذ زمن رسول الله صلّى الله عليه و آله نفسه، مثل التخلّف عن الالتحاق بجيش أسامة على الرغم من إصرار النبيّ صلّى الله عليه و آله على تنفيذ أمره إليهم بالمسير و تكراره عدّة مرّات، أو عندما طلب صلّى الله عليه و آله قُبيل وفاته إلى أصحابه أن يعطوه كتفًا و دواة ليكتب لهم كتابًا لن يضلّوا بعده أبدًا، لكنّهم استنكفوا عن تنفيذ أمره بل قال الخليفة الثاني إنّ الرجل ليهجر!! و مواقف أخرى قد جرى ذكرها في كتب الفريقين.

(٤) اللّطف قاعدة كلاميّة تُستعمل أحيانًا في علم الأصول، يعرّفه العلّامة الحلّيّ رحمه الله أنّه: «ما كان المكلّف معه أقرب إلى الطاعة و أبعد من فعل المعصية و لم يبلغ حدّ الإلجاء»؛ راجع: كشف المراد، ص٣٢٤.

أن يكرّر [النبيّ ﷺ الطلب إليهم أن يأتوه بدواةٍ و كتف]. الجواب [عليهم] هو أنّه ﷺ قد كرّر ذلك، لكن لم تكن هناك آذان واعية! [قوله ﷺ] «قوموا عنّي» كان تكراره، و لكن من ذا الّذي يفهم هذا![1] فـ «قوموا عنّي» يعني تكرار قوله «ائتوني بكتاب»[2]. و لكن إذا غاب العقل يستقيل كلّ شيء (أي يتعطل الإدراك و الفهم)![3]

لذلك فلندعُ الله بالدعاء الّذي قاله الإمام الصادق عليه السلام قبل أكثر من ألف سنة لأيّامنا هذه، أي زمن الغَيبة: «يَا أَللهُ يَا رَحْمَانُ يَا رَحِيمُ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ».

و يذكر البعض أنّ الراوي قال: «مقلّب القلوب و الأبصار»، فقال الإمام عليه السلام: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ وَلَكِنْ قُلْ كَمَا أَقُولُ لَكَ»[4]، و كأنّ ذلك يكون تعبّدًا خاصًّا، و الحال أنّ الأبصار لا دخل لها بالتديّن و حفظ مرتبة التديّن و إنّما البصائر [التي لها مدخليّة][5]، في حين أنّ «يا مقلّب القلوب» لها مدخليّة و الأبصار ليس هنا محلّها، و قد التفت إلى ذلك السيّد ابن طاوس فذكره؛ و لهذا [أي عدم مدخليّة الأبصار] قال الإمام عليه السلام لا تقل مقلّب القلوب و الأبصار و قل كما أقول. و عليه فحسب الظاهر ليس هناك طريق إلى النجاة سوى أن لا نسحق تحت أرجلنا هذه الأمور الّتي تركوها لنا [أي تعاليم أهل البيت عليهم السلام و معارفهم و توصياتهم و أدعيتهم]، فلا نظنّ أنّ الدعاء أمرٌ غير لازم لأنّه مستحبّ! فهل عدم

---

(١) و لمّا كان تعيين الخليفة لا تُحتمل فيه الإباحة فضلًا عن الكراهة و الحرمة، فإنّ الأمر يدور حينئذٍ بين الوجوب و الاستحباب. و لأنّ علماء العامّة يريدون إثبات الاستحباب، فقد قالوا على طريقة القياس، أوّلًا: لو لم يكن مستحبًّا و كان واجبًا، للزم أن يكرّر النبيّ ﷺ عليهم طلبه استنادًا إلى قاعدة اللطف، ثانيًا: أنّه ﷺ لم يكرّره، و على هذا فالتعيين ليس واجبًا. و قد أجاب سماحة الشيخ قدس سره ببطلان المقدّمة الثانية.

(٢) نَسَبَ الخليفة الثاني الهذيان إلى رسول الله ﷺ عندما حضرته الوفاة حين أراد أن يكتب لهم كتابًا لن يضلّوا بعده أبدًا، و في تلك الأثناء نشب شجار بين الحاضرين، و عندما رأى الرسول ﷺ ذلك قال: «قُومُوا عَنِّي»، راجع: الأمالي (للمفيد)، ص٣٦ و٣٧.

(٣) أي لا يستطيع بعدُ فهم هذه الواضحات و المسلّمات!

(٤) علّم الإمام الصادق عليه السلام دعاء الغريق لعبد الله بن سنان بهذه الكيفيّة: «يا أَللهُ يا رَحْمانُ يا رَحِيمُ يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ». لكنّ عبد الله بن سنان قرأه هكذا: «... يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ وَ الْأَبْصارِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك». فقال له الإمام عليه السلام: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ، وَلَكِنْ قُلْ كَمَا أَقُولُ لَكَ: يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٣٥٢؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٤٩.

(٥) «الأبصار» في اللغة جمع كلمة «بَصَر»، بمعنى الرؤية الظاهريّة، أمّا «بصائر» فهي جمعٌ لكلمة «بصيرة» بمعنى الفهم و الفِطنَة و النَّباهة، و مقصود سماحة الشيخ قدس سره أنّ حفظ الدين لا يرتبط بالرؤية الظاهريّة، و لذا فإنّ استخدام تعبير «الأبصار» لا يتناسب مع دعاء حفظ الإيمان.

الخروج من الدين مستحبٌ؟ هل «ثَبِّت قَلْبِي عَلَى دِينك» مستحبٌ؟! يعني هل سواء ثبت الإنسان على دينه أم لم يثبت لم يكن أتى بفعلٍ حرام؟! هل الأمر كذلك؟! يجب أن نكون متنبهين، فالذين ينكرون الواضحات ليسوا ببشر، أين هو الإنسان! و ها أنتم الآن ترون أنّ الحرب دائرة بين الإنسان و اللاإنسان!

الدعاء بالثبات على الدين

إذا كان الصراط الّذي فوق جهنّم ـ و هو «أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ»[1] ـ يبدأ من هذه الدنيا ـ و هو هكذا فعلًا ـ فإنّ أقلّ غفلة، و لو للحظةٍ كفيلة أن تسقطنا عنه، و إذا سقطنا يمكن أن ننهار للآخِر [و ننقلب إلى أسفل السافلين]! لذلك يجب أن ندعو جميعًا من أجل الثبات على الدين و الكون على الصراط المستقيم، بهذا الدعاء في زمن الغَيبة:

«يَا أَللَّهُ يَا رَحْمَانُ يَا رَحِيمُ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»[2].

هذه الأيّام هي وقت قراءة هذا الدعاء، فإذا لم نقرأه الآن فمتى نريد أن نقرأه؟!

هناك سرٌّ في قراءة هذا الدعاء في عصر الغَيبة!

قالوا إنّهم رأوا في حرم سيّد الشهداء عليه السلام شيخًا جالسًا بمحضر سيّد جليل، و كان [السيّد] يحدّثه عن ظهور إمام الزمان عليه السلام. فقال الشيخ بذهنٍ خالٍ و من غير التفات: البعض مُنكِر لذلك. فانتفخت أوداج السيّد و قال: نعم، و الله إنّه سيأتي و ينتقم منهم. قال الشيخ: هل أُدرِكُ أنا ظهور حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟ أجاب: «إنْ عَيّشَكَ اللهُ!». و الظاهر أنّ هناك سرًّا في التوصية بقراءة دعاء «اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَك»[3] في عصر الغَيبة. و قد أوصونا بقراءة الدعاء التالي أيضًا:

«يَا أَللَّهُ يَا رَحْمَانُ يَا رَحِيمُ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»[4].

---

(١) الكافي، ج٨، ص٣١٢؛ تفسير القمّي، ج١، ص٢٩.

(٢) كمال الدين، ج٢، ص٣٥٢؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٤٩.

(٣) أوصى الإمام الصادق عليه السلام زرارة إنْ أدرك زمان الغَيبة بأن يقرأ هذا الدعاء: «اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ [رَسُولَكَ]، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي»؛ الكافي، ج١، ص٣٣٧؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٤٦.

(٤) كمال الدين، ج٢، ص٣٥٢؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٤٩.

أهمّيّة الدعاء من أجل تثبيت الإيمان و العقيدة

إنّ الأهمّ من الدعاء بتعجيل فرج الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو الدعاء ببقاء الإيمان و ثبات القدم في العقيدة و عدم إنكار حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف حتّى حين ظهوره؛ لأنّ الموت ليس إلّا انقطاع للحياة الدنيويّة الفانية ذات الأيّام المعدودة، في حين أنّ الخروج من العقيدة الصحيحة يستوجب الهلاك الأبديّ في الحياة الأخرويّة الدائمة و الخلود في جهنّم؛ و لهذا سأل أمير المؤمنين عليه السلام رسول الله صلّى الله عليه و آله: «أَفِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِي؟»[1].

أي أنّه سأل حضرته صلّى الله عليه و آله عن الاستقامة في الدين و ثبات الإيمان و العقيدة إلى حين الشهادة، و الّتي هي أعلى من الشهادة نفسها.

هذا الدعاء عالٍ جدًّا [و في غاية الأهمّيّة] و قد أُمر بأن يُقرأ في عصر الغَيبة: «يَا أَللّهُ يَا رَحْمَانُ يَا رَحِيمُ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك»[2].

الدعاء مع الاستعداد

من الجيّد أن يلتفت الّذين يدعون بتعجيل الفرج إلى أن يكون هذا الدعاء لصالحهم هم أيضًا [و يدعوا بهذا]، و لا يكونوا على نحوٍ بحيث حين تنفيذ أعماله عجّل الله تعالى فرجه الشريف يطيقونها مكرهين و لا يكونوا مهيّئين!

ادعوا بهذا الدعاء أيضًا!

عندما تدعون بفرج إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف فادعوا بدعاء آخر أيضًا: «وَاجْعَلْ لَنَا فِي ذَلِكَ الْخِيَرَة»[3]، لأنّنا إذا ارتَدَدْنا [عن إيماننا] قبل الظهور فلا ينفعنا الظهور بعد!

---

(١) ورد في الروايات أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد طرح هذا السؤال على رسول الله صلّى الله عليه و آله عدّة مرّات، إحداها بعدما أخبره رسول الله صلّى الله عليه و آله عن الفتن المشحونة بالعداوة و البغضاء الّتي سيشهدها عليه السلام بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه و آله؛ (شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد)، ج٤، ص١٠٨؛ بحار الأنوار، ج٣٤، ص٣٣٩). و قد تكرّر السؤال نفسه أيضًا بعدما أنبأه رسول الله صلّى الله عليه و آله بكيفيّة شهادته عليه السلام؛ (الأمالي (للصدوق)، ص٣٦٨؛ فضائل الأشهر الثلاثة، ص٧٩؛ تسلية المجالس، ج٢، ص٤٢٧).

(٢) كمال الدين، ج٢، ص٣٥٢؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٤٩.

(٣) لقد ورد هذا المعنى في بعض الأدعية أيضًا؛ راجع: مصباح المتهجّد، ج١، ص٣١٤؛ إقبال الأعمال، ج١، ص٨٥؛ مهج الدعوات، ٣٣٣.

الدعاء بتعجيل الفرج مصلحة الدنيا و الآخرة

هناك جماعة يغفلون عن الدعاء بتعجيل الفرج في هذه الأزمنة، و [النتيجة] أنّهم غفلوا عن مصالحهم الدنيويّة و المصالح الدنيويّة لأهل الدين، فضلًا عن [مصالح] الآخرة. حسنًا، إذا لم يغفل المرء و دعا بتعجيل الفرج، فهل يكفي هذا؟ أظنّ أنّه غير كافٍ! بل يجب [على المرء] أن يدعو بأن يُقرَّر هذا الأمر و الشيعة في خير و عافية. [و أن يكون] مع نجاة الشيعة من البلايا الّتي تحدث قبل الظهور. الله يعلم إيمان مَن يبقى محفوظًا [فيها]! فهل هذه [الإخبارات] مزاح؟ [هل يصحّ القول:] من الممكن أن لا تتحقّق قضيّة السفيانيّ، أو إن كانت محقّقة فسيكون السفيانيّ رجلًا صالحًا؟! فهل كلمات [من قبيل] أنّه يقتل الشيعة على الاسم [و الهويّة] ليست قطعيّة؟!

الدعاء بتعجيل الفرج المصحوب بالعافية

العمل الّذي لا يمكن لأيّ شخصٍ أن يدّعي عدم قدرته على أدائه هو الدعاء من صميم قلبه بتعجيل الفرج المصحوب بعافية الشيعة و نجاتهم، فهم لم يبقَ فيهم رمق. هذا الأمر يجب أن يتحقّق، و إن لم يتحقّق تأكل الكلابُ و الخنازير الشيعة، كما نشاهده الآن، يأكلونهم و يشربون عليهم الماء! عندما كان [صدّام اللعين] يضرب إيران بالأسلحة الكيميائيّة لم يقولوا له شيئًا [و لم يعترض عليه أحدٌ و لو ببنت شفة]، و لكن عندما أراد أن يضرب الحجاز عارضوه بقوّة [قائلين] إنّه حرام و هو جناية و توحّش، لكن ضدّ إيران لا يكون [الأمر كذلك و لا يعترض أحدٌ منهم]! فالمقصود أنّه يجب أن يتحقّق هذا الأمر [أي الدعاء بالفرج المصحوب بالعافية]، و إلّا فإنّ هذين الهرج و المرج سيشتدّان و يقويان و يستمرّان أيضًا. نحن نعلم أنّ الظهور سيتحقّق «بَعْدَما مُلِئَتْ ظُلْمًا وجَوْرًا»، إذ ليس الأمر أنّ الجميع سيكونون سعداء و يأتي هو و يجلب لهم التعاسة، بل [في تلك الظروف] يكون الجميع تعساء فيأتي هو و يجلب السعادة لهم. يجب أن يتحقّق [الظهور]، فجميعنا محتاجون إلى أن يأتي هذا المصلح، حتّى الكفّار، سواء أيؤمنون بذلك أم لا، و هذا لا يتحقّق إلّا «بَعْدَما مُلِئَتْ ظُلْمًا وجَوْرًا»؛ و هذه أمور يقينيّة، و ستحصل على كلّ حال، يجب أن يظهر، و المسألة (أي امتلاء الأرض ظلمًا) خارجة عن اختيارنا تقريبًا، لأنّه إن كنّا نؤمن فإنّنا نعلم بأنّه سيأتي [و لكن] سيأتي «بَعْدَما مُلِئَتْ ظُلْمًا وجَوْرًا»، و لكن تلك المرتبة المتبقيّة من [معنى] «مُلِئَتْ» مجهولة لدينا.

قد وصل النّصل إلى حدّ العَظم!

يجب في كلّ حال [و في أيّ زمان] أن ندعو بتعجيل الفرج و رفع الاضطرابات و الابتلاءات، و نجاة المؤمنين و إصلاح حالهم، فنقول: «اللهم اكشِفْ هذِهِ الْغُمَّةَ عَنْ هذِهِ الأُمّةِ بِظُهُورِهِ»[1]، لأنه على إثر الظلم و الجور و البلاء و الشّدّة الّتي تُصبّ على رؤوس المسلمين و لا سيّما أهل الإيمان، قد وصل النصل إلى حدّ العظم حقيقة.

لم تعد هناك قدرة على التحمّل عند الشيعة!

ماذا ينبغي أن نفعل الآن؟ نعلم أنّ وظيفتنا هي الدعاء بالفرج، و نعلم أيضًا أنّ مقدّمة الفرج هي «مُلِئَتْ ظُلْمًا و جَوْرًا»؛ إذًا ماذا ينبغي أن نفعل؟ **قهرًا يجب** أن ندعو على هذا النحو بأن يكون تعجيل الفرج مصحوبًا بعافية الشيعة؛ «**وَ اجْعَلْ لَنا في ذلِكَ الْخِيَرَةَ**». فلم تعد هناك قدرة على التحمّل عند الشيعة! فلم تعد! فلم تعد! لقد وقعت حوادث في الشيعة لا تُحكى! و من عرف بنفسه فقد عرف، لكن ليس من المصلحة أبدًا أن نجلس و نخبر البعض! بالنهاية تجب الوقاية، فما دام لم يحدث يجب أن يُتوقّى [و ليحذر]، يجب أن نكون منتبهين. حذارِ أن يحصل لدينا قصور أو تقصير في الدعاء من صميم القلب. [لا ينبغي القول إنّ هذه البلاءات] لن تصيبنا! فهل ندعو عندما تصيب الرماح صدورنا؟ [ليس كذلك، بل] يجب الدعاء الآن بنجاة الشيعة ليأتي المُنجي، و أن يأتي بحيث يكون [ظهوره] مقرونًا بعافية الشيعة.

لنجاة البشر طريقٌ واحد فقط!

الوَيل لنا إن لم نُركّز نظرنا في هذه النكتة: إنّ لنجاة البشر ـ فضلًا عن الموحّدين و المسلمين و المؤمنين ـ طريقًا واحدًا، فقط طريق واحد لا طريقان! فما لم يتحقّق الظهور، لكلّ واحد منهم تكليف، هذا واضح و لا يحتاج إلى بيان؛ قد يخطو الإنسان أحيانًا في هذا الطريق و أحيانًا في ذاك الطريق، لا نستطيع أن نصبر على عدم تحقّقه و لا يمكننا أن نصبر على تحقّقه[2]؛ ماذا يجب أن نفعل؟ و بعد القيام بالوظائف الأخرى، كيف يجب أن ندعو؟ [كما

(١) بحار الأنوار، ج٨٣، ص٢٨٦.

(٢) يعني لا يمكننا الصبر على عدم تحقّق علامات الظهور لأنّ فرجنا في الظهور، و مقدّمة حصول الفرج هي تحقق هذه

ذُكر سابقًا] الدعاء بتعجيل الفرج المصحوب بنجاة الشيعة و عافيتهم، المصحوب بعافية أهل الإيمان و مَن هو بحُكمِهم. الله يعلم كم من قاصرٍ بين الكفّار[1]، هذه العقول الّتي نراها في غير الكفّار [تكون قاصرة أحيانًا]، ففي الكفّار تكون المسألة أوضح: عبّاد الأحجار (الأصنام) و عبّاد الشمس، و عبّاد الأخشاب!

نقدّم الحاجة العظمى على حوائجنا الشخصيّة

نقل أحدهم عن الشيخ صاحب الزمانيّ، الّذي كانت وفاته في الأسبوع نفسه الّذي تُوفّي فيه الشيخ عبد الكريم الحائريّ: كنّا معتكفين في مسجد الكوفة، و كنّا مجموعات كثيرة، و في إحدى الليالي رأيت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الرؤيا، فقال: انظر، هؤلاء من نقباء الجمع و من أخيارهم، لكن كلّ واحد منهم جاء [لطلب] حاجة، ذاك يريد بيتًا، و ذاك عنده مريض، و ذاك هو نفسه مريض [و يطلب الشفاء]، ذاك يريد مالًا، ذاك يريد قضاء دَينه، ذاك يريد زوجة، ذاك يريد و ذاك يريد. و هكذا عدّد الحاجات و كيف أنّهم يطلبون أمثال هذه الحوائج، و [تابَع عجّل الله تعالى فرجه الشريف كلامه:] لكن لا أحد يفكّر فيّ، و لا أحد يطلب قضاء حاجتي أنا، و لا أحد يدعو بظهوري و فرجي على نحوٍ جادّ!

عجيبٌ جدًّا! إذ إنّ الإنسان يجعل في الشدائد وسيلة [و شفيعًا إلى الله تعالى] لقضاء حاجته، و طبعًا يجب أن يقدّم وسيلة [و هذا هو المطلوب] و ينبغي للإنسان أن يفعله، إذ يريد حاجته من الله و لا يمكنه أن لا يستقضيها منه، ثمّ في تلك الشدّة و الاضطرار يعلم أنّ الّذي قدّمه وسيلة بين يديه، هو نفسه عجّل الله تعالى فرجه الشريف لديه حاجة أشدّ و أهمّ و أكثر لزومًا، و الدعاء له أنسب [و أرجح]، فالقاعدة تقتضي: أنّ الشخص الّذي يريد أن يطلب قضاء حوائجه، أن يجعلها في مرتبةٍ متأخّرةٍ، و يُقدّم تلك الحاجة العظمى و هي فرج الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

إنّ ابتلاءه ابتلاءُ البشريّة كافّة، و فرجَه فرجُها

و كأنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يطلب إلينا أن يكون اعتكافنا و توسّلنا و دعاؤنا لخصوص فرج حضرته

العلامات، و لا يمكننا الصبر على تحقّق هذه العلامات لأنّ تحقّقها صعب جدًّا تصاحبه الابتلاءات الشديدة الصعبة، و نتيجتها امتلاء الأرض ظلمًا و جورًا.

(١) أي يوجد بين الكفّار أشخاصٌ ليسوا مقصّرين بل هم قاصرون، و على إثر ترويج الأعداء لطريق السوء و الضلال، و أيضًا بسبب قصورنا أو تقصيرنا نحن في تبليغ الدين الأصيل، لم يتعرّفوا إلى الدين الحقّ كما هو.

و ظهوره، و لكنّا نخاطبه و نقول: «خرج العالَم من يدنا، فضَع أنت القدم في المركب!»[1]. أو نقول: «اظهر يا يوسُف الزهراء!». غافلين عن أنّه أيضًا يتمنّى الظهور من الله. فهل مسألة ظهوره بيده حتّى نطلب إليه أن يظهر و يخرج من السجن؟! بل يجب أن نطلب إلى الله جميعًا كي يأذن بظهوره. هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا منتظر لأمر الله و إلهاماته كي يظهر و يُعرّف نفسه[٢]، و ينجو من الغربة و النزوح؛ فابتلاؤه ابتلاء جميع البشر، و نجاته و فرجه نجاتهم و فرجهم، و يكون فرجه للجميع.

يجب أن يكون الدعاء مع حرقة قلبٍ و دمعة عين

يجب أن يراعي أولياء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أمرَين مهمّين:

الأوّل: أن يدعوا بالفرج في الشدائد، و هذا بنفسه بشرى بأنّ الشدائد تتّصل بالفرج.

الآخر: أن يدعوا بأن يكون ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مصحوبًا بالعافية لأهل الإيمان، و أن يكونوا ثابتي القدم على الدين و راسخين فيه و عاملين بالتكليف على الرغم من وجود البلايا و الشدائد إلى حين الظهور؛ لأنّنا لم نرَ و لم نقرأ أن تدوم الحرب بين الإخوة ثماني سنين[٣] و أيّ حربٍ هي! تمطر فيها اللهب و القذائف و الصواريخ على رؤوسهم و هم في البيوت، حتّى على الّذين لم يذهبوا إلى الحرب و لم يحضروا في الجبهات!

نسأل الله أن يكون ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف عاجلًا و قريبًا و مصحوبًا بعافية أهل الإيمان! «**وَ اجْعَلْ لَنَا فِي ذَلِكَ الْخِيَرَةَ وَ الْعَافِيَةَ**»[٤]، لأنّنا لا نملك إيمان مِيثم التمّار الّذي كلّما اشتدّ البلاء قويَ إيمانه و ازداد! فمع ضعف إيماننا هذا، من أين نعلم أنّنا سنبقى ثابتي القدم في الابتلاءات و البلاءات و الشدائد؟! من أين نعلم أنّنا لن نخرج من الدين في باطننا أيضًا؟!

---

(١) أصل هذا البيت باللغة الفارسيّة: «عالم زدست رفت، تو پا در رکاب کن!»، و المعنى أنّ الأمر خرج من يدنا و لا قوّة لنا بعدُ و لا حَول، فكن أنت مَن يمنّ علينا بالقوّة و يساعدنا.

(٢) «عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقَ عليه السلام يَقُولُ:... صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ يَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمْ وَيَمْشِي فِي أَسْوَاقِهِمْ وَيَطَأُ فُرُشَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَهُ حتّى يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ نَفْسَهُ كَمَا أَذِنَ لِيُوسُفَ حِينَ قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾»؛ الغيبة (للنعمانيّ)، ص١٦٣و١٦٤.

(٣) المقصود هو الحرب الّتي اندلعت بين العراق و إيران.

(٤) إرشاد سماحة الشيخ قدّس سرّه هذا مُستفادٌ من مضمون بعض الأدعية الّتي ذُكرت من أجل تعجيل فرج الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. راجع: إقبال الأعمال، ج١، ص٨٥؛ مهج الدعوات، ص٣٣٣؛ بحار الأنوار، ج٩٢، ص٣٣٦؛ ج٩٤، ص٣٤٩.

فقد يحصل شكّ و تردّد للكثير من الناس على إثر الصعوبات و المشكلات و البلايا، و مثلًا يتوقّعون أن يكون الآن زمان ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لماذا لم يظهر و... .

من هنا يجب أن نعلم ماذا ينبغي أن نفعل لرفع كلّ هذه البلايا و كيف يجب أن ندعو و نتوسّل، و ما هي شروط الدعاء و موانعه. ربما تكون أعمالنا هي السبب في نزول بلاءات كهذه. و عليه، يجب أن نتخلّى [و نتوب] عن ما كنّا نرتكبه و نوطّن النفس على عدم العود [أبدًا]. فإذا كنّا ندعو دعاء جادًّا و حقيقيًّا لرفع هذه البلايا و الملمّات و دفعها، ما كان هذا ليحصل. هل يُشترط في الإنسان الداعي أن يكون سلمان رحمه الله؟ كلّا، بل [يكفي] أن يحترق قلبه و يدعو بلوعة قلبٍ و دمعة عين، حتّى لو كان عند الله فاسقًا من الطراز الأوّل! لأنّه من المعلوم أنّ الله لا يريد أن يُهلك أحدًا منهم، و إلّا فإنّ الأمر برمّته يكون بين «كافٍ» و «نون» أي «كُنْ»[1]. و حتّى هذا مجرّد تعبير، و إلّا فإنّ الله بسيطٌ لا يحتاج إلى اللفظ و اللّسان، بل كلّ ما يريده تعالى يتحقّق مباشرةً بدون كافٍ و نونِ «كُن»، لذلك لا ينبغي للإنسان أن ييأس.

نلجأ إلى الله، و نسأله أن يُنبّهنا حتّى لا نتخلّى عن الثقلين. فلأنّنا تخلّينا عنهما صُبّت هذه البلايا على رؤوسنا. يجب أن نضع دائرة من [آيات] القرآن و التوسّلات لتحيط بأهل الإيمان و تحفظهم. حذارِ أن نضلّ الطريق، نلجأ إلى الله! جميع البلايا تكون من أهل الكفر، مع ذلك نلتجئ إليهم للنجاة، و نلتجئ إلى أعداء الله و نحتمي بهم!!

كيف ندعو بتعجيل الفرج؟

المسلمون أذلّاء في يد الكفّار، و الكفّار متسلّطون على المسلمين و حاكمون عليهم بأموال المسلمين أنفسهم و ثرواتهم[2]. أَليس فرحنا، مع كلّ هذه الذلّة و الضّعَة و الأسر و الاستعباد، غفلة و غرورًا؟! كيف يجب أن يكون حال الأغنام الّتي لا حاميَ لها و لا ناصر و لا راعيَ، و الذئاب المفترسة انقضّت عليها من كلّ حدَبٍ و صوب؟!

الله يعلم كيف يجتمع الكفّار و كيف يخطّطون لإذلال الممالك الإسلاميّة و استعبادها و استرقاقها! كم يجب أن نفكّر في الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ندعو بتعجيل فرجه؟! فمن

(١) إشارة إلى آياتٍ قرآنيّةٍ مثل الآية ١١٧ من سورة البقرة.

(٢) كما نرى الآن أنّ مصير أغلب البلدان الإسلاميّة و أبنائها و أموالها في أيدي حكّامٍ عبيد للكفّار و مطيعين لهم.

المُتيقّن به أنّ الدعاء بتعجيل فرج الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالیٰ فَرَجَهُ الشَّریف مؤثّر، لكن ليس ذاك الّذي هو لقلقة لسان و تكون «عَجِّلْ فَرَجَه» جافّة و جوفاء و الذكر المعهود الّذي يُقال في ختام المجالس و الخطب كي يقوم الناس من مواضعهم! فيجب أن نكون متأثّرين و مهمومين و مغمومين بصدقٍ و جدّيّةٍ، و نطلب إلى الله تعالى أن يزيل و يختم فاصلة الألف و زيادة الّتي حالت بين الناس و واسطة الفيض. إنّ الدعاء مع الإقبال و الحزن و الشكوى و التأثّر القلبيّ غير متحقّق من [ناحية] الناس، فلو كان متحقّقًا لم يكن الأمر هكذا قطعًا![1]

إنّ للفرج وقتًا معيّنًا يظهر الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالیٰ فَرَجَهُ الشَّریف فيه.

الدعاء الحقيقيّ قليل جدًّا!

أنشَدَ أحد شعراء العرب البيت التالي عن أهل البيت عليهم السلام:

مُشَرَّدُونَ نُفُوا عَنْ عُقْرِ دارِهِـمُ　　كأَنَّهُمْ قَدْ جَنَوْا ما لَيسَ يُغْتَفَرُ[2]

فهل حقًّا كان ينبغي أن يصل أمرنا إلى الحدّ الّذي يكون فيه أوصياء النبيّ عليهم السلام مضطهدين و صاغرين بيننا إلى هذه الدرجة؟! لقد أدّينا امتحاننا في حقّ الأئمّة عليهم السلام الّذين كانوا حاضرين بيننا [و فشلنا في ذلك]، و إذا ظهر إمام الزمان عَجَّلَ اللهُ تَعالیٰ فَرَجَهُ الشَّریف أيضًا، فمعلوم ماذا سنفعل به! إنّنا لم نتُب من سوء تصرّفاتنا مع الأئمّة الأحد عشر السابقين عليهم السلام، فهل سنتوب [من سوء تصرّفنا] مع الإمام الثاني عشر عليه السلام؟! نُقِل عن الشيخ الزاهديّ قوله: «لا تدعوا بتعجيل الفرج! لأنّه دعاء من أجل ارتكاب المعصية، فهل تريدون أن يأتي حتّى نقتله هو أيضًا؟!»[3]

إذا كنّا نعلم أنّ لدعائنا أثرًا و مع ذلك لا ندعو فسوف نكون مقصّرين، و لكنّ الله تعالى يعلم مَن هم أهل الدعاء! كنّا نظن أنّ هذا العمل [أي الدعاء] يمكن أن يأتي به كلّ أحد، و أنّه عمل العَجَزة، و لكن اتّضح أنّه ليس عمل أيٍّ كان! نعم، لقلقة اللسان كثيرة، و يمكن أن يقوم بها أيّ شخص، و لكنّ الدعاء الحقيقيّ بشروط الدعاء و الاستجابة له قليلٌ جدًّا!

---

(١) ينقل أحد الفضلاء: «ذات مرّة قال لي سماحة الشيخ رحمه الله: هل تتشرّفون إلى المسجد؟ ففهمت أنّه يقصد مسجد جمكران، فقلت: نعم. فقال: قولوا في السجدة بقلبٍ صافٍ: اللهمّ عجّل لوليّك الفرج».

(٢) بيت شعرٍ من قصيدةٍ لدعبل الخزاعيّ رحمه الله؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٢٦٦؛ مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٢، ص٢١٣.

(٣) طبعًا إنّ الشيخ الزاهديّ كان يقول هذا الكلام كناية، و مقصوده أنّه يجب طاعة الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالیٰ فَرَجَهُ الشَّریف و ترك مخالفته إضافة إلى الدعاء بتعجيل فرجه، و الدعاء وحده غير كافٍ.

الغفلة عن الدعاء بأهمّ حاجة!

نحن نعدّ أنفسنا من أولياء الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشریف و حاشيته، و لكنّا نتساهل في هذا الأمر أي الدعاء بتعجيل فرجه! إنّ ظهور الإمام أهمّ حاجاتنا، و لكنّنا نقول: [دعاء] «عَجِّلْ فَرَجَه»، فقط حتّى نُعلِمِ الآخرين بأنّ المجلس قد انتهى، أو أنّه في حالات الازدحام نذكر الصلاة [على محمّد و آل محمّد] حتّى يتفسّح الناس، لا أنّنا فعلًا نريد أن نصلّي [على محمّد و آل محمّد]، بل إنّه داعٍ على الداعي[1].

معَ أنّنا نعلم أنّه عجّل الله تعالی فرجه الشریف واسطة بيننا و بين الله، إلّا أنّنا لا نفكّر فيه! فيا ليتنا نعلم أنّ احتياجه إلينا و إلى دعائنا يعود بالنفع إلينا نحن، و إلّا فقُربه و منزلته عند الله معلومان.

بسط العدالة

إذا كنّا نريد الدنيا يجب أن نطلب الناصر الحقيقيّ، و أمّا [إذا كنّا نريد] الآخرة فالأمر معلوم طبعًا. نعم، هناك بشارة للمؤمنين أنّ العبادة في حال الغَيبة أفضل من العبادة في حال الحضور[2]. [يسأل أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام و يقول:] إذًا ألا ندعو بعدُ بظهور الإمام عليه السلام؟ فقال الإمام عليه السلام: ألا ترغبون في أن يبسط العدل في الدنيا بأسرها؟![3]

---

(١) كلمة الداعي تعني «القصد و النيّة للقيام بالعمل»، و «الداعي على الداعي» هنا يعني أنّ الصلاة على محمّد و آل محمّد صلی الله علیه و آله عمل قُربيّ مستحبّ يجب أن يؤتى بداعٍ إلهيّ، و لكن الداعي لإيجاد هذا الفعل هو إعلان نهاية المجلس أو تفسّح الناس، من هنا فمع أنّ هذه الصلوات عمل خير و إلهيّ لكنّه لم يتحقّق بسبب الداعي الإلهيّ بل في طوله يوجد داعٍ آخر، كالصلاة الاستئجاريّة الّتي قطعًا كي تكون صحيحة يجب أن يتحقّق فيها الداعي الإلهيّ و قصد القربة، و لكن العوض [أي مال الإجارة] يكون داعيًا و سببًا كي نأتي بالصلاة الاستئجاريّة مع الداعي الإلهيّ، و قد عرّف الفقهاء مثل هذه النيّة بـ«الداعي على الداعي».

(٢) بما أنّ العبادة أكثرُ صعوبة في زمن غيبة الإمام عليه السلام و زمن غياب دولة الحقّ، خاصّة مع الظلم الّذي يقع على المؤمنين في تلك الظروف، و مع كون دواعي الضلال أكثر من دواعي الهداية، لكن على الرغم من كلّ ذلك يبقى المؤمنون ملتزمين و متمسّكين بدينهم و يعبدون الله تعالى و يقيمون ارتباطًا بإمامهم عليه السلام و لو لم يكن بيده زمام الحكم أو كان غائبًا، و لذا تكون العبادة في تلك الظروف أفضل منها عند قيام دولة الحقّ الّتي يكون فيها الإمام عليه السلام مُتمكّنًا من إجراء الأحكام الإلهيّة، و يرى المؤمنون فيها كرامات الأئمّة عليهم السلام البيّنة و معاجزهم الإلهيّة، و تكون رايات الهدى أعلى من رايات الضلال.

(٣) عندما سمع عمّار الساباطيّ عن الإمام الصادق عليه السلام فضيلة العبادة و العمل قبل استقرار دولة الحقّ، سأل الإمام عليه السلام: «جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا نَتَمَنَّى إِذًا أَنْ نَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ الْقَائِمِ فِي ظُهُورِ الحق وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي إِمَامَتِكَ وَطَاعَتِكَ

[نقل آية الله الشيخ البهجة قدس سره عن أحد الفضلاء قوله عن لسان الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف:] أنّه قال: «قل لموالينا و للمحترقة قلوبُهم علينا أن يدعوا لي». إنّه عجل الله تعالى فرجه الشريف يطلب إلينا الدعاء لكنّنا عندما نذهب [إلى المراقد المطهَّرة و الأماكن المقدّسة] ننسى حاجته و نطلب إليه أن يدعو لنا. حتّى قد نُقل عن الشيخ إبراهيم قوله: كنّا في مسجد الكوفة، و كنّا معتكفين ـ أو في مناسبة أخرى ـ فرأيت الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في المنام فقال لي: انظر! كلّ هؤلاء من نقباء المؤمنين و من أخيارهم، لكن انظر، أحدهم يريد زوجة، و الآخر يريد بيتًا، ذاك يريد مالًا، و الآخر يريد قضاء دَينه، ذاك يريد الشفاء من مرضه، و لا أحد منهم يفكّر فيّ، و لا يدعو لي، الكلّ يدعون لأنفسهم! كان قد نقل هذه القضيّة الشيخ إبراهيم، المعروف بصاحب الزمانيّ.

كان يقول: كان أَمامي، لكن بمجرّد أن أنهى كلامه هذا، غاب فجأة و كأنّه لم يكن أصلًا، و بعدها لم أره! كان أمامي داخل المسجد! هذا أحد شواهد صدق القضيّة، طبعًا هو نفسه رأى كرامات و أمورًا [أي مكاشفات]، و لقد رأى رؤًى ظهر تأويلها في اليقظة سريعًا.

كلّ ما بأيدينا

إنّ عمل الأئمّة الأطهار عليهم السلام يوم القيامة هو عمل إلهيّ، إذ يتقبّل الله المتعال شفاعتهم، فيوم القيامة يوم المجازاة، و عمل الأئمّة الأطهار عليهم السلام في ذلك اليوم هو الشفاعة للشيعة، و جُلّ ما لدينا هو الدعاء بتعجيل الفرج.

الابتلاءات مقدّمة التضرّع

يجب أن نستغفر من الكلام الّذي كان يجب أن نقوله و لكنّنا لم نقله، أو من الكلام الّذي كان يجب أن لا نقوله و لكنّنا قلناه، أو عن العمل الّذي كان ينبغي أن نأتي به في الزمان الفلانيّ أو المكان الفلانيّ و لم نفعل، أو بالعكس بأن كان ينبغي أن لا نفعله و فعلناه؛ لأنّ إتلاف الأموال أهون من إتلاف النفوس، و تلف النفوس أهون من تلف الدين. إنّ صرف مليار

أَفْضَلُ أَعْمَالًا مِنْ أَعْمَالِ أَصْحَابِ دَوْلَةِ الْحَقِ؟»، فأجابه الإمام عليه السلام: «سُبْحَانَ اللَّهِ! أَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يُظْهِرَ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى ـ الْحَقَّ وَ الْعَدْلَ فِي الْبِلَادِ، وَ يَجْمَعَ اللَّهُ الْكَلِمَةَ، وَ يُؤَلِّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَ لَا يُعْصَى اللَّهُ ـ عَزَّ وَ جَلَّ ـ فِي أَرْضِهِ، وَ تُقَامَ حُدُودُهُ فِي خَلْقِهِ، وَ يَرُدَّ اللَّهُ الْحَقَ إِلى أَهْلِهِ، فَيَظْهَرَ حَتّى لَا يُسْتَخْفى بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ، مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْق»؛ الكافي، ج٢، ص١٤١.

[تومان] في ثلاثة أيّامٍ من الحرب، و من خزانة الشعب، ليس مُزاحًا! لقد أخبرنا الأئمّة عليهم السلام قبل ألف عام عن مثل هذه الابتلاءات، و بيّنوا لنا أيضًا طريق الخلاص و النجاة منها و أرشدونا إليه، و قالوا: اقرؤوا الدعاء الفلانيّ، و منها دعاء الفرج، و عدّوا ذلك من علامات المؤمن(١)، و قالوا أيضًا إنّ طريق الإمام عليّ عليه السلام بنحوٍ كلّيّ هو طريق النجاة في جميع الابتلاءات و الاختلافات. ماذا فعلنا [و اقترفنا] حتّى يحلّ بنا أمثال هذه الابتلاءات؟!

إنّ الابتلاءات مقدّمة للتضرّع و العبوديّة، يقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾(٢).

قراءة دعاء الفرج لحلّ المعضلات الشخصيّة

يجب الإكثار من قراءة دعاء الفرج في أوقات الابتلاء و الشدّة؛ لأنّ دعاء الفرج هو دعاء بالفرج الشخصيّ، و لذا يجب الالتزام به عند الشدائد. فعندما أرادوا أن يضربوا ابن الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام و صهر الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام خمسمائة سوط بأمر من الوليد، قال له الإمام السجّاد عليه السلام: يا ابن العمّ لا تنسَ دعاء الفرج. فقال: و ما دعاء الفرج يا ابن العمّ؟ فعلّمه الإمام عليه السلام دعاءً، فأخذ الحسن بن الحسن بن عليّ بقراءته، عندئذٍ نزل الشخص المأمور بضربه(٣) عن المنبر و قال: «أَرَى سَجِيَّةَ مَظْلُومٍ. أَخِّرُوا أَمْرَهُ حتّى أُرَاجِعُ الأَمِيرَ»، إلى أن كتب كتابًا إلى الوليد، فأمر [الوليد] بفكّ قَيْده(٤).

ضرورة الدعاء بدفع ابتلاءات الشيعة

هل من الصحيح أن نتأمّل [و نتباحث] في كيفيّة الإتيان بالمستحبّات و الشيعة مُعرّضون

---

(١) ورد عن الإمام العسكريّ عليه السلام أنّه قال: «وَاللهِ لَيَغِيبَنَّ غَيْبَةً لَا يَنْجُو فِيهَا مِنَ الْهَلَكَةِ إِلَّا مَنْ ثَبَّتَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ وَوَفَّقَهُ فِيهَا لِلدُّعَاءِ بِتَعْجِيلِ فَرَجِهِ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٣٨٤. هذه الرواية تبيّن أنّ الثابتين على الإيمان هم الّذين يُوفّقون للدعاء بتعجيل الفرج، و في النتيجة يكون الدعاء بتعجيل الفرج هو من علامات المؤمن.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٤٣.

(٣) والي الوليد على المدينة و اسمه صالح بن عبد الله.

(٤) راجع: بحار الأنوار، ج٤٦، ص١١٤؛ ج٩٢، ص٢٣٤. كان نَصّ دعاء الإمام السجّاد عليه السلام الّذي علّمه لابن الإمام المجتبى عليه السلام كما يلي: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ». هذا الدعاء في هذه الرواية ذُكر تحت عنوان «دعاء الكرب»، و هذه الألفاظ قد ذُكرت في كثيرٍ من الروايات الشريفة تحت عنوان «دعاء الفرج»؛ راجع: الكافي، ج٣، ص١٢٢؛ ج٤، ص٢٨٤.

للهجوم و الإبادة [و يتخطّفهم الناس من كلّ جانب]، فنقول هل كان الإمام الصادق عليه السلام يحرّك سبابته في الدعاء اليوميّ الّذي يُقرأ بعد كلّ فريضة من شهر رجب «يا مَنْ أَرْجُوهُ لِكل خَير» من بداءة الدعاء أم فقط عند القول «يا ذَا الْجَلالِ وَالإكرام»؟ علمًا أنّ «يلُوذُ بِسَبابَتِهِ الْيمْنى»[1] ليس قيدًا في الدعاء بل هو أمرٌ راجح يمكن أداؤه في جميع الأدعية[2].

ألا ينبغي لنا أن نحزن و ندعو و نطلب فرج المسلمين؟! عندما انتزعوا خَلخَالًا من قدم امرأة ذمّيّة قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا!»[3] أي يحقّ للمرء الموت من أجل ذلك [الأمر و لا تثريب عليه].

وظيفتنا تجاه ابتلاءات الشيعة الصعبة

بما أنّنا لا نملك قدرة الدفاع أمام القوى العظمى العالميّة ـ الّتي تعاضدت لإبادتنا ـ و لا نستطيع محاربتها بصورة ظاهريّة، إذًا لماذا نتخلّى عن وظيفتنا؟ مع كلّ هذه الابتلاءات و النيران الّتي سُعِّرت لإبادة الشيعة في إيران و العراق و لبنان و باكستان و أفغانستان و... فإنّ وظيفتنا الفعليّة هي الدعاء و التوسّل بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و إيصاء الآخرين بالدعاء. فلندعُ بدعاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لنفسه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لندعُ دعاء تائب، طبعًا التوبة من كلّ شيء تكون بحَسَبه، فإذا كنّا قد أتلفنا مال شخص ما فيجب أوّلًا أن نعيده لصاحبه ثمّ نستغفر الله من تلك الفَعلة.

فلنعمل لهم و بما يقرّبنا من محبّتهم

لقد أتمّ [الأئمّة عليهم السلام] الحجّة علينا، و قد أبلغوا المطالب للإنسان الّذي يكون صادقًا، ففي المشكلات الدينيّة: «فَارْجِعوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَديثِنا». ليطلب إليهم رفع المصائب، فإذا كانوا لا يستطيعون أن يقوموا بعملٍ لأنفسهم لِما عاهدوا الله عليه، إلّا أنّهم يمكنهم ذلك لنا.[4]

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٥، ص٣٩٠.

(٢) ذُكِرَ تحريك السبابة في بعض الروايات تحت عنوان التضرّع و في ضمن آداب الدعاء؛ راجع: وسائل الشيعة، ج٧، ص٤٨ ـ ٥٠.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٧، ص٧٠.

(٤) يعني أنّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام مع أنّ لهم قدرة التصرّف في جميع أسباب العالم و مسبّباته بإذن الله تعالى، لكنّهم لا يستفيدون من هذه القدرة لحوائجهم الخاصّة، فهُم قد عاهدوا الله أن يزهدوا في زخارف هذه الدنيا الدنيّة، كما ورد

و هم عليهم السلام يريدون منّا أن نعمل لهم و أن ندعو بفرجهم.

حتّى لو بنسبة واحدٍ من الألف!

قبل بضعة أيّامٍ من وفاة السيّد الخوئي رحمه الله، أخبر أحدهم [الناس] أنّ حادثة مهمّة جدًّا ستقع في القريب العاجل، مثلًا [بعد] أسبوع أو عشرة أيّام، و هذا ما حصل فعلًا. فسألوه متى يحين وقته؟ و حسب التأريخ الّذي قاله لهم، مثلًا بعد أسبوع، فهو يعني قريبًا. و طبعًا لا ينبغي أن نعتمد على أيّ قول و أيّ إخبارٍ، و لكن هنا يلزم حصول احتمال و هو كافٍ، فلا يجب أن يكون مُصيبًا في جميع إخباراته، [بل] يكفي أن يكون مُصيبًا في واحدٍ أو اثنين منها، و من ثمّ يكفي ليحتمل الإنسان رجحانه، لذلك فالمطلوب من الجميع أن يدعوا بدفع البلايا عن الشيعة و مَن هو بحكمهم، فلا يمكن الاستشكال على الدعاء، بل ربما يكون من لوازم الإيمان أن يُدعى و لو مع فرض أنّ احتمال الاستجابة واحدٌ من الألف، فإنّه يجب الدعاء. قال إنّ حادثةً مهمّةً ستقع ثمّ تابع: كنت مُجازًا في قضيّة وفاة السيّد الخوئيّ بأن أذكر الاسم، و لكن في هذه الحادثة الّتي ستقع لم أُجَزْ بذكر اسمها، فهل دلّ بعلامة أم لا، لا عِلم لي. و المقصود، علينا جميعًا أن ندعو بأن يرفع الله تعالى البلاءات كلّيًّا عن جميع المؤمنين و المؤمنات(١).

حتّى الأشقياء يسأمون من الظلم و يدعون بالفرج!

كنّا نظنّ أنّ قراءة دعاء تعجيل الفرج متوقّف على عدم شقاوة الداعي، و لكنّ الأمر ليس كذلك، إذ إن ظهر الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف فهل سيَخرُج الإنسان من الشقاوة؟!(٢) لكن سيكون

في دعاء الندبة: «بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ فِي زَخَارِفِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَ زِبْرِجِهَا، فَشَرَطُوا لَكَ ذَلِكَ، وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفَاءَ بِهِ»، و مع هذا، فقد أذن الله تعالى لهم أن يستعملوها لرفع حوائج الناس و الأخذ بأيديهم، كما فعلوا ذلك طوال التاريخ و بطرق مختلفة فقضوا حوائج المتوسّلين بهم عليهم السلام، كما أنّهم أحيانًا قد حوّلوا التراب إلى ذهبٍ و أعطوه بعض الفقراء من الشيعة.

(١) لقد ذكر سماحة الشيخ رحمه الله هذه البيانات بعد قُرابة شهرين من وفاة آية الله السيّد الخوئيّ رحمه الله.

(٢) يمكن أن يكون الإنسان شخصًا كافرًا من أهل الشقاء لكنّه يدعو بالفرج و ظهور المُنجي نتيجة الظلم و القهر الّذي حلّ به دون أن يرتدع عن كفره و عدم إيمانه، كما أخبر الله في القرآن الكريم أنّ المشركين دعوا الله مخلصين غير مشركين به عندما كانوا في السفينة و شعروا بالغرق، لكن عندما نجوا إلى اليابسة عادوا إلى الشرك الّذي كانوا عليه: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (سورة العنكبوت، الآية ٦٥).

ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فرجًا و سعة للمؤمنين. و عندما يكون الإنسان هو نفسه منغمسًا في الأوحال فهل سينجو منها إن طغى الماء على العالم بأسره؟ و عندما يظهر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سيسأل: لماذا أتيت بهذا العمل العلنيّ، و ليس من المعلوم أنّه يبحث و يفحص عن الأعمال [و الذنوب] السرّيّة.

أقرب صديقٍ للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو الّذي...

الشخص الأكثر صُحبة مع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف [و أكثر موالاة له و صداقة] هو ذلك الّذي يكون بعد إتيانه الواجبات و تركه المحرّمات و طاعته لله في الواجبات و المحرّمات، يدعو له و بفرجه أكثر![1]

و حتّى الكافرون و أهل الدنيا يشعرون بضيقٍ في عصر الغَيبة بسبب ظهور الظلم الّذي يعمّ البلاد، وكما ورد في الروايات أنّ الظهور و الفرج يتحقّقان «بعد ما ملئت ظلمًا» لا «بعد ما ملئت كفرًا»؛ يعني حتّى الكافرون ـ من شدّة الظلم ـ يدعون بظهور المُنجي. من هنا، فإنّ الدعاء بتعجيل الفرج ليس متوقّفًا على عدم شقاء الداعي، لأنّ الشخص قد يتوق لتحقيق العدالة بسبب تعبه و حالة الضغط الّتي يعيشها من شدّة الظلم و القهر ـ و إن كان سَأَمه من الظلم مؤقّتًا ـ مع كونه في الوقت نفسه لم يخرج عن كفره و لا شقاوته، و عندما يظهر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يتابع الإمام الحقّ و لا يؤمن بإمامته و لا بولايته، بل ربما يقف مقابله عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يبقى في طريق الكفر. لكن يجب الالتفات إلى أنّ الدعاء بتعجيل الفرج عندما يصدر من المؤمنين فإنّه يكون من جهةٍ موجبًا لازدياد إيمانهم و تقويته، و من جهة أخرى علامة على كون إيمانهم بإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف مستقرًّا و مستقيمًا.

(١) من أروع الكتب الّتي أُلّفت حول فوائد الدعاء للإمام المهديّ المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو كتاب «مكيال المكارم» للعلّامة السيّد الأصفهانيّ رحمه الله، و قد أُلّف هذا الكتاب بعناية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و توصيته، لذلك يجدر بكلّ مؤمنٍ شائقٍ إلى إمامه عليه السلام أن يطالع هذا الكتاب المبارك.

الروضة الثامنة:

«آخِر الزَّمان»

أشدّ من القبض على الجمر

جاء في الرواية أنّ القابض على دينه في آخر الزمان كالقابض على الجمر[1]. أَلَم يحِنْ وقت ذلك بعد؟! هل يجب أن يُدقّ جرس الإنذار و يُضرب على الطبل، كي نصحو و ندرك أنّ القبض على الدين قد أصبح اليوم أصعب من القبض على الجمر![2]

حبّ الدنيا في آخر الزمان

سمعت [قضيّة] و لكنّي لم أرَ روايتها، إذ ينقلون: إنّ نبيًّا [أو عابدًا] أراد أن يبني بيتًا في مكانٍ ما. و لكنّه ترك بناء [البيت] في منتصف العمل و لم يكمل بناءه. فقال له أحدهم: إنّ [البيت] يجب أن يقي الإنسان من البرد و الحرّ، فلماذا تركته على هذه الشاكلة؟! فقال [ذلك النبيّ]: لقد جاءني ملَك و قال لي: لم يبقَ من عمرك سوى سبعمئة سنة. إذا كان العمر بهذا القصر فهل سأبني له بيتًا مشيّدًا و كاملًا؟! لا يستحقّ ذلك! ثمّ قال [ذلك الملَك]:

---

(١) «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ مِنْهُمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ»؛ الأمالي (للطوسي)، ص٤٨٥.

(٢) بمعنى أنّنا نعيش في غفلةٍ و غيابٍ تامّ عن الواقع بحيث نحتاج إلى من يضرب الطبل أو يدقّ جرس الإنذار و يُعلمنا أنّ الوقت قد حان لتُدركوا أنّ التديّن و التمسُّك بالدين قد أصبحا في غاية الصعوبة، في حين أنّه يتعيّن علينا بأنفسنا أن نكون يقظين و أن نُدرك أنّ هذا الواقع قد تحقّق و أنّ المحافظة على الدين في الوقت الراهن أضحت تُشبه القبض على الجمر، و لذلك يجب علينا أن نتمسك بالدين بإحكامٍ و ثبات، و أن نستقيم على إيماننا مهما كانت التضحيات، و مهما كلّفنا ذلك.

سيأتي في آخر الزمان [أناس] تكون أعمارهم سبعين سنة، و مع ذلك يعمرون القصور و... ـ لم أرَ سند هذه الرواية، و ما إذا كانت رواية صحيحة، أم هي من المرويّات الشفهيّة ـ لقد قال ذلك النبيّ: إنّ سبعمئة سنة ليست عمرًا يستحقّ معه أن يبني الإنسان لنفسه بيتًا كاملًا. و كأنّ [ذلك النبيّ] قال: لو أدركت ذلك الزمان، لأنهيت تلك السبعين سنة بسجدة واحدة![1]

مسؤوليّتنا في فتن آخر الزمان

ما الّذي كان سيحدث لو أنّ جميع المسلمين كانوا يعملون برسالةٍ [عمليّة] واحدة؟! بَيد أنّ كبار أبناء العامّة قالوا للنبيّ صلى الله عليه وآله الّذي كان مسجّل صوت الوحي[2] [و الناطق به]: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَهْجُرُ»[3]، و بذلك فإنّهم في الحقيقة نسبوا الهجر إلى الوحي و إلى الله تعالى الّذي هو صاحب الصوت!

و في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال لبعض أصحابه [ما معناه]: لولا خشيتي من وقوعه في يد الأعداء، لأعطيتكم أيّها الشيعة كتابًا لا تحتاجون معه إلى أيّ شيء آخر، و أنّ هذا الكتاب كان يكفيكم و يُغنيكم عن أيّ شيءٍ آخر[4]؛ أي أنّه لم يكن ليسدّ حاجتكم في الفروع [الفقهيّة] فحسب، بل كان يسدّها في كلّ شيء.

---

(١) راجع: الأنوار النعمانيّة، ج٢، ص٢٠٩.

(٢) أي أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله لم يكن ينطق عن الهوى قط، بل كان كلّ ما يتحدّث به من وحي الله تعالى و مطابقًا له بجميع حدوده و تفاصيله، فكما أنّ مسجّل الصوت يسجّل الكلام كما هو، دون أن يزيد عليه أو ينقص عنه حرفًا أو لحنًا، فقد كان النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله هكذا بالنسبة إلى الوحي، مبلّغًا له دون أيّ زيادة أو نقصان.

(٣) إشارة إلى الإهانة الّتي وجّهها الخليفة الثاني إلى النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في آخر أيّام حياته الشريفة، عندما أعياه المرض الّذي قضى به نحبه، فأراد أن يكتب للمسلمين وصيّةً مهمّة، كي لا يضلّوا من بعده أبدًا. فطلب كتفًا يكتب عليها و دواة، لكنّ الخليفة الثاني قال حين سمع طلب النبيّ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَهْجُرُ» أي ـ و العياذ بالله ـ يهذي و يقول كلامًا غير موزون. فمنع بذلك تنفيذ هذا الأمر المهمّ و المصيريّ للبشريّة إلى يوم القيامة. هذه الحادثة ـ الّتي وُصفت أنّها مصيبةٌ كبرى ـ نُقلت في المصادر الحديثيّة و التأريخيّة لدى الفريقين؛ راجع: الطرائف، ج٢، ص٤٣٢؛ صحيح البخاريّ، بابُ مَرَضِ النبيّ صلى الله عليه وآله و وَفاتِه، ج٧، ص٩٣-٩٤؛ صحيح مسلم، بابُ تَرْكِ الوصِيَّةِ لمَن ليس له شيءٌ يُوصِي فيه، ج٣، ص١٢٥٩.

(٤) «لَوْلَا أَنْ يقَعَ عِنْدَ غَيرِكُمْ كَمَا قَدْ وَقَعَ غَيرُهُ، لَأَعْطَيتُكُمْ كِتَابًا لَا تَحْتَاجُونَ إِلَى أَحَدٍ حتّى يقُومَ الْقَائِمُ»؛ بصائر الدرجات، ص٤٧٨؛ بحار الأنوار، ج٢، ص٢١٣.

فينبغي الاحْتِياط و التوقُّف في فِتَنِ آخر الزمان الّتي هي كَقِطَعِ الليل المُظْلِم حتّى يظهر الطريق الحَق. و الاحتياط مَقْدُورٌ لكلّ أَحَدٍ، و هو عُمْدَة السلاحِ لأهل الإيمان، و الناجي هو الثابت في الإيمان، الداعي بتعجيل الفرج، الملازم للاعتقاد بجميعِ المعتقدات الحقّة.

تهديدٌ عجيب!

يجب الدعاء للمسلمين بجدّيّة في السرّ و العلن؛ لأنّ عبارة «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا بَعْدَ مَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»[1] تُخبر بأنّ الجميع سينحرفون إلّا النزر اليسير منهم[2]، ثمّ يظهر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لهداية الناس.

إنّ عبارة «بَعْدَ ما مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا» تشتمل على تهديدٍ عجيب! لأنها تُخبر أنّه في ذلك الزمان لا يكون العدل حاكمًا و لو على شبر من الأرض. و سيكون الظلم هو الحاكم، بحيث تعلم جميع الشعوب ـ حتّى الكفّار منهم ـ أنّهم مبتلون بالظلم، و إلّا فإنّ أهل الكفر ـ أيًّا كان مذهبهم و طريقتهم ـ يعدّون أنفسهم أنّهم على الحقّ و الصراط المستقيم.

طبعًا علينا أن لا نيأس من الثبات على الدين، و علينا أن لا نكفّ عن الدعاء، بل علينا إذا استطعنا أن نجعل الآخرين أيضًا متّفقين معنا في الثبات و الاستقامة، و إذا لم نستطع ذلك، فلا أقلّ من الاقتصار على تثبيت أنفسنا في المقام، فلا نعاهد الظلم و لا نكون عونًا للظالمين.

---

(١) راجع: الكافي، ج١، ص٣٣٨؛ الإمامة و التبصرة من الحيرة، ص٢١؛ كفاية الأثر، ص٤٧؛ الغَيبة (للنعماني)، ص٨١؛ كمال الدين، ج١، ص١٣٩.

(٢) لقد كان سماحة آية الله الشيخ محمّد تقي البهجة قدس سره يؤكّد مرارًا أنّ أكثر الناس في آخر الزمان ـ طبقًا للكثير من الروايات ـ سوف ينحرفون عن الدين الحقّ و يَضلّون الطريق، و إنّ الفتن سوف تؤدّي بهم إلى الضلال و الهلاك، و يجب أخذ هذا الخطر على محمل الجدّ؛ لأنّ أكثر الناس سوف يخرجون من دائرة الإيمان. و عندما سُئل سماحته قدس سره كيف يمكن لنا أن نخرج من هذه المخاطر و الفتن المظلمة بسلام و نعثر على طريق النجاة و الفلاح؟ قال في الجواب: إنّ الّذي يلعن الّذين أسّسوا أساس الظلم على أهل البيت عليهم السلام مئة مرّة ـ على الأقلّ ـ كلّ يوم، سوف يكون هناك أمل في نجاته من فتن آخر الزمان إن شاء الله تعالى. و هذه التوصية تعدّ من أهمّ توصيات سماحته قدس سره العمليّة، و لا يخفى على الفطن اللبيب الّذي يهتمّ بأمر دينه و آخرته و دنياه أيضًا أهميّة هذه التوصية. و هناك طرق مختلفة يمكن للإنسان من خلالها تطبيق هذا الإرشاد، إذ يمكنه مثلًا أن يواظب على قراءة زيارة عاشوراء لكونها تشتمل على لعن الّذين ظلموا حقّ محمّد و آل محمّد صلّى الله عليه و آله مئة مرة، أو أن يكرّر يوميًّا بعدد مئة مرّة عبارة اللهم العن الّذين ظلموا محمّدًا و آل محمّد صلّى الله عليه و آله، و يتبرّأ بقلبه منهم.

معنى «مُلِئَتْ ظُلْمًا وَ جَوْرًا»

إنّ معنى رواية «مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا» أنّ الظلم سيكون شاملًا، و كأنّ ذلك سوف يكون في زمانٍ يعترف فيه الجميع ـ الأعمّ من المعتقد بدين و مَن لا دين له ـ أنّ الواقع الّذي يعيشه ليس بالواقع العقلائيّ الّذي يمكن للبشر أن يعيش في ظلّه حياةً إنسانيّةً.

لم يُذكر الكفر في الرواية، بل ذُكر فيها الظلم و الجور؛ إذ ربما كان هناك [في التاريخ] حكومات كفرٍ مع عدل كأمثال حكومة أنوشيروان. كان هناك شخصٌ يقول: أستطيع أن أمنع من ظلم الحكومة العراقيّة، و لكنّي أعلم أنّهم سوف ينفونني إلى إيران حيث الواقع أسوأ؛ لأنّ ذلك كان في عهد رضا خان.

«مُلِئَتْ ظُلْمًا» تعني: حتّى الكفّار أيضًا يستشعرون الظلم!

يُستفاد من رواية «يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا بَعْدَ مَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا» أنّ الأرض يجب أن تمتلئ بالظلم و الجور: «يَمْلأُ الأَرْضَ» بمعنى أنّ الظلم يبلغ حدًّا بحيث حتّى بلاد الكفر و الكفّار يستشعرون أنّ ظُلَلَ الظلم و الجور تُخيّم فوق رؤوسهم أيضًا؛ و لذلك فإنّهم هم أيضًا سوف يطالبون بالفرج و الانشراح و إنقاذ أهل العالَم على يد مُنقِذ البشريّة.

الفطنة في آخر الزمان

إنّ الأمر ليحتاج إلى الكثير من الفطانة كي لا ينخدع الإنسان. الله يعلم أيّ أشخاصٍ انخدعوا و نزل بهم البلاء. مثل أولئك الّذين تقول في حقّهم الرواية الّتي نهت عن الخروج قبل ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أنّهم مثل فرخ الطير الّذي يعبث به الأطفال حتّى يموت[1]. يجب علينا أن نصبر! و لو كان صبرًا على كلّ هذا الفساد! «حَتَّى مُلِئَتْ ظُلْمًا وَ جَوْرًا»، و يا له من امتلاء!! نعلم أنّه قد تحقّقت «مُلِئَتْ ظُلْمًا وَ جَوْرًا» حتّى في عهد أمير المؤمنين عليه السلام نفسه، و في عهد سيّد الشهداء عليه السلام. بل هناك رواية تقول: لا تقولوا الآن قد ملئت ظلمًا و جورًا [فما بال وليّ الأمر لا يظهر]. يا بُنيّ، لقد مُلئت ظلمًا و جورًا في زمن السقيفة، بل قبل يوم السقيفة

(١) عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام قَالَ: «وَاللهِ لَا يَخْرُجُ وَاحِدٌ مِنَّا قَبْلَ خُرُوجِ الْقَائِمِ عليه السلام إِلَّا كَانَ مَثَلُهُ مَثَلَ فَرْخٍ طَارَ مِنْ وَكْرِهِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَوِيَ جَنَاحَاهُ، فَأَخَذَهُ الصِّبْيَانُ فَعَبِثُوا بِهِ»؛ الكافي، ج٨، ص٢٦٤؛ و مثلها في: الغَيبة (للنعمانيّ)، ص١٩٩.

أيضًا[1]. [و ذلك حين] أرسل إلى ذَيْنك الشخصين: «لَعَنَ اللّهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ جَيْشِ أُسَامَةَ»[2]. و مع ذلك تخلّفوا، [و لم يلتحقوا بجيش أسامة]. أَلَم تسمعوا لعن النبيّ الأكرم ﷺ، حينما قال: «لَعَنَ اللّهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ جَيْشِ أُسَامَةَ»؟ [لقد تذرّعوا و قالوا:] لم نستطع أن نراك على هذه الحالة [و نتركك]!! يا للعجب! هل كنتم تريدون رؤية هذه الحالة حتّى تستطيعوا أن تقولوا: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَهْجُر»؟!

العقل أوّلاً ثمّ الدين!

في عهد رضا شاه البهلويّ رزح الكثير من أهل العلم و الطلّاب تحت [وطأة] الفقر المدقع؛ لذا عمد [البعض منهم] إلى ترك طلب العلم و التحصيل، و نزعوا العمائم عن الرؤوس من أجل الكسب و الحصول على المال و الثروة، و لكنّ [الوضع] أمسى أسوأ ممّا كانوا يتوقّعونه! كان الوضع و كأنّ القحط قد أصاب الأُسر، و زالت البركة عن أحوالهم، و استمرّ هذا الوضع إلى ما يقرب من سبع سنوات.

---

(١) كان آية الله الشيخ البهجة ﵀ يقول إنّ عبارةَ «مُلئت ظلمًا و جَورًا» لها مراتب و درجات متعددّة، و أصل تحقُّق «مُلئت ظلمًا و جَوْرًا» قد حصل في يوم السقيفة بل و قبل ذلك، لأنّ الظلم الّذي وقع في تلك الآونة، بلاءٌ أبديٌّ أصاب البشريّة. و باستشهاد أهل البيت ﵈ و لا سيّما سيّد الشهداء ﵇، تحقّقت درجةٌ من الظلم أرفع بكثير، لكنّ الأئمّة الأطهار ﵈، مع كلّ ذلك، لم يكونوا مستعدّين للخروج، لأنّ المرتبة الخاصّة من «ملئت جوْرًا» ـ الّتي من مصاديقها خروج السفيانيّ ـ لم تكن قد حدثت بعد. و كان سماحته ﵀ يقول إنّ «ملئت ظلمًا و جوْرًا» و إنْ كانت قد تحقّقت اليوم، لكنّها لم تصل بعدُ إلى الحدّ اللازم للظهور، و نحن لا نعرف حدّ الامتلاء ذاك. و بتعبير آخر، إن أردنا القول إنّنا نُدخل مقدارًا من الهواء إلى كُرَة فإنّ هذا الهواء سوف يتسرّب إلى كلّ أرجائها و سيملؤها؛ لكنْ في الوقت نفسه لا يزال بالإمكان إدخال مزيد من الهواء إلى هذه الكُرَة، و بهذا المعنى يمكن القول إنّ الكُرَة لم تمتلئ بعد. إنّ امتلاء الكُرَة بالهواء إلى الحدّ الأقصى يحدث حين تصل كميّة ما تتّسع له من الهواء إلى حدّ أنّنا إن أدخلنا إليها المزيد انفجرت. في هذه الحال يكون الامتلاء النهائيّ و الكامل لهذه الكُرَة قد تحقّق.

(٢) «جيش أسامة» هو اسم آخِر جيش جُهّز بأمرٍ من النبيّ الأكرم ﷺ للدفاع عن المسلمين مقابل هجمات الإمبراطوريّة الرومانيّة. سُمّيَ هذا الجيش «جيش أسامة» نسبةً إلى قائده أسامة بن زيد. و قد دعا النبيّ ﷺ عددًا من الصحابة من ضمنهم أبو بكر و عمر للالتحاق بهذا الجيش تحت إمرة أسامة بن زيد، و أكّد بشدّة تشكيل هذا الجيش و الالتحاق به، و كان هؤلاء الصحابة الّذين دعاهم النبيّ ﷺ للالتحاق بهذا الجيش يتنصّلون من الأمر بذرائع مختلفة، فكان النبيّ يقول لهم: «أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسَامَةَ» حتى إنّه قال بحقّ الّذين تخلّفوا عن الالتحاق بجيش أسامة: «لَعَنَ اللّهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ جَيْشِ أُسَامَةَ!»، لكن على الرغم من كلّ هذا التأكيد فإنّ البعض كأبي بكر و عمر قد تخلّفوا عن الالتحاق بهذا الجيش. راجع: الإرشاد للشيخ المفيد ﵀.

في البداءة يسلبون عقل الإنسان، و بعد أن لا تعود للعقل حاكميّة على وجوده، يهرب حسب ظنّه الواهم للنجاة من الحفرة إلى البئر و يلقي بنفسه فيها! هل مِن شخص يقول: لو كان الأمر واضحًا فسوف أقوم به، و ما لم يكن واضحًا فسوف أتوقّف عنده؟!

نحن لسنا مثل الآخرين، بل أخبرنا الأئمّة عليهم السلام بأنّ حفظ الدين في آخر الزمان يكون كالقبض على الجمر بكفّ اليد![1]

عدم التديُّن بذريعة الحرّيّة!

عندما اضطربت الأوضاع في إيران بشدّة، كان منصور[2] قد قال في المجلس: نريد سحب الاعتراف بالإسلام رسميًّا! كان النوّاب في المجلس قد طأطؤوا رؤوسهم. و إذ رأى أنّهم لم يرحّبوا بكلامه، قال: أعني القول بأن تكون هناك حرّيّة سواء في ظلّ الإسلام أم في غيره! و لم يمضِ وقتٌ طويل حتّى قُتل هذا اللعين. إنّ هذا النوع من الناس قد أرى الظالمين أنّهم عثروا على أمثالهم في الظلم، حتّى يصل الأمر إلى «مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»، لا أنّهم كانوا عاجزين عن الكلام أكثر من هذا، بل إنّهم لم يكونوا يرون الناس موافقين لهم [و لم يجدوا منهم تجاوبًا]، و لذلك فإنّهم لم يوافقوا الإمام عليّ و أولاده عليهم السلام، حتّى ساءت الأوضاع إلى هذه الدرجة!

لم يبقَ من الإسلام إلّا اسمه!

الله يعلم ما هو البلاء الأسوأ الّذي سيقع و سوف يُصبّ على رؤوس المسلمين في عصر غَيبة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف! لقد تمكّنت ألمانيا في وقت قصيرٍ من الاستيلاء على أربعة عشر بلدًا أوروبيًّا، [و من بينها] كانت اليونان أكبر تلك البلدان، و استغرق سقوطها [مجرّد] خمسة و عشرين يومًا[3]. و من هنا، لم يكن كلّ واحدٍ من البلدان الإسلاميّة بالنسبة إليها سوى لقمة واحدة، و لكنّ التقدُّم السريع يلازم الغفلة عن العدوّ الكامن في الخلف، إذ إنّ الله سبحانه وتعالى جعل كلّ واحدة من قوى الشرق و الغرب معذّبة و منافسة لعدوّها المقابل لها[4]. و الظاهر

---

(١) الأمالي (للطوسي)، ص٤٨٥؛ بحار الأنوار، ج٢٨، ص٤٧.

(٢) حسن عليّ منصور رئيس الوزراء المحارب للإسلام في عصر محمّد رضا البهلويّ الّذي اغتيل سنة ١٣٤٣ هـ.ش.

(٣) يقصد الحرب المشهورة باسم ماريتا الّتي نشبت بين ألمانيا و اليونان، و استمرّت ثلاثة أسابيع تقريبًا.

(٤) هذا الكلام يخصّ اندحار ألمانيا؛ لأنّها على الرغم من استيلائها السريع على أربعة عشر بلدًا، إلّا أنّها كانت غافلة

أنّه حتّى قيام الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف سوف يظلّ اسم الإسلام باقيًا؛ «لا يبْقى مِنَ الإسْلامِ إلّا اسْمُهُ»[1].

إلغاء القرآن الكريم!

كنّا نسمع أنّهم طبعوا من القرآن الكريم آيات مُنتخبة ليضعوها في أيدي الناس. إنّ هذا يُشكّل مقدّمة لسحب القرآن من أيدي المسلمين. و هناك رواية [تتحدّث عن وضع القرآن الكريم في آخر الزمان إذ] تقول «لَا يبْقى مِنَ الْقُرآنِ إلّا دَرْسُهُ»[2]، و كأنّ هؤلاء يريدون أن لا يكون هناك حتّى درس القرآن، بل يكون درس بعض آيات القرآن!

لكلّ طائفةٍ لغتها!

[حينما كانت أنواع البلاءات الاجتماعية قائمة] رأى شخصٌ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في المنام، فسأل [الشخصُ] حضرته: متى الفرَج و ما هو الطريق؟ فقال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾.

أجل، إنّ لكلّ طائفةٍ لغتها الّتي يجب أن تُعرف!

العناية الخاصّة لثابتي الأقدام في الزمان القريب من الظهور

الإنصاف أنّه في زمن قريب جدًّا من الظهور إذ يعمّ [فيه] الظلم: «مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»، فمن المَظْنون به، بل ما هو أعلى من الظنّ، أن تحصل للأشخاص الباقين على إيمانهم و الثابتي القدم فيه قبل الظهور عنايات و ألطاف خاصّة لئلّا يخرجوا من الدين؛ لأنّ ولي العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف

عن العدوّ الّذي كان كامنًا خلفها، و في نهاية المطاف تكبّدت خسائر فادحة، إذ إنّ الله سبحانه و تعالى يشغل أعداء الإسلام بأعداء الإسلام، ليبقى أصل اسم الإسلام.

(١) رُوي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «سَيأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يبْقَى مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ، يُسَمَّوْنَ بِهِ وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ مِنْهُ»؛ الكافي، ج٨، ص٣٠٨؛ و راجع أيضًا: نهج البلاغة، الحكمة ٣٦٩، ص٥٤٠؛ بحار الأنوار، ج٢، ص١٠٩.

(٢) روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «يأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ... لَا يبْقَى مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا اسْمُهُ وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا رَسْمُهُ وَلَا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا دَرْسُهُ»؛ جامع الأخبار، ص١٢٩؛ بحار الأنوار، ج٢٢، ص٤٥٣. إنّ مراد هذه الرواية أنّه بدلًا من العمل بقوانين هذا الكتاب السماويّ المقدّس و تعاليمه ـ الّذي يمثّل الدستور الوحيد في حياة المسلمين ـ يُكتفى منه بالدرس الصوريّ دون العمل بمضامينه.

هو سند الناس، وكلّ من كان سنده هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف يكون طود الإيمان! وكأنّ الناس إلى الزمان القريب للظهور يتعرّضون [للغربلة و] التصفية كما جاء [في الرواية]: «يقُومُ بَعْدَ ... ارْتِدادِ أَكثَرِ الْقائِلِينَ بِإمامَتِهِ»[1].

و حتمًا أنّ الّذين خرجوا من الابتلاءات و الامتحانات الإلهيّة [فائزين و ناجحين] ستشملهم ألطاف خاصّة من ناحية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

(١) إشارة إلى الرواية الّتي نقلها صقر بن أبي دلف عن الإمام الجواد عليه السلام، الّتي جاء في فقرةٍ منها أنّه سأل الإمام عليه السلام عن سبب تسمية الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بـ«القائم»، فأجابه الإمام عليه السلام: «لِأَنَّهُ يقُومُ بَعْدَ مَوْتِ ذِكْرِهِ وَارْتِدَادِ أَكثَرِ الْقَائِلِينَ بِإمَامَتِهِ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٣٧٨؛ بحار الأنوار، ج٥١، ص٣٠ و١٥٨. و قد ورد شبيه هذا المضمون في روايةٍ عن الإمام العسكريّ عليه السلام؛ راجع: كمال الدين، ج٢، ص٣٨٥.

الروضة التاسعة:

«الظهور و الحوادث المقترنة به»

حاجة الجميع إلى الحاكم العادل

«يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً، بَعْدَما مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»[1] بمعنى أنّ أمر الناس لا يصلح من دون عدل، و أنّ المجتمع و أفراد الأمّة لا ينصلح أمرهم إلّا بظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و مع وضوح هذه المسألة القائلة إنّ الإنسان العادل هو الّذي يستطيع انتهاج العدل و بسطه على الأرض، وكونها من قبيل القضايا الّتي «قياساتُها مَعَها»[2] و لا تحتاج إلى استدلال؛ مع هذا، لماذا يريد الجميع قدومه؟ لأنّ الجميع قد أدركوا أنّهم مبتلون بالظلم، كما أدرك الجميع أنّ الحلّ المنشود لهم يكمن في تطبيق العدل و رعاية الحقوق، و لذلك يهتف الجميع بلسان الحال: «أيّها العادل أقبِل!».

العلامات غير الحتميّة

لقد استولى هؤلاء على مركز الإسلام،[3] أيّ عملٍ للكلاب في المسجد [الحرام؟! و ما للكلاب

---

(١) راجع: الكافي، ج١، ص٣٣٨؛ الإمامة و التبصرة من الحيرة، ص٢١؛ كفاية الأثر، ص٤٧؛ الغَيبة (للنعماني)، ص٨١؛ كمال الدين، ج١، ص١٣٩.

(٢) إنّ القضايا الّتي قياساتها معها هي القضايا الّتي يُصطلح عليها في علم المنطق بـ«الفطريّات»، و هي القضايا الّتي لا تحتاج إلى استدلال، من قبيل: الاثنين نصف الأربعة.

(٣) حُكّام الجَور الّذين يحكمون البلاد الإسلاميّة.

و للمسجد]؟![1] أهلكهم الله! و لكن إذا كان الأمر [أي الفرج] قريبًا، فإنّ الظلم سوف يشتدّ، و نرجو أن تحلّ بعض هذه الأمور الّتي تحقّقت، محلّ بعض الفتن المذكورة في الروايات.

من علامات الظهور: قساوة القلوب

مع أنّ حزن المؤمن و سروره يسريان إلى سائر المؤمنين، لكن لماذا نحن غير مُبالين مع نزول جميع هذه البلاءات و المصائب على أهل الإيمان؟! فإمّا أنّنا لسنا بمؤمنين، أو أنّ هؤلاء [المبتلين] ليسوا كذلك، أو أنّ القلوب صارت قاسية. لقد ورد في الرواية أنّ ظهور قائم آل محمّد عليه السلام سيكون «بَعْدَ قَسْوَةِ الْقُلُوبِ»[2].

من علامات الظهور: عدم الاهتمام بأهل الإيمان

يقول السعديّ[3]:

بني‌آدم اعضاي يكديگرند — كه در آفرينش ز يك گوهرند
چو عضوي به درد آورد روزگار — دگر عضوها را نماند قرار

---

(١) إنّ هذا التعبير عنهم متّخذٌ من بعض الآيات القرآنيّة الّتي تصف حقيقة بعض الكفّار و المنافقين و باطنهم، إذ إنّهم في صفاتهم السبُعيّة أوحش من الكلاب و أضلّ من الأنعام. و إنّ حكّام الجَور هؤلاء ليسوا بمسلمين أساسًا، بل تلبّسوا بثياب المسلمين حتّى يتمكّنوا من تسلُّم الحكم. و هذا ليس كلام الشيعة فقط في حقّهم، بل المنصفون من أهل السنّة في الحجاز يعترفون أنّ هؤلاء من اليهود و لا تربطهم بالإسلام صِلة، و قد فضح الصحافيّ ناصر السعيد هذا الأمر في كتابه. و كان سماحة الشيخ رحمه الله ينصح بقراءة ذلك الكتاب لمعرفة أساس حكّام تلك المناطق و تاريخهم و لمعرفة جذور الوهّابيّة. و هو كتاب نافع خاصّةً للذين يريدون أن يتّخذوا الوهّابيّين أولياء، حتّى يعرفوا أصول هذه العقيدة الفاسدة الّتي تريد أن تنخر بالإسلام و تُفسد فيه لصالح الكفر و الاستعمار، فهو يبيّن تاريخ هؤلاء الّذين يحكمون في الحجاز، و يكشف العهود و المواثيق الّتي أُخذت منهم مقابل الاستيلاء على الحكم في الحجاز. و على إثر تأليف هذا الكتاب فقد أمر هؤلاء عملاءهم و من يتّبعون نهجهم أن يغدروا بمؤلّفه مقابل مبلغ كبير جدًّا من المال، فاختطفوه و سلّموهم إيّاه ليقتلوه. و هذا يبيّن مدى خبثهم و رجسهم، خاصّةً أنّ هذا الصحافيّ هو من أهل السنّة و ليس من الشيعة، و هذا يعني أنّ قضيّة الجذور اليهوديّة لهؤلاء الحكّام لا يعرفها الشيعة فقط بل أهل السنّة أيضًا يعرفونها. و كذلك ينبغي مراجعة قضيّة تشرُّف أحد المؤمنين بمحضر الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف عندما وَصَفَ عجّل الله تعالى فرجه الشريف كبيرَ هؤلاء بالكلب ابن الكلب، و قد ذُكرت قصّة هذا التشرّف مع الهامش التابع لها في الصفحة ٧٤١ من هذا الكتاب.

(٢) راجع: كمال الدين، ج٢، ص٥١٦؛ بحار الأنوار، ج٥١، ص٣٦١.

(٣) شاعر إيرانيّ مشهور، كان يذكر بعض الحِكَم في أشعاره، من كُتبه «بوستان» و «گلستان».

(إنّ بني آدم أعضاء بعضهم لبعض خُلقوا من جوهرٍ واحد
فلَئن آلمت الحوادث عضوًا منهم لا يبقى لبقيّة الأعضاء قرار)

و قد نقل المرحوم الشيخ عبّاس القمّيّ في سفينة البحار رواية و كأنّ هذا الشعر مقتبس منها[١]. و إذا تتبّع أحدٌ الأمثال و الحكم و الأشعار، فإنّه يستطيع جمع مجموعة كبيرة من الآثار. و قد جاء في إحدى الروايات ما مضمونه: أحيانًا يشعر المؤمن بالحزن و الأسى دون أن يعرف سببًا لذلك، و تكون علّة ذلك أنّ مؤمنًا آخر في أقصى بقاع الأرض قد أصابه بلاء. و أحيانًا يكون ارتفاع البلاء عنه سببًا في سرور سائر المؤمنين[٢]. و أحيانًا يكون مؤمنٌ واحدٌ سببًا في نزول الرحمة و البركات على سائر المؤمنين.

مع كلّ هذه البلاءات الّتي تُصبّ على المسلمين و خاصّة الشيعة منهم، ألا ينبغي أن نكون مغمومين و محزونين؟! هل يجب أن نكون لا مُبالين؟! أم ينبغي أن يكون قلقنا و حزننا و كأنّ البلاء قد نزل علينا نحن؟! و إحدى العلامات المذكورة لآخر الزمان و قيام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف هي أنّهما يكونان: «بَعدَ قَسوَةِ الْقُلُوبِ»[٣].

و على كلّ حال، فقد أَتمّوا الحجّة علينا، فإذا عرفنا تكليفنا و عَمِلْنا به في هذا الزمان، يحقّ لنا أن نرمي بعمائمنا فرحًا نحو السماء، و في الموارد الّتي لا تجري فيها أصالة البراءة[٤] ـ مثل موارد الدماء و الأموال الخطيرة [و المهمّة] و الأعراض و الإسلام و ضروريّات الدين ـ علينا العمل بالاحتياط.

---

(١) روي عن رسول الله صلّى الله عليه و آله أنه قال: «إنّمَا المُؤمِنُونَ في تَراحُمِهِم وَ تَعاطُفِهِم بِمَنزِلَةِ الجَسَدِ الوَاحِدِ، إذَا اشتَكَى مِنهُ عُضوٌ وَاحِدٌ تَداعَى لَهُ سَائرُ الجَسَدِ بِالحُمّى وَ السّهرِ»؛ سفينة البحار، ج١، ص٥٦. يقول المرحوم الحاجّ الشيخ عبّاس القمّيّ رحمه الله بعد ذكر هذه الرواية، إنّ السعديّ اقتبس شِعره منها. لمزيدٍ من الاطّلاع يُمكن مراجعة: الكافي، ج٢، ص١٦٦؛ بحار الأنوار، ج٢٠، ص١٢٧؛ ج٧١، ص٢٣٤، ٢٧٤ و٢٨١.

(٢) راجع: بحار الأنوار، ج٥٨، ص١٤٧.

(٣) لقد قال الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في توقيعه لنائبه الأخير عليّ بن محمّد السمريّ رحمه الله: «فَلَا ظُهُورَ إلَّا بَعْدَ إذْنِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الْأَمَدِ وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ وَامْتِلَاءِ الْأَرْضِ جَوْرًا»؛ كمال الدين، ج٢، ص٥١٦.

(٤) إنّ أصالة البراءة من بين الأصول الّتي جعلها الأئمّة الأطهار عليهم السلام للمتشرّعة، إذ إنّ الله سبحانه و تعالى في موارد الشكّ في وجود الحكم الشرعيّ المُلزم، يرفع التكليف بذلك الحكم تسهيلًا و امتنانًا على العباد. و عليه، فإنّ هذا الأصل إنّما يجري في الموارد الّتي تتناسب مع التسهيل و الامتنان. أمّا في الموارد الّتي ترتبط بحقوق الناس، من قبيل: أموالهم و أرواحهم و أعراضهم، أو الأمور المهمّة الّتي يتوقّف عليها حفظ أركان الدين، فلا يكون هناك مورد لمثل هذا الأصل؛ إذ إنّ تشريع البراءة في هذه الموارد من شأنه أن ينطوي على بعض المفاسد، و هذا في حدّ ذاته مخالف للامتنان على الأمّة، و لا يُستحسن التسهيل على العباد في مثل هذه الموارد.

يروي بعض المقدّسين من خدّام مشهد [الإمام الرضا عليه السلام] ـ و قد رحل عن هذه الدنيا رحمه الله ـ قائلًا: رأيت في المنام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حاضرٌ، و قد تحلّق حوله جماعة من أصحاب العلم و غيرهم. وكان أحدهم رجلًا مُسنًّا على رأسه ما يشبه العمامة أو شيئًا من هذا القبيل، فتقدّم من رسول الله صلى الله عليه وآله و قال له: متى يكون ظهور ولدك المهديّ صلوات الله عليه؟ فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: عندما تصبح مساجدكم مثل مساجد الشام! فقال ذلك الرجل المسنّ: كيف هي مساجد الشام؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ أبوابها من الذهب! كانت هذه هي العبارة الّتي سمعها في منامه: «إنّ أبوابها من الذهب». وكأنّ هذه الأبواب موجودة داخل المسجد [و ليس في الباحة و الصحن] فتكون بذلك [مصداقًا] لـ «زخرفة المساجد» (تزيين المساجد بالذهب) و هو أمرٌ غير جائز. و هؤلاء يفعلون ذلك، و أضحت [مساجدهم] موضعًا للزينة. كما يُفعل ذلك في الوقت الراهن في بيوت الأصنام في بعض المناطق. فإنّ بيوت الأصنام عندهم مُذهَّبة. طبعًا إنّها رؤيا و لا حجّة تقوم عليها، [لكن] هناك رواية تقول: «مَن رَآني فِي المَنَام لَم يدخُل النَّار»[1] و «مَن رَآنِي فِي المَنَام كَمَن رَآنِي فِي اليقظَة فَإنّ الشَّيطَان لَا يتَمَثَّل بِي»[2]، و هذا ـ حسب الظاهر ـ يشمل جميع الأئمّة الأطهار عليهم السلام. من اللافت أنّ رواية: «مَن رَآنِي فِي المَنَام لَم يدخُل النَّار» مرويّة من طرق العامّة أيضًا، و هذا الأمر مهمّ جدًّا، إذ إنّها منقولة عن الكتب العامّة، و لذلك لا ينبغي إهمال النظر في كتبهم. فإنّ المرء لَيجد في كتبهم حججًا [لنا] لا يجدها في كتب الخاصّة نفسها[3]، كما هو الحال في هذه الرواية القائلة: «مَن رَآنِي فِي المَنَام لَم يدخُل النَّار». و هناك أدعية خاصّة و أعمال أخرى لكي يرى المرء رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، حتّى إنّ الشخص يُمكنه أن يتلو الحمد و سورة و يهديهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بنيّة رؤيته في المنام، فإذا كان في ذلك صلاح رآه. و إنّها رواية عجيبة جدًّا. و قد ذُكرت في كتاب «شرف النبيّ و معجزاته» هذه الرواية: «مَن رَآنِي فِي المَنَام لَم

(١) راجع: كنز العمّال، ج١٥، ص٣٨٣؛ جامع الأحاديث (للسيوطيّ)، ج٢٠، ص٣٢١.

(٢) راجع: صحيح البخاريّ، ج١، ص٩٥، ح١٠٥؛ ج١٠، ص٣٦، ح٥٤٩٥؛ ص٣٦٥، ح٦٢٥١ و٦٢٥٢؛ صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٧٥، ح٢٢٦٦.

(٣) المقصود أنّ في كتب العامّة مطالب مهمّة و حججًا بالغة يمكن الاستناد عليها لإثبات حقّانيّة المذهب الشيعيّ، و بعضها لا يكون مذكورًا في كتب الشيعة المتوفّرة أو لم تصل إلى أيدينا، فيكون الشيعة مستغنين بها عن الرجوع إلى كتبهم أنفسهم للاحتجاج على مخالفيهم.

يدخُل النّار» و «مَن رَآني في المَنَام كمَن رَآني في اليقظَة فَإنّ الشَّيطَان لَا يتَمَثَّل بِي». و جميع هذه الأمور مشتركة بين النبيّ الأكرم ﷺ و جميع أبداله [أي خلفائه، الأئمّة الأطهار عليهم السلام]، إلّا أنّه: «لا نبيَّ بعدي»(١).

من علامات الظهور: التباهي بزينة المساجد!

و ما رَوَته العامّة أنّ: «مِنْ أَشْرَاطِ السّاعَةِ أنْ تَتَبَاهى النّاسُ في الْمَساجِدِ»(٢)، فيقول هذا: بنَيْنا مسجدًا أفضل [من مسجدكم]، و يقول الآخر: بل نحن بنينا مسجدًا أفضل [من مسجدكم]! طبعًا يكون هذا التباهي [و التفاخر] على أساس زينة [مساجدهم]! لتزخرفنّها [كَمَا تُزَخْرَفُ الْبِيَعُ وَ الْكَنَائِسُ]، بمعنى أنّكم سوف تتشبّهون باليهود و النصارى(٣).

من علامات الظهور: ظهور الأدعياء الكذّابين

جاء في الروايات أنه قبل ظهور الإمام الصاحب عجّل الله تعالى فرجه الشريف، يخرج ستّون كذّابًا، كلّ واحدٍ منهم يدّعي النبوّة [و الإمامة أو البابيّة و نيابته](٤) و لكن كذباتهم تنكشف بفضل الله تعالى، و لا يوثق بأيّ واحد منهم، و أهل البصيرة يعلمون أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف حقّ. و يبدو أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف

---

(١) يعني أنّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام أيضًا لهم هذا المقام، بحيث إذا زارهم أحدٌ و رآهم في المنام فكأنّه زارهم في اليقظة، لأنّ الشيطان لا يستطيع أن يتمثّل بهم، لكن الفرق أنّهم ليسوا أنبياء، بل هم أوصياء للنّبيّ ﷺ، إذ من بعد النبيّ ﷺ لا يأتي نبيٌّ آخر، بل هو خاتم الأنبياء ﷺ.

(٢) جواهر الكلام، ج١٤، ص٨٩.

(٣) روي عن رسول الله ﷺ بشأن علامات آخر الزمان، أنّه قال: «تُزَخْرَفُ الْمَسَاجِدُ كَمَا تُزَخْرَفُ الْبِيَعُ وَالْكَنَائِسُ»؛ تفسير القمّيّ، ج٢، ص٣٠٥؛ بحار الأنوار، ج٦، ص٣٠٧. و إنّ تذهيب المساجد حرام، إلّا أنّ المشاهد المشرّفة للأئمّة الأطهار عليهم السلام ذات حيثيّتين؛ لأنّ أولياء الله يمتلكون صبغة إلهيّة إذ إنّهم يمثّلون الله تعالى، و من هذه الناحية يكون لمشاهدهم المشرّفة حكم المساجد. و لكن من ناحية أخرى فإنّ هؤلاء الأولياء الصالحين هم من البشر و قد خلقهم الله تعالى، و من هذه الناحية لا بأس بالقيام بما يتناسب مع احترامهم و تعظيم شأنهم، من قبيل: وضع الزينة على مراقدهم أو تذهيب قباب المراقد المطهّرة للأئمّة المعصومين عليهم السلام.

(٤) رُوي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لَاتَقُومُ السَّاعَةُ حتّى يَخْرُجَ المهديّ مِنْ وُلْدِي، وَلَا يَخْرُجُ المهديّ حتّى يَخْرُجَ سِتُّونَ كَذَّابًا كُلُّهُمْ يَقُولُ أَنَا نَبِيٌّ»؛ الإرشاد، ج٢، ص٣٧١. و المقصود الّذي كان سماحة الشيخ رحمه الله يستنتجه من هذه الرواية هو ادّعاء النبوّة أو ما يرتبط بالنبوّة؛ إذ إنّ للنبوّة ذيولًا، و كلّ من يدّعي أنّه متّصلٌ بالغيب لكنّه لا يكون كذلك يكون كذّابًا، لأنّ الاتّصال بالغيب يدخل في إطار ذيول النبوّة. و عليه يدخل في هذا الإطار من يدّعي كذبًا أنّه وصيٌّ أو نائبٌ خاصٌّ للوصيّ بإذنه و بأمره.

عندما يظهر فإنّه يقول: أيّها الناسُ، إنّي أنا الصّاحِبُ الّذي كنتم تنتظرونه، و بعد إتمام الحجّة يرون منه عليه السلام كرامات، و ينكشف كذب المدّعين[1].

من علامات الظهور: فتن كقطع الليل المظلم

نسأل الله ألّا نُخذل و ننحرف عن طريقة أهل الحقّ، أهل البيت عليهم السلام، و نُحْرَم إيّاها و لو بالتقيّة[2]. فإنّ سلب الإيمان من أهل الإيمان أشدّ من قتلهم. و قد جاء في الروايات أنّ الفتن تأتي على أهل الإيمان «كقِطَعِ الليلِ الْمُظْلِمِ»[3]. إنّنا نرى جميع هذه الابتلاءات لكنّنا مع هذا نتساءل هل [رواية و مقولة حصول] «فِتَن كقِطَعِ الليلِ الْمُظْلِمِ» صدقٌ أم لا؟! و هل ـ نعوذ بالله ـ الطريقة الحقّة لأهل البيت عليهم السلام حقٌّ أم باطل؟! فإنّنا مع جميع ما نرى من هذه الحوادث الّتي توقّعوها لنا و أخبرونا عنها لا نزال في شكٍّ و تردّد!

من علامات الظهور: القتل على الاسم و الهويّة

من الممكن أن تقترن بعض العلامات الحتميّة للظهور بوقت ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و يكون بعضها الآخر قبل ظهوره. جاء في الرواية: إنّ السفيانيّ يخرج قبل ثمانية أشهر من ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف تقريبًا[4]، و يقتل الناس على الاسم و الهويّة، و يقتل كل من كان اسمه

---

(١) ينقل سماحة الشيخ رحمه الله في هذه العبارة مضمون كلام الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فقد جاء في الروايات أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف عندما يظهر يُعرّف عن نفسه بكلماتٍ من جملتها: «أَنَا بقيّة اللّهِ فِي أَرْضِهِ وَخَلِيفَتُهُ وَحُجَّتُهُ عَلَيْكُمْ»؛ كمال الدين، ج١، ص٣٣١؛ و راجع أيضًا: إلزام الناصب، ج٢، ص٢٣٣. و ورد في روايةٍ أخرى: أنّ مُناديًا مأمورًا بالتعريف عن الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ينادي: «هَذَا المهديّ يَقْضِي بِقَضَاءِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ»؛ الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٣١٣ و راجع أيضًا: المصدر نفسه، ص٣١٥. و كذلك جاء في روايةٍ أخرى أنّ سحابة ستكون مع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف تظلّله في كلّ مكانٍ و تنادي بصوتٍ واضحٍ: «هَذَا المهديّ»؛ كشف الغمّة، ج٢، ص٤٧٥. و عليه، مع وجود كلّ هذه الدلالات و الإرشادات البيّنة و الواضحة و بالإضافة إلى كراماتٍ أخرى من جملتها وصول نداء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى جميع أنحاء العالم، فإنّ المدّعين الكاذبين سوف يُفضَحون.

(٢) أي و لو كان عدم الانحراف عن طريقتهم يحصل بالتقيّة، فنقوم بها لكن دون أن نخسر الإيمان القلبيّ بأهل البيت عليهم السلام و بمنهجهم.

(٣) رُوي عن الإمام السجّاد عليه السلام أنّه قال: «لَتَأْتِيَنَّ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ»؛ الأمالي (للمفيد)، ص٤٥؛ بحار الأنوار، ج٥١، ص١٣٥.

(٤) راجع: بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٠٦.

حسنًا و محمّدًا و عليًّا [و ما إلى ذلك من الأسماء][1]، و في نهاية المطاف يحصل الفرج للعالَم و لا سيّما أهل الإيمان بظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

من علامات الظهور: ابتلاء أهل الإيمان بظلم الظالمين

الله يعلم أيّ ظلم سيُبتلى به أهل الإيمان قبل الظهور! إنّ المسلمين و أهل الإيمان سيكونون بمنزلة القطيع الّذي فقد راعيه و قد أحاطت به الذئاب من كلّ جانب. و ربما كانت هذه الذئاب منهم أنفسهم [و فيهم]! كالشجرة الّتي نخرت الديدان في جوفها حتّى ذوَت[2].

من علامات الظهور: امتلاء الأرض ظلمًا

يُعلم من سفك الدماء الّذي يحصل قبل ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بأنّ ظهوره عجّل الله تعالى فرجه الشريف سوف يكون مانعًا من سفك الدماء [و يكون حقنًا للدماء]؛ لأنّ الجميع سوف يكون تابعًا لأمر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف طوعًا أو كرهًا. و كذلك يُبيّن أنّه لا بدّ من حصول الظلم و سفك الدماء إلى الحدّ الّذي يتّضح معه للجميع أنّ الأرض قد «مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا» و يشعر أهل الأرض ـ حيثما حلّوا ـ أنّ ظلّ الظلم و الجَوْر يمتدّ فوق رؤوسهم، و يعيش جميع العالَمين ـ حتّى الكفّار ـ تحت ضغط [و ثقل] الظلم و الجَوْر، و يكونون في انتظار النجاة و ظهور الفرج و المصلح.

و قد أخبرنا الأئمّة عليهم السلام في الروايات المأثورة عنهم أنّ الكثير من أهل الإيمان و العقيدة سوف يرتدّون [عن إيمانهم] على إثر الابتلاءات.[3] نسأل الله الثبات على الإيمان حتّى ذلك الوقت، و إلّا فإنّه حتّى إذا كان الظهور قريبًا، و لكن إيماننا كان قد زال، فما لنا و للظهور، و ما للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لنا؟![4]

---

(١) فرائد فوائد الفكر، ص٣٢٠؛ إلزام الناصب، ج٢، ص١٦٣.

(٢) يقصد سماحة الشيخ رحمه الله الأشخاص الّذين هم من الشيعة بحسب الظاهر، و يدّعون حبّ أهل البيت عليهم السلام و الانتماء إليهم، لكنّهم يُدخلون الشكّ و التردّد إلى قلوب المؤمنين ليزلزلوا بذلك عقائدهم الحقّة و الصحيحة و يوهنوها. إذ إنّهم يأكلون عقائد الناس كما يأكل الذئب القطيع، فهم كالذئاب بلباس الشيعة.

(٣) راجع: كمال الدين، ج٢، ص٣٧٨و٣٨٤و٣٨٥.

(٤) كان سماحة آية الله الشيخ البهجة رحمه الله يقول في موضعٍ آخر: «إنّ ثبات أقدام المؤمنين على الدين و الإيمان إلى حين

معنى «بعدما مُلئت ظلمًا و جورًا»

سُئل السيّد الكرمانشاهيّ ـ الّذي كان سيّدًا جليلًا ـ حول وقت ظهور إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فقال: و الله الهادي، و الله الكريم. بعد ما ملئت ظلمًا و جورًا.

نحن لا نستطيع تعيين و تحديد درجة الظلم و الجَوْر المقصودة في قولهم عليهم السلام: «مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»، و لكنّ الظاهر أنّه وقت انتشار الظلم و الامتلاء به، فحينئذٍ يتحقّق الأمر و يظهر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ لأنّهم لم يقولوا: «مُلِئَتْ وَ بَقِيتْ عَلى ما مُلِئَتْ به»، بل قالوا: «مُلِئَتْ»، و هذا الأمر ـ أي «مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا» ـ قد تحقّق في هذا الزمان [بمرتبة ما] بنحوٍ لا يخلو شبرٌ من الأرض من الظلم و الجَوْر! و لكن نحن لا نستطيع تحديد المرتبة المقصودة بـ «مُلِئَتْ» و تشخيصها؛ إذ لم تُعيَّن جميع خصوصيّات وقت الظهور، و لم تتحقّق بعد جميع العلامات الّتي عُيّنت للظهور، و من هنا يُعلم أنّ تلك المرتبة من «مُلِئَتْ» [المقصودة في الحديث] لم تتحقّق بعدُ إلى الآن.

حقيقةً أيّ بلاءٍ أنزلنا نحن المسلمين على رؤوسنا أنفسنا و لمّا يكن النبيّ صلّى الله عليه و آله قد ارتحل عن الدنيا بعد! و ذلك عندما أمر حضرته صلّى الله عليه و آله: ائتوني بكتفٍ و دواةٍ لأوصي [و أكتب لكم كتابًا لن تضلّوا بعده أبدًا]، و لكنّ أكابر القوم منّا(١) قالوا: «إنّ الرَّجُلَ لَيَهْجُرُ!»(٢).

لشدّة الظلم و الجَوْر مراتب

قال [السيّد حيدر الحلّيّ(٣) في شِعره مخاطبًا الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف:]

ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو بالنسبة إلى المؤمنين أهمّ من ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف». لأنّ الإنسان إذا خرج من الدنيا و هو على الإيمان و لو لم يرَ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فإنّه سيرحل مُطمئنًّا، و في القبر و القيامة سيكون محلًّا لعناية الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أهل البيت عليهم السلام و شفاعتهم، لكن إذا خرج الإنسان ـ و العياذ بالله ـ عن إيمانه، فحتّى لو ظهر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فمن الممكن ـ نعوذ بالله ـ أن يقف هذا الشخص مقابل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يكون الظهور بالنسبة إليه زيادة في الخسران.

(١) أي الخلفاء الّذين بزعمهم كانوا يعدّون أنفسهم كبار المسلمين و مشايخهم!

(٢) راجع: صحيح البخاريّ، بابُ مرضِ النبيّ صلّى الله عليه و آله و وفاتِه، ج٧، ص٩٣و٩٤؛ صحيح مسلم، بابُ تركِ الوصيّةِ لمن ليس له شيءٌ يُوصي فيه، ج٣، ص١٢٥٩.

(٣) السيّد حيدر الحلّيّ (١٢٤٦ إلى ١٣٠٤ق) هو من الشعراء العراقيّين المشهورين، وكانت له أشعار جميلة في مدح أهل البيت عليهم السلام و رثائهم و لا سيّما سيّد الشهداء عليه السلام، و هو في شعره هذا يُخاطب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يشكو إليه تأخير حصول الفرج، و يعاتبه لماذا لا يظهر مع أنّه لا تحصل مصيبةٌ أفجع من مصيبة الطفّ و لا يتحقّق ظلمٌ أكثر من ذلك.

أَتُـــرى تَـجِـيء فَـجِـيـعَـةٌ   بـأمَـرَّ مِـنْ تِـلْـكَ الفَـجِـيـعَـة؟
حَيثُ الحُسينُ عَلَى الثَّرَى   خَيلُ العِدَى طَحَنَتْ ضُلُوعَه
وَ رَضِـيـعُـهُ بِـدَمِ الـوَرِيـدِ   مُخَضَّبٌ فَاطْلُبْ رَضِيعَهُ[1]

[بمعنى] هل سوف تصبر؟! و هل ستكون هناك من واقعة أكثر فظاعة من واقعة كربلاء؟!

[عجبًا] لقد حدثت واقعة كربلاء و قضيّة الإمام سيّد الشهداء عليه السلام قبل ولادته عجّل الله تعالى فرجه الشريف! [مع هذا أنت] تقول: يجب أن لا تكون هناك غَيبة أصلًا بعد واقعة كربلاء؟! ألم يكن الأئمّة السابقون عليهم السلام يعلمون أنّ أعظم مصيبة هي مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام؟ [كان الإمام الرضا عليه السلام يقول:] «إِنْ كُنْتَ بَاكِيًا لِشَيْءٍ فَابْكِ لِلْحُسَيْنِ»[2]. أَلم تعلم أنّ قتل سيّد الشهداء عليه السلام إذا أضيف إلى حرق الجسد الطاهر لزيد [بن عليّ عليه السلام]، أكبر من قتل سيّد الشهداء عليه السلام [وحده و] من دون ضمّ حرق أولاده عليهم السلام و قتلهم بالسمّ؟![3]

***

و الجواب عن ذلك واضح؛ فإنّ قتل الإمام الحسين عليه السلام فجيعة. و إنّ قتل الإمام الحسين عليه السلام و إحراق زيد بن عليّ بن الحسين [مجتمعين] أشدّ [و أسوأ] من قتل الإمام الحسين عليه السلام منفردًا. لقد كانوا ينتظرون هذه [الفجيعة بالإضافة إلى جميع الفجائع الأخرى الّتي تحصل حتّى يوم الظهور]. جاء في الرواية: لقد أَذِن الله بزوال ملك بني أميّة بعد مقتل زيد؛ لأنّهم كانوا قد قتلوا الإمام الحسين عليه السلام و قتلوا زيدًا أيضًا[4].

---

(١) أعيان الشيعة، ج٦، ص٢٦٨.

(٢) قال الإمام الرضا عليه السلام لابن شبيب: «يَا ابْنَ شَبِيبٍ، إِنْ كُنْتَ بَاكِيًا لِشَيْءٍ فَابْكِ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنَّهُ ذُبِحَ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ»؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٢٩٩؛ الأمالي (للصدوق)، ص١٣٠؛ وسائل الشيعة، ج١٤، ص٥٠٢؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٨٦؛ ج٩٨، ص١٠٣.

(٣) أي أنّ مصيبة الإمام سيّد الشهداء عليه السلام، و إن كانت هي أعظم مصيبة جرت على أهل البيت عليهم السلام و شيعتهم، لكن من البديهيّ أنّنا إذا ضممنا إلى هذه المصيبة مصائب أخرى، مثل حرق جسد زيد بن عليّ عليهما السلام و دسّ السمّ إلى سائر الأئمّة الأطهار عليهم السلام، سوف تكون المصيبة أشدّ و أعظم.

(٤) رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِكْرُهُ أَذِنَ فِي هَلَاكِ بَنِي أُمَيَّةَ بَعْدَ إِحْرَاقِهِمْ زَيْدًا بِسَبْعَةِ أَيَّامٍ»؛ الكافي، ج٨، ص١٦١؛ بحار الأنوار، ج٤٦، ص٢٠٥. و راجع أيضًا: تفسير العياشيّ، ج١، ص٣٢٥؛ بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٩١.

يميلون مع كلّ ريح!

يا للبلاء الّذي أنزلناه على أنفسنا؛ حتّى اعتقدنا أنّ الرئيس [الإمام وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف] مغلول اليدين، و لا يستطيع إدارة [الأمور] بإظهار نفسه. نحن السبب في كلّ ذلك... و ليس من المعلوم في نهاية المطاف كم سوف يستغرق هذا الأمر [عصر الغيبة]، و إلى كم ينبغي أن «تُملأ الأرض ظلمًا و جورًا» حتّى يبلغ الأمر منتهاه! بل ورد في الرواية أنّ الكثير من الناس سوف ينكصون عن هذا المنهج [العقيدة الحقّة] على أعقابهم. و المتعارف أنّه كلّما تعرّض شخصٌ إلى بلاء يمسّه على المستوى الشخصيّ، فإنّه يقول: إنّ هذه السَنة هي سَنة الظهور! يُقال إنّ شخصًا كان داخلًا في السياسة؛ و كان كلّما سارت السياسة ضدّ توجّهاته، قال: «عجبًا؛ كيف لا يتحقّق الظهور، و قد وصل الوضع إلى هذا الحدّ من الفوضى [و الاضطراب]»، و لكن كلّما سارت الأمور السياسيّة على وفق مراده [و لمصلحته] كان يقول: «حقًّا لم يعد يجوز لأحدٍ السكوت، و يجب علينا جميعًا أن ندخل في السياسة»!!

مصاديق من الظلم و الجَوْر

نعوذ بالله من أن نسلك طريقًا يكون شرط سلوكه سَحْق الحقّ! نعوذ بالله من أن نسلك طريقًا لا نتمكّن من الرجوع منه! نسأل الله العودة من الطريق عندما نعلم أنّنا لا نستطيع [و أنّه لا يجوز لنا مواصلة] السير فيه و أنّه يجب علينا العودة منه؛ و إلّا فإنّ الله يعلم حجم الأكاذيب و المسوّغات الّتي سوف نقولها!

نسأل الله تعالى أن يجعل هذه الأحداث ـ الّتي تقع ـ بشارةً بقرب ظهور إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف. إنّ صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه متألّمٌ أكثر منّا، لأنّ طائفتَين من المسلمين تقتتلان! إنّ التاريخ لا يكشف عن مثل هذا الأمر! و لذلك، فإنّ هذا الأمر يقرّب من [احتمال] أن تكون هذه [الأحداث] متّصلة بظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

الامتلاء من الظلم و ليس من الكفر

لم يقولوا عليهم السلام [في الرواية عبارة] «مُلئت كفرًا»؛ لأنّ كلّ كافرٍ يقول: إنّ ديني هو الأفضل! بل قالوا عليهم السلام: «مُلئت ظلمًا»؛ و بذلك يتّجه كلّ شخص بفطرته إلى ضرورة أن يأتي منقذٌ.

لا يجوز نشر الظلم تمهيدًا للظهور!

هناك جماعةٌ استنادًا إلى رواية: «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا بَعْدَ ما مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»[1] يتخيّلون أنّ ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يتوقّف على امتلاء العالم أو مَلئه بالظلم و الجَوْر؛ [و يتخيّلون هذا] نتيجة هذا الاستدلال: بما أنّ إظهاره عجّل الله تعالى فرجه الشريف واجبٌ، إذًا مقدّمة هذا الواجب الّتي هي امتلاء الدنيا أو مَلؤها بالظلم و الجَوْر واجبة أيضًا!![2]

من علامات الظهور: ازدياد الكذب!

سيكثر الكذب في آخر الزمان، لماذا؟ لأنّ هناك رواية تقول إنّ الظلم سيكثر في آخر الزمان، و ذلك الّذي يظلم يقول إنّني أتعامل بالعدل و أعمل على إنجاز العدالة و تحقيقها، لذا فإنّ الكذب يكثُر!

من علامات الظهور: ازدياد الشرور و الفساد يومًا بعد يوم!

كأنّنا الآن ندرك يومًا بعد يوم أنّ الأمر قريب، ففي كلّ يوم يدرك المرء أمورًا لم يكن قد سمع بها سابقًا! إنّ الشرّ و الفساد يزدادان يومًا بعد يوم و لا ينقصان. نسأل الله أن يوفّقنا لكي نكون مهيّئين [و على أهبة الاستعداد]، و لا نكون بحيث ننحرف و ننصرف عند ظهوره عجّل الله تعالى فرجه الشريف!

من علامات الظهور: اختبار إيمان القلوب

يكفي لإبطال مذاهب بعض الفِرَق الضالّة، نشر تاريخ المؤسّسين لها و سِيَرهم، و ما أُخِذ عليهم من العهود و المواثيق! إنّ هؤلاء [الوهّابيّين] كي لا تخالفهم سائر الفِرَق الإسلاميّة، يخالفون الشيعة باسم أهل السنّة [دون أن يكونوا من أهل السُّنّة حقًّا]؛ لأنّهم هم الّذين هدموا

---

(١) راجع: الكافي، ج١، ص٣٣٨؛ الإمامة و التبصرة من الحيرة، ص٢١؛ كفاية الأثر، ص٤٧؛ الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٨١؛ كمال الدين، ج١، ص١٣٩.

(٢) إنّ المراد من ذلك أنّ أخبار الملاحم و الفتن الّتي يُخبرنا الأئمّة الأطهار عليهم السلام ـ بعلمهم الغَيبيّ ـ عن حدوثها، لا تعني التشجيع على حدوثها. فعندما يُخبر النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام، لا يعني ذلك أنّه يُشجّع على قتله، و أن يبادر البعض إلى المشاركة في قتله؛ بل من الواضحات و المسلّمات في الشرع أنّ الظلم و الإفساد في الأرض من المحرّمات الّتي يجب تركها، و إنّ الشخص الّذي ينتظر الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف عليه أن يعمل على إصلاح نفسه تمهيدًا للظهور، لا أن يعمل على نشر الظلم و الترويج إلى المحرّمات.

قبور زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله، و قبر مالك بن أنس ـ إمام المالكيّة ـ و قبر الخليفة الثالث عثمان في البقيع، و قبر اليسع النبيّ عليه السلام في مدينة الدمّام و ما إلى ذلك من الأفعال الأخرى.

إنّ الابتلاءات الداخليّة لا تسمح لنا أن نفكّر في إيجاد الحلول للمعضلات الخارجيّة، و لكن ماذا نصنع و الحال أنّ ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف يكون عندما «مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»، و قالوا أيضًا: «لا يَثْبُتُ عَلَى الْقَولِ بِإمامَتِهِ إلّا مَنِ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ بِالإيمانِ»[1].

إنّ جميع أنواع الظلم و الخيانات تأتي في ضمن إطار ما يقوله العامّة: «يجوز للأُمراء ما لا يجوز لغيرهم»!

فاقرؤوا ما لها من معانٍ!

من علامات الظهور: ردّة المؤمنين عن الإيمان!

فيما يتعلّق بمجهول المالك أو المالك غير المجهول و لكن لا يمكن الوصول إليه، كالإمام بقيّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف، إذ إنّ المالك معلوم و لكن لا يمكن الوصول إليه، هناك من اختار القول بدفن هذا المال و هناك من اختار رأيًا آخر، و هو أن يوصى به جيلًا بعد جيل [حتّى عصر الظهور]. إنّ هذا يُعدّ إتلافًا تقريبًا و لا يؤدّي إلى شيء! و لا سيّما بالالتفات إلى ما قاله لنا [الأئمّة الأطهار عليهم السلام]: «حتّى يرجع أكثر القائلين بإمامته»[2]. الله يعلم إن كان هذا سيحصل في الغد أو كم أبعد من ذلك! كان هناك شخصٌ لديه معلومات في الجَفر و أمثاله، ينقل عن شخص متضلّع في علم الجفر و أمثاله و لديه معلومات كثيرة فيها، إنّه يحدّد لذلك وقتًا [و يقول:] لو ذكرته لكم، لانتفضتم بأجمعكم و صرختم: يا للويل، أَإلى هذا الحدّ سوف تطول المدّة؟! و لن تطيقوا على سماع ذلك صبرًا! و إذ إنّنا لا نطيق ذلك يقولون لنا: إنّ الفرج قريب! [و ليس هناك كذب في البَيْن]؛ طبعًا إنّ يوم القيامة أيضًا قريب، [و قال رسول الله صلى الله عليه وآله:] «بُعِثْتُ أنَا وَالسّاعة كَهاتَيْنِ»[3]. يقولون: إنّ [الظهور] قريب، فادعوا بذلك. أو أنّهم يورّون [يعتمدون التورية] في الجواب، «الشِّيعَةُ تُرَبَّى بِالأَمَانِي»[4]، يورّون [فيقولون مثلًا:] في الوقت

(١) مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج١، ص٢٨٢؛ بحار الأنوار، ج٢٣، ص٢٨٩.

(٢) راجع: كمال الدين، ج٢، ص٣٨٥.

(٣) بحار الأنوار، ج١٦، ص٢٥٦.

(٤) عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ عَنْ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ قَالَ: «قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: الشِّيعَةُ تُرَبَّى بِالْأَمَانِي مُنْذُ مِائَتَيْ سَنَةٍ. قَالَ: وَقَالَ يَقْطِينٌ لِابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ: مَا بَالُنَا قِيلَ لَنَا فَكَانَ وَقِيلَ لَكُمْ فَلَمْ يَكُنْ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ:

كذا سوف ترى [الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف]. و يكون المراد من ذلك أنّ أجلك سوف يحين في ذلك الوقت، و أنّك عند اقتراب أجلك سوف ترى جماله المبارك. في النهاية، الله يعلم متى يتحقّق [الظهور].

من علامات الظهور: السفيانيّ من العلامات الحتميّة

إنّ طريق [النجاة] ـ حسب الظاهر ـ مُنحصرٌ بظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و بالحكومة الحقّة و الحكومة العادلة، إنّ الأمر ينحصر بذلك، و إنّ توقيت ذلك بيد الله تعالى. و لذلك عندما كتب أبو مسلم إلى ثلاثة أشخاص: إنّي أبايعكم و أنصركم. عندما وصل كتابه إلى الإمام الصادق عليه السلام، وضعه في القنديل و أحرقه، دون أن يقرأه أو ينظر في محتوياته. و قال عليه السلام: أين السفيانيّ، أين خروج السفيانيّ؟ بمعنى أنّه ما لم يتحقّق خروج السفيانيّ، لا يحين وقت الظهور. إنّ أمرنا إنّما يكون بعد خروجه. [فكيف] يأتي هؤلاء و يقولون أمرًا كهذا؟![1]

[إنّ ظهور الإمام صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف] مقيّد بـ «الزمانيّات» [أي العلامات]، لا بـ «الزمن»[2]. و نحن ندّعي أنّنا يمكننا إثبات ذلك بالآيات و البيّنات [إذ بتحقّق العلامات

إنَّ الّذي قِيلَ لَنَا وَلَكُمْ كَانَ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ غَيْرَ أَنَّ أَمْرَكُمْ حَضَرَ فَأُعْطِيتُمْ مَحْضَهُ، فَكَانَ كَمَا قِيلَ لَكُمْ، وَإِنَّ أَمْرَنَا لَمْ يَحْضُرْ فَعُلِّلْنَا بِالْأَمَانِي، فَلَوْ قِيلَ لَنَا إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَكُونُ إِلَّا إِلَى مِائَتَيْ سَنَةٍ أَوْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ لَقَسَتِ الْقُلُوبُ وَلَرَجَعَ عَامَّةُ النَّاسِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ قَالُوا مَا أَسْرَعَهُ وَمَا أَقْرَبَهُ تَأَلُّفًا لِقُلُوبِ النَّاسِ وَتَقْرِيبًا لِلْفَرَجِ»؛ الكافي، ج١، ص٣٦٩.

(١) لقد وجدنا في هذا المجال روايتين، أُولاهما تشير إلى أنّ الإمام عليه السلام و من دون حتّى أن يقبل فتح الرسالة و قراءتها، ردّ حاملها، و الثانية فيها أنّ الإمام عليه السلام قرأ الرسالة ثمّ أحرقها. ربما يكون كلام سماحة الشيخ قدّس سرّه مقتبسًا من هاتين الروايتين مجتمعتين، كما من الممكن وجود رواية ثالثة تجمع الحالتين، أي أنّ الإمام عليه السلام لم يقرأ الرسالة و أحرقها، و لكنّنا لم نجدها. و نصّ الروايتين كما وجدناهما هو كالتالي: «عَنِ الْفَضْلِ الْكَاتِبِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَأَتَاهُ كِتَابُ أَبِي مُسْلِمٍ، فَقَالَ: لَيْسَ لِكِتَابِكَ جَوَابٌ اخْرُجْ عَنَّا ... قَالَ: لَا تَبْرَحِ الْأَرْضَ يَا فَضْلُ حتّى يَخْرُجَ السفيانيّ فَإِذَا خَرَجَ السفيانيّ فَأَجِيبُوا إِلَيْنَا، يَقُولُهَا ثَلَاثًا وَهُوَ مِنَ الْمَحْتُومِ»؛ راجع: الكافي، ج٨، ص٢٧٤.

«ابْنُ كَادِشٍ الْعُكْبَرِيُّ فِي مَقَاتِلِ الْعِصَابَةِ الْعَلَوِيَّةِ كِتَابَة: لَمَّا بَلَغَ أَبَا مُسْلِمٍ مَوْتُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ وَجَّهَ بِكُتُبِهِ إِلَى الْحِجَازِ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ محمّد وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ وَمحمّد بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ يَدْعُو كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى الْخِلَافَةِ، فَبَدَأَ بِجَعْفَرٍ فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ أَحْرَقَهُ وَقَالَ هَذَا الْجَوَاب» مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٤، ص٢٢٩.

(٢) بمعنى أنّ ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف ليس مقيّدًا أو مشروطًا بتصرّم زمنٍ خاصّ، بل هو مشروط و مقيّد بوقائع و أحداث و علامات من الممكن أن تقع في كلّ زمان، من قبيل: أن يُكثر الناس من الدعاء بالفرج، و امتلاء الأرض ظلمًا و جورًا، و خروج السفيانيّ، و الصيحة السماويّة و ما إلى ذلك من العلامات الحتميّة الأخرى.

و الوقائع المذكورة في الروايات سوف يظهر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف]، و إذا حان وقت ذلك و تحقّقت شروطه، عندها سوف يظهر عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

خروج السفيانيّ تحت ذريعة مطالبته بالثأر

لقد اقترح معاوية على عثمان قائلًا: اقتل عليًّا عليه السلام و طلحة و الزبير. فقال عثمان: أقتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فقال معاوية: إذا أنت لم تقتلهم، فإنّهم سيقتلونك. و إذا لم تسمع ذلك منّي، فاتّخذ لنفسك أربعة آلاف حارس من الشاميّين. فقال عثمان: و من أين أؤمّن نفقاتهم؟ فقال معاوية: من بيت المال! فقال عثمان ما مضمونه: هل أنفق هذا المقدار من بيت المال على نفسي؟! فذكر معاوية مقترحه الثالث قائلًا: اسمح لي بأخذ الثأر و المطالبة بدمك بعد مقتلك! فقال عثمان: لقد أذنت لك في ذلك؛ فلن يذهب دمي هدرًا.[1] و هذا ما قام به معاوية بعد أن سيطر على الأوضاع [و تسلّم مقاليد الحكم و استتبّت له الأمور] بعد مُضي عقدَين من الزمن[2]. و قد ارتدى يزيد بدوره قميص عثمان و اعتلى المنبر[3].

و بناءً على ما جاء في الروايات، فإنّ السفيانيّ يقول بعد خروجه: «يا رَبِّ ثأري، ثمّ النّار»[4]؛ و لذلك فإنّه مع أنّ العلويّين كانوا على الدوام مظلومين على أيدي هؤلاء، لكن لا يزال هؤلاء يطالبون بالثأر لعثمان منهم[5]. و قد جاء في الأخبار: إنّ السفيانيّ عندما يخرج، فإنّه يقتل كلّ من كان اسمه حسنًا و حسينًا و عليًّا.

السفيانيّ يقتل على الاسم!

إنّ [السفيانيّ] يقتل الناس على الاسم؛ فيقتل كلّ مَن كان اسمه محمّدًا أو عليًّا أو حسنًا أو

---

(١) راجع: الإمامة و السياسة، ج١، ص٤٩.

(٢) كان معاوية، منذ الأيّام الأولى لمقتل عثمان، يجعل مسألة قتله ذريعةً له، حتّى يكون هذا مُسوّغًا لقراراته الجائرة و اعتداءاته الظالمة! راجع: وقعة صفّين، ص٨١و١٢٧؛ الفتوح، ج٤، ص٣٤٧.

(٣) «فَخَرَجَ يَزيدُ وَعَلى رَأْسِه عِمامَةُ مُعاوِيَةَ وَمَعَه سَيفُه وَخاتَمُه، وَقَد لَبِسَ قَميصَ عُثمان الّذي قُتِلَ عُثمانُ فيه مُلَطَّخًا بالدَّمِ حتّى صَعِدَ المنبَرَ»؛ الفتوح، ج٤، ص٣٤٧.

(٤) كمال الدين، ج٢، ص٦٥١.

(٥) بناءً على الروايات فحتّى إبليس بعد الصيحة الأولى الّتي هي حقّ، يجعل دم عثمانٍ ذريعةً لقتال الشيعة، و يُطلق صيحةً ثانيةً: «أَلَا إِنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا فَاطْلُبُوا بِدَمِهِ!». الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٢٦١و٢٦٢.

حسينًا ـ دون أن يتلازم ذلك بالضرورة مع إبداء معارضةٍ أو مخالفةٍ من قبلهم له ـ و بعد ارتكابه لهذه المجازر بمدّة، يقولون له: هَبْ آباءنا قد اقترفوا إثمًا بتسميتنا عليًّا و حسينًا و ما إلى ذلك، فلسنا نحن بمذنبين! فيقول عندها: حسنًا، لا تقتلوا من كان اسمه فلانًا و فلانًا؛ فيضع بذلك بعض الاستثناءات[1]. و إن كان هذا الأمر لا يمتدّ على ما يبدو ـ حسب الروايات ـ أكثر من ثمانية أشهر أو ثمانية أشهر و نصف الشهر[2]. و لكن من غير المعلوم أنّا سنطيق ذلك حتّى على مدى ثمانية أيّام [فضلًا عن ثمانية أشهر]، [و أن نستطيع في ظلّ تلك الظروف] الحفاظ على إيماننا. في النهاية، إذا قُتل الإنسان و استشهد، فقد استشهد، و لا يمكن الحيلولة دون [الموت] و القول بأنّ في ذلك هدرًا للدماء؛ ليس الأمر كذلك، فالشهداء ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[3] دون نقاش [أو أدنى شكٍّ]. و لكن الكلام في أنّه يجب أن يرتحل [الإنسان] على الإيمان[4].

يكون كلامه [أي السفيانيّ] هو: يا ربّ ثأري، ثمّ النار[5].

---

(١) راجع: فرائد فوائد الفكر، ص٣٢٠؛ إلزام الناصب، ج٢، ص١٦٣.

(٢) ذُكر في الروايات أنّ مدّة حكومة السفيانيّ تدوم ثمانية أشهرٍ (كمال الدين، ج٢، ص٦٥١؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٠٦)، كما ذُكر أيضًا أنّها تكون تسعة أشهر (الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٣٠٠؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٤٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

(٤) أي أنّنا عندما نكرّر التذكير بفتنة السفيانيّ، فذلك لأنّها فتنة في غاية الشدّة و القسوة. لذلك، على الإنسان أن يستعيذ بالله سبحانه و تعالى بنحوٍ متواصل؛ لا لأنّ السفيانيّ يقتل الناس، إذ إنّ السفيانيّ إذا قام بقتلنا فسوف نذهب شهداء و كفى بذلك فخرًا، و لن تذهب دماؤنا هدرًا، و هذا ليس بالأمر الّذي يشغل بالنا، إنّما الّذي يُعدّ شديد القسوة في فتنة السفيانيّ هو أنّ الناس سوف يُفتنون في إيمانهم. و هذا هو مَكمن الخطر الّذي كان سماحة الشيخ ﷺ يؤكّده باستمرار. و إنّ التذكير المتواصل بفتنة السفيانيّ يأتي من باب التحذير، كي لا يفقد الإنسان إيمانه في تلك الفتنة. و لذلك فإنّ سماحته ﷺ عندما يُذكّر ـ على سبيل المثال ـ بالمجازر و الإبادة الجماعيّة الّتي سوف يرتكبها السفيانيّ، إنّما يعود ذلك إلى أن تلك الابتلاءات الروحيّة سوف تتمخّض عن ابتلاءات إيمانيّة، كما يقول سماحته ﷺ: إنّ السفيانيّ بعد أن يقتل عددًا من الناس بسبب تشابه أسمائهم مع أسماء أهل البيت عليهم السلام، يقول الّذين يبقون على قيد الحياة: ما ذنبنا نحن إذا أخطأ آباؤنا و اختاروا لنا أسماء مثل عليّ و حسن و حسين. و هذا الأمر يشهد بأنّ فتن القتل سوف تمهّد إلى فتن تتعلّق بالإيمان و العقيدة لدى البعض. لذلك فإنّ سماحته ﷺ يُحذّرنا و ينبّهنا إلى وجود هذه الابتلاءات و الفتن، و كان يقول: إنّ على الإنسان أن يلجأ إلى الله سبحانه من فتنة السفيانيّ، حتّى يخرج من هذه الدنيا و هو على الإيمان.

(٥) رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ السفيانيّ لَرَأَيْتَ أَخْبَثَ النَّاسِ أَشْقَرَ أَحْمَرَ أَزْرَقَ، يَقُولُ: يَا رَبِّ ثَأْرِي ثَأْرِي ثمّ النَّارَ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٦٥١.

شموليّة فتنة السفيانيّ!

ما الّذي نفعله و الحال أنّ فتنة السفيانيّ قطعيّة [و حتميّة]؟! و للأسف فإنّها غير محصورةٍ بمنطقة محدّدة، بل هي فتنة شاملة! إنّ هذه الفتنة ثقيلة [و عظيمة] إلى حدّ أنّ المرء يتردّد في أن يطلب إلى الله إبقاءه [على قيد الحياة] إلى ذلك الوقت! أنتم بلّغوا المعتكفين أن يسألوا الله [أن يمنح] المسلمين التحمُّل [و الطاقة و الصبر] في تلك الظروف![1]

الاستعداد و الثبات في مرحلة الابتلاءات السفيانيّة

رأيت في بعض كتب العامّة مؤخّرًا أنّ نَسَب السفيانيّ لا يصل إلى أبي سفيان من طريق يزيد و معاوية، بل من طريق أحد إخوة معاوية[2]. كما جاء في ذلك الكتاب: عندما يخرج السفيانيّ فإنّه يقتل كلّ من كان اسمه محمّدًا و عليًّا و حسنًا و حسينًا و زينبَ و أم كلثوم[3]، وكذلك يقتل الكثير من النساء الحوامل[4].

***

لا يزال من المقرّر خروج السفيانيّ. فهل هذا مزاح؟ و هل يُفكّر المؤمنون في قسوة تلك الأيّام؟ أَلا يجب عليهم أن يفكّروا و يهيّئوا أنفسهم للصبر في تلك الظروف الصعبة؟

يجب انتظار الفرج مع مقدّماته!

يجب علينا أن نكون منتظرين، و أن نعدّ ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و فرَجه فرَجًا لعامّة الناس. علينا أن ننتظر [الفرَج] و نترقّبه في كلّ حين. هل يمكن أن نتوقّع أن يظهر عجّل الله تعالى فرجه الشريف من دون حصول المقدّمات؟ مع أنّ للظهور مقدّمات عجيبة و غريبة! يجب أن نسأل الله تعالى التعجيل في فرجه، و أن يقرن ذلك بعافية كاملة، و أن لا يرى المؤمنون المزيد ممّا رأوه من أنواع البلاء. هل هناك [بلاء] أكبر من هذا البلاء إذ يقوم السفيانيّ اللعين بقتل الناس على الاسم [و الهويّة]؟!

---

(١) قال سماحة الشيخ قدس سره هذا البيان مخاطبًا مسؤول لجنة الاعتكاف في مدينة قمّ المقدّسة.

(٢) عَن أميرِ المُؤمنينَ عليّ عليه السلام قَالَ: «السُّفيانيّ مِن وُلدِ خالِدِ بنِ يَزيد بنِ أبي سُفيانَ»؛ عقد الدرر، ص١٠٧؛ و راجع أيضًا: الفتن (لابن حماد)، ص١٨٩؛ فرائد فوائد الفكر، ص٣٢٠؛ كنز العمّال، ج١١، ص٢٨٤؛ البدء و التأريخ، ج٤، ص١٠٣.
ذُكر نسب السفيانيّ في مصادر الشيعة كما يلي: «هُوَ مِنْ وُلْدِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ»؛ الغَيبة (للطوسيّ)، ص٤٤٤.

(٣) عقد الدرر، ص١٣٠و١٣١؛ فرائد فوائد الفكر، ص٣٢٠.

(٤) عقد الدرر، ص١٠٨؛ الفتن (لابن حماد)، ص٢٠٢ و٢١٠و٢١١؛ فرائد فوائد الفكر، ص٣٠٦.

من كان اسمه محمّدًا ـ و فيما يتعلّق باسم محمّد قد لا تسعفني الذاكرة ـ و أمّا الأسماء الأخرى من قبيل: عليّ و فاطمة و حسن و حسين، فهي مذكورة [في الأخبار]. إنّه يقتل أصحاب هذه الأسماء. يُقتَل بعضهم، و يقول البعض [الآخر]: لقد أثمَ آباؤنا إذ أطلقوا علينا هذه الأسماء، فما ذنبنا نحن؟! فيقول: لا تقتلوا مَن اسمه كذا و كذا و اقتلوا مَن اسمه كذا. فيتفضّل و يتنازل و يفرّق بين المسمَّيات! إنّهم هكذا، وحوش [و على هذا المستوى من الوحشيّة]! و قد حدث مؤخّرًا ـ قبل سنتين أو ثلاث ـ أن قام الإسرائيليّون و أصدقاؤهم من النصارى بمقاتلة المسلمين في بيروت؛ فكانوا يوقِفون الحافلات و ينظرون في الهويّات، فإن احتوت الهويّة على [اسم] يدلّ على تشيُّع حاملها، قتلوه [فورًا] دون تأخّر. و لا يزال الوضع على حاله، و إنّهم ينتظرون الأمر من رؤسائهم! [و على هذا الأساس] يجب علينا أن نتهيّأ للأمر مع مقدّماته! نعلم أنّنا ضعاف. يجب أن نسأل الله أن ينقذ الشيعة و ينجيهم من هذه البلاءات. و أن يوصِل ذا المقدّمة [ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] دون أن تنتهي المقدّمات إلى ما يضرّهم. هل يمكن لنا أن نعتقد لأنفسنا بحياة دون الدعاء بتعجيل الفرَج؟ أو هل يمكن أن [يتحقّق] الفرَج دون [تحقّق] تلك المقدّمات العجيبة و الغريبة و الحتميّة؟

لن يكون هناك ظهورٌ قبل خروج السفيانيّ

ليس من المعلوم كم ألف سنةٍ ستطول [الغيبة] إلى أن يحين أمر ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و مع ذلك يقولون: إنّه قريب! حسنًا، إنّ القيامة قريبة أيضًا، فهل يوم القيامة بعيد؟ «مَثَلُهُ مَثَلُ السَّاعَةِ»، «لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً»، «كَذَبَ الْوَقَّاتُون». ما يدرينا؟ لا يمكن تحديد وقته. إنّهم عليهم السلام يعلمون ذلك و الله تعالى يعلمه. أجل، ربما أمكن تعيين ذلك من خلال الزمانيّات، من قبيل خروج السفيانيّ. فظهور [الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف] لن يكون قبل خروج السفيانيّ قطعًا، و كلّ من يدّعي مثل هذا الادّعاء فهو مخطئ.[1] ربما أمكن التعيين من خلال أمثال هذه الزمانيّات الّتي وردت [في الروايات].

(١) قد يُطرح هنا سؤال: إن كان الظهور لا يحصل قطعًا قبل خروج السفيانيّ، فكيف كان سماحة الشيخ البهجة قدّس سرّه يقول إنّ وقوع الظهور في الغد أمر ممكن و ليس بمستبعد، مع أنّنا نعلم أنّ هناك روايات ذكرت أنّ بعض الأحداث المرتبطة بخروج السفيانيّ تمتدّ أكثر من ستّة أشهر، فكيف يمكن الجمع بين الأمرين؟ و يجب أن يقال في الجواب إنّ الّذي يدخل تحت عنوان الحتميّات هو أصل خروج السفيانيّ لا جميع التفاصيل المذكورة في قضية خروجه، و عليه فقد يقع البداء في الأحداث المرتبطة بخروجه كما قد يقع في الكثير من علامات الظهور، و من هنا فقد يحصل خروج السفيانيّ قبل ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لو بساعات فقط. ولهذا كان سماحة الشيخ قدّس سرّه يؤكّد كثيرًا أن

من علامات الظهور: كلّما اقتربنا من عصر الظهور، ازداد البلاء!

كلّما اقترب عصر ظهور صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، اشتدّ البلاء. لا تزال هناك بلاءات من بعد هذا. يستمرّ السفيانيّ بالقتل على الأسماء [و الهويّات] على مدى ثمانية أشهر!

كان أبو سفيان و أولاده ظالمين، وكان العلويّون و أولادهم مظلومين على أيدي هؤلاء، و إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سوف يأتي [و يُثخن في الأرض] و ينتقم للمظلومين من الظالمين انتقامًا دمويًّا [و يثأر لدماء المظلومين][1]. نحن نعيش الآن في نعمة و راحة! نسأل الله أن يرفع البلاءات و أن يُلهِم المبتلين اليقين و الصبر.

مع الظهور يتوقّف القتل

هناك من يتصوّر أنّه عندما يظهر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سوف تحدث مقتلة، بَيد أنّ الأمر ليس كذلك، إنّما القتل و سفك الدماء سيكونان قبل ظهوره[2]. جاء في رواية: إنّ السفيانيّ يقتل مئة و سبعين ألفًا في المنطقة الفلانيّة من العراق[3].

نهاية أمر السفيانيّ

نتمنّى أن ينتهي هذا البؤس و الذلّ و الابتلاءات المتنوّعة الّتي تعرّض لها الشيعة! ورد في روايات كثيرة أنّ السفيانيّ [عندما يأتي] يقوم بأيّ مفاسد و مظالم، و من بينها رواية مأثورة عن

ندعوا بأن يكون ظهور الإمام مقترنًا بالعافية للمؤمنين، عسى أن يقع البداء في الحوادث المرتبطة بالسفياني و يسلّم الله تعالى برحمته المؤمنين منها.

(١) هذه العبارة لم تتعارض مع كلام سماحته قدّس سرّه بأنّ سفك الدماء سيكون قبل الظهور، لأنّ مقصود سماحته قدّس سرّه أنّ ما يحصل من مجازر قبل ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يكون عامًّا، فيحرق الأخضر و اليابس و يشمل الصالح و الطالح، لكنّ انتقام الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بعد ظهوره يكون فقط من أعداء الله و ليس من الأبرياء، فظهوره يكون رحمةً للعالمين و فرجًا لهم، كما كان حال النبيّ صلّى الله عليه وآله و أصحابه الخلّص، أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم.

(٢) ورد العديد من الأحاديث الشريفة حول المجازر الّتي تحصل قبل الظهور، منها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «لَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَذْهَبَ ثُلُثَا النَّاسِ. فَقِيلَ لَهُ: فَإِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا النَّاسِ فَمَا يَبْقَى؟ فَقَالَ عليه السلام: أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا الثُّلُثَ الْبَاقِيَ؟»؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٠٧.

(٣) ورد الكثير من الروايات حول إجرام السفيانيّ و كيف يقتل بلا حدٍّ و لا حصرٍ. للاطّلاع على بعضٍ من هذه الروايات يمكن مراجعة: تاريخ بغداد، ج١، ص٦٤؛ مختصر البصائر، ص٤٧٠؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٣٧.

أمير المؤمنين عليه السلام[1]. جاء في الأحاديث المرويّة من طرقنا نحن الشيعة أنّ حكومة السفيانيّ لن تستمرّ لأكثر من ثمانية أشهر و بضعة أيّام، و لكنّه سوف يستولي على مناطق مهمّة خلال هذه المدّة القصيرة[2]، و أنّه يقتل كلّ من كان يحمل اسم محمّد أو عليّ أو حسن أو حسين أو فاطمة أو عاتكة أو أم كلثوم. ثمّ تقول له جماعة: لقد كان آباؤنا مذنبين في وضع هذه الأسماء لنا، و اختاروا لنا اسم محمّد و عليّ و...، فلسنا نحن بمذنبين؛ لذلك فإنّه يأمر [بعد هذا] بالاقتصار على قتل كلّ من كان اسمه حسنًا و حسينًا، و ترك الآخرين[3].

ينقل المرحوم [المحدّث] الحاج النوريّ: يُؤتى بالسفيانيّ إلى الإمام وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و قد لفّوا عمامته حول عنقه، فيقول للإمام عليه السلام: يا ابن رسول الله لا تقتلني! و طبقًا لهذا النقل، تقول الحاشية [للإمام عليه السلام]: هل تُطلِق [سراح] الّذي قتل كلّ هذا [العدد] من ذريّة رسول الله صلّى الله عليه و آله؟![4] و على كلّ حال، فإنّهم يُصرّون على الإمام عليه السلام كثيرًا إلى أن يقول لهم: «شأنكم!»، أي الخَيار لكم، افعلوا ما شئتم. و بذلك و كأنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يأذن لهم في قتله، و في نهاية المطاف يقتلونه[5].

---

(١) راجع: بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢١٩.

(٢) «إِذَا مَلَكَ كُوَرَ الشَّامِ الْخَمْسَ دِمَشْقَ وَ حِمْصَ وَ فِلَسْطِينَ وَ الْأُرْدُنَّ وَ قِنَّسْرِينَ فَتَوَقَّعُوا عِنْدَ ذَلِكَ الْفَرَجَ ... يَمْلِكُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ لَا يَزِيدُ يَوْمًا»؛ كمال الدين، ج٢، ص٦٥١؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٠٦. و ذُكر أيضًا في بعض الروايات أنّ مدّة حكومته تسعة أشهر؛ راجع: الغَيبة (للنعماني)، ص٣٠٠؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٤٨. و ربما لهذا السبب قال سماحة الشيخ البهجة قدّس سرّه إنّها ثمانية أشهرٍ و بضعة أيّام.

(٣) عقد الدرر، ص١٣٠و١٣١؛ راجع: فرائد فوائد الفكر، ص٣٢٠؛ إلزام الناصب، ج٢، ص١٦٣.

(٤) بما أنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو حجّة الرحمن و مظهر الرحمة الإلهيّة الواسعة، فعندما يلتمس السفيانيّ من حضرته العفو و مع كونه لا يريد أن ينتقم منه بنفسه، فإنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و بناءً على وظيفته الإلهيّة لا يرفض طلبه بل يفوّض أمره إلى الآخرين، كما فعل رسول الله صلّى الله عليه و آله مع وحشيّ قاتل سيّد شهداء زمانه حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه.

(٥) يذكر المحدّث النوريّ قدّس سرّه هذا المطلب في ضمن روايةٍ عن أمير المؤمنين عليه السلام نقلًا عن أهل السنّة (كتاب عقد الدرر) و هذا نَصّها: «فَتَكُونُ وَقْعَة يَمْلِكُ اللّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِيهَا جَيْشَ السفيانيّ فَيَمْضِي هَارِبًا، فَيَأْخُذُهُ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي اِسْمُهُ صَبَاحٌ فَيَأْتِي بِهِ إلى المهديّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ هُوَ يُصَلّي الْعِشَاءَ الآخرَةَ، فَيُبَشِّرُهُ فَيُخَفِّفُ فِي الصَّلَاةِ وَ يَخْرُجُ وَ يَكُونُ السفيانيّ قَدْ جُعِلَتْ عِمَامَتُهُ فِي عُنُقِهِ وَ يُسْحَبُ وَ يُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ السفيانيّ لِلْمَهْدِيّ: يَابْنَ عَمِّ مُنَّ عَلَيَّ بِالْحَيَاةِ أَكُونُ سَيْفًا بَيْنَ يَدَيْكَ أُجَاهِدُ أَعْدَاءَكَ، وَ المهديّ جَالِسٌ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَ هُوَ أَحْيَى مِنْ عَذْرَاءَ، فَيَقُولُ: خَلُّوهُ، فَيَقُولُ أَصْحَابُ المهديّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللّهِ صلّى الله عليه و آله تَمُنُّ عَلَيْهِ بِالْحَيَاةِ وَ قَدْ قَتَلَ أَوْلَادَ رَسُولِ اللّهِ صلّى الله عليه و آله؟ وَ يَقُولُونَ: مَا نَصْبِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَقُولُ: شَأْنَكُمْ وَ إِيَّاهُ، فَيَلْحَقُهُ صَبَاحٌ فِي جَمَاعَةٍ إِلَى عِنْدَ السِّدْرَةِ فَيُضْجِعُهُ وَ يَذْبَحُهُ وَ يَأْخُذُ رَأْسَهُ فَيَأْتِي بِهِ المهديّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتَنْظُرُ شِيعَتُهُ إِلَى الرَّأْسِ فَيُهَلِّلُونَ وَ يُكَبِّرُونَ وَ يَحْمَدُونَ اللّهَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمّ يَأْمُرُ المهديّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِدَفْنِهِ»؛ كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار، ص١٨٢؛ و راجع أيضًا: عقد الدرر، ص١٣٦ ـ ١٣٩.

حكايةٌ بشأن السفيانيّ

كان المرحوم المقدسيّ المشهديّ قد سأل الله في العتبات [المقدّسة] أن يُطلعه إن كان السفيانيّ موجودًا أم لا. وعندما كان راكبًا في وسيلة نقلٍ في الكاظميّة، ترجّل الشخص العربيّ ـ الّذي كان جالسًا إلى جواره ـ من الحافلة، وعند نزوله قال له: أجل، إنّ السفيانيّ موجود! وقد وقعت هذه الحادثة قبل خمس أو ستّ سنوات...[1] فإنْ صحّ هذا النقل يتّضح أنّ السفيانيّ من المعمَّرين!

---

(١) من الجدير بالقول إنّ ذكر سماحة الشيخ البهجة ﷺ للعبارة المذكورة في المتن كان مجرّد نقل لمطلب عن أحد الصلحاء، و هذا ينطبق على القضايا المشابهة لها أيضًا، كقضيّة المرحوم المامقانيّ ﷺ عندما أخبروه بوجود السفيانيّ. و نَقلُ سماحة الشيخ ﷺ لهذه القضيّة يكون من باب ورودها على لسان بعض العلماء العظام و الصلحاء الكرام، و هو ليس بموقف تأييد أو رفض للنقل أبدًا. فسماحته ﷺ في معظم الأحيان كان يذكر لمخاطبيه ـ من شدّة عشقه للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و شغفه به ـ كلّ ما كان يدور حوله و يُقال من أحاديث ذات قيمةٍ نقلًا عن العلماء و الشخصيات الّذين كانوا يدورون في فلكه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و كان الّذين يخاطبُهم يعرفون أسلوبه و منهجه، و أنّ غرضه من ذكر هذه القصص و الأخبار ليس تبنّي مضمونها على نحو مطلق، بل لهدف تربويّ، و كان دأب أهل البيت عليهم السلام في تربية الشيعة على هذا النحو، و كانوا يقولون: «الشيعة تربّى بالأماني». النقطة الأخرى الجديرة بالاهتمام، عبارةٌ كان سماحته ﷺ ينهي بها كلامه مرارًا و تكرارًا. و لم يَلتفت إليها الّذين سبق لهم أن نقلوا هذه القضيّة، إذ اقتصروا على نقل الحكاية، و غفلوا عن كلام سماحته ﷺ الّذي يجعل النقل نقلَ درايةٍ، و هو أهمّ من الحكاية نفسها. و المؤسف أنّ هذه الفقرة المهمّة لم تُنقل في أوّل كتابٍ أورد الحكاية، و جاءت الكتب اللاحقة لتنقل من ذلك المصدر الأوّل من دون ذكر بيان سماحته ﷺ و درايته، علمًا أنّ الجملة المحذوفة ـ كما أشرنا ـ أهمّ من العبارة المنقولة. وكان ما يضيفه سماحة الشيخ البهجة ﷺ بعد نَقلِه أمثال القضيّة الّتي سبق ذكرها في المتن، هو قوله: «إن كان هذا النقل صحيحًا، معنى ذلك أنّ السفيانيّ يكون من المعمَّرين!». و التمعُّن في عبارته يبيّن أنّه ﷺ قد طرح الموضوع بصفته «النقل»، لا الواقع، هذا أوّلًا، و ثانيًا أنّ سماحته ﷺ لا يرى أنّه صحيح بالمطلق، فقد بدأ كلامه بالقول «إنْ كان هذا النقل صحيحًا». و من الواضح أنّ هذا التعبير لا يدلّ على تأييده و لا على رفضه، بل يرى احتمال صحّته و عدم صحته. و ثالثًا أنّه بنفَسِه العلميّ، و دقّته في التعبير و تسلّطه الكامل على مخارج الكلام، لا يوجّه انتقادًا إلى صاحب القضيّة و ناقلها ـ الّذي هو من الأعاظم و الصلحاء ـ و إنّما هو يصحّح طريقة التعبير، فيُضيف عبارة مهمّة و ضروريّة على ما تقتضيه مصداقيّة النقل، و هي احتمال أن يكون السفيانيّ مُعمّرًا. فهو على العكس من الآخرين الّذين تنصرف أذهانهم من هذه الحكاية مباشرة إلى التوقيت و قرب الظهور، يستخرج منها موضوعًا دقيقًا آخر، بكلّ حذق و حصافة، و هو احتمال أن يكون السفيانيّ معمّرًا، و هذا ليس مستبعدًا، و قد ذُكر في الروايات في ما يتعلّق بالدجّال أنّه أيضًا من المعمَّرين. علمًا أنّ لفظة «المعمَّر» تُطلق على من أطال الله عمره إلى الحدّ الّذي يفوق الآجال المعروفة. و من المناسب هنا طرح هذا السؤال: لماذا فُهم من هذه الرواية اقتراب الظهور فقط؟ في حين أنّ الإنسان الفطن، انطلاقًا من استنتاج سماحته ﷺ و ذكره احتمال كوْن السفيانيّ معمّرًا، يتصوّر عكس المعنى المذكور كلّيًّا، فآية الله الشيخ البهجة ﷺ كما ذكرنا من قبل كان كلّما ذكر أمرًا دالًّا على البشارة باقتراب الفرج، عقّب على الفور بما يُنذر بتأخّره، كما ورد في النقل المذكور آنفًا، إذ نقل أوّلًا القضيّة الدالّة على

لو قيل: إنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف سيظهر غدًا، لن يكون ذلك مستبعدًا

لقد ذُكرت بعض العلامات ـ الأعمّ من الحتميّة و غير الحتميّة ـ لظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لكن لو أخبروا أنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف سيظهر غدًا، لن يكون ذلك مستبعَدًا أبدًا. إنّ لازم هذا الأمر أنّ البَداء يحصل بالنسبة إلى بعض العلامات، و أمّا بعض العلامات الأخرى و هي من العلامات الحتميّة فسوف تحدث مقترنة بظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. هل سوف نطيق أن يسيطر السفيانيّ على خمس مناطق[1] و يقتل كلّ من يكون اسمه حسنًا و عليًّا و...، في حين أنّهم يقولون: لقد أخطأ آباؤنا و أطلقوا علينا اسم حسن و عليّ، فما ذنبنا نحن؟! و يستمرّ هذا الوضع على مدى ثمانية أشهر.

علم إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف بوقت ظهوره

لقد ورد في روايةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «نَحْنُ صَبَرْنَا وَ شِيعَتُنَا أَصْبَرُ مِنَّا، وَ ذَلِكَ أَنَّا صَبَرْنَا عَلَى مَا نَعْلَمُ وَ هُمْ صَبَرُوا عَلَى مَا لَا يَعْلَمُون»[2].

عجبًا أيُّ صبرٍ يكون لدى الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف! فمع أنّه مُطّلعٌ على جميع ما نعلم و ما لا نعلم، و أنّه خبيرٌ بجميع أمورنا و مشكلاتنا و ابتلاءاتنا، لكنّه هو نفسه أيضًا منتظرٌ لليوم الموعود، و هو يعلم في أيّ وقتٍ سيظهر، و هذا الّذي يُقال بأنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يعلم وقت ظهوره، فهو غير صحيح.[3]

علم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بزمان ظهوره علمٌ من الله، لا من نفسه

بالإضافة إلى مجالس العزاء الّتي تقام إحياءً لذكرى سيّد الشهداء عليه السلام، من المناسب أن

احتمال وجود السفيانيّ، و ما تتضمّنه من بشارةٍ و رجاءٍ بقرب الفرج، ثمّ يعقّب بدراية، مشيرًا إلى احتمال كوْن السفيانيّ معمّرًا، منبّهًا إلى الجانب الإنذاريّ و التنبيهيّ، و بذكره التوأمين المجنّحين بالخوف و الرجاء، يوجّه أفئدة المخاطبين نحو مسارها السليم.

(١) ورد في بعض الروايات أنّ السفيانيّ يستولي على خمس مناطق (الكوَر الخمس)؛ راجع: الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٣٠٠ و٣٠٤؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢١٥ و٢٤٨ و٢٥٢.

(٢) تفسير القمّيّ، ج٢، ص١٤١. و راجع أيضًا: تفسير القمّيّ، ج١، ص٣٦٥؛ الكافي، ج٢، ص٩٣.

(٣) إنّ ما بيّنه سماحة الشيخ قدّس سرّه مستندٌ إلى أدلّة علميّة متينة ذُكرت باختصار في الملحق الرابع في الصفحة ٩٠٤ من هذا الكتاب، و يمكن لمن يرغب بإثراء معرفته بها مراجعته.

تُقام مجالس عزاءٍ لأمير المؤمنين عليه السلام أيضًا. فلو لم يُغتصب الحقّ هناك، لَمَا كانت لتقع هنا [واقعة] عاشوراء!

قال [الإمام عليه السلام]: «شيعتُنا أصبَرُ منّا، لأنّا نَصبِرُ ونحن نَعلَمُ، وهم يصبِرونَ وهم لا يعلَمون»[1].

إنّ مجيءَ المُنتقمِ روايةٌ، إلّا أنّهم عليهم السلام يعلمون أنّ المُنتقم سيأتي، و يعلمون حتّى وقته و ساعته[2]. و في الموارد الّتي نفوا فيها علمهم بالغَيب [كما في قوله تعالى:] ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾[3] ـ و حتّى ربما قالوا في بعض الروايات: إنّنا لا نعلم بوقت الظهور[4] ـ [فهذا يعني أنّهم لا يعلمون ذلك من عندهم]، و إنّما يجب أن يكون التعليم و الإمداد من الغيب [و من الله تعالى] آنًا بآن. و عليه، فإنّهم يعلمون [الغَيب] بتعليمٍ من الله و ليس من أنفسهم.

***

كما أنّ الإمام الأصل عليه السلام هو نفسه سوف يغدو مسمومًا، لكنّه في الموضع الّذي يعلم أنّه يجب أن لا يعمل على وفق علمه الحقيقيّ. و هو يعلم تلك اللحظة الّتي يحين فيها أجله، و [أنّ شهادته] ستكون بسبب كذا، فيعلم ذلك أيضًا. [فليس الأمر أنّه] كلّما كان عالِمًا بالغَيب، فإنّه سيكون مأذونًا أيضًا بالعمل على وفق الغَيب.

---

(١) راجع: تفسير القمّي، ج١، ص٣٦٥؛ ج٢، ص١٤١؛ الكافي، ج٢، ص٩٣.

(٢) المقصود هو أنّ اطّلاعنا على مسألة ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يكون من خلال الأدلّة النقليّة ـ الّتي تؤيّدها الأدلّة العقليّة ـ وكثيرٌ من تفاصيل هذه الواقعة قد خُفي علينا و يكون علمنا بها علمًا إجماليًّا، لكنّ علم المعصومين عليهم السلام بمسألة ظهور الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو علمٌ حقيقيٌّ واضحٌ لديهم كوضوح الشمس في رابعة النهار، و شاملٌ لجميع تفاصيلها و محيطٌ بكلّ جوانبها. و هم عليهم السلام يتحمّلون مشقّاتٍ و صعوباتٍ و يصبرون عليها و في العين قذى و في الحلق شجًا، و لكنّهم يرون بأمّ العين ثمار الشجرة الّتي تُسقى من هذا الصبر، و لا ريب أنّ الفرق شاسعٌ بين من لديه مجرّد علم بثمرة تحمُّل هذه الصعوبات و بين من يرى في كلّ آنٍ تلك الثمار أمام عينَيه.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٨.

(٤) رُوي عن الإمام رضا عليه السلام أنّه قال: «الْإِمَامُ بَعْدِي مُحمّد ابْنِي، وَبَعْدَ محمّد ابْنُهُ عَلِيٌّ، وَبَعْدَ عَلِيٍّ ابْنُهُ الْحَسَنُ، وَبَعْدَ الْحَسَنِ ابْنُهُ الحجّة الْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ فِي غَيْبَتِهِ الْمُطَاعُ فِي ظُهُورِه. لَوْلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ حتّى يَخْرُجَ فَيَمْلأَ الْأَرْضَ عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا، وَأَمَّا مَتَى فَإِخْبَارٌ عَنِ الْوَقْتِ، فَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام أَنَّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى يَخْرُجُ الْقَائِمُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ؟ فَقَالَ عليه السلام: مَثَلُهُ مَثَلُ السَّاعَةِ الّتي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً»؛ كمال الدين، ج٢، ص٣٧٢؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٢٦٦؛ بحار الأنوار، ج٥١، ص١٥٤.

قال [أحدهم]: إنّ الإمام عليه السلام أيضًا لا علم له بالغَيب. فحتّى الإمام لا يعلم متى سوف يظهر. يا بُنيّ، [إنّ معنى قوله تعالى:] ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [ليس أنّهم لا يعلمون الغَيب]؛ إنّ عدم علمهم عليهم السلام يختلف عن علمهم. [فإن] كانوا لا يعلمون، فإنّهم لا يعلمون من عند أنفسهم، و [إن] كانوا يعلمون كلّ شيء، فإنّما يعلمون ذلك بواسطة الغير [أي عن طريق الله سبحانه و تعالى]. فيجب أن يحفظ الارتباط بينه و بين أعلى علّيّين آنًا بآن، [كي] يقول: هل يجوز أن تكون هذه الكلمة هنا أم لا؟ و هل يجوز أن يكون ذلك الفعل هنا أم لا؟ و هل هو واجب أم ليس بواجب؟ لا يمكن أن نقيس المعصومين عليهم السلام إلى غيرهم. لقد كانت لهم أسباب أخرى عندما يُدسّ لهم السمّ، و للآخرين أسبابهم الأخرى. و إنّ [لزوم] قيام الآخرين بالاحتياطات ثابتٌ في محلّه(١).

من كرامات الشيعة، أنّ شُبهة وقت الظهور غير محصورة

إنّ من كرامات الشيعة و معجزاتهم أنّ وقت ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو شُبهة غير محصورة(٢) و نحن لا نعلم ذلك. إذ نحتمل في كلّ يومٍ أنّ السفيانيّ قد يخرج في الغد، ثمّ بعده بساعات يُعلم أنّ الإمام عليه السلام أيضًا قد ظهر، و هؤلاء يجب أن يقع القتال فيما بينهم في موضع كذا. نحتمل ذلك في غدنا هذا القادم، لكنّنا نحتمل أيضًا أن يكون ذلك بعد غدٍ، كما نحتمله في الشهر القادم، أو السنة القادمة أو السنة الّتي تليها و ...، مثل الشبهة غير المحصورة في الأطراف الكثيرة جدًّا.

في إحدى الروايات عُيّن وقت الظهور [و قيل في ذَيلها ما مضمونه]: فاحفظه و لا تخبر به إلّا أهله. هذه الرواية مذكورة في تفسير البرهان(٣). و لها حسابٌ عجيبٌ و غريب، من الصعب جدًّا جدًّا أن يدركه أحد. و في تلك الرواية يُعيّن [وقت الظهور] بالحساب. لا يمكننا القول [بالوقت الناتج عن الحساب] على نحوٍ قاطع، و إلّا فإنْ بَذَلَ الشخص جهدًا كبيرًا في

---

(١) بمعنى أنّ علوم المعصومين عليهم السلام غير قابل للقياس إلى علومنا نحن، و لذلك علينا أن لا نترك الاحتياط ـ على سبيل المثال ـ حيث نحتمل أن يُدسّ السمّ لنا في موضع ما.

(٢) الشبهة غير المحصورة هي ما كان احتمال التكليف في كلّ واحد من الأطراف موهومًا لكثرة الأطراف.

(٣) عن الإمام الباقر عليه السلام: «الْأَلِفُ وَاحِدٌ، وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ، وَالْمِيمُ أَرْبَعُونَ، وَالصَّادُ تِسْعُونَ، فَذَلِكَ مِائَةٌ وَإِحْدَى وَسِتُّونَ، ثمّ كَانَ بَدْءُ خُرُوجِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام ﴿الٓمٓ﴾ [﴿ٱللَّهُ﴾]، فَلَمَّا بَلَغَتْ مُدَّتُهُ قَامَ قَائِمُ وُلْدِ الْعَبَّاسِ عِنْدَ ﴿الٓمٓصٓ﴾ وَيَقُومُ قَائِمُنَا عِنْدَ انْقِضَائِهَا بِـ ﴿الٓر﴾، فَافْهَمْ ذَلِكَ وَعِهْ وَاكْتُمْهُ»؛ تفسير العياشيّ، ج٢، ص٩٠؛ تفسير البرهان، ج٢، ص٥١٨.

عمل ذلك الحساب فأظنّ [أنّه ربما يصل] مثلًا [إلى] أربعمئةٍ و أربعة عشر، أو إلى عددٍ آخر يكون قد مضى. لا شأن لنا بهذه الأمور، نحن لا نستطيع [أن نعيّن الوقت]. انظروا كم يحتاج الإنسان إلى أن يبذل من الدقّة ليستخرج [الوقت] من الروايات الّتي لم تعيّن على وجه الخصوص [بل] بالأوصاف [مثل] بعد [واقعة] كذا.

و كان لدى أحد أساتذة الأخلاق في النجف تلميذٌ لديه علم الجفر و أمور من هذا القبيل، حتّى إنّه أخبر بأمورٍ [تقع] فكان كما قال، و كان متمكّنًا جدًّا في علم الجفر. [أستاذ الأخلاق هذا] أظنّ أنّه كان ينقل عن هذا التلميذ [تأخير الظهور] و يقول: لو أنّه أخبَرَكم بوقته [أي بوقت الظهور] بواسطة ما لديه من علم الجفر، فإنّكم جميعًا تقومون [من عنده] و تخرجون و أنتم تصرخون: يا للويل! يا للويل! لا طاقة لنا أبدًا على تحمُّل ذلك! فمن أجل ذلك لم يعيّنوا [لنا وقت الظهور].

مفهوم قُرب الظهور

إنّ كلّ من سُئل عن وقت الظهور، أجاب بأنّ ظهور حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف قريب. طبعًا القُرب معنى ذو سعة، و لذا فإنّ القيامة أيضًا عُدّت قريبة[1] و كذلك قيل: «كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ»[2].

و من هنا، إذا قال العظماء [من العلماء]: «في سنة كذا»، فهو محمولٌ على المجاز أو التورية لمصلحة؛ و ذلك لأنّ الشيعة لا طاقة لهم على طول مدّة الغَيبة. كان أحد العلماء يعتقد بأنّ الفرج قريب، و لكنّه كان ينقل عن شخصٍ له معلومات من طريق الجفر، أنّه يقول: إنّ المدّة سوف تستغرق كذا، و لو صرّح بها، ربما لا طاقة لكم على سماعها. و في الحقيقة يمكن القول: «إنّ الفرج موقّت بالزمانيّات، لا بالزمن نفسه»[3].

ألذُّ حلاوة

نسأل الله أن يُذيق الشيعة جميعًا حلاوة ظهور الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف. إنّ الحلويّات تفكُّهاتٌ زائدةٌ عن الضرورة، لكن حلاوة ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف من أشدّ الضروريّات.

---

(١) سورة القمر، الآية ١.

(٢) عيون الحكم، ص٣٧٦؛ بحار الأنوار، ج١٠٠، ص٢٧.

(٣) لتوضيح هذه المطلب، راجع الصفحة ٤٢٤.

نداء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف عند الظهور

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾[1].

يجب عليه [أي النبيّ إبراهيم عليه السلام] أن يُسمِع صوته للجميع. متى يكون ذلك ممكنًا؟ يقال: [عندما] يكون في أعلى نقطة يمكن تصوّرها. لقد وقف عليه السلام على المقام، و صعد من المقام إلى الأعلى حتّى [بلغ موضعًا] يصل منه صوته إلى الجميع[2]. طبعًا، فقد وصل صوته حتّى إلى أولئك الّذين هم في أعقاب و ذرّيّات الناس أيضًا؛ و هذا لا يعود متوقّفًا على الارتفاع و الانخفاض، بل إنّ هذا الأمر يدخل في دائرة الإعجاز، إذ أوصل صوته إلى الجميع.

و هناك رواية تقول: إنّ الإمام الحجّة عليه السلام عندما يظهر، سوف يقول: «أَلَا يَا أَهْلَ العَالَمِ إنَّ جَدِّيَ الحُسين قَتَلُوهُ عَطشانًا»[3]. كيف يُخاطب أهل العالم؟ إذ [في أحسن الأحوال الطبيعيّة] فقط الأشخاص الموجودون داخل المسجد الحرام ـ حسب الظاهر ـ سوف يسمعون صوت أحدهم، [و من الصعب أن يسمعه الموجودون في أطراف المسجد، إلّا أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] سوف يتكلّم مع أهل العالم. و من هنا يتّضح أنّ ذلك لن يكون بالطرق العاديّة، [بل] سيكون إعجازًا! [كما أنه ليس المراد] أنّه سيكون عبر التلفاز و هذه الأجهزة [التي اختُرعت] في هذه الآونة؛ و لن يكون بواسطة الآلات [و الأدوات و الوسائل]، و إنّما سوف يرفع صوته من غير آلات حتّى يصل إلى جميع أهل العالم في ذلك الزمان. و إنّ مسألة ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ لا تقتصر على أهل العالم في ذلك الزمان فقط، [بل وصل صوتها حتّى] إلى ذرّيّاتهم أيضًا. و بعضهم قال «لبّيك»، و بعضهم لم يقل «لبّيك». و الّذين قالوا «لبّيك»، وفّقوا لأداء مناسك الحجّ.

---

(١) سورة الحج، الآية ٢٧.

(٢) «وَلَمَّا فَرَغَ إبْرَاهِيمُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ. فَقَالَ: يَا رَبِّ وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي. فَقَالَ اللَّهُ: أَذِّنْ، عَلَيْكَ الْأَذَانُ وَعَلَيَّ الْبَلَاغُ. وَارْتَفَعَ عَلَى الْمَقَامِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُلْصَقٌ بِالْبَيْتِ فَارْتَفَعَ الْمَقَامُ حَتَّى كَانَ أَطْوَلَ مِنَ الْجِبَالِ، فَنَادَى وَأَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ شَرْقاً وَغَرْباً يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَأَجِيبُوا رَبَّكُمْ. فَأَجَابُوهُ مِنْ تَحْتِ الْبُحُورِ السَّبْعَةِ وَمِنْ بَيْنِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَى مُنْقَطَعِ التُّرَابِ مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ كُلِّهَا وَمِنْ أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ بِالتَّلْبِيَةِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ. أَوَلَا تَرَوْنَهُمْ يَأْتُونَ يُلَبُّونَ؟! فَمَنْ حَجَّ مِنْ يَوْمِئِذٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَهُمْ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ يَعْنِي نِدَاءَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْمَقَامِ بِالْحَجِّ»؛ تفسير القمّيّ، ج٢، ص٨٣.

(٣) «أَلَا يا أهل العَالَم إنَّ جَدّي الحُسَين قَتَلُوهُ عَطشَانًا[ًا]»؛ إلزام الناصب، ج٢، ص٢٣٣ نقلًا عن كتاب «الموائد».

[قال شهر بن حوشب:] «قَالَ لِيَ الْحَجَّاجُ وَسَأَلَنِي عَنْ خُرُوجِ النبيّ صلّى الله عليه وآله إِلَى مَشَاهِدِهِ، فَقُلْتُ: شَهِدَ رَسُولُ اللّهِ صلّى الله عليه وآله بَدْرًا فِي ثَلَاثِمائَةٍ وَثَلَاثَة عَشَرَ»[1]، و هناك رواية تؤكّد أنّ هذا هو عدد أصحاب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و هم الأصحاب الّذين يلتحقون بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في مُستهلّ ظهوره[2]. حتّى إنّ هناك رواية تذكر أسماء هؤلاء «الثلاثمئة و ثلاثة عشر»[3].

كان هنا [في قمّ] شخصٌ يصنع الأسنان، و لم أعد أراه منذ مدّة. كان يقول: كنت قد خصّصت حجرةً من المنزل للطبابة، وكان أهلي يجلسون في حجرة خلف تلك الحجرة.

و [في أحد الأيّام] جاء شخصٌ إلى عيادة صناعة الأسنان و قال لي: هل تعرف ما هي أسماء أصحاب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف الثلاثمئة و ثلاثة عشر؟ الأوّل، الثاني، الثالث، الرابع، و هكذا عدّدهم إلى ثلاثمئة و ثلاثة عشر شخصًا بأسمائهم على التوالي! لم أكن قد سألته، بل هو جاء و [ذكر] هذه الأسماء، ثمّ انصرف مسرعًا. وكان قد حفظ أسماء الجميع. فتعجّبت من أمره و كيف أنّه كان حافظًا لهذه الأسماء.

فذهبت [خلفه] لأجد باب الدار مغلقًا. ثمّ فتحت الباب و [رأيت] هناك بعض الأولاد يلعبون. فسألتهم: هل رأيتم الرجل الّذي خرج من المنزل توًّا؟ فقالوا: كلّا، لم يأتِ أحد إلى هنا! ثمّ رجعت إلى أسرتي إذ كانت حجرتهم خلف العيادة، و سألتهم: ألم تسمعوا شيئًا؟ فقالت [امرأتي]: نعم، نعم! ذلك الرجل الّذي كان يتكلّم بسرعة. لقد سمِعَته هي أيضًا!

---

(١) الكافي، ج٥، ص٤٦.

(٢) ورد في روايةٍ عن الإمام الجواد عليه السلام حول الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف ما نَصُّه: «هُوَ الَّذِي تُطْوَى لَهُ الْأَرْضُ وَيَذِلُّ لَهُ كُلُّ صَعْبٍ [وَ] يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْعِدَّةُ مِنْ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ أَظْهَرَ اللّهُ أَمْرَه»؛ كمال الدين، ج٢، ص٣٧٨.

(٣) لقد ذُكرت أسماء أصحاب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام معروفةٍ بخطبة البيان (راجع: دلائل الإمامة، ص٥٥٦؛ إلزام الناصب، ج٢، ص١٦٥)، كما ذُكرت أسماء بعضٍ من أصحابه عجّل الله تعالى فرجه الشريف في روايةٍ أخرى نقلها السيّد ابن طاوس رحمه الله في الملاحم؛ راجع: التشريف بالمنن في التعريف بالفتن (الملاحم و الفتن)، ص٢٨٨.

ربما كانت الطالقان من تلك البلاد الّتي سيخرج منها أكبر عدد من [أصحاب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف]، و ربما يكون عددهم ثمانية عشر شخصًا أو لا أذكر كم يكون[1]، و يأتي بعضهم على السحاب و بعضهم عبر [طرق أخرى][2] و ما إلى ذلك من القضايا العجيبة!

كل هذا الأسر و النزوح طوال آلاف السنين ـ الله يعلم كم سنة سوف تطول الغَيبة ـ ثمّ يصل الأمر في نهاية المطاف إلى هنا [أي ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف]، مع أنّه لو وصل منذ البداءة لتمّ الأمر [و كان مستتبًّا]، لكنّهم عليهم السلام لم يكونوا مأذونين [بالقيام]، و كانت هذه المدّة تمثّل مهلة للظالمين حتّى ذلك الحين.

اتّباع النبيّ عيسى عليه السلام للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

كأنّ رواية وردت بأنّ الإمام الحجّة ـ صلوات الله عليه ـ بعد ظهوره و نزول النبيّ عيسى [ابن مريم] ـ على نبيّنا و آله و عليه السلام ـ يقول للنبيّ عيسى: «تقدّم» للصلاة، فيقول له النبيّ عيسى: أنتم أمّة محمّد يؤمّ بعضكم بعضًا. الإمام عليه السلام يقول: «تقدّم»، و النبيّ يجيب: أنتم أمّة

---

(١) لقد أثنت الروايات على رجال الطالقان بوصفهم من أنصار الإمام المهديّ عليه السلام؛ و في رواية تفصيليّة يرويها المفضّل عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال بشأن أنصار إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف من أهالي الطالقان: «ثُمَّ يَخْرُجُ الْفَتَى الْحَسَنِيُّ الصَّبِيحُ مِنْ نَحْوِ الدَّيْلَمِ فَيَصِيحُ بِصَوْتٍ لَهُ فَصِيحٍ: يَا آلَ محمّد أَجِيبُوا الْمَلْهُوفَ وَ الْمُنَادِيَ مِنْ حَوْلِ الضَّرِيحِ، فَتُجِيبُهُ كُنُوزُ اللَّهِ بِالطَّالَقَانِ، كُنُوزٌ وَ أَيُّ كُنُوزٍ، لَا مِنْ ذَهَبٍ وَ لَا مِنْ فِضَّةٍ، بَلْ هِيَ رِجَالٌ كَزُبَرِ الْحَدِيدِ»؛ (مختصر البصائر، ص٤٥١). و في رواية مأثورة عن أمير المؤمنين عليه السلام، و كذلك في الرواية المأثورة عن الإمام الصادق عليه السلام، بيّنا أسماء مدن الأصحاب الخاصّين لإمام العصر عليه السلام، و عدد الأنصار من كلّ بلد. و قد عثرنا على روايتين تفيدان أنّ أصحاب الإمام الحجّة عليه السلام من بلدة الطالقان هم أربعة و عشرون شخصًا، و لذا يُحتمل أنّ سماحته قدّس سرّه ـ كما صرّح ـ لم يكن يستحضر عددهم في تلك اللحظة، أو أن يكون المقصود رواية أخرى تذكر عدد أصحاب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف من بلدة الطالقان لكنّنا لم نعثر عليها؛ التشريف بالمنن في التعريف بالفتن (الملاحم و الفتن)، ص٢٩٠ و٣٧٦. و راجع أيضًا: إلزام الناصب، ج٢، ص١٦٦.

(٢) رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِذَا أُذِنَ الْإِمَامُ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعِبْرَانِيِّ فَأُتِيحَتْ لَهُ صَحَابَتُهُ الثَّلَاثُمِائَةِ وَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَزَعٌ كَقَزَعِ الْخَرِيفِ فَهُمْ أَصْحَابُ الْأَلْوِيَةِ، مِنْهُمْ مَنْ يُفْقَدُ مِنْ فِرَاشِهِ لَيْلاً فَيُصْبِحُ بِمَكَّةَ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يُرَى يَسِيرُ فِي السَّحَابِ نَهَارًا، يُعْرَفُ بِاسْمِهِ وَ اسْمِ أَبِيهِ وَ حِلْيَتِهِ وَ نَسَبِهِ»؛ الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٣١٣؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٦٨.

محمّد يؤمّ بعضكم بعضًا[1]. و عليه، يتّضح أنّ تقدُّم الإمام يُلازم إمامة الإمام. و كأنّ مراده هنا هو الشرطيّة، دون التكليف[2].

الخطوات الأولى لإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الحكومة

لو أنّنا عملنا بالقرآن الكريم حقًّا [و بطريقةٍ صحيحة]، لكان بإمكاننا أن نستقطب الآخرين بعملنا؛ لأنّ أكثر الناس ـ سوى النزر اليسير منهم ـ يُنشد النور و يطلبه، و إنّ الّذين لم يعتنقوا الإسلام و لم يؤمنوا بالقرآن منهم، إنّما هم قاصرون؛ إذ لم يُعرَض النور عليهم. إنّ هذا النوع من الأشخاص إنّما ينظر إلى أعمالنا و إلى سلوكنا، الّذي هو حسن في الظاهر، و قبيح في الباطن، و إنّ ما في الأسفل يختلف عمّا في الأعلى!

لو كنّا صادقين في قولنا إنّ القرآن سلاح، إذًا ما هي الحاجة إلى السلاح؟! و لو عُمِل بالقرآن، هل كانت تحدث كلّ هذه الحروب و سفك الدماء بين المسلمين؟! نحن نهيّئ [و نشتري] السلاح بفائدة النفط، ثمّ يتواثب بعضنا على بعض و نقتل إخواننا! إنّ العمل بالقرآن، يعني أن نجتنب الظالم، و أن نلعن الظالم، و أن نتبرّأ منه، بَيد أنّنا نحن المسلمين [عمومًا]، إمّا إنّنا نحن أنفسنا من الظالمين و إمّا متحالفون مع الظالمين! لقد حكم بنو أميّة و بنو العبّاس لِما يقرب من خمسمئة سنة. و مع كلّ تلك الجرائم و الظلم الّذي اقترفوه بحقّ الإمام عليّ عليه السلام و أولاده و ذريّة رسول الله صلّى الله عليه و آله، لا نزال نحن المسلمين نحبّهم و نقبلهم، و في الوقت نفسه ندّعي العمل بالقرآن، و نتبجّح بمقولة «حَسْبُنا كتاب الله»!![3] و لذلك، فإنّ

---

(١) «ممّا نقلته الشيعة و بعض محدّثي العامّة أنّ المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف إذا ظهر أنزل الله تعالى المسيح عليه السلام، فإنّهما يجتمعان، فإذا حضر[ت] صلاة الفرض قال المهديّ للمسيح عليه السلام: تقدّم يا روح الله ـ يريد تقدّم الإمامة ـ فيقول المسيح: أنتم أهل بيت لا يتقدّمكم أحد. فيقدّم [فيتقدّم] المهديّ ثمّ يصلّي المسيح خلفه»؛ التفضيل (للكراجكيّ)، ص٣٩؛ و راجع أيضًا: بشارة المصطفى، ص٢٤٩؛ مستدرك الحاكم، ج٤، ص٤٧٨.

(٢) عندما يكون الإمام المعصوم عليه السلام حاضرًا، يكون شرط صحّة صلاة الجماعة، هو تقدُّم الإمام المعصوم عليه السلام و إمامته للصلاة، و من دونها تكون صلاة الجماعة بإمامة غيره باطلة من الأساس، لا أنّ الأمر بتقدّم المعصوم عليه السلام و إمامته مجرّد تكليف. إلّا إذا قام الإمام نفسه بإسقاط حقّه، و رأى من المصلحة ـ في ظلّ ظروفٍ خاصّة ـ أن يتقدّم لإمامة الجماعة شخصٌ آخر.

(٣) يأتي هذا الكلام من سماحته قدّس سرّه كنايةً و تلميحًا بالعامّة الّذين أعرضوا عن العترة الطاهرة عليهم السلام متذرّعين بالقرآن، و في الحقيقة فإنّهم بذلك قد هجروا القرآن الكريم أيضًا. راجع: صحيح البخاريّ، بَابُ مَرَضِ النبيّ صلّى الله عليه و آله وَ وَفَاتِه،

أوّل أمرٍ يقوم به الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بعد ظهور دولة الحقّ هو محاسبة هؤلاء الّذين يدّعون العمل بالقرآن؛ لأنّهم أشدّ عنادًا من الكفّار! و حيث يرى النصارى السيّد المسيح عليه السلام يقتدي بالإمام [الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في صلاته]، فإنّهم يتّبعونه[1] و يسارعون إلى اعتناق الإسلام و اتّباع الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف قَبل الآخرين.

نخالفه ما أمكن لنا مخالفته!

حتّى إذا أراد الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن يظهر، فإنّنا سوف نخالفه ما أمكن لنا أن نخالفه! و قد جاء في روايةٍ أنّ علماء الكوفة سوف يكتبون إلى الإمام عليه السلام قائلين: أنت لا تخرج، «نَحْنُ نَكفِيك الْمَؤُونَةَ!»[2].

نفاق أهل الرئاسة!

لقد سُمع كثيرًا ـ و ليس في مورد واحد أو موردين ـ أنّ البعض يقول: عندما كانت الرئاسة و المرجعيّة لغيرنا، لم يظهر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فالآن إذ آلت الرئاسة و الزعامة إلينا يريد أن يظهر؟! إنّ كلام هؤلاء يشبه كلام أولئك الّذين تحدّثت عنهم الرواية القائلة: إنّهم عند ظهور الإمام الغائب عليه السلام، يكتبون له: «إنّا كفَيناكَ الْمَؤُونَةَ»[3] [و لا حاجة إلى أن تأتي و تتسلّم الحُكم].

إنّ أهل الشقاق لن يؤمنوا في باطنهم بسبب ذَيْنك الاثنين!

يُحتمل أنّهم [أي بعض الناس] في عصر الظهور سيدخلون [في المذهب الحقّ] طوعًا

ج٧، ص٩٣-٩٤؛ بَابُ قَوْلِ الْمَرِيضِ قُومُوا عَنِّي، ج٩، ص١١٥؛ صحيح مسلم، بَابُ تَرْكِ الْوَصِيَّةِ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيه، ج٣، ص١٢٥٩؛ شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد)، ج٦، ص٥١.

(١) راجع: تفسير القمّيّ، ج١، ص١٥٨؛ بحار الأنوار، ج٩، ص١٩٥.

(٢) روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «وَيَسِيرُ إِلَى الْكُوفَةِ فَيَخْرُجُ مِنْهَا سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْبُتْرِيَّةِ، شَاكِينَ فِي السِّلَاحِ، قُرَّاءَ الْقُرْآنِ، فُقَهَاءَ فِي الدِّينِ، قَدْ قَرَحُوا جِبَاهَهُمْ وَشَمَّرُوا ثِيَابَهُمْ وَعَمَّهُمُ النِّفَاقُ وَكُلُّهُمْ يَقُولُونَ: يَا ابْنَ فَاطِمَةَ، ارْجِعْ لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكَ»؛ دلائل الإمامة، ص٤٥٥. و لقد ورد عنه عليه السلام في رواية أخرى: «إِذَا ظَهَرَ الْقَائِمُ عَلَى نَجَفِ الْكُوفَةِ خَرَجَ إِلَيْهِ قُرَّاءُ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَدْ عَلَّقُوا الْمَصَاحِفَ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأَطْرَافِ رِمَاحِهِمْ ... فَيَقُولُونَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ، قَدْ جَرَّبْنَاكُمْ فَمَا وَجَدْنَا عِنْدَكُمْ خَيْرًا، ارْجِعُوا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ، فَيَقْتُلُهُمْ حتى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُجِرٌّ[مخبرٌ]»؛ منتخب الأنوار المضيئة، ص١٩٣.

(٣) راجع: دلائل الإمامة، ص٤٥٥؛ منتخب الأنوار المضيئة، ص١٩٣.

و كرهًا. إنّ بعضهم [من أعداء أهل البيت عليهم السلام]، لا يؤمنون به في باطنهم أصلًا! هناك رواية تقول: إنّهم يحاربون [إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف] بسبب مخالفته لذَينك الرجُلَين![1]

في عصر الظهور، جماعة تؤمن مُكرهة!

إنّ الإنسان يرتكب في حقّ نفسه عملًا لا يفعله معها أيّ عدوّ، و هو أنّه يجفّف يَنبوع الصلاح إلى يوم القيامة! و من هنا، ليس من المعلوم أنّ جميع الناس سيؤمنون باطنًا بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف عند ظهوره، بل ثمّة جماعة منهم ستؤمن عن إكراه![2]

الإيمان بصاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف خوفًا من ضربة سيفه

رحم الله [العلّامة] الأميني صاحب كتاب «الغدير»، كان هناك من يقول عنه: إنّ العلّامة الأميني [عندما] كان يعتلي المنبر، كان و هو على المنبر يبكي لمظلوميّة أمير المؤمنين عليه السلام. إنّ مظلوميّته عليه السلام هي [سبب] مظلوميّة البشر إلى يوم القيامة. و حسب الظاهر حتّى في عصر ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يكون إيمان الجميع باطنيًّا؛ بل [إنّ البعض] يقرّون [بزعامة إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف كُرهًا و] اضطرارًا. «لَولا أَنّ السَّيفَ بِيدِهِ لَأَفْتَى الْفُقَهاءُ بِقَتْلِهِ»[3]. إنّ هؤلاء إنّما يُظهرون الإيمان خوفًا، و إلّا فمن الممكن أن يكون الكثير منهم باقين في الباطن على عقائدهم السابقة!

بعد الظهور: ظهور الإسلام على الأديان

[قال الله تعالى في القرآن الكريم:] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[4]، و لكن حتّى الآن لم يظهر دينه على جميع الأديان الإلهيّة، سواء في عصر النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله أم في عصر أوصيائه عليهم السلام. و المراد من ظهور الإسلام على سائر الأديان، ليس هو الظهور البرهانيّ؛ لأنّ هذا النوع من

(١) بحار الأنوار، ج٥٣، ص١٣.

(٢) راجع: تفسير البرهان، ج١، ص٦٤٩ و٦٥٠، ذيل تفسير الآية ٣٨ من سورة النحل.

(٣) مستدرك سفينة البحار، ج٢، ص١٤٣؛ مجمع النورين، ص٣٤٤؛ الفتوحات المكّيّة، ج٣، ص٣٣٦.

(٤) سورة التوبة، الآية ٣٣.

الظهـور كان موجـودًا أيضًـا حتّـى في عصر رسـول الله ﷺ. و على هذا الأسـاس، فإنّ المراد مـن الظهـور هنـا هو الظهـور التكوينـيّ، و ليس الظهـور التشـريعيّ. و عليه، يجـب أن يأتي زمـانٌ يظهـر فيه دين الإسـلام علـى الأديان الأخرى تكوينًـا، و هذا إنّما سـيحصل بعد ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف(1).

كما يُستفاد من هذه الآية الشريفة أنّ المخالفين للإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف هم من المشركين [و بحكمهم]؛ إذ يقول تعالى: ﴿ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾.

بعد الظهور: بقاء المساجد على حالها

إنّما تُعمر المساجد من أجل تحقيق مصالح المسلمين. و يكون [وقفها] مؤبّدًا و غير مؤقّت بوقت محدّد. و حتّى بعد الظهور لا تُمسّ المساجد، و تبقى على حالها.

بعد الظهور: الانتفاع بهذه الروايات باقٍ

سأل شخصٌ أخاه الّذي سبقه إلى سامرّاء و كان يحضر درس الميرزا الشيرازيّ رحمه الله، ما هو الموضوع الّذي يتباحثه الميرزا؟ فقال: إنّه يدرّس قاعدة «النَّاسُ مُسَلَّطُونَ عَلَى أَمْوَالِهِم»(2) و يقول حولها بعض المطالب الّتي لم يسبق له أن تطرّق إليها في اليوم السابق. و قد مضى له شهر على هذا المنوال!

إنّ هذه الاستفادات و التدقيقات في كلمات الّذين صدرت عنهم هذه المطالب [الأئمّة الأطهار عليهم السلام] سوف تستمرّ إلى يوم الظهور الّذي لا نعلم متى يكون، بل لن يزول الانتفاع بهذه المطالب حتّى بعد الظهور أيضًا، لأنّ الّذي سيأتي لاحقًا سوف يكون شارحًا لما قبله، و ليس ناسخًا له!

بعد الظهور: الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يُعلّم القرآن

إنّ عمل الشيعة يقوم على موافقة القراءات السبع و العشر، و عدم الالتزام بقراءة أهل

(1) رُوي عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾: «يُظْهِرُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ عِنْدَ قِيَامِ الْقَائِمِ»؛ الكافي، ج١، ص٤٣٢؛ بحار الأنوار، ج٢٤، ص٣٣٦.

(2) نهج الحقّ و كشف الصدق، ص٥٠٤.

البيت عليهم السلام [قبل الظهور]. إنّ الأئمّة عليهم السلام لا يرتضون التفرقة. «فَسَيَجِيئُكُمْ مَنْ يُعَلِّمُكُم»(1). و قد تركوا هذا [الالتزام بقراءة الأئمّة عليهم السلام] إلى عصر الظهور(2).

بعد الظهور: يُكلّمه كلّ شخصٍ و هو في مكانه

نسأل الله أن يوفّقنا لإدراك عصر ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. لقد جاء في الروايات أنّ الناس في عصر الظهور سوف يتحدّثون مع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ الّذي هو الوليّ و الإمام في حينها ـ بأنفسهم. يتحدّث الناس بأنفسهم إلى الإمام عليه السلام في جميع الممالك. طبعًا، فإنّ هذا في الجملة يحتمل أن يكون على نحو الإيجاب الجزئيّ، و لكن لا يمكن القول باستحالته على نحوٍ كلّيّ أيضًا. فكلّ شخص يتعرّض لأيّ ابتلاء أو مشكلة، و في أيّ مكان أو ناحية يكون، سيسأل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بنفسه و يحصل على جواب سؤاله. و هذا بطبيعة الحال سوف يكون بعد

---

(1) «عَنْ محمّد بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّا نَسْمَعُ الْآيَاتِ فِي الْقُرْآنِ لَيْسَ هِيَ عِنْدَنَا كَمَا نَسْمَعُهَا وَ لَا نُحْسِنُ أَنْ نَقْرَأَهَا كَمَا بَلَغَنَا عَنْكُمْ، فَهَلْ نَأْثَمُ؟ فَقَالَ: لَا، اقْرَءُوا كَمَا تَعَلَّمْتُمْ فَسَيَجِيئُكُمْ مَنْ يُعَلِّمُكُم» الكافي، ج٢، ص٦١٩.

(2) من المعلوم أنّ عليًّا أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله لم يرتَدِ برداءٍ إلّا للصلاة إلى أنْ جمع القرآن على ترتيب نزوله مُشتملاً على التأويل و التنزيل، و المحكم و المتشابه. فكان قرآناً كاملًا و تامًّا و مفسِّرًا لآيات الله تعالى المرتّبة بحسب النزول. و لمّا جمع عليه السلام القرآن جاء به إلى القوم و قال: «هذا كتاب ربّكم كما أُنزل على نبيّكم، لم يزد فيه حرف، و لم ينقص منه حرف»، فقالوا: «لا حاجة لنا فيه، عندنا مثل الّذي عندك» (بحار الأنوار، ج٩٠، ص١٢٦)، فعاد بعد أن ألزمهم الحجّة، و لم يظهره لهم بعد ذلك.

و يتبيّن من عدّة روايات أنّ هذا المصحف انتقل منه عليه السلام إلى ابنه الحسن عليه السلام ثمّ من بعده إلى الحسين عليه السلام، و هكذا انتقل من كلّ إمام معصوم إلى الإمام الّذي يليه، إلى أن وصل إلى الإمام الحجّة المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و من بين تلك الروايات أنّ طلحة سأل أمير المؤمنين عليه السلام: «فأخبِرني عمّا في يديك من القرآن و تأويله و عِلم الحلال و الحرام، إلى مَن تدفعه و مَن صاحبه بعدك؟ فقال عليه السلام: «إِلَى الّذي أَمَرَنِي رَسُولُ اللّهِ أَنْ أَدْفَعَهُ إِلَيْهِ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ وَصِيِّي وَ أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ بَعْدِي ابْنِي هَذَا الْحَسَنُ ثُمَّ يَدْفَعُهُ ابْنِيَ الْحَسَنُ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَى ابْنِي هَذَا الْحُسَيْنِ ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ حَتَّى يَرِدَ آخِرُهُمْ عَلَى رَسُولِ اللّهِ حَوْضَهُ وَ هُمْ مَعَ الْقُرْآنِ وَ الْقُرْآنُ مَعَهُمْ لَا يُفَارِقُونَهُ وَ لَا يُفَارِقُهُمْ»» (كتاب سليم بن قيس، ج٢، ص٦٦٠). و في روايةٍ أُخرى عن الباقر عليه السلام: «إِذَا قَامَ قَائِمُ آلِ محمّد ضَرَبَ فَسَاطِيطَ لِمَنْ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْقُرْآنَ عَلَى مَا أَنْزَلَ اللّهُ جَلَّ جَلَالُهُ، فَأَصْعَبُ مَا يَكُونُ عَلَى مَنْ حَفِظَهُ الْيَوْمَ لِأَنَّهُ يُخَالِفُ فِيهِ التَّأْلِيف» (الإرشاد، ج٢، ص٣٨٦).

و إلى حين ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لم يأمر أهلُ البيت عليهم السلام الشيعةَ بترك القراءات السبع أو العشر المشهورة، بل كان دأبهم على موافقتها حتّى لا تحصل التفرقة. و كان سماحة الشيخ البهجة قدّس سرّه يقول إنّ الشيعة في زمن الغيبة مأمورون بهذا القرآن الّذي بين أيدينا و القراءات المشهورة.

الظهور - و نحن [من تلقاء أنفسنا] غير مطّلعين على ذلك - إنّما جاء هكذا في الروايات.[1] لقد شوهد أنّ بعض الأولياء و الكاملين كانوا بمجرّد أن يتوسّلوا بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف يصلح لهم [و يتهيّأ] ذلك الأمر الّذي كان يبدو حسب الظاهر محالًا (و هو بطبيعة الحال من المحال العاديّ) [و تُلبّى حاجتهم]. و قد سمعتُ بنفسي من شخصٍ كان قد وقع في ابتلاء يقول: لقد انقطع بنا الطريق في الصحراء، و تورّمت أرجلنا، و كنّا جائعين و ظامئين و قد نال منّا التعب. و إذا بأحد المرافقين لنا يقول فجأة: يا صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف أرسل إلينا وسيلة كي نُقلّ هذا السيّد [و كان كأنّه قد طلب شيئًا مُحالًا في تلك الصحراء الرمليّة]، و إذا بنا نرى فجأةً وسيلة مثل العربة الّتي يُحضرها أصحابها لجمع محاصيلهم، فكأنّها فارت من تلك الصحراء الرمليّة و خرجت من جوف الأرض. فما إن رآنا ذلك الرجل من بعيد حتّى قال: هلمّوا اركبوا!

و القصد هو القول: من أيّ رحمات و تفضّلات حرمونا! هؤلاء الّذين أسرتهم الدنيا و حبّها حرمونا أن يكون بيننا و بين الله وسائط كهؤلاء عليهم السلام!

بعد الظهور: أهل البلاد يرون بعضهم بعضًا

نقل شخص أنّ رواية وردت في تفسير الصافي [مفادها] أنّ أهل البلاد في آخر الزمان سوف يرون بعضهم من بعيد.[2] و قد سألنا بعض أهل الاطّلاع عن ذلك، فقالوا: من الممكن بآلاتٍ من قبيل الأشعّة أو الكهرباء مشاهدة ما وراء الجدار أو داخل الجسم، لكن هذه التقنية ليست رخيصة [الثمن] أو متاحة للجميع، كما أنّهم لا يرون [الأشخاص] أنفسهم، و إنّما يرون صورهم فقط. و لكن هل المراد من هذه الرواية هو الرؤية بالآلات و الأدوات أم أنّ الأبصار سوف تكون من الحدّة و القوّة بحيث يشاهدون أهل البلاد أنفسهم، و ليس مجرّد صورهم فقط؟![3]

---

(١) «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ قَائِمَنَا إِذَا قَامَ مَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِشِيعَتِنَا فِي أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ حتّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَائِمِ بَرِيدٌ، يُكَلِّمُهُمْ فَيَسْمَعُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي مَكَانِهِ»؛ الكافي، ج٨، ص٢٤١.

(٢) روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي زَمَانِ الْقَائِمِ وَهُوَ بِالْمَشْرِقِ لَيَرَى أَخَاهُ الّذي فِي الْمَغْرِبِ وَكَذَا الّذي فِي الْمَغْرِبِ يَرَى أَخَاهُ الّذي فِي الْمَشْرِقِ»؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٩١.

(٣) كما يتّضح من كلام سماحته قدّس سرّه فإنّ مُراد الرواية ليس إمكان رؤية صور بعضهم من مسافات بعيدة بواسطة الآلات و الأدوات الخاصّة، بل إنّ رؤية الناس و أبصارهم في ذلك الزمان سوف تكون من القوّة بحيث يشاهدون بعضهم من بعيد بطريقة مباشرة، و ليس مجرّد صورهم فقط. و هذا الأمر يتّضح من رواية مأثورة عن الإمام الصادق عليه السلام إذ

بعد الظهور: عصر التمكّن و الغنى المحض

إنّ عصر الظهور هو عصر التمكّن و الغنى المحض. لقد جاء في رواية: «تُظْهِرُ الأَرْضُ كُنُوزَهَا»[1] و يُحتمل أن يشمل ذلك المعادن أيضًا، و ليس مجرّد ما أخفاه الناس في باطن الأرض فقط. إنّ الكنوز الموجودة في باطن الأرض هي من العجائب. إنّ المعادن و الكنوز الّتي لم تُكتَشف بعد سوف تظهر بأجمعها في عصر ظهور صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

بعد الظهور: إنّ يومًا من حُكم صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف يعدل سنوات!

ربما يُستفاد من بعض الروايات أنّ عمر الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بعد الظهور لن يكون طويلًا.[2] و لذلك فإنّ بعض الّذين ينتظرونه يتألّمون و يحزنون من هذه الناحية، و [لكنّهم] لا يُدركون أنّ يومًا واحدًا من حُكم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يسوى سنوات.

حسب وَلَه محبّيه و شغفهم، فحتّى الألف سنة أيضًا تكون قليلة [و قصيرة]، و لكنّهم لا يدركون أنّ يومًا واحدًا من أيّام الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يسوى بالنسبة إليهم سنوات و أعوامًا.

يقول: «إِنَّ قَائِمَنَا إِذَا قَامَ مَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِشِيعَتِنَا فِي أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ حتّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَائِمِ بَرِيدٌ، يُكَلِّمُهُمْ فَيَسْمَعُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي مَكَانِهِ»؛ الكافي، ج٨، ص٢٤١.

(١) الإرشاد، ج٢، ص٣٨١ و ٣٨٤.

(٢) لقد ورد في بعض الروايات أنّ مدّة حُكم الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف تسع عشرة سنة و بضعة أشهر؛ راجع: الغَيبة (للنعماني)، ص٣٣١و٣٣٢.

الروضة العاشرة:

«المساجد و الأماكن المنسوبة إلى الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف»

عناية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الخاصّة ببعض الأمكنة

[بعض الأشخاص] كثيرًا ما يتشرّفون إلى الأماكن المنسوبة إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لكنّهم لا يعلمون في الغالب ما الّذي يجب أن يطلبوه. إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مُشرفٌ على جميع الأمكنة، و لكن له عناية خاصّة ببعض الأمكنة، مثل: مقام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في النجف الأشرف الّذي لا يزيد عن حجرة واحدة، و لكن أيّ روحانيّةٍ يُشعَر [بها] في هذه الحجرة! و كذلك الحال بالنسبة إلى حجرة مخيّم سيّد الشهداء عليه السلام في كربلاء المقدّسة أيضًا.

كرامات مسجد السهلة

كان النجفيّون في ليالي الأربعاء يوفِضون إلى مسجد السهلة؛ و الله يعلم أيّ كرامات رُئِيَت و أيّ أمور [و معاجز] شوهدت في ليالي الأربعاء و أيّامها، إنّها عجائب و غرائب!

الإقبال على مسجد السهلة بسبب ظهور الكرامات

الله يعلم أيّ كراماتٍ ظهرت من العلماء و كُشفت [للناس] في مسجدَي السهلة(١) و الكوفة

---

(١) أشاد أهل البيت عليهم السلام كثيرًا بعظمة مسجد السهلة المقدّس و فضائله، منها ما ورد في إحدى الروايات عن الإمام الصادق عليه السلام مخاطبًا أبا بصير: «هُوَ مِنَ الْبِقَاعِ الَّتِي أَحَبَّ اللّٰهُ أَنْ يُدْعَى فِيهَا، وَ مَا مِنْ يَوْمٍ وَ لَا لَيْلَةٍ إِلَّا وَ الْمَلَائِكَةُ تَزُورُ هَذَا الْمَسْجِدَ، يَعْبُدُونَ اللّٰهَ فِيهِ، أَمَا إِنِّي لَوْ كُنْتُ بِالْقُرْبِ مِنْكُمْ مَا صَلَّيْتُ صَلَاةً إِلَّا فِيهِ»؛ راجع: المزار الكبير، ص١٣٤ـ ١٣٥؛ وكذلك في الرواية أنّ هذا المسجد هو محلّ نزول الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أهله؛ راجع: بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣١٧.

و المشاهد الأخرى، حتّى كان لأهل العلم في النجف إقبالٌ على هذَين المسجدين. إنّ تلك التعبّدات كانت تنشأ عن الحقائق الّتي تنبثق من تلك الأمكنة.

سهلة إيران

إنّ مسجد جمكران[1] هو سهلة إيران.

كرامة في حقّ مسجد جمكران

كان هناك رجلٌ صدّوق من أهل قمّ، كبيرٌ في السنّ يُدعى «مشهدي حسين خالة»، وكان يعالج كسور العظام ـ و قد جاءني ذات يومٍ إذ كنت أعاني من ألمٍ في كتفي، و دون أن يضع يده على موضع الألم قال بعض الكلمات الّتي كان العمل بها ناجعًا ـ و قد روى لنا: قبل

(١) إنّ مسجد جمكران الشريف مكانٌ مقدّس، حتّى إنّ الصلاة فيه عُدّت معادلةً للصلاة في الكعبة الشريفة، و الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف حضّ الشيعة على الحضور في هذا المكان، و قد حصلت فيه كرامات و عجائب لا تُحصى، وكان العلماء الكبار و لا سيّما أولئك العاشقون لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف يواظبون على زيارة هذا المكان المقدّس للصلاة فيه و تأدية أعماله الخاصّة و التوسّل بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف. وكان آية الله الشيخ البهجة أعلى الله مقامه مواظبًا و حريصًا على الذهاب إلى هذا المسجد المعظّم حتّى و هو في سنّ الكهولة، وكان يشجّع الآخرين على الذهاب إليه و لا سيّما أولئك الّذين يتمنّون لقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو الّذين يطلبون إليه أن يدلّهم على الأعمال الّتي ينبغي لهم القيام بها من أجل الحظوة باللقاء، فيدعوهم إلى الإكثار من الحضور في هذا المسجد و إقامة صلواته الخاصّة. حتّى إنّه كان يسأل مَن يزوره من الزعماء و الشخصيات الّذين يديرون الشؤون الاجتماعيّة إن كانوا قد تشرّفوا بزيارة جمكران، وكان يوصيهم ـ مع التأكيد و التشديد ـ بضرورة الذهاب إلى هذا المسجد المقدّس، و يقول: «الله يعلم كثرة الكرامات و العجائب و الغرائب الّتي شوهِدت في هذا المسجد!». نعم، حتّى بناء هذا المسجد و تشييده إنّما كانا بكرامات من الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و رعايته. و الله يعلم كم من العلماء و الصلحاء قد تشرّفوا بلقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في هذا المسجد المبارك، وكم من أصحاب الحاجات قد قُضيت حاجاتهم فيه. لذا ينبغي لكلّ مؤمن متلهّفٍ للقاء إمام العصر و الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن يطمع بالذهاب إلى ذلك الموضع الشريف، و أن يحضر بكلّ كيانه فيه، و لا يجدر بعاشق انفطر قلبه شوقًا لرؤية وجه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف القدسيّ، أن يحرم نفسه فيض ذلك المكان الشريف و آثاره المعنويّة، خاصّة بعد سماع حكايات متعدّدة المصادر عن العلماء الربّانيّين الصلحاء الّذين تشرّفوا بزيارة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في ذلك المكان الشريف، فيزداد يقين الإنسان المنصف أنّ هذا الموضع المبارك هو ملتقى العشّاق الصادقين بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و من لم يتشرّف إلى الآن بزيارة ذلك الموضع الشريف، فليذهب و لو مرّة واحدة فقط، ليجد نفسه في معرض النسائم الملكوتيّة و الأجواء الرّوحانيّة، و ليلمس آثار الحضور بقلبه الّذي سيتلهّف على العودة إلى زيارته في كلّ حين، و قد ذُكرت قضيّة بنيان هذا المسجد الشريف ـ تبرّكًا و تيمُّنًا ـ في الصفحة ٢٠٤ من هذا الكتاب.

أربعين سنة كان مسجد جمكران بحاجة إلى تبييض[1]، و كنت شديد التوق إلى تبييضه، و من منطلق رغبتي الشديدة بهذا العمل و لأنّي لم أكن أمتلك وسيلة [للقيام به]، تشرّفت إلى حرم السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام، و ألصقت نفسي بالضريح، و طلبت إليها أن تسأل الله سبحانه توفير وسائل هذا الأمر و أن أوفّق لتبييض حجر المسجد. ثمّ لم أعِ ما إذا كنت في نومٍ أو يقظةٍ إذ سمعت صوتًا يقول: اذهب إلى فلان التاجر، و سوف يضع في حوزتك الوسائل اللازمة. فذهبت إليه و سألته: هل لديك الوسائل الضروريّة لتبييض مسجد جمكران؟ فأجابني إلى ذلك و وافق و قال إنّه مستعدٌّ لذلك، و جعل بعض النقود في حوزتي [للقيام بهذه المهمّة]. فأخذت معي بعض العمّال ـ أربعة أو خمسة أشخاص ـ لنباشر العمل هناك. و كانوا قد أفهموني أنّهم سوف يوفّرون الجصّ و المواد الإنشائيّة. فذهبنا إلى هناك و ما إنْ وصلنا حتّى رأينا شخصًا كبيرًا له لحية بيضاء قد خالَطَها السواد، و قد شدّ رأسه بعمامة بيضاء [أو قماشة بيضاء]، فأقبل نحونا و قال: هل تريدون إصلاح هذا المكان؟ فقلت له: أجل. فقال: إنّ العمل هنا سوف يستغرق يومين و نصف اليوم، إذ يستغرق تبييض كلّ حجرة في المسجد يومًا واحدًا، و حجرة الخادم هذه ـ و هي حجرة صغيرة يعتكف فيها فلان و يحضر فيها دائمًا ـ تحتاج إلى نصف يوم من العمل، فاعملوا على تبييضها أيضًا. ثمّ قال: في اليوم الأوّل و الثاني سوف يأتي النَّعَم من البستان المجاور للمسجد محمّلًا بخمسة عشر منًّا[2] من الجصّ، و في اليوم الثالث سوف يأتي بنصف هذه الكمّيّة، و يلقيها في الحجرة المجاورة، و عندها يمكنكم مباشرة العمل، لكن شرطه أن تحوّلوا أمر طعامكم إليّ و أن يكون طعام الإفطار و الغداء عليّ. فقلت له: كيف ستحسب أجرة خدمتك [أي كلفة ما تقدّمه من مواد بناءٍ و طعام]؟ فقال: سوف أحسبها بما يرضيكم. ثمّ سألته: أين تقيم؟ فقال: في المكان الفلانيّ!

و على هذا الأساس، كان ذلك الرجل يأتي كلّ يومٍ من البستان المجاور للمسجد [يقود نعَمًا يحمل] خمسة عشر منًّا [من الجصّ] و يفرغها في هذه الحجرة المواجهة للمسجد و يُحضر معه طعام الإفطار و الغداء، و كنّا نباشر العمل. و في اليوم الثالث جاءنا بسبعة أمنان و نصف المنّ، و أنهينا العمل في نصف يوم. و بعد الفراغ من العمل قلت لرفقتي من

(١) أي طلاء جدران المسجد ببعض مواد البناء كالجصّ و الكلس.

(٢) وحدة قياس للوزن.

العمّال: انتظروني هنا حتّى ألتحق بكم و نعود معًا. ثمّ قصدت ذلك الرجل في الموضع الّذي سبق له أن دلّني عليه لتصفية الحساب؛ فوجدت المكان غير مأهولٍ و لا مسكون، و لا أحد يتردّد إلى هناك، و ليس مكان إقامة لأحد، و مهما بحثت عنه في ذلك الموضع لم أجد له أثرًا، و لم أرَ البستان الّذي كانوا يجلبون منه الجصّ. و كلّما تقدّمت أكثر لم أكن أرى شيئًا! ثمّ قلت لنفسي: إنّ هذا الرجل يجب أن يكون من سكّان [قرية] جمكران؛ و عليه يجب أن يكون هناك؛ فذهبت إلى قرية جمكران لعلّي ألتمس عنه خبرًا في موضعٍ منها، و أخذت أسأل المارّة عنه إن كانوا يعرفون شخصًا بهذه السيماء و هذه الأوصاف في جمكران، [فكانوا يقولون:] لا يوجد أصلًا شخص بهذه الأوصاف الّتي أنت تقولها! حتّى استحوذ عليّ اليأس و قلت في نفسي: لقد هلكتُ! ماذا أصنع يا إلهي؟ جئت لأفعل خيرًا فاشتغلت ذمّتي، جئت لأقوم بعملٍ مُستحبٍ و ها أنا طوّقت عنقي بمثل هذا الواجب الثقيل! لقد قدّم لنا ذلك الرجل كلّ هذا الجصّ و الطعام من الإفطار و الغداء و العَشاء و غير ذلك، فكيف نبرح المكان دون دفع ثمن هذه الأشياء؟! و من ناحيةٍ أخرى، كان العمّال المساكين ينتظرونني و قد أطلت عليهم في بحثي عن ذلك الرجل. و في سَوْرةٍ من الألم و انقطاع الأمل صدر هذا النداء منّي: يا أيّها الّذي أوقعتني في هذه الحيرة، أقسم عليك بفلان أن تُخرجني من حيرتي. فإذا بي أسمع هاتفًا ـ دون أن أراه ـ يقول لي: «ألَم تعرفني يا حسين؟!» و بدا لي كأنّه السيّد الخضر عليه السلام، و أنّ ما حصل غير مألوف. و قلت: أجل، إنّه لم يكن من أولئك الأشخاص الّذين أظنّهم، إنّه يجب أن يكون من مُلازمي الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو كائنًا من كان و لكنّه ليس من هؤلاء الّذين أرحل عنهم و [أقلق و] أبقى أفكر في أنّ ذمّتي مشغولة لهم. فاطمأنّ بالي، و قفلتُ راجعًا إلى العمّال الّذين أوجست منهم خيفة العتاب لأنّي تأخّرت عليهم كثيرًا، و قلت في نفسي: ماذا أقول لو سألوني عن سبب تأخُّري؟ و لكنّي عندما وصلت إليهم رأيت عليهم البِشر، و قالوا: ما أسرع ما رجعت إلينا! فتعجّبت كثيرًا، و كانت فرحتي عظيمة.

كنت أذهب إلى جمكران في كلّ أسبوع، و قد ذهبت هذا الأسبوع أيضًا، و ألقيت نظرة و قلت في نفسي: كنتَ تأتي إلى جمكران طوال الأسابيع المُنصرمة، و لم تنتبه إلى عدم وجود مزرعةٍ أمام جمكران؟ فهل ترى هناك مزرعة؟! و كأنّي رأيت كلّ ما رأيته في المنام! مع أنّي كنت آتي إلى جمكران في كلّ أسبوع، و كأنّي كنت في تلك المدّة نائمًا، و ما أراه كان

مُختلفًا عمّا رأيته في السابق تمامًا؛ إذ كانت هناك في تلك المدّة مزرعةٌ إلى جوار المسجد، كما كانت هناك حجرةٌ أمام المسجد حيث كان ذلك الرجل يُلقي الجصّ فيها، في حين أنّه [في الواقع] لم تكن هناك مزرعةٌ إلى جوار المسجد كي يُنقل الجصّ منها، كما لم أشاهد أثرًا للحجرة الواقعة أمام المسجد حيث كان يُلقى الجصّ هناك، لقد كانت محضَ بيداء مفتوحة، و لكنّ تبييض المسجد كان يقينًا و لم يكن منامًا أو رؤيا، و قد تمّ تبييض المسجد حقًّا! و قد ذهبت في الأسبوع التالي، لأرى إن كنت قد بيّضت [جدران] المسجد حقيقة أم كان الأمر مجرّد حلم، فوجدت المسجد مبيَّضًا، و حتّى حجرة الخادم كانت مبيّضة أيضًا.

و الحاصل، فليغتنم هذا من يستطع!!

آثار التشرّف بزيارة جمكران

كان لنا صديق يزديّ اسمه السيّد حسن، و كان يقول: كان لي طفلٌ حديث الولادة لم يتجاوز عمره يومين أو ثلاثة أيّام، و قد لازمه المرض، و لم أعرف إنْ كان يعاني من الحمّى أو مرض آخر، و قيل لي: يجب أن تأخذه إلى المستشفى ليحقنوه بالمغذّي. فقلت: كيف أحمل طفلًا بهذا العمر إلى المستشفى ليحقنوه بالمغذّي؟! لن أفعل ذلك! و توجّهت مباشرة إلى جمكران، و أخذت أتوسّل هناك، و قلت إنّي لن أبرح المكان حتّى أحصل على حوائجي. و في الليل [أخذتني غفوة] فرأيت فيما يراه النائم أنّ الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف جالسٌ في المحراب، و كان كلّ واحد من الناس يذهب إليه و يكتب رسالة ثمّ يقدّمها له؛ فذهبت إلى محضره، فقال لي: يا سيّد حسن إنّ طفلك السيّد أصغر سيُشفى. فقلت له: تفضّلوا ببيان علامةٍ لي على ذلك. فقال: علامة ذلك أنّ حالته كانت عصيبة، و لكن عندما تذهب في الصباح و تسألهم عنه، سيقولون لك: إنّه أحسن حالًا، و إنّ وطأة المرض قد خفّت قليلًا، و عند حلول العصر سيزول عنه المرض تمامًا، هذا أوّلًا. ثمّ إنّك كنت تريد بيتًا، و قد قلنا أن يعطوك بيتًا. و تريد الذهاب إلى كربلاء، و سوف تذهب بعد شهرٍ و يذهب الآخرون أيضًا.

[قال السيّد حسن:] رجعت إلى البيت و سألتهم عن الطفل؛ فقالوا: إنّه أحسن حالًا من السابق، و عند العصر زال عنه [المرض] تمامًا!

و فيما يتعلّق بالبيت، جاء شخص و قال لي: ألا تريد بيتًا؟ أنا أهيّئ لك أرضه أو أعطيك ثمنها. ثمّ جاء شخصٌ آخر و قال: ألا تريد أن تبني دارًا على هذه الأرض الّتي تملكها؟ سوف

أقيم لك أساساتها و ما إلى ذلك. [و هكذا] جاء كلّ شخصٍ [على حِدَةٍ] و أخذ على عاتقه بناء جزءٍ من الدار حتّى اكتمل البناء! و قد سكن في تلك الدار سنوات، ثمّ باعها و اشترى دارًا أخرى، و أظنّه الآن يريد بيع هذه الدار الثانية ليشتري غيرها. و أمّا قضيّة ذهابه إلى كربلاء فقد بقيت معلّقة. وكان [في قصّته] مطلبٌ حول دعاء الندبة و دعاء الفرج، و قد تضمّنت عبارة: «إنّ فرجي قريبٌ»[1].

و كنّا ذات يومٍ في مدينة مشهد المقدّسة؛ فقلنا لأحد الأصدقاء: كان لدى شخصٍ ثلاث حاجات، و قد تحقّق منها اثنتان. [نسأل الله تعالى] بما أنّه [نقل عن الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] قوله: «إنّ الفرج قريب»، أن تكون [هذه العبارة] مُلحقة بذلك، و تكون هي الأخرى صادقة أيضًا.

فقال: حسنًا، إنّ الرجل كان يطلب الذهاب إلى كربلاء، فهل ذهب؟ قلت: كلّا، فقد مضى على منامه شهر، و لم يفته [الوعد] بعد، فربما يتحقّق له ذلك. فقال: إنّ الحوالات مختلفة ـ بطبيعة الحال ـ فقل له: ليذهب إلى كربلاء، و أنا أتكفّل بنفقاته!

فأخبرته بذلك، وكانت في حينها ـ على ما يبدو ـ تكفي خمسة آلاف تومان للسفر، و قد أرسل إليه حوالة بخمسة آلاف تومان، و ذهب مع قافلة [مدينة] يزد.

[و كان هذا السفر مطابقًا لذلك الوعد الّذي قطعه الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف له] إذ قال: سوف يذهبون [هو و الآخرون] بعد شهر[2]. فبعد شهرٍ واحدٍ بدأ من جديدٍ سفر القوافل إلى كربلاء، وكان معهودًا أن يستغرق ثمانية أيّام[3]. وكان يقول: حينما كانت الأيّام الثمانية تمضي، كانت قافلتنا تروم العودة. فجاء شخصٌ و قال لي: هل ترغب في أن أجعل أيامك الثمانية خمسة عشر يومًا؟ فقلت: أجل، أسأل الله ذلك من كلّ قلبي! فجعلنا [سفرنا] خمسة عشر يومًا، و ذهب رفاقنا. و لمّا انقضت الأيّام الخمسة عشر أو قبل انقضائها، جاء شخصٌ آخر أو الشخص [السابق] نفسه و قال: هل تسمح لي بأن أجعل أيّامك الخمسة عشر شهرًا

---

(١) لتوضيح هذا المطلب راجع الصفحة ٤٣٤.

(٢) من هنا يتّضح أنّ المراد من الشهر في قول الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف له بأنّه سوف يذهب هو و الآخرون بعد شهر، لم يكن الذهاب إلى كربلاء بعد ثلاثين يومًا بالمعنى الحرفيّ و الدقيق للكلمة، بل المراد أنّه سوف يتشرّف بالذهاب إلى كربلاء في الشهر اللاحق.

(٣) لقد قُطعت العلاقات السياسيّة لعدّة سنواتٍ بين العراق و إيران، و على إثرها مُنع السفر إلى كربلاء المقدّسة، لكن بمشيئة الله تعالى حصل كما وعد الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، إذ بعد شهرٍ من تلك القضيّة فُتحت الطريق و عاد توجّه القوافل إلى العتبات المقدّسة في العراق.

كاملًا؟ فقلت له: أتمنّى ذلك و أطلبه إلى الله سبحانه و تعالى! ثمّ قال: لقد زرنا تلك البقاع حدّ الرضا و الارتواء! و بعد انقضاء الشهر قفَلْنا راجعين.

و الغاية من هذا الكلام أنّه شوهِد من جمكران عجائب و غرائب من أمثال هذه الكرامات [العجيبة و الغريبة]. و من ذلك أنّ [أحد السادة] قد روى مؤخّرًا أنّه رأى الإمام الحجّة عَجَّلَ اللهُ تَعالى فَرَجَهُ الشَّريف في [جمكران] و قال لي بعض الكلام. فقلت له: أفي المنام رأيته؟ فقال: كلّا، بل في اليقظة، ثمّ رأيت أنّه غير موجود [و غاب] فجأة، و لكنّه كان حاضرًا على وجه اليقين، و قال لي في كلامه بعض الأمور و من بينها: «أنت يزديّ» ـ في حين أنّه قد مضت على هؤلاء مدّة طويلة في مدينة قمّ، دون أن يعرف أحد أنّهم من أهل [مدينة] يزد ـ و قال هذه الكلمة أيضًا: «قل لأوليائنا و المتلهّفين إلينا أن يدعوا لي».

إنّه يطلب إلينا الدعاء، و نحن عندما نذهب [إلى الأماكن المقدّسة] ننساه [و ننسى الدعاء له] و فقط نريد منه أن يدعو لنا!

مسجد جمكران ملاذ الصالحين

هناك جماعةٌ من الأطهار و الصالحين يحاورون صاحب الأمر عَجَّلَ اللهُ تَعالى فَرَجَهُ الشَّريف و يسألونه و يجيبهم، و يطلبون إليه حاجاتهم، و يحصلون عليها، و يسمعون صوته في مسجد جمكران.

لقاء الإمام الحجّة عَجَّلَ اللهُ تَعالى فَرَجَهُ الشَّريف في مسجد جمكران

للإنصاف يجب القول: إنّ مسجد جمكران الموجود هنا يُشبه مسجد السهلة، فقد شوهدت فيه كرامات إلى حدٍّ يعلمه الله، إنّها عجائب و غرائب؛ سواء في المنام أم اليقظة. و كان هناك شخصٌ من الّذين يتردّدون إلى مسجد جمكران كثيرًا، و قد رأى أمورًا [و مكاشفات]، و رأى من جمكران عجائب، و قد كنّا مطّلعين على أمره، و كلّ ما رآه في النوم تحقّق في اليقظة؛ و قد نقل لي قبل أسبوعين تقريبًا: لقد حدثت هذه القضيّة قريبًا، لقد تشرّفت بلقاء الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالى فَرَجَهُ الشَّريف في داخل مسجد [جمكران]، و قال لي أمورًا، و من بينها: «أنت يزديٌّ!». في حين أنّ كلّ من يراه لا يُخمّن أنّه يزديٌّ. لقد كان آباؤه يزديّين، و لكنّهم استوطنوا قمّ حتّى صاروا يُعدّون من القمّيّين. و كان تعجُّبه من أنّه عندما وصل الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالى فَرَجَهُ الشَّريف إلى آخر كلامه [قال هذه الكلمة:] «قل للمتلهّفين إلينا أن يدعوا لنا»، و كانت هذه آخر

كلماته، و بمجرّد أن أنهى هذه الكلمة، و في حين أنّه كان أمام عينَيَّ، [لكنّي فجأة] رأيت أنّه لم يعد موجودًا!

أنا أيضًا حتّى ذلك الحين لم أكن قد سمعت مثل هذا الأمر، إذ عادةً يمشون مقدارًا قبل أن يختفوا، أو يذهبون خلف جدارٍ ـ مثلًا ـ ثمّ يغيبون، و من ثمّ يمشي الإنسان خلفهم و يرى عدم وجود أحدٍ. [هو كان يقول:] لكن تعجُّبي أنّه ﷺ كان أمامي و بمجرّد أن أنهى كلامه، فجأةً لم أعد أرى أحدًا [أمامي]! هذا أحد شواهد صدق القضيّة. طبعًا هو رأى كرامات أخرى، و لقد رأى رؤًى ظهر تأويلها في اليقظة فورًا. و إلى ما شاء الله رُئيَت كرامات من هنا [أي مسجد جمكران]. و حقًّا إنّ الكرامات الّتي رُئيَت هنا، هي نفسها أقوى سند على أنّ هذا المكان موردٌ للعناية [الخاصّة].

قضاء الحوائج في مسجد جمكران

[كان أحد طلّاب العلم] يقول: وقعت في ورطة التجنيد الإلزاميّ، و كنت طالب علم؛ فقال لي الشيخ حسن عليّ [النخودكيّ]: اذهب إلى مسجد جمكران! و [بذلك] أحاله من مشهد إلى جمكران. فقال ذلك الطالب: فتحرّكتُ منقبض القلب؛ إذ حتّى الذهاب إلى جمكران كان ينطوي على خطر الوقوع في أيدي الشرطة. كان ذلك في مدّة حكم رضا خان. و على كلّ حال فقد ذهب إلى مسجد جمكران و بات هناك ليلته، [لكنّه] لم يدرك شيئًا! فرجع إلى قمّ ليعود أدراجه إلى [مشهد]. و ذهب هناك إلى طالبٍ آخر و أخبره بشأنه و سبب مجيئه. فقال له: إنّ لي نسبًا مع رئيس الشرطة [أو أحد المسؤولين]، و سوف أطرح عليه مشكلتك [حتّى يصلح أمرك]. و عندما ذهب إلى رئيس الشرطة و طرح المشكلة عليه، قال رئيس الشرطة: إنّ الإعفاء المؤبّد [من الخدمة] غير ممكن و لا سبيل إليه، [و لكن] يمكن إعفاؤه من الخدمة لسنة واحدة. فقال ذلك الطالب المجنّد: قلت في نفسي: ليس هذا ما وعدني به الشيخ حسن عليّ النخودكيّ؛ إذ قال: إنّ حلّ المشكلة سيكون على يد الإمام ﷺ! و لكنّي وافقت على مضض! ثمّ أضاف: جاءني [ذلك الطالب] بكتاب الإعفاء من إدارة الشرطة و دفعه إليّ. فنظرت فيه و وجدت أنّه يحتوي على إعفائي من الخدمة العسكريّة لسنة كاملة، و لكنّ كتاب الإعفاء هذا كان خاليًا من التأريخ. إذ نسي رئيس الشرطة أن يُدرج في نهايته تأريخ بداءة سريان مفعول الكتاب و تأريخ نهايته. فكنت كلّما تعرّض لي عناصر

السلطة [للتجنيد] أُبرز ذلك الكتاب، و من حينها لم يتعرّض لي أحد. و لقد كان الشيخ حسن عليّ [النخودكيّ] أخبر: «إنّ العُقد تُحلّ في جمكران!»[1].

هذه البقعة خير معرّفٍ عن نفسها

نحن نعتقد أنّ هذه المشاهد المباركة و المساجد كمسجد جمكران، غنيّةٌ عن التعريف، و إذا قال شخص: ذهبنا و لم نحصل على شيء هناك، فإنّ ذلك يعود ـ على ما يبدو ـ إلى أنّه لم يذهب عن اعتقادٍ صحيح، أو أنّه إنّما ذهب اختبارًا أو اعتباطًا. و على كلّ حال، فإنّ خير من يُعرّف بهذه البقاع هو نفسها.

أقيموا الصلاة في المسجد الأصليّ (لجمكران)[2].

بقعةٌ من بقاع الرسول صلّى الله عليه و آله

إنّ جمكران بقعةٌ كبقاع الرسول صلّى الله عليه و آله[3].

---

(١) كان سماحة الشيخ رحمه الله ينصح بالسفر الّذين يبتغون تجديد الدماء و تغيير أحوال الجسم الصحّيّة نحو الأفضل. و من المناطق الّتي كان سماحة الشيخ ينصح بالسفر إليها هي جمكران، حتّى و إن كان هؤلاء من أهل قمّ أو كانت المسافة بينهم و بين جمكران قريبة جدًّا، فقد كان ينصحهم بذلك و يقول إنّ الذهاب إليه نافعٌ للغاية المنشودة. إلى هذا الحدّ كان رحمه الله يشجّع الآخرين على زيارة هذا المكان الشريف، و يغتنم أدنى سبب ليربط الآخرين بقدسيّة هذا المكان المستمدّة من صاحبه عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

(٢) بعد توسعة مسجد جمكران المبارك أصبح المسجد الأصليّ الّذي أمر الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بعمارته في ضمن المسجد الأوسع، و هو موجود حاليًّا خلف المحراب، و حسب الظاهر لا تتجاوز مساحته أكثر من خمسة و ثمانين مترًا تقريبًا. و يمكن للزائر معرفة حدود المسجد الأصليّ بسهولة، فقد رُسمت حدوده بواسطة أحجار بلاطٍ أسود اللون. و كان سماحة الشيخ رحمه الله يقول إنّ للمكان الّذي هو المسجد الأصليّ حالة و أجواء أخرى و روحانيّة خاصّة.

(٣) من بيانات سماحة الشيخ رحمه الله المهمّة، أنّ الّذي يكون مستأنسًا بروايات أهل البيت عليهم السلام سيميّز الكلمات الصادرة عنهم من غيرها، لأنّه على إثر مداومته على قراءة الروايات الشريفة و الأنس بها سوف يتشرّف بمعرفة لهجة أهل البيت عليهم السلام و لحن بياناتهم المباركة. و كذلك الحال بالنسبة إلى بقاع أهل البيت عليهم السلام و الأماكن المنسوبة إليهم، فإنّ مَن استأنس بمقاماتهم عليهم السلام المعروفة و المسلَّم بها، سوف يشعر في سائر المواطن إن كانت منسوبة إليهم حقًّا أم لا.

و هناك من يعترض على التعظيم الكبير لمسجد جمكران المقدّس و الاهتمام الشديد به، و لكن ليس بالضرورة أن يكون كلّ هؤلاء من المغرضين بل إنّ البعض قد يعترض بسبب عدم علمه و معرفته أو قلّتهما، و هؤلاء ليسوا بمَلومين ظاهرًا، لأنّهم لا يرون الأمور على حقائقها إذ إنّ البعض متمكّنون فقط من النظر الظاهريّ دون الباطنيّ. و لكن من نِعم الله تعالى على بعض العلماء العظام كشيخنا المقدّس أو بعض الصالحين، أنّ الله تعالى

لا تسعوا في تزيين المسجد!

كان أحدهم يقول: سمعت صوتًا في مسجد جمكران، و لم أكن أرى أحدًا، أن: «قولوا لفلان و فلان ـ اللذين كانا معروفين في مدينة قمّ ـ أن لا يسعوا كثيرًا في تزيين هذا المكان و تجميله، نحن قليلًا ما نحضر في المكان الّذي عُمل فيه تزيينات و تجميلات[1]، نحن قليلًا ما نذهب إلى المكان الّذي يكون هكذا!»[2][3].

قد حباهم من نوره فباتوا يرون الأمور على حقائقها، و قد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّه» (بصائر الدرجات، ج١، ص٣٥٥)، و عن الإمام الرضا عليه السلام: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ فِرَاسَةٌ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِ وَمَبْلَغِ اسْتِبْصَارِهِ وَعِلْمِه» (عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٢٠٠).

فكان سماحة الشيخ رحمه الله يميّز الأماكن المنسوبة إلى أهل البيت عليهم السلام من عظمتها الباطنيّة و نورها الحقيقيّ، و ليس من مجرّد بعض الأدلّة الظاهريّة أو نقل بعض القصص، بل كان سماحته يستعين بالأمور الظاهريّة المعروفة للاستدلال على ما كان يعرفه و يراه بعينَي قلبه من حقائق الأمور الباطنيّة.

و المقصود هنا هو العظمة الباطنيّة و المعنويّة لمسجد جمكران الّتي كان سماحة الشيخ رحمه الله يراها و من أجلها ينصح كثيرًا بزيارة هذا المكان المقدّس و أداء صلواته الخاصّة. و في هذا المضمار نذكر قصّة أحد تلامذة السيّد القاضي رحمه الله الّذي كان يقول: عندما أتينا إلى قمّ وجدنا أنّ جهة المشرق من هذه المدينة أكثر نورًا، و لم نكن نعرف السبب، لكنّنا عرفنا فيما بعد أنّ في تلك الجهة يقع «مسجد جمكران»! و المقصود أنّ هناك مَن مَنَّ الله عليه ففتح له عينَي قلبه، حتّى أصبح لا ينظر إلى الأمور بظواهرها فقط، بل يرى الأمور بنظرٍ آخر فتكون له معرفة أبلغ من غيره بما وصل إلينا من أهل البيت عليهم السلام و تراثهم و ما نُسِب إليهم.

(١) الكلمة الّتي استخدمها سماحة الشيخ رحمه الله في اللغة الفارسية كانت «تجمّل» بمعنى المبالغة في تجميل المكان و زخرفته.

(٢) هذه المسألة موافقةٌ و مطابقةٌ لروايات أهل البيت عليهم السلام و التعاليم الدينيّة، و لسيرة آباء وليّ العصر عجّل الله فرجه الطاهرين، و هي ليست مختصّةً بمسجد جمكران فقط. ففي زمن النبيّ الأكرم ﷺ حين تقرّر بناء مسجدٍ في المدينة، أكّد النبيّ ﷺ كثيرًا أن يكون بناؤه متواضعًا، و عندما أصرّ الأصحاب أن يخرج من حالته المتواضعة لم يقبل رسول الله ﷺ و قال: «لا، عريش كعريش موسى». أي ظِلّة من القصب (راجع: الكافي، ج٣، ص٢٩٦؛ معاني الأخبار، ص١٦٠؛ التهذيب، ج٣، ص٢٦٢؛ تفسير العياشيّ، ج٢، ص١١٢؛ وقعة صفّين، ص٣٢٦)؛ كما أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أيضًا اتّخذ هذه السيرة، و كان يؤكّد كثيرًا مسألة عدم التكلّف في بناء المساجد (راجع: الفقيه، ج٢، ص٢٣٦و٢٣٩).
و من الجدير بالذكر هنا أنّ من علامات آخر الزمان الّتي هي علامة بُعد الناس عن القيَم الدينيّة، المبالغة الزائدة عن الضرورة في تزيين المساجد (كمال الدين، ج١، ص٢٥١؛ ج٢، ص٥٢٦؛ تفسير القمّيّ، ج٢، ص٣٠٤؛ مختصر البصائر، ص١٢٧). ومن الأعمال الّتي سيقوم بها وليّ العصر عجّل الله فرجه بعد الظهور إعادة المساجد إلى حالتها الأولى الّتي كانت متّبعة في زمن النبيّ الأكرم ﷺ (راجع: الفقيه، ج١، ص٢٣٦؛ الغَيبة (للطوسيّ)، ص٤٧٥؛ كشف الغمّة، ج٢، ص٤١٨؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٨٦).

(٣) و كان سماحة الشيخ رحمه الله يعقّب على هذا الكلام قائلًا: من الأفضل بذل الجهد و السعي لما فيه راحة زائري هذا المسجد و رفاهيتهم.

مقام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في مسجد السهلة

ربما كان السيّد بحر العلوم رحمه الله هو الّذي بنى مقام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في مسجد السهلة. و ربما لم يكن له وجودٌ قبله. لست أدري و لا أذكر ما إذا كان هذا المقام موجودًا قبل عصر السيّد بحر العلوم أم لا، فليس هناك في كتب الأدعية ـ الّتي تذكر دعاءً لكلّ واحدٍ من المقامات ـ دعاءٌ خاصٌّ بهذا المقام، و لا يوجد ذكر لهذا المقام فيها. مع أنّه لا يوجد لغير هذا المقام قبّة و بناء. إنّها في الأساس مقامات و مواطن عجيبة! حيفٌ على المرء أن لا يمرّ بهذه المقامات [و لا يستفيد منها] مع كونه متمكّنًا من ذلك!

مقام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في وادي السلام

حمل أحد المؤمنين من مدينة مشهد المقدّسة مبلغًا كبيرًا من المال ليعطيه العلماء بُغية إنفاقه على الطلّاب و أصحاب العلم في النجف الأشرف. و لأنّه كان يريد إيصاله إلى أصحاب العلم و الطلّاب، فيجب عليه تحويله إلى مرجع [ليُقسّمه بينهم]. قال ذلك الشخص: أخذت المال كلّه و أعطيته شخصًا واحدًا[1]. ثمّ ندمت على إعطاء المبلغ كلّه شخصًا واحدًا، و قلت في نفسي: كان يجب أن أوزّعه بين العلماء؛ فأعطي ذلك الشخص مقدارًا منه، و أعطي الآخرين من المعاصرين له مقادير أخرى.

لا أعلم من أين فَهِمَ ذلك المرجع أنّ الّذي أعطاه المبلغ قد ندم على فعله، و لكن كان ذلك منه بعد أن أنفق المال كلّه في المصارف الّتي يراها، بحيث لم يبقَ من ذلك المبلغ شيء، و كان ذلك قد حدث في بداءة مرجعيّته. فتوسّل إلى إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف قائلًا: [سيّدي] أنت تعلم الموارد الّتي أنفقت المال فيها، و ها هو الرجل قد ندم على دفع المبلغ كلّه لي، أنتم بأنفسكم عالجوا هذا الأمر! و كأنّه أُلقي في رَوعه [أن يذهب إلى مقام الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف]. كيف علم ذلك؟ هناك استخارة [تؤخذ] عند رأس سيّد الشهداء عليه السلام، و كيفيّتها: أن يقول هناك مئة مرّة: «أستخير الله برحمته خيرةً في عافية» ـ يبدو أنّها تؤخذ على هذه الطريقة ـ ثمّ إنّ كلّ ما يقع في قلبه يعمل به. و هذه استخارةٌ عجيبة[2]، إنّها تُشبه الإلهام.

---

(١) كان مقدار ذلك المبلغ ثلاثمئة تومان، و كان في حينها يعدّ مبلغًا هائلًا، و كان ذلك الشخص قد أعطاه آية الله السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ رحمه الله.

(٢) ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَا اسْتَخَارَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدٌ فِي أَمْرٍ قَطُّ مِائَةَ مَرَّةٍ يَقِفُ عِنْدَ رَأْسِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَيَحْمَدُ اللَّهَ وَيُهَلِّلُهُ وَيُسَبِّحُهُ وَيُمَجِّدُهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ إِلَّا رَمَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَخْيَرِ الْأَمْرَيْنِ»؛ بحار الأنوار، ج٩٨، ص٢٨٥.

قال: أُلقي في قلبي أن أذهب إلى مقام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في النجف. و عندما ذهبت في اليوم التالي، كان ذلك الشخص يأتي إلى صلاة الجماعة أيضًا، فرأيته هناك. و بعد أن فرغت من صلاة الجماعة، أشرت إليه مسرعًا أن هلمّ معي. ثمّ ذهبت من صحن أمير المؤمنين عليه السلام إلى مقام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و قلت [له]: ابقَ هنا خارج المقام. ثمّ دخلت و رأيت أنّهم تركوا هناك تلك الصرّة من النقود الّتي أعطانيها لكي ألتقطها. فأخذت الصرّة و أعطيتها ذلك الرجل دون زيادة و لا نقصان.

و كأنّه قال في نفسه: إلهي أنت تعلم أنّي صرفتها في الموارد المرضيّة. **المقصود ـ إنصافًا ـ أنّ الإنسان دون أن يأخذ الله بيده و دون تأييده تعالى له، لن يستطيع فعل شيء: «لا حولَ و لا قوّة إلّا بالله»، «و ما توفيقي إلّا بالله».**

التشرّف بلقاء الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في مقامه في النجف الأشرف

قال شخص[1]: ذهبت إلى مقام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الواقع في وادي السلام في النجف الأشرف ـ ربما كان ذلك في يوم عاشوراء أو في الأيّام العشرة الأولى من شهر محرّم ـ و رأيت إلى جوار مدخل مقام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف رجلًا مستقبلًا القبلة أو كربلاء، و علمت أنّه منشغل بقراءة زيارة عاشوراء، فاقتربت منه، و إذا بي فجأة أجد نفسي في كربلاء و رأيت مواكب العزاء، و رأيت الناس يتوجّهون إلى صحن سيّد الشهداء عليه السلام و يخرجون منه! ثمّ رجعت خطوات إلى الخلف، فرأيت نفسي في النجف و أنّي في مقام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ثمّ اقتربت ثانية فوجدت أنّي في كربلاء، و هكذا دواليك، و كلّما اقتربت من ذلك الرجل كنت أجد نفسي في كربلاء!

تكرّر الأمر على هذه الوتيرة مرّتين أو ثلاث مرّات؛ حتّى علمت أنّ ذلك كرامة لذلك الرجل؛ فجلست عنده و سلّمت عليه، و سألته عن مكان إقامته و سكنه، فقال: في النُزُل الفلانيّ! و في صبيحة اليوم التالي ذهبت إلى ذلك النُزُل الّذي دلّني عليه، و لكنّي لم أجد أحدًا هناك، فسألت القائم على النُزُل عنه؛ فقال لي: لقد ذهب إلى كربلاء. فتقدّمت للحظات في طريق النجف و سوقه و قفلت راجعًا أرجو العثور عليه. بدا لي أنّه ربما لم يذهب، و لذلك ذهبت إلى وادي السلام لعلّني أجده و ألقاه. كان هناك رجلٌ تركيٌّ يتحدّث

(١) آية الله الميرزا رضي التبريزيّ (١٢٩٤ ـ ١٣٧٠ هـ).

أحيانًا بأمورٍ [عجيبةٍ] فالتفت إليّ و قال بلُغته التركيّة: گِتدي، گِتدي[1]. و على كلّ حال فقد ذهب دون أن يتكلّم.

نتخيّل أنّ سيادة الدنيا تكمن في أن نأكل و نلبس، و أن نأمر و ننهى كلّ ما يحلو لنا. في حين يقول رسول الله ﷺ، أنّه قال: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ الطِّيبُ وَالنِّسَاءُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[2]. و ربما لا تكون عبارة «قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» في قبال الأمرين الآخرين المذكورين في الحديث (أي: الطيب و النساء)، [و ليست في عرضهما]؛ لأنّ حبّ كلّ شيء إنّما يكون بحسبه و ما يتناسب معه، و إنّ حبّ شيء قد يختلف عن حبّ شيء آخر إلى حدّ كبير [و إنّ سنخ حُبّ الصلاة يختلف تمامًا عن سنخ حبّ الطيب و النساء].

مقام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في كربلاء المقدّسة

سمعت أنّهم شيّدوا في كربلاء بالقرب من مقام الإمام الصادق عليه السلام ـ الّذي كان عبارة عن حجرة صغيرة، و من غير المعلوم إذا كان هذا المقام مذكورًا في كتب الأدعية أم لا ـ مقامًا للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لأنّ شخصًا تشرّف هناك بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و رأى أنه يقرأ زيارة الناحية [المقدّسة] في ذلك الموضع، و قد أقاموا في ذلك الموضع بناء عجيبًا. كما كان هناك تلّ مرتفع، و قد نقل شخص قائلًا: إنّ بيتنا كان قائمًا على ذلك التلّ. [و كان يقول]: لقد جاءنا شخص، و قال لنا: لا تبيعوا هذا البيت؛ لأنّي قرأت في التاريخ أنّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عندما كان في العراق، كان يعتلي هذا التلّ، و يزور جدّه، و عليه يجب أن يكون هذا المكان متبرّكًا [و مباركًا].

له في كلّ مكانٍ مقام!

إن طالت غَيبة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فربّما يُبنى في كلّ مكان مسجد أو [مقام] للارتباط به و التوسّل بحضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف. كما أنّ هناك مقامًا للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في وادي السلام في النجف، و كذلك يوجد في السهلة ـ المسجد الّذي هو منصوص عليه و المأثور و له أعمال و أدعية

(١) يعني: لقد ذهب، لقد ذهب.

(٢) راجع: بحار الأنوار، ج٧٣، ص١٤١؛ مسند أحمد، ج٣، ص١٢٨و١٩٩و٢٨٥.

و صلوات مخصوصة ـ مقام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كذلك لقد نُقلت بالتواتر كرامات كثيرة [حصلت] في مسجد جمكران لا يمكن حملها كلّها على الغرض[1].

الدعاء بنحو تعدّد المطلوب

إنّ الأدعية الواردة في الأمكنة و الأزمنة الخاصّة ـ كالأدعية الواردة في مقامات مسجد الكوفة و مسجد السهلة و مسجد صعصعة القريب من مسجد السهلة و أدعية رجب و شعبان و رمضان و... ـ لا تكون اختصاصيّة بحيث لا يمكن قراءتها في وقت آخر أو مكان آخر، بل مثل هذه الإرشادات هي بصورة تعدّد المطلوب[2]. إذًا، يُمكن قراءة ذلك الدعاء في غير ذلك الزمان و المكان.

---

(١) المقصود هو أنّ هناك كرامات كثيرة و مختلفة شوهدت في مسجد جمكران المقدّس و نُقلت عن ألسن أشخاص متعدّدين و مختلفين في أزمنة مختلفة، فلا يمكن أن يُقال إنّ جميع هؤلاء كانوا كاذبين و مزوّرين و مُغرضين و لهم هدف خاصّ من ابتداع الكرامات، بل قد حصل يقين بالكثير من تلك الكرامات.

(٢) وحدة المطلوب هي عندما يكون العمل مقيّدًا بقيد بحيث إن انتفى هذا القيد ينتفي المقيّد رأسًا. و يقابلها تعدّد المطلوب و هو يعني أن يكون هناك مصلحة قائمة بذات الفعل و مصلحة أخرى أيضًا للقيد، بمعنى أن يكون العمل مقيّدًا بقيد لكنّه مطلوب بنفسه حتّى من دون ذلك القيد، فإن فات القيد يبقى المقيّد بحاله و تبقى مطلوبيّة الإتيان بالعمل المقيّد، أي لا دور للقيد في مطلوبيّة العمل نفسه و إن كانت مراعاة القيد مطلوبة أيضًا. مثل الصلوات اليوميّة المقيّدة بالأوقات الخمسة، فإنّه كان للمولى فيه مطلوبان: أحدهما: أصل صلاة الظهر ـ مثلًا ـ و الآخر: إيقاعها في وقت خاصّ، لكن حتّى مع فوات الوقت يبقى أداء الصلاة مطلوبًا أيضًا و لا يسقط وجوبها، و في النتيجة يكون قضاؤها واجبًا. و تُعدّ الكثير من الخصوصيّات الواردة في الأعمال المستحبّة و كذلك في السور الّتي أوصي بها في الصلوات المندوبة من باب تعدّد المطلوب.

الروضة الحادية عشرة:

«قبس من نور اللقاءات بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف»

الوصول إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أمرٌ اختياريّ!

يجب أن نُفكّر في أنّه يقينًا كان هناك أشخاصٌ كأنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف حاضرٌ معهم و ظاهرٌ لهم. لقد كانوا إمّا يرون وجهه الشريف أو لا، [على أيّ حالٍ] كأنّهم كانوا يملكون لاسلكيًّا[1] و يرسلون البرقيّة و يستلمون الجواب من ناحيته عليه السلام! ليس هنالك أيّ شكٍّ في هذا الأمر. و إن شككنا في ذلك فيجب أن نشكّ أيضًا في هؤلاء الّذين قالوا نحن تشرّفنا بمحضره عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إن لم نعرفه [حين اللقاء] و علمنا فيما بعد. و [في هذه الحالة] إذًا لا بدّ أن يكون أمثال المقدّس الأردبيليّ و السيّد بحر العلوم كذّابين من الطراز الأوّل! كيف نحتمل هذا الاحتمال؟

---

(١) كان سماحة الشيخ قدّس سرّه كثيرًا ما يستخدم هذا التعبير، و يقول: كان بعض العلماء كأنّ لديهم لاسلكيًّا يتواصلون به مع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كان سماحته يقصد طريقة الاتّصال الخاصّة بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و قد استخدم سماحة الشيخ قدّس سرّه هذا التعبير لتقريب الفكرة إلى أذهان المخاطَبين، لأنّ اللّاسلكيّ في ذلك الزمن كان وسيلةً حديثة الاختراع و يحصل من خلالها التواصل حتّى مع الأشخاص البعيدين، و هو ما يُشبه الهاتف الخلويّ في هذه الأيّام. و وجه استعمال هذا المصطلح في العلاقة و الاتّصال بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف: أوّلًا، أنّه وسيلةٌ يمكن أن تكون دائمًا مع الإنسان، و ليست مُقيّدة بزمانٍ و مكان، و عليه يمكن للشخص بسهولةٍ، و في أيّ حالٍ و ظرف يكون، أن يتواصل مع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بواسطة هذه الطريقة الخاصّة الّتي يعلّمه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إيّاها. ثانيًا: كما أنّ اللّاسلكيّ لا يعتمد على الأسلاك، و لا يمكن للآخرين أن يروا كيف يتم اتّصالهم و كيف يتكلّمون مع غيرهم، كذلك الأشخاص المرتبطون بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بواسطة هذه الطريقة الخاصّة لا يمكن لأحدٍ أن يعرف بها، لكنّهم قادرون على التواصل مع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف من خلالها و أن يستفسروا منه عجّل الله تعالى فرجه الشريف ماذا يفعلون في الظروف الصعبة على الرغم من الغَيبة و عدم الظهور العامّ.

مَنْ يحتمل هذا الاحتمال؟ لقد كانوا ـ في غير هذا المطلب و عداه ـ أصحاب كلّ تلك الكرامات، أيمكننا و العياذ بالله أن ننسب إليهم هذه النسبة [أي الكذب]؟ [هل] لم يكونوا يقبلون عبارة «فعليه لعنة الله!»(١) أو كانوا يعتقدون أنّ لها معنىً آخر و هي مرتبطة بادّعاء البابيّة(٢)؟ كيف بَلَغ هؤلاء هذه المقامات؟ كيف حصّلوا هذه المعرفة؟ إن امتلك أحدٌ هذه المقامات فسيكون ذلك بأمرٍ اختياريّ، لا أن نستيقظ من دون الاختيار من النوم و نجد أنّ المطلب قد تحقّق! إذًا إن كانت هذه الأمور اختياريّة فلِمَ لا نُقدِم نحن أيضًا على هذا الأمر؟ إنّ الفرج أمرٌ اختياريّ، الإظهار اختياريّ، الظهور اختياريّ، الوصول اختياريّ، إذًا لِمَ نتساهل و لا نوليه أهمّيّة، في حين أنّنا نولي الظهور العامّ أهمّيّة؟ أخشى أن نفرّ إن حان وقته! ليس هذا طريق الّذين يراعون الأهمّ و المهمّ!

ضرورة تحصيل الفرج الشخصيّ

يجب على كلّ شخص أن يفكّر في [أمر] نفسه و يجد سبيلًا للارتباط بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تحقيق فرجه الشخصيّ، سواءٌ أَبعيدًا كان ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و فرجه [العامّ] أم قريبًا.

إنّ الارتباط بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الاتّصال بحضرته و الفرج الشخصيّ هي أمورٌ باختيارنا، على عكس الظهور و الفرج العامّ. إذًا لِمَ لا نولي كيفيّة إقامة العلاقة بحضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف أهمّيّةً و نكون غافلين عن هذا المطلب، في حين أنّنا نولي أهمّيّةً لظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لقائه العامّ؟ و الحال أنّنا إن لمْ نبادر إلى إصلاح أنفسنا لتحقيق الفرج الشخصيّ فيُخشى أن نفرّ من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف عند ظهوره، لأنّ الطريق الّتي نسلكها هي طريق الّذين لا يرون فرقًا بين الأهمّ و المهمّ.

إنّ عمل الشمس هو الإضاءة و إن كانت خلف السحاب، و إنّ الإمام الصاحب عجّل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا هكذا، و إن كان خلف ستار الغَيبة، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله(٣). إنّ أعيننا لا ترى، و لكن

---

(١) بما أنّ الكلام يدور حول الارتباط بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و مشاهدته، فالظاهر أنّ مقصود سماحة الشيخ قدّس سرّه هو مُفاد هذه الرواية: «وَسَيَأْتِي إِلَى شِيعَتِي مَنْ يَدَّعِي الْمُشَاهَدَةَ، أَلَا فَمَنِ ادَّعَى الْمُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السفيانيّ وَالصَّيْحَةِ فَهُوَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ»؛ الاحتجاج، ج٢، ص٤٧٨.

(٢) أي ادّعاء الشخص بأنّه بابٌ للارتباط بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و التواصل معه.

(٣) يقول رسول الله صلّى الله عليه وآله حول الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الرواية المشهورة الّتي سمّى فيها أسماء الأئمّة الاثني عشر لجابر بن عبد الله الأنصاريّ: «وَالّذي بَعَثَنِي بِالنُّبُوَّةِ إِنَّهُمْ يَسْتَضِيئُونَ بِنُورِهِ وَيَنْتَفِعُونَ بِوَلَايَتِهِ فِي غَيْبَتِهِ كَانْتِفَاعِ النَّاسِ بِالشَّمْسِ وَإِنْ تَجَلَّلَهَا سَحَابٌ»؛ كمال الدين، ج١، ص٢٥٣.

ثمّة جماعة كانوا يرون، و لا يزال هناك أشخاصٌ يرون، أو أنّ لهم ارتباطًا بحضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إن لم يروه.

لقد رأينا أشخاصًا كأنّ لديهم مخابرةٌ [أي اتّصالٌ هاتفيٌّ] مع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أيّ أمر كانوا يقولونه أو يطلبونه يتحقّق هو نفسه. لقد نادى أحدهم ثلاث مرّات في الصحراء: «يا إمام الزمان! أرسِل [لنا] مَركبًا»، فظهرت على الفور وسيلة نقلٍ و مركبٌ لركوبه!

نعم، فالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى هذا الحدّ قريبٌ منّا و مطّلعٌ على أحوالنا، لكنّنا لا نرى، و غافلون. ليس لدينا خبرٌ عنه و نظنّ أنّنا بعيدون عنه! حيفٌ علينا إذ إنّنا لا نعرف قدر نعمة الولاية!

سبب خجلنا!

إنّ الأمر الّذي هو سبب خجلنا هو أنّنا نعلم وجود آحادٍ و أفرادٍ لم يكونوا مجانين كما أنّهم لم يكونوا فاسقين، و قد كانوا يقولون إنّ ارتباطنا [بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] محفوظٌ [و مصون]، أو كانوا يقولون إنّنا نعرف أشخاصًا ارتباطهم بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف محفوظٌ. إن تكن الغَيبة الظاهريّة [متحقّقة] عن الجميع، فما الّذي يقوله هؤلاء؟ إذًا يتبيّن أنّ في هذه الغَيبة استثناءات، و الّتي هي موافقة لقاعدة اللطف. إضافةً إلى ذلك، فإنّ مفاسد ادّعاء عدم الغَيبة غير موجودةٍ أبدًا في عبارات هؤلاء الأشخاص، بل [إنّ نقل تشرّفات هؤلاء الأخيار و الصلحاء] فيه مصالح أيضًا، و هو يقوّي دافع المؤمنين للانتظار. لكنّ هذا سببٌ كي نطأطئ رؤوسنا خجلًا! [حين يقال لنا:] إذًا أنتم ماذا تفعلون؟ قال أحدهم: إنّ لي هنا النيابة الماليّة! يدي هي يده، و كلّ ما تريد أن تعطيه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أعطنيه! عجبًا، أَهكذا الأمر؟! أي نيابةٌ من جهةٍ خاصّةٍ و ليست مطلقة!

إن يكن الشخصُ صالحًا، و متّقيًا و ورعًا، فتكون له أيضًا هذه الأمور [أي التشرّفات]، حتّى لو لم يكن عالمًا [أي عالمَ دين].

نسأل الله أن نكون صادقين!

إنّ أوتاد زماننا، السيّد مرتضى الكشميريّ و الشيخ آخوند ملّا فتح علي و [غيرهما]، كأنّهم كان لديهم طريق [للارتباط بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف] و لكنّهم لم يكونوا يدّعون. ما العمل؟ لماذا نحن لا نفعل شيئًا حتّى يكون ارتباطنا هكذا مُستحكمًا؟! و [فوق ذلك] يكون لدينا ادّعاء

لانتظاره أيضًا! الله يعلم لو أنّه يظهر كيف نهرب [منه]! حتّى إنّ قصصًا تُنقل في هذا الباب. نُقل أنّ أحدهم اعكتف أربعين يومًا في مسجد الكوفة بنيّة التشرّف إلى محضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ثمّ رأى شخصًا أحضر شيئًا و وضعه هناك أمانةً ثمّ انصرف. فخطر في باله: نأخذ هذه الأمانة و نذهب لنقضي حاجتنا بها. و عند ذهابه رآه أحد رفاقه و قال: البعض كانوا ينتظرون أربعين يومًا ليصلوا إلى محضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الآن يريدون أن يتصرّفوا في الأمانة [أي أنّ انتظارهم كان كاذبًا و يريدون أن يقوموا بمحرّم مُسلّم به]. نسأل الله أن نكون صادقين!

طريقةٌ للارتباط الدائم

هذا المطلب هو من أهمّ الأمور: «ماذا نفعل كي نكون كهؤلاء الّذين يقولون إنّ الفرج الخاصّ متحقّق لنا دائمًا»؟! لا رَيب أنّ هؤلاء الأشخاص كانوا موجودين، لا يمكننا أن نُنكر ذلك. كان هناك أشخاصٌ، و هم من العلماء و الملتزمين بالشرع، و حتّى من الصلحاء الّذين لم يكونوا علماء لكنّهم كانوا أتباعًا للعلماء، يُفهِمون [من خلال أفعالهم و أحوالهم و كراماتهم] ارتباطهم بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لم يكونوا يحتاجون في أمورهم أو أمور غيرهم [إلى الأسباب الطبيعيّة]، طبعًا هذا إجمالًا، و ليس إلى حدّ امتلاء تمام الأرض عدلًا، لأنّ هذا من خاصّيّة الفرج و الظهور العامَّين. لا يمكننا أن نقول إنّنا كهؤلاء في [قضيّة] اللقاءات و الظهور الخاصّ. كم لهؤلاء العلماء ـ مع عظمتهم تلك ـ و للنوّاب الخاصّين و مُعاصريهم و مُشابهيهم من الفقهاء و عظام العلماء من حقٍّ على الدين و الإيمان! لا يمكننا أن نقول إنّنا كهؤلاء. إنّ الأعمال الّتي قاموا بها هي غير أعمالنا نحن. بلا جدال [و بلا رَيب] لا يمكننا أن نقول: هؤلاء هم مثلنا! إن قلنا هذا فذلك أوّل انكسارنا، و أوّل خسراننا! إن قلنا إنّ هؤلاء لم يكن لديهم أكثر ممّا لدينا، فهذا هو طريق خسراننا! و على العكس، فعلينا أن نعرف أنّهم كانت لهم مقامات نحن لا نملكها! و علينا أن نعرف من أيّ طريقٍ يمكننا أن نبلغ تلك المقامات، و أن نهيّئ لهذا الغرض مجالس، أو نجد رفقاء و أصدقاء و نتحدّث مع بعضنا و نتباحث حول الطريق الّذي يمكن أن نصل من خلاله إلى هذا المقصد العالي، لأنّ واسطة الفيض الآن هو ذلك الشخص عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و هو ـ بلا جدال ـ الوسيط في كلّ فيض، سواء أخاصًا كان أم عامًّا، داخليًّا أم خارجيًّا، جسمانيًّا أم روحانيًّا. [حتّى] لو لم نذكر اسمه [في التوسّل] و ذكرنا أسماء سائر الأئمّة عليهم السلام ففي النهاية سنكون مُرجَعين إليه [و مُحالين عليه]. حتّى إنّه قد نُقل أنّ

الأئمّة عليهم السلام يُحيلون [الحوائج] إلى بعضهم حتّى تصل إلى آخِرهم [أي الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف].

لقد توسّل أحدهم برسول الله صلّى الله عليه وآله فأحاله حضرته إلى الإمام الفلانيّ و هكذا إمامًا تلو آخر حتّى وصل إلى الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف. كلّ طريقٍ نسلكه غير هذا سنندم في نهايته! علينا أن نجده. ربما تكون أعيننا غير لائقةٍ بهذه المطالب، إن تكن لائقةً أو غير لائقة، فربما نراه في مِنى أو عرفات، لكنّ هذا لا يؤدّي إلى صلاح العمل على الدّوام، فيجب أن يُعثر على طريق حتّى يصلح العمل على الدوام![1]

الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف غائبٌ عن الظالمين!

ليس من المعلوم إن كانت [رواية كذب من ادّعى المشاهدة] تشمل من يدّعي أنّه رأى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لكنّه أدرك ذلك بعد حصول المشاهدة.

و هناك مطلبٌ آخر هو أنّه من المعلوم أنّ الغَيبة تكون عن الظالمين، و يكون [الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] غائبًا عن غير الظالمين بالواسطة [و بالتبعيّة]؛ لأنّهم يختلطون بهم، فقد تراه [أي الشخص غير الظالم] يقول للظالم بغتة: نعم، لقد رأيت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و قد قال كذا و كذا! في ذلك الحين هذا الكلام يصبح فتنةً، باعتبار أنّه سيزداد من أمثاله، و إلى ما شاء الله يأتي كذّابون و يدّعون [لقد رأينا الإمام و قد قال كذا و كذا]. الآن في زمننا هذا أيضًا ينقلون بعض المقولات [و الادّعاءات الكاذبة]. فعليه نقول: نعم، إنّه محتجبٌ بسبب الفتنة و بسبب ما يكون مُخالفًا للواقع؛ «الْمُحْتَجَبِ عَنْ أَعْيُنِ الظَّالِمِينَ»[2]. لقد أصبح كلّ هؤلاء [أي غير الظالمين] مُبتلين بالغَيبة بالتبع، و إلّا فقد كان هناك أشخاص يعتدّ بهم ادّعوا الرؤية.

---

(١) يقصد سماحة الشيخ قدّس سرّه هنا أنّه ينبغي للمؤمن أن لا يكتفي بالفوز بلقاءٍ أو لقاءين بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، بل الأهمّ أن يبذل جهده و يهذّب نفسه من أجل الحصول على الفرج الخاصّ و الشخصيّ، بحيث يتمكّن من التواصل مع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ليس مرّة أو مرّتين فقط، بل على الأقل في أوقات الاضطرار و الابتلاءات ليتسلّم الإرشاد من حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كما كان يعتبر سماحة الشيخ قدّس سرّه بأن يكون للمرء طريقة للتواصل المستمرّ مع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و كان بعض العلماء الأجلّاء على هذه الحال، إذ يصفهم سماحة الشيخ قدّس سرّه كأنّهم كانوا يسمعون أوامر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كانوا يسيرون كما يأمرهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الابتلاءات و مواطن الحيرة.

(٢) راجع: بحار الأنوار، ج٩٩، ص٦٧. كذلك ورد في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «لِلْقَائِمِ غَيْبَتَانِ إِحْدَاهُمَا قَصِيرَةٌ وَ الْأُخْرَى طَوِيلَةٌ، الْغَيْبَةُ الْأُولَى لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِهِ فِيهَا إِلَّا خَاصَّةُ شِيعَتِهِ، وَ الْأُخْرَى لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِهِ فِيهَا إِلَّا خَاصَّةُ مَوَالِيهِ»؛ الكافي، ج١، ص٣٤٠.

ثمّ إنّ النوّاب الأربعة كيف كانوا يشاهدون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟ و كيف كان ارتباطهم به مباشرًا؟ و قد كانت هناك تشرّفات لغيرهم أيضًا من العلماء و من المقدّسين، كالسيّد ابن طاوس و المقدّس الأردبيليّ و السيّد بحر العلوم و أمثالهم ممّن لا يُحتمل الكذب في حقّهم أبدًا. و عليه، ليس هناك أيّ مانع من ذلك.

أخذ الحاجة من الإمام عليه السلام نحوٌ من المشاهدة!

هذا الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي هو مُعاصِرنا و قد هَجَرنا و في الحقيقة نحن الّذين هجرناه، لا فرق بينه و بين آبائه عليهم السلام. الناس يرتبطون بالأئمّة عليهم السلام الّذين توفّوا، و أنتم لا تُجيزون الارتباط به مع أنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف حيّ؟! نعم، من ادّعى ذلك النحو من المشاهدة، الّذي كان للنوّاب الخاصّين، يكون ملعونًا. كم من الأشخاص كانت لهم علاقات قريبة [و وطيدة] بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. تريد أن توجّه اللّعن [و التكذيب] إلى مَن؟! إلى الّذين يُعَدّون مقدّسي العلماء كالمقدّس الأردبيليّ و السيّد ابن طاوس؟!

هل يمكن الاعتقاد بأنّ هذا النحو من المشاهدة أيضًا ممنوعٌ بأنّه بأيّ حالٍ و في أيّ ظُروف كنت، نادِ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و خُذ الحاجة منه؟!

المقصود برواية تكذيب المشاهدة

لا ينبغي التعجّب من غَيبة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف. الأئمّة الأطهار عليهم السلام كانوا كالغائبين. الغَيبة كانت في حقّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام واردة إجمالًا، و هي واردةٌ في حقّ إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا. يستطيع إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف تبليغ المطالب بغير طريق المشاهدة.

إنّ رواية «من ادّعى المشاهدة» لا تشمل سماع الصوت. «من ادّعى المشاهدة» لا تشمل المُكاتبة أيضًا، و كذلك لا تشمل ادّعاء المشاهدة الّتي يدرك بعدها ـ أي بعد ذهاب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ أنّه كان إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه، كما حصل ذلك و شوهِد[1].

---

(١) لقد قال الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في توقيعه الشريف لنائبه الأخير عليّ بن محمّد السمريّ: «وَسَيَأْتِي إِلَى شِيعَتِي مَنْ يَدَّعِي الْمُشَاهَدَةَ، أَلَا فَمَنِ ادَّعَى الْمُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السفيانيّ وَالصَّيْحَةِ فَهُوَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ»؛ الاحتجاج، ج٢، ص٤٧٨. يقصد سماحة الشيخ رحمه الله أنّ هذه الرواية لا تُنافي بعضًا من أنواع الارتباط بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لأنّه من الممكن أن يسمع أحدٌ صوت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو يصله كتابٌ منه. و أيٌّ من هذه الأمور ليس مصداقًا للمشاهدة و لا يشمله مُفاد هذه الرواية.

التشرّف و تثبيت العقائد

في هذه الشدائد و الابتلاءات، و الحرب بين الإخوة المسلمين و [الإخوة] الشيعة، القاعدة هي أنّ الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشريف هو نفسه يكون متوسّلًا بالله و يقوم بإظهارٍ لوجوده الشريف من أجل تثبيت عقائد أهل الإيمان. إنّ التشرّف بمحضر الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشريف و رؤيته هو نوعٌ من تثبيت الاعتقادات.

حديث الكساء و حضور الإمام الغائب عليه السلام

نقل أحدهم ـ و قد مرّت سنةٌ حتّى الآن منذ وفاته ـ أنّه عَثَرَ على نسخةٍ من «حديث الكساء» الّذي من شروطه إشعال العود في المجلس، و أنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالی فرجه الشريف و الأنوار الخمسة الطيّبة عليهم السلام [1] يحضرون في مجلس كلّ من يقرؤه.

أَمَا يجب في التوجّه إلى الله أن نتوسّل بسفيره و وليّه عجّل الله تعالی فرجه الشريف ؟!

أنتم أصلحوا أنفسكم و نحن نُقبِل إليكم!

كان هناك أستاذٌ قد قصده أحد الطلبة و قال له: أريد أن أدرس الكتاب الفلانيّ عندكم. وكان ذلك الكتاب سهلًا و بدائيًّا، في حين أن ذلك الأستاذ كان يدرّس السطوح العليا، و لذا كان يقول: لم يكن قراري أن أُدَرِّس ذلك الكتاب أساسًا، و لكن لا أعلم سبب موافقتي على طلبه! و بعدما بدأت بتدريسه، رأيت أنّه يتحدّث بأمورٍ لا يعلم الآخرون كيف أنّه يُخبِر بها! إلى أنْ في أحد الأيّام ضاع الكتاب الّذي كنت أدرّسه إيّاه، و عندما ذهبت إلى حلقة الدرس، أخبرتهم أنّه قد ضاع كتابي و لا أعلم أين هو. وكأنّ ذلك المدرّس قد تزوّج زواجًا مؤقّتًا، و امرأته قد علمت بذلك فأرادت معاقبة زوجها بإخفاء الكتاب عنه. ذلك الطالب أخبر مُدرّسه بأنّه قد حصلت له هذه القضيّة و أنّ امرأته قد أخفت الكتاب و أنّه في المكان الفلانيّ. فتعجّب الأستاذ و ذهب إلى ذلك المكان، و فعلًا وجد الكتاب في ذلك المكان!

فبناءً على ذلك، يمكن أن يكون المدّعي صادقًا. و حتّى إن ادّعى أحدهم المشاهدة من غير ادّعاءٍ أنّها حصلت باختياره أو أنّه بابٌ للارتباط بالإمام عجّل الله تعالی فرجه الشريف، بل على نحوٍ أنّه بعد وقوع التشرّف أدرك أنّ الّذي رآه كان الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشريف نفسه، فالمقصود بهذه الرواية ليس تكذيب هذا النوع من المشاهدات.

(١) الأنوار الخمسة هم: النبيّ الأكرم و أميرالمؤمنين و السيّدة فاطمة و الإمامان الحسن و الحسين (صلوات الله عليهم أجمعين).

عندما رأى هذا المطلب قال لتلميذه: إن كان لك ارتباطٌ بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تتشرّف بمحضره و تطّلع على الأمور، أرجو منك أن تأخذ بيدي و توصلني إلى محضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، كما أرجو منك أن تسأل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نيابةً عنّي: ما هو طريق التشرّف بلقائه؟ ذهب التلميذ، و بعد مدّة عاد بالجواب و قال: لقد أبلغت كلامكم، و قد قال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «لا يلزم أن تتكبّدوا العناء و تأتوا إلينا، أصلحوا أنفسكم و نحن نصل إلى خدمتكم!»[1].

نحن نُقبل إلى زيارتكم!

نعم، هناك إشكالٌ واردٌ في حقّنا، نحن إمّا قاصرون و إمّا مُقصّرون. رحم الله الشيخ الحاج النوريّ رحمه الله، الّذي عندما كتب عن أحوال السيّد ابن طاوس قال في حقّه: «و يظهر من مواضع من كتبه أنّ باب لقائه إيّاه صلوات الله عليه كان له مفتوحًا»[2]. لماذا يكون بيننا و بين العلماء هذا التفاوت [الكبير] إلى ما شاء الله؟ لماذا نحن هكذا بعيدون؟ لماذا نحن نراه بعيدًا إلى هذا الحدّ؟ إنّه يرانا، لكن نحن لا نراه، هل هو أيضًا ممنوعٌ عن رؤيتنا؟ ليس هكذا أبدًا. بل لقد جاء في الرواية [فقط] «من ادّعى المشاهدة»؛ و المشاهدة لا تشمل سماع الصوت، يقول كثيرون لقد سمعنا كلام الإمام بحيث يقينًا كان صوت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه، في مسجد السهلة أو [مسجد] جمكران أو هنا و هناك.

إن كنّا نعتقد أنّه عين الله الناظرة و أذنه الواعية، فإنّ هذا الكلام الّذي نحن نتكلّم به و نسمعه و يصل إلى أذنَيْ [كلّ واحدٍ منّا] و أسماعنا، هو يسمعه قبلنا، هذه من عجائب الأمور، و هي بحدّ ذاتها كرامةٌ من حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف. لأنّهم ينقلون لقد سمعنا الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قال هذا الكلام أو ذاك الكلام![3]

---

(١) من الجدير بالذكر أنّ سماحة الشيخ رحمه الله كان ينقل العبارة الأخيرة من هذه الحكاية عادة، و قلّما كان ينقل القصّة كاملةً إلّا في موارد نادرة. و هناك مطلب مهمٌّ آخر، فقد جاءت في جميع هذه النُّقول عبارة «نحن نصل إلى خدمتكم»، و لم يقل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مثلًا: «سنمنّ عليكم و نشرّفكم باللقاء»، و هذا مطلبٌ جديرٌ بالتأمّل! و لطالما شُهد أنّه بمجرّد أن يأتي شخص إلى محضر الشيخ البهجة رحمه الله و يطلب ختمًا أو ذكرًا أو طريقًا لحصول التشرّف كان سماحته يقول: «لقد أرسَلوا: لا يلزم أن تقوموا بعملٍ ما، بل أصلِحوا أنفسكم و نحن نصل إلى خدمتكم!».

(٢) راجع: خاتمة مستدرك الوسائل، ج٢، ص٤٤١.

(٣) كذلك كان سماحة الشيخ رحمه الله يقول في هذا السياق: «البعض يظنّون أنّ الأئمّة عليهم السلام تُوفّوا و لا يسمعون أو أنّهم كسائر الأموات. كان يمرّ أحدهم و هو من المذهب السنّيّ من أمام السرداب المقدّس في سامرّاء، فسمع من داخل

لِمَ نحن غافلون إلى هذا الحدّ و نراه بعيدًا عنّا؟ هل لأنّ أعيننا لا تراه؟! إذًا، لماذا نحن لسنا حاضرين قلبًا؟! بحيث نفهم أنّه من الممكن أن نطّلع على مطالبَ من قِبَل حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف آنًا بآن. ماذا أقول! هذا إشكالٌ واردٌ في حقّنا و ليس واردًا في حقّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف!

كان هناك طالبُ علمٍ يُخبر بأمورٍ تُطابق الواقع. مثلًا، كان من المتعارف في ذلك الزمن أن يؤخذ اللقب من السلطان، وكان أحد الأشخاص قد بعث صرّةً من حبّات السكّر إلى السلطان ليطلب إليه لقبًا، فقال له الطالب في خَلوةٍ: لقد هُدِرَ السكّر و لن يأتي جواب! و فعلًا حصل كما قال. و كان يقول من هذه المطالب و الأمور كثيرًا. طبعًا، كان يحضر و يجلس بين الطَّلَبَة، و بعد ذهابهم يتحدّث بتلك الأمور. و في إحدى المرّات قال له [أحدهم]: عندما تصل إلى محضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف اسأله أين و متى يمكن أن نتشرّف إلى محضره؟ فذهب و عاد بعد مدّةٍ، و بعد أن خَرَجَ الطلبة، بقيَ هناك و قال: أيّها السيّد، قد أبلغت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سلامكم و كلامكم، و قد أجاب عجّل الله تعالى فرجه الشريف: لا تسألوا أين و متى يمكن أن نتشرّف بمحضركم، أنتم أصلحوا أنفسكم و نحن نُقبِل إلى زيارتكم! و ربما عبّر بكلمة الزيارة نفسها. ماذا نقول، التقصير منّا! نحن جعلنا أنفسنا هكذا! الآن ما هو اختلافنا عن أهل السُنّة، نحن معتقدون بوجوده عجّل الله تعالى فرجه الشريف و هم لا يعتقدون. لكن هل لدينا ما هو أعلى من الاعتقاد، أي الرؤية القلبيّة؟ هل لدينا السمع القلبيّ الّذي يأتي باليقين؟!

يسقون العطشى جرعة الوصال

[قال آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه بعد ذكر قضيّة تشرّف أحدهم بمحضر الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف:] نعم، يسقون العطشى جرعة الوصال، و يعطون متلهّفي الجمال ماء الحياة و المعرفة. فهل نحن عطشى إلى المعرفة و طالبو اللّقاء، و الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يسقينا الماء؟! مع أنّ عمله إغاثة الجميع و هو يهتمّ بإجابة مضطرّي العالم [و قضاء حاجاتهم][1].

السرداب صوت أحدهم و هو ينادي يا صاحب الزمان، فقال العابر بنبرة استهزاءٍ قل يا صاحب الزمان، يا صاحب الزمان حتّى يجيبك!! هؤلاء لا يفهمون و هم على حماقةٍ محضة. إنّ الأئمّة عليهم السلام هم عين الله الناظرة و أذنه الواعية، إذا تحدّث أحدٌ بكلامٍ و قبل أن يسمعه الحاضرون في المجلس، هم عليهم السلام يسمعونه. الآن أيضًا هناك أشخاصٌ يهديهم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف باستمرار و يُلهَمون بأمور [من ناحيته عجّل الله تعالى فرجه الشريف]!».

(١) أي أنّ المشكلة و القصور هما من ناحيتنا، نحن الّذين لا نكون عطشى إلى المعرفة و طالبي اللقاء حقيقةً!

لقاء الإمام في سنّه الحقيقيّة

إنّ الّذين تشرّفوا بالحضور في محضر الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و رأوا إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، سواء في اليقظة أم في المنام، قد رأوا الإمام في سنّ الشباب عادة و عليه سيماء شخصٍ في الثلاثينيّات أو في الأربعينيّات، إلّا شخصًا واحدًا(١) إذ يدّعي أنّه رأى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في سنّه الّتي تجاوزت الألف سنة، أي في سنّه الحقيقيّة.

كان باب اللقاء مفتوحًا أمامه!

ليس حسنًا أن لا يَقْتني أهل العلم كتب السيّد ابن طاوس رحمه الله؛ فجميع كتبه جيّدة. و لقد كتب الشيخ الحاج النوريّ رحمه الله حول السيّد ابن طاوس رحمه الله: إنّ باب اللقاء بالإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان مفتوحًا له!(٢)

إن قَبّل جبين أحد...

إن كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد قبّل جبين بعض العلماء، فإنّه يكون قد قبّل جبين السيّد [عبد الحسين] شرف الدين رحمه الله!(٣)

---

(١) لم يكن سماحة الشيخ رحمه الله ينسب لقاءاته بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى نفسه، بل حتّى لم يكن ينقلها. و إن اقتضت الضرورة أو كانت هناك مصلحة ما، كان يذكر بعضها لكن عن لسان «شخص آخر». بناءً على هذا، و التفاتًا إلى المطالب المذكورة في الصفحة ٨٣١ يتبيّن أنّ المقصود بـ«شخصًا واحدًا» في هذا الموضع هو سماحته رحمه الله نفسه.

(٢) خاتمة مستدرك الوسائل، ج٢، ص٤٤١.

(٣) كان السيّد عبد الحسين شرف الدِّين الموسويّ العامليّ (١٢٩٠-١٣٧٧هـ.ق) أحد أعلام عصره عِلمًا و عَملًا و تأليفًا، فقد كان عالمًا جليلًا و سيّدًا فاضلًا، و مجتهدًا ورعًا، دقيق النظر بعيد الفكر، قويّ الحجّة ساطع البرهان. و قد أنهى دراسته الفقهيّة و العلميّة في النجف الأشرف و سامرّاء في العراق و تتلمذ على أيدي كبار أعلامهما أمثال السيّد كاظم اليزديّ و الآخُونْد محمّد كاظم الخُراسانيّ و شيخ الشريعة الإصفهانيّ و الشيخ محمّد طه نجف، و السيّد حسن الصدر (رضوان الله عليهم)، وكان متميّزًا و متفوّقًا في جميع مجالات دراسته. و بعد أن نال درجة الاجتهاد، ذهب إلى جبل عامل الّتي يعود إليها أصله، و قد أسهم في النهضة العلميّة و الأدبيّة فيها، وكانت له حوارات و مناظرات مهمّة مع المذاهب الأخرى، معتمدًا على أسلوبٍ متينٍ و خُلُقٍ رفيع، فكان سببًا في استبصار عدد كبير من الناس. و قد توفّي في لبنان ثمّ نُقل جثمانه الطاهر إلى النجف الأشرف فدفن في مشهد الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

له مؤلفات عديدة منها: المراجعات، الفصول المهمّة في تأليف الأمّة، الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء، بغية الراغبين، و غيرها الكثير من المؤلّفات النفيسة. و قد بارك الله تعالى في كتبه، إذ لا تزال الاستفادة منها إلى الآن

«أعلِمْني منازِل أوليائك»[1]؛ طبعًا هذه المنقولات هي مؤيّدات للمطلب، و إلّا فإنّ أصل المطلب هو أمرٌ آخر. قيل إنّهم رأوا الشيخ مرتضى [الأنصاريّ ﷺ][2] على باب أحد البيوت، و لا أعلم أين و في أيّ مدينة، و لا أعلم إن كانت الكوفة أو مكانًا آخر. على أيّ حالٍ، لقد قالوا

و يستبصر الكثير على إثرها. و كان سماحة الشيخ ﷺ ينقل عن الشيخ محمّد رضا آل ياسين ﷺ أنّه كان يقول: «لا يوجد شخصٌ مُنصِفٌ يطالع كتاب الفصول المهمّة للمرحوم شرف الدين و لا يصبح شيعيًّا [و يستبصر]». و ربّما على إثر جهوده المضنية و تضحياته الكبيرة و جهاده الخالص و كفاحه الدائم للترويج للمذهب الحقّ و التعريف به و لنصرته إمام زمانه عجّل الله فرجه، بلغ ذلك المقام الّذي عبّر عنه سماحة الشيخ ﷺ في المتن.

(١) ورد في أحد أدعية عصر الغَيبة: «اللّٰهُمَّ لَا تُغَيِّبنِي عَن مَنازِلِ أَولِيَائِك»؛ مهج الدعوات و منهج العبادات، ص٣٣٢. و كذلك ورد في دعاء الإمام الصادق عليه السلام في يوم عرفة: «اللّٰهُمَّ لَا تَحرِمنِي مَنَازِلَ أولِيَائِك»؛ إقبال الأعمال، ج٢، ص١٣٦.

(٢) الشيخ مرتضى الأنصاريّ (١٢١٤-١٢٨١هـ.ق) عالم عظيم الشأن ينتهي نسبه إلى الصحابيّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصاريّ (رضي الله عنه). و قد كان وحيد عصره في مقام التحقيق و الدراسة و حلّ مشكلات الفقه و الأصول. و قد درس على يد كبار العلماء أمثال الشيخ محمّد حسن النجفيّ صاحب الجواهر، و الإخوة الشيخ عليّ و الشيخ موسى و الشيخ حسن أبناء الشيخ جعفر كاشف الغطاء، و الشيخ محمّد بن حسن المازندرانيّ المعروف بشريف العلماء، و السيّد محمّد الطباطبائيّ المعروف بالمجاهد، و الشيخ أحمد النراقيّ. و مع أنّ ما ألّفه الشيخ الأنصاريّ لم يكن كثيرًا إلّا أنّه فاق آلاف الكتب العلميّة قوّة و عمقًا، كما أنّ الله تعالى قد بارك له فيها حتّى إنّ بعض كتبه لم تزل تُدرَّس في الحوزات العلميّة إلى الآن، مثل المكاسب المحرّمة (٦ مجلّدات)، و فرائد الأُصول المعروف بالرسائل (٤ مجلّدات). و كان علم سماحة الشيخ ﷺ من علوم باب مدينة علم النبيّ صلّى الله عليه و آله، أمير المؤمنين عليّ عليه السلام و تفضّله عليه و كراماته له، فقد نقل الآقا السيّد عليّ البهبهانيّ - عن أحد تلامذة الشيخ مرتضى الأنصاريّ رحمه الله - قال: «ذهبت إلى النجف الأشرف لاستكمال العلوم الدينيّة، و حضرت درس الشيخ مرتضى الأنصاريّ إلّا أنّي لم أكن أستوعب مطالبه، و كنت متأثّرًا من هذا الوضع الّذي ألمّ بي، فالتجأت إلى الختومات و لكن لم أحصل على الفائدة المرجوّة. و أخيرًا توسّلت بأمير المؤمنين عليه السلام حتّى رأيته في منامي فقرأ في أذني: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، فلمّا أصبحت و حضرت مجلس الدرس استوعبته كاملاً، حتّى بلغ بي الأمر أن استشكل على الشيخ، و في أحد الأيّام و تحت منبر الدرس تحدّثت كثيرًا مع الشيخ و باحثته، و بعد انتهاء الدرس اقترب الشيخ منّي و همس في أذني قائلًا: إنّ الّذي قرأ بأذنك ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، قرأ أيضاً بأذني إلى ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾. قال هذا و ذهب، فتعجّبت من هذه القضيّة، لأنّه لم يطّلع أحد على رؤياي، فعلمت أنّ للشيخ مقامًا و كرامات، و موضع توجّه أئمّة الدين عليهم السلام». و كما كان الشيخ الأنصاريّ سبّاقًا في مضمار العلم، فقد حاز شرف العمل أيضًا، و كانت ملكاته الفاضلة و أخلاقه السامية على درجةٍ لا يمكن وصفها. و لوالدته (رحمها الله) دور فيما وصل إليه، فقد كانت تقيّة فاضلة و زاهدة عابدة، و ممّا نُقل مثلًا أنّها لم تكن ترضعه إلّا على وضوء، و قد رأت قبل ولادته في منامها، الإمام جعفر الصادق عليه السلام و قد أعطاها قرآنًا مذهّبًا. و قد دُفن الشيخ الأنصاريّ ﷺ في حرم الإمام عليّ عليه السلام من جهة باب القبلة.

ذلك لكنّي لا أذكره. كان للبيت بابٌ قديمٌ و رثٌّ. علامة هذا البيت أنّه كان كالخربة، و لا أحد يعتني بهذا البيت أصلًا. لقد رأوا الشيخ مرتضى واقفًا على ذلك الباب و يقرأ الزيارة الجامعة. فتعجّبوا من ذلك، أهُنا أمام هذا الباب الرثّ و البيت الخرب يقف و يقرأ الزيارة الجامعة؟! بعد ذلك عرف [أحد الخواصّ] بطريقة ما من الشيخ ﷺ أنّ ذلك البيت مرتبط بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه، و عندما كان الشيخ ﷺ يقرأ الزيارة الجامعة خلف الباب، كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في ذلك البيت نفسه![1] فهل حصل ذلك لأنّ اسمه كان مرتضى؟![2]

۞ حذارِ أن يمرّ عليك يومٌ دون أن...

لقد أُحرق [جُثمانَي] الشهيد الأوّل و الشهيد الثّاني رحمهما الله[3] بعد استشهادهما بجرم التشيّع. في أثناء لقاء أحد أهل العلم بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و التشرّف بمحضره خلال سفر الحجّ، قال له الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «إنّ الشهيدَين لم يأكلا من طبيخ الشيعة و حسائها[4]، و مع ذلك فإنّهما خلّفا كُتبًا مباركة. حذارِ أن يمرّ عليك يومٌ دون أن تطالع كتابًا من كتبهما».

۞ تمجيد إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف لكتب الشهيدين الأوّل و الثاني

يقول صاحب الجواهر: إنّ فقه الشهيد الثاني في الروضة أقوى منه في المسالك[5]. لذلك، عندما أرسلوا المسالك إلى أصفهان لم ينل إعجابهم كثيرًا. ففي ذلك الوقت كان علماء أصفهان أقوياء جدًّا، و كانوا ممتازين جدًّا، و كانوا في موازاة علماء النجف. و لكن عندما أرسلوا [كتاب] الروضة إلى هناك وجدوا أنّه أقوى بكثير. و هذا طبيعيّ، لأنّه قد كُتب بعد المسالك. مع أنّه ليس تامّ الاستدلال، فليس كلّه استدلالًا. و مع ذلك، يقول ذلك السيّد: قد

---

(١) لقد ذُكر تفصيل هذه القضيّة في الصفحة ٢٦٨ من هذا الكتاب.

(٢) كان سماحة الشيخ ﷺ يقول هذه المطالب كنايةً، و كان يقصد أنّ هذه الأمور لا تحصل عن طريق الاتّفاق و الصدفة، بل إنّ الإنسان على إثر التقوى و إتيان الواجبات و أداء الوظائف الشرعيّة يبلغ هذه المقامات العالية من القرب.

(٣) الشهيد الأوّل هو أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن جمال المكّيّ النبطيّ الجزّينيّ العامليّ (٧٣٤ ـ ٧٨٦هـ)، و له مؤلفات عدّة من جملتها كتاب «اللمعة الدمشقيّة». و الشهيد الثاني هو العالم الربّانيّ زين الدين بن عليّ بن أحمد العامليّ (٩١١ ـ ٩٦٦هـ.ق) و له مؤلفات كثيرة من أشهرها كتاب «الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة».

(٤) قال سماحة آية الله الشيخ البهجة ﷺ: «و كأنّ المقصود بطبيخ الشيعة و حسائها هو مقام المرجعيّة و الزعامة».

(٥) المقصود هو كتاب «مسالك الأفهام في شرح شرائع الإسلام».

جعل الله بركة في كتب هذين الشخصين (الشهيد الأوّل و الشهيد الثاني) بسبب شهادتَيهما، بحيث لا يزال ـ إلى الآن ـ يُتبرّك بدراسة هذا الكتاب ناقص الاستدلال و تدريسه. يُتبرّك بكتاب اللمعة و بشرحه. فالذين يراجعون اللمعة، سيبلغون بعض المقامات [العالية].

يدّعي أحدهم: تشرّفت بمحضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لكنّي لم أعرفه. فقال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: بسبب هذه الشهادة الّتي منحهما الله إيّاها [أعطاهما الله البركة و جعلها في كتبهما]. كما أنّه نقل أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قال: قتلوهما بجُرم تشيّعهما، و أحرقوا جثمانَيهما بعد شهادتَيهما. فيقول هذا الوسيط [أي الراوي]: كنت قد سمعت [قضيّة] إحراق أحدهما، لكنّ مسألة إحراق الثاني لم أكن قد سمعتها! لا أعلم، و الله العالِم.

و العبارة الّتي نقلها عنه: «إنّهما لم يأكلا [من] طبيخ الشيعة و حسائها»، يعني مع أنّهما لم يتقلّدا رئاسة [لكنّهما قدّما هذه الخدمات]. و نقل أيضًا أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قال: «حذارِ أن يمرّ عليكم يومٌ دون أن تراجعوا فيه أحد كتب هذين الشخصين!».

و كأنّ ذلك الشخص قد تاه في مِنى و قد وُفّق للتشرّف بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فقال له [الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف]: «انظر إلى عَلَمي[1] و اتّبعني».

كذلك قال [له الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف]: أتعلم لماذا كان الرسول صلّى الله عليه و آله يذهب إلى غار حراء؟ لأنّ الغار مشرفٌ على الكعبة، فكان صلّى الله عليه و آله يرى الكعبة من هناك، الجبال المحيطة بالغار ليست مشرفةً على الكعبة. يقول هو: ذهبت بنفسي و تحقّقت من ذلك، فوجدت أنّه نعم [الأمر كما قال]، يمكن للمرء أن يرى الكعبة من داخل غار حراء، أمّا من الجبال الأخرى المجاورة فلا يمكن ذلك.

يقول: [بداءة] لم أعرف الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى ما بعد ذهابه، و الأمور الّتي رأيتها كانت دليلًا على أنّه هو [أي الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف].

فليس المقصود [بالمشاهدة] في قوله «من ادّعى المشاهدة» المشاهدة الّتي يكون الإنسان لا يعرف الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في تلك اللحظة نفسها، بل يمكن [القول] بعدم شمولها لغير المشاهدة الّتي كانت للنوّاب الأربعة، يعني الوساطة في الأمور، كأخذ الرسائل و إعطاء الأجوبة و...؛ مثل هذه المشاهدات [أي الّتي يدّعي مدّعيها أنّ له مشاهدة كتلك الّتي

(١) العَلَم: هو ما يُهتدى به كالراية.

كانت للنوّاب الأربعة و يدّعي البابيّة] هي الّتي تشملها «فعليه لعنة الله»[1]، و إلّا فكبار العلماء، أمثال المقدّس الأردبيليّ و السيّد بحر العلوم قد ادّعوا المشاهدة، [هؤلاء الكبار الذين] لا ينبغي لأحدٍ أن يحتمل الكذب في حقّهم أبدًا.

إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف و كتاب «النهاية» للشيخ الطوسيّ

ينقلون أنّ خمسة علماء من علماء كربلاء [كلًّا على حِدة] قد رأوا الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في عالم الرؤيا فقال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف عبارات مدحٍ لكتاب النهاية للشيخ الطوسيّ رحمه الله[2]. ثمّ تبيّن لاحقًا أنّ جميعهم قد سمعوا عبارة واحدة متطابقة، فكانت عبارة كلّ واحد منهم مطابقة لعبارة الآخرين. عجبًا أيّ رؤى هي، وكم هي شبيهة باليقظة!

أهميّة كتاب مفاتيح الشرائع

المفاتيح[3] كتاب جيّدٌ جدًّا، و يختلف عن الذخيرة في أنّه يُتمّ المطلب و ينهيه كاملًا، حتّى إنّه قد نُقل أنّهم في لقاء [بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] سألوه عجّل الله تعالى فرجه الشريف فقال: المفاتيح أفضل من الذخيرة[4].

سَلْ قُرَّةَ عَيْنِي!

سُئل سعد بن عبد الله الأشعريّ: هل كان إيمان أولئك الشخصَين رغبة و طوعًا أم كرهًا و إجبارًا؟ فتحيّر ماذا يقول، إذ فكّر في أنّه إن قال قد أسلما اختيارًا ففي هذه الحالة لا يكونان منافقَيْن، و إن قال إجبارًا فسيجيبون لم يكن هناك أيّ ضغط و إجبارٍ في ذلك الزمان؛ لذلك حمل

(١) من الممكن أن يدّعي شخص المشاهدة، دون أن يكون لديه ادّعاء أنّها كانت باختياره أو أنّه باب لإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، بل يقول مثلًا إنّه تشرّف بلقائه عجّل الله تعالى فرجه الشريف دون أن يعرف في حينه شخصه الشريف، ثمّ أدرك لاحقًا الّذي رآه هو الوجود المبارك لصاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و عليه، ليس المراد من هذه الرواية الشريفة تكذيب هذا النوع من المشاهدات. و قد بيّن اختصاص هذه الرواية بمدّعي النيابة و البابيّة في الحديقة الثالثة في معرض الجواب عن السؤال السابع في الصفحة ٥٠٢ من هذا الكتاب.

(٢) أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ)، صاحب تأليفاتٍ متعدّدةٍ، من جملتها: اختيار الرجال، الاستبصار، عدّة الأصول، النهاية في مجرّد الفقه و الفتاوى و غيرها.

(٣) كتاب مفاتيح الشرائع للفيض الكاشانيّ رحمه الله، قال سماحة آية الله البهجة رحمه الله حول هذا الكتاب: «كأنّ المفاتيح للفيض، الأوّل بين الكتب الفقهيّة، و من المناسب أن تُكتب عليه حاشية».

(٤) كتاب ذخيرة المعاد في شرح إرشاد الأذهان للمحقّق السبزواريّ رحمه الله.

المسألة إلى الإمام العسكريّ عليه السلام برفقة أحمد بن إسحاق، فأحاله عليه السلام إلى الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فأجاب عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «لِمَ لَمْ تَقُلْ أَسْلَما طَمَعًا؟!»؛ يعني لا هذا و لا ذاك، إنّما أمرٌ ثالث[1].

غوث الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لإثبات أحقّية المذهب

قال [أحدهم: أحضر أحد الوزراء البحرانيّين رمّانة و عرضها على الحاكم و علماء شيعة البحرين] نظروا إليها و إذا محفورٌ على قشرها أسماء الخلفاء الأربعة، الأوّل و الثاني و الثالث و الرابع. الله أكبر! [كيف ذلك؟] يُعلم أنّ هذا يكون إلهيًّا [و من عمل الله تعالى] و لا يمكنكم أن تقولوا [أنتم الشيعة] نحن نستشكل على هذا! فقال العلماء: أمهلونا يومين أو ثلاثة. [في كلّ ليلةٍ يتوسّل واحد منهم بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى اليوم الثالث] فذهب أحدهم إلى الصحراء و قال: يا أبا صالح أغثنا فقد ابتُلينا! فقال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: اذهبوا إلى البيت الفلانيّ، تجدون في الشقّ الأوّل أو الثاني قالبًا قد وضع [الوزير] الرمّانة فيه منذ أن أثمرت، و هكذا كانت تنمو و تنمو حتّى أينعت و قد نُقِش على قشرها اسم الأوّل و الثاني و الثالث و الرابع[2].

نحن لدينا شخص كهذا، يرانا في جميع مجالسنا، [و في] عزلتنا و خلوتنا، نحن لا نراه لأنّ نظّاراتنا عليها بعض الغشاوة، و إلّا لكنّا رأيناه نحن أيضًا. فهو ليس غائبًا عن الخواص بل عن الآخرين! أولئك الّذين كانوا في عصرنا أو قبله بمدّة قصيرة، كانت منهم العجائب في الرؤية [أي رؤيته عجّل الله تعالى فرجه الشريف]، كأنّ [بعضهم] يراه عجّل الله تعالى فرجه الشريف ناظرًا إليه و يقول: قل هكذا، قل هكذا، قل هكذا![3]

الكلب ابن الكلب!

في مؤتمرٍ عُقد في كندا أو أستراليا قال [فلان][4] إنّه لا يمكننا أن نستنّن الشيعة [أي نجعلهم من أهل السُنّة] و ما استطعنا أن نرجعهم [عن عقيدتهم]، لكن الآن وصل فكرنا [و حيلتنا] إلى أن نقوّي بعضهم على بعض، و يمكننا أن نحرّض بعضهم على بعض، و هذا ما سنفعله!! و لقد قال ـ مؤخّرًا ـ أحد الّذين تشرّفوا بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إنّه عندما دار الكلام بينه و بين

---

(١) لقد أشار سماحته قدّس سرّه إلى حكاية جميلة، و قد ورد اقتباس منها في الصفحة ٨٦ من هذا الكتاب، و تفصيلها مذكور في كتاب كمال الدين، ج٢، ص٤٥٤.

(٢) ذُكرت هذه القصة مفصّلة في الصفحة ٢٤٤ من هذا الكتاب.

(٣) يعني كانوا مرتبطين بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف حاضر عندهم إلى درجة كأنّه يُلهمهم و يُفهمهم ماذا يقولون حرفًا بحرف.

(٤) أحد حكّام إحدى الممالك العربيّة.

الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف حول ...[1]، [و] عندما وصل الكلام في الحديث إلى هذا الخبيث الّذي هو الآن موجودٌ، قال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «الكلب ابن الكلب». و هذا الكلام مُطابق للاعتبار جدًّا [و محكمٌ جدًّا][2].

تشرّفات السيّد مهديّ القزوينيّ قدّس سرّه بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف

يقول ذلك العالم القزوينيّ ـ و حسب الظاهر أنّه كان السيّد مهديّ القزوينيّ[3] الّذي استبصر

---

(١) كان حاكمًا في إحدى الممالك العربيّة، يهوديّ الأصل، و لقد اقتصرنا في النص على ذكر صفته دون اسمه.

(٢) لقد شبّه الله تعالى في كتابه الكريم الّذي آتاه آياته فأعرض عنها بالكلب، إذ يقول تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ (سورة الأعراف، الآيتان ١٧٥و١٧٦). و طبقًا لآية أخرى، يُقال لأهل النار في جهنّم: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (سورة المؤمنون، الآية ١٠٨). إنّ هذا النوع من الخطابات و التعابير إنّما يُشير في الواقع إلى الحقيقة الباطنيّة لهؤلاء الأشخاص، و إنّ الّذين يمتلكون العين و الرؤية الّتي تُبصر الحقيقة، يرون هذه الصورة الباطنيّة في هذه الدنيا، بَيد أنّ الله سبحانه و تعالى قد منّ على الناس، و حجب عنهم هذه الحقيقة لكي لا يختلّ نظام الحياة في الدنيا، إلى أن تنفتح أعينهم على بعض الحقائق بعد الموت، كما عبّر عن ذلك القرآن الكريم بقوله ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (سورة ق، الآية ٢٢). و لذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ» (نهج البلاغة، ص١١٩). و في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يعدّ أعداء أهل البيت عليهم السلام أنجس من الكلاب، إذ يقول: «فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا أَنْجَسَ مِنَ الْكَلْبِ وَإِنَّ النَّاصِبَ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَنْجَسُ مِنْهُ». و عليه، فإنّ هذا النوع من التعابير المستعملة بحقّ هؤلاء الأفراد، ليس من باب السبّ و الشتم و الإهانة، بل هو بيان للحقيقة و توصيفٌ لها و إخبارٌ عن واقعهم، كي يحذر المؤمنون من الوقوع في شرّهم و الافتتان بهم. كما ورد عن الإمام سيّد الشهداء عليه السلام أيضًا أنّه عندما رأى شمر بن ذي الجوشن المشؤوم، رأى فيه ما يتطابق مع الواقع و تحقيقًا لإخبار رسول الله صلّى الله عليه وآله: «عَنْ محمّد بْنِ عَمْرِو بْنِ حَسَنٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ الْحُسَيْنِ بِنَهْرِي كَرْبَلَاءَ فَنَظَرَ إِلَى شِمْرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ فَقَالَ: صَدَقَ اللهُ و رسولُهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى كَلْبٍ أَبْقَع يَلَغُ فِي دِمَاءِ أَهْلِ بَيْتِي وَكَانَ شِمْرٌ قَبَّحَهُ اللَّهُ أَبْرَصَ» (البداية و النهاية، ج٨، ص٢٠٥)، و قد نقل الخوارزميّ في مقتله: «فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ السَّحَرِ خَفَقَ الْحُسَيْنُ بِرَأْسِهِ خَفْقَةً ثمّ اسْتَيْقَظَ فَقَالَ أَتعلَمُونَ مَا رَأَيْتُ فِي مَنَامِي السَّاعَةَ؟ قَالُوا فَمَا رَأَيْتَ يَابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: رَأَيْتُ كِلَابًا قَدْ شَدَّتْ عليّ لتنهشني، وفيها كَلْبٌ أَبْقَعُ رَأَيْتُهُ أَشَدَّها عَلَيَّ، وَأَظُنُّ الَّذي يَتَوَلَّى قَتْلِي رَجُلٌ أَبرَصُ مِنْ بينِ هؤُلَاءِ الْقَوْمِ» (مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص٣٥٦). و لذلك فإنّه بالالتفات إلى الآيات القرآنية الكريمة، و الروايات الشريفة المأثورة عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام فيما يتعلّق بأعداء الله سبحانه، فإنّ إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا يرى حقيقة أعداء الدين، و يخبر عن حقيقتهم كما كان يفعل آباؤه الكرام عليهم السلام. و لذلك فإنّ هذه المسألة في حدّ ذاتها واحدة من وجوه اعتبار نقل هذا التشرّف.

(٣) زبدة العلماء و قدوة الألبّاء العالم العامل السيّد مهدي القزوينيّ رحمه الله (١٢١٠ ـ ١٣٠٠ هـ)، صاحب كتاب «مواهب الأفهام». عمّه و أستاذه العالم الجليل و الفقيه العظيم السيّد محمّد باقر القزوينيّ و هو ابن أخت العلّامة

في مجلسٍ واحد من مجالسه في الحلّة أو جبل عامل ثلاثمئة ـ: عندما كنت في الحلّة، لم أكن أذهب إلى زيارة السيّد حمزة عليه السلام ، فكان الناس يعترضون [عليّ] كثيرًا و يقولون: لماذا لا يذهب هذا السيّد إلى زيارة حمزة ابن الإمام عليه السلام الموقّر؟! و في يوم من الأيّام، كنت في المنزل و إذا بسيّدٍ يدخل، ربما كان الباب مقفلًا، دخل و ذكر عدّة أمور لم يكن لديّ علمٌ عن أيٍّ منها، قال: لماذا لا تزور السيّد حمزة في حين أنّه قريب؟ قلت: هؤلاء يقولون إنّه حمزة بن موسى بن جعفر عليهما السلام و الحال أنّ حمزة ابن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في الريّ لا في الحلّة. قال: «رُبَّ شُهْرَةٍ لا أَصْلَ لَها». هذا مشهور بأنّ المدفون في الحلّة هو ابن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ، لكنّه ليس ابن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ، إنّما هو من أحفاد أبي الفضل الشهيد في كربلاء. هو ابن أبي الفضل عليه السلام ، و قد ذكر النجاشيّ هذا المطلب في كتابه[1].

يقول السيّد القزوينيّ: تعجّبت أنّ هذا السيّد يقول ذلك لي أنا الّذي كنت أعدّ نفسي متبحّرًا في علم الرجال!

على أيّ حال، ذُكرت أخبار كثيرة و أمور عديدة في هذا اللقاء، مع هذا لم يلتفت في أثنائه إلى أنّه مَن هو هذا السيّد! يقول: و بعد أن ذهب، كان عندي الفهرست للشيخ النجاشيّ، و بمجرّد أن فتحته وجدت المطلب الّذي أريده، كأنّي لم أكن قد قرأته سابقًا، تعجّبت إذ إنّي طالعته لكنّي لم أرَ مطلبًا مثله بهذا الوضوح و لم أستخرجه منه و لم أستطع أن أجده سابقًا، و هذا السيّد أشار إلى أنّ حمزة المدفون في الحلّة من أولاد أبي الفضل العبّاس عليه السلام . هذا في حين أنّه أساسًا لم أكن قد رأيت مطلبًا مثله في الكتاب! عندما نظرت في كتاب النجاشيّ وجدت أنّه صحيح، السيّد حمزة من أحفاد أبي الفضل العبّاس عليه السلام و هو مدفونٌ في أطراف الحلّة، و لم أكن قد رأيت مطلبًا مثله في الكتاب إلى ذلك الحين![2]

قال السيّد [للسيّد القزوينيّ] ـ و يبدو أنّه في واقعةٍ و لقاء آخر ـ: لماذا أنت حزين؟ قلت: أنا مهموم جدًّا بسبب محاصرة أهل الموصل و الشيعة الموجودين فيها، فإنّي قد سمعت أنّ

بحر العلوم رحمه الله. و كذلك من تلاميذه الآخوند الخراسانيّ (صاحب الكفاية) و شيخ الشريعة الأصفهانيّ. له العديد من اللقاءات المعروفة الّتي تشرّف فيها بلقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

(١) يقول النجاشيّ في رجاله: «حمزة بن القاسم بن عليّ بن حمزة بن الحسن بن عبد الله، ابن العبّاس بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، أبو يعلى، ثقة جليل القدر من أصحابنا؛ كثير الحديث، له كتاب (من روى عن جعفر بن محمّد عليهما السلام من الرجال) و هو كتاب حسن و...»؛ رجال النجاشيّ، ص١٤٠.

(٢) ينقل المحدّث النوريّ رحمه الله هذه الواقعة بالتفصيل في الحكاية الرابعة و التسعين من كتابه النجم الثاقب، ج٢، ص٧٦٩.

أحمد باشا قد حاصر الموصل. حزنت و اغتممت كثيرًا أنّه ما هو البلاء الّذي أنزله بهم. كان هناك شيعة و ربما كان أقاربه أيضًا هناك. قال ذلك السيّد: قد دخل الآن أحمد باشا الموصل، انتهى الحصار و ها هو يفعل كذا وكذا. و عندما ذهب، التفتّ فجأةً إلى أنّ الباب مقفل، فتحت الباب و قلت للأطفال الّذين كانوا هناك: هل رأيتم مَن الّذي غادر الدار؟ فقالوا: كلّا، لم نشاهد أحدًا![1]

حوالة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف من أجل رفعة المذهب

أقام السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ رحمه الله لأحد علماء السُنّة أو لأحد أبناء السُنّة مجلس فاتحة بناءً على خطّ الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف و توقيعه و إمضائه. فاعترض عليه شخص [إذ أرسل إليه] بطريقةٍ غير مباشرة عبر بعضهم أنّه كيف تقيم مجالس كهذه من سهم الإمام عليه السلام؟ مع أنّ أمورًا كهذه لم تكن تصدر عنه [أي السيّد الأصفهانيّ] إلّا في بعض الأسفار الّتي تشرّف خلالها بالزيارة في سامرّاء، و في إحدى تلك الأسفار أعطى الخَدَم هناك ـ الّذين كان كثير منهم، بل أكثرهم، باستثناء القليل منهم من العامّة ـ مبلغًا من المال؛ فبعد اعتراض ذلك الشخص أراه المرحوم السيّد أبو الحسن ورقة خضراء، الّتي هي، حسب النقل، بخطّ الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إمضائه، و هو قد تيقّن أنّ هذه الورقة من قِبل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و قد أجاز فيها للمرحوم السيّد الأصفهانيّ أن يصرف سهم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بما يوجِب اعتلاء المذهب الحقّ.

اهتمام إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف بأمور الشيعة

قال الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف للأشخاص الّذين تشرّفوا بخدمته: تكفي هذه المدارس الحكوميّة من أجل إخراج الأطفال من الدين![2] ففي زمان رضا خان، و من أجل خلط هويّتنا بهويّة الكفّار، توافقوا على أن [نرتدي لباسهم و] نعتمر قبّعاتهم و أن نكون موحّدين معهم في

---

(١) دار السلام، ص٤٧٦.

(٢) لقد حصلت هذه القضيّة في زمن الظالم رضا خان، أحد حكّام إيران السابقين، وكان الأطفال آنذاك يتعلّمون إمّا في الحوزات الدينيّة و إمّا في المدارس الحكوميّة الّتي لم يكن فيها التزامٌ دينيٌّ، بل كانوا يُدرّسون طلّابها مناهج الثقافات الغربيّة و عدم الالتزام الدينيّ بعنوان الحرّيّة و الانفتاح ـ كما هو الحال في بعض المدارس اليوم، سواء الحكوميّة أم الخاصّة ـ و فعلًا، الّذين كانوا يذهبون إلى تلك المدارس كانوا ينحرفون عن الدين إلّا من حفظه الله تعالى. و لذا، قال الإمام عليه السلام إنّ هذه المدارس الحكوميّة تكفي لإخراج الأطفال من الدين.

اللباس [و على نسق لباسهم، لكن] لماذا لا يكون لأولئك قبّعاتنا و لباسنا و حجابنا؟

فمن أجل خلط الهويّة و تجانس الخادم (أي الشعب) و المخدوم (أي الكفّار) [لالتباس الأمر على الشعب]، أصدروا الأوامر بتوحيد اللباس و ترك الحجاب، كي يحضروا بيننا دون أن يُعرفوا هم و نساؤهم غير المحجّبات، و في النتيجة يضعون أيديهم في جيوبنا و يسرقون أموالنا عن قرب، إضافة إلى الأموال و المستعمرات الّتي كانت بحوزتهم [و تحت تصرّفهم]!

خطّ إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و توقيعه

ينقل أحدهم أنّه عندما كان صغيرًا كان مع والده في سامرّاء في محضر الميرزا الشيرازيّ الكبير رحمه الله، و قد أتى شخص إلى والده و أعطاه ورقة خضراء، فقام هو بتسليمها للمرحوم الميرزا، و قد أعطاه الميرزا [على موجبها] دينارًا واحدًا. أُحيل في تلك الورقة إلى الميرزا الكبير رحمه الله أن يعطي حامل الورقة مبلغًا بعنوان مساعدة، و والد هذا الرجل يتيقّن أنّ هذه الورقة الخضراء كانت بخطّ الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إمضائه!

حوالات الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف

لو احتاج الوجود المقدّس لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى المال في عصر الغَيبة، فالله تعالى يعلم من أيّ طرق يمكنه أن يحصل عليه، [مثلًا] بواسطة المكلّفين أنفسهم، أو عبر الحكّام و...، فمثلًا يأتي شخص و يقول: أعطني ذلك المال الّذي وضعتَه في المكان الفلانيّ و قدره كذا، الّذي أعطاك إيّاه فلان في يوم كذا، و كان معه فلان، أعطني المقدار كذا منه. أي يأتي بآلاف من [العلامات] المورثِة لليقين بحيث يُطمأنّ إلى أنّ هذا الكلام هو من قِبله عجّل الله تعالى فرجه الشريف، كما نقل ذلك الكثير من المراجع، و حتّى إنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد أرسل إلى الميرزا الشيرازيّ الكبير: «لِمَ قطعت عن السيّد الفلانيّ!»، أو أعطى رقعة لأحدهم فحملها و أتى بها إلى الميرزا، فأعطاه [على موجبها] مقدارًا ليس بالقليل و لا بالكثير، عشر روبيات أو جنيهات تقريبًا بما يعادل دينارًا أو دينارين، و ذهب هو. و قد عرض الميرزا الرقعة على أحد خواصّه و أنّ فيها أمرًا من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن ساعد فلانًا، و كان توقيعها توقيع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فقال [ذلك الرجل]: لماذا لم تعطه أكثر من دينار أو دينارين مع أنّك رأيت هذه الرقعة؟! فقال المرحوم الميرزا: أنت رأيت هذه فقط، و لا تعلم أنّ هناك الكثير من أمثالها!

و المقصود أنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف غير محتاجٍ إلى المال، و لديه عجّل الله تعالى فرجه الشريف آلاف الطرق للوصول إليه، بل الّذي غيّبه [أي الله تعالى] هو نفسه الّذي يحدّد له طريقة حصوله على المال. فهل يحتاج النبيّ عيسى عليه السلام إلى الأكل و الشرب في ذلك المُلك الّذي هو فيه؟ ألا يستطيع الله أن يُبقيه دون طعامٍ و شراب؟ ألا يستطيع أن يُبقيه بالطعام و الشراب المعنويّ الفردَوْسيّ؟ فما حاجته إذًا إلى المال؟

***

نسأل الله أن يجعلنا جميعًا من أولياء إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف إن شاء الله... و أن يوفّقنا لنكون من الّذين ينجزون أعماله و يُسهِمون في تقدّمها.

نحن الّذين لدينا مثل هذا الملجأ، فما حاجتنا إلى الآخرين؟!

نقلوا عن السيّد جمال الدين الكُلبايكانيّ[1] ـ الّذي كان [في مدّة] ذا عذرٍ عن [تسلُّم] المرجعيّة و لم تتهيّأ ـ أنّه قال: عندما كنّا في كربلاء أو [ربما] في النجف، كانت أوضاعنا الاقتصاديّة متأزّمةً و كنّا تحت ضغط شديد، حتّى الخبز و الماء لم يكونا موجودَين في البيت، فقالت لي امرأتي: إنّ السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ هو جارنا فمُرّ عليه و اسأله شيئًا. قلت: لا أفعل ذلك، و إذا تكرّرين هذا الطلب مرّة أخرى و تصرّين أكثر فسأترك البيت و أهيم على وجهي في البيداء و لن أعود!

هنا يجب على أعيان القوم أن يساعدوا الناس المستحقّين و أصحاب الحياء و عزيزي النفس، الّذين ليسوا فقط لا يُظهرون فقرهم و حاجتهم، بل ربما يُظهرون الغنى و الاستطاعة ـ «يُنْفِق نَفَقة الفُقراء و يتَظاهَر كالأغنياء» ـ و أن يوظّفوا أشخاصًا للبحث عنهم و تحسّسهم.

على أيّ حال، يقول السيّد [جمال الدين الكُلبايكانيّ]: و في الليلة نفسها رأيت في عالم الرؤيا أنّ الباب يُطرق، و قد جاء إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى منزلنا، فقبّلت يده فدخل البيت

---

(١) كان السيّد جمال الدين بن حسين الموسويّ الكلبايكانيّ (١٢٩٥ - ١٣٧٧هـ.ق) فقيهًا إماميًّا، و مُدرّسًا عظيم الشأن، و من كبار مراجع التقليد. شرع في تحصيل العلم و هو في طور الصِّبا، فدرس عند كبار علماء كلبايكان و أصفهان و النجف الأشرف، أمثال الشيخ محمّد كاظم الخراسانيّ، و السيد محمّد كاظم الطباطبائيّ اليزديّ، و الميرزا محمّد حسين النائينيّ. و قد برع في الفقه و الأصول، و برز في التدريس في الحوزة، كما امتاز بمقدرة أدبيّة كبيرة. و بموازاة تحصيله العلميّ كان يحرص على اكتساب الفضائل الأخلاقيّة و الروحيّة من أساتذته الأجلّاء السالكين، فلم يغفل عن مراقبة أعماله و حالاته من أجل تزكية نفسه و تهذيبها.

و جلس هنيهةً، و عندما همّ بالذهاب وضع شيئًا تحت البساط و خرج، فذهبت بصحبته و أغلقت الباب خلفه. عدتُ و نظرت كي أرى ماذا وضع [كنت لا أزال في عالم الرؤيا]، فوجدت أنّه قد وضع تحت البساط فلسًا عراقيًا ـ و هو أقلّ عملة نقديّة عراقيّة يُباع و يشترى بها في ذلك الوقت، بل ربما لا يرضى به حتّى الفقراء، و كان من النحاس ـ يقول: احتفظت بهذا الفَلْس بركة[1] و لم تحصل لاحقًا أمثال هذه القضايا بأن يخلو البيت حتّى من الماء و الخبز، و لم أبتلَ بالفقر أبدًا، إذ في اليوم التالي جاءت حوالة من قِبل أحد معارفنا من أصفهان فيها مبلغ معتدٌّ به ـ مئة أو ثمانون تومانًا ـ و بعد ذلك، كان هناك من يعطينا دَوريًّا مبلغًا من المال، و تحسّن وضعنا و أصبح أفضل.

نحن الّذين لدينا مثل هذا الملاذ و الملجأ، فما حاجتنا إلى الآخرين؟! فمن المُحال أن يرضى بما يملك مَن لا يسلك طريق القناعة. بل العكس تمامًا، فإذا قنع المرء، فكلّ ما يحتاج إليه سيصل إليه و لو كان كثيرًا، و من كلمات الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ضَمِنْتُ لِمَنِ اقْتَصَدَ أَنْ لا يفْتَقِرَ»[2].

اهتمام إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف بطلّاب العلم

يقول أحد الأشخاص الّذي كان في أصفهان مقسِّمًا [للرواتب الشهريّة للطلبة] و كان تاجرًا: كنت أعطي ما عليَّ من الحقوق الشرعيّة، و قد عيّنني السيّد البروجرديّ رحمه الله مقسّمًا لرواتب الطلّاب الشهريّة ـ يحتمل أن يكون السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ قبله قد عيّنه أيضًا ـ [أحيانًا] كان الطلّاب يزعجوننا، و على سبيل المثال كانوا يقولون: نريد أن نذهب إلى قُرانا فأعطنا الآن راتب الشهر القادم، و أنا لم أكن مُجازًا للقيام بأمثال تلك الأمور. فكنت أعطيهم مكرهًا. لكنّني عزمت على الاستعفاء من هذا العمل، فأدفع كلّ ما يتعلّق بذمّتي من حقوق و السلام! فأنا لا أستطيع أن أكون مقسّمًا. بقيت عازمًا على هذا الأمر إلى أن رأيت ذات مرّة في المنام أنّ هاتفًا قال: إذا أردت أن ترى الإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف فامضِ إلى ذلك البيت، فذهبت و رأيت في الحجرة الأولى جمعًا غفيرًا من الناس، و في الحجرة الثانية أيضًا كان هناك جمع غفير، و في الحجرة الثالثة رأيت أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف واقفٌ. نظرت إليه فقال:

(١) ليس معلومًا إن كان المقصود أنّه قد احتفظ به في المنام أو أنّه في الحقيقة أيضًا وجده تحت البساط و احتفظ به.

(٢) الكافي، ج٤، ص٥٣؛ بحار الأنوار، ج٦٨، ص٣٤٦.

أهلًا أهلًا، أنت مقسِّم شهريّة أوليائنا؟ أهلًا أهلًا، مرحبًا مرحبًا، أنت مقسّم رواتب أوليائنا! و [لم يزل] يحفّزني إلى درجة أنّني قلت في نفسي: مهما يُنزلوا بي من بلاء فلن أطلب إعفائي من عملي أبدًا و سأبقى فيه.

و في النهاية، مهما كان، سيوجد من بين هؤلاء الطلبة أشخاصٌ أمثال الشيخ مرتضى الأنصاريّ ﷺ [ليكون من مقدّسي العلماء و مرجعًا للشيعة في الحوادث الواقعة] «أمّا الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا»[1].

۞ هل نحن ناسون لذكركم؟

ينقل أحدهم: كان هناك شخص اسمه السيّد حسن و هو من المدرّسين في النجف، و قد وقع في ضائقة اقتصاديّة خانقة، فقال في نفسه: أكتب رقعةً لإمام الزمان ﷺ و ألقيها في الماء أو أضعها في زاوية من زوايا الحجرة، أو أضعها في مكانٍ ما، و أواظب على ذلك أربعين يومًا. يقول: جاء اليوم الأربعون و لم أكن ملتفتًا إلى أنّه اليوم الأربعون، فسمعت هاتفًا من خلفي: «يا سيّد حسن!». قلتُ في نفسي: حتمًا هذا توهُّم، فالباب مغلق و ليس هناك أحد غيري في البيت. تمهّلت قليلًا، فعاد و قال: «يا سيّد حسن، ابن السيّد حسين!»، و ذكر اسم والدي أيضًا، فقلت: ليس هذا بعدُ بخيال، هو يعرف اسم والدي أيضًا، هذا ليس خيالًا! نظرت إلى جهة الصوت فلم أرَ أحدًا، مع أنّي بنيت أنّ هذا ليس توهّمًا بل حقيقة، لكن عندما نظرت إلى هناك لم أرَ أحدًا، و مع عدم رؤيتي أحدًا إلّا أنّني سمعت هذا النداء: «أتظنّون أنّنا غير مطّلعين على أحوالكم؟ أتظنّون أنّنا لا نعلم بالحال الّذي أنتم عليه؟» سمعت هذا لكنّي لم أرَ أحدًا! لكن كأنّ حاجتي قد قُضيت و لم يعد هناك أيّ حاجة بمجرّد سماعي هذا النداء «أَتظنّون أنّنا غير مطّلعين على أحوالكم؟».

(١) ينقل أحد الفضلاء: كنت أحتاط في التصرُّف بسهم الإمام ﷺ الّذي يعطوني إيّاه، فكنت أستأذن سماحة الشيخ ﷺ في ذلك مرارًا. و في إحدى المرّات قال لي سماحته ﷺ: إنّ السيد أبو الحسن الأصفهانيّ ﷺ كان يقول إنّ سهم الإمام ﷺ هو سبيل [تشبيهًا بسبيل الماء الّذي يُسقى منه عابري السبيل و المارّة مجانًا رغبةً في الأجر و الثواب للأحياء و الأموات] لكن إن كنتم تريدون أن لا يحصل تركٌ أو مخالفة للأَولى [في التصرّف بسهم الإمام ﷺ]، فادعوا بظهور إمام الزمان ﷺ!

الله يعلم ما هي المشتركات بين الإمام عليه السلام و بين المبدأ الأعلى؛ «لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَها [بَيْنَهُم] إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ»؛ فليس له أيّ ميزة «إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُك، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤُهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ، أَعْضَادٌ وَأَشْهَادٌ وَمُنَاةٌ»[1].

هذه قصّة، و هناك قصّة أخرى: كان هناك رجل نجّارٌ ـ و قد رأيته رحمه الله بنفسي ـ توفّي منذ سبع أو ثماني سنوات، يقول: مرّ علينا ما يقارب الشهرين و أنا أستدين دون أن يكون من نجارتنا هذه أيّ مردود أو فائدة. و قد كنت قرأت في بعض الكتب[2] أنّك ـ مثلًا ـ تصلّي ركعتين على سطح الدار و... ثمّ تدعو بحاجتك. فصعدت مرّة سطح الدار [و قمت بالعمل]. و في اليوم التالي، عندما أردت أن أذهب إلى العمل في المحل لم يكن في جيبي سوى خمسة تومانات، أعطيت امرأتي أربعة منها حتّى تُعدّ بها طعام الغداء، و أبقيت تومانًا لنفسي لعلّي أحتاج شيئًا، قالت امرأتي: لا يمكن إعداد شيء بأربعة تومانات! قلت: ما أدرانا، لعلّها تُفرج من الآن إلى الظهر. فذهبَتْ هي و اقترضت من بعض أقاربها و أعدّت طعامًا يشبه الأشكنة[3]. و بقيت أنا إلى الظهر في المحل و لم يحصل شيء، فعدت [إلى البيت] فوجدت امرأتي قد ذهبت و استدانت من هنا و هناك و أعدّت الطعام. و ما إن تناولتُ اللقمة الأولى حتّى طُرق الباب، و كان شخص يقول: إنّ فلانًا ـ و كان شخصًا معروفًا في ذلك الزمان ـ يدعوك إلى مائدة الغداء في منزله، و الشيخ [مرتضى] الزاهد أيضًا هناك. لم أزد على اللقمة الّتي أكلتها و ذهبت إلى منزل ذاك الشخص ـ و كان ينقل أيضًا أمورًا عن ذلك الشخص [أي صاحب الدار] ـ و وجدت الشيخ [مرتضى] الزاهد هناك.

نقل الشيخ [مرتضى] الزاهد قضيّة السيّد حسن ابن السيّد حسين أنّه عندما سمع النداء يقول: «أَتظنّون أنّنا غير مطّلعين على أحوالكم؟!» و بمجرّد سماعه هذه الكلمة، كأنّ حاجته قد قُضيت، و كأنّه لم يكن محتاجًا إلى شيء أساسًا!

[يقول النجّار:] قلت في نفسي: كأنّه يقصدني في هذا و ينقل قصّتي أنّي توسّلت بالأمس بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و حسب المعنى، إنّ هذا الأمر مرتبط بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه! و قد قال هذه الكلمة و كأنّه يَصف حالي بقوله، لأنّي أنا أيضًا قد قُضيت حاجتي [مثل السيّد حسن]،

(١) فقرة من دعاء شهر رجب حول الأئمّة الأطهار عليهم السلام؛ إقبال الأعمال، ج٢، ص٦٤٦.

(٢) كتاب النجم الثاقب للمحدّث النوريّ قدّس سرّه.

(٣) نوع طعام يُصنع من السمن و الخضار و البصل و البيض و الطحين.

و عندما وصل إلى قوله «أَتظنّون أنّنا غير مطّلعين على أحوالكم؟» أمسك عن الكلام و لم ينطق بحرف، و وجدت أنّني صرت مثله و كأنّه لم تعد لي حاجة إلى أيّ شيء! كما تحسّن العمل فيما بعد.

ماذا نقول! نحن معرفتنا ناقصة. و على نظّاراتنا بعض الغشاوة، و إلّا فالأئمّة عليهم السلام يروننا.

كم هو الفرق بين هذه الطائفة و تلك الطائفة الّتي تقول: أساسًا الأمر ليس كذلك [و الإمام غير مولود بعد]؛ فإذا أراد الله أن يبدّل «مُلِئَتْ ظُلْمًا وَ جَورًا» إلى «**يمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَ عَدْلًا**»، فإنّه يوجِد الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مباشرة، دون حاجة إلى أن يُبقيه من قبل آلاف السنين إلى ذلك الوقت، و أمثال هذه الكلمات بأنّه ليس حيًّا موجودًا، و إنّما سيوجد فيما بعد[1]؛ و الظاهر أنّ أكثر أهل السُنّة يقبلون هذه الرواية: «**يمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً بَعْدَ مَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**»[2]، و على هذا ـ على ما يبدو ـ فإنّ عملنا نحن خراب [و لا نرى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و إلّا فالأئمّة عليهم السلام يروننا].

إدراك الحقّ قبل الوفاة

يُقال إنّ السيوطيّ كتب كتابًا [يبيّن من خلاله] أنّه رجع إلى الحقّ في نهاية المطاف [أي أنّه استبصر و أذعن بالأئمّة الاثني عشر عليهم السلام]. و على كلّ حال ـ عادةً ـ إن كان هؤلاء عقلاء بمقدار ذرّة واحدة فإنّهم سيعودون في نهاية المطاف، و ربما يكون هذا أحد تأويلات الآية ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[3].

و قال [السيّد محسن الأمين العامليّ]: شاهدت بجانب جبل الصفا خيمة و إيوانًا، و أحدًا اعتلى المنبر، و قال: من كرامات جدّتنا فاطمة عليها السلام أنّ أجساد ذريّتها حرُمت على النار، طبعًا ورد في رواية أخرى أنّها ليست تلك الذرّية الّتي تدّعي الإمامة [بلا حقّ] و تقاتل إمام زمانها، فهذا خارجٌ عن هذا الموضوع، بل أولئك الّذين يعتقدون بالإمامة [للأئمّة الأطهار عليهم السلام]. من كرامات جدّتنا فاطمة عليها السلام أنّ أولادها سيعتقدون بالحقّ قبل الموت و يعترفون به.

---

(١) في إشارة إلى بعض علماء العامّة الّذين يعتقدون بأنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف لم يولد بعدُ، و أنّه يولد عند الظهور!

(٢) الغَيبة (للنعمانيّ)، ص١٨٩؛ راجع: مسند أحمد، ج٣، ص٣٦؛ سنن أبي داود، ج٤، ص١٨٣١.

(٣) سورة النساء، الآية ١٥٩.

ثمّ يقول: كنت صديقًا للشريف عليّ والد الشريف حسين، آخر شرفاء مكّة[1]. مع أنّ الشريف عليّ كان آخرهم إلّا أنّ الشريف حسين أيضًا كان شريف مكّة مدّةً ثمّ خُلع. على كلٍّ، كتب السيّد محسن الأمين العامليّ يقول: كنت صديقًا للشريف عليّ و كان قد أمر الحرّاس [و الحجّاب] أن يفسحوا لي الطريق كلّما دخلت عليهم حتّى أحضر عنده. سمعت [مرّة] الحُجّاب يتكلّمون بهمس ففهمت أنّ الشريف عليّ يكون في حال الاحتضار. دخلت عليه فشاهدت السيّد الّذي اعتلى المنبر قرب الصفا قد حضر عنده و لقّنه الشهادة و إمامة الأئمّة الاثني عشر إلى آخرهم. و هو ردّد كلّ ذلك [خلفه]، و لكن لم يسمع الّذين كانوا هناك كلام المعلِّم و الملقِّن، أنا فقط من سمع، و تبيّن فيما بعد أنّهم لم يروه حتّى، و أنا فقط من رآه، لكنّهم سمعوا [الشريف] يقول: ـ مثلًا ـ عليّ بن أبي طالب وصيّ رسول الله و خليفته حقًّا، و الحسن بن عليّ و الحسين بن عليّ و عليّ بن الحسين إلى إمام الزمان (صلوات الله عليهم أجمعين)؛ ثمّ ذهب. و كان من الحاضرين بعض علماء المذاهب الأربعة، فتناجوا فيما بينهم و قالوا: هل رأيتم كيف يهذي؟! ـ انظروا إلى أيّ درجة كلامهم قريب من قول أوائلهم و رؤسائهم! إنّ أواخرهم توابع لأوائلهم!![2] ـ كان الشريف حسين حاضرًا و قد سمع ما قاله أبوه و ما نسب هؤلاء العلماء إلى أبيه، و لكنّه لم يخف و قال في جوابهم: نعم، فلقد سمعنا عن آبائنا أنّنا في أواخر أعمارنا نذكر اعتقاداتنا الحقّة [عند النزع] و نعتقد بخلافة أوصياء النبيّ صلّى الله عليه وآله.

يقول السيّد محسن: ذهبتُ خلف السيّد الّذي جاء إليه [و لقّن الشريف قبل أن يلفظ أنفاسه] و ذهب، و سألت الحجّاب فقالوا جميعهم: لا، لم نرَ شخصًا كهذا قد جاء و خرج![3]

---

(١) الحسين بن عليّ الهاشمي (المتوفّى سنة ١٣٥٠هـ)، من الأسرة الهاشميّة الّتي حكمت كامل منطقة الحجاز و تسلّمت شرافة مكّة، و أوّل من نادى باستقلال العرب من حكم الدولة العثمانيّة.

(٢) إشارة إلى الخليفة الثاني الّذي وصف النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله عندما كان يحتضر: «إنّ الرَّجُلَ لَيَهْجُر»!!

(٣) نقل المرحوم الشريف الرازي، مؤلّف كتاب «گنجينه دانشمندان»، هذه القصّة بالتفصيل في كتاب كرامات الصالحين، و قد أورد سندها كالتالي: «ذكر لي الحاجّ الميرزا عليّ الحيدريّ الطهرانيّ المعروف بصنيع الدولة هذه الحادثة الممتعة عن المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ إسحاق الرشتيّ، و قد سمعتها منه شخصيًّا أيضًا حين عودتي من الحجّ بعد أن وفّقت للقائه في الشام و استفسرت منه عن كيفيّة حصول القضيّة». و مع الأخذ في الحسبان أنّ إقامة المرحوم السيّد الأمين كانت في الشام، فالظاهر أنّه سمعها منه و نقلها دون واسطة. و لتفصيل ذلك راجع كتاب: كرامات الصالحين، لمحمّد شريف الرازيّ، ص٩١ ـ ٩٥.

يحبّهم ويحبّونه

لقد نقل بعض الّذين رأوا الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف [أنّه في بعض اللقاءات كانت] عمامته عمامة العجم.[1] من هنا يُعلم أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يودّ الإيرانيّين و يرغب إليهم[2].

العمل الّذي يرضاه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف

يقول أحدهم: كنت في محضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لكنّي لم أكن أعلم أنّي في محضر مَن أكون! تحاورنا معًا قليلًا، و بعد أن انتهى لقاؤنا التفتُّ إلى نفسي فجأة، يا للهول! أين كنت؟ و في حضرة مَن كنت؟ من كان هذا السيّد؟ و لكن بعد أن فات الأوان! ثمّ يكمل و يقول: خلال حديثي معه قلت له: أرغب القيام بعمل ما، عمل أعلم أنّه محلّ عناية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أنّي إن قمت بذاك العمل فسأكون مورد عنايته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، عمل حسن يرتضيه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و هكذا كنت أكرّر ذلك، فقال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إنّ أحد الأعمال الّتي تكون موردًا للعناية كثيرًا هو أن تقرأ دعاء: «اللّهُمَّ كن لِوَلِيّكَ...» بمجرد أن يرتفع صوت الأذان! و هذا [النقل] مطابقٌ للاعتبار جدًّا!

هذه الوردة من الخَرِبَة!

أعطى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مرّةً أحدَهم وردة و قال: «هذه مِنَ الْخَراباتِ». و ربما يكون المراد من تعبير حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف هذا أنّ منبع هذه الوردة هو الخَرِبة![3]

عصايَ هذه من هناك!

وصل أحدهم إلى أحد مشايخ [علماء] النجف الأشرف و قال له: أيّها السيّد، هل الجزيرة الخضراء ثابتة؟ و هل هي موجودة؟! كانت في يده عصا، فقال: عصايَ هذه من هناك![4]

---

(١) للمثال راجع: النجم الثاقب، ج٢، ص٧١٩، حكاية ٧١.

(٢) لقد قال سماحة الشيخ رحمه الله هذا البيان بعد أن نقل مطلبًا عن العامّة الّذين كانوا يحاولون التعريض بالعجم استنادًا إلى بعض الروايات. فكان سماحته رحمه الله يُذكّر أنّ استنتاجهم هذا ناشئ من نظرتهم السطحيّة إلى الروايات و قلّة درايتهم بها، و أنّ المعنى الصحيح لأمثال هذه الروايات قد بُيّن على ألسنة أهل البيت عليهم السلام.

(٣) النجم الثاقب، ج٢، ص٧٠٤، حكاية ٦٦.

(٤) قد يجهل البعض ـ بسبب عدم علمه بموازين العلماء العِظام و الفقهاء الأجلّاء و مبانيهم ـ سبب نقل أمثال هذه القضيّة المذكورة في المتن، و قد يظنّ أنّها كلام مبنيّ على الذوقيّات، إلّا أنّ هذا غير صحيح مطلقًا، إذ

حضور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في مِنى و عرفات

إنّ حضور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في مِنى و عرفات و المزدلفة و [أمثالها من الأماكن]، ليس هو من الأمور الّتي كُتبت أو نُقلت مرّةً أو مرّتين أو عشرات المرّات. إنّ هؤلاء العظماء عليهم السلام يهتمّون بتلك الأماكن إلى هذا الحدّ [من الاهتمام] حتّى يصبح معه ثابتًا بين المسلمين أنّ هذه الأماكن من المقدّسات.

نتوقّع البشائر

نسأل الله أن يرزقنا توفيق القيام بالتكليف. فالذي نتوقّعه [أن تحصل لقاءات] ـ و إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سيحضر هناك (أي في مناسك الحجّ) قطعًا[1]، فالبعض يرونه حتمًا و لو لم يعرفوه ـ و نحن ننتظر البشائر الّتي ستُنقل [إلينا]. هناك احتمال قويّ أن يوفّق للقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذين يحضرون في [مناسك] الحجّ.

حاشى للعالِم أن يتحدّث من غير طريق العلم و أصوله، بل هو يتحدّث بناءً على أسس متينة و قواعد علميّة دقيقة، فكيف إذا كان ذلك العالِم من فحول علماء الشيعة و أعاظمهم، و من أفقه فقهائهم و أقدسهم، الّذي كان شديد الاحتياط و دقيقًا جدًّا في نسب الأخبار و الروايات إلى الأئمّة الأطهار عليهم السلام و في قبول الصحيح و رفض السقيم، و كان يبتني في كلامه على أدلّة عقليّة و نقليّة. و لذا لا بدّ في أمثال القضيّة الّتي نقلها سماحته قدس سره في المتن من ذكر جانبها العلميّ الّذي قد يخفى على الكثير، ليتبيّن أنّ هناك شواهد علميّة قويّة و أدلّة متينة يعتمد عليها العلماء العظام عند ذكر أمثال هذه القضايا لأهل العلم و التحقيق. لذلك كُتب بحث علميّ حول خبر الجزيرة الخضراء و قد سُعي ليكون من أدقّ ما كُتب حوله، حتّى يستفيد منه أهل العلم و التحقيق بإذن الله تعالى، و من يرغب بمطالعته يمكنه مراجعة الملحق الخامس في الصفحة ٩١٧ من هذا الكتاب.

(١) المقصود هو مناسك الحجّ، و من الجدير بالذكر أنّ سماحته قال هذه الكلمات في معرض جوابه لأحد فضلاء بعثة الحجّ الّذي كان يقدّم تقريرًا بأخبار موسم الحجّ، و قد أشار فيه إلى كثرة المراجعات الّتي وصلته من مقلّدي سماحة الشيخ قدس سره من بلدان مختلفة، يطلبون فيها رسالته العمليّة بلغات مختلفة كالعربيّة و الإنكليزيّة و التركيّة، لكنّ آية الله الشيخ البهجة قدس سره الّذي كان ذائبًا في عشق الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف لم يكن يكترث لمثل هذه الأمور قطّ و لم يكن سماع هذه الأخبار ليفرحه أبدًا، فتفاجأ ذلك الشخص عندما غيّر سماحة الشيخ قدس سره مسار الكلام و نبّهه إلى أنّ الّذي يعدّ بالنسبة إليه بشارة و خبرًا سارًّا هو الإخبار عن التشرّف بمحضر الإمام عليه السلام. و هذه الكلمات الموجزة لسماحته تتضمّن نكتة أخلاقيّة عميقة جدًّا لا يدركها جيّدًا سوى الشخص الّذي يكون في مقام المرجعيّة و امتحاناتها!

❁ شتّان بين هذا و ذاك!

كم هو الفارق بين الّذي يتشرّف بالذهاب إلى الحجّ على أمل أن يلتقي الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف هناك و بين الّذي لا يُفكّر في ذلك، أو إن كان يفكّر في ذلك و لم يحصل له [اللقاء]، فإنّه يقول ـ نعوذ بالله ـ هذه الأمور كذب!

❁ سؤالان مهمّان يُطرحان على الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف عند لقائه

قلت لأحد السادة الّذي يتشرّف بالذهاب إلى الحجّ: كونوا ملتفتين، ربما تحصل لكم تشرّفات، فهناك تشرّف الكثيرون [بلقاء الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف]، فالإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف يحضر كلّ سنة في موسم الحجّ، في مِنى، و في عرفات، و في مكّة، و في المدينة، التفت! فالكثيرون تشرّفوا بمحضره. لكنّ هذا المطلب مهمٌّ، و هو أنّكم إذا تشرّفتم بمحضره لا تسألوه: ادعُ الله لنا كي يرزقنا زوجة أو أن يعطينا منزلًا، أو أن يرفع عنّا المرض. فجميع هذه الأمور جيّدة و صحيحة، لكن ليست لها تلك الأهمّيّة ليبتدئ بها الإنسان في سؤاله إذا كان في محضر المَلِك، يجب أن يرى متى يحين وقت طلب تلك الحاجات الشخصيّة.

أذكر أنّ جماعةً كانوا معتكفين في مسجد الكوفة، فنقل أحدهم ـ و كان مقيمًا بقمّ ـ حلمتُ بالإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف فقال: هؤلاء الّذين حضروا هنا هم من خيار المؤمنين، و لكن انظروا، أحدهم يقول أريد زوجة، و آخر يقول أريد منزلًا، ذاك يقول أريد مالًا، و آخر يقول أريد أداء دَيْن، و ذاك يقول: أريد الشفاء، و لا أحد يفكّر فيّ! لقد نقل الشيخ إبراهيم صاحب الزمانيّ هذه القضيّة و أنّ الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف قال له هذا [الكلام] في الرؤيا. طبعًا، هذا لا يحتاج إلى الرؤيا، فمن المعلوم أنّنا جميعنا نفكّر في حوائجنا، في حين أنّه يجب علينا التفكير فيه عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّريف إذ نعلم أنّ نفعه يعود علينا و على الجميع. [نفع] ويا له من نفع! النفع الّذي هو أهمّ ضروريّاتنا! و الحاصل قلنا: خذوا هذين الأمرين في الحسبان، فإذا رزق الله التوفيق و تشرّفتم باللقاء، فسَلوه أوّلًا: هل الفرج بعيد أم قريب؟ إذا هو بعيد فنحن خاضعون و مسلّمون، أليست القيامة حقًّا؟ فإذا علِمنا أنّها تقوم بعد غدٍ [هل] نصبر ثمّ في ذلك الوقت نؤمن بها؟ لا، ليس هكذا! بل نكون مسلّمين، فإذا كان بعيدًا نسلّم و إذا كان قريبًا نسلِّم أيضًا. إذا كان [الفرج] قريبًا جدًّا فأنبِئنا حتّى نُخبر الّذين نرى من المصلحة إخبارهم كي يكونوا مُهيّئين. في النهاية، لا يخلو إمّا أنّه بعيدٌ و إمّا أنّه قريب، فإن كان قريبًا فأخبرنا، و إن كان بعيدًا فلا تقل إنّه قريب لأنّنا على

كلّ حال مسلّمون[1]. هذا أمر، و الأمر الآخر: [سَلْه] نريد أن نعلم إذا كان [الظهور] بعيدًا فهل هناك سبيلٌ إلى ذلك اللّاسلكيّ [أي الارتباط الخاصّ][2]؟ كي يكون المؤمن الصالح في الابتلاءات العامّة و الخاصّة على شيءٍ من الاطّلاع، و لا يكون أعمى البصيرة فلا يعرف أصلًا ما كان و ما سيكون! ضعوا هذين المطلبين نصب أعينكم، و قد ذكّرنا بهذه الأمور بعض الّذين ودّعوا لسفر الحجّ.

نحن قد ذكّرنا من ودّعنا لسفر الحجّ أنّه إن وضعتم نظّارات [التقوى على أعينكم] فمن الممكن أن تتشرّفوا بمحضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و يحصل [لكم] اللقاء!

لماذا يقنعون و يكتفون باللقاء؟!

لا أعلم لماذا يغفل الّذين ينالون شرف لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف عن أن يسألوه عن فرج حضرته، فيكتفون بمجرّد الوصول إلى محضره و لقائه؟! و إن كان هذا أمرًا جيّدًا أيضًا، لكن يجب السؤال عن طريق الفرج و التخلّص من جميع هذه الشدائد و المخاطر الّتي حدثت لأهل الإيمان. حتّى أنا لم أكن أذكر أن أقول لهم لماذا كنتم غافلين عن هذا الأمر. و قد اتّفق أن رأى أحدهم الأسبوع الماضي الإمامَ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في المنام، قلت له: في أيّ سنٍّ كان الإمام عليه السلام عندما رأيته؟ قال: قريبٌ من شخصٍ في الستّين من عمره، و كان شعره موشّحًا بالبياض، و كان واضعًا كوفيّة على رأسه، لا عمامة.

لا تنسَ الصلاة في أوّل وقتها!

مع كلّ ما يجري على المسلمين، هل يذهب المرء [إلى مناسك الحجّ أو المشاهد المقدّسة] و يعود و لا يفكّر أبدًا [في لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف]؟[3] في حين أنّ [الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] يقوم بالأمور كلّها على أكمل وجه، و لا يمتنع [عليه] سوى إظهار نفسه و التعريف بشخصه، و إلّا فإنّه يقوم بجميع الأمور.

---

(١) هناك بيانات صادرة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام تفيد بأنّ الشيعة «تُرَبّى بِالأَمَاني» بسبب عدم قدرتهم على تحمّل تأخُّر حصول الفرج، و توضيح ذلك تقدّم في الصفحة ٤٢٨.

(٢) لقد تقدّم ذكر سبب استخدام سماحة الشيخ قدّس سرّه لكلمة اللاسلكيّ و مقصوده بها في التعبير عن الارتباط الخاصّ بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ راجع الصفحة ٧٢٧.

(٣) في أحد الأيّام سأل سماحة الشيخ قدّس سرّه أحد الفضلاء إن كان يتشرّف إلى محضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف عندما يذهب إلى الحجّ، و بعد أن ارتبك ذلك الفاضل في الجواب، قال سماحته قدّس سرّه هذا الكلام المذكور في المتن.

كان أحدهم ينقل: ذهبت إلى ألمانيا من أجل الدراسة، ثمّ أردت العودة إلى إيران بعد أن أكملت دراستي، [فاستأجرت سيّارة]، و لست أدري لأيّ سببٍ سلك السائق طريقًا غير مألوفة [و غير رئيسيّة]، و لم يكن يسلكها أحد. لم نكن بعدُ قد خرجنا من ألمانيا، و إذا بعطلٍ يطرأ فيوقِف سيّارته [عن السير]. و كلّما حاول السائق إصلاحها و توغّل، وجد أن لا سبيل إلى ذلك. و كنّا في موضعٍ لا تتردّد إليه السيّارات الأخرى، كأنّ الطريق خاصّة فلا يسلكها أحد و أنّها طريقٌ غير سالكة. و على أيّ حال كان ذلك الشخص يقول: إذا لم أذهب في حينها إلى إيران، فكان يتحتّم عليَّ أن أبقى في ألمانيا سنة كاملة ـ لا أعلم أيّ قانونٍ أو نظام يكون حتّى بناءً عليه يجب تأجيل عودته إلى إيران سنة كاملة ـ ، و قد سبق لي أن سمعت من أبي يقول: إذا وقعتَ في ورطة، فتوسّل بإمام الزمان ﷻ. و بالفعل قمت بتوسّل ما، و كان السائق مشغولًا بمحاولة إصلاح [محرّك] السيّارة لكنّه لم يتمكّن من فعل شيء. فجأة رأينا سيّارة تجتاز الطريق الّتي سلكناها، و قد أدرك ركّابها أنّ لدينا عطلًا في السيّارة، فتوقّفوا، و كان كلّ ركّابها من العرب. و كان السائق قد فتح غطاء محرّك السيّارة و وضع رأسه تحته محاولًا إصلاح العطل. فنزل أحد الركاب و كان يرتدي زيًّا عربيًّا، و أخذ يتحدّث إلى السائق باللغة الألمانيّة، و قال له: ضع يدك على ذاك الجزء [من المحرّك]. فأجابه السائق: أيّها السيّد لقد تفحّصته، لكنّ العطل ليس فيه، بل هو في الجزء الفلانيّ و لا تتوفّر لدينا الآن قطعة بديلة. فقال له العربيّ: لا بأس، ضع يدك على ذاك الجزء [الذي أقول لك عنه]. فقال السائق: لقد قلت لكم: إنّني وضعت يدي عليه و أنا متيقّن بأنّ العطل ليس هناك! فقال الرجل العربيّ: لأنّي أقول، ضع يدك هناك ـ و كأنّ القضيّة تعبّدية! ـ فما إن وضع السائق يده على ذلك الجزء حتّى عاد محرّك السيارة إلى العمل. كان ذلك الشخص يقول: إلى آخر لحظة، كان جميع ما تكلّم به الرجل العربيّ مع السائق باللغة الألمانيّة، و لكن عندما عاد المحرّك إلى العمل و أراد الرجل العربيّ أن يذهب، التفت إليّ [و خاطبني باللغة الفارسيّة] و ذكر اسمي أيضًا [قائلاً]: «يا محمّد، لا تنسَ الصلاة في أوّل وقتها!». و منذ ذلك الحين أصبح مُتيّمًا باسم صاحب الزمان ﷻ، على قدر ما كان ذلك الابتلاء مهمًّا بالنسبة إليه. [فكان إذا سمع] فقيرًا يذكر اسم صاحب الزمان، و كان معه شيء من المال يعطيه إيّاه، و إن لم يكن يحمل مالًا، يعطيه ساعته الّتي يلبسها! إلى هذا الحدّ [أصبح هائمًا بصاحب الزمان ﷻ].

إنّ أمر هؤلاء [الأئمّة الهداة عليهم السلام و مقاماتهم]، لا يقلّ عن الخضر و إلياس و أمثالهما، فهم لديهم جميع الأمور [و المقامات و المعجزات]. و كان [الإمام عليه السلام] يقول: كنت في الحرب أنظر في الأصلاب، فإن رأيت في صلبه مسلمًا لم أكن أقتله![1] لديهم مقامات كهذه أيضًا!

و الحاصل، لو أنّ شخصًا يفكّر فيهم [الأئمّة الأطهار عليهم السلام و لا سيّما إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف]، و لو حسب الظاهر يُقرِئهم سلامًا فقط، فإنّهم سوف يردّون سلامه، و إن لم يكن شيعيًّا، [بل] حتّى إذا لم يكن مُسلمًا.

إنّه [الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف] كالشمس إذا احتجبت خلف السحاب[2]، يقوم بجميع شؤونه. و يجب هناك [أي في مواطن الحجّ] بل و في سائر المشاهد، أن يكون المرء ملتفتًا [إلى حضور الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف].

لماذا لا يتشرّف الحجّاج بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ؟!

لا أدري لماذا كلّ هؤلاء الّذين يذهبون إلى الحجّ لا يصلون إلى خدمة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف ؟! مع أنّه ـ على وفق القاعدة ـ يحضر موسم الحجّ. و السبب من وجهة نظري أن لا أحد يكون جادًّا في ميله للتشرّف بمحضر حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و الجميع يقول إن حصل أن نراه عجّل الله تعالى فرجه الشريف فلا بأس! و لكن لا يسعون للوصول إلى حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف حقيقة و بجدّ. و كأنّه ليس مهمًّا لهم إن التقوا بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أم لا! يجب أن يكون [المرء] جادًّا من أجل هذا الأمر، جادًّا بنحو كامل!

لا تحارب أسرار الله![3]

كان هناك شخص يرغب كثيرًا بالتشرّف بمحضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كان هائمًا و حاله محيّرًا، و لا يهدأ له قرار[4]. و يقول لكلّ من يلتقيه: أقسم عليك إن كنت تعلم ختمًا معيّنًا[5] أعطني إيّاه حتّى أتشرّف بمحضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أكاد أموت! أكاد أعجز عن الحياة! حتّى إنّه كان

(١) راجع: علل الشرائع، ج١، ص١٤٧.

(٢) فإنّ الشمس الّتي تكون خلف السحاب، تقوم بجميع شؤونها، و إن لم ترها الأعيُن.

(٣) ذكر سماحته هذه القصّة مرارًا، و هي منقولةٌ هنا عن أحد أعضاء لجنة الاستفتاء عن لسان الشيخ المقدّس قدّس سرّه.

(٤) كان سماحته قدّس سرّه ينقل الكثير من العبارات العجيبة عن حالته.

(٥) الذكر أو الدعاء الّذي يُقرأ بشروط خاصّة، من قبيل العدد أو الوقت مثلًا، يعبّر عنه بالختم أو الختميّة.

يقول: ذهبتُ إلى السيّد الطباطبائيّ[1] و قلت له: أعطني ختمًا [أو ذكرًا]. فقال لي: هل تريد أن أريك صورة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟ فانزعج [ذلك الشخص] و قال: إذا كانت صورة ليلى تكفي المجنون فصورة [الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] تكفيني! و كان يقول: لست أطلب الرؤيا و المكاشفة و ما شابه ذلك، فهذه الأمور رأيتها كثيرًا إلى ما شاء الله! حتّى إنّني في إحدى المرّات كنت بمحضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كانت [الأمور] شفّافة و واضحة جدًّا، لكن بعد أن التفتُّ إلى نفسي وجدت المصحف بيدي، في حين أنّه لمّا كنت في محضره عجّل الله تعالى فرجه الشريف لم يكن في يدي مصحف! من هنا علمت أنّها كانت مكاشفة. أنا لا أريد مكاشفة، يجب أن أرى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف هنا [و في هذا العالم] لا في منام و لا مكاشفة! و كان مُصرًّا جدًّا. و كان يقول كثيرًا: أساسًا لم أكن أنا الّذي سعيت خلف هذه الأمور، هو الّذي أتى [إليّ]! هو الّذي جعلني متيّمًا! هو الّذي جعلني هائمًا و مجنونًا! ثمّ الآن يقولون: «لا تحارب أسرار الله»! و كان يقول: الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو من بدأ أوّلًا و الآن أنا أصبحت عاشقًا و هائمًا! و كان ينقل [سبب ولهه هكذا]: «ذات مرّة كنت في المدينة [المنوّرة] خلف شباك البقيع، قريبًا إلى قبر إبراهيم ابن النبيّ عليهما السلام. كنت واضعًا رأسي على الشباك و أنظر إلى القبور. فجأة لم أدرِ في أيّ حال أنا، و إذا بي أرى سيّدًا شريفًا قد أقبل. لم أكن ملتفتًا أبدًا إلى وجود سور و شباك هناك. جاء السيّد و كان جليلًا جدًّا، ثمّ تقدّم و هو على هيئته الخاصّة، في حين أنّه لو رآه رجال الشرطة لزجروه و منعوه و هدّدوه، و كانوا قد وضعوا حول القبر هناك حجارةً، لكن هذا السيّد كان يتخطّى الأحجار و يقترب إلى القبر نفسه. و بدأ يقرأ أذكارًا قرب قبر إبراهيم ابن النبيّ عليهما السلام و أنا كنت أقول في نفسي: يا لها من جرأة! لا يخاف من أعيُن الحرّاس أبدًا أن يروه قد تجاوز الأحجار فيتعقّبوه ـ لكن كان باديًا على وجهه و سيمائه أنّه من أشراف المدينة ـ و هكذا كانت تخطر على بالي هذه الأسئلة. كنت لا أزال أنظر إليه و أساسًا لا ألتفت إلى وجود شباك هناك. و لم أكن ملتفتًا إلى تلك الأمور، وكنت فقط أنظر إليه. ترادفت في ذهني هذه العبارات: يا له من سيّد جليل! يا له من سيّد شريف! يا لها من جرأة! لأذهب و أقبّل يده! و بمجرّد أن وصلتُ في ذهني إلى هذه الكلمة بأن أذهب و أقبّل يده، التفت و نظر إليّ بعينَيه نظرة حادّة! كان هذا التصرّف منه سببًا لانقطاع حديث نفسي. كان السيّد مشغولًا بقراءة الأذكار و لم أكن أعلم ماذا يقول و يقرأ، و بعد لحظات قلت في نفسي مجدّدًا: أيّ جرأة لديه! يا له من سيّد! يا له من جلال! يا لها من هيبة! لا يخاف الحرّاس ـ لكن كان واضحًا أنّه من أشراف المدينة ـ لأذهب و أقبّل يده! و ما

---

[1] المقصود هو العلّامة الطباطبائيّ رحمه الله صاحب تفسير الميزان.

إن قلت في نفسي هذا الكلام مجدّدًا حتّى نظر إليّ نظرة ذات هيبة و حدّة. تكرّر هذا الأمر مرّتين أو ثلاث مرّات، بأن أفكّر في الذهاب لتقبيل يده فينظر إليّ تلك النظرة الحادّة، إلى أن أراد الخروج و مرّ أمام ناظريّ و تعدّى سور البقيع. فذهبت لأرى أين يذهب، لكن بمجرّد أن خرج من حائط البقيع لم يعد موجودًا، مع أنّي تبعته إلى هناك لكنّني لم أره! بعد أن ذهب التفتّ إلى نفسي، و إذ بي لا أزال خلف شباك البقيع و الناس في هذا الجانب [من الشباك]، و لا يوجد أحدٌ في الجانب الآخر! فكيف عَبَر هذا السيّد الشباك و السور و ذهب إلى ذاك الجانب؟ و ما إن رأيت ذلك حتّى انقلبت حالي، و منذ ذلك الوقت أصبحت ألتمس بكلّ وجودي من هذا و ذاك لعلّي أستطيع أن أتشرّف بمحضره عجّل الله تعالى فرجه الشريف مجدّدًا».

كنتُ[1] أعلم ختمًا عجيبًا جدًّا و مهمًّا جدًّا، كما كان طويلًا، و من كثرة إصراره و التماسه علّمته إيّاه. فقد كان يلتمس ذلك مِن كلّ مَن يلتقي به. خلاصة الأمر، علّمته الختم و ذهب.[2] في اليوم الثالث عشر أو الرابع عشر جاء إليّ و قال بحدّة: هذا الختم الّذي علّمتني إيّاه لم يعطِ نتيجة![3] قلت: ماذا حصل؟ قال: واظبت على هذا الختم إلى اليوم الثالث عشر في الحجرة وحدي. و في اليوم الثالث عشر، كنت في الحجرة و لم يكن هناك أحد، كنت بمفردي و السبحة في يدي، لكن دون أن أرى أحدًا، جاء أحدهم و سحب السبحة من يدي و ضربها بالحائط بقوّة، حتّى انقطع خيطها و تناثرت على الأرض. انتشرت حبّاتها و ضاع [عدد أذكار] الختم من يدي، و طَرَقَ صوتٌ مسمَعي يقول: «لا تُحارِب أسرار الله!».

بشّرته بالجنّة!

بعض الّذين تشرّفوا [إلى محضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] مرارًا، نقلوا هذه العبارة: «مَنْ بَشَّرني بِقَتلِ عَبدِ الله، بَشَّرتُهُ بِالجَنّةِ!»[4].

---

(١) المراد سماحة آية الله الشيخ البهجة أعلى الله مقامه.

(٢) هناك عملٌ يؤدّي إلى تلك الغاية الشريفة يتضمّن قراءة ذكرين شريفين بعدد مائتين و ستّ و خمسين مرّة.

(٣) في الحقيقة، إنّ هذا الشخص لم يوفّق لإتمام الختم، لأنّ الختم لم يؤدّ إلى النتيجة المطلوبة. و لذلك إذا كان من المقرّر أن يتشرّف ذلك الشخص بلقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لكان وفّق لإتمام الختم، و هذا الأمر يعدّ من لطائف هذا الختم.

(٤) من الجدير بالذكر أنّ هذا الكلام الّذي يحكي عن شدّة نفور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف من ذلك الخبيث، قريبٌ إلى الرواية المذكورة في كتاب الغيبة (للطوسيّ)، ص٤٤٧.

أُلهمت هذه الفتوى في السرداب المقدّس

قال السيّد محمّد الفشاركيّ للميرزا الشيرازيّ: اسمحوا لي أن أضع ساعة واحدة آداب التلميذ و احترامه [لأستاذه] جانبًا و أتحدّث معكم، [ثمّ قال:] أنت سيّد من ذريّة النبيّ ﷺ، لماذا لا تُصدر الفتوى بتحريم التنباك؟ هل تخاف أن يقتلوك؟ نحن نفتخر أن يقتلوا أستاذنا في هذا الطريق! قال له الميرزا: نعم، عندما كنت متشرّفًا في السرداب المقدّس ـ ظاهرًا أنّه ذهب إلى ذلك المكان المخصوص الّذي ليس الجميع يعرفونه ـ و توسّلت، فأُعطيت هذه الفتوى: إنّ استعمال التنباك و التتن [بأيّ نحوٍ كان] يُعدّ محاربة لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف. [و كان أثر هذا إلى درجة] أنّ أحد أصحاب الحوانيت في أصفهان، أرسل يسأل: إن احتفظنا بالكيس الّذي كان فيه التنباك هل يعدّ ذلك استعمالًا؟

الإلهام المصيريّ

إذا كان عِلم الإنسان مطابقًا لإيمانه فهذا جيّدٌ جدًا، و إنّ العلماء السابقين لم يكونوا يفصلون بين العلم و الإيمان. قال الميرزا الشيرازيّ الكبير(١) في قضيّة تحريم التنباك: إنّ علّة هذا الحكم الّذي حكمتُ به هو أنّني زرت الإمام الصاحب عجّل الله تعالى فرجه الشريف في سرداب سامرّاء و هناك أُلهمت هذا الحكم! هل يمكن أن لا يحظى المرء بالمعنويّة لكن تحصل له هذه الإفاضة [و يُلهم] بأن يذهب إلى السرداب؟! لذا، قال في جواب السيّد محمّد الفشاركيّ ـ الّذي كان يتكلّم بانفعالٍ [من الوضع القائم] و كثيرًا ما يعترض ـ سائلًا بعد أن استأذن في إسقاط آداب المتعلّم مع أستاذه و أخذ منه الإجازة في ذلك: أنت سيّد من ذريّة النبيّ ﷺ، لماذا لا تصدر حكمًا [في هذه القضيّة]؟ هل تخاف أن تُقتل في هذا السبيل؟! فأجاب سماحته: القتل افتخارنا!

من يد الحبيب...

أين هم [أصحاب المقامات المعنويّة]، أين رحلوا؟ سمعت بنفسي من أحد السادة الّذي كان معظَّمًا جدًّا، و كان مقدّسًا و جليلًا و عالِمًا رحمه الله يقول: كنت عائدًا من مسجد السهلة إلى النجف، فالتقيت بسيّدٍ جليلٍ ـ لكن بالنسبة إلى الكلام الّذي دار بينهما فإمّا أنّه لم

(١) سماحة آية الله السيد محمّد حسن الشيرازيّ (المتوفّى سنة ١٣١٢هـ)، صاحب فتوى تحريم التنباك.

ينقله و إمّا أنّه لم يبقَ في ذاكرتي ـ يقول: أعطاني قبضة من التمر، وكان التمر يابسًا لا رطبًا جنيًّا. أخذته و عدت إلى المنزل، ثمّ التفتُّ إلى أنّ التمر مع كون حبّاته كبيرةً و جيّدةً، إلّا أنّها ليس فيها نوى، و لم تكن بحيث إنّ نواتها قد أخرجت منها! تعجّبت و ذهبت نحو بعض العرب الموجودين في المنطقة، و سألت بعضهم و بعضًا من أصحاب الحوانيت [أيضًا]: هل يمكن أن يكون هناك تمر حبّته كبيرة و طويلة و لا يكون فيه نوى؟ قالوا: لا أبدًا، لا يُمكن ذلك! قد يوجد التمر الصغير الّذي ليس فيه نوى، لكنّه صغيرٌ جدًّا و ضائعٌ بين حبّات التمر، و قد شوهد مثله كثيرًا، لكنّنا لم نرَ إلى الآن تمرًا كبيرًا دون نوى! سألت آخر: قال أيضًا لم أرَ [تمرًا بهذه الأوصاف]! سألت العرب و أصحاب الحوانيت وكلّ من له بستان نخل، فقالوا: كلّا، لا يوجد أبدًا شيء كما تصفه، بأن يكون تمرٌ بلا نوى. و اجتمعوا على القول إنّه لا يمكن ذلك أساسًا! كان يقول: بقيَت هذه التمرات مدّة في منزلنا، نأكل منها شيئًا لكنّها تبقى كما هي. بقيَت هذه التمرات الخمس إلى مدّة، و بعدها لا أدري ما الّذي حصل و لقد غفلنا و لم ندرك كيف لم يبقَ منها شيء.

و الحاصل، ليست هذه الأمور [و هذه الكرامات] فحسب، بل هناك الكثير ممّن رأوا الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تشرّفوا بمحضره، و لو لم يكونوا قد علموا [في حينه] أنّهم في محضر مَن. و لا أعلم أو أذكر أحدًا قال: تشرّفتُ بمحضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و في اللحظة نفسها عرفت و علمت أنّني في محضر مَن!

هل نأخذه معنا؟!

رأينا أشخاصًا كانوا مدّعين أنّهم تشرّفوا بمحضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وكان أحد أولئك [الأشخاص] معروفًا في زمانه. مع أنّي لم أسمع [القصّة الّتي سأنقلها] من [صاحب التشرّف] مباشرةً، لقد رأيته لكنّي لم أسمع منه هو أنّه تشرّف بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، إلّا أنّه كان معروفًا في النجف أنّهم ينقلون تشرّفَين للشيخ محمّد الكوفيّ رحمه الله[1]. أحدهما أنّه كان في إحدى الليالي جالسًا في المنزل، فسمع هاتفًا يقول: إن كنت تريد أن تتشرّف بمحضر الإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف فقم و امضِ إلى مسجد السهلة! و لكن بما أنّ الوقت كان ليلًا و الطريق مخوفة وكان بعض

(١) إنّ تشرّف سماحة الشيخ محمّد الكوفيّ رحمه الله بزيارة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يقتصر على هذين اللقاءين، بَيد أنّ هذين اللقاءين كانا في النجف الأشرف مشهورين جدًّا. كما أنّه كان واسطة في إيصال رقعة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف المباركة إلى آية الله السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ رحمه الله.

[قطّاع الطرق من] العرب يقتلون الناس، لم يعتنِ بذاك الصوت. ثمّ تكرّر الصوت لمرّة ثانية و ثالثة، فقالت له امرأته: اذهب. و في النهاية انطلق، و عندما وصل قريبًا من باب المسجد رأى فتىً عربيًّا واقفًا يحمل خنجرًا، فخشي [و قال في نفسه:] قد وقعت فيما كنت أوجل منه! سلّم كلّ منهما على الآخر، و لكنّه كان لا يزال في قلبه خائفًا، و ذلك السيّد كان ينظر إليه و يبتسم، ثمّ تقدّم نحو باب المسجد و نادى يا سيّد فلان، فجاء أحدهم و فتح الباب، فذهب الفتى نحو أحد مقامات المسجد و ذهب الشيخ محمّد إلى مقامٍ آخر و انشغل بالصلاة. و لم أعد أذكر ماذا حصل بالنسبة إلى صلاة الصبح. على أيّ حال، بعد مدّة رأى أنّ الخادم جاء كي يفتح باب المسجد!

القضيّة الثانية: أنّه كان في مسجد الكوفة، و إذ به يرى ثلاثة أشخاص، أحدهم مستلقٍ و آخران إلى جواره و هما يتحدّثان، فوجّه أحد الجالسَين إلى الشيخ محمّد أسئلةً مختلفة. و سأل كثيرًا عن علماء النجف و أحوالهم، حتّى إنّه سأل عن السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ الّذي لم يكن قد تصدّى للرئاسة بعد [و لم يكن الكلام عن رئاسته قد طُرح أساسًا]. و الحاصل، [كان الشيخ محمّد يقول:] كان يسألني عنهم فردًا فردًا و كنت أجيبه. بعد ذلك سألت [أحد الجالسين]: من يكون هذا السيّد [المستلقي]؟ فأجاب: هو سيّد العالَم. قلت: العالِم (بكسر اللام) أم العالَم (بفتح اللام)؟ قال: العالَم. فتعجّبت أنّه عبّر عن أحد العلماء بهذا التعبير، أي سيّد العالَم! ثمّ دار حديثٌ بيننا و أخبرني بأمور. و في أثناء حديثه قال [السيّد المستلقي] كلمة لذلك الشخص [الجالس]، بمعنى أن يسكت أو أن يكفّ عن الكلام في هذا المطلب! و لم يمض وقتٌ حتّى حان وقت الصلاة ـ ربما كانت صلاة الفجر ـ و أقام السيّد صلاةَ جماعة. بعد انتهاء الصلاة رأيت أنّ أحدهم جاء و قال لذلك السيّد الّذي أَمّ الجماعة: أنصحب معنا الشيخ محمّدًا؟ فأجاب: ليس بعد، هناك ثلاثة امتحانات يجب عليه اجتيازها، واحدٌ في سنة كذا، و واحد في سنة كذا، و الأخير في سنة كذا. إن خرج من هذه الامتحانات سالمًا نأخذه معنا و إلّا فلا! و كانوا ينقلون: أنّ الشيخ محمّدًا كان قد قال: لقد تحقّق اثنان منها، و أنا بانتظار الثالث، و لكن أظنّ أنّه توفّي في النجف قبل أن يتحقّق الثالث(1). عندما عدنا نحن من العتبات [إلى إيران] كان الشيخ محمّد الكوفيّ لا يزال على قيد الحياة، و لا أذكر كيف و متى توفّي.

(١) أي إنّ الموت قد حال بينه و بين الامتحان الثالث، و بذلك لم يتحقّق شرط الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

الآن أيضًا هناك أشخاص لديهم ارتباط مع الإمام ﷻ، لكن ليس من المقرّر أن يُعرّفوا بوجود أمثال هذه المطالب عندهم!

ليس غائبًا عن الخواصّ، هو غائبٌ عن الآخرين!

لدينا شخصٌ كهذا، [بحيث] إنّه يرى جميع مجالسنا و خلواتنا و عزلتنا، هو يرانا لكن نحن لا نراه. تعلو نظّاراتنا بعض الغشاوة، و إلّا لكُنّا نحن أيضًا رأيناه، فهو ليس غائبًا عن الخواصّ، هو غائب عن الآخرين! أولئك الّذين كانوا في عصرنا أو كانوا متقدّمين قليلًا عن عصرنا، كانوا عجيبين في الرؤية [أي رؤية الإمام ﷻ]؛ فكأنّهم كانوا يرون الإمام ﷻ يقول لهم: قل هذا أو قل ذاك. و أنا شخصيًّا رأيت ذلك الشيخ [أي الشيخ محمّد الكوفيّ ﷺ] الّذي تشرّف بمحضر الإمام ﷻ مرّة أو مرّتين أو أكثر. و رأى أنّه ﷺ يستريح في مسجد الكوفة، و كان هناك من يُروّح له [الهواء] بالمروحة [اليدويّة]، كأنّه خادم له. كان يقول: سأل [الإمام] عن علماء النجف، حتّى سأل عن السيّد أبو الحسن [الأصفهانيّ]، في حين أنّ الكلام عن رئاسته[1] لم يكن قد طُرح بعد! تعجّبت كيف أنّ هذا الشخص يعرف رجال الدين إلى هذه الدرجة! قلت [للخادم]: حسنًا، من هو هذا السيّد المستلقي الّذي تروّح له الهواء، قال: [سيّد العالَم]، قلت: السيّد العالِم (بالكسر) أو سيّد العالَم (بالفتح)؟! قال: لا، [سيّد العالَم]! و ما إن وصل إلى هنا حتّى أشار السيّد بيده نحوه، يعني: لا تقل أكثر من هذا! كان له مجلس [مع الإمام ﷻ] و لقاء آخر. اثنان من لقاءاته كانا معروفين و لكلّ منهما خصوصيّاته، أنا شخصيًّا رأيته و لكنّي لم أسمع هذه المطالب منه مباشرة و بلاواسطة، بل سمعتها بالواسطة، كانت تشرّفاته [بمحضر الإمام ﷻ] معروفة.

لم يأت أحدٌ من أجلي!

ليس المهمّ فقط أن نجد الإمام ﷻ و نراه، لأنّ رؤية الإمام ﷻ في عرفات أو في مكانٍ آخر لا تتيسّر دائمًا و ليست ممكنة [في كلّ زمانٍ و للجميع]. لذلك يقول أحدهم: يمكن أن تكونوا أنتم قد تشرّفتم بمحضره ﷻ، و قد تشرّف بمحضره كثيرون. فإذا تشرّفتم بمحضره لا تقولوا للإمام ﷻ أن: سَل الله لي زوجة، أو دارًا، أو دفع المرض كذا أو الأمراض الخاصّة

(١) المقصود هنا تولّيه المرجعيّة و رئاسة الطائفة.

و...؛ فليس لهذه الأمور تلك الأهمّيّة. كذلك ينقل شخص آخر: رأيت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في عالم الرؤيا عندما كنت معتكفًا في مسجد الكوفة، فقال لي: هؤلاء الّذين جاؤوا إلى هنا [أي مسجد الكوفة] من المؤمنين الصالحين، و لكن لكلٍّ منهم حاجته [الخاصّة] و قد جاء من أجل قضائها ـ كطلب دارٍ أو ذرّيّة ـ و لم يأتِ أحد منهم من أجلي. طبعًا هذا الأمر لا يحتاج إلى رؤيا، فالأمر هكذا، و كلّ واحدٍ منّا يفكّر في حوائجه الشخصيّة، و لا نفكّر في ذلك الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي يعود نفعه للجميع و [حصول فرجه] من أهمّ الضروريّات!

الاستغاثة بإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف

يقول أحدهم: كنت ذات ليلة في مسجد الكوفة و تأخّرت عن القافلة الّتي كانت متّجهة إلى زيارة سيّد الشهداء عليه السلام، فصرت أبكي و أتوسّل بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فجأة رأيت أنّ هناك حجرة في المسجد فيها بعض الناس، اقتربت منها فرأيت شخصًا على هيئة بعض أهل العلم في النجف مستويًا على سريرٍ، و جماعة جالسين على الأرض. دخلت و سلّمت ثمّ جلست، فقال لي ذاك الشخص: هل تخلّفتَ [عن القافلة]؟! سنكون برفقتك في بعض الطريق. من الآن فصاعدًا لا تسافر بمفردك، ثمّ أضاف: لقد كان والدك شجاعًا في شبابه، و أنت تملك شجاعته إذ تسافر بمفردك. [كان يقول هذا] و أنا كنت أظنّ أنّ هذا الشخص هو ذاك السيّد الّذي كان في النجف [و كنت أعرفه]، إلى أن سار معي و عبرنا معًا بساتين النخيل و تجاوزنا مواطن الخطر، عندها افترق عنّي و أنا التحقت برفقائي.

ثمّ أخبرت رفقائي أنّي رأيت السيّد الفلانيّ في مسجد الكوفة و...، فقالوا: إن الرّجل مصابٌ بنَوْبة قلبيّةٍ و هو جليس منزله منذ شهر و أنت تقول بأنّك رأيته منذ يومين في الكوفة؟! فعلمت حينئذٍ أنّه كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه!

قل للمتلهّفين إلينا أن يدعوا لي!

حدثت هذه الحادثة منذ أسبوع تقريبًا، يقول أحد الّذين لهم علاقة شديدة بمسجد جمكران، و لقد رأى هناك كرامات [كثيرة]، و كثيرًا ما حصل أن قال إنّه تشرّف بمحضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في اليقظة، لكنّه كان يقوله لي إنّه كلّما تشرّف بمحضره و عندما كان يريد الإمام أن يذهب، كان يتوجّه نحو الحائط و يخرج منه، و كنّا نذهب خلفه إلى جانب الحائط

فنرى أنّه لم يعد موجودًا. لكنّه في إحدى المرات كان متعجّبًا جدًّا، إذ نقل: كنت بمحضر الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشريف في المسجد وكان يكلّمني، و عندما وصل إلى الموضع كذا من المسجد كان عجّل الله تعالی فرجه الشريف لا يزال يتكلّم، لكن [بمجرّد أن أنهى عبارته] فجأة في الموضع نفسه غاب، وكان يقول: لم تكن قد حصلت هذه القضيّة معي قطّ. و قد قال لي الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشريف إنّك يزديّ [أي من مدينة يزد]، فأبي قد وُلد في يزد، لكن الجميع يعرفنا قمّيين و حتّى أنا قد ولدت في قمّ [و لم يكن هناك من يعرف بأرومتنا و أصولنا الّتي تعود إلى يزد من جهة الوالد]، لكنّه كان يقول لي: أنت يزديّ، أي كان يقول لي أصل والدي، في حين قلّما يوجد مَن يعرف أنّ أصله من [مدينة] يزد، فهو [سكن] مدّة مديدة في مدينة قمّ، وكان يقول: في نهاية المطاف قال [الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشريف]: «قل لأوليائنا المتلهِّفين إلينا أن يدعوا لي!». الجميع يذهبون و يجعلونه وسيلة إلى الله لقضاء حوائجهم و لا يعلمون أنّه عجّل الله تعالی فرجه الشريف يلتمس الدعاء منهم قبل أن يلتمسوا هم منه الدعاء. لكنّنا نحن غافلون! هو يطلب إلينا الدعاء و نحن عندما نذهب [إلى البقاع المقدّسة] ننساه و [فقط] نطلب إليه أن يدعو لنا! و الحاصل أنّه قال: عندما قال هذه الكلمة: «قل للمتلهّفين إلينا أن يدعوا لي» كان أمام ناظريّ ثمّ رأيت أنّه اختفى فجأة! و عادة يأخذ زاوية ما، خلف جدارٍ ما [مثلًا]، و من ثمّ [يغيب و] لا يراه المرء، لكن [هو كان ينقل أنّه] هكذا بينما كان أمام ناظريّ و إذا بي لا أراه! [و احتجب و لم يعد موجودًا! فهذا أمر غير معهود] و ربما كان أوّل شخص يقول هذا الكلام بأنّه أمام ناظريّ اختفى؛ عادةً يذهبون إلى زاوية ما، خلف الجدار مثلًا، ثمّ يذهب هؤلاء خلفه و يرون أن لا خبر هناك و لا يجدون أحدًا. فالمقصود أنّ الّذي يريد أن يغيب، تَلْزَمه أمثال هذه العلوم!

هو عجّل الله تعالی فرجه الشريف لم يغب بسببنا! فنحن مريدوه و منتظرون لفرجه و مهيّؤون و مصلحون! الأعداء و أوروبا و أميركا و الكافرون هم أعداؤه، لسنا نحن!![1]

و المقصود أن لا يغفل الإنسان عن هذه الأمور و إلّا سوف تزول محبّته، و إنّهم عليهم السلام متمكّنون من تدبير الأمور [في نحوٍ من التصرّف التكوينيّ] بنحوٍ لا يدرك الإنسان [أنّه في محضر من يكون]، ثمّ تخطر على باله لاحقًا [أي بعد اللقاء] بعض الأمور و القرائن بحيث يفهم أنّه في محضر من كان!

---

(١) كان سماحة الشيخ رحمه الله يقول هذا الكلام و هو يريد خلاف معناه الظاهريّ، فمع أنّ الكفّارَ أعداءُ الإمام عجّل الله تعالی فرجه الشريف، لكنّنا نحن أيضًا مقصّرون معه عجّل الله تعالی فرجه الشريف و لا نواليه حقيقة، لأنّ أداءَ الواجبات و ترك المحرّمات هما أبيَن علامة لمحبّيه الحقيقيّين. فالإمام عجّل الله تعالی فرجه الشريف لا يجد أنصارًا حقيقيّين و إلّا لظهر البتّة.

❁ يا لها من صلاةٍ و بأيّ صوتٍ عَذْب

يقول أحد أهل العلم: ذهبت أنا و [بصحبة] شخصٍ آخر مع رجلٍ مسنٍّ ليلة الجمعة الفائتة[1] إلى مسجد جمكران، و في الساعة الثانية عشرة ليلًا، و بعد أداء الصلاة و التوسّل و قراءة عزاء سيّد الشهداء عليه السلام، أبدى صاحبنا شوقًا شديدًا إلى التشرّف بمحضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، بعدها رأيت سيّدًا جاء و صلّى أربع ركعات قرب المحراب، لكن يا لها من صلاة و بأيّ صوت عذب! كنت أنا من جانب و صاحبنا من خلفه نسمع صوت قراءته، إلى أن قام بعد الصلاة و اتّجه نحو باب المسجد، و لم أستطع أن أبرح مكاني بسبب هيبته، و بقيت أتابعه ببصري إلى أن وصل إلى الباب و خرج من المسجد. لكنّ صاحبنا مشى خلفه إلى باب المسجد، و قال: بمجرّد أن خرج غاب فجأة و اختفى! فخرجت من باب المسجد و نظرت يمينًا و شمالًا، فوجدت أنّه غاب و لم أره.

❁ فاح عطره في أرجاء جمكران

نقل مؤخرًا أحد الّذين رأوا في مسجد جمكران كرامات كثيرة أنّه في الليل و بعد أن زار أحد أبناء الأئمّة عليهم السلام [في نواحي جمكران] و أتى إلى المسجد، في وسط صحن المسجد: تشرّفت بمحضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أعطاني مالًا و بعد لحظات رأيت أن لا أحد هناك، و لكن قد فاح العطر في كلّ أرجاء المسجد!

❁ غاب فجأة!

يقول أحد السادة: في المرّات الّتي كنت أتشرّف فيها إلى محضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و بعد ذهاب حضرته كنت أرى ـ فجأة ـ أن لا أحد هناك. و لكن في إحدى المرّات في جمكران، في الحين نفسه الّذي كان يكلّمني، غاب فجأة! إنّما يعرف علوم هذه الأعمال [و هذه الأمور و المعجزات] هؤلاء عليهم السلام!

❁ هو أيضًا يدعو بتعجيل الفرج!

كان أحدهم قد قال ـ و ليس من المستبعد ـ رأيت فتىً في حرم الكاظمَيْن عليهما السلام مشغولًا

---

(١) قال سماحته رحمه الله هذا الكلام يوم موافقة إيران على القرار الدوليّ ٥٩٨ و انتهاء الحرب العراقيّة الإيرانيّة.

بالصلاة، و خلال وقت قصير صلّى صلوات كثيرة إلى ما شاء الله، و قد دعا بتعجيل الفرج في القنوت باسم الصاحب عجل الله تعالى فرجه الشريف، و لا أعلم هل نقل عنه كلامًا بعد الصلاة أو لا، و ربما أنا أيضًا كنت قد رأيت الشخص الناقل.

التشرّف في حرم الإمام الرضا عليه السلام

يقول أحدهم: كتبت رقعة إلى الإمام الرضا عليه السلام بثلاث حاجات منها التشرّف بلقاء إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف و ألقيتها خلف باب الضريح. و في الليلة الأخيرة لإقامتنا في مشهد أو الليلة الّتي قبلها، ذهبت إلى الحرم لأداء صلاة الفجر، و عندما هممت بالدخول بين كثرة الجموع و ازدحامهم ـ إلى الحدّ الّذي لا يمكن لأحدٍ أن يدخل من الباب إلى الحرم، و هناك مجموعة تدخل بصعوبة و أخرى تخرج ـ فجأة وقعت عيني على سيّد جليل يغشاه النور، يدخل وكأنّ الازدحام بالنسبة إليه فراغ [و خواء]، وكان يتقدّم بين الحشود بكلّ هدوء و سلاسة، إلى أن وصل إليّ، كأنّه ألقى عليّ السلام و قال: «أَنَا ابْنُهُ، أَنَا ابْنُهُ»، و استمرّ بتكرار هذه العبارة ثمّ قال: «لا تُعَلّمُوهُمْ، فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكمْ»[1]، ثمّ تقدّم نحو الروضة المباركة.

يقول ذلك السيّد: بما أنّني ألقيت الرقعة [داخل الضريح]، و أيضًا من كلّ تلك النورانيّة و الجلالة و الهيبة، وكذلك بما أنّه سار براحة بين تلك الحشود كلّها و الازدحام، و من قوله: «أَنَا ابْنُهُ»[2]، علمت أنّه الإمام الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف.

راح المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف!

حدّد أحد الأشخاص بواسطة العلوم الغريبة الباب الّذي يدخل منه الإمام بقيّة الله عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى حرم الإمام الرضا عليه السلام و ساعة دخوله[3]. فذهب و وقف أمام الباب فشاهد خمسة

---

(١) إشارة إلى روايةٍ عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّ أهل البيت عليهم السلام؛ راجع: الكافي، ج١، ص٢٨٧.

(٢) أي ابن الإمام الرضا عليه السلام.

(٣) يجب التنبّه إلى أنّه إذا أراد أحد أن يشخّص مكان حضور إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف و يلتقي به بواسطة العلوم الغريبة من قبيل علم الجفر و أمثاله، فإنّه يتمكّن من ذلك فقط إذا كان الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف نفسه قد أذن له تكوينًا. و إذا أجاز الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف ذلك، فإنّ ذلك الشخص لا يتقرّب إلى الإمام عليه السلام إلّا بالمقدار الّذي أجاز به، لأنّه عجل الله تعالى فرجه الشريف محيطٌ بجميع الأسباب الظاهريّة و الباطنيّة و الغَيبيّة لأنّه محاطٌ بها. كما أفاد سماحة آية الله الشيخ البهجة قدس سره بأنّه لا ورد و لا ذكر و لا عمل يُجبِر الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف على اللقاء، إنّما إذا رأى الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف صلاحًا فإنّه يوفّق الإنسان لأداء الأعمال فتقع

أشخاص بلباس موحّد و على هيئة واحدة و لباس طويل و سَحنة عربيّة. تفرّق هؤلاء الخمسة في [أروقة] الحرم، فأحسّ ذلك الشخص أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أحدهم، فذهب خلف الرجل الّذي أحسّ أنّه الإمام. فمكث ذلك الرجل في موضع «بالا سر»[1] و انشغل بالصلاة. أراد الشخص أن يذهب إليه بعد أن يفرغ من الصلاة و يتكلّم معه، لكنّ صلاته طالت كثيرًا. عندما أنهى صلاته جاءه أحد أولئك الخمسة و قال له: «تعالَ يا خضر، راح المهديّ!»[2].

مؤثّرة. من هنا ففي القصّة المذكورة أيضًا لو لم يأذن الإمام عجّل الله فرجه الشريف فمن الأساس لم يكن ذلك الشخص ليوفّق لعمل حسابات الجفر، أو أنّه لم يكن ليحصل على أيّ نتيجة منها. و كما هو الملاحَظ فإنّه استطاع أن يتقرّب إلى الإمام عجّل الله فرجه الشريف فقط بالمقدار الّذي سمح به الإمام عجّل الله فرجه الشريف. و هذه النكتة موجودة في قضيّة تشرُّف الشيخ طه نجف إذ جاء أحد مرتاضي الهند المسلمين إلى السيّد حسين بحر العلوم رحمه الله و قد ادّعى أنّه يمكنه الإجابة عن أيّ سؤال، و عندما طلب إليه السيّد بحر العلوم أن يقول له أين مكان إمام الزمان عجّل الله فرجه الشريف، فإنّه عرف بواسطة حساب الحروف و العلوم الغريبة أنّ الإمام عجّل الله فرجه الشريف قد ذهب إلى لقاء الشيخ طه نجف و هو من مراجع التقليد، و لكن عندما هرع السيّد و أصحابه إلى منزل الشيخ طه نجف وجدوه عجّل الله فرجه الشريف قد غادر، و تحسّروا أنّهم لم يوفّقوا لمشافهته عليه السلام، أي أنّهم حتّى بواسطة الجفر و العلوم الغريبة لم يوفّقوا لمصاحبة الإمام عجّل الله فرجه الشريف. و عليه، يجب أن نعلم أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام، خصوصًا إمام الزمان عجّل الله فرجه الشريف، في الحصن الإلهيّ الحصين و إذا هم لم يأذنوا فلا يمكن لأحد أن يجد طريقًا إليهم، و الطريق الأساسي للتقرّب إلى إمام الزمان عجّل الله فرجه الشريف هو التقوى الإلهيّة و الإتيان بالواجبات و ترك المحرمات، و هذا ما أكّده الإمام عليه السلام بنفسه. و في هذه القصّة فإنّ الّذي جعل السيّد محمّد تقي مشيريّ رحمه الله يتقرّب إلى الإمام عجّل الله فرجه الشريف لحظات، ليست مهارته في علم الجفر، بل تقواه و زهده، إذ كانا السبب لحصول توفيقات له في اكتساب العلوم.

(١) موضع يقع فوق رأس الإمام عليه السلام يستحبّ فيه الصلاة.

(٢) ذُكرت هذه القصة في كتاب «شفايافتگان: متوسلين به امام مهدى عجّل الله فرجه الشريف» بهذا التفصيل: «كان الحاجّ السيّد محمّد تقي مشيريّ من سادات [مدينة] مشهد المقدسة المتّقين و زهّادهم. كانت له مهارة تامّة في علم الجفر، و كان يجعل بواسطته بعض المجهولات معلومًا، و يعثر على بعض الأشياء الضائعة بواسطته، يقول هو: «ابتليت مرّةً بوجع في قدمي إلى درجة أصبح المشي متعذّرًا عليّ، عالجتها بكلّ ما أستطيع لكنها لم تتحسّن، حتّى أنّهم كانوا أحيانًا يضعونني على أكتافهم و يحملونني، و غالبًا ما كنت أستعمل العصا و أمشي بصعوبة. أدركت أنّ حلّ ذلك منحصر في التشرّف بمحضر وليّ العصر عجّل الله فرجه الشريف و حصّلت طريق ذلك بواسطة علم الجفر، فحسبت في أيّ وقت يأتي الإمام عجّل الله فرجه الشريف إلى زيارة جدّه الإمام الرضا عليه السلام و بأيّ مظهر، فعلمت أنّ ذلك سيكون ظهر يوم عاشوراء و بلباسٍ عربيّ و سيرافقه ثلاثة أشخاص. كان هذا الحساب في شهر ذي القعدة فانتظرت إلى أن حلّ هلال المحرّم، و في يوم عاشوراء بعد غسل الزيارة ذهبت إلى الحرم بمشقّة بالغة. قرأت الزيارة المخصوصة و الزيارة الجامعة و زيارة عاشوراء، و جلست مقابل باب دخوله عجّل الله فرجه الشريف على وفق حسابي و بقيت أنتظر. عند الظهر رأيت أربعة أشخاص يغشاهم النور يشبه بعضهم بعضًا على هيئة واحدة و لباس موحّد قد دخلوا و ذهب كلّ واحد منهم في جهة و انشغلوا بالزيارة. تعقّبت أحدهم، و هو الشخص الّذي انجذبت نحوه و تيقّنت أنّه هو الإمام صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف،

التشرّف بلقاء الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في حرم الإمام الرضا عليه السلام

دخل أحدهم حرم الإمام الرضا عليه السلام فالتفت أنّ أمامه سيّدًا يغشاه النور مشغولًا بقراءة الزيارة، اقترب منه فانتبه إلى أنّه يعدّد أسماء المعصومين عليهم السلام مسلّمًا عليهم واحدًا تلو آخر. و عندما وصل إلى الاسم المبارك لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، سكت! فعلم أنّ هذا السيّد الجليل هو إمام الزمان نفسه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. [الله يعلم] أيّ كرامات قد شوهدت في حرم الإمام الرضا عليه السلام.

جواب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف عن سؤال

سألوا الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: هل هناك في الجنّة تناسل؟ أجاب عجّل الله تعالى فرجه الشريف: ليست الجنّة كالدنيا، إنّما يوجد [الشيء] بمجرّد الإرادة؛ ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا﴾[1].

نحن لا نتناول فضول المعاش!

ورد في الرواية: «أَعْطِ كلَّ نَفْسٍ ما عَوّدتها»[2]، طبعًا المراد هو المناجاة و قراءة القرآن و التهجّد و سائر أمور الخير، لا أنّه التدخين و شرب القهوة و الشاي و .... و لقد نقل بعض الّذين تشرّفوا بمحضر الإمام الصاحب عجّل الله تعالى فرجه الشريف أنّه قدّم له عجّل الله تعالى فرجه الشريف سيجارة أو [قدحًا من] الشاي، و لكنّه

انشغل بالصلاة في مسجد «بالا سر» و جلست أنا أمامه، عند انتهائه من تسليم الصلاة، أردت أن أقدّم التحية و السلام و أطلب حاجتي، لكنّه لم يمهلني و قام كالبرق بعد التسليم و شرع في صلاةٍ أخرى. قلت في نفسي: لو أبقى جالسًا إلى الليل فسيبقى يصلّي، فيجب أن أنتبه و بمجرّد أن يسلّم و دون تريّث ألقي السلام على حضرته، و عندما يجيبني أطلب حاجتي، و لكن هذه المرّة قبل أن يصل إلى السلام جاء أحد أولئك الأشخاص الثلاثة الّذين كانوا في الحرم و قال: «يا خضر تعال، راح المهديّ». إنّ ذلك الشخص الّذي كنت متيقّنًا أنّه الإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان الخضر، تحرّك فورًا و التحق بالثلاثة الآخرين و خرجوا من الحرم. كنت أعدو خلفهم لعلّي أصل إلى خدمة الإمام وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لكن لم أتمكّن من ذلك. رأيتهم خرجوا من دار السيادة و تخطّيت جموع المعزّين المزدحمين إلى الصحن، و خرجت من «بسط پايين» و لكن لم أجد لهم أثرًا، و ربّما بقيت ساعة أو ساعتين أغدو و أروح من هنا إلى هناك و أنظر إذ ربما أراهم مرّة أخرى و لكن الحظّ لم يسعفني، و لم أنل ذلك الفيض مجدّدًا. فجأة التفتُّ أنّي قبل ذلك كنت عاجزًا عن السير العاديّ، و لكن الآن كنت لمدّة أعدو و لم تؤلمني قدمي و قد شُفِيَت ببركة عناية ذلك المعظّم عجّل الله تعالى فرجه الشريف و اهتمامه»؛ و الظاهر أنّ الاختلاف في عدد الأشخاص بين أربعة و خمسة قد حصل بسبب وقوع السهو في أحد النقلين.

(١) سورة مريم، الآية ١٩.

(٢) «الْمَعِدَةُ بَيْتُ كُلِّ دَاءٍ وَالْحِمْيَةُ رَأْسُ كُلِّ دَوَاءٍ وَأَعْطِ كُلَّ نَفْسٍ مَا عَوَّدْتَهَا»؛ بحار الأنوار، ج٥٩، ص٢٩٠. جاءت هذه الرواية في المخطوطة المطبوعة لـ«طبّ النبيّ صلّى الله عليه وآله»، على النحو الآتي: «... فَأَعْطِ نَفْسَكَ مَا عَوَّدْتَهَا»؛ طبّ النبيّ صلّى الله عليه وآله، ص١٩.

امتنع و قال: نحن لا نتناول فضول المعاش! طبعًا إنّ أصل المعاش زيادة [عن اللزوم] فكيف بفضوله! لماذا يُقدِم الإنسان العاقل ابتداءً على استعماله حتّى يُبتلى به و يعتاد عليه فلا يستطيع بعدُ أن يتخلّى عنه [و يتوقّف عن تناوله]؟!

تكملة قضيّة تشرُّف الحاج عليّ البغداديّ

إنّ قضيّة تشرّف الحاجّ عليّ البغداديّ الّتي نُقلت في مفاتيح الجنان أيضًا، كان يعلمها المشايخ [أي العلماء] أنفسهم عبر وسائطهم و ليس من [خلال مطالعته في كتاب] المفاتيح و غيره، فمثلما عَلِم صاحب المفاتيح القصّة من طريقه، هم أيضًا كانوا ينقلون القصّة من طرقهم. و ربما هناك تفاصيل لم ترِد في نقل المفاتيح، منها أنّ الحاجّ كان يقول إنّه في حرم سيّد الشهداء عليه السلام و حرم أمير المؤمنين عليه السلام بنحوٍ خاصّ أو في أيّ حرمٍ كان، يسمع صوته يقول: «لا تنسوا القضيّة!». كان يضع يده على كتفه أو أذنه ـ لا أذكر ـ و يقول: لا تنسوا القضيّة، فيعلمون أنّه هو و يقصد القضيّة نفسها[1].

قيمة العبادة بالكيفيّة لا بالكمّيّة و المقدار

نُقلت في حقّ العلماء أمور عجيبة و غريبة بأنّهم إلى أيّ درجةٍ كانوا مواظبين على مراعاة الحلال و الحرام، بل حتّى مواظبتهم على المستحبّات أيضًا كانت أكثر منّا، و كانوا أصحاب كرامات.

نقل أحد الأشخاص الّذي كان هو و والده من أصحاب الكرامات، أنّ والده مع تلك الكرامات و المقامات [التي كانت له] كان يقول في [ذكر] الركوع و السجود فقط «سُبْحانَ الله» ثلاث مرّات. أولئك كانوا يُلاحظون الكيفيّة في العبادة لا الكمّيّة [و المقدار]. و هذه القضايا الّتي نحن فيها و نعايشها و نراها، هؤلاء العلماء الّذين كانوا منشغلين بالفقه و الأصول، كانوا يُبصرونها من قبلُ و يخبرون عنها دون أن يُظهروا أنّهم أهل كرامات و عِلم غَيْب!

---

(١) لقد ذُكرت قضيّة الحاج علي البغدادي رحمه الله في كتاب مفاتيح الجنان، إلّا أنّنا لم نجد التفاصيل الّتي كان سماحة الشيخ قدس سره يقصدها، بسبب مضيّ زمنٍ طويلٍ على وقوعها، و وفاة الوسطاء في نقلها.

يقول أحدهم: كنّا جماعة، فجاء إمام الزمان و أمّ الصلاة، و لكنّه قرأ الفاتحة و السورة بنحوٍ عاديّ جدًّا. و الله يعلم أيّ أثر يكون لهذه العبادات السهلة و العاديّة و المختصرة إن صدرت عن أهلها، و لكن لا أثر للمطوّلة منها إن صدرت عن غير أهلها. المطلب أجلّ من أن يُفهَم و يُفهَم بالتلقين و التلقّن [و بالتكلّم و الإصغاء]. نسأل الله أن يمنحنا اللياقة كي يُلهَم إلينا!

حضور إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في صلاة الجماعة

[يقال:] إنّ الإمام المعصوم لا يقف مأمومًا! لكنّه قد يقف مأمومًا [أحيانًا]. فمثلًا إن جاء و وجد أحد الرعيّة مشغولًا بالصلاة فربما يقتدي به. فليس هناك إشكال بالنسبة إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. مضافًا إلى أنّ أولئك الّذين ادّعوا حصول تشرّفات لهم [بمحضر إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف] قد نقلوا كثيرًا إلى ما شاء الله أنّ إمام الزمان عليه السلام قد حضر في صلوات الجماعة هذه، فليس هناك إشكال بالنسبة إليه. و لكنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف أَولى، و له أن يُعمِل حقّه كما يمكنه أن لا يُعمِله. مضافًا إلى أنّه إذا أراد أن يُعمِله فإنّ ذلك يكون عند ظهوره، لا عندما لا يعلم بحضوره إلّا شخص واحد أوحديّ [كان هناك] و عرفه و فهم [أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو الّذي أمّ صلاة الجماعة]. و عادة لا يعلمون [أي الحاضرون] إلّا بواسطة كرامة ما أنّه كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه و ذلك بعد أن يغيب [و يذهب].

و عليكم السلام!

يقول الراوي: وقع في قلبي أنّه إن نزع قلنسوته[1] عن رأسه عندما يمرّ من قربي، فيتبيّن أنّه الإمام عليه السلام، يقول: عندما مرّ من قربي ـ و بدون أيّ حكمة في الأمر ـ أخذ قلنسوته![2] أنا أحتمل أنّهم عليهم السلام يقومون بتصرّفٍ ما، فيُلقون في قلبه [أي قلب المرء] أن يروه هذه الآية [و العلامة]، و إلّا فما الملازمة بين أخذ القلنسوة و بين كونه إمامًا؟!

قصّة أخرى حصلت عن قريب جدًّا، قال: كنت مع عدد كبير من الأولاد عند أوّل زقاقنا، رأيت سيّدًا من بعيد فوقع في قلبي أنّه الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، قلت أمتحنه ـ و هذا إنّما قلته

---

(١) لباسٌ للرأس مختلف الأنواع و الأشكال.

(٢) مدينة معاجز الأئمّة الاثني عشر، ج٧، ص٥٨٢و٦٠٠و٦٦٠.

في نفسي ـ و عندما يصل أمامي و يريد أن يمرّ ألقي السلام عليه في قلبي و لا أقول ذلك علنًا، فقط أسلّم في قلبي لا على لساني، فإن اطّلع على السلام الّذي قرأته في قلبي و ردّه، يتبيّن أنّه هو الإمام [الحجّة عجّل الله فرجه الشريف]، و إن لم يطّلع فلا. يقول: عندما وصل ذلك السيّد قبالتي و مرّ من أمامي سلّمت عليه في قلبي، فنظر إليّ ـ و ربما تبسّم أيضًا ـ و قال لي: «عليكم السلام!». أنا قد سلّمت في قلبي! قلت لأصدقائي الّذين كانوا معي: هل سمعتم أنّه قال «عليكم السلام»؟ فنظروا حولهم و قالوا جميعًا: أيّ شيء؟! مَن؟ متى؟ فعلمت أنّ أولئك الّذين كانوا معي لم يكونوا قد رأوا و لا سمعوا ردّ السلام![1] مع أنّه قد مرّ أمامهم و ردّ سلامي بصوتٍ عال!

يا لها من علوم! الشخص الّذي أبقاه الله ألف سنة قد زوّده بهذه العلوم أيضًا!

حرماننا رؤية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أمرٌ اختياريّ!

كان الوصول إلى الإمام الحجّة عجّل الله فرجه الشريف [ممكنًا] للشيعة إلى زمن الغَيبة الصغرى، و هذا بمعنى بقاء الحياة الجسمانيّة للنبيّ صلّى الله عليه و آله و استمرارها إلى نهاية زمن الغَيبة الصغرى. و في المقابل يقول أهل السُنّة: الآنَ إمامُنا القياس و الاستحسان!

الله يعلم كم من العوامّ و الخواصّ قد سلّموا على الإمام عجّل الله فرجه الشريف و سمعوا الجواب!...[2] إنّ حرمان المحرومين نعمة رؤية الأئمّة المعصومين عليهم السلام و لقائهم في زمان الحضور و الغَيبة من المسبّبات المتولّدة و الاختياريّة!

مو بيدي يا سيّد حيدر!

يقولون: كان السيّد حيدر [الحلّيّ] يُنشد شعره و لم يكن يعلم أنّه في محضر الإمام عجّل الله فرجه الشريف، و لعلّهم ذكروا أنّه كان ينشد هذا الشعر:

ماذا يهيجك إن صبرت   لوقعة الطفّ الفظيعة

فقال الإمام عجّل الله فرجه الشريف: «مو بيدي يا سيّد حيدر!»[3].

---

(١) حسب القرائن و الشواهد المتوفّرة، فإنّ هذه القضيّة تعود إلى زمن صبا سماحة الشيخ المقدّس البهجة قدّس سرّه.

(٢) لقد ذكر سماحة الشيخ قدّس سرّه في هذا الموضع من كلامه القصّة الّتي مرّ ذكرها في العنوان السابق، و قد حُذفت هنا من أجل تفادي التكرار.

(٣) كان السيّد حيدر الحلّيّ رحمه الله عالمًا جليلًا، و شاعرًا مُجيدًا، و كان سيّد الأدباء في عصره، و كان من عادته أن ينظم

نُقل عن السيّد[1] أنّه قال: كنّا يومًا مع خمسة أو ستّة من الطلّاب و الفضلاء في مجلس العزاء الّذي كان يُقيمه السيّد الخوئيّ، و قبل المجلس أو بعده قال السيّد الخوئيّ: «فهمت من الأمارات [و القرائن] أنّني أدرك إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف!»[2].

لعلّ المراد من أنّه يدرك إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو أن يحصل التشرّف له شخصيًّا و يدرك حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لا يكون المراد أنّ ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الفرج العامّ يحصل في زمانه [و مدّة حياته]، و ذلك كما أنّ شخصًا كان ينقل أنّ الفرج يحصل في سنة ١٣٩١ [هـ.ق] ثمّ توفّي في تلك السنة، فتبيّن أنّ المقصود كان الفرج الخاصّ به!

قصيدةً في رثاء الإمام الحسين عليه السلام في كلّ سنة و يذهب ماشيًا حافيَ القدمين إلى الضريح المقدّس لأبي عبد الله الحسين عليه السلام ليقرأها بحضرته قبل أن يُطلِع عليها أحدًا. و في إحدى السنين نظم قصيدةً يندب بها الإمام الحسين عليه السلام و يستنهض بها قائم آل محمّد الحجّة المنتظر عليه السلام. فلمّا صار موعد قراءتها ذهب إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، و في أثناء توجّهه للزيارة جاءه رجل أعرابيّ عليه بهاء و نور، و سلّم عليه ثمّ قال له: يا سيّد حيدر اقرأ لي قصيدتك العينيّة، فأنشده قصيدة عينيّة سابقة له، فقال: لا أريد هذه، أريد قصيدتك الّتي أنت ذاهب من أجلها، فشرع السيّد حيدر الحلّيّ بقراءتها و بدا على الرجل العربيّ التفاعل مع أبيات القصيدة شيئًا فشيئًا إلى أن وصل السيّد حيدر إلى هذا المقطع:

مـاذا يـهـيـجك إن صبرت	لـوقـعـة الـطـف الـفـظـيـعـة
أتــرى تـجـيء فـجـيـعـة	بـأمـض مـن تـلـك الفجيعة
حيث الحسين على الثرى	خيل العدا طحنت ضلوعه

فأخذ الأعرابيّ بالبكاء و قال: «يا سيّد حيدر إنّ الأمر ليس بيدي!»، ثمّ اختفى عن أنظار السيّد، فعرف أنّه الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، إذ إنّه لم يُطلِع أحدًا على قصيدته كما أنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد ناداه باسمه دون سابق معرفة. وكان سماحة الشيخ البهجة رحمه الله ينقل العبارة: «مو بيدي يا سيّد حيدر»، و لعلّ هذا يعود إلى أنّه سمع القصّة من مشايخ النجف الأشرف و بلهجة أهل العراق، فكان ينقلها باللهجة نفسها الّتي سمعها. أو لعلّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان قد قال تلك العبارة بلهجة أهل العراق لكنّ الّذين نقلوا القصّة في كتبهم كتبوها باللغة الفصيحة.

(١) المقصود هو حفيد الميرزا الشيرازيّ رحمه الله و والد حليلة حجّة الإسلام السيّد أحمد نجل السيّد عليّ الإشكوريّ.

(٢) طبعًا في أواخر حياة آية الله الخوئيّ رحمه الله سُمِع منه خلاف هذا المطلب كثيرًا، إذ كان يقول: «أنا لا أدرك زمان ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و خروجه، [و فهمتُ هذا] بناءً على المكاشفة الّتي حصلت لي نتيجة العمل بالبرنامج العباديّ الّذي أعطاني إيّاه السيّد القاضي رحمه الله، فقد رأيت [تفاصيل حياتي] من أوائل عمري إلى أواخره، و مدّة تسلّم المرجعيّة و الزعامة إلى حين وفاتي، و سمعت كيف أنّه بعد الوفاة ينادي المنادي من مأذنة الحرم أنّ المرجع الدينيّ آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوئيّ ارتحل مودّعًا الحياة، و هذه الألقاب مرتبطة بزمن الغيبة لا زمن الظهور، إذ في ذلك الزمان لستُ آية الله العظمى و لا يكون أحدٌ [حاملًا لهذه الألقاب]».

لقد أُخِّر مرّةً أخرى!

أَعلِمتم أنّ الظهور قد أُخّر مرّةً أخرى؟![1] لقد خرّبنا الأمر مرّةً أخرى! هناك شخصٌ أعرفه [و أثق به]، كان له تشرّفٌ بمحضر الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و قال له الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: إنّي راغبٌ في الذهاب إلى النجف، أتأتي أنت أيضًا [معي]؟ فقال: نعم. و إذا به فجأةً يرى أنّ كلّ شيءٍ قد تغيّر، الجدران و الأبواب و الزقاق و الناس، و الطقس تغيّر كلّيًّا. فلم تعد تلك الحقول الخضراء موجودةً، و أصبح الهواء جافًّا و حارًّا جدًّا. يقول: أحسست أنّنا في النجف، و بمجرّد إرادة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف وصلنا. أخذنا نمشي حتّى وصلنا إلى دارٍ كان بابها مفتوحًا، فسلّم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و دخلنا. عندما دخلنا رأيت آية الله السيّد الخوئيّ رحمه الله جالسًا داخل الحجرة و لم يعد قادرًا على الوقوف و المشي، لم تعد جوارحه تُعينه. تقدّم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فسلّم عليه و تعانقا، ثمّ جلس الإمام عليه السلام. فبقيت أنا واقفًا عند الباب. صديقنا هذا قال: طالَ لقاء السيّد الخوئيّ بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف نصف ساعةٍ أو ساعةً كاملةً[2]، ثمّ بعدها تودّعا و غادرنا. كنّا نسير في أزقّة النجف حين بادرني الإمام عليه السلام بالقول: إنّه [أي السيّد الخوئيّ رحمه الله] لن يعيش بعد هذا إلّا بضعة أيّام! و لكنّه [أي السيّد الخوئيّ رحمه الله] عاتبَ علينا و قال: كان مُقرّرًا أن تأتوا في زماننا[3]، فما الّذي حصل؟ فقال له الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: لقد أُخِّر مرّةً أخرى!![4]

---

(١) في صيف سنة ١٤١٣هـ.ق توفّي المرجع آية الله السيّد الخوئيّ رحمه الله، وكانت دروس الحوزة العلميّة متوقّفة بسبب العطلة الصيفيّة وكان آية الله الشيخ البهجة رحمه الله في ذلك الوقت في مدينة مشهد المقدّسة. و لمّا عاد إلى قمّ و استأنف التدريس نقل سماحته رحمه الله هذه القضيّة في أوّل يومٍ من العام الدراسيّ الجديد. و قد نُقلت الحكاية المذكورة هنا عن أحد طلبته.

(٢) كان سماحة الشيخ رحمه الله يقول إنّ التردّد منه.

(٣) كما ذُكر سابقًا، بحسب الظاهر إنّ السيّد الخوئيّ رحمه الله كان في بداءة الأمر يظنّ ـ بناءً على بعض القرائن ـ أنّه سوف يُدرك زمان الظهور، و لكن بعدما حصلت له المكاشفة نتيجة عمله بالبرنامج العباديّ الّذي أعطاه إيّاه آية الله السيّد القاضي رحمه الله، إذ رأى فيها أحواله إلى آخر حياته، كان يقول: إنّني لا أُدرك الظهور.

و لآية الله الشيخ البهجة رحمه الله الّذي كان ذا أفقٍ أوسع في فهم الأمور وكان يدرك بواطنها بما حُبي به من فراسةٍ إلهيّة، بيانٌ آخر في شأن تشرّف آية الله السيّد الخوئيّ رحمه الله بلقاء الإمام عليه السلام و هو جديرٌ بالتوجّه و الالتفات و يشكّل وجهًا من وجوه الجمع بين الأمرين، أي كون السيّد الخوئيّ رحمه الله من جهةٍ علم أنّه يدرك الفرج، لكنّه من جهةٍ أخرى توفّي قبل حصول الظهور العامّ. قال [آية الله البهجة] رحمه الله: «لعلّ المراد من أنّه يدرك الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو أنّ التشرّف باللقاء يحصل له شخصيًّا و يرى حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لا أنّ ظهور حضرته و فرجه العامّ يحصلان في حياته، و ذلك كما أنّ شخصًا كان ينقل بأنّ الفرج يحصل في سنة ١٣٩١هـ.ق لكنّه توفّي في تلك السنة، فعُلم أنّ المقصود كان الفرج الخاصّ به!».

(٤) إنّ تحقّق التأخير في الفرَج عدّة مرّات، يتوافق تمامًا مع نصوص روايات أهل البيت عليهم السلام. و لذلك حتّى لو افترضنا

أولياؤنا ليسوا محزونين!!

كلّ دقيقة تمرّ لا عوض لها و لا بديل، خرجت من اليد و مضت فلا تعود مجدّدًا، يا ليتنا إن لم نكن نعلم الدار و باب الدار، كنّا [نستهدي و على الأقلّ] نعلم الزقاق!

عندما تشرّف الحاجّ محمّد عليّ الفشنديّ رحمه الله بمحضر الإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، قال له: الناس يدعون و يتوسّلون، و هم في انتظارك و يريدون حضرتك، و أولياؤك محزونون. فقال الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف: أولياؤنا ليسوا محزونين!!

مرور طود الإيمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف بجانب الإنسان

في بعض الأحيان يجد الإنسان في نفسه حالةً طيّبةً، حالةً نورانيّة! [في حين أنّه] لا يعرف سبب تلك الحالة، و مهما فكّر فإنّه لا يظفر لها بِعِلّة. فهو لم يفعل أمرًا خاصًّا و لم يقم بعملٍ عباديّ خاصّ و لم يُصلِّ صلاةً معيّنة. لم يفعل شيئًا قطّ. [فهو] لا يعلم في أثناء عبوره مكانًا، [أو] زقاقًا، مرّ الإمام [الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف] بجانبه مجرّد مرورٍ، فحصلت تلك الحالة الطيّبة و النّورانيّة لهذا الشخص بسبب ذلك [أي مرور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بجانبه]. هل يُمكن أن يمرّ الإنسان بجانب طود الإيمان عليه السلام و لا يَترُك ذلك فيه أثرًا؟!

يمكن أن تكونوا أنتم قد رأيتموه!

لقد قال: أنتم أيضًا ترونه و لكن لا تعرفونه! فأنت نفسك قد رأيت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مرّتين في المكان الفلانيّ[1]. و حتّى إذا رأى الإنسان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لم يعرفه فهناك أثر. و إلّا إذا رأى الإنسان طود الإيمان و لم يؤثّر فيه، فحتّى لو عرفه فلا فائدة [من لقائه و لا يؤثّر فيه][2].

أنّ المراد كان هو الفرَج العامّ، و ليس الفرَج الخاصّ بشخص آية الله السيّد الخوئيّ رحمه الله، إلّا أنّ هذا لا يؤدّي بأي وجه إلى استبعاد صحّة المطلب المذكور، و يمكن الاستشهاد مثلًا بما جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام مخاطبًا إسحاق بن عمّار: «يَا أَبَا إِسحاق إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ أُخِّرَ مَرَّتَيْنِ»؛ الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٢٩٣.

(١) حسب الظاهر، ربما المقصود بهذه العبارة هو الشخص الّذي اهتُدي إلى الجزيرة الخضراء. للمزيد من التفصيل، راجع: بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٧٢.

(٢) المراد هو أنّ مجرّد رؤية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لو دون أن يدرك الشخص ـ في تلك الحالة أو حتّى في المستقبل ـ أنّه قد رأى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، سوف تترك أثرها عليه، إلّا إذا كان قد انتهى إلى درجة من الانحطاط الروحيّ بحيث لم يعد هناك من أمل يُرتجى في إصلاحه؛ فعندها حتّى إذا رأى الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و عرفه، لن يكون لذلك أيّ تأثير فيه، كما

ماذا يفعل بنظراته!

الجميع يرون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لكنّهم لا يعرفونه، و قد ورد في الرواية تعبير «يطأُ فُرُشَهُم»[1]. الله يعلم ماذا يصنع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بنظراته مع أنّهم [أي بعض الناس] لا يعرفونه عجّل الله تعالى فرجه الشريف! و على الأقلّ، إن لم تكن هذه الأمور [أي نظراته و عناياته] فالله يعلم كم كان يبقى من الّذين يفكّرون فيه [ثابتي القدم في الإيمان].

الهدف الصحيح من طلب التشرّف بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف

يجب أن يكون الغرض الصحيح للإنسان من وصوله إلى محضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، هو أن يصبح هذا التشرّف سببًا إلى زيادة معرفته به عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

المعرفة بمقام المعصومين عليهم السلام أعلى من مجرّد الرؤية

النظر إلى الجمال المبارك للإمام الصاحب عجّل الله تعالى فرجه الشريف جيّد و له فضيلة، و لكنّا نعلم أنّ هناك جماعةً في زمن حضور النبيّ صلى الله عليه وآله أو الأئمّة عليهم السلام كانوا ينظرون إلى جمالهم لكن لم تكن لهم معرفة بمقامهم و لم يكونوا يطيعونهم. و عليه، فقطعًا إنّ المعرفة بهم و اليقين بمقاماتهم و عظمتهم و جلالهم أعلى بكثير من [مجرّد] النظر إلى جمالهم الظاهريّ![2]

كان حال أبي جهل و أبي لهب؛ فإنّهما مع رؤيتهما النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كثيرًا و استماعهما إلى كلامه، لم يتخلّيا عن كفرهما و عنادهما. كما يَصدُق هذا الأمر على القرآن الكريم أيضًا بوصفه عِدلًا لصاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ سورة الإسراء، الآية ٨٢.

(١) عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقَ عليه السلام يَقُولُ:... إِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ كَانُوا عُقَلَاءَ أَلِبَّاءَ أَسْبَاطًا، أَوْلَادَ أَنْبِيَاءَ، دَخَلُوا عَلَيْهِ فَكَلَّمُوهُ وَخَاطَبُوهُ وَتَاجَرُوهُ وَرَاوَدُوهُ وَكَانُوا إِخْوَتَهُ وَهُوَ أَخُوهُمْ، لَمْ يَعْرِفُوهُ حتّى عَرَّفَهُمْ نَفْسَهُ وَقَالَ لَهُمْ أَنَا يُوسُفُ فَعَرَفُوهُ حِينَئِذٍ، فَمَا تُنْكِرُ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُتَحَيِّرَةُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ يُرِيدُ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ أَنْ يَسْتُرَ حُجَّتَهُ عَنْهُمْ، لَقَدْ كَانَ يُوسُفُ إِلَيْهِ مُلْكُ مِصْرَ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ مَسِيرَةُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَلَوْ أَرَادَ أَنْ يُعْلِمَهُ بِمَكَانِهِ لَقَدَرَ عَلَى ذَلِكَ، وَاللَّهِ لَقَدْ سَارَ يَعْقُوبُ وَوُلْدُهُ عِنْدَ الْبِشَارَةِ تِسْعَةَ أَيَّامٍ مِنْ بَدْوِهِمْ إِلَى مِصْرَ، فَمَا تُنْكِرُ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يَفْعَلُ بِحُجَّتِهِ مَا فَعَلَ بِيُوسُفَ، وَأَنْ يَكُونَ صَاحِبُكُمُ الْمَظْلُومُ الْمَجْحُودُ حَقَّهُ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ يَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمْ وَيَمْشِي فِي أَسْوَاقِهِمْ وَيَطَأُ فُرُشَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَهُ حتّى يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ نَفْسَهُ كَمَا أُذِنَ لِيُوسُفَ حِينَ قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ﴾»؛ الغَيبة (للنعمانيّ)، ص١٦٣و١٦٤.

(٢) المقصود هو أن يكون الإنسان يومًا بعد يوم في صدد تهذيب نفسه و إصلاحها و زيادة معرفته بأهل البيت عليهم السلام و إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ كي لا يكون مثل أولئك الّذين التقوا بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، و لكنّهم نصبوا له العداء و حاربوه ـ

❁ زيارة أيّ واحدٍ من الأئمّة الأطهار عليهم السلام بمنزلة زيارة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه

لا يلزم أن يكون الإنسان متعقِّبًا للتشرّف بمحضر وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف [فقط]، بل لعلّ إقامة صلاة ركعتين ثمّ التوسّل بعدها بالأئمّة عليهم السلام أفضل من التشرّف [بالحضور][(1)]؛ لأنّنا أينما كنّا فالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يرانا و يسمعنا، و العبادة في زمان الغَيبة أفضل من العبادة في زمان الحضور، و زيارة كلّ واحد من الأئمّة الأطهار عليهم السلام كزيارة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه.

❁ الكون في محضر الروايات بمنزلة الحضور بين يدَي الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف

كثيرًا ما يحصل أن يأتوا [إلينا] و يقولوا: نريد أن نتشرّف بمحضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فماذا نفعل؟ أيّ خَتمٍ نؤدّي؟ [حسنًا] أأنتَ صادقٌ حقًّا؟ تريد أن تتشرّف بمحضره عليه السلام؟! شوقك بلغ هذا الحدّ؟ الأمر غير صعب! اذهب إلى المنزل و افتح [كتاب] «الكافي» و ضعه في حِجرك، تكن في محضر الإمام [الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف]! كيف؟ ألستَ إذا لقيته إنّما تريد منه عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن يتحدّث إليك؟ و هل هو يتكلّم بكلامٍ غير ما قاله آباؤه عليهم السلام؟ «الكافي» كلام آبائه عليهم السلام. إذا أردت أن يتحدّث إليك، فافتح [كتاب] «الكافي». إذا أردتم أن تتشرّفوا بمحضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فافتحوا [كتاب] «الكافي» [و اشرعوا في مطالعته]!

حتّى يكون عند اللقاء بصاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف من أنصاره و المقاتلين بين يديه، لا أن يكون ـ معاذ الله ـ في صفوف أعدائه و من الّذين يطلقون السهام باتّجاهه عجّل الله تعالى فرجه الشريف!

(١) لأنّ الإنسان إذا تشرّف بالحضور بين يدي الإمام عليه السلام ظاهريًّا لكنّه لم يكن يعلم بمقامات الّذي حضر عنده و لم يكن يعلم أنّه عليه السلام عالمٌ بخواطره و أفكاره و ماضيه و حاضره و مستقبله بإذن الله تعالى، فهو حتمًا أدنى درجة من شخصٍ آخر يعلم أنّه أينما كان تحت السماء و فوق الأرض، فالإمام شاهد عليه و أنّ جميع أعماله و تصرّفاته بإذن الله تعالى تكون تحت نظره عليه السلام لأنّه عين الله الناظرة و أذنه السامعة، و هذا الشخص في الوقت نفسه يعمل على وفق علمه و يكون مراقبًا لكلّ تصرّفاته، و إن لم يكن ظاهريًّا بمحضر الأئمّة عليهم السلام. إذًا لا ريب أنّه عندما يصلّي ركعتين مع هذه المعرفة و يدعو الله و يتوسّل بالأئمّة عليهم السلام و يعلم أنّه بمحضرهم الشريف و إن لم يرهم، يكون أعظم منزلةً من الشخص الّذي ذهب إليهم ظاهريًّا لكن لا معرفة له بمقاماتهم. و على سبيل المثال، فقد ورد في حقّ أويس القرنيّ الّذي كان في اليمن و لم يرَ رسول الله صلّى الله عليه و آله أنّه صلّى الله عليه و آله قال: «تَفُوحُ رَوَائِحُ الْجَنَّةِ مِنْ قِبَلِ قَرَنَ، وَا شَوْقَاهُ إِلَيْكَ، يَا أُوَيْسُ الْقَرَنِيُّ، أَلَا وَمَنْ لَقِيَهُ فَلْيُقْرِئْهُ عَنِّي السَّلَامَ»؛ (الفضائل (لابن شاذان القمّيّ)، ص١٠٨)، و قد وفّقه الله تعالى بعد ذلك لنصرة أمير المؤمنين عليه السلام و الاستشهاد بين يديه. في حين أنّنا نعلم أنّ بعض الأشخاص كانوا يعيشون في جوار رسول الله صلّى الله عليه و آله و يعدّون أنفسهم من كبار أصحابه لكن لم يكن النبيّ صلّى الله عليه و آله مدفونًا بعد حتّى بدؤوا يتنازعون فيما بينهم على تقسيم الخلافة و التصدّي للرئاسة، ثمّ ظلموا أهل بيته عليهم السلام. و لمزيد من التوضيح راجع الصفحة ٤١٢ من هذا الكتاب.

بديل التشرّف

أرى أنّ الإنسان إذا طاف أحد المشاهد المشرّفة يكون كمن قد زار جميع المشاهد في جميع الأماكن، و هو نافعٌ له؛ إنّهم عليهم السلام ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾،[1] ولا يمكن قياسهم إلى الآخرين. و بمقدورنا أينما كنّا التوسّل بأيّ واحد منهم، فقد ورد في زيارة سيّد الشهداء عليه السلام السلام على جميع الأئمّة، و حتّى على الأنبياء أيضًا: آدم و نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمّد صلوات الله عليهم أجمعين.

و من أراد تخفيف حدّة الظمأ و العطش إلى لقائهم في نفسه، فإنّ المشاهد المشرّفة بمنزلة لقائهم و لقاء الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فهُم في كلّ مكان حاضرون و ناظرون [و مشرفون]، و كلّما توجّه الإنسان إلى أحدهم، يكون كمن توجّه إلى جميعهم و زارهم جميعًا و التقى بهم.

بالإضافة إلى أنّهم قالوا: أصلحوا أنفسكم، و حينئذٍ سنُقبِل بأنفسنا إليكم، ولا يلزم أن تبحثوا عنّا [عندئذ]. و الطريق الآخر هو التوسّل بالقرآن، فهم عليهم السلام شركاء القرآن، بل لهم عينيّة مع القرآن، و إن كان أكثر المسلمين يعتقدون بالقرآن لكنّهم لا يعتقدون بإمامة أهل البيت عليهم السلام. و طبعًا فإنّه لا مجال للتعجّب من أن يكون أكثر المسلمين على خطأ، لأنّنا نعلم بأنّ أكثر متديّني العالم مسيحيّون، و هم يقولون ببطلان القرآن! و على هذا فـ«الأكثريّة» ليست ميزان الأفضليّة.

إنّ التوسّل بالقرآن أيضًا يُطمئن القلوب: «النَّظَرُ فِي الْمُصْحَفِ عِبَادَةٌ»،[2] وهذه السلوة والاطمئنان القلبيّ و السكينة نفسها تحصل لأولئك الّذين ينظرون إلى شمائل إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

من أسرار أهل البيت عليهم السلام

هذا من أسرار أهل البيت عليهم السلام و أهل الإيمان أنّه إذا كان هذا [أي القرآن] شريكًا له عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و بما أنّك لا تراه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، انظر إلى شريكه و عدله[3]. و أهلها يستفيدون استفادات من هذا الأمر [أي النظر في المصحف الشريف]، حتّى ورد: «النَّظَرُ فِي الْمُصْحَفِ عِبَادَةٌ».

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

(٢) كشف الغمّة، ج٢، ص٢٦٨؛ بحار الأنوار، ج١، ص٢٠٤.

(٣) المراد أنّه بالالتفات إلى حديث الثقلين، فإنّ إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و القرآن الكريم عِدلان، و لذلك عندما يكون أحدهما غائبًا عن أنظارنا، يمكن بواسطة النظر إلى الثقل الآخر الّذي هو حاضر بيننا و هو القرآن الكريم، الحصول على ذات الاستفادة الّتي نحصل عليها من خلال النظر إلى الثقل الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

«النَّظَرُ فِي الْمُصْحَفِ عِبَادَةٌ»؛ [يعني مجرّد النظر في القرآن عبادة حتّى لو من غير تلاوة] المصحف عِدْل الإمام الحجّة نفسه عليه السلام النظر في المصحف هو نظر إلى إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، عِدْل النظر إلى إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف. لاحظوا نحن نتغافل و نغفل عن أمورٍ بهذه السهولة، [ثمّ نذهب و نقول] أعطنا ختمًا وازنًا و ثقيلًا جدًّا يكون فيه تلك [الآثار]![1] «النَّظَرُ إِلَى الْمُؤْمِنِ عِبَادَةٌ»[2]، «النَّظَرُ إِلَى الْكَعْبَةِ عِبَادَةٌ»، «النَّظَرُ فِي الْمُصْحَفِ عِبَادَةٌ» و «النَّظَرُ إِلَى الْعالِمِ عِبَادَةٌ»[3].

النظر في المصحف و رؤية صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف

أذكر أنّك سألت ذات مرّة عن آفات العين و ما إلى ذلك[4]. أرى أنّ الّذي يرى إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ و لو لحظة واحدة ـ يُدرك أنّ من سواه لا يستحقّ الاعتناء، و لا يستحقّ النظر، إلّا بنحو لا يتنافى مع ذكر الله. و إن أدرك المرء أنّه إن نظر في المصحف ـ لأنّ [المصحف الشريف] عِدل صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ فيكون كأنّه رأى صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف. إنّ [القرآن الكريم] عِدل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. ليعلم الّذين يعشقون إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف أنّ هذا [أي التشرّف] باختيارهم. إنّ هذا القرآن عِدل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و شريكه و مَثَله. و قد يصبح هذا الأمر سببًا في أنّه إذا شافَهَ [القرآن] عن هيام و عشق، تنعدم مسألة [الغَيبة] ـ حسب ظنّي ـ بالنسبة إليه. هناك رواية يصل سندها إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله على النحو الآتي، يقول الراوي: قلت: تؤلمني عيني؛ فقال [آخر في جوابي]: أدم النظر في المصحف، لأنّ عيني كانت تؤلمني و قلت لفلان؛ فقال لي: أدم النظر في المصحف؛ لأنّ عيني كانت تؤلمني، و قلت لفلان؛ فقال لي: أَدِم النظر في المصحف؛ لأنّ عيني كانت تؤلمني، و قلت لفلان؛ فقال: أدم النظر في

---

(١) بمعنى أنّ البعض يسعى وراء الأختام الشاقّة، في حين أنّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام أنفسهم قد علّمونا طرقًا سهلة للغاية و متاحة للجميع. من ذلك مثلًا أنّ الشخص إذا نظر إلى آيات القرآن الكريم مُعتقدًا و عارفًا بأنّ القرآن هو عِدل لا ينفكّ عن أهل البيت عليهم السلام، فإنّه سوف يحصل على تلك الطمأنينة القلبيّة الّتي يحصل عليها من رؤية الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

(٢) «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه و آله: نَظَرُ الْمُؤْمِنِ فِي وَجْهِ أَخِيهِ حُبًّا لَهُ عِبَادَةٌ»؛ بحار الأنوار، ج٧١، ص٢٨٠.

(٣) «رُوِيَ أَنَّ النَّظَرَ إِلَى الْكَعْبَةِ عِبَادَةٌ وَ النَّظَرَ إِلَى الْوَالِدَيْنِ عِبَادَةٌ وَ النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ مِنْ غَيْرِ قِرَاءَةٍ عِبَادَةٌ وَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِ الْعَالِمِ عِبَادَةٌ وَ النَّظَرَ إِلَى آلِ محمّد عِبَادَةٌ»؛ من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٢٠٥.

(٤) لقد ذكر سماحته قدّس سرّه هذه العبارة مخاطبًا أحد الحاضرين في حلقة درسه.

المصحف؛ لأنّ عيني كانت تؤلمني، و قلت لفلان... حتّى يصل إلى رسول الله ﷺ[1].

و على هذا النحو، ينقل [جميع رواة هذا السند] عن بعضهم أنّهم قالوا: «أَدِمِ النَّظَر في المصحف»، حتّى يصل [السند] إلى رسول الله ﷺ. [فهل] النظر في المصحف يرفع الألم [الظاهريّ] للعين، و [لكن] لا يرفع الوجع الباطنيّ للعين؟! حفظكم الله.

القرآن عِدل إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فهل غاب القرآن؟!

هل غاب القرآن؟ هو [أي القرآن] عِدله [أي عدل الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف]. يا أيّها الّذين تقولون: نحن مبتلون فيك [و في حُبّك] و نحن عشّاق لقائك، باسم الله! هذا رفيقه و شريكه و عدله بيننا، هل نستفيد من هذا الكنز؟ هل نستخرج من هذا المعدن؟ من هنا يُعلم هل نحن صادقون بحقّه أم لا [أي في ادّعائنا الحبّ له و الشوق إليه].

مرآة الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف

يجب أن نجعل هذا الحاضر [أي القرآن] مرآة الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

وقت الشوق

كلّما حنّت قلوبكم إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، انظروا إلى القرآن!

---

(١) «حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ محمّد بْنِ حَمْشَاذٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَبِيبِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَغْدَادِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُوعَبْدِ اللَّهِ محمّد بْنُ إِبْرَاهِيمَ الصَّفَدِيُّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَرَدَ بَغْدَادَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هَاشِمٍ ابْنُ أَخِي الْوَادِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ خَلَفٍ قَالَ: شَكَا رَجُلٌ إِلَى محمّد بْنِ حُمَيْدٍ الرَّازِيِّ الرَّمَدَ فَقَالَ لَهُ: أَدِمِ النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ فَإِنَّهُ كَانَ بِي رَمَدٌ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى حَرِيزِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ فَقَالَ لِي أَدِمِ النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ فَإِنَّهُ كَانَ بِي رَمَدٌ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى الْأَعْمَشِ فَقَالَ لِي: أَدِمِ النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ فَإِنَّهُ كَانَ بِي رَمَدٌ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ لِي: أَدِمِ النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ فَإِنَّهُ كَانَ بِي رَمَدٌ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي أَدِمِ النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ فَإِنَّهُ كَانَ بِي رَمَدٌ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى جَبْرَئِيلَ فَقَالَ لِي: أَدِمِ النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ».
بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٠١.

الروضة الثّانية عشرة:

«الأسئلة و الأجوبة»

«١» الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إرشادٌ برهانيّ

س: نسأل حضرتكم عن دلالة و هداية إلى الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟

ج: بسم الله الرّحمن الرّحيم، الحمد لله ربّ العالمين، و الصلاة على سيّد الأنبياء محمّد صلّى الله عليه و آله و عترته سادة الأوصياء عليهم السلام و اللّعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

و بعد، فالسّؤال عن حياة المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و عن خلافته له محلّ لمن لا يعتقد بإمامة والده المعظّم الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام و [لكنّ] القائلين بإمامته متفقون على خلافة المهديّ ولده العزيز و بقائه إلى ظهوره للعموم، و الروايات المشهورة عن الوالد و الوصاية للولد عجّل الله تعالى فرجه الشريف ثابتة معتبرة، و ذلكم ضروريّ المذهب الحقّ الّذي هو الدين الكامل التامّ، و لولا ذلك لم يبقَ الدين للمسلمين، لأنّ لازم المفروض أنّ أهل الإسلام كلّهم معتقدون بالأباطيل. و يزيد على ذلك كلّه ما تواتر من شهود الصالحين من العلماء و غيرهم و المستغيثين في الشرق و الغرب بالإمام الثاني عشر بحيث يقطع بالصدق من علم ببعضها و إن لم يعلم [بها] كلّها؛ فاسأل و أنصف تعلم يقينًا، و أنا الضامن له [لك] في هذا اليقين. و نزيد على كلّ ذلك [أيضًا]، ما ثبت في آخر الحديث المتواتر بين الفريقين، أعني حديث الثقلين من قوله صلّى الله عليه و آله: «وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقا حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوضَ»[1]، ففي كلّ زمان يثبت القرآن [فيه] له تثبت العترة الطاهرة [فيه] له.

---

(١) «إِنّي تارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَينِ أَحَدُهُما أَكبَرُ مِنَ الآخَرِ: كِتابَ اللّهِ حَبلٌ مَمدُودٌ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرضِ وَعِترَتِي أَهلَ بَيتِي، وَإِنَّهُما لَن يَفتَرِقا حتّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوضَ»؛ هذه الرواية هي من الروايات المتواترة لدى الفريقين، و قد نُقلت في كتبهما بألفاظ

﴿۲﴾ عدم الاعتقاد بغَيبة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: هل تجري أحكام المؤمن على الشخص الّذي لا يعتقد بحياة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و غَيبته؟

ج: كلّا، ليس بمؤمن.

﴿۳﴾ أسوة كاملة

س: برأيكم الشريف بمَ يكون كمال الإنسان؟ و ما هي أسبابه؟ و إن كنتم تعرفون شخصًا يمكنه أن يكون أسوة لنا في الوقت الحاضر، فتفضّلوا بإرشادنا إليه؟

ج: باسمه تعالى. كمال الإنسان هو في العبوديّة، و إنّ سبب العبوديّة هو ترك المعصية في الاعتقاد و العمل. الفرد الكامل هو المرشد، و في هذا العصر هو الإمام وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و إنّ طريق الوصول إلى إرشاداته هي المواظبة على التوسّلات المعلومة، من قبيل أداء الزيارات المأثورة بصدقٍ مع عدم التردّد [و الشكّ]، و أداء الصلوات [المأثورة و المنسوبة إلى] ذلك الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و جميع المحبّبات إلى الله و أوليائه.

﴿٤﴾ طريق الوصول إلى الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: ما هو طريق الوصول إلى إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟

ج: على المؤمن أن يرى نفسه في محضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في جميع الأحوال. التفتوا إلى أنّ كلّ عملٍ تقومون به هو في محضره [و مرآه]، فهو مطّلع حتّى على خواطركم. حتّى إنّ أشخاصًا كالسيّد مرتضى الكشميريّ رحمه الله كانوا يعرفون ضمائر الأفراد، فكيف بإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف!

﴿٥﴾ إمكانية مشاهدة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: ورد في التوقيع الشريف خطابٌ إلى عليّ بن محمّد السمريّ رحمه الله: «أَلَا فَمَنِ ادَّعَى الْمُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السفيانيّ وَ الصَّيْحَةِ فَهُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ»، كيف تؤوّل هذه العبارة مع ملاحظة القضايا الّتي نُقلت في كتاب بحار الأنوار و غيره تحت عنوان: «في مَن فاز بلقاء الحجّة عليه السلام»؟

متقاربة. راجع: الكافي، ج٢، ص٤١٥؛ كمال الدين، ج١، ص٢٣٤؛ مسند أحمد، ج٣، ص١٤؛ مجمع الزوائد، ج٩، ص١٦٣؛ المعجم الصغير للطبراني، ج١، ص١٣١.

ج: مع ملاحظة قرينة المقام، فإنّ المقصود في التوقيع هو [ادّعاء امتلاك ذلك] النوع من المشاهدة [التي كانت للنوّاب الأربعة] في النيابة الخاصّة.

﴿٦﴾ إمكانية التشرّف بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغَيبة

س: مع صرف النظر عن القصص الّتي ذُكرت في باب التشرّف بمحضر الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغَيبة، و مع ملاحظة التوقيع الشريف الّذي جاء فيه: «أَلَا فَمَنِ ادَّعَى الْمُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السفيانيّ وَالصَّيْحَةِ فَهُوَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ»[١]، هل يُتصوّر إمكان حصول اللقاء في زمن الغَيبة؟

ج: إذًا يجب أن نقول إنّ أمثال المقدّس الأردبيليّ رحمه الله كانوا من هؤلاء الفاسقين؟! هل يمكن [أو يُتصوّر] مثل هذا الأمر؟! كلّا، إنّ هذا [الادّعاء المقصود في الرواية هو ادّعاء الوساطة بحيث يدّعي] «أنّه باب [للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف]»، [و أنّ مشاهدته] كمشاهدة النوّاب الخاصّين بحيث يوصِل الرسائل [إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] و يتسلّم منه الأجوبة[٢].

﴿٧﴾ باب اللقاء مفتوحٌ

س: لِمَ كُتب علينا أن نكون محرومين من العترة الطاهرة عليهم السلام؟

ج: من قال إنّنا محرومون من فيوضاتهم؟ نحن محرومون اختيارًا، و إنّ الامتناع بالاختيار لا ينافي الاختيار؛ لأنّهم [لا يزالون] عَلى إفاضاتهم الحضوريّةِ بِالنّسبةِ إلى أهلها: «بَلْ بِرَجَاءِ حَيَاتِكَ حَيِيَتْ قُلُوبُ شِيعَتِكَ وَبِضِيَاءِ نُورِكَ اهْتَدَى الطَّالِبُونَ إِلَيْكَ»[٣]. و كذلك: «لَنُورُ الْإِمَامِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ بِالنَّهَارِ»[٤]. لكن الأمر يحتاج إلى التتبُّع و الطلب. و كثيرًا ما شوهدت ألطاف الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و عناياته بالنسبة إلى محبّيه و شيعته في

---

(١) الغَيبة (للطوسيّ)، ص٣٩٥.

(٢) أي إنّ الأمر الّذي أُمر بتكذيبه في الرواية هو ادّعاء الشخص بأنّه يشاهد الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أنّه نائبه و بابه، إذ يأخذ الرسائل من الناس و يسلّمهم الأجوبة الّتي يدّعي أنّه يتلقّاها من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف كما كان ثابتًا للنوّاب الأربعة الخاصّين، فهذا المدّعي هو كذّاب مُفتر، لأنّه لن يكون لأحدٍ في زمن الغَيبة الكبرى نيابة كنيابة النوّاب الأربعة في زمن الغَيبة الصغرى.

(٣) ورد في فقرة من زيارة سيّد الشهداء عليه السلام في النصف من شهر شعبان المعظّم: «أَشْهَدُ أَنَّكَ قُتِلْتَ وَلَمْ تَمُتْ بَلْ بِرَجَاءِ حَيَاتِكَ حَيِيَتْ قُلُوبُ شِيعَتِكَ وَبِضِيَاءِ نُورِكَ اهْتَدَى الطَّالِبُونَ إِلَيْكَ»؛ البلد الأمين، ص٢٨٤؛ بحار الأنوار، ج٩٨، ص٣٤٢.

(٤) الكافي، ج١، ص١٩٤و١٩٥؛ بحار الأنوار، ج٢٣، ص٣٠٨.

زمن الغَيبة. باب اللقاء و الحضور ليس مسدودًا كلّيًّا، بل إنّ أصل الرؤية الجسمانيّة أيضًا لا يمكن إنكاره.

«٨» الجميع يرَون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف!

س: هل هناك سبيل إلى رؤية إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟

ج: يبدو أنّ هناك رواية[١] بأنّ الجميع يَرونه، و لكنّهم لا يعرفونه!

«٩» الإجماع التشرُّفيّ

س: هل الإجماع التشرُّفيّ[٢] مقبول؟ مثلًا إن ادّعى المقدّس الأردبيليّ رحمه الله الإجماع فهل له حُجّيّة؟

ج: للشخص الّذي تيقّن بأصل التشرّف و مضمونه [حُجّيّة]. في كثير من الموارد، فإنّ مضمون الكلام نفسه يأتي باليقين. فمثلًا، مضمون الزيارة الجامعة يأتي باليقين بأنّ المتكلّم بهذه الزيارة هو من المعصومين و من هذه الطائفة [أي أهل البيت عليهم السلام]، و هذا الكلام قد صدر عن هذا المصنع [و المصدر]. نحن لا نقبل بأنّه لا يمكن أن تُفهم لهجة المعصومين عليهم السلام. نحن لا نقبل بهذا الكلام. فأحيانًا يمكن للإنسان أن يعلم مِن الكلام الصادر نفسه مَن هو مصدره و مَن هو صاحبه.

«١٠» أفضلُ عملٍ يقرِّب إلى الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: ما هو أرقى عمل يقرّب الإنسان إلى الله تعالى و إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟

ج: قولوا ما هي أرقى عبادة و عبوديّة، ألا و هي ترك المعصية في الاعتقاد و العمل. إن قلتم إنّ هناك أمرًا لم نشأ أن يحصل لكنّه حصل، فإنّنا نعتذر عن الإجابة![٣]

---

(١) الظاهر أنّ المقصود هو هذه الرواية المنقولة عن الإمام الصادق عليه السلام: «صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ يَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمْ وَيَمْشِي فِي أَسْوَاقِهِمْ وَيَطَأُ فُرُشَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَهُ حتّى يَأْذَنَ اللهُ لَهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ نَفْسَهُ كَمَا أَذِنَ لِيُوسُفَ حِينَ قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾»؛ الغَيبة (للنعمانيّ)، ص١٦٣و١٦٤.

(٢) الإجماع التشرُّفيّ هو حصول الفقيه على رأي المعصوم عليه السلام في مسألة ما من خلال التشرُّف بمحضر الإمام وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لكن بما أنّه لا يريد أن يصرّح بأنّه فاز بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فيُبيّن ذلك بعنوان «الإجماع».

(٣) يعني أنّ هناك البعض ممّن لا يريدون ارتكاب المعصية و هي أيضًا لا تصدر منهم اختيارًا. لذا فإنّ الادّعاء بأنّنا لم نُرِد ارتكاب المعصية لكنّها حصلت، غير مقبول.

«١١» مرضاة إمام العصر عَجَّلَ اللهُ تَعالىٰ فَرَجَهُ الشَّريف

س: كيف نعلم إن كان الإمام المهديّ عَجَّلَ اللهُ تَعالىٰ فَرَجَهُ الشَّريف راضيًا عنّا؟

ج: لاحظوا دَفتره، طابقوا عملكم مع دفتر إمام الزمان عَجَّلَ اللهُ تَعالىٰ فَرَجَهُ الشَّريف، فدفتره هو كتاب الشرع[1]؛ [طابقوا عملكم مع] الكتاب الّذي هو بالنسبة إليكم كتاب الشرع. [يختلف كتاب الشرع بالنسبة إلى كلّ مكلَّف] فالمجتهد و المقلِّد و المحتاط مختلفون فيما بينهم [وكلٌّ منهم يعمل حسب ما تقتضيه وظيفته الشرعيّة].

«١٢» الطريق الأقرب إلى مرضاة الإمام المهديّ عَجَّلَ اللهُ تَعالىٰ فَرَجَهُ الشَّريف

س: أنا شابّ أرغب في خدمة المسلمين، لكنني متردّد بين التحصيل الحوزيّ و الجامعيّ، أرجو من سماحتكم أن تتفضّلوا ببيان المسار الّذي من الأفضل لي أن أسلكه على وفق الحاجة الفعليّة للمجتمع و لأكون فائزًا برضا الإمام الحجّة عَجَّلَ اللهُ تَعالىٰ فَرَجَهُ الشَّريف؟

ج: إنّ التحصيل الحوزيّ أقرب إلى مرضاة الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالىٰ فَرَجَهُ الشَّريف، إن شاء الله.

«١٣» المقصود بالفرج الشخصيّ

س: في قضيّة الإمام المهديّ عَجَّلَ اللهُ تَعالىٰ فَرَجَهُ الشَّريف، ما المقصود بالفرج الشخصيّ الّذي تفضّلتم بالقول إنّه أكثر أهمّيّة من الفرج العامّ؟

ج: [الفرج نوعان:] الفرج العامّ و الفرج الخاصّ. و هو [مثلًا] من الممكن أن يكون شخصٌ مبتلى [أو صاحب حوائج] فيسعى الإمام الحجّة عَجَّلَ اللهُ تَعالىٰ فَرَجَهُ الشَّريف في قضاء حوائجه و في نجاته من البلايا. هذا ليس ممنوعًا [و لا يوجد مانع من ذلك]؛ لقد شوهد أنّهم عليهم السلام أنجوا الشيعة [كثيرًا] إلى ما شاء الله في الوقت الّذي لم يكن هناك طريقٌ آخر للنجاة، فهذا حسب الظاهر هو الفرج الخاصّ و الشخصيّ.

و الفرج العامّ ذلك الّذي يكون الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالىٰ فَرَجَهُ الشَّريف فيه ظاهرًا للجميع. نعم، إلّا أنّ هناك أمرًا واحدًا و هو أن يكون الإنسان ملتفتًا إلى أنّه عَجَّلَ اللهُ تَعالىٰ فَرَجَهُ الشَّريف حاضرٌ دائمًا. إنّه يرانا لكنّنا نحن لا نراه. العياذ بالله، العياذ بالله، إنّ الشيطان [الّذي هو عدوّ الله] يرانا و نحن لا نراه. فقطعًا [و من

(١) أي الرسالة العمليّة الصحيحة.

الأولى] إنّ هذا الّذي هو عين الله الناظرة و أذنه الواعية و يده الباسطة يرانا. هذا الحوار الّذي نُجريه هو يسمعه قَبْلنا. هناك مسافة بين المتكلّم و المستمع، [فالصوت] لا يصل إلى المستمع قبل اجتياز المسافة الموجودة بينه و بين المتكلّم، [و لكن الإمام] يسمع كلامنا قبلنا جميعًا، سواء أمتكلّمًا كان الشخص أم مستمعًا، الإمام يسمع قبلهما معًا. إن كنّا نعلم ذلك فسنستحيي من ارتكاب المعصية و سنستحيي من الغفلة. إن كنّا مبتلين فعلينا أن نعلم أنّ الاستغفار علاج جميع البلايا [و سببٌ لرفعها]، شرط أن يكون [الاستغفار] عن صدق، و أن يكون [الاستغفار] قلبيًّا؛ و ليس مجرّد كلمة «أستغفرُ الله». فإن كان صادقًا فإنّ عليه أن يبحث عن مصدر الخلل في الأمر. هذا الاستغفار الصادق يختلف [كثيرًا] إلى ما شاء الله عن الاستغفار الّذي لا يكون صادقًا. هناك رواية تفيد بأنّ من المسلّمات أنّ الاستغفار يرفع جميع البلايا. و لو أنّهم ـ مثلًا ـ قالوا لي في المنام إنّ عليّ أن أصبر مدّة سنة، فيكون هناك أمدٌ محددٌ [لقضاء هذه الحاجة]. ليس للكذب مشترٍ هنا [في محضر الله تعالى]. الاستغفار يرفع كلّ بلاء إلّا إن كان الاستغفار كاذبًا.

﴿١٤﴾ نذر زيارة الإمام المهديّ

س: هناك شخص نذر الذهاب إلى زيارة الإمام بقيّة الله، ما هو تكليفه بالنسبة إلى أداء نذره؟ هل عليه أن يذهب إلى مكان معيّن أو أن يقرأ زيارة خاصّة أو أن يقوم بأعمال و آداب خاصّة؟

ج: لا يختصّ نذر زيارة الإمام بقيّة الله بمكان معيّن إلّا مع قصد الناذر لأحد الأمكنة المنسوبة؛ و مع قصد المكان و عدم تعيينه في القصد، فإنّ اختيار السرداب المقدّس المتيقّنة نسبته [إلى الإمام] أولى أو متعيّن. و يكفي الحضور مع التسليم المحقَّق أو المقدَّر، في الوفاء بنذر الزيارة. و الدعاء و الصلاة و الآداب الخاصّة بالزيارات العامّة و الخاصّة هي من المكمّلات للزيارة.

﴿١٥﴾ توصيةٌ لحصول التشرّف

س: إنّي مشتاق إلى لقاء الإمام وليّ العصر الحجّة بن الحسن العسكريّ، و ألتمس من سماحتكم الدعاء لي بالفوز بهذه السعادة.

ج: اهدوا الكثير من [ذكر] الصلوات[1] إلى وجوده المقدّس، مقرونة بالدعاء بتعجيل فرجه، و أكثروا من التشرّف بزيارة مسجد جمكران مع أداء صلواته [الخاصّة].

«١٦» ختمةٌ للقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: هل هناك طريقة معيّنة أو ختمة أو ذكر للفوز بسعادة اللقاء بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف ؟

ج: مهما كانت الختمة أو الدعاء، فإنّ هذا لا يضطَرُّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى ذلك [و لا يجبره على اللقاء]؛ يبقى اختياره في الأمر في موضعه [و هو النافذ]. نعم، أحيانًا يكون [حصول اللقاء] من المصلحة، و أحيانًا لا يكون من المصلحة. لذا ليقرأ الحمد و سورة و يهديهما إيّاه بنيّة أنّني أريد مشاهدتكم، سواء أفي المنام كان أم في اليقظة، [هذا كافٍ]. و من الإنصاف القول إنّه لا مانع من ذلك في المنام، و من الإنصاف أيضًا أن لا يتوقّع الإنسان أكثر من المنام، [و هل هناك] فرق بين المنام و اليقظة بالنسبة إليهم؟

س: لقد تفضلتم بالتوصية بإهداء قراءة سورة الحمد [و سورة] مرّة واحدة للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بنيّة رؤيته في المنام، و ذكرتم أن لا مانع من أن يُرينا الإمام عليه السلام شخصه الشريف في المنام، إلّا أنّنا لا نوفّق لذلك.

ج: [لقد قلنا] لا مانع من ذلك، لا أنّ [حصول اللقاء] يصبح واجبًا عليه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. يمكن أن يَرفع الإمام عنكم بلاءً، هذا الأمر نفسه بمنزلة الرؤية!

«١٧» سبيلٌ إلى لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: لقد تفضّلتم بالقول إنّ لقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف يحلّ الكثير من الأمور، و أنّ النظر في المصحف بإمكانه أن يكون بديلًا عن النظر إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

ج: يمكن أن يكون بديلًا عنه أو أن يصِل [الشخص] إلى ذلك نفسه[2].

س: هل هناك طريقة أخرى لزيارة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف ؟

ج: طريقته الأخرى هي تكرار هذا المطلب نفسه[3].

---

(١) أي ذكر: «اللهمّ صلِّ على محمّد و آل محمّد و عجّل فرجهم».

(٢) أي إنّه بالمواظبة على النظر في المصحف يفوز بسعادة النظر إلى الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

(٣) أي تكرار النظر إلى المصحف الشريف بنيّة النظر إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

س: يقول البعض حول الحديث النبويّ الشريف: «مَن رَآنِي فِي المَنَام كَمَن رَآنِي فِي اليقظَة فَإنّ الشَّيطَان لَا يتَمَثَّل بِي»[1]، إنّه لتحقّق شرط هذه الرواية فمن اللازم أن يكون الإنسان قد رأى رسول الله ﷺ في اليقظة أوّلًا، حتّى يستطيع أن يجزم عندما يراه في المنام بأنّه هو نفسه الّذي رآه في اليقظة، لذا فإنّ مُفاد هذه الرواية لا يسري في زمن الغَيبة و ما من أثر عمليّ له، ما هو رأيكم الشريف حول هذا الموضوع؟

ج: هل من اللّازم أن يكون قد رآه في اليقظة؟! [كلّا، لا يلزم ذلك]. إنّ العلم بأنّه هو شخص الرسول ﷺ يحصل في المنام أيضًا كما اليقظة. ألا يمكن أن يكون هنالك شخصٌ قام بتغيير صورة الوجه و شبّه نفسه بشخص الرسول ﷺ في اليقظة؟ إنّ هذا لممكن؛ [إذًا الإشكال المطروح بخصوص المنام يسري على اليقظة أيضًا]، إذًا إنّ العلم هو الّذي يحدّد أنّ ما رآه ليس مجرّد صورة بل إنّ حقيقته أيضًا موجودة هنا[2].

---

(١) راجع: صحيح البخاريّ، ج١، ص٩٥، ح١٠٥؛ ج١٠، ص٣٦، ح٥٤٩٥؛ ص٣٦٥، ح٦٢٥١و٦٢٥٢؛ صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٧٥، ح٢٢٦٦.

(٢) المقصود هو أنّ ما يسبّب حصولَ العلم و المعرفة بشخصٍ ما هو مجموع الصورة و الحقيقة. و حتّى في اليقظة فإنّ مجرد رؤية صورة الشخص و ظاهره غيرُ كافٍ لحصول المعرفة به، إذ يمكن لأيّ شخصٍ أن يُشبّه نفسه بأحدهم حتّى في اليقظة. إذًا فالذي يسبّب حصول المعرفة بالشخص هو ظهور هويّته و حقيقته و بروزهما مع صورته و ظاهره. و في الواقع، إنّ باطن الشخص و حقيقته هما اللّذان يظهران إضافةً إلى تجلّي صورته و ظاهره. و إنّ الّذي يرى رسول الله ﷺ و الأئمّة المعصومين عليهم السلام في المنام يصل إلى الاطمئنان من خلال مشاهدة هويّة أولئك العظماء عليهم السلام و حقيقتهم إضافةً إلى رؤية صورتهم المعهودة، أي أنّه يرى تلك الرّوح الإلهيّة و ذلك الصّفاء الباطنيّ يتجلّيان في ظاهرهم أيضًا، و لا يحصل على الاطمئنان القلبيّ بمجرّد رؤية بعض الصفات الظّاهريّة كالعمامة و اللحية و سِمات الوجه حصرًا. و بعبارةٍ أخرى، إنّ الحقيقة النّورانيّة للمعصومين عليهم السلام متميّزة و ممتازة إلى درجة أنّ كلّ من يقابلهم واقعًا يتيقّن من خلال حقيقتهم النورانيّة و يحصل له العلم بأنّ هذا الشخصَ إنسانٌ إلهيّ و ليس كغيره من الناس. و لهذا فكثيرًا ما شوهد المعصومون عليهم السلام جالسين بين أشخاص عاديّين يشبهونهم بالهيئة و المظهر الخارجيّ و اللباس، لكنْ بمجرّد أن يدخل شخصٌ غريب ـ لم يرَ الإمام عليه السلام في حياته مطلقًا ـ على هذا الجمع و يلقي نظرةً إليهم يشعر فورًا و بنحوٍ واضح أنّ لهذا الشخص النّورانيّ هويّة و هيبة متميّزتين عن الآخرين، و يطمئنّ بأنّه الإمام عليه السلام. و على سبيل المثال، يمكن الإشارة إلى قصّة أهل اليمن حينما جاؤوا إلى رسول الله ﷺ و طلبوا إليه أن يُرشدهم إلى وصيّه، فطلب النبيّ ﷺ منهم أن يذهبوا إلى المسجد و يتعرّفوا إليه بأنفسهم، و قال لهم: «هُوَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَسِّمِينَ، فَإِنْ نَظَرْتُمْ إِلَيْهِ نَظَرَ مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ، عَرَفْتُمْ أَنَّهُ وَصِيِّي كَمَا عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيُّكُمْ، فَتَخَلَّلُوا الصُّفُوفَ وَ تَصَفَّحُوا الْوُجُوهَ فَمَنْ أَهْوَتْ إِلَيْهِ قُلُوبُكُمْ فَإِنَّهُ هُوَ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ فِي

س: قال البعض إنّ الإنسان حينما يرى الإمام المعصوم عليه السلام في منامه فإنّ ذلك تمثُّل لنفس الشخص الّذي رأى المنام، و ليس هو الإمام عليه السلام حقيقة.

ج: نحن نحتمل ذلك! إلّا أنّ الشخص الّذي رأى الرؤيا لا يحتمل ذلك.

س: هل يمكن أن يكون قَطْعه هذا خاطئًا؟

ج: إن كان قَطْعه خاطئًا، فلا يمكننا أن نُملي عليه إنّ قطعك خاطئ! [لكن] يمكننا نحن أن لا نقطع بقَطْعه[1].

«١٩» الطريقة الأفضل للارتباط بإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: ما هي أفضل طريقة للارتباط بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في هذا العصر؟

ج: العمل بدفتر الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و طاعته. إنّه يرى، يقينًا إنّه يرى. إنّ هذا الحديث الّذي أحدّثكم به يسمعه الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف قبلكم. و عندما تتحدّثون معي فهو عجّل الله تعالى فرجه الشريف يسمعه قبلي؛ إنّه «عَينُ اللهِ النّاظِرَةُ وَ أُذُنُهُ الْوَاعِيةُ».

س: هل يكفي مجرّد العمل بأوامرهم و تعاليمهم للارتباط به عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟ أليس هنالك دعاء معيّن من أجل تحصيل هذا الغرض؟

ج: أفضلُ دعاءٍ هو طاعته عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

«٢٠» طريق الارتباط بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: حدّثنا أحد الأساتذة عن بعض قصصكم المكتومة خلف الستار مع الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

كِتَابِهِ: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ أَيْ إِلَيْهِ وَإِلَى ذُرِّيَّتِهِ». و عندما ذهبوا إلى المسجد و نظروا في الصفوف، وقع نظرهم على أمير المؤمنين عليه السلام من بين الصّحابة، فألفَوا في قلوبهمُ الخضوعَ و الخشوعَ له و تيقّنوا بأنّ هذا هو وصيُّ رسوله صلّى الله عليه وآله. فرجعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فسألهم بمَ عرفوا أنّه وصيّه؟ فرفعوا أصواتهم يبكون و يقولون: «يَا رَسُولَ اللهِ، نَظَرْنَا إِلَى الْقَوْمِ فَلَمْ تَحِنَّ لَهُمْ قُلُوبُنَا، وَلَمَّا رَأَيْنَاهُ رَجَفَتْ قُلُوبُنَا ثمّ اطْمَأَنَّتْ نُفُوسُنَا وَانْجَاشَتْ أَكْبَادُنَا وَهَمَلَتْ أَعْيُنُنَا وَانْثَلَجَتْ صُدُورُنَا، حتّى كَأَنَّهُ لَنَا أَبٌ وَنَحْنُ لَهُ بَنُون»؛ الغيبة (للنعماني)، ص٤٠و٤١.

(١) المقصود هو أنّكم و إن احتملتم عدم رؤية ذلك الشخص لرسول الله صلّى الله عليه وآله أو الإمام المعصوم عليه السلام حقيقة، إلّا أنّ الشخص الّذي رأى الرؤيا لا يحتمل ذلك، و لا يذهب احتمالكم هذا باطمئنانه و ليس حجّة عليه. و إن كنتم تحتملون أنّ قطعه ليس صحيحًا فهذا لا يؤثّر في صحّة قطعه لديه.

و عن قصص بعض العلماء الآخرين كالشيخ المفيد ﷺ. نرجو من سماحتكم أن تكتبوا لنا شيئًا حول هذا الموضوع و حول هذا الإمام المعظّم عجّل الله تعالى فرجه الشريف و سبل الارتباط به.

ج: باسمه تعالى، إنّ سبل الارتباط بالله هي طاعته و طاعة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و يكون تشخيصها من خلال مطابقة العمل على دفتر الشرع أي الرسالة العمليّة الصحيحة.

﴿٢١﴾ تقوية العلاقة بإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: كيف نُقوّي العلاقة بأهل البيت عليهم السلام و بالخصوص بصاحب العصر عليه السلام ؟

ج: طاعةُ اللهِ بعدَ معرفتِهِ، توجِبُ حبَّهُ تعالى و حُبَّ من يحبُّهُ من الأنبياء و الأوصياء الّذين أحبُّهُم إليه محمّد و آله عليهم السلام، و أقربُهم منّا صاحبُ الأمرِ عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

﴿٢٢﴾ التوسّل بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: نرجو من سماحتكم أن ترشدونا إلى سبيل لكي يكون لنا توسّل قويّ بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف ؟

ج: [هناك سبل للتوسّل كثيرة] إلى ما شاء الله. فزياراته هي توسّل به. كما أنّ ذكر الصلوات عليه هو توسّلٌ به أيضًا. إنّ التوسّل لا يحتاج إلى طريقة معيّنة.

﴿٢٣﴾ طَرْقُ بابِ بيتِ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: كيف نطرق باب بيت الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف ؟

ج: هل يمكن أن لا يكون الدعاء لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف مؤثّرًا في جلب محبّتنا له و ازديادها فيما لو كان من القلب و ليس على اللسان فقط؟! راجَعَ شخصٌ أحد الفضلاءِ و قال له: لقد ابتليت ببلاء و شدّة، انذروا لي نذرًا أوفيه إذا نجوت. فقال له: نذرت عنك. بعد مدّة جاء ذلك الشخص و قال: لقد رُفِعَت تلك البليّة. أخبروني بالنذر كي أوفيه. فقال: لقد أوفيت ذلك النذر بنفسي. فقال الشخص: حسنًا، أخبروني بمصاريفه كي أدفعها إليكم. فأجابه: ما كان له من مصاريف! فسأله: إذًا ما كان نذركم؟ فأجابه: لقد نذرت صلاة واحدة [على النبيّ و آله] لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف![1]

---

(١) كان سماحة آية الله الشيخ البهجة ﷺ يرى أنّ من أفضل الأعمال لقضاء الحوائج المهمّة هو نذر الصلوات على محمّد و آله، خاصّةً إن أُهديت هذه الصلوات إلى الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

نعم، إنّ الصلوات [على محمّد و آله ﷺ] تكون صغيرة في نظرنا، إلّا أنّها كبيرة جدًّا! ألم يقل رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً لَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ ذَرَّةٌ»؟[1]

﴿٢٤﴾ أفضل شهادة في سبيل الله هي الشهادة في عصر الظهور

س: كانت لي حاجة إلى الله تعالى و قد توسّلت كثيرًا إلّا أنّني لم أوفّق للوصول إلى مقصدي، فإنّ أيدينا لا تصل إلى الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ما عسى الإنسان أن يفعل حتّى يصل إلى مبتغاه؟

ج: ما هي حاجتكم؟ هل سنخها معلومٌ ما هو؟

س: كنت أتمنّى أن يرزقني الله الشهادة في سبيله.

ج: حسنًا ما يدريكم، فربّما تصبح من نصيبكم!

س: أريد أن تكون قريبة غير بعيدة، لأنّني أرى أنّ الوضع يزداد سوءًا لحظة بلحظة.

ج: كونها قريبة أو بعيدة فالله من يحدّد ذلك، نحن لا يمكننا أن نعيّن إن كانت قريبة أو بعيدة. ربما قدّر أن يكون عمركم مائتي سنةٍ و تستشهدون بعد ذلك، هل هناك من إشكال؟

س: هل هناك طريقة يطمئنّ بها الإنسان إلى أنّ الله تعالى قد قضى حاجته و أعطاه سؤله فيرتاح باله و يطمئنّ قلبه؟

ج: إنّ أفضل شهادة هي الشهادة في عصر الظهور، ربما يبقيكم الله إلى وقت ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

﴿٢٥﴾ ختم القرآن لسلامة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف صِداق الزواج

س: هل يجوز للفتاة أن تجعل صداقها أن يختم الزوجُ القرآنَ خلال سنة واحدة لسلامة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟

ج. إنّ هذا الإمهار صحيحٌ و لا مانعَ منه.

﴿٢٦﴾ طريقٌ لتحقّق ظهور الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: هل هناك طريقة لمعرفة وقت الظهور غير تلك الروايات الّتي تقول: «مُلِئَتْ ظُلْمًا وَ جَوْرًا»؟

---

(١) جامع الأخبار (للشعيريّ)، ص٥٩.

ج: نعم، لو اتّفقت جماعةٌ على الصلاح، فذلك مؤثّرٌ في ظهور الإمام ﷻ، كما أنّ «مُلِئَتْ ظُلْمًا وَ جَوْرًا» تكون مؤثّرة، لكن يبقى ذلك مجرّد «لو»![1]

س: هل هناك رواية تفيد أنّ الإمام ﷻ سيظهر إن اتّفق جمع من النّاس على الصلاح؟

ج: نعم، لقد ورد عن الناحية المقدّسة: «وَلَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا وَفَّقَهُمُ اللّهُ لِطَاعَتِهِ عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ الْقُلُوبِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا وَلَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا»[2]؛ أي أن يبلغ الدعاء الحقيقيّ و الجامعُ للشرائط لجماعةٍ من أهل الخير و الصلاح بالفرج حدًّا بحيث يُستجاب.[3]

«٢٧» الوفاءُ بالعهدِ شرطٌ للقاء الإمام المهديّ ﷻ

س: ما هو المقصود بالوفاء بالعهد في الرواية التالية: «لَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا وَفَّقَهُم اللّهُ لِطَاعَتِهِ عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ الْقُلُوبِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا وَلَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا»؟

ج: هو أن يكون مستقيمًا في طاعتهم و ثابت القدم في ولايتهم، [كالنوّاب الأربعة ﵃] لقد كانوا يتّقون في موضع التقيّة، و يبيّنون الحقّ في موضع بيان الحقّ. و لم يكونوا غير مبالين بحيث لم يكن لديهم أيّ قيدٍ. لقد كان المخالفون يسبّون و يشتمون في حضورهم ﵃، لكنّهم لم يكونوا متّفقين معهم في الخارج[4].

---

(١) أي إنّ هنالك طرقًا أخرى لتحقّق فرج الإمام ﷻ، كاجتماع قلوب المؤمنين على الصلاح و الرشد و الوفاء بالعهد معه ﷻ، لكنّنا و للأسف تركنا هذه السبل و توقّفنا عند «يا ليتنا اتّفقنا على الصلاح» خلال السير في هذا الطريق!

(٢) ورد في توقيع الإمام الحجّة ﷻ إلى الشيخ المفيد ﵀: «وَلَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا وَفَّقَهُم اللّهُ لِطَاعَتِهِ عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ الْقُلُوبِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا وَلَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا عَلَى حَقِّ الْمَعْرِفَةِ وَصِدْقِهَا مِنْهُمْ بِنَا فَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكْرَهُهُ وَلَا نُؤْثِرُهُ مِنْهُمْ»؛ الاحتجاج، ج٢، ص٤٩٩؛ بحار الأنوار، ج٥٣، ص١٧٧.

(٣) يظنّ البعض حسب عقيدتهم الخاطئة عملًا بالرواية الّتي تقول بأنّ الظهور الشريف يكون بعد امتلاء الأرض ظلمًا و جورًا، يلزم عليهم تسهيل انتشار الظلم و الفساد كي تتحقّق مقدّمة الظهور، لكن هنا ينبغي التوجّه بالسؤال إليهم: لماذا لا يعملون بمفاد الرواية المعروفة الّتي تقول باجتماع القلوب على الوفاء بالعهد عليهم، إذ إنّ اجتماعهم على الإتيان بالواجبات و ترك المعاصي لهو أولى بالإهتمام به كي يمهّدوا لحصول الفرج.

(٤) المقصود هو أنّ المخالفين و الظالمين كانوا يسبّون مقدّسات الشيعة و يشتمونها في حضور النوّاب الأربعة، إلّا أنّ النوّاب الأربعة كانوا يمارسون التقيّة و لم يكونوا يتكلّمون بشيء، لكنّهم من جانب آخر لم يكونوا متوافقين مع المخالفين و الظالمين في غير مواضع التقيّة، و قد كانوا يوصلون الحقّ إلى من كان مستعدًّا لقبوله.

﴿٢٨﴾ القيام عند ذكر اسم «القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف»

س: هل يجب القيام عند ذكر اسم الإمام القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟

ج: كلّا، يستحبّ ذلك[1].

﴿٢٩﴾ كتابة الاسم الشريف للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: هل يجوز كتابة الاسم الشريف للإمام بقيّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟

ج: لا مانع من ذلك في غيرِ موارد التقيّة من النصارى.[2]

﴿٣٠﴾ دعاء الندبة

س: هل هناك سندٌ لدعاء الندبة؟ و ما هو رأيكم الشريف حول صحّة سنده؟

ج: إنّ أفضل دليلٍ على سنده هو نصّه. و أفضل سنَد له هو نصّه.

﴿٣١﴾ التوسّل بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف قُبيل الصلاة

س: ماذا نفعل للقيام بالواجبات الإلهيّة و لا سيّما الصلاة بخشوعٍ و توجّهٍ قلبيّ؟

ج: قوموا بالتوسّل الحقيقيّ بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف في بداءة الصلاة من أجل تأدية العمل بالتماميّة المطلقة.

﴿٣٢﴾ الواسطة لقبول الأعمال

س: نرجو من سماحتكم أن تكتبوا لنا إرشادات لعلاج الصفات النفسانيّة الكريهة و تحصيل حضور القلب في الصلاة؟

ج: باسمه تعالى، إنّ إصلاح الصلاة يستلزم إصلاح الظاهر و الباطن و الابتعاد عن المنكرات

---

(١) كان سماحة آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه ينقل عن بعض مشايخ الشيعة أنّ الأدب يقتضي قيام المرء عند ذكر الاسم الحكوميّ للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أي «القائم» تعظيمًا له لأنّه ناظر إلينا.

(٢) هناك بحثٌ علميٌّ حول النهي عن التصريح باسم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الخاصّ، و قد ذُكر في الملحق السادس في الصفحة ٩٣٥ من هذا الكتاب.

الظاهريّة و الباطنيّة، و من سبل إصلاح الصلاة هو التوسّل الجادّ بالإمام وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف حين الشّروع فيها؛ «وَبِكُمْ [بِمُوالاتِكُمْ] تُقْبَلُ الطّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ»[1].

«٣٣» مُراءاة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف!

س: هل يُحرم على الإنسان أن يُرائي الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في العبادات؟

ج: ليس هناك تصوّرٌ للرياء قبال الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في العباداتِ بحيث يكون محرّمًا، بل يعدّ ذلك من باب التوسّل بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

«٣٤» نقل المكاشفة و التشرّف

س: هل يصحُّ إخبار الآخرين وعامّة الناس عن المكاشفة واللقاء بالإمام وليّ العصر (أرواحنا فداه)؟

ج: هذا المطلب تكليف المدَّعي.

«٣٥» ترتّب الأثر في ادّعاء المشاهدة

س: هل يجوز العمل بأقوال من يدّعون المكاشفة و اللقاء بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ترتيب أثر على ادّعائهم؟

ج: [هذا الأمر] دائر مدار حصول اليقين لدى العامل.

«٣٦» معيار المكاشفات الواقعيّة

س: ما هو معيار التمييز بين المكاشفات الحقيقيّة و الادّعاءات الكاذبة؟

ج: من جملة أسبابِ حصول اليقين وجودُ آثارِ الصّدق في قول المدّعي و فعله، و في المقابل آثار مخالفة القول للفعل.

«٣٧» التبعية للشرع، دليلٌ على الصدق

س: البعض يطرح السؤال التالي: إنّ المتصوّفة على الرغم من عقيدتهم الباطلة، يقرؤون في

---

(١) فقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة.

بعض الأحيان أذكارًا و يجدون لها آثارًا. للمثال وقع طفلٌ من الأعلى لكنّه لم يمت ببركة قراءة ذكر «يا عليّ». في المقابل هناك أشخاصٌ سالِمو العقيدة يقرؤون هذه الأذكار إلّا أنّهم لا يجدون لها أثرًا. المتصوّفة يقولون «يا عليّ» و يرون آثارًا، لكنّ سالمي العقيدة يقولون «يا ألله» فضلًا عن قولهم «يا عليّ» و لا يجدون ذلك الأثر. فما تعليقكم الشريف على هذا المطلب؟

ج: للرياضات أثرٌ حتّى لو كانت ناقصة و لم تكن كاملة. مثلًا، يكون السيف بيد أولئك، و هذا دليل على أنّهم يمتلكون القدرة، لكن هل هو دليلٌ على أنّهم على الحقّ أيضًا؟! على الإنسان الالتفات إلى أنّ الّذي في أعماله مخالفة للشرع ليس على الحقّ. قد نقلوا أنّ أحدهم أرسل إلى ذلك السيّد الأخلاقيّ[1] في النجف: أنّ شخصًا يقول إنّه مرتبط بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و هو يُخبِر أخبارًا و يقول أمورًا إلّا أنّه حالقٌ للحيته! كان الشخص الّذي كتب الرسالة من تلامذة السيّد الأخلاقيّ، و من الفضلاء و مدرّسًا للعلوم المعقولة في النجف، و كتب إلى أستاذه هذه الرسالة. فكتب الأستاذ في جوابه قصيدة كان هذا [البيت] جزءًا منها: «نعم، ما كان الرائد يأمر أهله بشيء و يطلب فيه مرفقًا!»[2]. أي أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه لا يعمل هذا العمل و لا يحلق لحيته، فهل هذا الّذي هو نائبه سيحلق لحيته؟! لقد جاء هذا الرائد ليخبر أخبارًا، فلا بدّ أن يخبر بالحسنة[3]، فلِمَ يقوم هو نفسه باقتراف السيّئة؟! يجب أن يُلتفت [إلى أعمال الشخص الّذي يدّعي القرب من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] نحن لا يمكننا الإعراض عن اتّباع الشرع، و إلّا سنكون قد خالفنا الأنبياء و الأوصياء الأئمّة المعصومين عليهم السلام أيضًا.

---

(١) آية الله السيّد عليّ القاضي الطباطبائيّ قدّس سرّه.

(٢) الرائد هو الشخص الّذي يسير أمام القافلة و يختار مكانًا آمنًا و مناسبًا من حيث قربه من الماء لتوقّف القافلة. و عليه يجب تصديق الرائد و إطاعته للوصول بسلامةٍ إلى المكان المنشود، و المقصود ببيت الشعر هو أنّه لا يمكن للشخص الّذي يكون رائد القوم أن يأمر أهله و قافلته بأمر حسن و هو يعمل خلاف ما يأمر و يستثني نفسه من العمل به. إذًا، لا يمكن للشخص الّذي يدّعي بأنّه نائب الإمام عليه السلام أن يحلق لحيته في حين أنّنا نعلم بأنّ الإمام عليه السلام لا يخالف الشرع و هو ملتحٍ و ينهى عن حلق اللحية. فلا يمكن للشخص الّذي يدّعي الارتباط بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن يعمل خلافًا لأوامر من ينوب عنه و سلوكه!

(٣) مصداق الحسنة هنا هو عدم حلق اللحية.

«٣٨» التعامل مع المدّعين

س: ظهر في الآونة الأخيرة أشخاصٌ يدّعون بأنّهم السيّد الخراسانيّ أو اليمانيّ، فما هي وظيفتنا تجاه هؤلاء الأشخاص؟

ج: عليك بملازمة اليقين[1].

«٣٩» الوظيفة تجاه مدّعي اللقاء

س: ادّعى شخصٌ أنّه رأى الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و قد جمع حوله جماعة من الناس.

ج: أنتم لا شأن لكم به أبدًا.

س: إنّه يتحدّث بأمور، فما هي وظيفتنا تجاه أقواله؟

ج: يجب أن يحصل يقينٌ بكلامه أيضًا. ما وافق كتاب الله فخذوه و ما خالف كتاب الله فذَروه.

---

(١) أي و إن ذكرت الروايات الشريفة أخبارًا عن بعض الأشخاص و الأحداث المرتبطة بهم، و حتّى لو كان هناك إجمالًا يقينٌ بخروج هؤلاء الأشخاص بالتزامن مع وقت الظهور، إلّا أنّ هذا غير كاف، و يجب أن يكون التطابق بين العناوين المذكورة في الروايات و الشخص المدّعي يقينيًّا أيضًا، خصوصًا مع استمرار خروج مدّعين كذّابين منذ بداءة زمن الغَيبة إلى وقت الظهور يدعون الآخرين إلى أنفسهم. و لقد حذّر الأئمّة المعصومون عليهم السلام من أولئك المدّعين و أنذروا من الوقوع في فِخاخهم، كما جاء في إحدى الروايات عن المفضّل عن الإمام الصادق عليه السلام: «وَلَتُرْفَعَنَّ إِثْنَتَا عَشْرَةَ رَايَةً مُشْتَبِهَةً لَا يُدْرَى أَيٌّ مِنْ أَيٍّ... إِلَى أَنْ قَالَ: [وَاللَّهِ] لَأَمْرُنَا أَبْيَنُ مِنْ هَذِهِ الشَّمْسِ»؛ (إثبات الهداة، ج٥، ص٣٤٧). إذًا، حتّى و لو كان لدينا ظنٌّ قويٌّ بأنّ الشخص المدّعي هو الشخص نفسه المذكور في الرواية فإنّ هذا لا يكفي، و إنّ الظنّ القويّ ليس حجّة في مثل هذه الأمور، بل الحجّة منحصرة في حصول اليقين. و على الإنسان أن لا يترك ملازمة اليقين و السير على أساسه، كما ينبغي عدم اتّباع الشخص المدّعي ما لم يحصل يقينٌ تامٌّ صِرف حول صحّة قوله و فعله. بل حتّى و إن افترضنا ثبوت تحقّق أحد الأخبار المذكورة كخروج الخراسانيّ أو اليمانيّ بالتزامن مع وقت الظهور بالشواهد و القرائن القطعيّة الّتي لا تُبقي أيّ مجال للشكّ، إلّا أنّ لزوم تبعيّته و معيّته ـ حسب ما جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام و استند إلى معارفهم ـ غير ثابت أبدًا، كما مرّ تفصيل ذلك سابقًا. و لقد ذُكر سابقًا أنّ أحدهم جاء يومًا إلى آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه مدّعيًا بأنّه السيّد الخراسانيّ، لكنّه تفاجأ حينما قال له سماحة الشيخ رحمه الله: «نحن لا وظيفةَ [تكليف] لنا تجاه السيّد الخراسانيّ!» و تنطبق هذه القاعدة على كلّ من يدّعي أنّه يحمل رسالةً من الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا، فما لم يحصل اليقين بأقواله لا يمكن حينها ترتيب أثر على ادّعائه، و اليقين عبارة عن اعتقاد راسخ و قطعيّ بأمر يطابق الواقع، و هذا الاعتقاد لا يزول تحت تأثير أيّ شبهة مهما كانت قويّة.

«٤٠» منزل الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: ورد في روايةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كَأَنِّي أَرَى نُزُولَ الْقَائِمِ فِي مَسْجِدِ السَّهْلَةِ بِأَهْلِهِ وَعِيَالِهِ»[1]. فهل يكون مسجد السهلة منزل الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بعد الظهور فقط أو في زمن الغَيبة أيضًا؟

ج: لا بدّ أنّ له اختصاصًا به عجّل الله تعالى فرجه الشريف، قبل الظهور أو بعد الظهور لا فرق في هذا. يقال إنّ السيّد بحر العلوم قد لقي الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في ذلك البيت.

«٤١» نسبة مسجد جمكران إلى الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: ما هو رأيكم الشريف حول نسبة مسجد جمكران إلى الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف ؟

ج: إنّها ثابتة؛ لا يلزم في السنن تدقيقات كهذه، إنّما هي مستحبّات.[2]

س: هل نقيم صلاته بنيّة الورود؟

ج: بنيّة ورود المستحبّات [التي لا تحتاج إلى التدقيق طبقًا لقاعدة التسامح].

«٤٢» الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف حاضرٌ في كلّ مكانٍ

س: يقال إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف موجود قبل صلاة الفجر بساعة في مسجد جمكران على الدوام، هل هذا المطلب صحيح؟

ج: الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف موجود في كلّ مكان دائمًا. أعيننا هي الملوّثة و الّتي عليها غبرة فلا ترى، و إلّا فهو يسمع يقينًا هذا الكلام الّذي نتحدّث به قبل أن يسمعه مستمعنا، هو «عَيْنُ اللهِ النَّاظِرَةُ وَ أُذُنُهُ السَّامِعَةُ وَ لِسَانُهُ النَّاطِقُ».

«٤٣» وقت الذهاب إلى مسجد جمكران

س: هل من الأفضل أن يكون الذهاب إلى مسجد جمكران ليلة الجمعة أم ليلة الأربعاء أم يوم الإثنين؟

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣١٧.

(٢) لقد ذُكر بحث مختصر حول مسجد جمكران في الملحق السابع في الصفحة ٩٤١ من هذا الكتاب.

ج: إنّ فضيلة الأعمال في ليلة الجمعة معلومة. و قد ذهب البعض و يذهبون إلى مسجد جمكران في ليلة الأربعاء، و قد كان المرحوم الشيخ عليّ الزاهد ﵁ يذهب إلى مسجد السهلة في ليالي الأربعاء و يقيم صلاة الجماعة هناك، و من بعده كان يذهب الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ ﵁ و المرحوم المدرّسيّ، و لكن ليس في بالي بنحوٍ دقيق أكان لديهم مستند أم لا. و يستفاد حسب الظاهر ـ من العمومات، و ربما تكون هناك مزيّة أيضًا. و على أيّ حال، فليس هناك منع بالخصوص، بل إنّ أداءها بقصد الرجاء لا يحتاج إلى دليل؛ لأنّ الأئمّة ﵍ حاضرون في كلّ مكان و ناظرون [و مشرفون]، خصوصًا أنّ أصل بناء مسجد جمكران منسوبٌ إلى إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

«٤٤» الذهاب إلى مسجد جمكران ليلة الأربعاء

س: هل هناك خصوصية للذهاب إلى مسجد جمكران في ليالي الأربعاء؟

ج: حسب الظاهر هو كالذهاب إلى مسجد السهلة في ليلة الأربعاء. إن كان ذلك واردًا، فهذا واردٌ أيضًا.

«٤٥» «فأينما تولّوا فثمّ وجه الله»

س: هل هناك وقتٌ خاصٌّ لإدراك فضيلة حضور الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في مسجد جمكران؟

ج: في كلّ زمان و في كلّ مكان يكون الله [موجودًا]، هو عجّل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا يكون مع الله.

«٤٦» بقعةٌ كبقاع الرسول صلّى الله عليه وآله

س: لديّ صداعٌ مُزمن، ما هي توصية سماحتكم لرفعه؟

ج: سافروا كثيرًا، حتّى لو كان الذهاب إلى جمكران.

س: جمكران؟![1]

ج: هذه بقعة كبقاع النبيّ صلّى الله عليه وآله!

---

(١) كان السائل يعيش في منطقة قريبة إلى مسجد جمكران المقدّس، لذا فإنّ سماحة الشيخ ﵁ خصّ جمكران بالذكر، كي لا يظنّ السائل أنّ السفر يجب أن يكون إلى مكانٍ بعيد فيترك الذهاب إلى جمكران مع ما له من الأهمّيّة.

«٤٧» أربعون ليلة أربعاء

س: هل هناك خصوصيّة للذهاب إلى جمكران أربعين ليلة؟

ج: ليس لديّ اطّلاع فيما إن كانت هناك خصوصيّة، و لكن قد نُقل بنحوٍ متعدّد أنّ هناك من تشرّفوا بلقاء الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف في مسجد جمكران. إضافة إلى ذلك فإنّ حال المتوسّلين بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يخفى على حضرته.

«٤٨» أربعون زيارة لمسجد جمكران من أجل حصول اللقاء

س: يُقال إنّ على من يرغب بالتشرّف بلقاء إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن يذهب أربعين ليلة أربعاء إلى مسجد جمكران، فهل هذا مطلب صحيح؟

ج: يمكن للإنسان أن يؤدّي أعمال الخير في كلّ حين. و كلّما كان ذلك أكثر فهو أفضل. أربعون ليلة، أكثر أو أقلّ، الّذي يتيسّر له.

«٤٩» قصد السفر إلى جمكران أربعين أسبوعًا

س: هناك أشخاص يقصدون السفر إلى مسجد جمكران المقدّس من مدن نائية مدّة أربعين أسبوعًا، و كذلك هناك من يتشرّفون بالحضور في هذا المكان المقدّس أسبوعيًّا و لسنوات متتالية، ما هي وظيفتهم بالنسبة إلى الصلوات المكتوبة و الصيام الواجب؟

ج. في مفروض السؤال يتمّون صلواتهم [فلا تكون قصرًا] و يكون صيامهم صحيحًا. طبعًا مع مراعاة المسألة ١٠٧٣ من الرسالة العمليّة.

«٥٠» نذر المرأة الذهاب أربعين ليلة إلى جمكران

س: ما هي وظيفة النساء اللواتي نذرن الحضور أربعين أسبوعًا متتاليًا في مسجد جمكران و تأدية أعماله عندما يكنّ لعدّة أسابيع في الحيض؟ و هل يجب عليهنّ الحضور في صحن المسجد و قاعة المراسم، إذ إنّها ليست من المسجد؟

ج: إن كانت نيّة النذر الدخول في خصوص المسجد، و قد نذرت التتالي المتناسب مع حال جنسها، و ليس التتالي حتّى مع كونها في الحيض، فيكون النذر منعقدًا و حضورها غير واجبٍ عندما تكون في الحيض، و يستمرّ التتالي بعد نهايته.

«٥١» نذر المرأة الذهاب أربعين ليلة إلى جمكران

س: نذرت امرأة قبل الزواج أن تذهب أربعين أسبوعًا إلى مسجد جمكران المقدّس، فما حكم سفرها للوفاء بالنذر المنعقد بدون إذن زوجها؟

ج: ما دامت شروط النذر باقية، فيجب الوفاء به.

«٥٢» نذر المرأة التبرّع لجمكران دون إذن زوجها

س: نذرت امرأة بدون إذن زوجها أن تتبرّع لمسجد جمكران المقدّس من حرّ مالها، فهل ينعقد هذا النذر؟

ج: ينعقد النذر من حيث الحكم الوضعيّ على الأحوط، و إن كان الاستئذان من الزوج هو الأحوط تكليفًا.

«٥٣» التداخل بين صلاتَي الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و نافلة الفجر

س: هل يمكن التداخل بين ركعتَي صلاة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و نافلة صلاة الفجر أو مندوبة أخرى في الوقت نفسه؟

ج: ليجعل واحدة أصليّة و الأخرى تبعيّة، لا إشكال [في أدائها] بهذا النحو رجاءً.

«٥٤» الشكّ في عدد ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ في صلاة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: ما هو حكم الشكّ في عدد ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ في صلاة الاستغاثة بالإمام بقيّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو في تسبيحات صلاة جعفر الطيّار عليه السلام و أمثالها، خصوصًا في حال النذر أو صلاة الاستئجار؟

ج: ليبنِ على الأقلّ ما لم يفرُغ من محلّها.

«٥٥» الاعتكاف في مسجد جمكران المقدّس

س: هل يصحّ الاعتكاف في مسجد جمكران المقدّس؟

ج: لا يصحّ ذلك، لأنّه ليس المسجدَ الجامعَ للمدينة.

﴿٥٦﴾ جبل الخضر عليه السلام

س: هل لجبل الخضر عليه السلام الّذي يقع في قمّ سابقة تاريخيّة، و هل شوهد الخضر عليه السلام هناك؟

ج: ليس لدينا اطّلاع و لم نواجه في الروايات مطلبًا حول هذا الموضوع.

س: هل كان علماء قمّ يذهبون إلى هناك؟

ج: لا خبر عندي. لقد نقل أحد أهل العلم عن شخص أنّه رأى رجلًا هناك يذهب من جانبٍ إلى جانبٍ آخر فسأله: أأنت الخضر عليه السلام؟ فأجابه: أنا مَن الخضر محتاجٌ إلى رؤيته! إنّ [العالِم] الّذي نقل لي هذا المطلب إنسان يُحسَب له حساب، لكنّني لا أعرف الشخص الّذي نقل له هذا المطلب و حصلت معه هذه القضيّة.

﴿٥٧﴾ رواية الجزيرة الخضراء

س: ما هو رأيكم الشريف حول رواية الجزيرة الخضراء؟[1]

ج: لقد ذكر هذه الرواية كتابان جيّدان. أحدهما هو أحد كتب صاحب الحدائق، و الآخر هو الكتاب الّذي نقل فيه صاحبه قصّة السيّد الشفتيّ رحمه الله[2]. هو يقول: قد أدركت الطبقة الخامسة الطبقة الفلانيّة. نحن لا يمكننا الإنكار! نحن لا يمكننا إنكار ذلك! لقد كانت لديهم طرق عجيبة و غريبة. و كانت لديهم أمورٌ عجيبة غريبة. هل يمكن للإنسان أن يقول إنّ هنالك حدًّا للمعجزات؟!

---

(١) راجع: بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٥٩.

(٢) عندما يكون انتساب كتابٍ إلى أحد العلماء العظام ثابتًا، و نعلم أنّ هذا العالم لا يتحدّث أو يكتب جزافًا، بل هو محقّقٌ و متتبّعٌ و مدقّقٌ في الروايات و النصوص، فعندئذٍ يكون كتابه ذا أهمّيّةٍ و قيمةٍ علميّة. و هنا سماحة الشيخ رحمه الله يذكر كتابين كمثال، و المقصود بصاحب الحدائق هو الشيخ يوسف البحرانيّ رحمه الله صاحب كتاب الحدائق الناضرة، الّذي أورد الخبر المذكور في كتابه جليس الحاضر و أنيس المسافر نقلًا عن بحار الأنوار، و الكتاب الثاني ظاهرًا هو إشارة إلى الموسوعة الجامعة حول الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف المسمّاة بـ«العبقريّ الحسان» للعلّامة النهاونديّ رحمه الله إذ ينقل حكاية تشرّف العالِم العامِل و الفقيه صاحب الكرامات السيّد محمّد باقر الشّفتيّ رحمه الله و سنذكر قضيّة تشرّفه في الصفحة ٩٢٦ من هذا الكتاب.

«٥٨» مكان الجزيرة الخضراء

س: ادّعى شخص أنّ مكان الجزيرة الخضراء هو جزيرة مثلّث برمودا نفسه و قد بيّن حدودها، فهل يصحّ هذا الادّعاء؟

ج: هل الجزيرة الخضراء مكان ثابت أم أنّ كلّ مكان يكون فيه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو جزيرة خضراء؟ و المؤيّد للرأي الثاني هو أنّ الخضر عليه السلام الّذي شرب من ماء الحياة[1]، أينما يذهب ينبت الخَضار هناك[2]، هل من الممكن أن لا يكون الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي هو أفضل منه كذلك؟![3]

«٥٩» قلب المؤمن هو جزيرة خضراء

س: صدر مؤخّرًا كتابٌ يسعى مؤلّفه لأن يُثبت أنّ الجزيرة الخضراء هي مثلّث برمودا نفسه. فهل يصحّ هذا المطلب، و هل مثلّث برمودا هو نفسه الجزيرة الخضراء؟

ج: أينما يكون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف تكون هناك جزيرة خضراء، إنّ قلب المؤمن جزيرة خضراء، و أينما يكون فالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يطأه.

لقد جفّت القلوب من الإيمان و نور المعرفة، جِدوا قلبًا عامرًا بالإيمان و ذِكر الله، حتّى نُوقّع لكم أنّ إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف موجود هناك.

«٦٠» زيارة الناحية المقدّسة

س: ما هو رأيكم الشريف حول زيارة الناحية المقدّسة الّتي وردت عن الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بحق سيّد الشهداء عليه السلام؟

---

(١) «إِنَّ الْخَضِرَ شَرِبَ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ، فَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ حتى يُنْفَخَ فِي الصُّورِ»؛ كمال الدين، ج٢، ص٣٩٠؛ الخرائج و الجرائح، ج٣، ص١١٧٤.

(٢) «إِنَّ الْخَضِرَ كَانَ نَبِيًّا مُرْسَلًا بَعَثَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى قَوْمِهِ فَدَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَ الْإِقْرَارِ بِأَنْبِيَائِهِ وَ رُسُلِهِ وَ كُتُبِهِ وَ كَانَتْ آيَتُهُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَجْلِسُ عَلَى خَشَبَةٍ يَابِسَةٍ وَ لَا أَرْضٍ بَيْضَاءَ إِلَّا أَزْهَرَتْ خَضْرَاءَ وَ إِنَّمَا سُمِّيَ خَضِرَ لِذَلِكَ»؛ علل الشرائع، ج١، ص٥٩؛ بحار الأنوار، ج١٣، ص٢٨٦؛ و راجع أيضًا: بحار الأنوار، ج١٣، ص٢٩٨.

(٣) لقد قال سماحة الشيخ رحمه الله في موضع آخر: «إنّ قلوب أهل الإيمان خضراء و مبتهجة و هي مقام للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف».

ج: هي كسائر الزيارات؛ و مع قاعدة التسامح تُحَلّ جميع الإشكالات؛ و إن كان [نصّ الزيارة يحتاج إلى التأويل] فهو يؤوّل بالقرائن السابقة و اللاحقة.

«٦١» بكاء الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف دمًا على سيّد الشهداء عليه السلام

س: هل يستعمل أهل البيت عليهم السلام المبالغة في كلامهم، بحيث يُحمل أمثال قول الإمام صاحب الزّمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «فلأندبنّك صباحًا و مساءً، و لأبكينّ عليك بدل الدّموع دمًا» على المبالغة؟ أفيدونا سدّدكم الله.

ج: باسمه تعالى، يُحمل على التّقدير و على الكنايات الأبلغ من التّصريح.

«٦٢» السلام عليك يا شريك القرآن

س: ما المقصود بتعبير «شريك القرآن» الّذي ورد في حقّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟

ج: يعني كما أنّ القرآن واجب الطاعة، فإمام زمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف واجب الطاعة أيضًا. إنّهما متلازمان مع بعضهما. الثقلان متلازمان مع بعضهما. لو قال أحدٌ: أنا أؤمن بالقرآن لكنّي لا أؤمن بأهل البيت عليهم السلام، فهو لا يؤمن بالقرآن أيضًا، لأنّ [لزوم الإيمان بأهل البيت عليهم السلام] منصوصٌ عليه في القرآن نفسه. و لو قال أحدهم: أنا أؤمن بأهل البيت عليهم السلام لكنّي لا أؤمن بالقرآن فهذا خطأ أيضًا، لأنّ أهل البيت عليهم السلام هم أنفسهم مُفسّرو القرآن و شارحوه. إنْ قَبِلَ أحدهم أهل البيت عليهم السلام فعليه أن يقبل القرآن أيضًا. و كلّما جُهلت [معارف] أحدهما رُجع إلى الآخر، فكلاهما واحد. وفّقكم الله. جزاكم الله خيرًا. وفّقكم الله إن شاء الله.

«٦٣» المصيبة في الدين

س: ورد في بعض الأدعية «لا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنا في دِينِنا»[1]، فما المقصود بـ«المصيبة في الدين»؟

ج: يعني هذه المصيبة نفسها الّتي نحن مبتلون بها، أي غَيبة الإمام عليه السلام. أيّ مصيبة أعظم من هذه؟! الله يعلم أيّ حرمان أصابنا بسببها! خصوصًا أنّ المصيبة في الدين تستلزم المصائب الدنيويّة و ليس العكس.

---

(١) لقد ذُكرت هذه العبارة في أدعية مختلفة؛ راجع: بحار الأنوار، ج٨٧، ص١٧٦؛ ج٩٥، ص١٣٤و٤١٤.

«٦٤» السرّ المستودع

س: ما هو «السرّ المستودع فيها»[١]؟

ج: ربما يكون «السرّ» قيام ولدها الّذي استودعوه أمانة إلى وقت معيّن إذ يظهر. لكن الله يعلم على أيّ مصائب صبرت [السيّدة فاطمة ﷺ].

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا ... صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ صِرْنَ لَيَالِيَا[٢]

«٦٥» إنتظار الفرج

س: ما هو المقصود بانتظار الفرج الّذي هو أفضل الأعمال؟

ج: لاحظوه هو ﷻ؛ لاحظوا الفرج الكامل، ثمّ انظروا هل ملاحظته ﷻ تتطلّب التقيّة أم عدم التقيّة[٣].

«٦٦» تأثير دعاء الفرج في تحقّق الظهور

س: كم يَقرُب الظهور كلّما ندعو بتعجيل الفرج و الظهور؟

ج: بحسب القلب كيف يكون.

«٦٧» قراءة دعاء الفرج

س: هل يمكن أن تكون البلايا النازلة لرفع الدرجات و من باب «الْبَلاء لِلْوِلاءِ»، و لا تكون عقوبة و تكفيرًا للذنوب؟

---

(١) إشارة إلى الصلوات المشهورة على السيّدة فاطمة الزهراء ﷺ: «اللّٰهمَّ صَلِّ على فاطمةَ وأبيها وبَعْلِها وبَنِيها والسِّرِّ المُستَوْدَعِ فيها بِعَدَدِ ما أَحاطَ بِهِ عِلْمُكَ وأَحْصاهُ كِتابُك».

(٢) بيت من الأبيات الّتي كانت السيّدة الزهراء ﷺ تردّدها بعد شهادة رسول الله ﷺ؛ راجع: روضة الواعظين، ج١، ص٧٥؛ مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٢٤٢.

(٣) أي إنّ ظهور الإمام الحجّة ﷻ هو أسمى مصداقٍ للفرج و أجلاه، و يتحقّق الفرج الكامل عندما يحصل ظهور الإمام الحجّة ﷻ للمجتمع عمومًا، بالإضافة إلى فرج جميع أفراد المجتمع فردًا فردًا بنحوٍ خاصّ. إذًا، فإنّ انتظار ظهور الإمام ﷻ هو أسمى مصداق لانتظار الفرج، و لا يكون منتظرًا مَن يقوم بكلّ ما تهواه نفسه، بل المنتظر الحقيقيّ مَن يراقب قلب الإمام ﷻ دائمًا و يكون في طلب مرضاته على الرغم من حالة الغَيبة و الانتظار. إذًا، فمنتظر الفرج يُلاحظ دائمًا أيّ عمل ـ أعمّ من التقيّة و غيرها ـ هو أنسب و أكثر موافقة لتحقّق الفرج الكامل.

ج: إنّ المطلب واضحٌ لأهل الولاء، و كلّما ابتلوا أكثر، ازداد يقينهم أكثر. لقد كان مِيثم معلّقًا على النخلة إلّا أنّ إيمانه و اطمئنانه كانا يزدادان في كلّ آن و في كلّ لحظة، لأنّهم عليهم السلام قد أخبروه بذلك[١]. على أيّ حال، لقد كثرت التوصية من قِبل إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف و الإصرار على الإكثار من قراءة دعاء الفرج في هذا الزمن و لهذا الصدد.[٢]

﴿٦٨﴾ المقصود بدعاء الفرج

س: هل المقصود بدعاء الفرج الّذي ورد الحثّ على قراءته في زمن الغَيبة هو دعاء «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ...»[٣] الّذي ورد في أدعية القنوت؟

ج: هو كلّ دعاء يكون للفرج و تعجيله، كدعاء: «اللهُمَّ عَظُمَ الْبَلاءُ...»[٤].

﴿٦٩﴾ الدعاء بحصول الفرج عقب تشهُّد الصلاة

س: هل هناك إشكال في قول «و عجّل فرجهم» عقب ذكر الصلاة على محمّد و آله في تشهّد الصلاة؟

ج: قيل ليذكره تارة و يتركه أخرى، حتّى لا يعتقد من يشاهد صلواته أنّ الصلاة هكذا حتمًا [و أنّ ذكره واجب عقب ذكر صلوات التشهّد] إنّما ذلك من المستحبّات، أي المستحبّات النفسيّة.

﴿٧٠﴾ علم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بوقت الظهور

س: هل يعلم الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف وقت ظهوره؟

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٢، ص١٣٠.

(٢) كما ورد في التوقيع الشريف للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «أَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُم»؛ كمال الدين، ج٢، ص٤٨٥؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٩٢.

(٣) «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ»؛ المقنعة، ص٤٧. وردت هذه العبارات في الروايات بعنوان دعاء الفرج و كلماته؛ راجع: الكافي، ج٤، ص٢٨٤، تهذيب الأحكام، ج٥، ص٥٠؛ وسائل الشيعة، ج١١، ص٣٨٣؛ بحار الأنوار، ج٢، ص٢٣٤.

(٤) المزار الكبير، ابن مشهديّ، ص٥٩١؛ المصباح للكفعميّ، ص١٧٦. وردت في روايات أهل البيت عليهم السلام دعوات كثيرة لتحقّق الفرج، و من الجدير بالذكر أنّ آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه كان يرى دعاء «إِلَهِي عَظُمَ الْبَلَاءُ وَبَرِحَ الْخَفَاءُ...» من أفضلها، و كان يوصي بقراءته بين الصلاتين في المسجد.

ج: هو كالعلم المنفيّ الّذي ذُكر في القرآن: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾[1]، و لكن ورد في القرآن أيضًا: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[2]، أي إنّ علمهم بالغَيب هو من الله و بإذنه، لكن علم الله من نفسه و بنفسه و لا معنى للإذن هناك[3].

﴿٧١﴾ خبرٌ عن الفرج

س: هل لديكم خبرٌ عن الفرج؟

ج: نعم! إذا وصل شخص إلى المعرفة و العلم بأنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يسمع كلامه قبل أن يسمعه مستمعه: «لَا فَرقَ بَينَكَ وَبَينَها [بَينَهُم]، إلّا أنَّهُم عِبادُكَ»[4]، و اعتقَد بذلك، فلن يعود الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف غائبًا بالنسبة إليه.[5]

﴿٧٢﴾ علامات الظهور

س: هل الحوادث الّتي تحصل في العراق هي من علامات الظهور، و هل تدلّ على أنّنا نعيش قبل ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالسنين؟

ج: كلّ آنٍ مُلئت الأرض فيه ظلمًا و جورًا هو وقت الفرج، هذا معلوم عندنا، إلّا أنّ حدّ امتلاء الأرض من الظلم و الجور معلومٌ عندهم عليهم السلام.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٨٨.

(٢) سورة الجنّ، الآيتان ٢٦و٢٧.

(٣) المقصود بالعلم المنفي هو العلم الّذي نُفي في الآية ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ أي كما ليس عند النبيّ صلّى الله عليه وآله علمٌ غَيبيٌّ من نفسه يستكثر به من الخير، فإنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا ليس عنده هذا السنخ من علم الغَيب بنفسه بالنسبة إلى وقت ظهوره، لكنّه حائزٌ على السنخ الآخر من العلم الّذي ذُكِر في الآية ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾. و من الواضح أنّ علم الله لا يحتاج الى الإذن بل هو عالم بالذات، لكنّ اطّلاع أوليائه عليهم السلام على علمه يحتاج إلى إذنه. و باختصار فإنّ سماحة الشيخ قدّس سرّه قد صرّح سابقًا بأنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف غير مطّلع بنفسه على وقت ظهوره لكنّه مطلعٌ على ذلك بعلم من الله تعالى و بإذنه. راجع الملحق الرّابع في الصفحة ٩٠٤ من هذا الكتاب، الّذي تناول هذا المطلب بالتفصيل.

(٤) فقرة من الدعاء الوارد في أدعية شهر رجب اليوميّة.

(٥) و بما أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لن يعود غائبًا بالنسبة إليه، فهذا يكون بمنزلة الفرج له.

«٧٣» إن كنتم تتمنّون الظهور

س: هل خروج السفيانيّ قريبٌ؟

ج: إنّ الأمر الّذي يسبّب خجلنا و خِزينا هو أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يعلم كلّ شيء و يسمع كلّ شيء. إنّ أهل البيت عليهم السلام هم «عَيْنُ اللهِ النَّاظِرَةُ وَ أُذُنُهُ الْوَاعِيَةُ». نحن ماذا فعلنا بغية التقرّب إليهم؟ أنتم الّذين تطلبون الحضور و الظهور لمَ لا تقومون بعمل لكي تجدوا أنفسكم في محضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف دائمًا؟ نحن لا نراه لكنّه يرانا، فلِمَ نحن بعيدون عنه إلى هذا الحدّ؟[١]

«٧٤» لم يَحِن وقتنا بعد!

س: البعض ينسب إلى سماحتكم القول بأنّ الظهور قريب بحيث يكون عند المسنّين أيضًا أملٌ بأنّهم سيدركون الظهور، فهل هذا المطلب صحيح؟

ج: نحن لم نقل بعدُ اذهبوا و أخبروا الناس بهذا الكلام. جاء إليّ شخص و قال: إنّي سألت [الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف] هل سأدرك أنا الظهور؟ فأجابني: إنّ فلانًا الّذي هو أشيخ منكم ـ و هو لا يزال موجودًا هنا ـ يعلم [و يدرك] بأنّ وقتنا لم يحِن بعدُ![٢]

«٧٥» بشارة أم شائعة؟

س: نُقِل أنّ سماحتكم قلتم: إنّي أبشّر الشباب بأنّهم سيدركون زمن الظهور و يرون الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فهل صدر هذا الكلام فعلًا عن سماحتكم؟

ج: كلّا، لم أقل شيئًا كهذا! لكن ينبغي للإنسان أن يحتمل بأنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف سيظهر يوم الغد مثلًا. أي مع وقوع العلامات الحتميّة.

«٧٦» تكذيب الشائعة

س: ورد في بعض الكتب أنّكم قلتم إنّ ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف قريبٌ و ربما يدركه المسنّون أيضًا، هل نسبة هذا الكلام إلى سماحتكم صحيحة؟

---

(١) أراد سماحة الشيخ رحمه الله أن يُنبّه السائل إلى أنّه من الأولى السعي للتقرّب إلى أهل البيت عليهم السلام من خلال إصلاح النفس، فهذا الّذي يؤدّي إلى تعجيل ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف العامّ أو الخاصّ. أمّا الّذي لم يستعدّ لنصرة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لم يصلح نفسه، فما شأنه بظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و علاماته؟!

(٢) لتوضيح هذا المطلب راجع الصفحة ٤٥٢.

ج: إن كنّا قد قلناه[1]، يعني أنّ هناك قولًا بأنّ الفرج قريبٌ، و طبعًا هناك قولٌ آخر أيضًا بأنّه بعيد جدًّا. لقد سمعت من سيّدٍ ـ كان من بين تلامذته مَن يعرفون الجفر، وكان أحدهم ابنه[2] و الآخر عالمًا ـ قال: هناك أشخاص يخبرون بوقت الظّهور و يعيّنونه، لكنّي إن أخبرتكم بالوقت الّذي يعيّنونه فسيقول الجميع: الويل، الويل! أهو بعيد إلى هذا الحدّ؟!

إن أراد شخص أن يرتبط بالإمام الصّاحب صدقًا و حقًّا، فعليه أن يعلم بأنّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف عين الله النّاظرة و أذنه الواعية، هذا المطلب الّذي نتحدّث فيه معًا، عندما أتكلّم أنا فهو يسمع كلامي قبلكم، و عندما تتفضّلون أنتم بكلام فهو يسمعه قبل أن أسمعه أنا، إنّه عين الله النّاظرة و يده الباسطة الباطشة و أذنه الواعية. هل من الممكن أن يسبق أحدٌ غير اللهِ في ذلك الخلقَ جميعًا؟ [نعم ذلك ممكن] إنّه الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

إن كنّا نحن مؤهّلين فإنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يكون ظاهرًا. هل يجب أن يُرى بالعين حتمًا؟! إن كان هناك ستار و الإنسان يعلم بأنّ رئيس جمهوريّة أميركا خلفه، فسيفكّر قطعًا ماذا أفعل كي لا يصدر منّي كلام يزعجه لأنّه يسمعني يقينًا، يجب أن أعالج الأمر و أنتبه إلى كلامي في مسمعه، إمّا أريد أن أخالفه فيجب أن أتحمّل عواقب ذلك، و إمّا أريد أن أوافقه فعليّ أن أتحمّل عواقب ذلك أيضًا![3] إذًا، فليست الرؤية بالعين شرطًا للمطلب، إضافةً

---

(١) لقد كان سماحته رحمه الله يصرّح مرارًا: أنا لم أقل هذا المطلب بل قلت إنّ شخصًا جاء إلى جانب المحراب بعد الصّلاة و ادّعى أنّه تشرّف بالحضور في محضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و سأله إن كان سيدرك الظهور، فأجابه: إنّ الّذي هو أشيخ منك و الموجود الآن سيدرك. ثمّ كان سماحته رحمه الله يؤكّد أنّه لم ير ذلك الشخص قبل ذلك و أنّه لم يكن يعرفه. في حين كان دأبه تأكيد معرفته بالناقل و أنّه من الثّقات عندما يكون في مقام تأييد المطلب، وكان يدعم بذلك صحّة تشرّفه أيضًا، على العكس ممّا حصل في هذه القضيّة حيث أكّد عدم معرفته بالناقل. وكان سماحته رحمه الله يقول أيضًا: ذاك الشّخص الّذي هو أشيخ منه ـ و هو سماحته رحمه الله بحسب الظّاهر ـ يدرك و يعلم أنّ وقت الظّهور لم يحِن بعد. إضافةً إلى هذا، وكما سبق ذكره، كلّما كان سماحته رحمه الله ينقل خبر هذا الشّخص كان ينقل أيضًا خبر طرف آخر فيه الدّلالة على تأخّر وقت الظّهور، وكان يقول: يجب على الإنسان الجمع بين هذين الخبرين، فيعمل بوظيفته و يبحث عن فرجه الشّخصيّ. لكنّ البعض مع الأسف ينقلون قسمًا من كلام سماحته فقط من دون أن يلتفتوا إلى بقيّة كلامه، و يقطعون الكلام ثمّ يحرّفونه، و يغيّرونه تمامًا ببثّ الشّائعات.

(٢) نجل آية الله السيّد عليّ القاضي الطباطبائيّ رحمه الله.

(٣) أي إنّنا لو جلسنا في حجرة وكنّا نعلم أنّ رئيس جمهوريّة أميركا ـ الّتي هي حسب الأمور الظاهريّة أقوى البلدان في العالم، فمن الطّبيعي أن يكون رئيسها صاحبَ القوّة الكبرى في عيون أهل الدّنيا ـ خلف السّتار و هو يسمع صوتنا، فستتغيّر تصرّفاتنا و سلوكنا و نراعي حضورَه في كلامنا قطعًا، مع أنّه مجرّد بَشر و ذو قدرة محدودة، فما حالنا و نحن

إلى ذلك، أحيانًا يرى الإنسان، لكنّه مع ذلك لا يعرفه. (أي إنّ الرّؤية بعين الرّأس ليست لازمة و لا كافية).

«٧٧» أكاذيب ملفّقة

س: نُسِب إلى سماحتكم أنّكم في الصلاة أغمي عليكم، و عندما أفقتم من ذلك و سُئلتم عن سببه، قلتم إنّكم رأيتم في الصلاة إنّ المرأة الّتي تدسّ السمّ للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد وُلدت. فهل هذا صحيح؟

ج: كلّا، إنّه كذب. إنّهم ينسبون الأكاذيب إليّ!

«٧٨» علامات الظهور الحتمية

س: أيحصل البداء في علامات الظهور الحتميّة أم لا؟

ج: لا يحصل حسب الظاهر، عندما وصل كتاب أبي مسلم الخراسانيّ إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: أين السفيانيّ؟ لم يخرج بعد، فلمَ تدعونني للبيعة ضدّ بني العبّاس أو بني أميّة[1] [في حين أنّ السفيانيّ لم يخرج بعد!] أين السفيانيّ؟ فلقد قال هذا في ذلك الوقت![2]

نعلم بأنّ سيّد العالم حقًّا و صاحب القدرة الإلٰهيّة المطلقة الّذي تجري جميع الأمور في كلّ أنحاء الكون بإذنه و هو الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، محيطٌ بجميع أحوالنا و أعمالنا، و يسمع جميع كلامنا و يرى جميع أعمالنا، لكنّنا بالنّسبة إلى حضوره غيرُ مبالين و لا نرتّب أيّ أثرٍ على هذه المعرفة بل نعصيه!

(١) أورد سماحة الشيخ قدس سره ذكر دولتَي بني أميّة و بني العبّاس لأنّ أبا مسلم الخراسانيّ قد خرج مرّة في زمن بني أميّة و عزم مرّة أخرى على الخروج في زمن بني العبّاس، إلّا أنّ المنصور الدوانيقيّ قتله عندما علم بذلك. طبعًا لقد كان جواب الإمام الصادق عليه السلام جوابًا مقدّرًا لسادات بني الحسن أيضًا، لأنّهم كانوا يدعون الإمام عليه السلام إلى الخروج دائمًا. فجوابه هو أنّ خروج أهل البيت عليهم السلام لا يتحقّق ما لم يخرج السفيانيّ.

(٢) لقد مرّ ذكر مبحث علامات الظهور الحتميّة في الصفحة ٦٣٥، لذا نكتفي هنا بذكر رواية واحدة. ينقل الفضل الكاتب: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَتَاهُ كِتَابُ أَبِي مُسْلِمٍ، فَقَالَ: لَيْسَ لِكِتَابِكَ جَوَابٌ أُخْرُجْ عَنَّا، إِلَى أَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْجَلُ لِعَجَلَةِ الْعِبَادِ، وَ لَإِزَالَةُ جَبَلٍ عَنْ مَوْضِعِهِ أَهْوَنُ مِنْ إِزَالَةِ مُلْكٍ لَمْ يَنْقَضِ أَجَلُهُ، إِلَى أَنْ قَالَ: قُلْتُ فَمَا الْعَلَامَةُ فِيمَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكَ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قَالَ: لَا تَبْرَحِ الْأَرْضَ يَا فَضْلُ حَتَّى يَخْرُجَ السُّفْيَانِيُّ، فَإِذَا خَرَجَ السُّفْيَانِيُّ فَأَجِيبُوا إِلَيْنَا، يَقُولُهَا ثَلَاثًا: وَ هُوَ مِنَ الْمَحْتُومِ»؛ وسائل الشيعة، ج١٥، ص٥٢.

«٧٩» هل الدجّال شخصٌ أم عقيدة؟!

س: هل الدجّال شخص أم فكر و عقيدة و ثقافة؟ فأمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبته تلك بأنّه شخص، لكن يُقال اليوم بأنّه ربما يكون فكرًا و عقيدة و ثقافة.

ج: هل يمكن للآخرين أيضًا أن يكونوا بحكم الدجّال؟! تلك الخصائص و الخواصّ الّتي يمتلكها الدجال لا يمتلكها غيره، إلّا إن صاروا تابعين له[١].

«٨٠» آخر الزمان

س: هل نحن الآن في آخر الزمان؟

ج: هل هو أوّل الزمان إذًا؟! طبعًا هو آخرُ الزمان، إلّا أنّ الآخِرَ له آخِرُ آخِرٍ أيضًا.

«٨١» ضرورة الاحتياط في فتن آخر الزمان

س: ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله حول آخر الزمان و فتنه بأنّ تشخيص التكليف صعب في ذلك الزمان[٢]، فما هو الحلّ؟

ج: إن كان تحصيل التكليف مشكلًا، فالاحتياط ليس مشكلًا. فيجب التوقّف و العمل بالاحتياط. إنّ سفك دماء الناس و هتك أعراضهم و إتلاف أموالهم و دينهم [كلّ ذلك] ليس مزاحًا. لقد أُتمّت الحجّة علينا!

«٨٢» سبيل النجاة من فتن آخر الزمان

س: ما هو سبيل النجاة من فتن آخر الزمان إذ يدخل الفساد البيوتَ بمختلف الطرق؟

ج: تشخيص التكليف. يجب على كلّ امرئ أن يشخّص تكليف نفسه، هذا هو طريق النجاة.

---

(١) أي إنّ الخصوصيّات الّتي ذُكرت للدجّال لم تُذكر لغيره، إذًا يتبيّن أنّ الدجّال هو شخصٌ واحد. طبعًا، من البديهيّ أن يكون له أنصار و أتباع، و إنّ أنصاره و المفتونين به هم على شاكلةٍ شيطانيّة واحدة.

(٢) ورد في الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّ القابض على دينه كالقابض على جمرة من النار؛ راجع: الأمالي (للشيخ الطوسيّ)، ص٤٨٥؛ بصائر الدرجات، ج١، ص٨٤. و ورد أيضًا أنّ من علامات القيامة أن: «يَكُونُ الْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا وَالْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا»؛ تفسير القمّيّ، ج٢، ص٣٠٤.

«٨٣» الوقاية من شرور آخر الزمان

س: ماذا نفعل للوقاية من شرور آخر الزمان؟

ج: ورد دعاء للنجاة من شرور آخر الزمان، و هو: «**يا أَللَّهُ يا رَحْمَانُ يا رَحِيمُ يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك**»[١].

س: لقد نُقل عنكم أنّ هناك لعنًا أيضًا لهذا الغرض، فما هو؟

ج: يكفي لعن المفسدين نفسه.[٢]

«٨٤» المقصود بالخروج بالسيف في روايات الظهور

س: ورد في الأخبار حول ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أنّه يخرج بالسيف، فهل المقصود هذا السيف المتعارف نفسه أم هو كنايةٌ عن شيءٍ آخر كالمسدّس أو المدفعيّة أو الصاروخ و أمثالها؟

ج: المقصود هو السلاح المادّيّ، يعني أيّ شيء يكون تجلّيًا للقدرة[٣] في ذلك الزمان.

«٨٥» ثلاثمئة و ثلاثة عشر رجلاً

س: هل توجد نساءٌ بين أصحاب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أي الثلاثمئة و ثلاثة عشر الّذين هم قادة جيوش الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لا أعني بذلك عامّة أنصاره؟

ج: ليس في الروايات الّتي ذَكَرت أسماء أصحاب إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف الثلاثمئة و ثلاثة عشر نساءٌ، و لا يتناسب ذلك أيضًا [مع مهمّتهم][٤].

---

(١) كمال الدين، ج٢، ص٣٥٢؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٤٩.

(٢) كان سماحة الشيخ رحمه الله يوصي بلعن الّذين أسسوا أساس الظلم على محمّد و آله عليهم السلام في كلّ يوم مائة مرّة على الأقل، و كان يقول يُرجى لمن يواظب على هذا العمل أن ينجو من فتن آخر الزمان.

(٣) يعني بذلك كلّ سلاح يمتلك القدرة على الهجوم و الدفاع في زمن الظهور.

(٤) يجب أن نلفت الانتباه إلى أنّ أصحاب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف الخاصّين، البالغ عددهم ثلاثمئة و ثلاثة عشر، هم في الحقيقة قادة جيش حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لذا عُبّر عنهم في الروايات «**أَصْحَابُ الْأَلْوِيَةِ**»؛ (كمال الدين، ج٢ ص٦٧٣؛ الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٣١٣). و هذا يدلّ على أنّ مهمّتهم الأصليّة في بداءة ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو الجهاد و القتال بين يدي الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و من هذا المنطلق، فقد شُبّهوا في رواياتٍ عديدةٍ بالثلاثمئة و ثلاثة عشر رجلًا الّذين كانوا يجاهدون في غزوة بدرٍ مع رسول الله صلّى الله عليه و آله، أو بعدد رجال جيش طالوت الّذين كانوا معه في قتال جالوت؛

(كمال الدين، ج١، ص٢٦٨؛ ج٢، ص٦٥٤و٦٧٣؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٦٣؛ الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٣١٥؛ كفاية الأثر، ص٢٦٨؛ المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٥٩٦؛ كنز العمّال، ج١٤، ص٢٧٠؛ أخبار مكّة، ج١، ص٤٧٠). كما جاء في وصفهم أنّ: «عَلَيهِمُ السُّيُوفُ مَكْتُوبٌ عَلَى كُلِّ سَيْفٍ كَلِمَةٌ يَفْتَحُ [تَفْتَح] أَلْفَ كَلِمَةٍ»؛ (بصائر الدرجات، ج١، ص٣١١؛ و مثله في الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٣١٥؛ الخصال، ج٢، ص٦٤٩؛ كمال الدين، ج٢، ص٦٧١)، أو ما ورد في حقّهم أنّ: «عَلَيهِمُ السُّيُوفُ مَكْتُوبٌ عَلَى كُلِّ سَيْفٍ اسْمُ الرَّجُلِ وَاسْمُ أَبِيهِ وَحِلْيَتُهُ وَنَسَبُهُ»؛ (الغَيبة (للنعمانيّ)، ص٣١٣). هذه التعابير و غيرها تُبيّن أنّ مهمّتهم الأساسيّة هي القيادة العسكريّة في جيش الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف. هذا من جهة، و من جهةٍ أخرى يجب التنبيه إلى أنّ الجهاد في دين الإسلام و القتال ضدّ الأعداء هو حصرًا و حصرًا من وظائف الرجال و واجباتهم الشرعيّة، و قد رُفع تكليفه عن عهدة النساء، و هذا المطلب يتبيّن بكلّ وضوحٍ من السيرة القوليّة و العمليّة للرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله و الأئمّة المعصومين عليهم السلام. فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول بصريح العبارة: «لَيْسَ... عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ»؛ (دعائم الإسلام، ج١، ص٣٤٢)، و في أحاديث متعدّدةٍ عُرّف جهاد النساء بغير القتال و الجهاد العسكريّ، فذُكر أنّ جهاد النساء هو الجهاد الّذي ليس فيه قتال، و أنّه الحجّ و العمرة أو الصبر على غيرة أزواجهنّ، أو أنّ جهاد المرأة حسن التبعّل؛ (الكافي، ج٥، ص٩و٥٠٧؛ الجعفريّات، ص٦٧؛ تحف العقول، ص٦٠و١١١؛ الفقيه، ج٣، ص٤٣٩ و ج٤، ص٤١٦؛ الخصال، ج٢، ص٥٨٧؛ نهج البلاغة، ص٤٩٤؛ التهذيب، ج٦، ص١٢٦؛ مسند أبي يعلى، ج٦، ص١٤٠؛ السنن الكبرى، ج٤، ص٣٥٠). فهذه الأحاديث و أمثالها لا تقتصر على رفع وجوب القتال العسكريّ عن النساء فقط بل ترفع أيضًا أيّ رجحانٍ شرعيٍّ في هذا المجال بالنسبة إليهنّ، إذ إنّ الأئمّة عليهم السلام في الواقع لم يُرغّبوا النساء قطّ و لم يشجعوهنّ مطلقًا على هذا الأمر.

طبعًا مع الالتفات إلى الفضائل العظيمة الّتي بيّنها رسول الله صلّى الله عليه وآله في حقّ الجهاد و قتال الأعداء، لم يكن قليلًا أبدًا عدد النساء الشّجاع الطالبات للفضيلة و اللواتي كُنّ يرغبْنَ في تحصيل هذا الفضل العظيم و تسجيل أسمائهنّ في مضمار المجاهدين في سبيل نصرة الإسلام، و لهذا، و في عدّة موارد، فقد سألنَ رسول الله صلّى الله عليه وآله المشاركة في غزواته، و لكن في كلّ مرّة كنّ يسمعْنَ جواب نفيٍ و عدم موافقة. و كان من بينهنّ زوجات رسول الله صلّى الله عليه وآله اللواتي كنّ يستأذنّه للمشاركة في الجهاد؛ (صحيح البخاريّ، ج٣، ص١٠٥٤؛ مسند أحمد، ج٦، ص٦٧) و يطرحْنَ أمثال هذه الأسئلة: «أَلَا نَخْرُجُ فَنُجَاهِدَ مَعَكَ فَإِنِّي لَا أَرَى عَمَلًا فِي الْقُرْآنِ أَفْضَلَ مِنَ الْجِهَادِ»، أو «نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أَفَلَا نُجَاهِدُ؟»، أو «أَلَا نَغْزُو وَنُجَاهِدُ مَعَكُمْ؟» و لكن دائمًا كنّ يسمعْنَ على غِرار هذه الأجوبة: «لَا وَلَكُنَّ أَحْسَنُ الْجِهَادِ وَأَجْمَلُهُ حَجُّ الْبَيْتِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»، «نِعمَ الْجِهادُ الْحَجّ»، «جِهَادُكُنَّ الْحَجُّ» أو «حَسْبُكُنَّ الْحَجُّ»، أو «إِنَّهُ لَمْ يُكْتَبْ عَلَى النِّسَاءِ جِهَاد»؛ (صحيح البخاريّ، ج١٠، ص٣٣٠؛ السنن الكبرى، ج٤، ص٣٢٦؛ السنن (للنسائيّ)، ج٨، ص٤٤٤؛ المعجم الصغير (للطبرانيّ)، ج١، ص٣٥٥؛ مسند الصحابة في الكتب التسعة، ج١٠، ص٤٩٨ ـ ٥٠٠). و أحيانًا كنّ يطلبْنَ في تتمّة الكلام الإذن للمشاركة على الأقلّ في معالجة الجرحى و سقي الماء للمجاهدين في الغزوات، و كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يرضى بهذا المقدار فقط؛ (المعجم الأوسط، ج٧، ص٤٧٧). حتّى إنّه في بعض الموارد الّتي لم يكن رسول الله صلّى الله عليه وآله موجودًا فيها للجهاد، فإنّ امرأةً طلبت أن تشارك في القتال، و من أجل أن يرضى رسول الله صلّى الله عليه وآله بذهابها، أكّدت أنّها لا تريد المشاركة في القتال، إنّما فقط لتداوي الجرحى و تزوّد المجاهدين بالماء، لكنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يقبل طلبها لأنّه كان يخشى أن يجري على الألسن أنّ فلانة من النساء قد ذهبت لقتال الأعداء و يُفتح باب هذه القضيّة، و لذا قال لها: «لَوْلَا أَنْ تَكُونَ سُنَّةً، فَيُقَالُ: فُلَانَةُ خَرَجَتْ لَأَذِنْتُ لَكِ، وَلَكِنِ اجْلِسِي»؛ (الآحاد و المثاني، ج٥، ص٦١٧). و في

غزوة حُنين، عندما وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ أنّ إحدى النساء اللواتي جئنَ لمداواة الجرحى قد أحضرت معها خنجرًا لتدافع به عن رسول الله ﷺ إذا تعرّض للاعتداء، أحضرها ﷺ و صرفها عن هذا الأمر قائلًا لها: «إنَّ اللهَ قَدْ كَفَى وأحسَنَ»؛ (الأوسط (ابن منذر)، ج١٠، ص٦٠)، و إن بلَغَتنا رواية عن امرأةٍ شجاعةٍ مثل نسيبة بنت كعب الّتي دافعت عن رسول الله ﷺ في غزوة أحد، فلا بدّ أن نلتفت إلى أنّها هي أيضًا شاركت بعنوان طبيبةٍ تعالج الجرحى وكان معها كأس ماءٍ باردٍ تسقي به المجاهدين، و لم يكن بحوزتها أيّ نوعٍ من الأسلحة، و لكن بعد استشهاد ابنها أخذت سيفه و هجمت به على الأعداء، و ليس أنّ أصل مشاركتها كان للقتال في الغزوة مع رسول الله ﷺ؛ (تفسير القمّي، ج١، ص١١٥؛ إمتاع الأسماع، ج١، ص١٦٢).

أمّا فيما يخصّ عائشة الّتي كانت تحرّض الناس على عداوة أمير المؤمنين عليه السلام و قتاله و قامت بحرب الجمل، فإنّ وقوفها كان في مُقابل إمام الحقّ، و طلبها لم يكن مُحقًّا، و لهذا فإنّ نهضتها كانت أساسًا مبنيّةً على بنيانٍ باطلٍ تمامًا، لكن من جهةٍ أخرى كان عملها محكومًا بالبطلان من قِبَل المعصومين عليهم السلام لعنوان أنّها امرأةٌ، و أنّها بصفتها زوجةً من زوجات رسول الله ﷺ، يجب أن تتمتّع بأعلى درجات العفاف و أن تراعي أعظم درجات الحشمة و الحياء و تكون أسوةً لسائر النساء، لكنّها ترأست قيادة جيشٍ عسكريّ. و على سبيل المثال، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه لعائشة يُعبّر: «فَخَبِّرِينِي مَا لِلنِّسَاءِ وَقَوَدَ الْعَسَاكِرِ؟!»؛ (مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٣، ص١٥٢؛ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام، ج١، ص٢٣٩)، و في موضعٍ آخر، بيّن أنّ إحدى مفاسد نهضتها هي الترويج لسنّة سلاطين الروم و حكّام قوم سبأ إذ كانوا يولّون النساء القيادة؛ (الخصال، ج٢، ص٣٧٨؛ شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار عليهم السلام، ج١، ص٣٥٤؛ الاختصاص، ص١٧٦)، و في رواياتٍ أخرى، أكّد فيها أنّ هذا العمل مخالفٌ لصريح القرآن، و مِصداقٌ للتبرّج و إظهار النفس الجاهليّة، و متعارضٌ مع العفّة و الحشمة المتناسبتَين مع حال زوجات النبيّ ﷺ؛ (كمال الدين، ج١، ص٢٧؛ بشارة المصطفى، ص٢٧٨؛ تفسير القمّي، ج٢، ص٢١٠؛ المسترشد في إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ص٤١٩؛ نهج البلاغة، ص٢٤٧).

و بنحوٍ عامّ و بعد النظر في سيرة المعصومين عليهم السلام، خصوصًا في غزوات رسول الله ﷺ و الإمام عليّ عليه السلام و الإمامين الحسن و الحسين عليهما السلام، لم يكن حضور أيّ واحدةٍ من النساء في المعارك تحت عنوان مقاتلٍ بأيّ وجهٍ من الوجوه. و لو كان لحضور النساء تحت هذا العنوان أيّ رجحانٍ شرعيّ، فكان من الأَوْلى أن تتسابق إليه نساء هذه العترة الطاهرة اللواتي لم يقصّرنَ أقلّ تقصيرٍ في إتيان المستحبّات فضلًا عن الواجبات. و الكثير من نساء أهل البيت عليهم السلام مثل السيّدة فاطمة و السيّدة زينب عليهما السلام اللواتي لم يكنّ أقلّ شجاعةٍ من الرجال أبدًا، بل كنّ يدافعنَ بأرواحهنّ عن إمام عصرهنّ و عن دين الله تعالى، و يقرأنَ أغرّ الخطب على أعين الأعداء، لكنّهنّ لم يحضرنَ في المعارك و الغزوات تحت عنوانٍ عسكريّ أبدًا، و سيرة حياتهنّ و سلوكهنّ هذا يبيّنان طريقة حياة أيّ امرأةٍ مسلمةٍ تريد أن تتّخذ منهنّ أسوةً و قدوةً و أن تسير على خُطى أهل البيت عليهم السلام و منهجهم. و في واقعة كربلاء أيضًا عندما استشهد وهبٌ على يد الأعداء، خرجت أمّه من خيمتها و أرادت أن تذهب إلى قتال الأعداء بعمود الخيمة و سيف ابنها، لكنّ سيّد الشهداء عليه السلام مَنَعَها عن هذا العمل و قال لها: «ارْجِعِي يَا أُمَّ وَهْبٍ أَنْتِ وَابْنُكِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ الْجِهَادَ مَرْفُوعٌ عَنِ النِّسَاءِ»؛ (تسلية المجالس و زينة المجالس، ج٢، ص٢٨٧؛ و مثله في الأمالي (للصدوق)، ص١٦١). و الأوضح من هذا كلّه أنّه عندما قال سيّد الشهداء عليه السلام في يوم عاشوراء: «مَنْ سَمِعَ وَاعِيَتَنَا أَوْ رأى سَوَادَنَا فَلَمْ

يُحِبُّنَا وَلَمْ يُعِنَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُكِبَّهُ عَلَى مَنْخِرَيْهِ فِي النَّارِ»؛ (ثواب الأعمال، ص٢٦٠؛ و مثله في الأمالي (للصدوق)، ص١٥٥)، و بعدما استشهد جميع أنصاره من أصحابه و أهل بيته عليهم السلام، نادى «هَل مِن مُغيث؟!» و «هَل مِن مُعين؟!»، فماذا فعلت نساء أهل البيت عليهم السلام و سائر النساء اللواتي حضَرْنَ في كربلاء و كانت من بينهنّ السيّدة زينب عليها السلام ؟ فمع أنّ جميع وجودهنّ في تلك الظروف كان جاهزًا للذبّ عن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله و الدفاع عنه، لكنّنا نرى أنّهنّ لم يبادرنَ قَطّ إلى القتال مع سماع تلك النداءات الحسينيّة المقطِّعة للقلوب، و لو كنّ يعلمْنَ بوجود أقلّ ثوابٍ لقتال النساء العسكريّ لأَخذْنَ السيوف قبل أيّ أحدٍ آخر و نزلنَ إلى ساحة القتال، إنّما لم يفعلنَ ذلك لعلمهنّ أنّ قتال الأعداء و المواجهة معهم لا يدخلان في وظائف النساء بل لا يَحويان أيّ رجحانٍ شرعيّ أيضًا، و أنّهما مُخالفان تمام المخالفة للقيم الدينيّة الّتي رُسمت للنساء.

إذًا، بالنظر إلى السيرة العمليّة و القوليّة للمعصومين عليهم السلام، فمن البديهيّ أنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي يسير بدين الله تعالى و سنّة رسوله صلى الله عليه وآله و آبائه الطاهرين عليهم السلام، و الّذي بظهوره إنّما يُحيي دين رسول الله صلى الله عليه وآله و يزيل البدع الباطلة الّتي نُسبت إلى الدين على طول الزمن، لن يُسلّم النساء قيادة جيشه، فهو ـ قطعًا ـ لن يروّج لِما خشيَ رسول الله صلى الله عليه وآله و أمير المؤمنين عليه السلام من أن يصبح سُنّة. و لذا عندما يُذكر أصحاب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الروايات، يُعبّر عنهم بـ«ثلاثمئة و ثلاثة عشر رجلًا». و احتمال كَوْن هذا التعبير من باب التغليب لأنّ عدد النساء من بينهم يكون قليلًا، فمع الالتفات إلى النقاط الّتي ذُكرت سابقًا يتبيّن أنّ هذا الاحتمال ليس له أيّ أساسٍ. ثمّ إنّ هذا التعبير قد ذُكر في أكثر من عشرين رواية مختلفة، فإن كان في ضمن العدد ثلاثمئة و ثلاثة عشر نساء، لَكان من الأنسب أن يُعبر بكلماتٍ مثل «شخص» بدلًا عن كلمة «رجُل»، حتّى يتبيّن أنّ جزءًا منهم نساءٌ و الجزء الآخر رجال. إضافةً إلى ذلك، فقد ذُكر في روايةٍ بنحوٍ تفصيليّ بلد كلّ واحدٍ من هؤلاء الثلاثمئة و ثلاثة عشر، و ذُكر فيها بنحوٍ جزئيّ أسماء المدن و عدد الّذين سيخرجون من كلّ مدينةٍ مع الإمام (صلوات الله عليه). و مَن يقرأ الرواية يرى في جميع فقراتها التعبير بـ«عددٍ معيّنٍ من الرجال»، و لم يُعبّر عند ذكر أيّ مدينةٍ بعددٍ من الأشخاص مثلًا حتّى نحتمل أن يكون من بينهم نساء؛ (دلائل الإمامة، ص٥٥٤ ـ ٥٦٠)، و في روايةٍ أخرى ذُكر في جميع فقراتها وصفهم بالتفصيل، و عبّر عنهم بـ«رجُلٍ» أو عددٍ من «الرجال» مع ذكر صفاتٍ خاصّة، و في أحد الموارد يعبّر عنهم بـ«قوم» مع تحديد صفاتٍ معينة؛ (دلائل الإمامة، ص٥٦٢ ـ ٥٦٦)، و بمراجعة روايةٍ أخرى ذكر فيها أسماء هؤلاء القادة فردًا فردًا، نجد أنّ جميع الأسماء هي أسماء رجال، و يعبّر عنهم بـ«رجل» أو «فلانٌ ابن فلانٍ»، و هذا بكلّ صراحةٍ يثبت المطلب الّذي ذكرناه؛ (دلائل الإمامة، ص٥٦٦ ـ ٥٧٥).

مع هذه الحال و في مقابل جميع هذه الأدلّة الكثيرة و الشواهد العديدة، تُنقل روايةٌ واحدةٌ فقط من مصادر الشيعة (تفسير العياشيّ، ج١، ص٦٥) و أيضًا روايةٌ واحدةٌ من مصادر السنّة (المعجم الأوسط، ج٥، ص٣٣٤)، تدلّان في ظاهرهما على أنّ النساء يكنّ في ضمن الثلاثمئة و الثلاثة عشر قائدًا. و هذا الكلام مردودٌ عليه من عدّة جهات، أوّلًا: إنّ الراوي لرواية الطبرانيّ هو ليث بن أبي سليم الّذي يصفه علماء العامّة بأنّه مدلّس و ضعيفٌ في حفظ الحديث و يعدّه علماء الشيعة مجهولًا! (مجمع الزوائد و منبع الفوائد، ج٧، ص٦١٢؛ الجرح و التعديل، ج٧، ص١٧٨؛ رجال الطوسيّ، ص١٤٤؛ رجال ابن داود، ص٤٩٦). ثانيًا: إنّ الرواية المذكورة في تفسير العياشيّ قد جاءت نفسها في كتاب الغَيبة للنعمانيّ و كتاب الاختصاص للشيخ المفيد، و لكن لم تُذكر قطّ عبارة أنّ فيهم خمسين

امرأةً عند نقل تلك الرواية في هذين الكتابين! (الغيبة (للنعماني)، ص٢٧٩؛ الاختصاص، ص٢٥٥). ثالثًا: يمكن أن تكون كلمة «فيهم» المذكورة في كِلتا الروايتين تصحيفًا لكلمة «معهم». رابعًا: أنّه مع الالتفات إلى تعارض هذه الرواية مع بقيّة الروايات، فإن لم يكن لها طريقٌ للجمع مع سائر الأدلّة يجب طرحها جانبًا، و لكن إذا أردنا حملها على المعنى الصحيح و مع الالتفات إلى الروايات السابقة، يجب القول إنّ كلمة «فيهم» هي بمعنى «إلى جانبهم»، يعني إلى جانب هؤلاء الثلاثمئة و ثلاثة عشر ناصرًا من الرجال، فإنّ خمسين امرأةً سوف يبايعنَ الإمام المهديّ عليه السلام، لأنّ هذه النساء سوف يكنَّ في ضمن الثلاثمئة و ثلاثة عشر قائدًا. و إنّ استعمال حرف «في» بالمعنى الّذي ذكرناه أي «في جنبهم» قد ورد في كتبٍ نحويّةٍ متعدّدةٍ، و ذُكرت لها أمثلةٌ من آيات القرآن الكريم و الأشعار و الأمثال و العبارات العربيّة؛ (مغني اللبيب، ج١، ص١٦٨؛ شرح التسهيل، ج٦، ص٢٩٥٨ ـ ٢٩٦٠؛ النحو الوافي، ج٢، ص٤٦٩)، و الّذي يقوّي هذا الاحتمال و يُمثّل قرينةً داخليّةً لهذا المعنى هو أنّه في رواية تفسير العياشيّ يُصرّح «يَجِيءُ وَاللَّهِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فِيهِمْ خَمْسُونَ امْرَأَةً»، فنلاحظ هنا استعمال مفردة «رجل» مقابل «امرأة»، و هذا بنفسه دليلٌ على انحصار معنى «الرجل» بالرجال دون النساء، ممّا يدلّ على أنّ التعبير بـ «فِيهِم» يُقصد به «إلى جانبهم». و الّذي يؤكّد هذا المعنى هو تتمّة الرواية؛ إذ يتحدّث الإمام عليه السلام مرّةً أخرى عن أصحاب الإمام عجّل الله فرجه مُعبّرًا: «مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا»، فيكرّر كلمة «رجل»؛ (تفسير العياشيّ، ج١، ص٦٦). و في هذه الحالة، بفرض وجود خمسين امرأةً إلى جانب هؤلاء الثلاثمئة و ثلاثة عشر رجلًا الّذين يبايعون الإمام عجّل الله فرجه في بداءة الظهور المبارك، يرجّح أن يكون دورهنّ غير القيادة العسكريّة و المشاركة المباشرة في محاربة الأعداء، كما أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله كان يصطحب النساء إلى غزواته ليداوينَ الجرحى؛ (الكافي، ج٥، ص٤٥)، فلا يُتوقّع غير هذا من الإمام الحجّة عجّل الله فرجه الّذي يسير بسيرة جدّه رسول الله صلّى الله عليه و آله و يُحيي سنّته، كما جاء في روايةٍ أنّه يعطي النساء الأدوار نفسها الّتي كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يعطيهنّ إيّاها. و في هذا الصدد، ذُكر في روايةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ: «يُكَرُّ مَعَ الْقَائِمِ عليه السلام ثَلَاثَ عَشْرَةَ امْرَأَةً. قُلْتُ: وَمَا يَصْنَعُ بِهِنَّ؟ قَالَ: يُدَاوِينَ الْجَرْحَى، وَيَقُمْنَ عَلَى الْمَرْضَى، كَمَا كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه و آله. قُلْتُ: فَسَمِّهِنَّ لِي. فَقَالَ: الْقِنْوَاءُ بِنْتُ رُشَيْدٍ، وَأُمُّ أَيْمَنَ، وَحَبَابَةُ الْوَالِبِيَّةُ، وَسُمَيَّةُ أُمُّ عَمَّارِبْنِ يَاسِرٍ، وَزُبَيْدَةُ، وَأُمُّ خَالِدٍ الْأَحْمَسِيَّةُ، وَأُمُّ سَعِيدٍ الْحَنَفِيَّةُ، وَصُبَانَةُ الْمَاشِطَةُ، وَأُمُّ خَالِدٍ الْجُهَنِيَّةُ» (دلائل الإمامة، ص٤٨٤).

طبعًا من الجدير بالذكر أنّ عدم حضور النساء في القتال العسكريّ لا يقلّل من كمالاتهنّ و قِيَمهنّ أبدًا، بل هو سببٌ لرشدهنّ و ترَقّيهنّ المعنويّ؛ لأنّ الكمال الحقيقيّ لكلّ إنسانٍ هو في العبوديّة لله تعالى و جريان التوحيد في جميع أبعاده الوجوديّة، و لهذا فلا وجود لأيّ فرقٍ بين الرجل و المرأة من هذا الجانب، إنّما كلاهما يمكنهما الوصول إلى أعلى مراتب الكمال، إلى حدّ أنّ امرأةً كالسيّدة الزهراء عليها السلام أصبحت معصومةً عن الخطأ و الخطيئة و حجّة الله على الناس، و إنّما ترقّت في مقامها المعنويّ حتّى سبقت الأنبياء عليهم السلام عدا خاتم النبيّين صلّى الله عليه و آله، و كما قال الإمام العسكريّ عليه السلام أصبحت حجّة الله على الحجج و هم الأئمّة المعصومون عليهم السلام؛ (بحار الأنوار، ج١٠٧، ص١٧٤)، و حتّى قال الإمام الحجّة عجّل الله فرجه أيضًا: «فِي ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه و آله لِي أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»؛ (الغيبة (للطوسيّ)، ص٢٨٦). و القتال ضدّ الأعداء هو مجرد طريقٍ يمكن للإنسان من خلاله أن يُثبت طاعته لله و ترجيح رضاه تعالى على رضا نفسه، و ليس له موضوعيّة بنحوٍ خاصٍّ، فقد يكون ترك الجهاد واجبًا حتّى على الرجال كما في موضع التقيّة ـ مثلًا ـ و إنّ ذهابهم إلى الجهاد سيكون خلاف العبوديّة لله تعالى و يُعدّ ارتكابًا للمعصية في هذه الحالة، و سوف يحرمهم كمالهم الحقيقيّ، و هذا مصداق مضمون قول الإمام الصادق عليه السلام إنّ ابليس (لعنه الله) قد عبد الله سنين طويلة

و لكن لم تكن له عبوديّة، و استكبر على الله تعالى، حتّى صار هذا سببًا لشقاوته، و لذا قال الله تعالى في الحديث القدسي: «إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أُعْبَدَ مِنْ حَيْثُ أُرِيدُ لَا مِنْ حَيْثُ تُرِيد»؛ (تفسير القمّيّ؛ ج١؛ ص٤٢). من هنا، ففي الوقت نفسه الّذي يعدّ فيه الجهاد العسكريّ ـ حين مشروعيّته ـ من القيم بالنسبة إلى الرجل، فهو يُعدّ خلاف القيم بالنسبة إلى المرأة. وكما أنّ المنافقين و الناكثين حرّضوا و شجّعوا عائشة على قيادة الحرب حتّى يتمكّنوا بواسطتها من نَيْل و تحصيل بعض المكاسب الدنيويّة، فاليوم أيضًا نرى البعض، و بهدف اكتساب عددٍ أكبر من الأصوات أو الأنصار أو بعض المكاسب الدنيويّة، يردّدون كلماتٍ تخدع العوامّ و توهمهم أنّه من حقّ النساء أن يكون لهنّ في المجتمع دورٌ كدور الرجال و يدعونهنّ إلى الظهور في المجتمع مع الرجال كتفًا لكتف، و الأسوأ من ذلك أنّهم ينسبون شعاراتهم هذه إلى الدين أيضًا، ليأتوا بدينٍ مزيّفٍ و ليلبسوا على الناس دينهم. و الحال أنّ كلّ عاقلٍ مُنصفٍ ـ أعمّ من الرجل أو المرأة ـ يعلم أنّ صفات النساء مختلفةٌ عن صفات الرجال تكوينًا، و في النتيجة فإنّ وظائفهم الشرعيّة مختلفةٌ أيضًا. طبعًا للنساء دورٌ كما للرجال دورٌ، لكن كلٌّ حسب ما كتب الله عليه، و لا يمكن تفضيل دور أحدٍ على الآخر أو تحقيره، و هل يسبق أحد أمَّ البنين عليها السلام الّتي منذ أن عزم أمير المؤمنين عليه السلام على الزواج قال لعقيل: «انظر لي امرأةً قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلامًا فارسًا»؛ (عمدة الطالب، ص٣٢٧؛ نفس المهموم، ص٣٠٢)، و هي لم تكن في كربلاء و لم تأخذ السيف و تقاتل، لكنّها مع ذلك كانت ناصرةً لإمامها وكان من عظيم شأنها أنّها أنجبت أربعة أولادٍ خير أنصارٍ و مُعينين لإمام زمانهم عليه السلام، لأنّها قامت بالجهاد الأكبر ألَا و هو تهذيب النفس و إنجاب أربعةٍ من أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام و تربيتهم، و ضحّت بهم و هم أعزّ من نفسها لديها. و في القضيّة الحسينيّة أيضًا، ألم تكنُ جهود سيّد الشهداء عليه السلام و أنصاره و قيام ثورته و بقائها على مدى الدهور و الأزمان متوقفة على دور السبايا(عليهنّ السلام) في نقل واقعة الطفّ للعالم؟!

و إنّما نُحيت المرأة عن النصرة العسكريّة و خوض غمار الحرب لأنّها بطبيعتها جنسٌ لطيفٌ و رقيق، إذ وصفهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بالريحانة، فرحمةً بهنّ و حفاظًا على سترهنّ و لطافة وجودهنّ قد أُسقط عنهنّ الجهاد الأصغر، و جعل سبيلهنّ لنصرة إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه بالجهاد الأكبر و هذا يحتاج إلى سعيٍ و مجاهدةٍ و خوض حروب الأهواء النفسيّة، و هو أعظم عند الله تعالى من الجهاد العسكريّ. لذا فالباب مفتوحٌ أمام المرأة لتكون من الناصرات للإمام عجل الله تعالى فرجه، و أدوار المرأة ليست بأقلّ صعوبة من تولّي القيادات العسكريّة، إذ في الجهاد الأصغر يواجه المرء الحديد و النار و أجساد عددٍ من الأعداء، أمّا في الجهاد الأكبر فتُخاض الحروب الناعمة الفتّاكة بالمجتمعات و الثقافات، و يكون القتال مع جيوشٍ مجنّدةٍ من الشياطين الرجيمة و أتباعها من الجنّ و الإنس!

و خلاصةً، ليس لأحدٍ أن يحدّد طريق الوصول إلى رضا الإمام عجل الله تعالى فرجه و كيفيّة نُصرته لدين الله تعالى، بما يتوافق مع هواه، بل إنّ الأمر يقوم حسب ما رسمه لنا أهل البيت عليهم السلام، فمن يريد حقًّا نُصرة إمام زمانه عجل الله تعالى فرجه عليه أن يكون المطيع لأوامره و العامل بتوجيهاته، لذا فإنّ لطالبات الفضيلة أسوة ببنات الرسالة و سيّداتها كأمّ المؤمنين السيّدة خديجة و سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء و العقيلة زينب(عليهنّ السلام) ويمكنهنّ الاقتداء بهنّ حتّى ينَلْنَ رضا الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه و يبلغنَ بذلك أعلى قُلَل الكمال و يصلنَ إلى المقامات الّتي حُرِم بعض الرجال الوصول إليها.

﴿٨٦﴾ توزُّع أصحاب الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ

س: ورد أنّ أصحاب الإمام الحجّة عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ ينتشرون في أنحاء الأرض عند الظهور ثمّ يعودون إلى مكّة ليبايعوا الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ عندما لا يجدون على وجه الأرض إمامًا غيره، أمَا يعرفون الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ؟

ج: ليس هذا ثابتًا.

﴿٨٧﴾ حكم صلاة الجمعة في زمن الغَيبة

س: هل صلاة الجمعة في زمن غَيبة الإمام المعصوم عليه السلام واجبة أم مستحبّة؟

ج. إنّها واجبٌ تخييريّ.

﴿٨٨﴾ إمامة الجمعة في زمن الغَيبة

س: هل تحتاج إمامة صلاة الجمعة في زمن الغَيبة إلى تنصيب من قبل الفقيه؟

ج: لا تحتاج إلى تنصيب الفقيه.

﴿٨٩﴾ حكم ضمان الأموال باسم الإمام المهديّ عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ

س: يجعل بعض المؤمنين أنفسهم، و أسرهم، و سياراتهم، و دكاكينهم أو بيوتهم تحت ضمان الإمام الحجّة عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ، و من أجل ذلك يدفعون مقدارًا من المال شهريًّا[1]، فما هي موارد صرف هذه الأموال؟

ج: هذه المبالغ متعلّقة بالإمام الحجّة عليه السلام، و موارد صرفها مثل موارد صرف سهم الإمام عليه السلام المبارك.

(١) كما يوجد أشخاص يدفعون أموالًا لشركات الضمان بهدف تعويضهم في حال حصول حادثة ما، فبعض الناس يدفعون الأموال باسم الإمام صاحب الزمان عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ أسبوعيًا أو شهريًّا أو ربما سنويًّا إلى فقراء الشيعة بنيّة حفظهم من المخاطر و البلايا و الحوادث و ذلك بعنوان: «ضمان الإمام الحجّة عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ».

«٩٠» موارد صرف أموال ضمان الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

س: هل يجوز أن تُصرف الأموال الّتي يعطيها الناس باسم الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف بعنوان «ضمان الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف» في إقامة مسابقات ثقافيّة لترويج الثقافة المهدويّة؟

ج: لا مانع منه في موارد الاطمئنان برضا الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

«٩١» النصيحة الذهبيّة

س: أرجو من سماحتكم أن تعِظوني.

ج: لا تنسوا الله، كونوا منتظرين لفرج إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و ملتزمين بأداء الواجبات و ترك المحرّمات.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا

الحَدِيقَةُ الخَامِسَةُ:

كُحْلُ النَّوَاظِرِ

وَرَقَةٌ مِنْ دَفْتَرِ أَسْرَارٍ لَا تُحْكَى

حُقَّ لنا أن نضع جباهنا و وجوهنا على الأرض، و نعفّرها ساجدين إجلالًا و تعظيمًا لله عزّ و جلّ، و نحمده حمدًا سرمدًا دائمًا و نشكره شكرًا واصبًا أبدًا، أنْ منَّ على عباده فلم يحجب عنهم بنحوٍ مطلق الاستمداد من نور بدر التمام، و لم يحرمهم الاغتراف من عين الحياة، حتّى ترتوي قلوبٌ أظمأها شوق لقاء إمامِ زمانٍ غُيّب بسبب مظالم الظلّام و طغيانٍ عمَّ أرجاء البلاد. و كيف تُحصى آلاء الرّحمن و هو الّذي بفضله أباح لنور وجه وليّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف المبارك بالإشراق بين الخلائق كما تشرق الشمس من خلف السحاب، و ما أعظم كرمه إذ منَّ على خاصّة أوليائه بأن كحّل نواظرهم برؤية صاحب الطلعة الرشيدة و الغُرّة الحميدة، الإمام الحجّة بن الحسن المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و نحن و إن كنّا بسبب أعمالنا مقيّدين و محجوبين، إلّا أنّنا نُشهد الله تعالى و كفى به شهيدًا، أنّنا من الطامعين الّذين طال وقوفهم على أعتاب باب التشرّف بالمحضر المقدّس للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و من التائقين و المتلهّفين إلى وصاله و رؤية جماله الملكوتي، على الرغم ممّا نملك من بضاعةٍ مزجاة، و نشكر الله عزّ و جلّ الّذي وفّقنا و شرّفنا ـ من غير استحقاقٍ منّا ـ لذكر بعض من أحسن القصص عن يوسُف هذه الأمّة و طاوس أهل الجنّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و ما فيها من شذراتٍ نديّة و إشاراتٍ خفيّة من وَلَه آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه و شغفه بحبيبه و إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

و من البديهي أنّ إدراج اسم العالم الربّانيّ و الفقيه المقدّس الشيخ البهجة قدّس سرّه ذيل الاسم المبارك لذُخر الله تعالى في الأرضين الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، يجعل القارئ الكريم يتوقّع تلقائيًّا حديقةً غنيّةً باللقاءات المتعدّدة؛ لأنّ الحديث إنّما هو عن شخصيّةٍ احتمل العلماء و الأولياء، بل ـ أكثر من الاحتمال ـ اعتقدوا أنّه حظيَ بلقاءاتٍ عديدةٍ بإمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أنّ باب اللقاء كان مفتوحًا أمامه. و الأجمل و الأروع من ذلك و ممّا يُلقي في القلب الغِبطة على الارتقاء، أنّه كان يقول بصريح العبارة و كامل اليقين و من دون أن يُشير إلى نفسه:

«[الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف] محتجبٌ عن أعين الظّالمين، لكن الّذين ليسوا هم ظالمين و لا من أصحاب الظالمين و لا يخالطون الظالمين و لا هم في منازل الظالمين و محالّهم، فهؤلاء ليسوا بمحجوبين عن وجوده الشريف عليه السلام أصلًا!».

أي أنّ الغَيبة أساسًا غير مُتصوّرة بالنسبة إليهم حتّى يحتاجوا إلى أن يُفتح أمامهم باب اللقاء، بل جميع لحظاتهم ملؤها الحضور، و كلّ وجودهم حاضرٌ باستمرار في محضر الحبيب عليه السلام، و الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ليس غائبًا و لا محجوبًا عنهم أبدًا. لذلك فإنّ ما يتوقّعه القارئ الكريم ليس ناجمًا عن سراب، لكن لاستحالة معرفة المقامات المستورة لدى الشيخ المقدّس البهجة قدّس سرّه بسبب تفنّنه في انتهاج شتّى أساليب الكتمان، يُعذَر أصحاب القلم إن لم يتمكّنوا من تدوين سوى بعض صفحاتٍ معدودات. نسأل الله عزّ و جلّ أن يفيض بفضله من بركاته على هذه الصفحات القليلة، لتكون شفاءً لما في الصّدور، و ترويَ عطش النفوس الظامئة، إذ إنّ نسخةً واحدة تكون أحيانًا كافيةً للهداية، كما يقول الله عزّ و جلّ: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[1].

و كم تلهّفت قلوب المُريدين إلى سماع لمعةٍ من لُمَع علوّ مقام ذلك الفقيه المقدّس و سموّ كماله، لعلّه بكَشْفها يُبرّد غليل شوقهم و يُطفئ نيران وجْدهم، إلّا أنّه كان شديد الحرص على إخفاء كلّ أثرٍ يتناثر من رحلة معراجه، فغيرُ خافٍ على أحد أنّ مِنْ أبرز الخصال الّتي تميّز بها الشيخ البهجة قدّس سرّه شدّة كتمانه، بحيث إن كان يُرى منه أحيانًا و على وفق المصالح و الحِكَم أمرٌ خارقٌ للعادة، كان هذا العالم الربّانيّ يسعى جاهدًا إلى صرف الأذهان كلّيًّا عن نَسْبِ تلك الكرامة إلى نفسه. فإنّ سماحته قدّس سرّه، كما طوى مراتب القرب و الكمال من بداءة عمره الشريف، فقد كان بموازاة ذلك يعدّ المحافظة على أعلى مراتب الكتمان واجبًا عليه، و كلّما ارتفع مقامه اشتدّ كتمانه.[2] و تزداد شدّة إصراره على الكتمان بالنسبة إلى بعض الأحداث بنحوٍ خاصّ، بحيث لم يكن يقتصر على إخفاء مقاماته

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٤.

(٢) ذكر أنّ إحدى صفات أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الّتي جعلتهم يبلغون تلك المقامات العالية و الدرجات السامية أنّهم كانوا كتومين. في الرواية أنّ أبا بصير يقول: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «مِنْ أَيْنَ أَصَابَ أَصْحَابَ عَلِيٍّ مَا أصابوا فِي عِلْمِهِمْ بِمَنَايَاهُمْ وَبَلَايَاهُمْ؟ فَأَجَابَنِي شِبْهَ الْمُغْضَبِ: مِمَّ ذَاكَ إِلَّا مِنْهُم! قَالَ قُلْتُ: فَمَا يَمْنَعُكَ جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ؟ قَالَ ذَلِكَ بَابٌ قَدْ أُغْلِقَ إِلَّا أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليهما السلام فَتَحَ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا. ثمّ قَالَ: أَبَا محمّد إِنَّ أُولَئِكَ كَانَتْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ أَوْكِيَةٌ»؛ بصائر الدرجات، ج١، ص٢٦١.

مقامٍ لسماحته ﷺ فضلًا عن مواطن الشهرة، و كان يتجنّب الحضور في مرأى العموم و مسمعهم. و ما يؤكّد تمسّكه بهذا المنهج، أنّه كان يقول مشيرًا إلى قضيّةٍ معيّنةٍ: «[قبل وقوع تلك القضيّة] رأيت أحد رجال الغَيب من أصحاب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في حرم السيّدة المعصومة عليها السلام، فقال: ستحدث قضايا، كلّما كنتم أخمل ذكرًا و صيتًا فهو أفضل لكم!»[1].

---

(١) من الجدير بالذكر أنّ أمثال هذه التوصية الموجّهة إلى آية الله الشيخ البهجة ﷺ، صدرت كثيرًا في السابق من الأئمّة الأطهار عليهم السلام إلى أصحابهم في ظروفٍ خاصّة. على سبيل المثال، فإنّ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام قبل حدوث بعض الفتن زمن الخلفاء العبّاسيّين قد أرسل إلى الخواصّ من أصحابه رسائل و توقيعات يوصيهم فيها بأن لا يخرجوا من منازلهم قدر المستطاع، و أن لا يقابلوا الناس؛ (راجع: الكافي، ج١، ص٥٠٦؛ كشف الغمة، ج٢، ص٤١٧؛ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٣٢٥؛ دلائل الإمامة، ص٤٢٨). و حتّى في الظروف العاديّة جرى تأكيد الابتعاد عن الشهرة في الروايات الشريفة، و امتُدح خمول الذكر كقاعدة عامّة ما لم يخلّ ذلك بتأدية الوظائف الدينيّة مثل التفقّه في الدين و إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام؛ (الكافي، ج٢، ص٢٣٧؛ ج١، ص٣١)، على العكس ممّا هو سائد في المجتمع. و ذَكَر رسول الله ﷺ خمول الذكر صفةً من صفات المؤمنين فضلًا عن كونها من مزايا أولياء الله تعالى: «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ، ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلَاةِ، أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ، وَكَانَ غَامِضًا فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، ثمّ نَقَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ فَقَالَ: وَعُجِلَتْ مَنِيَّتُهُ وَقَلَّ تُرَاثُهُ وَقَلَّتْ بَوَاكِيهِ»؛ (مجموعة ورّام، ج١، ص١٨٢). كذلك قال النبيّ الأكرم ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا، وَإِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يُنْجَوْنَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ»؛ (نزهة الناظر و تنبيه الخاطر، ص١٥؛ شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد)، ج٢، ص١٨٣؛ التحصين في صفات العارفين، ص١٨). و من الجدير بالذكر أنّ تحرُّز المرء من أن يشار إليه بالبنان يشمل الأمور الدنيويّة و الأمور الأخرويّة معًا كما قال رسول الله ﷺ: «كَفَى بِالرَّجُلِ بَلَاءً أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا»؛ (مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ص٣٢٠)، أو كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ طُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأَكَلَ كِسْرَتَهُ وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ وَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ»؛ (تفسير القمّيّ، ج٢، ص٧١). و جاء في روايةٍ أخرى عنه عليه السلام الأمر بصريح العبارة إلى خمول الذكر و عدم الاشتهار: «تَبَذَّلْ وَلَا تُشْهَرْ، وَأَخْفِ شَخْصَكَ لِئَلَّا تُذْكَرَ، وَتَعَلَّمْ وَاكْتُمْ، وَاصْمُتْ تَسْلَمْ»؛ (الأمالي (للمفيد)، ص٢٠٩). و قد ذُكر في روايةٍ أنّ من أسباب سعادة المرء خمول ذكره: «السَّعِيدُ مَنْ خَمَلَ صِيتُه»؛ (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٢، ص١٨٣). و من المناسب أيضًا نقل ما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ لَا تُعْرَفُوا فَافْعَلُوا، وَمَا عَلَيْكَ إِنْ لَمْ يُثْنِ النَّاسُ عَلَيْكَ»؛ (الكافي، ج٨، ص١٢٨)، و حتّى إنّه عليه السلام في موضعٍ آخر عدّ خمول الذكر من النعم الّتي يُسأل عنها الإنسان يوم القيامة: «إِنَّ مِمَّا يَحْتَجُّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ عَلَى عَبْدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَقُولَ أَلَمْ أُخْمِلْ ذِكْرَكَ»؛ (التحصين، ص١١). و عندما طلب معروف الكرخي إلى الإمام الصادق عليه السلام أن ينصحه، قال له الإمام عليه السلام: «أَقْلِلْ مَعَارِفَكَ»، و عندما عاد ثانية و طلب النصيحة قال له الإمام عليه السلام: «أَنْكِرْ مَنْ عَرَفْتَ مِنْهُمْ»، و عندما طلب ثالثةً النصيحة، قال عليه السلام: «حَسْبُكَ»؛ (التحصين، ص١١)، و هذا معناه أنّ الإمام عليه السلام عدّ هذه النصيحة جامعةً و كافيةً و مُغنيةً عن سائر النصائح.

فكان نهجه هذا في الكتمان أشدّ بكثيرٍ في خصوص لقاءاته، و كان يحرص في هذا الموضوع على أعلى درجات الكتمان و الإسرار، و لعلّه قد بلغ ذلك المقام من القرب بسبب هذا التشدّد في الكتمان. و ما أشبه هذا بما قاله أبو سهل النوبختيّ ردًّا على من سأله: كيف

و مَن استشفّ الروايات الشريفة يرى أنّ العزلةَ حصن التقوى و سبب الأنس بالله تعالى و حفظ الدين: «اَلْعُزْلَةُ حِصْنُ التَّقْوَى»؛ (عيون الحكم، ص٤٤)، «مَنِ انْفَرَدَ عَنِ النَّاسِ أَنِسَ بِاللَّهِ»؛ (عيون الحكم، ص٤٤٠)، «مَنِ انْفَرَدَ عَنِ النَّاسِ صَانَ دِينَهُ»؛ (عيون الحكم، ص٤٤٦).

و من عجيب ما يمكن الوقوف عنده في مثل هذه الروايات و التأمّل فيه مليًّا، أنّه و إنْ عُدّت إحدى صفات أولياء الله أنّهم «أحلاس البيوت»، لكن في الوقت عينه وُصفوا بأنّهم «مصابيح الهدى» كما جاء في الرواية الّتي يوصي رسول الله ﷺ فيها لأهل العلم: «كُونُوا يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ مَصَابِيحَ الْهُدَى، أَحْلَاسَ الْبُيُوتِ سُرُجَ اللَّيْلِ، جُدُدَ الْقُلُوبِ خُلْقَانَ الثِّيَابِ، تُعْرَفُونَ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَ تُخْفَوْنَ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ»؛ (منية المريد، ص١٣٥). أو ما ورد في حديثٍ آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «طُوبَى لِكُلِّ عَبْدٍ نُوَمَةٍ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، يَعْرِفُ النَّاسَ وَ لَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ، يَعْرِفُهُ اللَّهُ مِنْهُ بِرِضْوَانٍ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى يَنْجَلِي عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ مُظْلِمَةٍ وَ يُفْتَحُ لَهُمْ بَابُ كُلِّ رَحْمَةٍ لَيْسُوا بِالْبُذُرِ الْمَذَايِيعِ وَ لَا الْجُفَاةِ الْمُرَائِينَ»؛ (الكافي، ج٢، ص٢٢٥). لذلك فإنّ وليّ الله في الوقت نفسه الّذي يبذل أقصى جهده لأن يبقى خمل الذكر و الصيت، و لا يتعرّض إلى مواطن الشهرة، فإنّ الله يجعله مصباح الهداية و نبع الحكمة للآخرين. فالنبيّ الأكرم ﷺ الّذي هو نفسه هادي جميع المهتدين و مُنجي جميع المؤمنين، كان قبل بعثته المباركة أخمل رجلٍ ذكرًا في قريش: «وَاللَّهِ مَا فِي قُرَيْشٍ أَخْمَلُ ذِكْرًا مِنْهُ»؛ (كمال الدين، ج١، ص١٩٠). و عليه، فإنّ هذه الأخبار و غيرها تُبيّن أنّ تجنّب علماء الدين الشهرة و ذيوع الذكر ليس حاجزًا دون هداية الناس و إرشادهم، بل هو يهيّئ الأرضيّة لأشمل هدايةٍ و أدقّها. و من الجدير بالذكر أنّ القاعدة المذكورة أكّدها أهل البيت عليهم السلام على نحوٍ خاصٍّ في زمان الغَيبة و ترقّب الفتن المظلمة العمياء؛ يروي عبد الله بن عمرو: «بَيْنَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ أَوْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ الْفِتْنَةُ، قَالَ فَقَالَ: إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَ حُقِرَتْ أَمَانَاتُهُمْ وَ كَانُوا هَكَذَا وَ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: الْزَمْ بَيْتَكَ وَ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَ خُذْ مَا تَعْرِفُ وَ ذَرْ مَا تُنْكِرُ وَ عَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِك وَ ذَرْ عَنْكَ أَمْرَ العامّة»؛ (التحصين، ص١٠). أو ما ورد في روايةٍ عجيبةٍ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكُونُ الْعَافِيَةُ فِيهِ عَشَرَةَ أَجْزَاءٍ، تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي اعْتِزَالِ النَّاسِ وَ وَاحِدَةٌ فِي الصَّمْتِ»؛ (التحصين، ص١٨). و رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ فِيهِ أَحْسَنُهُمْ حَالًا مَنْ كَانَ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ»؛ (المصدر السابق). و في روايةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام صرّح بقولٍ حول وظيفة المؤمن في آخر الزمان: «الْزَمْ بَيْتَكَ وَ كُنْ حِلْسًا مِنْ أَحْلَاسِهِ وَ اسْكُنْ مَا سَكَنَ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ، فَإِذَا بَلَغَكَ أَنَّ السفيانيّ قَدْ خَرَجَ فَارْحَلْ إِلَيْنَا وَ لَوْ عَلَى رِجْلِكَ»؛ (الكافي، ج٨، ص٢٦٥). فمن خلال التمعّن في هذه الروايات و التأمّل فيها تتّضح حكمة تحرّز وليّ الله الصالح آية الله الشيخ البهجة قدس سره بشدّة من إذاعة صيته و تجنّبه على الإطلاق من تعريض نفسه للشهرة و المعرفة، و بما أنّ إرادة الله عزّ و جلّ تعلّقت في أن يجعل أولياءه مصابيح الهدى لعامّة الناس مع أنّهم أحلاسُ البيوت، فإنّ ذلك يكشف الحكمة من شدّة محبّة الناس للشيخ المقدّس قدس سره و إقبالهم عليه، مع أنّ الكثير من مقاماته الربّانيّة ظلّ مكتومًا عن الناس بسبب كتمانه الشديد و كذلك بُعده الكامل عن وسائل الإعلام العامّة.

وصل أمر النيابة إلى الشيخ أبي القاسم حسين بن رَوْح بدلًا منك؟ فأشار في جوابه إلى خصلةٍ خاصّة من بين الخصال الحسنة العديدة الّتي يتمتّع بها الحسين بن رَوْح، إذ قال:

«أَبُو الْقَاسِمِ، فَلَوْ كَانَتِ الحجّة تَحْتَ ذَيْلِهِ وَ قُرِّضَ بِالْمَقَارِيضِ مَا كَشَفَ الذَّيْلَ عَنْهُ!»[1].

لقد كان فقيه الشيعة المقدّس الشيخ البهجة ﵀ في الحقيقة مصداقًا تامًّا لهذا القول البليغ، و كانت جميع أفعالِه تصلح لتُفسّر على وفق الوظيفة الظاهريّة، من دون أن يكون فيها أيّ دلالةٍ أو إشارةٍ إلى أنّ له علاقة أو اتّصالًا بالناحية المقدّسة، و ليس هذا فحسب، بل كان يبذل أقصى جهده لصرف الأذهان عن قضيّة اتّصاله بالغَيب أو الأمور الخارقة للعادة، و قد نجح حقًّا في ذلك نجاحًا كبيرًا. مع أنّه جادَ علينا بنقل الكثير من لقاءات العلماء و الصلحاء بوارث الأنبياء و خاتم الأوصياء الإمام الحجّة ﷻ، لكنّه حبَس في صدره كمًّا هائلًا من لقاءاته الشخصيّة و أبَى أن يُظهر أسراره و لو بعضًا منها من غير ضرورةٍ بالغة، بل كان يرفض حتّى الحديث عن تفاصيل مناماته المرتبطة بالإمام ﷻ. و لم تتمكّن محاولات المحيطين به و إصرارهم و طلباتهم المتكرّرة إليه نقلَ بعض ما شرّفه الله عزّ و جلّ به، أن تقلّ عزيمته على الكتمان أو أن تَهن إرادته الصلبة، و حتّى إذا قام بعملٍ ما في سبيل الفوز باللقاء فإنّه كان يكتُم ذلك أيضًا؛ فمثلًا إنْ سُئِلَ: هل أدّيت الذكر الفلانيّ لحصول التشرّف بلقاء الإمام ﷻ؟ و مع أنّ الجواب الإيجابيّ ليس بالضرورة دليلًا على حصول التشرّف، فإنّه كان يتهرّب من الإجابة عن أمثال هذا السؤال أيضًا تجنّبًا لما يمكن أن يترتّب على الكلام، و يكتفي بالردّ على السائل حاسمًا الموقف: «لا تسألوا!». لكن إن رأى بعينَي قلبه أنّ السائلين الّذين يلحّون عليه هم من أهل العشق الّذين أعيا قلوبهم الظمأ شوقًا للإمام المهديّ ﷻ، أجابهم بقوله المُفعم بالأمل: «عاشق إمام الزمان يراه على الأقلّ في المنام!». أمّا إن سأله آخرون من الخواصّ المؤهّلين أكثر للاستعلام عن هذه الأمور: هل تشرّفتم بلقاء الإمام ﷻ؟ كان يُغيّر بفطنةٍ كاملةٍ اتّجاه السؤال و يقول: «في المنام؟ نعم!» ثمّ يعقّب مباشرةً: «في المنام ربما رآه كثيرون!»[2]. و في حالاتٍ نادرةٍ جدًّا صرّح ـ لخاصّة الخواصّ

---

(١) الغَيبة (للطوسيّ)، ص٣٩١.

(٢) طبعًا كان سماحته ﵀ بنحوٍ عامٍّ يتجنّب نقل المنامات و لا سيّما مناماته هو، و لم يكن من دأبه رواية المنام، بل كان يحذّر السالك من الانشغال بما يشاهده في اليقظة فضلًا عن المنام. و كان يؤكّد وجوب انشغال العبد بأداء واجباته و وظائفه. لذلك لم يكن من عادته رواية المنام إلّا في حالاتٍ نادرة، حسب ما تقتضيه المصلحة أو الحكمة أو

الجديرين بالمعرفة و مع وجود رجحان شرعيّ- بالرؤية في اليقظة. لكن أيّ تصريح؟! تصريحٌ مِنْ أرقى درجات الكتمان و أرفعها! و لتقريب المسألة إلى الذهن فلنفترض أنّ هناك شخصًا يملك صندوقًا كبيرًا يحتوي على أنفَس الجواهر، و سمع أحدهم أنّ لدى هذا الشخص بعض الجواهر، من دون أن يعرف أنّه يملك صندوقًا كبيرًا مملوءًا بأنفَس جواهر العالم. إذا سَأل الرجلُ ذلك الثريَّ: «هل تملك شيئًا من الجواهر؟» فأجابه: «نعم، لديّ خاتمٌ فضّيٌّ فصّه من العقيق اليمانيّ!»، ثمّ أخذ يعدّد بالتفصيل و بكلّ شغفٍ صفات خاتمه الفضّيّ، فإنّ ذهن السائل سينصرف إلى ذلك الخاتم الفضّيّ، و سيعتقد أنّ الّذين قالوا إنّ فلانًا لديه جواهر، كان مُرادهم ذلك الخاتم الفضّيّ و حسب. و يظنّ أنّ وصف الثريّ لخاتمه الفضّيّ بكلّ هذا الشغف يعود إلى عدم وجود غيره لديه، بل إلى عدم رؤية غيره من الجواهر أساسًا. و لكن في حقيقة الأمر، إنّ الرجل الثريّ قد كتم سرّ ثروته بفطنةٍ بالغةٍ، و صرف الأذهان نحو الخاتَم، و حينئذٍ يمكن أن يعتقد الساذجون من أهل الظاهر أنّ لهذا الرجل خاتمًا واحدًا، و أنّه يعرضه على الآخرين دائمًا، غافلين عن أنّه لم يكن يعرض ثروته أمام أحد، بل إنّه يخفي أسرارها بفطنةٍ و لباقةٍ، فيكتم بذكائه تملُّك جواهره و يخفي أصل فعل الكتمان الّذي قام به أيضًا بكلّ رزانةٍ و رصانة! فهو بحنكةٍ كتم الثروة و كتم فعل كتمانه للثروة أيضًا! فرحم الله العالم الربّانيّ آية الله السيّد بهاء الدينيّ ﵀، ما أحسن ما قاله عن آية الله الشيخ البهجة ﵀: «إنّ أغنى رجلٍ في العالم - من الناحية المعنويّة - هو الشيخ البهجة». و هكذا كان فعل آية الله الشيخ البهجة ﵀ في الحقيقة، فإنّه بذكره للقاءٍ أو اثنين لخاصّة الخواصّ، صرف أذهان العظماء و العلماء الّذين كانوا يلحّون عليه بالسؤال عن تشرّفه بلقاء الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، إلى هذين اللقاءين فحسب. و إن لم يكن هناك من فحول العلماء من أخبر أنّ باب اللقاء كان مفتوحًا أمامه، لانحصر اعتقاد كبار العلماء بهذين اللقاءين. فضلًا عن أنّ العوام كانوا يظنّون أنّ شغف سماحته بإمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف يتلخّص بمنامٍ أو منامين!

فلله درّ شيخنا المقدّس، كم كان كتومًا و متفنّنًا في الكتمان أيضًا! لذلك أنصِفوا كاتب هذه الأسطر، إذ كيف يمكنه أن يتحدّث عن هذا الرجل الشديد الكتمان، الّذي حرم حتّى الخواصّ معرفة المقامات و الكرامات الّتي حباه الله تعالى بها. و بناءً على ما تقدّم،

الرجحان الشرعيّ، فيُشير حينئذٍ إلى المنام. أي إنّ المنامات لم تكن مِحوَر اهتمامه، بل لم يكن ما يشهده في اليقظة أيضًا محور اهتمامه. إنّما في كلّ الأحوال جعل محور عمله تأدية الفرائض الواضحة و العبوديّة المطلقة لله عزّ و جلّ.

و باستثناء واقعة تشرّفٍ واحدةٍ بلقاء الإمام ﴿عجّل الله تعالی فرجه الشریف﴾ سُمعت من سماحته في موردٍ خاصٍّ جدًّا، فإنّ نقلَ بعضٍ من قصص اللقاء عن أشخاصٍ أتقياء و ثقات ـ مع الأخذ في الحسبان الظروف القاهرة الناجمة عن كتمانه الشديد ـ هو أفضل طريقةٍ متيسّرةٍ أمامنا، لعلّنا بذلك نكشف غيضًا من فيض شغفه بالإمام بقيّة الله الأعظم ﴿عجّل الله تعالی فرجه الشریف﴾ و الآثار الناشئة عن ذلك الشغف، و عسى أن ينالنا قبسٌ من نور ذلك العشق فتبصر قلوبنا جمال وجوده الأقدس ﴿عجّل الله تعالی فرجه الشریف﴾. فاكحل ناظريك أيّها القارئ الكريم بما تقرّ به العين من قصصٍ هي من أحسن القصص.

تشرُّفٌ مُنقطِعُ النّظير

قد يتساءل أولئك الّذين ترسّخت أشجار الشوق إلى لقاء الإمام الحجّة ﴿عجّل الله تعالی فرجه الشریف﴾ في حدائق صدورهم و أخذت لوعة محبّته بمجامع قلوبهم: كم مرّة كُحِّلَت عينا الشيخ البهجة ﴿رحمه الله﴾ بالنظر إلى عين الله في خلقه ﴿عجّل الله تعالی فرجه الشریف﴾؟ و كم مرّة تشرَّف في عالم الرؤيا بمحضر الإمام المهديّ ﴿عجّل الله تعالی فرجه الشریف﴾ و رتع متنعِمًا في ساحته القدسيّة؟ لقد سُمع أنّه تلفّظ مرّة واحدة فقط بجوابٍ شافٍ قائلًا:

«في الرؤيا، إلى ما شاء الله!».

و تنشرح الصدور بقوله حينًا آخر:

«إحدى المرّات زُرت حضرته في عالم الرؤيا، على هيئة رجلٍ عمّر أكثر من ألف سنةٍ، ذي اللحية الطويلة و القوام الممشوق... رأيتُه مرّةً أخرى رجلًا ثلاثينيًّا، لكنّني شعرتُ أنّ له من العمر أكثر من ألف سنة».[1]

و كذلك عبّر بكلماتٍ تنقادُ إليها الأفئدة الوالهة:

«[أنا] العبد رأيت منامًا كان من العجائب، لم أسمع من أحدٍ أن رأى مثله حتّى الآن. رأيتُ الإمام ﴿عجّل الله تعالی فرجه الشریف﴾ في سنّه الحقيقيّة، الألف و نيّف، عدّة مرّات».

من المهمّ الالتفات إلى أنّ الإنسان كلّما وافق عملُه قولَه و تفكيرَه، و ارتقى في مراتب الصّدق،

(١) زمزم عرفان، ص١٥٣.

من كونه صادقًا إلى أن يصبح صدّيقًا، تغدو رؤياه كمرآةٍ تعكس الحقائق الواقعيّة بشفافيةٍ و مصداقيّةٍ أعلى، و كلّما ارتقى أكثر في مراتب الإيمان، أصبح منامه أقربَ إلى اليقظة، و أكمل هذه المراتب و أعلاها منزلةً ما بلغه أهل البيت عليهم السلام و عبّروا عنه بقولهم: «إِنَّ مَنَامَنَا وَيَقَظَتَنَا وَاحِدَة»[1].

بات واضحًا ممّا سبق ذكره درجة الكتمان الّتي كانت لدى آية الله الشيخ البهجة قدس سره، و كيف أنّه كان مُمسكًا جدًّا عن نقل مناماته المتعلّقة بالإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف، فلم يكن بأيّ حالٍ من أولئك الّذين يُبرزون أو يُظهرون مثل هذه الأمور. أمّا بالنسبة إلى ما شهده وجه سماحته قدس سره من أنوار ذلك الوجود المقدّس عجل الله تعالى فرجه الشريف في اليقظة، و ما خُصّ به من التشرّف بلقاء ابن النجباء الأكرمين و ابن الهداة المهديّين القائم من آل محمّد عجل الله تعالى فرجه الشريف، فقد كان سماحة الشيخ قدس سره بطبيعة الحال أشدّ إمساكًا و أكثر كتمانًا، فسِرّه من دمه لا يُجريه في غير أوداجه. لكن من لطائف الله تعالى الخفيّة علينا، أنّه أكرم أحدهم مرّتين فقط و بنحوٍ استثنائيّ و خاصٍّ جدًّا بسماع كلامٍ منه حول تشرّفه باللقاء في اليقظة، و هذا ما أثار التعجّب لدى المستمع نفسه الّذي كان من أقرب المقرّبين إليه، إذ استغرب كيف همست شفتاه بنَيْله وسام اللقاء في اليقظة على عكس دأبه الدائم الّذي كان حليفًا له طيلة سني عمره. علمًا أنّ ذلك كان في أواخر حياته الشريفة و لم يكن سوى لشخصٍ واحد، و هذا إنّما يؤكّد أنّه لم يبحث بَتَّةً عن أيّ شهرةٍ أو محبوبيّة لدى الآخرين، فهو لم يسعَ إليها عندما كان في مقتبل العمر، فكيف به عندما أصبح قريبًا من لقاء ربّه؟ فلا ريب أنّه لم يصرّح بلقائه بحثًا عن أيّ بروزٍ أو إذاعة صيتٍ، فهو الّذي قذف الله تعالى حبّه في قلوب العباد، فحاشى أن يسعى لذلك و لو لحظة واحدة من حياته ثمّ حاشاه، و هو الّذي نال أعظم الكرامات و المواهب الإلهيّة عندما كان شابًّا و لم يُفصح عن واحدةٍ منها، فما بالك بالذي دنا أجله و قرب من لقاء ربّه؟ هل يفتنه شيءٌ من حطام الدنيا ليسعى إليه؟ بل حتمًا خَلف كشفه لجزءٍ من المكتوم، حكمة بالغة لا تخفى على أهلها. فهو و لأكثر من تسعين سنة لم يفشِ أسراره و لم يخبر بها أحدًا، فلله درّه إذ كان كتمانه و إذعانه على سواء، كلّها أداء للتكليف و لوجه الله تعالى لا من أجل نفسه. لعلّه كان يرى أنّ المنكرين الجهلة و الذئاب المفترسين يُصوّبون سهام جهلهم إلى عقائد المؤمنين الحقّة من جهة، و يرى مدى قربه من الهجرة إلى

---
(١) قرب الإسناد، ص٣٤٨.

لقاء الله عزّ و جل من جهةٍ ثانية، لذا فإنّ بيان هذا المطلب لشخصٍ واحدٍ فقط، لن يكون ذريعةً لغير المؤهّلين بل سوف يكون سببًا لشرح صدور أهل الحقّ. و طبعًا إنّ سماحته ﷺ امتنع عن شرح تفاصيل ما جرى، و اكتفى بنطق بعض الحروف المتلألئة الّتي لا يزال نورها يشعّ، فكان قوله في تلك الواقعة:

«لقد زرت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أربعين أو خمسين مرّةً بسنّه المتعارفة، و عدّة مرّاتٍ بسنّه الحقيقيّة».

و هكذا بعد عناء البحث و التدقيق في أسرار سماحة الشيخ ﷺ المكنونة و مكاشفاته المستورة، و محاولاتنا الجاهدة لتتبّع آثار قدمَيه الشريفتَين لعلّنا نعلم كم مرّة وضعهما في الوادي المقدّس من البقعة المباركة في أرضٍ صاحبها وارثُ موسى كليم الله، بلغنا المُراد إذ دُكَّ جبل الصمت عندما صرّح لشخصٍ، مرّةً واحدة فقط خلال عمره الطويل المبارك بعدد لقاءاته بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف واصفًا ذلك بقوله: «أكثر من أربعين أو خمسين مرّة بسنّه المتعارفة، و مرّتين بسنّه الحقيقيّة، و مرّةً أيضًا بكِلتَا السِّنَّيْن معًا»، و قد سمع هذا الكلام نجل سماحته. و من البديهيّ أنّ الرَّقْم أربعين أو خمسين الّذي صرّح به سماحته لم يكن هو العدد النهائيّ، بل هو فقط العدد الّذي استطاع البوح به! فحاله كمن يملك ألف دينارٍ مثلًا و لا يريد الإفصاح عن مقداره، فلو سأله أحدٌ كم تملك من المال، فإنّه لو أجاب أملك أربعين أو خمسين دينارًا، فهو حتمًا صادقٌ في قوله، إنّما أخفى ما هو أعلى بالذي هو أدنى. أمّا ما تغبطه عليه النفوس فهو ما أضافه قائلًا: «من العجيب جدًّا أنّ هذه الحالة [رؤية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف بسنَّين مختلفَتين، و في لقاءٍ واحد] لم تُنقل عن شخصٍ آخر»[1].

هذا الكلام الجوهريّ في أصله يكشف عن حالةٍ استثنائيةٍ امتاز بها سماحته ﷺ دون سواه، إذ لم يُنقل عن أيٍّ من العلماء و الأولياء السابقين أنّ أحدهم قد رأى الإمام المهديّ عليه السلام بسنّه الحقيقيّة، و هذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على علُوّ مقام آية الله الشيخ المقدّس البهجة ﷺ و ما خُصّ به من لدُن عزيزٍ حكيمٍ من الكرامة و الرفعة و الزُّلفى. فكانت هبةً ربّانيّةً ينحني الشّرف متذلّلًا أمامها، جرَت على يدَيْ وليّ الله الأعظم عجّل الله تعالى فرجه الشريف للعبد المخلص بنحوٍ خاصّ، إذ إنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف يهب لكلّ واحدٍ ما يليق به من هِباتٍ حسب قابليّته

(١) زمزم عرفان، ص١٥٤.

و استعداده. لكن لم تنتهِ القضيّة عند هذا الحدّ! ففي تتمّة كلامه الّذي يُجسّد مقام العارفين، كشف النقاب عن عنايةٍ أروع و أعذب. فهو بعد أن ذكر أنّه في إحدى المرّات شاهد جماله الأخّاذ في كِلتا السنَّين معًا، ابتسم ابتسامةً ذات مغزى، و قال:

«عندما أتى من بعيدٍ كان في سنّه المتعارفة، لكن عندما أصبح قريبًا رأيتُ أنّه ليس عاديًّا، [بل هو] خارقٌ للعادة! [سنّه] أكثر من ألف عام!»[1].

لقد كان ذا حظٍّ عظيمٍ إذ تعرّض لنفحات رَوح الله تعالى و عطفه و انتجع غَيث جوده و لطفه، و إنّما ذلك بسبب إيمانه الراسخ و تقواه اللّذين لا مثيل لهما، فكان كالقابض على الجمر في آخر الزمان. و على إثر ذلك، بلغ بعَون الله تعالى و فضله مراتب و مقاماتٍ عاليةً حتّى بات «يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّه» و «كَانَ اللهُ بَصَرَهُ الّذي يُبْصِرُ بِه»[2]، و لذلك كان يتوسّم الأمور كما هي[3]. إنّ التشرّف بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و رؤيته في سنّ الثلاثين أو الأربعين من عمره الشريف،

---

(١) في التتمّة أشار آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه إلى السِّمات الظاهريّة للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّتي تكحّلت عيناه برؤيتها في ذلك اللقاء. و لكنّه طبعًا امتنع عن ذكر بعض الصفات الباطنيّة الّتي انكشفت له، لِما أدركه ببصيرته النافذة من تناسب الحال و الصلاح.

(٢) مُفاد حديث «قرب النوافل»؛ المؤمن، ص٣٢.

(٣) إنّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام، الّذين كانوا يرَوْن حقائق الأمور و بواطنها، و يعرفون ما في ضمائر الناس، كانوا يعدّون التوسّمَ مصدرَ هذه المعرفة العميقة و نوعًا من الفراسة الربّانيّة، إشارةً إلى الآية ٧٥ من سورة الحجر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، يقول أمير المؤمنين عليه السلام مشيرًا إلى الآية المذكورة: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَعْرِفُ الْخَلْقَ بِسِيمَاهُمْ وَأَنَا بَعْدَهُ الْمُتَوَسِّمُ وَالأئمّة مِنْ ذُرِّيَّتِي الْمُتَوَسِّمُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»؛ (المحاسن، ج١، ص٣٥٧). لكنّ النكتة المهمّة هنا، أنّ مصدر التوسّم و الفراسة الإلهيّة أيضًا، هو بلوغ الدرجات العالية من الإيمان، و لذلك فقد ورد في رواياتٍ متعدّدةٍ أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام أشاروا في تفسيرهم إلى الآية المذكورة إلى الحديث النبويّ الشريف: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ». مثلًا، يقول الإمام الباقر عليه السلام في تفسير المتوسّمين: «هُمُ الأئمّة عليهم السلام، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»؛ (الكافي، ج١، ص٢١٨). و روى محمّد ابن حرب الهلاليّ قائلًا: «سَأَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ محمّد عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فِي نَفْسِي مَسْأَلَةٌ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهَا، فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ بِمَسْأَلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَنِي وَإِنْ شِئْتَ فَسَلْ! قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تَعْرِفُ مَا فِي نَفْسِي قَبْلَ سُؤَالِي عَنْهُ؟ قَالَ بِالتَّوَسُّمِ وَالتَّفَرُّسِ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، وَقَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه و آله: اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»؛ (معاني الأخبار، ص٣٥٠). كذلك في روايةٍ أخرى عن الإمام الرضا عليه السلام بيّن فيها هذه القاعدة صريحًا، يقول الحسن بن الجهم: «حَضَرْتُ مَجْلِسَ الْمَأْمُونِ يَوْمًا وَعِنْدَهُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام وَقَدِ اجْتَمَعَ الْفُقَهَاءُ وَأَهْلُ الْكَلَامِ مِنَ الْفِرَقِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَسَأَلَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ بِأَيِّ شَيْءٍ تَصِحُّ الْإِمَامَةُ لِمُدَّعِيهَا؟ قَالَ: بِالنَّصِّ وَالدَّلِيلِ. قَالَ لَهُ: فَدَلَالَةُ الْإِمَامِ فِيمَا هِيَ؟ قَالَ: فِي الْعِلْمِ وَاسْتِجَابَةِ الدَّعْوَةِ. قَالَ: فَمَا وَجْهُ إِخْبَارِكُمْ بِمَا يَكُونُ؟ قَالَ: ذَلِكَ بِعَهْدٍ مَعْهُودٍ إِلَيْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ: فَمَا وَجْهُ إِخْبَارِكُمْ بِمَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ؟

هو ذاته مكرمةٌ و مفخرةٌ عظيمةٌ، لا تحصل في عصر الغَيبة إلّا بتقوى الله و السَير قُدُمًا في الطريق إلى الله تعالى. لكنّ زيارة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لقاءَه في عصر الغَيبة و هو في سنّه الحقيقيّة كرامةٌ قلّ نظيرها إنْ لم نقل ليس لها من نظير، و شرفٌ نَدُرَ مثيلُه. فهذه المنزلة السامية لا تُدرك بالتقوى المتعارفة، و لا بترك المعاصي الظاهريّة وحدها، بل بتقوى أرفع و أسمى من تلك التقوى الظاهريّة و الباطنيّة، و هي الّتي تكون حاضرةً في جميع ساحات الوجود من أعمال الجوارح و الجوانح، أعمّ من كونها في الاعتقاد و العمل، تقوى ليست من جنس عبادة العبيد و التجّار، إنّما هي راسخةٌ على خُطى العباد الأحرار الّذين وجدوا الله سبحانه أهلًا للعبادة و التقوى، و بها يصل الإنسان إلى تلك المنزلة الرفيعة الّتي يرى فيها حقائق الأمور و بواطنها.

و الأسمى من كلّ ذلك أن يتمكّن من رؤية الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في سنّه المتعارفة و الحقيقيّة على حدّ السواء، و هذا ما يكشف الغطاء عن معرفته العميقة بالإمام المعصوم عليه السلام، فيلتقيه تارةً بهيئته المتعارفة عند الآخرين ممّن تشرّفوا بلقائه الميمون، و تارةً أخرى بهيئته الواقعيّة و سنّه الحقيقيّة، فلا يحجبه الظاهر عن الباطن، و لا الباطن يصرفه عن الظاهر.

قَالَ لَهُ: أَمَا بَلَغَكَ قَوْلُ الرَّسُولِ صلّى الله عليه و آله اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ فِرَاسَةٌ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِ وَمَبْلَغِ اسْتِبْصَارِهِ وَعِلْمِهِ وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لِلْأَئِمَّةِ مِنَّا مَا فَرَّقَهُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ فَأَوَّلُ الْمُتَوَسِّمِينَ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْأَئمّة مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»؛ (عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج۲، ص۲۰۰). يتّضح من هذه الروايات و أمثالها أنّ سِمَةَ التوسّم من خصائص الأئمّة الأطهار عليهم السلام، لكنّها غير ممتنعة عن غيرهم. و كما تصرّح الأحاديث الشريفة فإنّ هذه القاعدة العامّة تتحقّق للمؤمنين الحقيقيّين، فيتمتّعون بهذا التفرّس و التوسّم بقدر درجات إيمانهم، إنّهم ينظرون إلى أمور العالم بنور الله عزّ و جلّ، و يتمكّنون من رؤية حقائق الأمور و بواطنها. و كلّما اقترب الإنسان أكثر إلى قُلّة الإيمان، حظي بفراسةٍ ربّانيّة أقوى، و الأئمّة المعصومون الّذين هم في رأس هذه القُلّة و القمّة يتمتّعون بأقصى درجات الفراسة و التوسّم و الحظوة بالنور الإلهيّ، فلا يخفى عليهم شيءٌ من بواطن الأمور و حقائقها. أمّا المؤمن فإنّما يُحصّل هذا المستوى من الإيمان الرفيع من خلال أدائه للفرائض الدينيّة و الالتزام بالمستحبّات المأثورة، الّتي تُغدق عليه من ثمار القرب الإلهيّ و فيوضات المحبّة الربّانيّة، فيؤيّده المولى عزّ و جلّ بنور عزّه الأبهج. و من لطائف برّ الله علينا أن عرّفنا الحديث القدسيّ المشهور بـ«قرب النوافل»، و إلّا لمَا تجرّأ أشوسٌ على التعبير بأنّ الله سبحانه يصبح عين المؤمن و يده و رجله، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «نَزَلَ جَبْرَئِيلُ عَلَى النبيّ فَقَالَ: يَا محمّد إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: مَنْ أَهَانَ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ فَقَدِ اسْتَقْبَلَنِي بِالْمُحَارَبَةِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنُ بِمِثْلِ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَإِنَّهُ لَيَتَنَفَّلُ لِي حتّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الّذي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الّذي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الّتي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الّتي يَمْشِي بِهَا»؛ (المؤمن، ص۳۲).

كم من طامعٍ في دخول صرح اللقاء الممرّد من قوارير الوفاء، قد أسلم لله ربّ العالمين مع إمامه عَجَّلَ اللهُ تَعالىٰ فَرَجَهُ الشَّريف، يلوذ بباب بيته ليتعاهد معه صدق الالتزام، متأمِّلًا بنظرةٍ منه تشفي ما جنَت النفس من آلام، فما كان محجوبًا و لا مطرودًا من دار صاحبٍ للزمان عَجَّلَ اللهُ تَعالىٰ فَرَجَهُ الشَّريف سجيّته الكرم و عادته الإحسان، شأنه الحقّ و الصدق و الرفق و الحنان، بل إن وَجَد عَجَّلَ اللهُ تَعالىٰ فَرَجَهُ الشَّريف في طالبه خلوص النيّة و الطاعة سخّر له الأسباب، و هوّن عليه الصعاب، و ألان له الشديد، و قرّب عليه البعيد، و سيّره في أقرب الطرق للوفود عليه. فلا يمنعه من الوفاء بالعهد إليه عَجَّلَ اللهُ تَعالىٰ فَرَجَهُ الشَّريف لا ليلٌ داجٍ و لا بحرٌ عجّاج و لا سماءٌ ذات أبراج و لا ظُلَمٌ ذات ارتجاج، فإمّا أن يأتيه بنفسه الكريمة أو يسلكه على يدي وليٍ من أوليائه الصالحين ليقوده إليه و يُعينه في الوصول إليه، تمامًا كآية الله الشيخ البهجة قُدِّسَ سِرُّهُ، إذ إنّه من خيار الموالين لِما دعا إليه أهل البيت عَلَيهِمُ السَّلَامُ و ممّن يقتصّ آثارهم و يسلك سبيلهم، فكان وليًّا عارفًا واصلًا يسلك طريق الوصال مصطحبًا معه كلّ من أشجرَت في قلبه بذرةٌ من حبّ الآل عَلَيهِمُ السَّلَامُ، يمسك بأيديهم ليجتازوا العقبات و يطوي لهم طريق السماوات مع حرصه الشديد في إخفاء ما حباه الله تعالى من كرامات، إذ إنّ القلب المُخلص لله سبحانه و لوليّه عَجَّلَ اللهُ تَعالىٰ فَرَجَهُ الشَّريف لا يعزّ عليه إظهار الآيات الباهرات. و من هذه الآيات و الكرامات الزاهرة ما نقله الخطيب البارع الشيخ إبراهيم القرنيّ:

«في صباح أحد الأيّام في سنة ١٣٤٩ هـ.ش [الموافق لسنة ١٣٩٠هـ.ق]، كنت ذاهبًا مع والدي إلى زيارة السيّدة فاطمة المعصومة عَلَيهَا السَّلَامُ في قمّ المقدّسة، و بالقرب من مسجد «محمّديّة» في شارع «إرَم»، التقينا بآية الله الشيخ البهجة، احتفى والدي به كثيرًا و أراد أن يقبّل يده، لكنّ الشّيخ البهجة لم يسمح له. و بعد المصافحة و المعانقة أشار الشيخ البهجة إليّ و سأل والدي هل هو ابنك؟ فأجاب: نعم! فقبّلت أنا وجه الشّيخ البهجة و يده، فوضع سماحته يده تحت ذقني و قال ثلاث مرّات: «كُن حَسَنًا! كُن حَسَنًا! كُن حَسَنًا!». لا أعلم هل كان كلامه إرشادًا أو دعاءً أو إنشاءً، لكنّني حملت كلامه على الدعاء بأن أكون حسنًا و صالحًا إن شاء الله.

بعد أن ابتعد سماحته خطوات، قال المرحوم والدي: هل عرفته؟ قلت: لا، هل كان بينكما معرفة؟ قال: نعم، إنّه آية الله الشيخ البهجة، لا ثاني له! بعدها دخلنا حرم

السيّدة المعصومة عليها السلام. بعد الجلوس في مسجد «بالا سَر» [المسجد الّذي يقع جانب رأس السيّدة المعصومة عليها السلام]، قلت لوالدي: يبدو أنّ تصرّفه معكم كان عن معرفةٍ مسبقة! فأجاب: نعم، كنت أدرس كتاب «الكفاية» لدى سماحته أنا و آية الله السيّد مهدي الروحانيّ و آية الله الشيخ أحمد الآذري القمّيّ و الشيخ حسين التوسّليّ و بعض العلماء المعاصرين في النجف الأشرف، و معرفتنا بسماحته تعود إلى ذلك الزمن. و أكمل والدي قائلًا: كنت قد رأيت منه كرامةً، لا أدري هل أنا مجازٌ بالتصريح بها أم لا؟! و لكن لأنّ سماحته أظهر محبّته لك و أبدى اعتناءه بك، فإنّني سأخبرك بما جرى و إلّا سآخذ ذلك السرّ معي إلى القبر، و لكن بشرط أن لا تقوله لأحدٍ ما دُمتُ أنا و آية الله الشيخ البهجة من الأحياء».

يتابع الخطيب الشيخ ابراهيم القرنيّ:

«و مع إمكانيّة نقل هذه الحادثة الفريدة من نوعها في مناسباتٍ عديدةٍ إلّا أنّني امتنعت عن ذلك حتّى بعد وفاة والدي وفاءً بالعهد الّذي عاهدته إيّاه، لكن بعد سماعي نبأ رحيل آية الله الشيخ البهجة، نقلتها لامرأتي، و بعدها في «المهديّة»[1] في طهران، و هذه المرّة الثالثة الّتي أنقلها، و مضمونها عن لسان المرحوم والدي هو كالتالي: في الوقت الّذي كنت فيه مشغولًا بالدّراسة في النّجف، جاء والدي الآخوند ملّا إبراهيم إلى النّجف الأشرف من أجل الزيارة، و بقي في النجف عدّة أيّام، بعدها ذهبنا إلى كربلاء معًا. في إحدى الليالي كنت مشغولًا بالزيارة في حرم الإمام الحسين عليه السلام، و فجأةً تذكّرت أنّي كنت قد عاهدت نفسي أن أذهب إلى مسجد السهلة أربعين ليلة أربعاء [بنيّة التشرّف بمحضر الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف]، و لحدّ ذلك الوقت كنت قد ذهبت اثنتين و ثلاثين ليلة، فتأثّرت لِمَ لم أنتبه منذ الصباح إلى هذا الموضوع حتّى أوفي بعهدي، و الآن يجب عليّ أن أعيد هذا البرنامج من بداءته. بينما كنت أفكّر في هذا الأمر رأيتُ آية الله الشيخ البهجة جالسًا عند الضريح من جهة رأس الإمام الحسين عليه السلام، مشغولًا بالزّيارة و العبادة. توجّهت نحوه و سلّمت. فقال لي: أيّها الشيخ القرنيّ ماذا بك؟ بالك مشغول؟ تريد أن تذهب إلى مسجد السهلة؟! لم يخطر ببالي من أين عرف سماحته أنّي أفكّر في زيارة مسجد السّهلة،

(١) المهديّة هي مكان كالحسينيّة، تُقام فيها مجالس دينيّة و لا سيّما قراءة دعاء الندبة صباح كلّ يوم جمعة.

فأجبته: نعم! و أوضحت له موضوع عهدي مع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فقال: اصطحِبْ والدك إلى المدرسة و هيّئ له طعام العشاء و مكان نومه ثمّ عُدْ، أنا أنتظرك هنا. كان والدي في الحرم فأوصلته إلى المدرسة، هيّأت طعام العشاء ثمّ قلت له: يا أبي تفضّل بتناول الطعام و استرح، سوف أعود إلى الحرم لأنّ أستاذي قد طلبني لغرضٍ ما! ثمّ رجعت مجدّدًا إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام، و وصلت إلى محضر الشيخ البهجة، فبادرني سماحته بالسؤال: تريد أن تذهب إلى مسجد السهلة؟ قلت: نعم، أحبّ ذلك كثيرًا! فقال: قُمْ و تعالَ معي! و أمسك يدي بيده، و خرجنا معًا من حرم الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ خرجنا من المدينة. فجأةً رأينا أنفسنا خلف أسوار النجف الأشرف بنحوٍ إعجازيّ، و دخلنا إلى مسجد السهلة، و صلّيت صلاة تحيّة المسجد و صلاة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بمعيّة سماحته المكرّم.

بعد ذلك سألني آية الله الشيخ البهجة: تريد أن تبقى في النجف أو أن ترجع إلى كربلاء؟ أجبته: والدي في كربلاء و قد تركته في المدرسة، يجب أن أرجع إلى كربلاء! فقال: لا مانع! و أمسك يدي مجدّدًا، كانت يدي في يد ذاك الرجل العظيم حتّى رأيت نفسي عند رأس الإمام الحسين عليه السلام!! في نهاية هذه القضيّة قال آية الله الشيخ البهجة: لست راضيًا بأن تبوح لأحدٍ بما جرى ما دمتُ حيًّا!».

لا عجب في تلك الآية، إذ إنّه بسعيه و اجتهاده في تحصيل العلم و العمل به بات عنده علمٌ من الكتاب، و قبل أن يرتدّ طرفه إليه أوصله إلى دار حبيبه، فبرّد لوعته و أعانه على إكمال عهده مع إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ثمّ عاد به مُمسكًا بزمام قلبه كما يمسك صاحب السفينة سكّانها، مفرّجًا همّه و مؤكّدًا ضرورة حفظ سرّ ما جرى. لم يكن هو الشخص الوحيد الّذي أخذ بيده و قاده إلى سبيل اللقاء، فالكثيرون ممّن تاهت قلوبهم في نفحات البرّ قد أرشدهم و هداهم إلى إمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف بطرقٍ شتّى ظاهريّةٍ و باطنيّةٍ، و كيف لا يُعين سالكًا صادقًا قد بانَت عليه آثار الإخلاص و الوفاء لبقيّة الله الأعظم عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟! لقد كان قدّس سرّه عاملًا بكلام أهل بيت العصمة عليهم السلام، داعيًا إلى حجّة الله في غَيبته و دالًّا عليه و ذابًّا عن دينه، قد حذا حذو إمامه و وليّ أمره، الّذي على الرغم من استتار شمس وجهه المبارك خلف سحاب الغَيبة المركوم، إلّا أنّه لم يحتجب عمّن لم تحجبه أعماله بل استقامت أفعاله و أوفى بعهده معه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فكذلك سماحته قدّس سرّه كان على الرغم من شدّة كتمانه لا يمتنع من الأخذ بيد كلّ عاشقٍ يريد الوفاء

بعهده مع إمامه و الوصول إليه، بل كان يحرص على ضمّ يد السالك في راحة كفّه و السير معه برفقٍ كأبٍ حنونٍ يرأف بابنه، لكن قلّما وجد من يكون صادقًا في طلبه و مُخلصًا في حبّه!

فيا تُرى ما سبب توفيق هذا العبد المؤمن لنيل شرف اهتمام آية الله الشيخ البهجة ؟ أكان ذلك بسبب تقواه و طاعته الخالصة لمولاه في برّه بوالده و خدمته له، أم بسبب شدّة احتراق فؤاده لهفةً لميقات اللقاء؟ و هل من المعقول أن يُقدِم الشيخ البهجة على مثل هذا الأمر الإعجازيّ من غير أخذ الأمر أو الإذن من وليّ أمره ؟ حاشاه، فالذي على مدى عمره الطويل لم يَقُم بأيّ عملٍ ـ صغيرًا كان أم كبيرًا ـ من دون أمرٍ من إمامه أو إذنه و لم يسأم عن خدمته و لم يستحسر عن طاعته طرفة عينٍ في جميع شؤون حياته، كيف يُقدم على مثل هذا الفعل من غير توصية إمامه أو إذنه؟ من هنا كانت مسارعة سماحة الشيخ البهجة إلى عون الشيخ القرنيّ و اصطحابه إلى مسجد السهلة لإتمام عهده. فكان سماحته نِعْمَ العبد المطيع لمولاه، قويًّا في طاعته، ثابتًا على مشايعته و متابعته، طالبًا لرضاه، و في حزبه القوّامين بأمره، المسارعين إليه في قضاء حوائجه، الممتثلين لأوامره و السابقين إلى إرادته.

خَلِيفَةُ الإمامِ الحجّة

إذا أراد بقيّة الله في أرضه و حجّته على خلقه أن يجعل لنفسه خليفة يوليه رعايةً خاصّة، و يبلّغه الدرجة العليا من بين نوّابه العامّين، فهل سيختار مِن بين العلماء إلّا من هم في زمرة المقرّبين ممّن يسبّحون ربّهم تسبيحًا يفضُل تسبيح المسبّحين فضلًا كثيرًا، الّذي كان ـ من لَدُنْ أن كان صغيرًا ـ صائنًا لنفسه و مراقبًا و مجاهدًا لها، حافظًا لدينه، مخالفًا لهواه، و مطيعًا لأمر مولاه طالبًا بذلك كلّه رضاه و رضا وليّه ، ضاربًا في الأرض يطلب معارف أهل البيت و علومهم، تعلُّمًا و تعليمًا، حتّى طوى بجناحَي العلم و التقوى أعلى مراتب الكمال؟ فهل ينال وِسام الخلافة و شرف العناية الخاصّة من إمام العصر و يكون وتدًا للأرض وعلمًا بين شيعته، غير الأعلم و الأتقى و الأشدّ ورعًا؟ في هذا السياق يروي صاحب موسوعة ميزان الحكمة[1] أنّ الله تعالى قد منّ عليه برؤيا صادقة

---

(١) من الجدير بالذكر، أنّه يشرح سبب زيادة معرفته بآية الله الشيخ البهجة على النحو التالي: «شاركتُ منذ السنين الأولى لمجيئي إلى حوزة قمّ العلميّة في صلاة الجماعة الّتي كان يؤمّها آية الله الشيخ البهجة، و كنت

تخبره بأهمّ الأمور لرشده و ترقّيه، إذ قد عُرضت عليه صورة آية الله الشيخ البهجة ﷺ، و سَمِعَ هاتفًا يقول: «إذا كان هناك في هذا العصر شخصٌ مرتبطٌ بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فهذا هو!».

كما ذكر بعد ذلك في كتابه «زمزم عرفان» واقعة تحت عنوان «خليفة إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف» بثّ فيها سرًّا من أسرار السرّ المستودع عجّل الله تعالى فرجه الشريف و بيّن بواسطتها مدى قرب العبد الصالح الشيخ البهجة ﷺ من إمام زمانه و زلفاه لديه، ننقلها من غير واسطة عن نجل آية الله الشيخ البهجة ﷺ[1] المكرّم كما يلي:

«قبل وفاة والدي بأحد عشر شهرًا، اتّصل بي شخصٌ يُدعى «الأويسيّ» و قال لي: إنّ شخصًا من الدنمارك يريد أن يلتقي آية الله الشيخ البهجة ﷺ. قلت: ليس لدى سماحة الشيخ لقاءات خاصّة! قال: يريد أن يؤدّي إليه الحقوق الشرعيّة الّتي اشتغلت بها ذمّته. أجبته: فلْيُسلّمها للمكتب، أو يودعها في حساب مكتب سماحة الشيخ [المصرفيّ]. قال: هو يريد أن يسلّم المال الشرعيّ إلى يد سماحة الشيخ بنفسه، و وراء هذه القضيّة سرّ، و هو مُصرٌّ على موقفه. قلت: لا إمكانيّة لتحقيق هذا الطلب، لأنّ الوالد لم يخصِّص وقتًا لتسلُّم الأموال [الشرعيّة] بنفسه، لكن بمقدوره فقط أن يسلّمها بنفسه إلى يد الشيخ صباح يوم جمعةٍ بعد مجلس العزاء الأسبوعيّ الّذي يعقده في المسجد.

و في أحد أيّام الجُمعة، جاء ذلك الشخص إلى قُمّ. و بناءً على ما تقرّر سابقًا،

أعرف سماحته إجمالًا، و لم يكن لديّ اطّلاعٌ كافٍ على كمالاته و مقاماته المعنويّة. [لكنّ معرفتي بسماحته زادت بعد قضيّة حصلت معي إذ] قُبَيْل أن أُعيَّن ممثّلًا للقائد في بعثة الحجّ، التقيت بالمرشد الأعلى للثورة [السيّد الخامنئيّ] في ١٣٦٩/١٢/٢٨ هـ.ش [أي ١٤١١/٩/٤هـ.ق] و في ذلك اللقاء، قبل أن أكلّمه، أشار إلى أحد أفراد قوّات التعبئة من مدينة دزفول الّذي كان قد وجّه إليه (إلى المرشد الأعلى للثورة) رسالةً أشار فيها إلى مرحلة أسره في الحرب الّتي شنّها البعث العراقيّ، و قد جاء فيها أنّه في تلك الأيّام و بتأثير المواظبة على العبادات و مراقبة النفس الشديدة حتّى بالنسبة إلى ما يخطر على الذهن، كان موضع رعاية الله عزّ و جلّ، و ظهرت له حالات معنويّة، لكنّه يحتاج إلى مُرشِدٍ للوصول إلى المقصد النهائيّ، الّذي هو المعرفة الشهوديّة للحقّ تعالى، و هو يطلب إلى سماحة القائد أن يكون مرشده و أستاذه. فكان جواب القائد: أنا لست مطلوبَك، لتحقيق هدفك اذهب إلى آية الله الشيخ البهجة!».

[1] لقد نقلنا هذه القضيّة عن الكتاب المذكور و جمعناها مع نقل نجل الشيخ المكرّم، لما كان يحتويه نقله من نكات لطيفة و إشارات دقيقة.

التقى بسماحة الشيخ في ممرّ المسجد في أثناء خروجه من مجلس العزاء، و أعطاه ظرفًا. حين عاد أبي من المسجد، و دخل حجرته، جاء إليّ ذلك الرجل الّذي كان يريد مقابلة والدي، و هو عراقيّ الأصل، و يبدو عليه أنّه بين الأربعين و الخمسين من العمر، وكان يتحدّث باللغة العربيّة. و لكن شقيق زوجته الّذي كان برفقته كان يُجيد اللغة الفارسيّة، وكان بصحبتهما أحد الطلبة.

قال ذلك الشخص العراقيّ: لقد استغرقت الرحلة إلى طهران بالطائرة [مع المكوث في المطار] مدّة أربع عشرة ساعة. أجبته: لم يكن من الضروريّ المجيء إلى إيران و مدينة قمّ لأداء الحقوق الشرعيّة، كان بإمكانك أن تؤدّي هذا التكليف مستعينًا بالخدمات المصرفيّة و تحويل المال إلى حساب مكتب سماحة الشيخ. فقال الرجل: أنا لستُ من العوامّ، و لستُ إنسانًا ساذجًا جاهلًا، بل إنّني أملك عدّة متاجر كُبرى في الدنمارك و في السويد. وكما تعلمون فإنّ إدارة متجرٍ واحدٍ منها في الوطن هو أمرٌ في غايةِ الصعوبة، فكيف إذًا بإدارة عدّة متاجر كبرى في عدّة بلدان أجنبيّة! هذه الدولارات المخصّصة للحقوق الشرعيّة حصّلتها بشقّ الأنفس، لستُ ممّن يسهل خداعهم، كما أنّني لا أصدّق بسرعةٍ كلّ ما أسمعه.

استأنف حديثه قائلًا: ما حدث هو أنّني انتبهت في أحد الأيّام إلى أنّ في ذمّتي حقوقًا شرعيّة، لكنّني لم أكن أعرف إلى من يجب عليّ تسليمها، فتوسّلت بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه، و رجوته أن يُرشدني. تصرّمَتْ مُدّةٌ من دون أيّ خبرٍ أو إشارة. و في عصر أحد أيّام الجمعة، بينما كنت سائرًا في الطريق من بلدٍ إلى بلد آخر، تذكّرت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أنّي توسّلت به أن يُرشدني، و لكن حتّى الآن لم ألقَ جوابًا. فضاق صدري و شعرت بنوعٍ من الاختناق و الغصّة، فأجهشت بالبكاء و بعينيْن دامعتيْن و بصوت مرتفع خاطبت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قائلًا: «سيّدي أنا لا أريد منكم مالًا. أريد أن أؤدّي حقوقكم! و أنت تخلّيت عنّي في بلاد الكفر هذه، و لا ترشدني؟!». وكرّرت خطابي له. و الله العليّ العظيم، و الله العليّ العظيم، سمعتُ بأُذنَي الجواب بصوتٍ شديد الوضوح و بيّنٍ جدًّا:

«توصله إلى يدِ خليفتنا الشيخ البهجة!».[1]

و كان هذا الصوت يأتي من جميع الأنحاء في تلك الصحراء. و بعد سماعي هذا الصوت، قصدت رجلًا أفريقيًّا يعيش في السويد، و هو من أهل الأمور المعنويّة، و قَصَصْتُ عليه ما جرى. فقال لي: إن كان للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف خليفة في الأرض، فهو ذلك الشيخ الّذي سمعتَ اسمه! قلت: أين هو؟ أنا أصلًا لا أعرفه، حتّى إنّني لم أسمع باسمه قطّ في حياتي! قال: إنّه يعيش في إيران، في مدينة قُمّ. قلت له: كيف يمكنني الوصول إليه؟ أجابني: أمْهِلني يومين أو ثلاثة أيّام، و أنا أخبرك إن شاء الله. و بعد مُضيّ يومين أو ثلاثة، أعطاني رقم هاتف هذا الشيخ، (و أشار إلى الشيخ الّذي كان برفقتهم و أرشدهم إلى بيتنا)...

ثمّ حين قرّرت المجيء إلى إيران، ذهبت إلى ذلك الرجُل الأفريقيّ، فنبّهني موصيًا: «انتبه! هذا الشيخ البهجة الّذي أنت ذاهبٌ إليه يختلف عن الآخرين. هو لا يسمح بأن تُقبّل يدَه، أو تقفَ إلى جانبه و تلتقط معه صورةً بهاتفك الجوّال، أو تُكثر من الحديث معه. اجلس مقابله و انظر في عينيْه، فإذا أعطاك إشارةً بعينيْه كان بها، و إن لم يُعطِ فاصمت!». تابع الرجل [العراقيّ] حديثه بهذا القَسَم: و الله العليّ العظيم، و الله العليّ العظيم، هكذا تصرّف معي تمامًا كالذي أخبرني به صديقي الأفريقيّ! لهذا كان يجب أن أتحمّل عناء السفر الجوّيّ حتّى أطبّق أمر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أوصله إلى يده، لأنّه لم يكن وهمًا أو منامًا، بل كان أمر المولى!».

هلّا تمعّنّا في حيثيّات هذه القضيّة لعلّها تكون تذكرةً تعيها أُذُنٌ واعية، إذ لا بدّ للعاقل أن يأخذ في الحسبان أنّ الإنسان يمكن أن يسمع بأسماء عددٍ من المراجع الدينيّة، فيحصل لديه تصوّرٌ إجماليٌّ عنهم و معرفةٌ مبدئيّةٌ بهم يدفعانه إلى الاعتقاد أو الظنّ ـ و لو في قرارة نفسه ـ بأنّ

---

(١) أساسًا، طيلة التاريخ رُويت حالات عديدةٌ عن أشخاصٍ كانوا في حيرةٍ من أمرهم في كيفيّة إيصال الحقوق الشرعيّة الواجبة عليهم إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كانوا يتوسّلون بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فيأتيهم الجواب من ناحيته المقدّسة إلى مَن يجب عليهم تسليمها. و ذُكرت مثل هذه الحالات في كتب الحديث و التأريخ مثل: الغَيبة للنعمانيّ، الغَيبة للطوسيّ، بحار الأنوار، النجم الثاقب، العبقريّ الحسان و غيرها، و من بين تلك الحالات توجد قصصٌ تشبه الحالة المذكورة في متن الكتاب، إذ كانوا يسمعون صوت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لا يرونه، كما في القصّة الّتي ينقلها المحدّث النوريّ في كتابه النجم الثاقب، ج١، ص٤١٣.

فلانًا من بينهم هو الّذي يحظى بالنصيب الأكثر و الحظّ الأوفر من عناية وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. لكن ما يُبهر أولي الألباب و يشكّل العلامة الفارقة، أنّ هذا الرجل لم يكن قد سمع باسم آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه قطّ، فضلًا عن علمه بكون سماحته قدّس سرّه أحد مراجع التقليد العِظام! و هذا الأمر يُمثّل قرينةً من أهمّ القرائن الدالّة على عظمة ما سمعه و تلقّاه و حقّانيّته.

و تنشرح الصدور و تطمئنّ القلوب أكثر عندما نسمع ما أزهر على شفتَيْ آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه مرارًا و تكرارًا، إذ كان يكثر من القول: «إنّ الّذين يتوسّلون بالإمام نفسه من أجل معرفة المرجع الّذي يكون تقليده مَرضيًا لديه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فإنّهم قطعًا سيقعون تحت عناية حضرته و إرشاده». و كان يقصّ أحسن القصص الشاهدة على قوله، لتكون هدًى و رحمةً للمؤمنين[1]. و بالفعل فإنّ الكثير من المؤمنين كانوا قد التجؤوا إلى ركن الأئمّة المعصومين عليهم السلام الوثيق و توسّلوا إلى الله تعالى بحقّهم و بمقامهم العبيق من أجل هذا الموضوع الشديد الأهمّيّة، و كانوا ينالون بإذن الله سبحانه جوابًا واضحًا و صريحًا. من هنا ينبغي للمؤمنين، مع مُراعاة الشروط الفقهيّة في اختيارهم المجتهد الجامع للشرائط، أن يكونوا في الوقت ذاته متوسّلين بصاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أن يطلبوا إليه الإرشاد و الهداية في هذا المجال.

فلله درّه من عالمٍ تقيٍّ قد اقتدى بهدى أهل البيت عليهم السلام، حتّى كان من الأدلّاء على الهدى لمن استهدى، لا يبخل عن الإفاضة على من هو أهلٌ لها. و طوبى لمن بتقواه و عبوديّته قد بلّغه الله أشرف محل المكرّمين و أعلى منازل المقرّبين، حتّى أصبح خليفة إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و هنيئًا لمن بإخلاصه أمدّه الله تعالى بالتوفيق، فعرف مرجعه في الأمور و في طريق الوصول إلى الإمام المحبور عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

---

(١) لقد كان سماحته قدّس سرّه يروي قصصًا عديدةً في هذا المضمار. و لقد ذكرنا بعضًا منها في الروضة الرابعة من الحديقة الرابعة لهذا الكتاب. ربما تكون إحدى غاياته من النقل المتكرّر لهذه القصص تشجيع المؤمنين و ترغيبهم باللجوء إلى أهل البيت عليهم السلام أنفسهم و التنبه إلى مسألة التوسّل بهم و لا سيّما خاتمهم الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فهم أصحاب هذا الأمر و الأَوْلى به، إضافةً إلى ضرورة الالتزام بالقواعد الفقهيّة الواجبة لتحديد المجتهد المؤهّل للتقليد. و كذلك ليُفعم فيهم الأمل و اليقين بأنّهم سيظفرون بإذن الله تعالى بالجواب من ذواتهم الشريفة عليهم السلام.
و كان سماحته قدّس سرّه يقول: نحن نريد منهم أن يوضّحوا لنا الأمر على نحوٍ لا يمكن إنكاره أبدًا بخصوص المرجعيّة الواجب اتّباعها، و الله هو المُتفضّل في هذا الأمر و الموفّق له. و كذلك كان يُضيف سماحته قدّس سرّه: إنّ أمثال هذه التشرّفات و الإرشادات تحقّقت كثيرًا إلى ما شاء الله.

إنّ خواصّ علماء الحوزة الأعاظم كانوا على درايةٍ عميقةٍ بمنهج قدوة العارفين آية الله الشيخ البهجة ﷺ، و كانوا يُدرجونه في أرفع المراتب العلميّة، و قد شهد بعضهم بأعلميّته صراحةً(١). لكنّهم نظرًا إلى ما كانوا يرَونه من سِماته الأخلاقيّة و زهده و احترازه من الشهرة، ما كانوا يتوقّعون من سماحته أن يضرب للمؤمنين طريقًا في بحر المرجعيّة يبَسًا أو أن يُقدّم رسالةً في نسختها هدًى و رحمة للّذين هم لربّهم يرهبون. فكانوا يستبعدون فكرة قبوله منصب المرجعيّة بأيّ نحوٍ من الأنحاء على الرغم من يقينهم و شهاداتهم الصريحة بأنّه من أعلم العلماء المؤهَّلين للتصدّي لمقام المرجعيّة العُظمى و لأداء هذه المهمّة. و ليس هذا فحسب مُسوّغ استبعادهم للأمر، إنّما كذلك يقينهم الثابت بانتهاجه سبيل السلف الصالح في التهرّب الصادق من مسؤوليّة المرجعيّة، إذ إنّهم، ما لم تصبح واجبًا عينيًّا عليهم، لم يكونوا يتحمّلون ثقل مسؤوليّتها الجسيمة. و لذلك لم يكن أحدٌ يحتمل أنّ سماحته ﷺ قد يقبل المرجعيّة. إنّ هؤلاء الخواصّ قد عاينوا أنّ إصرار الآخرين الّذين رأوا رشحةً من أعلميّة سماحته لم يكن له جواب إلّا الرفض. و في النهاية، أثار قبولُه المرجعيّة دهشةَ الّذين يعرفونه و يعرفون سلوكه، أوّلًا لأنّه وافق على تحمّل هذه المسؤوليّة و قد تجاوز الثمانين من عمره المبارك، و ثانيًا أنّ سماحته ﷺ كان قد أمر نجله المكرّم بحزمٍ و صرامةٍ أن لا يعطي رسالته العمليّة أحدًا بأيّ حالٍ من الأحوال، و أن يترك الجميع يختارون من بين العلماء مرجعًا يقلّدونه، و بعد ذلك إن بقي هناك أحدٌ مصرٌّ على تقليد سماحته بالذات، و عزَم بإلحاحٍ و إقدامٍ شديدَين على ذلك، عندها يُعطيه نسخةً من الرسالة العمليّة! ثالثًا، أنّ سماحته ﷺ لم يكن يسمح البتّة بطباعة اسمه على غلاف رسالته العمليّة بأيّ نحو، خَشية أن يكون ذلك شهرةً لاسمه أو ترويجًا لشخصه. و بالفعل، فقد طُبعت رسالته مرّاتٍ عديدة من دون أيّ ذكرٍ أو إشارةٍ لاسمه، ممّا جعل الآخرين يعترضون على ذلك: أرسالةٌ من غير اسم؟! رابعًا، أنّه بعد أن عزم تجمُّع مدرّسي الحوزة العلميّة على إعلان اسم سماحته ﷺ بعنوان المرجع، أرسل ﷺ إلى آية الله السيّد الخامنئيّ حفظه الله أن يُبلّغهم أنّه غير راضٍ على الإطلاق أن يُذكر اسمه! لذلك فإنّ هذه القضايا و غيرها جعلت أمر قبوله المرجعيّة أشبه بالمستحيل، لكنّ

(١) لقد كانت أعلميّة سماحته ﷺ و أورعيته معروفين إلى درجة حتى الأعلام من العلماء و الشخصيات البارزة كانوا يُرجعون الآخرين في التقليد إلى سماحة الشيخ ﷺ، و من أمثال هؤلاء آية الله السيّد الخامنئيّ حفظه الله الّذي أرجع أولاده في التقليد إلى سماحته ﷺ.

وجهًا من الحكمة خلف قبوله زمام هذه المهمّة سيتوضّح تقريبًا من القضيّة التالية الذكر. فبعد موافقته على تولّي المرجعيّة قصده أحد فضلاء الحوزة و قال له: شيخنا، أنت قلت أكثر من مرّةٍ إنّ آية الله السيّد حسن الصدر لم يقبل مسؤوليّة المرجعيّة، إلى أن كلّفه [الإمام] بهذه المهمّة[1]. لقد فكّرتُ في هذا الأمر مطوّلًا، فانكشف لي أخيرًا أنّ سماحتكم أذنتم بنشر رسالة عمليّة بأمرٍ من الإمام الحجّة. هنا تجهّم آية الله الشيخ البهجة و قال: أيّها السيّد، كُفَّ عن هذا، و تفرّغ لعملك! فردّ السائل بلباقةٍ: شيخنا أنا لا شأن لي، فقط كنت أريد أن أعرف إن كان هذا الكشف صحيحًا أم لا؟ و أعاد كلامه مرّتين بعبارات مختلفة. هنا قال شيخنا المقدّس: «لقد قلت، لا أقول نعم و لا أقول لا! أنتم اهتمّوا بشؤونكم!». فعندما أراد ذلك السيّد الخروج قال لنجل آية الله الشيخ البهجة: سلمت يداك، لقد تلقّيت الجواب! فأجابه فضيلته: لا، إنّ والدي لم يقل شيئًا! فقال السيّد: يا عزيزي، لا هي لا، و نعم هي نعم. لا أقول نعم و لا أقول لا، يعني: نعم و لا أقوله، و ليس له معنى آخر!

و كذلك في قضيّة أخرى، كان آية الله الشيخ البهجة مصابًا بزُكام شديدٍ و راقدًا في الفراش، فجاء عددٌ من الأطبّاء لعيادته. و في تلك الأثناء طرح سماحته عدّة قضايا من جملتها قضيّة إرشاد إمام الزمان أحدهم إلى تقليد السيّد القاضي[2]. فسأله أحد الأطبّاء الحاضرين في المجلس: شيخنا، في ما يتعلّق بقضيّة المرجعيّة، و أنّكم سمحتم للآخرين بتقليدكم، هل هذا يعود إلى السبب نفسه؟ فأجابه سماحته: لا أقول لا و لا أقول نعم!

و بفعله و قوله هذا كان شيخنا المقدّس يمشي على صراطٍ مستقيمٍ متتبّعًا خُطى المقرّبين، و هذا ما بيّنه في مناسباتٍ مختلفة، إذ كان يشير مرارًا إلى أنّ أوتاد الملّة و علماء الأمّة الربّانييّن الّذين انشرَحت بتحقيق المعرفة صدورهم كالمقدّس الأردبيليّ، و السيّد ابن طاوس، و السيّد بحر العلوم (قدّس الله أسرارهم) و أمثال هؤلاء السابقين إلى المَكرُمات،

---

(١) روى آية الله الشيخ البهجة مرارًا أنّ السيّد حسن الصدر كان قد قال: «لقد أُمرتُ أن أكتب رسالةً عمليّة!». و كان سماحة الشيخ يضيف: «هنيئًا له إذ قيل له ذلك! هذا مقامٌ عظيمٌ أن يكون الإنسان لائقًا أن يؤمَر بمثل هذا، و لو لم يقلّده سوى شخص واحد!» كلمة سماحة الشيخ كانت من مُنطلق أنّ المجتهد الّذي يأمره الإمام بإصدار رسالة عمليّة، فهو قطعًا لم يكن قد تحمّل مسؤوليّة المرجعيّة اتّكاءً على تشخيصه هو و من تلقاء نفسه، بل بأمرٍ من الجهة العليا، و هذا المجتهد حتّى و إن لم يقلّده سوى شخص واحد فطوبى للمقلِّد و المقلَّد، لأنّهما طبعًا مأذونان و مثابان و مصيبان في عملهما.

(٢) للاطّلاع على تفاصيل القضيّة راجع الصفحة ٥٨٧ من هذا الكتاب.

الّذين عُرفوا بالتقوى و الطهر و النزاهة، فلا يُحتمل في حقّهم الكذب أبدًا، و نحن متيقّنون من صدقهم، كانوا قد ذاقوا حلاوة التشرُّف بين يدي الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف في زمان الغَيبة. وكي لا يتعرّضوا للمضايقات، حينما كانوا يُسألون إن كانوا قد تشرّفوا بلقاء الإمام عجّل الله فرجه الشريف، و لأنّهم كانوا بين المحذورَين، كانوا يتهرّبون من الإجابة بفطنةٍ طريفةٍ، و يقولون في نهاية المطاف: «لا أقول لا و لا أقول نعم»[1].

لو دقّقنا النظر في أحوال العلماء الماضين، لوجدناهم صنفين: صنفٌ يقبل المرجعيّة، و آخرُ لا يقبلها. لكنّ الشيخ البهجة المقدّس و بفطنةٍ مميّزةٍ قَبِل المرجعيّة و لم يقبلها في الوقت عَينه. فهو من ناحيةٍ لم يقبل بأيّ نحوٍ من الأنحاء الأمور الّتي تتضمّن الحدّ الأدنى من الدعاية أو الترويج لمرجعيّته، و لم يأذن للآخرين أيضًا بأن يتولّوا هذه الشؤون، بل كان يمنعهم و يزجرهم عن ذلك بشدّةٍ و حدّةٍ، إذ لم يكن يرضى بتوسيع دائرة مرجعيّته قطّ، و الله عالمٌ بهذه الحقيقة و شاهدٌ عليها. و من ناحيةٍ أخرى فقد أصبح قبوله المرجعيّة واجبًا عينيًّا و وظيفةً شرعيّةً قُبالة أولئك الّذين كانوا مصرّين على تقليده هو بالذات، فما كان منه إلّا أن أدّى واجبه الشرعيّ مُكتفيًا بأدنى مراتب الضرورة. و الله عزّ و جلّ ببركة تأييد وليّ العصر عجّل الله فرجه الشريف بارك بمرجعيّته، فأنبتَت حبّته المتواضعة سبع سنابل في كلّ سنبلةٍ مئة حبّة، إذ طُبعت رسالته العمليّة ـ فقط في السنوات الأخيرة من حياته ـ أكثر من مئة و سبع عشرة مرّة، مع أنّه لم يُنفق حتّى درهم واحد على هذا الأمر، و لم يسمح للمقرّبين منه أن يفعلوا ذلك ترويجًا لمرجعيّته[2]. فطوبى لمن قبل المرجعيّة بأمر صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف، و إن لم يكُن لديه سوى مقلِّدٍ واحدٍ! و أكرِم به من مطيعٍ لأمر مولاه. من المؤكّد أنّ هنالك أشخاصًا لم يصلهم أمرٌ من الإمام صاحب الأمر عجّل الله فرجه الشريف للتصدّي للمرجعيّة، لكنّهم حين توافرت فيهم الشروط اللازمة رأوا أنّ عليهم التصدّي للمرجعيّة، و لديهم حجّة شرعيّة أمام ربّهم، لكن الويل لذاك الّذي يعلم أنّه لا يملك أهليّة الإفتاء و تحمُّل هذه المسؤوليّة، و مع ذلك يدخل ساحة المرجعيّة، و لو قلّده العالم بأسره. و هذا هو السرّ خلف فِرار السلف الصالح من حمل هذه المسؤوليّة الجسيمة على عواتقهم، و كان هذا منهج لقمان الحكيم

(١) راجع: ختامه مسك، ص٤٤٩.

(٢) مع أنّه أصبح من المتعارف أنّ مكاتب مراجع التقليد يهدون رسالة المرجع العمليّة و لو إلى غير مقلّديه، لكنّ آية الله الشيخ البهجة رحمه الله في أثناء حياته المباركة، لم يكن يسمح للمنسوبين إليه بإهداء حتّى نسخة واحدة من رسالته العمليّة، حذرًا من أن يكون في ذلك ترويجٌ لمرجعيّته.

أيضًا، الّذي قال حين عُرضت عليه الخلافة: «إِنْ أَمَرَنِيَ اللَّهُ بِذَلِكَ فَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ، لِأَنَّهُ إِنْ فَعَلَ بِي ذَلِكَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ وَعَلَّمَنِي وَعَصَمَنِي، وَإِنْ هُوَ خَيَّرَنِي قَبِلْتُ الْعَافِيَةَ»[1]. و لذلك لم يختر مقام الخلافة مع ما له من العظمة تجنّبًا للمشقّات و العثرات.

حواريّو الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في مقعد صِدْقٍ

كان آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه حقيقةً في جميع حركاته و سكناته، في الظاهر و الباطن، تابعًا بنحوٍ مُطلقٍ لإمام زمانه و مولاه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و كسلمان المحمّديّ في ولائه، يقتفي أثر إمامه عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لا يخطو خطوةً واحدةً إلّا في الموضع نفسه الّذي خطا فيه الإمام، فهو يعلم أنّه عليه السلام لا يضع قدمًا و لا يرفعها إلّا بعلمٍ و حكمة. فتبارك من ربٍّ متفضّلٍ إذ أظهر لمعة من هذه الطاعة المطلقة و التبعيّة الصرفة و المقام النادر المثال للأفذاذ من هؤلاء الرجال، ليكون ذلك رافدًا ثرًّا في سَيرنا و سلوكنا، و منه ما حكاه ابن حجّة الإسلام المرحوم السيّد شريف السبزواريّ رحمه الله:

«في أوان دراستي الحوزيّة و عندما كنت أدرس في طهران، كنت أتشرّف أحيانًا إلى قمّ المقدّسة من أجل الزيارة. و بناءً على توصية والدي رحمه الله المؤكّدة بزيارة آية الله الشيخ البهجة أيضًا كلّما ذهبت إلى قمّ، كنت أصل إلى محضر سماحته و ألقي عليه التحيّة و السلام. في أحد الأيّام كشف والدي النقاب عن سبب هذه التوصية المؤكّدة قائلًا: «في أحد الأيّام في مسجد «بالا سَر» الواقع في الحرم المطهّر للسيّدة المعصومة عليها السلام، سطع أمام ناظريّ الجمال الأخّاذ لوليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لكنّ خجل الحضور بين يدي الإمام عليه السلام و عظمته منعاني من إظهار مكنونات القلب، كالعاشق الّذي قابل معشوقه بعد غيابٍ طويل. لكن بعد لحظاتٍ قليلةٍ في المكان نفسه، و في النقطة ذاتها الّتي رأيت فيها الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، رأيت آية الله الشيخ البهجة جالسًا!»[2]. فكان المرحوم والدي يعدّ هذا اللقاء أحد الأدلّة على عظمة آية الله

---

(١) تفسير القمّيّ، ج٢، ص١٦٣.

(٢) و قد ورد مشابهٌ لمُفاد هذه الحكاية في حقّ آية الله السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ قدّس سرّه أيضًا في نقلٍ صحيحٍ و موثّق، أنّ المرحوم آية الله الشيخ عبد النبيّ الأراكيّ قدّس سرّه بعد إنجازه لأعمالٍ عباديّةٍ خاصّة، حظيَ بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ثمّ فارقه. لكنّه سُرعان ما عاد إلى موضع تشرّفه باللقاء لطرح بعض الأسئلة، فوجد آية الله السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ جالسًا مكان الإمام عليه السلام و أجابه هو عن أسئلته. من الجدير بالذكر أنّ الشيخ عبد النبيّ الأراكيّ، في ذلك الحين، و قبل هذه الحادثة كان يعتقد حسب رأيه بأعلميّته و أهليّته للتصدّي لأمور المرجعيّة العامّة، لكنّه بعد ذلك

الشيخ البهجة، و على ارتباط ذلك الفقيه العظيم الشأن بوليّ العصر(عجّل الله تعالى فرجه الشريف)». ثمّ يُضيف[ابن السيّد السبزواريّ] قائلًا: «بعد وفاة والدي رأيت أنّه كتب في وصيّته: «إنّ الكتب الّتي اشتريتها تكون تحت تصرّف الإمام(عجّل الله تعالى فرجه الشريف) و لو بواسطة شخصٍ يلتقي الإمام مباشرةً. (لعلّه) الشيخ محمّد تقي البهجة حشرني الله معه، و ألتمس منه الدعاء». و كان قد كتب كلمة (لعلّه) بين قوسين. عَرَضتُ على آية الله الشيخ البهجة ما خطّه المرحوم والدي، فقال: حسنًا لقد كتب: «لعلّ»، خذها و أعطها لشخصٍ تكون متيقّنًا من أنّه يلتقي الإمام(عليه السلام)! قلت: الآن إن حملناها إلى سماحتكم هل تقبلونها؟ فكان جوابه أن هزّ رأسه تعبيرًا عن موافقته»(١).

ما هو مشهودٌ و واضحٌ من سيرة آية الله الشيخ البهجة(قدّس سرّه) العابقة بأريج الإخلاص، أنّه لم يكن يعترف بأدنى مراتب الكرامة لنفسه قطّ، و إن اطّلع أحدٌ بطريقةٍ من الطرق على بعض خصائصه أو مقاماته المتميّزة، كان يحاول جاهدًا و بما أوتي من حنكةٍ و حكمةٍ أنْ يصرف ذهنه عن هذا الأمر، كما تبيّن في هذه الحادثة، فإنّه مع حفظه للوصيّة و تنفيذها و عدم تخلّيه عن حملها الشرعيّ، لكنّه لم يقرّ بأيّ وجهٍ من الوجوه باللقاء المباشر بالإمام(عجّل الله تعالى فرجه الشريف). فهل تعلم له مَثَلًا من كتومٍ لم يتهرّب من الحديث عن لقاءاته من الأساس فحسب، بل حتّى إن كان بعض الخواصّ قد تيقّن من بعض مقاماته و تشرّفاته في هذا المجال، كان لا يعترف بها أيضًا و لا حتّى بالإشارة و كان يصرف الأذهان عنها.

ميقات العشّاق

إنّ من الخصال الّتي وُصف بها بقيّة الله الأعظم، الحجّة بن الحسن(عليه أفضل صلوات المصلّين) في الأحاديث الشريفة أنّه قريبٌ إلى النّاس، فيكون قربه إليهم قاب قوسين أو أدنى إلى درجة أنّه لا يمشي بينهم فقط بل يطأ فرشهم أيضًا(٢). نعم، إنّه(عجّل الله تعالى فرجه الشريف) أقرب إلى عامّة الناس من أنفسهم و لكن لا يبصرون! إذ إنّهم يرَون وجهه الميمون(عجّل الله تعالى فرجه الشريف) لكنّهم لا يعرفونه.

اللقاء علم المكانة الرفيعة و المميزة و الاستثنائيّة لآية الله السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ(قدّس سرّه) لدى الإمام المهديّ(عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، و شعر بمحبّة خاصّة تجاهه. نعم إنّ الإمام الحجّة(عجّل الله تعالى فرجه الشريف) يُرشد عُشّاقه بطرقٍ مُختلفةٍ إلى المجتهد الّذي يرتضيه و يختاره نائبًا عامًّا من بين المجتهدين الجامعين للشرائط.

(١) برگي از دفتر آفتاب، ص٧٦.

(٢) الغَيبة (للنعماني)، ص٨٤.

على عكس الخواصّ الّذين أعزّهم الله بعناية وليّه ﷻ، فإنّهم يُدركونه بأبصارهم و يعرفونه بإذنٍ من حضرته ﷻ. و مثل الناس كمثل إخوة يوسف عليه السلام العشرة حين رأوْه عيانًا لكنّهم كانوا له مُنكرين، مع أنّه أخوهم المميّز بجماله الاستثنائيّ! أمّا الأوحد من إخوته الّذي كان من الخواصّ فقد اجتباه يوسف عليه السلام و مَنّ عليه ـ بإذن الله تعالى و إرشاده ـ و عرّفه نفسه فتشرّف بمعرفته. و لن تجد لسُنّة الله تبديلًا، فالناس من هذه الأمّة أيضًا يَرَون إمام زمانهم ﷻ، لكنّهم بسبب معاصيهم و ما رانَ على قلوبهم بما كانوا يكسبون، باتوا محرومين من التعرّف إلى وجهه المُشرق بين الخلائق. فقط أولئك الخواصّ الّذين تليق بهم هذه المعرفة، و الّذين أعدّوا المقدّمات الاختياريّة من التقوى و إصلاح النفس، يُلقي الإمام ﷻ قميصه اليوسفيّ على أبصار قلوبهم فيُعرّفهم نفسه كلّما شاء. فكان النظر في وجهه المبارك رِزقهم من عند الله كلّما دخلوا محراب اللقاء.

و من القضايا الّتي تشير إلى قرب الإمام ﷻ إلى مجالسنا ما نقله الناعي الحُسينيّ الّذي كان يرثي مصائب آل بيت رسول الله ﷺ كلّ أسبوعٍ في محضر آية الله الشيخ البهجة قدس سره، إذ قال:

«سمعت في أحد الأيّام من أحد مرافقي آية الله العظمى الشيخ البهجة قدس سره قضيّة عجيبة، لذلك أحببت أن أسمع أصلها من سماحته شخصيًّا، حتّى يحصل لي اليقين. لذلك توجّهت إلى سماحته و قلت له: إنْ تسمحوا لي، أريد أن أتشرّف بمحضركم. فقال سماحته: تعالَ إلى المنزل في الساعة كذا. ذهبت إلى منزله في الوقت المحدّد، و قلت له: لقد سمعت القضيّة الّتي مضمونها كذا من أحد مرافقيكم، إن مَنَنتم عليّ، أودّ أن أعرف مدى صحّتها من حضرتكم، و أسمع أصلَ الحكاية منكم مباشرةً. قال لي الشيخ: إنّ صديقي الّذي أثق به، روى لي أنّه رأى في المجلس الّذي كنّا قد أقمناه في النصف من شعبان[1] قد رأى السيّد جالسًا إلى جانب المحراب. حين انتهيتَ أنت من قراءة المدائح، وكنت تريد أن تقرأ الدعاء الّذي تختم به المجلس، قام السيّد و تناول نَعْلَيْه و هَمَّ بالخروج. لكن لا أعرف ما الّذي جرى، و إذا بك تشرع فجأةً في قراءة مصيبة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، في تلك اللحظة، عاد السيّد إلى المجلس احترامًا لعزاء جدّته، و حضر في المجلس ثانيةً».

(١) المجلس الّذي يقام في ذكرى ولادة الإمام الحجّة ﷻ.

يقول المادح: قلت للشيخ: إنّ كثيرين من السادة يحضرون في مجلسكم. أجاب سماحة الشيخ: «لا... لا... إنّ إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان حاضرًا في المجلس!».[1]

كم أشاد الراسخون في العلم بالمجالس الحسينيّة الّتي كان يُقيمها آية الله الشيخ البهجة رحمه الله و كم كانوا يحثّون باستمرار الموالين على المشاركة فيها. و كيف لا تنقاد إلى تلك المجالس المباركة القلوب و الأرواح و تخضع فيها النفوس و الأشباح و هي موضع عناية أهل البيت عليهم السلام كما أكّد الكثير من العلماء الأتقياء، و ذلك لِما رأوا في محضره من جلائل النعم المكرّمة و ألطاف الرحمة المنزّلة من سُرادقات عرش الرحمن على الحاضرين فيها. لا ريب أنّ كراماتٍ كثيرةً قد حصلت في تلك المجالس لعددٍ كبيرٍ من المشاركين فيها، لكنَّ القصّة الّتي مرّ ذكرها، أدخلتنا في لجّة بحر العظمة الّتي تتميّز بها هذه المجالس بالخصوص، ثمّ أخرجتنا إلى فضاء سِعة الرحمة و شدّة لمعان القرب الّذي يُمكن للإنسان أن يحظى به من الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف على إثر التقوى. فبالقليل من التأمّل يتبيّن أنّ بقيّة الله في الأرضين الإمام المهديّ عليه السلام في الوقت الّذي تُقام فيه مجالسُ لا تُعدّ و لا تُحصى في مشارق الأرض و مغاربها بمناسبة مولده الشريف، و لا شكّ في أنّها جميعها موضع اهتمامه و عنايته، و ربما قد حضر الكثير منها، إلّا أنّ مجلس وليّه المطيع آية الله الشيخ البهجة رحمه الله قد تميّز بأنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف إضافة إلى حضوره فيه، قد أطلع بعض الأتقياء أيضًا على ذلك. فأيّ مقامٍ أعظم من أن يكون سماحته رحمه الله ممّن ألبسه الله تعالى خِلع العزّة و القبول و سهّل له مناهج الوصلة و الوصول و ألّف بينه و بين حبيبه الإمام المقدّم المأمول عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و إذ جعل وليّ الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف بيننا و بينه ميثاقًا أن أصلحوا أنفسكم، و نحن نُقبِل إليكم بأنفسنا، و مَن أوفى بعهده من الله و رسوله و أولي الأمر! فلا تستعظم ذهاب الإمام عليه السلام بنفسه إلى لقاء أحد أتقى شيعته آية الله الشيخ البهجة رحمه الله، الّذي ظلّ عاكفًا على إصلاح نفسه في جميع الحيثيّات و من جميع النواحي طيلة حياته الشريفة، لذلك فإنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و بناءً على وعده، يأتي إلى لقائه و يحضر في مجالسه أيضًا.

كيف تصف كلماتنا حال المتعلّقة قلوبهم بالملكوت الأعلى، و حسبنا من ذلك أنّ سماحته رحمه الله في إحدى السنوات و تحديدًا في النصف من شهر شعبان كان مريضًا جدًّا، فحاول أهل بيته بسبب قلقهم على صحّته أن يقنعوه بعدم الذهاب إلى المجلس في

---

(١) الناصح، ص١٠٧.

ذلك اليوم لما يعانيه من شدّة التعب و النصب، لكنّه أجابهم بقلبٍ استشفى بسُبحات وجه الله تعالى:

«أنا أذهب إلى هذه المجالس للاستشفاء!».

و هكذا كان يولي مجالس أهل البيت عليهم السلام أهمّيّةً خاصّةً، و يعدّها مشفًى للأمراض الجسديّة فضلًا عن الروحيّة، و كان يلتزم بحضورها في أحلك الظروف و أصعبها، كما كان يوصي الآخرين و يشدّد عليهم بإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام بإقامة هذه المجالس أو بحضورها. نعم، كان يهرع إلى تلك المجالس الشريفة متعرّضًا لنفحات رَوح الله و عطفه، و مُنتجعًا غيث جوده و لطفه، و كأنّه شائقٌ و متلهّفٌ إلى لقاء ضيوفٍ خاصّين ـ الّذين هم في الواقع أرباب البيت و ليسوا ضيوفه ـ و كيف لا يكون كذلك و الحال أنّ شدّ العزيمة لإقامة هذه المجالس بحضور أصحابها و ساداتها عليهم السلام فيه من اللّذة ما يجعل كلّ مرٍّ حلوًا و كلّ ألمٍ راحةً و كلّ مشقّةٍ رخيمة.

قُربانُ تَقيٍّ

الكثير من المؤمنين يترقّبون ظهور قائم آل محمّد عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و يتحرّون في كلّ حينٍ عن أقصر طريقٍ يوصلهم إلى إمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تحصيل مرضاته، لكنّ الثلّة الواعية و الفَطِنة منهم قد أدركت أنّ فضل العلماء عليها كفضل الشمس على الكواكب، فراحت تلتمس نور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و سَنائه من العلماء الربّانيّين الحقيقيّين المقرّبين، لا من كلّ مدّعي القُرب حسن الظاهر خَويّ الجوف من الإيمان و التقوى. و حذرًا من قطّاع طريق عباد الله المريدين، لم يجعلوا بينهم و بين الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف عالِمًا مفتونًا بالدنيا ليصدّهم عن طريق محبّته و وصاله، و ضمنوا بذلك ألّا تزيغ قلوبهم، كما وَعوا الرواية الواردة عن حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّتي يصف فيها الفقهاء بأنّهم حجّته على الناس، لكن ليس أيّ فقيهٍ بل أطهَر النّاسِ أخلاقًا و أقلّهم في المطامع أعراقًا، من كان منهم صائنًا لنفسه، حافظًا لدينه، مخالفًا على هواه، مطيعًا لأمر مولاه. و في هذا الزمن القريب أيضًا هناك ثلّةٌ مؤمنةٌ كانت تلتمس رضا محبوبها و قربه في وجه سماحة آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه، الّذي برزت في ملامحه لمعات برق القرب من إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أشرق من بين ثناياه ما غشّاه من نور الولاية و بهائها. فقد كانت أعماله الصالحة توافق أقواله الحسنة، و علمه مقرونٌ على الدوام بالعمل الّذي

يهتف به، فلم يكن يُخالف إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا في المعتقدات و لا في الأفعال و لا في الأقوال، إذ إنّه أحبَّ الله تعالى فاتّبع نبيّه صلّى الله عليه و آله و خليفته عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و لذا كانت الجموع من علماء الأمّة و عوامها، كهولها و شبابها، لا تفارقه و لا تتخلّف عن الصلاة خلفه، بل تراهم يتسابقون و يأتون من كلّ فجٍّ عميق لإدراك ـ على الأقلّ ـ هذه الركعات المباركة بإمامته. وكانت المشاركة في صلاته و الائتمام به من أهمّ توصيات العلماء السالكين، إذ إنّ ركعتين يصلّيهما عالِمٌ أفضل من ألف ركعةٍ يُصلّيها العابد، فكيف إذا كان من أخشى العلماء و أفقههم و أزهد العبّاد و أورعهم كالشيخ المقدّس محمّد تقي البهجة قدّس سرّه! و من بين أولئك الّذين التمسوا رضا الإمام عليه السلام بمرافقة سماحته قدّس سرّه و اتّباعه لكونه نِعم العامِل بحديث أهل بيت العصمة عليهم السلام و نِعم الحجّة الموَكّل بكفالة أيتام آل محمد صلّى الله عليه و آله، أحد رجال الدين الثقات، الّذي كان يزاحم بركبتَيه مجالس سماحته قدّس سرّه و يستسقي لقلبه نور الحكمة من وابل معارف شيخنا المقدّس، و يداوم على حضور درسه و الصلاة خلفه، و ممّا يرويه هذا العالِم في أثناء سعيه للاقتباس من مصباح الله في الأرض(1) الشيخ البهجة قدّس سرّه قوله:

«كان دأب آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه عندما يشارك في تشييع أحد المؤمنين، يؤدّي ما يرضاه الله تعالى و وليّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف منه بحقّ أخيه الميّت، ثمّ يعود أدراجه إلى مسجده ليؤمّ صلاة الجماعة، إذ كانت تأتي أفواجٌ من مدنٍ نائية و بلادٍ أخرى لإدراك الصلاة بإمامته بكلّ شوقٍ و لهفة، فتتزاحم الصفوف خلفه حتّى تمتدّ إلى خارج المسجد. و في إحدى المرّات شارك سماحته قدّس سرّه في تشييع جنازة أحد المراجع العِظام، لكنّها لم تكن كغيرها من المرّات، فهو و على غير عادته لم يأتِ إلى المسجد لإقامة صلاة الجماعة، ممّا حيّر ألبابنا، و انتظرنا حينها الدقائق و كأنّها ساعات، ثمّ توجّهتُ مع بعض الحاضرين إلى منزل سماحته قدّس سرّه لنستفسر عن أمر تأخّره و إذا ما كانت ستُقام الصلاة جماعةً أم لا. و عندما وجّهنا السؤال إلى نجله المكرّم، أجابنا أن لو كان سماحته قدّس سرّه يريد هذا اليوم أن يؤدّي صلاة الجماعة في المسجد، لقصد المنزل كدأبه المعهود ليستعدّ إلى وفادة الله تبارك و تعالى قبل توجّهه إلى المسجد. و فعلًا

(1) روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «العالِمُ مِصباحُ اللهِ فِي الأَرضِ، فَمَن أرادَ اللهُ بِهِ خَيرًا اقتَبَسَ مِنهُ»؛ شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد)، ج٢٠، ص٣٢٦.

لم يأتِ سماحته ﷺ حينها بل أدّى صلاة الظهرَين في مسجد الإمام العسكريّ عليه السلام، و هو المسجد الّذي أُسِّس و بُني بأمرٍ من الإمام العسكريّ عليه السلام. بعد مدّةٍ قصيرة، انتشر في المحافل الخاصة أنّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف كان حاضرًا في ذلك التشييع، فانتابتني حالةٌ عجيبة إذ غرقت بأفكاري و رحت أربط بين الأحداث، فلماذا لم يأتِ سماحته ﷺ في ذلك اليوم لإقامة الصلاة في المسجد؟! في حين أنّه في تشييع أحد المراجع الآخرين و مع أنّ سماحته ﷺ هو من أمَّ صلاة الميت مع الحشود الغفيرة الّذين أتوا للصلاة على ذلك المرجع الكبير، إلّا أنّه بعد انتهاء التشييع عاد إلى المسجد ليُقيم صلاة الظهرَين فيه كعادته! فلماذا في تشييع هذا المرجع بالذات و مع أنّ سماحته لم يكن هو الّذي يؤمّ صلاة الميت، إلّا أنّه لم يأتِ و بقي في مسجد الإمام العسكريّ عليه السلام لأداء فريضتَي الظهر و العصر؟! و ما صحّة حضور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في ذلك التشييع؟ هل رآه سماحته ﷺ و لهذا لم يحضر لإقامة صلاة الجماعة في مسجده؟ فما كان من سبيلٍ ليصطلي فؤادي و يهدأ إلّا بسؤال الشيخ البهجة ﷺ شخصيًّا. و ذات يومٍ كنتُ في محضر سماحته ﷺ، فرافقته في أثناء رجوعه إلى منزله، و بما أنّني أجرأ من غيري على السؤال، استجمعتُ قواي و سألته: سماحتكم صلّيتم ذلك اليوم ـ أي يوم تشييع المرجع الفلانيّ ـ في مسجد الإمام العسكريّ عليه السلام، و يُقال إنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا قد حضر في ذلك المسجد و كان حاضرًا كذلك في التشييع، فهل تشرّفتم بمحضره الشريف؟ لكنّ سماحته ﷺ و على دأبه في الكتمان تابع سيره بسكينةٍ و وقار و أنوار المحبّة لإمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف تغشي وجهه الميمون، و بقِيَ صامتًا طول الطريق بينما شفتاه تترطّبان ببعض الأذكار حتّى وصل إلى باب داره، و هناك التفت ناحيتي و قال: «حسب ما يقولون، إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف صلّى في هذا الجانب، و أنا صلّيتُ في هذا الجانب»، مشيرًا بيده إلى موضعَين لم يبتعدا كثيرًا إنّما بينهما قاب قوسين أو أدنى. ثمّ فتح باب المنزل و دخل إليه مسرعًا، و كأنّه تعمّد الإجابة عن سؤالي عند الباب كي لا يُبقي لي مجالًا لسؤالٍ آخر أو للإلحاح على معرفة المزيد من التفاصيل. فهو بفطنته المعهودة لم يسمح لي حتّى أن أتابع حديثي، و بكتمانه الشديد و مع أنّه لم ينفِ أصل القضيّة لكنّه لم ينسب الرؤية إلى نفسه، فلم يقُل: أنا رأيت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو أنا شايعته أو أنا

كنت بصحبته و أنا ائتممت به في الصلاة، بل قال: «حسب ما يقولون»[1]، فقد نسب الحديث إلى غيره و لم يصرّح لي علنًا، و لكنّه بأسلوبه برّد لوعة قلبي إذ تيقّنت من جوابه أنّه كان في محضر الإمام ﷻ وقت أداء تَيْنك الفريضتَين».

هكذا هي سيرة الأولياء الّذين جُبلت طينتهم من فاضل طينة صاحب العصر و الزمان عليه السلام، قد تجلببوا برداء الكتمان و أتقنوا فنّ الإسرار و الإبطان، و أُلهموا الطاعة إلهامًا، و ثبُت الحقّ في سرائرهم، فكان جهادهم في الله و همّهم في طاعته، خالصة نيّاتهم في معاملة ربّ الأرباب، حتّى استحقّوا بذلك فوز السباق إلى المكرُمات، و نالوا بصحبة بقيّة الله ﷻ أعلى الدرجات، فكانوا شعاع نوره بين العباد و نجومًا تعكس ضوء جماله و كماله. و لا شكّ في أنّ الّذي يبلغ هذه المراتب من القرب إلى الإمام ﷻ حقيقٌ به الاتّصاف بميزة الكتمان، فبَخٍ بَخٍ له من عالِمٍ أعدّ و استعدّ، فكلامه صَواب و سكوته من غَيرِ عِيٍّ عن الجواب، و ما كان جواب سماحته ﷺ لذلك العالِم إلّا كفائض الماء من الإناء. أجل، لقد غاب سماحة الشيخ ﷺ حينها عن صلاة الجماعة في مسجده، لكن هل يكون اختفاء النجم إلّا إذا بزغ بدر التمام؟!

أسمَى مِن اللِّقاء

ما أدراك ما حال من تشرّف في محضر عين الحياة ﷻ و نهل من عذب مائه، و هل يعرف قيمة هذا التشرّف إلّا من رُزق حبّه الأقدس و ارتوى بكأسه و بيده من مَعين معرفته الأنفَس؟ أمّا من قلّ حظّه و لم ينَل شرف معرفته العُظمى، فقد جهل عظمة التشرّف بمحضره القدسيّ، و ما يتجلّى في لقائه النورانيّ من فيوضاتٍ ربّانيّةٍ لا يُحصيها إلّا واهبُها. و كيف يُعرف الفرع

(١) طبعًا ربما يكون هناك مَن يستخدم هذا الأسلوب و أمثال هذه التعابير و الكنايات عن قصدٍ و تعمّد، راجيًا بذلك التشبّه و التمثّل بعباد الله الربانيّين، ليصل إلى مآربه و ميوله النفسانيّة، فلا يصرّح بلقاء الإمام الحجّة ﷻ حتّى لا يجهر بالكذب علنًا، إلّا أنّه في الوقت نفسه يوهم المستمع أنّه قد نال شرف اللقاء، على العكس تمامًا من سماحة الشيخ البهجة ﷺ، إذ كان يستخدم هذا الأسلوب و أمثاله للهروب من الشهرة و الابتعاد عن الإذعان باللقاء، فإنّ لقاءات سماحة الشيخ ﷺ بالإمام الحجّة ﷻ و تشرّفاته كانت من المسلمات لدى الخواصّ و العوام، و قد ذاع صيتها من خلال ما صرّح به الكثير من كبار العلماء الربانيّين و أعاظمهم، لذا ينبغي للمؤمنين أن يكونوا فطنين و لا يصدّقوا كلّ من يقلّد أسلوب سماحته ﷺ في الكلام من غير أن تطابق أفعالُهم أقوالَهم، فتكون أقوالهم حسنة منسجمة مع لسان الشارع في حين أنّ أفعالهم سيئة مخالفة لأحكام الشريعة، و قد كبُر مقتًا عند الله أن يقولوا ما لا يفعلون.

من دون إدراك الأصل؟! أمّا طَور الكلام هنا فهو عن منقبةٍ لعلّها أخصّ من مكرُمة اللقاء، و هذه المنقبة تستلزم الوصال الأسمى و الملازمة الأدوم للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و اللقاءات المتعدّدة ما هي إلّا مقدّمات لبلوغ هذه الدرجة من القرب؛ و ذلك يحتاج إلى توجّهاتٍ خاصّةٍ و مميّزةٍ و اتّصالٍ مستمرّ. لعلّها هنا تنجلي الغشاوة عن قلوبنا فنفقه بيان آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه عندما قال: «[الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف] محتجبٌ عن أعين الظّالمين. لكن الّذين ليسوا هم ظالمين و لا من أصحاب الظالمين و لا يخالطون الظالمين و لا هم في منازل الظالمين و محالّهم، فهؤلاء ليسوا بمحجوبين عن وجوده الشريف عليه السلام أصلًا!». و المطلب الّذي نريد أن نتشرّف ببيانه يتوضّح من خلال هذه القضيّة الّتي أطلَعَنا عليها نجل آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه المكرّم:

«عندما كنت طفلًا كان الوالد المعظّم يخرج بعد الظهر من المنزل، و يصطحبني معه، و أنا لم أكن أسأله إلى أين تريد الذهاب؟ الآن إن أردتُ أنا الخروج من المنزل و قلت لابني رافِقني، فإنّ أوّل سؤالٍ يوجّهه إليّ، إلى أين سنذهب؟ لكن نحن في ذلك الزمان لم نكن نسأل مثل هذا السؤال. كنت أسيرُ برفقته، و طيلة الطريق كان والدي يقطع زقاقًا بعد زقاق، و كانت الأزقّة القديمة في ذلك الحين ضيّقةً جدًّا، و قليلًا ما وُجد زقاقٌ عرضه خمسة أمتارٍ أو ستّة أمتار. كان عرض الزقاق غالبًا مترًا أو مترًا و نصف المتر، و متعرّجًا جدًّا بحيث إنّ من يذهب للمرّة الأولى و يقصد أحد المنازل، فإنّه من الصعب في المرّة الثانية أن يستدلّ على المكان نفسه. فكان سماحته يمشي في هذه الأزقّة الضيّقة و المتعرّجة و فجأةً يقرع باب أحد المنازل. أحيانًا كانت أبواب بعض تلك البيوت رثّةً و لا أقفال لها، و لعلّها لِقِدمها و اهترائها لم تكن تُغلق من الأساس. فعلى كُلٍّ، كان يقرع باب أحد تلك البيوت، و من ثمّ يدخلها ليَصل إلى حجرةٍ بساطها بالٍ و أحيانًا غير مفروشة بالكامل، كان هذا الأمر في ذلك الوقت عاديًّا، كأنْ يغطّي البساط نصف الحجرة فقط، أو حتّى أن يكون ممزّقًا و حائل اللون. كنّا نذهب إلى مثل تلك البيوت، و نجلس في مثل تلك الحجرات. كان أصحابها على الأغلب مُسنّين، أتذكّر مثلًا أنّ أحدهم كان رجلًا طاعنًا في السِنّ، و ثيابه متواضعة جدًّا لكنّها نظيفة، كانت ثيابه متواضعةً جدًّا جدًّا. و كان آنذاك يُحضِر وعاءً فيه بعض الفاكهة و يضعه أمام والدي. كانت فاكهته ذاويةً و ذابلة،

كتلك الّتي يعزلها البقّالة في صندوقٍ منفرد، و لذا لم تكن تُثير شهيّتنا نحن الأطفال أن نأكل منها. بالطبع نحن [في منزلنا] لم نكن نأكل طعام الأعيان، بل كان طعامنا متوسّطًا، لكن هذه الفاكهة كانت أدنى من المتوسّط، و ذلك الرجل المسنّ قدّم هذه الفاكِهة لضيوفه! [فما بالك بالفاكهة الّتي هو و أهله يتناولونها]. هكذا كانت الحياة و الظروف الّتي كان يعيشها هؤلاء الأشخاص. أمّا أنا فكنتُ لا أزال حدَثًا صغيرًا في زمان تلك الجلسات، و كنت منشغلًا بالنظر إلى أبواب الحجرة و جدرانها و باحة الدار، و ما طُبع في ذاكرتي أنّ تلك الأماكن لم يكن فيها شيءٌ يؤكل. كنتُ حينها غارقًا في عالمي الخاصّ، و لكن عندما كنتُ أصغي إليهما بين اللحظة و الأخرى، أجد أنّهما يتحدّثان عن اللقاء بالإمام المهديّ ﷻ. طبعًا إنّ المستوى المعيشيّ لم يكن في كلّ الموارد على هذا النحو، فالبعض كانت ثيابه أكثر حُسنًا، و البعض الآخر كان صاحب مُلكٍ و مكانة، لكنّه ليس كتلك الشخصيّات المرموقة على حسب الظاهر، بل المتوسّطة الحال.

كنت أتعجّب لماذا نذهب إلى منازل هؤلاء؟! عِلمًا أنّ الوالد كما يبدو لم يكن يعرفهم قطّ! فمن جانبٍ كان لا يلبّي الدعوات عادةً، لكنّه من جانب آخر كان يذهب إلى تلك البيوت من دون دعوة! كيف اهتدى إلى البيت؟ من أين علِم بالعنوان و ممّن أخذه؟ كيف كان يجد هذه البيوت و هؤلاء الأشخاص؟ و الحال أنّه لم يكن يسأل أحدًا أين بيت فلانٍ أو أين يقع! و أساسًا في الكثير من الحالات لم يكن للشخص المقصود لقبٌ يميّزه أو يدلّ عليه لتسأل: أين يقع بيت فلان! فضلًا عن أنّ الأزقّة المتداخلة في ذلك الحين، لم يكن لها رقمٌ و لا اسمٌ. لا يوجد سوى اليمين و الشمال، أي أنّنا نذهب من زقاقٍ إلى آخر يمينًا أو شمالًا لنصل إلى المنزل المقصود. لا لوحةٌ و لا أيّ شيءٍ آخر يُستدلّ به! كيف كان يجدها؟! كان هذا الأمر يُثير تعجّبي كثيرًا! أساسًا لماذا نبحث عن هؤلاء الأشخاص؟! هذا ما كان يُثير استغرابي أكثر! كثيرًا ما كان يحصل مثل هذه القضيّة بأن يذهب من طرف المدينة إلى طرفها الآخر للبحث عن هؤلاء الأشخاص. و لعلّ بعضهم كانوا من رجال الدين، لكنّ غالبيّتهم كانوا من كبار السنّ، و كان يقصدهم باستمرار، أمّا ما شغل تفكيري لاحقًا فقد كان البحث عن خيطٍ رابطٍ و وجهٍ مشتركٍ بينهم حتّى أكشف سرّهم. تهتُ في

حيرتي متسائلًا: ما الّذي كان يدفعه للذهاب إلى هذه المنازل؟ و ما هي المناسبة؟ هل هم من كبار العلماء؟ هل هم من أعيان المدينة و أكابرها، أم أنّهم من الموقّرين بين الناس؟ هل هم رجالٌ مميّزون؟ لا، رأيت أنّهم ليسوا كذلك! هل يريد أن يساعدهم ماليًّا؟ لكنّي لم أره يقدّم لهم مساعدة. و لو احتملنا أنّه كان يريد تقديم المساعدة المادّيّة لهم لكان أرسل إليهم شيئًا من المال، أو قدّمه إليهم عند باب المنزل و رجع من دون أن يدخل، فلطالما فعل ذلك في غير حالاتٍ و كان حينها يقرع باب أحد البيوت و يقدّم ظرفًا من دون أن يدخل ثمّ يغادر، أمّا في هذه الحالات و مع هؤلاء الأشخاص فكان يدخل و يجلس و يتحدّث و يستأنس بهم. كان الخيط المشترك و الرابط الوحيد بينهم الّذي وجدته أنّ محور الحديث في كلّ هذه الموارد هو تشرُّف هؤلاء الأفراد بلقاء صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف. أذكر جيّدًا أنّ أحدهم قال: «أمس عصرًا كنت أعبر جسر آهنجي [في قمّ المقدّسة]، متوجّهًا نحو الصحن الشريف، رأيت سيّدًا قادمًا، كان الأمر عجيبًا و غريبًا. كنت مشتّت الحواس، لم أكن على ما يرام، حين أتى و مرّ من جانبي ألقى نظرةً إليّ و ابتسم. هذه الابتسامة أيقظتني و نبّهتني دفعةً واحدةً، أيكون هذا السيّد وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟ عدت لأراه، فلم أجده. ركضت إلى ذلك الجانب من الجسر و نظرت و أمعنت في النظر و دقّقت فلم أجده. كأنّه ذاب فجأةً و غاب!!». كان هذا الشخص والهًا بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و هائمًا به بشدّة، و كانت أصوله من مدينة تبريز و كان من الأثرياء و أصحاب الأملاك. و بعد نقله القصّة قال لوالدي: «أسأل الله أن لا يجعل رؤيته عجّل الله تعالى فرجه الشريف من نصيب أحد، حتّى لا يُصبح والهًا و حائرًا مثلي!» فقابل والدي كلامه هذا بابتسامةٍ مصطنعةٍ على شفتيه، لا تزال صورتها إلى اليوم محفورة في ذاكرتي.

و في كلّ تلك الحالات وجدت أنّ أولئك الأشخاص ينقلون أمثال هذه المطالب. لقد اكتشفت أنّ الخيط المشترك بين هذه الزيارات و الجلسات هو زيارة بقيّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و الحال أنّ ذلك الشخص تشرّف في الأمس بلقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و والدي في اليوم التالي مباشرةً يذهب إلى هناك ليسمع شيئًا عن حبيبه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. مرّت سنوات و أنا أفكّر كيف وجد والدي هؤلاء؟ من أين كان يعرفهم؟ لم أتوصّل إلى جوابٍ واضح. كنت أسأل نفسي دائمًا: كيف كان يجدهم و بِمَ كانوا

يلفتون انتباهه؟ لم أستوعب الأمر و لم أصل إلى حقيقة المطلب! أو كيف وصل إليهم، وكيف عرف عناوين منازلهم؟ إلى أن نقل لي أحد طلبة والدي ـ الّذي كان سماحته يثق به و يعتمد عليه ـ مسألةً، وكنتُ قد سمعتها من سماحة الوالد، لكنّني لم أكن ملتفتًا إليها و لم تخطر في بالي من قبل، و هي أنّ سماحته كان قد قال: «إحدى عنايات الله سبحانه و تعالى الّتي أَوْلاها إليّ منذ القدم و زمن الشباب، أنّني أعرف الأشخاص الّذين تشرّفوا بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لو كان ذلك مرّةً واحدةً في أعمارهم!». كان السؤال الأهمّ بالنسبة إليّ، أنّه في ذلك الزمان لم يكن هناك هاتف، و لا وسائل اتّصال، لا شيء! فمن أخبر سماحته أنّ هذا التشرّف قد حصل لفلانٍ وكيف أنبأه؟! وكانت هذه مسألة أخرى معقّدة أيضًا. لكنّني اليوم وجدتُ حلّها بالنظر إلى الآلة الّتي بواسطتها يُحدّد موقع المكان المقصود. نعم كأنّ الأشخاص المقصودين، و لو كانوا في أقصى المدينة، لديهم علامة خاصّة تجعل مكانهم مكشوفًا لسماحته رحمه الله. كنت أجول في هذه الأفكار إلى أن سمعت من أحد تلاميذ آية الله العظمى السيّد القاضي رحمه الله، أنّه قال: «حين أتيت إلى قمّ رأيت الناحية الشرقيّة من قمّ تشعّ نورًا». في ذلك الوقت هذا الشخص لم يكن يعلم ما هي المسألة. قال: «فهمت فيما بعد أنّ في تلك الجهة من قمّ يقع مسجد جمكران المقدّس!». حين سمعت هذه القضيّة من ذلك الشخص، و أضفتها إلى القضايا السابقة، اتّضح لي أنّ بعض الأشخاص لديهم نوعٌ من الإدراك لا يمكننا أن نفهمه نحن من خلال الظاهر الّذي نراه. و هكذا كان سماحته رحمه الله و من دون أن يخبره أحدٌ يدرك أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد أَوْلى اهتمامًا و عنايةً إلى ذلك المكان أو ذلك الشخص أو تلك المحلّة، أو كان له حضورٌ في قلب فلان. كان يرى نور حضور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في ذلك القلب و لو كان في أقصى ناحيةٍ من المدينة. فإنّ لذلك الشخص نورًا خاصًّا، وكان سماحته يرى ذلك النور، حتّى و إن كان صاحبه لم يرَه عجّل الله تعالى فرجه الشريف سوى مرّة واحدة طيلة حياته، لكنّه خُتِمَ به على جبينه. لقد اتّضحت هذه المسائل بالنسبة إليّ من خلال قوله هذا: «إنْ تشرّف شخصٌ بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لو مرةً واحدةً في عمره، أعرفه!».

إضافةً إلى ذلك، أخبرني أحد الطلبة بقضيّةٍ أبانَت لي هذا المطلب بوضوح أكثر إذ قال لي: «لقد توسّلت أربعين يومًا لأحظى بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف. أنجزت بعض

الأعمال و الأذكار، لكنّني لم أوفّق للّقاء. استأت كثيرًا و حزنت، فذهبت إلى والدك المُكرّم لأسأله لِمَ لَم أحظَ بلقاء الإمام عليه السلام. لكنّ الحشود حوله كانت غفيرة، و بدا الوصول إليه و إمكانيّة سؤاله أمرًا متعذّرًا. سِرت وراء الشيخ بين الجموع، إلى أن اقتربنا من المسجد. كان سماحة الشيخ يُسرع بخطاه و كذلك أسرع السائرون خلفه. و في تلك الأثناء قلت في قرارة نفسي: لماذا أسأل؟ و فرضًا التقيت الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، حسنًا ما الّذي سيحدث؟ و ما الفائدة من اللقاء، و ما هو تأثيره؟ فالشيخان [أي الخليفتان الأوّل و الثاني] كانا إلى جانب النبيّ صلّى الله عليه و آله و شاهدا الكثير من المعجزات، و كذلك الكثيرون من الخلفاء التقوا الأئمّة عليهم السلام. اللقاء من دون الجدارة في الشخص و القابليّة المعنويّة لا فائدة منه. فجأةً خطر على بالي أن أترك السير خلف الشيخ قدّس سرّه، و أن أتخلّى عن طرح السؤال. لكن ما إن خطرت هذه الفكرة على بالي، حتّى رأيت أنّ الفوضى قد دبّت بين الجموع الّتي كانت تتحرّك بسرعة، بنحوٍ غير متوقّع. كانوا جميعهم يسارعون الخطى خلف الشيخ، لكنّه توقّف فجأةً فتصادموا فيما بينهم، و الّذين كانوا وراءه أصبحوا أمامه، و أنا الّذي كان يفصل بيني و بين الشيخ سبعة أو ثمانية أشخاص، فجأةً وجدت نفسي بمحاذاته و قبالته تمامًا. و على هذه الحال، و من دون أيّ سؤال، قال لي: «نعم! ليس ذلك من دون فائدة! هنالك أشخاصٌ كانوا قد رأوا الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف منذ سنين عدّة، و بعض من يرَونهم يعرفونهم مباشرةً!». من هذه القضيّة يتبيّن أنّ لقاءً واحدًا يترك نورًا في مُحيّا الشخص، بحيث إذا كان هناك شخص مستأنسٌ بنور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يمكنه أن يدرك أنّ ذلك الشخص قد التقاه عجّل الله تعالى فرجه الشريف. عجيبٌ جدًّا! عجيبٌ جدًّا! ذلك يحتاج إلى مستوى إدراكٍ عجيب! و هكذا كان سماحة الشيخ قدّس سرّه يُحدّد بدقّةٍ أنّ لقاءً قد حصل لذلك الشخص أو في ذلك المكان. أولئك الّذين كنّا نزورهم في بيوتهم كانوا يحترمونه احترامًا استثنائيًّا. مع أنّ الشيخ لم يكن مشهورًا حينذاك، إنّما قد تأثّروا على ما يبدو بهيبته و جلالته!».

فليت شعري أمن لمعات برق القرب و اللقاء الّتي تظهر في وجوههم كان يعرفهم أم توّجهم الله سبحانه بتاج الكرامة و الوقار فكان يرى تلك التيجان تتلألأ فوق رؤوسهم؟![1] و ما أسبغ

(١) هناك من فتح الله له عينَي قلبه فهو يرى آثار عنايات أهل البيت عليهم السلام و بركاتها، و في هذا السياق يُنقل أنّ أحد العلماء كان يعرف مكان إقامة مجلس سيّد الشهداء عليه السلام أينما كان، حتّى إنّ الناس كانوا يسألونه: أين يوجد

نعم الله ظاهرةً و باطنةً على الشيخ المقدّس البهجة ﷺ، إذ أولاه عناية خاصّة بحيث كان بمقدوره انتقاء الأشخاص الّذين تشرّفوا بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و لو مرّة واحدة، كما ينتقي الطير الحَبَّ الجيّد من غيره، حتّى و إن لم يكن قد رأى ذلك الشخص من قبل. كان لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يترك آثارًا معنويّةً في أرواح هؤلاء الأشخاص، و يسِمهم بقَبسٍ من نوره البهيّ فيتجلّى للأعيُن الّتي ترى الأنوار الإلهيّة أينما حلّوا في منعرجات الأزقّة المتداخلة و الضيّقة. وكان آية الله الشيخ البهجة ﷺ يسعى وراء هذه الأنوار القدسيّة الرائقة لأبصار محبّيه عجّل الله تعالى فرجه الشريف من زقاقٍ إلى آخر، ليزور صاحبه، و يقول له بلسان القلب: زيارتك مقبولة، و يسمع منه حكايته عن الحبيب. كان فاهمًا و عاملًا بهذه الرواية عن أهل البيت عليهم السلام الّتي تقول إنّ من يزور زائرنا أهل البيت يناله ثوابٌ من رحمةِ الله مثل ثواب الزائر[1]. و من شدّة أُنسِه بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لم يكن نوره يخفى عليه أينما كان.

كم كان يُبدي بما أُوتِيَ من حكمةٍ في كلّ ما فيه للورى نفعًا، و منها قوله: «إنّ الخضر عليه السلام أينما حلّ يخضرّ المكان[2]، و الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا أينما حلّ يخضرّ المكان و يبهج بنور الإيمان». فكان الشيخ المقدّس ﷺ يرى بوضوحٍ كلّ مكانٍ اخضرّ و بهج بنور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لو كان في الظاهر صحراءَ قاحلة، أو خرابةً مظلمة. كما كان يرى القلوب الّتي أبهجت بنور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و يتفقّد أصحابها، و كثيرًا ما ردّد:

«إنّ الجزيرة الخضراء هي قلب المؤمن».

مجلس عزاء لسيّد الشهداء عليه السلام ؟ فكان يحدّد لهم المكان. و كان يقول إنّ لمجالس الإمام الحسين عليه السلام رائحة و نورًا مميّزين و أنا أشمّ تلك الرائحة و أرى ذلك النور. و هذه المنقبة نفسها كانت لدى سماحة الشيخ البهجة ﷺ بحيث كان يعلم أماكن إقامة مجالس سيّد الشهداء عليه السلام أو حتّى إن بكى أحدٌ عليه عليه السلام كان سماحته يعرفه. و المقصود أنّ لكلّ ما يتعلّق بالمعصومين عليهم السلام آثارًا خاصّة و يمكن للإنسان أن ينال التشرّف برؤية تلك الأنوار الطاهرة و الآثار المباركة بعد المواظبة على أداء الواجبات و ترك المحرّمات.

(١) «عَنْ مُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِذَا انْصَرَفَ الرَّجُلُ مِنْ إِخْوَانِكُمْ مِنْ زِيَارَتِنَا أَوْ زِيَارَةِ قُبُورِنَا فَاسْتَقْبِلُوهُ وَ سَلِّمُوا عَلَيْهِ وَ هَنِّئُوهُ بِمَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُ، فَإِنَّ لَكُمْ مِثْلَ ثَوَابِهِ وَ يَغْشَاكُمْ ثَوَابُ مِثْلُ ثَوَابِهِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَإِنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ يَزُورُنَا أَوْ يَزُورُ قُبُورَنَا إِلَّا غَشِيَتْهُ الرَّحْمَةُ وَ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ»؛ بحار الأنوار، ج٩٩، ص٣٠٢.

(٢) «عَنْ جَعْفَرِ بْنِ محمّد عليهما السلام أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْخَضِرَ كَانَ نَبِيًّا مُرْسَلاً بَعَثَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى إِلَى قَوْمِهِ فَدَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَ الْإِقْرَارِ بِأَنْبِيَائِهِ وَ رُسُلِهِ وَ كُتُبِهِ، وَ كَانَتْ آيَتُهُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَجْلِسُ عَلَى خَشَبَةٍ يَابِسَةٍ وَ لَا أَرْضٍ بَيْضَاءَ إِلَّا أَزْهَرَتْ خُضْرًا، وَ إِنَّمَا سُمِّيَ خَضِرًا لِذَلِكَ»؛ علل الشرائع، ج١، ص٦٠.

فكلّ قلبٍ عاش بذكر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يكون جزيرةً خضراء للإمام و هو جنّة صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و تلك الجنّة الّتي يورثها الله من عباده مَن كان تقيًّا. كان يرى بواطن القلوب بفراسة إيمانه، و إن كان إدراك هذا المطلب يتطلّب معرفةً و فهمًا جديرين بعظمته، و لا يمكن إدراك مقام سماحته رحمه الله بسهولةٍ إذ كان يُشرف على التشرّفات، و هذا نفسه من الأسرار و الأمور الصعبة، لكنّ أولئك الّذين صُفّيت لهم مشارب الودّ و ذاقوا حلاوة محبّة الحجّة بن الحسن عجّل الله تعالى فرجه الشريف فلم يروموا منه بدلًا، و نذروا وجودهم كلّه بكلّ نبضة قلبٍ و رمشة عينٍ لخدمته، و لا يتوانون لحظةً أو أقلّ منها عن السعي لمرضاته، فهؤلاء لا يرَوْن أصلًا غيرَ نوره الساطع كأنّه كوكبٌ دُرّيّ يوقد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيّةٍ و لا غربيّة.

إن نحن تحدّثنا عن العشق و القدرات الّتي يهبها العشق الحقيقيّ للعاشق و طُفنا على حال العاشقين و ما يغرفونه في قوارير عشقهم الحقيقيّ من كراماتٍ و عنايات، لاستوعبنا هذه المسائل جميعها و فهمناها. أيُمكن أن لا يرى العاشقُ أثرَ معشوقه، و لا يشمّنّ ريحه؟ أيعقل أن يرتوي من سلسبيل العشق و لا يذوقنّ زنجبيله؟ إن لم يكن الأمر كذلك، معناه أنّه لم يحظَ سوى بدرجةٍ واحدةٍ من درجات المحبّة. إنَّ شغف آية الله الشيخ البهجة رحمه الله بالإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في السماء أشهر منه في الأرض، و ما لم تتحقّق جاذبيّة المعشوق و إرادته فلن يصل العاشق إلى هذا الشغف. نعم طيلة العصور و القرون و الدهور وُفّق العديد من العلماء و الصلحاء بأن مَنَّ الله تعالى عليهم بالتشرّف في المحضر القدسيّ لبقيّة الله الأعظم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و هذه منزلةٌ و منقبةٌ عظيمة، لا تكون من نصيب أيٍّ كان، و إن كان طالبوها كُثُرًا، لكنّ الواصلين قِلّة. و بفضلٍ من الله تعالى، تُوّج تاريخنا بعظماء و أشرافٍ حباهم الله بأنفس الحُليّ و الإستَبرق في عصر الغَيبة، كالسيّد ابن طاوس رحمه الله الّذي ورد في حقّه أنّ باب اللقاء كان مفتوحًا أمامه، أو السيّد العزيز بحر العلوم رحمه الله الّذي احتضنه صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و ألصق صدره بصدره، و أودعه تلك العلوم، فصار حقًّا بحرًا للعلوم[1]. إنّهما من المتيَّمين بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، العاشقين له بصدقٍ و إخلاصٍ، الّذين لا يقتصر همّهم على مجرد اللقاء و التشرّف، و إنّما يعاينون ما هو أرفع و أسمى، يعيشون العشقَ الحقيقيّ للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف

---

(١) ممّا ورد في سيرة السيّد بحر العلوم رحمه الله هو لقاءاته بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، الّتي أشار إليها العلماء في كتبهم، منها القضيّة التاسعة من كتاب جنّة المأوى للمحدّث النوريّ، هذا الكتاب الّذي جمع فيه صاحبه قصص الأشخاص الّذين تشرّفوا بلقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، طُبع ملحقًا بالمجلّد ٥٣ من كتاب بحار الأنوار، و تفصيل هذه القضيّة قد ذُكر في الصفحة ٢٥٩ من هذا الكتاب.

و الشغف و الوله به، قد سقاهم ربّهم شرابًا طهورًا، يُنزّهون أسماعهم عن أيّ صوتٍ فيه لهوٌ أو طرب، و النغم الوحيد الّذي يعزف ألحانه على أوتار قلوبهم و أرواحهم و يشعرون بإيقاعه هو نبضات قلب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف الممزوج بصدى تلاوته لآيات القرآن الكريم:

چه خوش است صوت قرآن ز تو دل ربا شنيدن
به رخت نظاره كردن سخن خدا شنيدن

(ما أروَع سَماع القرآن بصوتك أيّها الحبيب
تـأمّـل مُـحـيّـاك و سَـمـاع كـلام الله)[1]

و إن كانت مقامات الأبرار لفي علّيين، و ما أدراك ما علّيون! فلا يدركها حقّ إدراكها سوى أولياء الله و يشهدها المقرّبون. و لسنا هنا بصدد تعيين درجات قرب العلماء العظام قدّس الله أسرارهم و رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، لكن لا يمكننا أن نغضّ الطرف عن أنّه مع كلّ هذه المحاسن الفريدة من نوعها في القضايا الصحيحة المرويّة عن لقاءات العلماء العِظام و الصلحاء الكرام، لم تصلنا أيّ روايةٍ عن أحدٍ وصل إلى درجةٍ من العشق و الوله و القرب تجعله يعرف الأشخاص الّذين تشرّفوا بلقاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف فردًا فردًا، و يشعّ أمام ناظرَيه النور الّذي وسمهم كنجمةٍ في السماء المظلمة، فيسعى في ظلمات المعاصي الّتي تخيّم على المدينة، وراء هذا النور المشعّ و يستأنس به، و يبادل صاحبه حديث الحبيب عجّل الله تعالى فرجه الشريف، من دون أن يكون على علمٍ مسبقٍ بعنوانه الظاهريّ، أو حتّى على الأقلّ عارفًا باسمه. فبناءً على الأحاديث الشريفة، إنّ المؤمن الّذي يتمسّك بالثقل الحاضر، أي «**كتاب الله**» في بيته و يقرأ القرآن، يضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض[2]. إذًا ليس عجيبًا أن يضيء من يتشرّف بلقاء الثقل الغائب، أي «**الإمام الحجّة** عجّل الله تعالى فرجه الشريف» لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض، فإنْ كانت هذه حال المؤمن التالي لآيات الله سبحانه، فكيف بالمؤمن الّذي يشهد أعظم آياته عزّ و جلّ و يتنوّر بنور إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف[3]؟! نعم، إنّ آية الله الشيخ البهجة رحمه الله كان ملكوتيًّا سماويًّا ساكنًا تراب الأرض. و قد كان يقول:

---

(١) لقد ترنّم السيّد مهديّ بحر العلوم رحمه الله بهذا البيت من الشعر عندما التقى الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في حرم أمير المؤمنين عليه السلام، و قد ذُكرت تفاصيل ذلك اللقاء في الصفحة ٢٥٤ من هذا الكتاب.

(٢) قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «الْبَيْتُ الذي يُقرأُ فِيهِ الْقُرْآنُ وَيُذْكَرُ اللَّهُ عَزَّوَجلَّ فِيهِ تَكْثُرُ بَرَكَتُهُ وَتَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَهْجُرُهُ الشَّيَاطِينُ وَيُضِيءُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضِيءُ الْكَوَاكِبُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ»؛ الكافي، ج٢، ص٦١٠.

(٣) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَزْهَرُ نُورُهُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تَزْهَرُ نُجُومُ السَّمَاءِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ»؛ المؤمن، ص٢٩.

«أيمكن أن يمرّ إنسانٌ من جانب طود الإيمان عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف، من دون أن يؤثّر فيه؟!». فلا تعجب من جزعنا على غَيبة إمامنا عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف، و لا تستغرب ما قذيت أعيننا من الجوى، و كيف لا نموت بحسرة اللقاء إن كان مجرّد مرور طيف الإمام النورانيّ من جانب أيّ إنسان، و إن جهِل شخصه الشريف، أو مجرّد إلقاء نظرةٍ رحيمةٍ منه عليه، يقلب حاله، بحيث يشعر بالسعادة و الانشراح الروحيّ و الإقبال المعنويّ، كيف لا و هو يعبر بجانب طود الإيمان و عين الله الرّحمن؟! فما نَصِفُ إذًا في حال مَن يتشرّف بلقاء الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف و يرتع في محضره المُفعَم بالنور؟! و هو وجه الله تعالى و تجلّيه، و هو تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[1].

نعم، يناله نورٌ يشعّ كنجمٍ ثاقبٍ يتلألأ في الظلام، ذلك لمَن حوى في قلبه بذور القابليّة، فيغدو كالكواكب الّتي تضيء لأهل الأرض، و هكذا كان آية الله الشيخ البهجة قُدِّسَ سِرُّه بعينَيه المسلّحتين بالتقوى و النور الإلهيّ، يرى نور حبيبه عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف، و يشمّ رائحة قميصه الأخّاذة، فرائحة قميص يوسف عليه السلام نبيّ بني إسرائيل ليست أعبق و لا أطيب من أريج قميص يوسُف هذه الأمّة عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف، و كذلك عشّاقه الّذين قد شغفهم حبًّا، و هم أولياء الله تعالى و علماء ربّانيّون حقيقيّون، لعلّهم ليسوا أقلّ اشتياقًا و لوعةً من النبيّ يعقوب عليه السلام بعد غياب عزيزه، و ما أدلّ قول الصادق الأمين صلى الله عليه وآله: «عُلَمَاءُ أُمَّتِي أفضَل مِن أنبِياءِ بَنِي إسرائيل»[2].

مَحْرَم أسرار القلوب

من المواهب السنيّة الّتي بيّنها أحد الخواصّ من فضلاء أهل العلم أنّ آية الله الشيخ البهجة قُدِّسَ سِرُّه قد خصّ شخصه بذكر قضيّة، إذ قال له:

> «من مِنن الله عليَّ أنّني أعرف مَن يحظى بلقاء الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف و لو مرّة واحدة في عمره». ثمّ ابتسم سماحته قُدِّسَ سِرُّه و قال: «حتّى إنّني كنت في إحدى المرّات مُتشرّفًا في مشهد الإمامين الكاظمَين عليهما السلام، و بعد أن أنهيت الزيارة و أردتُ مغادرة الحرم، رجعتُ باتّجاه الإيوان لأُلقي السلام، فرأيت سيّدًا من أهل العلم، جالسًا باتّجاه الضريح و ظهرُه ناحيتي [بحيث لا أرى وجهه]، و كان منشغلًا بالصلاة. لمّا وقع

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ قَائِمَنَا إذَا قَامَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَاسْتَغْنَى الْعِبَادُ عَنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَنُورِ القَمَرِ وَذَهَبَتِ الظُّلْمَة»؛ تفسير الصافي، ج٤، ص٣٣١.

(٢) تحرير الأحكام، ج١، ص٣٨.

نظري عليه من الخلف، رأيتُ أنّه من أولئك الّذين حصل لهم هذا الأمر [أي التشرّف بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف]. كنتُ عازمًا على الخروج من الحرم، لكنّ قلبي لم يطاوعني، فقلت في نفسي فلأذهب إليه و أحادثه و أرى كيف كانت قضيّة تشرّفه باللقاء. استخرت، فكان الجواب أنّ محادثته جيّدة و تركها سيّئ، إلّا أنّني استصعبت السؤال. و كلّما استخرت الله أن أترك هذا الأمر، جاء الجواب أنّ الترك سيّئ. أخيرًا حين أنهى صلاته، اقتربتُ مُكرَهًا، و جلست إلى جانبه، رأيت أنّه مكفوف البصر فتضاءل خجلي، سألته فلم يُقِرّ، أعدت السؤال، لكنّه مجدّدًا لم يُقِرّ. في المرّة الثالثة أعدت السؤال مع ذكر إشارةٍ و علامةٍ له، فأقرّ قائلًا: أجل، لقد حصل اللقاء في المشهد المقدّس الرضويّ، ثمّ سألني بعد ذلك عن أحوال [علماء] النجف، و عن السيّد أبو الحسن رحمه الله و آخرين»[1].

---

(١) ليس معلومًا لدينا إذا ما كان تشرّف هذا العالم المعظّم بمحضر الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد حصل قبل إصابته بالعمى أم بعده، لكن من البديهيّ أنّ رؤية الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ليست متوقّفة على سلامة هذه الأعين المادّيّة الظاهريّة، فكم من أشخاصٍ يرون بأعين بصائرهم الباطنيّة و هم لا يستطيعون الرؤية بأبصارهم الظاهريّة! إذ كيف يمكن أن يُحرم رؤية أعظم الآيات الإلهيّة و أجملها مَن وُلد ضريرًا أو أصابه العمى جرّاء حادثٍ ما و لم يكن هذا العمى نتيجة الذنوب و المعاصي؟! ألم يقل الله عزّ و جلّ أن سيروا في الأرض و انظروا بعينَي القلب إلى آيات الله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾؛ (سورة الحج، الآية ٤٦). و لذلك نجد أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام يسند مشاهدة الأمور الغَيبيّة و الأخرويّة إلى عينَي القلب قائلًا و قوله الحقّ: «أَلَا إِنَّ لِلْعَبْدِ أَرْبَعَ أَعْيُنٍ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ دِينِهِ وَ دُنْيَاهُ وَ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ آخِرَتِهِ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي قَلْبِهِ فَأَبْصَرَ بِهِمَا الْغَيْبَ وَ أَمْرَ آخِرَتِهِ وَ إِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ تَرَكَ الْقَلْبَ بِمَا فِيهِ»؛ (التوحيد، ص٣٦٧). من هنا فإنّ إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي عُرف في الأحاديث أنّه مِصداقُ الغَيْب هو أَوْلى أن يُرى بعينَي القلب قبل عينَي الرأس. و لذا كان أمثال ابن ملجمٍ و الشمر (لعنهم الله) يرون إمام زمانهم عليه السلام بأعيُن أبدانهم المادّيّة و لم يروه قطّ بأعيُن قلوبهم العمياء، فكانت مشاهدتهم للإمام (صلوات الله عليه) مشاهدةً بتراء، أمّا الأتقياء الصالحون كسلمان المحمّديّ و أبي ذرٍّ الغفاريّ (رضوان الله عليهما) فقد تمتّعوا برؤية الإمام عليه السلام بأعيُن قلوبهم قبل أن تقرّ أعينهم المادّيّة بمشاهدته عليه السلام. و لأبي بصيرٍ رضي الله عنه في هذا الصدد روايةٌ جديرةٌ بالتأمّل إذ يقول: «دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ وَ يَخْرُجُونَ، فَقَالَ لِي: سَلِ النَّاسَ هَلْ يَرَوْنَنِي؟ فَكُلُّ مَنْ لَقِيتُهُ قُلْتُ لَهُ أَرَأَيْتَ أَبَا جَعْفَرٍ؟ فَيَقُولُ لَا وَ هُوَ عليه السلام وَاقِفٌ! حتّى دَخَلَ أَبُو هَارُونَ الْمَكْفُوفُ، فَقَالَ سَلْ هَذَا، فَقُلْتُ: هَلْ رَأَيْتَ أَبَا جَعْفَرٍ؟ فَقَالَ: أَلَيْسَ هُوَ وَاقِفًا؟ قُلْتُ وَ مَا عِلْمُكَ؟ قَالَ وَ كَيْفَ لَا أَعْلَمُ وَ هُوَ نُورٌ سَاطِعٌ!»؛ (الخرائج و الجرائح، ج٢، ص٥٩٥). و إضافةً إلى هذا الأمر المهمّ، فليست الرؤية من شروط الحضور في محضر الإمام عليه السلام و التشرّف بلقائه كما الحال بالنسبة إلى الأشخاص العاديّين، إذ إنّ الحديث معهم عليهم السلام لا يتوقّف على رؤية المخاطب.

قِف هُنيهةً و تأمّل ترادف ما حَوته هذه الحادثة من نكاتٍ دقيقةٍ و لطيفةٍ جدًّا، فمن النكات اللطيفة الجليّة في هذه القضيّة أنّ هذه الحادثة تعود إلى عهد شباب آية الله الشيخ البهجة ﷺ، و هذا ما يكشف أنّ لقاءات سماحته ﷺ ليست مختصّةً بمرحلة كهولته و لا أنّه أدركها بعد عمرٍ قضاه في طاعة الله تعالى و تجنُّب معاصيه و الإقبال على عبادته، بل قد نالته الرحمة الخاصّة تحت سُرادقات عرش أكرم الأكرمين، فأيّد ظاهره في تحصيل مراضيه و نوّر قلبه و سرّه بالاطّلاع على نور الله في الأرضين و التشرّف بمحضره الكريم منذ أمدٍ بعيد. و ذلك لأنّ مَن يُوفّق لبلوغ هذا المقام و يتمكّن من معرفة النور الأنوَر للإمام الحجّة عجّل الله فرجه الشريف في وجوه الفائزين بلقائه، فالأوْلى أن يكون قد تشرّف باللقاء و تكون طينته مجبولةً من هذا النور الأقدس، فيعرفه و يستأنس به. فهو منذ ريعان شبابه قد وَقَف روحه النقيّة على المحضر الشريف لوليّ العصر عجّل الله فرجه الشريف، و لم يغفل لحظةً واحدةً عن مراقبة ذلك الحضور في المحضر المقدّس و عن المواظبة على طهارة باطنه و نقاوة فطرته و سلامة قلبه و كبح جماح نفسه. أرادته الدنيا فلم يُردها و أسرته ففدى نفسه منها، كان يُمسي و همّه الشكر و يصبح و همّه الذكر، و لذلك تعجّلت له السعادة بمشاهدة الإمام عجّل الله فرجه الشريف و لم يتأخر اليُمن بلقائه و سقاه الإمام عجّل الله فرجه الشريف من حوضه بِكَأسه و بِيَده رَيًّا رَويًّا هَنيئًا سائغًا. أمّا تانك العينان اللتان حصّنهما من التلوّث بالمعاصي و الانخداع بزخارف الدنيا منذ أن فُتِحَتَا عليها، فلذلك قرّتا بالنظر إلى النور الحقيقيّ[1]. و لذا فإنّ جسمه و روحه الطاهرَين اللّذَيْن جعلهما وَقْفًا على رضا الله

---

(١) بين أيدينا لمّةٌ جَمّة من الحكايات الّتي تدلّ على شخصيّة آية الله الشيخ البهجة ﷺ المُثلى و ذاته الصافية الّتي تجلّى نورها على مرآة نفسه الطاهرة، فانعكس ضياؤها على لوح وجوده و تراءى لنا غيضٌ من فيض طهارتها و نزاهة جوارحها و جوانحها عن كلّ معصيةٍ منذ بزوغ شبابه، و من هذه الحكايات نذكر هذه القضيّة الّتي كان يكرّرها بعنوان الالتفات إلى الجمال الحقيقيّ و عدم الاعتناء بالجمال الدونيّ و الدنيويّ، و في كلّ مرّةٍ كان يَستَلهِم منها دروسًا جديدةً و يتحفنا بفوائد كبيرة. ننقل مضمونها عن لسان سماحته ﷺ:

«مرض أستاذنا آية الله الشيخ محمّد حسين الأصفهاني ﷺ، فنقلوه إلى بغداد للعلاج، ذهبنا ـ نحن بعض تلامذته ـ لعيادته إلى مستشفى بغداد. عندما دخلنا الغرفة كان أستاذنا ممدّدًا على السرير، و لم يخطر على أذهاننا سوى لقائه، حينئذٍ تفقّدنا حاله، بقينا بضع دقائق في محضر الأستاذ ثمّ خرجنا. الأمر الوحيد الّذي فهمناه أنّ في غرفة الأستاذ ـ كالمعتاد ـ يوجد شخصٌ آخر معه، لاحظنا هذا المقدار فقط أنّ في الغرفة سريرَين، لكن لم نلتفت إلى غير هذا أبدًا. بعد أن شُفيَ أستاذنا و عاد إلى النجف، نقل لنا قضيّة، إذ قال: حين أتيتُم إلى عيادتي في المستشفى، كان في الغرفة سريران، أنا و الآخر شابٌّ بغداديٌّ نصرانيّ، أنتم جئتم إلى عيادتي ثمّ خرجتم، و بقينا نحن الاثنين وحدنا، التفت إليّ الشابّ المسيحيّ و قال: أيّها الشيخ أريد أن أسألك سؤالًا، نحن نصارى و أنتم مسلمون، أريد

عزّ و جلّ منذ حداثته، كانا في محضر وجه الله تعالى. إنّ حصول هذه المنقبة لدليلٌ ساطعٌ على عمق ارتباط آية الله الشيخ البهجة ﷺ بإمام عصره بقيّة الله ﷺ منذ نشأته، ارتباطًا كان مستمرًّا طيلة عمره الشريف، يزداد ترسّخًا و استحكامًا مع تقادم الأيّام، و في رُقيّ و طيّ لدرجات القرب و الكمالات الإلهيّة. فأصبح ﷺ ذا منزلةٍ لا مثيل لها، أو على الأقل قلّ مثيلُها بين العلماء الربّانيّين على مدى الدهور و الأزمان، حتّى حُمِل في سفينة النجاة و مُتّع بلذيذ المناجاة مع بقيّة الله ﷺ، و ورد حياض حبّ خليفة الأبرار و بقيّة الأطهار و خازن الأسرار و منتهى الأدوار ﷺ. نعم، لقد بلغ أشدّه و استوى حائزًا هذه المنزلة العظيمة لدى إمام عصره[1] و صار منذ عنفوان شبابه مَحْرَم الأسرار، بحيث يرى كلّ مكانٍ يبهج بنور الوجود

أن أسألك سؤالًا بصفتك عالمًا مسلمًا، قلت: حسنًا تفضّل. قال: لماذا أنتم المسلمين تكرهون الجمال؟! قلت: كيف ذلك؟! ما الّذي حصل؟ لماذا تقول نحن نكره الجمال؟! قال: حين جاء تلاميذك إلى لقائك و عيادتك، كنتُ ملتفتًا التفاتًا تامًّا إليهم، و رأيت أنّهم كانوا جميعًا في عنفوان الشباب. و بما أنّني شابٌّ مسيحيّ، فجميع الّذين أتوا إلى عيادتي فتيات شابّات و حسناوات، و ثيابهنّ غير مستورة و أجسامهنّ شبه عارية حسب تقاليدنا و عاداتنا في اللباس. كنّ شابّات و جميلات جدًّا. أنا كنت منذ البداءة أراقب و أنظر، لم أرَ واحدًا من أولئك الرجال الّذين كانوا بقربك قد ألقى نظرةً صغيرةً إلى هؤلاء الشابّات. لماذا تنفرون من الجمال؟ قال أستاذنا: حسنًا، ماذا يجب أن أقول له؟ و أردف قائلًا: قلت له، نحن لا ننفر من الجمال، نحن نغضّ الطرف عن الجمال الأدنى حتّى ننظر إلى الجمال الأعلى! فسكت ذلك الشاب».

نعم، من كان مُراقبًا لعينَيه في كلّ حالٍ، غاضًّا بصره عمّا حرّم الله عليه في كلّ آنٍ، لن يلتفت إلى حضور الفتيات الشابّات، أو ذهابهنّ و إيّابهنّ، فضلًا عن كبح النفس عن النظر إليهنّ. هكذا هو حال الأبرار الأتقياء، و منهم الشيخ المقدّس البهجة ﷺ الّذي قد براه الخوف بريَ القِداح، لم يغضّ بصره عن الحرام و اللغو فحسب، بل صرف تفكيره عن المباحات غير الضروريّة أيضًا، بحيث إنّه لم ينتبه إلى دخول الآخرين إلى الغرفة أو خروجهم منها، فضلًا عن أن ينتبه إلى أنّهنّ شابّاتٌ حسناوات، فمن الطبيعيّ و البديهيّ أنّ مثل هذه الأعيُن الّتي تتحفّظ من جميع النواحي عن النظر إلى غير الضروري فضلًا عن اللغو، علاوة على النظر إلى الحرام، تُصبحُ مؤهلةً لأن ترى الأنوار الإلهيّة، و هكذا انقشعَت حجب النور عن بصيرته و أنار بصر قلبه بضياء النظر إلى محبوبه، فكان نوره ﷺ مكشوفًا لديه و واضحًا كالشمس المشرقة الّتي ما حجبها سحابٌ عن ناظرَيه. لكن نحن الّذين ربّما لا نواظب على الابتعاد عن الحرام، فتصبح نفوسنا مملوءة بالغفلة و السهو، تسرع بنا إلى الحَوبة و تسوّفنا بالتوبة، لا يمكننا أصلًا أن ندرك وجود مثل هذه المرتبة، أو أن نصدّق أنّه من الممكن أن يكون لأحدٍ مثل هذا المقام الرفيع، بحيث يمكنه أينما حلّ الإمام ﷺ و تشرّف أحدٌ بلقائه، أن يرى الأنوار و الآثار الناجمة عن ذلك الحضور. نعم ليس من السهل بالنسبة إلينا نحن الّذين لا نملك أيّ تصوّرٍ عن مراتب التقوى هذه أن نصدّق مثل هذه المقامات!

(١) إنّ بلوغ المقامات العالية و طيّ مدارج الكمال في سنّ الشباب ليسا بالأمر المستبعَد أبدًا. فمن بين أصحاب الأئمّة الطاهرين ﷺ كان هنالك أشخاصٌ عديدون وصلوا إلى مراتب عالية على الرغم من حداثة سنّهم، منهم مثلًا

المقدّس لإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. قد كُشف الغطاء عن بصره و انتفت مُخالجة الشكّ عن قلبه و انشرح بتحقيق المعرفة صدره، فكان ذلك النور المهدويّ مُشعًّا و بيّنًا له، لا يشوبه ريبٌ أو تردّدٌ فيما يُبصره. فمع أنّه وجد ذلك العالِم كفيفًا، و قد أنكر مرارًا حصول اللقاء، و أنّ كلّ ظواهر القضيّة كانت تدلّ على عكس ما يدركه سماحته رحمه الله، إلّا أنّ يقينه لم يتزعزع، و كلّما زاد إنكار ذلك العالم زاد إصرار الشيخ رحمه الله، ذلك لأنّه كان يرى بوضوحٍ نور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في وجوده، و لا يمكنه إنكار ذلك النور الّذي هو بالنسبة إليه أكثر توَهّجًا من شعاع الشمس، و إنكار المرئيّ عنده كالّذي يقول له في واضحة النهار: الآن ليلٌ مظلم! لذلك نراه قد كرّر سؤاله مع ذكر إشاراتٍ و علاماتٍ، و هذا يدلّ على شموليّة اطّلاعه على آثار ذلك اللّقاء حتّى اضطرّ ذلك العالم إلى الإقرار بعد الإنكار، و نقل قضيّة تشرّفه باللقاء لمَحْرَم أسرار القلوب.

مَوطِئ قدم الحبيب...

لا يُلام المرء حين يحبّ فيسرف في حبّه، أو حين يهوى فيشتدّ به الهوى، إن كان هذا الحبّ لمهديّ الأمم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، بل يتضاءل أمام كماله الهوى و يتصاغر في جنب جماله الجوى. وكذا كانت حال آية الله الشيخ البهجة رحمه الله، قد خلع نعلَيه عند الوادي المقدّس طوى، ثمّ سلك مسلك أهل الجذب حافيَ القدمَين، يتردّد في الآثار باحثًا عن تجلٍّ من أجمل تجلّيات الرحمن وكلّ تجلّيات جماله جميلة. قد ترسّخت أشجار الشوق إلى وجه الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف في حديقة صدره، و أخذت لوعة محبّته بمجامع قلبه، و نفَت غَيبته رُقاده و ضيّقت عليه مهاده، و ابتزّت منه راحة فؤاده، كلّما أضاء نورٌ على أعتاب متلهّفٍ إلى اللّقاء، تراه يشمّ عطر ثرى الأعتاب، فيشتعل منبع وجوده شوقًا جديدًا، و تحنّ روحه إلى موطئ قدمٍ يُزهر في محيّاه. أمّا نحن الّذين ألقينا يوسُف هذه الأمّة في غيابة جبّ الغَيبة، و أخّرنا بذنوبنا تأويل رؤياه الحقّة بالفرج التّامّ العامّ، فقد أوينا إلى كهفه الحصين غير آيسين

هشام بن الحكم الّذي كان من أعاظم تلامذة الإمام الصادق عليه السلام الأجلّاء. و قد رُويت عدّة أحاديث مدَحه فيها الإمامان الصادق و الكاظم عليهما السلام و أثنيا عليه فيها. كان هشام بن الحكم مُقيمًا في الكوفة، و في إحدى المرّات قدِم على الإمام عليه السلام في مِنى و هو يافعٌ لم يطُرّ شاربه، وكان في حضرة الإمام عليه السلام حينها كبار الشخصيّات و العلماء الشيعة مثل حمران بن أعين، و قيس الماصر، و يونس بن يعقوب و أبي جعفر الأحول و آخرين، فأبدى له الإمام عليه السلام الكثير من الاحترام، و أجلسه بجانبه، فشعر أنّ تجليله و تعظيمه قد ثقلا على قلوب المسنّين، فقال عليه السلام: «هذَا ناصِرُنَا بِقَلبِه وَلِسانِه وَيدِه»؛ الفصول المختارة، ص٥٢.

من رَوْح الله، نبثّ شكوانا إليه و لسان الحال: ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ و لذا يكفينا من رمق الحياة أن نسمع من تلك الأخبار، منها ما رواه حجّة الإسلام الشيخ مهدي بور[1] قائلًا:

«كان لي صديقٌ من أهل العلم و رجال الدين، و هو من السادة الشرفاء، و لقب أسرته «فاطميّ». كان يسكن في بيتٍ لا يفصله عن حرم السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام إلّا الجسر المعروف بـ«پُل آهنجي»، و يقع بيته في زقاقٍ ضيّقٍ يتفرّع من زقاق «حرم نما». كان ذلك الزقاق ضيّقًا إلى درجة أنّ الإنسان يعبره بصعوبةٍ شديدةٍ. كان منزل السيّد وسط ذلك الزقاق، و له بابٌ يُفتح على حجرةٍ خاصّةٍ يستقبل فيها ضيوفه، و هذه الحجرة كانت مَكتَبته أيضًا، و خلفها حجرةٌ أخرى داخليّةٌ تسكن فيها أسرته. في أحد الأيّام أفضى إليّ بما في قلبه حول بعض القضايا المعنويّة، فنصحت له قائلًا: اذهب إلى جمكران، مثلًا اذهب أربعين ليلةَ أربعاءٍ إلى جمكران. فذهب أربعين ليلة أربعاءٍ إلى مسجد جمكران المقدّس. كان يقصده في السحر و يقوم بما ينبغي له من الأعمال و العبادات ثمّ يعود عند شروق الشمس. ذهب أربعين ليلةً بنيّة لقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لكنّه لم يحصل على أيّ نتيجةٍ، فحدّثني بما جرى معه قائلًا: «حين انتهت الليلة الأربعون استأت كثيرًا، و عدت إلى البيت، فتحت الباب، و توجّهت نحو المكتبة مباشرةً، خلعت ملابسي و استلقيت بثياب المنزل لعلّني أغفو قليلًا، فأعصابي كانت مضطربةً و أنا متوتّر. قلت في قرارة نفسي: «إنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يحسب لنا حسابًا، انقضَت أربعون ليلةً و لم يقابلني لا في المنام و لا في اليقظة، حتّى إنّني لم أرَ منامًا واحدًا!». ما إن أغمضتُ عينَيَّ وكدتُ أغفو، حتّى قُرِع باب المنزل، قلت: مَن على الباب؟ فتحته فرأيت سيّدًا واقفًا أمام الباب. و بما أنّني لم

(١) أحد علماء الدين و الوعّاظ المعروفين في لاهيجان وكان يذكر سبب معرفته بآية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه على هذا النحو: «كان موعد اعتمارنا العمامة أنا و عدد من الطلبة في مدرسة «خان» بحضور آية الله السيّد البروجرديّ (الذي كان مرجعًا عَلمًا)، سألَنَا سماحته من أين أنتم؟ فأجبته: نحن من جيلان، فردّ فورًا: جيلان؟! الشيخ البهجة! و أشار بيده إلى أحد الأشخاص و قال: اذهبوا إلى الشيخ البهجة ليُعمّمكم. و في ذلك الحين، نحن لم نكن قد سمعنا قطّ باسم الشيخ البهجة قدّس سرّه، لكنّنا ذهبنا إلى حيثُ أشار السيّد البروجرديّ قدّس سرّه، فرأينا شيخًا وَقورًا جدًّا، كان جالسًا في زاويةٍ بكلّ هدوءٍ و هيبةٍ و جلالةٍ، و في يده سبحة، و في حالة ذِكرٍ دائم. وصلنا إلى محضره و أخبرناه أنّ السيّد البروجرديّ طلب أن نتعمّم على يدَي سماحتكم. فوضع العمائم على رؤوسنا، وكانت هذه مقدّمة معرفتنا به».

أكن على ما يرام، و كنت حزينًا جدًّا، قلت له بحدّةٍ: نعم؟ نظر في وجهي، و قال: السلام أوّلًا، ما هذه «نعم»؟! أجبته بحدّةٍ: أيّها السيّد إن كانت لك حاجةٌ قُلها، و إلّا فلا تأخذ من وقتي! لكنّه قال: أنت مَن كانت لك حاجةٌ إلينا، نحن لم تكن لنا حاجة إليك! غضبتُ و أغلقت الباب بقوّةٍ، و قلت في نفسي: أنا الآن مضطرب الأعصاب، و هذا السيّد يتحدّث معي بهذه الطريقة! لكن ما إن أغلقت الباب حتّى تذكّرت أنّه قال لي: أنت مَن كان لك حاجةٌ إلينا، نحن لم يكن لنا حاجة إليك! قلت في نفسي: ما الّذي يعنيه؟ أَهو الإمام المهديّ (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) الّذي ذهبت كلّ ليالي الأربعاء تلك من أجل لقائه؟ ففتحت الباب فورًا لكنّني لم أجد أحدًا في الزقاق! ركضت هنا و هناك، لم أرَ أحدًا في الزقاق أبدًا! لم يكن هناك أيّ أثرٍ لأيّ شخص!». ثمّ أضاف السيّد فاطميّ: «إنّ هذا ما حدث لي، لقد تزعزع كياني!».

بعد مرور مدّةٍ، في أحد الأيّام قال لي السيّد فاطميّ: أريد أن أدعو آية الله الشيخ البهجة (قدّس سرّه) إلى مأدبة الغداء في منزلي، هل يقبل دعوتي؟ قلت: بلى إنْ دعَوتَه سيُلبّي دعوَتك. فذهب و دعاه، فوافق سماحته. ذهبت أنا إلى محضر الشيخ و اقترحت على سماحته: سأُصلّي خلفك ثمّ نذهب معًا إلى منزل السيّد فاطميّ. لأنّني حسب الظاهر كنت أعتقد أنّ الشيخ البهجة لا يعرف بيت السيّد فاطميّ، و أنا أزعم أنّني سأصحبه إلى هناك. ظُهرًا و حسب الاتّفاق، ذهبت إلى المسجد و صلّيت خلف الشيخ البهجة (قدّس سرّه)، و من ثمّ توجّهنا معًا إلى بيت السيّد فاطميّ. كان الشيخ (قدّس سرّه) طيلة الطريق يحدّثني، إلى أن وصلنا إلى باب منزل السيّد فاطميّ. ما إن وقفنا أمام الباب، حتّى غيّر الشيخ الكلام كلّيًا و فجأة، و نظر إليّ مُبتسمًا و قال: «كأنّ الإمام (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) قد جاء إلى هذا الموضع أيضًا!».

طيلة الطريق كان موضوع الحديث أمرًا آخر تمامًا، لكن ما إن وصلنا إلى باب المنزل، و من دون أن نكون أنا أو السيّد فاطميّ قد ذكرنا له شيئًا عن تلك القضيّة قطّ، حتّى قال تلك العبارة و هو يبتسم. و من ثمّ قرعنا الباب و دخلنا!».

هكذا تخضرّ و تبهجُ بالأنوار الأزليّة كلّ أرضٍ وطأتها قدم إمام الزمان (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، و يتّشح المكان بوشاحٍ من نورٍ باقٍ من النور القويم و النبأ العظيم و الصراط المستقيم، خلفاء النبيّ

الكريم و أمناء العليّ العظيم، ذريّةٌ بعضها من بعض. و هذا ليس بالأمر العجيب، بل هو أقلّ ما يمكن أن تتركه قدمه المباركة من الآثار المعنويّة في محلّ موطئها، أفلا ترى إلى مواضع آثار أقدام الأئمّة الأطهار عليهم السلام في أنحاء البلدان كيف غدَت ملجأً لطالبي الشفاء و موئلًا لأصحاب الحاجات و سردابًا لنزول الفيوضات و البركات؟![1] لكن لله درّ شيخنا المقدّس! قد أيّد الله تعالى ظاهره في تحصيل مراضيه، و نوّر قلبه و سرّه بالاطّلاع على مناهج مساعيه، فألهمه مواضع نور حضور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، إذ لم يكن فقط يعرف من التقى بالإمام عليه السلام و لو مرّة واحدة في عمره، إنّما كان يعرف أيضًا ـ بإذن الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و إرادته ـ المواضع الّتي مرّ بها الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و حضر فيها. و أصبحت آثارُ أقدامِ مولاه واضحةً أمامه إلى هذا الحدّ، بحيث يعرف بدقّةٍ المكان الّذي قصده عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فالله تعالى الّذي لا صارف لِمَا وجّه، قد وجّه إليه كلّ

---

(١) لا يخفى على العاقل اللبيب أنّ لمواضع أقدام الأئمّة عليهم السلام آثارًا و بركات خاصّة، كما أنّ لمكان نزول جبرئيل عليه السلام أيضًا آثاره التكوينيّة. فحتّى التراب الّذي يمرّ عليه مركب جبرئيل عليه السلام، يختلف عن غيره من الأتربة، و له القابليّة بأن يجعل الجماد كأنّه حيّ، و هذا الأثر نافذٌ و مؤثّر، بحيث إنّ السامريّ مع كلّ خبثه و رذائله كان متيقّنًا من تلك الآثار و الخواصّ: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾ (سورة طه، الآية ٩٦). فكيف لا تكون للأماكن الّتي يزورها الأئمّة المعصومون عليهم السلام آثارٌ تكوينيّةٌ؟ و بسبب هذه الآثار الظاهريّة و الباطنيّة، كان التبرّك بالأماكن و الأشياء المنسوبة إلى أهل البيت عليهم السلام منذ عهد الرسول صلّى الله عليه وآله موضع تأكيد المعصومين عليهم السلام و الحثّ عليه، وكان شائعًا في سِيَر أصحابهم و المتشرّعين، إذ كانوا يتوسّلون بهذه الآثار للاستشفاء من الأمراض الروحيّة و الجسديّة، و قد رُوِيَ أنّ عليًّا عليه السلام كان يغسل وجهه بالماء الّذي يتوضّأ به رسول الله صلّى الله عليه وآله وكان يصبح مورد عناية رسول الله صلّى الله عليه وآله و ثنائه، إذ قال له: «أنت سيّد العرب»؛ (فضائل أمير المؤمنين، ص٢٠). و ورد عن عروة بن مسعود في وصف أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه حين كان النبيّ صلّى الله عليه وآله يتوضّأ كان أصحابه يقتتلون على ما يفضل من ذلك الماء! (الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة عليهم السلام، ص١٧٢؛ بحار الأنوار، ج٢٠، ص٣٣٢). و لقد ورد عن الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله أنّه خاطب أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «لولَا أَنْ تَقُولَ طَوَائِفُ مِنْ أُمَّتِي مَا قَالَتِ النَّصَارَى فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ لَقُلْتُ فِيكَ الْيَوْمَ قَوْلًا لَا تَمُرُّ بِمَلَإٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَخَذُوا مِنْ تُرَابِ رِجْلَيْكَ وَفَضْلِ طَهُورِكَ يَسْتَشْفُونَ بِهِ»؛ (المسترشد في إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ص٦٣٤؛ شرح الأخبار، ج٢، ص٣٨١؛ الأمالي للصدوق، ص٦١١؛ أعلام الورى، ص١٨٦). و يقول الإمام الصادق عليه السلام في وصفه لقومٍ لم يأثموا قطّ، و لم يروا إبليس: «إِذَا رَأَوْا مِنَّا وَاحِدًا... اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَأَخَذُوا مِنْ أَثَرِهِ إِلَى الْأَرْضِ يَتَبَرَّكُونَ بِهِ»؛ (البصائر، ج١، ص٤٩١). رُوي كذلك أنّ الإمام الرضا عليه السلام ذهب إلى منزل أحد أصحابه لعيادته، يُدعى عليّ بن عبيد الله، و بعد خروج الإمام عليه السلام من ذلك المنزل خرجت زوجة عليّ بن عبيد الله الّتي كانت وراء الستر، و انكبّت على الموضع الّذي كان الإمام الرضا عليه السلام فيه جالسًا تقبّله و تتمسّح به، حين بلغ الإمام الرضا عليه السلام ما فعلته المرأة، وصفها أنّها من أهل الجنّة؛ (بحار الأنوار، ج٤٩، ص٢٢٣). و هذا أيضًا حال أصحاب إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فقد جاء في وصفهم: «رِجَالٌ كَأَنَّ قُلُوبَهُمْ زُبَرُ الْحَدِيدِ لَا يَشُوبُهَا شَكٌّ فِي ذَاتِ اللَّهِ أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ لَوْ حَمَلُوا عَلَى الْجِبَالِ لَأَزَالُوهَا... يَتَمَسَّحُونَ بِسَرْجِ الْإِمَامِ عليه السلام يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ»؛ (بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٠٨).

خير، و لا فاتح لما أغلق، قد أغلق عليه باب الغَيبة، و لا مغلق لما فتح، قد فتح له باب الفرج الخاصّ بطَوله و كسر عنه سلطان همّ الفراق بحَوله، و أناله حسن النظر، كما أذاقه حلاوة الصنع، فوهب له من لدنه رحمةً و فرجًا هنيئًا، فكان دائم الحضور في محضر وجه الله الميمون عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فانظر كيف يصبح ذلك الّذي لا يخطو خطوةً واحدةً إلّا حيث خطت أقدام مواليه و ساداته، و لم ينحرف شبرًا واحدًا أو أقلّ من ذلك عن صراطهم المستقيم، لا في المعتقدات و لا في الأعمال، جديرًا بمعرفةِ آثار القدم المباركة للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى هذا الحدّ، و أن يرى بعينَي القلب نورها و بهيجها. و هذه هي الحكمة من أنْ يصبح سلمان، و سلمان كلّ زمان: «مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»[1].

بُثَّ الحنينُ بين حبيبٍ و غريب

هو شابٌّ عاشقٌ، اشتدّ به الشوق فجعله مولَعًا بلقاء بقيّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لبلوغ المُنى و تسكين لظى الروح و لو بنظرةٍ واحدةٍ منه إليه يكحل بها ناظره، توسّلَ كثيرًا خاصّة بسيّد الشهداء عليه السلام، و قد تشرّف مرّاتٍ و مرّاتٍ بزيارة حرمه المطهّر. كان يلثم شبّاك الضريح بحرقةٍ لعلّ كفّ المعشوق قد لمسته ها هنا، و لسان حاله: «أين وجه الله الّذي إليه يتوجّه الأولياء...؟ أين الطالب بدم المقتول بكربلاء...؟». و بما أنّه كان على يقينٍ أنّ الدعاء تحت القبّة المطهّرة لسيّد الشهداء عليه السلام مستجابٌ البتّة، كان دائمًا يطلب حاجته هناك، و أيّ حاجةٍ أعظم على قلب المحبّ من لقاء محبوبه؟! و بالفعل نال كفلين من رحمة الله تعالى، إذ تحرّر من أصفاد البعد و بات قريب المسافة من اللقاء، قد فتح بدعائه أبواب القبّة السامية، فوجد سبل المطالب مُشرَعةً و مناهل الرجاء مُترَعةً، و هكذا ارتفعت الشكوى و تعجّلت الإجابة، فأخبر عن ذلك قائلًا:

«في إحدى زياراتي للحرم المطهّر، حين كنت تحت القبّة في إحدى الزوايا السِتّ للضريح الطاهر متشبّثًا به، خطر ببالي فجأةً أنّني تشرّفت بزيارة الإمام عليه السلام مرّات عديدة، و طلبت حاجتي و أنا تحت قبّته، و أنا متيقّنٌ أنّ الدعاء هنالك مستجابٌ. لكنّني لم أحظَ بأيّ لقاءٍ بمحضره القدسيّ في اليقظة! فجأةً اضطربت و شعرت بالاستياء، و تملّكني الغضب، و بدأت أُعاتب الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أقول له:

(١) قال النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله في حقّ الصحابيّ الجليل سلمان الفارسيّ: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»؛ عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٦٤.

مولاي أنا أُذعن و أعترف أنّني احتطبت الذنوب على ظهري! عيناي لا تستحقّان رؤية جمالك الربّانيّ. أساسًا أنا أسوأ البشر! لكن هذا جدّك، و أنت تحبّ جدّك حبًّا جمًّا. و أنا أيًّا كانت إساءتي فإنّ حبّك لجدّك و لطفك أكبر من آثامي. إضافةً إلى ذلك كلّه أنا طلبت حاجتي تحت هذه القبّة الشريفة، و أنتم أهل البيت علّمتمونا أنّ الدعاء تحت هذه القبّة مستجابٌ. إذًا ماذا حصل؟ و هل ذنوبي أكبر عندكم من عظمة قبّة جدّكم و منزلتها؟ هيهات هيهات، ليس كذلك! و بينما أنا على هذه الحال أعاتب سيّدي بغضبٍ و انفعالٍ، وقعَت عيناي فجأةً على سيّدٍ في هيئة أهل العلم و رجال الدين، جالسٍ مقابل الضريح، يحتضن إحدى ركبتَيه، و فقط ينظر إلى الزوّار و الضريح بحرقةٍ و ألمٍ شديدَين. كان وقورًا جدًّا، و جماله أخّاذًا، و النور يشعّ من محاسنه. كان جذّابًا إلى حدٍّ أنّني صرت كمن فقد الوعي و أنا أحدّق في وجهه. لكن فجأةً تذكّرت أنّ لديّ حاجةً مهمّةً، و أنا في حالة عتابٍ، عدت و توجّهت نحو الضريح، و كرّرت الكلام نفسه. لكن بما أنّ جمال ذلك السيّد قد جذبني، قلت في قرارة نفسي، فلأنظر إليه مرّةً أخرى، و لا إراديًّا أعدت النظر إليه. لكن بما أنّني كنت طوال الوقت محتجًّا و مستاءً لعدم استجابة دعائي، اعترضت في قرارة نفسي على هذا السيّد، قائلًا في نفسي: بكلّ ما وهبك الله من هيبةٍ و بهاءٍ و جمالٍ و وقارٍ، و من الواضح أنّك عالمٌ كبيرٌ، قُم و اقرأ زيارةً أو صلِّ ركعتَين مندوبتَين على الأقلّ بدلًا من أن تجلس و لا تفعل شيئًا سوى النظر إلى الضريح و الزوّار، و أنتَ جالسٌ في أقدس بقعةٍ في العالم! ثمّ عدت من جديدٍ إلى حالتي السابقة معاتبًا الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و أقول له لِمَ لا تقبَلْني؟ و لكن من جديدٍ جذبني قلبي نحو ذلك السيّد الشديد الوقار و الهيبة، و قلت فلأتابع حركاته الوقورة، لأنّ رؤيته تبهجني، لكن حين رأيته لا يقرأ الزيارة أصلًا، و لا يفعل شيئًا سوى النظر إلى الضريح تارة و إلى الزوّار تارة أخرى، انشغلت بنفسي، و خاطبت سيّد الشهداء عليه السلام معترضًا: فلْتقل شيئًا لابنك عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ليرضى عني و يوافق على لقائي. و أنا في هذه الحال، التفتُّ إلى نفسي، و قلت، لعلّه هو نفسه؟! لعلّه هو مطلبي؟! لعلّه هو الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟! مرتاعًا، التفتُّ إلى حيثُ كان ذلك السيّد الموقّر جالسًا، نظرت فلم أرَ أحدًا، ويكأنّه غاب في بضع الثواني تلك. ذهبت بسرعةٍ لأبحث عنه في الأروقِة المحاذية و في الصحن الشريف، فخروجه من الحرم

بنحوٍ طبيعيٍّ كان يستغرق على الأقلّ بضع دقائق، لكنّني لم أجد له أثرًا، تيقّنت حينئذٍ أنّه هو إمامي و سيّد العالم. لكن بما أنّني لم أكن أريد أن أقول إنّني حظيت باللقاء و يكون كلامي مجرّد ظنٍّ و في غير محلّه، و لأنّني كنت أعتقد أنّ أيّ تشرّفٍ باللقاء، حتمًا سيطّلع عليه آية الله الشيخ البهجة ﷺ، فقد كنت مؤمنًا أنّه من أقرب الأشخاص إلى حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لذلك قلت في قرارة نفسي: حين أعود إلى قمّ، و أتشرّف بمحضره، إن قال لي شيئًا، يكون الّذي رأيته هو سيّدي و حبيبي و بُغيتي عجّل الله تعالى فرجه الشريف. حين عدت إلى قمّ، شاركت في صلاة آية الله الشيخ البهجة ﷺ، و بعد أن أنهى الصلاة و خرج من محرابه، بمجرد أنّ سماحته وصل قبالتي حتّى نظر إليّ، و من دون أن أنبس ببنت شفةٍ أبدًا، ابتدأني بالكلام: «تشرّفتم!»، لم أعرف إن كان يخبرني بما جرى، أم أنّه يسألني. و لأنّه بعد أن لفظ هذه الكلمة، لم ينتظر الجواب، و مرّ بسرعةٍ من أمامي، فهمت أنّ ذلك كان منه إخبارًا، لأنّه لو كان سؤالًا لَانتظر منّي على الأقل كلمةً واحدةً جوابًا عن سؤاله!».

هكذا هي سجيّة أولياء الله سبحانه، فَهُمْ في رياض القرب و المكاشفة يرتعون، و من حياض المحبّة بكأس الملاطفة يكرعون، قد كُشف الغطاء عن أبصارهم، و هم مصابيح الدُّجى[1] كما صرّح الأئمّة المعصومون عليهم السلام، فكانوا الأدلّاء و المعايير الّذين تُضبط بواسطتهم مُشاهدات المؤمنين و مكاشفاتهم. لقد منح الله عزّ و جلّ وليّه المقدّس ﷺ تلك المنزلة العظيمة بحيث عرَف أنّ عينَيْ هذا الفتى قد اكتحلتا و تبرّكتا بنور وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أنّ هذا الكحل جديدٌ و غضّ، من دون حتّى أن يطرح ذلك الفتى مطلبه أو يُجري كلمةً واحدةً على لسانه. لقد رأى فيه حالة الاسترشاد و الاستفسار، فأجابه بكلمةٍ مختصرةٍ جدًّا، و من دون أن يلفت انتباه المحيطين به، مَهَرَ بأسلوبه الخاصّ سرَّ الفتى بخاتم التأييد.

---

(١) رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ذَاتَ يَوْمٍ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: اللَّهُمَّ لَقِّنِي إِخْوَانِي مَرَّتَيْنِ فَقَالَ مَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: أَمَا نَحْنُ إِخْوَانُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: لَا إِنَّكُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانِي قَوْمٌ مِنْ آخِرِ الزَّمَانِ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي، لَقَدْ عَرَّفَنِيهِمُ اللَّهُ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ أَصْلَابِ آبَائِهِمْ وَأَرْحَامِ أُمَّهَاتِهِمْ. لَأَحَدُهُمْ أَشَدُّ بقية عَلَى دِينِهِ مِنْ خَرْطِ الْقَتَادِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ أَوْ كَالْقَابِضِ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الدُّجَى يُنْجِيهِمُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ»؛ بصائر الدرجات، ج١، ص٨٤.

إنّ القضايا الّتي أسلفنا ذكرها في سفرنا النفيس هذا ما هي إلّا جزءٌ قليلٌ من كثير، و غيضٌ من فيض الوقائع المُعلَن عنها، فلم يكن ما نقلناه سوى لمحةٍ من لمحات نورها المبين و سطعةٍ من سطعات هذه الجوهرة القدسيّة المكنونة. و ما أكثر الأحداث الّتي كانت من مكنون سرّ الله و مخزون علم الله، فظلّت مخفاةً و مكتومةً إلّا عن أهلها. و ما أكثر الحقائق غير الممكن ذكرها لئلّا يكون في بيانها نوعٌ من إفشاء الأسرار. لكنّ هذا القدر المذكور كان أصفى من قطرات المُزن، و يكفي العاقل المُنصف ليُدرك شدّة الأنس و القرب بين العبد آية الله الشيخ البهجة ﷺ، المحبّ الّذي أخلص سرّه لمولاه و بين إمام زمانه ﷺ، و ليستضيء بنور مشكاة معرفة وليّ الله فيَمضي قُدمًا في مسالك أهل الجَذب، مُقتديًا بهم في معرفةِ إمامه ﷺ و الشغف به و متتبّعًا آثارهم لأنّهم أولياء الحجّة ﷺ و حواريّوه، و ليوالي بذلك وليَّ وليِّ الله فيصبح وليَّ الله، كما قال المعصومون ﷺ إنّ المرء يُوزَن بخليله[1]. إنّ قراءة هذه الأسطر و الاطّلاع على هذه المقامات يُرسّخان أشجار الشوق في صدر كلّ إنسانٍ عاقلٍ و يحرّكان فطرته لتوثيق ارتباطه بإمام الزمان ﷺ، لأنّه يرى أمامه نموذجًا و أسوةً حسنةً كآية الله الشيخ البهجة ﷺ، الّذي استطاع بالتوفيق الإلهيّ أن يصل إلى مثل هذا القرب و الاتّصال بإمام زمانه ﷺ، علمًا أنّ كلّ أمرٍ اختاره، و كلّ عملٍ قام به و أدّى به إلى البلوغ هذه المنزلة هو عملٌ مُمكنٌ و متيسّرٌ للجميع، إلّا أنّ الفرق الوحيد بينه و بين الآخرين أنّه تمسّك بأفضل زاد الراحل، ألَا و هو عزم إرادةٍ قد اختار الله تعالى و الإمام ﷺ بها، ثمّ استقام عليها و تمسّك بها، لذلك فإنّ الاطّلاع على هذه القصص يُضاعف وَلَعَ كلّ مُريدٍ للحقّ و يزيد أملَه، فتُصرف نحو إمام الزمان ﷺ رغبته و تجعل له سهره و سهاده فيربح صفقته أنْ كان له من قربه و حبّه نصيبٌ. لقد اتّخذَ الشيخ البهجة ﷺ من الحبّ شفيعًا و بذل ماء عينَيه في سبيل الله تعالى، فاستقى من محيطات أفلاك الأنوار راكبًا سفينة أهل البيت ﷺ، حتّى بلغ تلك المنزلة الرفيعة من الأنس الروحيّ و القلبيّ و القُرب العمليّ و الإيمانيّ في الوجود اللطيف لبهجة الصالحين، بحيث إنّ مناهل العطايا كانت في بعض الأحيان تفيض و تنبع من شفتَيه على الرغم من شدّة كتمانه و إخفائه، و إن رأى شَغوفًا قد عيل صبره و عاشقًا مولهًا قد أقامته الخصاصة بين يديه، يسقيه الجرعة الّتي يستحقّها.

---

(١) راجع: غرر الحكم، ص١١٣.

و من نماذج تلك النفحات الرحمانيّة الّتي تلتئم بسماعها جراح أشواقنا، ما رواه أحد الخواصّ المقرّبين من آية الله الشيخ البهجة ﷺ، إذ نقل ما قاله سماحته ﷺ في جلسةٍ خاصّةٍ جدًّا: «إنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف قبل مدّةٍ جاء إلى قمّ، و قد نصب خيمةً خارج قمّ، و دخل المدينة أيضًا، و لقد وَرَدَ [محلّة] «گذر خان» أيضًا، و مشى فيها، و جاء إلى المسجد[1] أيضًا». يقول ناقل الخبر: «بمجرّد وصول الشيخ ﷺ إلى هذا الموضع من الكلام خطَر ببالي فورًا و قلت في قرارة نفسي، حتمًا إنّه أتى أيضًا إلى منزله [أي منزل الشيخ البهجة]، و توقّعت أن يعترف بذلك في تتمّة حديثه، لكنّه فجأةً غيّر مجرى الحديث تمامًا!».

طبعًا ليس في حدوث هذا الأمر ما يُثير التعجّب، لأنّ نزول الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في الصحاري و خارج المُدن قد ذُكر في روايةٍ شريفةٍ واردةٍ في كتاب «كمال الدين»، و أنّ والده الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام كان قد أوصاه بذلك[2]. من ناحيةٍ أخرى، ليس عجبًا أن يتوجّه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى مختلف ديار المؤمنين و بلادهم، فهو حجّة الله في الأرض، و الطبيب الدوّارُ بطبّه كجدّه صلّى الله عليه و آله، و لا سيّما إلى تلك المُدن و الديار الّتي وُصفت بأنّها حرمُ أهل البيت عليهم السلام، و هي حتمًا موضع اهتمام إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ألطافه. كما أنّ مشيَه في سوق من أسواق المسلمين ليس مستغربًا أبدًا، لأنّه جاء في روايةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف «يَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمْ وَيَمْشِي فِي أَسْوَاقِهِمْ»، أي أنّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يمشي بين الناس و يسير في أسواقهم كما كان جدّه رسول الله صلّى الله عليه و آله الّذي هو أفضل منه يمشي في الأسواق، بل ذُكرت في الروايات عبارة أعظم و أهمّ في حقّ الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «وَيَطَأُ فُرُشَهُمْ وَلَا يعرفُونَه»[3]، و هذا يبيّن صراحةً مدى حضوره في المجتمع و عمقه و كثرته و مدى قربه من أفراده. و حتّى إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد أقسم في هذا السياق قائلًا: «فَوَرَبِّ عَلِيٍّ إِنَّ حُجَّتَهَا عَلَيْهَا قَائِمَةٌ مَاشِيَةٌ فِي طُرُقِهَا، دَاخِلَةٌ فِي دُورِهَا وَقُصُورِهَا، جَوَّالَةٌ فِي شَرْقِ هَذِهِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا تَسْمَعُ الْكَلَامَ وَتُسَلِّمُ عَلَى

---

(١) المسجد الّذي كان سماحة الشيخ ﷺ يقيم فيه صلاة الجماعة، و هو يقع في محلّة «گذر خان» و أصبح الآن محاذيًا لصحن الحرم المطهّر.

(٢) حين التقى عليّ بن مهزيار بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف قال له الإمام: «إِنَّ أَبِي عليه السلام عَهِدَ إِلَيَّ أَنْ لَا أُوَطِّنَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا أَخْفَاهَا وَأَقْصَاهَا إِسْرَارًا لِأَمْرِي وَتَحْصِينًا لِمَحَلِّي لِمَكَايِدِ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْمَرَدَةِ مِنْ أَحْدَاثِ الْأُمَمِ الضَّوَالِّ، فَنَبَذَنِي إِلَى عَالِيَةِ الرِّمَالِ وَجُبْتُ صَرَائِمَ الْأَرْضِ يُنْظِرُنِي الْغَايَةَ الَّتِي عِنْدَهَا يَحُلُّ الْأَمْرُ وَيَنْجَلِي الْهَلَع»؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٤٤٧.

(٣) الغيبة (للنعماني)، ص١٦٤.

الْجَمَاعَة»[1]. فما أقربه منّا و ما أبعدنا عنه! تُرى ما الّذي يحجبنا عنه؟ فلهفتنا عليه من مغيّبٍ لم يخلُ منّا و من نازحٍ ما نزح عنّا حتّى كأنّنا لم نخلُ طرفةَ عينٍ من طيب آثاره و فيوضات بركاته، فلله الحمد على تقديره الحَسن الجميل، و له الشكر على قضائه المعلّل بأكمل تعليل. و عليه، فلا عجَب من سموّ المطلب السالف الذكر و ما يحويه من الدُّرَرِ القيّمة، إذ إنّه موافقٌ لمعارف القرآن الكريم و أحاديث أهل البيت عليهم السلام الشريفة. و لكن العجَب كلّ العجَب من خلوص ذلك القلب إذ كان إناءً لمحبّة الله تعالى و وليّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، قد وقع النور فيها فانشرحَت و انفسحَت، و بات قلبه مفتوحًا، و فيه مصباحٌ يَزهر و لا يطفأ نوره إلى يوم القيامة، و في ذلك عبرةٌ لأولي الألباب. فالقلب حين يفرغ ممّا سوى الله فإنّه يصبح حرَم الله، و حين يصبح حرَم الله يكون حرَم وليّه كذلك، و حسب تعبير آية الله الشيخ البهجة قدس سره فإنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف سيطأ بقدمَيه الشريفتَين في ذلك القلب و يحضر فيه، بل يصبح هذا القلب مسجد الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و كذا كان قلب الشيخ المقدّس البهجة قدس سره فارغًا ممّا سوى الله تعالى إلى تلك الدرجة حتّى أصبح موطئ قدمَي الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فكان كمرآةٍ صافيةٍ مصقولةٍ يعكس آثار قيامه و قعوده عجّل الله تعالى فرجه الشريف فيه. و مع أنّ قلبه الأزهر الأنوَر قد بلغ هذا الحدّ من الشفافيّة و الطهر و الخلوص، إلّا أنّه لم يصرّح بذلك قطّ، و بكتمانه الشديد حالَ دون أن يبرز للعيان أنّ صدره صار خزانة «أسرارٍ لا تُحْكَى»؛ فكان يُحاذرُ من كشف الحقائق الّتي تتجلّى فيها. و إنّ مثل هذه القصص ـ الّتي كتبناها بقلمٍ يخطُّ بِوَجدٍ أسرارًا دفينةً ـ لم يكن سماحته قدس سره يصرّح بها علنًا طيلة عمره الشريف إلّا بأقلّ ممّا يُعدّ على أصابع اليد الواحدة، و ذلك إنّما كان في حالاتٍ خاصّةٍ جدًّا و لأسبابٍ معيّنةٍ حسبما تقتضيه الحكمة البالغة، و لأشخاصٍ معيّنين و معنيّين. و تصريحه بالأمر كان يحصل في حالات نادرة جدًّا و حسبما تقتضيه الضرورة الشرعيّة، و للشخص الّذي يكون متمكّنًا من تنفيذ الأمر، و مع ذلك فإنّه لا يُصرّح إن كان قد تلقّى الأمر مباشرةً من صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، بل يكتفي بنقله و حسب. و هذا كان أسلوبه البديع و ديدنه في كتمان المسائل المتعلّقة بشخصه، و أمّا في الحالات الخاصّة الّتي كانت تقتضيها الضرورة، و الّتي كما ذُكِرَ لا يتجاوز مقدارها عدد أصابع اليد الواحدة، فكان يكتفي بالقدر الضروريّ و يقتصر على الأصل من دون طَرْحِ تفاصيل الموضوع و هوامشه، و إن سأله عنها أحدٌ لا يُسايره، بل كان يُذكّره بأصل

(١) الغَيبة (للنعماني)، ص١٤٤.

الموضوع و يطلب إليه الانصراف عمّا عداه. و كم من موارد كان ذكر أصل المطلب فيها كافيًا و وافيًا لتوصيل الغرض، فلم يكن سماحته يذكره مُسندًا إلى الإمام المهديّ، عليه و على آبائه آلاف التحيّةِ و السلام، بل كان يُضمّنه بياناته و توجيهاته بحيث يحسب المخاطَب كلامه من قِبَله ﷺ و أنّه مقتبسٌ و مأخوذٌ من الروايات المذكورة في المصادر المُتوفّرة. طبعًا هو نفسه كان يؤكّد مرارًا:

«و هل كلام الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يختلف عن روايات أجداده الأطهار عليهم السلام و أحاديثهم و وصاياهم؟!».

فلا عجب إذًا أن يصبح لسان إمام زمانه قولًا وعملًا مَن كانت جميع أقواله و أفعاله مطابقةً لما ورد في هذه الروايات الشريفة المتوفّرة، و جميع أوامره و نواهيه هي أوامر الشريعة و نواهيها. و هذا مَطلبٌ غيرُ خفيّ على أهله، و لو أنّه بسبب كمال اجتنابه للشهرة و تمام تحرّزه عن المجاملات الناشئة عن هذه المقامات، كان يخفي أمره في ستار الكتمان، بل أكثر من ذلك كان يُظلّل عليه غمام الاضمحلال، فيستقرّ سرّه في المكنون و تنطوي عليه مُضمرات القلوب، و هذه خَصلة مَن هم مع الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في فُسطاطه. و بهذا كان الشيخ المقدّس ﷺ أحسن العبيد نصيبًا و أقربهم منزلةً و أخصّهم زُلفةً، قد رجع بكسوة الأنوار و هداية الاستبصار، و لم يكن إكسيرًا قليل الوجود فحسب إنّما كان من الخُلّص النادري الوجود، و كيف لا يكون كذلك و قد تعلّق بأذيال حبل الولاية المتين، و عقد حبّ إمام زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف في قلبه فبات عروجه إلى السماء أمرًا لا مناص منه. و في محفل الحبّ هذا، فإنّ الحديث و الكتابة عن بقيّة الله و وليّه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف هما شرفٌ للذاكرين و أشرف أذكارهم، لكن هل يمكنك الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام و لا تذكُر سلمان المحمّديّ؟ أو الحديث عن سيّد الشهداء عليه السلام من دون ذِكر حبيبٍ أو زُهيرٍ، فضلًا عن أبي الفضل العبّاس عليه السلام؟! فإذا دَوّنَ القلم شذراتٍ من مناقب عبد الله الصالح، فلأنّه كان بهجة الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، إذ في الأصل إنّ الهدف من التعريف بطلعته الربّانيّة ليس هو بالذات، بل التعرّف و التحبّب و التقرّب إلى سيّده، الّذي هو باب الله الّذي يتوجّه به الأولياء إلى الله عزّ و جلّ. فالسلام على وليّ الله و بقيّته في أرضه ما طلعَت كواكب الأسحار و أورقَت الأشجار و أينعَت الأثمار، و اختلف الليل و النهار، و غرّدت الأطيار.

لقد حَمَلَ زاد الحبِّ الخالِص في قلبه، و اعتزل ما سوى الله ظاهرًا و باطنًا متتبّعًا سلطان الزمان عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف، فنشر له ربّه من رحمته و هيّأ له من أمره مرفقًا، فرمقَته أعين التائقين بنظرات الغِبطة، و لسان حالهم: هل تُعلّمنا أيّها المُتيَّم ممّا عُلِّمتَ رُشدًا؟ و هل تأتينا بقبسٍ من لقاءاتك النورانيّة؟! و إذ إنّهم ما استطاعوا صبرًا عن السؤال لشدّة أشواقهم، و هم الّذين من بينهم شخصياتٌ من كبار العلماء الربّانيين و الصلحاء المقرّبين، فكانوا يُحفون الشيخ البهجة ﵀ السؤال لكنّه ـ كما أشرنا سابقًا ـ بفطنته و ذكائه، كان يصرف أذهانهم، و بأساليبه اللطيفة و الدقيقة يخرج عن عهدة الجواب بكلّ سلاسةٍ. و من نماذج ما أسلفناه، أنّ أحد خيرة العلماء الأعلام، كان كلّما زار آية الله الشيخ البهجة ﵀ يسأله عن لقاءاته، لكنّ الشيخ المعظّم كان يأوي إلى كهف الكتمان مُلتمسًا الإخلاص لله تعالى، فيحرص على عدم الاعتراف و بيان هذا الأمر، و عادةً كان يجيبه فقط بهذه الكلمة: «لا تسألوا!»، أو أنّه ـ و إن كان السؤال عن لقاءاته هو ـ كان يجيبه: «ربما الجميع قد رأوه، في المنام أو في اليقظة!». فكان بمثل هذه الأجوبة الحكيمة، يصرف بكَياسةٍ ذهن ذلك العالم عن سؤاله، و يخفي عنه ما ذرّته رياح التشرّفات من لواقح المكاشفات و الكرامات. في السنة الأخيرة من حياة آية الله الشيخ البهجة ﵀، زارته بعثة الحجّ لتوديعه قبل السفر، و كان من بينهم ذلك العالِم الفاضِل، فحاول اغتنام الفرصة ليستفيد من الجوّ المعنويّ و خصوصيّة تلك الجلسة، لعلّه يسمع جوابًا في تلك الأجواء الروحانيّة عن سؤاله الّذي ما انفكّ يطرحه على الشيخ ﵀ باستمرارٍ. و ظنًّا منه أنّه يستطيع بفطانته تغيير طريقة طرح السؤال، باغت الشيخ المقدّس ﵀ بالسؤال فجأةً و من دون مقدّمات قائلًا: «سماحتك، في أثناء لقائك بالإمام الحجّة عَجَّلَ اللهُ تَعالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف، ما هي الأسئلة الّتي تطرحها عليه؟». فجأةً، نظر إليه آية الله الشيخ البهجة ﵀ و قال: «نعم؟!»، فكرّر العالِم سؤالَه باحتياطٍ و تأنٍّ أكبر، كأنّما انتبه إلى أنّ آية الله الشيخ البهجة ﵀ قد تغيّرت حاله. و في جوابه، أشار آية الله الشيخ البهجة ﵀ إلى قضيّة شديدة الأهمّيّة، إذ قال:

«هل هنالك مكانٌ للسؤال؟ [أنا] العبد هنا طيلة عمري لم أوجّه سؤالًا إلى الأساتذة الّذين كنت في محضرهم، عُمرًا قضيته في خدمتهم لم أسأل! نعم، السيّد الفلانيّ دائمًا كان يسأل، خلال الجلسة كلّها، و كان يستمرّ في السؤال، حتّى إنّ النقاش كان يشتدّ، و لكنّه لا يكفّ عن ذلك. و قد يحتدّ

الأستاذ[1] أحيانًا. لكن أنا طيلة عمري لم أوجّه إليه سؤالًا واحدًا. لم أطرح سؤالًا، لكن ما إن يطرأ على ذهني سؤالٌ، حتّى يجيب عنه الأستاذ! كان يجيب عن السؤال! حتّى إنّني أتذكّر أنّه كان يُسمّيني و يقول: «و أمّا سؤال فلان!»، جرى ذلك عدّة مراتٍ، و كان ذلك ليلًا، و الظلام مُخيّمًا، و ما من مِصباحٍ. الّذي كان يجلس بجانبي كان يسألني: ماذا يقول [الأستاذ]؟ أنت لم تطرح سؤالًا عليه؟! لم أقل له شيئًا! هذه القضيّة حدثت مرّةً أو مرّتين، أن يسألني الجالس بجانبي[2]. هل الّذي يريد أن يصِل إلى محضر وليّ الله المطلق عجّل الله تعالی فرجه الشريف، يجلس و يفكّر في الأسئلة [قبل التشرّف]: لِأوجّه هذا السؤال؟ هو عجّل الله تعالی فرجه الشريف يعرف السؤال! و يعرف الجواب! إن كان من المصلحة أن يجيب فسوف يجيب، و إن لم يُجب، فلم يكن من المصلحة، لم يرَه عجّل الله تعالی فرجه الشريف من المصلحة [أن يجيب]!».[3]

---

(١) المقصود هو آية الله السيّد عليّ القاضي رحمه الله.

(٢) كان حال طلّاب السيّد القاضي حين اجتماعهم للدرس في محضره متشابهًا من حيث الظاهر، لكن في الواقع، إنّ معارفهم و إدراكاتهم للعلوم و المطالب الّتي يستفيدونها من أستاذهم و معرفتهم بمقاماته كانت في غاية الاختلاف و التفاوت فيما بينهم. فعلى سبيل المثال، كان أحد هؤلاء الطلبة قد تتلمذ على يد السيّد القاضي قبل سماحة الشيخ البهجة بعدّة سنوات، و لكنّه لم يكن مطّلعًا على مقام أستاذه، و كان يلومه في نفسه لمَا يراه منه من الجلوس ساعاتٍ طويلة في مقبرة وادي السلام، متسائلًا عن غاية هذا الجلوس الطويل في ذلك المكان، إذ يمكن اغتنام الوقت بما هو أنفع! و لم يتبيّن له مقام أستاذه إلّا في أواخر أيّام إقامته في النجف الأشرف، و ذلك بعد حصوله على جوابٍ من السيّد القاضي كان قد أثار استغرابه، بعد قضيّةٍ حصلت معه و هي أنّه كان قد قرّر الرجوع إلى إيران، و في إحدى الليالي، عندما كان يأخذ قسطًا من الراحة في حجرته، التفت إلى أنّ بعض الكتب العلميّة و الدينيّة موجودة على رفٍّ من جهة قدميه، فتساءل في نفسه: هل يلزم أن أقوم من مكاني و أغيّر اتّجاه نومي أم لا؟ و لأنّ الكتب لم تكن تمامًا مقابل قدميه، إذ إن الرفّ أعلى مستوى من مكان نومه، أجاب نفسه قائلًا: إنّ هذا لا يُعدّ هتكًا لحرمة تلك الكتب و عليه لا يلزم أن أغيّر مكاني. فنام تلك الليلة و هو على تلك الحال. و في صباح اليوم التالي، عندما وصل إلى محضر السيّد القاضي و سلّم عليه، قال له الأستاذ بعد ردّ السلام: «ليس من الصلاح أن تذهبوا إلى إيران. مَدُّ الرجلين نحو الكتب [الدينيّة] فيه هتكٌ لحرمتها!». فبُهت التلميذ و تسمّر في مكانه مصدومًا، ثمّ سأل أستاذه: من أين عرفتم قصّتي و ما يختلج في صدري؟ فقال له السيّد القاضي: «فهمتها من وادي السلام!». ملمّحًا له بذلك إلى بعض آثار جلوسه الطويل في وادي السلام. فتعجّب هذا الطالب، و عندها فهم أنّ السيّد القاضي كان مطّلعًا على ما في ضميره. و لكن من جهةٍ أخرى، كان الشيخ البهجة رحمه الله قد فطن إلى سرّ أستاذه السيّد القاضي و أدرك اطّلاعه على ما في ضمائر الآخرين منذ بداءة حضوره في مجالس درسه، و كان له من العمر آنذاك ثماني عشرة سنة فقط. و هذا ما جعله متميّزًا بين زملائه في مجلس الدرس ذاته و متفوّقًا على أقرانه.

(٣) الجدير بالقول إنّ آية الله البهجة رحمه الله كان يقول: إنّ من يلتقي الإمام الحجّة عجّل الله تعالی فرجه عليه أن لا يقتنع باللقاء و حسب، بل ليسأل عن مسألتَين، الأولى: هل الظهور و الفرج قريبٌ أم بعيدٌ؟! و الثانية: إن كان بعيدًا النطلب إلى حضرته عجّل الله تعالی فرجه

بهذا الجواب البديع من آية الله الشيخ البهجة ﵀، ارتدّ ذلك العالِم على آثاره قَصَصًا، فوجد في بيان العالِم العامل ﵀ عِلمًا من لدُن حكيمٍ عليمٍ، إذ ذكر سماحته ﵀ في ردّه هذا بنجابةٍ و فراسةٍ و من دون أن يعترف بلقاءاته بالإمام ﷻ مواضيع معرفيّةً دقيقةً و مهمّةً جدًّا، يجب أن تكون موضع اهتمام و تأمّلٍ.[1] ذلك أنّ الناس ـ كما كان الأمر في زمن حضور المعصومين ﵈ ـ هم في غاية الاختلاف في درجة معرفتهم بالإمام المعصوم ﵇، فالبعض منهم كسلمان المحمّديّ رضوان الله عليه، قد بلغ بمعرفته بأهل البيت ﵈ قمّة قوس الصعود، و ارتقى بهذه المعرفة العميقة إلى درجات التفاني و الذوبان في مقاماتهم الجليلة، فأصبح هو نفسه «من أهل البيت». و البعض الآخر مثل هارون المكّيّ الّذي وصلت معرفته البالغة و طاعته المحضة للإمام المعصوم ﵇ إلى درجة أنّه حين أُمر بدخول التنّور، دخله و هو على درجةٍ عاليةٍ من اليقين و السعادة. و أمّا البعض الآخر، فكان يفتقد أدنى درجات المعرفة بمقام خليفة الله الإمام المعصوم ﵇، و كان بعقله القاصر و فكره المتحجّر يعترض على فعل الإمام ﵇ أو قوله. و الأمر سِيَّانِ في عصرنا الحاضر، فالناس يعاملون المعصومين ﵈ هذه المعاملة نفسها، و يتفاوتون بنسبة معرفتهم بالإمام ﵇، فحين يتشرّفون بزيارة المراقد المطهّرة، نجد البعض منهم يرتقي إلى قمّة قوس الصعود في معرفته بأهل البيت ﵈ كما كان حال العارف بالله الشيخ البهجة ﵀، فإنّه كان يزور المعصوم ﵇ و هو يراه حاضرًا فِعلًا، و يرى نفسه في منازل الجنّة[2] يستظلّ

أن يدلّنا على طريقةٍ مباشرةٍ لنسأله في ما يخصّ ابتلاءاتنا العامّة و الخاصّة، و نكون على علاقةٍ شخصيّةٍ و مباشرةٍ به، لتصلنا الإرشادات من ناحية الإمام ﵇ [كي يُبيّن لنا طريق النجاة من الفخّ] كي لا نضلّ الطريق. و هذا المطلب لا ينافي المطالب الّتي ذُكرت في المتن بأنّه ليست هناك إمكانيةٌ لتحضير الأسئلة المطروحة قبل التشرّف باللقاء أو أن يصبح المرء خطيبًا في محضر الإمام ﷻ، لأنّ مقصود سماحة الشيخ ﵀ هو أن يكون الإنسان بحالته الوجوديّة طالبًا لإرشاد الإمام ﷻ و إغاثته. فإنْ كان حقًّا يعيش تلك الحالة، فإنّ الإمام ﷻ الّذي هو مطّلع على جميع أحواله، و مشرفٌ على أعماله، سيجيبه بما يناسب حاله، حين يوفّقه الله تعالى للقائه ﷻ.

(١) في الحقيقة إنّ سماحة الشيخ ﵀ بدلًا من الحديث عن لقاءاته، عمد إلى رفع مستوى معرفة ذاك العالم بالإمام ﷻ و بمقاماته. و من البديهي أن ذلك العالم كان أحوج إلى هذه المعرفة من معرفته بالأسئلة التي يوجهها سماحة الشيخ ﵀ إلى الإمام ﷻ عندما يلتقي به.

(٢) كان آية الله البهجة ﵀ يروي في حقّ آية الله السيّد حسين القمي ﵀ أنّه حين كان يتشرّف بزيارة الحرَم ينسى كلّ شيءٍ، حتّى إن كان منزلهم خاليًا من الطعام، و قد أتى الحرَم مثلًا ليتوسّل و يقول أنا و أسرتي اليوم لا نملك شيئًا لوجبة الغداء و نحن جائعون، لكنّه بمجرّد دخوله الحرم كان ينسى سبب مجيئه، ينسى البيت و الجوع و كلّ شيءٍ، و كان حين يُمسك الضريح لا يريد أن ينفصل عنه، يفقد أساسًا القدرة على ذلك، كأنّه قد سُلب القوّة

في فَيء شجرة طوبى، و كان يؤكّد ذلك بقوله ﷺ: «من آداب الزيارة أن نعلم أن لا فرق بين حياة المعصومين و مماتهم»، فطوبى له و لمن تبع أثره و عمل بتوصيته. و لكن بالمقابل، نجد البعض الآخر عند زيارة المقامات المقدّسة و المشاهد المشرّفة، لا يلتفتون إلى شيءٍ سوى النظر إلى الأبواب و الجدران و الحديد. و مِن دُرر الكَلم و غُرر الحِكم الّتي بيّنها آية الله الشيخ البهجة ﷺ في جوابه، أنّه أنبأ ذلك العالِم بما لم يُحِط به خُبرًا، و أرشده مذكّرًا إيّاه بسموّ مقامات إمام الزمان ﷺ، فأشار مستشهدًا بمقام أستاذ الأخلاق الّذي لا يكاد يعدل ذرّةً من التراب الّذي يخطو عليه الإمام المعصوم ﷺ، إذ إنّ هذا الإنسان الإلهيّ

لينفصل عن الضريح و يخرج من الحرم. إذ إنّ خروجه من الحرم المطهّر بالنسبة إليه كخروج السمكة من الماء. كذلك روى آية الله الشيخ البهجة ﷺ أنّ زلزالًا قد حصل في كربلاء ذات مرّة، وكان السيّد حسين القميّ ﷺ حينذاك داخل حرم سيّد الشهداء ﷺ. فقد كان يقضي معظم أوقاته في الحرَم، وكأنّه حمامة الحرم. على الرّغم من أنّ الأشخاص الّذين كانوا في كفالته من أفراد أسرته كُثُر: من البنات و البنين و الكنائن و الأصهار و...، حتّى إنّني سمعت أنّه كان يبقى في الحرم ستّ ساعات. كان يجلس في الحرم، و يضع عمامته على الأرض. و ما كان يجتنب الإجابة عن أسئلة الناس في أثناء الدعاء و الزيارة. على أيّ حال، نقل سماحته ﷺ: إنّ المرحوم السيّد حسين القميّ ﷺ كان في أثناء حدوث الزلزال داخل حرم الإمام الحسين ﷺ، و حين شعر الزوّار بالهزّة الأرضيّة بدؤوا يهربون من الحرم. وكانوا يعبرون من فوق أكتافه، لكنّه لم يضطرب أو يقلق على الإطلاق، لا من الهزّة الأرضيّة و لا ممّا كان يصيبه من الهاربين، كأنّ شيئًا لم يحدث. وكذلك كان يروي ﷺ أنّه عندما كانوا يسألونه: أنت تقضي كلّ هذه الساعات في الحرم، ألا تتعب؟! كان يقول: «ماذا أصنع! أرى نفسي في الجنّة، فكيف أخرج من الجنّة؟!»؛ و هذه كانت حال آية الله الشيخ البهجة ﷺ نفسه تمامًا، كانت زياراته مطوّلة، زيارة عاشقٍ مدنفٍ، وكلّما تشرّف بالزيارة، كان يبدو عليه بوضوحٍ نشاطٌ و شغفٌ عجيبان. و كان حين يستلم الضريح المطهّر، يشمّه و يقبّله و يجعل شفتيه على الضريح و يلثمه و يضمّه مستأنسًا استئناس الطفل بثدي أمّه. و هنا تُنقل إحدى الذكريات الّتي لا تخلو من اللطف، يقول أحد الشباب الّذي كان يسعى لمرافقة سماحته ﷺ في الزيارة، أنّه عندما كان سماحة الشيخ البهجة ﷺ يتشرّف بزيارة الحرم المطهّر للإمام الرضا ﷺ كان يبقى ساعتين كاملتين على الرغم من شيخوخته و ألَم رُكبتيه متّكئًا على العصا، يزور و يقرأ الأدعية و الزيارات واقفًا و عيناه مغمضتان، و بعد ذلك يجلس و يتمّ أعماله و عباداته. في أحد الأيّام بعد إتمام الزيارة سأله الشاب: شيخنا نحن على الرغم من أنّنا شبابٌ و سالمون جسديًّا و أقوياء، حين نقف عدّة دقائق للزيارة نتعب، و حين كنت أنت تزور واقفًا، كنا نحن نجلس مراتٍ عدّةً لنخفّف من تعبنا قليلًا ثمّ نقف، ألا تتعب و سماحتك في هذه السنّ الطاعنة و الشيخوخة؟ قال الشاب: في تلك اللحظة لم يُجبني، لكن حين أردنا مغادرة الحرم، بدأ سماحته يجتاز الصحون واحدًا تلو آخر، و يقرأ الفاتحة للعلماء المدفونين فيها، و عندما وصلنا إلى الصحن الأخير نظر إليّ، و وضع يده في جيبه، و أعطاني مالًا و قال: «اذهب إلى العطّار و اشترِ دواء «عَين، شين، قاف» كي لا تتعب!»؛ نعم، إنّ سماحته ﷺ كان يذهب إلى الزيارة متقوّيًا بإكسير العشق، فيتوجّه إلى الزيارة بوجوده كلّه و يستغرق فيها.

كانت له هذه الحَظوة و الكرامة بحيث يعلم ما يخطر على أذهان الآخرين بإذنٍ من الله تعالى، و لاحِظ كيف أنّ تلامذته قد اختلفوا في درجات معرفتهم بأُستاذهم، فالبعض كانوا يُكثِرون الأسئلة و يطيلون المباحثة إلى حدّ النقاش، لكنّ الشيخ البهجة ﷺ ثبُت له باليقين أنّ أستاذه له إشرافٌ على الخواطر الذهنيّة بإذن الله تعالى[1] و إن رأى من المصلحة أن يجيبه فسيجيبه عن السؤال الّذي خطر على ذهنه من دون الحاجة إلى الإفصاح عنه. فإذا كان هذا مقام تلميذٍ في مدرسة أهل البيت ﷺ، فما بالنا إذًا بمن هو صاحب هذه المدرسة الإلهيّة، وارث علم النبيّين، بقيّة الله و خيرته و عيبة علمه و نوره و برهانه الّذي لا شيء يخفى عليه، و هو عين الله الناظرة و أذنه السامعة وكلمته الناطقة؟! و هل يكون مَن وصل قلبًا و قالبًا بإيمانه العمليّ إلى هذا المستوى من المعرفة بحاجةٍ إلى أن يتكلّم في ذلك المحضر النورانيّ و الإلهيّ، أم أنّه يصمت متأدّبًا و متهذّبًا، و يسلّم وجوده بأكمله إلى إمامه المعصوم ﷺ، حتّى يربّيه تربيةً إلهيةً بالطريقة المناسبة لشأنه و الّتي يرى فيها صلاحه؟! هكذا تأدّب آية الله الشيخ البهجة ﷺ في صُحبة وليّ الله ﷺ و أتقن فنّ الصبر و أجاد بأحسن الأدب عارفًا بعظيم مقامات مولاه، فما ترك للفِراق بينه و بين صاحب زمانه ﷺ أيّ سبيلٍ.

و ثمّة نقطةٌ مهمّةٌ جديرةٌ بالتأمّل في قول آية الله الشيخ البهجة ﷺ، و هي لا تخفى على الفهيم اللبيب، فإن كان غرض سماحته ﷺ و مقصده من هذا الجواب هو إرشاد ذلك العالِم إلى معرفةٍ أسمى من تلك الّتي كان عليها في ذلك الحين، فإنّه في الوقت نفسه وجّه رسالةً تضمّنَت سرًّا عظيمًا لاحَ بين حروف كلماته البليغة، و أزاحَ الستار عن معرفةٍ خاصّةٍ، بحيث لو أنّ كاتبَ ما بين دفّتَيْ هذا الكتاب من صفحاتٍ مشحونةٍ بالمعلومات القيّمة أو قارئها،

---

(١) يروي آية الله النجفيّ ﷺ و هو أحد تلامذة آية الله السيّد القاضي ﷺ، ما يلي: «كلّما كان أستاذنا يتأخرّ عن الحضور إلى جلسة الدرس، كان الطلّاب يروون حكايةً من المواهب الربّانيّة الّتي كانوا يحصّلونها نتيجة تهذيبهم لأنفسهم، في أحد الأيّام كان دَوْر الشيخ محمّد تقي البهجة ﷺ، لكنّه لم يقل شيئًا عن المواهب الإلهيّة و الكرامات الّتي حصلت له، إنّما بدأ يتحدّث عن أحوال الأستاذ، و ما يقوم به في تلك اللحظات، قال: هو الآن في الكوفة، و قد دخل النهر، الآن هو مشغولٌ بالغسل. الآن أنهى الغسل. في هذه اللحظة خرج من النهر، و هو الآن يرتدي ثيابه. هو الآن متوجّهٌ إلى هنا، الآن استوقفه أحد السادة في الطريق و يسأله سؤالًا. في هذه اللحظة توجّه إلى هنا. الآن وصل إلى خلف الباب، يقول آية الله النجفيّ ﷺ، في تلك اللحظة نفسها دخل آية الله القاضي ﷺ و نظر إلى آية الله البهجة ﷺ و قال: لقد أجدتَ و زرعت اليوم وردةً! [و هذا مثلٌ فارسيٌّ يُقال عندما يقوم شخصٌ بعملٍ مميّزٍ و رائعٍ]؛ الناصح، ص٥١.

لم يتمسّك إلّا بهذا المطلب و نفّذه عمليًّا في حياته لوضَعَ قدمه بثباتٍ على الصراط المستقيم، بل لَاجتازه وصولًا إلى أبواب الفردوس و النعيم، فلا يعود محتاجًا إلى أيّ موعظةٍ أو إرشادٍ من حكيم. و المُراد توضيحه أنّ بيان آية الله الشيخ البهجة ﷺ المتقدّم ذكره يكشف عن حالة سماحته ﷺ الباطنيّة في محضر إمام الزمان ﷺ، فهو لم يكن فقط معتقدًا أنّ إمام الزمان ﷺ هو عين الله الناظرة و أذنه الواعية، و إنّما قد طبّق هذا المفهوم بوجوده كلّه، و التزم بجميع لوازمه، فأغناه الله عن هبة الواهبين بِهِبَتِه و كفاه وحشة القاطعين بِصِلَتِه. أمّا نحن المتعلّمين على سبيل نجاة ـ إن شاء الله ـ فالبعض منّا يعتقد باللسان و يشهد أنّ إمام الزمان ﷺ يرى مقامنا و يسمع كلامنا و يردّ سلامنا، و أنّه صلوات الله عليه مطّلعٌ على نيّاتنا و سرائرنا، و على ما نعلمه و ما نجهله و هو محيطٌ بجميع أفكارنا و أسئلتنا، و نحن حقيقةً لا نكذب بذلك، لأنّنا نعتقد و نؤمن به في قلوبنا، لكنّنا في مقام العمل نعدّه ﷺ غائبًا أكثر من أيّ غائبٍ، و غافلًا عمّا نفعل أكثر من أيّ غافلٍ! إنّ بيان سماحته ﷺ لذلك العالِم يدلّنا بوضوحٍ و بصورةٍ جليّةٍ على حالاته في محضر الإمام ﷺ من دون الحاجة إلى تصريحٍ أو تلويحٍ من قِبَله. إنّ هذه العبارة الواحدة كافية و وافية لكلّ كيّسٍ واعٍ ليجلس بهدوء و لباقةٍ و ليتأمّل باستئناسٍ و ابتهاجٍ في جمال حضور عالِمنا الربّانيّ في محضر وليّ الله المُطلق ﷺ، تمامًا كما كان يُرى سماحته عارفًا بحقّ ساداته الأئمّة المعصومين ﷺ و مؤدّبًا و صامتًا في محضرهم في المراقد المطهّرة، لا يسأل عن شيءٍ حتّى يُحدث إمامه له منه ذكرًا.(١) و أيُّ مشهدٍ أبهج لقلوبنا من رؤية العبد الحاضِر المؤدّب بين يدَي عقيد عزٍّ لا

---

(١) كان سماحته ﷺ و منذ عنفوان شبابه يزور المراقد الشريفة للمعصومين ﷺ بمنتهى الأدب و المعرفة البالغة و الانقطاع التّام، و يتوجّه بكامل وجوده إلى محضر المَزور. يقول آية الله السيّد عبّاس الكاشانيّ الحائريّ ﷺ صاحب «مصابيح الجنان» حول هذا الموضوع: في أحد الأيّام تشرّفت بزيارة الحرَم المطهّر لسيّد الموحدّين أمير المؤمنين ـ عليه أفضل صلوات المصلّين ـ و هنالك صادفت أحد أساتذتي الأجلّاء، العالِم الكامِل آية الله السيّد أحمد الأشكوريّ (رفع الله في الخلد مقامه). بعد إلقاء التحيّة و السلام، فجأةً دخل الحرم المطهّر آية الله العُظمى الشيخ البهجة ﷺ، و بدأ بزيارة الإمام الهمام ﷺ برقّةٍ و انكسارٍ و توجّهٍ خاصٍّ، من دون أن يلتفت إلى أيّ شخصٍ و هو في تلك الحال. فقال أستاذنا المذكور: «أنا أُسَرّ جدًّا و أستأنس حين أرى هذا الشيخ، و أغبطه على حاله تلك؛ حقًّا هو فتًى عالمٌ و فاضلٌ، و زاهدٌ ورعٌ و تقيٌّ، و يدرس بجدٍّ و اجتهادٍ لتحصيل علوم آل محمّد ﷺ. أتمنّى أن يُكثّر الله عزّ و جلّ من أمثال هذه الشخصيّة الجليلة القدر في الحوزة». و أضاف: «إنّ سماحة السيّد (آية الله العظمى السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ أنار الله برهانه)، يُحبّه (أي يحبّ آية الله الشيخ البهجة) جدًّا، و يمدحه و يُمجّده كثيرًا»؛ راجع: الناصح، ص٤٤.

يُسامى و أثيل مجدٍ لا يُجارى، و تِلاد نِعَمٍ لا تُضاهى و نصيف شرفٍ لا يُساوى. و هو ﷺ الّذي كان بحقٍّ مُحبًّا لله تعالى و متأدّبًا بآيات كتابه الكريم الّذي يقول: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[1]، فاتّبَعَ الثقل الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف مُقتبسًا من الثقل الحاضر: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣١.

(٢) سورة الكهف، الآية ٧٠.

وقل رب زدني علما

اللمعات

مباحث علمية حول بعض مواضيع الحكمة

الملحق الأوّل:

«الاستدلال بحديث الثقلين لإقامة البرهان على وجود إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف»

لقد استدلّ علماء الشيعة منذ القِدم بحديث الثقلَين المتواتر بين المسلمين لإقامة البرهان على وجود الإمام بقيّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف و بقائه حيًّا في العصور المتأخّرة الّتي ترتبط بزمان ما بعد الحضور الظاهريّ للمعصومين عليهم السلام بين الناس. و في هذا المجال نشير إلى كتابَين مهمَّين: كتاب «الشافي» لعَلَم الهدى السيّد المرتضى[1]، و كتاب «تلخيص الشافي» لشيخ الطائفة الطوسيّ[2]. كما طُرح هذا المطلب في سائر الكتب الكلاميّة الأخرى منذ ذلك الوقت حتّى وقتنا هذا؛ من قبيل كتاب «المراجعات»[3]، و كذلك استدلّ آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه بهذا الحديث لإثبات هذا المطلب، و قال:

> «[يُعدّ حديث الثقلين] دليلًا قطعيًّا على أنّ إمام الزمان عليه السلام حيٌّ موجودٌ إلى زمان ظهوره، لا أنّه سيوجد و يولد فيما بعد».

لكنّ المسألة اللافتة في المقام هي تصريحه قدّس سرّه في مطلع كلامه بأنّه لم يرَ أحدًا أشار إلى هذا المطلب قبلَه. فمع الالتفات إلى وفرة الاستدلالات بحديث الثقلين في الكثير من كتب الشيعة الكلاميّة، ما هو مقصود سماحته قدّس سرّه من القول إنّه ربّما لم يقله أحدٌ قبله؟ نقول بداءةً إنّ حديث الثقلين هو من الأحاديث المتواترة لدى الشيعة و السنّة، و قد نُقل بألفاظ متقاربة جدًّا في كتب الفريقَين، لكن يمكن أن يُقال إنّه ورد إجمالًا بصيغتين، الأولى: «إِنِّي تارِكٌ فِيكمُ الثِّقْلَيْن، كتابَ اللهِ وَعِتْرَتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حتّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْض»، و الثانية: «أُوصِيكُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَأَهْلِ بَيْتِي، فَإِنِّي سَأَلْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حتّى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَأَعْطَانِي ذَلِك». و يجب القول إنّ محلّ الشاهد الأصليّ في هذه الرواية هو ما جاء في تتمّتها، حيث أكّد

---

(١) الشافي، ج٣، ص١٢٢.

(٢) تلخيص الشافي، ج٢، ص٢٤٥.

(٣) المراجعات، ص٤٠٨.

النبيّ ﷺ أنّ القرآن الكريم و العِترة الطاهرة لن يفترقا حتّى يرِدا عليه الحوض، و قد استدلّ العلماء السابقون ـ في إثبات وجود إمامٍ من العترة الطاهرة في كلّ زمان ـ بناءً على تتمّة الرواية أي عدم افتراق الثقلين إلى يوم القيامة على أنّه في كلّ زمانٍ يكون فيه القرآن موجودًا بين الناس، لابدّ أن يكون أحدٌ من العترة الطاهرة عليهم السلام أيضًا موجودًا بينهم. و عليه، فالاستدلال بحديث الثقلين يبتني على تتمّته. و لذا أكّد الشيخ البهجة قدس سره أيضًا في استدلاله الالتفات إلى هذه التتمّة، لكنّ النقطة البارزة في استدلال سماحته هي تأكيد الاستدلال بالرواية الّتي تكون تتمّتها إخبارًا عن دعاء الرسول ﷺ، كما مرّ في عبارته: «هذه الرواية بضميمة سَأَلْتُ رَبّي»، و لعلّ مراده من أنّ أحدًا لم يستدلّ بهذا الدليل هو هذه النقطة أي الاستدلال بالنقل الّذي يتضمّن دعاء الرسول ﷺ. فالكثير من العلماء الماضين الّذين استدلّوا بحديث الثقلين استندوا إلى السنخ الأوّل من النقلين لرواية الثقلين الّذي هو على نحو الإخبار المطلق، و هو الّذي يكون في تتمّته: «أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا»، لكن النقل الّذي يستند إليه سماحة الشيخ البهجة قدس سره في استدلاله هو النقل الّذي ورد في تتمّته إخبارٌ عن دعاء النبيّ ﷺ إذ قال: «فَإِنّي سَأَلْتُ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حتّى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَأَعْطَانِي ذَلِكَ»[1]. لأنّه في النقول الّتي ورد في تتمّتها فقط إخبار عن عدم الافتراق: «أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا» من الممكن أن يُقال إنّ المراد هو عدم الافتراق في الواقع؛ بمعنى أنّ هذين الثقلين لن يفترقا في الواقع و ثبوتًا، لا عدم الافتراق بين الناس و في المجتمع، كأن نقول إنّ: «القرآن الكريم و الأنبياء عليهم السلام لا يقبلون الافتراق». لكن من البديهيّ أنّ هذا الفهم من الرواية غير صحيحٍ، بل الظاهر منها هو عدم الافتراق الإثباتيّ و في طول الزمان. و من أجل هذا إن استدللنا بهذه الرواية الّتي تكون تتمّتها إخبارًا عن دعاء النبيّ ﷺ كما طرحها سماحة الشيخ البهجة قدس سره، أي: «فَإِنّي سَأَلْتُ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حتّى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَأَعْطَانِي ذَلِكَ»، فسيكون الدليل أوضح و يتبيّن المطلب بنحوٍ أجلى، و لن يكون ثمّة احتمال لذاك الفهم الخاطئ من الرواية أساسًا، أي كونها تدلّ على مقام الثبوت فقط؛ إذ لا معنى لأن يدعو النبيّ ﷺ بتحقّق أمر ثبوتيّ و ضروريّ؛ فالدعاء إنّما يكون في وقت الحاجة، فهل رأيت أحدًا يدعو بأن يكون: اثنان زائد اثنين تساوي أربعة؟! و هل يمكن أن يدعو أحدٌ مثلًا بأن لا يكون هناك افتراق بين القرآن و المعارف الحقّة؟! حتمًا لا، باعتبار أنّ الواقعيّات الثابتة في نفس الأمر لا تحتاج إلى دعاء،

---

(١) الكافي، ج١، ص٢٨٧.

بل يَصدُق الدعاء عندما يكون لدينا أمرٌ نريده و الحال أنّ احتمال عدم حصوله وارد. إذًا، من البديهيّ و الواضح جدًّا أنّ النبيّ ﷺ دعا بعدم الافتراق الإثباتيّ لأنّ الدعاء بطلب عدم الافتراق الثبوتيّ تحصيل حاصل. و عليه، هذا النقل لرواية الثقلين الّذي أشار سماحة الشيخ ﷺ إليه يفيد الإخبار بعدم افتراق الثقلين إثباتًا، أي عدم افتراق الأئمّة عليهم السلام عن القرآن في كلّ زمان، بمعنى في كلّ زمان يكون القرآن فيه موجودًا يكون إمامٌ من العترة الطاهرة عليهم السلام موجودًا أيضًا، لأنّ النبيّ ﷺ أخبر أوّلًا أنّه سأل الله أن لا يفرّق بينهما إثباتًا: «فَإِنِّي سَأَلْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حتى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»، ثمّ أخبر أيضًا أنّ الله تعالى استجاب دعاءه: «فَأَعْطَانِي ذَٰلِكَ»، فهو يبيّن المطلب إثباتًا إضافة إلى بداهة عدم افتراقهم ثبوتًا. و عليه، فإنّ تتمّة حديث الثقلين الّذي هو إخبار عن دعاء النبيّ ﷺ يتضمّن نقطةً مهمّةً وضّحها سماحة الشيخ البهجة ﷺ في تكملة بيانه، إذ قال بأنّ واقعيّة القرآن الكريم و العترة الطاهرة عليهم السلام و إن لم تكن تقبل الانفصال و الافتراق ثبوتًا، إلّا أنّ ما يحتاج إليه الناس و المجتمع و الأمّة الإسلاميّة هو جانب كون العترة مفسّرةً للقرآن و شارحةً له في مقام الإثبات. فمسألة «حاجة الأمّة لوجود مفسّرٍ للقرآن الكريم في كلّ زمان» يمكنها أن تكون دعاءً من النبيّ ﷺ لأمّته، بمعنى كأنّ النبيّ ﷺ قال: عندما رأيت أنّ أمّتي بحاجةٍ ماسّةٍ إلى مفسّرٍ للقرآن الكريم، دعوت الله أن يجعل في كلّ زمانٍ تكون أمّتي فيه موجودةً و القرآن فيه موجودًا، أحدًا من العترة عليهم السلام حتّى يُرجع إليه في تفسير القرآن و فهمه، ثمّ أكّد النبيّ ﷺ أنّ الله استجاب دعاءه بعدم افتراق الثقلين. و في النتيجة، من أجل نجاة الأمّة و هدايتها، كلّما يكون القرآن موجودًا فسيكون شارح القرآن و مفسّره ـ أي العترة الطاهرة عليهم السلام ـ موجودًا أيضًا و لن يتفرّقا أبدًا ثبوتًا و إثباتًا.

ثمّ شرع الشيخ البهجة ﷺ في توضيح عدم المنافاة بين عدم وصول عامّة الناس إلى العترة عليهم السلام في عصر الغَيبة الكبرى و بين استجابة الله لدعاء النبيّ ﷺ هذا، باعتبار تحقُّق حدّ النِّصاب في تبيين المرجع في فهم القرآن حتّى نهاية الغَيبة الصغرى، بالإضافة إلى أنّ أهل البيت عليهم السلام بعد ابتلاء الأمّة بما خلّفه أصحاب السقيفة كانوا يبيّنون القرآن على امتداد ثلاثة قرون، و سيكون طريق تحقُّق الفرج الخاصّ و حصوله للوصول إلى مراتب أعلى في فهم القرآن، مفتوحًا أمام من يرجع حقيقةً إلى العترة عليهم السلام و يجعلهم ملجأً و مرجعًا و ملاذًا له، و قد نقلنا في الحدائق السابقة من الكتاب عباراتٍ لعلماء الشيعة الكبار كالشيخ الصدوق

و السيّد المرتضى و الشيخ الطوسيّ(قدّس الله أسرارهم) يصرّحون فيها بأنّ طريق الفرج الخاصّ يكون مفتوحًا في كلّ زمانٍ لمن رجع إلى العترة عليهم السلام بصدقٍ و إخلاص. و كذلك أتمّ النبيّ صلى الله عليه وآله حجّته على قسمٍ من أمّته الّذين لم يريدوا العمل طبقًا لحديث الثقلين بقوله: «إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا».

و قد أشار الشيخ البهجة قدس سره إلى مسألةٍ أخرى تسوق إلى فهمٍ أعمق لحديث الثقلين، و هي: ما السرّ في دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله؟ فإذا كانت الأمّة بحاجةٍ إلى مفسّرٍ للقرآن، فلماذا دعا النبيّ صلى الله عليه وآله أن يكون هذا المفسّر هو العترة؟ لقد أراد النبيّ صلى الله عليه وآله أن يشير في الواقع إلى حديث: «إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ»[1]. فبناءً على هذا الحديث، ينبغي أن يكون مفسّر القرآن متناسبًا بنحوٍ كاملٍ مع المفسَّر (القرآن)، و هذا المطلب سيؤول في واقع الأمر إلى وحدة هذَين الاثنَين. و يمكن توضيح هذا المطلب من خلال طرح سؤال سهل: هل أراد النبيّ صلى الله عليه وآله من قوله بأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، أنّهما سيفترقان بعد أن يردا عليه الحوض؟! هل يتوهّم أحدٌ أن يفترق الثقلان بعد ورود الحوض؟! حتمًا لا! إذًا، ما هو السرّ في تعيين النبيّ صلى الله عليه وآله ورود الحوض في هذه العبارة؟ من خلال التأمّل، يتبيّن أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يريد أن يقول إنّ الحقائق يومئذٍ ستظهر جليّةً للخلائق كافّة، الجميع سوف يفهم سرّ توصيته بضرورة التمسّك بالثقلَين. و هو أنّ هذين الاثنين في الواقع هما أمرٌ واحد، و لا يمكن أساسًا أن يفترقا، إذ إنّهما مثل وجهَين لعملةٍ واحدة، و لهذا السبب يكون أهل البيت عليهم السلام مفسّرين للقرآن في الدنيا بالقول و الفعل البتّة، و يكونون مصداقًا لرواية: «إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ»، و لذا كان لسان حال النبيّ صلى الله عليه وآله إنّني دعوت الله تعالى، من باب حرصي و شفقتي على أمّتي، أن لا يحرمهم في جميع الأزمان بركة وجود وجهَيْ عُملة الهداية و السعادة، أي القرآن و شارحه، و لا بدّ من الالتفات إلى أنّ دعاء الأنبياء عليهم السلام يكون مستظهَرًا و مؤيّدًا بسرّ القدر، و يكشف عن التقدير الإلهيّ؛ كما هو الحال في دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله في مسألة الكساء عندما دعا بإذهاب الرجس عنهم عليهم السلام، فنزلت آية التطهير.

من خلال التوضيح المتقدّم، نعرف أنّ دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله يعود إلى حاجة الأمّة الإسلاميّة إلى مفسّرٍ للقرآن، و عليه، فاستجابة هذا الدعاء بعدم افتراق الثقلين ينبغي أن تكون مرتبطة بالناس و المجتمع. و لذا، في كلّ زمانٍ يوجد مسلمون و يوجد قرآنٌ و هناك حاجةٌ إلى فهمه

(١) الكافي، ج٨، ص٣١٢.

و تفسيره، يجب أن يكون هناك إمامٌ معصومٌ يكون جوهر وجوده متّحدًا بجوهر القرآن الكريم، و مع ملاحظة هذه المسألة يتّضح السرّ في وجود ضميمةٍ أخرى لحديث الثقلَين، و هو أنّ أحد الثقلين أكبر من الثقل الآخر و أعظم منه. إنّ الثقلين في الحقيقة لهما اتّحادٌ و اندماج، و أحدهما عدل الآخر، و يجب على المسلمين التمسّك بكلَيْهما للوصول إلى الهداية و الوقاية من الضلال. و مع هذه الحال نجد أنّ لدى المسلمين اختلافًا كبيرًا فيما بينهم، مع أنّهم لا يختلفون في أصل التمسّك بالقرآن الكريم، فالقرآن بالنسبة إليهم يمكن أن يكون محور وحدة المسلمين، بخلاف العترة عليهم السلام، إذ كان من نتائج المسائل السياسيّة و الاجتماعيّة و الفتن الّتي أحدثها المنافقون في الإسلام أن لا يكون المسلمون على سواءٍ في الرجوع إلى العترة عليهم السلام، و أن ينشأ بينهم اختلافٌ في مسألة وجوب الرجوع إلى العترة عليهم السلام. و بناءً عليه، فمع اجتماع المسلمين على كَوْن وظيفتهم جميعًا واحدةً و هي التمسّك بالقرآن و عدم الابتعاد عنه، إذًا يصبح القرآن هو الثقل الأكبر، باعتبار أنّه هو محور الوحدة و هو سبيل الهداية، و أنّه لا اختلاف في لزوم التمسّك به؛ لكن من الواضح أنّ المسلمين يختلفون في بعض مواضع القرآن، و كلّ فريقٍ يفسّر هذه المواضع بما يريد، فإذا فرضنا أنّ المسلمين اختلفوا في تفسير آيةٍ ما، فما الّذي ينبغي لهم فعله؟ و الحال أنّهم اختلفوا في فهم القرآن الّذي كان محور الوحدة و الاشتراك! و هنا يأتي حديث الثقلَين و يأمر المسلمين بأنّه إذا حصل اختلاف في تفسير القرآن، عليهم الرجوع إلى الثقل الآخر الّذي هو العترة الطاهرة عليهم السلام، و عندئذٍ تصبح العترة عليهم السلام هي المرجع الوحيد لدى المسلمين لحلّ الاختلاف، لأنّه في الفرض المذكور حصل اختلافٌ في فهم القرآن، و مَن يمكنه رفع هذا الاختلاف هم العترة عليهم السلام، ففي هذه الحالة تكون العترة عليهم السلام هي محور الوحدة و حلّ الاختلاف، و في كلّ مقامٍ يشكّل فيه أحد الثقلين المحور الأساس و يكون محلًّا للرجوع و رفع الاختلاف، سوف يكون هو الثقل الأكبر، و هذا الأمر واضحٌ و الحمد لله، و يبيّن كون الأكبريّة لأحد الثقلين. أمّا عندما يصل الأمر إلى أن لا يُعلم أصلًا المعنى الظاهريّ لآيةٍ ما، فضلًا عن الاختلاف في معرفة بطون المعاني للآية، فسوف تكون الحاجة إلى الرجوع إلى مفسّر القرآن أوضح و أشدّ. و هنا يُدرك الجميع أنّه يجب الرجوع إلى من يعلم القرآن، و لهذا السبب يضرب الشيخ البهجة قدّس سرّه مثلًا و هو أنّ الخليفة الأوّل قد سُئل عن معنى كلمة «أبًّا» في الآية الشريفة: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فأقرّ بالجهل، و أظهر عدم علمه بالمعنى، و تبيّن أنّه على

الرغم من كونه عربيًّا و لكنّه لا يعرف حتّى معاني مفردات القرآن[1]، فما بالك بتفسير المعاني و فهم المراد و معرفة الإشارات المذكورة و البطون المكنونة في هذا الكتاب السماويّ؟! و هنا ينبغي للمخالفين الإجابة عن هذا السؤال و هو أنّه: عند عدم المعرفة و الإقرار بالجهل، هل يبقى من سبيلٍ غير الرجوع إلى العالِم الإلهيّ و المفسّر الواقعيّ للقرآن؟

(١) «رَوَوْا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ فَلَمْ يَعْرِفْ مَعْنَى الْأَبِّ فِي الْقُرْآنِ وَقَالَ: أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي، أَمْ كَيْفَ أَصْنَعُ إِنْ قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا لَا أَعْلَمُ!! أَمَّا الْفَاكِهَةُ فَنَعْرِفُهَا وَأَمَّا الأَبُّ فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ...»؛ (الإرشاد، ج١، ص٢٠٠). و ذُكر الجهل بمعنى كلمة «الأبّ» في حقّ الخليفة الثاني أيضًا (راجع: بحار الأنوار، ج٣٠، ص٦٩١ ـ ٦٩٣). و قد ذُكرت هذه القضيّة في مصادر أهل السنّة أيضًا، للاطّلاع أكثر راجع: المستدرك على الصحيحين، تفسير سورة عبس، ج٢، ص٥١٤؛ تاريخ بغداد، ج١١، ص٤٦٥.

الملحق الثاني:

«دراسة حول خبر ولادة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف»

ما بيّنه الفقيه المقدّس الشيخ البهجة قدّس سرّه في المقام له أهميّة كبيرة في معرفة أنماط التحقيق و أسلوبه، لأنّ البحث يدور حول: كيف يمكن الوصول إلى اطمئنانٍ في مسألةٍ جزئيّةٍ، هي ولادة الإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، من خلال إخبار امرأةٍ هي السيّدة حكيمة عليها السلام، فضلًا عن الوصول إلى اليقين في أمرٍ اعتقاديّ يُعدّ محور تمام المعتقدات الأساسيّة؟ أَليس خبر الواحد موجبًا للظنّ فقط؟ و مع الالتفات إلى أنّ محتوى هذه العقيدة هو أمرٌ جزئيّ خارجيّ، فهل يمكن إقامة البرهان اليقينيّ على ذلك؟ إنّ الجواب البرهانيّ الّذي قدّمه شيخنا العلّام قدّس سرّه في المقام مبنيّ على معرفةٍ دقيقةٍ للتناسب الموجود بين الموضوع الّذي يجري تحقيقه و بين نمط التحقيق. و من الواضح أنّ فطرة جميع البشر تعتمد في تحقيق أيّ موضوعٍ من الموضوعات على النمط المتناسب مع ذلك الموضوع، فلذا نجدهم يفرّقون بين المقام الّذي يحتاج البحث فيه إلى المنطق التقليديّ ثنائيّ القِيَم (الصفر أو الواحد)، و بين المقام الّذي يحتاج البحث فيه إلى المنطق الضبابيّ و التشكيكيّ ذي القِيَم الكثيرة غير المتناهية، و الّذي يُرجع فيه إلى النسب المئويّة. و هكذا أيضًا عندما تكون أجواء المقام و ظروفه تُبحث بالنسبة المئويّة، فإنّهم يُفرّقون بين أنواع المئويّة، من قبيل نسبة الاطّلاع و نسبة الواقعيّة، و في النتيجة فإنّهم يُشخّصون في كلّ مقامٍ البرهان المناسب لموضوعه، و الحاصل أنّهم يعتمدون على براهين متنوّعةٍ تُناسب كلّ موضوعٍ على حِدة، لا أنّهم يعتمدون في كلّ مقامٍ و موضوعٍ بنحوٍ دائمٍ على البرهان الفلسفيّ أو الرياضيّ. و يمكن القول إنّ الذهن البشريّ، و إن كان قائمًا في تحليله المنطقيّ على أساس المنطق التقليديّ المعتمد على أن تكون النتيجة إمّا صفرًا أو واحدًا، و لكنّ أصل الفكر البشريّ و أساسه مبنيّان على المنطق الضبابيّ ذي القيم غير المحدودة. و من خلال هذه المقدّمة نتناول جواب سماحة الشيخ قدّس سرّه السابق الّذي يعتمد على نمط تشابك الشواهد و تعاضد القرائن، و يستند إلى مناسبات الحُكم و الموضوع، و من هذا المنطلق يصل كلّ باحثٍ حرٍّ

و منصفٍ إلى اليقين بأنّ الإمام بقيّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف قد ولد في سامرّاء، و هو الآن حجّة الله على خلقه، و ما ذكرناه سابقًا من أحاديث وردت في كتب الفريقين دالّةٍ على وجود أئمّةٍ اثني عشر، له دورٌ كبير في بيان هذا الأمر، ما يجعل الباحث ينتقل من النظر في هذه المسألة نظرة جزئيّة خارجيّة و على أنّها قضيّة في واقعة، إلى النظر إليها في ضمن ضوابط مترابطةٍ و إطارٍ منضبطٍ و جدولٍ متشابك. يعني بدلًا من أن يكون السؤال جزئيًّا: «هل وُلد في بيت الإمام العسكريّ عليه السلام في سامرّاء ولدٌ أم لا؟» و الّذي يثبت حادثةً منفردةً و ينظر إليها نظرةً جزئيّةً مستقلّة، تقودنا هذه الأحاديث إلى أنّ هذه الولادة مرتبطةٌ ارتباطًا وثيقًا بمسألة الأئمّة الاثني عشر، و الّتي تبشّر بوجودهم الّذي بدأ في زمان النبيّ إبراهيم عليه السلام و سطع مجدّدًا في زمن التوراة و استقرّ في القرون الثلاثة لصدر الإسلام، و كلّما امتدّ الزمان أكثر اتّضحت حقّانيّة هذه المسألة و زادت من جلائها. و بناءً عليه، فبدلًا من السؤال: «هل وُلد في منزل الإمام العسكريّ عليه السلام ولد؟»، نسأل: «هل وُلد الإمام الثاني عشر في منزل الإمام الحادي عشر عليهما السلام أم لا؟». و من الواضح أنّ الناظر الخبير يدرك الفرق الكبير بين هذين السؤالَين، و يعرف أنّ كشف بعض الحقائق و الوقائع المرتبطة بشخصٍ منفردٍ يختلف بنحوٍ كبيرٍ عن كشفها فيما إذا كانت مرتبطةً بشخصٍ متّصلٍ في ضمن سياقٍ تاريخيٍّ مترابط، و قد برزت هذه المسألة ـ بدون قصد ـ في كلام أحد كبار علماء العامّة و هو الحافظ الذهبيّ؛ إذ إنّه عند تعرّضه لاسم إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف في كتابه المعروف «سير أعلام النبلاء»، ذكر مقدّمةً أراد فيها التشكيك في ولادة الإمام، لكنّ تلك المقدّمة نفسها تُجيب عن تشكيكه!! و هذا الأمر يُعدّ من الكرامات الإلهيّة في حقّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و ذلك لكي يعلم الجميع بأنّهم ليسوا أمام شخصٍ منفرد، بل هم أمام سلسلةٍ مترابطةٍ و منسجمةٍ تبدأ من عصر النبيّ صلّى الله عليه وآله و تنتهي بالإمام المهديّ عليه السلام. فقد شرع الذهبيّ في مقدّمته بكلامٍ خلاصته أنّ جميع آباء الإمام عليهم السلام كانوا أهلًا للإمامة، بل صرّح بأنّهم كانوا أجدر بالإمامة من خلفاء زمانهم، فقد ذكر أنّ الإمامين الصادق و الكاظم عليهما السلام كانا أولى بالخلافة من خليفتَي زمانَيهما المنصور و هارون، مع أنّ المنصور كان يُعدّ من الخلفاء المبجّلين لدى العامّة:

«جَعْفَرٌ الصَّادِقُ: كَبِيْرُ الشَّأْنِ، مِنْ أَئِمَّةِ العِلْمِ، كَانَ أَوْلَى بِالأَمْرِ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ المَنْصُوْرِ. وَ كَانَ وَلَدُهُ مُوْسَى، كَبِيْرَ القَدْرِ، جَيِّدَ العِلْمِ، أَوْلَى بِالخِلاَفَةِ مِنْ هَارُوْنَ»[1].

(١) سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص١١٩.

و هنا ينبغي أن يوجّه هذا السؤال إلى الذهبيّ: هل وجود اثني عشر شخصًا متسلسلين و متتابعين نسلًا بعد نسل مع كونهم جديرين بالخلافة يُعدّ أمرًا سهلًا و عاديًّا؟ هل وقوع هذا الأمر كان صدفة؟ ألَم يخبر النبيّ صلّى الله عليه وآله بوجود اثني عشر إمامًا يخلفونه و أنّهم من نسله؟

بعد هذه المقدّمة لا بدّ من التوجّه إلى أنّ نقل مسألة ولادة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف لم يقتصر على السيّدة حكيمة فقط، بل لدينا العديد من الروايات الّتي وردت عن جَوارٍ كنّ حاضراتٍ في الدار عند الولادة، بالإضافة إلى نقلها عن إحدى النساء من جيران الإمام الحسن العسكريّ عليه السّلام الّتي لم تكن على مذهبه أساسًا، فقد ذُكر أنّ الإمام العسكريّ عليه السّلام قد دعاها لحظة الولادة إلى تقديم المساعدة، فكانت حاضرة و شاهدة على ذلك، و نقلت خبر ولادته حتّى إلى المخالفين، و ذلك في تلك الظروف الشديدة الّتي كانت تحيط ببيت الإمام العسكريّ عليه السّلام و الّتي كان الإمام و أهله فيها مُلزمين بمراعاة أشدّ الكتمان، فكان انتشار هذا المقدار من الخبر في تلك الظروف بتدبيرٍ من الإمام عليه السّلام نفسه. و الأهمّ من ذلك كلّه هو شهادة الإمام الحسن العسكريّ عليه السّلام ـ و الّذي يعدّه علماء العامّة و حتّى منهم الذهبيّ الّذي يُعرَف بتعصّبه و عناده، إنسانًا شريفًا و جليل القدر ـ بولادة ابنه، إذ ورد أنّ الإمام العسكريّ عليه السّلام قد أمر أصحابه أن يعقّوا عن ولده العديد من العقائق، و أرسل إليهم الكتب يأمرهم بذلك، و دعاهم إلى رؤية طفله حديث الولادة، و الشهادة على ذلك. فكلّ هذه الأمور تعدّ من جملة الشواهد على ولادة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

لكنّ النقطة الجديرة بالاهتمام في المقام هي أنّ الشيخ البهجة قدّس سرّه يشير في هذا البرهان إلى أنّه لو أردنا أن نغضّ الطرف عن جميع هذه الإخبارات، و أن ننطلق في بحثنا من فرضيّة المخالفين ـ و لو كانت فرضيّتهم خاطئة ـ و نقول بأنّ المخبِر عن ولادته عليه السّلام هي امرأةٌ واحدة فقط، فمع ملاحظة نمط التحقيق الصحيح، لا بدّ من تغيير النظرة إلى واقعة ولادة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، بمعنى أنّه ينبغي الخروج من النظرة الضيّقة في إخبار امرأة بواقعة، إلى إجراء نظرةٍ أوسع و أكثر جامعيّة لهذه المسألة، لذا يسأل الشيخ قدّس سرّه بأنّه عندما يولد شخصٌ فهل ينحصر الاطّلاع على ولادته في إخبار من يكون حاضرًا في أثناء الولادة؟! هل هناك عاقلٌ عندما يتكلّم مع شخصٍ يسأل: «مَن يشهد لي على أنّه مولود؟! في البداءة لا بدّ من التيقّن أنّه قد ولد، ثمّ أنتقل إلى الحديث معه»!! و هل التيقّن بوجود شخصٍ منحصرٌ فقط في الإخبار عن ولادته؟ بل حتّى لو فرضنا شخصًا لم نره أساسًا، لكن مع ذلك نُقيم على وجوده

ألف شاهدٍ و دليل، لا أنّنا ـ حصرًا ـ نلجأ لإثبات وجوده إلى السؤال عن الشخص الّذي كان حين ولادته حاضرًا حتّى يخبرنا بالولادة فعلًا. و هل مِن عاقل يشكّ في وجود نفسه باعتبار أنّه لا يذكر وقت ولادته و لم يخبره أحدٌ بولادته؟! من هنا، ذكر سماحة الشيخ البهجة ﷺ في مطلع جوابه: «أَلم يره أحدٌ من الأصحاب طوال هذه المدّة؟»، بل لدينا العشرات من الأشخاص الّذين رأوا الإمام المهديّ عليه السلام في زمن حياة الإمام العسكريّ عليه السلام أمثال أحمد بن إسحاق القمّيّ الّذي قال له الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بعد أن أراه الإمام العسكريّ عليه السلام شخصه الشريف: «فَلا تَطلُب أثَرًا بَعدَ عينٍ يا أحمَد بن إسحاق»[1]. و بناءً عليه، قال سماحة الشيخ ﷺ في الفقرة الثانية من الجواب:

«لقد أخبر الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام و سائر المعصومين عليهم السلام بولادته».

يعني لماذا تجعلون أمر الإخبار بولادته منحصرًا في امرأةٍ فقط، و الحال أنّ جميع المعصومين عليهم السلام قد أخبروا بولادته سابقًا قبل أكثر من مئة سنة من وقوعها؟! أَلا يعدّ أمر الإمام العسكريّ عليه السلام بعض أصحابه أن يعقّوا عن المولود خبرًا بولادته؟ بل أكثر من ذلك، فإنّ بيانات أهل البيت عليهم السلام حول خصوصيّات الإمام بقيّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّتي ذكروها طوال التاريخ، تعدّ مؤشّرًا واضحًا و مسلّمًا به على كون هذا الأمر مستقرًّا في ثقافة الشيعة و اعتقادهم. و من تلك الخصوصيّات المستقرّة عند الشيعة و الّتي تعدّ من المسلّمات و الواضحات لديهم هي مسألة خفاء ولادته، و قد ذُكر هذا الأمر في أحاديث أهل البيت عليهم السلام منذ البداءة، لا أنّه قيل أو برز فجأةً في سنة مائتين و خمس و خمسين، لذا ورد عندنا الكثير من الروايات الّتي تفيد خفاء مولده: «تخفَى وِلادَتُه»[2]، و كذلك ذكروا أنّ علّة خفاء ولادته و غَيبته هي أن لا يكون في عنقه بيعةٌ لأحدٍ من الطواغيت؛ إذ إنّ جميع أهل البيت عليهم السلام كانت في أعناقهم بيعة لطواغيت أزمنتهم إلّا الإمام الأخير عجّل الله تعالى فرجه الشريف فإنّه: «لَيسَ لِأَحَدٍ فِي عُنُقِهِ بَيْعَة»[3]، و قد أكّد جميع الأئمّة عليهم السلام هذه الثقافة الشيعيّة، و لذا عندما أمضى الإمام المجتبى عليه السلام الصلح مع معاوية و اعترض عليه بعض شيعته، أشار الإمام عليه السلام إلى المرتكز الفكريّ لدى الشيعة و قال:

---

(١) كمال الدين، ج٢، ص٣٨٤.

(٢) كمال الدين، ج١، ص٣٠٣.

(٣) الغيبة (للنعمانيّ)، ص١٩١.

«أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَيَقَعُ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ لِطَاغِيَةِ زَمَانِهِ، إِلَّا الْقَائِمُ الَّذِي يُصَلِّي رُوحُ اللَّهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام خَلْفَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْفِي وِلَادَتَهُ وَيُغَيِّبُ شَخْصَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِأَحَدٍ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ إِذَا خَرَجَ، ذَلِكَ التَّاسِعُ مِنْ وُلْدِ أَخِي الْحُسَيْنِ، ابْنِ سَيِّدَةِ الْإِمَاءِ، يُطِيلُ اللَّهُ عُمُرَهُ فِي غَيْبَتِهِ ثُمَّ يُظْهِرُهُ بِقُدْرَتِهِ فِي صُورَةِ شَابٍّ دُونَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ذَلِكَ لِيُعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».[1]

وكذلك في قضيّة خروج أبي مسلم الخراساني، عندما طرح على الإمام الصادق عليه السلام قبول الخلافة، قال الإمام عليه السلام:

«أُفٍّ أُفٍّ! مَا أَنَا لِهَؤُلَاءِ بِإِمَامٍ، أَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَقْتُلُ السُّفْيَانِيَّ».[2]

و مقصود الإمام عليه السلام من ذلك أنّ ثقافة الشيعة بُنيت على تولّي اثني عشر إمامًا و ليس ستّة أئمّة، فهؤلاء الّذين يتمنّون خلافته أما يعلمون هذه العقائد الواضحة و الصريحة و البديهيّة لدى الشيعة؟ ألم يكن أصحاب الإمام الصادق عليه السلام يرونه يبكي و يذرف دموعه عندما كان يناجي الإمام الثاني عشر عليه السلام بقوله:

«سَيِّدِي غَيْبَتُكَ نَفَتْ رُقَادِي وَضَيَّقَتْ عَلَيَّ مِهَادِي وَابْتَزَّتْ مِنِّي رَاحَةَ فُؤَادِي».[3]

ثمّ يشير الشيخ البهجة قدس سره في الفقرات التالية إلى شواهد لا يمكن إنكارها؛ إذ إنّ كلّ منصفٍ حينما ينظر إليها سيتيقّن بحقّانيتها. فما نراه من ظهور الكرامات العديدة على امتداد القرون للمتوسّلين بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، مع كون الكثير من هؤلاء الأشخاص لم يكونوا شيعةً أساسًا إلّا أنّهم نالوا حاجاتهم و حُلّت مشكلاتهم الّتي لم يكن حلّها ممكنًا بأيّ نحوٍ من الأنحاء العاديّة و الطبيعيّة، و هذا بنفسه دليلٌ واضحٌ على أنّ شخصًا متّصلًا بالغَيب قد قضى حاجاتهم، و أنفسهم تيقّنوا بأنّهم أصبحوا تحت عناية الإمام الحجّة عليه السلام، و حتّى في كثيرٍ من الموارد لا يكون للشخص أيُّ معرفةٍ بالإمام عليه السلام أو احتمال بكونه في محضره الشريف، إلى أن يحلّ مشكلته و يقضي حاجته. هذا فضلًا عن أنّ الكثير من العلماء الكبار و الأفراد المعروفين بصلاحهم، الّذين صدقهم الفعليّ و الفاعليّ و القوليّ محرزٌ لدينا، قد ادّعوا أنّهم

(١) كمال الدين، ج١، ص٣١٦.
(٢) كمال الدين، ج٨، ص٣٣١.
(٣) كمال الدين، ج٢، ص٣٥٣.

شاهدوه و رأوه، بحيث لا يمكننا أن ننسب إليهم جميعًا الكذب في إخبارهم هذا، لذا فإنّ كلّ إنسانٍ مُنصفٍ عندما يرى جميع هذه الأخبار المتواترة عن أشخاصٍ معروفين بقداستهم و علمهم و تقواهم و صلاحهم، يطمئنّ بأنّ الكثير منها على الأقلّ صحيح إن لم نقل كلّها. هذا فضلًا عن أنّ حصول اليقين بوجود شخصٍ غير متوقّفٍ على رؤيته بالعين، فإنّ جميع عقلاء العالم يقرّون بهذا الأمر، و يعدّون الرؤية البصريّة إحدى الطرق الموصلة إلى اليقين لا أنّها الطريق المنحصر. مثلًا، لو سمع أحدهم صوت شخصٍ من وراء ستار، يمكنه أن يستيقن بأنّ وراءه شخصًا موجودًا، حتّى لو لم يكن قد رآه. و على هذا الأساس، فقد يصل المرء إلى اليقين بوجود الإمام عليه السلام من طريقٍ غير الرؤية كأن يعتمد على بعض القرائن مثل السمع، أو قد يصل إلى يقينٍ بأنّ هذا هو حجّة الله بالاعتماد على أيّ قرينةٍ أخرى، كأن يأتي الإمام عليه السلام و يخبر هذا الشخص عن أمور غَيبيّة أو شخصيّة لا يعلمها غيره؛ بحيث يحصل له يقين بأنّ الّذي أتاه و تحدّث إليه هو الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و كثيرون هم الّذين حصل لهم التشرّف السمعيّ أو بطرقٍ أخرى و أصبحوا محلًّا لعناية حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

الملحق الثالث:

«دراسة حول موضوع الأئمة الاثني عشر عليهم‌السلام»

إنّ مسألة الأئمّة الاثني عشر عليهم‌السلام قد نُقلت بالتواتر عند السنّة و الشيعة، بل يرجع تاريخ نقلها إلى قبل ذلك بكثير، فقد طُرحت في الكتب السماويّة السابقة كالتوراة. و عمومًا، عندما يكون هناك مطلبٌ حقيقيٌّ و صادقٌ فإنّ خفاياه تتكشّف للناس و تزداد لهم شواهد صدقه كلّما مرّ عليه الزمان، و يزداد توغّلًا في عقيدة الناس، على العكس تمامًا من المطلب الكاذب الّذي يبقى متزلزلًا، و تتكشّف عدم حقّانيّته أكثر كلّما مرّ عليه الزمان. و يمكن تقسيم شواهد الصدق الّتي يمكن أن تُقام على أيّ مطلبٍ إلى ثلاثة أقسام: الأمور السابقة عليه، و الأمور المقارنة له، و الأمور اللاحقة له أي الّتي تتحقّق بعده. فالمسألة إن كانت محقّة، نجد أنّ كلّ الأدلّة و الشواهد السابقة و المقارنة و اللاحقة لها متوافقة معها، ليس عند مَن يؤمن بها فقط، بل حتّى عند المخالف لها و المتوقّف فيها. و من هذا القبيل مسألة وصاية الاثني عشر خليفةً و إمامًا بعد النبيّ صلّى‌الله‌عليه‌وآله، لأنّ العدد له مفهومٌ واضحٌ جدًّا لا تردُّد فيه، و خصوصًا أنّ العدد «اثنا عشر» عددٌ كبيرٌ إذا ما ارتبط بتحقّق أمرٍ معيّنٍ تاريخيٍّ تراتبيٍّ و متسلسل، و إن قيل إنّ هذا التسلسل مجرّد أمرٍ اتفاقيّ، فالناس ـ في الغالب ـ لا يقبلون ذلك، و خصوصًا إذا كانت هناك أرضيّة تاريخيّة تساعد الجميع على فهم ذلك، و مسألة الأئمّة الاثني عشر من هذا القبيل و لها سابقة إلهيّة. و يمكن أن يسجّل اعتراف ابن تيميّة الّذي يُعدّ من أشدّ المخالفين للشيعة و لاعتقادهم بالاثني عشر إمامًا من أهل البيت عليهم‌السلام، إذ إنّ إقرار شخصٍ مثله في كتاب «منهاج السنّة» يمكن أن يوضح لكلّ منصفٍ المساحة التاريخيّة المتجذّرة لمسألة الأئمّة الاثني عشر، و كذلك تلميذه المعروف ابن كثيّر الدمشقيّ صاحب كتاب «تفسير القرآن العظيم»، و هو كتاب معروفٌ و مشهورٌ عند أهل السنّة و السلفيّة، و أيضًا كتابه «البداية و النهاية» في التاريخ، و من اللطيف أنّه ينقل في كِلا كتابَيه ـ بمناسبةٍ ما ـ عن أستاذه أنّ كثيرًا من اليهود إذا أسلموا تشيّعوا، لأنّهم سبق أن سمعوا بشارة التوراة بالاثني عشر عظيمًا في الأمّة الإسلاميّة، و تطبيق ذلك على أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام

عندهم في غاية الوضوح، و كيف أنّهم سخّروا القلوب على الرغم من مرور القرون المتوالية، و كلّما مضت ازداد وضوح صدقهم و حقّانيّتهم، و بما أنّ أذهانهم، بخلاف أهل السنّة، لم تكن قد أنست بعدُ بما جرى في حادثة السقيفة و توجيه عمل مرتكبيها، يمكنهم أن يدركوا سريعًا أنّ الاثني عشر إمامًا هم بشارة التوراة، خاصّةً أنّ جميع المسلمين سنّة و شيعة قد نقلوا سماتهم عن نبيّ الإسلام ﷺ، يقول ابن تيميّة في «منهاج السنّة» بعد نقل حديث رسول الله ﷺ:

«و هؤلاء الاثنا عشر خليفة هم المذكورون في التوراة، حيث قال في بشارته بإسماعيل: و سيلد اثني عشر عظيمًا»[1]

و يعترف بعد عدّة سطور:

«و كثيرٌ من اليهود إذا أسلم يتشيّع، لأنّه رأى في التوراة ذكر الاثني عشر فظنّ أنّ هؤلاء هم أولئك».

و قد أمِل ابن تيميّة أن يكون بعض اليهود الّذين أسلموا أمثال يزيد جزءًا من بشارة التوراة هذه، فقال:

«فكان الخلفاء أبو بكر و عمر و عثمان و علي، ثمّ تولّى من اجتمع الناس عليه و صار له عزّ و منعة: معاوية و ابنه يزيد ثمّ عبد الملك و أولاده الأربعة».

و على أيّ حالٍ، فإنّ اتفاق السنّة و الشيعة على العدد «اثنا عشر» بالإضافة إلى بشارة التوراة يحمل كلّ باحثٍ عاقلٍ على معرفة مَن هم هؤلاء الاثنا عشر، و قد نقل ابن كثيّر تلميذ ابن تيميّة اعتراف أستاذه في كلا كتابَي التفسير و التاريخ و أيّده:

«و بعض الجملة ممّن أسلم من اليهود إذا اقترن بهم بعض الشيعة يوهمونهم أنّهم الاثنا عشر فيتشيّع كثيرٌ منهم».[2]

«و غلط كثير ممّن تشرّف بالإسلام فظنّوا أنّهم الّذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فاتّبعوهم».[3]

---

(١) منهاج السنة، ج٨، ص٢٣٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٣٣.

(٣) البداية و النهاية، ج٦، ص٢٥٠.

فابن كثير هنا يعدّهم جهلةً يجب أن يرجعوا إلى العلماء حتّى يعرفوا من هم هؤلاء النفر الاثنا عشر، و لكنّه لا يعترف أنّه هو نفسه ذاهلٌ و متحيّرٌ في كتابه هذا، و اللطيف أنّه يقول في نقد كلام البيهقيّ:

«فهذا الّذي سلكه على هذا التقدير يُدخل في الاثني عشر يزيد بن معاوية، و يُخرج منهم عمر بن عبد العزيز الّذي أطبق الأئمّة على عدّه من الخلفاء الراشدين».[1]

في حين أنّ كلّ من ينظر في كلام علماء العامّة يُدرك مدى التخبّط و الاختلاف و التضارب في تعيين مصداق الأئمّة الاثني عشر، و هذا بنفسه دليلٌ على أنّه لا يمكن إنكار وجود «اثنا عشر إمامًا» حتّى عند العامّة البارعين و الخبيرين في إنكار اليقينيّات و التشكيك في المسلّمات التاريخيّة، كما لا يمكن إنكار الروايات المتواترة عن النبيّ ﷺ و الدالّة على وجود اثني عشر إمامًا في الكتب الحديثيّة المتعدّدة، و مع هذه الحال لا يمكن لهم بأيّ معيارٍ منطقيّ معقول أن ينتخبوا هؤلاء الاثني عشر من بين خلفائهم و يحدّدوهم، لدرجة أنّ كلّ مَن حاول من علمائهم جمع ذلك قد اصطدم بمعارضاتٍ من قبل علماء أهل السنّة أنفسهم، من قبيل ما قام به عبد الله بن عمر، إذ إنّه بعد أنْ ذكر عددًا من الخلفاء، ذكر أناسًا مجهولين من قبيل «جابر» و «سلام» و «أبو العصب»، ممّن ليس لهم وجودٌ و لم يرد لهم ذكرٌ في التاريخ قطّ، أو أنّه أساسًا ليس لهم سِمة العدالة و عدم الظلم و الّتي هي أقلّ الشروط العقليّة و النقليّة للخلفاء الاثني عشر، فقاموا بإدخال أفرادٍ فيهم أمثال يزيد و السّفاح و المنصور ممّن قد اشتهروا بالظلم و الفساد حتّى عند العامّة أنفسهم، في حين أنّهم أخرجوا منهم عمر بن عبد العزيز و هو الّذي اشتهر عندهم بالصلاح و العدالة[2]. و لم يستطع جلال الدين السيوطيّ ـ مع سعيه لانتخاب الأشخاص الّذين يراهم عدولًا بنظره من بين الخلفاء ـ أن يوصل عددهم إلى الاثني عشر، فاضطرّ عند ذكر المهديّ من أهل بيت محمّد ﷺ أن يذكر اسم خليفةٍ لا وجود له و إنّما اخترعه اختراعًا[3]. و كذلك ابن حجر، و هو الّذي له محبّة خاصّة للخلفاء الأمويّين ظاهرًا، إذ إنّه في سعيه إلى ترتيب الخلفاء الأمويّين لم يُسقط من لائحته لا معاوية و لا يزيد على الرغم من الجنايات و الجرائم الّتي ارتكباها، كما أنّه لم

(١) البداية و النهاية، ج٦، ص٢٤٩.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص١٠ ـ ١٢.

(٣) تاريخ الخلفاء، ص١٠ ـ ١٢.

يأتِ على ذكر عمر بن عبد العزيز[1]. و كذلك سفيان الثوريّ الّذي سعى وراء الخلفاء العدول، كما فعل السيوطيّ، لم يستطع أن يحقّق أكثر من خمسة خلفاء يمتلكون بزعمه مؤهّلات خلافة رسول الله ﷺ![2]. و كما هو الملاحظ، فإنّه من الوضوح بمكان لليهوديّ الّذي أسلم حديثًا أنّ ما يمكن أن يكون مصداقًا للأئمّة الاثني عشر الّذين ذُكروا في التوراة كعلامةٍ هم الأئمّة الاثنا عشر للشيعة الّذين قد ذُكرت أسماؤهم من البداءة في روايات النبيّ ﷺ و آخرهم الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، لكن علماء العامّة تراهم يتعامون عن هذه الحقيقة الواضحة!

و على أيّ حال، فإنّ للوجهة التاريخيّة للأئمّة الاثني عشر عليهم السلام فيما قبل الإسلام بحثًا واسعًا، فيه من النكات الدقيقة الّتي تحتاج إلى تفصيلٍ أكثر، لكنّ الشواهد المقارنة للحياة الدنيويّة لهؤلاء الأنوار المقدّسة موجودةٌ بين جميع المسلمين بنحوٍ متواتر، منذ صدر الإسلام على لسان النبيّ ﷺ إلى نهاية الغيبة الصغرى على لسان كلّ واحدٍ من المعصومين عليهم السلام، و هذا المطلب قد نُقل بكثرةٍ لدرجةٍ خرج بها من الرواية إلى الدراية، كما أنّ المساحة الزمانيّة الّتي تبلغ حدود الثلاثمئة سنة، كانت كافية لكي لا يبقى هذا الأمر خافيًا على أحد. و ما قام به سماحة آية الله الشيخ البهجة قدّس سرّه من جمعه عشرين رواية بهذا المضمون أيّام إقامته في النجف الأشرف هو من لوازم تثبيت ثقافة أهل البيت عليهم السلام و آثاره على مرّ العصور. و كذلك يُعدّ الكتاب المشهور «كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام» شاهدًا صارخًا على هذا الأمر. و الأهمّ من ذلك هو دور الشِعر و الأثر الّذي يخلّفه، إذ إنّه يذهب أبعد من موضوع الحديث و الرواية، و يجعل المجتمع يكرّره للأجيال القادمة. كلّ ذلك أصبح سببًا لردّة فعل أجهزة الخلافة الحاكمة، أَفلا يمكن الحدس أنّ سبب تزويج المأمون ابنته للإمام الجواد عليه السلام هو أن يكون الموعود المنتظر من نسله؟ و هذا ما فهمه المأمون بنحوٍ صريح من قصيدة دعبل الّتي أنشدها في محضر الإمام الرضا عليه السلام، مع أنّ ذلك قد طرق سمعه مرارًا من قبل، لكنّ درايته بتأكيد الإمام عليه السلام له قد أضاف إليه قيمةً مضاعفة. و هل يمكن أن يفسّر سلوك الأجهزة الحكوميّة حين أحضرت الإمام الهادي عليه السلام إلى منطقة العسكر ليكون تحت أعيُنها بالكامل سوى أنّه إدراكٌ لاقتراب اكتمال العدد «اثنا عشر»؟ و قد جاء في كتب أهل

---

(١) فتح الباري، ج١٣، ص٢١٤.

(٢) سنن أبي داود، ج٤، كتاب السنّة، باب ٧.

السنّة أنّ الخليفة أخّرَ تقسيم تركة الإمام العسكريّ عليه السلام و ميراثه سبع سنوات حتّى يعلم ما لديه من أولاد. حتّى إنّ لقب العسكريّ للإمام عليه السلام هو أحد الألطاف الإلهيّة و إتمامٌ للحجّة على الخلق، لذلك عندما يسمّي أحمد بن حنبل مدينة سامرّاء بالسجن، يفهم كلّ منصفٍ ذلك على أنّ محلّة العسكر كانت عبارة عن سجنٍ في هذه المدينة العسكريّة. و على أيّ حالٍ فإلى سنة ٢٦٠هـ.ق، أي زمن شهادة الإمام العسكريّ عليه السلام، و من زمن الغيبة الصغرى إلى سنة ٣٢٩هـ.ق، كانت مسألة الأئمّة الاثني عشر قد استقرّت، و مع وفاة النائب الرابع عليّ بن محمّد السمريّ رحمه الله انقطع الارتباط العامّ للناس بأهل بيت العصمة عليهم السلام، و لم يعد هناك من يكون بينهم بجسده و يدافع عن بيت الإمام العسكريّ عليه السلام، و ما تبقّى من هذه الثلاثمئة سنة هو تراثٌ ثقافيٌّ عظيم، و من هذا الزمان تبدأ مرحلتنا الثالثة أي الأمور اللّاحقة على إمامة الأئمّة الاثني عشر، يعني أنّه كلّما قَرُبَ انتهاء زمان الغيبة الصغرى توجّهت النُّخب الفكريّة إلى حقّانيّة أئمّة الشيعة عليهم السلام، و كلّ من يتّضح له هذا الموضوع جليًّا، سواء من العوامّ أم الخواصّ، يحمل عَلَم الدفاع عن الأئمّة عليهم السلام و ترويج أمرهم، فيضع كلّ ما قد فهمه بوضوحٍ مورد استفادة الآخرين، حتّى يقتدي أولئك به و يصبحوا مدافعين عن العقيدة الاثني عشريّة. و مسألة الإمامة و إن كانت لا تخفى على الخلفاء العباسيّين، إلّا أنّ مرور الوقت كان يزيد نسبة الاطمئنان بها، و الّذي ضاعف هذا الأمر هو سيطرة آل بويه على بغداد، و الّذين بدورهم تبنّوا حقّانيّة أهل البيت عليهم السلام في محيطٍ حرٍّ غير متحيّزٍ نوعًا ما، و عندما تسلّطوا على الحكم قاموا بترويج العقائد الشيعيّة الحقّة؛ إذ في سنة ٣٥٢هـ.ق شهدت مدينة بغداد بأطرافها المترامية لأوّل مرّة العطلة الرسميّة و العامّة في الثامن عشر من ذي الحجّة أي في عيد الغدير و في يوم عاشوراء، و قد أثّرت هذه الأمور حتّى داخل أروقة الخلافة العبّاسيّة، و كان كلّ فطنٍ من الخلفاء يتبنّى مسألة حقّانيّة الاثني عشريّة، إلى أن وصل الأمر إلى أقوى الخلفاء العبّاسيّين و أكثرهم قدرةً ناصر الدين بالله العبّاسيّ المتوفّى سنة ٦٢٢هـ.ق، إذ اعترف جميع المسلمين ـ أعمّ من الشيعة و السنّة ـ بميوله لعقيدة الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام و حياة الإمام الثاني عشر عجّل الله تعالى فرجه الشريف منهم، و بقيت عمارته للسرداب المقدّس في سامرّاء لعدّة قرون معكفًا للزّوار و معلمًا لهم. أَليس من اللافت أن يكون الخليفة العبّاسيّ الّذي بقي أطول مدّةٍ في الخلافة (حدود ٥٠ سنة) يعتقد بوجود الإمام المعصوم عليه السلام من أهل بيت العصمة و الطهارة عليهم السلام، مع ما اتّسمت به دولته من تعاظُمِ قُدرة، و ما له من شهرةٍ بالكرامات بين

الناس؟ و الأعجب منه ما جاء فيما ذكره الصنعانيّ المتوفّى سنة ١١٢١هـ.ق في كتاب «نسمة السحر فيمن تشيّع و شعر» نقلًا عن الذهبيّ المتوفّى سنة ٧٤٨هـ.ق، من أنّ الخليفة العبّاسيّ نفسه كان يرى أنّه نائب الإمام الثاني عشر عجّل الله تعالى فرجه الشريف:

«و من العجائب أنّه كان من الشيعة الإماميّة في الإمامة و المعتقد، و كان يرى نفسه نائبًا للإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و بذلك ذكره الذهبيّ و عجب منه».[1]

و أيضًا ما جاء في كتاب أعيان الشيعة:

«و الإمام الناصر هو الّذي بنى سرداب الغيبة في سامرّاء و جعل فيه شبّاكًا من الأبنوس الفاخر أو الساج، كتب على دائره اسمه و تأريخ عمله، و هو باقٍ لهذا الوقت، و كأنّما فرغ منه الصنّاع الآن»[2].

و كذلك ابن المظفّر ـ المتوفّى سنة ٦١٧هـ.ق المعاصر للخليفة ناصر الدين ـ يقول في كتابه «مضمار الحقائق» في بيان وقائع سنة ٥٨٠هـ.ق:

«و في هذه السنة سألَت أمّ الخليفة أن يؤذَن لها في زيارة مشهد سرّ من رأى... و خرج الخليفة و أمّه إلى الزيارة و العسكر في خدمته».

و بعد تفصيل الحادثة يقول:

«و كان الخليفة قد تقدّم إلى أستاذ الدار أن يعمر مشهد سرّ من رأى و أن يشيّده و ينفذ إليه فرشًا و بسطًا و جميع ما يحتاج إليه»[3].

و الآن تجب الملاحظة بدقّة أنّ بيت الإمامَين المظلومين الهادي و العسكريّ عليهما السلام الّذي كان في غاية الغربة و متّخَذًا كالحبس و مهجورًا على يد المتوكّل العبّاسيّ و الخليفة الآخر بعده في مدينة سامرّاء العسكريّة كيف غدا بعد ثلاثة قرون مجلّلًا و حرمًا عظيمًا على يد أجهزة الخلافة العبّاسيّة. فهل هذا غير القول كلّما مرّ الزمان عُرفت حقّانيّة الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام و اتّضحت للجميع؟ حتّى يصل الأمر اليوم إلى أنّه في مهد الوهّابيّة و السلفيّة في

(١) نسمة السحر، ج١، ص٢٥٣.

(٢) أعيان الشيعة، ج٢، ص٥٠٧.

(٣) مضمار الحقّ و سرّ الخلائق، ص١٧٧.

المدينة المنوّرة و المسجد النبويّ ﷺ المطهّر لا يمكنهم أن يمحوا البناء التاريخيّ و الأسماء المطهّرة للأئمّة المعصومين عليهم السلام الّتي هي في معرض رؤية جميع المتشرّفين بزيارة المسجد الشريف. و العجب أنّهم حتّى بخصوص الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف الّذي تعتقد الشيعة بحياته و مع أنّ زعماء الحرمَين الشريفين ضدّه و يخالفون الاعتقاد بحياته و يرون أنّ وجوده موهومٌ لا أكثر، كيف وضعوا اسمه المبارك هو و أسماء آبائه المكرّمين عليهم السلام أمام مرأى العموم في الحرم النبويّ ﷺ المطهّر؟ فهل يكتبون اسم شخصٍ موهومٍ في الحرم المطهّر؟! أم أنّه لا يمكن طمس الحقّ و الحقيقة إلى الأبد؟

الملحق الرابع:
«دراسة حول موضوع علوم الأئمة عليهم السلام»

تؤكّد الكثير من الأحاديث الشريفة أن الأئمّة المعصومين عليهم السلام عندهم عِلم ما كان و ما سيكون و جميع أمور العالَم، إذ عندهم علم الكتاب. و القرآن كتابٌ أودع الله تعالى فيه جميع حقائق عالم الوجود و ما كان و ما سيكون إلى يوم القيامة، و هو حاضرٌ لدى أهل البيت عليهم السلام، فهم محيطون بالزمان و المكان. و على وفق ما جاء في الروايات، فإنّ العبد الّذي يكون مخفيًّا عنه خبر السماء لا يكون أهلًا للإمامة أصلًا، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «اللَّهُ أَكْرَمُ وَأَرْأَفُ بِالْعِبَادِ مِنْ أَنْ يَفْرِضَ عَلَيْهِم طَاعَةَ عَبْدٍ يَحْجُبُ عَنْهُ خَبَرَ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»[1]. و قد صرّحت الكثير من الروايات أنّ الإمام المعصوم عليه السلام يعلم كلّ ما كان و ما سيكون إلى يوم القيامة، منها ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «سُئِلَ عَلِيٌّ عليه السلام عَنْ عِلْمِ النبيّ صلى الله عليه وآله. فَقَالَ: عَلِمَ النبيّ صلى الله عليه وآله عِلْمَ جَمِيعِ النبيّينَ وَعِلْمَ مَا كَانَ وَعِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. ثمّ قَالَ: وَالّذي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنّي لَأَعْلَمُ عِلْمَ النبيّ صلى الله عليه وآله وَعِلْمَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ قِيَامِ السَّاعَة»[2]. و أيضًا ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «وَاللَّهِ إِنّي لَأَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي الْجَنَّةِ وَمَا فِي النَّارِ وَمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، ثمّ قَالَ: أَعْلَمُهُ مِنْ كِتَابِ [اللَّهِ]، أَنْظُرُ إِلَيْهِ هَكَذَا، ثمّ بَسَطَ كَفَّيْهِ ثمّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ»[3] [يبدو أنّ الراوي قد نقل الآية بمضمونها و ليس نصًّا حرفيًّا]. و بناءً على هذه الروايات و الأخبار العديدة الأخرى، فإنّ اطّلاع الإمام عليه السلام لا يقتصر على الوقائع المستقبليّة في جميع العوالم الموجودة في السماوات و الأرض فحسب، بل إنّه عليه السلام مطّلع على وقائع عوالم الآخرة أيضًا، لأنّهم عالِمون بكتاب الله المكنون الّذي سُجّلت فيه جميع وقائع العالم، كائنًا ما كان أو يكون. كما تشير الروايات إلى وجود عمود من نور بين الإمام عليه السلام و بين الله

---

(١) بصائر الدرجات، ج١، ص١٢٤؛ الغيبة (للنعماني)، ص٣٢٦.

(٢) بصائر الدرجات، ج١، ص١٢٧.

(٣) بصائر الدرجات، ج١، ص١٢٧.

تعالى، كلّما أراد أن يعلم شيئًا فإنّه ينظر إلى ذلك النور فيعلمه: «إِنَّ اللَّهَ... جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِمَامِ عَمُودًا مِنْ نُورٍ يَنْظُرُ اللَّهُ بِهِ إِلَى الْإِمَامِ وَيَنْظُرُ الْإِمَامُ [بِهِ إِلَيْهِ]، إِذَا أَرَادَ عِلْمَ شَيْءٍ نَظَرَ فِي ذَلِكَ النُّورِ فَعَرَفَهُ»(١). و كذلك قول الإمام الكاظم عليه السلام المبيّن لمنزلة الإمام عليه السلام: «إِنَّمَا مَنْزِلَةُ الْإِمَامِ فِي الْأَرْضِ بِمَنْزِلَةِ الْقَمَرِ فِي السَّمَاءِ وَفِي مَوْضِعِهِ هُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا»(٢). يُضاف إلى هذا أنّ عند الأئمّة عليهم السلام العديد من الكتب: كالجفر و الجامعة و مصحف فاطمة عليها السلام و صحف إبراهيم عليه السلام و ألواح موسى عليه السلام و...، إذ كلّ كتاب منها يحتوي على علومٍ خاصّة مع كونها لا تُعدّ عِلمًا بالنسبة إلى عِلم الإمام اللدنّي و إنّما تسمّى أثرًا(٣). و أحد هذه الكتب هو كتاب الجفر الّذي يحوي كلّ الأحداث و الوقائع الاجتماعيّة إلى يوم القيامة، يقول سدير الصيرفيّ: «دَخَلْتُ أَنَا وَالْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ وَأَبُو بَصِيرٍ وَأَبَانُ بْنُ تَغْلِبَ عَلَى مَوْلَانَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عليه السلام... قَالَ: وَيْلَكُمْ، نَظَرْتُ فِي كِتَابِ الْجَفْرِ صَبِيحَةَ هَذَا الْيَوْمِ وَهُوَ الْكِتَابُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى عِلْمِ الْمَنَايَا وَالْبَلَايَا وَالرَّزَايَا وَعِلْمِ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي خَصَّ اللَّهُ بِهِ محمّدًا صلى الله عليه وآله وَالْأَئِمَّةَ عليهم السلام مِنْ بَعْدِهِ، وَتَأَمَّلْتُ مِنْهُ مَوْلِدَ قَائِمِنَا عجل الله فرجه وَغَيْبَتَهُ وَإِبْطَاءَهُ وَطُولَ عُمُرِهِ وَبَلْوَى الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَ...»(٤). و عن الإمام الباقر عليه السلام: «عِنْدَنَا الْجَفْرُ وَهُوَ أَدِيمٌ عُكَاظِيٌّ، قَدْ كُتِبَ فِيهِ حَتَّى مُلِئَتْ أَكَارِعُهُ، فِيهِ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٥). و ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَا تَسْأَلُونِي مِنْ فِئَةٍ تَبْلُغُ ثَلَاثَمِائَةٍ فَمَا فَوْقَهَا فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِسَائِقِهَا وَقَائِدِهَا وَنَاعِقِهَا وَبِخَرَابِ الْعَرَصَاتِ مَتَى تَخْرَبُ وَمَتَى تَعْمُرُ بَعْدَ خَرَابِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٦).

و في روايةٍ أخرى عنه عليه السلام: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُونِّي عَنْ فِئَةٍ تُضِلُّ مِائَةً وَتَهْدِي مِائَةً، إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَسَائِقِهَا، وَلَوْ شِئْتُ لَأَخْبَرْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَدْخَلِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ»(٧). فهل يُمكن ـ مع كَون هذا الكتاب يتضمّن زمان حدوث أيّ حركةٍ اجتماعيّةٍ تحصل إلى يوم القيامة و مكانها و جميع تفاصيلها، صغيرة كانت أم كبيرة ـ أن لا يتضمّن

(١) بصائر الدرجات، ج١، ص٤٤٠؛ بحار الأنوار، ج٢٦، ص١٣٤.

(٢) بصائر الدرجات، ج١، ص٤٤٣؛ بحار الأنوار، ج٢٦، ص١٣٦.

(٣) راجع: بصائر الدرجات، ج١، ص١٣٥.

(٤) كمال الدين، ج٢، ص٣٥٣.

(٥) بصائر الدرجات، ج١، ص١٦٠.

(٦) كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج٢، ص٧١٣؛ بحار الأنوار، ج٣٤، ص٢٥.

(٧) بحار الأنوار، ج٤٠، ص١٩٢.

زمان وقوع أعظم حركات الخروج في العالَم و أهمّها و مكانها و تفاصيلها، أي ظهور الإمام الحجّة عجّل الله فرجه؟ هذا فضلًا عن عِلم الإمام عليه السلام اللدُنّي الّذي تقدّمت بعض رواياته.

و مع وجود آياتٍ و رواياتٍ متعدّدة، و أدلّةٍ واضحةٍ و صريحة، و مع الشواهد القطعيّة الّتي تشير إلى سعة عِلم الإمام عليه السلام، يبقى هناك من يتردّد و يشكّك في علم الإمام الحجّة عجّل الله فرجه بوقت ظهوره، متمسّكًا ببعض الأدلّة و الوجوه، و سنستعرض في ما يلي أبرزها و نجيب عنها باختصار:

١. إنّ وقت الظهور مرتبطٌ بالمستقبل، و يُعدّ العلم به من مصاديق العِلم بالغَيب الّذي اختصّ الله تعالى به نفسه، قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(١).

٢. ذكرت الروايات أنّ وقت الظهور من الأسرار الإلهيّة، و شُبّه أمر الظهور بالقيامة. و بناءً على هذا، فكما لا يعلم أحدٌ وقت قيام القيامة و وقوع الساعة سوى الله تعالى، فكذلك بالنسبة إلى ظهور الإمام الحجّة عجّل الله فرجه، لا يعلمه غير الله تعالى، و الاطّلاع عليه مختصٌّ به سبحانه و تعالى. ففي الحديث المعروف عن دعبل عندما سأل الإمام الرضا عليه السلام عن وقت ظهور القائم عجّل الله فرجه، ذكر له الإمام عليه السلام التشابه بينه و بين يوم القيامة، و ذكر الآيات الّتي تشير إلى اختصاص الله تعالى بالعِلم بوقته: «قَدْ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام أَنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى يَخْرُجُ الْقَائِمُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ؟ قَالَ: مَثَلُهُ مَثَلُ السَّاعَةِ لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ، ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً»(٢). و عليه يكون العِلم بوقت ظهور الإمام عجّل الله فرجه مختصًّا به تعالى فقط.

٣. ورد في بعض الروايات النهي عن التوقيت، و هذا يدلّ على أنّ أهل البيت عليهم السلام لا يعلمون وقت الظهور، كقولهم عليهم السلام: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نُوَقِّتُ»(٣). و هذا يمكن أن يكون تفسيره أنّ الله تعالى لم يُطلعهم على وقت الظهور، و لذلك فإنّهم عليهم السلام لا يمكنهم أن يوقّتوا ذلك.

٤. مع الالتفات إلى احتمال حصول البَداء في أمر الظهور، فلا يمكن حينئذٍ تحديد وقته بنحوٍ قطعيّ، لانتفاء العلم القطعيّ.

---

(١) سورة النمل، الآية ٦٥.

(٢) كفاية الأثر، ص٢٧٧.

(٣) الكافي، ج١، ص٣٦٨.

٥. طلبُ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى شيعته الدعاء بتعجيل الفرج بقوله: «أَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُم»[1] يدلّ على عدم معرفته بالوقت و عليه يصير دعاء الشيعة بالفرج سببًا لتعجيله.

هذه هي أبرز الوجوه الّتي يمكن أن يُستدلّ بها و تكون سببًا لتشكيك البعض في عِلم الإمام عليه السلام بوقت ظهوره. طبعًا إذا اعتقد أحدٌ من الشيعة بأحد الوجوه السالفة الذكر، فإنّ ذلك لا يضرّ بإيمانه و تشيُّعه، لأنّه يملك حدّ النصاب من العقائد الحقّة، إذ من الممكن أحيانًا أن يكون لبعض المحكمات الاعتقاديّة لوازم دقيقة جدًّا، لكنّ الشخص لا يلتفت إليها، فهذا الشخص في هذه الحالة لا يؤاخَذ و لا يُوبَّخ، إذ إنّ الاعتقاد بأنّ الله تعالى قد جعل هذا الإمام مفترض الطاعة كافٍ في المقام. لكن على أيّ حالٍ، سوف نبيّن أنّ هذه الوجوه برُمّتها غير صحيحة و ليس فيها من الحقّ شيءٌ، و سنشير باختصارٍ إلى ضَعفها، و لكن في البداءة نذكر مقدّمة مختصرة في علم الإمام عليه السلام فنقول:

إذا أردنا أن نعرف حقيقة الوصول إلى علم الإمام عليه السلام فلا بدّ لنا أوّلًا من معرفة الاختلافات بين الإمام عليه السلام و الإنسان العاديّ، و أحد تلك الاختلافات هو أنّه في الإنسان العاديّ يوجد عالَم واحد متحقّق، يعني كلّ إنسان يشعر أنّ تمام شؤون وجوده تُخرجه من حالة معيّنة إلى حالة أخرى بكلّ انسجام و رويّة، كما إذا أراد أن يرى نفسه هل هو عالِمٌ بالأمر الفلانيّ أم لا، فإنّه ليس له إلّا حالتان، إمّا أنّه يعلم و إمّا أنّه لا يعلم، و ذلك لأنّ وجوده عالَمٌ واحدٌ فقط، و العالَم الواحد ليس له إلّا حكمٌ واحد. أمّا إذا فرضنا وجود شخص تتحقّق فيه عدّة عوالِم و كلّ عالَمٍ مستقلّ عن الآخر و إن كانت هذه العوالم مرتبطة ببعضها، ففي هذه الحالة يكون لكلّ عالَم حُكمه الخاصّ، و اتّصاف شخصٍ بأحكام عالَمٍ منها و آثاره لا يحجب عنه آثار العالَم الآخر. و قد وردت الإشارة إلى هذه النكتة المهمّة في الرواية المعروفة بأرواح الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام، ففي الحديث أنّ للكفّار ثلاث أرواح و للمؤمنين أربع أرواح و للأنبياء و الأوصياء خمس أرواح، و روح القدس المختصّ بهم عليهم السلام يُخرج وجودهم من عالَمٍ واحدٍ و يجعلهم في عوالم متعدّدة بالفعل. و النقطة اللافتة في هذه الرواية أنّها تكون في جوابٍ عن سؤال مهمّ، إذ يسأل الراوي عن كيفيّة عِلم الإمام عليه السلام بكلّ ما يجري على الكرة الأرضيّة في حين أنّه قد يكون بحالته الدنيويّة و «مرخى عليه ستره»، يعني في حالة النوم أو أنّه

[1] كمال الدين، ج٢، ص٤٨٥.

محجوب عنه في منزله لا يرى أحدًا و لا أحد يراه؟! ففي الجواب أشار الإمام عليه السلام إلى الأرواح الخمس للأنبياء و الأوصياء عليهم السلام، و المعنى نفسه ورد في روايات أخرى و ذكر فيها روح القدس: «رُوحُ الْقُدُسِ لَا يَنَامُ وَلَا يَغْفُلُ وَلَا يَلْهُو وَلَا يَسْهُو... رُوحُ الْقُدُسِ ثَابِتٌ يَرَى بِهِ مَا فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا»[1]. ممّا يعني أنّ عِلم الإمام يكون من ناحية روح القدس الّذي يوجِد في نفس الإمام عليه السلام عوالم وجوديّة مستقلّة. كما ينبغي الالتفات إلى أنّ العِلم الحاصل عن طريق روح القدس هو عِلم من ناحية الله تعالى و لا دَور للإمام عليه السلام فيه، و حتّى لو أراد أن ينفي ذلك العلم عن نفسه فلا يمكن ذلك.

بعد بيان هذه المقدّمة، نعود للأدلّة الّتي سيقت لنفي عِلم الإمام عليه السلام و مناقشتها ليستبين ضعفها و مكامن الخلل فيها:

١. من البديهيّ كما هو المعروف عند كلّ العقلاء، أنّه لا بدّ من ملاحظة آيات القرآن الكريم بنظرةٍ شاملة، و إلّا فملاحظتها منفردة على حِدة دون التوجّه إلى سائر الآيات و كونها مفسّرة لبعضها، من الممكن ـ و العياذ بالله ـ أن تؤدّي إلى التشكيك حتّى في عِلمه تعالى! إذ من الممكن أن تكون ظواهر بعض التعابير القرآنيّة نافية للعلم عنه تعالى، مثل الآية الشريفة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]، أو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾[3]. كما أنّ هناك آيات مشابهة تقرب من اثني عشر موردًا، في حين أنّه لا يوجد لدينا شكّ في أنّه تعالى عالِمٌ بجميع أمور العالم و لا يخفى عليه شيء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[4]. من هنا، ففي بحث عِلم الإمام عليه السلام لا بدّ من ملاحظة جميع آيات القرآن، فهل جاء فيه فقط: ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[5]؟! و الحال أنّنا نعلم أنّه ورد في آيات متعدّدة أنّه تعالى يعطي أولياءه علم الغَيب: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[6]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ

(١) بصائر الدرجات، ج١، ص٤٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٢.

(٣) سورة المائدة، الآية ٩٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٥.

(٥) سورة النمل، الآية ٦٥.

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٧٩.

أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾[1].
فالخضر عليه السلام كان يعلم من الغَيب ما لا يعلمه النبيّ موسى عليه السلام، و قد عبّر القرآن: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[2]. و آصف بن برخيا كان ﴿ عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[3]، فهل من الممكن له أن يُحضر عرش بلقيس من أرضٍ إلى أرضٍ أخرى دون عِلم؟ و عليه، فالآيات الّتي تُخبر أنّ عِلم الغَيب مختصّ بالله تعالى ناظرةٌ إلى عِلمه الاستقلاليّ الّذي اختصّ به نفسه و لم يعطِه إيّاه أحد، و هو فقط و فقط مختصّ به تعالى. كما أنّ ذيل الآية الشريفة ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[4]، يشير إلى ما يقوّي احتمال أن يكون المراد من علم الغَيب، علم الغَيب المعهود، فتكون اللام للعهد. و قد جاءت بعد قوله: ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[5]، أي أنّ عِلم الغيب الّذي ليس لأحد هو علم البعث و النشور و القيامة لا مُطلق علم الغَيب. ممّا يعني أنّ الآية مرتبطة بالمطلب الّذي ذُكر في الوجه الثاني من الوجوه الخمسة الّتي طُرحت، الّتي سنبحث آياتها فيما يلي:

٢. ورد في الكثير من الآيات أنّ العلم بقيام الساعة مختصٌّ بالله تعالى، و توجد فيها و في الآيات الأخرى الّتي ترتبط بالقيامة إشارات دقيقة إلى سرّ هذا الأمر و أنّه لماذا لا يمكن أن يكون هذا العِلم من نصيب أحد، فبالالتفات مثلًا إلى الآية ﴿ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾[6]، نفهم أنّ القيامة لها إحاطة على هذا العالم، و عندما نعلم ذلك و أنّ القيامة محيطة بالماضي و المستقبل، نعلم أنّ وصول الفرد المُحاط إلى العالم المحيط و العلم به أمرٌ غير ممكن، و هذا واضح جدًّا، و لا يمكن التعبير عن ذلك بأفضل ممّا عبّر القرآن إذ يقول: ﴿ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾. فمع كلّ هذه العظمة للسماوات و الأرض يبقى العالم المُحيط موجِدًا لثقلٍ لا تقويان على تحمّل ظهوره فيهما، و من جهةٍ أخرى نعلم جميعنا أنّ جنّات عدن مستقرّة فيما بعد عالم القيامة، فالذين يدخلون الجنّة قد تخطّوا القيامة و دخلوا عالم الإحاطة (العالم المُحيط) وكما في نهج البلاغة: «حَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ

(١) سورة الجنّ، الآيتان ٢٦ و ٢٧.

(٢) سورة الكهف، الآية ٦٥.

(٣) سورة النمل، الآية ٤٠.

(٤) سورة النمل، الآية ٦٥.

(٥) سورة النمل، الآية ٦٥.

(٦) سورة هود، الآية ٨٤.

عِدَاتِهَا»[1]، فأهل الجنّة بعد أن يرِدوا عالم الإحاطة يُمكنهم أن يعلموا بالقيامة، و من هنا يُعلم أنّه عندما يقال إنّ العلم بالقيامة مختصّ بالله سبحانه، فإنّه يكون ناظرًا إلى الّذين هم لا يزالون في العوالم الّتي هي قبل عالم القيامة، لا الّذين هم في العوالم الّتي بعده، لذلك قال في هذه الآية ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، و قد وعد أن لا تأتي إلّا بغتة: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ و قال: «﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾، يعني أنّ الله المتعال المُحيط بجميع العوالم من الدنيا و ما قبلها إلى البرزخ ثمّ القيامة و الجنّة و النار الموجودتين في عالم الخلود، سيُجلّي و يُبيّن لبعض خلقه أحوال هذه القيامة الّتي لا يعلم بها سواه تعالى، أي يُدخلهم عالم الإحاطة و يمنحهم اطّلاعًا استثنائيًّا خاصًّا. لذلك قال الله تعالى في وصف أولئك الّذين وردوا القيامة أنّ لهم في ذلك اليوم اطّلاعًا عجيبًا و إحاطة واسعة: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾[2]، فالأشخاص الّذين تخطّوا يوم القيامة و دخلوا جنّات عدنٍ بتوفيق الله تعالى، يتموضعون في عالم محيط بعالم القيامة، أي أنّ الله سبحانه يضعهم في موضع يُشرفون منه حتّى على أحوال يوم القيامة، فيُدركون بوضوحٍ أنّ الحشر و النشور و القيامة محيطةٌ بالكافرين و الآثمين و ليس لديهم أيّ طريق فرار، و يدركون أيضًا حقيقة هذه الآية: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3]، و ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾[4]. لكن المطلب المهمّ هو في أنّه يمكن لأولياء الله تعالى أن يصلوا إلى مقامٍ في هذه الدنيا يرِدون من خلاله إلى عالم الإحاطة فيرون مراتب القيامة و درجاتها، لذلك ورد في نهج البلاغة في وصف أحوال أولياء الله تعالى: «أَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا»[5]. هذا من جهة، و من جهةٍ أخرى يُستفاد من المطالب المهمّة و الواضحة الّتي صُرّح بها في روايات أهل البيت عليهم السلام أنّ الجنّة و النار مخلوقتان و موجودتان الآن، بل قد ورد في رواية عن الإمام الرضا عليه السلام أنّ من لم يَقُلْ بأنّ الجنّة و النار مخلوقتان لا هم منّا و لا نحن منهم! ثمّ استشهد عليه السلام بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله في المعراج قد دخل الجنّة و تناول من رطبها فأكله فتحوّل ذلك نطفة في صلبه فلمّا هبط إلى الأرض

---

(١) نهج البلاغة، ص٣٤٣.

(٢) سورة مريم، الآية ٣٨.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٥٤.

(٤) سورة البقرة، الآية ٨١.

(٥) نهج البلاغة، ص ١٥٦.

واقع خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام[1]، و قد بُيّن هذا المطلب بوضوحٍ في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾[2]. و الملاحظ أنّ جنّة المأوى عند سدرة المنتهى، وكم أنّ الإنسان الّذي أوصله الله تعالى إلى جنّة المأوى قد طوى من العوالم! بل الآية الشريفة تشير إلى تكرار تلك القضيّة بحيث مُكّن لرسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك المقام العظيم. و هناك تعبيرٌ مهمّ في فقرةٍ من رواية المعراج: «قَدْ صَارَتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَهُمْ وَاحِدَةً»[3]. و من البديهيّ أنّ المقصود ليس هو خروج دنياهم عن طبيعتها، بل بما أنّهم أشرفوا و عرجوا إلى عالم الآخرة و التحقوا بعالم الإحاطة، غدوا يلحظون الدنيا من وجهة مُحيطة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في جواب الجاثليق الروميّ، و فيه مفتاح فَهم جميع مسائل معارف المعاد و معضلاتها، قال الجاثليق: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْجَنَّةِ هَلْ فِي الدُّنْيَا هِيَ أَمْ فِي الْآخِرَةِ؟» قال الإمام عليه السلام: «الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ وَالْآخِرَةُ مُحِيطَةٌ بِالدُّنْيَا»، ثمّ قال عليه السلام: «وَالدُّنْيَا رَسْمُ الْآخِرَةِ وَالآخِرَةُ رَسْمُ الدُّنْيَا وَلَيْسَ الدُّنْيَا الآخِرَةَ وَلَا الآخِرَةُ الدُّنْيَا»[4]. و قال عليه السلام أيضًا: «وَالرَّسْمُ لِمَنْ عَقَلَ مَوْجُودٌ وَاضِح»، ثمّ استشهد عليه السلام بهذه الآية الشريفة: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾﴾[5]. وكذلك ما جاء في رواية أخرى أنّ الغفلة عن ذكر الله تسلب الإنسان قدرة السمع: «وَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ فِيهِ مَاتَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ وَمَنْ نَجَا فَبِفَضْلِ الْيَقِينِ»[6].

فمع الالتفات إلى كلّ ما ذكر و المقدّمة الّتي بيّنت في البداءة من أنّ للأنبياء و الأوصياء عليهم السلام خمس أرواح، و لوجودهم المبارك عليهم السلام عدّة عوالم كلّ عالم مستقلّ عن الآخر و له أحكامه الخاصّة به، و الآن نقول: هناك آيات متعدّدة تنفي عِلم الغَيب عن الأنبياء عليهم السلام، و آيات أخرى تثبت لهم ذلك ففي آية يقول: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾[7]، و في آية

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١١٦.

(٢) سورة النجم، الآيات ١٣ ـ ١٥.

(٣) إرشاد القلوب، ج١، ص٢٠٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١١٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١١٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١١٦.

(٤) إرشاد القلوب، ج٢، ص٣١٠.

(٥) سورة التكاثر، الآيتان ٥ و ٦.

(٦) إرشاد القلوب، ج٢، ص٣١٠.

(٧) سورة الأعراف، الآية ١٨٨.

أخرى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ (١)، و لكنّنا في مقام الجمع نقول إنّ علم الغَيب الّذي يلزم منه أن يوجِد خللًا بالتقديرات الإلهيّة بحيث لا يكون للعالِم به إلّا الخير و الأعمال الجيّدة و يدفع عنه السيئات و الشرور، فهذا ليس عند الأنبياء عليهم السلام و إنّما هذا ما يطلبه الكهنة كي يحرّفوا الأمور و التقديرات الإلهيّة بما تهوى أنفسهم و منافعهم بحيث يدفع عنهم مضار الأمور. إنّ علم الغَيب الّذي عند الأنبياء عليهم السلام هو العلم الّذي حباهم الله سبحانه به بسبب رفعهم إلى مشارف العالم المُحيط بالعوالم دونه، أي تشرّف نفوسهم القدسيّة في محضر النفوس العالية و الملائكة المقرّبين، فيطّلعون على سرّ القدر فيعرفون المقدّرات الإلهيّة كما هي و ما فيها من محوٍ و إثبات، لا أنّهم بواسطة بعض العلوم الجزئيّة يمكنهم تغيير مسار الأمور بما يخدم مصالحهم و منافعهم، فبما أنّهم قد تخلّصوا من شباك هذه الدنيا «بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَزُخْرُفِهَا وَزِبْرِجِهَا فَشَرَطُوا لَكَ ذَلِكَ وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفَاءَ بِهِ فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُم» (٢)، فلم تُبقِ فيهم ذرّة حِرص و التفات إلى هذه الدنيا الدنيّة، لذلك حصل عندهم إشراف من العالم المُحيط على كلّ العوالم دونه، هذا العِلم هو الّذي الكهنة منه براء، فالعلم الّذي يطمح إليه الكاهن قد تنزّه عنه الأنبياء عليهم السلام، لأنّ الكهنة يسعون بسببه إلى تغيير مقدّرات الأمور في عالم الدنيا على وفق مشيئتهم و أهوائهم، في حين أنّ تلك العوالم موجودة في وجود الأنبياء عليهم السلام، و لكلّ عالَم منها حُكمه الخاصّ به، و أحكام عالم الإحاطة لا يمكن أبدًا أن تسري إلى العالم المحاط و المحدود، و كلّ من يريد أن يميّز الفرق بين هذين العالمين يمكنه أن يتأمّل في شخص الكاهن، إذ إنّ له عالمًا واحدًا و هو في نفسه إنسان دنيويّ، لذلك عندما يطّلع على علم غَيبيّ ما يصبح هذا العلم جزءًا منه و من وجوده، فيسعى للاستفادة منه في منافعه الدنيويّة و يدفع عنه و عن من يعنيه مضارها، لكن عندما تتلقّى روح النبيّ الإلهيّة من الأفق الأعلى و العالم المحيط و بواسطة الإحاطة الّتي منحها الله لهذه الروح، علمًا مختصًّا بالله تعالى، فإنّ هذا العلم يبقى مستقرًّا في ذلك العالم و لا يهبط إلى عالم الدنيا و النشأة البشريّة للنبيّ صلى الله عليه وآله، أي لا يصبح جزءًا من عالمه الدنيويّ، إذ بما أنّه من عالم الإحاطة فلا يمكن بالأصل أن يكون جزءًا من الدنيا، فهو علم الله تعالى لا علم المخلوق، فعِلم المخلوق له أحكامه و آثاره، و هنا يمكن القول: إنّ هذا العلم لا يزال علم الله تعالى المحيط بجميع العوالم، فالعلم هو علم الله،

(١) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

(٢) إقبال الأعمال، ج١، ص٢٩٥.

لا عِلم المخلوق و هو فقط بيده تعالى و يترتّب من قبله على كلّ عالم بحسبه. من هنا لم يكن الأنبياء عليهم السلام ليرتّبوا أحكام هذا العِلم على أيّ عالَم إلّا بإذنه تعالى، و السرّ هو في التمييز بين العالم الواحد و العوالم المتعدّدة الخاصّة بالأنبياء و الأوصياء عليهم السلام الّذين لهم خمس أرواح، فأبدانهم في هذه النشأة مرخى عليها الستر، أمّا روح القدس فهو يفيض عليهم عالمًا مستقلًّا محيطًا بجميع الأزمنة و الأمكنة. و من هنا يمكننا أن نعرف لِمَ إنّهم عليهم السلام ليس عندهم عِلم الساعة و القيامة؛ لأنّه كما مرّ فإنّ العلم بالقيامة ليس من سنخ العلوم الّتي ترتبط بنشأتهم الدنيويّة بعنوان كونه مستندًا إليهم إذ إنّه علم إحاطة و هو عِلم الله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[1]، و لا يتيسّر الاطّلاع عليه إلّا بالصعود في العوالم الطوليّة للوجود، ثمّ تلقّيه مع الحفاظ على كونه عِلم الخالق تبارك و تعالى، ففي كلّ وقت يتحدّث عن عِلمهم عليهم السلام فهم ليس لديهم عِلم أساسًا، و كلّما يتحدّث عن عِلم الله تعالى و كون نفوسهم القدسيّة مرآة لظهور عِلمه تعالى، فَهُم مظهر علم الله تعالى، و المرآة ليس لها من ذاتها و نفسها شيء أبدًا، فإذا عكست المرآة نور الشمس بتمامه في الظلام، فيبقى النور للشمس لا للمرآة. و هذه النكتة قد بُيّنت بوضوحٍ في نهج البلاغة عندما أخبر عليه السلام عن الغَيب فقيل له: «لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ»، فتبسّم عليه السلام و قال: «لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ»[2]، و نفى أن يكون هو و الأنبياء عليهم السلام يملكون علم الساعة و العلم المذكور في الآية، و لا يوجد عبارة أبلغ لتوضيح عدم إمكانيّة إجراء أحكام علم الغَيب في مقدّرات الأمور الدنيويّة، من جوابه عليه السلام عندما أخبر أنّه يقتله ابن ملجم لعنه الله، فقيل له: ألا تقتله يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «فَمَنْ يَقْتُلُنِي إِذًا؟»[3]، يعني أنّ العلم الإلهيّ الّذي عندي بأنّه قاتلي و أنّه فردٌ شقيٌّ ليس علمًا يمكنني على أساسه أن أقتله و أغيّر به مسير الأمور. فحاصل الجواب عن الوجه الثاني الّذي ذُكر هو أنّ العلم بالقيامة و وقوع الساعة مختصّ بالله تعالى، و النفوس القدسيّة للأنبياء و الأوصياء عليهم السلام لا يمكنها أن تكون واجدة للعلم بالساعة كوجدانها لبقيّة العلوم الّتي تشتعل نفوسهم بنور علمها، أي لا يمكن أن يكون لديهم علم بالساعة بحيث يكون مستندًا إليهم أنفسهم، كالمشعل الّذي يشتعل هو أيضًا عندما يقترب من معدن النور، فنفوسهم القدسيّة لا تشتعل بالعلم بالساعة، بل إنّ علمهم بالنسبة إلى

(١) سورة الأعراف، الآية ١٨٧.

(٢) نهج البلاغة، ص١٨٦.

(٣) كشف الغمّة، ج١، ص٤٣٥.

الساعة يكون تمامًا كالمرآة، إذ إنّ المرآة تعكس النور لكنّها لا تشتعل به، بخلاف المشعل الّذي بنفسه يشعّ النور و إن كان قد اقتبس ذلك النور من الآخر، لكن المرآة لا تشعّ النور من نفسها بل تعكس نور الآخر تمامًا كما هو؛ و بهذا البيان يتبيّن الجمع بين دقائق عبارات القرآن و السنّة و يوضحه إن شاء الله تعالى.

٣. يكمن جواب الوجه الثالث و هو أنّ أهل البيت عليهم السلام قد صرّحوا: «إنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نُوَقِّتُ»[١]، في النكتة المهمّة الّتي بيّنها الإمام الرضا عليه السلام لدعبل عندما قال: «وَأَمَّا مَتَى فَإِخْبَارٌ عَنِ الْوَقْتِ فَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام أَنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى يَخْرُجُ الْقَائِمُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: مَثَلُهُ مَثَلُ السَّاعَةِ الّتي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً»[٢]، يعني أنّ المعارف الّتي طرحها أهل البيت عليهم السلام بما يرتبط بقيام الساعة تجري في أمثالها هنا و البيان الّذي سيق في الجواب السابق يُطرح هنا أيضًا.

٤. تأتي مسألة البَداء في قمّة معارف أهل البيت عليهم السلام، و قد جاء في الروايات «مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِثْلِ الْبَدَاءِ»[٣]. لكن يجب الالتفات إلى أنّ البَداء ناظر إلى لوح المحو و الإثبات، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَأَخْبَرْتُكُمْ بِمَا كَانَ وَبِمَا يَكُونُ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهِيَ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾»[٤]. فلوح المحو و الإثبات شامل للأسباب و المقتضيات و الشروط، أمّا اللوح المحفوظ فلا طريق للبَداء فيه. و قد ورد في الآية الشريفة التعبير بـ «أمّ الكتاب»، في إشارة إلى اللوح المحفوظ، و في الرواية أنّ لله تعالى نوعين من العلم، علم أعطاه الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام، و عِلم أخفاه عنهم، و البَداء من نوع العلم الثاني، و أمّا ما أعطاهم من النوع الأوّل من العلم فليس فيه تكذيب أو تعارض مع نفسه. و السؤال هنا هو: إن كان البَداء ثابتًا فكيف يحصل إذًا العلم القطعيّ للإمام عليه السلام بالظهور؟

و نقول في الجواب: أوّلًا: إذا أعطى الله تعالى صاحب الأمر عليه السلام العلم بوقت الظهور فإنّ ذلك الوليّ يعلم بالبَداء أكثر من أيّ شخص آخر، و قد أعطاه الله تعالى معرفة بعظمة البداء

(١) الكافي، ج١، ص٣٦٨.
(٢) كمال الدين، ج٢، ص٣٧٣.
(٣) الكافي، ج١، ص١٤٦.
(٤) الأمالي (للصدوق)، ص٣٤٢.

أكثر من أيّ شخص آخر، فما الفرق بين هذا العلم و سائر العلوم الّتي أعطاه إيّاها؟ و بعبارة أخرى: إذا كان البداء سببًا و باعثًا لكي يكون علم الإمام عليه السلام بوقت الظهور غير قطعيّ، فحُكمًا سينعكس هذا الأمر و يسري على علم الإمام عليه السلام ببقيّة الأمور، و ينثلم علم الإمام بنحوٍ كلّيّ، في حين أنّ الالتزام بمثل ذلك غير ممكن عقلًا و لا نقلًا. ثانيًا: النكتة المهمّة الّتي يجب النظر إليها كمفتاح لحلّ هذه المسألة هي ما ذُكر في المقدّمة من أنّ في الوجود المبارك للأنبياء و الأوصياء عليهم السلام عوالم عدّة و لكلّ عالم حكم خاصّ به، فمثلًا في رواية أخرى غير الّتي ذُكرت أعلاه، يقول أمير المؤمنين عليه السلام من دون أي قيد: «وَلَوْ شِئْتُ لَأَخْبَرْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَدْخَلِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ»[1]. و كذلك أسماء الاثني عشر إمامًا عليه السلام قد ذكرها النبيّ صلّى الله عليه وآله مرارًا و قد جاءت في روايات عدّة، و لكن المعروف أنّ البداء في أمر الإمامة قد وقع في الإمام السابع و الإمام الحادي عشر عليهما السلام. من هنا يُعلَم أنّ وقوع البَداء و أحكامه بالنسبة إلى عالم من عوالم الألواح الإلهيّة لا يتنافى مع المعلوم منه في عوالم أعلى و اللوح المكنون. من هنا نجد في الروايات المختلفة للمعصومين عليهم السلام أنواعًا مختلفة من العلوم قد أثبتوها لأنفسهم لا تجتمع مع بعضها في عالم واحد، و لكن في وجودهم عليهم السلام تحقّق لعوالم متعددة، و لكلّ عالمٍ نوعٌ خاصّ من العلم. فازدياد علومهم في ليالي الجُمَع الّذي ورد: «إِنَّهُ إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ وَافَى رَسُولُ اللَّهِ الْعَرْشَ وَوَافَى الْأَئِمَّة مَعَهُ وَوَافَيْنَا مَعَهُمْ فَلَا تُرَدُّ أَرْوَاحُنَا إِلَى أَبْدَانِنَا إِلَّا بِعِلْمٍ مُسْتَفَادٍ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَنَفِدَ مَا عِنْدَنَا»[2]، و عرض الأعمال في أيّام خاصّة، العلم المشروط بإرادة الإمام عليه السلام و مشيئته: «إِذَا أَرَادَ الْإِمَامُ أَنْ يَعْلَمَ شَيْئًا، أَعْلَمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ»[3] و غيرها، كاشف عن أنواع مختلفة من العلم. كما أنّ التقسيم إلى لوح المحو و الإثبات و اللوح المحفوظ تقسيم كلّيّ، و إلّا فلكلّ لوحٍ مراتبه و شؤونه الخاصّة به، و تتفاضل درجات الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام في الاطّلاع على ذلك: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[4]. و النكتة المهمّة الأخرى الّتي تترتّب على هذا البحث هو أنّ للأنبياء و الأوصياء عليهم السلام نوعين من العلم و الاطّلاع، و لكلّ منهما، على وفق عالَمه، أحكامه و شؤونه. فأحد أنواع العلم هو العلم الّذي يفيضه الله تعالى على النفوس القدسيّة، فتصبح نفوسهم واجدة و مالكة لذلك العلم

(١) بحار الأنوار، ج٤٠، ص١٩٢.

(٢) بصائر الدّرجات، ج١، ص١٣٠.

(٣) الكافي، ج١، ص٢٦٨.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٣.

و مستندة فيه إليهم، أي أنّها ترجع بنوعٍ ما إلى إنشاء نفوسهم و إضافتها الإشراقيّة، أمّا النوع الآخر من العلم الّذي عندهم فهو الّذي فوق نفوسهم و مرتبط بمقام نورانيّتهم، و هم في ذلك المقام فإنّه ليس لهم سوى مقام المرآتيّة و الانعكاس لعلمه تعالى، فالعلم مستند إلى الله تعالى لا إليهم، و هو فوق نفوسهم لا أنّه من إنشائها، لأنّ عمل المرآة هو عكس الأنوار الأخرى فقط و هي من نفسها لا شيء لها و هي فانية محضة، و في علم كهذا لا يحصل البداء أصلًا. من هنا كان سنخ البداء و العلم به من مختصّات الله تعالى لا تحوزه نفوس الأولياء، كما أنّه ليس من الممكن أنّ حكم عالم نفوسهم يجري على خلاف مقتضيات ذلك العالم، مع أنّ أعلى مقاماتهم هو مقام مرآتيّتهم، و كلّ ما لديهم في العوالم الّتي دونها متفرّع و مترتّب على ذلك العالم، لأنّ العبوديّة المطلقة سرّ المعرفة بأنّ المرآة ليس لها من نفسها أيّ شيء.

٥. يتّضح ممّا تقدّم جواب الوجه الخامس، فطلب الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى الشيعة الدعاء بتعجيل الفرج لا يتنافى مع علمه، لأنّه يعلم أنّ للدعاء دورًا مهمًّا في ضمن نظام الأسباب و المسبّبات الإلهيّة، فمثلًا تقدّر في ليلة القدر أمور السنة، لكن لا يوجد أحد من المتديّنين و المتمسّكين بمعارف أهل البيت عليهم السلام يقول في صباح ليلة القدر: بما أنّ أمور السنة قد قُدّرَت، فمن الآن و صاعدًا لا ندفع صدقة و لا نَصل رحمنا، لأنّ أمور السنة قد قدّرت فلا حاجة بعدُ لإخراج الصدقة لدفع البلاء! هذا غير صحيح، لأنّ التقديرات الإلهيّة الّتي ورد في الروايات أنّها تبدأ مرحلتها الأولى في ليلة النصف من شعبان، و من ثمّ في الليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان، وكذلك في ليلة الحادي و العشرين، و مرحلتها الأخيرة تكون في ليلة الثالث و العشرين، لا تتنافى مع حصول البداء و دفع الصدقة و التوسّل في جميع الأمور، فإنّه قد ذُكر أنّها مراحل كاشفة عن مراتبَ خفيّةً من ألواح المحو و الإثبات و شؤون اللوح المحفوظ. و الله العالم.

الملحق الخامس:

«دراسة حول خبر جزيرة الخضراء»

اتُّخذت مواقف عديدة بشأن الجزيرة الخضراء و مُفاد الخبر الّذي يحكي عنها، و راوحت بين القبول التامّ لمُفاده، و بين الردّ له. لكن، عندما كان آية الله الشيخ البهجة ﷺ يُسأل عن هذا الموضوع كان ـ عادة ـ يجيب بعبارات من قبيل: «أينما كان الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف فهناك الخضراء، و قلب المؤمن جزيرة خضراء، و أينما كان فالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يطأه بقدمه!». وكان المخاطَب ـ في النتيجة ـ يَفهم أنّ ما يجب عليه القيام به هو السعي لرفع مستوى معرفته بالإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و يعلم أنّ بإمكان قلبه أن يكون محلًّا لحضوره، و موطئًا لقدمه الشريفة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و أنّ معرفة هذا الأمر أهمّ بالنسبة إليه. و أنّه إذا أعدّ قلبه لحصوله، و زاد من قدرته الروحيّة، يمكن له أن يُوفَّق لتلقّي الأسرار الإلهيّة، وكشف الحقائق المعنويّة. و على العموم، لم يكن دأب سماحته ﷺ أن يشغل أذهان المؤمنين بأمور فرعيّة، ليست محلّ ابتلائهم، بل كان يعتقد أنّ بالإمكان الوصول إلى ما هو أرفع من الجزيرة الخضراء، بحيث يكون المؤمن في محضره عجّل الله تعالى فرجه الشريف دائمًا، و ذلك من خلال الالتزام بالأمور المهمّة و الضروريّة و متابعتها، أي العمل بأوامره عجّل الله تعالى فرجه الشريف بأداء الواجبات و ترك المحرّمات. هذا، و عندما كان البحث عن الجزيرة الخضراء يأخذ بُعدًا علميًّا و بحثيًّا، و يَرِد السؤال حولها من أهل العلم، فقد كان ﷺ يجيب عنه من البُعدَين العلميّ و الدرائيّ، و يتعامل معه كأيّ خبر آخر، تجب دراسة جوانب النفي فيه و الإثبات. وكان يدرس طَرفي المسألة دون أيّة خلفيّة فكريّة، أو إطلاق لأيّ حكم مُسبَق عليها. و لأنّه قلّما يُلتَفَت إلى القرائن المؤيِّدة لهذا الخبر، فقد كان ﷺ يعرض قرائن و شواهد حائزة على الأهميّة عند العلماء على وفق ضوابط التحقيق القيّمة، و يقول مثلًا: «نقل هذه الرواية كتابان قيّمان، أحدهما لصاحب الحدائق ﷺ، و الآخر الّذي يَنقُل عن السيّد الشفتي ﷺ. و هو يقول: أدركت الطبقة الخامسة الطبقة الفلانيّة. لا يسعنا الإنكار! لا يمكننا إنكارها! قد كانت لهم طرق عجيبة و غريبة. و قد كانت لهم أمور [و كرامات] عجيبة و غريبة. و هل للإنسان أن يقول بوجود حدّ للمعجزات؟!».

و للتأمّل في خبر الجزيرة الخضراء تُذكر عدّة نكات من الجدير بأهل التحقيق الالتفات إليها:

أ) من الأدلّة الّتي يطرحها ـ عادة ـ من يعدّون هذا الخبر باطلًا من الأصل و لا أساس له، أنّه من منفرَدَات كتاب بحار الأنوار، و أنّ كلّ من نقله فقد نقله عنه. و إذ إنّه لم يُذكر في المصادر المتقدِّمة عليه، فلا يعدو كونه خرافةً و مجعولًا. و هذا الكلام غير صحيح؛ إذ دعوى كون البحار هو المصدر الأوّل له، و أن ليس له أثرٌ أبدًا في الكتب المتقدِّمة عليه، و أنّ كلّ من نقله فقد نقله عنه، هي دعوى باطلة أساسًا. و فيما يلي نذكر بوضوح شواهد بطلانها:

١. بالعودة إلى التراث الّذي بين أيدينا، فقد كانت المرّة الأولى الّتي أُشير فيها إلى أصل موضوع سكن أولاد الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في جزائر و قيادتهم هناك لعدد من المؤمنين، في كتاب جمال الأسبوع للسيّد ابن طاوس رحمه الله الّذي يُوجب ذِكْر اسمه نورانيّة هذه السطور، و الّذي كان باب لقاء إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف مفتوحًا له ـ كما قال المحدِّث النوريّ رحمه الله ـ و مَن لو لم يكن عندنا سوى إشارته إلى الخبر المذكور لكفت في الدلالة على قوّته. فقد كان يعيش قبل العلّامة المجلسيّ رحمه الله بأربعة قرون. و قد ذكَر رحمه الله ـ ابتداء ـ روايتين تشتملان على الصلاة على القادة و ولاة العهد من أولاد إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و قد نُقلت هاتان الروايتان في كتب معتمدة من قبيل: الغيبة و مصباح المتهجّد للشيخ الطوسيّ رحمه الله، و دلائل الإمامة للطبريّ، و المزار الكبير لابن المشهديّ. ثمّ عقّب رحمه الله بكلمة مهمّة بعد ذكرهما قال فيها: «وجدت رواية متّصلةَ الإسناد بأنّ للمهديّ عليه السلام أولاد [أولادًا] جماعة، ولاة في أطراف بلاد البحار [البحر] على غاية عظيمة من صفات الأبرار»(١). و قد كان ابن طاوس ـ الّذي كان يعيش في النصف الأوّل من القرن السابع ـ مشهورًا بين العلماء بإحاطته بالأحاديث، و معرفته بالمصادر.

(و على وفق ما نقله المحدّث النوريّ، فإنّ خبر الجزر المتعدّدة ـ الّذي سيُشار إليه فيما يأتي ـ ورد أيضًا في نهاية كتاب التعازي، للشريف الزاهد، أبي عبد الله، محمّد بن عليّ العلويّ الحسينيّ. و يُعلم من حياة مؤلّف هذا الكتاب في القرن الخامس أنّ شخصًا آخر هو الّذي ألحق خبر الجزر بهذا الكتاب. لكنّ نقله المباشر للخبر المُلحَق عن سعيد بن أحمد بن الرضيّ علامةٌ على أنّه سمع هذه الحكاية منه مباشرة و دون واسطة. و من ثمّ ألحقها بكتاب التعازي في القرن السادس. و عليه، يكون قد نقلها قبل السيّد ابن طاوس رحمه الله بما يقرب من القرن).

(١) جمال الأسبوع، ص٥١٢.

٢. نقل السيّد بهاء الدين النيليّ النجفيّ بعد ابن طاوس، و هو من العلماء الكبار في القرنين الثامن و التاسع، و أستاذ ابن فهد الحلّيّ، و متبحّر في الرجال و معرفة الأنساب، في كتابه السلطان المفرّج، حكاية عن كمال الدين الأنباريّ، بواسطة أشخاص وصفهم بالجلالة و العلميّة، جاء فيها أنّ شخصًا محترمًا جدًّا عند الوزير الحنبليّ، و موضعًا لثقته، نقل حكاية بحضوره خلافًا لرغبته، حصلت معه شخصيًّا في النصف الأوّل من القرن السادس، تتحدّث عن حُكم أولاد إمام الزمان في بعض الجزر[1].

٣. وردت هذه الحكاية مجدّدًا في القرن التاسع في كتاب الصراط المستقيم[2]، لمؤلّفه الشيخ عليّ النباطيّ البيّاضيّ، و هو من العلماء الكبار في ذلك القرن. و كان العلماء يعرِفونه بالمحقّق و الفقيه و المفسّر.

٤. ذُكرت هذه الحكاية مرارًا في كتب العلماء في القرون اللاحقة؛ فالفيض الكاشانيّ مثلًا ـ الّذي نال في زمانه أعلى المراتب في مختلف العلوم ـ ذكرها في كتابه نوادر الأخبار. و قد نبّه في مقدّمته قائلًا: «أردنا أن نضبط أيضًا ما وجدناه في غيرها من كتب أصحابنا المعتمدة ما لم يكن فيها بألفاظه و لا مضامينه على منهاج كتاب الشّافي، ليكون تكميلًا له و تداركًا لما فات منه، فيكونا معًا كتابًا جامعًا للمهمّات و المحكمات، فألّفنا هذا الكتاب و اجتهدنا في إيراد ما كان معرفته أهمّ و نفعه أعمّ و فائدته أتمّ، و ما لا تعارض عند التحقيق فيه و لا تشابه بعد التدبّر في ألفاظه و معانيه بل هو من قبيل المُحكَم»[3]؛ و ذَكَر في أثناء نقلها عبارة تدلّ على ثقته بسلسلة رواتها[4].

٥. العالِم الآخر الّذي يُبارك ذكر اسمه هذا البحث هو المقدّس الأردبيليّ، الجامع للمقامات الروحيّة و الدقّة العلميّة، و عمقها، و الحائز على شرف اللقاء بإمام الزمان، و المتوفّى سنة ٩٩٣هـ.ق، أي قبل أربع عشرة سنة من ولادة الفيض الكاشانيّ في العام ١٠٠٧هـ.ق، و عليه يكون قد عاش في القرن السابق على ولادته. و قد نقل هذه الحكاية في حديقة الشيعة[5].

---

(١) السلطان المفرّج، ص٧٥.

(٢) الصراط المستقيم، ج٢، ص٢٦٤.

(٣) نوادر الأخبار، ص١.

(٤) نوادر الأخبار، ص٢٩٥.

(٥) حديقة الشيعة، ج٢، ص١٠٠٧.

و أشار في نهاية كلامه إلى أنّ هناك عدّة روايات أخرى من سنخ هذه الحكاية و أمثالها، لم يذكرها رعاية للاختصار[1]، و من الممكن أن تكون إحدى القصص المقصودة هي قضيّة عليّ بن فاضل المازندرانيّ الّتي سنتعرّض لها لاحقًا. (و مع أنّ هناك كلامًا في نسبة كتاب حديقة الشيعة إليه ﵀، لكنّ العظماء و المختصّين من أهل الفنّ كالحرّ العامليّ، و المحدّث البحراني، و صاحب رياض العلماء، و المحدّث النوريّ، و الآغا بزرك الطهرانيّ، و السيّد محسن الأمين، قد صادقوا على صحّة النسبة إليه).

٦. الحكاية الأخرى الأكثر شهرة هي الحكاية الّتي شهدها العالِم الكبير الشيخ زين الدين بن فاضل المازندرانيّ، في نهاية القرن السابع. و هو موصوف بالتقوى و العلم و الفضيلة. و قد أخبر عن جزيرة يسكنها أولاد إمام الزمان ﵇ و عددٌ من المؤمنين. و قد سمع هذه الحكاية منه مباشرة العالمُ الورع الفضل بن يحيى الطيبيّ الكوفيّ، تلميذ العالم العظيم، عليّ بن عيسى الإربليّ، صاحب كتاب كشف الغمّة. و دوّنها في رسالةٍ نبّه في مطلعها إلى أنّ ما يُورده هو نقلٌ بالمعنى، و أنّ من الممكن أن يكون قد وقع تسامحٌ في نقل بعض الألفاظ. و يدلّ هذا التنبيه على دقّته في النقل، و تقواه في نسبة أمر خلاف الواقع إلى الشيخ زين الدين المازندرانيّ. و قد نقل العلّامة المجلسيّ ﵀ هذه الرسالة عن شخصٍ شاهدها في خزانة أمير المؤمنين ﵇. كما شاهدها فيها الآغا بزرك الطهرانيّ أيضًا و نسخها[2]. و قد جُمعت كتب هذه الخزانة الشريفة بجهود العظماء من قبيل: فخر المحقّقين الحلّيّ، و السيّد صدر الدين بن شرف الدين الآوي، ممّا يزيد من اعتبار الكتب الموجودة فيها.

٧. أشار الشهيدُ الثالث، القاضي الفقيه المحدِّث، و الرجاليّ الشيعيّ، نور الله التستريّ ﵀، إلى هذه الحكاية في كتابه مجالس المؤمنين[3]، الّذي أُلِف قبل بحار الأنوار بقرن تقريبًا. و قد استعمل ﵀ في حكايتها عبارة تكشف عن شهرتها في زمانه.

٨. ذكر القاضي نور الله ﵀ في كتابه اسم كتابين آخرين نقلا هذه الحكاية، و هما أقدم من كتابه:

(١) حديقة الشيعة، ج٢، ص١٠١٣.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٥٩؛ الذريعة، ج٥، ص١٠٦.

(٣) مجالس المؤمنين، ج١، ص٤٤٥.

الأوّل هو: الأمالي للشهيد الأوّل، و هو من أعاظم مجتهدي الشيعة و الرجاليّين المدقّقين في القرن الثامن، و قد نقلها بإسناده عن الشيخ زين الدين. قال نور الله التستريّ ﷺ:

«روى هذه القصّة مفصّلًا، و هي طويلة، الشيخ الأجلّ السعيد الشهيد محمّد بن مكيّ (قدّس الله روحه)، و هو من أعاظم مجتهدي الشيعة الإماميّة، بإسناد إلى ذلك الشخص الصالح ـ عليّ بن صالح المازندرانيّ ـ و قد حرّرها في بعض أماليه»[1].

و نقول: خلافًا لما ذهب إليه بعضهم من أنّ القاضي نور الله ليس معلومًا أنّه شاهد هذا الخبر بنفسه في كتاب الشهيد الأوّل، فإنّ ظاهر عبارة القاضي نور الله تشير إلى أنّه شاهد هذا المطلب بنفسه في كتابه، أو لا أقلّ من أنّه كان يمتلك قرائن تفيد الاطمئنان على نقل الشهيد الأوّل له. و مَن أراد ادّعاء ما يخالف هذا الظاهر يجب أن يأتي بالدليل و القرينة على ذلك. و مثل هذه القرينة ليست مفقودة و حسب، بل ما سيأتي في تتمّة الكلام يبيّن جيّدًا وجود هذا الخبر في مؤلّفات الشهيد الأوّل.

الثاني هو: كتاب للسيّد أسد الله الشوشتريّ، و هو من تلامذة المحقّق الثاني، و قد تعرّض فيه لبيان الحكمة من الغيبة و المصلحة الّتي فيها، و عدّ حفظه ـ الكتاب ـ واجبًا على المؤمنين. و النسخ الخطيّة من كتابه هذا موجودة في بعض المكتبات المهمّة تحت عنوان: رسالة إثبات الغيبة وكشف الحيرة. (و قد طُبع تحت إشراف مؤسّسة الدراسات الإسلاميّة التابعة للعتبة الرضويّة المقدّسة، في المجلّد العاشر من موسوعة الرسائل الخطيّة الفارسيّة، و هناك ذكر المحقّق لهذه الرسالة نسخها الخطيّة[2].

و الحائز على الأهمّية البالغة ما أورده مؤلّف هذا الكتاب حول الجزيرة؛ إذ صرّح بأنّه شاهد ـ بشهادة جماعة من الثقات المتّقين المعتمدين ـ هذه الحكاية بخطّ الشهيد الأوّل ﷺ. هذا، و قد قال الشهيد ﷺ عند نقله لهذه الحكاية إنّه شاهدها بخطّ الفضل بن يحيى الطيبيّ:

«و من جملة الحكايات المتناقَلة و المنتشِرة حكاية البحر الأبيض و الجزيرة الخضراء، الدالّة على أنّ بعض المخلصين و بحسب إشارته العليّة يَسعد في هذه

(١) مجالس المؤمنين، ج١، ص٧٩.

(٢) راجع: مجموعه رسائل خطي فارسي (دفتر دهم)، ص٣٢ ـ ٣٧.

الغيبة بلقاء الإمام عليه السلام، و يصل إلى الناحية المقدّسة. و هذه الحكاية منقولة عن خط الشيخ الأجلّ الأفضل الأعلم الأعمل الأكمل، عمدة الفقهاء و المجتهدين، مجدّد مراسم الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، محمّد بن مكيّ، المعروف بالشهيد(قدّس سرّه العزيز)، بنقل جماعة من المؤمنين الأتقياء الثقات المعتمدين، باللفظ العربيّ. و أمّا ترجمته بالفارسيّة فهي هكذا: [و قد نقل النصّ باللغة الفارسيّة، و ترجمته إلى العربية كما يلي] يقول الشيخ الأجلّ الشهيد السعيد المُشار إليه: وجدت بخطّ الإمام العالم الفضل بن يحيى بن عليّ الطيبي - قدّس الله نفسه و طهّر رمسه - ... إلى آخره».

و يُعلم من هذه الإيضاحات بطلان دعوى كون خبر الجزيرة الخضراء صِرف وِجادة، لذا فلا اعتبار لها أبدًا؛ إذ لا بدّ من التمييز بين الوِجادة الّتي ليس للواجد ادّعاءٌ معها، و بين الوجادة الّتي ينسبها الواجد إلى كاتبها باطمئنان على أساس القرائن و الشواهد الّتي حصل عليها. و كما يُلاحظ، فإنّ السيّد أسد الله الشوشتريّ قد نسب المخطوطة الّتي كانت معه إلى خطّ الشهيد. كما نسب الشهيد الرسالة الّتي كانت بين يديه إلى خطّ الفضل بن يحيى الطيبيّ. و معرفة الشخص لخطّ الكاتب ليست الطريق الوحيد لتحصيل الاطمئنان، أو الوثوق بأنّ خطّ الكتاب منسوبٌ إليه، بل هناك طرقٌ أخرى لتحصيل الاطمئنان بذلك، من جملتها أن يكون قد حصل على الكتاب من خلال وسائط يُطمأنّ إليها، أو العثور على قرائن الصدق في الكتاب، من خلال التأمّل في صدره و ذيله.

٩. نقلًا عن صاحب الرياض، نسب الآغا بزرك الطهرانيّ رحمه الله إلى المحقّق الكركيّ رسالة باسم ترجمة الجزيرة الخضراء، و قال: طُبعت في الهند[١].

١٠. أورد الفيض الكاشانيّ - الّذي يُعدّ أستاذًا للعلّامة المجلسيّ رحمه الله - في كتابه نوادر الأخبار هذه الحكاية أيضًا، مع ذكر المقدَّمة الّتي أشرنا إليها، مضافًا إلى الحكاية الأولى[٢].

١١. أشار العالم المعظّم مير لوحي - المولود قبل سنة ألف للهجرة، و المعاصر لوالد العلّامة المجلسيّ المعظّم - في كتابه المعروف بـ «كفاية المهتدي»، إلى خبر الجزيرة الخضراء. و الأهمّ من هذا أنّه عدّه من مصاديق الروايات الصحيحة، و الدلالات الصريحة[٣].

(١) الذريعة، ج٤، ص٩٣.

(٢) نوادر الأخبار، ص٣٠٠.

(٣) كفاية المهتدي في معرفة المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ص٦٣٨.

١٢. من الممكن أن يُشكِل أحدٌ ما بأنّ حكاية الشيخ زين الدين بن فاضل المازندرانيّ قد وقعت في زمان أعلام من قبيل العلّامة الحلّيّ و ابن داود. و يجب ـ عادة ـ أن يطّلع هؤلاء العلماء عليها، و ينقلوها في كتبهم. إلّا أنّنا لا نرى أيّ أثر لها فيها، وبهذا يُعلم أنّها مجعولة. و هذا الكلام غير صحيح؛ لأنّ الشيخ زين الدين بن فاضل ـ على وفق النقل المذكور ـ كان يعيش في النجف الأشرف، و لقد رآه بعض أعاظم الحلّة و سمعوا الحكاية منه عندما مرّ بها. و هذا ليس دليلًا على أنّ علماء المدينة كلّهم في ذلك الزمان قد سمعوا بالخبر، بل يمكن أن تكون شهرته قد حصلت بعد مدّة من الزمن. هذا، و كثرة انشغال الأعاظم من أمثال العلّامة الحلّيّ ﴿ره﴾ بمختلف العلوم الدينيّة كافية لتسويغ عدم سعيه لسماع كلّ حكاية، و الانشغال أكثر بالموضوعات الفقهيّة المهمّة، بل لو سمع هذه الحكاية فليس من الضروريّ أن تصدر منه ردّة فعل تجاهها بردّها أو تأييدها، و لا سيّما أنّه لم يكتب في اللقاءات الّتي حصلت في عصر الغيبة الكبرى مع إمام الزمان ﴿عج﴾ ليتعرّض فيه لهذا الخبر. كما أنّ الكتب الرجاليّة الّتي كان العلماء يدوّنونها أكثر ما كانت ناظرة إليه هم أصحاب الأئمّة ﴿عليهم السلام﴾ و الرواة القريبون من عصورهم، و لم يكن مؤلّفوها يذكرون فيها كلّ عالم شيعيّ يعيش في عصورهم.

١٣. يَستند بعضهم كثيرًا إلى هذه النكتة، و هي أنّ العلّامة المجلسيّ ﴿ره﴾ الّذي نقل هذه الحكاية قال: لم أجدها في الأصول المعتبرة، و يدلّ هذا على أنّها كانت فاقدة للاعتبار تمامًا في نظره، و لهذا أوردها تحت عنوان: باب نادر. لكن، يجب الالتفات أوّلًا إلى أنّ في التعبير بالأصول المعتبرة إشارة إلى الكتب الروائيّة الّتي دُوّنت في عصر الأئمّة ﴿عليهم السلام﴾، أو فيما بعدها بقليل. و من البديهيّ أنّ توقّع وجود حكاية فيها ترجع إلى قرون لاحقة هو توقّع في غير محلّه! و لهذا، عبارة المجلسيّ ﴿ره﴾ هي فقط لبيان سبب نقلها منفصلة و تحت عنوان مستقلّ. و ثانيًا إلى أنّ كلمة «النوادر» أو «النادر» الّتي تُذكر في عناوين بعض أبواب الحديث لا تدلّ على عدم اعتبار تلك الروايات، بل هي بمعنى اختلافها و انفرادها بحيث يُرجّح المؤلّف ذكرها تحت عنوان منفرد، بدل إيرادها تحت عنوان أعمّ إلى جنب سائر الأخبار. و ثالثًا، إلى أنّ هذه الحكاية لو لم يكن لها أيّ اعتبار عند العلّامة المجلسيّ ﴿ره﴾، فلماذا ذكرها في كتابه؟ فلو لم يكن هذا الخبر موافقًا للاعتبار، و مشتمِلًا على قرائن الصدق من حيث السند و المتن و المضمون ـ و إن لم تصل إلى درجة القطع أو الاطمئنان ـ ما كان لينقله قطّ في أهمّ مؤلّفاته،

و هو كتاب روايات أهل البيت عليهم السلام، و يجعله إلى جنب كلام الأئمّة الأطهار عليهم السلام. و هذا الكلام يشكّل ظلمًا لهذا المحدّث العظيم؛ إذ يُقال إنّه كان ينقل كلّ خبر يحصل عليه دون ملاحظة الصحّة و الاعتبار، لكن بقراءة مقدَّمة بحار الأنوار يُعلم أنّه رحمه الله كان يحمل هاجسًا حيال وثاقة الكتب الّتي ينقل عنها و صحّة انتسابها إلى كُتّابها. و قد نبّه رحمه الله في هذه المقدَّمة إلى أنّ أكثر الكتب الّتي ينقل عنها قابلة للاعتماد عليها نسبيًّا، و يمكن لهذا الاعتماد ـ مضافًا إلى وثاقة المؤلّف و الوسائط ـ أن يكون حاصلًا على أساس شهرة الكتاب عند العلماء، و اعتماد القدماء عليه و مدحهم له، و حسن ضبط المؤلّفين، و كيفيّة إسناده و متانة المحتوى و قوّته، و انسجامه مع سائر أحاديث أهل البيت عليهم السلام، وشَبَهِه بنمط كلامهم عليهم السلام و ما إلى ذلك. و لهذا يُنبّه رحمه الله إلى أنّه لا يعتمد على بعض مصادره الحديثيّة بكامل ما جاء فيها، بل ينقل قسمًا من رواياتها فقط، و هي الأكثر وثاقة و موافَقة لسائر الأحاديث. و في الموارد القليلة الّتي ينقل العلّامة المجلسيّ رحمه الله من المصدر مع عدم ثقته به فإنّه يذكر سببًا معتبرًا لذلك، و من جملة ذلك أنّنا لا نحتاج إلى سند قويّ في الأدعية، و الروايات الطبّيّة؛ لأنّنا لا نبحث معها عن الحجّيّة الشرعيّة، أو لأنّه أورد هذه الأخبار بوصفها مؤيِّدة لأخبار أخرى، أو لأنّه تمسّك بها بوصفها روايات للمخالفين في مقام الاحتجاج عليهم. و من البديهيّ طبعًا أنّه بنحو كلّيّ لم يتبنَّ فقط نقل الخبر المعتبر مئة بالمئة، إلّا أنّه لم يتبنَّ أيضًا نقل الحدّ الأكثر من الأخبار و كلّ ما تصل إليه يده، بل كان يرى لزوم توفّر درجة من الاعتبار و الوثاقة في كلّ خبر، و ذلك بما يتناسب مع الموضوع و اللوازم الّتي تترتّب عليه. و قد وصلت هذه الغربلة الّتي قام بها العلّامة المجلسيّ رحمه الله إلى حدّ جعله في النهاية يقرّر تدوين كتاب باسم مُستدرَك البحار؛ لينقل فيه الروايات الموجودة في مصادره، إلّا أنّه لم يذكرها لسبب من الأسباب، مضافًا إلى الروايات الواردة في مصادر أخرى. لكن للأسف الشديد لم تسنح له الفرصة بتدوين مثل ذلك الكتاب.

ب) نقل العديد من العلماء العظام بعد العلّامة المجلسيّ رحمه الله هذه الحكاية، و طبعًا لا يمكننا أن نعدّ نقلهم لها دليلًا على اعتبارها الكامل عندهم، إلّا أنّه يدلّ ـ على الأقلّ ـ على أنّهم يعدّونها منطقيّة، قابلة للنقل و الاستفادة منها، و ليست مجعولة، و أنّهم لم يعثروا فيها على ما يخالف متيقَّنات الدين و المذهب و مسلَّماتهما. و رعايةً للاختصار، نشير فيما يلي إلى خمسة أعلامٍ من هؤلاء العلماء:

١. الفقيه الأصوليّ و العالم الكبير الوحيد البهبهانيّ ﴿ره﴾، المشهور من بين الفقهاء بدقّة النظر و عمق الفكر؛ فقد استفاد من مضمون حكاية الشيخ زين الدين المازندرانيّ في كتاب الحاشية على مدارك الأحكام، في بحث صلاة الجمعة، بوصفه شاهدًا و مؤيّدًا لرأيه[١]. و من البديهيّ أنّه لا يمكن ذكر حكاية مجعولة شاهدًا على الحكم الشرعيّ. و بناءً على هذا، تتمتّع هذه الحكاية بدرجة من الاعتبار في نظر هذا الفقيه العظيم، تخوّلها تقوية الكاشفيّة عن الحكم الشرعيّ في المسألة الفقهيّة، مع أنّها لم تصل إلى حدّ الاعتبار المطلق لتتمكّن منفردة من الوقوع مستندًا لحكم شرعيّ مهمّ.

٢. الفقيه الرجاليّ العظيم السيّد بحر العلوم ﴿ره﴾، الّذي وقع موردًا للعناية الخاصّة لإمام العصر ﴿عج﴾؛ إذ أشار في كتابه الفوائد الرجاليّة في ترجمة السيّد مرتضى ﴿ره﴾ إلى قسم من حكاية الجزيرة الخضراء، و عدّها فضيلة كبيرة و مرتبة جليلة لا يمكن لأيّ شيء أن يضاهيها. و قد ذكّر في النهاية بأنّ صحّة هذا النقل ليست قطعيّة. لكن يُستفاد من كلامه أنّ لهذه الحكاية اعتبارًا نسبيًّا، بحيث يمكن استخدامها في كتاب علميّ بوصفها شاهدًا على معرفة شخصيّةِ عالم من العلماء و منزلته[٢].

٣. الفقيه الكبير الملّا أحمد النراقيّ ﴿ره﴾، الّذي يكفي في إثبات عظمته أنّ الشيخ الأعظم الأنصاريّ ﴿ره﴾ قد سافر إلى مدينة كاشان للتعلّم على يديه و الاستفادة منه؛ ففي كتابه مُستند الشيعة و بعد أن بيّن رأيه في باب صلاة الجمعة، كان من جملة الوجوه الّتي تمسّك بها لدفع أحد الإشكالات الّتي قد تَرِد عليه، هو وجه معتبر استفاده من الحكاية المذكورة[٣]. و بناءً على هذا، فقد أشبه تعامله مع هذا الخبر تعامل أستاذه المعظّم معه.

٤. الفقيه الأصوليّ الشيخ أسد الله التستريّ ﴿ره﴾؛ إذ عدّ في كتابه الفقهيّ «مقابس الأنوار» أنّ ذكر اسم المحقّق الحلّيّ ﴿ره﴾ في حكاية الجزيرة الخضراء دالٌّ على فضيلته. كما أنّه ﴿ره﴾ استند إليها في بحث علميّ حول أحد وجوه الإجماع في زمان الغيبة، في كتابه الأصوليّ «كشف القناع»، الّذي يُعدّ نقطة تحوّل في آراء علماء الأصول في حجّيّة الإجماع، و ذلك بوصفها شاهدًا على إمكانيّة رؤية إمام الزمان ﴿عج﴾ في الغيبة الكبرى[٤].

---

(١) الحاشية على مدارك الأحكام، ج٣، ص١٨٧.

(٢) الفوائد الرجاليّة، ج٣، ص١٣٧.

(٣) مستند الشيعة، ج٦، ص٥٠.

(٤) راجع: مقابس الأنوار، ص١٢؛ كشف القناع، ص٢٣١.

٥. الفقيه الكبير الشيخ يوسف البحرانيّ ﷺ، صاحب الحدائق، و أستاذ العظماء من قبيل: الملّا مهدي النراقيّ، و العلّامة بحر العلوم، و الميرزا القمّيّ الكبير، و السيّد عليّ الطباطبائيّ صاحب الرياض؛ الّذي نقل الخبر بأكمله في كتابه «جليس الحاضر و أنيس المسافر».

ج) تقدّم أنّ العديد من الفقهاء و المحدِّثين و الرجاليّين قد نقلوا هذين الخبرين. لكن يجب الالتفات إلى أنّ الإخبار عن أصل وجود الجزيرة الخضراء لا ينحصر بهذين الخبرين، بل قد تشرّف بعض العلماء من أصحاب الكرامات بالذهاب إليها أيضًا. لكن، بما أنّ هذا الموضوع من الأسرار، و دَيدن الأولياء الإلهيّين هو كتمان تشرّفاتهم، فقد كانوا يمتنعون غالبًا عن نقلها، و مع ذلك وصلنا خبر تشرّف اثنين من الأولياء الإلهيّين، و مخازن الأسرار الربانيّة، بزيارة هذه الجزيرة، نشير إليهما فيما يلي:

١. تشرُّف الفقيه الزاهد التقيّ، صاحب الكرامات العديدة، السيّد الشفتيّ ﷺ، الّذي لا يُشكّ في صدقه، و مَن قال فيه آية الله الشيخ البهجة ﷺ: فُتح باب الحكمة له. و قد نقل حكاية تَشرُّفه العلّامة النهاونديّ في موسوعته الشاملة حول الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، الموسومة بـ «العبقريّ الحِسان»، و ذلك على النحو التالي:

«حكى لنا المرحوم الحاج السيّد أحمد و قد كتب لي أيضًا: كان هناك من تركة المرحوم والدي كتاب تحفة الأبرار، الّذي هو الرّسالة العمليّة لسيّد العلماء الأعاظم حجّة الإسلام الحاج السيّد محمّد باقر الشّفتيّ الرّشتيّ، و هو أوّل شخص اشتهر بـ «حجّة الإسلام»، و قد قال بأنّ تلك الرّسالة كانت بخطّ السيّد و كان خطًّا جميلًا، و قد كُتبت على ظهر الكتاب عدّة وصايا للقارئ من جملتها: التزموا بذكر الإمام الحجّة و الإقبال بجميع القلب عليه في جميع الأوقات، لأنّه أبٌ شفيقٌ بجميع الخلق. اجتنبوا كذلك الغفلة عن ذلك الإمام و الإقبال على غيره؛ لقد كنت أطلب إلى حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف مشاهدة الجزيرة الخضراء و البحر الأبيض و البلاد الّتي يحكم فيها أولاد ذلك المولى و خَلق كثير في غاية الجلالة، و إنّي أقسمت على الله بحقّ وليّه أن يكشف لي صحّة هذا الأمر، إلى أن كنت أتمشّى في إحدى ليالي عيد الغدير، الّذي صادف ليلة الجمعة، في آخر ثلث من الليل بجانب حديقة بيتنا الكائن في أصفهان في حيّ كبير يقال له بيد آباد، و فجأة شاهدت سيّدًا جليلًا عليه سيماء العلماء و قد أخبرني بجميع ما كان في ضميري و بصحّة وجود الأمصار

و البلاد في الجزيرة الخضراء أيضًا، ثمّ قال لي: أتريد أن ترى بعينَيك ذلك المكان حتّى يكون عبرة لك و لجميع أولي الأبصار؟ فقلت: نعم يا سيّدي، تمنُّ عليّ منّة عظيمة. فقال: تقدّم، أغمض عينيك و صلِّ على جدّك محمّد و آله سبع مرّات. فعلت ما أمرني به، ثمّ قال: افتح عينيك و انظر، ماذا ترى من آيات إلهيّة؟ فرأيت بلدة كانت بيوتها متباعدة، و تجري الأنهار عن يمينها و شمالها، و قد كانت مخضرّة مبتهجة بالأشجار و الرّياحين، كأنّها جنّات تجري من تحتها الأنهار، ثمّ قال لي: انظر إلى نهاية هذه الأشجار، فقلت: حسنًا، فقال: امضِ، فستشاهد هناك مسجدًا و إمامًا سيقيم صلاة الفجر و من خلفه جماعة و صفوف لا نهاية لها، فصلِّ مع ذلك الإمام لأنّه من الجيل السابع من أولاد الإمام صاحب الزّمان، و إنّ اسمَه عبد الرّحمٰن، و ستراني هناك بعد الصّلاة، مشيت فرأيت أنّ الأرض تنطوي تحت أقدامي حتّى وصلت إلى ذلك المسجد، و كما قال، فقد شاهدت ذلك الإمام واقفًا في المحراب، لقد كان كالبدر اللّامع، و كان نور وجهه صاعدًا إلى أعنان السّماء، هو رآني و أنا رأيته، فقال لي: مرحبًا بك، لقد منَّ الله عليك، ثمّ سألته مسائل من الأحكام الّتي كانت صعبة و أجابني عنها، فأكرمني و أنعم عليّ و أخبرني ببعض ما كان في ضميري، ثمّ صلّى صلاة الفجر، اقتديت به و انشغلت بالتّعقيبات الّتي كنت مواظبًا عليها إلى أن اقترب موعد شروق الشمس، فتذكّرت أنّني كنت أصلّي في النّاس جماعةً و أنّهم سيكونون بانتظاري على عادتهم اليوميّة، مضى اليوم و تبيّن أنّني لن أستطيع الوصول إليهم، فسمعت ذلك السيّد الإمام الّذي كان جالسًا في المحراب يقول لي: لا تخف و لا تحزن، سنوصلك إلى مكانك و ستصلّي بهم، ثمّ رأيت ذلك السيّد الأوّل بجانبي، فأخذ بيدي و قال: سنَمضي ببركة إمام زماننا، فوجدت نفسي فجأةً في مسجدي، صلّيت صلاة الجماعة، و ما رأيت ذاك السيّد بعد ذلك»[1].

٢. قصّة التشرّف الّتي كان آية الله الشيخ البهجة ﷺ ينقلها عن بعض علماء النجف، الّذين كان يُعبّر عنهم دائمًا بأصحاب الكرامات الباهرة و العجائب و الغرائب، و المقامات الروحيّة العالية، و مُفادها أنّ شخصًا سأل أحد مشايخ النجف قال: هل حكايّة الجزيرة الخضراء ثابتة، و هي جزيرة موجودة؟ و كانت في يده عصا، فقال له: عصايَ هذه من هناك!

---

(١) العبقريّ الحسان، ج٢، ص٥٧٩ ـ ٥٨٠.

د) من الجدير ذكره أنّ من ينكرون هذه الحكاية بجزم يوردون إشكالات على أسانيدها أو مصادرها. و لا يتّسع المجال في هذا البحث لمناقشتها، لكن يمكن القول ـ باختصار ـ : بعض هذه الإشكالات قابلة للحلّ بشيء من التأمّل و الفحص و قليل من الإدراك الرجاليّ. في حين أنّ بعضها من سنخ التدقيقات الرجاليّة، الّتي لا يمكن إغفال تأثيرها في ميزان الوثاقة بهذه الحكاية، لكنّه ليس ممّا يُذهِب بكامل اعتبارها، و بعبارة أخرى: يمكن غضّ الطرف عن هذه الإشكالات بملاحظة التسامح المتعارَف الّذي يُستعمل نوعًا ما في قبول الحكايات و القصص. و من هنا، فإنّ ما دفع هؤلاء العلماء لمعارضة هذا الخبر هي الإشكالات الّتي تحسّسوها في متنه، و هو ما دفعهم للتدقيق رجاليًّا. و إلّا لو وازنّا بين هذه الحكاية و بين الكثير من الحكايات المقبولة، لرأينا أنّ هذا الخبر أفضل حالًا من كثير منها من حيث المصدر و السند.

هـ) تجب أيضًا إحالة البحث التفصيليّ لمتن هذا الخبر إلى موضع آخر، و لهذا نكتفي في المقام بذكر عدّة نكات فقط:

١. على فرض صحّة الإشكالات المطروحة، فإنّ الخطوة الأولى الّتي على المحقّق القيام بها هي السعي للعثور على وجه للجمع و محمَل للصدق، و بطيّ هذه الخطوة ترتفع الإشكالات الأساسيّة. و لهذا يعتقد الفقيه البارز الملّا فيض الكاشانيّ ﷺ، حسبما يُستفاد من مقدّمة كتابه، أنّ هذا الخبر لا يتعارض بعد التحقيق مع الروايات الأخرى.

٢. لو فُرضت صحّة الإشكالات، و عدم وجود طريق للجمع، و محمَلٍ للصدق، ففي النهاية يكون هذا الخبر كالأخبار الأخرى، إنّما يُسقَط منه ما يُشكِّل تعارضًا قطعيًّا فقط، و لا مسوّغ لإسقاطه كلّه لسقوط قسم صغير منه؛ لاحتمال تعرّض بعض رواته للنسيان أو السهو عند نقل هذا القسم منه، أو وقوع النسّاخ في الخطأ عند نسخه، و قد أشرنا سابقًا إلى أنّ الشيخ الفضل بن يحيى الكوفيّ قد نبّه إلى أنّه نقل بالمعنى، و أنّ من الممكن أن يكون قد وقع تسامح في نقل بعض الألفاظ. كما أنّ من نُقلت أسماؤهم في هذه الحكاية ليسوا معصومين، و من الممكن أن يكونوا قد تكلّموا بناءً على اجتهاد كلّ واحد منهم أو حدسه اللذين لا يطابقان الواقع.

و) النكتة الأخرى الجديرة بالاهتمام هي الاجتناب عن التطبيقات الّتي لا أساس لها و لا دليل عليها لهذا الخبر، و ذلك على مناطق من الأرض مثل: مثلث برمودا، أو أيّ مكان آخر

خازن للأسرار؛ إذ من الممكن أن يُمثّل عنوان الجزيرة الخضراء إشارة إلى عالم غير عالم المادّة المحسوس هذا و المعروف عندنا، من قبيل عالم المثال. و ما ورد في كتب الجغرافيا و المعاجم، من أنّ هناك جزيرة باسم الجزيرة الخضراء لا ينفي احتمال وجود جزيرة أخرى في عوالم أخرى، تحمل الاسم نفسه و لا تُرى بأعيننا المادّيّة. كما لا ينفي أنّ ناقل هذه الحادثة عندما اقترب من ذلك المكان الجغرافيّ انفتحت عينه المثاليّة فشاهد تلك الحادثة. و من له معرفة بروايات أهل البيت عليهم السلام لن يستبعد مثل هذا الأمر. و سوف نستعرض فيما يلي بعض الأراضي و الأماكن الّتي أشار القرآن الكريم و الأحاديث الشريفة إليها، و نحن عاجزون عن الوصول إليها و معرفة أماكنها:

١. أُشير في موردين من القرآن الكريم إلى قوم يأجوج و مأجوج. و استنادًا إلى الآيات من ٩٤ إلى ٩٨ من سورة الكهف، و الآية السادسة و التسعين من سورة الأنبياء، فقد بنى ذو القرنين سدًّا لقمعهم و المنع من فسادهم، لا يمكنهم العبور منه و لا ثقبه. و سيبقى هذا السدّ قائمًا حتّى يكسروه عند نهاية عالم الدنيا و يخرجوا منه. و قد وردت روايات عديدة في وصف هؤلاء القوم، إلّا أنّه لا يمكن لنا تحديد مكانهم.

٢. استنادًا إلى الأحاديث الشريفة فقد شرب الخضر عليه السلام من عين ماء الحياة، و لهذا سيبقى حيًّا إلى يوم القيامة. و مع أنّ القرآن الكريم عبّر عن ذي القرنين بقوله ﴿مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1]، و أعطي بإذن الله سلطة على الأرض و سيطرة عليها و قد عثر على طريق الوصول إلى تلك العين، إلّا أنّه لم يوفّق للعثور على العين نفسها، على الرغم من كلّ الجهود الّتي بذلها مع جنوده من أجل ذلك. حتّى إنّ الخضر عليه السلام نفسه لم يستطع العثور عليها مجدّدًا و إرشاد ذي القرنين إليها[2].

٣. نُقل في الكافي الشريف أنّ الإمام الحسن عليه السلام قال: «إِنَّ لِلّٰهِ مَدِينَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا بِالْمَشْرِقِ وَ الْأُخْرَى بِالْمَغْرِبِ، عَلَيْهِمَا سُورٌ مِنْ حَدِيدٍ وَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَلْفُ أَلْفِ مِصْرَاعٍ، وَ فِيهَا سَبْعُونَ أَلْفَ أَلْفِ لُغَةٍ، يَتَكَلَّمُ كُلُّ لُغَةٍ بِخِلَافِ لُغَةِ صَاحِبِهَا، وَ أَنَا أَعْرِفُ جَمِيعَ اللُّغَاتِ وَ مَا فِيهِمَا وَ مَا بَيْنَهُمَا، وَ مَا عَلَيْهِمَا حجّة غَيْرِي وَ غَيْرُ الْحُسَيْنِ أَخِي»[3].

---

(١) سورة الكهف، الآية ٨٤.

(٢) تفسير القمّيّ، ج٢، ص٤٢؛ تفسير العيّاشيّ ج٢، ص٣٤١ ـ ٣٤٦.

(٣) الكافي، ج١، ص٤٦٢.

٤. نقلا عن بصائر الدرجات، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ مِنْ وَرَاءِ أَرْضِكُمْ هَذِهِ أَرْضًا بَيْضَاءَ ضَوْؤُهَا مِنْهَا، فِيهَا خَلْقٌ يَعْبُدُونَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا»[1].

٥. قال الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ لِلَّهِ مَدِينَةً خَلْفَ الْبَحْرِ سَعَتُهَا مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فِيهَا قَوْمٌ لَمْ يَعْصُوا اللَّهَ قَطُّ وَلَا يَعْرِفُونَ إِبْلِيسَ وَلَا يَعْلَمُونَ خَلْقَ إِبْلِيسَ، نَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ حِينٍ فَيَسْأَلُونَّا عَمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُونَّا الدُّعَاءَ فَنُعَلِّمُهُمْ، وَيَسْأَلُونَّا عَنْ قَائِمِنَا حتّى [متى] يَظْهَرَ، وَفِيهِمْ عِبَادَةٌ وَاجْتِهَادٌ شَدِيدٌ، وَلِمَدِينَتِهِمْ أَبْوَابٌ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعِ إِلَى الْمِصْرَاعِ مِائَةُ فَرْسَخٍ، لَهُمْ تَقْدِيسٌ وَاجْتِهَادٌ شَدِيدٌ لَوْ رَأَيْتُمُوهُمْ لَاحْتَقَرْتُمْ عَمَلَكُمْ، يُصَلِّي الرَّجُلُ مِنْهُمْ شَهْرًا لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنْ سُجُودِهِ، طَعَامُهُمُ التَّسْبِيحُ وَلِبَاسُهُمُ الْوَرَقُ وَوُجُوهُهُمْ مُشْرِقَةٌ بِالنُّورِ، إِذَا رَأَوْا مِنَّا وَاحِدًا لَحَسُوهُ وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَأَخَذُوا مِنْ أَثَرِهِ إِلَى الْأَرْضِ يَتَبَرَّكُونَ بِهِ، لَهُمْ دَوِيٌّ إِذَا صَلَّوْا أَشَدُّ مِنْ دَوِيِّ الرِّيحِ الْعَاصِفِ، فِيهِمْ جَمَاعَةٌ لَمْ يَضَعُوا السِّلَاحَ مُنْذُ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ قَائِمَنَا يَدْعُونَ أَنْ يُرِيَهُمْ إِيَّاهُ وَعُمُرُ أَحَدِهِمْ أَلْفُ سَنَةٍ. إِذَا رَأَيْتَهُمْ رَأَيْتَ الْخُشُوعَ وَالِاسْتِكَانَةَ وَطَلَبَ مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ، إِذَا حُبِسْنَا ظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ سَخَطٍ، يَتَعَاهَدُونَ سَاعَةً الَّتِي نَأْتِيهِمْ فِيهَا، لَا يَسْأَمُونَ وَلَا يَفْتُرُونَ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ كَمَا عَلَّمْنَاهُمْ وَإِنَّ فِيمَا نُعَلِّمُهُمْ مَا لَوْ تُلِيَ عَلَى النَّاسِ لَكَفَرُوا بِهِ وَلَأَنْكَرُوهُ، يَسْأَلُونَنَا عَنِ الشَّيْءِ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَا يَعْرِفُونَهُ فَإِذَا أَخْبَرْنَاهُمْ بِهِ انْشَرَحَتْ صُدُورُهُمْ لِمَا يَسْمَعُونَ مِنَّا وَيَسْأَلُوا [سَأَلُوا] اللَّهَ طُولَ الْبَقَاءِ وَأَنْ لَا يَفْقِدُونَا، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْمِنَّةَ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِيمَا نُعَلِّمُهُم عَظِيمَةٌ. وَلَهُمْ خَرْجَةٌ مَعَ الْإِمَامِ إِذَا قَامُوا يَسْبِقُونَ فِيهَا أَصْحَابَ السِّلَاحِ مِنْهُمْ وَيَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهُمْ مِمَّنْ يَنْتَصِرُ بِهِ لِدِينِهِمْ فِيهِمْ كُهُولٌ وَشُبَّانٌ، وَإِذَا رأى شَابٌّ مِنْهُمُ الْكَهْلَ جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ جِلْسَةَ الْعَبْدِ لَا يَقُومُ حتّى يَأْمُرَهُ، لَهُمْ طَرِيقٌ هُمْ أَعْلَمُ بِهِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ الْإِمَامُ، فَإِذَا أَمَرَهُمُ الْإِمَامُ بِأَمْرٍ قَامُوا أَبَدًا حتى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِغَيْرِهِ، لَوْ أَنَّهُمْ وَرَدُوا عَلَى مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مِنَ الْخَلْقِ لَأَفْنَوْهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، لَا يَخْتَلُّ الْحَدِيدُ فِيهِمْ وَلَهُمْ سُيُوفٌ مِنْ حَدِيدٍ غَيْرِ هَذَا الْحَدِيدِ، لَوْ ضَرَبَ أَحَدُهُمْ بِسَيْفِهِ جَبَلًا لَقَدَّهُ حتّى يَفْصِلَهُ، يَغْزُو بِهِمُ الْإِمَامُ الْهِنْدَ وَالدَّيْلَمَ وَالكرك [الْكُرْدَ] وَالتُّرْكَ وَالرُّومَ وَبَرْبَرَ وَمَا بَيْنَ جَابَرْسَا إِلَى جَابَلْقَا، وَهُمَا مَدِينَتَانِ وَاحِدَةٌ بِالْمَشْرِقِ وَأُخْرَى بِالْمَغْرِبِ، لَا يَأْتُونَ عَلَى أَهْلِ دِينٍ إِلَّا دَعَوْهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ وَإِلَى الْإِقْرَارِ بِمحمّد صلى الله عليه وآله، وَمَنْ لَمْ يُسْلِمْ قَتَلُوهُ حتّى لَا يَبْقَى بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا دُونَ الْجَبَلِ أَحَدٌ إِلَّا أَقَرَّ»[2].

---

(١) بصائر الدّرجات، ج١، ص٤٩٠.

(٢) بصائر الدّرجات، ج١، ص٤٩١.

و من تأمّل في مضمون الروايات الأخيرة، يلاحظ مدى شبهها بحكاية الجزيرة الخضراء و قربها منها. و في الكتب الحديثيّة المعتبرة عشرات الروايات الأخرى من قبيل هذه الرواية. و قد اتّفق كثيرًا في كرامات العلماء العظام أن شاهدوا مكانًا خاصًّا أو حادثًا أو مشهدًا كذلك، و تواصلوا هناك مع أشخاص كان لهم أثرٌ واقعيّ في تلبية حاجاتهم و رغباتهم، لكن عندما ذهبوا مرّة أخرى إلى ذلك المكان لم يعثروا على ذلك المشهد، أو الأشخاص. و يمكن الإشارة ـ من باب المثال ـ إلى تشرّف السيّد بحر العلوم، إذ ينقل المحدِّث الكبير العلّامة النوريّ، بسند متّصل عن العالم الجليل محمّد السلماسيّ، تلميذ السيّد بحر العلوم قائلًا:

«عن ناظر أموره في أيّام مجاورته بمكّة قال: كان رحمه الله مع كونه في بلد الغربة منقطعًا عن الأهل و الإخوة قويّ القلب في البذل و العطاء غير مكترث بكثرة المصارف، فاتّفق في بعض الأيّام أن لم نجد إلى درهم سبيلًا، فعرّفته الحال و كثرة المؤونة و انعدام المال، فلم يقل شيئًا، و كان دأبه أن يطوف بالبيت بعد الصبح و يأتي إلى الدار فيجلس في القبّة المختصّة به... فلمّا رجع من الطواف في اليوم الّذي شكوته في أمسه نفود النفقة... فإذا بالباب يدقّه أحد فاضطرب أشدّ الاضطراب... و قام مسرعًا خارجًا عن الوقار و السكينة و الآداب، ففتح الباب و دخل شخصٌ جليلٌ في هيئة الأعراب و جلس في تلك القبّة. و قعد السيّد عند بابها في منتهى الذلّة و المسكنة، و أشار إليّ أن لا أقرّب إليه الغليان. فقعدا ساعة يتحدّثان، ثمّ قام فقام السيّد مسرعًا و فتح الباب و قبّل يده و أركبه على جمله الّذي أناخه عنده و مضى لشأنه، و رجع السيّد متغيّر اللون و ناولني براة و قال: هذه حوالة على رجل صرّاف قاعد في جبل الصفا و اذهب إليه و خُذ منه ما أحيل عليه. قال: فأخذتها و أتيت بها إلى الرجل الموصوف فلمّا نظر إليها قبّلها و قال: عليّ بالحماميل، فذهبت و أتيت بأربعة حماميل، فجاء بالدراهم من الصنف الّذي يقال له ريال فرانسه، يزيد كل واحد على خمسة قرانات العجم، و ما كانوا يقدرون على حمله فحملوها على أكتافهم و أتينا بها إلى الدار. و لمّا كان في بعض الأيّام ذهبت إلى الصرّاف لأسأل منه حاله و ممّن كانت تلك الحوالة فلم أرَ صرّافًا و لا دكانًا، فسألت عن بعض من حضر في ذلك المكان عن الصرّاف فقال: ما عهدنا في هذا

المكان صرّافًا أبدًا و إنّما يقعد فيه فلان، فعرفت أنّه من أسرار المَلِك المنّان و ألطاف وليّ الرحمن»[1].

ز) لو تأمّلنا في مقامات العلماء الّذين قَبِلوا هذا الخبر أو امتنعوا عن ردّه، و مقامات العلماء الّذين ردّوا هذه الحكاية و أنكروها، سوف نرى أنّ أسماء الكثير من العلماء العِظام لم ترد في قائمة المنكِرين، و من جملتهم العظام المشار إلى أسمائهم أدناه:

١. أصحاب اللقاءات الشريفة بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف و المقامات المعنويّة الرفيعة، ممّن شاهدوا باطن العالم من وراء ظاهره، و لمسوا بأرواحهم بوضوح أنّ في هذا العالم حقائق لا تُرى ما لم تُطهّر العين، و يُصقل القلب من أدران المعصية، من قبيل: السيّد ابن طاوس، و السيّد بحر العلوم، و المقدّس الأردبيليّ، و السيّد الشفتيّ(قدس الله أسرارهم)، و لهذا لا يستبعدون الحكاية المذكورة.

٢. المحدِّثون أمثال: العلّامة المجلسيّ، و الميرزا عبد الله الأفنديّ، و الشيخ أبو الحسن فتونيّ العامليّ، و السيّد شبّر بن محمّد الحويزيّ، و السيّد نعمة الله الجزائريّ، و المحدِّث النوريّ، و السيّد هاشم البحرانيّ، و الشيخ عليّ أكبر النهاونديّ، و الشيخ عبد الله البحرانيّ(قدس الله أسرارهم)؛ إذ على أثر الأنس بروايات أهل البيت عليهم السلام و الإحاطة بالمعارف الإسلاميّة، فقد تمتّعت هذه الفئة بسعة الرؤية، و علمت أنّ نظام العالم أبعد بكثير من فهمنا المحدود، و أنّ هناك عوالم محجوبة وراء حجاب هذا العالم.

٣. الفقهاء من قبيل: الوحيد البهبهانيّ، و الشيخ يوسف البحرانيّ، و الملّا أحمد النراقيّ، و الشيخ أسد الله التستريّ، و السيّد عبد الله شبّر(قدس الله أسرارهم)، ممّن أشاروا إلى هذه الحكاية في كتبهم. و كذلك آية الله الميلانيّ قدس سره الّذي يقول: يَصعُب إنكار أصل القضيّة بنحوٍ جازم و حتميّ. و بسبب العمق الفكريّ الّذي تمتّعت به هذه الفئة على إثر الممارسة العلميّة و الاجتهاديّة فقد علمت أنّه لا بدّ في التعامل مع أيّ حكاية من العثور على محامل الصدق فيها و تقويم وجوهها و احتمالاتها المختلفة، لا التسرّع في ردّها.

و إذا اعتقد شخص ما أنّ علماءنا كانوا لا يُدركون الفرق بين الخرافة و الخبر القابل للاهتمام به، فمن الواضح ما الحالة الّتي هو عليها، و لم يعرف بعدُ العلم و العالم! و اهتمام

---

(١) جنة المأوى للمحدّث النوريّ، الّذي طُبع ملحقًا بالمجلد ٥٣ من كتاب بحار الأنوار، ص٢٣٨.

العلماء بخبر الجزيرة الخضراء، و نقلهم له، و التمسّك به بوصفه شاهدًا ومؤيّدا على فتاويهم أيضًا، ليس لأنّهم لا يعدّونه خرافة و حسب، بل لأنّهم يعدّونه ـ على الأقلّ ـ موافقًا لمحكمات القرآن الكريم و الروايات الشريفة و مسلّماتهما. و العجيب أنّ بعضهم يعدّ هذا الخبر خرافة و مجعولًا دون وَجَل. و الحال، إنّ مُفاده يمتلك قابلية الجمع مع سائر الروايات فضلًا عن أنّه يشتمل أيضًا على شواهد صدق، و بملاحظتها لا يتجرّأ أيّ محقّقٍ منصفٍ متّقٍ على استعمال مثل هذه العبارات فيه بسهولة. و لو لم يكن في البَيْن سوى الكلام المتقدِّم في صدر هذا البحث للسيّد ابن طاوس‌، إذ قال: «وجدت رواية متّصلةَ الإسناد بأنّ للمهديّ عليه السلام أولاد [أولادًا] جماعة، ولاة في أطراف بلاد البحار [البحر] على غاية عظيمة من صفات الأبرار»، لكفى كلامه للموافقة الإجماليّة على مُفاد خبر الجزيرة الخضراء، فإذا قيل: لعلّ السيّد ابن طاوس أشار إلى الخبر الّذي نقله كمال الدين الأنباريّ. نُجيب: مع وجود هذا الاحتمال، لكنّ ظاهر كلامه يدلّ على رؤية رواية بسند متّصل. هذا، و لا بدّ من بيان أنّه ليس البناء في هذا المختصر على عدم الإجابة عن الإشكالات كلّها الّتي أُوردت على مضمون هذا الخبر و حسبُ، بل لم يكن البناء أبدًا أيضًا على إثبات صحّة خبر الجزيرة الخضراء، لأنّ هذا الأمر خارج عن الموضوع الأساس للكتاب. و إنّما الغرض الوحيد هو ذِكر الجهات العلميّة الإيجابيّة للخبر إلى حدّ ما، ليتمكّن الباحثون ـ بعيدًا عن أجواء التعصّب و المشاعر، و الحكم السطحيّ و السريع ـ من دراسة الأدلّة المختلفة بإنصاف.

و قد تقدّم أنّ ثلاث فئات من العلماء لم ينفوا غالبًا صحّة هذا الخبر. و إذ إنّ آية الله الشيخ البهجة كان يتمتّع بالخصال الثلاث المذكورة أعلاه، و جامعًا للمقامات المعنويّة و العلميّة، سواء في الحديث أم الفقه، فقد كانت عنده نظرة شاملة أيضًا لهذا الخبر. و لأنّه كان يقرأ روايات أهل البيت عليهم السلام و أخبارهم، و يتأمّل فيها بأفق أوسع و نظرة أشمل، لم يكن يعدّ هذا الخبر من المجعولات. و بجمع الشواهد و القرائن كلّها لم يكن يرى ـ إجمالًا ـ مانعًا أو محذورًا من وقوعها؛ لأنّ نفي الخبر كإثباته، يحتاج إلى الدليل. و يُستفاد من مجموع كلماته حول الجزيرة الخضراء أن لا دليل عندنا على ردّها بوصفها مكانًا مادّيًّا، في نقطة ما على كوكب الأرض. و عندما يصلنا خبر لم تتضّح فيه شواهد الوهن و الضعف و الكذب، فلا يمكننا أن ننكره لمجرّد استبعاده، و إن كنّا لا نقبله بوصفه خبرًا قطعيًّا؛ لأنّه حينئذٍ يُعامَل كبقيّة الأخبار و يُحاكَم استنادًا إلى سيرة العقلاء، و هي غير قائمة على قطعيّة كلّ خبر.

بل لو وجدت الجزيرة الخضراء بوصفها مكانًا مادّيًا، فهي أداة لتذكير الجميع بالوجود المبارك للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و تنبيههم إلى معارف إلهيّة أعمق. و لهذا نظير في روايات أهل البيت عليهم السلام؛ إذ يُستفاد من العوامل المادّيّة و الزمانيّة و المكانيّة كلّها، لجذب القلوب إلى عالم الملكوت و عناصره.

و أمّا تطبيق الجزيرة الخضراء على أماكن مثل مثلث برمودا فليس له محلّ في توجّه سماحته رحمه الله. و لا تلازم أبدًا في الأساس بين قبول خبر الجزيرة الخضراء و بين كون مثلث برمودا مصداقًا له، و لا أساس أبدًا في خبرها لهذه التطبيقات. و لو كان العثور على مكان كهذا من خلال البحث في مناطق الأرض المختلفة ممكنًا لنوع البشر فإنّه لم يُعدّ من الأسرار، و لم يكن هناك معنى لتشرّف الأتقياء به و خواصّ الصلحاء، بل سيعثر عليه في هذه الصورة الكفّار و أعداء إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف أسرع من أيّ شخصٍ آخر، لما يملكونه من إمكانات و تجهيزات واسعة. بناءً على هذا، لا تعدو هذه التطبيقات كونها تصوّرات و احتمالات لعدد ممّن لا يملكون أيّ دليل على اعتبارها. و مَن أراد التشرّف بمكان كهذا، فليس السبيل إليه أن يبحث في أطراف الأرض، بل إذا سلك طريق الخواصّ من العلماء العظام و الصلحاء الكرام، المتمثّل بترك المعصية و الإتيان بالواجبات و طاعة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فإنّه سينال مراتب أعلى بكثير، و سيكون دائمًا في محضره عجّل الله تعالى فرجه الشريف. و لهذا عندما كان أحدهم يسأل آية الله الشيخ البهجة رحمه الله عن الجزيرة الخضراء، فإنّه رحمه الله بدلًا من الشروع ببيان الاحتمالات و التطبيقات، كان يقول:

«قلب المؤمن جزيرة خضراء. و كلّ قلب يكون عامرًا بالإيمان يطأه إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف».

و كان رحمه الله يقول:

«كم نقول إنّ لإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف مسجدًا في قلب كلّ شيعيّ».

و بهذه الطريقة كان رحمه الله ينبّه الناس لينيروا قلوبهم بطاعة الله تعالى و الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ليشهدوا في كلّ آنٍ و لحظة وجوده المبارك عجّل الله تعالى فرجه الشريف في قلوبهم.

الملحق السادس:

«دراسة حول النهي عن التسمية»

في قضيّة النهي عن التصريح بالاسم الخاصّ للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف و ممنوعيّة التسمية، فمُجمل الكلام فيها أنّه لا ريب في ورود النهي عن التسمية في رواياتٍ متعدّدةٍ، كما أنّه لا ريب في التصريح بالاسم الشريف في رواياتٍ و مواضع متعدّدةٍ أخرى، فما هو وجه الجمع؟ بعض العلماء مثل صاحب الوسائل رحمه الله حَمَلَ أخبار النهي على التقيّة و مواضع الخوف، فجعل عنوان الباب: «باب تحريم تسمية المهديّ عليه السلام و سائر الأئمّة عليهم السلام و ذكرهم وقت التقيّة و جواز ذلك مع عدم الخوف»[1]، و أورد ثلاثة و عشرين حديثًا مع توضيح بعضها، إلى أن قال في آخر الباب:

«أقول: و الأحاديث في التصريح باسم المهديّ محمّد بن الحسن عليهما السلام و في الأمر بتسميته عمومًا و خصوصًا، تصريحًا و تلويحًا، فعلًا و تقريرًا في النصوص و الزيارات و الدعوات و التعقيبات و التلقين و غير ذلك كثيرة جدًّا قد تقدّمت جملة من ذلك و تأتي جملة أخرى و هو دالّ على ما قلناه في العنوان».

و جاء في الهامش منه رحمه الله:

«قد صرّح باسمه عليه السلام جماعةٌ من علمائنا في كتب الحديث و الأصول و الكلام و غيرها، منهم العلّامة و المحقّق و المقداد و المرتضى و المفيد و ابن طاوس و غيرهم، و المنع نادر، و قد حقّقناه في رسالة مفردة».

و قد مرّت منه رحمه الله الإشارة إلى ما جعله من العنوان و مقصوده قوله «و جواز ذلك مع عدم الخوف».

(١) وسائل الشيعة، ج١٦، ص٢٣٧.

لكن خالفه بشدّة صاحب مستدرك الوسائل، حتّى إنّه قد غيّر العنوان في الوسائل فقال: «باب تحريم تسمية المهديّ و سائر الأئمّة عليهم السلام و ذكرهم وقت التقيّة، و جواز ذلك مع عدم الخوف إلّا المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف فإنّه لا يُسمّى باسمه إلى وقت الظهور»[1]، و أضاف إلى أحاديث الوسائل ستّ عشرة رواية أخرى، إلى أن قال في آخر الباب:

«قلت: و هذه الأخبار و غيرها ممّا يوجد في الأصل (أي الوسائل) بعد حمل ظاهرها على نصّها صريحة في أنّ عدم جواز تسمية مولانا المهديّ صلوات الله عليه باسمه المعهود من خصائصه، كغَيبته و طول عمره، و أنّ غاية هذا المنع ظهوره و سطوع نوره و استيلاؤه و سلطنته، لا يعلم سرّه و حكمته غيره تعالى ليس من أجل الخوف و التقيّة الّتي يشارك معه غيره من آبائه الكرام عليهم السلام» إلى أن قال: «و من جميع ذلك ظهر أنّ اللازم جعل عنوان الباب ما ذكرناه لا ما ذكره، و الله العالم».

و كذا صاحب البحار رجّح جانب الحرمة، بل جعلها يقينيّة ـ بعبارةٍ موجزةٍ في البحار، و مع التفصيل في مرآة العقول ـ و لم يعتدّ بالقول بالجواز عند عدم التقيّة و الخوف.

و الّذي ينبغي لنا أن نجعله فصل الخطاب هو عمل الشيعة و السيرة القطعيّة و الطريقة المستمرّة بين جميع الإماميّة الاثني عشريّة، و بهذه الملاحظة نقطع بأنّ النهي ليس نهي تحريم بالعنوان الأوّلي، و أنّ الأمر ليس كما قال صاحب الوسائل بأنّ النهي جهتَي معنوَن و متحيّث بعنوان التقيّة و الخوف، و في بعض الروايات تصريحٌ بخلاف ذلك، كقول أمير المؤمنين عليه السلام في جواب عمر بن الخطاب: «أَمَّا اسْمُهُ فَإِنَّ حَبِيبِي رَسُولَ اللّٰهِ عَهِدَ إِلَيَّ أَنْ لَا أُحَدِّثَ بِهِ حتّى يَبْعَثَهُ اللّٰهُ تَعَالَى»[2]، و كقول الإمام الكاظم عليه السلام: «يَخْفَى عَلَى النَّاسِ وِلَادَتُهُ وَ لَا يَحِلُّ لَهُمْ تَسْمِيَتُهُ حتّى يُظْهِرَهُ اللّٰهُ فَيَمْلَأَ بِهِ الْأَرْضَ قِسْطًا وَ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَ ظُلْمًا»[3]، قال في البحار: «بيان: هذه التحديدات مصرّحة في نفي قول من خصّ ذلك بزمان الغَيبة الصغرى تعويلًا على بعض العلل المستنبطة و الاستعبادات الوهميّة»[4]، لكنّ صاحب الوسائل رحمه الله استشهد بعبارات أشارت إلى التقيّة و الخوف، كقوله عليه السلام: «إِنْ دَلَلْتُهُمْ عَلَى الِاسْمِ أَذَاعُوهُ وَإِنْ

(١) مستدرك وسائل الشيعة، ج١٢، ص٢٧٩.

(٢) إعلام الورى بأعلام الهدى، ص٤٦٥.

(٣) كفاية الأثر، ص٢٧١.

(٤) بحار الأنوار، ج٥١، ص٣٢.

عَرَفُوا الْمَكَانَ دَلُّوا عَلَيْه»[١]، و كقول العمريّ: «وَإِذَا وَقَعَ الِاسْمُ وَقَعَ الطَّلَبُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَمْسِكُوا عَنْ ذَلِكَ»[٢]، و هذه لا تنفي أن تكون للنهي جهة أخرى غير الخوف و التقيّة، لأنّها كانت في الغَيبة الصغرى و قد وقع التصريح باستدامة النهي إلى زمان ظهوره عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

هذا من ناحية، و من ناحيةٍ أخرى لا يمكننا أن نقول بحرمة التسمية، لدلالة السيرة العمليّة المستمرّة على ذلك و منها سيرة العلماء القائلين بالتحريم، يعني أنّهم أنفسهم بعملهم يدلّوننا على أنّ النهي ليس نهي تحريم مُطلَق، و العلماء المتقدّمون غالبًا يُعبّرون في عنوان الباب بالنهي أو المنع لا بالتحريم و الحرمة، كالكلينيّ و النعمانيّ و الصدوق (قدّس الله أسرارهم). لكنّ الصدوق رحمه الله نقل حديثًا في كتابَيْه عيون أخبار الرضا عليه السلام و كمال الدين، ثمّ قال في ذيله: «قال مصنّف هذا الكتاب: جاء هذا الحديث هكذا بتسمية القائم عليه السلام، و الّذي أذهب إليه النهي عن تسميته عليه السلام»[٣].

انظر أيّها القارئ الكريم إلى هذا القول و العمل من الشيخ الصدوق رحمه الله، إذ إنّه ينقل الرواية الّتي فيها تصريحٌ باسم الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ثمّ يقول: لكنّي أذهب إلى النهي، إنْ كان هذا النهيُ نهيَ تحريمٍ مُطلَق فمن الحريّ أن يُسأل الشيخ: هل نقلُ الرواية المستحبّ يُعارض الحرمة؟ كيف يمكن أن ينقل الصدوق الرواية المشتملة على العمل الحرام؟ و من الطريف أنّه في كتابه المعروف «اعتقادات الإماميّة» يُصرّح في موضعين منه باسم الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، و لعلّه رأى في مقام الاعتقادات مناسبة للتأكيد و التعيين، فيظهر جليًّا أنّ موقف الصدوق من النهي لم يكن نهيًا تحريميًّا و لو بارتكازه قلبًا و عمله الارتكازيّ خارجًا، و إلّا لم يرتكب المحرّم.

و هكذا العلّامة المجلسيّ رحمه الله نقل الروايات المصرِّحة بالاسم الشريف في البحار، و نقل قول الصدوق في ذيلها كما مرّ، لكنّه وجّهها في مرآة العقول بتوجيهاتٍ عجيبةٍ، قال:

«و ما ورد في الأخبار و الأدعية من التصريح بالاسم فأكثره معلومٌ أنّه إمّا من الرواة أو من الفقهاء المجوّزين للتسمية في زمان الغَيبة الكبرى، كالشيخ البهائيّ رحمه الله في مفتاح الفلاح و غيره، فإنّه لمّا زعم الجواز صرّح بالاسم، و في سائر الروايات و الأدعية

(١) شرح الكافي (للمولى صالح المازندراني)، ج٦، ص٢١٦.

(٢) الكافي، ج١، ص٣٣٠.

(٣) كمال الدين، ج١، ص٣٠٧؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٤٠.

إمّا بالألقاب أو بالحروف المقطّعة، مع أنّ بعض الأخبار المتضمّنة للاسم إنّما يدلّ على جواز ذلك لهم لا لنا»[1].

و هنا يطرح هذا السؤال نفسه: هل يجوز لصاحب البحار إذا علم صدور الفعل الحرام من الراوي أن يتّبعه و ينقل حديثه؟ ألم يسمع هذا الراوي الشيعيّ، النهي عن الاسم؟ إذا كان التصريح بالاسم جائزًا للأئمّة عليهم السلام لا لنا، فكيف التحديث به؟ كيف نقله المحدّثون كَتْبًا و لَفْظًا و أبقوه للأجيال القادمة يتحدّثون به كما حدّثوا سابقًا، و يدعون به كما دعوا في دعواتهم؟ فهو مثلًا قد نقل زيارة آل يس في موضعين من البحار و فيها:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى حُجَّتِكَ فِي أَرْضِكَ وَخَلِيفَتِكَ فِي بِلَادِكَ وَالدَّاعِي إِلَى سَبِيلِكَ وَالْقَائِمِ بِقِسْطِكَ وَالثَّائِرِ بِأَمْرِكَ» إلى قوله: «الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا»[2].

فمن هذا الخلاف و الاختلاف بين العلماء و الناظرين في الروايات، نفهم أنّ هناك بعض الإبهامات و نقاط الغموض بعدُ، بَيْدَ أنّ السيرة المستمرّة و الطريقة العمليّة للشيعة واضحتان لا غُبار عليهما، نراهم عبر الغَيبة الكبرى قرونًا متمادية لا يصرّحون باسم الإمام عليه السلام الخاصّ، و يأتون بألقابه الكثيرة، مثل الحجّة و المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، حتّى إنّ صاحب الوسائل نفسه أتى في عنوان الباب: «باب تحريم تسمية المهديّ» فلم يأت باسمه الشريف، هذا من جانب، و من جانب آخر نرى الشيعة جميعهم ينقلون الأحاديث المشتملة على التصريح بالاسم، و يقرؤون الزيارات و الدعوات المشتملة على الاسم، كدعاء العبرات و القاف و المستجاب المذكورة في البلد الأمين، و كزيارة آل يس. و حتّى في غير الدعاء و الزيارة نرى الفقهاء و العلماء يأتون بالاسم الشريف، مثلًا الفقيه العظيم صاحب الجواهر عندما يريد بيان تأكّد استحباب زيارة بقيّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف يأتي بهذه العبارة:

«وكذا يُستحبّ مؤكّدًا زيارة الإمام المهديّ الحجّة صاحب الزمان أبي القاسم محمّد بن الحسن عليه السلام عجّل الله فرجه و سهّل مخرجه»[3].

فهل ترى الشيعة إذا قرؤوا هذه العبارة في الجواهر من الفقيه الماهر، يتألّمون و يغضبون

(١) مرآة العقول، ج١٤، ص١٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٩١، ص٤ و ج٩٩، ص٨٣.

(٣) جواهر الكلام، ج٢٠، ص١٠٠.

و يعاتبونه؟ فكيف نجمع بين الجانبين من هذه السيرة العمليّة و الروايات الّتي تنهى عن التصريح بالاسم؟ و ممّا بيّناه ظهر أنّ وجه النهي ليس صرف التقيّة و الخوف كما ذهب إليه صاحب الوسائل، و كذا ليس النهي تحريمًا مطلقًا يجتنبه عامّة الشيعة و يبغضون مَن أتى به، فما هو الأمر؟

هنا وجهٌ آخر لم يُسمَع ـ فيما نعلم ـ من غير سماحة آية الله الشيخ البهجة ﷺ، و لعلّه أوفق لِمَا نرى من عمل الشيعة، و هو أنّ وجه النهي عن الاسم هو التقيّة، لكن لا التقيّة من الخوف، بل التقيّة من النصارى، لأنّه مكتوبٌ عندهم و في كتبهم التصريح باسم خاتم النبيّين رسول الله ﷺ، كما نطق به القرآن الكريم: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (١)، ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (٢)، و إن تُرجم في بعض المواضع «مئدمئد» أو «فارقليط»، فقد جاء مصرّحًا بكلمة الاسم الشريف «محمّد» في مواضع مكرّرة من إنجيل برنابا. هذا حال اليهود و النصارى، إذ جاءهم رسول الله ﷺ بالإسلام فلم يؤمنوا به، فإذا رأوا أنّ الشيعة يُعلنون في الملأ و يدعون إلى الله تعالى دائمًا منتشرًا في البلاد: «اللهم عجّل في ظهور محمّد»، فمن المُرجّح أنّهم سيقولون: إنّ محمّدًا المذكور في التوراة و الإنجيل هو هذا الّذي تنتظرونه، فنحن مثلكم ننتظره، و ليس هو نبيّكم الّذي آمنتم به.

و هذه التقيّة من أهل الكتاب الّتي احتملها سماحة الشيخ ﷺ تُناسب جانبَيْ عمل الشيعة اللذَيْن ذكرناهما. كما نرى أنّ معظم أمّهات الشيعة و آباءهم إذا علّموا أولادهم أسماء أئمّتهم ﷺ، لم يصرّحوا في الإمام المهديّ ﷺ باسمه الشريف، و إذا دعوا في مجالسهم و أنديتهم لظهور الإمام ﷺ لم يصرّحوا بالاسم، و مع ذلك يتواصون فيما بينهم بقراءة زيارة آل يس، و يذكرون فضلها و آثارها، مع أنّ فيها التصريح بالاسم الشريف. فشعار الشيعة عبر التاريخ أمر، و زوايا معتقداتهم أمرٌ آخر، و ليس ذاك من تدبيرهم، بل من تدبير الشارع المقدّس و أولياء الدين. و لذا مرّ في الحديث في جواب مولانا أمير المؤمنين ﷺ لعمر بن الخطّاب أنّه عهد إليّ رسول الله ﷺ أن لا أحدّث به، و ليس وجه هذه التقيّة الخوف الّذي كان في الغَيبة الصغرى، بل وجهه يستمرّ إلى ظهور أمره ﷺ و نزول عيسى ابن مريم ﷺ،

(١) سورة الصف، الآية ٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

فيلزم أن يكون شعار الشيعة في الدعاء بالفرج في كلّ زمان، ألقابه الشريفة الّتي قال صاحب المستدرك: «تقرب من مائة و اثنين و ثمانين»[1]، و في إشارة إليها، في المستدرك: «عَنْ حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ: فِي خَبَرٍ فِي صِفَةِ المهديّ قَالَ: وَهُوَ الّذي لَا يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ ظَاهِرًا قَبْلَ قِيَامِهِ إِلَّا كَافِرٌ بِهِ»[2]، و في الحديث الّذي بعده: «عَنِ الرَّيَّانِ بْنِ الصَّلْتِ قَالَ: سَمِعْتُ الرِّضَا عَلِيَّ بْنَ مُوسَى يَقُولُ: الْقَائِمُ المهديّ ابْنُ ابْنِيَ الْحَسَنِ لَا يُرَى جِسْمُهُ وَلَا يُسَمّى بِاسْمِهِ بَعْدَ غَيْبَتِهِ أَحَدٌ حتّى يَرَاهُ وَيُعْلَنَ بِاسْمِهِ فَلْيُسَمِّهِ كُلُّ الْخَلْقِ، فَقُلْنَا لَهُ: يَا سَيِّدَنَا فَإِنْ قُلْنَا صَاحِبُ الْغَيْبَةِ وَصَاحِبُ الزَّمَانِ وَالمهديّ؟ قَالَ: هُوَ كُلُّهُ جَائِزٌ مُطْلَقًا وَإِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ عَنِ التَّصْرِيحِ بِاسْمِهِ الْخَفِيِّ عَنْ أَعْدَائِنَا فَلَا يَعْرِفُوه»[3]، فما المراد من الأعداء في هذا الحديث؟ هل هم الأعداء في خصوص الغَيبة الصغرى؟ و هل المراد من قوله «فلا يعرفوه» أي لا يعرفوه ليقتلوه، أو لا يعرفوه معرفة عالميّة تاريخيّة باسمه الخاصّ الّذي هو سميّ رسول الله ﷺ؟ بل هنا نكتة دقيقة في رواية كمال الدين تبيّن أنّ اسمه الخاصّ أيضًا له مرتبتان: «لَهُ اسْمَانِ اسْمٌ يَخْفَى وَاسْمٌ يُعْلَنُ، فَأَمَّا الّذي يَخْفَى فَأَحْمَدُ وَأَمَّا الّذي يُعْلَنُ فَمُحَمَّد»[4].

و خلاصة الكلام أنّ دليلَي النهي و الجواز هنا لا يُجمعان بحمل النهي على الكراهة، أفمن صرّح بالاسم أتى بالمكروه؟! أتَحسب أنّ صاحب الجواهر أتى بالمكروه في عبارته الماضية؟! كلّا، إنّما يُحمل النهي على الحرمة بشرائطها، فمثلًا لو فرضنا أن يُعلن الشيعة اسمه الشريف في تعليم الأطفال و في الكتب الدراسيّة التعليميّة لمدارس الشباب و في خطب الجمعة و الجماعات و المنابر و المجالس حتّى يؤول الأمر إلى صيرورته شعارًا للشيعة، فهذا لا يجوز و لا يرضاه الشارع، و كلّ أمرٍ يسبّب شعاريّة هذا الاسم فهو حرام، و أمّا التنعُّم و التطيُّب و التبرُّك بالدعوات و الزيارات المشتملة على الاسم الشريف في الخلوات و في مواضع لا تصير سببًا للشعاريّة فمرغوبٌ فيه و نعمةٌ لأصحاب النعيم لا تعادلها نعمة، فهنيئًا لهم و صلوات الله و سلامه على وليّه الحجّة الإمام المنتظر المهديّ و على جدّه و آبائه المعصومين الأطيبين الأطهرين المكرّمين.

(١) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٢٨٧؛ النجم الثاقب، ص٣٧.

(٢) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٢٨٥.

(٣) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٢٨٥.

(٤) كمال الدين، ج٢، ص٦٥٣.

الملحق السابع:

«بحث مختصر حول مسجد جمكران»

كما ذُكر مرارًا أنّ سماحة الشيخ ﷺ كان يعتقد أنّ مسجد جمكران هو موضع عناية الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف الخاصّة، وكان يعدّ هذا أمرًا مُسلَّمًا به، كما كان يعبّر عن هذه البقعة المقدّسة بـ «سهلة إيران»، لكن بالالتفات إلى أنّ البعض قد ذكروا شبهةً بشأن اعتبار هذا المسجد المقدّس، فسيُجاب عن هذه الشبهة من خلال طرح بعض النقاط بنحوٍ موجز:

١. إنّ أصل تأسيس المساجد و بنائها لا يحتاج إلى دليلٍ شرعيّ خاصّ. كما أنّ صلاة إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ الّتي تُصلّى في هذا المسجد ـ ليست من مختصّات مسجد جمكران، و قد ورد ذكر هذه الصلاة في العديد من المصادر مع اختلافٍ يسير. فقد نقل السيّد ابن طاوس عن كتاب «كنوز النجاح» للفضل بن الحسن الطبرسيّ، التوقيع الشريف لإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في هذا الشأن مع ذكر السند.[1] و ينتهي هذا السند إلى البزوفريّ و هو من أجلّة الأصحاب من الشيعة. و هناك روايات مشابهة نقلها كلٌّ من الطبرسيّ[2]، و السيّد ابن طاوس[3]، و قطب الدين الراونديّ[4]، و الكفعميّ[5]. و على هذا الأساس يمكن الإتيان بصلاة إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في كلّ مسجد مثل سائر الصلوات المستحبّة، و يمكن الإتيان بهذه الصلاة في مسجد جمكران دون حاجة إلى دليلٍ خاصٍّ باعتبارها من مختصّات هذا المسجد.

٢. لو سلّمنا أنّ إقامة هذه الصلاة في هذا المسجد لا تستند إلى دليلٍ قطعيٍّ مُعتبر، فمع ذلك لا إشكال في القيام بهذا العمل العباديّ في هذا المسجد، و ذلك لأنّه:

---

(١) مهج الدعوات، ص٢٩٤.

(٢) مكارم الأخلاق، ص٣٣٩.

(٣) جمال الأسبوع، ص ١٢٤ و ٢٨٠.

(٤) الدعوات، ص٨٩.

(٥) البلد الأمين، ص١٦٤؛ المصباح، ص٣٩٦.

أوّلًا: في مورد جميع الأعمال العباديّة الّتي لا تستند إلى أدلّة معتبرة، و في الوقت نفسه لا تخالف أيّ دليلٍ أو نصٍّ شرعيٍّ، فيمكن الإتيان بها بقصد رجاء المطلوبيّة و أملًا بالحصول على الثواب و مرضاة الله سبحانه و تعالى، و يكفي ذلك في قصد القُربة. و على هذا الأساس، لا يكون هناك أيّ بدعة أو تشريع في البَين؛ إذ إنّ المكلّف لم يقصد الورود و الاستحباب القطعيّ.

و ثانيًا: طبقًا لروايات «من بلغ»، لو أنّ شخصًا سمع رواية منقولة عن المعصوم عليه السلام، تُصرّح باشتمال عملٍ على ثواب، فجاء بذلك العمل رجاءً لتحصيل ذلك الثواب، أعطاه الله ذلك الثواب، حتّى إذا لم يكن النقل صحيحًا. و على هذا الأساس، فإنّه بالالتفات إلى ما نقله الحسن بن مُثلة من أنّ الصلاة في هذا المسجد كالصلاة في البيت العتيق، فإنّ الّذي يأتي بهذه الصلاة رجاء الحصول على هذا الثواب العظيم، كان له هذا الثواب بفضل الله تعالى.

و ثالثًا: لقد ذهب الكثير من العلماء إلى اعتبار روايات «من بلغ» مبنى لقاعدة التسامح في أدلّة السُّنن. و على هذا الأساس فإنّ الإثبات الشرعيّ للمستحبّات لا يتوقّف على الوثوق الكامل بسلسلة السند و مُفاد الحديث، بل الرواية الّتي لا نمتلك وثوقًا بصحّتها، يمكن أن تكون حجّة شرعيّة في إثبات المستحبّات أيضًا.

و لطالما حَرَمَ بعض أهل العلم أنفسهم ـ بسبب عدم قبولهم لهذه القاعدة ـ الكثير من العبادات و المستحبّات الموجبة لتهذيب النفس و تعالي الروح.

٣. إنّ ما يُقال من أنّ تأسيس هذا المسجد يستند إلى مجرّد رؤيا لم تتّضح صحّتها، إنّما هو كلام ينمّ على عدم الاطّلاع؛ لأنّ ما نقله الحسن بن مُثلة الجمكرانيّ إنّما يستند في الأساس إلى عالم اليقظة. فإنّه ـ طبقًا لما تقدّم في ذكرنا للحكاية بالتفصيل ـ قد التقى بإمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في اليقظة، و أنّه قد رأى قبلها و بعدها من الكرامات ما أيقن به أنّه قد التقى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه. و هناك الكثير من الشواهد و القرائن الدالّة على صحّة هذه الحكاية:

أولًا: طبقًا لنقل المحدّث النوريّ عن خطّ يد السيّد نعمة الله الجزائريّ، و كذلك عن الآغا محمّد عليّ الكرمانشاهيّ نجل الوحيد البهبهانيّ في «تعليقة كتاب نقد الرجال»، أنّ الشيخ فاضل حسن بن محمّد القمّيّ في كتاب «تاريخ قمّ» ـ الّذي ألّفه في القرن الرابع للهجرة ـ نقلًا عن كتاب «مؤنس الحزين في معرفة الحقّ و اليقين» المنسوب إلى الشيخ الصدوق، قد نقل هذه الحكاية عن الحسن بن مُثلة الجمكرانيّ. و قد عَدَّ الحسن بن مُثلة شيخًا عفيفًا و صالحًا، الأمر الّذي يدلّ على اعتماده عليه.

ثانيًا: إنّ الّذي يبدو من هذه الحكاية أنّ مسار بناء هذا المسجد قد اقترن بالكثير من الكرامات، الأمر الّذي يثبت في حدّ ذاته صدق مُدّعى الشيخ الصالح الحسن بن مُثلة الجمكرانيّ. (و قد ورد جانبٌ من هذه الكرامات في الصفحة ٢٠٤ من هذا الكتاب).

ثالثًا: إنّ هذا المسجد لم يُبنَ في منطقة نائية، بل قد أُسّس في مدينة قمّ المقدّسة، و هي مدينة تعجّ بالفقهاء والمحدّثين والعلماء المدقّقين والمحقّقين. ودَيدن هؤلاء العلماء ـ بطبيعة الحال ـ هو التدقيق في نسبة هذا المسجد إلى إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف والتأكّد من بنائه طبقًا لأمره. ولو لم يكن مُدّعى الحسن بن مُثلة الجمكرانيّ محفوفًا بما يكفي من الشواهد والقرائن الدالّة على صدقه، لعمد العلماء قطعًا إلى تحذير المجتمع من قبول مثل هذه النسبة أو نشرها و إشاعتها.

و على هذا الأساس، فإنّ الشهرة العريقة لهذا المسجد بين المؤمنين، و مقبوليّة ذلك عند علماء الشيعة، هما في حدّ ذاتهما خير دليلٍ على اعتباره. و من الواضح أنّ الشهرة و الشيوع بين الناس ـ و لا سيّما المؤمنين و العلماء ـ هما من الأدلّة العقلائيّة في إثبات الأمور التاريخيّة، و الحال أنّ هذه الشهرة و هذا الشيوع إذا تحقّقا في مدينة مثل قمّ المقدّسة، الّتي هي معقل كبار العلماء و الفقهاء، يضاعفان من قيمة اعتبارها و حجمها.

رابعًا: لقد شوهدت كرامات متعدّدة في هذا المسجد المقدّس في أثناء تأسيسه، بل و حتّى بعد اكتمال بنائه و إلى يومنا هذا، و قد رأى الكثير من الناس بأعينهم كراماتٍ عديدة من إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف نتيجة لتوسّلاتهم في هذا المسجد، الأمر الّذي يثبت الاهتمام الخاصّ من قِبل حضرته عجّل الله تعالى فرجه الشريف بهذا المكان المقدّس. و قد تحقّق لكبار الفقهاء من خلال التوسّل، شرف لقاء إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في هذا المكان المقدّس، و قد بلغت هذه اللقاءات حدّ التواتر ممّا لا يتّسع المجال إلى ذكره، و يمكن الرجوع إلى مصادر هذه الحكايات التفصيليّة في الكتب الخاصّة بهذا الشأن.

و طبعًا، من البديهيّ أنّ انتساب مكانٍ ما إلى إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، لا يعني المبالغة في أعمال الزينة و الزخرفة الزائدة لذلك المكان، بل إنّ هذا يعني بالنسبة إلى عموم المؤمنين، اغتنام هذا المكان من أجل المزيد من التقرّب إلى الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف و التزوّد بالزاد المعنويّ من ذلك المكان، و هو يعني بالنسبة إلى الّذين يتولّون الأمور، إعداد أسباب الرفاه للزائرين الّذين يؤمّون هذا المكان المقدّس.

المَصادِر

١. القرآن الكريم

٢. نهج البلاغة؛ الشريف الرضيّ، السيّد محمّد بن حسين؛ تحقيق صبحي الصالح؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: هجرت، ١٤١٤هـ ق.

٣. إثبات الهداة بالنصوص و المعجزات؛ الشيخ الحرّ العامليّ، محمّد بن حسن؛ الطبعة الأولى، لبنان ـ بيروت: مؤسّسة الأعلميّ، ١٤٢٥هـ ق.

٤. إثبات الوصيّة؛ المسعوديّ، عليّ بن حسين؛ الطبعة الثالثة، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة أنصاريان، ١٤٢٦هـ ق.

٥. الاحتجاج على أهل اللجاج؛ الطبرسيّ، أحمد بن عليّ؛ إيران ـ مشهد: منشورات المرتضى، ١٤٠٣هـ ق.

٦. الاختصاص؛ الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: المؤتمر العالميّ لألفيّة الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ ق.

٧. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي)؛ الطوسيّ، محمّد بن الحسن؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٤هـ ق.

٨. إرشاد القلوب إلى الصواب؛ الديلميّ، حسن بن محمّد؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: منشورات الشريف الرضيّ؛ ١٤١٢هـ ق.

٩. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد؛ الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: المؤتمر العالميّ لألفيّة الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ ق.

١٠. الاستبصار فيما اختلف من الأخبار؛ الطوسيّ، محمّد بن الحسن؛ الطبعة الأولى، إيران ـ طهران: دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٩٠هـ.ق.

١١. أعلام الدين في صفات المؤمنين؛ الديلميّ، حسن بن محمّد؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ١٤٠٨هـ.ق.

١٢. إعلام الورى بأعلام الهدى؛ الطبرسيّ، فضل بن حسن؛ الطبعة الثالثة، إيران ـ طهران: انتشارات إسلاميّة، ١٣٩٠هـ.ق.

١٣. إقبال الأعمال؛ ابن طاوس، عليّ بن موسى؛ الطبعة الثانية، طهران: دار الكتب الإسلاميّة، ١٤٠٩هـ.ق.

١٤. الأمالي؛ ابن بابويه، محمّد بن عليّ (الشيخ الصدوق)؛ الطبعة السادسة، إيران ـ طهران: منشورات كتابچي، ١٣٧٦هـ.ش.

١٥. الأمالي؛ الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد؛ إيران ـ قمّ المقدّسة: المؤتمر العالميّ لألفيّة الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.ق.

١٦. الأمالي؛ الطوسيّ، محمّد بن حسن؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: دار الثقافة، ١٤١٤هـ.ق.

١٧. الإمامة و التبصرة من الحيرة؛ ابن بابويه، عليّ بن حسين؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مدرسة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ١٤٠٤هـ.ق.

١٨. الأنباء في تاريخ الخلفاء؛ ابن عمراني، محمّد بن عليّ؛ مصر ـ القاهرة: دار الآفاق العربيّة، ١٤٢١هـ.ق.

١٩. الأنوار النعمانية؛ الجزائري، السيد نعمة الله؛ الطبعة الأولى، بيروت: دار القارئ و دار الكوفة، ١٤٢٩هـ.ق.

٢٠. بحار الأنوار؛ المجلسيّ، محمّد باقر؛ الطبعة الثانية، لبنان ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ.ق.

٢١. بداية المجتهد و نهاية المقتصد؛ ابن رشد القرطبيّ، محمّد بن أحمد؛ مصر ـ القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٥هـ.ق.

٢٢. البداية و النهاية؛ ابن كثير؛ الطبعة الأولى، لبنان ـ بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، ١٤٠٨هـ.ق.

٢٣. البرهان في تفسير القرآن؛ البحرانيّ، السيّد هاشم بن سليمان؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة البعثة، ١٣٧٤هـ.ش.

٢٤. بشارة المصطفى لشيعة المرتضى؛ الطبريّ الآمليّ، عماد الدين محمّد بن أبي القاسم؛ الطبعة الثانية، العراق ـ النجف الأشرف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٣هـ.ق.

٢٥. بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد؛ الصفّار، محمّد بن الحسن؛ الطبعة الثانية، إيران ـ قمّ المقدّسة: مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، ١٤٠٤هـ.ق.

٢٦. البلد الأمين و الدرع الحصين؛ الكفعميّ، إبراهيم بن عليّ العامليّ؛ بيروت: مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات،١٤١٨هـ.ق.

٢٧. تاريخ إيران؛ سايكس، پرسي؛ ت: السيّد محمّد تقي فخر داعي گيلاني؛ إيران ـ طهران: أفسون، ١٣٨٠هـ.ش.

٢٨. تاريخ بغداد؛ الخطيب البغداديّ، أحمد بن عليّ؛ لبنان ـ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٧هـ.ق.

٢٩. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة عليهم السلام؛ الإسترآبادي، السيّد عليّ؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤٠٩هـ.ق.

٣٠. تحف العقول؛ ابن شعبة الحراني، الحسن بن عليّ؛ الطبعة الثانية، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤٠٤هـ.ق.

٣١. تحفة الأحوذي؛ المباركفوري، محمّد عبد الرحمان بن عبد الرحيم أبو العلا؛ الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٠هـ.ق.

٣٢. التحصين لأسرار ما زاد من كتاب اليقين؛ ابن طاوس، عليّ بن موسى، الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة دار الكتاب، ١٤١٣هـ.ق.

٣٣. تسلية المُجالس و زينة المَجالس بمقتل الحسين عليه السلام؛ الموسويّ الحسينيّ، محمّد بن أبي طالب؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، ١٤١٨هـ.ق.

٣٤. التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام؛ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مدرسة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ١٤٠٩هـ.ق.

٣٥. تفسير العياشي؛ العياشيّ، محمّد بن مسعود؛ الطبعة الأولى، إيران ـ طهران: المطبعة العلميّة، ١٣٨٠هـ.ق.

٣٦. تفسير فرات الكوفيّ؛ الكوفيّ، فرات بن إبراهيم؛ الطبعة الأولى، إيران ـ طهران: مؤسّسة الطبع و النشر في وزارة الإرشاد الإسلاميّ، ١٤١٠هـ.ق.

٣٧. تفسير القمّيّ؛ القمّيّ، عليّ بن إبراهيم؛ ت: السيّد طيب الموسويّ الجزائريّ؛ الطبعة الثالثة، إيران ـ قمّ المقدّسة: دار الكتاب، ١٤٠٤هـ.ق.

٣٨. تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب؛ القمّي المشهديّ، محمّد بن محمّد رضا؛ الطبعة الأولى، إيران ـ طهران: مؤسّسة الطبع و النشر في وزارة الإرشاد الإسلاميّ، ١٣٦٨ هـ.ش.

٣٩. تفسير نور الثقلين؛ العروسيّ الحويزيّ، عبد عليّ بن جمعة؛ الطبعة الرابعة، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة إسماعيليان، ١٤١٥ هـ.ق.

٤٠. تقريب المعارف؛ أبو الصلاح الحلبيّ، تقي بن نجم؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: منشورات الهادي، ١٤٠٤ هـ.ق.

٤١. التمحيص؛ الإسكافيّ، محمّد بن همام؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مدرسة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ١٤٠٤ هـ.ق.

٤٢. التوحيد؛ ابن بابويه، محمّد بن عليّ (الشيخ الصدوق)؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٣٩٨ هـ.ق.

٤٣. تهذيب الأحكام؛ الطوسيّ، محمّد بن حسن؛ الطبعة الرابعة، طهران: دار الكتب الإسلاميّة، ١٤٠٧ هـ.ق.

٤٤. ثواب الأعمال و عقاب الأعمال؛ ابن بابويه، محمّد بن عليّ (الشيخ الصدوق)؛ إيران ـ قمّ المقدّسة: دار الشريف الرضيّ، ١٤٠٦ هـ.ق.

٤٥. جامع الأخبار؛ الشعيري، محمّد بن محمّد؛ الطبعة الأولى، النجف الأشرف: مطبعة الحيدريّة.

٤٦. الجامع الصغير؛ السيوطيّ، جلال الدين؛ الطبعة الأولى، لبنان ـ بيروت: دار الفكر، ١٤٠١ هـ.ق.

٤٧. جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع؛ ابن طاوس، عليّ بن موسى؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: دار الشريف الرضيّ، ١٣٣٠ هـ.ق.

٤٨. جليس الحاضر و أنيس المسافر (الكشكول)؛ البحرانيّ، يوسُف بن أحمد؛ الطبعة الأولى، بيروت: دار و مكتبة الهلال، ١٩٩٨ م.

٤٩. الحاشية على مدارك الأحكام؛ البهبهانيّ، محمّد باقر؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ١٤١٩ هـ.ق.

٥٠. الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة عليهم السلام؛ البحرانيّ، يوسُف بن أحمد؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤٠٥ هـ.ق.

٥١. حديقة الشيعة؛ المقدّس الأردبيليّ، أحمد؛ إيران ـ قمّ المقدّسة: أنصاريان، ١٤١٩ هـ.ق.

٥٢. حلية الأبرار في أحوال محمّد و آله الأطهار عليهم السلام؛ البحرانيّ، السيّد هاشم بن سليمان؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، ١٤١١ هـ.ق.

٥٣. الخرائج و الجرائح؛ الراونديّ، قطب الدين سعيد بن هبة الله؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ١٤٠٩هـ.ق.

٥٤. الخصال؛ ابن بابويه، محمّد بن عليّ (الشيخ الصدوق)؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٣٦٢هـ.ش.

٥٥. خصائص أمير المؤمنين عليه السلام؛ النسائيّ، أبو عبد الرحمن أحمد؛ مكتبة نينوى الحديثة.

٥٦. خصائص الأئمّة عليهم السلام (خصائص أمير المؤمنين عليه السلام)؛ الشريف الرضيّ؛ الطبعة الأولى، إيران ـ مشهد: العتبة الرضويّة المقدّسة، ١٤٠٦هـ.ق.

٥٧. دار السلام؛ المِيثميّ العراقيّ، محمود؛ الطبعة الخامسة، إيران ـ قمّ المقدّسة: منشورات مسجد جمكران المقدّس، ١٣٩٣هـ.ش.

٥٨. الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة اللهاميم؛ الشاميّ، يوسُف بن حاتم؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤٢٠هـ.ق.

٥٩. الدعاء؛ الطبرانيّ، الحافظ أبو القاسم؛ الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٣هـ.ق.

٦٠. دعائم الإسلام؛ المغربيّ، النعمان بن محمّد؛ الطبعة الثانية، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ١٣٨٥هـ.ق.

٦١. الدعوات؛ الراونديّ، قطب الدين سعيد بن هبة الله؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ١٤٠٧هـ.ق.

٦٢. دلائل الإمامة؛ الطبريّ الآمليّ، محمّد بن جرير بن رستم؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة البعثة، ١٤١٣هـ.ق.

٦٣. الذريعة إلى تصانيف الشيعة؛ آقابزرگ الطهرانيّ، محمّد محسن؛ إيران ـ قمّ المقدّسة: منشورات إسماعيليان و المكتبة الإسلاميّة بطهران، ١٤٠٨هـ.ق.

٦٤. روضة الواعظين و بصيرة المتّعظين؛ الفتال النيسابوريّ، محمّد بن أحمد؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: منشورات الرضيّ، ١٣٧٥هـ.ش.

٦٥. رياض الأبرار في مناقب الأئمّة الأطهار عليهم السلام؛ الجزائريّ، السيّد نعمة الله بن عبد الله؛ الطبعة الأولى، لبنان ـ بيروت: مؤسّسة التاريخ العربيّ، ١٤٢٧هـ.ق.

٦٦. زاد المعاد؛ المجلسيّ، محمّد باقر؛ الطبعة الأولى، لبنان ـ بيروت: مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، ١٤٢٣هـ.ق.

٦٧. إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ اليزديّ الحائريّ، عليّ؛ الطبعة الأولى، لبنان ـ بيروت: مؤسّسة الأعلميّ، ١٤٢٢هـ.ق.

٦٨. الزهد؛ الكوفيّ الأهوازيّ، حسين بن سعيد؛ الطبعة الثانية، إيران ـ قمّ المقدّسة: المطبعة العلميّة، ١٤٠٢هـ.ق.

٦٩. سفينة البحار؛ القمّيّ، الشيخ عبّاس؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: أسوه، ١٤١٤هـ.ق.

٧٠. السلطان المفرج؛ النيليّ النجفيّ، عليّ بن عبد الكريم؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: دليل ما، ١٤٢٦هـ.ق.

٧١. سنن أبي داود؛ أبو داود، سليمان بن أشعث؛ الطبعة الأولى، مصر ـ القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٠هـ.ق.

٧٢. سنن الترمذيّ؛ الترمذيّ، محمّد بن عيسى؛ الطبعة الأولى، مصر: دار الحديث، ١٤١٩هـ.ق.

٧٣. السنن الكبرى؛ البيهقيّ، أحمد بن حسين؛ مكّة المكرمة: مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ.ق.

٧٤. شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار عليهم السلام؛ المغربي، النعمان بن محمّد؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤٠٩هـ.ق.

٧٥. شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مكتبة آية الله السيّد المرعشيّ، ١٤٠٤هـ.ق.

٧٦. شواهد التنزيل؛ الحسكانيّ، عبيد الله بن عبد الله؛ الطبعة الأولى، إيران ـ طهران: مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة التابعة لوزارة الثقافة و الإرشاد الإسلاميّ، ١٤١١هـ.ق.

٧٧. الصافي؛ الفيض الكاشانيّ، محسن؛ الطبعة الثانية، إيران ـ طهران: منشورات مكتبة الصدر، ١٤١٥هـ.ق.

٧٨. صحيح البخاريّ؛ البخاريّ، محمّد بن إسماعيل؛ الطبعة الثانية، مصر ـ القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، لجنة إحياء كتب السُّنّة، ١٤١٠هـ.ق.

٧٩. صحيح مسلم؛ النيسابوريّ، مسلم بن الحجّاج؛ الطبعة الأولى، مصر: دار الحديث، ١٤١٢هـ.ق.

٨٠. الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم؛ العامليّ النباطيّ، عليّ بن محمّد؛ الطبعة الأولى، العراق ـ النجف الأشرف: المكتبة الحيدريّة، ١٣٨٤هـ.ق.

٨١. صفات الشيعة؛ ابن بابويه، محمّد بن عليّ (الشيخ الصدوق)؛ الطبعة الأولى، إيران ـ طهران: مؤسّسة الأعلميّ، ١٣٦٢هـ.ش.

٨٢. طبّ النبيّ صلّى الله عليه وآله؛ المستغفريّ، جعفر بن محمّد؛ الطبعة الأولى، العراق ـ النجف الأشرف: المكتبة الحيدريّة، ١٣٨٥هـ.ق.

٨٣. الطبقات الكبرى؛ محمّد بن سعد؛ الطبعة الأولى، لبنان ـ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٠هـ.ق.

٨٤. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف؛ ابن طاوس، عليّ بن موسى؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: خيام، ١٤٠٠هـ.ق.

٨٥. العبقريّ الحسان؛ النهاونديّ، عليّ أكبر؛ الطبعة الثانية، إيران ـ قمّ المقدّسة: منشورات مسجد جمكران المقدّس، ١٣٨٨هـ.ش.

٨٦. عدّة الداعي و نجاح الساعي؛ ابن فهد الحلّيّ، أحمد بن محمّد؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: دار الكتب الإسلاميّ، ١٤٠٧هـ.ق.

٨٧. عقد الدرر في أخبار المنتظر؛ المقدسيّ الشافعيّ، يوسُف بن يحيى؛ الطبعة الأولى، مصر ـ القاهرة: مكتبة عالم الفكر، ١٣٩٩هـ.ق.

٨٨. علل الشرائع؛ ابن بابويه، محمّد بن عليّ (الشيخ الصدوق)؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مكتبة الداوري، ١٣٨٥هـ.ش.

٨٩. عوالم العلوم و المعارف و الأحوال من الآيات و الأخبار و الأقوال؛ البحرانيّ الأصفهانيّ، عبد الله بن نور الله؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ١٤١٣هـ.ق.

٩٠. عوالي اللآلئ العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة؛ ابن أبي جمهور، محمّد بن زين الدين؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: دار سيّد الشهداء، ١٤٠٥هـ.ق.

٩١. عيون أخبار الرضا عليه السلام؛ ابن بابويه، محمّد بن عليّ (الشيخ الصدوق)؛ الطبعة الأولى، إيران ـ طهران: منشورات جهان، ١٣٧٨هـ.ق.

٩٢. عيون الحكم و المواعظ؛ الليثيّ الواسطيّ، عليّ بن محمّد؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: دار الحديث، ١٣٧٦هـ.ش.

٩٣. عيون المعجزات؛ ابن عبد الوهاب، حسين؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مكتبة الداوري.

٩٤. الغارات؛ الثقفيّ، إبراهيم بن محمّد؛ ت: جلال الدين المحدّث؛ الطبعة الأولى، إيران ـ طهران: انجمن آثار ملي، ١٣٩٥هـ.ق.

٩٥. الغدير؛ الأمينيّ، عبد الحسين؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مركز الغدير، ١٤١٦هـ.ق.

٩٦. غرر الحكم و درر الكلم؛ التميميّ الآمديّ، عبد الواحد بن محمّد؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: دار الكتاب الإسلاميّ، ١٤١٠هـ.ق.

٩٧. الغَيبة؛ النعمانيّ، ابن أبي زينب محمّد بن ابراهيم؛ الطبعة الأولى، إيران ـ طهران: منشورات الصدوق، ١٣٩٧هـ.ق.

٩٨. الغَيبة؛ الطوسيّ، محمّد بن الحسن؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: دار المعارف الإسلاميّة، ١٤١١هـ.ق.

٩٩. الفتوح؛ الكوفيّ، أحمد بن أعثم؛ لبنان ـ بيروت: دار الأضواء، ١٤١١هـ.ق.

١٠٠. الفصول المختارة؛ الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.ق.

١٠١. فضائل الأشهر الثلاثة؛ ابن بابويه، محمّد بن عليّ؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مكتبة الداوري، ١٣٩٦هـ.ق.

١٠٢. فلاح السائل و نجاح المسائل؛ ابن طاوس، عليّ بن موسى؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: بوستان كتاب، ١٤٠٦هـ.ق.

١٠٣. الفوائد الرجاليّة؛ بحر العلوم، السيّد مهدي؛ الطبعة الأولى، إيران ـ طهران: مكتبة الصادق، ١٤٠٥هـ.ق.

١٠٤. الكافي؛ الكلينيّ، محمّد بن يعقوب؛ الطبعة الرابعة، إيران ـ طهران: دار الكتب الإسلاميّة، ١٤٠٧هـ.ق.

١٠٥. كامل الزيارات؛ ابن قولويه، جعفر بن محمّد؛ ت: عبد الحسين الأمينيّ؛ الطبعة الأولى، العراق ـ النجف الأشرف: دار المرتضويّة، ١٣٥٦هـ.ش.

١٠٦. الكامل في التاريخ؛ ابن أثير، عز الدين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم؛ لبنان ـ بيروت: دار صادر و دار بيروت، ١٣٨٥هـ.ق.

١٠٧. كتاب المزار (مناسك المزار)؛ الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: المؤتمر العالميّ لألفيّة الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.ق.

١٠٨. كتاب سليم بن قيس الهلاليّ؛ الهلاليّ، سليم بن قيس؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: الهادي، ١٤٠٥هـ.ق.

١٠٩. كرامات الصالحين؛ الشريف الرازيّ، محمّد؛ الطبعة الثالثة، إيران ـ قمّ المقدّسة: منشورات حاذق، ١٣٨٠هـ.ش.

١١٠. كشف الظنون؛ الحاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله؛ الطبعة الأولى، لبنان ـ بيروت: دار إحياء التراث العربيّ.

١١١. كشف الغمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام؛ الإربليّ، عليّ بن عيسى؛ الطبعة الأولى، إيران ـ تبريز: بني هاشمي، ١٣٨١هـ.ق.

١١٢. كشف القناع عن وجوه حجّية الإجماع؛ التستريّ، أسد الله؛ الطبعة الأولى، إيران ـ طهران: أحمد الشيرازيّ.

١١٣. كشف المحجّة لثمرة المهجة؛ ابن طاوس، عليّ بن موسى؛ الطبعة الثانية، إيران ـ قمّ المقدّسة: بوستان كتاب، ١٣٧٥هـ.ش.

١١٤. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ؛ الحلّيّ، حسن بن يوسف؛ الطبعة الأولى، إيران ـ طهران: وزارة الإرشاد، ١٤١١هـ.ق.

١١٥. كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام ؛ الخزاز الرازيّ، عليّ بن محمّد؛ إيران ـ قمّ المقدّسة: منشورات بيدار، ١٤٠١هـ.ق.

١١٦. كفاية المهتدي في معرفة المهديّ؛ مير لوحي؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: دار التفسير، ١٤٢٦هـ.ق.

١١٧. كمال الدين و تمام النعمة؛ ابن بابويه، محمّد بن عليّ (الشيخ الصدوق)؛ الطبعة الثانية، إيران ـ طهران: منشورات إسلاميّة، ١٣٩٥هـ.ق.

١١٨. كنز العمّال؛ المتّقي الهنديّ، عليّ بن حسام؛ لبنان ـ بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٩هـ.ق.

١١٩. مجالس المؤمنين؛ التستريّ، القاضي نور الله بن شريف الدين؛ الطبعة الرابعة، إيران ـ طهران: منشورات إسلاميّة، ١٣٧٧ هـ.ش.

١٢٠. مجمع البحرين؛ الطريحيّ، فخر الدين بن محمّد؛ ت: السيّد أحمد الحسينيّ الأشكوريّ، الطبعة الثالثة، إيران ـ طهران: منشورات المرتضوي، ١٣٧٥هـ.ش.

١٢١. مجمع الزوائد؛ الهيثميّ، الحافظ نور الدين عليّ بن أبي بكر؛ لبنان ـ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨هـ.ق.

١٢٢. مجموعه رسائل خطي فارسي (دفتر دهم)؛ گروه تصحيح متون معارف اسلامي، إيران ـ مشهد المقدّسة: بنياد پژوهش هاي آستان قدس، ١٣٩٢هـ.ش.

١٢٣. مجموعة ورّام (تنبيه الخواطر و نزهة النواظر)؛ ورّام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مكتبة الفقيه، ١٤١٠هـ.ق.

١٢٤. المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء؛ الفيض الكاشانيّ، محمّد بن شاه مرتضى؛ الطبعة الرابعة، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، ١٤١٧هـ.ق.

١٢٥. مختصر البصائر؛ الحلّيّ، حسن بن سليمان بن محمّد؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤٢١هـ.ق.

١٢٦. مدينة معاجز الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام؛ البحرانيّ، السيّد هاشم بن سليمان؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، ١٤١٣هـ.ق.

١٢٧. المزار الكبير؛ ابن المشهديّ، محمّد بن جعفر؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤١٩هـ.ق.

١٢٨. المزار؛ العامليّ، محمّد بن مكّي (الشهيد الأوّل)؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام، ١٤١٠هـ.ق.

١٢٩. مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل؛ النوريّ، حسين بن محمّد تقيّ؛ ت: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ١٤٠٨هـ.ق.

١٣٠. المسترشد في إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ الطبريّ الآمليّ، محمّد بن جرير؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: كوشانپور، ١٤١٥هـ.ق.

١٣١. مستند الشيعة؛ النراقيّ، أحمد بن محمّد؛ الطبعة الأولى، قمّ المقدّسة: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ١٤١٥هـ.ق.

١٣٢. مسند ابن جعد؛ الجوهريّ، عليّ بن جعد؛ الطبعة الثانية، لبنان ـ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٧هـ.ق.

١٣٣. مسند أبي يعلى؛ الموصليّ، أبو يعلى؛ دار المأمون للتراث.

١٣٤. مسند أحمد؛ ابن حنبل، أحمد بن محمّد؛ الطبعة الأولى، مصر ـ القاهرة: مطبعة الميمنيّة، ١٣١٣هـ.ق.

١٣٥. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار؛ الطبرسيّ، عليّ بن حسن؛ الطبعة الثانية، العراق ـ النجف الأشرف: المكتبة الحيدريّة، ١٣٨٥هـ.ق.

١٣٦. المصباح (جنّة الأمان الواقية)؛ الكفعميّ، إبراهيم بن عليّ العامليّ؛ الطبعة الثانية، إيران ـ قمّ المقدّسة: دار الرضيّ (الزاهديّ)، ١٤٠٥هـ.ق.

١٣٧. مصباح المتهجّد و سلاح المتعبّد؛ الطوسيّ، محمّد بن الحسن؛ الطبعة الأولى، لبنان ـ بيروت: مؤسّسة فقه الشيعة، ١٤١١هـ.ق.

١٣٨. معاني الأخبار؛ ابن بابويه، محمّد بن عليّ؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤٠٣هـ.ق.

١٣٩. المعجم الأوسط؛ الطبرانيّ، الحافظ أبو القاسم؛ مصر ـ القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ.ق.

١٤٠. معجم البلدان؛ الحمويّ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله؛ الطبعة الثانية، لبنان، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.

١٤١. المعجم الكبير؛ الطبراني، الحافظ أبو القاسم؛ الطبعة الثانية، لبنان ـ بيروت: دار إحياء التراث العربيّ.

١٤٢. المعجم الصغير؛ الطبرانيّ، الحافظ أبو القاسم؛ لبنان ـ بيروت: دار الكتب العلميّة.

١٤٣. مقابس الأنوار و نفائس الأسرار في أحكام النبيّ المختار و عترته الأطهار عليهم السلام؛ التستريّ، أسد الله؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام.

١٤٤. مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله؛ الأحمديّ الميانجيّ، عليّ؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: دار الحديث، ١٤١٩هـ.ق.

١٤٥. مكارم الأخلاق؛ الطبرسيّ، الحسن بن الفضل؛ الطبعة الرابعة، إيران ـ قمّ المقدّسة: دار الشريف الرضيّ، ١٤١٢هـ.ق.

١٤٦. كتاب من لا يحضره الفقيه؛ ابن بابويه، محمّد بن عليّ (الشيخ الصدوق)؛ الطبعة الثانية، إيران، قمّ المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤١٣هـ.ق.

١٤٧. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام؛ ابن شهر آشوب المازندرانيّ، محمّد بن عليّ؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: علامه، ١٣٧٩هـ.ق.

١٤٨. منتخب الأنوار المضيئة في ذكر القائم الحجّة عليه السلام؛ بهاء الدين النيليّ النجفيّ، عليّ بن عبد الكريم؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مطبعة الخيام، ١٣٦٠هـ.ق.

١٤٩. منتخب مسند عبد بن حميد؛ الكَسّي، عبد بن حميد بن نصر؛ الطبعة الأولى، مكتبة النهضة العربيّة، ١٤٠٨هـ.ق.

١٥٠. المنتظم في تاريخ الأمم و الملوك؛ ابن الجوزيّ، أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمّد؛ الطبعة الأولى، لبنان ـ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٢هـ.ق.

١٥١. المنخول من تعليقات الأصول؛ الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد؛ الطبعة الثالثة، لبنان ـ بيروت: دار الفكر المعاصر، و سوريا ـ دمشق: دار الفكر، ١٤١٩هـ.ق.

١٥٢. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة؛ الهاشميّ الخوئيّ، الميرزا حبيب الله؛ الطبعة الرابعة، إيران ـ طهران: المكتبة الإسلاميّة، ١٤٠٠هـ.ق.

١٥٣. مهج الدعوات و منهج العبادات؛ ابن طاوس، عليّ بن موسى؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: دار الذخائر، ١٤١١هـ.ق.

١٥٤. المؤمن؛ الكوفيّ الأهوازيّ، الحسين بن سعيد؛ إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة الإمام المهديّ عليه السلام، ١٤٠٤هـ.ق.

١٥٥. النجم الثاقب؛ النوريّ الطبرسيّ، الميرزا حسين؛ الطبعة السابعة عشرة، إيران ـ قمّ المقدّسة: منشورات مسجد جمكران المقدّس، ١٣٩٥هـ.ش.

١٥٦. نوادر الأخبار فيما يتعلّق بأصول الدين؛ الفيض الكاشانيّ، محسن؛ الطبعة الأولى، إيران ـ طهران: مؤسّسة مطالعات و تحقيقات فرهنگي، ١٣٧١هـ.ش.

١٥٧. النور المبين في قصص الأنبياء و المرسلين؛ الجزائريّ، نعمة الله بن عبد الله؛ الطبعة الأولى، إيران، قمّ المقدّسة: مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، ١٤٠٤هـ.ق.

١٥٨. نهج الحقّ و كشف الصدق؛ العلّامة الحلّيّ، الحسن بن يوسُف بن المطهّر؛ الطبعة الأولى، لبنان ـ بيروت: دار الكتاب اللبنانيّ، ١٩٨٢م.

١٥٩. الوافي؛ الفيض الكاشانيّ، محسن؛ الطبعة الأولى، إيران ـ أصفهان: مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ١٤٠٦هـ.ق.

١٦٠. وسائل الشيعة؛ الشيخ الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن؛ الطبعة الأولى، إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ١٤٠٩هـ.ق.

١٦١. وقعة الطفّ؛ أبو مخنف الكوفيّ، لوط بن يحيى؛ إيران ـ قمّ المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤١٧هـ.ق.

١٦٢. وقعة صفين؛ المنقريّ، نصر بن مزاحم؛ الطبعة الثانية، إيران ـ قمّ المقدّسة: مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، ١٤٠٤هـ.ق.

١٦٣. هداية الأمّة إلى أحكام الأئمّة عليهم السلام؛ الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن؛ الطبعة الأولى، إيران ـ مشهد: العتبة الرضويّة المقدّسة، مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٤١٤هـ.ق.

١٦٤. ينابيع المودّة لذوي القربى؛ القندوزيّ الحنفيّ، سليمان بن إبراهيم؛ الطبعة الأولى، دار الأسوة للطباعة و النشر، ١٤١٦هـ.ق.

الفِهرِسُ التَّفصِيلي

الفهرس التفصيلي